

المروية

مجلة أسبوعية للفقه والحديث

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

1937

Volume 2

PUBLICATION PROTEGEE

PAR LA

LEGISLATION SUR LA PROPRIETE

LITTERAIRE ET ARTISTIQUE

LOI N **57_298** DU **11** MARS **1957**

**PROVENANCE DE LA
COLLECTION**

**INSTITUT DU MONDE
ARABE**

Cote: 833 (051) RIW

MICROFILM ÉTABLI

PAR

**L'ASSOCIATION POUR LA CONSERVATION
ET LA REPRODUCTION PHOTOGRAPHIQUE
DE LA PRESSE**

PARIS

*L'Exploitation commerciale de ce film est interdite.
La Reproduction totale ou partielle est soumise à
l'autorisation préalable des ayants droit et à
celle de l'A.C.R.P.P. qui conserve un exemplaire
du microfilm négatif.*

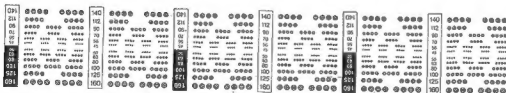
© 1998 A.C.R.P.P.

ECHELLE DE PRISE DE VUE



Rx9

A.C.R.P.P



MIRE ISO N° 1

NF Z 43-007

AFNOR

Cedex 7 - 92080 PARIS-LA-DÉFENSE



الشيخ
ع



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة

٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ عن العدد الواحد

الادارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

الهرولة

مجلة أسبوعية للقصص والنايخ

نصدر مؤقناً في أول كل شهر وفي نصف

العدد الثالث عشر ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٣٥٦ — أول أغسطس سنة ١٩٣٧ السنة الأولى

من أحسن القصص



فهرس العدد

صفحة	
٧٧٨	التائه أقصوصة مصرية ... للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني
٧٨٣	الفرقة المشتركة جون ماديسون ... بقلم الأديب احمد فتحي مرسى
٧٨٨	يوميات نائب في الأرياف صور مصرية ... بقلم الأستاذ توفيق الحكيم
٧٩٥	أجلافيين وسيليزيت رواية تشيلية لموريس مارتلك .. بقلم الدكتور محمد غلاب
٨٠٦	طرق القدر للكاتب الأمريكى أوهرتى ... بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدى
٨٢٤	شجرة عيد الميلاد لفيكتور دوستوفسكى ... بقلم الأستاذ عبد الليف النشار
٨٢٩	اعترافات فتى العصر لألفريد دى موسيه ... بقلم الأستاذ فليكس فارس
٨٣٥	الأوذية لهومروس ... بقلم الأستاذ دريى خشبة



السَّاعَةُ

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

الوالد لما سمع بالفتنة
التي أصابته أن يلتبس
من المحكمة أن تؤجل
قضاياه، قبل القاضي وهو
مفتبط، وطمان الوالد
التلف ودعا الله أن يرد
إليه ابنه سالما، وطوى
أوراقه التي كانت أمامه،

ونفض فما كان في المحكمة كلها من المحامين إلا اثنان
أو ثلاثة، وخرج مع الحامي وهو يربت له على ظهره،
ويقول له: «لا تقلق ولا تنزعج... ستجده إن
شاء الله يلعب في البيت» وخرج وراءهما أصحاب القضايا
وهم ينفخون ويهزون زهوسهم ولا يرون لهم حيلة.
وفي الساعة الثانية عشرة عقدت الأسرة جلسة
برئاسة الوالد وعضوية الأم المنتجة والعمة التي
دعيت من بيتها على عجل، ونودي الشهود، فتقدمت
«حليمة» وقررت — من غير أن تحلف أى عين
فإن الموقف لا يعقل فيه الكذب ولا يحتمل هذه
الاجراءات الطويلة — أنها رأت «سيدى فوزى»
في الصباح يفتح الخزنة ويخرج حق السكر ويسرق
منه قطعة. وكانت معه قطعة من الخبز الطازج.
— فقد كانت الأسرة تعجن وتخبز كل يوم جمعة
وبوم اثنين — فصاحت الأم المسكينه: «ياريتنا
ما خبزنا ولا نلتنا... أثاره غطس ولا حد شافه...
ويا كل عيش وسكر؟ يا حبيبي يا ابني... خرج
من غير فطور... والوقت الظهر...»

فقال العمة: «الله يهديك يا بني...
تصبري... الصبر طيب»

وقال الأب: «حلمك يا أم فوزى... انتظري
علينا... خلىنا نفهم الولد راح فين»

في الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والعشرين
تماما اختفى الطفل «فوزى» ولم يمد أحد يده لا في
البيت ولا في الحديقة الواسعة ولا حول النافورة
أو فيها، ولا في الشارع. وفي الساعة العاشرة والرابع
بدأت أمه تسأل عنه بعد أن أعدت له الحمام على
عادتها كل يوم جمعة. وبمدرج ساعة من السؤال
والاستفسار بلا جدوى انطلق الخادم الهرم «عم محمد»
وزوجته «حليمة» يبحثان عن فوزى ويسألان كل
صاحب دكان في الحارة هل رآه منهم أحد؟ وفي
أثناء هذا البحث المقيم كانت أم فوزى قابعة على
آخر درجة من درجات السلم وكوعها على نغصها،
وذقها على كفها، والزفرات الحمر يعلو بها صدرها
ويهبط. وينفذ صبرها أحيانا فتضرب كفها بكف
وتقول: «مسكين يا ابني... يا ترى رحت فين
يا ابني... المسكينه أمك... أمك المسكينه...
بعد التعب وطول القلب أخسرك مرة واحدة...
لو كنت مت كنت عرفت انت فين... كنت
أعرف أرضك وأروح أزورك...» الخ الخ
وفي الساعة الحادية عشرة عاد الرسول بابي الغلام
المفقود من «بيت القاضي» فقد كان محاميا شرعيا
وكان «بيت القاضي» هذا هو دار المحكمة — بين
حي سيدنا الحسين وحي النحاسين — وقد اضطر

لا ينبغي أن يعول عليه ، وذكرت من أسباب قرارها أن المزاومة بين الجزارين هي التي أغرت الصبي بهذا الكلام الفارغ

وفي الساعة العاشرة مساء عاد فوزى إلى البيت تحمله جارية سوداء لامعة الجلد كالفضة « الكوك » وقالت إنها وجدته نائماً على عتبة بيتها فرق له قلبها وحملته فأدخلته وعالجت أن توقظه ، فلم تفلح ، فتركته حتى تغلب فهزته ففتح عينيه وسأله عن اسمه ولكن النوم كان يغالبه فلم يجيبها فاستشارت جارة لها فاتفقوا لحسن الحظ أنها تعرف الغلام فدلته على أهله

ونضت عنه أمه ثيابه القذرة الملطخة وألبسته أخرى نظيفة وغسلت له رأسه فسال منها غسل كثير ولم يستطع أحد أن يعرف أين ذهب الغلام ولا أين كان غالباً طول النهار وإلى ما بعد العشاء ، ولكنى كنت نذه وكنا نلعب معا ولا نكاد نفرق فقص على ما يأتى وأوصانى ألا أبوح بالسر . فأنا أوصى القراء بتثل هذا السكتان

وقد صحح لى شهادة الشهود أولاً فقال إنه لم يأخذ السكر ليا كله بل ليمصه ، لأن أسنانه مختلفة التبتة غير متسقة وبعضها طويل والبعض قصير فالص لهذا أسهل — وأحلى أيضاً — وقال إن الذى كان معه وهو يكلم صبي الجزار لم يكن ودعات وإنما كان خرزات ، وعجب للصبي كيف لا يعرف الفرق بين الودعة والخزرة . ولم يصدق الصبي فى قوله إنه ذهب إلى دكان الجزار الآخر ليكلم أحداً فما وقف أمام دكانه إلا لأن منظر الجزار وهو يفرم اللحم الأحمر سحره فلم يسهه إلا أن ينظر ، وكان يتوقع فى كل لحظة أن تقطع السكين أصابع الرجل ، ولكن الأصابع كانت تدفع اللحم وتكومه للسكين الهاوية وتتق وقعها بمهارة محببة ، وقد كان فوزى

وتقدم الشاهد الثانى « عم محمد » وكان رجلاً مفضن الوجه ، كما تبدو مبانى المدينة للحلق فى طيارة ، ولكنه قوى جلد يعرف المشى ولا يعرف الركوب ، ويحب المدينة كلها على قدميه ولا يتأفف أو يتذمر ، ولا تراه قط إلا كالمرح أو الجندى فى الصف . ويظل طول النهار يعمل ، ويروح ويجيئ ولا يكل ، ويقبل الليل فيخدم سيده فى المكتب حتى إذا سعد سيده إلى مسكنه — فقد كان المكتب فى البيت — تسلس « عم محمد » إلى « البوطة » المحلية ثم عاد يتطرح إلى غرفته فيرتقى فى أى مكان فيها إلى الصباح

وقال عم محمد : « أهو كان يلعب فى الجنة » فسأله الأب : « هل رأيته يخرج ؟ » قال : « آه ... وقف عند الجزار » فسأله الأب : « وهل رأيته يعود بعد ذلك ؟ » فقال : « أنا خرجت أقضى الحاجة » فسأله الأب : « ماذا كان يصنع عند الجزار ؟ » فقال الشاهد : « أنا أعارف ... كان يكلم الصبي فدعى الصبي ، وكان يناهز التاسعة من عمره ، ولكنه كان ممتلئاً ضخاً ، وكانت رقبته غليظة ، ورأسه لهذا يبدو كأنه مغروس بين كتفيه ، فغطت السيدتان وجهيهما لما دخل عليهما الصبي وقال الشاهد إن فوزى كان يريه ودعتين كانتا

معه وإنه بعد ذلك ذهب إلى دكان الجزار الذى فى آخر الحارة . وهنا تبرع الشاهد برأى له فقال إنه يعتقد أن ذاك الجزار خطف فوزى وأنه يخفيه ليذبحه ويبيع لحمه للزبان باسم لحم ضأن مصرى . فصرخت الأم واستمادت العمة بالله ، وقالت يا حفيظ ، وطرده الأب من الجلسة . ثم تشاورت المحكمة وقررت ألا تأخذ بهذه الشهادة ، وإن كلام صبي الجزار

يسد به ، فلم يشك في أن هذا عسل لأنه رأى مثله في البيت فعاقل الرجلين ومد يده بخمفة ورفع الغطاء ودس يده في الوعاء حتى بلغت العسل ثم راح يلحس وتكرر منه ذلك . ويطهر أنه أفرط فيه أو شغل يلحس العسل عن الحذر الواجب فقد فاجأ أحد الرجلين بزجر عنيف وكانت يده في ذلك الوقت في جوف « البلاصى » فانزعجها بسرعة وبلا حساب فخرجت ولكن الوعاء مال وسقط على الأرض فأريق العسل . وذهب فوزى يجري غير أن الرجل أدركه وعاد به وجعل يضربه ويشتمه ، ثم لم يكفه الضرب والشتم القبيح بل تناول بيده من العسل المراق على الأرض ونزع الطاقية عن رأس فوزى وجعل يسمح له شعر رأسه — أو يمسحه على الأسح — بالعسل المزوج بالطين والوحل . ثم مسح يديه في جلبابه وعلى وجه الغلام ورفسه فكبّه على وجهه ، وارتد إلى ما كان فيه من غير أن يقبل يديه اكتفاء بمسحهما على ثياب الفتى ووجهه

(ولم استطع أن أفهم من فوزى كيف اتفق له ما سيجيء والظاهر أنه سار على غير هدى وأنه كان مشغولاً بما أصابه من هذا الجلف القاسى الذى ضربه ولوث له ثيابه ووجهه ورأسه بالطين والعسل على أنه فراغ لا يؤثر في الموضوع فليسنه القارىء بما يشاء) وأثنى فوزى نفسه في شارع لا عهد له به وكان الذى لفته إلى ذلك أنه سمع طبولاً تدق وأصوات مزامير — أى موسيقى — فثلثت وأنصت حتى استطاع أن يعرف مصدر الصوت فأجمه إليه وإذا بسرادق كبير تنبث منه هذه الأصوات المزعجة تصحبها ضجيات عالية وضخكات مقرقة وتصفيق وصفير وصيحات ، فأيقن أن ههنا شيئاً يستحق الرؤية وحاول أن يدخل من الباب ولكن رجلاً واقفين عليه منعه وانتهروه بعد أن طالبوه بقرش

وهو واقف ينظر ويمسج ، يود لو أن الجزار سمح له بالتدرب على هذه « اللعبة » وأعرب لى عن أسفه لأن أباه وأمه لا يسمحان له بلعبة تشبه هذا وكان يلبس جلباباً — جلالية — مخططاً وحذائين ، وعلى رأسه « طاقية » مزركشة ، وكان في يده « عقلة » مما تتخذ منه الأقلام « البسط » التى يحتاج إليها أبوه في أعمال مكتبه وقد أعطاه إياها « عم محمد » — وقد نسي أن يفضي بذلك في شهادته أو لعله خاف أن يؤنبه سيده — فراح فوزى يمشى ويدفع الحصى في طريقه طوراً بقدميه وتارة بالعقلة وكانت عينه إلى الأرض فلم يلفت إلى الطريق (يجب أن يلاحظ القارىء أنى أنا الذى أقص الحكاية الآن لافوزى وأنى أحاول أن أجعلها مفهومة على قدر ما يتيسر ذلك) فلما تنبه أثنى نفسه في حارة لا يعرفها فجل يثقت وشق عليه أن يكون قد ضل وأدار عينه في الرأحين والغابن لعله يعرف واحداً منهم أو عسى أن يعرفه منهم أحد فلم يوفق وكاد ييكن من الجزع ولكن عينه أخذت رجلاً يصنع أمام دكانه ما استطعت أن أفهم أنه ما يسمى « الحلوة المحصية » وكان يغطها وهي مشدودة إلى عمود مركز في الأرض ثم يعود فيطوبها ففتته هذا المنظر كما فتته منظر القصاب وهو يفرم اللحم ودنا من الرجل ووقف يتطلع إليه ثم حانت منه التفاته فرأى ما هو أعجب وأولى بعتاقته . ذلك أنه أبصر رجلاً ضخماً على وسطه فوطه مخططة وأمامه مراحل كبير يقلب فيه يديه ما أدرك أنه « الحلوة الطحينية » فوقه مهوئاً ثم زاعت عينه بين الرجلين وأحس برقه يجري وشعر بمضه الجوع وكان ظهره إلى باب الدكان وكانت يده تمسك بالعقلة فضربت شيئاً استغرب صوته فأدار وجهه لينظر فإذا به يرى وعاء هو الذى نسميه « البلاصى » وعلى فيه أو — فتحت — لوف

على أقرب عتبة حتى يوقظه داخل أو خارج . فينهض ويستأنف المشي وهو يفرك عينيه . ويكي أولاً يكي — حسب الأحوال — حتى ارتقى على عتبة الجارية . وهذا تصحيح آخر فقد سجلته ودخلت به كما قالت ولكنه لم يكن مستغرقاً في النوم كما زعمت ، فقد استيقظ لما أحس بها ورأها تحمله على صدرها ، ويؤكد فوزي أنه نظر بمؤخر عينيه إلى وجهها ، فلما رآه أسود كالقحم خاف فأغمض عينيه ونظاها بالنوم ، ووضعت الجارية على حشية طويلة ودست تحت رأسه وسادة ووقفت تتأمله وكان هو يحس عينها عليه وإن كانت عيناه مغمضتين من الخوف . وقد كبر في وهمه أنها ستأكله ، فلما هزته ليستيقظ أبى أن يفتح عينيه وأصر على التناوم ولح في هذا السناد خوفاً ورفقاً . وجعل بعد ذلك يلاحظها من حيث لا تشعر وتبنيها بعينه وهي تروح وتجيء . ولكنه يلم أخيراً — غلبه النوم لا يدري كيف على الرغم من الخوف الذي كان يساوره فلما استيقظ سألتته عن اسمه فأشفق أن يذكر لها غاورته ودأوره وجاءته بشيء من الحلو وكان جائعاً فأكل فلما أحس ببعض الشبع امتنع عن الأكل مخافة أن يكون في الحلو شيء مدموس كما سمع في القصص التي تقصها عليه « حليلة » كل ليلة قبل أن ينام . وجاءت سوداء أخرى فنظرت إليه ملياً ثم قالت له : « إن مش فوزي ابن السنت أم فوزي ؟ » فلم يجب وأصر على التباله ، فأكدت السوداء الثانية أنها واثقة أنه فوزي وقالت إن عمته ساكنة على مقربة من هنا وإنها رآه مراراً يجيء إلى عمته مع جادته فلما سمع فوزي كلام هذه الجارية بكى وقال : « عاوز أروح لعمتي » فصاحت الجارية التي عرفته : « شفتي ؟ . شفتي بقى ؟ . عشان تصدقني »

واتخذت من بكائه ومن رغبته أن يذهب إلى عمته

ولم يكن معه شيء من الفلوس . فارتد أسفاً كلف البال واغمر وقت عيناه بالدموع وعز عليه أن يحرم هذه « الفرجة » التي يتمتع بها كل هؤلاء الذين هم في السراق من الأطفال مثله ومن الكبار أيضاً . ثم جعل يمزى نفسه وراح يتمسح بالسراق ويطل من بين قطع الخيام المشدود بعضها إلى بعض ، فرأى ملعباً مرفوعاً وعليه خيل تدور وتدخل في دوائر كبيرة وتخرج منها إلى أخرى بعدها وتب من فوق ما يشبه المقاعد سوى أنها تغير ظهور ، فلم يطق صبراً على هذا الحرمان وظل يدور حول السراق حتى اهتدى إلى مكان يسه أن يدخل منه — من تحت الخيمة — وتمتع ساعة بالليل الدائرة وبمنظر المهرج الذي يلبس فوق رأسه « طرطورا » ويرتدى ثياباً مرقعة مختلفة الألوان وعلى وجهه طبقات من الأبيض في مواضع دون أخرى ، وبغير ذلك بما يجري هذا المجرى . وانفض السامر وانصرف المتفرجون وهو معهم أو بينهم وصار في الشارع مرة أخرى . وكان الجوع قد ألح عليه ولا طعام معه ولا فلوس في جيبه . وشعر أن قواه بدأت تخور ، فلما مررت به مركبة يجرها جوادان تعلق بها من الخلف فسارت به وراحت وجادت ولفط الله بالفتى فلم يش به أحد إلى الحوذي وإلا لسكواه بالسوط الطويل ، كما هي العادة . وأخيراً وقفت المركبة في الموقف — وكان لحسن الحظ عند بيت القاضي — فتركها فوزي ومشى يجتر رحليه والجوع يعضه والنوم يقالبه

(وهنا غموض آخر في القصة وأحسب أن السبب فيه أن فوزي كان يمشى وهو كما يقول الشاعر : « مشاهد للأمر غير مشاهد » من فرط التعب ومن إلحاح الجوع والنماس عليه . وله المنبر)

وقد قال لي إن بيت الجارية ليس أول بيت قام على عتبته فقد كان يسقط من الاعياء والجوع فينام

ونام فوزى على كتفها وهي عائدة به إلى بيته وأهله ، فلما نهض في صباح اليوم التالى ألنى نفسه على سريره المألوف فهل كان كل هذا حلماً ؟ كلا . فان ثيابه « المنسولة » هاك تذكره بما لقي في رحلته المعجبة . وهذا شعره لا يزال كما غسولمه يقطر عسلا ولا يذكر فوزى أنه كان يحن إلى البيت أو إلى أمه أو أبيه . وكل ما كان يحسه هو الجوع والتعب . وقد علمته هذه التجربة شيئاً هو ألا يخرج قط من البيت — يجاوز عتبة — إلا إذا كان معه فلوس . إذ من يدري ؟ فقد يضل مرة أخرى فيجوع فإذا يصنع بغير فلوس . ؟ ؟

وقد كبر فوزى وصار رجلاً ولكنه لم ينس هذه التجربة ولا الدرس الذى حذقه في السادسة من عمره منها فإذا لقيته في الطريق فتق أن معه ما يكفيه للطوارئ . وأنت وذمتك

أبراهيم عبد القادر المازنى

دليلاً على صدق فراستها . وقد تكون عمته هذه في آخر الدنيا ولكن رغبة الصبي في رؤيتها كانت حسب الجارية دليلاً على صحة رأيها . وكثرت الجوارى في البيت واجتمع على فوزى ظلام الليل وظلام وجوههن ، ولكن هذا لم يفزعه فقد راقه يياض أسنانهن وبمض الحفرة في عيونهن — من أثر البوطة وفعلها على الأرجح فقد كان شربها شائماً بين الجوارى في ذلك الزمان — وكان لفظهن عظيماً ولكن جيماً يتكلمن ولا يبدو أن واحدة منهن تصني إلى ما يقال أو تمنى بغير ما تقول هي ، ولم يكن هو يفهم شيئاً من كلامهن لشدة الضوضاء ولمجزءه عن متابعتن ولغرابة لهجتهن أيضاً . وأخيراً انتهى المؤتمر الأسود فخرجن جميعاً إلا صاحبة البيت فقد عادت من توديعهن وقالت له : « تعال يا حبيبي » وحمته على كتفها وهو يعجب أين ياتري تريد أن تذهب به ، ويدعو الله في سره ألا تذهب به إلى الجزار

الفلاح المصرى يزرع القطن

والعامل المصرى يغزله وينسجه

فالقطن ثروتكم وهو نفركم

أعدته لكم منسوجات لا تقارن في جودتها

شركة مصر للغزل والنسيج

اشتروا ما يلزمكم من

شركة بيع المصنوعات المصرية

السيدة بنسر ولا شك..

تفضل ياسيدتي

(تدخل السيدة بنسر)

السيدة بنسر - انهم

صباحا يا ماستر كوكس...

آمل أن تكون فضيت

نومة هائلة

كوكس - كلا:

لا يمكنني أن أقول إني

فعلت ... فقد كان

الفرش قلقتا نائياً فأرجو أن تبخشي عن فرش ألبين وأوثر

السيدة بنسر - إني أفعل كل ما فيه راحتك

ياسيدتي .

كوكس - إذن اعلمي لي هذه المرأة قليلا حتى

أصف شعري هذا من جهة ، ومن جهة أخرى

لا أعلم لماذا يتناقض غي هذه السرعة

السيدة بنسر - ماذا تقول ياسيدتي ؟

كوكس - وكذلك الزيت والسكر

السيدة بنسر - أظن أني أسرقها ؟

كوكس - كلا . كلا . لا أظن هذا ...

ولا أظن أيضاً أن القطعة سرقها . قد تسرق القطط

اللبن ، ولكن لا أظن أنها تسرق الفهم لتسخن اللبن ،

أو السكر لتضعه فيه ... ومن جهة أخرى كثيراً

ما أجد جو الغرفة ملبداً بالذئبان عندما أعود في

مغرب الشمس

السيدة بنسر - آه ... هذا دخان المدفأة

كوكس - كلا . كلا لا أعني هذا النوع ..

أندخين التبغ

السيدة بنسر - كلا ألبتة ...

كوميديا في فصل واحد

الخوف المشترك

لكتاب الانجليزى جون ماديسون
بقلم الأديب محمد فتحى مرسى

« تيم السيدة (بنسر) في منزل صغير
تستغل حجراته المؤتة بالايجار لقيم أودها »

وأحد مستأجرها وهو السيد جون بوكس

رجل ذو غفلة ، فهو يقضى ما بين أطراف الليل من

عمله ويعود عند انبلاج الصباح تاركا حجراته طوال

الليل تنفي من بناها ... وقد استغلت السيدة بنسر

هذا الظرف فراحت تؤجر الحجرة لرجل آخر وهو

السيد كوكس رجل شاذ الخلق يشتغل في صناعة

القبعات ويعود عندما يسبل الليل سحوفه ... وكلا

الرجلين لا يعلم شيئا عن الآخر »

« الصباح متبلج تبيل أشعث من خصائص نافقة

الير كوكس وهو يحيط رأسه أمام المرأة »

كوكس - إني لن أطلق رأسي بعد اليوم قط

فان المشط لا يمكنه أن يؤدي واجبه ألبتة بين هذه

الشعرات القصار ... لقد قلت للحلاق أن يقص

أطراف الشعر فقط ، ففهم بفكره السقيم أن يقص

أطراف الرأس (يسع طرفاً على الباب)

كوكس - من هذا الذى يطرُق الباب ؟ ...

(١) عن كتاب « بوكس وكوكس » لقصص الانجليزى

الكوميدي جون ماديسون

القبعات تتشكل على رأسه بتشكيل الأيام ...
السيدة بنسر - أجل إنه يعمل في محل قبعات
أريد شيئاً ياسيدي .

بوكس - كلا... لك الشكر (تخرج السيدة بنسر)
بوكس - لقد لبثت طول الليل لا يغمض لي
طرف ... فيجب أن أنام قليلاً ويجب أن أتناول
أيضاً ما تيسر من الطعام ... أيهما سأفعله أولاً ؟ ..
أتناول الطعام قبل أن اضطجع على السرير أم
اضطجع على الطعام قبل أن أتناول السرير أعني
اضطجع على السرير قبل أن أتناول الطعام ؟ ..
سأتناول الطعام أولاً ... أين صندوق الثقاب ؟ ...
لقد تركته على المنضدة أمس . إنه الآن على شفا الموقد ...
لا أظن أن للصندوق سيقاناً فيقفز هذه القفزة
الخطرة ... لا بد أن السيدة بنسر قد استخدمت
شيئاً منه .

(يودع النار في الموقد فتذكو وتتوهج ثم بتناول آتية
في يده قبعتها وينشعبها) لا شك أنت مسر بنسر
استعملت تلك الآتية في إعداد طعامها . إن راحتها
تفوح برائحة السمك ...

(يخرج من جيبه ورقة في طواياها قطعة من اللحم
بضمها في الاناء على النار - ثم ينهب فيتطرح على السرير
ويدل الأستار) - والآن سأغفو غفوة سريعة
حتى ينضج اللحم . (يدخل مستر كوكس)

كوكس - (لنفسه) إن عجائب هذه الدنيا
لا تنتهي ... لقد قال لي المدير وما أطيب قلبه ...
ليس لك عمل اليوم ويمكنك أن تقضي يوماً سعيداً
هنيئاً على نشاطي النهار ... والآن سأتناول طعامي
سريعاً ثم أمضي إلى ضفاف النهر الناضرة ...
(يخرج من جيبه قطعة من السمك) ... أين صندوق
الثقاب ، لقد تركته على حافة الموقد ... والآن
هوذا على المنضدة ... أظن أن ليس للثقاب سيقان

كوكس - إذن فمن أين جاء هذا الدخان الخائق
السيدة بنسر - إن الرجل الذي يشغل الحجرة
التي فوق حجرتك يدخل الغليون ... فربما نفذ
إليك دخان غليونه

كوكس - أظن أن الدخان يصعد إلى أعلى
ولا يهبط إلى أسفل ... أتحدثين عن ذلك الرجل
الذي يقابلني صاعداً عندما أهبط ، وهابطاً عندما
أصعد ؟ أهو يقيم في أعلى الدرج ؟
السيدة بنسر - (في اضطراب) ... لذاذا ...
أجل أجل بالطبع ...

كوكس - والآن لقد أرف موعدي ... عني
صباحاً ياسيدي (يخرج)

السيدة بنسر - لقد ذهبت أخيراً ... إنها
فكرة نيرة ولا شك تلك التي خيلتني أتناول أجراً
مضاعفاً لفرقة واحدة ... كم أتمنى أن يكون كل
القطان مثل هذين الرجلين ... والآن يجب أن أنسق
الغرفة فقد أوشك السيد بوكس أن يعود (تسمع الست
بوكس في الخارج)

بوكس - (في الخارج) لماذا لا تلزم جانباً
واحداً من الدرج في هبوطك ياسيدي ؟ .. لقد
كدت أن تدوس قدمي .

كوكس - إنه خطأك ياسيدي

بوكس - بل خطأك أنت ياسيدي
كوكس - إنه خطأك ياسيدي لأنك لم تنظر من المهابط
بوكس - بل خطأك ياسيدي لأنك لم تنظر
من الصاعد . (يدخل)

إلا خبريني يا مس بنسر من هذا المخلوق الذي
يقابلني صاعداً عندما أهبط ، وهابطاً عندما أصعد ؟
السيدة بنسر - (في اضطراب) إنه ... إنه
السيد الذي يقيم في الحجرة الصغيرة التي في أعلى الدرج
بوكس - يحيل إلى أنه بائع قبعات ... لأن

حتى يقفز. تلك القفزة ... إن السيدة بنسر تعد
غداً لها على موقدي ... إلى أعجب كل العجب من
وسائلها الهائلة ... (يرفع قطعة اللحم ويقيها في طبق
آخر ثم يضع سمكة في الآنية وينجب إلى أقصى الغرفة ليأتي
بالشاي ويوصل الباب في طريقه بصوت ضاهر
بوكس — (يستيقظ ويرى رأسه من خلف الدول)
أهذه سيدتي بنسر؟ فضلي ... ألا تعلمين كم من
الوقت قضيته ناعماً. فلا بد أن اللحم قد احترق الآن
(يفيض من الفرائش ويصم شطر الموقد) ما هذا السمك ...؟
آه يا لها من فكرة نيرة تلك التي حفرت السيدة بنسر
أن تستغل نومي لتعد طعامها (يأخذ قطعة السمك
ويلقيها من النافذة غاضباً) الآن لقد ذهب طعام السيدة
بنسر ولم يبق إلا أن أعد العدة لطعائي وآتي بالصحاف
(يخرج ليأتي بالصحاف من باب الما بين يصل الحجرية بالمتزل)
كوكس — (يمت خطاه راجعاً من باب في أقصى
الغرفة) أظن أن النار قد هبت ما عليها ... ما هذا؟
اللحم نائماً ... لقد عيل صبري (يقذف اللحم من
النافذة ويضع على النار الماء الشاي ويستدير لبعد المائدة فيقابل
السيد بوكس عائداً من الباب وهو يحمل الصحاف)
كوكس — من أنت ياسيدي؟
بوكس — من أنت ياسيدي؟
كوكس — إني أكرر على سمحك من أنت
ياسيدي؟
بوكس — إني أكرر على سمحك من أنت ياسيدي؟
كوكس — آه إنه عامل المطبعة الذي يقطن
الحجرية التي في أعلى الدرج
بوكس — آه إنه عامل القبعات الذي يقطن
الحجرية التي أعلى الدرج
كوكس — إن لم تصعد إلى حجرتك في الحال
فسأحملك على مفادتها عنوة
بوكس — إن لم تصعد إلى حجرتك في الحال
فسألقيك على الدرج

كوكس — أنى أشرك أن تتادى غرفتي
بوكس — غرفتك ... أنى غرفتي؟
كوكس — إنك تمنحون أيها السيد ... إن
لم تكن تعلم ... هوذا عقد الغرفة
بوكس — بل أنت المجنون أيها السيد ... إن
لم يكن كلانا مجنوناً ... هوذا عقد الغرفة
(يصيح) أيها السيدة بنسر
(تدخل السيدة بنسر مسرعة)
بوكس — أطردي عامل القبعات بعيداً عن
غرفتي ... إنه مجنون
كوكس — إن لم تطردي عامل المطبعة ... فسأجن
السيدة بنسر — ولكن يا سادتي لا يمكنني
أن أطرده أحداً ... سأفصل لك الأمر
بوكس — هيا فصلي ... لمن هذه الغرفة ...
أليست لي؟
السيدة بنسر — كلا
كوكس — أتممت ياسيدي؟ ... إن تلك
الغرفة تخصني ... اليس كذلك ياسيدي
السيدة بنسر — كلا ... إنها تخص كلا منكما ...
الاثنتان معاً — نحن نكرر ... فضلي الأهمي
السيدة بنسر — أنت ترى أيها السيد بوكس
أنك تقضي بسواد الليل في عملك، وأنت ترى ياسيد
كوكس أنك تقضي في عملك سحابة نهارك ...
فرأيت أن أشركك في تلك الغرفة، ولكنني سأعد
غرفة أخرى في الحال لأحداً (تخرج السيدة بنسر
وهي مضطربة مجلى ... ويقوم السيد كوكس فيندرج الغرفة
جثة وذهاباً)
بوكس — إن لم تكن ربيعت قدميك اليوم
ياسيدي فأنصحك أن تريض على شاطئ الهر
كوكس — إني أريض متى وأين يروق لي
(يضع السيد بوكس غليون في جانب فة)

بوكس — خفض عليك جأشك يا سيدي فأني لا أريد أن تشاحن.

كوكس — وكذلك أنا لا أود أن تشاحن ..

أمزوج أنت يا سيدي ؟

بوكس — كلا ... ولكنني عقدت النية على الزواج

كوكس — أتعني لك مستقبلاً سعيداً

بوكس — لك الشكر ... وإن كنت أعتقد

أنه لن يكون سعيداً

كوكس — ولم ذلك ... ألا تنتظر زوجة

دقيقة تدوب شوقاً لرؤيتك ؟

بوكس — لا أظن هذا ... فزوجتي الآنسة

بنلوب آن تدوب شوقاً لرؤية المال لا لرؤيتي أنا

كوكس — بنلوب آن ؟!

بوكس — تماماً

كوكس — أوف مارجات .

بوكس — بالضبط ... أوف مارجات

كوكس — أنتظر لتلك الآنسة كزوجتك

المستقبل ؟

بوكس — أجل .. أني أنظر إليها كزوجتي

المستقبل .

كوكس — وهل هي تنظر إليك كزوجها .

المستقبل ؟

بوكس — إنها تفعل ... فقد وعدتني بالزواج

كوكس — إذن دعني أقول لك إن بنلوب آن

هي زوجتي المستقبل ... يا عامل الطبعة البسيط

بوكس — كلا إنها زوجتي المستقبلية أيها الصانع

الفقر ولن أتركها لك ولو أفاطك إلى الهاية

الامتنان معاً — أيها السيدة بنسر (تدخل السيدة

بنسر علي عجل)

بوكس — علينا بالسلاح .

كوكس — أتنوى أن تدخن في غرفتي يا سيدي ؟

بوكس — إني أَدْخُن متى وأين يروق لي

(يضع السيد كوكس نافذة الغرفة)

بوكس — أفتتح نافذة غرفتي أيها السيد ؟

كوكس — أجل إني أفتح نافذة غرفتي لأستروح

أتسام الخارج

بوكس — أقفل هذه النافذة

كوكس — ضغ هذا التليون

بوكس — هوذا ... (يضع التليون)

كوكس — هي ذى ... (يوصد النافذة)

بوكس — أظن أنه مادنا تقطن غرفة واحدة

يا سيدي فيجب أن يكون التفاهم رائداً ... إني

أرى في نفسي ميلاً إليك يا سيدي

كوكس — وإني لكذلك أيها السيد

بوكس — إذن دعنا نشغل وقتنا بأية وسيلة ..

أنتني يا سيدي ؟

كوكس — كلا ... إن زوجتي لا تسمح

لي بذلك

بوكس — وهل أنت متزوج يا سيدي ؟

كوكس — كلا يا سيدي ... ولكنني عقدت

العزم على الزواج

بوكس — لك مني خير الأمنيات

كوكس — لك الشكر يا سيدي

بوكس — وعلى ذكر هذا أقول ... عند ما

تزوج يا سيدي أظنك ستترك الغرفة الأخرى التي

ستعدها لك السيدة بنسر

كوكس — إني لن أقيم في الغرفة الأخرى ...

هذه غرفتي ولن أرحبها بأية حال

بوكس — ولكن هذه غرفتي

كوكس — كلا إنها غرفتي

آه إن قطعتك تحمل رأسين أيضاً... ألا تنجل
من خباتك

كوكس — أئدعوني خائناً؟ ... إنك أنت الخائن
بوكس — كيف تجرؤ أن تقول ذلك
(يبدن في التناجر)

الاثنان معاً — هل انتهيت من إعداد الحجرة
الأخرى أيها السيدة بنسر

السيدة بنسر — ليس تماماً ياسادق... لم
أتمكن من الاتيان بالسلاح ولكني أتيت بخطاب
(يأخذ السير كوكس الخطاب وتخرج السيدة بنسر)
كوكس — إنه من بنلوب آن

بوكس — إذن أعطه لي... (ينظر السير بوكس
إلى الخطاب من فوق كفف كوكس) إنه معنون باسمي
ب. و. ك. س «بوكس»

كوكس — إنه معنون باسمي وهذه الكاف
واضحة ظاهرة للبيان
بوكس — وأنا أقول لك إن هذه الباء براها
الأعجمي

كوكس — إذن دعنا نقرأه سوياً
(يفتح الخطاب وينظر فيه)

كوكس — أخبار محزنة؟
بوكس — أية أخبار؟

كوكس — أخبار مفزعة
بوكس — دعني أرى...

كوكس — دعني أرى ثانية... لعلى أخطأت
(يقرأ)

«عزيزي السير كوكس»
بوكس — بوكس

كوكس — عزيزي السير كوكس — بوكس
«إن عندي لك خبراً محزناً...»

«فاني أرى أن مشاربنا تختلف وتوطأتنا تباين

السيدة بنسر — أجل ياسيدي (تم بالخروج)
كوكس — انتظري... أتعنين أيها المرأة أنك
تحتفظين بسلاح مشو في منزلك؟

السيدة بنسر — كلا إنه غير مشو
كوكس — إذن فعلينا به (تخرج السيدة بنسر)

بوكس — ولكن بما رأيك ياسيدي في القتال؟
أظن أن أمثالنا من الفضلاء يتقاتلون على تلك
الصورة.

كوكس — كلا... لا أظن هذا! ...
فالأفضل أن نحل النزاع بالتفاهم. إن لدى لفكرة... وهي
أن يقدف كل منا بقطعة من النقود فإذا سقطت
قطعتي ورأس الملك إلى أعلى فأنا الفائر.

بوكس — وإذا سقطت قطعتي ورأس الملك
إلى أعلى فأنا الفائر... وإذا سقطت القطعتان على
الوجه الآخر فلا فائر بيننا.

كوكس — فكرة نيرة (يخرج من جيبه قطعة
من النقود)

بوكس — (يخرج من جيبه قطعة أخرى) أأنت
على أهبة... إذن دعنا نبدأ

كوكس — (يقذف قطعه إلى أعلى فتبسط فينظر
إليها) : رأس الملك.

بوكس — (يقذف قطعه) : رأس الملك
كوكس — يجب أن نقدفها ثانية

الاثنان معاً — (يقذفان ثانية) : رأس الملك
— (يقذفان ثالثة) : رأس الملك

كوكس — إن هذا عجيب... دعني أرى
قطعتك ياسيدي آه... لك الخزي... إنها كما ظننت
ليست قطعة حقيقية إنها تحمل رأس الملك على
الوجهين... إن هذه خيانة... ألا تنجل من ذلك؟
بوكس — دعني أرى قطعتك ياسيدي...

فاضت بها خزائني ... آه من هذه الشكاوى ! إنها أكثر عدداً من ذلك « البق » الزاحف جيوشاً على حائط دار النياحة الربط المهدم ! يخيل إلى أن الشكاوى لا تنزل على رأسى كالوابل إلا أيام الأسواق ؛ كأن الفلاح إنما يخرج إلى سوق الخليس من كل أسبوع يبيع كيلة ذرة ليشتري قليلاً من السكر والشاي ويعلأ زجاجة « السبرج » ويستكتب أحد الكتبة العمومية « بلاغاً » أو « عريضة » ضد مأذون الناحية أو العمدة أو وكيل شيخ الخفر . ولعل هذا أصبح بدأً ثابتاً معتاداً في ميزانية كل خارج إلى السوق من هؤلاء الفلاحين . لست أدرى لذلك من سبب . أهو الظلم حقاً ! أم هو داء الشكاوى استوطن دم الفلاح على مدى أحقاب . من الجور صرحت به حقيقة ! على أي حال ما ذهبي أنا أجمع ما في هذه الأوراق من سخط . يظهر أن حضور جلسات المحاكم وضبط قضايا التلبس في النهار ، وقيد وارد



يَوْمَاتِي أَنَا فِي الْأَرْيَافِ

لِلْأَسْتَاذِ تَوْفِيقِ الْحَكِيمِ

٢٢ أكتوبر ...

استيقظت اليوم متأخراً . فقد مهتت أكثر الليل في التهام الأوراق المتأخرة . إذ بعد أسبوع تبدأ السنة القضائية الجديدة . ومعنى هذا أنه لا ينبغي أن تبقى عندي قضية واحدة لم يتم التصرف فيها من قضايا العام المنصرم . ومعنى هذا أيضاً أنه يجب على أن أحبس نفسي طول هذا الأسبوع حتى أنظر في المتأخر من أكدياس « الشكاوى » التي

حتى لا سيبل إلى الانتفاق

« وأنا أحرر لك هذا الخطاب لأخبرك أنه قر عزمي على الزواج من السيد بوكس وهو رجل فاضل تري من أمائل المدينة ... أمل أن توافقني على ذلك ... وأتمنى لك حياة سعيدة » (بنلوب أن)

بوكس — أظن أنني لا أكون مبالغاً إن قلت أنني كنت أمقت هذه الفتاة من كل قلبي كوكس — وهكذا كنت أنا أيضاً فاني لم أكن مشتاقاً إلى هذا الزواج

السيدة بنسر — (خارج الغرفة) لقد انتهيت من إعداد الغرفة الأخرى أيها السيدان

بوكس — هيا أيها السيد كوكس
كوكس — هيا أيها السيد بوكس

بوكس — ولكن ياسيدي أرى أننا متفقان في كثير من مشاربنا ونواحي حياتنا . أليس كذلك؟ كوكس — أجل ياسيدي ... إلى أرى هذا بوكس — إذن أليس من البقاء أن نفرق على تلك الصورة؟

كوكس — أجل إنى لا أوافق على أن نفرق بوكس — إذن أوافق أن نعيش سوياً؟ كوكس — أجل إن ذلك يلائم حياتي بوكس — إنه يلائم حياتي أيضاً (تدخل السيدة بنسر وقد سمعت جدشهما في الخارج) السيدة بنسر — وأنا يسرني أن أقول إن نصف هذا الأجر يلائمني

اللاتان منّا — ويلائمنا أيضاً « ستار » (ألكندرية) أحمد فخرى مصرى

خلالها نظرات صريحة إلى المجتمعين في أروقة دار النيابة من كلاء المحامين وأرباب القضاء كأنما يستحشرونهم على الوقوف له . ولا حديث عنده إلا ذكر علاقته وصلاته بكبار الموظفين ، يقول ذلك في زهو واتفاخ . ولطالما طلب اليه حساباً عن عمله فيجيبني دائماً :

— أنا والله الحمد رجل لا أمل إلى الأبد ولا إلى الفخضة !

تراني سألته في ذلك ؟ لم يحدث قط . ينخيل إلى أن من الناس من يلقى الكلمة يدفع بها عن نفسه فإذا فيها الاهتمام الصارخ . ولعل كل منهم يحمل في طيات كلامه دليل لإجرامه ، كما يحمل المريض في دمه جرائم دأته !

لا بد إذن من العمل المضني حتى تحتم السنة القضائية على خير . وقد أمرت بإغلاق أبوابي على حتى أتفرد لهذه الملفات أنصرف فيها باليمين وبالشمال ، ومضيت أعمل وأنا أقول : « خذ من التل يختل ! » ولكن الذي وضع هذا التل كان يقصد بالتل التهود والذهب . أما أوراق « الشكاوى » فهي تل دأته الخوف ، لا يختل ولا يزول .

وهل تنقطع للإنسان « شكوى » على هذه الأرض مادام هو إنساناً . ونسبت نفسي في العمل ، فلم أسمع طريقة خفيفة قيل إنها وقفت على الباب . ولكنني رأيت رجلاً أيقناً في وسط الحجره يتسهم لي وخلفه حاجب يحمل حقيقتين . عجباً ! هذا زميلي وكيل نيابة طنطا ! ماذا أتى به ؟ وما هذه الحقايب ؟ ولم يترك لي زميلي وقتاً للتساؤل . فقد أشار إلي حاجبه أن يضع الحقيقتين على الأرض وينصرف . وما إن صرنا وحدنا حتى جثا على قدميه أمامي في حركة تشيلية وقال :

الجنح والمخالفات في المساء ، والانتقال لتحقيق وقائع الجنابات بالليل ، كل هذا لا يكفي وكيل النيابة في الأرياف . فهو بما زال يجد وقتاً ينفس فيه . . . فلتسد عليه إذن مسالك الهواء بأكوام الأوراق التافهة الآتية من المركز باسم « الشكاوى » و « الموارض » و « الأحوال » . ومعنى هذا أيضاً أني أنا الشخص الضعيف الجسم والبنية الدقيق الحس والشعور الذي يتوق إلى نصف الساعة يفرغ فيها إلى مطالعة كتاب جميل ، ينبغي لي أن أقرأ أيضاً ما جرى بين « ست الدار » وجارتها « قطايف » من تبادل « الدج » والسباب وما تلقاه المركز من بلاغات فقد الأختام و « محاضر » البحث الجاري عن جحش هرب من أمام الباب ، وإصابة قدم طفل داس على قطعة زجاج ، وسقوط فرع جيزة على رأس كبش الحاج هباب ! إني والله لأعذر ذلك النائب في الصعيد الذي قيل إنه كان يعبر النيل في قارب للوصول إلى مقر عمله وكان معه حمل من هذه « الشكاوى » حار في أمره ، فأومأ إلى صاحب القارب ، فقال بقاربه على أحد جنبه ميلاً أسقط « الشكاوى » في الماء ، ويزيد في بلائي أكثر من هذا إلحاح عبد المقصود أفندي رئيس القلم الجنائي . فهو المنوط بإرسال « كشوف » القضايا في مواعيدها إلى النائب العام ووزارة الحفانية . هذا الرجل لا أرى له عملاً عندي غير التنقل بين الحجرات حاملاً في يده ورقة يأمر هنا وينهى هناك . حتى عملية « التنفيذ » التي من نصيبه قد أتت ببشها على غيره من مرؤوسيه واكتفي هو « بهمة » الصياح في الكتبة والمحاسب . وهو أول من ينصرف من الموظفين واضعاً على طرف أنفه عويناته الذهبية ، يرسل من

— أعوذ بالله !

وجعل هذا الضيف يخرج الأكداس تلو الأكداس وهو يقول :

— النبي قبل الهدية !

فلم أجد ما أقول لهذا الإنسان الذى يصبر على أن يسمى هذه «المخرة» هدية، ولعنت فى نفسى قولهم إن «النيابة لا تتجزأ». هذا المبدأ الذى نسير عليه؛ وهذا النظام الذى يفرض التضامن بين كل أعضاء النيابة، ويعطى الحق لوكيل نيابة أسوان أن يتصرف فى قضايا وكيل نيابة الأسكندرية دون أن يطل تصرفه اختصاص مكاني أو زمنى. لعنت ذلك ولعنت الضيف ولعنت نفسى إذ أن لى حقيقة من سوء حظي صيتا بين زملائي بأنى من أصحاب الهمم خصوصاً فى الشكاوى الإدارية وسرعة التصرف فيها. وقد نقل عنى الكثير من إخواني أعضاء النيابة طريقتي فى قراءة الشكاوى. فهم يقولون إنى أقرأ الشكاوى من آخرها لا من أولها. وهذا صحيح فأنى لست مجنوناً حتى أقرأ الأوراق من أولها كما يقرأ الناس والمقلاء! لو فعلت ذلك لانتهيت، ولكنى أضرب صفحاً عن الديباجة وما فيها من «أنتم يا ملاذ العدل ويا نصير الحق ويا مبديد دولة الظلم ويا ما حق... الخ الخ» وأنظر فى الحال إلى السطر الأخير ففيه عادة لب الموضوع. وهذا اللب أيضاً تلمأ أجده لباً، وكثيراً ما يجرى فيه قلبى بالكسنى أى «بالحفظ» فى مبرعة وجراءة وهمة أطمعت فى الزملاء الموروطنين النارقين فى بحار هذا «الواغش»، ولكنى اليوم آخراً من بين الناس. إنى أنا نفسى فى حاجة إلى المعونة. وإن هبوط هذا «الضيف» على كاهيها الصبية لأمر شاق على النفس. ولم

— أنا وقعت من السماء وأنت تلقفتني !

فنظرت إلى يدي المزبطين ثم إلى جسمه الممتلئ
— أنا تلقفتك؟ وزلت «صاغ» سليم !

— اسمع ! الموضوع جد. أنت رجل معروف
بيننا جميعاً أنك صاحب همة ومهوءة...

هنا لعب فى «عبي الفار» ! وأدركت أن هذا الرميل قد ترك مقر عمله طنطا فى هذا الوقت المصيب وقت مولد السيد البدوى وما يتبعه من ازدحام المدينة بأفواج الوافدين وكثرة الحوادث والوقائع التى تصحب عادة كل مولد وكل ازدحام. ترك ذلك وأتى إلى يطلب ولا شك إلى همتي ومهوءتي معونة كبرى ترى ما نوع هذه المعونة؟ وخاضعتى قلتي، وأردت أن أعرف سريعاً ما يريد منى حتى اطمئن فقلت :
— أنا فى خدمتك !

فما كاد يسمع هذه الكلمة المشجمة حتى قام إلى رأسي يقبله ويقول فى صوت كسموت «الشحاذين»
— زينا يخليك ويبيك ويعد فى عمرك و...
ثم تركنى وأسرع إلى حقائبه وقال لى :
— تسمح ؟

فقلت له وقد حمدت له فى نفسى ذوقه ومراحاته
اللباقة فى الزيادة :

— والله ما كان فيه لزوم تكلف نفسك هدية
وفتح إحدى الحقيقتين وأنا أتوقع أن أرى فيها على الأقل حمصاً من حصص السيد البدوى وفى الأخرى حلاوة الولد... ولكنه أخرج أحمالاً من أوراق «الشكاوى» ووضعها على مكتبى وهو يقول فى تواضع :

— هديتنا على قدنا :

فنظرت إلى الأوراق فى روج وتتمت :

الواقع أنها بلاد قريية من الفطرة والوحشية .
 هذا الوجه القبلى من مصر شئى مخيف لساكن الوجه
 البحرى . إن المرأة هناك شبح لا يرى ولا يبنى لأن
 يرى . وهي مخلوق جاف لا فرق بينها هناك وبين
 الرجل . كلاهما شئ لا أثر للرفقة فيه . وكلاهما فى
 الجسم والطبع والروح كنتك الأرض السوداء التى
 يعيشان عليها وقد جف عنها النيل فى زمن التحريق !
 آدميون قد جف عن تركيهم ذلك الماء الذى فيه
 سر امتياز الآدميين

ونفخ صاحي الدخان من أنفه وفيه ثم استنطرد :
 — لعنة الله على دى بلد ! أنا أراهم أن تسعة
 أعشار أهالي ديروط لو تكشف ربهم تلقى معمول
 لهم جميعاً عمليات « طربنة » من ضربهم فى بعض
 بالنبايت !

فصادقت برأسى على قوله ثم زدت :

— وأبئوب ؟

— ألن !

قلما فى إشارة من يده أمحكنتى وذكرتنى بشئ
 قرأته عن هذه البلدة : إحصائية صدرت فى أوروبا
 أو أمريكا (لست أذكر على التحقيق) غرضها بيان
 الاجرام فى العالم : ورد فيها أن « شيكاغو »
 أكثر بلاد الأرض فى عدد جرائمها ، وتليها مباشرة
 « أبئوب » ، وبعدها بقية مدن العالم الشهيرة ..
 وقد حسبت وقتئذ أن « أبئوب » هذه مدينة فى
 أمريكا . لولا ملحوظة فى هامش الإحصائية
 ذكرت أنها من بلاد الوجه القبلى بالقطر المصرى .
 دهشت عند ذلك أن يكون لهذه البلدة الحقرية
 الصغيرة هذا القام العظيم . إن الدنيا الشهيرة

أعمالك ، وتجهمت للشكاوى الخارجة من الحقائق
 وقلت فى سخرية الغيظ :

— ياسلام ! ياسلام على حصص المولد ! حاجة
 تشرح القلب صحيح !

فقال الضيف وهو ينفض يديه من آخر ملف :

— كان غرضي أجيب لك شوية حلوة ...

فقاطلته صائحاً مرتاعاً :

— من الصنف ده ؟ !

فاستمر فى قوله باسم :

— لكن والله غاب عن فكرى فى آخر لحظة ...

— الحمد لله ! جاءت سليمة ! ..

فضحك الزميل المحترم . وجاءت القهوة فشرب
 هنيئاً . ثم قام فدار دورة فى الحجرة وأقرب من
 النافذة كعادته التى أعرفها عنه وأطلق بصره فيها
 حولنا من منازل قليلة وغمر بعينه :

— فى البيت ده بنت حلوة !

فبادرت إليه وجدته من ذراعه بعيداً وأنا
 أقول له :

— كنت فأكرك عقلت وبطلت المجلس !

فقال باسم وهو يعود إلى الحجرة ويجلس على
 مقعد :

— أبطل ازاي ؟ « البصصة » فى دي !

وجلس يذكرنى بأيام « ديروط » حيث كنا
 نعمل معاً فى نيابتها . وطلب منى سيجارة طفق
 بدخها ويقول :

— فأكرك فى ديروط لما كنا نقف فى الشبايبك

نبحت بعيننا فوق الأسطح عن قميص حريرى مشغول
 « بالتفتة » لأجل بس نطمئن على وجود صنف
 النسوان فى البلد !

— حركة التنقلات في نوفمبر .
 — أظن على الدور أثقل لمصر .
 — النقل لمصر مش بالدور يا حبيبي . عندك واسطة ؟ ؟
 — لأ .
 — حاتيش وتوت في الأرياف .

— وإخواننا اللي قاعدين متممين في مصر
 بقى لهم سنين ؟

— تشملهم كذلك حركة التنقلات . لكن على الوجه المفهوم وعلى الطريقة المعتادة : وكيل نيابة الموسيقى ينقل إلى نيابة الأزبكية . ووكيل شبرا إلى نيابة الخليفة . ووكيل السيدة زينب إلى كلية مصر ؛ يعني تنقلات مع مراعاة عدم خروجهم من لجنة العاصمة . ومع ذلك تجد حضراتهم غير راضيين . لأن بعضهم يقول لك : « شبرا ! يا سلام شبرا بريدة جدا نجدا عن بيتي في الزمالك ! » والآخر يقول لك : « إزاي أروح نيابة السيدة ؟ ؟ حي ديموقراطي قوى ! ! » أما حضرتك وحضرتي ، فأنت إن شاء الله من هنا إلى « الفشن » من غير كلام . وأنا من طنطا إلى « طما » أو « منفلوط » من غير كلام . وإن فتح واحد منا فه بالشكوى أو الاحتجاج هبوا فينا : إيه ذلغ أعضاء النيابة ده ! تفصلوا روحوا نياباتكم بلاد دلع !

فأطرقت طويلا في حزن ونغم ؛ ولم أجد في يدي غير التمسك بالصبر . حتى لا أضيف على بلائي بلاء . وقلت متنهدا :

— أمرنا الله ! لنا رب ! لكن ده شيء يصد النفس عن الشغل . . .

وإن كان هذا المقام في عالم الاجرام ! « شيكاجو » و « أنبوب » ! قطبا الفرزة السفلى على هذه الأرض . الأولى إجرام الحضارة ، والثانية إجرام البداوة ! كل له طابعه ومميزاته . إجرام الحضارة ، قد ارتدى هو أيضا ثوب الحضارة بأسلحتها وأغراضها وأسبابها !

هنا لك الجريمة المتحضرة تخرج في سيارتها المصفحة حاملة « السدسات » و « الترابيزات » و « المفرقات » تهجم على أضخم « البنوك » وبيوت المال ثم تعود إلى مكناها بثروات طائلة من الجنهات ! وهنا الجريمة الفطرية تخرج متدثرة في عباءتها حاملة هراوتها أو فأسها أو بندقيتها لتسفك دم رجل ضيف انتقاما لعرض أهين في نظر التقاليد والمعادات . هنا لك الثروة والمال ، وهنا التقاليد والمعادات . هذا هو الفرق بين الحضارة والفطرة ، بين ما يشغل بال الرجل المتحضر وما يشغل بال الرجل المتأخر ! نعم إن الشر هودأما الشر . ولكن الشر الناتج عن سبب كبير لأشدر بالتقدير من شر نشأ عن سبب تافه حقير ! إن الحضارة العظيمة لا تزال الشر ولا تمحو الجريمة ، ولكنها توجد الشر العظيم والجريمة العظيمة !

والتفت إلى زميلي المطرق وقلت له :

— أنا روجي طلعت خلاص ! زهقت من حاجة اسمها أرياف ! زهقت من أصناف « اللبد » ! — إزهق على كيفك !

— أنا اشتقت لمصر ! نسيت شكل عاصمة بلادي ! أحب ياناس أغير نوع الجريمة ، وأشتغل مع مجرمين لا بسين سترة وبنتلون !

أره . لأن أحدا لم يعطينه ! إنهم يطلبون إلى أن أنظر في شكوى الناس ولا يتنازلون هم إلى النظر في شكوى وشكوى الثالث من زملائي ! وأجريت القلم في الأوراق أوسمتها « حفظاً » ! ودخل على عبدالمقصود افندي يحمل ملفات ضخمة فقلت مرتاعاً :

— إيه كل ده ؟

— الجنب الباقية على التصرف . .

ثم التفت خلفه ونادى الحاجب :

— هات الجنبايات يا جدم !

ونظر إلى قائلاً :

— حانمل إيه في الجنبايات الباقية . . .

ووضع أمامي ملفات قرأت على غلاف أحدها قضية « قر البولة علوان » . فتذكرت أن الفاعل في هذه القضية لم يعرف . لم يعرف ، طبعاً لم يعرف ولن يعرف . وكيف يراد منا أن نعرف متهما في قضية غامضة كهذه القضية وكل من للأمور والبوليس « ملبوخ » من رأسه إلى قدمه في تزييف الانتخابات ، وأنا « ملبوخ » في قراءة شكوى وجنب وغانقات وحضور جلسات . لو أن لدينا « بوليس برى » على النظام الحديث ، و « قاضي محقيق » يقطع لقضايا الجنبايات كما هو الحال في أوروبا . والعالم المتحضر ! إنهم هنالك ينظرون إلى أرواح الناس بين الحيد . أما هنا فلا أحد يأخذ ذلك على سبيل الجد . وإن الأموال لتتفق هنا بسخاء في التافه من الأمور ، أما إذا طلبت لأقامة العدل أو تحسين حال الشعب فإنها تصبح عزيمة شحيحة تقبض عليها الأكلع البرمجة كأنها ستلقى في البحر هباء . ذلك أن « العدل » و « الشعب » . . . الخ كلمات لم يزل معناها غلصناً عن القول في هذا البلد . كلمات كل مهمتها أن تكتب على الورق وتلقى في الخطب كغيرها من الألفاظ والصفات المبنوية التي لا يحس لها وجود

لفظت ذلك وقد وقعت عيني على أكوام الأوراق التي لا بد من إنجاز التصرف فيها فأحسست أن رغبتى في العمل قد فترت . فقال صدقي :

— الشغل . . . هو آخر شيء يهم أسيادنا الرؤساء الكبار ! الحسوية أولاً ، ومصلحة العمل أخيراً ، وكون نفس حضرتك تنسد أو تنفتح للشغل مسألة غير مفهومة بالمرة ولا مهمة بالمرة عند أسيادنا الكبار !

ونظر الزميل في ساعته ثم نهض سريعاً مستأذناً فأمسكت به في لطفة . ففي وجودنا ممأ وتقلب ذكرياتنا ببعض الراحة والعزاء :

— أقمد ! أنت رايح تتقدي عندي الهارده !

— مستحيل ! نيايتي قاضية ووقت مولد .

أرجوك تساعني . . .

بوشكر لي ومد إلي يده وودعني بسرعة وهو

يقول مشيراً إلى ملفات الشكوى التي جاء بها :

— على الله نفسك تنفتح على الشك ورقه

الهدية . . . ويقي لك عندي المرة الجاية الحلاوة . .

حلاوة بصحيح : حمصية ومحمصية وبالجزوز واللوز

والفستق . . .

— طيب رح بقى ، رقى جرى مقدماً . . .

بوشيمته باسماً إلى باب حجرى حتى اختفى .

تفرجت إلى ما كنت فيه ولكن في شيء من التناقل

بوالضيق والكتابة . وألقيت نظرة أخرى على

« الشكوى » . ورأيت أن أمضى في عملي وأن

لا أضيع الوقت في تيزيم لافائدة منه ، لا يشعر به

أحد ولا يراه أحد غير تلك الخططان الأربعة التي

تحبس روحي وأفهامي . وأمسكت بالقلم . وتناولت

من الكوم ملفاً وفتحته . وقرأت « يابلاذ العدل . . »

فما تمالك أن ضحكك بصوت مرتفع ضحكة مرة .

أنا ملاذ العدل ؟ أين هو العدل ؟ إلى لا أعرفه ولم

حقيق . فلماذا ينتظر مني أنا أن أخذ على سبيل الجدروخ « سى قرر الدولة علوان » ! إن هذا المجنى عليه قد مات وانتهى مثل غيره من مئات المجنى عليهم في هذا المركز والمراكز الأخرى في القطر ، ذهب دمهم جميعاً أرخص من اللداد الذى حيرت به معاصر قضايهم ، وانتهى ذكرهم عندنا « رسمياً » بذلك الاجراء الأخير البسيط : « تحفظ القضية لعدم معرفة الفاعل ويكتب للمركز باستمرار البحث والتحري » . فيجيب المركز بعبارة مألوقة محفوظة يحبرها كاتب الضبط في حركة آلية وهو يقضم « شرش جزر » : « جارين البحث والتحري .. » وهي كلمة الوداع التى تقبر بها القضية نهائياً . لقد كانت في قضية قرر الدولة « قرر » مضى ميز في أعيننا هذه القضية عن غيرها وحجب إلينا العمل والجهد في سبيلها . ولقد احتفى هذا القمر إلى الأبد . وترك القضية ومحققها في الظلام ! بل إنه بذهابه قد زال عنها ذلك الاعتبار الخاص فأصبحت قضية عادية كثات القضايا التى لا يعنيننا من أمر أشخاصها شئ . وللقضية أى لتلك « الملف » المادى من الورق المكتوب « شخصية » قائمة بذاتها في نظر رجال المدل . وإن ما يعنى جهاتنا الرئيسية هو ذلك « الملف » ومرعة التصرف فيه . وإنه لن يميننا شئ إذا حفظنا القضية ، ولكن العيب كل العيب أن تظل هذه القضية باقية قيد التصرف ويثبت ذلك في « الكشف » الرسالة إلى النائب العام والوزارة في آخر السنة القضائية . أى عار عند ذلك وأي إحمال ينسبان إلى وكيل النيابة ؟! وأي مكاتبات مستعجلة وغير مستعجلة تسقط على رأسه من جميع الجهات عن سبب بقاء هذه القضية قيد التصرف ؟ فإذا أجلب بأنه لم يستوف بعد أبحاثه

فيها للوصول إلى معرفة الفاعل وأنه مواصل بمشة ومصر عليه لا يعتبر ذلك عذراً ، وسفهو زملاؤه وحسبوه « غشياً » ونصحوه بأن « يحفظ » القضية « مؤقتاً » حتى تتغير « بتصرفاً فيها » ؛ فالجهات العليا يهملها ويطمئنها « التصرف » في القضايا أى « نفض » اليد والفراغ منها كما يفرغ النجار من كرأسى صنعها ، حتى تستطيع تلك الجهات أن تدون في الاحصائيات : « وقع في القطر هذا العام عدد كذا جنائيات ... تم التصرف في عدد كذا منها ... الخ » . وكلما كان عدد القضايا التى تم فيها التصرف كبيراً كان ذلك دليلاً ناصحاً على نشاط رجال المدل وغيرهم على استتباب الأمن وحسن سير الدولاب الحكومى ! وأشار عبد القصود أفندى بأصبعه إلى الملفات وقال :

— قبل كل شئ* بإسمادة البك تصرف لنا في الحكم جناية الباقيين لأجل أن أسدد كشف الجنائيات وأصدره للباشا النائب والوزارة ! ..

— بس كده ؟ حاضر !

وغمست القلم في اللداد وتناولت القضية الأولى وهي قضية « قرر الدولة » :

— طالب تصرف ، خد تصرف !

ثم كتبت في ذيل المحضر الاشارة المبهودة :

« تحفظ القضية لعدم معرفة الفاعل ... الخ الخ »

وسحبت « الجنائيات » الأخرى وفعلت بها مثل ذلك وناولتها رئيس القلم الجنائى وأنا أقول له في نبرة خرجت ساخرة مريرة على الرغم منى .

— مبسوط ! أرحنا خلاص سددنا كشف

الجنائيات !

(انتهى)

توفيق الحكيم

لقد كان هذا
السفر سعيداً وموفقاً ،
غير أنني حين نزلت إلى
الشاطئ وجدت
الطريق مغطى بغياء
الأمطار الغزيرة ، ومن
المحتمل أن الشمس
ستغرب قبل أن ألح
برج ذلك القصر المتيقن
حيث سيليزيت الأخيرة

أجلاقيين وسيليزيت

رواية تمثيلية في خمسة فصول

للأستاذ الجليلي مورييس مارتلك

بفلم الدكتور محمد غريب

أرادت أن تستقبل (أيم) شقيقها

سيليزيت مصفقة :

أوه ، الشمس أذنت بالغيب ، أنظر إذا ، لا بد
أن تكون قد اقتربت ، ساري . ولكن « ميلاندر »
يمنعها من الخروج بإشارة ويستأنف القراءة .

« أنا لم أرك إلا مرة واحدة » يا ميلاندر

وكانت في وسط الحيرة والارتباك ، لأنها كانت في

يوم عرسى ، ذلك العرس البائس الذي مع الأسف

لم تلح فيه ذلك الضيف ^(١) الذي لا يدعو أحد ،

ولكنه كان يجلس دائماً في مكان السعادة التي

تنتظرنا . لم أرك إلا مرة واحدة منذ ثلاثة أعوام ،

ومع ذلك فاني أحجى نحوك بلا قلق كأننا كنا

ننام منذ الطفولة في مهد واحد . إنني متأكدة

أني أجد فيك أجا شقيقاً . نحن لم نتحدث معاً تقريباً

ولكن الكلمات القليلة التي قلتها لي كان لها في سمعي

نبرات تقارب جميع النبرات التي سمعتها حتى الآن .

سيليزيت — لا اقرأ سريعاً إلى هذا الحد

ميلاندر مستمراً في القراءة : « كم أنا أشتهي

(١) المراد بالضيف الموت .

أشخاص الرواية

تظهر في هذه الرواية خمس شخصيات ، ثلاث
منها تلعب دوراً جوهرياً ، واثنان قليلتا الأهمية ،
فأما الثلاث الأول فهي شخصية « سيليزيت »
وشخصية « ميلاندر » وزوجها « أجلاقيين » أم
شقيق « سيليزيت » ؟ وأما الشخصيتان الثانويتان في
هذه الرواية فهما شخصيتا « ميلجران » جدة
« سيليزيت » و « إيسالين » الفتاة الصغيرة .

الفصل الأول

النظر الوحيد : يجري هذا النظر في إحدى
قاعات قصر « ميلاندر » حيث تشاهد الجدة المجوز
مستغرقة في النوم على كرسي طويل ذي مسند عال
في نهاية القاعة .

ميلاندر — سيليزيت :

ميلاندر ممسكا بيده الرسالة التي وردت إليه .

من أجلاقيين يقرأ :

« لا تخرج لقابليتي ، بل انتظري في نفس

القاعة التي تنتظر فيها عادة سماع دقائق الراحة

حتى لا أحس أنني أجنبية : إنني أكتب إليك هذه

الرسالة على أثر نزولي من الباخرة التي كانت تحملني إليك .

سعيدة ويسكن حين تكون حزينة ، على حين أنها هي شخصيا قد تجهل ما إذا كان ينبغي لها أن تكون سعيدة أو حزينة . وأنا لم أر قط شعرا تنبت منه الحياة كهذا الشعر . إنه يخدعها في جميع الأحيان إذا صح أن نسمي إظهار الفضيلة المراد إخفاؤها خداعا ، لأنها ليس لديها ما تحاول أن تخفيه إلا الفضيلة

سيليزيت — أنا أعرف أنني لست جميلة

ميلياندر — لا تقولى هذا الكلام أثناء وجودها هنا ، لأنه ليس من الممكن أن يقال أمامها كلام غير مجد كهذا الكلام ، إذ أنها تطفى بقوتها كل ما يخالف الحقيقة حولها .

سيليزيت — إنها تطفى بقوتها كل ما يخالف الحقيقة حولها ... !

ميلياندر — سيليزيت ؟

سيليزيت — ميلياندر ؟

ميلياندر — إنه قد مضت علينا أربعة أعوام ونحن نعيش مما .

سيليزيت — إن العام الرابع سيكمل في نهاية هذا الصيف .

ميلياندر — ها هي ذى أربعة أعوام قد مضت وأنا أجذك ببجائي دائما جميلة ودائما حبة ووديمة ، والبسمة الحلوة التي تنم عن السعادة العميقة لاتفارق ثفرك . أنت لم تبك كثيرا في هذه الأعوام الأربعة .

أليس كذلك ؟ اللهم إلا حين يفر من بين يديك أحد طيورك المحبوبة ، أو حين تشاكسك

جدتك ، أو حين تدوى إحدى زهورك المنتقاة فتسكين بضع عزبات قليلة ، ولكن عند ما يعود الطائر وتهدأ الجدة وتضي الزهرة تمودن إلى القاعة ضاحكة مستبشرة دافئة الأبواب والنوافذ ، عاقزة فوق ركبي مقبلة خدتي كأنك طفلة تمودن من المدرسة .

وأحسب أنه بناء على هذا يمكن أن نقول : إننا كنا

أن أقبل سيليزيت ! لا بد أن تكون غاية في الخيرية وغاية في الجمال ما دمت تحبها وهي تحبك . سأحبها حبا أكثر من حبك إياها ، لأن التماسه علمتى كيف أحب . والآن أنا سعيدة بأن تألت كثيرا ، وأستطيع أن أقاسمك الخير الذى يناله الأشقياء أثناء آلامهم . ينجل إلى أن الفداء الذى دفعته أنا يكفى لأن يفدنا نحن الثلاثة ، وأن القدر لن يطالبنا بعد بشيء ، وأنتا نستطيع منذ الآن أن تتحقق من وجود حياة قيمة ، وأنتا لن تشغل بعد ذلك إلا بالسعادة ، فأنت وأنا وسيليزيت كما نبأتني عنها نظفر بالسعادة ، لأن السعادة لا تتبع إلا من نواحي الخير التى فى داخل أنفسنا . سوف لا يكون عندنا ما نشغلنا إلا أن نصبح غاية في السمو حتى يجب كل منا الآخر أكثر مما يحببه الآن ، وحتى نصير أجيالا بقدر ما نتحاب فيما بيننا . إننا سنشغل نفوسنا ونحوط أشخاصنا بالحب حتى لا ندع فيها مجالاً للشقاء ولا للحزن ، وإذا أراد الشقاء والحزن أن يتدخلنا بيننا على رغم كل هذا فيجب أن يصيرا عذيين قبل أن يطرقا بابنا »

سيليزيت — هل هي جميلة ؟

ميلياندر — من هي ؟

سيليزيت — أجلاتين

ميلياندر — نعم هي جميلة جداً .

سيليزيت — من تشبه ؟

ميلياندر — إنها لا تشبه أية واحدة من النساء .

إنه جمال من نوع آخر ، وهذا هو كل ما أقول .

إنه جمال أكثر غرابة وأكثر سمو . إنه جمال

ذو نواحي متعددة . إنه جمال يدع الروح دائما تنمكس

على الوجه دون أن يحول بينها وبين ذلك الانمكس

مرة واحدة ، وسترين لها شعرا يصبح أن يكون

الفرد العظم في بابه ، شعرا يضحك حين تكون

سيليزيت — أنا أعرف أنني لا أفهم ذلك
 ميلياندر — أنت تفهمين ياسيليزيت — وإن
 كنت لا تريد أن تعترف بذلك — ولولا أنني واثق
 من هذا لما حدثت لك عن كل ذلك ؛ إن لك روحا
 أعظم مما تظهرين لي ، وهذه الروح العميقة هي التي
 تتلهين باخفائها عني حين أبدا في البحث عنها
 لا تبكي ياسيليزيت فليس ذلك بأنني لك من جانبي
 سيليزيت — أنا لا أبكي ، ولماذا أبكي ؟
 ميلياندر — ومع ذلك فأنا أرى شفتيك ترتعشان
 سيليزيت — إنني كنت أفكر في شيء آخر
 لا علاقة له بالبتة بما تقول ، هل كانت شقية حقاً ؟
 ميلياندر — نعم إنها كانت شقية بسبب شقيقك
 سيليزيت — لعلها تستحق
 ميلياندر — أنا لا أدري إذا كان في العالم سيدة
 تستحق أن تكون شقية
 سيليزيت — ماذا عمل لها أخي ؟
 ميلياندر — إنها توسلت إلى ألا أبتك بشيء
 مما فعله أخوك معها
 سيليزيت — هل كنّا تراسلان ؟
 ميلياندر — لقد أريتك رسائلها أكثر من
 مرة ولكنك لم تكوني تهتمين بقراءتها
 سيليزيت — لا أتذكر ذلك
 ميلياندر — ولكني أنا أذكره جيداً
 سيليزيت — أين رأيها آخر مرة ؟
 ميلياندر — أنا لم أراها إلا مرة واحدة ؛ ولقد
 قلت لك ذلك آنفاً ؛ ولقد كان ذلك في حديقة قصر
 شقيقك تحت الأشجار الوارفة الظلال
 سيليزيت — في المساء ؟
 ميلياندر — نعم في المساء
 سيليزيت — ماذا كانت تقول ؟
 ميلياندر — لقد قلنا يومئذ شيئاً قليلاً ولكننا
 استطعنا أن نرى أن غايتنا واحدة

سمعاء ، ومع ذلك فأنني أراني مضطراً أحياناً إلى
 أن أسأل نفسي : هل يعيش كل منا قريباً من الآخر ؟
 ولست أدري هل أنا الذي يوزع الصبر لكي أتبعك
 أو أنت التي تهربين مني بسرعة فائقة ، ولكن الذي
 لا شك فيه هو أنني حيناً أريد أن أحادثك كما حدث
 منذ لحظة ، فانك في أغلب الأحيان تكونين كما أنك
 تجاوبيني من الطرف الآخر للعالم حيث تفري مني
 وتبحثين عن مأوى آخر ، ولا أعرف لشيء من هذا
 كله سبباً . فهل حقاً أن أرواحنا تزوج إلى هذا
 الحد من المواقف الجديدة أو من ذكر الحقائق التي
 تتعلق بالحب ؟ ثم ألم يحل هذا التباعد الروحي بيننا
 وبين بعض الأشياء التي كانت تستطيع أن تربط
 بيننا أكثر من قبل الشفاء ؟ أنا لست أدري لماذا
 أحس هذا الاحساس الليلي أكثر من كل وقت
 آخر ؟ هل السبب في هذا الاحساس هو ذكريات
 « أجلافين » الأكثر حيوية ، أو هو رسالتها التي
 بين أيدينا ، أو هو قدومها الذي أصبح مناقب قوسين
 أو أدنى ؟ ذلك القدوم الذي سيستخلص حتماً بعض
 الشيء من قلوبنا .

يخيل إلى أننا قد تماينا بقدر ما يستطيع النوع
 الانساني أن يتحاب ، ولكن حيناً يحضر
 « أجلافين » سزداد حيناً ، وسيكون من نوع آخر
 أكثر عمقا ؛ ولهذا السبب على الأخص ، أنا سعيد
 بقدومها ، أما وأنا وحدي فلا أستطيع هذا النوع
 الجليل من الحب ، لأنني لا أملك القوة التي عندها
 وإن كنت أرى الأشياء كما تراها . إنها إحدى هذه
 الكائنات التي تعرف كيف تجمع القلوب إلى منابها ،
 وحيناً تكون هنا سوف يشمر كل واحد منا بأنه
 لافرق بين ما هو عليه وبين الحقيقة .

سيليزيت — أحبها ، فإذا أحببها فسنصرف
 ميلياندر — سيليزيت ... !

بها، ولو أنك لم تكوني هنا لما استطعت أن أرى نفسي. أنا لا أجد شخصيتي ولا أبتسم لنفسي، بل أنا لا أحبا إلا في ذاتك أنت. يخيل إلى غالباً حين أعاقك أنني أعاقني باكياً جزء نفسي الذي ليس من هذا العالم الأرضي.

أجلافين — وأنا أيضاً أقول بدوري ياميلاندر حين أعاقك أنني أعاقني نفسي بعد أن أصير أكثر جالاً؛ أنا لست حقيقة من الحقائق إلا حين تكون بجانبي، ولا أسمع صوت نفسي إلا ممتزجاً بصوتك. إنني أبحث عن نفسي خارج ذاتي فلا أجدها إلا ممثلة فيك. أنا لم أعد أعرف إذا كنت أنت ضوئي أو أنا نورك. إن امتزاج ذاتينا قد وصل إلى حد لا يستطاع معه تمييز أين يبدأ أحدهما وأين ينتهي الآخر. إنني أشعر أنني أزرع في نفسك كما ترعرع في نفسي، وأن كلا منا يتوالد في نفس الآخر بدون انقطاع.

ميلاندر — إنه لا يوجد شيء يبعد بيننا قليلاً إلا تلك البهشة التي نتخالج نفسيها. أجلافين — هذا حق! إنني أدهش نهاراً وليلاً من أن كائناتنا مثلك يوجد في الحياة الواقعية.

ميلاندر — وأنا أيضاً أعترف بأن جميع حواسي لم تمتد كافية لأن أفهمك. إنني أحسبني أحلم حين أراك، وأحسبني أحلم حين أسمعك، وأظن أنني في حلم حين لا أراك. وأعتقد أنني غمدوع حين لا أسمعك. فأتجمعه نحوك ظناً أنني لا أزال غمدوعاً فأراك وأسمعك وأعاقك، وفي هذه اللحظة نفسها أريد أن أفر، لأبحث عن شيء أكثر نأكداً من هذا.

أجلافين — وأنا أيضاً حينما أكون بجانبك أود أن أبعدك عني لكي أراك أكثر امتزاجاً بي حين أكون منفردة، ولكنني حين أكون وحدي

سيليزيت — وهل تماقنا

ميلاندر — متى ذلك؟

سيليزيت — في نفس ذلك المساء

ميلاندر — نعم تماقنا في ساعة الفراق

سيليزيت — آه..

ميلاندر — أنا لا أظن أنها ستمكث بيننا زمناً

طويلاً يا سيليزيت

سيليزيت — بلى، أنا أريد أن تمكث

بيننا الزوجان على هذه الحال إذ سمعنا ضجيجاً

خارج المنزل فصاحت الزوجة قائلة: إنها جاءت ثم

قفزت إلى النافذة وقالت إنه يوجد في المر الأسفل

مصباح، ثم تلت ذلك لحظة من السكون فتتح الباب

على أثرها وظهرت على عتبة «أجلافين» التي لم

تلبث أن دخلت واتجهت نحو سيليزيت بعد أن نظرت

إليها نظرة قصيرة فاحصة

ميلاندر — تماقنا

أجلافين — نعم. وعاقبت سيليزيت ثم اتجهت

نحو ميلاندر وعاقبته قائلة: وأنت أيضاً

الفصل الثاني

النظر الأول

يجري هذا المنظر في حديقة القصر حيث يجلس

ميلاندر وأجلافين على مقعد في هذه الحديقة

ميلاندر — لم يمض بعد أسبوع على مقامنا

تحت سقف هذا القصر، ولكنني لا أستطيع أن

أخيل أننا لم نولد في مهد واحد، يخيل إلى أننا لم

نفرق قط وأنتي عرفتك قبل أن أعرف نفسي،

إنك تظهرين لي سابقة على كينونتي نفسها. إنني

أحس بروحك أكثر مما أحس بروحي. إنك

أكثر قرباً إليّ من كل ذاتي. ولو أنه قيل لي: نج

حياتك لبادرت إلى تنجية حياتك أنت لكي أحي

ميلياندر — ولكن هل كنت تستطيعين أن تحييني كما أحبك قبل أن تربي؟
أجلافين — وأنت هل رأيتي كما رأيتك قبل أن ألتقي بك؟

ميلياندر — أنا لا أصدق أن ما يحدث لنا الآن قد حدث لأحد غيرنا وأن توجد حياة أخرى تشبه حياتنا
أجلافين — آه إنني أعتقد أحياناً أن ذلك مستحيل
ميلياندر — وأنا أيضاً ، ولهذا أرتاع .

أجلافين — من ماذا أنت مرعاع ؟ لقد وجد كل منا صاحبه ، فإذا يمكن أن نمشي بعد ذلك ؟
ميلياندر — بالعكس إنما يجب على المرء أن يرتاع أكثر حيناً يكون سعيداً . إنه لا يوجد شيء يهدد الإنسان أكثر من السعادة ، وإن كل قبلة تتبادل بين الحبيين يمكن أن توقظ عدواً جديداً ، وفوق ذلك فإن هناك شيئاً آخر .

أجلافين — ماهو ؟
ميلياندر — هي سيليزيت .
أجلافين — ثم ماذا ؟

ميلياندر — هل فكرت في سيليزيت ؟

أجلافين — نعم

ميلياندر — أو ليس يروعك هذا ؟

أجلافين — لا . هذا لم يرد روعى

ميلياندر — إنها يمكن أن تتألم

أجلافين — ألا أستطيع أن أحبك كشقيق يا ميلياندر ؟

ميلياندر — ومع ذلك فإذا بكث فإذا يكون ؟

أجلافين — إنها لن تبكي طويلاً إذا صعدت إلى صفنا . لماذا لا تصعد معنا إلي الحب الذي يتجاهل صفائر الحب ؟ إنها غير مما تنقذ يا ميلياندر ، إنما

ستمد إليها يدينا ، وإنها ستعرف كيف تلتحق بنا ، ومتى تحقق لها ذلك ، فإنها لن تبكي . إنها ستباركنا

أشعر بشيء يجذبني إلى البحث عنك ، لأنني أعتقد أن روحك تنتظرني بحالة أكثر عمقا ألف مرة مما أستطيع أن أبحله . أنا لم أعد أعرف ماذا ينبغي عمله في وسط مساعدة كسمادتنا ، إنه ليخيل لي أحياناً أنني شقية من فرط السعادة .

ميلياندر — أين كنت توجدن أثناء الستين التي مرتت قبل أن يعرف كل منا الآخر .

أجلافين — أنا كنت أفكر في أن أوجه إليك هذا السؤال نفسه ، لأن روحنا تتكلمين غالباً قبل أن يتفرج فمنا عن ألسنا .

ميلياندر — ومع ذلك فانك حين تتكلمين فأنما هو صوتي أنا الذي أسمع للمرة الأولى .

أجلافين — وأنا حيناً تتحدث إلي فأنما هو قلبي الذي أسمع إليه ، وحيناً أسمع فأنما أسمع إلى قلبك . أنا لا أستطيع أن أجد قلبي دون أن أتلاق مع قلبك ، ولا أستطيع أن أبحث عن قلبك دون أن أجد قلبي .

ميلياندر — إن روحنا كان يجب من غير شك أن تكونا في جسم واحد ، ولكن لست أدري لماذا وضعهما الإله في جسمين مختلفين .

أجلافين — أين إذا كنت أثناء هذه الأعوام التي كنت أحيائها منفردة ؟

ميلياندر — كنت أنتظر منفرداً أيضاً وإن كان ذلك بلا أمل .

أجلافين — وأنا أيضاً كنت أنتظر منفردة ، ولكنني كنت أؤمل .

ميلياندر — ولكن من الذي قال لك : إن أحداً من هذا النوع ينتظر .

أجلافين — لم يقل لي أحد شيئاً ، ولم أك أعرف شيئاً إلا أن يكون المرء يعرف دون أن يعرف ، ولقد كنت أعرفك دون أن أراك .

ولكن يجب ان نعمل كما لو كنا نعرف ، وإذا كان لابد من الخطأ فالأفضل ان يخطئ الانسان على نفسه .
ميلاندر — أنا أعرف ذلك ، ولكن كيف العمل ؟ .

أجلافين — إن القدر قد قرب بيننا فتمارنا بهيئة قد لا يكون أحد سبقنا إليها ؛ لقد أحب كل منا الآخر جداً لا يستطيع شيء في الدنيا أن يغيره فيمنعك من أن تحبني أو يمنعني من أن أحبك .
ميلاندر — إنني أعتقد ما تعتقدن ولا أرى شيئاً في العالم

أجلافين — ومع ذلك فلو أنني أبكيت كائنا طاهراً، هل ستظل تعرفني ؟ .
ميلاندر — إنه من غير الممكن أن يبكي أحد بسبك إلا إذا كان مخدوماً .
أجلافين — إن السموع التي تنسكب خطايها بؤلة أيضاً .

ميلاندر — إنه لم يبق لنا إلا أن يفادر كل منا صاحبه يا أجلافين ، ولكن هذا مستحيل ، لأنني لا أستطيع أن أخيل أن حبنا ولد ليفنى في السموع ؛ وفوق ذلك فإنه يجب علينا أن نؤدى واجبنا نحو أنفسنا .
أجلافين — أنا أعتقد ذلك أيضاً يا ميلاندر ، وأعتقد أن هناك شيئاً أفضل من الفراق ، لأن هذا الحب الجليل لم يولد لموت .

ميلاندر — أنا لا أعرف لماذا ولدت هذه الأشياء . ولكني أعرف أن السموع تجيء على غير انتظار .

أجلافين — إذا كان هناك أحد يجب أن يتالم فينبغي أن نكون نحن . إن هناك ألف واجب ولكني أعتقد أن الانسان لا يتخضع إلا نادراً حيناً يجتهد في أن يرفع الألم عن الضعفاء ، ليحتمله هو نفسه .
ميلاندر — (ساماً لإياها بين ذراعيه) : إنك لجليلة يا أجلافين .

بدموعها ، لأن بعض السموع خير من القبل .
ميلاندر — هل تصديقين أنني أحبك كأخت ؟
أجلافين — آه !
ميلاندر — وهل تعتدين أنك تستطيعين أن أن تحبيني كأخ ؟
أجلافين — حيناً تسألني عن هذا لا أعرف عنه شيئاً .

ميلاندر — لم أعد أستطيع أن أصدق ذلك ، إننا سنجاهد وسنقاوم وقتاً طويلاً ، وإن أبدع قوانا التي سنكسبها من الحب النفيس أو من الجمال التي أو من الحقيقة العميقة سنهلك في هذه المتاعبات العابثة ، وبقدر ما نقاوم سنجد بيننا رغبة تشبه ستاراً تريد كثافته شيئاً فشيئاً حتى تنتهي في الظلمة . ولا شك أن أسهى نواحي نفسينا سنستخدم أمام هذه الرغبة .
نخيل إلى أنه لا يوجد في أعماق كل هذا إلا أشياء نافهة بين روحين وبين سمادتهما . هل النجوم والأزهار ، أو النساء والصباح . أو الفكر والسموع . لا تتطور تبعاً للقبل التي تتبادلها معاً ؟ بل هل الليل نفسه له في نظر الأخت عين العمق الذي هو في نظر المشيقة ؟ ينبغي ألا نفلق الباب دون الحقيقة العميقة فنور حياتنا سيتضاءل أمام هذه الكذبة الصغيرة . أنت لست أختي يا أجلافين ، وأنا لن أستطيع أن أحبك كأخت .

أجلافين — إنه لحق أنك لست أختي ، وهذه نقطة آلامنا من غير شك .

ميلاندر — أنت أيضاً إذا تحبين الألم المأبث .
أجلافين — أنا لا أحب إلا الألم الذي أحتمله عن الآخرين .

ميلاندر — وأي ألم ذلك الذي نحمله هنا عن الآخرين دون أن نفقد أنفسنا لدينا ؟
أجلافين — نحن لا نعرف ذلك حتى الآن ،

يسألني الصفح عنه ، وحينما يتماثلان يجب أن أختفي
 كالو أننى كنت قد صرقت شيئاً . إنها قد خرجا
 أيضاً هذا المساء ، لقد غاب عني أثرهما في الحديقة .
 إن سيليزيت الصغيرة لا علم لها ألبتة بسرهما ، وإنهم
 لم يعد يتحدث إليها أحد منهما إلا باسمًا . ولا يتقدم
 إليها إلا بقبلة فوق الجبهة أو بشيء من الزهور أو
 الفواكه . إن سيليزيت الصغيرة محمية الآن بهذه
 الأجنبية ، إنها يماثلانها باكين ، ليقولا فيا بينهما
 وبين أنفسهما : أوه ! يا للسكينة الصغيرة ! إنها لن
 تنصرف ، ولكنها لن ترى شيئاً . على أثر ذلك
 يتناول كل منهما يد صاحبه ، نعم نعم إلى هذه
 اللحظة . . . صبرا صبرا . . . إن سيليزيت سيكون
 لها يومها ، إنها لا تعرف إلى الآن ماذا تفعل ، ولكن
 صبرا صبرا ، سنى »

ويتماهى كذلك إذ بها تلح أجلائين نائمة على
 المقعد الملاصق للحفرة ، فاقتربت منها قائلة : إنها
 منفردة أيضاً ، وهذا الذى على وجهها ؟ أهو شعاع
 القمر ؟ أم هو نصيفها ^(١) الأبيض ؟ إنها نائمة ،
 ماذا سأعمل ؟ إنها لعل شاطئ الحفرة من حيث
 لا تدري ، فلو أنها تحركت أقل حركة لسقطت
 في الموة ، وفوق ذلك فقد أمطر المطر ، وإنها قد
 غطت رأسها ، ولكن صدرها ظل مكشوفاً ، إنها
 مبللة بالياه وستصاب بضربة برد ، لأنها لا تعرف
 جو هذه البلاد ، هل سقطت على هذا المقعد أو هي
 مريضة ؟ آه . إنها تضطرب في نومها ، سأعطها
 معطى ، ثم غطت أجلائين بمعطفها وأزاحت النقاب
 عن وجهها . إنها تنام نوماً عميقاً . أنا أظن أنها
 بكت ، إنها لا تلوح عليها علامة السعادة ولا يظهر
 على وجهها أنها أسعد منى ، إننى أرى أنها لا تزال

أجلائين (ضامة إياه بدورها) : إنى أحبك
 يا ميلياندر .

ميلياندر — هل أنت التي تبكين يا أجلائين ؟

أجلائين — لا ، لست أنا ، وإنما نحن .

ميلياندر — وهل نحن أيضاً الذين نضطرب ؟

أجلائين — نعم

(في هذه اللحظة أخذ الحبيبان يتماثلان بحركة
 وإنهما كذلك إذ سمعا صيحة ألم ثم رأيا سيليزيت
 فارة نحو القصر والهواء يعبث بشعرها)

ميلياندر — ها هي ذى سيليزيت .

أجلائين — نعم .

ميلياندر — إنها سمعتنا وفرت نحو القصر .

أجلائين — (قائلة وهي تشير إلى سيليزيت) :

إذهب إليها .

ميلياندر — نعم

(قال هذا وانفلت مسرعاً نحو سيليزيت بينما
 استندت أجلائين إلى شجرة من أشجار الحديقة
 وأخذت تبكي بكاء صامتاً)

المنظر الثاني

يقع هذا المنظر في حديقة القصر على شاطئ
 حفرة مغممة بالياه حيث ترى أجلائين نائمة على
 مقعد من الحجر ملاصق لحافة الحفرة .

سيليزيت تحدث نفسها قائلة : « سيليزيت
 الصغيرة لا ينبغي أن تبكي ، إنه يشفق على » ، لأنه لم
 يعد يجنبني ، وأنا كذلك لم أعد أحبه ، إنهما يتقدمان
 أننى سأظل هادئة ، وأنه حسبي أن يماثقي وهو
 متجه إلى ناحية أخرى .

سيليزيت — سيليزيت ، هذه الكلمة تقال
 بحنان ، وحنان أكثر من المتباد ، إنه ينظر إلى
 شيء آخر حين يماثقي الآن ، أو هو ينظر إلى كائنات

أجلافين - أنا أروحك ألا تحاول الفرار في اللحظة التي كل مافي كينونتك من عمق وسعة قد أراد أن يتجه نحوى . هل تمتقدين أنى لا أسمع الجهود التي تتفاعل الآن في نفسك؟ هل تمتقدين أن كلاً منا سيكون أكثر قرباً إلى صاحبه في أى وقت آخر منه الآن؟ لا ينبغي أن نضع كلات ناهية تشبه الشوك بين قلبينا المسكينين. فلنتحدث ككاثنين مسكينين من بنى الانسان كما هي حالتنا وكما يتكلم كل كاثنين بقدر ما يستطيعان، أى بأيديهما وأعينهما وروحيهما كلاً. أراد أن يتحدانا عن شئ أكثر حقيقة من ان تسمو إليه الألفاظ . هل تمتقدين أنى لا أسمع قلبك حين ينبض بمختلف العواطف وشقى الاحساسات؟ طاقينى في هدوء هذا الليل ودعيني أحوطك بذراعى، وإذا لم تستطعي ان تجاوبيني فلا تهتمي لذلك، لأن في داخل نفسك شيئاً انا اسمعه كما تسمعيه انت سواء بسواء .

سيليزيت - (باكية) أجلافين ...
أجلافين - (باكية) وأجلافين أيضاً تبكى، إنها تبكى، لأنها تحبك ولأنها هي أيضاً لا تستطيع أن تقول بالضبط ما ينبغي لها أن تعمل وما ينبغي لها أن تقول . ها نحن أولاء وحدنا يا سيليزيت المسكينة؛ ها نحن أولاء وحدنا، فلتضم كل واحدة منا الأخرى في هذه الظلمة . إن السعادة أو البأساء اللتين ستزلان بنا قد يوضع تصميم مصيرهما في هذه اللحظة في داخل أنفسنا، ولكن أحداً لا يستطيع أن يعرف ذلك، وإننى كلما أسألت المستقبل عما يمكنه لنا لا أجد جواباً على سؤالى إلا الدموع . أنا أعتقد أنى أكثر حكمة، وحينما نجىء اللحظة التي تنبئ فيها المعرفة فسأشعر أننى محتاجة إليك أكثر مما محتاجة إلى . ولهذا السبب أنا أبكى، ولهذا السبب أنا أعانقك هكذا حتى يقترب كل واحد منا من صاحبه بقدر المستطاع

تبكى، إنها لجليلة حين تكون ممتعة هكذا حتى لكأنها ممتزجة بأشعة القمر ! لا ينبغي إيقافها بنته لأنها يمكن أن ترتفع تسقط في الهوة . قالت هذا وانحنت عليها برقة ثم نادتها بهدوء: أجلافين! أجلافين (مستيقظة) : آه ! الجو مضى
سيليزيت - خذى حذرك إنك على الشاطئ، لا تتحركي فياخذك الهم .

أجلافين - أين أنا؟
سيليزيت - إنك على حافة خزان المياه الحلوة للقصر، ألم تكونى تعرفين ذلك؟ وهل جئت وحده إلى هنا؟ كان ينبغي أن تحتاطي، إن هذا هو المكان الخطر .

أجلافين - إننى لم أكن أعرف ذلك، لأن الجو كان مظلماً فلم أر إلا هاتيك الشجيرات التي حالت بيني وبين رؤية الماء، ولا هذا القعد؛ وقد كنت حزينة ومتعبة فتمت .
سيليزيت - هل أصابك البرد؟ أحكي على جسمك المطف .

أجلافين - ما هذا المطف؟ إنه لمطفك يا سيليزيت، إنك أنت التي غطيتني حينما كنت نائمة، لكن أنت التي أصابك البرد، تعالى هنا لأدرك أيضاً . إنك ترتعشين أكثر منى . قالت هذا والتفتت نحو الحفرة ثم صاحت : آه ... الآن قد أشرق القمر، فأنا أرى الماء يلعب بين جدران الهوة فلو أننى تحركت أدنى حركة ... هل أنت ... يا سيليزيت ... (ثم نظرت إلى سيليزيت)

سيليزيت - لا تمكث هنا، هذا هو مكان الحى
أجلافين - لا ينبغي أن نضيع فرصة مثيلات هذه اللحظات، لأنها لا تتكرر . لقد رأيت روحك يا سيليزيت، لأنك أحببتى بالرغم منك حين أبقتنى أنا .
سيليزيت - إننا سنصاب بالبرد يا أجلافين .

طبقاً لما يتركز في نفسيّتنا من عواطف ، لقد ألتكت كثيراً في هذا الصباح .

سيليزيت — لا لا ، أنت لم تؤلّيني .
أجلّافين — لا ، بل ألتكت كثيراً في هذا الصباح ، وأريد ألا أقدم إليك شيئاً من ذلك في المستقبل ، ولكن ماذا ينبغي أن يعمل الإنسان حتى لا يؤلم من يحبه ؟ لكأني بالحب هو منشأ الألم ، إذ لا يكاد المرء يحب الآخر حتى يكون هذا الحب مجلبة لألام المحبوب ، وهكذا في اللحظة التي أحسست فيها بأني أحببتك أكثر من ذي قبل ، طبعتم على خدك القبلّة التي أيتكتك للمرة الأولى .

سيليزيت — لقد بكيت يا أجلّافين ، ولكنني لم أكن عاقلة ، وسوف لا أبكي بعد الآن
أجلّافين — ياسيليزيتي المسكينة : إن الشخص لا يعرف بالضبط متى يكون عاقلاً ولا ينبغي أن نسأل الدين يكون : هل هم متفولون أو غير متفولين ؟ وإنما يجب أن نبحث بكل بساطة عما ينبغي أن يتخذ من الوسائل لمنهم من البكاء .

سيليزيت . (باكية) — أجلّافين . . . !
أجلّافين — ماذا حدث ؟ إنك لشديدة الاضطراب
سيليزيت — إنني لم أكن قد رأيتك نائمة قبل الآن يا أجلّافين .

أجلّافين — ستريني نائمة منذ الآن كثيراً ياسيليزيت .

سيليزيت — إنه لم يتحدث إلى أحد قط بهذه الطريقة .

أجلّافين — بلى ، بلى ، ياسيليزيتي المسكينة . من المحتمل أن يكون قد قيل لك ما يقال للناس جميعاً ، لأن كل أحد يستطيع أن يقول مثل هذا الكلام متى أراد ، ولأن كل كائن لا بد أن يظفر بجماع مثل هذا الأسلوب متى انتهز فرصة الحديث الضروري له ، ولكنك أنت لا تعرفين إلى الآن

كيف تسمعين ذلك .

سيليزيت — إن المستقبل لا يشبه الماضي في هذه الناحية ، بل إنه شيء آخر يفارقه تماماً .
أجلّافين — إن هذا الذي كنت لا تسمعيه ياسيليزيت لا يمكن أن يسمع بالأذن ، وهذا الذي تسمعيه الآن لا تسمعيه بأذنك حقاً ، لأنك في الحقيقة لا تسمعين الألفاظ التي أقولها لك ، وإنما تسمعين أنني أحبك .

سيليزيت — وأنا أيضاً أحبك
أجلّافين — ولهذا أنت تسمعين وتفهمين جداً ما لا أستطيع أن أقوله : ليس يدانا وحدهما هما اللتين تتعاقبان الآن ياسيليزيت المسكينة ، ولكن ميلاندر يحبك أيضاً ، فلماذا لا تسمعين إليه ؟

سيليزيت — إنه ليس مثلك يا أجلّافين .
أجلّافين — إنه خير مني ، إنه لا بد أن يكون قد تحدث إليك أكثر من مرة وبأسلوب لا أستطيع أن أصل إليه .

سيليزيت — لا لا ، ليس الأمر واحداً في الحالتين ؛ اسمي : أنا لا أستطيع أن أقول لك بالضبط ما معنى هذا ؟ وإنما كل ما أعرفه أنه حين يكون موجوداً أختبي في داخل نفسي ، أنا لا أريد أن أبكي ولا أريد أن يعتقد أنني أفهم ما يجري ، لأنني أنا أحبه أكثر مما ينبغي .

.....
سيليزيت — أوه ، إنني بدأت أحبك يا أجلّافين
أجلّافين — أنا أحبك منذ وقت طويل ياسيليزيت
سيليزيت — أما أنا فلا ، لأنني حين رأيتك للمرة الأولى لم أكن أحبك ثم أحببتك مع ذلك . لقد تفتيت لك سوءاً في وقت من الأوقات ، ولكنني لم أكن أعرف أنك هكذا ، لو أنني كنت في مكانك لكنت مؤذية .
أجلّافين — لا لا ياسيليزيتي المسكينة ، إنك في داخل نفسك لست خبيثة ولم تكوني لتصبحي

منا نحن الاثنين .

سيليزيت — أنا لا أدري لماذا أبكى ، أنا لست شقية ، أنا سعيدة بأن أيقظتك يا أجلافين .

أجلافين — وأنا أيضاً سعيدة بأن أيقظتك يا سيليزيت^(١) . تعالى ننصرف من هنا ، إذ لا ينبغي المكث طويلاً في نفس المكان الذي سمعت فيه روحانا بما لم يتح للنوع الانساني أن يسعد به .

المنظر الثالث

يقع هذا المنظر في جناح من أجنحة القصر حيث تشاهد سيليزيت وميليجران جدتها المعجوز في نهاية القاعة يتحادثان تحت ستار الظلام ميليجران — انت لم تمودى تقوين على الاحتمال ياسيليزيت المسكينة ، لاقولى : لا . لا نهزى راسك بحقيقة دموعك .

سيليزيت — ولكن يا جدتي أنا قلت لك : إننى أبكى لأفنى سعيدة .

ميليجران — لا يبكى الإنسان هكذا حيناً يكون سعيداً .

سيليزيت — طي ، إن السعيد يبكى هكذا مادامت أنا أبكى هكذا .

ميليجران — إستمعي إلى يا سيليزيت ، لقد سمعت ما كل قصصه على هذا الساء في موضوع أجلافين ، أنا لا أعرف أن أتكلم مثلها ، أنا لست إلا امرأة عجوز لا تعرف شيئاً كثيراً . ولكننى تأملت أيضاً في شبابي . أنا ليس لى في العالم إلا أنت ، وإننى أقرب من القبر ، وكل هذه الموامل تظهر لنا من الحقائق ما قد يكون أقل جمالا مما نتحدثنا عنه أجلافين ، ولكن ليس من اللازم دائماً أن تنبصر الحقائق الأكثر جمالا على الحقائق الأكثر بساطة

(١) المراد بالجملة الأولى هو إيقاظ سيليزيت لأجلافين من فوق حافة المودة والمراد بالجملة الثانية هو إيقاظ أجلافين لسيليزيت من الناحية الروحية .

مؤذية ، وإنما فقط كنت لا تعرفين كيف يكون الإنسان خيراً حيناً يكون شقيماً . يحتمل أنك كنت تظنين إذ ذاك أن واجبك يقضي عليك بأن تكونى مؤذية مادامت الشجاعة تُعزّزك لأن تكونى خيرة يتبعني الإنسان الشر لجميع الذين يهينونه ولكن عند ما يحدث لهم أقل ألم تنعكس الآية ، ويتمنى أن يمنحهم كل ماله من سعادة حتى يحول بينهم وبين البكاء ، ولكن لماذا لا يحجم قبل أن يصبحوا نساء ؟ لا يخفى الإنسان إذا أحجم مقدماً ، لأنه لا يوجد في هذه الحياة كائن واحد يستمتع بالسعادة طول حياته . سيليزيت — أريد أن أعاقبك مرة أخرى يا أجلافين إن هذا شيء عجيب ، في مبدأ الأمر لم أكن أستطيع أن أعاقبك . كنت أهرب فك ولا أدري لماذا . والآن ، هل يقبلك غالباً ؟

أجلافين — هو . . . ؟

سيليزيت — نعم

أجلافين — نعم ياسيليزيت ، هو يقبلني ، وأنا أقبله أيضاً .

سيليزيت — ولماذا ؟

أجلافين — لأنه توجد أشياء لا يمكن أن تقال إلا في حالة العناق ، وذلك لأن أكثر الأشياء عمقا ونقاء لا يمكن أن تبرز من الروح إلا حين تدعوها القبل للبروز .

سيليزيت — أنت تستطيعين أن تقبليه أماى يا أجلافين .

أجلافين — أنا لن أقبله بعد الآن إذا كنت تريدن ذلك ياسيليزيت .

سيليزيت — (باكية غائرة) وتستطيعين أن تقبليه دون أن أراكا .

(قالت هذا وانحنت على كتف أجلافين واستمرت في البكاء) .

أجلافين — لا تبكي يا سيليزيت ، لأنك خير

هو ذلك الذى تسكينه ، ولكنني قلقة منذ بضعة أيام ، ولقد قلت لنفسى أكثر من مرة : إن وراء هذه الحقيقة التى يمكن أن نذكرها حقيقة أخرى أكثر خطراً وعمقاً وإنها تنتظر فى أعماق نفوسنا ساعتها المحددة ، وإن كل كلاتنا لاستطيع أن نتجوز بسمتها ولا أن تجفف الدموع من عينيها ، وإنني أعتقد أننى وجدت اليوم هذه الحقيقة التى تصيرنا برغم مجهوداتنا . وذاعاً يا سيليزي ، قبلنى فقد تقدم بنا الليل ، وميلاندر ينتظرك

سيليزي — ألا تبتئين لتقبيله منى
أجلافين — أنا لن أقبله بعد الآن ، أنا سأقبلك أنت حين ستكون مما ، وسأستطيع أن أقول له كل ما ينبغي أن يقال له كما لو كنت أقبله

سيليزي — ماذا حدث ؟ إن عينيك تلمعان كأنك تجفنين عنى شيئاً
أجلافين — بالعكس إن عيني تلمعان ، لأنى لم أعد أخشى شيئاً ، لقد عرفت أنه يحبك ، إنه يحبك بهيئة أعمق مما كان يظنه هو نفسه

سيليزي — وهل قال لك ذلك ؟
أجلافين — لا ، ولو أنه قاله لى لما كنت متأكدة منه مثل تأكدي الآن

سيليزي — لكن ، وأنت ؟ ألم يعد يحبك ؟
أجلافين — إنه يحبني أقل مما يحبك
سيليزي — أوه يا أجلافيني المسكينه إن هذا غير ممكن ، لماذا هو يحبك أقل منى ؟ ماذا تريد أن أفعل ؟ ينبغي ألا تظلى وحدك هذا المساء إذا كنت تعتدين أنك لست سعيدة ، هل تريد أن أمكث معك ؟ سأقول له

أجلافين — إذهي ، إذهي ، أسرع يا سيليزي ، أنا لن أكون أبداً أكثر سعادة فى أى وقت منى فى هذا المساء . قالتا ذلك ثم تقابعا فصمت وخرجا متتايمتين
(البقية فى العدد القادم) محمد غنم

وشيوخوخة . أنا لا أرى إلا شيئاً واحداً يا سيليزي المسكينه وهو أنك — بالرغم من ابتسامتك التى تظهر فيها — عندما تعتقدين أنك منفردة تحتمين وتبكين . لا ينبغي للانسان أن يقالب قواه النفسية إلى هذا الحد . عثا قيل : إن البكاء برهان عدم الثقل ، إذ حين يصل الانسان مثلى إلى نهاية الحياة يكون قد رأى كثيراً أن البكاء هو وحده برهان الحقيقة ، لأن القدر هو الذى يتحدث من خلال الدموع ، وأن الدموع التى تصعد إلى أعيننا إنما تجيء إليها من أعماق المستقبل
(إنهما لكذلك ، وإذا بأجلافين تدخل عليهما دون أن يلحاهما)

ميليجران — (مستمرة فى الحديث) لقد بكيت كثيراً يا سيليزي المسكينه فيماذا تريد أن يتبعني كل هذا ؟ لقد فكرت طويلاً فى هذا كله ، وأنا فى هذه الزاوية واجهت أن أتحذرك إليك بلهجة هادئة بالرغم مما أعانيه من ألم حين أراك تتألم ظلاماً . إنه لا يوجد من الحلول الانسانية لقعدة هذه الأحران إلا حل واحد ، وهو أن تخفى واحدة منك إمام الموت ولما بالنصراف . ومن الذى يجب أن تنصرف إذا لم تكن تلك التى أتى بها القدر متأخرة

سيليزي — ولماذا لا تكون التى أتى بها القدر متقدمة أجلافين — (متقدمة نحوهما وهي تقول :) لا يجيء أحد قبل الأوان يا سيليزي المسكينه ، وإنما يجيء كل فى ساعة معينة ، وإننى أعتقد أن الجدة محقة
سيليزي — إذا كانت الجدة محقة ، فانتا سنصبر تعيسات

أجلافين — وإذا كانت الجدة مخطئة ، فانتا سنبكى أيضاً . ماذا تريد أن يا سيليزي ونحن لا نملك إلا الاختيار بين دموعنا فحسب ؟ ولو أننى لا أستمع إلا إلى تعقلى الضعيف لقلت لك : إنه ينبغي أن تختار الحل الذى هو أكثر جلالاً ، والأكثر جلالاً هنا



خاطبتني بها هذا النهار »

وفيا عدا الفتية الصاخين في الحانة كان جميع أهل القرية في فراشهم نائمين ، قتلل داود في هدوء إلى غرفته في بيت أبيه ، وجمع متاعه القليل في حزمة حملها على عصا وانطلق في الطريق الخارجية من فرنوى .

ومر بفنم أبيه وقد تجمعت في حظيرتها الليلية — وهذه الغنم هي التي كان يرعاه كل يوم فتركها مشردة بينما هو يكتب الشعر على قصاصات من الورق ، فرأى نوراً لايزال مضيئاً في نافذة إيفون ، فزعزع عزيمته شيء من الوهن الفاجئ . ومن الجائر أن يكون معنى ذلك النور أنها قد ندمت ، ساهدة ، على ما بدا من غضبها ، وأن صباح الغد قد يحمل معه ... ولكن لا ! لقد استقرت عزيمته ، فليست فرنوى بالمكان اللائق به ، فإياها من إنسان واحد يشاطره آراءه وأفكاره . وهناك على مدى هذه الطريق يقوم حظه ومستقبله .

وكانت الطريق تمتد مسافة ثلاثة فراسخ في خط مستقيم كأخود الحراث ، وهي مسافة قطبها الفتى في الظلام . وكان أهل القرية يمتقدون أن هذه الطريق تصل على الأقل إلى باريس . واسم بازيس هو الاسم الذي كان الشاعر يهتف به لنفسه في أغلب الأحيان كلما مشى من مكان إلى مكان . ولكن

إني أسير في طرق كثيرة باحثاً عما سيكون . أحل قلباً صادقاً قوياً يعنيه الحب فهل ترى تهودني هذه الطرق ، في معركة الحياة ، إلى إصابة ما كتب لي في لوح القدر أم إلى تناديه أم إلى تلطيفه أم إلى تسويته ؟ « من الشر غير المطبوع لداود ميجنون »

انتهت الأغنية ، وكان المعنى هو داود ، وكان المكان إحدى قرى الريف ، فصفتت الجماعة الصغيرة المتنفة حول مائدة الحانة تصفيقاً حاداً هو صدى حماسهم القلبية ، فقد دفع الشاعر الصغير ثمن الشراب . ولم يشذ عن الجماعة غير موسيو باينيو . مسجل المقود ، مكتفياً بأن هن رأسه عند صباح ذلك الشعر ، لأنه من أهل العلم ولم يكن قد شارك القوم في احتساء الخمر .

وانطلق داود إلى الطريق الرئيسية في القرية حيث أطار هواء الليل ما يني في رأسه من أثر الخمر فذكر أنه وإيفون قد تشاجرا في أثناء النهار ، وأنه قد اعترم أن ينادر بيته تلك الليلة ليبحث عن الصيت والشرف في العالم الواسع وراء هذه القرية الضيقة .

وقال الفتى يحدث نفسه في شيء من الزهو البهيج :

« ومضى جرى شمري على ألسن الناس جميعاً فقد تفكر يومذاك في الكلمات الشديدة التي

ضخم كهامته ولكنه يرقه بالصناعة والعبادة :
 « لتدخل إلى العربية » ، ولم يكن سامع هذا
 الصوت ليستطيع غير الطاعة ؛ وعلى الرغم من أن تردد
 الفتى لم يطل ، فإن تكرر الأمر من السيد قضى على
 كل أثر للتردد ، فارتفعت قدم داود من تلقاء نفسها
 إلى سلم العربية وقد رأى في الظلام سيدة جالسة على
 المقعد الخلقى ؛ وبينما هو يتأهب للجولس على المقعد
 المقابل إذا بصوت السيد الضخم يخضعه لأمره من
 جديد وقد قال :

« لتجلس إلى جانب السيدة »

وجلس السيد على المقعد المقابل ، ومضت
 العربية تصعد المرتفع . وكانت السيدة منكشة في
 مكانها صامتة لا تنطق ولا تتحرك . ولم يكن في
 مقدور داود أن يحكم من منظرها إذا كانت صغيرة
 أو كبيرة ، ولكن شذا عطرياً رقيقاً انبث من
 ملابسها ألقى في روع خياله الشمعى أن وراء ذلك
 السر الغامض شيئاً جليلاً ، إذن هو على باب إحدى
 تلك المناصير التي كثيراً ما حلم بها ، ولكنه خفي
 هذه اللحظة لم يهتد إلى مفتاح ذلك الباب ، إذ لم
 ينبس أحد بكلمة في أثناء جلوسه مع رفاقه الضامتين
 وبعد ساعة لاحظ داود من خلال نافذة أن
 العربية تجتاز طريقاً في إحدى المدن . ثم وقفت العربية
 أمام بيت مغلق مظلم ؛ ونزل أحد الخدم من العربية
 ففتح الباب دفقاً عنيفاً سريعاً ، ففتحت نافذة مشبكة
 من الطابق العلوى وأطل منها رأس معصوب وسع
 صوت يقول :

« من أنتم يا من تقلقون الأشراف النائمين في
 مثل هذه الساعة من الليل ؟ إن بيتي مغلق . وليست
 مثل هذه الساعة هي الساعة التي يبق فيها السائحون

داود لم يتعمد من قبل عن قريته مثل هذه المسافة
 الطويلة .

طريق الشمال

قطع الفتى ثلاثة الفراسخ في خط مستقيم ، ثم
 وقف متجبراً ، فقد التفت الطريق بطريق أخرى
 أوسع منها ترسم معها زاوية قائمة . فبقى لحظة
 لا يستقر على رأى ، ثم سلك طريق الشمال .
 وفي هذه الطريق الهامة الأعظم شأناً من سابقها
 رأى الفتى آثار مجلات حديثة المرور ، وبعد نصف
 ساعة رأى العربية التي خلفت هذه الآثار ، وهي
 عربية هائلة ثقيلة غرزت مجلاتها في مجرى موحل
 عند قاعدة تل شديد الانحدار ، وكان السائق
 ومساعدوه في حجة وصخب يشدون لجم الخيل في
 عنف ليستحشوها ولكن على غير طائل . وقد وقف
 على إحدى جانبي الطريق سيد ضخم الهامة يرتدى
 السواد ، وإلى جانبه سيدة هيفاء القوام متشحة
 بعباءة طويلة خضفة .

وأدرك داود افتقار الخدم إلى المهارة فيما يبدلون
 من جهد لإخراج العربية من وحلها ، فتقدم في
 هدوء يتولى إرشادهم إلى ما يجب أن يعملوا ، فطلب
 من الخدم الواقفين خارج العربية أن يكفوا عن
 صخبهم وأن يوجهوا جهدهم وقوتهم إلى المجلات
 وأن يكتفي السائق وحده بتحسيس الخيل بصوته
 العادي . وأسند داود كتفه القوية إلى مؤخرة
 العربية ودفعها دفعة شديدة حركتها فاجتازت
 المجلات المجرى الموحل إلى الأرض الصلبة ، فأمرغ
 الواقفون في الخارج بالتساق إلى أماكنهم .

ووقف داود لحظة على قدم واحدة ، فلوح
 الرجل الضخم الهامة يده في الهواء وقال في صوت

«مولاي... لو كنت على علم بمقدمكم لأعدت ما يجب لقامكم الرضع من أسباب التكريم . وعندي الآن خبز ودجاجة باردة وقد يكون هناك . . . »
فقال المركز وقد بسط أصابع يده الفليضة البيضاء:
« الشموع . . . »

قال الرجل : « أملك يا مولاي »
وأحضر ست شمعات أشعلها ووضعها فوق المائدة وقال :

« لعل مولاي يفضل بشنوق نوع من خمر بورجندي فندقي قديمة . . . »
فقال السيد باسما أصابعه :
« الشموع »
قال الرجل :

« أملك يا مولاي . . . في الحال سأطير بها إلى مولاي ... »

وجاء الرجل باثني عشرة شمعة أخرى أشعلها فأضيئت الغرفة . وكان جسم المركز الضخم قد غطي الكرسي الذي يجلس عليه ، وكان يرتدى من قمة رأسه إلى أخمص قدمه ملابس رقيقة سوداء فيما عدا الزركشة البيضاء حول معصيه وعنقه . وحتى قبضة سيفه وخمده كانا أسودين . وكانت ملايح وجهه ثم عن كبرياء ساخرة . وكان سبالاه المقوصان إلى أعلى يكادان يلامسان عينيه الهازئين وجلست السيدة جامدة لا تتحرك ، وقد لاحظت داود على ضوء الشموع أنها صبية وأنها ذات جمال محزون جذاب . وقد قطع عليه تأمله في حسنها صوت المركز القوي وقد صاح به :

« ما اسمك وما صناعتك ؟ »

« اسمي داود ميجنون ، وأنا شاعر »

الأخير خارج الأبواب . فكفى طرقاتاً على بابي وانصرفوا »

فصاح الخادم في صوت يقرب من الصراخ :
« افتح . . افتح للسيد المركز دى بويرتيز »
فصاح الرجل المثل من النافذة :
« آه . عفواً ألف مرة يا مولاي . إنى لم أستطع معرفتكم . فالساعة متأخرة - سيفتح الباب في الحال وسيكون البيت رهن أمر مولاي »

وسمع من الداخل رنين سلسلة من الحديد وصوت محرك المزلج وفتح الباب على مصراعيه ، ووقف صاحب بيت القنينة الفضية على عتبة الباب منتفضاً من البرد والخوف ، يحمل شمعة في يده وهو نصف عار .

وخرج داود من العربة وراء المركز الذى ألقى إليه بهذا الأمر :

« ساعد السيدة في النزول »

فأطاع الشاعر الأمر وأحس بيد السيدة ترتجف وهي تهبط السلم . ثم دوى في أذنيه صوت المركز ملقياً إليه بهذا الأمر الجديد :

« ادخل البيت »

وكانت الغرفة التي دخلوها غرفة مائدة الفندق المستطيلة . وقد وضعت في وسطها مائدة كبيرة من خشب البلوط . جلس السيد الكبير الهامة على كرسي عند أدنى طرفها إليه ، وجلست السيدة على كرسي يجوار الجدار ، وقد بدا عليها أثر الضجر الشديد . ووقف داود يفكر في أصلح الطرق للاستئذان في الانصراف والانطلاق في طريقه

وقال صاحب الدار وقد انحنى حتى كاد جبينه يلمس الأرض :

وكأنما هو بيت هائل قد أغلق جميع أبوابه ونوافذه في وجه القادمين . وكان من أماني داود أن يتكلم ولكن منظر الرجل الهائل قد عقد لسانه . فوقف إلى جانب كرمي السيدة وانحنى وقال — وقد عجب في نفسه من انطلاق لسانه في سهولة أمام مثل ما تحلت به الحسنة الغريبة من عظمة وجمال :

« أيها الأنسة . لقد سمعتني أقول إنني راع . كذلك بقي في روعي أحياناً أنني شاعر . وإذا كان من زلت الشاعر أن يعبد الجمال ويحله فإن هذه الزعة قد قويت الآن في نفسي . فهل في مقدوري أن أقدم اليك يا سيدتي خدمة ما في أية ناحية من النواحي ؟ »

فنفرت الفتاة إليه بعينين جافتين محزوتين . ولكن ما رأت على وجهه من أمارات البصراحة والاشراق ، ومظهر الجدل الذي نشأ عن خطر المغامرة التي واجهها ، وما تمثل لها من قوة جسمه واستقامته وما لحظت في عينيه من شفقة متدقة ، ولكن ذلك كله وقد تضاف إليه أيضاً حاجتها الملحة إلى المساعدة والشفقة اللتين حرمتهما منذ زمان طويل ، قد بعثت إلى عينيها بالدموع المفاجئة ...

وقالت الفتاة لهجة خافتة :

« سيدى ، إنه ليبدو عليك أنك صادق شقيق ؟ وهذا الرجل هو عمي شقيق أبى ، وقريبى الوحيد في الحياة . ولقد أحب أبى فهو يفضى لأننى أشابهها . ولقد أحال حياتى إلى فرع طويل . وإنى لأخاف مجرد نظراته ، ولم أجرو قط من قبل على مخالفة أوامره . ولكنه الليلة كان على وشك أن يزوجه من رجل تبلغ سنة ثلاثة أمثالي سنى ، ولعلك تسامحني إذ أبست إلى نفسك الغضب بمثل هذا »

فازداد سبالا المركيز دنواً من عينيه وقال :
« وكيف تميش ؟ »

فارتفع رأس داود وعلا الاحمرار وجنتيه وقال :
« وإنى أعمل راعياً أيضاً ؟ أرعى قطع أبى »
« إذن اصنع أيها السيد الراعى الشاعر إلى الحظ الذى عثرت به الليلة . هذه السيدة هى ابنة أختي الأنسة لومى دى فارين . وهى من سلالة نبيلة وتملك دخلاً سنوياً قدره عشرة آلاف فرنك لاشريك لها فيه . أما محاسنها فيمكنك أن تقدرها بنفسك ، فاذا وقعت شجعة الفحص من قلب الراعى موقماً حسناً فإنها تسمى زوجك بكلمة واحدة . لاتقاطعى ؛ لقد ذهبت بها الليلة إلى قصر الكونت دى فيلمور ، وكان موعوداً بالزواج منها : وقد استكمل عدد المدعوين ، وجلس التيسر ينتظر عقد زواجها على الرجل الذى يماثلها نسباً وثروة ، ووقف العروسان أمام المذبح ، ولكن هذه الفتاة التى تراها هنا وديمة مطبوعة ، قد التفتت إلى ، وقد انقلبت لبوة ، فاهتمتى بالقسوة وارتكاب الجرائم ، وفسخت أمام الراهب المنذهل المهمل الذى قطعته عنها . عندئذ أقسمت وأنا في موقف بشرة آلاف شيطان أن أزوجه من أول رجل نصادفه في طريقنا بعد مغادرة القصر سواء أكان هذا الرجل أميراً أم موقد حطب أم لصاً . وانت أيها الراعى أول من صادفنا في الطريق ؛ وهذه الفتاة لا بد أن تزوج الليلة إن لم يكن منك فى سواك . وإنى أمهلك عشر دقائق للتفكير والاختيار ، فلا تضايقنى بالكلمات والأسئلة . عشر دقائق أيها الراعى ، والدقائق تضى سريعاً »

تقر المركيز بأصابه البيضاء تقرأ قوباً على المائدة . ثم جلس ينتظر في صمت يحيطه النموض .

قتسرت يدها الرقيقة الصغيرة من تحت معطفها حتى أمسكت يده وقالت منهتجة :
« سأنتي بك وأضع حياتي بين يديك . و ...
والحب - قد لا يكون بعيداً كما تظن . فأجبه .
ومتى بعدت عن قوة عينيه فقد أنسى »

فشى داود حتى وقف في وجهه المركز . فتحرك الهيكل الضخم ، ونظرت عيناه السابخرتان إلى الساعة الكبيرة المعلقة على الجدار وقال :
« لم يبق غير دقيقتين . أحتاج الزمان لثلاث دقائق ليقرر اذا كان يقبل أو لا يقبل الزواج من عروس ذات جمال وثروة ؟ شكلم أيها الراعي ، أوافق على أن تسمي زوج الأنسة ؟ »

فبنت الكبيرة على داود وقال :
« لقد شرفني الأنسة بأن قبلت زواجي في أن تسمي زوجي » .
فقال المركز :

« لقد أحسنت التعبير . وإن في نفسك أيها السيد الراعي لروح النديم . وكان من الجائز أن تقع الأنسة في شر من هذه النتيجة . والآن لننته من هذا الأمر بأسرع ما تسمح به الكنيسة والشيطان »

وضرب المركز البائدة بقبضة سيفه الحزينة شديدة ، فأقبل رب الدار مضطرب المفاسل حاملاً شموعاً جديدة متوقفاً سلفاً لما يأمر به المركز ، ولكن المركز فجأه بقوله :

« أحضر لنا قسيماً . قسيماً أهضمت ؟ في عشر دقائق يجب أن تحضر القسيس إلى هنا والإلا ... »
فأتى الرجل بالشموع وجري وجاء القسيس مثقل الجفون من أثر النوم

الكلام وأحسبك سترفض ، دون ريب ، ذلك الأمر الجنوني الذي يحاول أن يقرضه عليك قسراً . ولكن اسمح لي أن أشكر لك على الأقل ، ما وجهت إلى من كلمات كريمة ، فاني لم أسمع منذ زمان طويل أحداً يخاطبني بمثل هذه الكلمات »

وهنا نطقت عين الشاعر بشيء أكثر من الكرم . وما من شك في أنه كان شاعراً ، فقد نسى إيفون ، وقد تملكته هذه الحسنة الجديدة بما وهبها الله من عظمة ونضارة ، وقد أثار الشذا الجميل المنبعث منها عواطف غريبة في نفسه . فنظر إليها نظرة رقيقة أغضت لها متعششة لما فيها من حنان وقال داود :

« لقد منحث عشر دقائق للبث فيما كنت أجعل للبث فيه عدة من السنين . ولا أقول إنني أشفق عليك أيها الأنسة ، لأنني لو قلت ذلك لما كنت صادقاً - فاني أحبك . وما أستطيع بعد أن أطلب منك مقابلة الحب بالحب ، ولكن اسمح لي بأن أنقلك من هذا الرجل القاسي ، وسيجيء الحب مع الزمن ؟ وإلى لأظن أن لي مستقبلاً ، فلن أكون راعياً طوال عمري . وسأحيطك في الوقت الحاضر بكل ما في قلبي من القوى لأخفف من أحزانك الموجعة ، فهل تودعين حظك آمنة بين يدي يا سيدي ؟ »

« آه ! ستضحى بنفسك شفقة على ! »
« لا ، ولكني أقدم إليك باسم الحب ، والزمن كفيل في الغالب بكل شيء يا آنسة »

« إنك ستندم على ذلك وستحترقني وتزدريني »
« سأنتحى حياتي على إسماعلك وعلى رفع نفسي إلى المستوى اللائق بك »

« لقد شرفنى فى هذه اللحظة بأن دعونى
« السيد » هل أأمل إذن أن يكون زواجى من
الآنسة قد رفقنى إلى مكانة تدنو قليلا من مكانتك ؟
ولتكن مكانة الظل من الأصل - فيسمح لى ذلك
بأن أقف موقف الند من السيد المركز فى شأن
صغير معين أحله فى رأسى ؟ »

فقال المركز ساخرا :

« قد تأمل فى ذلك أيها الراعى »

فألقى الفتى بكأسه بين عيني المركز الساخرتين
اللتين تهزآن به وقال :

« إذن ، قد تتنازل فتبارزنى »

فتجلت ثورة السيد العظيم فى لغة مفاجئة
انفجرت من بين شفتيه كنفخة البوق الكبير .
وجرد الرجل سيفه من غمده وصاح برب البيت
المضطرب :

« جى هذا الجلف بسيف ! »

ثم التفت إلى السيدة ضاحكا ضحكة أزجفت
قلبا وقال :

« أنك تحملينى كثيرا من التلاعب أيتها
السيدة ؛ ويلوح لى أنه لا بد من أن أزوجه وأرملك
فى ليلة واحدة »

فقال داود وقد احمر وجهه لاضطراره الى هذا
الاعتراف أمام زوجته :

« أنا لا أعرف استعمال السيف »

فقال المركز فى لهجة الساخر :

« أنا لا أعرف استعمال السيف ! أتبارز إذن
كالفلاحين بهراوات البلوط ؟ صرعى ! أحضر
بافرانسوا غدارتى ! »

فأسرع أحد الخدم وأحضر من العربة غدارتين

متربجا ؛ فأجرى الطقوس التى أسمى بها داود
ميجنوت ولويس دى فارين زوجين ؛ ثم دس فى
جيبه قطعة من النقود الذهبية ألقى بها المركز إليه ،
وفادى البيت من حيث جاء الدلف فى الظلام
فبسط المركز أصابعه الكبيرة فى وجه رب الدار
وصاح به :

« هات خرا »

فلما جاءه بالخر قال :

« املا الكؤوس »

ووقف على رأس السائدة فى ضوء الشموع ،
فكان أشبه بجبل أسود من الضمنية والفرور .
وعند ما وقع نظره على ابنة أخيه بدا فى عينيه شئ
كذكرى الحب القديم وقد انقلب سما قاتلا .
ورفع كأسه فى يده وقال :

« مسيو ميجنوت ! اشرب بعد أن أقول لك
هذه الكلمات : لقد تروجت من فتاة ستملا حياتك
غشا وتماسا ، فالد الذى يجرى فى عروقها هو
سيل موروث من الأكاذيب السود والدمار
الأمر . فستجلب لك المار والهواجس ، فالشيطان
الذى انحدر إليها بالوراثة كامن هناك فى عينيها
وجلدنا وفيها الذى يزل حتى لخداى رجل فلاح .
هذا هو ما وعدت به أيها السيد الشاعر من الحياة
السعيدة . اشرب خمر . وأنت أيتها الفتاة لقد
تحلصت منك آخر الأمر »

وشرب المركز كأسه ؛ وخرجت من بين شفتى
الفتاة صرخة مجزوة كأنها منبثة من جرح مفاجئ ،
فتقدم داود وكأسه فى يده ثلاث خطوات ثم
وقف من المركز وجها لوجه . فلم يكن فى منظره
ما يشبه منظر الرعاة ، وقال فى هدوء :

المركز باسمًا وقد استندت أصابع يده اليسرى إلى المائدة . وفي داود منتصبًا في مكانه ؛ ثم أدار رأسه في ببطء شديد باحثًا بعينه عن زوجته ، ثم إذا هو يسقط فجأة كتلة جامدة كما يسقط المعطف عن الشجب .

فجرت العروس الأرملة ، وقد صرخت صرخة الجزع واليأس ، فاحتضت على جثة زوجها القليل ، وعثرت على جرحه ، ثم نظرت نظرتها القديمة الجامدة من الحزن الوجع وقالت هامسة :

« في صميم قلبه ، أواه ! في قلبه ؟ »

فدوى صوت المركز المرعب في أرجاء الغرفة :
« تعالى لنذهب إلى العربية ! ولن يراك الفجر بين يدي ، فستروجين مرة أخرى ، في هذه الليلة ومن زوج حي . وسيكون هذا الزوج أول رجل نصادفه في الطريق ، عظيمًا كان ذلك الرجل أم فلاحًا حقيرًا . فإذا لم نصادف في الطريق أحدًا فستروجين من البواب الذي يفتح أبواب قصرى . هلي إلى العربية ! »

خزج المركز الضخم الجثة المتحجرة الضمير ، تتبعه السيدة ملتفة في مطفها الذي يحيطها بالأسرار ، وحوهما الخدم يحملون السلاح - خرجوا جميعًا إلى العربية الواقعة في الانتظار ، فلم يلبث ذوي عجالاتها الكبيرة أن تردد صدها في أرجاء القرية النائمة ؛ بينما صاحب بيت « القنينة الفضية » منحن فوق جثة الشاعر القاتل تشارد الفكر يدق يدًا يدي ، ولهيب الأربع والعشرين شمعة المضاء فوق المائدة رقص متأرجحًا في الهواء

كبيرتين لامعتين قد زينت أيديهما بالفضة النقوشة . فالتفتي المركز إحداهما فوق المائدة على مقربة من يد داود وصاح به :

« إلى الطرف الآخر من المائدة . وحتى الراعي قد يستطيع أن يطلق الفندارة . وقليل منهم هم الذين ينعمون بشرف الموت بسلاح دي بورتيز »
وتواجه المركز وداود من طرفي المائدة . وأصاب الجزع رب النار فأخذ يخبط الهواء بيديه ويقول متريخًا :

« سيدي . . . سيدي ، بحق المسيح لا تفعل ذلك في بيتي ! لا ترق الدماء هنا - فيدمر ذلك سمعتي ويقضي على مستقبلتي . . »

ولكن نظرة المركز التهديدية إليه عقلت لسانه ، وقد صاح به الرجل :

« كفى ثرثرة أيها الجبان ، وهيء لسانك الطويل ليعلى كلمة القتال »

ولكن ركبتى رب النار كاتتا قد لا مستا الأرض . وقد ذهل عن كل شيء فهو لا يكاد يسمع أو يرى ولكنه كان مع ذلك لا يزال يستعجدي السلام باسم سمعة بيته والحرص على علامته .

وقالت السيدة في صوت جلي :

« سأعطي أنا الكلمة »

ثم تقدمت إلى داود فقبلته قبله رقيقة . وكانت عينها تبرقان وقد علا الاحمرار وجنتها . ووقفت بجوار الجدار وصوبت الرجلان غدارتهما أحدهما إلى الآخر منتظرين أمرها بإطلاق النار :

« واحد . اثنان . ثلاثة ! »

وخرج الطلقات في وقت واحد على التقريب فلم يضطرب لهب الشموع غير مرة واحدة ووقف

طريق المين

قطع الفتى ثلاثة الفراسخ في خط مستقيم ، ثم وقف متحيراً ، فقد التقت الطريق بطريق أخرى أوسع منها ترسم معها زاوية قائمة ، فبقى لحظة لا يستقر على رأى ، ثم سلك طريق المين

لم يكن داود يدرى إلى أين تقوده هذه الطريق ولكنه كان قد اعتزم أن يتعدد الليلة عن فروى ما استطاع . وبعد أن قطع فرسخاً في الطريق الجديدة صر بقصر تدل الظواهر على أنه صخر باحتفال حديث ، فقد كانت الأنوار بادية من جميع نوافذه ، وكانت آثار مجلات العربات التي حملت الضيوف واضحة ممتدة من داخل الباب الكبير إلى طول الطريق

وبعد ثلاثة فراسخ أخرى أحس داود بالثعب ، فجلس يستريح ثم رقد على كومة من الأعشاب إلى جانب الطريق . واستيقظ بعد فترة فواصل السير إلى حيث لا يدرى .

وعلى هذه الصورة قضى الفتى خمسة أيام ماشياً في هذه الطريق الواسعة الطويلة ، ينام على فراش الطبيعة فوق ركام الفساحين ، أكلا من خبزهم الأسود اللسخي ، شارباً من الجرادل أو أكواب الرعاة الكرماء .

وأخيراً عبر جسراً كبيراً فوضع قدمه على أرض المدينة الباسمة التي حطمت أو توجت من الشرعاء عدداً يزيد على مجموعة الشرعاء في أى مكان آخر . وجري تنفسه سريعاً عند ما غنت له باريس في صوت خافت أغنية الترحيب — وهي أغنية عناصرها هممة الأصوات ووقع الأقدام ودوي المجلات .

وامتقر الفتى في غرفة صغيرة فوق سطح منزل قديم إِبْشَار كوتى ، فدفع أجر الإقامة ، وجلس

على كرسي من الخشب منكبا على أقدامه ، وكان الشارع الذى يقم فيه من الشوارع التى هجرها أهل الجد والعمل ، فأصبحت مسرحاً للذين يسركون في فترة الانحدار .

وكانت البيوت عالية ، يبدو عليها أثر العظمة الزائلة ، وكان أغلبها خالياً إلا من الأتربة والمنكبات ، ولم يكن يسمع في الليل غير جلجلة الحديد وصراخ المشايخين المتثقلين من حانة إلى حانة ؛ وفي الجملة أصبح ذلك الحى الذى كان مسرح السادة الأشراف مأوى للرعاع المجرمين ، ولكن داود وجد في هذا الحى السكن المناسب لاله القليل ، ولم يره نور النهار ولا ضوء الشموع إلا منكباً على الأقلام والورق .

وفي ذات مساء كان داود عائداً من جولة في الأحياء الفقيرة حاملاً شيئاً من الخبز والأداموزجاجة من التبيذ الخفيف ، وفي منتصف درجات السلم التقى — أو بعبارة أخرى وقع على — سيدة فتية ذات جمال يعطل حتى خيال الشرعاء . ترتدى مغطاً أسود خفيفاً بنفراج عن ملابس غالية تنم عن الثراء ، وكانت عيناها تمتدنان في سرعة مذهشة وفاق ما يتصور في رأسها من آراء . في لحظة تراها مستديرتين لا أثر للصناعة فيها كأنهما عينا طفل براء ، وفي لحظة أخرى تراها مستطيلتين خداعتين كميون نساء الفجر ، وقد رفعت إحدى يديها طرف ثوبها كاشفة عن حذاء عالى الكعب محلول الرباط ، وهي في وقتها غلوة سماوية غير خليقة بالانحناء ، فهي إنما خلقت لتسحر الناس ولتأمر فتنطاع ! وللمها قد رأت داود يصعد الدرجات فانتظرت ليقدم إليها ما تود من مساعدة .

آه ، أبغفر لها السيد وقوفها في الطريق ، ولكن

في الغرفة الصغيرة التي عيّل السلم أمامها .
فدارت السيدة رأسها ناحية وقالت :

« في الغرفة الأمامية ؟ »

« في الخلفية يا سيدتي . »

فتنهت السيدة كأنها قد شعرت بشيء من
الارتياح . وقالت وقد استدارت عيناها وضاع منها
كل أثر للصناعة :

« لن أؤخرك أكثر من ذلك يا سيدى . وعليك
أن تحافظ على منزلى . أسفا ! إن ذكرياته هي كل
ما أملك منه الآن . وداعا وقبيل شكري لما قدمت
لي من مساعدة »

واختفت السيدة عن نظر الفتى غير تاركة وراءها
إلا ابتسامة والاشدا حلوا منعشا . وتسلى داود
السلم تسلى التألم يسير في المنام ، ولكنه لم يلبث
أن استيقظ ، ولازمته الابتسامة والشدا ولم يبد أن
أحدهما قد فارقه بعد ذلك أبداً ، فقد أحاطته هذه
السيدة بكل ما يحيط به الملاك الساحر الشاعر الرقيق
الحسن من مغريات .

وما من شك في أنه كان شاعراً ، فقصده نسي
إيفون ، وقد تملكته هذه الحسنة الجديدة بما
وهبتها الطبيعة من عظمة ونضارة . وذلك الشذا
الجميل الذي انبث منها بمشعوطات غريبة في نفسه

وفي ليلة ما اجتمع ثلاثة أشخاص حول مائدة
في غرفة الطابق الثالث من هذا البيت نفسه . ولم
يكن في الغرفة من أثاث غير الثلاثة الكراسي
والمائدة والشفنة الضيقة فوقها . وكان أحد
الأشخاص رجلاً ضخم الهامة يرتدى البواد ، تدل
تقاسيم وجهه على ما في نفسه من كبرياء سيخرة ،

الحذاء : — ذلك الحذاء الشقي الماكر ! أسفا ! إنه
لا يبقى على رجليه . آه ! لو أن السيد تفضل بتقديم
مساعده الكريمة !

وارتجفت أصابع الشاعر وهو يعقد الرباط . ثم
لكأنه حاول الهرب الذي يواجهه في حضرتها ،
ولكن عينها قد استطالتا خدعتين كميون النجر
فشلتا حركته . فقال على حاجر السلم ممسكا بزجاجة
الخمر الرديء .

وقالت السيدة مبتسمة :

« لقد كنت كريماً يا سيدى ، فملكك من سكان
هذا البيت . »

« نعم يا سيدتى .. أنا — أنا اظنني كذلك . »

« لملك إذن تسكن الطابق الثالث ؟ »

« لا ، يا سيدتى ، بل أعلى من ذلك . »

فحركت السيدة أصابعها حركة تدل على شيء من
الضجر وقالت :

« عفواً فما أنا طفيلية في سؤالي ، وإنى لأرجو
السيد أن يساعني ، فما أقصد حقاً أن أعرف أين
يسكن . »

« لا تقول ذلك يا سيدتى ، فأني أبسكن في .. »
« لا ، لا ، لا ، لا ، لا ، لا ، فاني مدركة الآن
أنني قد أخطأت ، ولكنني لا أستطيع أن اتقلب
على لهثى بأمر هذا المنزل وكل ما يتصل به ، فلقد
كان يبق يوماً ما . وإنى لأحضر إلى هنا في أغلب
الأوقات ، ولكن لجهد التمتع باستعادة ذكريات
تلك الأيام السعيدة . فهل تقبل منى هذا العذر ؟ »
فقال الفتى مترجماً :

« لتصني إلى إذن ، فما بك من حاجة للاعتذار ،
إنى لأسكن في الطابق الأخير فوق سطح الدار —

فصُرب الكابتن دزول على المائدة مرة أخرى
وقال مكرراً كلامه الأول :

« الليلة .. لقد سمعتي ، يا سيدي الركيز ، أقول
إن يدي ستضرب اللطة الضربة الواجبة »

قال الرجل الضخم الجثة في شيء من الرقة :
« ولكن الآن يمرض لنا هذه المسألة : يجب
أن ترسل كلمة لأصدقائنا في القصر الملكي ، وهناك
إشارة متفق عليها . ويجب أن يصحب رجالتنا المخلصون
عربة الملك . فمن هو الرسول الذي يستطيع في هذه
الساعة أن يتوغل حتى الباب القبل ؟ فركز
ريوت عند ذلك الباب ، فتمي وصلت الرسالة إلى يده
فسيتم كل شيء على ما يحب »

فالت السيدة :

« سأأتى أنا بإبلاغ الرسالة »

فرفع الركيز حاجبيه وقال :

« أنت يا كوتس ؟ إننا نعرف أن إخلاصك
عظيم ولكن ... »

فوقفت السيدة وانكأ يدها على المائدة وقالت :

« أصبغ إلى ، في غرفة بأعلى هذا المنزل مسكن
شاب من الريف مخلص وديع كالخراف التي نزعها
هناك ، ولقد قابلته على السلم مرتين أو ثلاثاً .
وسأنته عن مسكنه خيفة أن يكون قريباً من الغرفة
التي تجتمع فيها ، وإنه لطوع يدي إن أردت ، فهو
يكتب الشرقي غرفته وأظن أنه يحلم بي . وسيتقبل
ما أطلب منه فله ، وسيحمل الرسالة إلى القصر »
فوقب الركيز وانحنى ثم قال :

« إنك لم تسبحي لي يا كوتس بأن أتم جلتني
فلقد كتبت لأريد أن أقول إن إخلاصك عظيم
ولكن ذكائك وحسبك لا أحد لمعلمهما »

وكان نبلاؤه القتلان إلى أعلى يكادان يلامسان
عينيه المازنتين . وكان الشخص الثاني سيدة صبية
جميلة ، ذات عيني ترهما حيناً مستديرتين لا أثر
للتصنع فيهما كأنهما عينا طفل بريء ، وترهما مرة
مستطيلتين خداعتين كميون النجر ولكنهما كانا
ساعة هذا الاجتماع حادثين تنطقان بما في نفسهما من
مطامع كميون غيرها من التآمرين ، أما الشخص
الثالث فكان رجل عمل ، وكان محاربا شجاعا صبورا
فعلما يستنشق أنفاسه خلال النار والحديد ، وكان
صاحبه يدعو الكابتن دزول .

ضرب هذا الرجل المائدة بيده وقال في صوت
ثابت قوي :

« الليلة .. الليلة حين يذهب لصلاة نصف الليل .
لقد تبعت من التآمر الذي لا يؤدي إلى نتيجة . واني
لأخفق من الاشارات والرموز والإجتماعات السرية
ومثل هذه المهمة التي تحدث بها . فلنكن خونة
أشرافا ، فإذا كانت لا بد لفريقنا أن نتخلص منه
فلنضرب ضربتنا علناً ، غير مخادعين ولا ملتجئين
للحيائل والاشراك . فالليلة كما قلت . وكما كرر القول ،
الليلة ستضرب يدي هذه الضربة الواجبة ، الليلة
عند ما يذهب لصلاة نصف الليل »

فنظرت إليه السيدة نظرة تقدير وإعجاب والمرأة
وان انعمت في المؤامرات لا تزال أبدا تنحني أمام
مثل هذه الشجاعة المتدفقة . وبرم الرجل الضخم
شاربيه وقال في صوت غليظ بلطفه بحكم العادة :

« إنني متفق معك في هذه المرة ، أيها الكابتن
العزيز ، فليس هناك ما يجنبه من وراء الانتظار ،
فبين يميني القصر من أهدقنا العدد الكافي لضبان
بمجامع مشروغنا »

فستمكن والذى من رؤيته قبل أن تمض عينها
إلى الأبد»

فقال داود متحمساً :

«هات الكتاب ياسيدتى، ولكن هل أتركك
تمودين وحدك فى الشوارع فى هذه الساعة
التأخرة؟ أنا...»

فقال السيدة وقد استطلعت عينها فوجدت
خداعتين كميون الفجر :

«لا. لا - أسرع أنت، فكل لحظة تمر
كأنها جوهرة نفيسة؛ وسيأتى الوقت الذى أحاول
فيه أن أشكر لك طيبتك»

فدس الشاعر الخطاب فى صدره وأتجه إلى السلم
فهبطه مسرعاً. فلما انصرف عادت السيدة إلى غرفة
النائم.

فكانت حركة حاجي الركيز تم عن سؤالها
عما حدث فأجابت :

«لقد ذهب بالكتاب أبه غيباً كما جدى الفم
التي يراها»

فاهتزت المائدة مرة أخرى بإحدى ضربات
الكابتن دزروول وصاح :

«يا الله! لقد نسيت غدارتى، ولا أستطيع أن
أنتى بنبرها»

فسحب الركيز من تحت مظفه غدارة كبيرة
لامعة مزينة قيمتها بالقضة المنقوشة وقال :

«خذ هذه فأنا هناك من غدارة آمن منها،
ولكن حافظ عليها جيداً لأنها تحمل اسمي وشعارى،
وأنا بالفعل مشتبّه فى أسرى. وفيما يختص فى سأتبعد
الليلة عدة فراسخ عن باريس. وسيشرق على صباح
التد فى قصرى، تفضلى ياسيدتى الكونتس»

وبينا كان التأمرون مشغولين بهذا الحديث
فى غرفتهم كان داود يهذب بعض أبيات من الشعر
وجمها إلى «حسنة السلم» ولم يلبث أن سمع
طرقاً خفيفاً على باب غرفته، وما كاد يفتحه حتى
اضطرب قلبه إذ رأى الحسنة الذى يتغنى بها واقفة
على عتبة تلهت مفتوحة العينين برينة النظرات
كالطفل، وكأنما هى فى ضيق شديد وما رآه حتى
قالت فى صوت متقطع :

«سيدى، إني أجيئك الآن جازمة، وإني
لأعتقد أنك طيب صادق ولا أعرف سواك من
أجأ إليه للمساعدة. ولو رأيته وأنا أجري فى
الشوارع وسط الرجال المختالين بأنفسهم! ولكن
دفعنى إلى ذلك ياسيدى أن أمى فى حالة النزاع؛
وخلّى ضابط فى حرس الملك؛ ولا بد من أن
يسرع إليه أحد فيأتى لى به. وإني لأرجو»

وهنا وضعت السيدة فى يد الفتى رسالة مختومة
ومضت تقول :

«أذهب إلى الباب القبلى - الباب القبلى
لأنس ذلك - وقل للحرس الذين يجدهم هناك :
«لقد غادر البازى وكره» وعندئذ يسمحون لك
بالمرور، فأقصِد إلى مدخل القصر القبلى وكرر
الجملة نفسها، وسلم هذا الخطاب للرجل الذى يجيبك
بقوله : «دعه يضرب متى أراد». فهذه كلّة المرور
التي أطلقني عليها. عني ياسيدى، لأنه فى وسط
الاضطراب الحاضر فى البلاد، وبينما يوجد قوم
يتآمرون على حياة الملك لا يستطيع أحد بدون
هذه الكلمة أن يدخل إلى القصر بعد هبوط
الظلام؛ فإذا أنت حملت إليه هذا الخطاب ياسيدى

مائلة للسواد وقد انحنى إلى الأمام . وقال يخاطب ذلك الرجل :

« لقد رفعت إلى مسامعك يا مولاي أن
القصر يوجع بالخونة والمتآمرين كما توجع السرايب
بالفيران . ولقد كنت تظن يا مولاي أن ما أقول
ليس إلا من نسج خيالي . وهذا الرجل استطاع
الوصول إلى أبواب جدرانك بأعضاء الحراس ،
وكان يحمل خطاباً أخذته منه . وهأنذا قد جئت به
إلى حضرة جلالتك حتى لا تظن غيري مبالغاً فيها
فأجفل الملك في كرسيه ونظر إلى داود بعينين
أثقلتهما غشاوة معتمة وقال :

« سأسأله بنفسي »

فتنى الشاعر ركبته . وسأله الملك :

« من أين جئت ؟ »

« من قرية فيرنوى فى مقاطعة إرايه لوار
يا مولاي »

« وماذا تعمل فى باريس ؟ »

« أو .. أود أن أكون شاعراً »

« وماذا كنت تعمل فى فيرنوى ؟ »

« كنت أرمي أغنام أبى »

فأجفل مرة أخرى وازاحت النشأة عن
عينيه وقال :

« آه — فى الحقول ! »

« نعم ، يا مولاي »

« كنت تمشى فى الحقول وتخرج فى نسيم
الصباح الطرى فترقد على الحشائش داخل السياج .

وهناك ينتشر القطيع على جانب التل . وتشرب أنت
من ماء النهر المنفى ، وتأكل خبزك الأسود اللذيذ
فى الظل ، وتصنى دون شك للطيور السوداء وهى
(٦)

ونفخ المركب الشمعة فأطفأها ، ولفت السيدة
نفسها جيداً بمطفاها وهبط الثلاثة السلم فى هدوء ،
ولم يلبثوا أن اندسوا بين المارة على إفرز شارع كوتنى
وأسرع داود حتى وصل إلى الباب القبلى لقصر
الملك ، وهناك صوب أحد الحرس حربته إلى صدره ،
ولكنه لم يلبث أن حولها عنه بهذه الكلمات :

« لقد غادر البازى وكرة »

فقال الحارس :

« مر يا أخى ، وأسرع »

وعند الدرج الجنوبى للقصر تحرك الحرس
للقبض عليه ، ولكن كلمة الرور لم تلبث أن فتحت
له الطريق . وتقدم أحد الحرس منه وقال : « دعه
يضرب . . . » ولكن حركة عنيفة وسط الحرس
أنبأت عن أمر مفاجئ ، فقد شق الطريق فجأة
وسط الحراس رجل حاد النظر عليه سياء الجندية
وأمسك بالخطاب الذى كان داود يحمل فى يده ،
وقال له :

« تعال معى »

ودخل به إلى الردهة الكبرى ، وهناك فض
غلاف الخطاب وقرأه . ثم أشار إلى رجل فى ملابس
الفرسان اتفق مهروده فى هذه اللحظة ، وقال :

« كابتن تيترو . . . أسرع بالقبض على حرس
المدخل الجنوبى وأودعهم السجن ، وضع مكانهم
رجلاً ممن لا شك فى ولائهم »

ثم وجه الحديث إلى داود فقال :

« وأنت تعال معى »

ثم قاده فى ممر وصل منه إلى غرفة صغيرة تؤدي
إلى حجرة فسيحة حيث جلس فى كرسي كبير من
الجلد رجل تبدو عليه أمارات الحزن يرتدى ملابس

تتني بين الأحراج . أليس ذلك هو شأن الراعي ؟
فأجاب داود متنهداً :

« هو ذاك يا مولاي ، وكذلك يصنى إلى النحل
فوق الأزهار ، وقد يصنى كذلك إلى جنة العنب
وهم يشنون »

« نعم ، نعم ، قد يصنى إلى جنة العنب ولكن
الذى لا شك فيه أنه يصنى للطيور السوداء ، فهي
غالباً ما تتنى في الأحراج ، أليس أمرها كذلك ؟
» إنها لا تتنى في مكان آخر بأحلى مما تتنى في
إبراهيم لوار . ولقد حاولت أن أصف غناها في بعض
الأشعار التي أنشأتها »

فسأله الملك في لهفة شديدة :

« أتستطيع أن تكرر على سمى هذه الأبيات ؟
فند زمان بعيد أصنيت للطيور السوداء . وإنه لا أكبر
من الملك أن يستطيع إنسان تصوير غناها تصويراً
صادقاً ... وكنت في المساء تدفع الأغنام إلى حظيرتها
ثم تجلس في هدوء واطمئنان ، فتأكل خبزك الهنيء !
هل تستطيع أن تكرر هذه الأبيات أيها الراعي ؟
فقال داود في حماسة ملؤها الاحترام :

هذه هي يا مولاي :

« أيها الراعي الكسول ! انظر خرافك الصغيرة
وهي تثب مرححة فوق الأعشاب
» وانظر إلى فراثها تهتر في النسيم
» واصنع إلى إله الرعاة ينفخ في أرغوله
» فيترجم أفعال الطيور وهي تقول : -
« اصنع إلينا ونحن نصيح فوق العصور ،
» وانظر إلينا ونحن نقض على أغنامك
» نلتقط منها الأصواف التي تدق أوكارنا »

« على فروع ال... »

هنا قطع هذا الحديث صوت أجش يقول :

« يأذن لي مولاي أن أسأل هذا الزن سؤالا
أو سؤالين . فليس لدينا من وقت نضيمه قبل أن
نعمل . وإنني لأسأل مولاي العفو إذا كان انتهى
بسلامة جلاتكم قد أدى إلى هذه المقاطعة التي قد
تسوءكم »

فقال الملك :

« إن اخلاص الدوق دومول أكبر من أن
يسبب لي أي امتناص أو غضب »
ثم غاص الملك في كرسيه وعادت النشاة
فاستولت على عينيه . فقال الدوق :

« وسأبدأ بأن أقرأ لجلالتكم الخطاب الذي حملة
هذا الفتى وهذا هو :

« الليلة هي ليلة ذكرى وفاة ولي العهد . فإذا
خرج كعادته لحضور صلاة نصف الليل على روح
ابنه ، فإن البازي سيفرب ضربته عند زاوية شارع
اسبيلاند ، فإذا كانت هذه هي نيته فضع نورا أحمر
في الغرفة العليا في الركن الجنوبي الغربي من القصر
حتى يأخذ البازي أهبة »

ثم قال الدوق في شدة :

« أيها الفلاح ، لقد سمعت هذه الكلمات ، فمن
الذي أعطاك هذه الرسالة لا يصالها إلى القصر ؟
فقال داود في لهجة الجد :

« سأخبرك يا مولاي الدوق ، لقد أعطاني
هذه الرسالة سيدة قالت إن أمها مريضة وإن هذه
الرسالة تستدعي خلها ليقيم إلى جانب فراش أخته
وهي تموت . ولم أكن أعرف ما يحتوي عليه »

الليل ، فهل تقبل هذه التجربة ؟ »
فابتسم داود وقال :

« لقد نظرت إلى عينيها ، فبرهاني في يدي ،
ولك أن تجري تجربتك على ما تريد »

وفي الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثلاثين
مساء وضع الدوق دومول يده مصباحاً أحر في نافذة
بالركن الجنوبي الغربي من القصر ، وفي الساعة
الحادية عشرة والدقيقة الأربعين خرج داود من
الحجرات الملكية مرتدياً ملابس الملك من قبة
رأسه لأخص قدمه متكئاً على مساعد الدوق حانياً
رأسه إلى الأمام حتى وصل إلى العربة المنتظرة أمام
السلم الخارجي ، فسانده الدوق في دخولها وأقبل
الباب . فسارت العربة في طريقها إلى الكاتدرائية .
وفي قبيلة (كي فيف) أمام بيت في زاوية شارع
اسبيلناد اختبأ كابتين يترو مع عشرين من رجاله
مستعدين للاقتضاض على المتأمرين عند ما يظهرون

ولكن يظهر أنه لأمر ما عدل المتأمرين في
خطتهم . تمديلاً طفيفاً . فبا وصلت العربة الملكية
شارع كريستوفر ، وهو أقرب في الطريق من شارع
اسبيلناد ، حتى اندفع منه كابتين دزورول وعصايته
التي عقدت النية على قتل الملك ، فهاجموا العربة .
وعلى الرغم من أن الحراس المحيطين بالركب قد بوغتوا
بهذا الهجوم المفاجيء فانهم ترجلوا وقاتلوا المهاجمين
مستبشرين . واسترعى قارع الأسلحة ونحيج القتال
أنظار كابتين يترو ورجاله فاسرعوا لنجدة اخوانهم ،
ولكن حدث في الوقت نفسه أن ثارت نفس كابتين
دزورول ، بعد أن استولى عليه اليأس ، فالتقى على
باب العربة وفتحته بعنف وصوب غدارته إلى صدر

خطابها ، ولكنني أستطيع أن أقسم أنها جميلة
وطيبة »

فقال الدوق آسراً :

« صف لنا المرأة وقل كيف أصبحت رسولها
الأبلة »

فقال داود مبتسماً ابتسامة رقيقة :

« أصفها ؟ انك بذلك تأمر الكلمات أن تأتي
بالمعجزات ! أنها يامولاي مخلوقة من شعاع
الشمس تحيطها هالة رائعة ، هيفاء كشجرة الحور ،
إذا خطرت اكتنفها المغلفة من كل ناحية ،
وعيناها تتغيران وهي تحدثك ، فهما في لحظة
مستديرتان ، وفي لحظة أخرى نصف غامضتين كما
تظل عين الشمس من بين سحابتين . إذا جاءت
فالسما حولها ، وإذا ذهبت تركت وراءها شذاً
يسحر النفوس ، لقد جاءتني في شارع كونتي رقم
٢٩ »

فالتفت الدوق إلى الملك وقال :

« إنه البيت الذي كنا نراقبه ، فشكراً للسان
الشاعر ، فقد رسم لنا صورة من الكونتس ليبيدو
مفصوحة السمعة »

فقال داود في لهجة الجد :

« صاحب الجلالة ، ومولاي الدوق ، أرجو ألا
تكون ككأنى العميسة قد ظلمت أحداً . لقد نظرت
إلى عيني هذه السيدة ، وإلى لأراهن يحياي على أنها
ملاك دون نظر إلى أمر هذا الخطاب »

فأحرق الدوق فيه النظر وقال في هدوء :

« إنني سأخبرك ، فستلبس ملابس الملك ،
وتذهب بنفسك في عربة له لحضور صلاة نصف

وهب داود واقفا فنفذ عوامل القلق والفكرة الحوشية التي استولت عليه ، وأدار وجهه إلى طريق القرية وعاد من حيث أتى . وما كاد يقطع الطريق حتى كان قد زال من نفسه كل أثر لفكرة الهجرة والبعد عن وطنه ، ومرا بمخيلة الغم التي ريعت من وقع أقدامه في هذه الساعة التأخرة من الليل ، فأحس من حركاتها بجمرة الحنين إلى الوطن فتسلل في هدوء إلى غرفته الصغيرة حيث رقد على فراشه شاكرًا لله أن نجت قدمه هذه الليلة من الانزلاق في طرق المخاطر .

وما كان أعرف الفتى بقلب المرأة ! ففي المساء التالي كانت إيفون واقفة مع الفتيان والفتيات المتجمعين حول البئر للاشتراك مع القسيس في الصلاة ، وكانت الفتاة تنظر من طرف عينها باحثة عن ... ولو أنه يخيل إلى من يرى فيها الجامد أنها قاسية لم ترحم ، ورأى داود نظرتها ورأى على فيها ما يناقض النظرة فادرك أنها تحاول أن تخفي بحركة فيها حقيقة شعورها فلاطفها ، وبعد فترة حطى - وهما عائدان في الطريق - بقبلة من ذلك الغم الذي أصطنع الجفاء

وبعد ثلاثة أشهر من تأريخ ذلك اليوم تزوج الحبيبان ، وكان أبو داود ميسر الحال كرماء ، فأقام لزوجها عرسًا سمع بهظمته الناس إلى مسافة ثلاثة فراسخ . وكان العروسان محبوبين من أهل القرية جميعًا ، فر اللوكب في الطرق وأقيم المرقص فوق الأرض الخضراء ، وأحضر من بلدة درو بعض اللاعبين لتسلية الضيوف .

ومضى عام ومات والد داود ، وورث الفتى عنه البيت والقطيع . وكانت زوجته دون شك أطف

الميسر الأسود القابع في داخلها وأطلق النار .
والآن ، وقد أقبلت النجدة من الجنود المخلصين فقد علا الضجيج والصياح مصحوبًا بمقعة السلاح . على أن الخيل الجالفة قد اندفعت بالعربة على غير هدى وعلى فراش العربة رقدت جثة الملك الكاذب المسكين والشاعر الراعي ، وقد قتل برصاصة من غدارة السيد المركيز دي بويترز .

الطريق إلى الصليحة

قطع الفتى ثلاثة الفراسخ في خط مستقيم ، ثم وقف متحيرًا ، فقد التقت الطريق بطريق أخرى أوسع منها ترسم معها زاوية قائمة . فبقى لحظة لا يستقر على رأى ، ثم جلس ليستريح على جانب الطريق . لم يكن الفتى يعرف إلى أين تؤدي هذه الطرق ، وخيل إليه أن وراء كل منها دنيا واسعة مليئة بالفرص الحسنة وبالاختار أيضًا . وبعد أن جلس فترة يفكر وقمت عينه على نجم مثاليء في السماء ، وهو نجم اتفق هو وإيفون على أن يسمياه بنجمهما . فحوت رؤيته أفكاره إلى إيفون ، فسأله نفسه ألم يتسرع في مفاداة القرية على هذه الصورة ؟ وهل يصح أن يترك حبيته ويسته لغير سبب إلا أنه تبادل وهذه الحبيبة بضع كلمات حارة ؟ وهل كان الحب شيئًا هشًا تقصفه الغيرة - وهي دليل صدقه - بمثل هذه السهولة ؟ وذكر أن الصباح يحمل دائمًا الشفاء للرؤوس التي يصدعها المساء . ورأى أن الوقت لا يزال متسمًا أمامه للمودة دون أن يشعر أحد من أهل القرية التيام بخروجه منها . لقد كان قلبه ملكًا لإيفون فهناك في القرية حيث عاش طوال عمره يستطيع إلى جانب حبيته أن يقول الشعر وينعم بالسعادة .

يقضى وجهه ناعساً : وأدركت الدثاب أن صياغة الشعر والناس صنوان من الوجهة العملية ، فواصلت حملها على القطيع ، واستمر عدد الخراف في نقصان ، وازداد خلق إيفون سوءاً تمشياً مع ازدياد ما يهدد حياتها البيتية من شقاء ، فكانت أحياناً تقف في الغناء وترفع صوتها لتسمع زوجها القابع في غرفته ماتنهال عليه من ألفاظ قاسيات .

وكان مسيو دابينو المسجل المجوز رجلاً شقيقاً يتدخل في شئون أهل قريته ينصح لهم بما يفيدهم ؛ وقد رأى ما صارت إليه حال داود فقصده إليه يوماً وقال : -

« يا صاحبي ميجنوت إني أنا الذي ختمت شهادة زواج أيبك ، لذلك يؤلني أشد الألم أن أضطر يوماً لنشر ورقة تعلن إفلاس ابنه ؛ ولكن هذه هي النتيجة التي أراك سائرًا نحوها . فاصغ الآن لما أقول لك ، وثق أي أخطبك كمصديق قديم : إني أراك عاقدًا عزيمتك على مواصلة حياة الشعر والخيال . ولي صديق في درو اسمه مسيو بريل - جورج بريل وهو عالم يعيش وسط الكتب والأوراق . ويزور باريس كل عام ، وله مؤلفات عديدة . وهذا الصديق العالم الخبير هو الذي يحسن النصيحة لك متى اطلع على شعرك ، فأما نصيح لك بالفي فيه أو نصيح لك بالمود إلى العناية بأمرائك وأعمالك ، فإن شئت كتبت له خطاباً تحمله إليه وتصني لما يدلي به إليك » فقال داود :

« أكتب الخطاب وإنه ليؤلني أنك لم تخاطبني بذلك قبل هذا اليوم زمان »

وعند شروق شمس اليوم الثاني كان داود يسير

وألقى امرأة في القرية ؛ شديدة العناية بأواني اللبن وأوعية الطهي ، فهي دائماً نظيفة لامعة ، وكانت إلى جانب ذلك ناعمة الصوت إذا غنت أشجت السامعين .

ولكن جاء يوم فتح فيه داود درجاً مقللاً منذ زمان ، فأخرج منه أوراقاً وقرض بأستانه طرف قلم من الرصاص ، وكان الربيع قد أقبل وحرك أوتار قلبه ، وما من شك في أنه كان شاعراً ، فقد نسى إيفون وهام قلبه بحال الطبيعة وما تمثل فيها من بهاء وعظمة . وقد أثر في نفسه تأثيراً غريباً ذلك الشذا الجميل المنبعث من الغابات والمرامى .

وكان من قبل يذهب كل يوم بقطيعه ويعود به في المساء سالماً إلى حظيرته . أما الآن فقد ألف الرقاد إلى جانب السياج يرص الكلمات بعضها إلى جانب بعض على صفحات القوطاس ، تاركا الغنم تشرذ في كل مكان ، وأدركت الدثاب أن أهمهاك الراعي في صياغة الأشعار تيسر لها الانقضاض على فرائسها المشبهة ، فكانت تسلسل من الغاب إلى المرعى تحطف ماتشاء من الخراف .

ونحنا محصول داود من الشعر وتناقص عدد قطيعه ، وتسربت الحدة إلى أخلاق إيفون وقلت عنايتها بأوانها ولكن عينها ما زالتا محتفظتين بيريقيهما ؛ ولقد صارت زوجها بأن إهماله قد أدى إلى نقصان عدد القطيع وأنه سينزل الدمار بالبيت فاستأجر داود غلاماً يرعى الأغنام عليه ، وحبس نفسه في غرفته الصغيرة بأعلى البيت مكباً على صياغة الأشعار . وكان الغلام الذي استأجره لرعاية الغنم شاعراً بطبيعته ولكنه لم يكن يعرف الكتابة فكان

« لقد كان الأمر كما تقول »
 فقال مسيو بريل وعيناه تدوران في بحر كتبه
 كأنهما تسيران مدى الأفق :
 « لقد قرأت شعرك فأنظر من خلال هذه
 النافذة وقل لي ماذا تري هناك على الشجرة يامسيو
 ميجنوت »
 فنظر داود وقال :
 « أرى غراباً »
 فقال مسيو بريل :

« هنالك طائر ، وهذا ما يساعدني على أداء
 واجبي ، فهل تعرف هذا الطائر يامسيو ميجنوت ؟
 إنه فيلسوف الجو ، إنه سعيد بقناعته بحظه ، وليس
 هناك من هو أسعد منه بنعيمه وعينيهِ المتقلبين
 وخطواته الطروب المرحه ، والحقول تزوده بما يطلب ،
 وهو لا يحزن أبداً لحرماته من ريش جميل بهيج اللون
 كريش الصفارة الجليل . ولقد سمعت يامسيو ميجنوت
 النغمة التي خصصتها للطبيعة . فهل تظن أن البلبل
 أسعد من هذا الطائر حالا ؟ »

فهب داود واقفاً ، ونهب الغراب نعيماً عالياً من
 موقفه فوق الشجرة وقال داود في ببطء :
 « شكراً لك يامسيو بريل ، إذن لم تجد نغمة
 واحدة من نغات البلبل بين كل هذا النيب ؟ »
 فقال مسيو بريل متنهداً :
 « لو وجدت لما خفيت علي . لقد قرأت كل
 كلمة . فدع الشعر أيها الرجل ، ولا تحاول أن تماجه
 مرة أخرى »
 فقال داود ثانية :
 « أشكر لك نصيحتك وسأعود الآن إلى غنمي »

في طريق درو متأبطاً حزمة شعره النفيس . وعند
 ذلك نفث التراب عن نعليه أمام بيت مسيو بريل .
 وفضّ الرجل العالم غلاف خطاب مسيو باينو ، فلما
 قرأه أدخل داود إلى مكتبه وأجلسه على مقعد كأنه
 الجزيرة وسط بحر من الكتب .
 وكان مسيو بريل رجلاً حيّ الضمير ، تناول
 حزمة الورق التي تحتوى شعر الفتى فكسر خاتمها
 وأخذ يقرأ ما فيها بسرعة العالم الخبير ودقة الناقد
 الصادق .

وكان داود في الوقت نفسه جالساً يضطرب في
 وسط ذلك البحر من العلوم ، وقد خيل إليه أن
 نصف العالم لا بد أن يكون من المؤلفين .

وانتهى مسيو بريل من قراءة المجموعة كلها
 فرفع نظارتيه عن عينيه ومسحهما بمنديل وسأل داود :
 « ها ، يتمتع صديقي باينو بصحة جيدة ؟ »
 فأجاب داود :

« إن صحته على خير ما يكون »
 « كم عندك من النغم يامسيو ميجنوت ؟ »
 « ثلاثمائة رأس وتسعة رؤوس عند ما عدتها
 أمس . وقد أصاب القطيع سوء الحظ فأنحدر إلى
 هذا المبد بعد أن كان عدده ثلاثمائة وخمسين رأساً »
 « ولك زوج وبيت وتعيش في رخاء وتر النغم عليك
 الخير الوفير وتذهب يومياً إلى الحقل تستنشق الهواء
 الجيد وتأكل الحبز الأسمر اللذيذ . وليس عليك أن
 تبتفظ وتسكن هناك على صدر الطبيعة مصغياً إلى
 صفير الطيور السوداء بين الأحراج . . . فهل أنا
 مصيب الحقيقة ؟ »
 فقال داود :

أن تكثر من مفادرة البيت والجلوس مع الجيران .
ولكن النار كانت مشتعلة في موقد الطبخ ، ففتح
داود باب الموقد وألقى بشعره فوق الفحم المتقد .
فكان لاحتراق الأوراق صغير خشن فقال الشاعر :

« هذا نقيب الغراب »

وصعد إلى غرفته فأقبل عليه بها . وكان الجو
هادئاً فسمع كثير من الرجال صقوت الطلق النارى ،
فجروا هناك وهناك ، وصعدوا درج السلم حيث استرعى
نظرهم الدخان .

ووضع الرجال جثة الشاعر فوق فراشه ، ومحاولين
أن يخفوا عن الأعين ريش الغراب المرقق : وتحديث
النسوة معبرات في سيل من الألفاظ عما شعر به
من شفقة وأسف ، وجرت بعضهم يحملن الخبر
إلى إيفون .

وكان أنف مسيو باينيو الذى يشم رائحة شئون
الناس قد جذبته إلى دار القليل في طليعة القادمين
فالتقط الندارة ففحص يدها الحلالة بالفضة فخص
الخبير وقد بدت عليه أمارات الأذى .

وقال يخاطب القسيس :

« أرى على هذه الندارة شعار السيد الماركيز

دي بويرتيز »

عبر الخبير ممدى

« ألا تتناول النداء معي فأريك ماخفي عليك ؟ »
« لا . إذ يجب أن أعود إلى حقلى فأرعى قطيعي »
وعاد داود في طريق فيرنوى متباطئاً شعره .
فلما وصل إلى قرية مال إلى حائوت يهودى من أرمينيا
اسمه زيمجلر يتجر بكل ما يصل إليه من أنواع البضائع
وقال له داود :

« يا صاحبي . إن الدئاب تأتي من الغابة فتسقطو
على غنمى وتخطفها ولا بد لي من سلاح لأحميها .
فأى نوع لديك من السلاح ؟ »

فد زيمجلر يديه وقال :

« إن هذا اليوم من أسوأ أيامى يا صاحبي ، إذ
أراني مضطراً أن أبيعك سلاحاً لن تدفع فيه عشر
ثمنه . في الأسبوع الماضى فقط اشتريت من بائع
متحول عربية من البضائع ابتاعها في مزاد على
حساب التاجر . وهو مزاد فيه قصر وأمتعة
سيد عظيم — لا أعرف لقبه — كان قد نفى لتأمره
على حياة الملك . وبين هذه البضائع مجموعة من
الأسلحة النارية القيمة . وهذه الندارة التى أقدمها
إليك خليقة بأن تكون سلاح أمير من الأمراء !
ولن أقضاض منك ثمنها أكثر من أربعين فرنكا
يا صاحبي ميجنوت ، وبذلك أخسر عشرة فرنكات
من ثمن المشتري ، ولكن قد تراها من الطراز القديم ..
فقال داود وهو يلقي الثمن على مائدة التاجر :

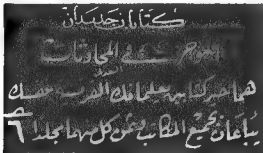
« إنها كافية ، فهل هى محشوة ؟ »

قال الرجل :

« سأحشوها وإن دفعت عشرة فرنكات

أخرى أعطيتك كمية من الدخيرة والرصاصة »

وضع داود الندارة تحت معطفه وسار إلى بيته
فلم تكن إيفون هناك فقد تمردت في العهد الأخير



شجرة عيد الميلاد

للفن صبي الرومي فيرور رستريفي
بقلم نوستاذعة للطيف لنشاز

ولم أك أدنو منه في
الركن الذي هو جالس به
حتى تزايت ابتسامة كانت
مرتسة على وجهه . وعلا
وجهه العيوس . ولم يكن
يعرف أحداً ممن بالحفلة
غير صاحب المنزل ، وقد
أبدى كل علامة على السأم

والملاة وإن كان قد بقي إلى نهاية الحفلة وبه من
الشجاعة ما بأى إنسان يقاوم نفسه حتى يحملها على
ماتكره . وقد علت فيا بعد أنه من أهل الأقاليم ، وأنه
جاء إلى العاصمة في أمر شديد الخطر والخطورة ، وأنه
كان يحمل خطاب توصية إلى مضيفنا ، فدعا هذا
من باب المجاملة إلى حضور الحفلة . ولكن أحداً لم
يدعه إلى لعبة الورق ولم يقدم إليه لفافة تبغ ولم يبدأ
معه حديثاً . وللمهم كانوا ذوى فراسة فعرفوا
الطائر في مسبحه بالجو من لون ريشه . لذلك قضى
الليل في قتل شاريه . وكان شارباه جميلين ، وليكنهما
كانا كبيرين حتى ليخال من يراه أن الله خلقهما
أولاً ثم خلق هذا الرجل تابعا لهما لكي يقتلها

وكان من المدعويين رجل آخر استرعى انتباهي ،
ولكنه من نوع غير هذا النوع ، فأن مجرد النظر
إليه يدل على أنه صاحب شخصية . وكانوا يدعونه
جوليان ماستا كوقش

وكانت النظرة الأولى إليه تدل على أنه موضع
الحفاوة والتكريم ، وأن مركز صاحب المنزل منه
مركز صاحب الشاشرين الطويلين من صاحب المنزل .
فقد كاد لا يتقطع مسيل الفكاهات والطرائف التي
يتحدث بها إليه صاحب المنزل وزوجه ، وهما كثيرا

منذ أيام شاهدت عرساً . . . ولكن لا ، فلن
أتكلم عن العرس بل عن شجرة عيد الميلاد . . .
لقد كانت حفلة العرس جميلة وأحببتها جداً شديداً
ولكن حادثة شجرة عيد الميلاد أجمل ، ولا أعرف
لماذا أتذكر شجرة عيد الميلاد كلما رأيت عرساً . . .
ولكن هذا هو الذي حدث :

منذ خمسة أعوام كلمته دعاني إلى حفلة راقصة
أقيمت للأطفال خصيصاً رجل من أغنياء التجار له
قربانه ، وله معارفه وله أيضاً دسائسه . وقد
ظهر لي أن تلك الحفلة لم تكن إلا ذريعة لكي يجتمع
الآباء والأمهات ويتحدثون فيما بينهم بتلك الزاهية
المتعاد

وكنيت دخيلاً في هذه الحفلة لأنه لم يكن لي
بأحد شأن خاص . لذلك كان في استطاعتي أن
أقضي هذه الحفلة بينهم وأنا بمنزل عن كل واحد
منهم . وكان بين الجلوس واحد يشابهني في ذلك ،
فكان لهذا السبب أول من استرعى انتباهي ، ولم يكن
مظهره دالاً على أنه ابن أسرة كبيرة وأنه نبيل المولد .
وهو طويل القامة نحيل جداً ، تبدو عليه علامة البالية
في الجد والوقار . وهو شديد الاناقة في ملبسه ،
ويظهر أنه لم يكن يميل إلى هذه الاجتماعات العائلية

جالساً فيها جلست في ركن منها وفي يدها الدمية تلاعبها

وكان كل من الضيوف يحدث جاره بأن أبلها من أغنى التجار وبأنه منذ الآن قد أعد لها بائنة قدرها ٣٠٠ ألف روبل .

ولما التفت إلى الجماعة الذين سمعهم يتحدثون بهذا وقع نظري على جوليان ماستاكو قتش فوجدته واقفاً ينصت إليهم ويداه مشبكتان خلف ظهره ، ورأسه مائل إلى أحد الجانبين . وكنت طول هذا الوقت أعجب من الذكاء الذي أبداه صاحب المنزل في توزيع الهبات على الأطفال ، فالطفلة التي أعدها أبوها بائنة كبيرة تهدي أحسن لعبة ، وسائر اللعب تقسم وفق مراكز الآباء في الحياة الاجتماعية

وكان آخر طفل دعي لتقدم إليه هدية يبلغ من العمر عشرة أعوام ، وهو هزيل أحر الشعر ضعيف البنية . وكانت هديته كتاب قصص ليس فيه صور ولا رسوم . وهو ابن المرية ، وهي أرملة مسكينة . وشكل الطفل دال على الحزن ، وعليه كساء رث ، فتناول كتابه وانساب في بطنه بين الأطفال جاني اللعب

وقد كان يود أن يسئل أي شيء ليلعب معهم ولكن كيف وليست له لعبة ؟

إنني من الذين يحبون أن يراقبوا الأطفال ليروا كيف تناضل أرواحهم روح الجماعة

وقد لاحظت أن الألعاب الأطفال كانت سحراً وفتنة في نظر الطفل الأحمر الشعر . وشرع الأطفال يلعبون فأصر على أن يلاعبهم وعلى أن يناضل لو منعه ، فاقبسم وسار نحو واحد منهم فأقامه من مكانه (٧)

الالتفات إليه يدنون منه ويحومان حوله ويستجمعان الضيوف لتقديعهم إليه . ولكنهما لا يقودانه ليقدماه إلى أي إنسان . وقد رأيت الدموع تفرق في عيني صاحب المنزل وفي عيني زوجة لما قال جوليان ماستاكو قتش إنه قلما قضى ليلة سارة كهذه الليلة . وقد أخذت بعد انتهاء الحفلة أشعر بالسأم من هذا الضيف فانصرفت إلى الأطفال أتسلى بملاحظتهم ، وكان خمسة منهم يستحقون النظر والملاحظة ، فهم شهادة ببناء أمهاتهم بهم ؛ ثم تركت الغرفة بعد ذلك إلى الغرفة المجاورة ولم يكن فيها أحد ، جلست في طرفها المجاور للمكان الزجاجي المد لحفظ الأزهار في غير فصولها

وكنت لا أزال من مكاني هذا أراقب الأطفال والحق أن رؤيتهم تسحر

لقد كانوا يأبون عما كاة من أمم أكبر منهم على الرغم من الجهود التي كانت تبذلها أمهاتهم ومربياتهم ؛ ولم تخمس ساعة حتى نبج هؤلاء الأطفال في تجريد شجرة عيد الميلاد من أوراقها وأعوادها وفي كسر أكثر من نصف الألعاب المعلقة فيها قبل أن يقتسموا تلك الألعاب بينهم

وكان أحد هؤلاء الأطفال فتان الحسن أسود العينين مجعد الشعر ، وقد أصر في عناد على تصويب بندقيته بحوى ، وقد استرعى نظري كثيراً ، ولكن أخته استرعت نظري أكثر مما استرعه . وهي في عامها الحادى عشر ، ولا يقل جمالها عن جمال كيوييد ؛ وتبدو عليها علام المداة والتفكير . وعلى عينيها الواسعتين ونم الأجلام ؛ وقد أغضبها الأطفال لما مرما فتركهم وانسحبت إلى الغرفة التي كنت

يمثل حالة الخطيء الذى يؤنبه ضميره وانتصب على أطراف أنامله أمام الفتاة وانحنى يقبلها وهو يتسم وقد كان إقباله نحوها على غير انتظار حتى أنها صرخت، عند تعجيله بإيها صرخة فزع .

قال لها بصوت خافت وهو يقرص خدها :
« ما الذى تفعلين هنا يا بنية ؟ فأجابته : « نحن نلعب »
فقال بلهجة المستنكر : « مع من ؟ مع هذا ؟ »
وأشار إلى ابن الرية ثم قال له : « يجب أن تذهب إلى الغرفة الأخرى »

ظل الطفل صامتاً وهو ينظر محملاً في وجه الرجل ، فدار جوليان ماستا كوفتش بنظره في الغرفة ثم أكب على الفتاة وقال : « ماذا مكن يا عزيزتى ؟ دمية ! » فأجابته : « نعم ياسيدى » وقد قطبت حاجبها وهي تجيب . قال : « دمية ؟ ومن أى شئ تصنع الدمية ؟ »

فأحنت رأسها وقالت : « لا أعرف ياسيدى »
قال : « تصنع من الخرق » ثم نظر إلى الطفل وقال : « اذهب أنت إلى الغرفة الأخرى التى فيها الأطفال » .

وكانت نظره إلى الطفل فى هذه المرة نظرة قاسية ، فقطب الطفلان وتشبث كل منهما بالآخر وأيا أن يفترقا ، فقال جوليان وهو يخفص من صوته : « وهل تعرفين لماذا أعطوك هذه الدمية ؟ » فقالت : لا .

قال : « لأنك كنت طيبة - طيبة جداً طول الأسبوع » قال ذلك ثم همراه اضطراب شديد ونظره حوله فقال بصوت خافت يكاد لا يسمع وبلهجة شديدة الدلالة على فقدان الصبر : « إذا جيئت إلى

وجلس بذله لأن الأطفال كانوا قد جلسوا فى دائرة ولم يتركوا له مكاناً .

ولكن ذلك الطفل حمل عليه فطمه لطمه قوية فلم يلبث أحر الشعر حتى رفع صوته بالبكاء ، وجاءت أمه فنهته عن اللعب معهم فانسحب نحو الغرفة التى كتبت جالساً بها مع الفتاة التى تقدم ذكرها وتركته الفتاة يجلس بجانبها واشتركا فى لباس الدمية . ثوبها . ومضى نحو نصف ساعة ، وكاد الناس يدركنى وأنا جالس أنصت حيناً إلى حديث الطفل أحر الشعر ويشرد ذهنى حيناً . وعلى حين فجأة دخل جوليان ماستا كوفتش وكان قد انسحب من غرفة الجلوس التى أنا فيها عند ما اشتد نجيح الأطفال . ولم يغب عني وأنا جالس أراقبه من الركن الذى أنا فيه أنه كان فى الفترة الأخيرة من الوقت يتخادث مع والدته الطفلة الجالسة مئى فى الغرفة .

ووظل واقفاً بعد الحديث يفكر وكأنه يعد على أصابعه - ثلاثمائة - أحد عشر - اثنا عشر عاماً - خمسة أعوام - سعر أربعة فى المائة - خمسة أضعاف ، ستون وأربعائة -

ويظهر أن هذا الخليث يعجبه الحساب على سعر أربعة فى المائة ، ثم أعاده على حساب ثمانية ، ثم على حساب عشرة .

وخرج من الغرفة فأطال النظر إلى الطفلة . وقد تخطأنى نظره فلم يرنى ؛ ويظهر أن الحساب هو الذى أغفله عني ، ثم مسح يديه وأخذ يتنقل من مكان إلى مكان وهو لا يزال يزداد اضطراباً .

وأخيراً تمكن من ضبط عواطفه وألقى نظره على عروس المستقبل وهم أن يتجه نحوها ، ثم وقف

ودخل تحت المظلة فخار مطاردته ثم أخرج منديله وقتله فجعله كالسوط وضرب به الطفل ليخرجه من مكانه .

ولا بد هنا من الملاحظة أن جوليان كان قوى البنية ضخم الخدين يبدو عليه علام التذنية الجيدة . وكانت أطراف أصابعه كأنها لضخامتها حبات البندق وقد أحالته كراهيته (أو لعلها غيرته) نحو الطفل إلى الجنون المحض .

فحككت من أعماق قلبي فالتفت جوليان ولعلني ذكر في هذه اللحظة احترامه نفسه وكبر أهميته . وفي الوقت نفسه ظهر صاحب المنزل عند الباب وخرج الطفل من تحت المظلة فأخذ يمسح ذراعيه وركبتيه وأسرع جوليان فجمع منديله الذي كان مفتولاً كالسوط وجعله تحت أنفه .

ونظر صاحب المنزل إلى ثلاثتنا نظرة المرتاب ، ولكنه وهو رجل يعرف الكثير من شئون الدنيا قد انتهز هذه الفرصة لينال من ضيفه الكييز الأهمية أكثر مما يستطيع أن يناله منه فقال : « هذا هو الطفل الذي حدثتك بشأنه وأنا أعتقد على فضلك فيما يتعلق به » وأشار إلى الطفل الأحمر الشعر .

ولم يكن جوليان قد استرجع إلى الآن سيطرته على نفسه فقال وهو شارد الذهن : « أهذا هو ؟ »

قال صاحب المنزل : « هو ابن الربية ، وهي فقيرة مسكينة وقد كان زوجها موظفاً شريفاً ، فإن كان في وسعك . . . » فصاح جوليان مقاطعاً : « مستحيل مستحيل ! أرجو أن تمددني يا فيليب ألكسيفنش فلا توجد حال خالية ، وفي قوائم المرشحين نحو عشرة

منزلكم لزيارة أيك فهل تتيحني ياغريزنى ؟ »

وحاول أن يقبلا على أثر هذا السؤال ، ولكن الطفل الأحمر الشعر أمسك يدها كمن يريد أن يحبسها وبكى بأعلى صوته كالستجير . فأنارت حركته هذه غضب الرجل وصاح : « اذهب ! اذهب إلى الغرفة الأخرى حيث يلعب رفاقك » فقالت الطفلة : « لست أريد أن يذهب ، فاذهب أنت ودعه هنا »

وكادت الطفلة تبكي . وسمع وقع أقدام من ناحية الباب فارتعج جوليان ، وكان الطفل الأحمر الشعر أشد منه ارتعاجاً فترك يد الطفلة وتسلسل إلى غرفة المائدة . وكى لا يستريح جوليان نظر أحد ممن بفرقة الجلوس تسلسل هو أيضاً إلى غرفة المائدة ، وكان وجهه قد صار من الاحمرار في مثل لون الحناء ، حتى أن نظرة واحدة منه إلى وجهه في المرأة تكفى لازعاجه . وكان سبب الاضطراب كله أن حسابه أضله فأوحى أن الطفل عقبة في سبيل الثروة التي تنتظره . نعم إنه الآن لا يزال في الماشرة فهو قليل الخطر ولكنه سيصبح خطراً بعد خمسة أعوام أو نحو ذلك . وتبينهما بتظري فوجدت نظرات جوليان صارت كأنها نظرات ثبيان ، وأصبح صوته مسماً . وأخذ يتوعد الطفل . وكان الطفل يتراجع أمام هذا الوعيد حتى لم يعد مكان يتسع لتراجعهم ، وكان جوليان يصيح به :

اخرج من هنا ! ما الذي تصنعه هنا ؟ تسرق الفاكهة ! أليس كذلك ؟ اذهب من هنا يادميم إلى أمثالك !

وأدرك اليأس هذا الطفل المسكين فانتكش

فنظر إلى جوليان نظرة مسمومة وقال لي جاري :
« كلا » ولكن سؤالى وإن أجاب عليه سلباً قد
أثار اهتمام الجميع

ومنذ عهد غير بعيد مررت بكنيسة فرأيت عند
بابها جمعا كبيرا قد احتشد ليحضر حفلة عرس -
وكان اليوم مكفهرأ وقد بدأ المطر يتساقط . واخترت
الصقوف فدخلت فرأيت العريس بدينا مرهلا تبدو
عليه علام التفضية الدسمة . ورأيت رجلا قصيرا
روح ويفدو من طرف الكنيسة إلى الطرف الآخر
وهو لا يكف عن إصدار الأوامر

وأخيرا سمعت أن العروس مقبلة فاندفعت في
وسط الزحام ، ورأيت جمالا عجيبا قد اكتسى بلامم
الحزن العميق

كانت العروس شاحبة مضطربة حتى لقد خلت
أن عينها حراوان من أثر البكاء . وتحت مظهرى الجمال
والحزن طهارة الطفولة التي كانت كأنها تضرع
وتتوسل طالبة الرحمة

وكانوا يقولون إن عمرها ستة عشر عاما .
ونظرت إلى العريس محققا مدققا فعرفت أنه جوليان
مستأ كوقتش الذي لم أكن قد رأيته في الأعوام
الخمسة الماضية . ثم نظرت إلى العروس ورحاك
يارب ولطفك !

رأيتها فوليت فرارا من باب الكنيسة على
عجل ، وسمعت الناس يتحدثون عن غي العروس
وعن باتتها البالغة ٥٠٠ ألف روبل .

قلت في نفسي : « لقد صدق حساب هذا
اللعين » . وأسربت في مشيى فرارا

عبر اللطف النشر

أحق منه . . . إننى آسف »

فقال صاحب المنزل : « مسكين ! مسكين ! »
قال جوليان : « إنه شق شرير . أخرج من
هنا أيها الوغد الصغير . لماذا بقيت حتى الآن ؟
أخرج إلى سائر الأطفال »

ونظر إلى نظرة جانبية وهو عاجز عن السيطرة
على نفسه وأنا أيضا عاجز عن السيطرة على نفسى ،
فضحككت في وجهه ساخرا منه ، فالتفت إلى المضيف
وسأله بصوت يكفى لبلوغ مسمي عمن عسى أن
أكون . وتهامس الرجلان وخرجا من الغرفة غير
مبالين بى .

واهترجسنى من شدة الضحك وخرجت أيضا
إلى الغرفة الأخرى . وهناك رأيت الرجل العظيم
عاطفا بالآباء والأمهات وهو يتكلم باهتمام مع
سيدة قدمت إليه في تلك اللحظة . وكانت تلك
السيدة ممسكة بيد الطفلة ، وكلام جوليان كله إطراء
للطفلة وثناء عليها ، فهو ينتقل من مدح جمالها إلى
مدح مواهبها إلى مدح تربيتها والألم تصنى إليه ولا
تكاد تمنع دموع السرور أن تفيض ، والأب يمدى
علامة لشكره ابتسامة عذبة .

وكان السرور شاملا فاشتراك فيه كل إنسان
حتى الأطفال ، ووقفوا اللعب حتى لا يشوشوا على
المحدثين . وسمعت أم الطفلة وهى تتخير المتقي من
اللفظ في مخاطبة ذلك الرجل داعية إياه أن يتنازل
فيشرف منزلها بالزيارة ، وسمته يقبل الدعوة في تمس
لا يحاول أن يخفيه ، ثم تجمع المدعوون من أرجاء
الغرفة مقلبين نظرم بين والدة الفتاة وبين جوليان .
وسألت جارى بصوت عال سمع الجميع : « هل
هو متزوج ؟ »

أما في كل آن وبمكان تملأ أقبسامها جوانب قلبي
بأى قضاء قدتي إلى الشقاء أيها الغاية المليء ؟
وماذا كان علي أن أقتحم من قبل لأضل إلى هذه
الحياة الحرة ، إلى مثل هذا الولاء والراحة حيث تنبت
أوائل ذرات الآمال .

على م يشكو الناس الحياة ؟ لهم الله ؛ أليس لديهم
الحب ؟ وهل من شيء أعذب من الحب ؟
أفأ يكفي الحب إحساناً أنه يجعل الانسان
شاعراً بالحياة مدركاً بأنه خليفة ربه ؟

حذار أن تشك في الحب فهو سر لن يجده له
تفسيراً ؛ ومهما قيده الناس بأنواع الاغلال وأحاطوه
بالدنايا والأقذار ؛ ومهما تراكم فوقه من المعتقدات
السخيفة مايشوهه ويفسده فإنه ليقى بين هذه
الأقذار القوة النيفة السطيرة ، والناموس الساوى
الذى يتساوى بقدرته وتعاله عن الادراك ، والناموس
الذى رفع الشمس في أفلاكها . .

ماهي هذه الرابطة التى تشد الناس بقيود أصلب
وأمتن من الحديد وهي لأتلس ولا ترى ؟
بصادف رجل امرأة ، فإهي إلا نظرة وكلمة فإذا
هذه المرأة راسخة في تذكاره لايجد إلى محوها من
صفحاته سبيلاً .

من الذى قضى بأن يحدث هذا الانطباع من
ذات هذه المرأة دون سواها ؟

ارجع إلى العقل والاعتقاد والحس ؛ الجأ إلى
رأسك وإلى قلبك وعد بالإيضاح إذا تمكنت منه ،
فإنك لن تجد أمامك إلا جسدتين يواجه أحدهما
الآخر وليس بينهما إلا الهواء والذى .

ما أسخف من يعتقد بأنسانيته ويجسر على
اقتحام الحب لتطيله ، أرايم الحب لتصفوه ؟
إن أحداً يره ، بل شعرتم به شعوراً منكم لم



من أعماق النفوس

لأفريدى موسى
بتم الامتياز فليكن فارس

الجزء الثالث

الفصل السادس

و كنت في ذات ليلة عند مدام يارسون وكان
قد مر على ثلاثة أشهر لم يفتني منها يوم دون أن
أجتمع بها ، وما أذكر من هذه الأيام إلا أنني
كنت أراها ؛ وقد قال لابرويير : يكنى الانسان أن
يوجد قرب من يهوى سواء استغرق في تفكيره
أو تكلم ، وسواء اتجه فكره إليه أو إلى أى
موضوع كان .

كنت عاشقاً . مرت علينا ثلاثة أشهر ونحن
تتمتع بالثروة ساعات طويلة فاطلمت على أسرار
أعمالها اللبرورة ؛ وكنا نجتاز الغابات وهي ممتطية
مهرأ وأنا أمشي وراءها ويبدى عصا صغيرة ، فكنا
نذهب حاملين هماً وجوراً لنقرع أبواب الأكواخ
وكان على مدخل الغاب مقعد خشبي كنت
أذهب فأجلس عليه كل مساء بعد المشاء فالتقي
بها هنا لك كأن الصدفة تسوقنا إلى هذا المكان
بلا موعد .

وفي السهرة كنا نلعب بالورق مع عمها قرب
الموقد كما كان الحال في عهد والدي ، وهكذا كانت

ولو أن هذه الحسنة لم تفتح لي يتيها بمثل هذا الولاء لكتبته عززت عاطفتي بشيء من الاقدام ولم أكتب هذه الأشواق العنيفة التي كانت تهزني هزاً كلاً فارقها ولو إلى حين . ولكن ما كان يدنو لي من صراحة وإخلاص في معاملتها لي كان كافياً لصدى عن كل إقدام ؛ فضلاً عن ذلك فإن مدام ييارسون لم تبذل لي صداقتها إلا استناداً إلى اسم والدي ، وما كان هذا الاعتبار إلا ليزيد في احترايها وفي مني إلى المحافظة على كرامة هذا الاسم .

قيل « إن من تحدث عن الغرام فقد كشف من يحده بغرامه » لذلك لم أذكر الغرام إلا عرضاً في حديثي ؛ وكنت كلما تعرضت لكلمة الحب أرى جليسي تقتضب الكلام وتتحول إلى موضوع آخر ، وما كنت لأعرف لذلك سبباً ، غير أنني كنت في مثل هذه المواقف ألح على وجهها التجمع التآلم ؛ وما كنت سألتها شيئاً عن حياتها الماضية ولا خطر لي أن أفتاحها في هذا الأمر لذلك ضربت صفحاً عن كل محاولة .

وكان يقام مرقص في كل يوم أحد في القرية فكانت تذهب إليه في أغلب الأحيان ؛ وما كانت لتبدل شيئاً من بساطة ملابسها لهذه المناسبة بل كنت تكتفي بوضع زهرة تربطها على شعرها بشريلة زاهية فتردي في رتوق شبابه . وكان الرقص يثير فيها المرح لأنها كانت تحبه كرياضة بريئة . وكان لها مقعدها الخاص قرب جوقة الموسيقى ، فكانت توجه إليه قافزة ضاحكة التجمع بصوت يجلبها ثم تندفع إلى الرقص دون انقطاع . وكنت ألاحظ زوال الكلفة بيني وبينها في هذه الأوقات ؛ وما كنت أشترك في الرقص لأنني لم أزل في مدة الحداد . ولكم خطر لي حين أراها بمرحة أن أتتهز الفرصة لأبوج

لقد تبادلتم النظرات مع شخص مجهول مر بكم فشمعتم فجأة بانطلاق شيء منكم لا يحيط به اسم ولا يحدده تعبير ، فوقف المهرى بكم يشد بأعراقكم إلى الأرض كأنكم حبة الحنطة تشرم بالحياة تستنبت منها سنابل الحصاد .

وكنا جالسين سوية أمام النافذة المفتوحة نطل على حديقة يجرى طرفها ينبوع صغير متصل سقسقته إلى آذاننا . ولكم أعني لو أنني أعيد الآن ما أسألت هذه العين من قطرات ونحن نتبادل الحديث ؛ تلك أويقات كنت أعمل منها حتى لأعني يقولون إنه لا شيء أسرع إلى القلب من الشعور بالنفور ، غير أنني أرى أسرع منه إلى القلب الشعور بالفهم وبترصده الحب للفتاهين . فإن لكل كلمة في هذه المرحلة الأولى قيمة تقوت كل تقدير وما يقف الفكر عند ما تنطلق به الشفاه عند ما تتجاوب في أحاديثها القلوب .

لله ما أحلى هذه النظرات الأولى يبادلها الماشق نظرات امرأة تهتذه ؛ ولله أوائل حديث كأنه محاولات تفكير متردد وتجاوب بيان ؛ ثم يشرع الماشقان بفرح غريب إذ يتحقق كل منهما أن صوته قد أهاج صدى كأنما في قلب الآخر فيحيا حياة مزدوجة يدهشه تقاربها وتلاصقها ، وإذا يقى أحدهما بالآخر ويتيقن من حبه ويعلم أنه ظفر بالتأخي المنشود . فيفيض الروحان غبطة فتتعطل لغة الكلام إذ يسبقها الحس الباطن بياناً وإدراكاً وإذا تخاطبت الروحان أسكت تخاطبهما الشفاه . فيالها من أويقات صمت يحكي فيها من التذكار كل الوجود .

وكان الحب قد قبض على مشاعري منذ أول لقاء وتزايد حتى بلغ الهيام ؛ ولكنني استحييت من هذه المرأة فوجت أمامها لا أبني ولا أعيد .

وما كنت أعرف سبباً لاصرارى على الصمت،
وبدلاً من أن أوجه إلى مسكني ذهبت شارداً في
القرية وفي الغاب، فكنت أجلس حيث أجد مقعداً
ثم أمضى فجأة . وما انتصف الليل حتى رأيتني
أقرب من بيت مدام يارسون فرأيتها مغطاة من
النافذة فارتعشت وأردت أن أنكص على أعقابى
فوقفت كالأخوذ ثم تقدمت على مهل وقعدت تحت
نافذتها ولا أعلم إذا كانت عرفتني . ومرت دقائق على
وجودي فسمعت صوتها الناعم الرنان يتعالى بنشيد
هيام، وشعرت بزهرة تسقط على كتفي فإذا هي وردة
كانت تحلى بها صدرها في الساء، فرفعتها إلى شفتي
فقلت :

— من هنا في مثل هذه الساعة ؟ أهذا أنت ؟
وناديتني باسمي . وكان الحاجز مفتوحاً فهضت
دون أن أجيب ؟ ودخلت الحديقة ، وإذا وصلت إلى
وسط المرج توقفت لأنني كنت كسائر في المنام
لا أرى ما أفعل

ولاحت على باب الراج . وهي تحلق بأشباع
القمر وقد بدأ التردد على ملاحها . ومشت نحوى
فتقدمت إليها وعصاني الكلام فانطرحت جاثياً أمامها
وقبضت على يدها .

فقلت : اصغ إلى . أنا عارفة . ولكن إذا
كان بلغ الأمر منك هذا الحد فيجب أن تذهب . أنت
تجبي كل يوم فترحب بك . أفأ يكفيك هذا ؟ وما
بوسنى أن أقبل من أجلك ؟ أفأ بذلت لك صداقتي ؟
ولكم كنت أعنى لو أنك حافظت على صداقتك لى
إلى أمد أطول

لها يحيى . ولكننى ما كنت أحاول ذلك حتى أشعر
برغبة لا أستطيع مقاومتها فأعود إلى موقفي الجدى .
وعزمت مرهاتاً أن أكتب إليها ولكننى مزقت
جميع رسائل قبل أن أصل إلى نصفها .

وفي هذا الساء كنت تناولت العشاء معها
فكنت أنظر إلى ماحولى من هدوء وسلام وأفكر
في الراحة التي ذقتها منذ تعرفت إليها ، فقلت في نفسى
ولماذا أطلب مزيداً على هذا ؟ أفأ يكفينى ما أمتع به ؟
فما أدري لعل الله لم يقدر لى مزيداً . ولعل هذه المرأة
تصدنى إذا أنا أعلنت حتى لها فأحرم مشاهدتها .
وهل إذا قلت لها إننى أحبها سأزيد في سعادتها ؟ وهل
أبلغ أنا سعادة أوفر من التي أمتع بها الآن ؟

وكنيت أفكر في هذه الأمور وأنا مستند إلى
البيانوش فسمعت بحزن شديد يستولى على ، وبدأ الفسق
يعد ظلاله ، فأوقدت شمعة ثم عادت نحو مقعدها
فأرأت دمعاً تتدحرج على خدي فقلت : — مالك ؟
فأدبرت وجهي

وانتمست عندياً فاستعرت على ما اعتنر به .
وحازرت أن تقع عينها على عيني فتوجهت نحو
النافذة . وكان الهواء يهب بلبلا والقمر يطل مرة
وراء أشجار الزيتون حيث كنت رأيتها لأول مرة
فحكمتي الدهول ونسيت كل شئ حتى وجودها هي ،
ورفعت ذراعى نحو السماء فخرجت زفرة كأنها الأئين
من أعماق فؤادى

ونهضت من مكانها فإذا هي واقفة ورأى تقول :
— ما هذا ؟

فقلت لها لقد تذكرت أبي ونفيمتى بموته عندما
رأيت هذه الأشجار

واستأذنت بالانصراف وخرجت

الفصل السابع

قالت هذا وسكتت كأنها تتوقع جواباً . وإذ رأيته لا يزال متهدماً تحت وقر أحزاني سحبت يدها من يدي على مهل وتراجعت خطوات ثم وقفت لحظة وتولت إلى يتيها .

وبقيت على المرج وكنت أتوقع أن أسمع منها ما سمعت ، لذلك لم أردد في التصميم على الذهاب . وقفت وفي قلبي غصة وانطلقت أجوب أحباء الحديقة وأنا أأحدق بالسكن وبنافذة غرفة مدام يارسون ؛ ثم عدت أدراجي إلى الجاهز وخرجت متلقاً الباب ورأني ؛ وقبل أن أبتعد وضعت شفتي على القفل وقبلته طويلاً

وعند ما وصلت إلى مكسني طلبت من لاريف أن يعد متاعى لأنني أزمعت السفر في الصباح ، فدهش المسكين لهذه المفاجأة ، فأشرت إليه بأن ينفذ الأمر دون أى استفهام . فأحضر صندوقاً كبيراً وأخذنا نضع المتاع فيه

وكانت الساعة الخامسة صباحاً وقد لاحت تباشير الصباح فوقفت أسأل نفسي الى أية جهة سأسافر ؟ وما كان خطري هذا الأمر حتى الساعة ، فاضطربت له وهوى مجلدى ، فسرحت أنظارى على الحقول وما وراءها من آفاق فاستولى الوهن على فاستلقيت على مقعد وتبلبت أفكاري . رفعت راحتي الى جيبني فإذا هو يتصب عرقاً . وشعرت بحمى شديدة تهز جميع أعضائى ، فهضت أطلب فراشى وأنا أستند الى ذراع لاريف . وطراً على الدهول فاكنت أذكر شيئاً مما جرى لي . وصر النهار وأمسى المساء فإذا بنغمات موسيقية تصل الى أذنى

فتذكرت أن اليوم يوم أحد ، فأدركت ان المرقص قد دار فأرسلت لاريف ليرى ماذا كانت مدام يارسون موجودة فيه . فداد لاريف قائلاً : أنها ليست هناك . أرسلته الى بيتها فرأى النوافذ مقفلة ، وقالت له الخادمة ان سيدتها سافرت مع عماتها لقضاء بضعة أيام عند أحد الأتسياء في مدينة . . . وهى مدينة صغيرة تبعد مسافة ليست قصيرة عن القرية . ودفع الي لاريف بكتاب سلمته إياه الخادمة جاء فيه ما يأتى :

« منذ ثلاثة أشهر لم أقطع عن مشاهدتك ؛ ومنذ شهر انتصح لي أنك أخذت بالمأظفة التي يدعوها من في سنك غراماً . وكنت أحسب انك مصرئ على كتمان أمرك والتغلب على نفسك . لقد كنت أحترمك وليس لي أن أوجه أية ملامة اليك عما حدث وعلى فشل عزيمك .

ان ما تحسبه حبا ليس إلا شهوة ؛ ولا أجهل ان كثيرات من النساء يحولهن تنبيه مثل هذه الشهوة وكان الأجدر بهن أن يرضين كبرياءهن باكتساب الإعجاب دون إثارة الشهوات ، ولكنني أرى الآن ان هذه الكبرياء نفسها خطرة وقد أسأت بالنداعى معها تجاهك .

اننى أسبقك في مرحلة العمر بسنوات ، فاطلب منك ألا تحاول الاجتماع بي لأن من يستسلم لضعفه لن يجد بعد ذلك للنسيان سبيلاً . ان ما جرى بيننا لا يمكن العود اليه ولا يمكن أن يُنسى تماماً .

اننى لا أفارقك بلا حزن ، فأنا سأغيب عدة أيام . فإذا بارحت البلد أثناء غيابي فأنني لأشكرك على ذلك كدليل على ما تشعر به بحوي من صداقة واحترام . »
بحييت يارسون

الفصل الثامن

أنتى ملت إلى الظن بأن ارتياعها ناشئ عن المفاجأة ليس إلا .

ولكنها بما لك روعها وكررت كلهل بكل هدوء ، فقلت لها : أطلب إليك أن أراك للمرة الأخيرة . فأنى سأسافر وأترك هذه البلاد فأصعد بأمرك بل أذهب إلى أبعد ما تقصدين . أقسم لك بأننى سأبيع بيت أبى وكل ما يملك لأهاجر إلى البلاد الأجنبية ! ولن أنفذ هذا القسم إلا إذا قبلت رجائى ، وإلا فأننى أبقي .. لا تخافى . فأنى مصمم على هذا . فقطعت حاجبها وأجالت نظرات غريبة إلى ما حولها ثم قالت فى شيء من اللطف : تعال غداً فى النهار فأقابلك . وذهبت .

ذهبت إليها فى اليوم التالى عند الظهر فأدخلتنى الخادمة إلى غرفة قديمة الرياش حيث وجدت مدام ييارسون وحدها تجلس تجاهها وقالت : - ما أتيت لأشرح ما أعانى أو لأشكر ما فعلت بك . بل لقد قلت لى فى كتابك إن ما جرى بيننا لا يمكن نسيانه فما أصدق ما عبرت عنه ، غير أنك قلت بعد ذلك إن اجتماعنا على ما كنا عليه من قبل أصبح مستحيلاً ، وهذا مالا أراك على حق فيه . أما أحبك وما فى ذلك إهانة لك ، فوضعت لم يتغير مادمت أنت لا تحبيننى ، فإذا ماعدت إلى الالتقاء بك فلن يكون مدار الأمر إلا على وحدى وسجى لك كافل لك صياتك .

وأرادت أن تقاطعنى فلم أتوقف بل تابعت قائلاً : - بحقك اسمح لى أن أذهب إلى آخر حديثى . إننى أعلم ولا نعلم أحد أكثر منى أن حبى سيتلب على كل ما لك من حرمة عندى وعلى كل عهد أقطعه تجاهك على نفسى . وأنا أكررك القول بأننى ما أتيت لأنتكر عليك ما يضره فؤادى ، وأنت أعلنت لى أنك عارفة بحبى منذ زمان فما الذى ردنى حتى

وأزمتنى الحى الفراش أسبوعاً كاملاً . ولما استعدت قواى كتبت إلى مدام ييارسون أقول لها إننى أطيع أمرها ، وكتبت هذا العهد وأنا عازم على القيام به غير أننى مالبثت حتى عدلت عنه .

استقلت عربة فسارت تبعدنى عن القرية حتى إذا أصبحت منها على مسافة ميلين صرخت بالسائق فأوقف السير وترجلت أعشى على الطريق وأنا معلق أبصارى على البلد الذى قررت مبارحته ، ووقفت تتنازع عنى عوامل بلبت من خاطرى ، فشعرت بأننى أعجز من أن أتابع طريقى وأن مواجهتى الموت فى مكانى أسهل على من ركوب العربة المولية . وأصدرت أمرى الى السائق بالتكوص وبدلا من الاتجاه نحو باريس انطلق الفرسان يقطعان الابداد إلى قرية . . . حيث نقيم مدام ييارسون .

وصلت إلى هذه القرية عند الساعة العاشرة ليلا ، وماكدت أتول فى الفندق حتى طلبت من الخادم أن يدلنى على بيت نسيب بريجيت . فذهبت إليه ، وإذا قرعت الباب قابلتنى الخادمة فقلت لها أن تبلغ سيدتها أن رسولا من قبل دسبريس كاهن القرية يطلب مواجهتها .

وتوارت الخادمة فى الدهليز فوقفت فى الباحة وكان المطر يتساقط ، فتقدمت إلى قبو تحت الدرج أتقى فيه الليل ، وبعد فترة نزلت مدام ييارسون تبعتها خادمتهما فما رأتنى وأنا فى الظلمة ، فتقدمت إليها ووضعت يدي على ساعدها فرجعت مذعورة ونادت : « ماذا تريد منى ؟ »

وكان صوتها يرتجف ، وإذا تقدمت الخادمة بالنور - رأيت وجهها مغمقا إلى درجة حسبتها نافرة منى لولا

الذى أحاذره هو فقدانى إياك . أتى التجارب على
فاذا ما بلغ بى الألم حدا لا قبل لى بأحباله فأنى لن
أررد فى الرحيل . وأنت واقفة من خضوعى لانى
مستعد اليوم للسفر تنفيذاً لأمرك .

وتوقفت أنتظر جوابها ، فهضمت مكانها فجأة ثم
عادت فاستلقت على مقعدها وبعد صمت قصير قالت :
— كن واثقاً من أن الأمر ليس على ما تظن .
ولحظت أنها تلمس فى تذكرها كلمات تخفف
من صرامة بيئها فوقفت وقلت لها :

هى كلمة واحدة لا غير أطلبها منك . أنا
لا أعرف من أنت فاذا كان فى قلبك رحمة فانا
أشكرك عليها . قولى هذه الكلمة فانا حيانى
متوقعة عليها .

وهزت رأسها بررد ، فاردفت قائلاً : إنك تظنين
أنى سأسئى وأنا أسأل الله ألا يحرمك من هذا
الظن . إذا أنت طردتى الآن .

ونظرت إلى الأفق فرأيت العزلة تنتصب أمامى
ورأيتني طريداً شريداً فشممت بتجمد الدم فى عروقى
ونظرت إليها وأنا واقف أعلق عليها أبصارى وأتظن
جوابها وكانت كل حياتى معلقة على شفتيها .

فقلت : اصنع لى . إن قدموك لى كان
مجازفة ، فيجب ألا يعلم أحد أنك أتيت من أجل
وسوف أعهد إليك بمهمة تقوم بها ، فاذا ما رأيت
السفر فى هذه المهمة طويل الأمد فلك أن تقصّره ؟
ولكن إلى حد ، وعلى كل حال أرى سفرك إلى
حين سيسكن من اضطرابك

إنك مستذهب إلى « الفوج » ومنها إلى
ستراسبورغ وعندما تعود بعد شهر أو على الأصح بعد
شهرين تطلنى على شجرة نهמתك وعندئذ أتمكن من
أن أعطيك جوابى بأصريح مما يمكننى أن أفعل الآن

فيلكسى فارس

(يتبع)

اليوم عن إعلان هذا الحب لك ؟ إن ما أؤمنى
الطمع إنما كان خوف من فقدك وحرمانى من
الاجتماع بك، وهذا الذى حاذرت قد وقع . فانا أرضى
بشرطك على أن توصدى بابك فى وجهى إذا
ما بدرت منى بادرة تنصرف عن احتراى الشدد لك .
لقد تمكنت من السكون فيما مضى فلن أنكلم بعد
الآن . أنت تظنين أنى أحببتك منذ شهر . لا ، لقد
أحببتك منذ أول يوم . وأنت عرفت حى فادعك
ذلك إلى منى من مشاهدتك . فاذا كنت فى هذه
الأنثناء واقفة من أن حرمتك لن يجزى لى أن أسئ
إليك فلماذا تقفدينى هذه الثقة اليوم ؟ لقد أتيت
مطلباً بهذه الثقة فوالذى ارتكبت به تجاهك ؟ ألا تبنى
طويت ركبتى على الأرض دون أن أنبس بكلمة
أعد جانباً ؟ وهل عرفت من هذه الحركة شيئاً كنت
تجهلينه قبلاً ؟ لقد وهنت قواى لأننى كنت متألماً
فاصنع لى ياسيدي . إننى فى العشرين من عمرى ومع
ذلك فقد رأيت من الحياة ما أودعنى كرها حتى
غدوت لا أرى لى فيها مقاماً أرتاح فيه ، لا بين الناس
ولا فى العزلة والانفراد ؟ وليس لى من مستقر أتتفس
الحياة فيه إلا هذا المدى الذى يمدح جدران حديقتك .
إنك دون سواك الكائن الذى أو من قربه بالله .
ولقد كنت أعرضت عن كل شئ قبل أن عرفتك ،
فلماذا تريدن حرمانى من الشاع الوحيد الذى منحنى
الله إياه من الشمس ؟ فاذا كان الخوف يدعو لك إلى
هذا الاحتياط فهل أتيت ما يبرر هذا الخوف ؟ وإننا
كان سببه نفرة منى فبأى عمل استحققت هذا النفور ؟
أما إذا كان ما دعا لى هذه الماملة إشفاقاً على
ما احتملته من الآلام فأنك متخذة فى اعتقادك بإمكان
شفائى . لقد فات إمكان الشفاء منذ شهرين ، ولكننى
فضلت أن أحتمل الآلام بقربك . ولست بتادم الآن
ولا غداً على هذا مهما فعلت فى الأيام ، إن الشفاء



هوميروس



الأوديسيّة

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

مقدمة الفصل السابعة

« بعد أن وضعت الحروب الطراودية أوزارها عاد الأبطال اليونانيون إلى ديارهم ما عدا أوديسيوس ذلك لإيثاكا، وكانت زوجته بلوب من أجل غادات هيلاس قطع في التزوج منها جميع أمراء البلاد، ولكنها وفّت لزوجها. ولولدها تليك فظلمهم ولكنهم حاصروا بيتها ليرغموها على تخير واحد منهم بملأها. ولما شب تليك أجبر إلى ييلوس وأسرطلة ليبحث عن أبيه وقد أخبره ملك أسرطلة أن أباه ما يزال سجيناً عند عروس البحر كاييسو - وقد غيظ العشاق لما علموا بسفر تليك فترصدوا له ليقترلوه في عودته. أما أوديسيوس فقد سافر من عند كاييسو بأمر كبير الآلهة نربوس على رمث ظل يشق به عباب البحر حتى كاد يفرق بالقرى من شاطئه مملكة شيريا بلاد الفياشين؛ وقد نجح بعد جهد ولقي ابنة الملك تلعب وتلهو في ررب من أترابها فسألها أن تدله على بيت الملك فدخله عليه، ولقي ثمة الملك ألكيبنوس الذي أكرم مثواه وأطعم له حفلاً رياضياً تيجيلاً له، وقد أبدى أوديسيوس في هذا الحفل من ضروب القوة ما بهر القوم ولكنه يكن بكاء طويلاً حينما سمع للشد الأعني - مطرب الملك - ينشد ماحدث عن طراودة ويضني بشجاعة أوديسيوس؛ فلما سأله الملك من هو وما سبب بكائه أخذ يسرد

قصته منذ غادر طراودة وكيف غزا إزماروس وما كان من أصحابه في بلاد اللوتافيي - أسكلة اللوتس - ثم ما كان بعد ذلك من حبسهم في كهف السيكلوب ونجاتهم منه بعد أن أكل منهم عدداً وفيراً - ثم ما حدث لهم في أرض المردة الآخرين، ورسومهم بحزيرة ربة السحر سيرس وكيف سحرت بعض أصحابه إلى خنازير ثم ذهبه لأعاقم من سحر هذه الربة. ونجّاهم بها ثم نصيحتهما له أن يرجل إلى الدار الآخرة لقاء الكاهن الطيب تيزياس ليعرف له عن مستقبله ورجوعه إلى بلاده - وهو في الفصل التالي يقص كيف ظلم بهذه الرحلة إلى هيزو وكيف لقي الكاهن ولقي روح أمه... الخ »

رحلة أوديسيوس إلى الدار الآخرة

« وذهبتنا إلى الشاطئ فأنزلنا الفلك إلى الماء، ثم أصلحنا القلاع ونشرنا الشراع، ووضعنا القرايين على السطح، وذرفنا من الدموع ما شئت لنا الموموم والآلام... وأقلعنا... وأرسلت سيرس

بين أيدينا ربحاً رضاء كانت خير معوان لنا وخير رفيق في سفرتنا الرهيبة هذه، حتى تركنا لها مقاليد الفلك، وأنسَدَحْنَا^(١) فوق السطح من غير ما عمل. ولم تزل تجرى بنا طول هذا اليوم حتى إذا أوشكت الشمس أن توارى بالحجاب، وقارب الظلام أن يُلْقَى أُرْدَانُهُ على الكون الهاديء، أشرنا على تخوم البحر الأعظم، حيث تنهض مدينة السمرين التي ينمقد من فوقها دَجَنٌ^(٢) كثيف وظلمات داجية، فلا تنفذ إليها شماعة من نور، ولا يحميها رسول من شمس هذه الدنيا العاملة الدائبة، التي يسطح في سماواتنا ركبها الفخيم؛ فهي أبداً في ليل متصل مدغم، لا تنجذب عنها غواشيه. وهنا، ألقينا مراسينا، وأترلنا الكبح والشاة إلى البر. وانطلقنا فوق سيف البحر إلى حيث أمرتنا سيرس الإلكسية، وتركنا يوريلوخوس بن برميد عند القربانين، وعينت أنا باحتفار الوهدة فجعلتها ذراعاً في ذراع، ثم شرعت أصب تقدمات الشراب باسم الموتى، فبدأت بمزيج اللبن والصلب المصفي، وأتبعت به بالمر المتقة؛ وثلثت بالماء القراح؛ ثم ثرت على ذلك كله دقيق الشعير؛ وصليت من أجل الموتى، ونذرت — إن عدت إلى إيشاكا — أن أنهي لهم بمجل جَسَدِ ذِي خوار يكون أسمن وأقوى ما في قطائي؛ أذبحه وأحرقه في نار مجلّة بكل ما يشوق الأشباح من أرواح وطيوب. وخضعت الكاهن الطبي (تيرزاس) فندرت أن أنهي له بأحسن كباشي وأعظمها منة. ثم شرعت عن ساعدى، وذبحت القربانين، فتدفق الدم في الوهدة... وهنا... أهرعت الأشباح

(١) التل الذي سقط من السطح فوق عنقه (الفصل السابق)

(١) انسدح نام وفرج بين ساقيه .

(٢) السحاب المظلم

فيها لمدواً لمدواً يتأثر ك ، ذلك هو نيتون الذي
أسخطته بما سمحت عين ولنه السيكلوب (بوليفيم)؛
على أنك واصل بعد أهوال جسام إلى وطنك ،
فأنك إن كبحت جراح شهواتك ، أنت ومن معك ،
فأنك واصل يوماً إلى شطآن تريناشيا ، وتكون قد
أقلت من روع اليم وأرزائه ، فإذا كنت ثمة ، فأحذر
أن تمس قطمان رب الشمس الساعية في الجزيرة بأذى
إن كنت تجد حريص على العودة إلى بلادك سالماً ،
مهما اقتضت بعد ذلك من عذاب وعقاب . فإذا
منسها منكم أحداً بأذى ، فويل لكم جميعاً ! إن
فلكك تنوص إلى الأعماق ، ويفرق رجالنا أجمون ؛
أما أنت فتنبجو بسد جهد ، وتلتقطك سفينة
عابرة وتمود بك بعد شقاء وبلاء ، وعناء أيا عناء ،
إلى وطنك الذي ينتظرك فيه ألف ويل وويل !
ستجد قصر ك المنيف محتلاً بطغمة أشرار من عشاق
زوجك الوفية لك ، يُرينون خيرك ويُتبحجون
شاءك ، ويُشرون بلبوب بالعطايا والرشي لتختار
من بينهم بعلًا لها . . . ولكنك ستنتقم منهم
وتنتصف لما قدموا من سوء ، وستبيد مجموعهم ؛
فإذا تم لك النصر عليهم فانطلق من فورك إلى الشعب
الذي لم ير البحر أحد من أهله ولم يذق الملح أحد
منهم قط ، ولكن معك عيذاب عظيم يذلك عليهم
فأنهم إن رأوه عجيبوا من منظره ، وظنوه مذرة بما
يذرى به القمع ؛ فإذا عرقهم فاعرس الجذاف في
أرضهم ، وضع لئيتون رب البحار بعجل جسد
وكيش سمين وخنزير كنانز^(١) ، ثم تبثل إليه
وأخبت ، وانطلق إلى وطنك ، وضع بأحسن

التي تتأجج عن قبسها حيائك ، بولئك الأوخد
تلياك أن تجمع ما تبقى من سلاحى وعداى إذا عدت
إلى أرض سيرس ، وإنك إليها لعائد حين ترجع
أدراجك من عالم هيدز ، وأن تحرق جثاني في نيران
هذا العتاد ، ثم تصلى لى ، وتضرع للآلهة من أعلى
حتى أقر هنا ، وتهدأ في تلك الظلمات روحى ، وأن
تفرس فوق الكومة التي تشمل رفاى ، مجدافى
العزيز الذى عملت به في البحر تحت إمرتك ، وفي
ذرى سلطانك وقيدتك ، حتى يذكركنى في العالم
الفانى الداكرون . ووعده أنى فاعل . ثم لم أزل
أزود الأشباح عن الدماء المتدفقة . وجفأة لحت بين
أرواح الموت شعب أى ! أى المحبوبة أتكليا ابنة
الشجاع أوتوليكوس ، التي تركها يوم يممت شطر
طروادة قوية « شابة » غريضة الصبارانة الشباب .
وما وقعت عيني عليها حتى أجهشت وأجهشت ، ثم
انهمرت من مقلتي أحر المبرات . . . ومع ما كان
يملج به صدرى من الأسى عليها ، فقد ذدتها عن
الدماء كذلك ، وبنى من الهم تلك الفعلة ما أوهنتني
وأضوائى . ثم أقبل بنوطية وكاهنها الجليل ، يتوكأ
على عصاه الذهبية ؛ وما كاد يحملنى في قفلا حتى
عرفنى وخطبني يقول : « لم غادرت الدنيا الدافئة
المشرقة أيها التمس ، وقدمت ل ترى هؤلاء الموتى
وتتضرب في ظلمات هذا العالم العبوس ؟ ! ولكن
نح هذا السيف قفلا حتى أجزع من تلك الدماء ،
وإنى لمحدثك حديث الصدق عما جثت من أجله . »
وأغمدت سيفى ، وانحنى الكاهن فقب من الدماء
ما شاء ، ثم نهض فقال لى : « أوديسوس ! إنك
تجتهد أن تمود أدراجك إلى بلادك ، غير أن طريقك
إليها محفوفة بالمكاره ، ممتلئة بالعقبات ؛ وإن لك

تجشمت الأهوال الثقال منذ توجهت مع أجامنون للقاء أبناء طروادة... وهأنذا منذ ذلك اليوم لم تطأ قدماى أرض وطنى... ولكن... نبشنى بأمامه أية ضربة أودت بحياتك الغالية؟ هل سفك دمك أحد؟ أم أصحك سهم من ديانا؟... وحدثنى كذلك عن أبى السند الشيخ، وعن ولدى تليماك، وحدثنى عن ملكي وعتادى، هل غلب عليها أحد من سادات البلاد، حين يس الكل من عودتى؟ وخبرى عن زوجى، أما تزال تعيش مع ولدى غلصة وفيه لى، أم تزوجت من أحد أمراء هيلاس؟! وقال الشبح الكريم يمينى: حاشا يابنى! إنها لا تزال وفيه لك، مبقية على ذكراك، مقيمة فى قصرك، وإن تكن تقضى ليالها وأيامها فى حزن ممض عليك، ودموع جارية من أجلك، وآلام ماتنغفى لبندك. أما أملاكك فما تزال لك، وما يفتأ ولدك يفلها باسمك، وما يفتأ يفتشى الولائم فى أهبه الأمراء، ورؤاء الأمانل العظام! ولم يزل أبوك مقيا فى مزارعك، عزوفاً عن المدينة وبهرجها، وأرائك القصور وزرايها، وهو يقضى أيامه بصطلي نار المدفأة فى الشتاء، قابلاً على فروته الفقيرة المتواضعة، غارماً فى أنماله ومزقه، فإذا جاء الصيف، أو فجأه الحريف، اعتكف فى ناحية، وانطرح على المشيم المساقط من الأشجار، وراح يعالج من الحزن عليك، والبكاء بسبك، ما يوهبه ويفضيه، طوال تلك السنين السوالف؛ وهكذا هلكت أنا الأخرى من طول التفجع عليك، والتصدع من أجلك، فلا ديانا أصمت فؤادى بسهم ولا اعتدى على معتد... بل الحزن وحده

ما تملك من الشاء والنعم للآلهة، وصل لكل منها واخشع، تمش أمتنا غانما، وتمت بمد حياة هادئة موة قررة ناعمة بمد حكم عادل طويل، وشيوخوخة هائلة موفورة... هذا من أبناء الحق عرفتكم لها.

وقلت له: «أنا لا أكذبك يا تيرزاس فيما كشفت لى من أبناء النيب؛ ولكن حدثنى جعلت فداك: إنى ألح شبح أى جأنا بالقرب من الدم دون أن تتعطف بكلمة واحدة على ابنها الحبيب. فن ذا الذى يشمرها أنى - أنا ابنها الأوحد - قريب منها!» فقال: «لا أيسر من ذلك يا بني! فانك إن تركت أيا من هذه الأسباح يرشف رشفة من ذاك الدم، فإنه يتحدث إليك بمد، وينثك بما تشاء.» ثم غاب شبح الكاهن فى ظلمات مملكة بلوتو، وسمرت أنا مكاني أنظر شبح أى، التى ما كادت تتذوق الدم حتى عرفتنى، وانطلقت تكلمنى فى ترفق وحنان: أى بُنى كيف أتيت لك الضرب فى دياجير هذه الدار الآخرة وأنت ما تزال حياً تدب على رجلتك؟ ألا ما أشق هذا على بنى الموتى من أهل الدار الأولى! إن ههنا أنهاراً من حيم يدور بعضها على بعض، وقد تطنى على شطآنها بباب حيم، ويحيط بها البحر الأعظم الذى لا تشق أجياله فلك، بله قدم سائر عابر! أواه! لقد ذرعت البحار شرعاً ومغرباً فى رحلتك من إلبوم، أنت ومن ميك، ولما تصل إلى إيتاكا العزيزة! وسكتت قليلاً فسألها: «الظروف القاسية وحدها يا أمامه هى التى قادتنى إلى مملكة بلوتو، ليعرف لى الكاهن الصالح الطيبى تيرزاس، ولقد

أنهار الدنيا - قد كان مشغوقاً بها حباً ، وأنها طالما كانت تمشي شطآنه البصر ، ومخالته الخضر ، من أجل ذلك . وأنها كانت يوماً تلعب هناك مخفاً شبح جيل كأنه شبح حبيبها يظهر فجأة ثم يأخذها بين ذراعيه ، ثم يعلو طوفان من اليم فيطويهما معا ، ثم تفيق فتري نفسها بين ذراعي نيتيون الجبار رب البحار الذي يشا كيمها غرامه هو الآخر ويثبها حبه ، ولاعج قلبه ، ثم يهوى بها إلى أعماق مملكته السحيقة ، ويماسرها كزوجة ، ثم يرسلها بعد أن يوصيها بولديه التوأمين منها ، ثمرة الحب السرمدي للقدس . . . ويفوص في اليم . وتعود هي إلى بلدها فتضع وليدها العظيمين - وزيري جوفث الأكبر - بلياس ونيوس - وشب بلياش ويضرب في الأرض ، فتنتجى إلى مروج إياؤلخوس ويرعى ثمة بهمه وقطمانه ؛ أما نيلوس فيسكن البلقع الجلب من أرض بيلسوس . . . وتزوج من كريتيوس بعد ذلك كله ، فتنجب منه أبناءها الثلاثة الآخرين^(١) ، ذوى الشهرة والمجد . ثم كلت أكتيوز ابنة أسوب التي راحت تفخر بما كان بينها وبين جوف - كبير آلهة الأوب - من هوى وصباة وحب ، وأنها أنجبت له وليده العظيمين أمفيون وزيتوس منسجى طيبة العظيمة ذات القلاع والتلاع والأبواب السبعة . . . ولقيت بعدها ألكينة ابنة أمفيريون حبيبة جوف ، وأم هرقل المحديدي الجبار . . . ولقد ذكرت لي أنها تزوجت من كريون بعد ، فأنجبت له ابنته ميجارا ، زوجة ابن

يا أوديسيوس ، والوحشة والضنى ، وطول الوجد ، وذكرائك في كل حين ؛ كل أولئك يابني اختضر عود حياتي ، وعجل إلى مماتي ! » وما كادت تفرغ من حديثها حتى أزرقت^(٢) إليها أودلو ضممتها إلى صدرى ، بيد أنى فقلت مرة وأخري وثالثة ، إذ كانت تنفث في كل مرة من بين ذراعى كما ينفث النمل . أو كما يسرى الحلم . ولم أطق على ذلك صبراً فقلت لها : « لماذا تأين على عنائك يا أماء وقد تتداوى به مما بنا من شجو ، ولو كنا هنا في مملكة بلوتو ؟ أم يترى أرسلت إلي برسفونييه شبحاً يبعث بي ويتصاحك على ؟ » قالت : « أواه يابني ، يا أتمس بنى الموتى ! أبداً ما حاولت ربة هيدز أن تبث بأحد ، ولكنها طيبة الموتى هنا ، فهم لا عض ولا لحم ولا عظم ، ولا مازهبت به النار بعد الموت في الدار الأولى . . . بل هم أرواح تشبه الظلال أو الأحلام في خفتها وسرعة انقلاطها . . . ولكن لهم فعد أدراجك إلى النور . . . فلقد جاءك من الحق ما هو حسبك » . ثم هممت حولي أشباح المذارى والأزواج من بنات هيدز ، سمين من عند برسفونييه ، فامتشتق سيني ، وطففت أذودهن فلا يقربن الدم إلا بإذنى ، واحدة بعد واحدة ، لتقص على كل منهن قصة حياتها . ولقد كلت أول من كلت تيرو^(٣) الحسنة ، كريمة المحدث ، طيبة الأعراق فذكرت لي أنها ابنة سالون وزوجة كريتيوس بن إيولوس - وأن أينيوس إله السلسيل ، أعذب

(١) أسرع

(٢) لم نلأ أن نفلل أحداث أوديسيوس مع بنات هيدز كما فصل بعض مترجي هومر ، بل آثرنا إلباتها كما هي ، ونحن نجل القارئ عن الملل لأن الأوديسة أعلى من أن نمل

(١) حلفتنا هنا الأسماء مؤثفاً

ما تحمت ثمة قليلا ولا كثيرا، فقد أصمتها ديانا النادرة
بسماها، وشهد فعلها المنكرة باخوس العظيم ...
في ديا

ورأيت ميلا... وكليمنيه... وإريغل التاسعة
التي قبلت أن تنال ثمن روح زوجها من الذهب
والآن!! وقد أوشك الليل أن ياتي علينا طيلسانه
فما أحسبني أستطيع أن أحصى زوجات الأبطال
المظام وبناتهم اللاتي لقيت في هيدز، فخذوا أمر
الملك فانطلقت لأستريح في سفيتي... أو هنا إن
أذن... وكلى ثقة فيكم، وإيمان بالآلهة، أنكم
ستدبرون أمر إبحاري إلي وطني حتى الصباح...
(يتبع) دبرني ضئيلة

تاريخ الأدب العربي

لؤي ستار أحمد حسن الزيات

الطبعة السادسة

في حوالي ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط

يمرض تاريخ الأدب العربي منذ نشأته إلى اليوم

في صورة قوية تحليلية زائفة

ثمة عشرون قرشاً ويطلب من إدارة الرسالة

ومن لجنة التأليف ومن سائر المكاتب

أفتريون...؟... ولقيت الحسناء أتيكاست^(١)
أم أديبوس الملك التاسع، الذي تزوجها وهو لا يدري
أنها أمه، بعد أن ذبح أباه، فصبت عليه السماء
سياط عذابها، وذهب على وجهه في الأرض حيران؛
أما أمه، فقد سبقت روحها إلى هيدز بعد إذ شنت
نفسها في سقف بيتها، تاركة ولدها لربات العذاب
يسمنه الخسف ويجرعنه الأوصاب... ولقيت النادة
الحُصَّان خلوريس التي هام بها نايوس وثر تحت
قدمها هداياه، فأسلست له ورزق منها أبناء الثلاثة
نسطور وخروم وبركل، اليامين ذوى المجد...
ثم كتنت ليذا زوجة تندر، أم مكاستور الصنديد
ويولكس الملاكم القديد، إنهما يتعان بنعمة زيوس
أبي الآلهة، فهما يتبادلان الموت والحياة، سنةً
فسنةً^(٢)، وفاء منهما ومحبة وإعزاز...؟...
ثم رأيت إفيديا الحبيبة التي نغرت بهيام نثيون
والتي أُنجبت له طفليه الجليلين أوتوس وإفالت اللذين
زنا بجملها كل من دب على وجه الأرض، باستثناء
أوريون... يا لها من طفلين!! لقد شيا نيران
الحرب على آلهة السماء وحاولوا رفع أوسا إلى قمة
الاولب فجعلوا نايون على أوسا ركما، وقد أوشكا
أن يفلحوا لولا أن ذبحهما زيوس وولده أبوللو ليكونا
عبرة لغيرهما... فيا لموت! هذا المعتدي على شبابهما
الفض فأذبل الحدود وأذى الورود!

ورأيت بعد ذلك فيدرا، ولقيت آريادن الفتان
وبروسيز العوب، أما آريادن فقد حملها ثيديوس من
كربت إلى فراديس أثينا... ولكن وأسفاه! إنها

(١) جوكشا

(٢) وردت عنها أسطورة زائفة ستمرها قديماً



الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب

على هدى وبصيرة

الرسالة : تعبر باخلاص عن روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية

الرسالة : تصور مظاهر العبقرية للامت العربية

الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية

الرسالة : تحيي في النشء أساليب البلاغة العربية



بمجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

الجديد . وسجل الأدب الحديث ، ودائرة معارف عامة



الاشتراك الداخلي ستون قرشاً ، والخارجي ما يساوي جنهما مصرياً ، وللبلاد العربية بخمسة ٢٠ ٪

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة

٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ عن العدد الواحد

الإدارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦
التيبة الخضراء - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

الهرولة

مجلة أسبوعية للفن والفكر والتاريخ

نصدر مؤقناً في أول كل شهر وفي نصف

العدد الرابع عشر ٨ جمادى الثانية سنة ١٣٥٦ - ١٥ أغسطس سنة ١٩٣٧ السنة الأولى

مسابقات الرواية

١- مسابقة القائل في مذكرات نائب في الأرياف

اشترك في هذه المسابقة قراءة ألف كاتب ،
ولكن أحداً منهم لم يوفق إلى الحل الذي انتهت
به هذه القصة في العدد الماضي من الرواية وهو حفظ
القضية لعدم معرفة القائل . ولذلك يظفر أحداً بالجائزة

٢- مباراة الأقصوصة

تجمع لدينا في هذه المباراة ثلاث وسبعون
وأربعمئة أقصوصة من مختلف الأقطار العربية . ولما
كان الأساتذة الذين ستؤلف منهم لجنة التحكيم
قد تركوا القاهرة للاستطيف في أماكن متفرقة ،
اضطرونا إلى تأجيل تأليف هذه اللجنة إلى أول
الخريف . على أننا نستطيع أن نعلن الآن أن اللجنة
ستؤلف من الأساتذة : توفيق الحكيم ، محمد فريد
أبو حديد ، إبراهيم عبد القادر المازني ، محمود تيمور
ثم رئيس تحرير هذه المجلة .

فهرس العدد

صفحة	
٨٤٢	الحب للكاتب الروسي أنطون تشيخوف ... { للأستاذ عبد الجيد حدى
٨٤٨	شبح كاتريل للكاتب الإنجليزي اسكار وايلد { بقلم الأستاذ بشير العريق
٨٦٥	الثاة التي سلبتني ولدى مترجمة عن الإنجليزية { بقلم لامليل فرج ...
٨٧٥	الأحجار الجائعة للشاعر الفيلسوف رابندرانات طاغور الهندي ... { للأديب شاعر محمد عياد
٨٨١	أجلائين وسيليزيت رواية تشيلية لموريس ماترنك ... { بقلم الدكتور محمد غلاب
٨٩٤	اعتراقات في العصر لألفريد دي موسيه { بقلم الأستاذ فليكس فارس
٨٩٩	الأوذية لهوميوس { بقلم الأستاذ دريني خشبة

كتابة هذا الخطاب
خمس مرات، وكنت
في كل مرة أمزق
الورق وأحو صفتحات
كاملة وأعيد كتابتها،
ولقد قضيت في
كتابته من الوقت
ما يكفي لكتابة قصة
كاملة وتهذيبها. ولم
يك ذلك لأنني حاولت
أن أزيد الخطاب طولاً

الحب

لطلب الروى الكبير انظرون تسيهوف
بستم الاستاذ عبد الحميد حمدى

أو أن أبلغ في تنميته وإذكاء نار حماسه، ولكن
لأنني أردت أن أطيل إلى غير نهاية زمن الكتابة
بينما أنا جالس في هدوء مكتبي أنجى نفسى بأحلام
يومية، وليلة الريح الجميلة مظلة على من خلال نوافذى،
ولقد كنت أرى في ثنايا الأسطر طيفاً حبيباً إلى
نفسى، وخيل إلى أن على المائدة التى أنا جالس
عليها أرواحاً هي مثلى في سناجة سعادتها، وفي
غفلتها، وفي ابتسامتها الهنية. ولقد مضيت أكتب
في استمرار، ناظراً إلى يدي التى مازالت تتوجع
في لثة حيث ضفطتها يد «شاشا» في آخر مرة
التقيت بها. ولما حولت عيني عن يدي تخيلت منظر
الشعرية (١) الخضراء على الباب الصغير، فمن خلال
هذه الشعرية نظرت «شاشا» محدقة إلى بعد أن
ألقيت إليها بكلمة الوداع، وعند ما كنت أودعها لم
أكن أفكر في شيء، ولم يكن مستولياً على غير
شعور الإعجاب بقواها إعجاب كل رجل يحترم يامراًة
جميلة. ولما رأيت من خلال فتحات الشعرية عينيها
(١) الشعرية شجرة من الأخشاب الحقيقية توضع في الطاعة
أو غيرها لحجب النظر من الخارج إلى الداخل.

«الساعة الثالثة صباحاً، وليلة إبريل الهادئة
الصافية تطل على من نوافذ غرفتي، غائصة لى
بنجومها، في رقة وفي لطف، وما أستطيع أن أنام
فانى لجد سعيد !
«وإن كيانى كله من قبة رأسى إلى أخمص قدمى
ليفيض بشعور غريب لا يدرك العقل كنهه، ولست
بقادر على أن أحلل هذا الشعور — في ساعتي
هذه — فوقنى لا يتسع لهذا التحليل، وإنى لكسول
مفرق في الكسل؟ ثم إن هناك إلى جانب ذلك ...
ألا يبدأ للتحليل ! وهل من اليسر أن يفسر
الرجل شعوره وهو يهوى على قبة رأسه ساقطاً
من فوق قبة ناقوس؟ أو هل يستطيع الرجل أن
يفسر شعوره في اللحظة التى علم فيها أنه قد ربح
مائتي ألف من الروبلات؟ أو يكون مثل هذا
الرجل في حال تسمح له بالتحليل؟»

هذه هي، على التقريب، الكلمات التى بدأت
بها خطاب غرامي إلى «شاشا» وهي فتاة في التاسعة
عشرة من عمرها وقت في أشرائك حينها. لقد بدأت

بعد إلقائه خطاب غرامه إلى حبيته في صندوق البريد ، وكيف يسرع في الدخول إلى سريره وفي جذب اللحاف حتى يغطي وجهه ، معتقداً الاعتقاد كله أنه متى استيقظ من النوم في الصباح فستفمره ذكريات اليوم السابق ، وسيُنظر نظرة تفيض فرحاً وسروراً إلى النافذة حيث يندفع ضياء النهار من خلال ستارها في قوة وحمامة .

وإليك الواقع ... في منتصف نهار اليوم التالي جاءته خادم « ساشا » تحمل الرد الآتي : « تأكد أنني مفروجة إذا تفضلت وحضرت عندنا اليوم وسأنتظرك ، حيثك س »

ولم تكن في الرسالة أية علامة من علامات الترقيم ، وهذا الإهمال في الكتابة ، وإخفاً في كتابة كلمة فرجة ، وما في الكتاب كله من ضعف في الانشاء ، وحتى الظروف الطويل الضيق الذي وضعته فيه ، كل هذا ملأ نفسي بشعور من الحنان . ولقد رأيت في ثيابا خطها المفرطح الحنى خيال مشيتها وطريقها في رفع حاجبها إذا تحكت ، وحركة شففتها ولكن نفسي لم تقنع بما تضمنته كتابها ... وأول ما أخذته عليها أن كتبت الغرام الشعرية لا يرد عليها بهذا الأسلوب ، وإنى لأتساءل بعد ذلك لماذا تدعوني إلى زيارة بيتها حيث أبقى تحت رحمة أن تفضل أمها الرشيق أو إخوتها أو أقاربها المساكين بتركنا منفردين في الغرفة ؟ فقل هذا الخاطر لن يدخل رؤوسهم أبداً ، وليس أبض إلى الانسان من أن يكبح جماح عواطفه لنسب واحد بسيط هو الحياة من تطفل امرأة عجوز نصف صماء أو طفلة صغيرة توجه إليه من الأسئلة الضخمة ما لا يرى مدى من الاجابة عليه . . . لهذا يمست مع خادم « ساشا » جواباً على رسالتها سألها فيه أن تتخير أحد الميادين

الواسعتين تحديقاً في علمت ، فجأة كما لو كان قد أوحى إلى ، أنني وقعت في شرك الغرام ، وأن الأمر كله قد سوتى بيني وبينها ، وأن كل شيء قد استقر بالفعل فلم يبق عليّ ما أعمله غير إتمام اجراءات شكلية معينة .

وإنه لمن بواعث الابتهاج أيضاً أن يحتم الانسان خطاب غرام ، وأن يلبس في بطء قممته وممطفه ، وأن ينادر البيت في هدوء ، حاملاً هذا الكنز النفيس إلى صندوق البريد . والساء في هذه الساعة خالية من النجوم التي اختفت وحل محلها ، من جهة الشرق ، خيط أبيض طويل ، تقطعه في أكثر من ناحية ، سحب تملو سطوح البيوت الصغيرة الحقيمة ، ومن هذا الخيط غمرت السماء كلها بضوء خفيف باهت . . . والبلدة نائمة ولكن عربات الماء قد خرجت إلى الطرقات ، وفي ناحية بعيدة يدوى في الجو صفير أحد الصانح لا يقاط التأمين من العمال . وإنك لملي يقين من أن تجد إلى جانب صندوق البريد المبلل قليلاً بندى الليل ، هيكل أحد البوابين الضخم على كتفيه رداء من جلد الماعز وفي يده عصا يستند إليها ، وهو أشبه ما يكون بالتمثال الجامد لا يتحرك ، وما هو بالتألم ولا بالصاحي ولكنه بين الحالتين .

ولو عرفت صناديق البريد كيف يلجأ إليها الناس في أغلب الأوقات لتعرف ما ينتهي إليه مصيرهم لما رضيت بما يبدو عليها من سباء التواضع . ولقد كنت على كل حال أقبل في أكثر المرات صندوق بريدي ، وكنت كلما نظرت إليه ذكرت أن مصلحة البريد هي أعظم النعم التي حظي بها الانسان .

وإنى لأرجو أى إنسان . وقع يوماً في شرك الغرام أن يذكر كيف يسرع الانسان إلى بيته ،

الجالية ، قبلاقي وصمت الأشجار المظلة والمواثيق التي أظلمها على نفسي . . . فلم تمر دقيقة نسيت فيها نفسها ، أو غلبها شيء على ما تفكر فيه ، أو سمحت للمعنى السرى البادئ على وجهها أن يفارقه . والحق أنه لو كان في مكاني في تلك اللحظة إنسان سواي كائننا من كان لما كانت في حضرة بأقل شعورا بالسعادة منها في حضرتي . وكيف يستطيع الإنسان في ظرف كهذا الظرف أن يعرف إذا كان محبوبا أو غير محبوب ؟ وكيف يستطيع أن يعرف إذا كان الحب هو « الشيء الحقيقي » أو لا ؟

ولقد أخذت « ساشا » من التزنه إلى بيتي . وليس حضور المرأة التي يحبها الإنسان إلى بيته — وهو أعزب — بأقل في نفسه أثرًا من الحمر أو الموسيقى . والمألوف في موقف كهذا أن يسدأ الإنسان بالكلام في المستقبل ، وهو إذا تكلم في هذه الناحية لم يقف عند حد فنيا يدي من ثقة واعتزاز بالنفس ، وانك عندئذ لتضع المشروعات وترسم الخطط وتتكلم في حاسة عن رتبة القائد وإن لم تكن قد وصلت بعد إلى رتبة الملازم ، وفي الجملة أنك تهذى بمثل هذا السخف الضارب إلى الملاء ، حتى ليتطلب تصديق سامعك لما تقول أن يكون مفرما بك إلى أقصى حدود الغرام وأن يكون كذلك جاهلا إلى أقصى حدود الجهل . ومن حين حظ الرجال أن النساء اللواتي يحبن تفهمهن عواطفهن دائما عن رؤية الحقائق فلا يعرفن شيئا من شئون الحياة . وإنهن ليعيدات جدا عن أن يكذبن ما يسمعن ، وإنهن ليسعرن فعلا بشيء من الرهبة القدسة فتهرب الدماء من وجوههن ، وتقيض نفوسهن احتراما ويتعلقن في شره بالكلمات البادية الحفاقة والجنون . ولقد أصغت إلي « ساشا » في تنبه شديد

أو التزهات فتضرب لي فيه موعد اللقاء ، ولقد قوبل اقتراحى بالرضا في غير تردد ، فقد ضربت على الوتر الحساس كما يقول المثل .

وفما بين الساعتين الرابعة والخامسة من مساء ذلك اليوم اتخذت طريق إلى أقصى حدود التزنه العام وأكثر نواحيه ازدحاما بالأشجار وأكثفها نباتا . ولم يك في التزنه كله مخلوق واحد ، ولعله كان من الأنسب أن يضرب الموعد في مكان أقرب كأحد الشوارع الكبرى أو تحت إحدى مظلات الحدائق الصغيرة ، ولكن النساء لا يردن أن تكون أعمالهن فيما يتصل بالخيال والغرام بين يدين ، فهن يجرين وراء خيالهن الشعري إلى آخر المدى — فاذا ضربن موعد اللقاء ضربنه في أبعد الأدغال وأوعرها طريقا ، حيث يتعرض الإنسان لخطر الاصطدام بشرير خشن أو سكير مرعوب .

ولما وصلت إلى المكان الذي تخبرته ساشا وجدتها واقفة وقد ولت ظهرها نحوي ، وكان في مقدوري أن أقرأ في ذلك الظهر كثيرا من الأسرار الشيطانية ؛ ولقد خيل إلي أن ظهرها ، وخلف عنقها ودثارها ، والنقط السوداء على رداءها ، كل ذلك يقول : منه . . . كانت الفتاة مرعوبة لباسا بسيطا من القطن ألقت فوقه دثارا خفيفا ، ولتباليغ في إحاطة نفسها بجو من الأسرار غطت وجهها بغطاب أبيض ولكي لا أفسد أثر هذا المظهر الشعري تقدمت منها مشيا على طرفي قدي ، وتكلمت في صوت أدنى إلى الخمس منه إلى الصوت المسموع

ومما أندكره الآن أنني لم أكن — إلى حد ما — بيت القصيد في هذه المقابلة إذا نحن تناولناها بشيء من التفصيل ، فلم يكن إهتمام ساشا بالمقابلة في ذاتها كاهتمامها بما يحيط بالمقابلة من الأسرار الشعرية

إليها لما كان هناك من شك في أن ترفع حاجبها وتفكر لحظة ثم تقول كما قالت أولاً :

« جميع الأنواع »

ثم أوصلت ساشا إلى بيتها وصرت أزورها وأغادر دارها في انتظام ، وقد تمت الاجراءات الرسمية للخطبة ، ووقفت موقف الانتظار حتى يحين يوم الإكليل . ولو سمح لي القاريء أن أحكم على الأمور بمجرد تجاربي الشخصية لقلت إن « الخطبة » من الأمور الموحشة جداً ، فالإنسان في أثنائها يكون أبعد جداً من أن يكون زوجاً أو أن يكون شخصاً غريباً لا علاقة له على الإطلاق بالخطبة . فليس الرجل في هذه الحال بالزوج ولا بالرجل القريب ، فقد ترك إحدى ضفتي النهر ولم يصل إلى الضفة الثانية ، فلا هو بالزوج ولا من الممكن أن يسمى أعزب

وصرت - في كل يوم - إذا وجدت لدى فترة فراغ من العمل قصدت إلى دار خطيبتي . وكنت كلما قصدت إليها حملت معي مقداراً عظيماً من الآمال والرغبات والنيات والاقتراحات والبهارات المختارة . وكنت دائماً أنصوّر ، لشدة ما أشعر به من الضيق والكتابة ، أن الخادمة لا تكاد تفتح الباب حتى أغوص إلى عنق في بحر من السعادة المتعشة . ولكن الأمور كانت دائماً تنقلب إلى العكس من ذلك في الواقع . ففي كل مرة قصدت إلى زيارة خطيبتي وجدت أن أسرتها وكل من يحويها الدار مشتغلين بأمر « الجهاز » السخيف . (وعلى فكرة أقول إنهم كانوا منهمكين بالفصل في الجهاز منذ شهرين إنهما كآ شديدان فجهزوا أشياء تقدر بأقل من مائتي روبل) وهناك يشم الإنسان رائحة المكاوي ، ودهن الشموع ودخانها . وترطم قدمه

ولكنني لم ألبث أن تبينت على وجهها أثر التفكير الشارد . فعلى لم تفهم شيئاً مما قلت لها ، ولم يكن المستقبل الذي تحدثت عنه لهما إلا من وجهته الظاهرة فقط . ولقد كنت أضيع وقتي في عرض خطبتي ومشروعاتي عليها . فقد كان هما كله منصرفاً إلى معرفة أية الغرف ستكون غرفتها ، وأى نوع من أنواع الورق ستغطي به جدران هذه الغرفة ، ولماذا فضلت البيان (١) المرتفع على البيان الضخم الذي يشغل حيزاً كبيراً من الغرف . . . وهكذا . وخصصت في دقة جميع الأشياء الصغيرة الموضوع على المائدة ، ونظرت إلى الصور الفوتوغرافية وشتمت الثفاني وزعت طوابيع البريد القديمة عن الظروف قاتلة إنها تحتاج إليها لأمر ما . وقالت وقد تبهم وجهها :

« أرجو أن تجمع إلى الطوابيع القديمة ! ومن فضلك لا تنس ذلك »

ثم وجدت على قاعدة النافذة بندقية فكسرتها بصوت عال وأكلتها .

ونظرت إلى خزانة الكتب وقالت :

« لماذا لا تلتصق بطاقات صغيرة على ظهر كتبك ؟ »
« لماذا ؟ »

« أوه . . . لكي يحمل كل كتاب رقمه . . . »

ثم أين أضع كتبتي ؟ فإن لي أنا أيضاً كتباً كما تعلم فسألتها :

« أى نوع من الكتب عندك ؟ »

فرفعت ساشا حاجبها وفكرت لحظة ثم قالت :
« جميع الأنواع . »

ولو أنه خطر لي أن أسألها عن نوع تفكيرها وما تفتيق من المذاهب وعن الاهداف التي ترمي

١ - استعملت كلمة البيان بكسر الباء منذ سنوات تقريباً
لكلمة يانو

مقدم رأسي . فقد كنت مضطراً أن أصحب السيدتين إلى السوق ، وإنه لما يهد أعصابي ويضايق صدي أن أصنى إلى النساء وهن يمتن شيئاً من الخواثيت ، فيساومن البائع المتنبه محاولات أن يقبلنه . ولقد كنت أخجل عندما أرى ساشا بمد أن قلب كمية هائلة من البضائع وبعد أن تنزل بالثمن إلى النهاية الصغرى ، تخرج من الخانوت دون أن تشتري شيئاً على الإطلاق ، أو تطلب من التاجر أن يقطع لها من القماش ما لا يزيد ثمنه على نصف روبل

وإذ خرجت خطيبي وأما من الخانوت أخذنا وقد بدت على وجهيها علامات الغضب والجهد ، تتناقشان في أهمها قد أخطأنا فابتاعتنا نوعاً ليس هو المطلوب ، لأن الزردات في القماش الجديد شديدة السمرة أو ما إلى ذلك .

نم إن فترة الخطبة لن أقبل الفترات وأجلها للصديق ، وإنه ليسرني أن قد انتهت هذه الفترة بسلام والآن أنا متزوج . وهذا هو المساء قد أقبل ، وأنا جالس في مكتبي أقرأ أحد الكتب ، وقد جلست ساشا ورأني على الصفة تمضغ شيئاً في فمها في صوت مرتفع ، وإن بي الحاجة إلى قنح من البيرة فأقول : « ابجي يا ساشا عن فتاحة القنفاي ، فقد تجدينها في مكان ما هنا »

فتب ساشا من مكانها وتفتش مبعثرة رزميتين أو ثلاثاً من الورق ، وتسقط علبة الكبريت على الأرض ، ودون أن تجد الفتاحة تعود فتجلس صامتة لا تنبس بحرف ...

وتعشى خمس دقائق ثم عشرين . وتبدأ أعصابي تتور من العطش والغضب ، فأقول ثانية :

« أرجو يا ساشا أن تبجي عن الفتاحة »

فتب ساشا مرة أخرى وتعود إلى بعثرة الأوراق

يكرات الخيط وتخطيها . وكانت الفرقتان الرئيسيتان مسحورتين بالوسائد المصنوعة من التيل وغيره من الأقمشة الناعمة . من بين هذه الوسائد أطل رأس (ساشا) الصغير وبين أسنانها خيط معلق ، ورحب جميع من في الدار من المشتغلين « بالجهاز » بصيحات السرور والابتهاج ، ولكنهم لم يلبثوا أن أدخلوني إلى غرفة الاستقبال حتى لا أعطل عملهم وحي لا أرى ما لا يجوز أن يراه غير الأزواج . ولقد اضطرت ، وإن كان ذلك لا يتفق وشعوري ، أن أجلس في غرفة الاستقبال متحدثاً مع يمينوفنا إحدى قريبات ساشا الفقيرات . وكان القلق والانفعال بادين على ساشا فكانت تمر في مسرعة ما بين لحظة وأخرى حاملة في يدها بعض أدوات التطريز أو غيرها من الأشياء التي تضايقي ، وتقول بحمية على نظراتي المتوسلة السائلة :

« صبراً ، صبراً ، فلن أغيب عنك أكثر من دقيقة ، ولكن انظر كيف ألفت اللغينة استيانيدا مشد لباس الزفاف ! »

وبعد أن أنتظر عبثاً أن تني بما تفضلت به من وعد ، يضيق صدي وتثور أعصابي وأترك البيت لأتجول في الطرقات مصطحباً عصاي الجديدة التي ابتعتها منذ عهد قريب

وكنت قد تفت مرة إلى اصطحاب خطيبي في نزهة على الأقدام أو في عربة ، فلما وصلت إلى دارها وجدتني واقفة بالفعل مع أمها في ردهة الدار تبث بظلتها مستعدة للخروج . ولقد بادرتني بقولها :

« أوه .. إننا خارجتان إلى السوق فلا بد من أن نتبع كمية أخرى من الكشمير ، وأن ننير هذه القبة »

ولقد شعرت عندئذ كأن صدمة قوية قد أصابت

أنني في الأيام الماضية، يوم لم أكن واقفا تحت سلطان الحب، كنت أفر من المرأة إذا رأيت بقعة على جوبها، أو إذا سمعت منها كلمة بلهاء، أو لأنها لا تحسن تنظيف أسنانها، والآن أراي أغتفر كل شيء! الضغ، والغبث بالأوراق عند التفثيش عن الفتاحة، وعدم اتساق الملابس، والكلام الطويل فيما لا فائدة منه. أغفر ذلك كله على غير شعور أو إرادة مني ودون أن أحمل لإرادتي أي مجهود في سبيل ذلك. كما تأمل أعلاط ساشا هي أعلاطي الشخصية. وهناك كثير من الأشياء التي كانت في الماضي تزججني وتثيرني قد أصبحت اليوم تبعث إلى نفسي الحنان والاشفاق، بل إنها تشعري أحيانا بمواطفة القرام. وتفسير هذا التسامح في كل شيء منطوي في جي ساشا، ولكن ما هو تفسير الحب نفسه؟ الجح أني لا أستطيع أن أفر الحب.

سيرة محمد الحمير عمري

القرية مني، فيؤثر في صوت مضغها واحتكاك الورق تأثير السكاكين إذا حكمت بعضها ببعض لارهاها. فأقوم من مكاني وأبحث بنفسي عن الفتاحة فأجدها آخر الأمر، وأفتح زجاجة البيرة. فتجلس ساشا بجوار المائدة وتبدأ تحدثني في موضوع طويل لا ينتهي. فأقول:

« يحسن أن تقرأ شيئا يا ساشا »

فتناول كتابا وتجلس في مواجهةي وتبدأ تحرك شفيتها... فانظر إلى جبهتها الصغيرة وشفيتها المتحركتين وأستغرق في التفكير. فأقول في نفسي: « لقد قارب المشرين من عمرها... فلو قاربها الانسان بقى في سنها من الطبقة المثقفة فيا لمظم الفارق الذي يحده بينهما! فسيجد الفتي على شيء من العلم والمبادئ والدكاء »

ولكنني لا أثبت أن أغتفر هذا الفارق أغتفاري جبينها المائل وشفيتها المتحركتين. وإني لأذكر

الفلاح المصرى يزرع القطن
والعامل المصرى يغزله وينسجه
فالقطن ثروتكم وهو غركم
أعدته لكم منسوجات لا تقارن في جودتها
شركة مصر للغزل والنسيج
اشتروا ما يلزمكم من
شركة بيع المصنوعات المصرية
ومن فروعها بالقطر المصرى ومن تجار المانيفاتورة

عن عيني ليدى
كاترفيل .

فأجاب الوزير:
سأدفع ثمن الشبح
ياسيدى اللورد كما
أدفع ثمن ريش
القصر . أنا من عالم
يتنازع فيه المال كل

شيء ويطنى شبانه على العالم
القديم من حين الى حين
يصنفونه بالحرمة ويحملون إلى
بلادهم أشهر ممثلاتكم وأعظم
عقبلاكم . واني لأقرر هنا أن
هذا الشيء الذى تتحدث عنه
إذا عد شبحاً في أوروبا فانا
نضعه في بلادنا في أحد
التساحف العمومية في وقت

قصير أو في الطريق ليتفرج عليه الغادى والرائح
قال لورد كاترفيل مبتسماً — أخاف أن يكون
الشيخ موجوداً . إنه معروف منذ ثلاثة قرون : أعنى
منذ سنة ١٥٨٤ ؛ ومن عادته أن يظهر قبل موت
أى فرد من أسرتنا .

— حسن . هذا هو اعتقاد العائلة في هذه المسألة؛
وفي رأي أنه ليس هناك من شيخ ؛ وأحب أن
أصارحك ياسيدى أن قوانين الطبيعة لا يمكن أن
تكون يوماً من الأيام خاضعة للأرستقراطية الانكليزية
أجاب لورد كاترفيل دون أن يدرك تماماً مغزى
الملاحظة الأخيرة : إذا كنت لا تكترش بالشيخ يقيم في
التزل فهذا حسن ، ولكن أرجو ألا تنسى أنى حذرناك .

شبح كاترفيل

للكاتب الانجليزى ايسكار وايلد
بسم الاستاذ بشير الشيقى



حينما ابتاع السيد هيرام
ب . أوتس الوزير الأمريكى
قصر كاترفيل الصينى خطاه
الناس أجمون وقالوا له إنك
تصرف تصرفاً سخيفاً لأن
القصر مسكون لا يشك في
ذلك أحد ، حتى لورد كاترفيل
نفسه الرجل الطيب النبيل قد
رأى أن من واجبه أن يلتفت

نظر السيد أوتس إلى هذه الحقيقة حينما شرع
يبحث معه ثمن القصر .

قال لورد كاترفيل — لقد أهملنا منكى هذا
القصر منذ اليوم الذى أغمى فيه على عمى المجوز
إغماء لم تشف منها أبداً متأثرة من يدين عظيمتين
وضمتا على كتفها وحى ترتدى ثوب الغداء — وأرأى
مضطراً أن أخبرك يا سيد أوتس أن أفراداً من عائلتنا
عديدين قد شاهدوا الشيخ ، كما أن أسقف الأبرشية
أوغسطس دامير قد شاهد أيضاً ، وأنه يمد حادث
عمى المزعج لم تعد تيجراً خادمة من خادماتنا الشابات
على المسكت عندنا ؛ وكذلك نفت هذه الأصوات
البهمة التي تتصاعد كل ليلة من المر والمكتبة الرقاد

ولكن السماء حُجبت فجأة بالغيوم حين وصلوا إلى مدخل القصر الذي غرست الأشجار على جانبيه، واستولت على الجو سكينه رهيبة، وطار فوق رؤوسهم سرب عظيم من الغربان، ثم تدفقت أمطار غزيرة حين وقفت بهم المربة عند باب القصر؛ وكانت في انتظارهم على الدرج امرأة عجوز في ثياب من الحرير الأسود وقبعة بيضاء ومثري هي السيدة (أمي) قهرمانة المنزل التي انحنى لهم حين أقبلوا المنحاة الاحترام وقالت بلهجة قديمة أنيقة: (لقد حلتهم أهلاً)؛ ثم سارت أمامهم وهم يتبعونها فروا بالهو الفخم ثم دخلوا المكتبة فاذا هي غرفة واطلة طويلة قد سودت جدرانها بأخشاب السنديان، وفي نهايتها نافذة كبيرة قد ثبتت ألواح الزجاج في ردتها؛ وفي هذه الغرفة وجدوا الشاي قد هيء لهم فجلسوا مائدة ثم ما تدرأ به من ثياب وجلسوا يديرون أبصارهم في الغرفة والسيدة أمي قد وقفت رهن إشارتهم.

وجاءت لفت نظر السيدة أوتس بقعة على البلاط حمراء قائمة قريبة من الموقد فقالت للسيدة أمي وهي غافلة تماماً عن الجواب: ما أحسب إلا أن شيئاً أريق هنا.

أجابت القهرمانة العجوز هامسة: نعم ياسيدتي لقد أريق دم في هذه البقعة.

صاحت السيدة أوتس — باللفظة: أنا لا أطيق أبداً أن أرى بقع دم في غرفة الجلوس. يجب أن تزال حالا.

اتسمت العجوز وأجابت في نغمة هادئة مهمة: إنه دم اليلدي ألينورا كانترفيل التي قتلها زوجها السير سيمون كانترفيل في نفس هذه الغرفة وعند هذه البقعة سنة ١٥٧٥ وقد عاش زوجها بعد (٢)

وبعد هذا الحديث بمدة أسابيع تحت صفقة البيع؛ وفي مطلع فصل الصيف قصد الوزير وعائلته قصر كانترفيل، وكانت العائلة مؤلفة من السيدة أوتس وهي التي اشتهرت بمجالها الساحر في شبابها، ولا تزال وقد بلغت منتصف عمرها جميلة المينين جذابة الملامح، ومن ولدها البكر وشنجطون وهو شاب جميل الوجه حقاً، جميل القد، جميل الشعر، دقيق الحس رقيق العاطفة، ومن الآنسة فرجينيا وهي فتاة صغيرة في سن الخامسة عشرة لطيفة في عيناها الزرقاوين الواسعتين حرية مستحبة، وكانت إلى جانب ذلك مسترجلة سابقت في أحد الأيام وهي راكبة على مهرها لورد بيلتون العجوز فسبقته وكانت حلبة السباق تمتد من تمثال (اشيل) إلى حيث وقف دوق شيشر الشاب الذي أعاده رواده إلى (إيتون) في الليلة ذاتها باكياً على فراق فرجينيا؛ ثم التوأمان البهيجان وكانا أشهر أفراد العائلة إذا استثنينا الوزير الخطير.

ولما كان قصر كانترفيل يبعد عن محطة (اسكوت) سبعة أميال فقد خاطب السيد أوتس هذه المحطة ليهيئوا لهم عربة؛ حتى إذا وقف القطار في (اسكوت) كانت العربة في انتظارهم فركبوها متعبطين.

لقد كان مساء جميلاً من امساء تموز وقد لطف الجو عيب غابات الصنوبر، وكانوا يسمعون من وقت لآخر قرى الغاب يرجع أغانيه العذبة، ويلحون السناجب الصغيرة ترمقهم من أشجار الزان حين يمرّون بها، والأراب تندفع مسرعات في الأجمة وأذنانها البيضاء في الهواء ثم سرعان ما تنحني عن الأبطار.

قالت : لقد شاهدت بعيني رأسي أشياء يقف لها شعر كل مسيحي . وما أكره الليالي التي لم يغمض لي فيها جفن هلمنا من حوادث مرعبة كانت تقع هنا وعلى كل حال فقد اطمان السيد أوتس وزوجه هذه السيدة الطيبة القلب وأكدا لها أنهما لا يخافان الشبح؛ وهي بعد أن توسلت إلى الله أن يحفظ سيدها الجديد وسيدتها وبعد أن بحثت معهما في زيادة مرتبتها سارت وهي ترتجف إلى غرفتها .

لم تهدأ ثورة العاصفة طوال الليل؛ ولكن لم يقع من الحوادث ما يستحق الذكر .

وفي الصباح زلت الأسرة لتناول الفطور فوجدوا بقعة الدم الزمجة على البلاط للمرة الثانية . فقال وشنجنطون : لا أعلن أن الخطأ خطأ (دهان بنكرتون) لأنني جربته في كل شيء ، بل إنه الشبح . وعاد يمسح البقعة مرة ثانية ولكنها ظهرت في الصباح الثاني ، وكانت في مكانها في صباح اليوم الثالث على الرغم من أن السيد أوتس قد أقفل بنفسه في المساء باب المكتبة وحمل معه المفتاح .

والآن تجلس الأسرة بأجمعها تفككه بالأحداث ، فالسيد أوتس يعترف أنه غالى في إنكار وجود الشبح ، والسيدة أوتس أعلنت عزمها على الانضمام إلى (الجمعية الطبيعية) ، وأعد وشنجنطون رسالة مقولة في موضوع (ثبات البقع الدموية حين تتصل أسبابها بجمجمة) وهكذا زال من بال الجميع في تلك الليلة كل شك يتعلق بوجود الشبح .

كان النهار مشرقاً دافئاً وقد ركبت المائلة للزهدة في فتحة المساء البارد ولم يعودوا إلى المنزل إلا في

ذلك تسع سنين ثم اختفى فجأة على أثر حوادث غامضة ، ولم تكنشف جثته ، ولكن روحه الشريرة لا تزال تسكن القصر ؛ وكثيراً ما أثارت بقعة الدم هذه استغراب السائحين واستغراب سوامم خصوصاً وهي باقية لا تزول أبداً

صاح وشنجنطون أوتس : هذا كله هراء . إن قليلا من هذا الدهان سيزيلها في الحال . وقبل أن تمتريش القهرمائة المروعة ركم على ركبته واخذ يفرك بسرعة أرض البلاط بعود صغير كأنه ميثاق أسود وفي لحظات قليلة لم يبق أثر لبقعة الدم

فأعلن وشنجنطون وقد غلبته نشوة الظفر : لقد كنت موقناً أن (دهان بنكرتون) سيجعلها أترأ بعد عين . قال ذلك وهو يميل بصره في أهله الذين تملكهم الدهشة ، ولكنه ما كاد يفوه بكلماته هذه حتى أضاء النرفة وميض خطف الأبصار ، وقصفت العود قصفاً خفيفاً هزم هزاً عنيفاً وأوقع السيدة أمي مشفياً عليها

قال الوزير الأميركي وهو يشعل سيجاره الطويل بكل هذوء : ياله من جو مزعج ! لقد كنت أحسب أن انكثرة هي خير بلد للسباحة فإذا بها مكتظة بالسكان وإذا بالمرء لا يجد فيها جواً معتدلاً

صاحت السيدة أوتس — يا عزيزي هيرام ما الذي نستطيع أن نفعله لاسمأة أغمي عليها ؟

أجاب الوزير — قشني عن الذي سبب لها الاغماء ثمداوها به فلا يغمي عليها بعد ذلك . وفي الواقع فقد استيقظت السيدة أمي بعد لحظات ولكنها كانت ترتعش رعباً ، وقد أخطرت السيدة أوتس بحمارة المفجوع أن يحذر أموراً مروعة لا بد أن تقع في المنزل .

اللفافة عدة شهادات على حسن تأثيرها. وها أنا أضع لك القارورة إلى جانب شمعات غرفة النوم، ويسرني أن أقدم إليك ما تحتاجه من مقادير أخرى. قال الوزير هذه الكلمات وهو يضع القارورة على المنضدة الرخامية ثم أغلق باب غرفته وعاد إلى فراشه.

وقف الشيخ لحظة جامداً في غيظ طبيعي، ثم رمى القارورة على البلاط اللامع فخطمها واندهج في المر يصعد أنفاساً ثقيلة وينثر ضوءاً أخضر شاحباً، ولكنه لم يكده يصل إلى أعلى السلم الكبير حتى فتح باب وظهر فيه وجهان صفران أبيضان ودوت وسادتان في رأسه، ولكنه كان مستمجلاً لا يقدر على التأخر لحظة فغاب في باطن الجدار وعمت السكينة القصر.

ولما وصل الشيخ إلى غرفة سرية صغيرة في الجناح الأيسر وقف متكئاً على الحائط أمام أشعة القمر ليسترجع أنفاسه، وأخذ يفكر ويتأمل في حاله، إنه لم يكن مثل هذه الاهانة قط خلال ثلاثمئة عام مرتبت متلازمة هادئة. لقد فكر في الدوقة (داوجر) التي أغشى عليها من الخوف بينما كانت واقفة أمام المرأة في أشرطها وجواهرها، وفي الخاديمات الأربع اللاتي أصبن بالضرع لمجرد أن حرق أسنانهن من خلال ستائر إحدى غرف النوم، وفي أسقف الأبرشية الذي أطفأ له شمعه في إحدى الليالي التي عاد فيها متأخراً من المكتبة فقضى عمره تحت عناية السير وليام شهيد اضطراب عصبي، وفي سيدة (تريبولاك) المجوز التي استيقظت مبكرة في صباح أحد الأيام فشاهدت هيكلاً عظيماً يجلس في كرسي كبير إلى جانب النار يقرأ في مذكراتها اليومية فظلت طريحة الفراش على أثر هذا المشهد ستة أسابيع تحرقها

الساعة التاسعة، فتناولوا طعاماً خفيفاً ثم دار الحديث فلم يصل إلى الأشباح من أى طريق. تحدثوا عن ساره برنار كصفانة بلغت قمة الشهرة، وعن صعوبة الحصول على دقيق وكمك وعسل حتى في أحسن البيوت الانكليزية، وعن أهمية بلدة (بوسطن) في حركة النشاط العالمي، وعن فوائد نظام (الأمتمعة في سكة الحديد)، وعن حلاوة اللهجة النيويوركية إذا قيست بتشدق لندن، ولم يرد في أحاديثهم ذكر لخوارق الطبيعة ولا للسير سيمون دى كاترفيل أصلاً. وعند ما دقت الساعة الحادية عشرة قامت الأسرة، لتنام وبعد نصف ساعة أطفئت الأنوار؛ وبعد قليل استيقظ السيد أوتس على صوت مزعج في المر خارج غرفته أشبه بقعقة الحديد. وكان الصوت يدنو شيئاً فشيئاً فنهض في الحال وأشعل عود تقاب ونظر في ساعته فإذا هي واحدة بعد منتصف الليل. لقد كان في كامل هدوئه فجس نبضه فلم يجد أثراً لحي، ولكن لم ينقطع الصوت المبهم. وها هو يسمع معه بوضوح وقع أقدام، فتدثر بثيابه وتناول من صندوق في الغرفة قارورة مستطيلة صغيرة وفتح الباب فإذا به يشاهد أمامه على ضوء القمر الباهت رجلاً عجوزاً في مظهر خفيف يقدح الشرر من عينيه الجراوين وقد انسدل على كتفيه شعر طويل أشيب أشفث، عليه عباءة من طراز قديم فذرة كالحة يتدل من رسغيه وكاحليه أغلال ثقيلة وسلاسل صدئة.

فبادره السيد أوتس قائلاً: ياسيدي العزيز! أراني مضطراً أن ألح عليك أن ترتب هذه الأغلال وقد أحضرت لك لهذه الغاية قارورة صغيرة من زيت (كلمني) المعروف بفائدته الماجلة؛ وإنك لتجد في

من الرقاد ومثل هذه الأصوات لاتنقطع خارج
غرف النوم .

وعلى كل فقد قضاوا بقية أيام الأسبوع دون
أن يزعمهم أحد ، ولكن الشيء الوحيد الذى كان
يثير انتباه الجميع هو ظهور بقعة الدم على بلاط
المسكنة ظهوراً متوالياً ؛ وهذا لعمر الحق مستغرب
لأن السيد أوتس كان يقفل الباب كل ليلة ويحكم
إغلاق النوافذ ، وكذلك كان تنبر لون بقعة الدم
كتنبر الحبراء محل ملاحظة وانتقاد ، فى صباح
يكون ممثاً ، وفى آخر أحمر فاتحاً ، ثم أحمر فاقماً ، ثم
بنفسجياً ؛ وكان إلى ذلك موضوع تسليية العائلة
وصراعات حرة كل مساء ، ولكن الصنيرة فرجينيا
كانت الوحيدة التى لم تشارك فى هذا المزاح ، وكانت
تظهر عليها علامات الامتناع لسبب مجهول كلما
شاهدت بقعة الدم حتى أنها كادت تبكي فى صباح
أحد الأيام الذى ظهرت فيه البقعة خضراء لامعة .

وفى مساء يوم الأحد ظهر الشبح للمرة الثانية ،
وذلك أن الأميرة بعد أن ذهبت إلى الفراش بقليل
إذا بها تنفص فجأة على صوت سقوط جسم ثقيل فى
القاعة فاندفعوا جميعاً إلى الطابق السفلى فإذا بدرع
قديم قد حل من موضعه فى الحائط وسقط على
البلاط ، وإذا بشبح كاترفيل قد جلس فى مقعد كبير
يفرك ركبته وقد ارتسمت على وجهه صورة النزاع
الأخير ، فسد التوأمين فى الحال سهام اللعب التى
أحضراها معها ورمياه بهمين بمهارة من أمضى
وقتاً كبيراً يثرن على ظهر الأستاذ وهو على
اللوح ، بينما رفع وزير الولايات المتحدة مسدسه
فى وجهه وطلب إليه على الطريقة الكاليفورنية
أن يرفع يديه ، فهض الشبح بصيح من الغضب صياحاً

جى دماغية ، ولما شفيت لُزمت الكنيسة واتقطعت
عن (فولتير) الدهرى ذى السمعة السيئة .

لقد استعرض فى مخيلته كل أعماله العظيمة
فذكر أيضاً هذا الخادم الذى أطلق على نفسه النار
فى بيت المؤونة لأنه أبصر يداً خضراء تنقر على
زجاج النافذة ؛ وليدى (استونفيلد) الجميلة التى
اضطرها إلى أن تلف عنقها دائماً بمصاصة من مخمل أسود
لتخفى أثر خمس أصابع طبعت بالنار فوق بشرتها
البيضاء والتى انتحرت آخر الأمر بأن أغرقت نفسها
فى بحيرة للسماك .

ثم بعد هذا كله أتية أمريكى متجدد حقير
فيقدم إليه بكل برود (زيوت تامنى) ثم يكون فى
القصر من يقذف رأسه بوسائد . إن هذا لا يطاق
أصلاً ؛ وفوق ذلك فإن التاريخ لا يذكر أن شبحاً
عومل مثل هذه الماملة ، ولهذا قد صمم على
الانتقام وظل حتى الفجر يقلقه التفكير المميق

حينما جلست عائلة أوتس لطعام الفطور فى صباح
اليوم التالى تناولت حديث الشبح من بعض الوجوه ،
فوزير الولايات المتحدة قد أغضبه قليلاً رفض هديته
وقد قال : إننى لا أضمن للشبح إلا كل خير ، ولا
أريد أن يزعم أحد ، وأرادنى مضطراً إلى أن أقول إن
رمى الشبح بالوسائد وهو الذى أمضى كل هذا الزمن
الطويل فى القصر ليس من التوق فى شيء . إنها
لملاحظة دقيقة يؤسفى أن أصرح بها . وهنا
انفجر التوأمين عن هدير من الضحك واستمر
الوزير يقول : ومن جهة أخرى فإنه إذا كان يرفض
حقيقة استعمال زيوت تامنى . فسنضطر إلى تزج
السلاسل عنه إنه لمن المستحيل أن يتمكن أحداً

وقد ظل بعد ذلك عدة أيام يشكو المرض الشديد ملازماً غرفته لم يخرج منها إلا ليطلع بقعة الدم في مكانها الخاص ، ولكنه شئ أخيراً بفضل عنايته الشديدة بنفسه وصمم على تجربة ثالثة يفرغ بها وزير الولايات المتحدة وأسرته وقد اختار يوم الجمعة ١٧ أغسطس موعداً لظهوره منفقاً معظم هذا اليوم في النظر إلى خزائنه ثيابه ، وأخيراً قرأه على قبعة مهتدة ذات ريشة حمراء ، وعلى كفن مكشكش عند الرستين والرقبة وعلى مديّة ذات حدين . وفي المساء هطلت أمطار غزيرة وعصفت الرياح عصفاً شديداً اهتزت لها أبواب القصر القديم ونوافذه فكان الجو تلك الليلة هو الجو الذي يريغه الشبح ؛ وكانت خطة عمله : أن يجعل طريقه إلى غرفة وشنجنطون أوتس رأساً فیرطن عند أقدامه وهو راقد في سريره . إنه يحمل لوشنجنطون حقداً من نوع خاص لاعتقاده أنه هو الذي اعتاد أن يزيل كل مرة بقعة الدم المشهورة بواسطة دهان (بنكرتون) ، وبعد أن يترك هذا الشاب فريسة للفرغ الأكبر يتقدم إلى الغرفة التي يشغلها وزير الولايات المتحدة وزوجها فيضع يده بركة على جبين السيدة أوتس ، ثم يهمس في أذن زوجها المرتجفة أهول أسرار المقابر ؛ أما فرجينيا الصغيرة فأنه لم يقطع في شيء يتعلق بها لأنها لم تؤذ أصلاً وكانت جد مؤدبة ولطيفة ، وقد اعتقدت أن أنات قليلة يصعدنها من خزائنه الثياب هي فوق الكفاية ، حتى إذا لم تستيقظ لسلحفاها بأصابع مشاوله . أما ما يخص بالتوأمن فقد صمم على أن يعطيهام درساً أي درس ؛ وأول ما سيقوله لهما هو أن يجلس على صدرهما لينتق أنفاسهما ، ومن ثم يقف بين فراشهما المتقاربين في صورة حيفة خضراء مثلجة ، وأخيراً يخلع كفته ويحس حول الغرفة

وحشياً ونشر حولهم ما يشبه الضباب ، وحينما مر بوشنجنطون أطفلاً له شمته فتركهم جميعاً في ظلام حالك ؛ ولما وصل إلى أعلى الدرج وكان قد ملك وعيه واسترجع قواه صمم أن يضحك ضحكته الجنونية التي أتت له في مناسبات عدة بأحسن الثمرات ، هذه الضحكة التي أبيض لها شعر (لورد ريكتر) للمستعار ، وأكرهت القهرمانات الفرنسيات الثلاث على ترك الخدمة قبل انقضاء الشهر . ضحك ضحكته التقليدية المرعبة فاهتر لها السقف المقود القديم ، ولكن الصدى الخفيف تلاشى حين فتح باب وخرجت منه السيدة أوتس في جلباب أبيض أزرق وقالت مخاطبة الشبح : « أخشى أن تكون مريضاً ؛ لهذا أحضرت لك قارورة من (اكسير الدكتور روبيلي) فإذا كنت تشكو سوء الهضم فانك ستجد فيها الدواء الشافي . خلعتي فيها الشبح مفيظاً ، وما كاليهم بتحويل نفسه إلى كلب أسود كبير حتى ضغ وقع أقدام تقترب منه ، فعدل عن تنفيذ ما صمم عليه واكتفى بأن حول نفسه إلى ضباب باهت ، ثم تلاشى خلال أنين عميق وكان ذلك في الوقت الذي وصل فيه التوأمان . وحين دخل غرفته ارتعى خائر القوى فريسة لأشد أنواع القلق . أما فطاة التوأمن وبلادة السيد أوتس وماديتي فما يتمب حقاً ، ولكن الذي زاد في سخطه أنه لم يستطع أن يرتدى الدرع وكان يعلق على ارتدائه آمالاً كباراً لأنه يحسب أن منظر الشبح في الدرع يربح حتى الأميركي المتجدد ؛ وفوق ذلك فإن الدرع درعه قد ارتداه في مبارزة (كيت لورث) فكان فيه مثال البهاء والجلال فما باله الآن قد أنهد تحت ثقل الصدرية التجاسية الضخمة والخواذة الفولاذية ؟

مرعبة، وينبعث من عينيه أشعة ضوء قرمزية، وكأن
فيه بئر واسعة من نار قد وضع على صدره لوحة عليها
كتابات غريبة ورفع في يده اليمنى حساماً قصيراً
من فولاذ .

لقد كان خوفه شديداً لأنه لم يسبق له أن
شاهد شبحاً من قبل فآلتى نظرة ثانية خاطفة على
الشبح المربع ثم تراجع هارباً إلى غرفته يثبث في
أذيال كفته الطويل، وحين وصل إلى جناحه الخاص
رمى نفسه على سرير صغير وخبأ وجهه باللحاف ؛
وبعد زمن تمالك شبح كاتريفيل الشجاع نفسه
فقسم أن يمود حين يطلع النهار ويكلم الشبح الآخر.
وعلى ذلك ما كاد الفجر يلمس التلال بأصابعه الفضية
حتى عاد إلى المكان الذي وقع فيه نظره لأول مرة
على الشبح المائل تدفعه فكرة خطرت متأخرة على
باله أن شبحين خير من شبح واحد وأنه سيتمكن
بفضل صديقه الجديد من التغلب على التوأمين . وحين
وصل إلى المكان وقع نظره على مشهد مزعج . لقد
حدث للشبح حادث ، فقد انطفأ النور الذي كان
ينبث من عينيه الجاحظتين وسقط من يده الحسام
الفولاذي اللاصق ؛ ثم ما باله يتكلم على الجدار في وضع
متخاذل ؟ فاندفع إلى الأمام وقبض على ساعديه بيدين
مضطربتين فسقط الرأس وتدرج على البلاط ، وإذا
بشبح كاتريفيل يمانق سريراً مجللاً بنسيج أبيض
قد ارتقى عند أسفله ساطور مطبخ ومكنسة
ورأس لفت كبير، فلم يستطع أن يفهم شيئاً من هذا
التنير العجيب ؛ وبسرعة المحوم أنشب نخاله في
اللوحة فاذا به يقرأ على ضوء الصباح الباهت هذه
الكلمات الخيفة :

بعضاهم الضفراء البيضاء وعينه الواحدة الكروية
المائرة . وعند منتصف الساعة الحادية عشرة ونصف سمع
حركة الأسرة ذاهبة إلى الفراش وظل بعد ذلك
برهة ترعجه قهقهات التوأمين الرنانة، ولكنهم أخذوا
إلى السكينة جيماً عند حوالى الساعة الحادية عشرة
وعند منتصف الليل انبرى لهم . وكان اليوم ينقر
على زجاج النافذة والغريان تنوح من شجرة السنديان
العتيقة، والرياح تئن حول المنزل كالروح التائه، ولكن
أسرة أوتس كانت تنام ملء أجنافها غافلة عما يجري لها
القدر ؛ وكان بإمكان الشبح أن يسمع غطيط وزير
الولايات المتحدة يرتفع خلال المطر المهرم والصواعق
القاصفة .

انسل الشبح من الخزانة وعلى فمه الصلب
المتفئض ابتسامة شيطانية، وحينما مر بشرفة النافذة
خبأ القمر وجهه في الضباب وأظهر الليل البهيم
اشمئزازه ؛ وجماعة خيل إليه أنه يسمع شخصاً يصيح
فوق ولكن لم يكن هذا الصباح إلا بناح كلب
آت من مزردة قرية فاستمر في سيره يقذف
شتائم القرن السادس عشر الغريبة ويلوح بمخترجه
في الهواء دائماً أبداً ؛ وأخيراً بلغ زاوية الممر المؤدى
إلى غرفة وشجنون السى الحظ فوق هناك لحظة
والرياح تعبت ببدايته . عندئذ دقت الساعة ربما بعد
منتصف الليل فأحس أن قد آن الأوان فضحك
في سره وتحول إلى الزاوية، ولكنه ما كاد يتقدم
خطوة حتى تراجع إلى الوراء يولول من الخوف
وخبأ وجهه الأبيض بين يديه الطويلتين العظيمتين
فقد وقف أمامه شبح جامد كالتمثال النحت خفيف
كأحلام مجنون، وكان أصبع الرأس مصقول، مستدير
الوجه ضخمه، قلب سحنته إلى كشرة دأعة ابتسامة

فاذا كانت أميرة أوتس لارتغبها فن الواضح أنها لا تستأهلها . إنهم في هذا الوجود في مستوى وضع لا يستطيعون معه تقدير قيم الأشياء المرضية ولا فهمها .

لقد كان من واجبه المقدس أن يظهر في المر مرة في الأسبوع وأن يرطن من النافذة الكبيرة ذات الشرفة يوم الأربعاء الأول والثالث من كل شهر ، فلم يجد طريقة شريفة تخلصه من تعهده هذه . حقيقة أن حياته شر في شر ، ولكنه كان من ناحية أخرى أميناً على كل ما يتصل بخوارق الطبيعة ، وعلى هذا فقد ظل أسابيع ثلاثة يمتاز المر كمادته يوم السبت من كل أسبوع ما بين منتصف الليل والساعة الثالثة محاذراً كل الحذر أن يسمعه أو يراه أحد ؛ وفي كل مرة كان يخلع نعليه ويسير على رؤوس أصابعه مرتدي عباءة فضفاضة من الخمل الأسود ، وكان يكثر العناية بترتيب سلاسله زيوت (تأني) . وهنا أراي مضطراً أن أصرح أن الشيخ لم يوافق على قبول هذا النوع الأخير من التحفظ إلا بعد مشقة عظيمة . فقد تسلل في إحدى الليالي والأمره تناول طعام المساء إلى غرفة نوم السيد أوتس وجعل معه القارورة . لقد شعر أول الأمر بشيء من اللذة ولكن سرعان ما طوى هذا الاختراع وأدرك أنه أفاده إلى حد ما .

وعلى الرغم من كل شيء فإنه لم يترك وشأنه وهم لا يزالون يزعمونه ويقلقونه فقد نصبوا حبالاً على طول المر وعرضه كان يمتد بها في الظلام وقد سقط مرة سقطاً مؤلماً وهو في زي (اسحق الأسود) مترحلقاً بالسمن الذي فرشه له الترومان من مدخل غرفة الصور إلى أعلى الدرج ، فأغضبه كثيراً هذا

شبح ب . أوتس
هو وحده الشيخ الحقيقي الطبيعي
احذروا من التقليد

لقد انكشف له كل شيء . إنه خدع وهزم وغلب على أمره فشدد على لثتيه ، وعادت نظرة كاتريفيل القديمة إلى عيني ، وأقسم رافقاً فوق رأسه يديه المتفضتين على أسلوب المدرسة القديمة الغريب أنه عند ما يصيح الديك صيحته الثانية لتكتبن وثائق الدم وليخطرن القتل في القصر بخطى موزونة . وما كاد ينتهي من هذا القسم العظيم حتى صاح الديك فضحك ضحكة طويلة خرساء مرة وانتظر الصيحة الثانية . لقد انتظر ساعة أثر ساعة ، ولكن الديك لسبب ما لم يعد للصياح . وأخيراً بلغت الساعة السابعة ونصفاً وحضرت القهرمانه فاضطره حضورها إلى أن يضع حداً ليقظته ، فعاد يسير على حذر إلى غرفته يفكر في أمه الضائع ورجائه الخائب . ولما دخل غرفته استشار عدة كتب تبحث في الفروسيه القديمة وكان بها مفرماً فاذا به يجد الديك يصيح صيحته الثانية عند كل قسم من نوع قسمه . فتمتم قائلاً : الويل لهذا الخليلث النقي ؛ سيأتي اليوم الذي أضرق فيه حلقه بسهمي . ثم استراح إلى قايوت رصاصي رجب فكث فيه إلى المساء .

أصبح الشيخ في اليوم الثاني مريضاً تعباً ، فقد أخذ يظهر عليه أثر الاضطراب المزيج الذي لم يفارقه خلال الأسابيع الأربعة الأخيرة . لقد تورّت أعصابه فاذا به يجفل من ألطف الأصوات ، ولزم غرفته لم يفادها طيلة خمسة أيام . وأخيراً قرأه على التخلي عن بقعة الدم التي اعتاد أن يطبها على بلاط المكتبة ،

جبلته يفر راكضاً إلى غرفته بكل ما أوتي من قوة، وإذا به في صباح اليوم الثاني طريح الفراش يشكو الزكام القوي ويسيل عن فمه أن رأسه لم يكن معه في هذا الحادث وإلا كانت العاقبة وخيمة جداً لقد قطع الآن كل أمل من تخويف هذه الأسرة الأميركية الفظة الغليظة القلب وأقنع نفسه بالرحف حول الغرف وفي الممرات بخف خفيف وعلحفة حمراء خشنة يلفها حول عنقه ثقبه البرد، وبفدارة صغيرة يصد بها هجوم التوأمين.

وفي اليوم التاسع عشر من سبتمبر جاده آخر صدمة، فقد هبط الطابق السفلي إلى الهو العظيم موقناً أنه سوف لا يجد هناك ما يرجعه مملأً نفسه بتسجيل ملاحظات هجوة على صورتي الوزير الأميركي وزوجه اللتين حلتا محل صور عائلة كاترفيل، وكان يرتدي كفتاً بسيطاً طويلاً قد طرز بطين القبرة ويربط شدقه بقطعة مستطيلة من الكتان الأصفر، ويحمل قنديلًا صغيراً في يده وفأس سادن الكنيسة في يده، وكانت الساعة تبلغ الثانية والنصف صباحاً والكل كما كان يتصور نيام؛ فبينما هو متجه نحو المكتبة ليرى هل بقي أثر لبقة الدم وإذا شخصان يقفزان عليه فجأة من زاوية مظلمة ويوحان ساعديهما حول رأسيهما وينفخان في أذنه (بو)، فاحتاطه الفزع واندفع نحو السلم ولكنه وجد وشنجنون ينتظره هناك ومعه محقق الحديقة. ولما رأى نفسه محاصراً بأعدائه من كل جانب ومكرهاً على التسليم غاب في الموقد الحديدي الكبير الذي كان لحسن حظهم غير موقد، وكان عليه أن يجعل طريقه إلى غرفته خلال معاهد الدخان فوصل إلى غرفته في حالة يرثى لها من الوسخ والاضطراب واليأس

التحرش الأخير فصمم ليقوم بعمل جديد يسترجع به اعتباره ومركزه الاجتماعي فيزور الصنيرين السفهين في الليلة الآتية في زيه المشهور (روبرت الطائش). إنه لم يظهر في هذا الزى منذ سبعين عاماً أي منذ أن أخاف به اللبدي (برابر مودش) الجيلة فاضطرت أن تفسخ خطبتها من جد لورد كاترفيل الحالي وتفر مع (جالك كاتيلون) الظريف معلنة أنه لا يوجد في العالم من يكرهها على الاقتران من أسرة تسمح لمثل هذا الشيخ الخفيف أن يخطر في القصر عند الفسق. مسكين جاك! لقد قتل على أثر ذلك في مبارزة نشبت بينه وبين لورد كاترفيل ثم ماتت بربرة عطمة القلب في بلدة «تبرديج» قبل نهاية العام وكان ذلك من توفيق الشيخ.

كانت عملية التنكر جد متعبة إذا جاز لنا أن نستعير هذا التعبير السرحي لنلد به على ما يتصل بأحد المظاهر النامضة الخارقة للطبيعة، فقد قضى ثلاث ساعات وهو يستعد؛ وأخيراً كان كل شيء على أحسن حال فارتاح كثيراً لمظهره؛ غير أن (حذاء) الركوب كان واسماً قليلاً ولم يجد إلا مهمزاً واحداً، ولكنه كان على العموم راضياً كل الرضاء. وعند الساعة الواحدة وربيع أنسل من خزانة الثياب وزحف إلى الممر، وحين بلغ الغرفة التي يشغلها التوأمين وكانت تسمى غرفة النوم الزرقاء لكثرة ما فيها من الأشرطة والصور الملونة بهنا اللون، وجد الباب منفرجاً قليلاً ولكي يجعل دخوله مؤثراً انقض على الباب وفتحته على مصراعيه، ولكنه لم يشعر إلا بجمرة ماء ثقيلة قد صبت عليه ففسلت كل جسمه، ثم سمع رنين ضحكات عالية آتية من الفراش. لقد هزبت البصمة كيانه التوترة

الصغير في دوره المشهور (الراهب مصاص الدماء) هذا الدور الذي بلغ من فظافته ان ليدى (استارتاب) حيناً شاهده فيه في مساء عام ١٧٦٤ الجديد المشؤم أخذت تصرخ صراخاً جاداً مفرجاً اتعق بها إلى داء السكته ثم ماتت في ثلاثة أيام بعد أن حرمت كاتريفيل من إرثها وكان أقرب أقربائها ، وأوصت بكامل ثروتها إلى صاحب (صيدلية لندن) . ولكن خوفه من التوأمين منه في آخر لحظة من الخروج من غرفته فنام الدوق الصغير بسلام في غرفة النوم الملكية تحت المظلة المزخرفة يحلم بفرجينيا

وبعد ذلك بمدة أيام ركبت فرجينيا وفارسها إلى روضة (بروكلي) فإذا بها تدخل في السياج فتعرق ثيابها ، وفي عودتها قررت أن تدخل القصر من الباب الخلفي حتى لا يراها أحد ، وبينما هي مسرعة إلى غرفتها صرحت بفرقة الثياب فاتفق أن كان بابها مفتوحاً فلمحت في داخلها شيخاً خادماً والتهاتفت دخلت عليها لتأمرها أن تحيط لها ثوبها فإذا بهيها تفاجئ شيخ كاتريفيل نفسه ، وكان يجلس إلى جانب النافذة يراقب الأشجار الصفراء الباهتة صاعية في الهواء والأوراق الجراء ترقص مجنونة عند مدخل القصر ، ويسند رأسه يديه في وضع متخاذل كثيب لقد ملأ منظر الشبح البائس المخزول قلب فرجينيا الصغيرة شفقة فإذا بها لا تفر إلى غرفتها وتلتقي خلفها الباب بل تصمم ان تدخل عليه لتؤنسه وتمزيه وقد بلغ من خفة خطواتها وتقل آلامه أنه لم يشعر بوجودها إلا حين كتمته

قالت : إني لأتألم لك ، ولكن إخواني ذاهبون إلى إيتون غداً وحينئذ لا يمكن أحد عليك صوفوك

وبعد ذلك لم يشاهد الشبح ثانية في حلة ليلية وقد رقبه التوأمين في مناسبات عدة ولكن بلا جدوى . ومن الواضح أن شعوره المجروح هو الذي منعه من الظهور ؛ وعندئذ عاد السيد أوتس إلى تحرير كتابه العظيم (تاريخ الجماعات الديعقراطية) وهيأت السيدة أوتس سمكة مجففة عجيبه أدهشت أهل المقاطعة ، وأخذ الأولاد يلعبون ألماهم الأميركية الوطنية ، وكانت فرجينيا تركب مهرها وتسير في أزقة المدينة برفقة دوق شيشر الشاب الذي عاد من مدرسته ليقضي أيام العطلة في قصر كاتريفيل

لقد ظن الجميع أن الشبح قد رحل عن القصر فكتب السيد أوتس إلى لورد كاتريفيل كتاباً بهذا المعنى ، فجاء الجواب يعلن فيه اللورد سروره العظيم بهذه الأخبار ويرسل أهمل تهانيه إلى زوج الوزير الصالحة . لقد خدمت عائلة أوتس ؛ فالشبح لا يزال في القصر ، وهو وإن كان مريضاً لا يستطيع أن يترك الأمور تسيير سيرها الهادي الطبيعى خصوصاً بعد أن سمع أن ين الصنوف دوق شيشر الشاب الذي سبق أن تراهن عمه المجوز لورد (فرنسيس استيلتون) مع الكولونيل (كابوري) بمائة جنيه على أنه يستطيع أن يبلع شبح كاتريفيل النرد ؛ وقد وجدوه في صباح اليوم الثاني طريحاً أرض العرقة مشلولاً شللاً لا أمل في شفائه منه ؛ وهو وإن عاش بعد ذلك إلى أن بلغ أذل العمر فقد ظل لا يستطيع أن يتكلم سوى كلمة واحدة (دوشيش) ولهذا فقد كان طبيعاً أن يهتم الشبح بالظهور بمظهر الذي لم يفقد نفوذه على أسرة (استيلتون) التي تربطه بها أواصر المصاهرة

وعلى ذلك فقد استمد أن يظهر لحبيب فرجينيا

بقية أسرتك الفظة الغليظة البربرية الغادرة

— صاحبت فرجينيا واقفة على قدميها :
اسكت ! إنك أنت الفظ الغليظ البربري الغادر . ألسنت
أنت الذي سرقت مساحقي من صندوقي لتطبيع
وترخيف في المكتبة بقعة الدم ؟ لقد أخذت بادىء
ذى بدء اللون الأحمر بأجمعه وأخذت معه اللون
القرمزي وبذلك لم يعد باستطاعتي أن أترين بألوان
الغروب ؛ ثم أخذت اللون الأخضر الرمدي والأصفر
وأخيراً لم تترك لي سوى اللون النيلي والأبيض
الصيني ؛ وهكذا لم يعد في مقدوري أن أترين إلا
بألوان ضوء القمر ، هذه الألوان التي لا تسر الناظر
والتي ليس من السهل اتقانها . إنني لم أشكك على الرغم
من ألى الشديد . وقد أغضبني أكثر من كل شيء
أن تجعل بقعة الدم خضراء قمرية ؛ فهل سمع
أحد أن دماً يمكن أن يكون أخضر قمرياً ؟

قال الشبح متلطفاً : في الواقع أنك على حق ،
ولكن ما الذي أصنعه ؟ إنه لمن الصعب جداً أن
يحصل المرء على دم حقيقي في هذه الأيام ؛ وما دام
أخوك قد أخذ على عاتقه إزالة البقعة (بدهان
بنكروتون) فاني لم أجذب بداً من أخذ مساحيقك .
لقد كان دم أسرة كانتفيل أزرق وأشد زرقاً من
كل دم في انكثرة ، ولكي أعلم أنكم معاشر
الاميريكيين لا تكثرون بالأشياء التي بهذا اللون .

— إنك لا تعرف شيئاً عن ذلك ؛ وأرى أن
توسع مداركك وتتقف عقلك ؛ وأعتقد أن والدي
لا يمانع في سفرك إلى أميركا . انك ستلاقي نجاحاً عظيماً
في نيويورك ؛ وإنني لأعرف جماعة هنالك يدفعون ألف
دولار لو يكون لهم جد ، ويدفعون أكثر من هذا

أجاب الشبح وهو ينظر مشدوها إلى هذه
الفتاة الجيلة الصغيرة التي جرؤت على مخاطبته :
إن من البش أن تطلى إلى صفو العيش . من البش
حقاً ، فأنا مكتوب على أن أفرقع في أصغادي ، وارطن
من نقوب الفاتيس ، وأخطرفي المساء ، فكيف تطلين
منى أن أربح نفسي من أمور لم أوجد إلا من أجلها ؟
— ليس من معنى لهذا الوجود . وفوق ذلك
فأنت تذكر أنك اقترعت جريمة فظيعة . لقد أخبرتنا
السيدة (إمى) في اليوم الأول من وصولنا أنك
قتلت زوجتك

قال الشبح متحدثاً : حسن ! إنني أعترف بذلك
ولكن الحادث كان عائلياً بمحتا وليس له علاقة
بأحد

أجابت فرجينيا : إنه لأجرام أن تقتل أى
شخص

— إنني لأكره الشدة الرخيصة في التأديب .
لقد كانت زوجتي جد مهمة فهي لا تحسن يوماً
تنشئة قبائى ولم تكن تعرف شيئاً عن الطبخ . لماذا ؟
أنا مخبرك ؛ لقد اصطدت يوماً غزالاً من أجرة
(هوجلي) أندرين كيف وضعته على مائدة الطعام ؟
ولكن لا ليس من الضروري الآن . لقد انتهى كل
شيء ، وإنني لأحسب أنه يجمل بأخوانك أن
يميتوني جوعاً لأنى قتلها

— يميتونك جوعاً ! آه يا سيدي الشبح !
لا بل أريد أن أقول السير سيمون ! هل أنت
جائع ؟ إنني في صندوقي (سندويتش) أحب
السندويتش ؟

— لاء أشكرك . إنني لا أكل شيئاً الآن على
كل حال . هذا لطف عظيم منك . وإنك لأفضل من

أظلمت عينا فرجينيا بالدموع وخيأت وجهها
في يديها ثم قالت متمتعة :

— إنك تعنى حديقة الموت

— نعم الموت ! يجب أن يكون الموت جميلاً كل
هذا الجمال . جميل أن يستريح الانسان في الأرض
الناعمة السمراء والمشب يتنوع فوق رأسه مصنياً
للهدوء الشامل . جميل ألا يكون لنا أمس ولا غد !
جميل أن ننسى الزمن ونعفو عن الحياة فنظل في سلام .
إنك تستطعين مساعدتي لأن الحب مملك دائماً والحب
أقوى من الموت .

ارتشت فرجينيا وسرت في جسمها قشعريرة
باردة وسادت السكينة لحظات قليلة . لقد شعرت
كأنها في حلم مزعج .

عندئذ عاد الشبح إلى الكلام وكان صوته أشبه
بأنين الريح :

— هل قرأت مرة النبوءة القديمة المنقوشة على
نافذة المكتبة ؟

فصاحت الفتاة الصغيرة رافعة بصرها : أوه
كثيراً ما أقرأها ، وأني لأعرفها جيداً . إنها منقوشة
بأحرف سوداء غريبة ومن الصعب قراءتها وهي
سنة أسطر ونصها :

« حينما تستطيع فتاة كالمسجد أن تستخرج

صلاة من بين شقوق الخطيئة ؛

حينما تحمل شجرة اللوز اليابسة ،

وتسخر طفلة صغيرة بالدموع ؛

عندئذ يعم القصر الملهو

ويعود السلام إلى كاترديل »

ولكني لا أعرف ماذا تعنى هذه الأبيات .

فأجاب باكثاب — تعنى أنك يجب أن تبكي

المبلغ بكثير لو يحصل لهم شرف الانتساب إلى عائلة بين
أفرادها شبح .

— ما أظن أنني أسر في أمريكا .

قالت فرجينيا مقبرة : طبعاً لأنه لا يوجد
عندنا خرائب ولا تحف .

أجاب الشبح : لا يوجد عندنا خرائب ولا
تحف ؛ عندكم أسطوولكم وعندكم بحارتكم .

— فلتصبح على خير ! أنني ذاهبة لأرجو والذي
أن يحصل للتوأمين على إجازة أسبوع آخر .

فصاح الشبح : أرجو ألا تذهبي أيها الأنسة
فرجينيا . إنني وحيد وجد تيس ولا أدري ماذا

أصنع . إنني أحب أن أذهب لأنام فلا أستطيع .
— هذا غير معقول . يكفي أن تذهب إلى الفراش

وتغطي الشمة . إنه لمن الصعب جداً أحياناً أن تظل
يقظاً وعلى الأخص في الكنيسة ولكن ليس في

النوم صعبة .
قال الشبح متألماً : إنني لم أنم منذ ثلاثمائة

عام ، فانفتحت عينا فرجينيا الزرقاوان الجليتان
استغرباً ! لم أنم منذ ثلاثمائة عام وكما أنا في عذاب

إستولى الحزن على فرجينيا وارتشت شفتاها
الصغيرتان ارتماش أوراق الورد فذنت نحوه وتفرست

في وجهه المتفضع وتمتعت : مسكين مسكين أيها
الشبح أليس لك من مكان تنام فيه ؟

فأجابها في صوت هادئ حالم : هنالك بعيداً
وراء غابات الصنوبر يوجد حديقة صغيرة ينمو فيها

المشب طويلاً عميقاً ويغنى النندليب طيلة الليل ، طيلة
الليل يغنى ، والقمر الرزين القضي يتطلع من عليائه ،

وشجرة الصفصاف تبسط سواعدها الطويلة القوية
تحت الرافدين

ماحولها ، وإذا بها تشعر كأن يدًا تجذبها من ثيابها ، فصاح الشبح : (اسرعى اسرعى وإلا وصلنا متأخرين) وفي لحظة أغلق الجدار ذو النقوش خلفهما وخت العرفة .

وبعد عشر دقائق دق الجرس لتناول الشاي فلم تحضر فرجينيا ، فأرسلت السيدة أوتس أحد الخدم في طلبها فعاد بعد قليل وقال إنه لم يجد الآنسة فرجينيا في أى مكان . ولما كان من عادتها أن تخرج إلى الحديقة كل مساء لتعطف وردًا لمائدة الطعام فان السيدة أوتس لم تهتم بأدى ذي يدى ، ولكنها أخذت تضطرب حين دقت الساعة السادسة ولم تظهر فرجينيا ، فأرسلت الأولاد ليفتشوا عنها خارجًا بينما أخذت تفتش هي وزوجها في كل غرفة في القصر وقد عاد الأولاد عند الساعة السادسة والنصف يقولون إنهم لم يتركوا مكانًا لم يفتشوه ولكنهم لم يجدوا أى أثر لشقيقتهم .

إنهم الآن جميعًا في أشد حالات الاضطراب لا يدرون ماذا يصنعون ؛ وبقية تذكر السيد أوتس إنه سمع جماعة من النور منذ أيام قليلة أن تخيم في جهات القصر وإن هذه الجماعة قد رحلت إلى ضاحية (بلاك فيل) ، فركب في الحال هو وولده البكر مع خادمين إلى تلك الضاحية ليتحرى بين النور عن الفتاة وقد طلب اللوق شيشر وكان عظيم القلق على فرجينيا أن يسمح له بالذهاب أيضًا ، ولكن السيد أوتس لم يأذن له بمراقبتهم لأنه كان يخشى وقوع اصطدام هنالك .

وحين وصلوا المكان وجدوا النور قد رحلوا ، وكانت الأكار تدل على أنهم رحلوا فجأة ومنذ وقت

من أجلي ومن أجل ذنوبي لأنه ليس لدى دموع ، وتصلى من أجل نفسى لأنه ليس عندى إيمان ؛ وعندئذ رحى ملك الموت من أجل جمالك وصلاحك وأدبك . إنك ستشاهدين في الظلام أظلالا خفيفة ، وستهمس أرواح خبيثة في أذنك ، ولكنها سوف لا تؤذيك لأن قوى جهنم لن يمكنها أن تغلب على طهارة طفلة صغيرة

— لم تجب فرجينيا . ففرك الشيخ يديه بيأس قاتل وهو ينظر إلى رأسها المنحني الذهبي ، ولكنها وقفت فجأة شاحبة اللون بنبت من عينيها نور غريب وقالت في حزم : إننى لا أخاف وسأطلب إلى الملك أن يرجمك

فنهض من مقعده يصبح صيحة غبطة لطيفة وأمحنى على يدها يقبلها بلهفة ورشاقة . كانت أصابعه باردة كالثلج ، وشفاته مشتملتين كالنار ، ولكن فرجينيا لم تلتكأ حين أخذ يقودها وسط العرفة المظلمة

لقد أخذ الصيادون الصغار الذين طرزت صورهم على القماش الملحق الباهت ينفخون بأبواقهم ذات الديول ويشيرون إليها بأيديهم الصغيرة لترجع : (ارجى يا فرجينيا ارجى) ولكن الشيخ شد على يدها وأشاحت هي عنهم بوجهها ثم أطلت من مدخنة في الجدار حيوانات هائلة بأذنان سحابة وعيون جاحظة ترمقها وتتمتم : (كوني على حذر يا فرجينيا الصغيرة ! كوني على حذر ! قد لا تراك مرة ثانية) ولكن الشيخ انسل مسرعًا ولم تصغ فرجينيا لأحد . وحين وصلا إلى نهاية العرفة وقف يتمتم ببعض كلمات لم تفهمها ففتحت عينيها وأبصرت الجدار ينقش شيئًا فشيئًا كما ينقش الضباب فاذا أمامها كهف عظيم أسود ، وإذا برمح شديدة باردة . تكس

يعلم منه شيئاً؛ غير أن السيد أبرق لجميع المحطات وطمان السيد أوتس أنهم سوف لا ينقطعون لحظة عن التحرى عنها . وبعد أن ابتاع السيد أوتس قبة للدوق الصغير من أحد المخازن وكان صاحبه على وشك إغلاقه اتجه إلى (ميكلي) وهي قرية تبعد أربعة أميال عن (اسكوت) ويقيم فيها النور عادة؛ فلما وصلوا إليها قصدوا البوليس الرقيق ليستلموا منه عن فرجينيا، ولكنه لم يقدم شيئاً. وهم بعد أن تنقلوا في كل الساحات العامة والخاصة حولوا أجنة خيولهم إلى القصر وقد أمهكهم التعب وحطم قلوبهم الفشل فوجدوا وشنجنون والتوأمين في انتظارهم عند مدخل القصر يحملون الصاييح

لم يظهر أثر لفرجينيا . لقد قبض على النعز في صراج (بروكلي) ولكنها لم تكن معهم وقد عللوا رحيلهم المفاجئ أنهم : أخطأوا في تاريخ موسم (تشورتين) فاضطروا إلى الرحيل على عجل خوفاً من التأخر . وفي الحق لقد أظهروا غاية الأسف حينما سمعوا بضياع فرجينيا لما يحفظون للسيد أوتس من جميل منذ أن سمح لهم بالإقامة في أراضيه ، وقد تطوع أربعة منهم للمعاونة في التفتيش عنها

وأخيراً وبعد أن ذهب كل مجهود عبثاً أصبح في حكم الثابت أن فرجينيا قد فقدت .

دخل السيد أوتس والأولاد القصر فالتقوا في القاعة بجماعة الخدم الفرعين ، ثم دخلوا غرفة المكتبة فاذا بالسيدة أوتس قد ارتمت على المقعد الكبير يكاد الحزن يفقدها الوعي ، والقهر مائة تفرك جبينها بماء الورد ، فألح عليها السيد أوتس أن تتناول قليلاً من الطعام وأمر بتهيئة العشاء للجميع . لقد جلسوا للطعام وهم في حزن لا يوصف ؛ حتى التوأمين كانا

قصير ، لأن نارهم كانت لا تزال في اشتعال وعدداً من أطباقيهم ملقى على الحشائش ، فأرسل الوزير ولده والرجلين ليطوفوا في القاطعة متقين ، وعاد هو إلى المنزل على عجل وكتب برقيات إلى جميع مفتشى البوليس في القاطعة يطلب إليهم أن يتحروا عن فتاة صغيرة خطفها المتشردون أو خطفها النور . ومن ثم طلب أن يهيباً له جواده ؛ وبعد أن ألح على زوجه وأولاده أن يزلوا ويتناولوا غداهم ركب وسار في طريق (اسكوت) يرافقه السائس . وما كاد يسير ميلين حتى سمع شخصاً يمدو خلفه ، فنظر حوله فأبصر الدوق الصغير قائماً على مهره مغبر الوجه عارى الرأس .

لثت الولد قائلاً : إني للأسف جداً ياسيد أوتس ولكني لا أقدر أن أتناول أى غداء وفرجينيا ضائعة . أتوسل إليك ألا تغضب على . لو كنت وافقت في العام الماضي على عقد خطبتنا لما حدث شيء من هذا الأزعاج . سوف لا تأمرني بالرجوع . تأمرني؟ إني لا أستطيع أن أعود ولا أريد أن أعود .

لم يتمالك الوزير نفسه من الابتسام لمراى هذا الشاب الطائش الظريف وقد أثر فيه جبه العظيم لفرجينيا فأنحى عن جواده وربت بلطف على ظهره وقال : حسن ياسيسيل ! إذا كنت لا تريد أن تمود فعنى ذلك أنك تحب أن ترافقني ولكن على أن أبتاع لك قبة من (اسكوت) .

صاح الدوق الصغير مبتسماً : أوه لا ترجع نفسك بقبعتي إني أريد فرجينيا .

وسارا نيهان الأرض إلى محطة سكة الحديد ، وهناك سأل السيد أوتس مدير المحطة إذا كان أحد شاهد فتاة بأوصاف فرجينيا على الرصيف ، ولكنه لم

إلى فتحة الجدار تقوهم في ممر ضيق سرى وفي يد
وشنجنون قنديل تناوله عن المنضدة . وأخيراً وصلوا
إلى باب كبير من سندان قد رصع بمسامير غليظة
فالمسته فرجيننا حتى فنج على مصراعيه ، فإذا بهم
يجدون أنفسهم في غرفة صغيرة واطئة مقودة
السقف قد تمدد على أرضها الحجرية هيكل عظمي
هزيل ، فركت فرجيننا إلى جانبيه وأخذت تصلي
بهدهو ضامة يديها الصغيرتين إلى بعضهما والأسرة
تنظر دهشة إلى هذه المأساة المزعجة التي أخذ ينجلي
لها سرها .

ونجاة أعلن أحد التوأمين وهو يطل من النافذة
ليتحقق في أى جناح من القصر قامت الغرفة .
اسمعوا ! إن شجرة اللوز الكبيرة اليابسة قد نورت ؛
إنني أرى الأزهار واضحة على ضوء القمر .

قالت فرجيننا برزانه وهي تهض على قدميها
ونور جنيل يضيء وجهها : لقد غفر الله كل ذنوبه
صاح الدوق الصغير : يا لك من ملاك طاهر !
وطوق عنقها بذراعيه وقبلها .

بعد هذه الحوادث المفجعة بأربعة أيام خرجت
جنازة من قصر كانترفيل حوالى الساعة الحادية
عشرة مساء وكان النعش محمولا على عربة يجريها
ثمانية حياد سود ومنطلي ببساط أرجواني تزين
قد طرز عليه بالذهب ثوب كانترفيل الحربي . وسار
الخدم إلى جانب النعش والعربة يحملون المصابيح .
وفي الحق كان الموكب يبعث الرهبة والخشوع في
النفوس .

وكان اللورد كانترفيل الذي حضر من (وياز)
ليشارك في الجنازة أول المؤمنين . وقد جلس

واجين زاهلين . وحينما انتهوا أمرهم السيد أوتس أن
يذهبوا جميعاً إلى الفراش قتلاً إنه لم يعد في الأماكن
عمل شيء آخر الليلة . وأنه سيرق في الصباح إلى
(اسكوتلاند يارد) لتشر العيون في كل مكان .

وبينا هم خارجون من غرفة الطعام دقت ساعة البرج
مشمرة بانتصاف الليل ، وحينما دقت الدقة الثانية عشرة
سمعوا صوت انكسار أعقبته صرخة رنانة ، ثم هز
القصر هزيم عدي خفيف ، وطاف في الهواء الحن علوى ،
وإذا بفتحة تظهر في الجدار عند أعلى الدرج ، وإذا
بفرجيننا تخرج منها شاحبة اللون جداً وفي يدها
قبعة صغيرة فاندفعوا نحوها جميعاً وطوقها السيدة
أوتس بذراعيها في حنان ، وكم الدوق أنفاسها بقبلة
متقدة ، وأخذ التوأمان يرقصان حولهم رقصاً غريباً .
قال السيد أوتس مضطرباً حاسباً أنها كانت
تمازحهم — يا إله السماء ! وأين كنت أيتها الطفلة ؟
لقد ركبت أنا وسيسيل نفتش عنك المفاطمة بأسرهما ،
وكاد يقضي الأمل على والدتك . يجب ألا تمودي
إلى مثل هذه المازل بعد الآن .

صاح التوأمان وهما يقفزان — إلّا مع الشبح
إلّا مع الشبح .

تمتمت السيدة أوتس وهي تقبل الطفلة المرتمة
وتمسح على رأسها : أشكر الله يا عني زنى أنا وجدناك .
يجب ألا تترك جانبي بعد الآن .

قالت فرجيننا مبنية : لقد كنت مع الشبح
يا بابا ! لقد مات ويجب أن تشاهده . لقد اقترف
ذنوباً كثيرة ولكنه تاب أخيراً توبة نصوحا وقدم
لي هذا الصندوق الممتلئ بالجواهر قبل أن يموت
تفرست فيها الأسرة بدهشة خرساء ، ولكنها
كانت تتكلم برزانة وجد ؛ ثم تحولت قليلا وسارت

تأخذها معك إلى لندن على اعتبار أنها جزء من ثروتك
أعيتك إليك في حالات خاصة غريبة . ان ابنتي لا تزال
طفلة ويسرني أن أقول أيضاً أنها قليلة الاهتمام بذيول
الرفاء الباطل ، وكذلك فقد علمت من السيدة أوتس
أن هذه الجواهر عظيمة القيمة جداً وأنها إذا عرضت
للبيع أنت بشمن كبير ، ولهذا ترى يا حضرة اللورد
كيف يستحيل على أن أسمح ببقائها في ملكية أي
فرد من اسرتي . وفي الحق أن كل هذه اللب البراقة
سواء كانت لازمة أو ضرورية لشرفنا الارستقراطية
الانكليزية لا محل لها عندنا نحن الجمهوريين البسطاء
لقد أصنى لورد كاترفيل بانتباه شديد إلى خطاب
الوزير القيم وكان ينشئ شاربه الأشيب من وقت
لآخر ليخفي ابتسامته اضطرابية . وحينما انتهى السيد
أوتس هن يده بأخلاص وقال له : يا سيدي العزيز
إن ابنتك الفاتنة الصغيرة قد قدمت لجدي السيء
الحظ السير سيمون أعظم خدمة . وإنى وأسرني
لمدينون لشجاعتها العجيبة وإقدامها بالشئ الكثير .
إن الجواهر هي لها ولا شك ، وأنا أعتقد أني إذا
تفألقت وأخذتها فأن صاحبنا العجوز الشرير
سيخرج من قبره بين عشية وضحاها ويخرج في داهية
أما إنها موقوفة فلا ، لأن الوقف لا يتم إلا بموجب
وصية أو صك قضائي ، وهذا لم يقع ، بل أكثر من
من ذلك أن هذه الجواهر مجبولة لا يعرف أحد منا
شيئاً عنها . وإنى لواقئ أن فرجينيا سيسرها كثيراً
أن تجد في حيازتها عند ما تكبر حلية تلبسها ؛ وفوق
ذلك هل نسيت يا سيد أوتس أنك ابنتك الشجعان
ابنتك رياش القصر ، وأن كل شيء يخص الشجعان قد
دخل في ملكيتك كما دام التابع تابعا والتابع لا يفرد
في الحكم كما يقول رجال القانون ؟

في العربة الأولى مع الصغيرة فرجينيا ، ثم تأتي في
الترتيب عربة وزير الولايات المتحدة وزوجه ، فعربة
وشنجنطون والأولاد الثلاثة ؛ وأخيراً عربة السيدة
أمنى التي كانت تحدث نفسها والعربة تسير بها
إلى الكنيسة أن من حقها أن تشاهد نهاية هذا
الشبح الذي ظل يرعبها خمسين عاماً كاملة .

لقد حفروا له قبراً عميقاً في ساحة الكنيسة
تحت شجرة الصنصاف القديمة وأتى أغسطس
دامبير دعاء بلهجة جد مؤثرة ، وما كاد ينتهي حتى
أطفأ الخدم مصابيحهم عملاً بمادة متبعة عند عائلة
كاترفيل ، وحينما شرعوا ينزلون الناووس إلى القبر
خطت فرجينيا إلى الأمام ووضعت عليه صلياً كبيراً
صنعت من أزهار اللوز البيضاء والحمر . وفي تلك
اللحظة برز القمر من وراء الغيوم وغمر ساحة
الكنيسة بضوءه الفضي ، وأخذ النندليب يغنى من
الشجيرات البعيدة . ففكرت فرجينيا في وصف الشبح
لحديقة الموت فأظلمت عيناها بالدموع ولم تنبس
بنت شفاه أثناء عودتهم إلى القصر .

في صباح اليوم الثاني وقبل أن ينزل لورد
كاترفيل إلى المدينة أخذ السيد أوتس يبحث معه
في موضوع الأحجار الكريمة التي قدمها الشبح إلى
ابنته فرجينيا فقد كانت هذه الجواهر ممتازة جداً
لا تقدر قيمتها بشمن ، لهذا احتار السيد أوتس كيف
يسمح لابنته أن تقبلها

قال — يا سيدي اللورد أنا أعلم ان الوقف في
هذه البلاد يجوز على المصوغات كما يجوز على الأرض ؛
وإنه لظاهر لدى تماماً ان هذه الجواهر هي أو يجب
أن تكون إرثاً في اسرتكم ، ولهذا فاني أرجوكم أن

— أعلم ذلك ولكن أنا يجب أن أخبرني .
أرجو ألا تطلب مني ذلك . إنني لا أقدر أن
أخبرك بشيء . مسكين السير سيمون ! إنني لمدينة له
بكثير . نعم لا تضحك ياسيسيل . إنني لمدينة له حقاً .
لقد أطلعتني على سر الحياة والموت وعلمني كيف يكون
الحب أقوى من الحياة والموت .

نهض الدوق وطبع على فم زوجته قبله حارة
وتتم :

— يمكنك أن تحتفظي بسرك ما دمت أحتفظ
بقلبك .

إنك لتحتفظ به دائماً ياسيسيل .

— وإنك ستخبرين أطفالنا يوماً ما . أليس كذلك؟

فاهمرت وجنتا فرجينيا حياة .

(شرق الأردن) (بشير الشمرقي)

لقد ضاق السيد أوتس كثيراً برفض لورد
كاترفيل هذا ورجاه أن تراجع رأيهِ ، ولكن اللورد
النبيل ظل مصرّاً على رأيهِ ، فاضطر الوزير أخيراً
أن يسمح لابنته أن تحتفظ بهدية الشبح

وفي ربيع عام ١٨٩٠ حينما مثلت دوقة شيشر الشابة
بمناسبة زواجها أمام الملكة كانت عليها موضوع
إعجاب العالم أجمع . لقد اقترنت فرجينيا بعشيقها
الشائب حين بلغت سن الرشد . وقد بلغ من فتنة
العروسين وجههما لبعضهما أن كل شخص اغتبط
لهذا القران اللهم إلا مركيزة (دويليون) العجوز
التي كانت تعمل لاقتناص الدوق زوجاً لإحدى
كريماتها السبع الأوانس وقد أقامت لهذه الغاية
ما لا يقل عن ثلاث دعوات .

وعند ختام شهر المسل عاد الدوق والدوقة إلى
قصر كاترفيل ؛ وبعد ظهر اليوم الثاني من وصولهما
زارا قبر السير سيمون وقرا عليه وروداً جميلة نضرة
وبحثا فيما يجب أن ينقش على شاهد القبر ؛ وأخيراً
قرأيهما أن يكتبن ينقشان اسم السيد القديم والآيات
المنبوعة على نافذة المكتبة ؛ وبعد أن طافا في محراب
الدير القديم ألحظا جلسا الدوقة على عمود متهدم
وتعمد زوجها عند قدميها يدخن ؛ وجفا دموع سيجارته
بمبدأ وتناول يدها وقال لها :

— يا فرجينيا ! إن الزوجة لا ينبغي أن تحق شيئاً
عن زوجها .

— يا عزيزي سيسيل إنني ما أخفيت عنك شيئاً
أجانب مبتما — بل إنك لتخفين أنك لم تخبريني
ماذا كان بينك وبين الشبح حين اختلعت به .

أجابت فرجينيا جادة : إنني لم أخبر أحداً بذلك
ياسيسيل .

تاريخ الأدب العربي

لؤسنار أحمد حسن الزيات

الطبعة السادسة

في حوالي ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط

يمرض تاريخ الأدب العربي منذ نشأته إلى اليوم

في صورة قوية تحليلية رائعة

ثمنه عشرون قرشاً ويطلب من إدارة الرسالة

ومن لجنة التأليف ومن سائر المكاتب

الفنسة التي سلبتني ولدي

مترجمة عن الانجليزية

بسم اميل فرج

من العمر ستة أسابيع
حتى مات زوجي العزيز .
فقدت بموته كل أمل
لى فى الحياة وانهارت
الأحلام الذهبية من
أساسها وخيل لى فى ذلك
الوقت أن يداً خفية
جبارة تصرعني بقسوة

وعنف ، ولكن .. وسط الدموع الغزيرة والأحزان
المستبعدة تراءى لى وجه هارى الصغير وهو يتسم
ابتسامته اللاتكفية فاسترجعت صوابى وعزمت على أن
أعيش .. أجل أعيش من أجل ولدى العزيز . لأنه
يحتاج إلى حنانى .

ونشأ هارى الصغير دون أن يعرف شيئاً عن أبيه
الراحل ، ولذلك كنت له أباً وأماً ومنحته كل مجهودى
وحبوتى لأنى أيقنت أنه مفقود إليهما .. لقد كان
هارى الصغير حياى التى أحيأها .. كان روحى التى
تردد فى جسدى .. كان كل نصيبى فى الحياة
وهكذا صرت الأسابيع عملة ثقيلة ، ولكن تمكن

طفلى العزيز بعد مدة أن يملأ هذا الفراغ الموحش
الذى كان يضايقنى ويهدد الظلام الدامس الذى كان
يسود حياى .. وصرت السنون وتتابعت الأيام
وأصبح هارى رجلى الحبيب الوحيد وكنت به
سعيدة قائمة ..

واعتقدت فى ذلك الوقت أنى مثال الأم الرحيمة
الحنون . ولكنى وجدت نفسى مخطئة فقد منح
هارى حياى ولذلك أردت أن يكون لى وحيدى ..
أهى الأثرة وحب النفس الذى جعلنى هكذا .. ؟
ربما ، ولكنى لم أكن لأدرك هذا فى ذلك الوقت إذ
(٤)

« أهى غيرة امرأة أم حب أم التى جعلها
تمت الفتاة التى أحبت ابنها الحبيب ... ؟ »

كان هارى جرائت فقيراً معدماً عند ما تبادلنا
حباً جنوبياً جارفاً ، وكنت أنا فى العشرين من
عمرى فتزوجنا ... فولد زواجنا فى نفسه حلماً رائعاً
جباراً ورغبة ملحة ظاهرة فى أن يفتنى ، ولذلك عزم
على مبارحة انجلترا إلى أمريكا ليحرب حفله فيها .
إن صوته الآن ليبلغ أذنى من بعيد فيردد قلبى
صداه فى ثورة مكتومة حبسية ، وعيناه ... إلى
لأراهما ترتفغان فى الفضاء أمانى فى تساؤل حبيب
وهو يقول :

— هل تراقبتنى يا لوسى فى رحلتى إلى
أمريكا ... ؟
— سأكون معك فى أى مكان يا حبيبى ...
سأرافقك إلى أقصى العالم ... سأتابع مبعودتى
الفريد :

وهناك فى أمريكا وبالرغم من كراهيتى للطهى
والحياكة ، وبالرغم من مزاجى الحاد المتقلب فقد طابت
لنا الحياة ، واغتنينا لأن الحب والشباب كانا يولدان
فىنا قوة هائلة لا تقهر .

ولكن ... لم يكد طفلنا هارى الصغير يبلغ

— ربما لم تظن أنك امرأة كبيرة السن يا أماء
لأن من يراك يجد فيك شابة مرحة طروباً حتى
لأظنها تخالك أختي .

ولكن هذا القول لم يفرحني بل على النقيض
أغضبني أشد الغضب لأنني رأيت فيه نوعاً من التلق
المقوت قفلت :

— إنها فتاة جريئة على كل حال ...
— هو كذلك يا أماء ، وإنني لأحب هذا النوع
من الفتيات

— آه ... ماذا تقول يا هاري ؟
— إنني أعني ماقلت ، فاني أحب الأشخاص
الذين يعرفون ما يريدون ثم يجاهدون حتى يحصلوا
على أمنيتهم

— إنني متأكدة يا هاري أنك لا تميل لفتاة
تصيد الشبان من الطريق ...

وبعد يومين تأكدت أن قلبي هذا كان عديم
الجدوى ، لأن هاري وماري أصبحا لا يفترقان فكانا
يشتركان في لعب التنس والسباحة والرقص وكل
شيء حتى صار من العسير التفريق بينهما

كان ولدي أعني ... أحمق ... لا يدرك ماهو
مقدم عليه ... ولا يعرف أن مصادقة هذه الفتاة
جعلت الثورة تمشي في دماي ، والغضب يستبد في
أشد الاستبداد ، والحزن يسيطر على قلبي ، لأنني كنت
أمت هذه الفتاة من كل قلبي ...

وبعد قليل من الزمن عزمتم على أن أحادثها
لأفهمها أن هاري لن يفكر في الزواج في مثل هذه
السن المبكرة ولن تناله مهما فعلت لأنه ولدي ورجلي
وحدي فأنا أمه ولي مطلق التصرف فيه ...

ولكن وأسفله لم أستطع أن أحادثها ، لأنهما
طائشة غير مؤدبة بل كانت على النقيض مثال الأدب
الحجول والشخصية الجذابة المحترمة والشباب المغربي

لم يكن يدور في خلدي مطلقاً أن هاري يتزوج
ويذهب مع المرأة الخليفة به ويتركني وحيدة فريدة ؛
لقد كنت أوقن في ذلك الوقت أن هذا اليوم لن
يأتي مطلقاً وسيقضي هاري كل حياته بجاني
يضحي بكل حب من أجلي ... أنا أمه الحبيبة ،
ولذلك كنت مستعدة أن أدفع أي ثمن مهما بلغ من
أجل بقاءه بجاني ... فقد تصاييت من أجله ...
عملت على أن أكون رشيقة كفتيات المدارس
لأروق في عينيه ، تركت أصدقائي وبنيت حياة الزناة
والكبر وسرت بجانبه في طريق الشباب وملاهيته ،
كل ذلك من أجله ... من أجل ولدي العزيز .
لقد جاهدت لأستبقيه بجاني ... ولكن في
لحظة خاطفة فقدته ... أجل فقدته

ما كاد هاري يحصل على إجازة الجامعة حتى
ذهبتا في رحلة إلى شاطئ الريفييرا ليستعيد نشاطه
وسط المناظر الخلابة والطبيعة الساحرة وهناك
شمرت بالتماسه تجتاح قلبي الكسیر بنف شديد ،
وأحسست بالشيخوخة نذب في أوصالي فتوهنتها
وتنهكتها حتى كرهت جميع الناس ... كرهتهم
في شخص ماري ريفرز تلك الفتاة الرزينة الجميلة
التي سرقت هاري وانزعته من بين أعضائي والتي
لم يقر السكن على مقاومة سحرها ومغالبة تنهتها
ففتنته اللعينة في مدى يومين ..

لقد دعنتا للعب البردج دون سابق معرفة قلبي
هاري دعوتها مسروراً مرثاً ، وبعد انتهاء اللعب
وانصراف الناس التفت إلى هاري قائلاً :

— إنها مثال الفتاة المصرية اللعوب لأنها
صادت شاباً صغير السن وامرأة مسنة مفضنة الوجه
دون ...

— فقاطعتني هاري بهدوء :

شيئا من ذلك لم يحدث وأخيراً سمعته يقول :

— لقد مضى هذا الوقت يا أماء ... إنك

تتكلمين عن الماضي ... إنني ابن هذه اللحظة ...

لقد ولدت من جديد ...

ثم ... ثم غاب عن نظري ...

كنت مطمئنة برغم ذلك لأننا سرعنا إلى لندن

حيث يستطيع هارى أن ينسى فتاته الظرفية ذات

العينين الواسعتين العميقتين والشباب الغض الفاتح،

وينظر لأمه المسكينة التي قضت أتمس زهرة في حياتها

وفي اللحظة الأخيرة قبيل رحيلنا رحت أتلهي

بالنظر من خلال النافذة وما كنت أفضل حتى

رأيت مارى تميل على هارى وتقبله في وجنتيه

فيضمها هو بدوره ضمة حارة ويقبلها قبلة طويلة عميقة

لم أستطع أن أحتمل هذا المنظر لأنني كنت

أفضل أن أتعذب أمر المذاب ولا أراها تقبله ...

لقد كرهتها كاللوت، ومقتها كالجحيم، وشعرت في هذه

اللحظة أن الغيرة تجتاح قلبي في عنف وثورة

ثم أقبل هارى فرحاً مبتسطاً ولم يعرف المسكين

أن كلماته التي فاه بها بعد لحظة قد وقعت على رأسي

وقوع الصاعقة ..

— ماما ... ماما ! ستذهب مارى إلى لندن

ولذلك سترافقتنا في رحلتنا ...

فأجبتته بوحشية ثائرة :

— سوف لاذهب هذه الفتاة إلى لندن ..

سوف لا ترحل معنا .. أفهمت ما أقول ؟

— ولكنها سترحل معنا يا أماء وقد وعدتها

بذلك .. إنها جميلة ماهرة .. وهى المرأة الوحيدة

القادرة على أن تجعل السعادة تنعم قلبي ، فهي تعمل

كل شيء في سبيلي ومن أجل ..

وما كنت أسمع كلماته هذه حتى انتفضت واقفة

كحيوان حبيس وقلت صارخة :

— ماذا تعني أيها الطفل ؟

الفتان ، إلا أن كبرياءها وعزة نفسها أقامت حاجزاً

شفافاً بينها وبين أم الشاب الذى تحبه ...

كانت تجربني بأدب وكياسة أن أعنى فقط

بشئوني ولا أضايق الآخرين ، فأقول لنفسى حيثند

إنها خبيثة ماكرة ، ولذلك كنت أخشى حبها لولدى

العزیز الوحيد .

وفي آخر يوم من أيام زهرتنا فى الرشيرا

جلست فى غرفة نومي أنتظره لأبذل آخر مجهود

لاسترجاعه إلى أحضاني . فتجملت وتأثقت فى ملابسى

حتى أظهر أمامه جميلة مقبولة . وفى منتصف الليل

أقبل هارى بأبتسامته الحلوة الحبيبة هاتفا :

— هالو ماما ...

وحيثند نظرت إليه فشرعت بالدموع تترقق

فى عيني شفقة به ورتاء له ثم قلت :

— أظن يا هارى أن الانسان مجرد به أن

يواجه الحقائق كما هي ... لقد أصبحت لأتعب

أمك لأن قلبك قد علقت فتاة تكبرهنى كل الكراهة؛

لقد انكسر قلبي وغاب أمني ...

ونظرت إليه فرأيتَه ينظر خلال النافذة نظرة

حالة مفكرة ، فقال دون أن يلتفت إلي :

— أنت مخطئة يا أماء فى ماري ... هي

لا تكبرك ... هي ... لماذا ؟ ... هي لا تفكر

فيك مطلقاً ...

فقلت متحملة هذه الالهانة بجلد وصبر ، ولكنى

لم أتمكن من جعل صوتى مستقيماً رافقاً :

— وأنت يا هارى ... ألم تعد تفكر فى أمك

العزیزة التى كانت لك كل شيء فى العالم ، فى مدى

المشرين سنة الماضية ... أنستيتي ياهارى ...

يا ولدى العزیز ؟

وانتظرت على مضض ... انتظرت أن يسجد

الابن أمام أمه الحبيبة ليمتنر اليها ويؤكد لها حبه

وإخلاصه كما كان يفعل هارى من قبل ، ولكن

— لقد كنت أفضل أم في العالم ... ولكن حياتي يا أماء ... سأسير في الطريق الذي أراه لنفسي ؛ انني أرجو منك ألا تتدخل في شئوني مرة أخرى .. إنني حر ... حر لأن حياتي ملكي وحدي لا يتازعني فيها متازع ... حاولي يا أماء أن تأخذى الأشياء كما هي .

ثم قال بيطة وصوته يتهدج :

— لقد جاهدت أينما الأم العزيزة ولكنك فشلت .. وهذا ما يحزنني .

— أيمكن أن يكون هذا حقيقة ؟ هاري العزيز الذي من أجله خجيت كل حياتي يخاطبني الآن بهذه اللهجة القاسية ... ما أعظم تعاسي وشقاى ...

وقد تعهدت أمام الله ونفسي ألا أغفر لـ هاري ريفرز ما فعلت ... سوف لا أحبا ولا أصادقها مطلقاً ... مطلقاً ...

وكان عهدي هذا هو المار الأبدى الذي ظللني بظله الظلم المقوت طيلة حياتي، وسيراقتني لعنة أبدية إلى قبري . لأنني حافظت عليه ...

وصرت الأيام متتابعة كنفمة تتكرر في إحدى الأوبرات الثقيلة المملة ، وكنت لأزورها منذ تزوجا إلا لساما ، فهاري أضمن الحمر وأصبحت لا أراه إلا قليلا ، وهاري أخذت تلهو بسيارتها الصغيرة تقودها بسرعة جنونيه خفيفة هلبطة نحو المدينة أو آتية منها طيلة النهار

وفي يوم من أيام الربيع الجميلة زارني هاري وزوجته وقد غزما على أن يقضيا يوم عطلة في إيست بورن ...

كانت ماري جميلة في هذا اليوم بكل مافي هذه الكلمة من معان ، رائحة فاتنة . فكانت في شعرها الأسود الجميل وعينها اللامعتين اللتين تنطقان

— ستقترن بي ماري

— هاري .. إنك مجنون يا ولدي ، لأنك ستزوج من فتاة لم تعرفها إلا منذ أسابيع . ستلوك الأنواء سيرتك ، وستتناولك الألسن بالهزء والسخرية .. ارجع لصوابك يا هاري وكن ابني المطيع كما عهدتك ..

— دعهم يتكلموا يا أماء فاني لا أعبا بهم ولا بمحبتهم ما مدت أحب ماري وهي تحبني .. عند ذلك انفجرت باكية بكاء مرأ لم أعرفه منذ وفاة زوجي العزيز ثم قلت :

— أنت مجنون يا هاري .. مجنون حقاً ... وكان الحزن قد أخذ مني كل مأخذ ، والنيرة كانت تفرى عظامي بوحشية رهيبية .. وقلبي .. وقلبي شعرت به يقف عن الحركة ، وكأن نصلاً حاداً اخترقه بمنف فتمزق ، لأن هاري سيفر من يدي .. ثم تمالكت نفسي وقلت بحمارة ...

— هاري .. ولدي .. كيف تزوج من فتاة لاتعرف من هي وما أصلها ؟ لا بد أن تكون قبرة معدمة ، وإلا لما بذلت هذا المجهود الهائل لاقتناصك .. كل الناس سيقولون إنك ضحية غريبة ضميعة ...

— هذا لاينهم ... ماري يتيمة .. لقد عرفت ماري جيداً وأظنها هي المرأة الوحيدة القادرة على أن تحبني سميماً .. سميماً جداً يا أماء ... سأزوجها .. أجل سأزوجها وأرجو أن تحبها بعد ذلك — مطلقاً .. مطلقاً .. سأكرهها .. سأمتنها .. ستكون عدوي اللدود .. هاري إلى أنمنك أن تزوج من فتاة ...

— كني يا ولدي .. لاتبطني بشئ تسدمين عليه فيما بعد ... ثم قال وكأنه ينظر في آفاق بعيدة مجهولة :

من الذى مات ... ؟ من الذى ذوى كشمعة فى
مهب الرياح ؟ ... لا يمكن أن يكون هارى ...
هارى الذى كان مثلاً حياً جليلاً للشباب الغض
النايع ... ؟ لا ... لا ... لا يمكن أن يكون
هذا حقيقياً . أخبرنى ثانية يا دكتور ... أخبرنى
ثانية ماذا تعنى ؟ !

وأخيراً وقف الرجل أمامي وأخبرنى بحزن
عميق أن مارى كانت تسوق السيارة بسرعة جنونية
عندما اعترضها حاجز مرتفع فاقبلت بهما السيارة ،
فهارى مات ومارى أصيبت ببعض جروح ...

— هارى يموت ومارى تبقى حية ؟ ! كانت
تسوق السيارة . أجل فى التى قتلتها بإهالها النفط .
ليعاقبها الله ... ليعاقبها الله ...

فأجابني الدكتور بصوت خافت مرتعش :
— لقد عوقبت بإسديتى ... لقد كسر ظهرها
ثم أمسك يدي التصلبتين بوحشية مريعة
وجعل يكفكف الدموع الغزيرة التى انهمرت كالطرر
الغزير ...

كم أنا حزينة ... وكم أنا شقية ... لقد قتلتها
اللعينة ... لقد قتلت وحيدى .. جاتى ... رجلى ...
ومرت على ساعات مظلمة حالكه مليئة بالأحزان
طالعة باللوعة ... كنت أخاطب نفسى فيها قائلة :
— سأنتقم لك يا هارى ... سأنتقم لك يا ولدى

لقد قتلتك اللعونة فعليها لعنة الله
وقد رأيته واقفة أمام المحكمة تدلى بجرمها ،
فاعترفت أنها كانت تقود السيارة بسرعة جنونية ،
ولكنها عندما قبل لها إنها هي السئولة الوحيدة عن
وفاة زوجها ... اهترت الفتاة ... اهترت من الأعماق
وصار وجهها باهتاً ترسم عليه علامات الألم الصارخ
والحزن العميق ... ثم انتهت المحاكمة وبرزت الفتاة
المجرمة التى قتلت ولدى ... عند ذلك لم أحتمل الصدمة

بعمان عميقة بعيدة ... ويديها الرقيقتين وقدها
الرشيق الساحر ... كانت تمثل ملاكاً من الحسن
والجمال هبط الى الأرض ليؤدى رسالة حية خالدة
فى الفتنه والاعتراء .

وقبلي هارى ضاحكاً فرحاً ، ولكنى شمعت رائحة
الخمر تنبعث بشدة من فمه ، ثم قال لى إنه يريد أن يخبرنى
بمخبر سار عند رجوعه من زهرته ، وما كادت
مارى تسمعه حتى ابتسمت ابتسامة رزينة ولم تنبس
بكلمة لأنها لا تحادثنى إلا قليلاً ... فكانت رزائتها
ونظراتها الثابتة العميقة تريد من حقى عليها وكرامتى
لها ... وأخيراً ذهبا لزمتهما

لا أدري كيف أكتب البقية الباقية من سلسلة
عذائى المرير ... أمى الذكري أسطرها لثفرج
من كرتي أم هي حياة حافلة بالظلم والغيرة قضيتها
واسترجعها الآن فى مخيلتى لأشمر باللجنة تسحق
عظامي والندم يكوى قلبي ... لا أدري . وإعسا
أدري أنى معذبة شقية ...

وفى عصر هذا اليوم المشثوم فوجئت بزيارة
الطبيب بورن الذى ساعدنى فى ولادة هارى ، كانت
نظراته حزينة كثيفة رأيت خلالها هما دفيناً وحزناً
بالنا فسألته جافلة :

— ما الذى حدث يا دكتور ... ؟ أجبنى بربك
ماذا حدث ... ؟

— لا شيء يا عزيزتى ... إنما هناك
حدث مروع

عندئذ صرخت من أعماق قلبي :
— هارى ... هارى ... أخبرنى بسرعة
هل هارى بخير ؟ ...

— هارى سعيد يا سيدتى ... آه ... لقد ...
لقد ... مات ولدى المسكين ...

— مات ... مات ... ماذا تعنى أيها الرجل ... ؟

— لن أرحمها .. لقد أذاقني مر الحياة ، ولذلك سأعذبها .. سأعقبتها
 — إنك لا تعذبنيها وحدها ياسيدتي .. فإن امرأة أبنتك ستصير أمًا عما قريب
 — ما .. ماذا تقول يادكتور !.. ماذا تقول ؟ شعرت في هذه اللحظة أني أهتر بكليتي اهتزازاً عنيفاً كما نفي ريشة في مهب الريح ... إذن الخبر المهم الذي أراد هاري أن يقوله لي هو .. هو هذا الخبر . يا إلهي لم يش هاري العزيز حتى يرى . ابنه وفلذة كبده يدرج على الأرض ... لم يتمتع بشبابه ولم ير السعادة التي تصبو إليها نفوس الآباء ...
 ولأول مرة في حياتي صرخت من الأعماق وبكيت بدموع الحزن الذي لا يفي ، والألم الذي لا يسكن ... بكيت من أجل ذلك الطفل اليتيم الذي حرم عطف الأوة ... فما أشقائي من امرأة رمتها الأيام ذرة مضطربة في هذا المحيط الواسع التاسع فتقلبت في أجواء قاعمة مظلمة ، وراحت تتقاذفها أعاصير الحياة القاسية البريمة بوحشية وقسوة . بكيت بحرارة ولكني لم أبك من أجل ماري ، لأنني لن أنسى لها جرعتها ، ومع ذلك تخنيت لها الشفاء من أجل الطفل اليتيم الذي يعيش في أحشائها ... ولذلك انتظرت قرار الدكتور الذي أخبرني أن ماري في حالة سيئة ، وستلد بصعوبة ... وهذه الكلمات القاسية امتلأ كاس شقائي حتى فاض وأغرقتني ، ولم أعد أحتمل ... لم أعد أحتمل ..
 لم أستطع أن أجلس إليها إلا بعد مدة . . . وكانت وقتذاك مضطجعة على ظهرها بهدوء على فراش المستشفى البسيط . كانت كالجمجمة الهزيلة الضعيفة . . . ولكن عينيها ظلتا عميقتين ساحرتين لم يحب بريقهما ولم ينطفئ نورهما ... وشعرها الاسود الجليل ... كان متهدلاً بإهال لطيف فوق الوسادة .. كانت نبيلة في رقتها رائحة في نظرتها ... حينئذ لم

فجست على مقعد خارج المحكمة فرأيتها أمأي شاحبة الوجه منكسرة النفس ... فظفرت إليها وصرخت في وجهها بعد أن هزتها هزاً عنيفاً ثم صحت بها :
 — سأقتلك أيتها المجرمة ... سأقتلك لأنك قتلت ولدي الوحيد ...
 كانت الفتاة أقوى مني لأنها شابة في عنوان الشباب ... كانت تستطيع أن تطرحني أرضاً ولكنها ظلت صامدة حزينة ، وكان وجهها الحزين يمثل الألم العصامت النليل وترسم عليه علامات غريبة غامضة كافية لأن تبث في أقمى القلوب الشفقة والرحمة ثم ... ثم رأيتها ترنخ وتسقط على الأرض بقاتمها المديدة ووجهها النليل أبيض كالثلج ... لقد تعددت على الأرض فاقدة الوعي ، وكانت حتى في إغمائها نبيلة هادئة رزينة
 أجل لقد انتقمتم بمض الشيء ... لقد جعلتها تتألم ... لقد جعلتها تعرف أني سأنتقم ، حسن ، سوف نرى ...
 لا أدري أيهما يستحق عطف الناس وأيها يستحق سخطهم ... أمي الأم التي تحزن لوفاة ابنها وتنتقم له من قاتله ... أم الفتاة التي قتلت زوجها ؟ لا أدري . . . ولكني حالاً ترنخت ماري رأيت وجوها كثيرة ترتفع أمأي ساخطة لاعة ، وعيوناً تنظر إليّ باشمتراز وجفاء ... ولكن هذه الوجوه وتلك العيون الغاللة راحت توامى تلك الفتاة المجرمة الممدة أمأي ... راحت تططف عليها وتهمدها بالرعاية والحنان ... وبني ! أي عدالة تلك التي تعاقب البري وتبرئ المجرم ؟..
 وفي هذه اللحظة سمى إليّ الدكتور — صديقي القديم — متجههم الوجه ، وفي صوته رنة مريرة من التأنيب والغضب
 — ماذا فعلت ياسيدتي ؟ .. كان يجب أن ترجمي هذه الأرملة البائسة .. لقد سلكت معها مسلكاً شائئاً

أمالك نفسي من أن أحنو عليها قليلا فقلت لها :
— إنني أسفة ...

فقاطعتني بابتسامة لطيفة صافية

— لا تأسني فكل شيء قد مضى ... مضى
كلهم رائع دأب خيالي حيناً ثم ولى ... ولى يا عزيزتي
كما ولى الرجل الذي أحببناه معا ... هناك طفل ...
طفل سيتطلب حنانك وعفوك ...

— لا تخافي يا ماري ...

— ولكن كيف ... كيف ؟

— لقد أعددت كل ما يلزم وستنتقلين إلى
منزلي حالاً تستطيعين الحركة وتعيشين ممي حتى
تحسن حالتك وتلدی ...

وعند ذلك أجابني بانفعال وقد تصاعد الدم إلى
وجهها الشاحب الجليل :

— لا يمكنني أن أذهب معك يا سيدي ...
لا . لا . لا يمكن أن أكون عالة على غيره ؛ أجل
لا أحب أن أكون حملاً ثقيلًا بفيضاً فوق أكتاف
المرأة التي كرهتها

قالت ذلك بكبرياء وأنفة كما مرة متكبرة أهنت
في الصميم ... ودون أن أدري وجدت نفسي أضغط
على يديها المتصلبتين من الانفعال والغضب وقلت
لها بهتان وعطف :

— حقاً ما قولين يا ماري ... ولكن يجدر
بنا يا عزيزتي أن نفكر في ابن هاري ، لننس أحقادنا
فقد قاسمت كثيراً بافتاق السكينة ... فهل لك أن
تصفحي عني يا ماري ... اصفحي عن المرأة التي
أساءت إليك فكانت مخطئة عمية ...

عند ذلك صرخت السكينة صرخة مزقت نياط
قلبا ... صرخة تبيسة مريرة جمعت كل صنوف
الشقاء وحوث كل ألوان التماسه . صرخت
السكينة فائلة :

— هاري ... هاري ... !

أجل لقد كانت تحب ولدي كما أحبه ، وفي هذه
الصرخة التي مازال طنينها يتجاوب في فضاء قلبي
كأنه جرس رهيب في معبد مهجور ... وفي هذه
الصرخة ألف الأمل بين قلبينا وطهر الحزن لكسبتنا
وعشنا مدة من الزمن كأننا شخص واحد وروح
واحدة وقلب واحد يخفق من أجل شخص
حبيب عزيز ...

وهكذا قلت ماري أن تنتقل إلى منزلي وهناك
بالرغم من العناية الفائقة كانت دائماً شقية تيمسه ودأماً
حزينة باكية ...

وفي يوم جلست أحدثها عن طفولة هاري العزيز
وكنت قد منعتها من ذكر سيرته فلمحتها تفكر بحزن
ثم قالت :

— يظهر أنك جعلته الشيء العزيز الذي ملأ
عليك حياتك ... أهذا حقيقي ؟

— هذا حقيقي ... لأنه حين مات زوجي
كان هاري كل مالي في الحياة ، فقد اشتغلت وتعبت
ونجيت من أجله وحدهم ... كان كل كذبي في
حياتي الحزينة ... كانت ذلك الشغاع التي
أضاء حياتي المظلمة ... كان الخيط الثمين الذي ربطني
بالسواء والحياة ... ولذلك صرته أما وأباً وأختاً ،
وكان هو لي وحدي لا ينازعني فيه منازع
وغابت ماري في تفكير طويل عميق ثم قالت :

— إنني لا أصدق ذلك ... تخيل إلى يا سيدي
أن حبك لشيء ما خطر فظيع

— خطر ؟ ؟ ؟

— أجل يا سيدي ... عند ما تبين شخصاً
تريد أن تستولى عليه وحدك ، وهذا سر بفضائك
لي عند ما قاسمتك هاري العزيز ... أما أنا فسوف
لا أكون كذلك مع طفلي ... سأدعه يعيش الحياة
التي يريد أن يحياها ...

عند ذلك فتحت في لأقول شيئاً قاسياً ، ولكني أمام

— إنني آسفة . . . سأحاول أن أصفح
ثم . . . ثم خرجت هاربة من الغرفة . . . تمنيت
أن أسترجع هذه الكلمات ولكن كبرائى المقوّة
وغيرى القاتلة منعني من استرجاعها وإصلاح ماقلت
وعند ما دخلت حجرتها مرة ثانية رأيته راقدة
ووجهها إلى ناحية الحائط تبكي بكاءً أماً صامتاً فقسوت
عليها مرة ثانية وخرجت دون أن أتكلّم لأنها
لا تستحق الشفقة والرحمة . . . فهل أنا ملاك حتى
أغفر لها جريمتها ؟ كلا . . . كلا ستكون عدوتي
للنهاية . . .

وفي ليلة حزينة كثيفة سمعت صوتاً خافتاً كأنه
حشرة ميت منبعث من غرفة ماري، أنين موجه
أليم يصل إلى أذني فيحرمني النوم والراحة . . .
صوت حزين يملني على أن أقوم من نومي وأذهب
إلى غرفة ماري فأراها مستلقية على ظهرها مغنضة
العينين، ولكن الصوت الحزين ينبعث من بين شفثتيها
الجليتين . ورغم إرادتي كنت إلى جانبها أنظر إليها
بطفء وحنان وهمت في أذني :

— أظن من الأحسن استدعاء الدكتور بالتلفون
— كم من الوقت قضيتيه على هذه الحال ؟
— منذ . . . منذ غادرتني في أول الليل
شعرت بالخزى والألم يمتحان قلبي المحطم لأنني
تركته وحيدة في مثل هذا الليلة . كم أنا قاسية وكـ
أنا شريرة مجرمة . . .

كانت ماري لا تستطيع الحركة ولا الجلوس . .
كانت تتألم ألماً لا تقوى أشد النساء على احتماله . . .
وعيناها الدالبتان تنظران إلي لاشئ وجبينها المتهب
الجميل . . . كل ذلك جعل منها صورة مجسمة حية
للألم العميق والتعاسة البالغة . . . فقلت لها بخنان
عظيم حتى أعوض ماضى :

— هلا استطعت أن أفعل شيئاً ؟

نظراتها الرزينة الحائلة، وعيناها الواسعتين في كبرياء،
وعظمتها المغرية الجذابة . . . صمت ولم استطع النطق
. . . وصرت الأيام وفي ليلة زرتها في فراشها فوجسها
تبكي بتعاسة صرّة ثم راحت تنظر إلى باشفاق ورثاء
وأخيراً قالت :

— أريد أن أحدثك يا سيدتي . . . لقد حملت
حلماً سريماً عن ذلك اليوم المشؤم الذي مات فيه
هاري . . . إن الصمت يقتلني يا سيدتي . . . إن
الوحدة تمذّبي عذاباً أليماً . . . لماذا لا تسمحين لي
أن أحدث عنه ؟ . . . لقد بنيت حاجزاً منيعاً
بيننا . . . إنني وحيدة في هذا العالم . . . وحيدة
عند ذلك أجبتها ببرود وخشونة حتى لا أدع
بحالها في التحدث عنه :

لماذا تتحدث عنه وهو موضوع مؤلم لكنتينا . . ؟
فأجابني بوحشية نائرة كأنها تمر بحبوس
— إنني أخبئها المرأة وما زلت أخبئها ولن
أجد أحداً سواك أتكلّم معه عن هاري جيبى
العزيز . . . إنك لا زلت تكرهيني لأنني سلبتك
وحيدك ولأنني قتلته أيضاً . أيها المرأة القاسية !
ارحمي . . . ارحمني ضعفي وحزني . . .

— إنك تجهدين نفسك بدون طائل . . .
عندما يولد الطفل وتحسن حالته ساء . . .
— سيكون الوقت متأخراً . . . أخبريني
يا سيدتي . . . أخبريني بريك . . . ألا يمكن أن
تصفحي عني ؟

ثم مدت يديها الجليتين النحيلتين في ضراعة
واستغفار . . . وعيناها . . . آه إنني لأراها تنظران
إلي بوحشة وباشفاق وتساؤل وقد انتظرت جواني،
كان يميل إلى أن أميل عليها وأقبلها قبله طويلة تنسى
فيها شقاءها . . . ولكنني تذكرت هاري وميته
الشنعاء . . . وخسارتى الفادحة التي لا تموض،
فقلت لها بصوت منخفض :

— لقد مضى ... لقد مضى ... إذ هي ونأي
ياسيدتي ... سأستريح عما قليل ...

لقد أجهدها الكلام وكان وجهها أصفر
شاحباً ... كانت وحيدة ... وحيدة وسط صحراء
شاسعة مترامية الأطراف ومع ذلك كان النبل ينشر
عليها لونا ساحراً جذاباً يجعل أقمى القلوب يتكسر
ويتمزق تحت أقدامها . . حينئذ أردت أن أساعها
وأغفر لها . . أردت أن أسكب في أذنيها كلمات
الحب والعطف التي حرمتها . . ولكن . . ولكن
منعني من ذلك دخول الطبيب والمرضة .

كل إنسان يعلم خطورة هذه الساعة على أي
أم ولكن حالة ماري كانت أرواً للحالات وأعقدها
فوقف الدكتور أمامها متعباً منها لأنها كانت
همة ثقيلة على قواه الضعيفة .

وما دقت الساعة الرابعة صباحاً حتى سمعت
صرخة طفل صغير . . فقفزت من مكاني من فرط
السرور ، وبعد قليل دخلت غرفتي الممرضة حاملة
الطفل بين يديها قائلة :

— ها هو ذا حفيديك ياسيدتي ...

حاولت أن أتأوله بين يدي ولكن سخافتي
منعتني من ذلك ... ولماذا أسر؟ إنه ابن هاري
الذي قتل ورجل ... ولكن ماري ... ربما تموت
المسكينة دون أن أسمعها كلمة الغفران والحب لأنهم
لن يسمحوا لي أن أدخل غرفها الآن ... وبعد
برهة أقبل الدكتور وقال :

— إنها لا تريد أن تشفي ياسيدتي . . إنها
قوية ويحس لها أن تفتخر بقوتها حينما تخرج من
هذا المأزق ولكنها لم تحاول ذلك ... لن تحاول ...
وما كنت أسمع ذلك حتى هلع قلبي وارتجفت
أعضائي ، وقمت ماذا يعني فأجبت :

— أنت غلط يا دكتور ... إنني أريد ...
أن تشفي ... لقد صفت عنها ...

— تصفحين عنها ... يا إلهي ... أنتم فري ماذا
فعلت هذه الفتاة عندما ولد الطفل ؟ ...

لقد قالت خذ الطفل يا دكتور إلى جدته
العزيزة فربما تصفح عني الآن ...
لم أستطع أن أحتمل هذا العذاب فرحت أكرر
ببقاوة وصرارة ...

— لقد صفت عنها ... أجل لقد صفت ...
كان يبدو على الدكتور علامات التعب المضني ...
كان في عينيه بريقاً هائلاً ؛ كأنه يحمل فيهما سراً يزيد
الكشف عنه ... ونجاة جلس على مقعد وأجلسني
بجانيه ثم أمسك يدي وهو يقول ...

— سيدتي ... سأدلي إليك الآن بشئ مقدس
عاهدت ماري منذ ستة شهور مضت أن أخفيه في
طيات قلبي الحزين

— أي عهد يا سيدتي ؟ ... أي عهد ؟ !

— إنها عاهدتني ألا أقول لك كيف مات
هاري ... ولكني سأقتض هذا العهد وأقول لك
ما تمنيت ماري المسكينة من قوله حتى تتسنى أن
تبعثها من قبرها إن ماتت ... إنها شريفة ونبيلة
ياسيدتي ...

عندئذ عيل صبري ولم أعد أحتمل التليخ فقلت :
— ما الذي تمهدت من أجله ... قل بربك
— إنك تعلمين ياسيدتي كما يعلم جميع الناس أن
ماري هي التي كانت تقود السيارة وقت وقوع الحادثة ،
ولكن هذا خطأ ... خطأ وظلم ... هاري ...
هاري ... ياسيدتي هو الذي كان يقود السيارة وقت
وقوع الحادثة المؤلة ... فقد كان غلاماً ...

— أقول الصدق حقيقة يا دكتور ؟ هاري
لماذا ؟ ! ... لماذا ؟ ! ...

— لأنها وجدتك مغرمة غراماً جنونياً بهاري
(ه)

العززة ... إننا نحبك يا ماري ... ماري ...
ماري ... أجيبي يا حبيتي ...

ولكنها لم تسمعي ... إذن لماذا لا يسمعي
الله ... سأبتهل إليه ... وانكبت على وجهي
أبتهل إليه بحرارة وإيمان لم أعرفهما من قبل وبعد
أن فرغت من الصلاة مددت يدي إلى وجهها
أتمسسه ... ولكن ... ولكن وجدت أن
الأمر قد انتهى ... وكطير مكدود هزبل وسط
عاصفة هوجاء ... سقطت ماري المسكينة وسط
زعازع الحياة وشقاء الانسانية ... لقد ماتت كما
يموت الجندي الشجاع وسط صحراء شاسعة رهيبة
وحيداً ... منفرداً ... لقد ماتت ... أجل ... لقد
ماتت ... وإني موقنة أنها سعيدة بهذا الموت سعيدة.

والآن وأنا أسير بخطوات واسعة نحو نهايتي ...
أعيش مع حبيتي العززة ماري التي كثيراً ما أجلس
الساعات أحدها عن أيها الجليل وأما النبيلة
الشجاعة ... وإن كنت أحدها عن أيها حديثاً
جماً حاراً فاني أجد نفسي أشد احتياجاً من هذه
الطفلة إلى هذا الحديث لأجمل الندم واللوعة
ينفغان من قلهما على صدى الضيق المهموم ...
أيها التاسعة ...

إذا كانت هذه القصة تمس الناحية الشريرة في
الإنسان فقد أدت غرضها المقصود ... لأنها قصة
امرأة شريرة عبودة ، كما أنها قصة امرأة نبيلة النفس
كبيرة القلب ... لقد قلبها لتحكم الأجيال بعدي
على هذه الفتاة الصغيرة الراقدة الآن بجاني كاللاك
والتي تشبه أيها كل الشبه فكأنها قطعة حية منها ...
وإني لأتمنى أن يكون الحكم عادلاً ... شرفاً ...

أميل رفع

لأنها خافت أن تهدم ذلك الحلم الرائع الذي يداعب
خيالك ... لأنها رأت أن إخبارك بالحقيقة كسر لقلبك
وتماسه لنفسك فضلت المسكينة أن تنال سخطك
وكرهيتك وتقع تحت طائلة عقابك وعقاب العدالة
على أنت تشوه تلك الصورة القدسية الحبيبة التي
تحتفظن بها لماري ... لقد صنعت فكانت في تضجيتها
نبيلة ، وأجبت فكانت في حبها مخلصه ... لقد
خافت عليك يا سيدتي ، ولم ترد أن تشوه سعادتك
لأنها رأت أن سعادتك هي أن تكون سيرة ابنك
نقية ومكانته سامية في نفسك إلى الأبد

صمت رهيب نشر ألويته فوقنا عقب كلمات
الطبيب الدامية ... غاولت أن أخلص من هذا
الكابوس المروع وأتحرر من هذا الجو البغيض
ولكني لم أفلح وظل صوت الضمير يعلو ... ويعلو
حتى صار أشبه بقرعة المدافع تدوي في الميدان ،
وبصرخات الجنود تطلب الرحمة .. الرحمة وأخيراً
قلت ببقاوة وبسخافة :

— أستطيع أن أقابلها ... يجب أن أقابلها
يا دكتور .
— لك ما تريد يا سيدتي ... لك ما تريد
وفي لحظة كنت في غرفتها فركمت بجانب فراشها
ورحت أتمتم ...

— إلهي ... إلهي ... أهد ماري ...
أجعل ماري تتيش مدة أطول حتى أستطيع أن
أكفر ...

لم تحرك المسكينة ولم تفتح عينها ... كان
وجهها الشاحب يحمل معاني هائلة من الألم والشقاء
وكان جبينها النبيل الصافي يلهب من الحزن ...
وأخيراً تحرك حركة ضئيلة فهتفت :

— ماري ... ماري ... أمكنني معنا ...
لا تفارقينا ... أنا والطفل سنتحتاج إليك أيها

الأحجار الجائعة

لشاعر الفيلسوف رايند رانات طاغور الهندي
بسم الأديب شكري محمد عياد

تفيز وجهه السفراء،
وقصدنا إلى غرفة
الاستراحة فسمعنا
باحتمال تأخر القطار
لارتباك أصاب
الخطوط فحيات
لنفسى فوق التضد
فراشا ، وتاهت

لأسلم عيني لإغفاءة مريحة . ولكني لم أجمع تلك الليلة
لقوباً ووصبا ، فقد جاء الرجل يغترل غزله ، ويحيك
خيوط هذه الأقصوصة .

حينما ألجأتني الخلافات الإدارية إلى اعتزال
منصبى في جنجرا ، ودخلت في خدمة نظام حيدر
أباد — كنت في نخوة شبابي ، وعنفوان قوتى ،
فاختاروني جاياً لضرائب القطن في باريش

وباريش بلد جميل ، يمزف السوستا فيه ألحانه
على مجرى حجرى وحصباء مفروشة ، فيمسها مساً
رقيقاً ، كأنه أقدام راقصة ماهرة مُفتتته ، ثم يسير
بين الأجام متثنياً مرححنا . ويرتفع منه سلم درجانه
خسون ومائة ، يجمج في أعلاه قصر من رخام أقيم
على سقع الهضبة ، وأشرف على شاطئ النهر ،
وأقام في مكانه ذاك منزلاً وحيداً . فما كان حوله
موطن لبشر ، بل خلفته منازل القرية فريداً .

فمنذ مائتين وخمسين عاماً على التقريب ابنتى
السلطان محمود شاه الثانى قصره ذاك ليحمله آية ترف
وموطن نعيم ، فاء الورد منبجس من نافوراته ،
وغيد الفرس يفتش رخام الأرض في حجراته ،
وشمورهن للاستحمام مرسله محلوته ، وأقدامهن
الناعمة عارية مبلولة ، تبت في الماء ، فتنتطق
حناجرهن بالغناء ، ويرددن أصوات فارس على
ألحان القيثارة . ثم صوح جبال القصر وذهب غزه ،

كنت قافلاً وقريبى من رحلتنا في بوجا عند ما
لقينا الرجل في القطار . ولقد طالعنا من ملبسه
ومسلكه ما جعلنا نراه بادية رأى مسلماً من أهل
الأقاليم العليا . ثم راعتنا منه جهره منطق ، وعذوبة
حديث . فقد كان واسع فنون القول ، متشعب
أطراف الكلام . وكنا قبل ناعى البال لا نعلم أن قوى
خفية تعمل ؛ وأن الروس قد أصبحوا منا قلوب
قوسين ؛ وأن سياسة الإنجليز تنطوي على أسرار ،
وتدور على عتق ؛ وأن الخلاف بين الزعماء القوميين
قد بلغ منتهاه ، وأشرف على مده . ولكن صاحبنا
الجديد قال وهو يتسم ابتسامة ماكرة : « إن في
السماء والأرض لأحداثاً تجل عما تذكره الصحف » .
وإذ كنا قبل عاكفين على ديارنا لا نفارقها فقد
دهشنا حديث الرجل ؛ كان يطرق الموضوع السائر
فيخلطه بالعم ، ثم يعلق على الكتب المقدسة ، ثم
يردد رباعيات لشاعر فارسي . وكان قريبى رجلاً
من المتصوفة ، فاعتقد اعتقاداً لا يخالجه شك أن
صاحبنا مزود بقوة مغناطيسية خفية من لدن جرم
في السماء ! فكان إذا سمع نافعاً من القول تسقطه
شفتا الرجل العجيب إقبس معدراً ، وألقى السمع
جذلاً . ويخيل إلي أن الرجل لاحظ منه إعجابه ،
فطرب له وارتاح .

وفي الساعة العاشرة مساءً بلطنا المحطة حيث يجب

وقد نخذ الهواء وهدهد فما تحس نفخة ريح ولا نفخة نسيم ، وتحمل رائحة قابضة فتشها شجيرات توابل تنمو على التل المصاحب . وعند ما غابت الشمس وراء التل انسدل على مسرح النهار ستار طويل . وتمجلت التلال المهدقة ظلمة المساء فأجهزت على الشمس ، وابتلعت فترة الغروب حينما يشمع الليل أضواء النهار . فخطر لي أن أذهب راكباً في زهرة . وبينما أنا موشك على النهوض إذا بوقع خطوات على الدرج ورأي ، فالتفت فلم أجد أحداً ، فزوت ما سمعت إلى وهم خداع وخيال غرار . وجلست وما كنت أفعل حتى تخيلت جمماً كبيراً يهبط الدرج ، فأخذتني رجفة من سرور ، وهزة من خوف . ولئن لم تبصر عيناى أحداً فقد خيل إلى أني رأيت سرباً من عنذاري كواعب يهبطن الدرج ليستحمن في السوستا . تلك الأمسية من أمسيات الصيف . وما كنت تسمع في السهل أو النهر أو القصر صوتاً يبدد السكون ، أو نامة تخفف الرهبة ، ولكن أذني نقلت إلى في وضوح ضحكات المذارى ، مرحة سعيدة . وحينما ذهبن إلى النهر يتطاردن لأعبات كنتُ أسمع هديرأ كهدير ارتطام ينبوع بمائة شلال . ولكنهن لم ينتهين لوجودي ولملهن لم يريني كما قصر عنهن بصرى . وكانت صفحة النهر ساكنة هادئة ، ولكنني شعرت كأنما حركتها أيد كثيرة ، ' توسوس فيها الأساوز ' ، ويأتلق فيها الذهب . ثم تحكن فنادفن موجاً عاشقاً فنا خلاهن إلا لوج عاشق . فتقاذفن برشاش الماء فرحات ، وضربن الموج بأرجلهن الصغيرة فانطلق في الهواء حبات من لؤلؤ ؛ فارتجف قلبي عجباً ، وخيل إلي أني أستطيع بشحن الحس أن أسمع كل ما يقطن ، فما سمعت إلا زقزقة المصافير في الدغل القريب . وخيل إلي أن سترأ من مائتين وخمسين عاماً قد قام من دوني ، فوددت لو رفعت منه ركنأ ،

فلا ماء الورد ينبجس من نافوراته ، ولا الصوت الرخيم يرن في جنباته ، ولا الأقدام البيض تتيه بمرمرى أرضه وحجراته ، صار لجباة الضراب مستقرأ ومقامأ ، وأولئك رجال حرموا دل النساء فهم في وحشة سادرون .

ولقد طالبا جنزني الحاج « كريم خان » من أن أأخذ في ذلك القصر مقامى . فقد قال لي : « إن شئت ففض هُناك يومك ، ولكن ليالك أن تبقى فيه ليالك ! » فضحكت منه بنفس لاهية وقلب جرى . ورضي الخدم أن يعملوا هُناك نهارة على ألا يبيتوا فيه ليلا ، فوافقهم دون مناقشة . فان للبيت اسما يميث الرهبة حتى في قلوب اللصوص ، فلا يجروون أن يقربوه متى هماء الليل بدرعه

ولقد جثمت على صدرى أول الأمر وحشة القصر المهجور ، فكنت أحب البقاء خارجه ، وأغرق نفسي في العمل أطول مدة أستطيع ؛ فإذا أتت في المساء كنت منهوكة مكندودأ ، فأتطرح على الفراش فتجمع عيني وتنام .

ولكن قبل أن ينقضي على ذلك أسبوع بدأ المكان يريني من سحره عجبا ، حتى ليلتأث على الوصف ويعجزني الأمر فأعرف كيف أستطيع حمل الناس على التصديق . ولكنني شعرت كأنما كان البيت كأنما حيأ يتنصت دون شعوز ، ويخدرني بفراز عجيب من مبدئه ! ولعل البيت بدأ عملياته منذ وطئته قدامى أول مرة ، ولكنني أذكر جيدأ ذلك اليوم الذي عرفت فيه ماهو بسيله .

كننا في بواكير الصيف ، وكانت السوق راكدة فلم يكن لي ما أعمله ؛ وقيل الغروب كنت جالساً على كرسي مريح على ضفة الماء قرب سلم النهر ، وكان السوستا قد أجفل ، فأنحسر إلى أسفل ، فامتد على الضفة المقابلة كتيب من الرمل يشع بأضواء المساء . والحصباء تحت المياه الضحلة راقاة ملتبعة ،

ولما تُضاً المصاييح . فا كدت أدفع الباب حتى
ابتدرني لجب وضوء ، كأن أقواماً يتدافعون
مسرعين ، ويهرعون إلى الأبواب والنوافذ والدهاليز
والشرفات والحجر ، ويسبقون إليها هارين
ولكني لم أر أحداً ، فوقفت مأخوذاً بالبهو
وقد قد شعر رأسي من نشوة مجنونة ، وسطمت في
أنفي رائحة العطور والأدهان وقفت في ذلك البهو
العريض المنزول ، والظلام يكنفني ، وضفوف الأعمدة
القديمة تحديني . فتبينت صوت نافورات تسفع بانها
رخام الأرض ، ولحنا غريباً يعزفه القيثارة ، وخشخشة
حلي ، ووسوسة خلاخيل ، ورنين أجراس تعد الزمن ،
وأمطافاك البلور في علائق الثريات ، وتتريد اللابل
من أقفاص في الدهاليز ، ولقلقة اللقائ في الحدايق .
خلقت أصواتها حولي موسيقى غير أرضية

ثم أدنى بي الأمر إلى الاعتقاد بأن هذه الرؤى
التي لا تمس ولا تبلغها يد ولا تنتسب لأرض إنما هي
الحقيقة الفريدة في هذا العالم ، وليس ما عداها إلا
حلم . فلقد كنت أذكر أن اسمي سرجوت بن طيب
الذكر فلان ، وأني أقتاضى مرتباً قدره أدبائة
وخمسون جنباً ، جزاء وظيفة جامع لضرائب القطن ،
وأني أركب كل يوم إلى مقر عملي في عربة صغيرة ،
وسترة قصيرة ، وقبعة عريضة ، فلا أرى كل ذلك
إلا وهما عجباً يمت على السخزية ، فأنفجر ضاحكاً
في صوت أجش ، وأنا واقف وسط البهو المظلم
وفي تلك اللحظة يدخل خادمي ويسده
مصباح مضاء من الكيروسين . ولست أدري إن
كان يحسني مجنوناً ، ولكني كنت أفي إلى عقلي
وأثوب إلى رشادي ، فأؤمن أنني حقاً سرجوت بن
طيب الذكر فلان ، ومهما قال الشراء إن على الأرض
أو خارجها أصقاعاً تنبجس فيها نافورات لا تبصرها
العين ، وتعرف أصابع غير مرئية على أوتار لا تسمعها
الأذن ، مهما قالوا فأنا ولا ريب أجمع ضرائب القطن

فأختلس النظر مرتمداً . ولكن الجمع ظل خفياً
عن عيني ، يشمله الظلام فلا أراه . ثم هبت عصفه
ريح فاجحة فأزاحت كابوس الليل ، وجعدت صفحة
النهر ، فتلوى كشعر حورية . وانبعثت من الغاية
المظلمة مهمة فكأنها أفاقت من حلم أسحم ...

فليكن ما رأيت حقيقة ، أو فليكن حلاً ، أو
فليكن سراباً التمع من وراء مائتين وخمسين عاماً ،
ثم خبا في مثل ومضة البرق ، أو لحظة البصر . ولكن
هاتيك الكائنات السحرية التي ادلقت من حولي ،
تخطو بلا جسد ، وتضحك بلا صوت ، ثم ألفت
بنفسها في النهر لم تتمصر أوتابها التضاحة بالماء
عند ما همت بذهوب . بل حملها الريح على أجنحته ،
كأنها عبير الزهر طوحت به أنفاس الريح . فأنفسي
خوف محب ، وخشيت أن تكون عروس الشعر
قد عابثني ، فرأت وحدتي ، فاحتوتني ... وكأنما
أنني الساحرة لتخط في شيطاناً فقيراً يتميش من
جمع ضرائب القطن ! فاعتزمت أن أهي نفسي
عشاء طيباً ، فالمدلة الفارغة موطن كل داء عياء .
فبعثت في طلب الطاهي ، فأمرته بأعداد عشاء فاخر .
وفي اليوم التالي بدا لي الأمر كله خيالاً عجيباً
فتقيعت فرحاً وركبت إلى عملي . وكان على أن
أكتب تقريرى ذلك اليوم ، فتأهبت لمود متأخر .
فلما أذنت الشمس بالغيب إذا بي أجد نفسي مسوفاً
إلى البيت لمة لا أدريها . وإنما كنت أشعر «أنهم»
جميعاً في انتظاري ، فلا يليق أن أتأخر أكثر مما
تأخرت . فقلت والتقرير لم يتم ، ثم تقيعت وشرعت
أطوى الطريق الكتيب بمرعبي حتى شارفت القصر
الواسع المنزل ، الرابض في سفوح الهضاب
وكان سلم الطابق الأول يؤدي إلى بهو فسيح
شيد سقفه على ثلاث أقواس منقوشة ، يحملها ثلاثة
صفوف من أعمدة ضخمة ، والسقف متصل أينته ،
رازح تحت قنبل وحدته . وكان الهاز قد آذن بزوال

على من دنيا الخيال ، كأنها نفحة العطر يحملها نسيم الريح . وكأنما كنت أسير في دروب بقداد الناعة والليل مظلم بهم ، ميمما شطر مجتمع تحفه الزرايا . وأخيراً توقفت قائدتى الحسنة قبالة ستر أزرق عميق الزرقة ، ثم كائى بها أشارت إلى شئ أسفله . وما كان هناك من أحد ، ولكن جدد الدم في قلبي من فزع ورهبة ، فقد خيل إلى أنى أبصرت على الأرض بين طيات الستر عبداً خصباً ، لا بساً حلة من حرير مشجر ، وساقاه ممدودتان قدامه ، والسيوف مسلولة على نغذه . فثقت صاحبتى تسترق الخطي ، ورفقت من الستر ركناً ، فلمحت غرفة فرشت بأبسطة فارسية ، فيها سرير توسده غادة لم أر منها إلا قدمين بديعتى التكوين ، في كوث مذهب عجيب الصنعة ، تطلان من منامة سابضة فضفاضة زعفرانية اللون ، وتستريحان على بساط من مخمل يرتقالي الصبغ ، وإلى جانبها طبق بورى يتأهب لاستقبال زائر قريب ، بما فيه من تفاح ويرتقال وعنب وكثيرى وسكرية مذبذبة ، وههيف حوالى شذا بخور عطر فكان ينيب عتلى ، ويرين على حواسى وتقدمت والقلب واجف والطرف طارف لا تخطئ أقدام الخصبى ، فهب مذموراً فسقط السيوف من على نغذه فرن على رخام الأرض . فصرخت مرتهباً فإذا أنا قاعد على الفراش أنصب عرقاً ، والهلال يبدو شاحباً ، وقد كسفه ضوء النهار ، كليل أشرف عليه الفجر ، ولم يهجع منه الطرف ولا نام . وطاهر على المتوه يصيح صيحة كل صباح : « مكانك ! مكانك ! إنك لنى ضلال ! إنك لنى ضلال ! » ويطوى بقدميه وحشة الطريق .

وكذلك ولى حلم ليلة ، ولكن بقى ألف حلم ، وتنافرت أبهى ليالي ، فى الصباح كنت أذهب إلى عملى مبهوكاً مكدوداً ، لاعتناً سحر الليل وبرقه الخلب ، فإذا أقبل المساء خلعت بردة النهار ،

من سوق باريش ، وتدر على مهنتى أربعائة وخمسين جنيناً فى العام . ثم أنحك بما كنت أسبح فيه من وهم وضلال ، وأجلس إلى منضدتى الصغيرة فأقرأ الصحف على ضوء مصباح الكبروسين ، ثم أفرغ من صحيفتى ، وأتم عشائى ، وأرى إلى مضجعى فى غرفة صغيرة جانبية ، وأنظر من النافذة فإذا نجمة وشيئة تطلعن من فوق تلال (آفالى) ، تحدد من ملايين الأميال إلى السيد الجامع ، راقداً فى فراشه الصغير التواضع ... ! وأفكر فى ذلك وأطيل التفكير ، فيملأنى التفكير سرورا ، فلا أدري كيف أغفلت عيني ورائ النوم على جنونى ، بل أهب فأقعد متفزعاً ، ولكنى لا أسمع صوتاً ولا أرى أحداً ، لاشئ إلا أن النجم خبا ، وضوء القمر الباكى يتسلل من النافذة المفتوحة كأنه خجلان من اندفاعه ، خزيان لتطفله ... !

لم أبصر أحداً ولكنى أحسست كأن يداً رفيقة تدفنى ، فلما صحت لم تنبس بكلمة ، بل أومات إلى بأصابعها المجلس المحلاة بالخواطى ثم أتبعني واحذر واتشد . فأنهضت لأحدث صوتاً ، ولم يكن فى القصر سوى ، فكنت فريداً فى أجنحته العتيقة ، نجياً لأصواته الناعة ، وأصدائه الحائلة . ولكنى كنت أخشى مع كل خطوة أن أوقظ أحداً . وكانت أغلب غرف القصر على الدوام مغلقة لا أطرقها أبداً . فاكتمت أنفاسى ، وثبتت قائدتى التى لا أراها ، لا أدري الآن إلى أين ... ! لله ما أحلك الظلام ، وما أطول الطريق ، وما أبعد المدى ... ! ولكم جزت من حجرات عليها مسحة الجلال ، ومرهوت بزنازين فيها خشوع الرهبة ، واتخذت من الظلام جلاب سودا ! لم أك أرى دليلتى الفاتنة ، ولكنى أبصرتها بين خيالى ، عريئة عندها لها ذراعان قويتان لامعتان كالمرمر ، تبلوان من بين طيات كمها الفضفاض وقد ضربت على وجهها غماراً رقيقاً ، ومنطقت خنجرأ ملوياً . نغيل إلى أن ليلة من ألف ليلة قد أقبلت

فتنمت بقلنسوة من مخمل أحمر، وارتديت منامة فضفاضة وصداراً موشى، وقفظاناً سابغاً ههنا فهاً. فإذا أخذت زينتى جلست على كرسى وانكأَت على حشايا، واستبدلت بلقائف التبغ «نارجيلة» ملوأة ملؤها ماء الورد، فكأننى أناهب لاستقبال عشيقة موموقة، وإن البيان يقصر عن وصف ما تكشفت لى عنه ظلمة الليل من عجائب وخوارق وبين موج الحلم الجميل، وشذا الزهر العاطر، ورنين القيثارة الطرب، وههههه التسميم المرف، كان الطرف ينسج فيلمح غادة وضادة، هى تلك التى رأيتها قبل فى منامة زعفرانية اللون، وأبصرت منها قدمين يضاوِينَ ناعمتين، فى كوث موشى بالذهب، مَلَوَى مقدمه؛ وكانت تتمنطق بنطاق من ذهب، وتتبع بقلنسوة حمراء تنوس حلقها على خد فى يياض السوسن، وجبين فى صفاء الثلج. ولقد والله أخذت بلى. فكنت أطاردها من حجرة إلى حجرة، وأتأثرها من ردهة إلى ردهة، وأتفأها من بهو إلى بهو، فى منعطفات خلقها الخيال، ومنمرجات أوغلت فى ابتداعها الأحلام، فكأننى أهيىم فى الأرض السفلى، أو أضرب فى طرقات الجحيم؛ فأحس فى أريج الجو قيلات هائجة، ويسبات هائجة، ورنوات حائلة، وتديلا وعناق، وقلبا خفافا، وهمسا فى الأذن! ثم تطلق جسدى أفى عجيبة وتلف حورياتها حولى، فأفقد الحس وأروح فى نوم عميق وذات مساء أزمعت الخروج على صهوة جوادى ولم أصغ لتوسل أو رجاء، ولكن أى توسل؟ وأى رجاء؟ وكانت على المشجب قبعتى وسترتى، فبينما أنا موشك أن أنزعهما هب إعصار فاجئ، حمل برمال السوستا، وهشيم الأوراق الدابلة الساقطة على تلال آفالى، فأطأهما ودار بهما دورات عديدة فخلطت ضحكة مبرحة مبرحة، تعالت وارتفعت

فياضه بالحبور والسعادة، ثم تلاشت على تخوم الغروب! فلم يعد عن البقاء محيص ولا متحول. وفى اليوم التالى ألقيت - قانظاً - بقبعى وسترتى فلما أدير النهار ونشر الكون ذوائبه الطاخية، سمعت فى هداة الليل ولولة مكتومة تشق المرأى، وكأَنَّها صادرة من تحت الفراش، من تحت أرض الحجرة، من تحت أحجار ذلك القصر العظيم، من أعماق هوة دامية، من أغوار جدث أسحج! وسمعت صوتاً يستغيث: «أواه! ألقذنى! ألقط أبواب الوهم، وجز طرقات النوم العميق، والحلم المقيم! خذنى إلى جانبك على صهوة جوادك، ثم ضمنى إلى قلبك، وطرأبى فوق الربى والحزون، وأطو الناب والنهر، وجز رجاء اليد! خذنى إلى علاك النضى، وشمسك الصاحبة، وهوائك الطلق»

ونجاة فى تلك اللحظة صاخ ماهر على المجنون: «مكانك! مكانك! إنك لنى ضلال! إنك لنى ضلال! ففتحت عيني على ضوء بفيض فيمرنى، وإذا بجنادى قد أقبل بمخالباتى، والطاهي ينتظر أوامرى! فقلت: «كلا! لن أبقي هنا بعد الآن!» وحزمت فى ذلك اليوم حقائى، وتحولت إلى مقر عملى، فابتسم كريم خان ابتسامة طفيفة، فأحسنت غيظاً ولكنى لم أنبس بكلمة، وانهمكت فى العمل. فلما أقبل الليل شت منى الفسك وشمعت كائنى كنت ضربت موعداً لا بد أن أوفيه، وبدت لى مراجعة ضرائب القطن شيئاً فأنه لا غناء فيه، ثم خلت الحاضر وهما، والسوى فى سبيل العيش ضلالاً وجرباً وراء عرض تافه. فألقيت القلم وطويت السفاتر، وركبت عربتى الصغيرة. ولاحظت أنها توقفت من تلقاء نفسها أمام بوابة القصر الرخامى، وكان الشفق يكمل جبين الأرض، فغشت الخطى صاعداً الدرج ثم داخل الحجرة. وكان يرين عليها

صمت عميق ، وقد ساد الظلام غرف القصر فبدت غاضبة ممرضة . وامتلا قلبي ندماً ولكني لم أر أحداً أفضى إليه بسر فؤادي ، أو أسأله الغفو والمغفرة ؛ نجست في ظلمة القصر موزع الفكر مشقت الدهن ووددت لو كان لي قيثارة فأضرب على أوتاره ، وأزجي منه الألحان إلى غدائي المجهولة : « أيها النار ! إن الفراشة الضالة التي أرادت لتبتعد عنك قد عادت لترى بهائمك ، فاغفري فأنا هي مرة واحدة ، والهبي جناحيها بجذوتك ! » ونجاة سقطت دمعان فاحمداً على جبينتي ، وحلقت على نلال آفالي سحب سوداء ، والأحراج الكئيبة تنتظر ، ومياه السوسنا القاعة ترتقب في قلق وسكون خفيف . ثم مادت الأرض ، ومار الماء واهترت السماء ، وهبت في النابة المهجورة عاصفة نائرة ، ففرقت أبواب القصر

وكان الخدم كلهم في مكتب عملي ، فلم يبق منهم أحد فيضيء المصابيح ، وكانت السحب متعقدة والقمر ممتحاً ، فأحسست في الظلام الدامس امرأة منطحة على وجهها فوق سجادة تحت الفراش ، تشد بأصابع يائسة شعرها الطويل المتناثر ، وقد تسایل الدم على جبينها الوضاء ؛ وهي آثا تضحك ضحكات قاسية ، وآوئة تصرخ صرخات مدوية

ولم تنقطع الريح طوال الليل ولا خدت تلك الصبيحة الأليمة ، فطفقت أهبم في الظلام من حجرة إلى حجرة ، وقد سمر الهيم قلبي ، وأظلم الحزن نفسي ... من أوامي ولا أحد يجيني ؟ ومن هي تلك التي جن جنونها من عذاب وألم ؟ ومنذ متى جثم على قلبها ذلك الحزن القيم ؟

وصاح الرجل الممتوه : « مكانك ! مكانك ! إنك لي ضلال ! إنك لي ضلال ! » فاذا النور قد انبثق ، والفجر قد بزغ ، وماهر على بطوف بالقصر يصيح صيحة في ذلك الطقس اللعين ، وخطر لي أنه ربما كان قد عاش في ذلك القصر أيضاً ، ثم

شكرى محمد عباد

شورك أثناء حديثك
مى ، ومن حيث أن
الغلام سيحول بينك
وبين رؤية وجهي فلن
ترأى من شيء . أنا
أعتقد أن لديك شيئاً
ثقيلاً يجهد قلبك

سيليزيت — ليس
هذا الشيء فوق قلبي ،
وإنما هو فوق أنا ،

ولا أستطيع أن أقول : أين هو ؟ إنه يمكن أن يكون
فوق روحي ، وإنه لشيء ثقيل ، وهو يلهم الفهم ،
وإن كنت لأدري ما هو موضوع ذلك الفهم غير
أنى أزرع تحت هذا الثقل

ميلياندر — لقد تغيرت كثيراً ياسيليزيت ،
وأنا أيضاً لدى كلام أريد أن أتحدث به إليك ، أنا
لم أعد أرى وجهك السابق ، وأما زهرنا وحتيتك فلم
تعودا تنتمشان تحت قبلاقي كما كانت الحال قبل الآن
إذ كنت تضحكين كلما قبلتك

سيليزيت — فيما مضى كنت أضحك في أغلب
الأحيان ، أما الآن فأنا أكثر سعادة

ميلياندر — لا أدري أحقاً ما تقولين أم غير حق
ياسيليزيت ، إذ قد يحدث أحياناً أن تشعر الروح
بالسعادة بينما يكون القلب قد وصل إلى أقصى حدود
الاحتمال ، ولكن فلندع كل هذا ولتقولى لي قبل
كل شيء : ما الذى يبدبك هذا الساء ؟

سيليزيت — هو أن أجلافيين سترحل

ميلياندر — أجلافيين ؟ هل قالت لك ذلك ؟

سيليزيت — نعم

أجلافيين وسيليزيت

رواية تمثيلية فى خمسة فصول

للطبيب البلجيكي موريس مارتلك
بفلم الدكتور محمد غريب

الفصل الثالث

المنظر الأول

يقع هذا المنظر في حديقة القصر بين « ميلياندر »
و « سيليزيت »

سيليزيت — عفواً يا ميلياندر ، فانت تريد أن
تكون منفرداً ، وأنا دائماً بيعت من مباحث أحزانك ،
ولكننى سأصرف حالا . أنا خارجة الآن من غرفة
« أجلافيين » إنها نائمة وقد قبلتها فوق شفتيها
وبالرغم من أن النجوم تسطع فوق سريرها فإنها لم
تستيقظ . أنا لن أعوقك وقتاً طويلاً وسنذهب معاً
لنوقفها بعد قليل ، لأنها تبكى في حلمها ، وأنا لم
أجرؤ على إيقافها وحدى ، ولكنى أريد أن أتحدث
إليك عن شيء ، ولا أدري أعقة أنا فيه أم غخطه ؟
كما أنى لأدري أخبر ذلك الشيء أم شر ؟ ولا أريد
أن أسأل عنه « أجلافيين » ولكننى أسألك الصفع
عنى إذا كنت خاطئة

ميلياندر — ماذا حدث ياسيليزيت ؟ تعالى هنا ،
تعالى على هذا المقعد واجلسى على ركبتي ، لأداعب

ولكن من حيث إنك استطعت أن تقول ما قلته الآن ، فأنت لم تعودى فى حاجة إلى أن تفهمى شيئا جديرا ، وإنما أنا وحيدى الذى لم أكن أفهم .

سيليزيت — لا لا يا ميلياندرى المسكين . إن خبرتك هى التى تتكلم الآن . إننى أعرف ما الذى ينبى أن يكون ، ومع ذلك فأنا لن أستطيع أن أكون مثلها .

ميلياندر — أنا لم أعد أعرفك يا سيليزيت كأننى لم أكن قد رأيتك قبل الآن . إننى لم أكن أفهمك ، لست أدرى من أية سماء أنت تنزلين عند ما تتكلمين بهذا الأسلوب ؟ .

سيليزيت — إننى أنزل من أجلايين يا ميلياندر . ميلياندر — إننا جميعا نزل من أجلايين يا طفلى إذ أننا منذ عرفنا أجلايين لم يعد لدينا منبع مشعى لإطفاء غلتنا إلا منبع الجلال ، ولكن هل تظنين أنه يوجد فرق كبير بين روحك وروح أجلايين ؟ .

سيليزيت — نعم أنا أظن أنه يوجد بين روحينا فرق عظيم . ميلياندر — أنا لا أظن ذلك ، ولا سيما حينما كنت ألمح ما كان يحتفى فى نفسك وراء ضحكات تشبه ضحكات الطفولة البريئة . إن الإنسان يتجه عادة إلى الأرواح التى تعرف كيف تظهر نفسها ، على حين يجب عليه أن يعرف جيدا أن الأرواح التى لا تظهر نفسها قد لا تقل نبلا عن الأولى ، بل يمكن أن تفوقها فى السمو ما دامت هى واثقة من نفسها .

سيليزيت — لا لا ، مهما أعمل فسيكون على نوعا من العبث ، إنه ليس مماثلا لعمل أجلايين من جميع الوجوه يا ميلياندر ؛ وحينما أعمل شيئا تحبه فأنا أكون قد حاولت أن أقلد فيه أجلايين .

ميلياندر — معنى ذلك ؟ ولماذا ترهّل ؟ سيليزيت — هى لم تنبش بالسبب ، ولكنها تؤكد أنها سترحل ما دامت تعتقد أن هذا هو الشيء الذى ينبى عمله ، ولهذا أنا أسألك نفسى : أليس الأفضل أن أكون أنا التى يجب على أن أرحل ؟ .

ميلياندر — أنت ؟ ماذا حدث ؟ .

سيليزيت — لم يحدث شيء ، وإنى أرجوك — إذا لم ترد أن تبكيها بدون سبب — ألا تتحدث إليها بذلك . ولكن أرايت يا ميلياندر أننى فكرت فى كل هذا حينما كننا معا ، وأنا كنت بجانب جدى ؟ . عند ما كننا تودان من الزهرة سعيدين مرتبطين ، كان كل من يراك على هذه الحال يصمت بالرغم منه ، أما أنا فقد كنت أقول لنفسى فى أغلب الأحيان : إننى لست إلا شيئا صغيرا ضئيلا غير قيم باصطحابك ، ولكنكما كننا دائما خيرين نحوي بدرجة لم أتنبها إلا فيما بعد ، وفى أكثر الأحيان كننا نرغبان فى أن أرافقتك ، لأننى كنت حزينة ، وحينما كنت أصرح بكما كننا نظهران أكثر غبطة من المتاد ، ولكن روحيكما لم تكونا تحتفظان بسعادتهما ، وكنت يئسكأ أجنيبة فائرة ، ومع ذلك فليست هذه غلطتك ولا غلطى أنا أيضا . أنا أعرف جيدا أننى لا أستطيع أن أفهم كل ذلك .

ميلياندر — يا عزيزتى سيليزيت الحزينة ، إن أجلايين محبة فيما يقوله عنك ، وإننى لم أكن أعرف أنك تقية إلى هذا الحد ، ولكن ما الذى تظنين أنك لم تفهميه ؟ هل تظنين أن هناك شيئا نفهمه نحن ، وأنت لا تفهمينه ؟ أنا أسف يا سيليزيتى المسكينة ، فالفرق بين الأشياء ضئيل إلى حد أن الإنسان لا يستطيع أن يبلل لماذا هو يجب أو يفسخ ؟

لك نفس الكلام يا سيليزيت ، لا يقول الانسان ما يريد بالضبط ، وحينما يريد أن يتحدث إلى من يحبه ، فإنه لا يزيد على أنه يجب عن أسئلة تفسير لا تسمعها الأذن ، وهذه الأسئلة النفسية لا تشابه فيها بينها ، ولذلك تختلف أحاديثنا دون أن نعلم ذلك . أو أن نفهمه ، غير أن أسئلتك النفسية المشتملة على براءة الطفولة لا تقل جمالاً عن أسئلة أجلافيين وإن كان النوعان ليسا من منبع واحد ، ولهذا يبنى ألا تحزني ، كما يبنى ألا توجد الفيرة بين الأرواح . هل تعتقدن أني لا أحدث إليك الآن كما لو كنت أحدث إلى أجلافيين ؟ وهل تظنين أنه يمكن أن يتحدث أحد إلى أي كائن بشيء آخر غير ما أحدث به إليك ؟ . أوه ياسيليزيت السكينة ! لو أن ملكاً نزل من السماء بين ذراعي ليأخذ مكانك لما فتحت له قلبي بنفس البساطة والعمق اللذين أفتح بهما قلبي لك . ولم يبق مما يبنى أن أقوله لك بعد الذي قلته إلا ما يقال في هذه الحياة الدنيا . فلننظر ياسيليزيت فإما أن ترتحل أجلافيين أولاً ترتحل ، إذ هي وحدها التي تعرف ذلك ، وهي لا تفضل فيما تعمل ، ولكن سواء أمكنت أم ارتحلت ، فإنها عرفت كيف تكشف لي عن كنزك وكيف تملئني أن أحبك بطريقة لم أكن أعرف قبل ذلك سلوكها ، وعلى أي حال من الأحوال ياسيليزيت إذا كان هناك أحد يبنى أن يظل يبكي فليس هو أبوك ، وفوق ذلك ، هل تظنين أننا نصير سمينين لو ارتحلت أنت ي طفلاتي ؟ وهل تظنين أن سعادة تؤسس على ألم كائن صغير تقي وديع مثلك تكون سعادة طويلة الأجل أو جديرة بنا ؟ وهل تظنين أنني أستطيع أن أقبل أجلافيين أو أنها تستطيع أن تحبني . إذا قبل أحداً هذه

ميلياندر — سيليزيت

سيليزيت — أوه يا ميلياندر أنا لم أقل هذا الكلام لتؤنيك ، فهل فهمته كذلك ؟ أنا لم أعد كما كنت سابقاً ولن أقدم في المستقبل تأنيباً إلى أحد . أنا لا أعرف ما الذي غيّرني هكذا . ولو أن قائلاً قال لي منذ زمن : إنني سأكون سعيدة بصبرورتي أكثر حزناً أو أنني سأضع شفتي فوق شفتي تلك التي تحبها لما صدقت من ذلك شيئاً ، ومع ذلك فأنا أفعله .

ميلياندر — أنا لا أدري ما الذي تحبته السماء للرجل الذي تحوطه بمثل هذه الظروف .

سيليزيت — أنا لست إلا شيئاً ضئيلاً ، ولكنني أريد أن أكون خيراً مما أنا الآن ، وأريد أن أكون محبوبة ، وأن يبكي من يحبني كما تبكي أنت حين تعجب بها .

ميلياندر — عن تكلمين ؟

سيليزيت — أنا أنكلم عن التي أنت تفكر فيها بدون شك كلما تكون صامتاً .

ميلياندر — حينما أكون بجانبك فأنا فيها أفكر ، وحينما أكون بجانبها فأنا بك أحلم .

سيليزيت — لقد رأيت جيداً أن الحالة ليست واحدة ، وأن الدموع التي تذرفها على ليست هي الدموع التي تسكبها عليها ، وأن هذه الأخيرة تجيء من أمكنة أبعد من أمكنة الشفقة التي تجيء منها الدموع المسكوبة على ، ولأنني أعرف أنها منبعثة عن أسباب غير قابلة للسيان . وحينما تقول لي : إنك تحبني ، لكي أكون أقل حزناً لن تستطيع أبنة أن تقول لي ما تقوله لأجلافيين .

ميلياندر — أنا لا أدري ما إذا كنت أقول

أجلافين — آه .

ميلياندر — إنها احتفظت لنا بجماعة دموعها
أجلافين — أنت ترى جيداً أنها مدامت
لا تتكلم فإن هذه الأشياء الصغيرة ستتكم نيابة
عنها لتقول لى : إن الوقت قد أوف . دع لى هذا
التدويل ... أيها البرهان الصغير : إن من لا يفهمك
يجب أن يكون ميتاً .

ميلياندر — يناديهامحاولاً تقبيلها .

أجلافين — لا تقبلى اليوم وأحبها جيداً
يا ميلياندر .

ميلياندر — أنا لا أدري ماذا أعتقد . يخيل
إلى أحياناً أنني أحبها كما أحبك ، وأحياناً أخرى
أكثر منك ، لأنها أبعد منك عني ، وأكثر
غموضاً أمام فهمي ؛ ثم حيناً أراك ينمحي كل ماحولها
فلا أعود ألحها ، ومع ذلك ، فلو أنني قدستها إلى
الأبد ، فاني سوف لا أستطيع أن أعاقك بدون
حزن .

أجلافين — أنا أعرف جيداً أنك تحبها ،
ولأجل ذلك ينبغي أن أرتحل .

ميلياندر — أنا لا أحبها إلا فيك ، وإذا
ارتحلت فلن أحبها بعد الآن .

أجلافين — أنا أعرف جيداً أنك تحبها
وأعرف ذلك إلى حد أنني لا أستطيع أن أمتنع
نفسى من أن أشتعئ أحياناً مثل هذا الحب الذى
تمنحه إياها . ينبغي ألا نظن أنني كلمة من جميع
الوجوه . إذا كانت سيليزيت لم تعد كما كانت فى
الماضى فأنا أيضاً قد تغيرت بمقاييكنم . لقد جئت
إلى هنا ، وأنا أكثر حكمة مما ينبغي أن أكون .
لقد كنت مقتنعة ، بأن الجمال لا ينبغي له أن

السعادة المؤسسة على شقائق ؟ نحن نتحاب حباً
يفوق شخصيتنا سمواً . ومنذ زمن لم يعد يمكننا أن
نحبك دون أن نراك . تعالى إلى وأعطيني شفيتك .
أنا أبلك قبة روحية هذا المساء ياسيليزيت . تعالى
فأنا أظن أن الساعة الثانية عشرة تدق الآن . هلى
بنا لتري هل أحلام أجلافين لازال تبكى فى نومها ؟

المنظر الثانى

(يقع هذا المنظر فى أحد أجنحة القصر بين أجلافين
وميلياندر اللذين يدخلان فجأة)

أجلافين — هل تسمع صوت هذا الباب الذى
يفلق ؟

ميلياندر — نعم .

أجلافين — إنها سيليزيت وقد سمعتنا وأرادت
أن تتركنا وحدنا .

ميلياندر — لقد قالت لى إنها ستصعد فوق
البرج فى هذا الصباح ، لأنها علمت أن طائر أعجيباً
قد وفد إليه .

أجلافين — إننى متأكدة أنها كانت هنا ،
وأن كل شيء فى الغرفة يلوح عليه أنه ينتظر عودتها .
أنظر هذه الأدوات الصغيرة التى تستعملها فى الحياكة
والنسج ، فإنها لازال موضوعة فى النافذة مع
الخيوط الحريرية : الفضية والذهبية ، ومع الأحجار
التي ترصع بها ملابسها .

ميلياندر — وما هو خاتمها الذى كتب عليه
اسمنا ، وما هى بنفسجتها ، وما هو منديلها . قال
ذلك ثم تناول للتدويل دهباً حيناً وجدته مبللاً .

أجلافين — ماذا حدث ؟

ميلياندر — ماداً إليها التدويل : خذى هذا
التدويل وانظري كيف هو .

أو أفكر فيه ، ولا بما كانت تقوله هي أو تفكر فيه
أجلائين — حيناً جئت إلى هذا القصر كنت
أعتقد أن كل شيء ممكن ، وأن أحداً لن يتألم ،
ولكنني اليوم أرى أن الحياة لا تريد أن تخضع
لشروطنا الجميلة ، وإنني أعرف في نفس الوقت
أنني إذا بقيت إلى جانبك وكان هذا البقاء مؤلماً لأحد
فإنني لن أكون جديرة بك . وإذا أنت أقررت
ذلك ، فلن تكون جديراً بي ولن يكون حيناً
إذ ذاك شديداً بجنبنا الحاضر .

ميلاندر — قد يكون هذا حقاً ، ولكن ألا
نكون مصيبين لو أننا فعلنا ذلك ؟

أجلائين — إن الصواب في مثل هذا الموقف
شيء تافه . وإنني أعتقد أنه ينبغي للإنسان أن يظل
طول حياته مخطئاً فإن ذلك خير له من أن يبيك
المخطئ . أنا أعرف كذلك كل ما ينبغي أن يقال ،
ولكن لماذا يقال لنا ذلك مادامنا نعرف جيداً أنه
لا يستطيع أن يغير شيئاً من تلك الحقائق العميقة
التي لا تصني إلى معسول الكلمات ؟ يجب ألا نستمع
إلا إلى ذلك الداعي الذي يدعونا دون أن يؤلف جلاً .

إن الذي يقتاد حياتنا بالرغم من ألفاظنا وأفئناننا
إنما هو بساطة الأشياء ، وإن الإنسان يتخضع دائماً
كلما أراد مقاومة البساطة . من يدري لأي سبب
تلاقينا في هذا الوقت المتأخر عن الأوان ؟ ومن
يجرؤ على القول بأن القدر الذي فعل هذا ليس هو
متنهي الحكمة الإلهية إننا عاقلان في هذه
اللحظة يا ميلاندر المسكين إلى حد أن من يسمعنا
تتكلم في هذه الآونة لا يتردد في أن يقول : إنهما
يتحaban جفاً قاراً ، وإنهما يجهلان الحب الحقيقي
جهلاً تاماً ، وما ذلك إلا لأننا قد تحايينا حباً أعلى

يفشل بالدموع التي تذرف بسببه ، وقد كنت أظن
أن الخيرية لا مرشد لها إلا الحكمة ، ولكنني الآن
أعترف أن الخيرية لا ينبغي أن تكون حكيمة دائماً
وأن الأفضل لها أن تكون إنسانية ومجنونة . لقد
كنت أعتقد أنني لأجل النساء . والآن أنا أعترف
أن أصغر الكائنات قد تساويني في الجمال ، وإن
كانت لا تعرف ذلك . أنا حين أنظر إلى سيليزيت
أسائل نفسي في كل لحظة : أليس كل ما تتخبط
فيه روحها البريئة أعظم وأطهر ألف مرة من جميع
ما يمكن أن أفعله أنا ؟ إنها جميلة إلى درجة تعجز كل
تعبير ؟ وليس عليها لا اكتشاف جمالها إلا أن تنحني
قليلاً ، فإنها إن فعلت وجدت في قلبها كنزاً عظيماً ،
فاذا عثرت على هذا الكنز ، أفاضته على من
يحوطنونها دون علم منها كأنها عمية صغيرة تملأ يديها
بالجواهر ثم توزعها وهي لا تدري ماذا توزع .

ميلاندر — إن هذا الأمر عجيب . حيناً
تتحدثين إلي عنها فأنا أنت وحدك التي أعجب بها
والتي أحبها أكثر من ذي قبل ، وأنه لا يستطيع
شيء في العالم أن يحول بينك وبين الإنصاف بجميع
هذه الحمائد التي أفضتها عليها ولو أن إلها تدخل في
الأمر لما استطعت أن أحبها كما أحبك .

أجلائين — إن هذا هو ظم الحب . فلو أنك
أثبتت على أخيك ، لمعرفة أنك الذي صرت أكثر
جمالاً . إنني أريد أن أعاقبك وأن أبكي يا ميلاندر .
إنه من المستحيل إذا أن يسلو المحبان عن حبهما
ميلاندر — أنا أظن أن ذلك مستحيل . وقد
رأيت بهذا بنفسى أننا حيناً كنت أتحدث إلى
سيليزيت ، لأنني حيناً كنت أتحدث إليها كنت
أشعر أن الحب لا يريد أن يتصل بما كنت أقوله

من أن يفكر فيه المحبون الماديون .
ميلاندر — إنني أحبك يا أجلافني ، وإن
الحب الذي من هذا النوع هو أرق أنواع الحب

المنظر الثالث

(يقع هذا المنظر في أسفل أحد الأبراج القديمة العالية
بين أجلافين وميلاندر)

أجلافين — لقد رأيتها هذا الصباح فوق البرج
وحولها عدد من الطيور البحرية تصيح بأصوات
عالية . إنها تصعد فوق هذا البرج بدون انقطاع
منذ يومين أو ثلاثة أيام ولا أدري ما هو الأثر الذي
يحدثه ذلك العمل في نفسي . إنها تظهر في نفس
الوقت أكثر قلقاً وأقل حزناً ، وكأنما هناك شيء
يجز في داخل هذا القلب الصغير العميق .

ميلاندر — يخيل إلي أنها أخذت تبسم من
جديد لحياتها القديمة الشبيهة بحياة الطفولة التي كانت
تحياها قبل حضورك إلى هنا . ألم تلحظي أنها أخذت
تفنى وتتمش ؟ إنها تسير أمامنا كما لو كان هناك نور
غير منتظر يضيء لها الطريق . ألا ينبغي أن تترك
الحديث الآن في أمر رحيلك إلى أن تسترد هدوءها
وأن يثبت في نفسها هذا التطور الجديد ؟ .

أجلافين — لا ، أنا أريد أن أعلن لها رحيل
اليوم .

ميلاندر — ولكن كيف ستعلمين لها ذلك
وآلا تخشين أن هذه الطفلة التي اقتربت كثيراً من
قلبي والتي لم تعد تحيا إلا فيك — تتألم من رحيلك
كما تتألمين أنت لو أنك رأيت كأنما أسفي منك يضحى
بخطه في الحياة في سبيل حظك الذي هو أدنى منه ؟
أجلافين — ليس لنا الحق في أن نزن أو تقدر
حظوظ الآخرين ، ولكنني أيضاً فكرت فيما ينبغي
أن أقوله لها . في أول الأمر فكرت في أن أكذب

ميلاندر — والآن قد فكرت فيما ستكون
عليه حياتنا حيناً يفترق كل منا عن الآخر ولا يبقى
لنا من هذا الحب إلا تذكار صغير يظل يضؤل مع
الزمن شأن كل الذكريات التي تنفخها الأيام . ماذا
سأعمل أنا هنا ؟ وماذا ستمعلمين أنت هناك في العام
المقبل ؟ لاشك أننا سنستبب الأيام والشهور بمدأذرعنا
في الفراغ عبثاً وبدون فائدة . من المؤسف أنني
لا أريد أن أبكي مع أقل تفكير في حالتنا هذه
يدعونا إلى أن تتماق حتى تنفطر قلوبنا . عبثاً
نحاول أن نقتنع أنفسنا بأن حبنا سيظل كما هو رغم
السنين والغابات والبحار التي ستفصل بيننا . إنه
يوجد في حياتنا كثير من الأوقات التي لا تستطيع
فيها أحلى الذكريات أن تمرزى الحبين عن الفراق
الطويل الذي .

أجلافين — أنا أعرف جيداً أن القول بأن
الحب مع الفراق يظل كما هو لا يميز إلا لفظياً فحسب ،
إذا بقينا مما فسادتنا ستكون أمراً ممكناً ، وإذا
افترقنا فشقاً لنا سيكون شيئاً محققاً ، ومع ذلك فنحن
الإنسان نشمر أن ما سافله أنا ، وهو الرحيل فهو
ما ينبغي أن يفعل ، سبكي منه وقتاً طويلاً ، وأنا
سأبكي إلا الأبد ، لأنه لا يكني المرء أن يفكر في
أنه قام بعمل نبيل لكي يحول بين عينيه وبين سكب
الدموع ، ومع ذلك ، فينبغي لأولئك الذين استطاعوا
أن يحبوا ما لم يستطع غيرهم حبه أن يحتملوا مالا

سيليزيت — إن ذلك هو منشأ عذابي ، فأنا أشتي أن أحيط أحداً بها علماً ، لأنني لا أعرف شيئاً وحدي ، ولكنني إذا أخبرت بها أحداً صارت أقل جلالاً من ذي قبل .

أجلافين — أنا لا أدري ما عسى أن تكون هذه الفكرة ، ولكن يخيل إلي أن أية فكرة تزيد جلالاً كلما زاد الإعجاب بها .

سيليزيت — وبها هي ذي سيليزيت الصغيرة أيضاً لديها سر تعرف كيف تحتفظ به ، ولكن ما ذا كنت تعملين في مثل موقف هذا لو أنك كنت سيليزيت الصغيرة ثم رأيت أجلافين الأكثر منك جلالاً تقبل زواجك ؟

أجلافين — أنا أعتقد أنني في مثل هذا الموقف كنت أحاول أن أكون سعيدة كما لو أن أحداً حمل إلي منزلي نوراً جديداً ، وكنت أجهّد في أن أحب تلك السيدة كما تحبيني الآن يا سيليزيت .

سيليزيت — أما كنت تصيرين غيرة ؟
أجلافين — أنا لا أدري فقد يكون من الممكن أن تمر بي لحظات أحس فيها بالغيرة ، ولكنني لو وقع لي شيء من ذلك لما تمدى أعماقي نفسي ولا جهرت في أن أكون سعيدة .

سيليزيت — لقد أوشكت أن أكون سعيدة يا أجلافين .

أجلافين — لا ينبغي أن تشعرني دقيقة واحدة بعد الآن أنك شقية يا سيليزيت .

سيليزيت — لو أنني كنت متأكدة من أن فكرتي حسنة لأصبحت في متنتي السعادة .

أجلافين — لماذا لا تكون فكرة حسنة ما دامت ستصيرك سعيدة ؟ .

عليها حتى لا تتألم . لا تبسم يا ميلاندر . حقاً إنني لست امرأة عادية ، ولهذا أنت تصور أنني لا أكذب ، ولكنك تقالي في هذا ، فأنا أملك فن الكذب وأعرف لجميع أخواني النساء كيف أكذب كلما أعلن الحب أن الكذب أمر ضروري ، لقد كان في نيتي أن أقول لها : إنني لم أعد أحبك وإنني كنت مخدوعة فيك ، وإنك أنت أيضاً لم تعد تبغني إلى غير ذلك مما ينقصني في عينا ، ويجعلني غير قيمة باحترامها ، وبالتالي يبدؤ أسفها علي ؛ أردت كل هذا ، ولكنني شعرت أمام عينيها الواسعتين الطاهرتين أنه من المستحيل علي أن أقول لها ذلك مادام يخالف الحقيقة . استمع : إنني أسمعها تنفي وهي نازلة على سلم البرج . انصرف أنت ودعني أتحدث إليها وحدي ، لأنها تقول لي ما لا تستطيع أن تقوله لك ؛ ثم إن الحقيقة لا تنزل من سماءها أجل ما تكون إلا حين تستطيع أن تأخذ مكانها بين كائنين اثنين .

(يخرج ميلاندر ويسمع صوت سيليزيت وهي تقرب من أجلافين شيئاً فشيئاً مترنمة بأشودة حزينة ينتهي آخر مقطع منها بهذه الكلمة : إنني أرى الموت لا يزال ينتظر !)

أجلافين — أوه يا سيليزيت ما أوسع عينيك ! وما أكثر نورها في هذا الصباح ! .

سيليزيت — هذا لأن لدي اليوم فكرة جميلة يا أجلافين .

أجلافين — نبغيني بها يا سيليزيت ، لأن الانسان لا ينبغي له أن يخفي الفكرة الجميلة التي تسعد الناس جميعاً .

سيليزيت — لا أستطيع حتى الآن أن أثبتك بها .
أجلافين — حدثيني عنها مع ذلك فقد أستطيع أن أساعدك في تنفيذها .

سيليزيت — ماهو إذا؟ كأنك أنت أيضا لا تجربين أن تقولي لي ماعندك، أيمن أن يكون مماثلا لماندى؟

أجلافين — وما هو الذى عندك؟
سيليزيت — لاشئ، لاشئ، أنا أثر، ولكن قولى حالا: ما الذى عندك؟

أجلافين — إن ذلك يحزنك، ومع ذلك فقد كان ينبغي أن يسعدك.

سيليزيت — أنا لن أبكى بعد الآن أبداً، بعد الآن يا أجلافين.

أجلافين — ماهذا؟ إنك تقولين ذلك الكلام وعلى وجهك مسحة يئيل إلى أنها غريبة.

سيليزيت — لكن لا، لكن لا. أنا لن أبكى بعد الآن، وهذا هو كل شئ. أليس ذلك طبيعياً؟

أجلافين — دعيني أنظر في عينيك.

سيليزيت — انظري انظري؛ ماذا ترى؟

أجلافين — عينا أكد الناس أن أرواحنا تظهر من خلال أعيننا، إذ الحقيقة هى أنه كلما نظر

أحد إلى العينين خيل إليه أن الروح تفر من أمام نظراته، وحيناً أغمس نظراتي في ماء عينيك النقي

يخيل إلي أن هاتين العينين هما اللتان تسألانني فائتين: ماذا تهرئين فينا بدل أن تجاوبنا على سؤال

لا أستطيع أن أوجهه إليهما.

سيليزيت — ماذا عندك فتبئين به؟

أجلافين — تعالى بين ذراعى ياسيليزيت الصغيرة التى كدت أحرما من أعز مالهيا.

سيليزيت — أأنت حزينة يا أجلافين؟

أجلافين — لا، أنا لست حزينة، لأنك ستكونين سعيدة.

سيليزيت — إن من الصعب على أن أعرف ذلك، وإنى وحيدة.

أجلافين — ولكن لماذا لا تتحدثين بها إلى وأنا واثقة من أنني أستطيع مساعدتك.

سيليزيت — نعم نعم أنت ستساعدينى ولكننى أريد أن تفعل ذلك دون أن تعرفيه.

أجلافين — أنت إذا تريدن أن تخفى عني شيئاً

سيليزيت — سأخفي عنك شيئاً، ولكننى أخفيه، لكى أظهره عند ما يصير جد جميل.

أجلافين — متى سيصير ذلك الشئ جيلاً؟

سيليزيت — عند ما سأعرف، عند ما سأعرف ستجاني أنا الاثنان جاً أقوى من جكما الحاضر

أجلافين — وهل يمكن الانسان أن يحب أكثر من هذا الحب يا سيليزيت؟

سيليزيت — كم أنا أشتهي أن أعرف ما ذا كنت ستميلين لو أنك في موقفي؟

أجلافين — إننى مستعدة لأن أقول لك ذلك

سيليزيت — أما أنا، فلو أنى قلت لك ما سأفعله لما كانت حالتك بعد القول مماثلة لحالتك قبله ولأيت

أن تنبئينى بالحقيقة.

أجلافين — ألم أطل الحق دائماً؟

سيليزيت — بلى، أنا أعرف جيداً أنك تقولين الحق، ولكنك في هذا الموقف كنت لا تستطيعين

أن تقولى الحق.

أجلافين — أنت عجيبة في هذا الصباح، ويجب أن تحذرنى من أن تكونى مخبوعة.

سيليزيت — لا، لا، تعالى أبلع يا أجلافين، إذ بقدر ما أبلع أكون واثقة من أنى لا ألتدع

أجلافين — عندى ما سأقوله لك.

أنى أحبك وأحب ميلاندر ، وميلاندر يحبني ويحبك أنت أيضاً ، وأنت تحبينا نحن الاثنين ، ومع ذلك فلا نستطيع أن نحيا سعداء ، لأن الساعة التي يستطيع فيها بنو الإنسان أن يحبوا هذه الحياة لم تكن بعد . والآن أنا أرتحل راجية إليك أن تقبل هذا الرحيل يمثل القلب الذي أنا أقدمه به . فإذا قبلت ذلك ياسيليزيت فانك ستعملين عملاً لا يقل جلالاً عما أعمله وتضحين تضحية قد تكون أكبر من تضحيتي مادام من المفهوم أن الشخص المخلص هو أكثر سعادة من الشخص المقدم إليه هذا الاخلاص . ألا يخيل إليك عند ما تاتي كل منا بنفسها بين ذراعي الأخرى ، وعند ما تنفسم في وسط الحقيقة البسيطة — أننا نلص شيئاً أعظم منا ؟ .

سيليزيت — لا ترحلي غداً

أجلافين — لماذا لا ينبغي أن أرتحل غداً مادام الرجل واجباً ؟

سيليزيت — أنا أسألك ألا ترحلي قبل أن أقول لك ما وعدتك به

أجلافين — وهل ستقولين ذلك عما قريب ؟

سيليزيت — نعم الآن قد صرت متأكدة من ذلك . وهل ميلاندر يعرف ما اعترفته ؟

أجلافين — نعم

سيليزيت — أنا لم أعد حزينة يا أجلافين

أجلافين — ماذا كنت تعملين لو أنى ارتحلت دون أن أبتذك بشي ؟

سيليزيت — سكنت ألحق بك وأعيدك إلى هنا ثانية

أجلافين — وإذا كنت لم تعجدينى ؟

سيليزيت — كنت أبحث عنك طول حياتي

سيليزيت — إن في عينيك قطرات من الدموع أريد أن أجفها .

أجلافين — لا تشغلي بهذا ، وأنت إذا بكيت فسأولى بتجفيف دموعك قبل أن أنشفل بدموعي . والآن لتجلس هنا على عتبة البرج كما جلسنا في ذلك المساء الذي تحدثنا فيه للمرة الأولى . أذكرك المساء الذي كنا فيه على حافة خزان المياه ؟ لقد مضى على ذلك أكثر من شهر وجدت انشاء أشياء وانعدمت أشياء وأصبحت أرواحنا أبعد نظراً من ذي قبل . أعطيتك شفقتي ياسيليزيت فلن نفوز بلحظات أخرى تشبه هذه اللحظة ، لأنني سأرتحل غداً ، وكل ما نمعله في اللحظة الأخيرة يظهر أمام قلبينا البائسين أكثر جدية وعمقا من كل ما حدث أولاً . سيليزيت — أستر تحلين غداً ؟ .

أجلافين — نعم غداً ياسيليزيت ، وهذا ما كنت أريد أن أقوله لك . لقد أردت في أول الأمر أن أخفي عنك ذلك وأن أكنب عليك لكي أؤخر ألك بعض الشيء ، ولكني أراك جميلة وأحبك جداً عالياً يستطيع ألا يحول بينك وبين ألم يقربك منا . وفوق ذلك ، فإذا عاش أشخاص ثلاثة أشهر تحت ظلال الحقيقة كما عشنا تبدلت حالهم وأصبح الجو الذي يعيشون تحته غير قابل لكل ما يخالف الحقيقة ، ولأنجل هذا أنا أعلن لك أنني سأرتحل غداً ، لكي تصيرى سعيدة ، وإننى أقول لك هذا الآن لتعلمي أنى أنا لم كثيراً من ارتحالي على هذه الصورة فتتألمي بدورك ، وهذا الألم هو نصيبك من التضحية ، لأن كلا منا نحن الثلاثة يضحي بنصيب في سبيل شيء لا يعرف اسمه ، ولكنه فوق قوته . ولكن أليس غريباً ياسيليزيت

تكونى مثلى جاهلة ثم عرفت بعد ذلك . أنا لا أدري
لماذا أنا أشتغى أن أرحل أو أموت لأجلكما .
أنا سعيدة وأريد أن أموت لأكون أكثر سعادة
أجلافين - إنه من الخطر أن يفكر الانسان
في الموت عندما يكون سعيداً . هل ينبغي لى أن
أعترف بما هو فى نفسى ؟ إن الخوف قد اعترانى
مرة ، إذ تخيلت أن الفكرة التى تتحدثين عنها ..
سيليزيت - نعم

أجلافين - ... لقد خشيت أن تكون هذه
الفكرة ...

سيليزيت - لا تخافى يا أجلافين فلن تكون
هذه الفكرة إلا فكرة فتاة صغيرة

أجلافين - نعم لو وجدت لكنت فكرة قلب
صغير أعمى لا يستطيع أن يبرهن على الحب إلا بالموت .
ينبغي على العكس أن يعيش الانسان إذا كان يحب ،
إذ بقدر ما يجب أن يحيا ؛ ثم أنا أعرف جيداً
أنك تخجلنا كثيراً حتى تفعل بنفسك هذه الفعلية .
وحينما يفكر الانسان تفكيراً صحيحاً ، يتضح له أنه
لا يوجد لحب الشقاء لكائنين طريقة أقسى من إيجاد
موت بري بينهما

سيليزيت - هل تريدنى أن أعترف لك أنا
أيضاً بشئ يا أجلافين ؟

أجلافين - ينبغي أن تعترفى بكل شئ كما
اعترفت لك بكل ما عندى ياسيليزيت الصغيرة . إنه
لا يوجد بين الكائنات المؤلفين شئ أجمل من ألا
يخفى كل عن صاحبه أية فكرة ولو خلف زهرة .

سيليزيت - لقد فكرت فى ذلك حيناً .

أجلافين - أفكرت فى الموت ؟

سيليزيت - نعم فكرت فى ذلك منذ وقت

أجلافين - أنا أخشى أنك ترتحلين قبلى ،
روآن تكون هذه الفكرة هى التى كنت تتحدثين
عنها آنفاً

سيليزيت - كانت تكون فكرة سيئة ، أما
الآن فلبى فكرة سعيدة

أجلافين - لكن الآن سوف لا ترتحلين

سيليزيت - لا لا يا أجلافينى ، أنا لن أغادر
هذا القصر

أجلافين - أمن أعماق نفسك تمدبني بهذا ؟

سيليزيت - إنه من أعماق نفسى وأقسم لك
عليه بصادق الأبدية يا أجلافين

أجلافين - أنا لا أدري ما إذا كان الأفضل

هو عدم مجيئ من أول الأمر إلى هذا القصر

سيليزيت - لو أنك لم تجيئى إلى هنا لما كنت

أنا شقية ولا سعيدة ، بل لما كنت شيئاً مطلقاً

أجلافين - من يدري إذا كان إيقاظ النائمين

من الأمور المسموح بها لاسياً إذا كان نومهم طاهراً

ولديذا ؟

سيليزيت - ينبغي أن يكون ذلك مسموحاً به

مادام أولئك النائمون لم يعودوا يرغبون فى النوم .

قبل أن يجيئى إلينا كنت أقبل ميلاندر كأبنى عمياء

صغيرة وكنت لا أعرف أننى كذلك . ولكن هل

من جرمي أن أكون صغيرة ؟ أما الآن فأنا فى حالة

أخرى ، إنه كان نائماً هذه الليلة بينما كنت ساهرة

أنظر إليه وكنت أقبله دون أن يستيقظ ، وفى نفس

الوقت كنت أنظر إلى النجوم من خلال النوافذ

ترسم صفحة السماء الزرقاء كأنها قد أرادت أن تتخذ

لها من روى سماء تسطع فيها . أوه يا أجلافين أنت

لا تعرفين ذلك لأنك لم تمرى بهن هذه الظروف إذ لم

أن أحدا يصير إليها ، وقد شعرت بأن حياتي
تأشبه حول شفتي تحاول الخروج بلا عودة ، وهذه
هي المرة الأولى التي أحسست فيها بطعم الحياة والموت
معا في في . لقد فتحت أنفانتي وسمعت بك وقتنا
طويلا لأحزنك ، ولكنك لم تفهمي أو لم تسمعي .
لا ينبغي أن تحوي حول الحظ السيء المخطر . ماذا
كنت تعلمين فوق البرج ؟ هاهي ذي المرة الثالثة التي
أراك فيها هناك . يتجلى إلى أنك كنت تحركين
الأحجار بيديك . ماذا كان هناك ؟ إنه كان يلوح
عليك أنك تبحثين في الفراغ عن شيء مفقود

سيليزيت — كنت أبحث في الواقع عن شيء .
ولكن لا ترتاحي . فليس هناك ما يدعو إلى الخوف .
البرج المتين متين وسيظل شاخا وقتنا طويلا بعد
موتنا جميعا . لماذا تبحثين عليه ؟ إنه إلى الآن لم يسم
إلى أحد . أنا أعرف أكثر من غيري أن أحجار
البرج لا تتحرك ، وأنت مادمت لم تريه فلا تعرفين
ما يقع بعيدا عنك . لقد وصل إلينا منذ خمسة أوسبنة .
أيام طائر مجهول ، وهو لا يزال يطير حول البرج
دون أن يحس بالتمب ، له جناحان أخضران خضرة
غريبة مشربة بصفرة لا يمكن شرحها ؛ ثم إن في
هذا الطائر شيئا أكثر غموضا من الأول وهو أنه
يكبر في كل يوم ، وأن أحدا لم يستطع أن يقول لي
من أي الجهات هو يبعث . أنا أعتقد أنه عيش في
جحر من الحائط عند نفس المكان الذي رأيته .
منحنية عليه .

أجلافين — هل ذلك المفتاح الكبير المذهب
الذي تعبتين به هو مفتاح البرج ؟ وهل تسكرمين
بأعطائي إياه ؟
سيليزيت — أعطيك إياه ؟ وما تصنعين به ؟

مضى ، ولكنني عدت فقلت في نفسي ماتقولينه
أنت الآن ، وبناء على ذلك وجدت شيئا آخر .

أجلافين — وماذا وجدت ؟
سيليزيت — إنه شيء آخر تماما وأنه في جانب
الحياة ، غير أن الساعة الملائمة لا يصاحبه لك لم تجي
بعد ، وسترين أنا أقبلك أنا لأأدري
ماذا عندي ؟ كأن روحي — كما قيل — عملة في
جسمي ؟ ثم إنى عرفت أخيرا ماذا كنت تعلمين
لو كنت في موقعي . (فالتفتا وخرجا متصافيتين)

الفصل الرابع المنظر الأول

(يقع هذا المنظر في طرف من أطراف أحد أجنحة القصر
المطل على البحر بين أجلافين وسيليزيت)

أجلافين — الشمس تشرق على البحر ، هل
ترين ذلك السرور الهادي العميق الذي يفيض على
الأمواج ؟ إن هذا اليوم سيكون من أجل الأيام
يا سيليزيت ، وأنت أيضا ما أجلك الآن ! بل إن
جمالك ليتضاعف مع إشراق فجر كل يوم . ألا تقولين
لي ما الذي جعلك تتطورين هكذا حتى آخذ بنصيب
منه قبل أن أتحل ؟ أمي روحك الثمينة بالطهر والبراءة ؟
أو هل دعوت إليها لا أعرفه ؟ أو هل هو شيء
لا عهد لك به ؟

سيليزيت — نعم أنا أعتقد أنني أحب أكثر
من ذي قبل .

أجلافين — لقد جئت لمقابلتك لأنني رأيتك
من نافذة غرفتي . ولقد روعني إذ ذاك منظر
وأنت منحنية فوق الحائط الأبل لل سقوط من البرج
حتى ظننت أنني أرى أحجاره تضطرب فامتقع لوني
وتجمد الدم في أعصابي إلى درجة لم أكن أتصور

الذى كان يظن أنه فقد وستصعد إلى أعلى البرج دون أن يعلم بصعودنا أحد، وسأمسك الطائر الأخضر

إيسالين — وهل ستمطيني إياه حالا؟
سيلزيت — سأعطيك إياه إذا لم تحدثي أحداً
عن صعودنا. احذري فساوقط جدتنا. هل تلوح
على ملامح الشقاء يا إيسالين؟
إيسالين — ما ذا ينبغي أن أقوله لكي تصيري

سعيدة يا أختي؟
سيلزيت — يجب عليك أن تنبئيني الحقيقة،
إذ ينبغي ألا تتصور الجدة أنني شقية. إنه أحياناً حينما
يكون الانسان سعيداً يخدع الناس ويظنون أنه
كان يبكي. ألا يرى على وجهي أنني كنت أبكي؟
إيسالين — انتظري حتى أراك بدقة يا أختي.

سيلزيت — ألا يرى على شيء؟
إيسالين — إنمحنى قليلاً يا أختي، لأنه لا يعرف
بالضبط متى تبكين، إذ أنت تبكين دائماً بكاء صامتاً
سيلزيت — لكن أنا لم أبك مطلقاً. أعتقد
أنه قد دخل في عيني رماد أو شيء غير مرئي، فإذا
سألك في المستقبل سائل عني وقال لك: ماذا فعلت؟

وماذا قالت؟ وهل كانت ممتعة أو حزينة؟ فلاتجاوبى
باندفاع على هذه الأسئلة عند ما ترين الذين يحيطونك
مرورين أو ممتعين أو محزونين، ولكن ينبغي أن
تلاحظي أنني كنت دائماً مسرورة، لأن ذلك شيء
واضح، فأنا أبتسم على مر اللحظات! وإذا كان الأمر
كذلك فلا ينبغي أن تخفي الحقيقة. والآن، لنبكين
عاقلتين، فأنا سأقرب من الجدة. آه كم تلوح على
وجهها أمارات الوحدة والهجران!

(ثم تناديهام مقبلة إياهما: جدتي، أنا التي أناديك
يا جدتي كم هي مستغرقة في نوم عميق! جدتي:
إنني جئت لأودعك)

أجلافين — أريد أن أحفظه معي إلى ساعة
الرحيل.

سيلزيت — ولماذا هذا يا أجلافين؟
أجلافين — لأعرف ذلك بالضبط. لا تصعدي
إلى قمة البرج إلا بعد رحيلي ولا تنشغلي بعد الآن
بالطائر ذي الجناحين الأخضرين، إذ قد رأيت رؤيا
مزعجة مر فيها ذكر هذا الطائر

سيلزيت — ها هو ذا المفتاح. أنا لا ألتصك به
لأنه ثقیل.

أجلافين — إنه ثقیل في الواقع.
سيلزيت — قبليني فقد ألتك.
أجلافين — لا، إلى هنا أنت لم تؤلى أحداً.
إن عينيك مفرورتان بالدموع.

سيلزيت — إن ذلك جافى من تحديقى إلى
الشمس أثناء كنت أقبلك. أنا أريد أن أرى ميلياندر.
قال لي: إنه سيستيقظ مبكراً. إلى اللقاء يا أجلافين.
أجلافين — يبطء: إلى اللقاء يا سيلزيت.

(على أثر ابتعاد سيلزيت ووقت أجلافين وحدها وتأملت
في المفتاح لحظة ثم قذفت به إلى البحر وخرجت من الطنف
بدورها.)

المنظر الثاني

(يقع هذا المنظر في أحد أجنحة القصر حيث ترى
«ميليجران» الجدة المعجزة نائمة وتشاهد سيلزيت وأختها
«إيسالين» تدخلان عليها.)

يقع هذا المنظر في أحد أجنحة القصر حيث
ترى «ميليجران» الجدة المعجزة نائمة وتشاهد
سيلزيت وأختها «إيسالين» تدخلان عليها.

سيلزيت — سيداً قبل كل شيء بمناقشة جدتنا
التي سوف لا يمانعها أحد بعد رحيلنا، ومع ذلك
فهي في حاجة إلى العناق مثل غيرها، ولكن لا تقولى
شيئاً. قد أخذت أجلافين مفتاح البرج، لأنها
كانت تخشى من تركه معي، ولكنى سأجد المفتاح

الذي ينبعث دائماً من الناية قد أضحى كأنه ينبعث من ظلال حطب قلمهم النار، وأن الشمس تلوح عليها ملامح أسد مزعج يريد أن يلتهم السماء. قبلي يا سيليزيت، لأن قبلائك هي كل ما بقي لنا من ندى الفجر الرطيب .

سيليزيت — لا، ليس عندي وقت، لأن ورائي من ينتظرنى الآن وستقبلنى هذا المساء .

ميلاندر — ماذا عندك يا سيليزيت ؟

سيليزيت — آه هوشىء بسيط وسيمع سريعا .

ميلاندر — ماذا تقولين ؟

سيليزيت — لا شىء . قبلى سريعا .

(قال هذا وقتها بنف)

ميلاندر — لقد جرحت في شفتى .

سيليزيت — ماذا ؟

ميلاندر — الدم يقطر من شفتى قليلا . أسنانك

الصغيرة الجميلة جرحتني جرحا بسيطا يا سيليزيت .

سيليزيت — أوه إننى لدثبة صغيرة . أنت

متألم يا ميلاندر ؟

ميلاندر — بالعكس . لا شىء . انتهى كل شىء .

سيليزيت — أوه، إننى لدثبة صغيرة . . . كم

الساعة ؟

ميلاندر — إنها تقرب من الظهر .

سيليزيت — الظهر ؟ أوه ليس عندي وقت .

إنهم ينتظروننى . وداعا يا ميلاندرى .

ميلاندر — سيليزيت، سيليزيت أين تذهين ؟

(ولكن سيليزيت تصعد بسرعة وهي تتفنى بلاك

الأنثودة الحزينة التي صرت بك آتأ بينا ميلاندر ينظر إليها

وهي مبتعدة ثم يخرج بدوره)

محمد غروب

(البقية في العدد القادم)

ميليجران — أوه هو أنت يا سيليزيت ؟

سيليزيت — نعم يا جدتى . أنا جئت أقبلك مع

إسائين الصغيرة قبل أن نذهب للزفة في الأرياف

ميليجران — أين تذهبان ؟

سيليزيت — لم أعرف بعد . ولكننا نريد أن

نذهب إلى أبعد من المعتاد ، ولن نعود قبل المساء .

أعندك كل ما يلزمك يا جدتى ؟ إن أجلائين ستعنى

بك بدلى . أتردين أن أعظم المساند قبل أن أخرج ؟

إنه لا يوجد أحدي يعرف كيف يرفقك^(١) دون أن يؤلمك

إلا أنا وحدى ، ولكن أجلائين ستعلم ذلك على

مر الأيام . إنها بخيرة وستعلم ذلك حالا إذا مكنتها

منه ، أتردين أن أدعوها لك الآن ؟

ميليجران — لا لا ، أنا سأنام إلى أن تعودى .

سيليزيت — وداعا يا جدتى وداعا .

ميليجران — إلى اللقاء يا سيليزيت وعودى

قبل أن يدخل الليل .

(تخرج سيليزيت فاضة على إسائين الصغيرة)

المنظر الثالث

(يحدث هذا المنظر في أحد دهايز القصر حيث يلتقى

ميلاندر بيليزيت وأختها)

ميلاندر — أين تذهين بسرعة . إلى هذا الحد

يا سيليزيت ؟

سيليزيت — لا أذهب إلى مكان معين يا ميلاندر

وإنما نبحث عن ماوى من الشمس .

ميلاندر — حقا تخيل إلينا أن الأحجار اليوم

تنصهر في بواتق الحوايط من قوة الشمس ، وأن

البحر قد صار بحيرة من النار ، وأن الهواء الرطيب

(١) يلاحظ أن الجدة العجوز كانت مثبولة ، وأنت

سيليزيت هي التي كانت تنمى بها

يلوح لي أنها تتحاشى تناول ما وقع ، وما كنت أنا لأعود إلى البحث فيه . ومع ذلك فقد كان ما بيننا شئ من الاحتراس بالرغم من أننا عدنا إلى ما كنا تعودناه من علاقات الجوار . فكان في عدم تقيدنا شئ من الكلفة . وكأننا كنا نسر إلى نفسنا : « لقد كانت الحال على هذا المتوال من قبل فلنستمر عليه »

وكانت تمنحني ثقتها كأنها تميد إليّ حرمتي فأرى في صنعها شيئاً ترتاح نفسي إليه . غير أن أحاديثنا تولاهما شئ من البرود لأن عينينا كانتا تتناحيان خلسة فلا يبق وراء الحديث ما يتكلف الفكر اكتشافه . وقد كان كل منا يحاول من قبل أن يفقد بحديثه ما يحول في خاطر الآخر فأصبحتا ولا تقدير لكل منا يتجسس به ما تنطوى عليه الكلمات وما تضمه المواقف . وقد كانت تعاملني بكل لطف فأحاذر لطفها ، وكنت أذهب متمشياً معها في الحديقة ولكنني انقطعت عن مراقبتها إلى الخارج فلم يعد لنا أن نجتاز الغابات والوديان معاً . وعندما كنت أفرد بها كانت تفتح البيانو وتشد ؛ غير أن صوتها لم يعد يثير في قلبي من الشباب ما يستخفه ليدفع بأنين كأنه هتفة الآمال .

ولما كنت أخرج من بيتها مودعاً كانت تمد يدها إليّ ؛ وحين أقبض على أناملها أحس أن لا حياة فيها . فلقد كان في ارتياحنا كثير من المجالدة ، وفي كلامنا كثير من التفكير ، ويسود كل ذلك كثير من الأمي المكبوت .

لقد كنا نشعر بأن ما بيننا ثالثاً هو جبي لها ، وما كنت لأبديه أية إشارة مني ، غير أن وجهي كان يرم عنه . ووقدت مرجى وقوتي وما كان على خدي من نضارة المافية . وما مضى شهر عليّ حتى تبدل حالي ولم يبق من شبه يني وبين من كنته



استئناف فتى العَصْرِ

لألفريد دي موسيه

بقلم الأستاذ فيل كس ومارس

الجزء الثالث

الفصل التاسع

وأرسلت لي مدام يارسون في المساء كتاباً موجهاً إلى ر . د . د . في استراسبورغ ، وما مضت ثلاثة أسابيع حتى كنت قد قتت بالهمة وعدت من سفرى . وما كنت انقطعت عن التفكير فيها أثناء غيابي ففقت أن لا أمل لي في نسيانها يوماً . غير أنني كنت مصمماً على الاحتفاظ بصمتي أمامها ، لأن ما أقدمت عليه من المجازفة وما تلاها من خطر فقدى لها وما تحملت من الآلام في موقفى ، كل ذلك كان يصعدني عن التمرض مرة أخرى لهذه الأخطار ، وما كان احتراي لها ليدع مجالاً لارتياي بإخلاصها ، وما خطر لي قط أن إقدامها على مبارحة البلاد كان تصنعاً ، ولذلك كنت على ثقة من أن أول كلمة غرام أنفوه بها ستكون سيباً لا يصاهاها الباب في وجهي ولما لقيتها رأيته شاحبة متغيرة وكانت بسمتها كأنها ترعى ارتقاء على شفتيها الممتعتين .

وقالت لي إنها كانت مريضة

ولم يدر بيننا أى حديث عما جرى . وكان

لقد أرسلك الله ملاكاً أنوار رفعتني من اللجة المظلمة
فا رسالتك إلا سبيل الخير، ومن يدبني إذا حكم عليّ
بالابتعاد عنك إلى أية المهاوى تطرحني أحزاني يوماً
اختبرته من الحياة في أوائل صباي وما سيفعل بي
تضجري وملائي .

وكان لهذه الفكرة التي أعبر عنها باخلاص
شديد التأثير على امرأة لها مثل هذه التقوى ومثل
هذه الروح المضطربة في عقيدتها .

وكنّت أستمّد يوماً للذهاب إليها فاذا بالباب
يقرع وبمركانسون يدخل علي وهو الكاهن الذي
كنّت رأيته من قبل في حديثها . فبادرنى باعتذارات
أثقل من شخصيته عن إقدامه على زيارتي دون سابق
معرفة . فقلت له إنني أعرفه وأعرف عمه كاهن القرية
وسألته عما يريد .

فظهرت عليه الحيرة وبدأ يقلب عينيه يمينا وشمالاً
ويداعب الأوراق الموجودة على الخوان أمامه كن
يفتش على ما سيقول ، وأخيراً وفق إلى القول إن
مدام ييارسون مريضة وإنها كلفتها أن يبلغني عدم
إمكانها مقابلي في ذلك اليوم .

«قلت : أمرضة هي ؟ وكيف ذلك وقد فارقتها
أمس في ساعة متأخرة وهي على أحسن حال .
وانحنى الكاهن مسلماً فاستوقفته قائلاً : هب
أنها مريضة فهل من موجب لإرسال من يبلغني
ذلك ؟ وهل يتها بيمد عني لتقصّد توفير العناء
بوصولي إليه ؟

وبقي صامتاً وبقيت مستغرماً فقلت له أخيراً :
— لا بأس ، سأراها غداً فطلقني على حلية الأمر
وعاد إلى حيرته فقال إن مدام ييارسون قد
هدمت إليه أيضاًً باطلاً أنها جد مريضة ولا
يمكنها أن تستقبلني إلى أسبوع .

غير أنني كنّت لا أزال أذكر كرمي للعالم
ونفوري من العودة إليه . فكنت أحاول جهدي
أن أفتح مدام ييارسون بأنها تحسن صنعا بارجاعي
إليها . وكنّت أسوّر لها أحياناً ما صرّ من أبيي بأقمت
الألوان ، ملحقاً لها بأنني سألجأ إلى عزلة خير منها
الفناء إذا ما اضطررت يوماً إلى الافتراق عنها ؛ وكنّت
أقول إنني أكره المجتمع فيؤيد قولي ما كنّت سرده
لها تفصيلاً من وقائع حياتي . وكنّت أحياناً أنظاھر
بمرح كاذب لا يصدقه قلبي كأنني أريد أن تعلم أنها
أقنذني من أفضع المصائب . وكنّت كلما ذهبت
زيارتها لا أغفل عن تكرار شكرى لها لأنمكن
بذلك من العودة إليها في المساء وفي صباح اليوم
التالي ، فكنت أقول إن جميع آمالي ومطامحي
محصورة في الحديقة الصغيرة التي تقطنين ، فليس لي
أن أحيأ إلا حيث الهواء الذي تستشقين . .

وما كانت آلامي لتعزب عن شعورها فأراها
لا تستطيع مقاومة إشفاقها على ما أبدى من محالة
وحزم ، فكانت كل حركاتها وسكناتها أممي تم عن
لينها ، فأنها كانت تشهد المراكب القائم بين جنبيّ
فتبدو غفورة باطاعي لها ؛ غير أن شحوب وجهي
كان يثير في قلبها ما انطوى عليه من إشفاق المرصّات
فكانت تبدو أممي في بعض الأحيان مضطربة إلى
حد الدلال فتقول بلهجة مداعبة : — لن أكون
هنا غداً . أو تمين يوماً تمنني الحضور فيه . وإذا
كانت ترى مستغرماً في الحزن تطلق قائلة : لا أعلم ؛
على كل حال نعال . أو تريد في رقتها وتذهب لتشيعني
حتى الحاجز فتزودني بنظرة تفرق العذوبة في حزنها .
وكنّت أقول لها : نقي أن العناية قادني إليك ؛
ولو أنني ما عرفتك لكنت عدت إلى ضلالتني .

— عرفته من الخادمة . فهاهو السبب ياترى فى

إيصاها الباب دونى وفى إرسالك بمثل هذه المهمة إلى ؟ ورأى مكرانسون أحد الفلاحين ماراً بنا فناداه باسمه قائلاً له : لى ملك كلام فانتظر .

وتقدم الفلاح نحونا وكان ذلك ما يرجوه الكاهن لعله بأننى لن أتمادى فى الحديث أمامك ؛ وهكذا اضطررتى إلى سحب قبضتى عن ساعده ولكننى دفقته بشدة حتى أنه تراجع فجاء واصطدم ظهره بشجرة وقعه السقوط . فخرق الأرم وذهب دون أن يفوه بكلمة .

ومضى الأسبوع على وأنا على أحر من الجمر ، أذهب كل يوم إلى باب مدام بيارسون فأراه موصداً بوجهى ، وتلقيت أخيراً منها كتاباً تقول فيه إن تكرر زيارتى لها قد أصبح موضوع قال وقيل فى البلد ، فهي لذلك ترجو أن أقلل من عدد هذه الزيارات . وكان كتابها مقصوداً على ذلك فهي لم تأت على ذكر مرضها ولا على ذكر مكرانسون .

وكدت لا أصدق أن الكتاب منها لأول وهلة لما أعلمه من أخلاقها وعدم مبالاها بكلام قال وقيل وترفضها عن إخضاع ضميرها لنيرها ، ولكننى اضطرتت أخيراً إلى إرسال كتاب أقول لها فيه إننى لا أجذبك من إجابة نداء قلبى والخضوع ، وما كانت عباراتى إلا لتتم من مرارة لم يسعنى كتابها ولم أذهب لزيارتها فى اليوم الذى سمحت لى فيه بالقدوم إليها لأثبت لها أننى لم أخضع بخير مرضها وما كنت لأعرف السبب الذى دعاها إلى إقصائى عنها ، فذهب بى الحزن كل مذهب حتى سئمت الحياة ، وخطر لى أن أتحرك منها فكنت أمضى طوال الأيام فى الغاب حتى مرت ذات يوم صدفة حيث كنت

وانحنى مسلماً وولى .

ولم يكن من ريب عندى فى أن وراء هذه الزيارة سرّاً . إن مدام بيارسون تريد ألا أقابلها لسبب لا أعرفه ، فهل كان مكرانسون يقوم بهذه المهمة من تلقاء نفسه ؟

ومضى النهار وتبعه الليل فنهضت مبكراً وقصدت بيت مدام بيارسون فوجدت الخادمة أمام الباب ، وإذا استوضعتها الأمر قالت إن سيدتها مريضة وحاولت عيناً أن أجريها إلى الاعتراف حتى بنفصها شيئاً من المال فلزمت الصمت ولم تبح بشئ .

وفى عودتى إلى القرية صادفت مكرانسون على المنزه وحوله تلازمة عمة فدعوته إلى كلمة أقولها له على انفراد ، ومشيت تبعينى إلى الميدان ، وهناك رأيتنى متردداً حائراً لا أعلم ما أقول له لأتزع منه سره . وأخيراً قلت : أرجوك يا سيدى أن تعلم لى الحقيقة عما أخبرتنى به أمس : أهى مريضة أم إن هنالك أسراً آخر ؟ فانت تعلم أن ليس فى هذه الجهات طبيب يعتمد ، وفوق ذلك فإن لدى أسباباً أخرى لها أهميتها تدعونى إلى الوقوف على جلية الأمر . فصمد الرجل بوجهى لا يحول عما قاله أولاً ، وأضاف إلى ذلك قوله إنها هى دعتنى إليها وكلفته إبلاغى ما أعلته لى . وكنت وصلت وإياه لى مر ضيق عند مدخل الشارع وضقت ذرعاً بهذا الرجل المتصلب فقبضت على ساعديه فجاء فذعر وقال : أريد إرغافى بالقوة ؟ — لا ولكننى أريد أن تتكلم .

— إننى لا أخاف أحداً وقد قلت ما يجب أن أقوله .

— لقد قلت ما يجب لا ما تعلم . إن مدام بيارسون ليست مريضة .

— وكيف عرفت ذلك ؟

خرجت من مسكني شعرت باستيلاء الحزن على . وكنت لا أعلم ما قصد هذه المرأة من اعادتها إلي ما سلبتني إياه من معاملة ، وأرى في عملها شيئاً من القسوة لأنها إذا كانت لا تزال على حالها ولا حب في قلبها فآية تسلية كانت تطلبها من تحدى مجادتي وهي تعلم أنني أهواها .

وتسلطت هذه الفكرة على فبذلتي تبديلاً ، وما وضعت راحتي تحت رجلها لأساعدها على اعتلاء صهوة جوادها حتى شعرت بمخفقان شديد في قلبي وما عرفت أكان هذا القلب يختلج شهوة أم غضباً . وكنت أقول في نفسي : « إذا كانت هذه المرأة أصيبت بدائي فلم هذا التجني ؟ وإذا كانت سليمة فلم هذا الدلال ؟ »

وهكذا هم الرجال . ولا حظت هي لأول وهلة أنني أرمقها شرراً وأن في سيأتي تنبراً . واتسحت الجهة الثانية من الطريق وسرت لا أنطق بكلمة . وكنا نقطع السهل فأراها هادئة تدير لحاظها بجوي من حين إلى آخر لتتأكد أنني ما أزال أتبناها . ولكننا ما بدأنا نصعد الجبل متوغلين بين الأشجار وما بدأت حوافر فرسينا تقرع الصخور حتى رأيتها ترتطم فجأة . وتوقفت حتى أصبحت على مقربة منها . فانطلقت مسرعة وأنا أتبناها حتى وصلنا إلى المنحدر . فاضطرت إلى تخفيف السير ، وعندئذ اقتربت حتى حاذبتها وكنا كلانا مطرقين فشعرت بأن الزمن قد حان فقلت :

— هل أتبنتك شكواي يا بريجت ؟ وهل أزعجك مني أنني بصد أن عدت إلى مشاهدتك لا أرجع من مسكنك إلى مسكني مرة دون أن أسأل نفسي ما إذا كانت لم تزال بعيدة عن الموت ؟ لقد قضيت شهرين وأنا أذوق الألمين وأكتم ما أعانيه

فأنتني على أسوأ حال وما جسرت على طلب الايضاح منها إلا تلميحاً . فلم تجب بصراحة ، وهكذا أكرهتني على ألا أحاول تناول الموضوع مرة أخرى .

وكنت أعد الأيام التي تفصلني عنها حتى إذا جاء ميعاد الزيارة هرعَت إليها وأنا مصمم على الانطراح أمام قدميها لأشرح لها حالي وما وصلت إليه من اليأس آملاً إثارة إشفاقها ، ولكنني كنت أذكر ما فعلت أولاً ويشمل أممي رحيلها وقسوتها فيستولى على الذعر وأحاذر فقدتها وكنت أفضل الموت على هذا البلاء .

وهكذا كان مقصياً على أن أنزب ولا أتفلس بالشكوى فما طال بي الحال حتى تهدمت قواي ، وكنت أحس بوهن ركبتني عن حملي إلى بيتها لأنني كنت أشعر بأن ليس فيه غير ما يستدرف دمي ، وما عدت مرة من زيارتها إلا لأطلق عنان مدامي كأنني أبارحها كيلا أراها بعد .

أما هي فكانت تخاطبني بلهجة لم أعدها فيها من البرود فتسألني رأيي في مبارحتها البلاد ولا تردد في أن تقول لي إنها أصبحت تشتتهي الرحيل . فاقفت واجاً أمام هذه الحادثة وأنا أقرب إلى الموت مني إلى الحياة . وما كانت تعود لحظة إلى حالها الطبيعية حتى أراها ترتد فجأة إلى تصنع البرود القتال . وخاتني الجلد يوماً فتساقطت دموعي أمامها وشكوت بالرغم مني فראيت الاصرار يملأ وجهها . ولما وقفت على بابها مودعاً قالت : إنني سأذهب غداً إلى سان لوس « وهي قرية على مسافة غير بعيدة » وبما أنني أفضل الذهاب راكبة فاحضر غداً على فرسك لمرافقتي إذا لم يكن لديك ما يمنعك .

وحضرت في اليماد المضروب مبكراً ، وكنت قصيت الليل متقبلاً على مهاد السرور ولكنني عندما

سببا لفقداني إليك . لقد كفاني غراي دموعاً وآلاماً
وقد طال الأمد على وأنا أكرم حبا جنوبيا برى
أحشائي ، وقد بلغت بك القسوة ...

ورأيها تتحفز للوثوب من صهوة جوادها
فتقدمت والتقيتها بذراي ملصقا شفتي بشفتها .
وعلا وجهها الاصفرار فأطبقت جفونها فسقط
الزمام من يدها وارتعت على الأرض .

وصحت : يا لله ! إنها تحيي

وكانت قد بادلتني قبلي فسارعت إلى رفعها عن
الرج فتفتحت عينها ومشى الارتعاش فيها بهزها
هزاً قدفت يدي عنها وانهمرت دموعها فهبت
تطلب الفرار .

وكنت لا أزال واقفاً جنب الطريق أنظر إليها
وهي أجل من الضحي وقد استندت إلى جذع شجرة
وانحل شعرها متساقطاً على كتفها ويدها ترتجفان
وقد علا الاحرار وجهها كأنه الأرجوان تلتمع عليه
لألى الدموع .

وصاحت : لا تقرب مني . لا تتقدم خطوة
واحدة نحوي .

فقلت : لا تخافي يا حبيبتى ! إذا كنت أسأت
إليك فأترني بي عقابك . لقد تولاني نثار الألم لحظة
فأفلى بي ما تشائين ولك أن تذهني الآن ، كما لك
إرسالى إلى أية جهة تريدن ، فأنا أعرف الآن أنك
تحبينني يا ربييت فأنت في هذا المكان تتمتعين بأمان
لا يتمتع به الملوك في قصورهم المنيع .

ونظرت إلي عندئذ بعينيها الداميتين فرأيت
سماعة الحياة تمعرق ، فتقدمت إليها وجثوث أمامها
وما يجب الحب الجيم من بوسنه أن يتذكر
الكلمات التي أعلنت بها من يهوى أنها تهواه .

فليكس فارس .

من هذا الحب الذي يرتي حشاشتي ويقتلني ، وأنت
سليحية كأنك لا تعلمين بحالي . إرضي رأسك قليلاً
وانظري إلى . أفي حاجة أنت لأثبك ما أتى من
الأوصاب وما تغفل في الليالي أقضيها باكياً على نفسي
لقد مررت يوماً في هذا الغاب المروع فرأيت
شقيقاً موجماً أسند جبينه إلى راحتيه ؟ أفا نظرت
إلى رشاش دمه فوق هذه الأعشاب ؟ انظري إلى
وإلى هذه الجبال أفا خطر لك أنني أهواك وقد
عرفت بتوهمي هذه الصخور وهذه الأرجاء المقفرة
وكلها شهود غرامي .

لماذا أتيت بي أمام شهودي عليك ؟ أفا كفالك
ما أحمل من بلاء ؟

أبخونني الجلد الآن ؟ أفا ترين أنني ذهبت إلى
أبعد مدى في طاعتك ؟

إلى أي التجارب تعرضيني ؟ بل أي تمذيب
تعديني لي على جناية لا أعرفها ؟ ماذا أتيت تفعلين
هنا إذا كنت لا تحبينني ؟

فصاحت : فلنذهب من هنا . أرجعني من حيث
أتيت .

فقبضت على زمام فرسها قائلاً : لالن نمود ،
لأنني بحث بما أسمر ، فأذا رجعتا فقدتاك إلى الأبد ؟
وهذا ما لا أجعله وأنا أعرف مقدماً ما يستقولينه
لي عندما ندخل بيتك . لقد أردت ابتلاء صبري
وتحديت آلامي ولملك قصدت بذلك إيلاء نفسك
حق طردى . لقد أنبلت هذا الماشق الحزين ، يتحمل
آلامه كأنما أمره كارهاً حتى الثمالة كأس احتقارك .

وكنت تعلمين أنني إذا ما انقردت بك أمام هذا
الغاب في هذه العزلة التي نشأ فيها غراي ونما لن
أتمكن من التغلب على نفسي ، فأردت أن تعرضي
نفسك للالهانة . اصني إلي ياسيدتي وليكن ما أقوله

روعة ما حدث ، حتى نهضت أوديسا الملكة ، ذات
الدراعين العاجيتين ، فقالت : «أيها الفياشيون ، كيف
أنتم وهذا المهاجر النبيل الذي زاده الآلهة بسطة في
العقل والجسم ، وأضفت عليه هذا البهاء وذاك الرواء ؟
إنه ضيق ، بيد أنكم تشركونني في ضيافته والاحتفاء
به ، تخليق بكم ألا تشرحوه على عجل كما يجب ، بل
حرى بكم أن تستبقوه أياماً حتى تخلموا عليه ،
وتقدموا له أطرف الهدايا وأعز اللي ، وتقيثوا عليه
مما حبتكم السماء ، فكلكم غنى جم الغنى ، ثرى
واسع الثراء » . وتكلم البطل إخنيس ، أكبر
أسماء فياشيا وأتقدمهم ذكر فقال : «إن ملكيتكم ذات
المجد والكبرياء يا أصدقاء ، لا تبدى رغبة خصب ،
بل هي تصدر عن إرادة عالية وأمر سني ، فخذوا
لو أصختم وصدعتم ... على أن كل شيء هو رهين
بمشيئة الملك ، فليد إذن رأيي » . وقال الملك : «إني
أوافق على ما رأت الملكة ، زهرة فياشيا سيدة البحار
ليبق الضيف إلى غد إذن ، رغم ما يحده من الشوق
إلى بلاده ، حتى أسبغ عليه ، وأدير أمر عودته التي
يُعنى بها الجميع » . وكانما صادف مقال الملك هوي
في فؤاد أوديسوس فهض وقال : «ألكينوس !
يا ملك فياشيا العظيم ! بدى لو بقيت هنا عاماً ما بكأه
ليتم الملك نعمته علي ، وليدير أمر عودتي سالماً إلى
أرض الوطن ... فما أجل أن أعود بالطايا والهدايا
والنعم ، لأملأ عيون مواطني ، ولأكسب احترامهم
وأنال محبتهم بعد طول النأى وفدح البعاد »

فأجابه الملك : «لله ما أروع ما حدث
يا أوديسوس ! وكما تحدثت بلسان ساحر علم بهرج
القصص ويوشى الأخبار ، ويروق ويروق ، في
زكاته وفطانه وحذق وترتيب ! أبدأ ما حلت هذه



الأوديسية

لهيرودوس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

فصل الفصل الهابي

«أبحر أوديسوس إلى البار الآخرة (هينز)
ليلقى تيرزيس السكاهن الطيبي كي يعرف له عن عودته
إلى بلاده . فبعد أن ضي لآله الموت وزججه وجزر
الفرارين للأشباح الهائمة في دار الفناء أقبل إليه تيرزيس
فأخبره بما سمى إليه ، ثم رأى شبح أمه فكلها
وقد أخبرته بما تم في بيته من أحداث وطمأنته على
وفاء زوجه بنلوب وعدم خضوعها لما أراد الميثاق
فسرها عليه وحدثته عن ابنه تليك وما أخذ نفسه به
من ميانة متمسكات أبيه ثم أنبأه عن والده الرجل
الشيخ الذي اعتزل الدنيا في ركن سحيق من حقوله
باكياً على أوديسوس . وقد لقي أوديسوس طائفة من
عذارى اليونان وأزواجهن اللاتي توفين في غصارة
الشباب ونضارة العمر فكلتهن وروين له قصصه . وهو
يسرد قياً على طائفة أخرى من مشاهداته في هينز »

أوديسوس يروي قصته (٢)

وسكت أوديسوس ، وصمت الجمع المحتشد في
الزخمة الملكية فكان على رؤوسهم الطير من

الأرض. ألب منك ولا ألبق في رواية وتحديث ؛ وأبدأ تساكبت الموسيقى والنغم الحلو من لسان كلسانك الدرب الحبيب ؛ ولكن ماذا عندك من أخبار الأبطال الأغريق ، الصيد الصناديد ، القادة المداويد ؟ حدث يا أوديسيوس ! قل ، قص علينا أخبارهم ؛ أرايت أحداً ممن شهد معك وقائع طروادة ؟ إن الليل ما يزال في عتفوان يا صاح ، وما بأعيننا من سنة فتأوى إلى فراشنا في مثل تلك الساعة ؛ هلم نخدثنا ، فبنا من حديثك شغف ، وكلنا إليه شوق ، ولو حدثت حتى مطلع الفجر ، إن لم ينل منك وصب أو يعبك ملال »

وقال أوديسيوس : « بورك سيد فياشيا الملك ألكينوس ؛ ما يزال في الوقت متسع للحديث وللنوم معاً ، وإن شئت حدثتك طائفة من الأحاديث عن أبطال الأغريق سواء منهم من وى تحت أسوار طروادة ومن أفلت من الموت ثمة فترصده الناي في أرض وطنه ، صبياً من كف زوجة الأيم الزنيم ؛ إليك إذن... وجيهاهتفت برسفوني - ربة هيدز - بأشباح العذارى وأرواح الحسان فتكبيكن واثنتين عنى إلى ظلمات دار القضاء ، بدا لي طيف أجا ممنون - بن أثريوس - ومن سحوله كوكبة من أشباح الذين قتلوا معه في داره بيد إيجستوس... أهرع إلى الدماء فرشفت منها رشقات ، ثم نهضت ففرقتى ، وكأنا شاعت فيه رعدة من الدهشة والذعر ، وتحدرت دموعه الحار السخينة فوق خديه ، ثم مد إلى ذراعيه يود لو طافق ، ولكن... والأسفاه ؛ وهل يمانق الشبح إنسياً ؟ ! ونال منى الحرب فكبت لهذا المنظر الفادح الأليم ، وقلت أكله في

(١) ملق فلا ملق له تودد .

(٢) أخاوين وخون وأخوة جمع خوان .

المسكين ، الذى قتلنى القادرة قبل أن أتورد منه
نظرة ! اسمع يا أوديسيوس ، اصغ إلى ، إلى ساقى
عليك من كنوز خبرتى وتجاربى ، عليك بالسرى
أوتبك إلى وطنك . واستمن على رحلتك بالكهنة
لأنه لاتفقة فى امرأة بعد اليوم ^(١) .. ولكن اصدقنى
بربك ، أين أبوى ولدى الآن ؟ هل يجهلنى بيلوس ؟
أم يشوى فى أرخومينوس ؟ أم هو يستندى بذوى
جده ، أمى الحبيبة ، فى قصرها النفث بأسبرطة ؟
إنه ما يزال حياً يرزق ، ولم يأو بعد إلى دار الظلال
هيدز . « واعتذرت إليه أنى لا أعلم إذا كان حياً
يرزق أو أنه غدا من أشباح هيدز ، وظلنا نتحدث
شجون الحديث ، ونذرف الدموع على كل ذكرى
حتى وانى شبح أخيل البطل ، ابن بيلوس المتيد ،
وفى إثره شبح تربه بتروكولوس العظيم ، وبمقربة
منه طيف أنثيلوخوس يتدهدى مع طيف البطل
الموار أجاكن الذى امتاز ببسطة الجسم وخبروت
المظهر على الجميع ما عدا بيليدس وحده . وعرفنى
شبح العذراء الكبير إياسيدس ^(٢) فقال بخاطبى فى
خفة وظرف : « أوديسيوس راجل الدهاء والخدع
أى تدبير ليست فيه تدابيرك الماضية وحيلك السواف
شيئاً ما ، أنى بك إلى هذه الدار أضيف أنت ؟ أم
هو طيشك وقلة مبالانك جعلاك تقرب فى دياجير
هيدز ؟ هيدز الهية بيت الأرواح والظلال
والأشباح ؟ » ووجهت الجواب عن تساؤله إلى أخيل
فقلت : « أخيل ! يا ابن بيلوس العظيم ، يا شجعان أبناء
أخايا قاطبة ، لقد سميت إلى هنا لألقى الكاهن الطيبى

(١) وهكذا عاد فاستمسك برأيه فى النساء حتى فى بنلوب

(٢) قد يكون أبخيل .

فأت هذا النكر ، وارتكبت إثم قتل زوجها
ورفيق صباها ! !

لقد حسبت حين عدت أدراجى أنى سأقابل
بالأهل وبالسبل ، من أبنائى وأهلى وحاشيتى ،
ولكنها ... الفاجرة القادرة ، التى زنت بفجورها
كل صنوف الفجور ، قد سحبت على نفسها أذيال المار
والخرى ، بل هي قد سحبت أذيال المار والخرى على
كل أنثى لم تر النور بعد ، وعلى كل الصالحات
الطيبات من بنات جنسها .

وسكت أجاممنون ، فقلت بدوري : « يا سماء ! !
ما أقسى ما قصف يد زيوس على بيت أترىوس ، منذ
البده أكله من الأنثى ! ! الأنثى دائماً ! لقد قتلنا فى
غير رحمة ولا رفق من أجل هيلين ^(١) ؛ وتذكر لك
كلية منسرا تلك الفعلة بينما أنت تآرج بعيد عن
ديارك ! ! »

قال : « من أجل ذلك أوصيك ألا تلين
عزيمتك لامرأة قط ، وألا تجعلها موضع شرك
وحمل ثقك ، بل إن أسردت لها بشىء ، فقبضى
عنها أشياء ، هذا وإن تكن زوجك وفيه خالصة
لك ، لا يخشى عليك منها رفق ، ولا غدر كهذا
الفدر ، لأنها ابنة إيكاريوس وحسب ذات الحصافة
واللب ، لقد غادرناها ولما نزل عروسا يوم غادرناها
إلى اليوم ، وعلى صدرها الوفى ولدك الحبيب ، الذى
شب ليحمل اسمك ، ويعلى فى الخافقين ذكرك ،
والذى ينتظرك لفغان ليضمك إلى صدره يوم تعود
إلى إيشاكا ... وإنك إلى إيشاكا لائد ، وبذا قضت
الآلهة ... أما أنا فوا أسفاً على أورست ، ولدى
(١) التى فر بها باريس وكانت سبباً فى حروب طراودة

الحاشدة من أخايا ؛ ولقد كنا نجتمع للشورى ^(١) تحت أسوار إليوم فما كان يتكلم إلا للامأ ، وما كان يتنطق عن الهوى إذا فعل ، وإذا استثنينا نسطور... و... وأنا... فما كان أحد ينهض إلى مقامه أو يقارن به من جميع الأبطال الأغريق... وكنا نكر حول طروادة ونفر ، فما أعرف أن أحداً كان أجراً منه كراً ولا أحزنق قرأ... ولقد جنبدل من أبناء طروادة الصناديد أقرانا وفرسانا حتى ما أستطيع سرد أسمائهم جميعاً ، بيد أنني أذكر فيمن أذكر منهم يوريبولوس بن تفلوس البطل الذي أغرى على خوض غمار الحرب في صفوف الطرواديين بمارشا (بريم) نساءه وعذاراه ، فهازوا به حتى خاضها هو وجنوده السيئون... الله ما كان أجل وما كان أروع ! ! أبداً ما رأيت زعيماً ولا سيد قوم ، باستثناء ممنون ، أبهى منه ولا أصفى جمالاً ! وما أنسى لا أنس يوم حصان إليوس الخشبي ، يوم قتلت أخير الصناديد الزاويدي من أبناء هيلاس ليكونوا مني داخله ، وكنت على أن أظل عند بابه السرى لأرى في فتحه أو إغلاقه ما أرى... لا أنسى ما كان من هلع أبطالنا وذعرهم وذهاب نفوسهم وتحذر دموعهم من هذه المهمة رعباً وقرعاً ؛ أما ولديك ، فيأما كان أشجع ، ويأما كان أربط جاشاً ! ! إن عبدة واحدة لم تسرق من عينيه ، بل إنه كان يحثني ويحرص جد الحرص على أن أختاره ، حتى إذا فعلت تقدم متبخرأ يجرحه الظلم ، ويقل صدره بنار الانتقام يود لو يصبها على طروادقوا بأنها جميعاً ! ! وما إن فتحت طروادة

وعز ، وتجليك الناس كأحد آلهتهم ، وما أنت تحكم هنا وتنهي وتأمّر على جميع هؤلاء الموتى ، فما أجدر بك ألا تأسى لأنك مت هذه الموتة في الدار الأولى » وأجابني على الفور : « أوديسيوس ياذا الله كي ، لا تخالن عزاء يخفف من وطأة الموت ! لقد كنت أوتر لو أعيش في الدنيا كأحقّر الأجراء الأذلاء ، وأتبلغ بلقعات قليلات لا تقيم أود الشيخ الفاني ، على أن أقم هنا مملكا في جميع هذه الأشباح والهواويل ! ! ولكن تعال ؛ هلم فحدثني عن ولدي الحبيب ، هل وصل ما انقطع من حياتي الحرية ، أم هجر السيف وطلق الممعة ؟ وحدثني عن أبي يلبوس الكريم ، أما يزال يتمتع باحترام الناس وتجليهم وجب الميريدون ^(٢) وفدايتهم ، أم تجرد من الأنبهة وزل على حكم المشيب والكبر ، والأيام التي أوهنت عظامه ؟ أواه يا أبناء ! ليس لك اليوم أخيل كان ينشر الرعب في جنبات طروادة ؛ أواه لو وسعني أن أعود إليك لحظة ، إذن تقسرت الناس على الخضوع لك ، ولأرغمت كل جبار عصي على تمليقك وذلل البودية لك بدل الثورة بك ، وقلة الاحتفال بشيخوختك . » وقلت أجيبه : « أنا لا أعلم لي بما كان من أمر يلبوس أييك ، ولكني ذاكر لك ما ترى إلى من أخبار ولديك نيوبتلموس لأنني حملته على سفاتي من سكيروس إلى الجيوش تيرزيس ليعرف كيف أصل إلى شطآن إيثاكا الصخرية لأنني عيت بالروابع والمواصف في عرض اليم ، فما استطعت أن أصل إلى أخايا أو أن أرسو في بلادى... إني أغبطك يا أخيل من أعماقي ! فلقد عشت في هنا

(١) يحسن بالقارئ أن يذكر أن أخيل قتل قبل سقوط طروادة .

(٢) جنود أخيل في حروب طروادة .

كبير الآلهة ، الذي ماينفك يضرب لعنته على جيوش أخايا ، هو الذي قضى عليك بالموت . أيها البطل ! هلم نحوى كيا نسمع إلى الكلم الطيب الذي أجهد أن أرضاك به ؛ لتخمد جذوة الغضب على نفسك ، ولتجسم ماينتنا من خصام ! « بيد أنه ماحرك شفثيه ، بل لوى عنانه وانخرط في جماهير الأشباح الهائجة ، وترك الرغبة الملحة المشتعلة في صدرى شوقاً إلى تكليمه تنطلي رويداً ... فقلبت نظرى في الأرواح القريبة عسى أن أعرف منها أحداً فأتحدث إليه ، فلمحت بينا مينوس سليل جوف الأكر ، وكان يجلس على عرش مرمد للقضاء بين الموتى ، وفي يمينه صولجانه الذهبي الثمين ، ومن حوله زرفت جموع سكان هينز ، فمنهم الواقف ومنهم الجالس ، ومنهم المنتصب يشرح للقاضي شكواه ، ويثته بلواه ، بينا قد أهطلت الرؤوس وانحبست النفوس ، وتكاثرت الموتى عند البوابات الكبيرة الهائلة تنتظر دورها ... ثم راعى أن أرى بين تلك الجموع أوريون الجبار يسوق قطعانه التي ذبحها يديه في النار الأولى ، وهو يرعاه على أوراق البرواق ... ورأيت فيمن : رأيت تيتوس الجبار ، سليل هذه القبراء ، وقد كان منبطحاً على الأرض بحيث يشغل فضاء تسعة أفدة ؛ وعلى كل من جنبه أففوان هائل أرقى يشتدى بعصف من كبده الكبير الدامى ، وينب من أحشائه الفلاظ ، جزاء بما حاول أن يستذل لاتونا اللعوب الطروب ، عشقة جوف سيد أولب ، التي فرت من وجهه فى بطائح بيتو الى فراديس باويوس . ثم رأيت تاتالوس فى ضف من العذاب ، رأيتنه يتخبط فى عين حنق من حنق ، وقد غاص فيها الى

علينا ، وأبنا منها بالفنائم والأسلاب والسبي نظرت إليه قبل أن يحرقها وجدته يشكو رمية ، ولا ين من جرح ، ولا أثر فى جسمه لحدس مما تصنع الحرب ، وما ثبت فقال مارس .
وزمى أخيل من كثرة ما أثبتت على ولده فراح يتخايل ويدل وسط شجر البرواق^(١) ... وكانت جموع من أشباح الموتى تملأ الرب ، وقد جلس كل أوام على وجهه يكي ويشكو بشة لغير سمع ... وقد رأيت بينهم شبح صديق التيلامونى - أجاكس - وكان يحدجنى فى الفينة بعد الفينة ، ولكنه لم يشأ أن يكلمنى ! آه ! إنه ما يزال ينقم على ما شجر بينى وبينه من نزاع على عدة أخيل (بعد مقتله) ، وما كان من طلب زيتيس^(٢) ألا بليس دروع ولدها سوى ، ثم ما كان من تأييد ميرفا للأمر الرؤوم فىا طلبت . لقد كان أتصاراً لي ، كم كنت أوتر ألا يكون ، لأنه كان فىا يسدو سبب مقتل أجاكس العزيز ، أجاكس المغوار ، الذى لم يكن فىنا من هو أشجع منه إلا أخيل نفسه ... ولقد وجهت إليه ألين الخطاب لأقل من سورة غضبه . فقلت له : « أيها العزيز أجاكس ، يا ابن تيلامون المجيد ، أما تستطيع أن تقضى ، وأنت فى الدار الآخرة ، عما شجر بيننا بسبب هذه العدة المشتومة ؟ لعننا الآلهة من عدة كتبت فوقها صحيفة موتك ، نخسرنا فيك أشجع فوساننا وأعظم مقاتلينا ! إنا ما نفتأ نيكيك ونشكو رزاًنا فيك ، ونمد قدك كفقدا أخيل نفسه ! ولكن لا ترتيب على أحد قط ، فجوت ،

(١) شجر كان يزرعه اليونانيون على قبور موتائهم وذكره الفيروز آبادى .
(٢) أم أخيل وهى إحدى عرائس لاه .

عيونها وتدأب في عواء وزئير وتقاثل ونهش، صنعة معجزة لم يقدر على مثلها أحد من قبل ولا من بعد... وما كاد يتبينني حتى عرفني، وظل يقبل في عينيهِ السادرين، ثم قال لي: «آه يا ابن ليريس النبيل ذا المجد ما أتسك! ما أظنك إلا معنياً ببعض المجازفات التي كنت أشغف بها في حياتكم الدنيا... ها أنت رآني هنا، في ظلمات هيدز، عبداً رقيقاً لإله أحقر مني شأنًا وأقل قدراً، لأنني وأنا ابن جوف الأعظم، قد كتب عليّ أن أشقى هنا لأصل آلام الحياة ولأؤاها... أتصدق أنه يأمرني أحياناً أن أسوق كلبه، مع ماني هذا الأمر من سخرية وتحقير؟ ولكني لن أنسى أني جذبتُه من مملكته هيدز إلى نور الحياة الدنيا بمساعدة أخى هرمز، وبعمونة مبرقا ذات العينين اللازورديتين» ثم هام على وجهه في ظلمات مملكة پلوتو... ثم تلبث أنا مكاني راجياً أن ألقى غير من لقيت من أرواح الأبطال الذين عرفتهم في الدار الأولى، أولئك العطاء ذوي المزة والمجد... وكم وددت أن أرى ييرشوس وثيدوس سليلي الآلهة... بيد أن جوع الموتى الحاشدة التي أقبلت تصرخ قدفت الرعب في قلبي. ونخت أكثر أن ترسل برسفوني مملكة هيدز، رأس المجرجون من ظلمات هيدز تفعل بي الأفاعيل... فأثرت أن أسرع إلى مركبي، وأمرت الملاحين فأقلعوا، وجلسوا على الظهر، وحلنا تيار سريع عبر البحر المحيط بعد أن أمعلنا المجاذيف وقتاً غير طويل.

دريغ فشب

« يتبع »

ذقة، والروح يضرب وجهه ويسمعه، وهو مع ذاك يلهث من الظلم، لا يجد ما يلب به غلته، أو يطيق جوارده وصداه! فهو إن حتى رأسه غمره الحُم، وإذا رفع جسمه كزّت الأرض على قدميه بأمر ربها، فهو في عذاب مقيم... ولله أشجار الفاكة دانية قطوفها فوق رأسه، من رمان حلو وتفاع عطري، وتين معسول وزيتون، كلما اشتهى أن يقطف ثمرة وكاد، هبت الرياح عاتية فذهبت النصوص عالية في السحاب... ثم رأيت سيسفوس ذا الأنياب يضني ويشق ويتعذب؛ يدفع أمامه حجراً جلوداً عظيماً فيجعله في رأس جبل، حتى إذا انتهى إليه غاضت الأرض من تحته بقوة خفية فكانت برأ عميقة، فيهبى الحجر من عل، فيعود المسكين إلى نفسه عوداً... على بدء، ويتحدر عرقاً على جسمه العظيم، ويتبخر من رأسه كل ثمة ينقذ من بركان... ثم شهدت هرقل الحديدى القوى الجبار... شبحه فقط، لأنه هو قد منح بركة الآلهة وخلودها، فهو أبداً يحضر ولأنهما في شفاف الأولب... شهدت يمتحن ابنة جوف الجميلة الفتان، هيب، ذات القدمين الناصتين، والفعلين الذهبيتين؛ رأيته وأشباج الموتى ترف من حوله صاّلات كالطير، ثم يقبضن... وراعى أن أراه عابساً كالخفا كقطعة من الظلام، وقد حلق بعينيه في الأرض وفي يديه قوسه وسهامه يوشك أن يرميها، وعلى وسطه حزامه الرائع المموه بالذهب، وقد نقشت عليه صور مئات من الدية والدواب والسباع، ينقذ الشر من

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

برلمان الاشتراك مع منة

٣٠ في مصر والسودان

٥٠ في الممالك الأخرى

١ عن العدد الواحد

الإدارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦

العتبة الخضراء - القاهرة

تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

المجلة

مجلة أسبوعية للقصص والروايات

تصدر مؤنثا في أول كل شهر وفي نصف

العدد الخامس عشر ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٦ - ١ سبتمبر سنة ١٩٣٧ السنة الأولى

من أحسن القصص



فهرس العدد

صفحة	
٩٠٦	نمر مسز باكتيد ... للكاتب الانجليزى ساكى ... بقلم الأستاذ عبد الحميد حدى .
٩١٠	الحنين والزيون ... لأحد كتاب الأتراك التوانغ .. بقلم الأديب عبد اللطيف أحمد .
٩٢٦	فدريجو ... للكاتب الفرنسى بروسير ميريه . بقلم الدكتور حسن صادق .
٩٣٣	كرد على ... للقصصى الروسى بوشكين ... بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار
٩٣٧	عودة الروح ... للكاتب الفرنسى تيودور دى بانيل ... بقلم السيد محمد الزاوى .
٩٤١	أجلافين وسيليزيت ... رواية تمثيلية لموريس ماترنك ... بقلم الدكتور محمد غلاب .
٩٥٣	اعترافات فى المصر ... لألفريد دى موسيه ... بقلم الأستاذ فليكن فارس .
٩٦٠	الأوذية ... لهومبوس ... بقلم الأستاذ دريى خشبة .

الرسالة

مجلة أسبوعية للادب والعلم والفن

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية
تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب
على هدى وبصيرة

الرسالة : تعبر باخلاص عن روح النهضة المصرية
الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية
الرسالة : تصور مظاهر العبقريّة لامة العربية
الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية
الرسالة : تحيي في النشء أساليب البلاغة العربية



مجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق
الجديد . وسجل الأدب الحديث . ودائرة معارف عامة



الاشتراك اداخل ستون قرشاً ، والخارجى ما يساوى جنبها مصرى ، وللبلاد العربية بخم ٢٠ ٪

مِزْمَسِينْ بَاكَلْنِيدْ

لِلْكَاتِبِ رَاجِلْجَزِي سَاكِي

بِقَلَمِ الْأَسْتَاذِ عَبْدِ الْحَمِيدِ حَمْدِي

لناية ظاهرها تكريم لونا
بمرتون ، وباطنها أن يرى
المدعون جلد النمر الذي
اصطادته ينفط القسم
الأكبر من أرض الغرفة ،
وأن يستغرق حديث هذا
الصياد كل الوقت الذي
يقضيه الصيوف في هذه

الولاية . كذلك رسمت في رأسها صورة الشبك المصنوع
من غلب النمر الذي تقدمه هدية لونا بمرتون في
عيد ميلادها القبل . وكانت مسز باكلتيد امرأة
شاذة في عالم مفروض فيه أنه واقع تحت تأثير الجوع
والحب ، فكانت تتأثر — إلى مدى بعيد — في
أغراضها وحركاتها بكرهها لونا بمرتون .

وساعدت الظروف مسز باكلتيد ، فقد
عرضت أن تدفع ألف روية لمن يهيئ لها فرصة
اصطياد نمر دون التمرض لخطر جدى ودون بذل
مجهود شاق . وقد اتفق أن إحدى القرى
المجاورة كان في مقدورها أن تغفر بأنها الملتقى
الحبيب إلى وحش يحترم الأصل اضطره ضعف
الشيخوخة أن ينصرف عن تحصيل قوته بفتراس
حيوانات الغاب ، وأن يعود معدته القناسة
بالحيوانات الصغيرة الأليفة . فحركت الألف روية
الوعود بها غريزة القرويين الرياضية التجارية ،
فرابطوا ليل نهار على الحدود الخارجية للنابة
الحلية ليقبوا النمر داخل هذه الحدود ويحجوا
بينه وبين الخروج منها مسمياً وراء ميدان جديد

كان من أقوى بواعث السرور إلى مسز باكلتيد
ومن أشهى أمانها أن تصطاد نمرًا ، لا لأن شهوة
القتل قد استولت فجأة على نفسها ، ولا لأنها
شعرت بأنها ترك الهند — عند مفارقتها إياها —
آمن وأمنًا مقامًا مما وجدت عند قدومها إليها
إذا هي أقصت من عدد وحوشها الضارية بنسبة
جزء من وحش إلى مليون من السكان ؛ إنما نشأت
هذه الرغبة المفاجئة الملحة في اقتفاء خطوات ذلك
الوحش النمرود على أثر ما سمعته عن لونا بمرتون
التي ركبت منذ عهد قريب طائرة مع أحد الطيارين
الجزائريين قطعت بها في الجو أحد عشر ميلاً ؛
ولم يكن لونا من حديث غير حديث هذه الرحلة
الجوية الجريئة . وهذا حادث لم يكن لمسز باكلتيد
بد من أن تكسفه بحادث من جانبها أشد منه جرأة
وأدعى إلى الإعجاب ، بأن تصطاد نمرًا تحمل جلده معها
عند عودتها ، وبأن تنشر الصحف مجموعة من صورها
الفوتوغرافية لمناسبة هذا الحادث العظيم

ورسمت مسز باكلتيد في رأسها بالفعل صنورة
مأذبة غداء تأديها في بيتها بشارع كرزون استريت

وقد أحابتها مسز باكتيد :
« كلام فارغ ! فهذا الثمر عجوز جداً ولن يستطيع
أن يثب إلينا هنا حتى لو أراد ذلك » .

فقالت صاحبها :

إذا كان ثمرًا عجوزًا فمن رأي أن تحصلي عليه
بأرخص من هذا الثمن ، فان الألف روية مبلغ
كبير » .

وكانت مس لوزا ميين مطبعة بطبع أخت لها
كبرى شديدة الحرص فيما يتصل بمسائل المال على
العموم دون نظر إلى الجنسية والدين . وكان تدخلها
الستمر سببًا في اقتصاد عدد كبير من الرويات
فلا تبذل « بشيشا » في بعض فنادق موسكو ، كما
كانت الفرنكات والسنتيات تلتصق بأيديها اتصافًا
طبيعيًا في ظروف من شأنها أن تترعها دون تعب
من أيد أقل من أيديها شفقة . وقطع عليها ملاحظتها
على الثمن الذي تشتري به جثة الثمر ووجوب تخفيض
هذا الثمن ظهور الثمر نفسه على المسرح . . . على
أن ذلك الحيوان الشيخ المحترم لم يكذب يقع نظره على
الشاة المعتقلة حتى انبطح على الأرض هادئًا ،
لا رغبة في أن يحتاط على إخفاء نفسه عن نظرها ،
حتى لا تهرب منه ، ولكن حرصًا على أن يراجع
قليلا قبل أن يبدأ حملته الهائلة على فريسته

فقالت لوزا ميين في صوت عال باللغة الهندوستانية
لتسمع رئيس القرية الذي كان مختبئًا على شجرة
مجاورة :

« إني أعتقد أنه مريض »

فقالت مسز باكتيد :

للصيد . وأخذوا يتركون الأنواع الرخيصة من
الغنم سهلة عن عمد في دائرة تيموله ليقنع بالبقاء في
حدود هذه الدائرة . وكان أخوف ما يخافونه أن
يموت ذلك الوحش بمرض الشيخوخة قبل حلول
الأجل الذي حددته مسز باكتيد لاصطياده .
وكانت النسوة وهن عائدات من أعمالهن في الحقول
يحملن أطفالهن على سواعدهن يكتمن غناهم إذا
صررن بالناية حتى لا يقطع على سارق الغنم المحترم
نومه الهادئ المريح .

وأقبلت الليلة التي جعلت أجلا للصيد . وكانت
ليلة مقمرة صافية ، وكان القرويون قد أعدوا
مصطبة مريحة فوق إحدى الأشجار القائمة في نقطة
تناسب عملية الصيد ، وعلى هذه المصطبة قبت
مسز باكتيد ورفيقها المأجورة مس ميين ، وكان
القرويون قد عقروا في المكان المناسب شاة وهبتها
الطبيعة القدرة على الثناء الذي لا ينقطع حتى لو أن
ثمرًا كان نصف أصم لسممها دون شك في الليلة
الهادئة . وانتظرت المرأة الرياضية صابرة صبر الكرام
مجيء الصيد الشتهي ، وكانت مزودة ببندقية مجهزة
أدق تجهيز لإصابة المرمى ، كما كانت تحمل معها
رزمة من ورق اللب لقطع الوقت في غير ملل .

وقالت مس ميين :

« أحسبنا معرضين لشيء من الخطر ؟ »

ولم تكن مس ميين في الواقع قلقة من ناحية
الوحش المفترس ، ولكنها كانت ذات طبيعة تأني
أن تؤدي ذرة من العمل فوق القدر الذي أجرت
على أدائه .

فلم يروا بأساً في أن يتفاوضوا عن خرافة اصطيد الوحش . وأما مس مين فكانت رقيقة مأجورة . وعلى ذلك واجهت مسز باكتيد آلات التصوير طروية القلب ، وطار صيتها المصور من صفحات جريدة « تكساس وسكلي استابشت » إلى ملحق يوم الاثنين المصور لجريدة « نوفوى فرييا »

أما فيما يتصل بلونا بمرتون فقد بقيت عدة أسابيع آية النظر إلى أية صحيفة مصورة . وكان الخطاب الذى بثت به إلى مسز باكتيد تشكر لحافيه إهداءها إليها مشبكاً من غلب النمر مثلاً للانفعالات المكتومة ، وقد رفضت في الوقت نفسه حضور ولية النداء ، فإن هناك حدوداً إذا تخطتها الانفعالات المكتومة كان ذلك هو الخطر المحقق

واتقل جلد النمر من شارع كرزون استريت إلى « مانور هاوس » حيث خصه رجال البلدية خصصاً قانونياً وأعجبوا به إعجاباً شديداً . ولقد كان من عوامل الزهو في نفس مسز باكتيد ذهابها إلى حفلة تشكرية في مرقص البلدية في لباس ديانا إلهة الصيد . ولقد أتت مع ذلك أن تميل إلى اقتراح كلوفيس المغرى عندما اقترح إقامة مرقص على طراز المصور القديمة بليس فيها الراقصون جلود الحيوانات التى اصطادوها حديثاً . ولقد قال كلوفيس عندئذ :

« وسأكون في هذه الحال كالطفل الرضيع لا أجد ما ألبسه غير جلد أرتب أو أرنبين »
ثم قال وهو ينظر إلى تقاسيم وجه ديانا نظرة خبيثة :

« ضه ! »

وفي اللحظة نفسها أخذ النمر يسير متخطراً إلى فريسته .

فقال مس مين في شيء من اللفة :

« إذا النمر لم يس الشاة فليس ما يدعونا إلى أن ندفع ثمنها . . . »

وكان لهذه الشاة المدة طمعا للنمر ثمن خاص وهنا دوى في الجو صوت الطلق الناري مسبوقاً بزيمض خاطف للأبصار ، فوثب الوحش الكبير مائلاً على أحد جنيبه ووقد ساكتاً سكوت الموت . فلم تمض لحظة حتى احتشد حول الفريسة عدد كبير من الأهالي المتلهفين ، ولم يلبث صياحهم أن حمل الخبر السار إلى القرية ، فدفقت الطبول دقة النصر .

وكان تهليل النصر وأغاني الاتهاج صداها الجليل في قلب مسز باكتيد . وبدأ لها في الحال أن ولية النداء في شارع كرزون استريت ستكون أقرب مما قدرت وكانت لويزا مين هي التي لقت الأنظار إلى أن الشاة المسكينه تمنى آلام الموت من أثر إصابتها بطلق نارى بينما لا يوجد في جسم النمر أي أثر للرصاصه التي أطلقت من بندقيه الصياده الماهرة . فكان من الواضح أن الطلق الناري قد أصاب الحيوان غير المقصود ، وأن الوحش الضارى قد مات بهبوط القلب من أثر صوت الطلق المفاجئ ، وقد ساعد على ذلك انحلال الشيخوخة . وقد ارتاعت مسز باكتيد ارتياحاً ظاهراً من كشف هذه الحقيقة ولكنها على كل حال قد أصبحت مألوفة نمرآميناً ، أما القرويون الذين كان لمابهم يسيل على الألف روية

وقد حكم الجميع بأن لوزا قد أبدعت الابداع كله في اعداد دارها وتجميلها .

وقررت مسز باكتيد ألا تناصر في رياضة الصيد مرة أخرى

وكانت تحبب أصدقاءها إذا سألوها عن السبب في ذلك الاجحام بقولها :

« لأن الصيد يتطلب أكلافاً عرضية باهظة ! »

عبد الحميد حمدي

« وإن قوامي يشبه قوام ذلك الطفل الروسي الراقص »

وبعد أيام قليلة من ليلة المرقص قالت لوزا مين تحاطب مسز باكتيد :

« ما أبلغها فكاهة أن يعرف الجميع حقيقة ما حدث ! »

فسألها مسز باكتيد مسرعة :

« ماذا تقصدين بذلك ؟ »

فاجابت مس مين وهي تبسم ابتسامتها المفضة :

« أقصد لو عرفوا كيف أصبت الشاة خطأ وأمت النمر خوفاً »

فقال مسز باكتيد ، وقد قلبت الألوان على وجهها في سرعة مذهشة :

« لن يصدق إنسان ذلك القول »

فقال مس مين :

« ولكن لونا يجربون تصدقه في غير تردد »
فاخضر وجه مسز باكتيد اخضراراً غريباً وقالت :

« أظنني على يقين أنك لن تحوينيني ؟ »

فاجابت مس مين في لهجة ذات معنى :

« لقد رأيت على مقربة من دور كنج داراً خالية لقضاء نهاية الأسبوع وإني لأحب أن أبتاعها،

ولكنهم يطلبون ثمنًا خالصًا لها ستمائة وثمانين جنياً وهو مبلغ مناسب لقيمة الدار ولكني لا أملكه »

وأصبح الأصدقاء جميعاً معجبين بالدار الجميلة التي أطلقت عليها مس مين اسم « الأمواج » وهي

دار صيفية جميلة تحيط بها حديقة غناء تحوى مجموعة من الأزهار البديعة .

في أصول الأدب

للوستاذ احمد حسن الزيات

كتاب جديد فريد في نوعه . يشتمل على أبحاث

تحليلية طرقة في الأدب العربي وتاريخه . منها

تاريخ الأدب وحظ العرب منه . العوازل المؤثرة

في الأدب . أثر الحضارة العربية في العلم والعالم .

تاريخ حياة ألف ليلة وليلة وهو أوفى بحث كتب

في هذا الموضوع إلى اليوم . ثم قواعد تفصيلية

للرواية التشيلية الخ الخ . . .

يطلب من إدارة مجلة الرسالة

وثمنه ١٢ قرشا

الحبيرة والنبيون

لأحمد كتاب لأتراك النواذب
بقلم عبد اللطيف أحمد

- من النادى؟
- أنا بإصابة .
- فمن أنت؟
- أنا ناجية

وقبضت صابرة
على قفازيها براحتها
وأخذت تمصرهما من
فرط الحيرة ، ثم
أجهت نحو النافذة

منفلة وكررت سائلة :

- أية ناجية تمنين؟
- بنت سعيد أفندي
- فمن سعيد أفندي هذا؟
- صراف البندير
- ماذا تقولين؟
- أجل . أجل . أنا هي

وقفت صابرة برهة وعينها شاخصتان ، ثم
أخذت تحديق تلك الغرفة الأرضية وفي الخراب
البادى عليها . كان زجاج النوافذ محطاً قد ألصق
في مكانه أوراق الجرائد ، وكان كل شيء في هذه
الغرفة يبنى بمقارنته عن شظف عيش هذه الشابة

التي عصفت الزمن بها

قالت صابرة :

- قولى بربك ماذا تصنعين هنا ؟
- لاشئ
- ما معنى لاشئ ؟
- هذه دارنا
- أقولين إن هذه داركم ؟
- نعم

كانت فتاة ممشوقة القوام ، عليها ملابس رثة
باهتة اللون ، وكان شعر رأسها الفزير الجعد مرسلًا
على كتفيها الرمرمين ، فكان الناظر إليها لا يشك في
أنه يرى المثال التام للفقر والجمال

أطلت من نافذة مخدعها المتيق المظلم وهي ساجدة
في بحر لجي من الأفكار ، وكانت في استغراقها
وذوولها أشبه بشخص محكوم عليه بالأعدام ينتظر
جلاده . هفت هذه الشابة بئس سائجة : يارباه . . .
ولم تلبث أن استجمعت نفسها بسرعة اهترت لها
ركبتها ونهضت واقفة ، ثم أطلت متدلية من النافذة
وجملت تنادى :

صابرة ! صابرة !

وما كاد يسمع رنين صوتها حتى وقفت سيدتان
أنيقتان كانتا تسيران وأخذت إحداها —
وهي التي كانت أكثر رشاقة وأطول قدأ —
تبحث عن مصدر النداء مستغربة حائرة ؟ ثم
شخصت بصرها نحو النافذة وقد قطبت حاجبيها
الأسودين ، وضربت بقفازيها غنغضا التي كانت
تبدو شبه عارية كسائر تقاطيع جسمها تحت إزارها
الزاهي الشفاف ، ثم سألت :

أجلت صابرة عنها حول الردهة ، فرأت
الجدران قد سقط بعض لبناتها ، والسقف قد
تصدعت أركانها ، ثم أدارت وجهها وحدقت في
ناحية طويلا ، وقالت لصاحبها التي كانت بجانبها :

— جمال رائع ! أليس كذلك ؟

فأجابت الأخرى بشئ من التكلف :

— بلى ، هي مثل أعلى للجمال

وكانت صاحبها هذه لا تريد على صابرة في السن
إلا شيئا يسيرا ، على أنها كانت أتق من صاحبها
وأكثر تماطلا ، وكان يسند على وجهها الشديد
البياض غرور الجراكسة بأجلى معانيه . وقفت
تنظر من عتبة الردهة ولم تدخلها كأنها كانت تشعر
بفضاضة تمس كبريائها إذا هي دخلت دارا كهذه
متهدمة حقيرة ...

قالت صابرة بصوت يدل ثبراته على أثر الشفقة
التي أخذتها على ناجية :

— وأأسفاه عليك يا ناجية ! واحيرة !

أبليت الحال بك إلى هذه الغاية ؟ أين أمك ؟

— ماتت .

— فأبوك ؟

— توفي .

— فأخوك ؟

— لحق بهما .

— وأنت ماذا تصنعين هنا ؟

— هنا دار زوجي .

— تقولين دار زوجك ؟

فاستولى على صابرة وعلى رفيقتها الدهش ، وما
لبثتا أن تبادلوا النظر واستغرقتا في الضحك كأنهما
كانتا تستمعان إلى مزاح مثير للضحك

ثم قالت صابرة :

— ناجية ، أيها اللعوب ، الكذوب ، هلا
فتحت الباب لأرى ؟ فاني لا ألبث أن أستجلى دواعي
وجودك هنا ..

ثم تقدمت إلى عتبة ذلك الباب المهدم المشوه
بما رسم عليه أطفال الحي من صور الطيور
والحيوانات المختلفة ، فتخطتها بخطوات هجلى

كانت صابرة وناجية صديقتين أيام الطفولة ،
ولكن ما كادت الحرب تنتهى بالهزيمة حتى أخذ
أبراهما — وكان أحدهما قاصيا للبندر والأخر صرافا —
طريق الحرب ، وضلت كل من الأمرين سبيل الأخرى
ومضت أعوام ثمانية لم تتقابل الصديقتان في أثنائها
إلا بهذه المصادفة .

دخلت صابرة الردهة ، وما إن رأت ما على
صديقها من الأطوار الممزقة حتى صرخت تقول :

— ماذا أرى ..؟! أعضك كلب عقور يا ناجية ؟

وكانت ناجية تنظر إلى صديقها وإلى مئزرها
الأنيق وإلى غاتها الذهبي بفصه الزبرجدي الكبير ،
ثم تدير بصرها إلى يدها الأخرى فتراها ممسكة
بمحافظة تقودها الفاخرة ذات المقبض الذهبي . ولم
تلبث أن شملها الخجل لما هي عليه ، ثم حركت شفرتها
لتجيب على سؤال صديقها ، فاستطاعت أن تقول
بعد الجهد :

— إنه الفقر يا عزيزتى ...

— نعم . . .

— وما صناعة زوجك هذا ؟

كان بناءً ، ولكنه الآن هو جندي في فرقة العمال ، هنا في المدينة .

سكنت النسوة الثلاث ملياً . وكانت الشابة البائسة تحجل من دعوة هاتين الأيتيمتين إلى الجلوس في غرفها ، ولكن صابرة تظاهرت بالتواضع الذي كان الصلف يطل من وراءه ، وقالت وهي تضحك على غرار الفتيات الترفات :

— لمنى عليك يا ناجية ! لم تجلسي وتحدث قليلاً .

ثم التفتت إلى صاحبها وقالت :

— ها أنت ذى توين هذه الشابة ، أرايت قط امرأة يحاكى جالها هذا الجمال ؟ بريك تكلمى ، انظري إلى هذا الشعر الفاحم ، وهذا التجعد الطبيعي الذى لا أثر للصنعة فيه . . . آليت عليك إلا أنمت النظر . . .

كانت صاحبها المتعاطفة تظاهر بالاحجاب المتكلف ، فتبتسم تارة وتضحك أخرى ، وتقول :

— ماذا تريدن أن أقول فى وجهه سلب الشمس ضياءها وبجمالها ؟

مرتا بالرده الضيقة القذرة المظلمة ، ودخلتا الغرفة وشاهدتا فيها مدى البؤس الخيف عليها فظلتا جامدتين كالجليد ، لفرط ما ألم بهما من الدهشة ، ولم تكونا لتستطيعا أن يجلسا إذ لم تجدا مكاناً للجلوس ، فازدادت ناجية ارتباكاً وخجلاً ووقفت منكسة الرأس كثيرة الاطراق . . .

كان فى أحد أركان الغرفة فراش عتيق ممزق ، وإلى جانية صندوق قذر عليه جرة ماء كبيرة ، يلها صحن ملى بالزيتون ، وكانت إلى جانب النافذة التى لا ستار عليها خشبة مرتفعة عن الأرض باللين الذى وضع تحتها من الجانبين فبدت كأنها مقعد للجلوس .

قالت ناجية وهى تشير إلى هذه الخشبة — اجلسا عليها فألها نظيفة .

وجلست السيدتان وأخذت صابرة تحديث صديقة طفولتها وراحت الأخرى يجبل نظرها فى الغرفة المصدعة الأركان وما عليها من مظاهر البؤس قالت صابرة :

— تعالى إلى جانبنا .

فجلست ناجية بجانبها على تلك الخشبة .

— ما هذا ؟ ما ذا جرى لك يا ناجية حتى بلغت هذه الحال ؟ — هو كما ترين .

ثم أخذت تسرد حكايتها : كان أبوها قد مرض أثناء المهاجرة ولم يكدهم على وصوله إلى الأستانة شهر واحد حتى قضى نحبهم ، فاستأجرت أمها غرفة فى (اسكندار) فأوتوا إليها فترة من الزمن هادئين مطمئنين . ولكن المرض لم يلبث أن اهتدى إلى تلك الغرفة وأبت ذات الرئة إلا أن تحتطف أمها منها . ولما أصبحت وحيدة لا عائل لها ولا موئل أشقت عليها ربة الدار الأرملة فسمت إلى رجل أعزب . تعرفه فزوجها منه فلم يجد فيه ما يسيئها ؛ وقد مضى على زواجها منه أربع

— أين الآن أبوك يا صابرة ؟
فأجابت : — إنه في إحدى مدن الأناضول
لا أعرفها بالذات ...
— فأملك ؟
— معه .
نظرت ناجية في عيني صابرة نظرة عميقة ثم
عن شعور يمجز عن وصفه القلم وقالت :
— فأنت ؟
— أنسألين عني ؟ إن قصتي طويلة . كنت
أقترت بضابط في الجيش ثم افترقنا .
— والآن مع من تقيمين ؟
— مع ذوي قرايتي .
لكن ناجية لم تكن تعلم أن لصابرة في مدينة
استانبول ذوى قرابة أتراب . ولم تبحث صابرة قط
ولا أهلها قبل المهاجرة عن مثل هؤلاء الأقرباء .
سكنت ناجية رغبة منها عن توجيه أسئلة أخرى
إلى رفيقتها . أما ما فكانتا تزوران إليها متعجبتين
مأخوذتين ، وكانت تمتد بين أونة وأخرى يد إحداها
تعبث بشعرها الفاحم الأبيض وترت على كنفها
وتدلكها . ولم تستطع صابرة أن تملك نفسها عن الميل
على عنقها الجميل البض ثلثه مرة إثر أخرى ، وناجية
حائرة واجمة من فرط الخجل . وظلت المرأتان تطلقان
في القتب على الحظ وقسوته والسخط عليه ، إذ أخنى
على صاحبة هذا النحر الجميل ، والقدر الرشيق ؟
وأخذتا تذكران من عرفتا من النساء السميات
اللاتي قدر لهن أن يسعدن بالنفي وينعمن بالرفاهية .
قالت صابرة لصاحبتها :

سنين ، والرجل طيب وديع إلا أنه شديد الفقر .
كان يكسب قبل الحرب روالاً من عمله ، ولما جندته
الحكومة خصصت لها في الشهر ثلاثين قرشاً ، وهو
يحصل على إجازة مرة أو مرتين في الأسبوع ، وربما
حمل إليها في هذه الأثناء آنية ملاءي بالحساء ، وختمت
حديثها بالشكر لله على ما أفاض عليها من فضله ...
عندئذ لم تنالك صابرة نفسها من النيط وصرخت في
وجهها قائلة :

— آثمحين الله على هذه الخطوب وأنت
ترزحين تحت عبئها ؟
— نعم وأشكر فضله .

— ما كنت أحسب أنك بلهاء إلى هذا الحد !
إنك تأكلين الخبز قفاراً فاذا واثك الحظ بمحيتي
زيتون حمدت الله على هذا وشكرت فضله ! ثم التفتت
بفتة إلى رفيقتها وقالت :

— ها أنت ذى تشاهدين يا منيرة ! كم لله من
عباد أصفاء ، وعلى الأصح من مخلوقات أغبياء . ثم
أخذتا تتأملان في ناجية طويلاً بميون تشف عن
شدة الريب . كيف احتمل هذا الجسم النض الجليل
هذا الناء والبؤس والجوع ولم تزل فيه هذه
النضارة الرائعة ؟ وكيف لم تحطم خطوب الزمن كيانه
وقد انصب عليه من ويلاته ما لا يقوى على احتماله
أحد من الناس مهما كان قويا . فأنهما ومعظم
الفتيات المترفات يأكلن من الأطعمة أشهاها
ويشربن من الأثربة أسوغها ، وبرغم هذا كله لم يسلمن
من فقر الدم ...

سألت ناجية متلجلجة خجلة :

كيف ؟ كيف هذا ؟

— إن زوجي يحاول جهده أن يأتي في كل أسبوع بنصف أقة من الزيتون ، وأنا الأخرى أقصد ما وسعني الاقتصاد .

لم يبد صدق حديثها ما خلا صابرة وصاحبها من الشك . إذ كيف تصوران وهما تبصران خدامتهما يأفن أن يأكلن الخبز إذا بات يوماً واحداً ، في حين أنهما تريان الخبز الأسود على الصندوق أمامهما وهو ما تأكل منه ناجية ، ولا ريب أنه قد أصبح على مر الأيام يابساً كالعظم .

هزت منيرة رأسها بمنة ويسرة وابتسمت ابتسامة تشف عن حيرتها وقالت :

— إنها لدينا عجبية . وهل يستطيع الانسان أن يستسيخ مثل هذا الخبز ما كلاً ؟ أقسم بالله إنني أعطيت مرة خبزاً أجود من هذا لـ«كلبنا» بوبي» فأبى أن يأكله وكثر عن أنيابه وكاد أن يهجم علينا وأخذ ينبس نباحاً شديداً حتى ظننا أنه جن .

قالت صابرة وكانت تبدو شديدة التأثر :

والله ما أنا بتاركتك هنا يا ناجية . هيا انهضي — إلى أين ؟

— إنا ذاهبتان بك إلى دارنا .

— ماذا تقولين ؟ أيمن هذا ؟

— ولم لا ؟

— أقبل أن أستاذن زوجي ؟

— دعي هذه البلاهة وهيا . أقفوم القيامة لو أنك جئت معنا . ولبثت عندنا بضعة أيام ؟ ألا تستطيعين العودة إلى هنا مرة أخرى ؟ وهل

— إنك تعرفين زينب وعززة وبهجة وخالدة وتذكرين كيف ينعمن بالسرور والهناء في مجبوحة من العيش مع ما هن عليه من الدمامة والقيح . والآن انظري إلى ناجية هذه وما هي فيه من شظف العيش ، ثم احكي إن طاوعتك نفسك بعدالة الطبيعة . ترين لو قدر أن يرى (فصيح بك) امرأة كصاحبتنا هذه فإذا كان يصنع — ؟ كان لا يصدق عينيه — حقاً إنه ما كان يصدق عينيه .

التهب خذا ناجية من فرط الحجل ، وشاع الحزن في وجهها ، واضطرب صدرها بشق الآلام حينما تبينت بوضوح البون الشاسع بين أبهة المائلتين أمام عينها في مطارف المز ، وبين مهانة البؤس الذي شملها في أطوار الدل .

سألت صابرة ناجية قائلة :

— اصدقيني الحديث يا ناجية ، هل أنت حقاً تستطيعين أن تعيشي بالبلغ الزهيد الذي ذكرته لنا ، أعني الثلاثين قرشاً فقط ؟

— في العام الماضي كنت أخطئ لبعض الجنود قصائهم ، ولا أعلم لماذا انقطعوا هذا العام عن المجيء — يالك من بائسة ! ومع ذلك فاني لا أستطيع أن أطمئن إلى صدق حديثك .

عجيب هذا ولعمري الله ! كيف استطعت ولا زلت تستطيعين أن تعيشي بهذا المبلغ اليسير التافه ؟ — هي العادة التي ألفتها يا صديقتي .

— نحن لم نستطع اليوم أن نشتري عصفوراً واحداً من الكناريا بثلاثين قرشاً في حين أنك تؤكدين أنك ترودين بمثل هذا المبلغ شهراً كاملاً !

شعوراً بتكد طالعتها ومندى هوانها ، واستيقنت أن هوة الشقاء التي هوت إلى أغوارها أشد عمقاً مما كانت تحس به من قبل . وكانت كسافر خلى البال لا يشكو بأساً في سفره الشاسع ثم شعر بيمد الشقة بقية ، وتبين أنه ذو أهوال وخطار . فهتف بها هاتف نفسى : « مالك ترفضين هذه الدعوة رفضاً ، وتفضين يديك من إجابتها نفصاً ؟ هلا قبلت الدعوة فأصبت من أطايب الطعام ونفائسه ؟ » اتابها حتى لا تقاوم ، ولكن هذه الحى مستكنة في أعماق النفس لا يقدر أن يشخصها الأطباء ولا المتتطسون ، وإنما يستطيع أن يستشفها ويعرف كنهها من استبد بهم البؤس ورزحوا تحت وطأته أمداً طويلاً . . وأخيراً قبلت ناجية الدعوة الليلة واحدة . . ولكن ما العمل ؟ وتدكرت أن ليس لديها إزار تأثر به فلم تجد بداً من الاعتراف بالواقع وقد اعترها ارتباك وخجل ؛ فغدقت الصديقتان إحداها في الأخرى حائرتين متسائلتين عن حل هذه العقدة . قالت صابرة :

— نأخذ ناجية ونذهب بها إلى (عزيزة) .
فستعير منها لنا نجية أغفر ملايسها إذ هما لا تكادان تتفاوتان في القد والقامة .

أجابت الأخرى :

— أصبت ، وربما نأخذ تلك المجنونة معنا .

قالت هذا ثم نهضت ، فهضت الآخرين على أثرها . ولكن ناجية لم تكن قد ذاق من الصباح حتى تلك اللحظة من الطعام شيئاً تسكن به سورة الجوع ، كما أنها قد عافت ذلك الطعام الذى عندها

يعد خروجاً عن طاعة الزوج أن تأكل وتشرى بعض الشيء ، وأن تبدل الهواء ؟ ...

— يالها من جرأة ...

— أقول لك هيا وأقلنى عن التردد .

كان عقل ناجية لا يستسيغ أن يهون لها مجرد الخروج من كنفها دون إذن بعلها ، فكيف بما تشير به عليها صابرة وفيه ما فيه من خروج على العرف والتقاليد ؟ وهل هذا في الامكان ؟ هاتان السيدتان أشفتتا على ناجية ولا سبياً بعد أن عرفتا حقيقة حالها وعلتا أن هذه العرفة لم يدخلها طعام ساخن منذ أربع سنين ، فرغبتا في مواساتها وتهوين خطبها . وقد كان من حسن الاتفاق أن جاءتا اليوم بالركبة من « قاضى كوي » وعرجتا على هذا الحى لتبحثا فيه عن طاهية بدل التي عندهما ، لأنها شرسة الطباع ، ميالة إلى النزاع ؛ وأرادتا أن ترتبطا مع هذه قبل صرف الأولى والاستئناء عنها فلم تهتديا إلى مسكنها .

دار الحديث حول الطعام وعددت منيرة ووصفت أصناف الطعام والحلوى التي أوصت بإعدادها ثم استطردت في الكلام حول المشروبات وأنواعها ، ولم تستطع ناجية أن تصدق أذنيها حينما علمت أن صديقة صباها وصاحباتها يحسبن كل ليلة من الشبمانيا والوسكى ما يتراوح ثمنه بين الخمسة والعشرة جنيهات . ولما أخذتا تسهبان في حديث الطعام وأنواعه من المشويات والمقلبات والفتائر والحلوى خيل إليها أن معدتها أخذت تتخدر ، وكانت كلما أسهبتا في الحديث ازدادت

أثناء سير المركبة حول الملاهي، والملابس، والأزياء المستحدثة، وناجية لانتكاد تسمع الحوار لأن خيالها كان يشطبها عن الموضوع ويرغمها على الجلوس إلى جانب المائدة للتخيلة...

وبينا التحدثات تقطعان الطريق تارة في الحديث وأخرى في اجتلاء مشهد جمالها إذ لفت نظر السيدة منيرة ساعدا ناجية فتناولت ذراعها وقالت:

— هذه الذراع وهذه اليد لم ينلها التعب والنصب بسوء كاشما تفسلان كل يوم باللين . والحق أن وضاعة بشرة يديها وبضاعة ساعديها وبديع انسجام كل أولئك كان خليقا أن يخلب أبواب الفنانين ؛ على أنها ما كانت تفعل بدينها مساء إلا بالساء الذي تحمله من صنوبر الحى وتحتال ما أمكنها على تلافي نقصان الصابون الذى كانت لاتساعدنا حلها على كثرة استعماله .

أمرت صابرة الحوذى بالوقوف أمام دار عظيمة فى زقاق أكثر دور عتيقة مهتمة ، وكانت هذه الدار بينها كأمير ضل سبيله فاضطرته ظروفه الملحة أن ينزل ضيفا على الصماليك .

سألت صابرة الخادم التى فتحت الباب :

— هل سيدتك بالدار يماريكه ؟

— نعم

— هيا اصعدى إليها وأخبريها بقدمونا

— تقضى ، تقضى

فدخلن الردهة فأخذت الخادم تمدو أمامهن ، وبيناهن يصعدن السلم ، إذ استقبلتهن امرأة يخيل

وتقرزت منه . ألم يكفها أنها داومت عليه أربعة أعوام ؟ هذا إلى أنها الآن قد اتسع خيالها من حديث هاتين المرأتين حول الشواء ، والفطير ، والحلوى ، ولم يجد هذه البائسة ، من تلك الفكرة الخيمة على خيالها متسما حتى تفكر فى هذه الضيفة التى أنت دارها بفتة وتساءل كيف أصبحت ثرية . وكانت فكرة الطعام شغلت من ذهنها حيزا كبيرا إذ صارت تتخيل أنها على كعب من مائدة من فضة فضدت عليها أطباق ذهبية ، احتوت كل ما تلهفت عليه شهيتها وتجلب له ريقها من كل ما لد وطاب من ألوان الطعام ؛ وأثر خيالها على حواسها بحيث كان يخيل إليها أنه لم يكن بينها وبين تلك الأطايب إلا أن تمد يدها فتناول منها . وبينما هى على هذه الحال إذ نهضت صاحبها ، فاستوت هى الأخرى قائمة واندفعت بتأثير الفرح المبهم الذى استولى عليها نحو الفرش فأخرجت من ثناياها مژرا أسود مرقعا لبسته وهى تحاول عينا إخفاء خجلها ، لأن صابرة كانت تنو إليها وتلفت إلى صديقها وتقول :

— ربك تأمل ! ألا يخيل لرائتها برغم أنها لها أنها مليكة ذات تاج ؟

خرجن من الدار وغادرتها وهن يسرعن الخطا ، ولم يكدن يصلن إلى أول الشارع حتى ركن مركبة كانت تنتظر هناك ، وقالت صابرة للحوذى عند ركوها :

— اذهب بنا إلى « دوجا بحير »

وجلست ناجية أمام الآخرين ودار الحديث

وماراق وفاق من الخلل والنفاث ، وعندئذ تبصران
كيف تكون الروعة

فأخذها النسوة الثلاث إلى حجرة اللباس
وجعلن يخلعن عنها ثيابها الملهمة . ولا جردنها من
ثيابها وأبصرنها عارية اعترهن دهشة . وطفقت ربة
الدار تضرب فخذها بيدها وتقول :

— رياه ! ليتنى كنت رجلاً ...

ألبسها غلالة رقيقة من الحرير الأبيض النمين ،
ولما أخذن يلبسها الجورب وشاهدن ما تقدمها
وساقها من الانسجام ولبشرتها من الوضاعة لم
يستطعن أن يكبحن أنفسهن عن التصايح بالإعجاب
والأكبار . رجّلن شعرها الفاحم الجليل وربته .
ولم يكدن ينتهين حتى أجلسنها على كرسي هناز ،
فأخذن يمتعن أبصارهن بتلك التسمية التي أكلن
زيتها ، وهن يشعرون بما يشعر به الفنانون حين
ينظرون مأخوذين بما أبدعته أيديهم وابتكرته
عبقريتهم من آيات الفن . وكانت ناجية تنبسم
دون أن تبس تبس شفة ، وهي لا تشك في
أن ما تبديه صواحبها من إعجاب وإكبار لجلالها إنما
كان من قبيل اللبالة والملافة ، ولكنها على رغم
هذا أرادت أن تبين مدى الصدق فيما زعمن ،
فكانت تنظر خلصة وعلى مهل إلى صورتها في
المرآة .

دخلت الخادم المخدع وهي تحمل بين يديها صحيفة
من الغضة عليها إبريق الشاي وحوله الفنانين ،
فهنض وأخذت كل واحدة منهم كرسيًا وأجذقن
بالنضدة وناجية أمامهن ، ثم أشعلن لافائف التبغ

إلى من يراها لأول مرة أن بها مسًا من الجن .
وقالت وهي تهقه :

— أية ريح عصفت فألفت بكن إلى هنا ؟ ومن
أين يا عديمات الوفاء ؟

ثم فتحت ذراعيها واحتضنت منيرة أولًا وثنت
بصبرة فقبلها

— احزرى من أين ؟

— أتى لى أن أعلم ؟ فهل تقمن الليلة هنا ؟
— لا

كانت هذه المرأة مفرطة في تجميل وجهها ،
وعلى رغم تقدمها في السن كانت بادية الجمال
حدقت في ناجية ثم طبقت عينيها النجلالين
المكحلتين وفتحتهما وقالت :

— من تكون هذه الغانية المتكررة ؟

— هي ليست متكررة ، إنما هذه ملابسها
— لا تمزح

— نحن لا نمزح . ولقد جئنا لتأخذ لها من
عندك ثيابًا ومزركًا وحذاء ، فهي الليلة ضيفتنا

— تكذبان ، وأقسم أنكما تكذبان

— بل نحن نقسم أنا نقول حقًا

وكانت المرأة تنو إلى ناجية وقد علا خدوها
الاحمرار ، ولم تستطع أن تقنع نفسها بصحة حديثها
ثم قالت على غرار الرجال ، وقد رفعت عقيرتها .

— ما أروع هذا الجمال ! !

فما لبثن أن التفتن إليها جميعًا وحدقن فيها .
فقالت منيرة :

— دعوها تلبس ما دق ورق من حر الملابس ،

— إنه أعطى ميلودج ألف جنيه ليلة واحدة
 — تلك مسألة أخرى
 — ولماذا كانت أخرى ؟
 — لأنها كانت مسألة عناد
 — إذن لو رآها الحاج إبراهيم ماذا يصنع ؟
 — يبادر إلى شراء القصور والحلى ولكنه لا يعطى قوداً
 ولا أيقنت ناجية أن المرأة التي يدور حديث المساومة حولها إنما هي هي ، امتلأ قلبها همًا ووجعًا وراعها ذلك كثيرًا ، وعمرتها العدة كأنما ذهبت ، فعم فؤادها الطمون الحزن ، واجترأ قلبها المكوم الألم . إذن سيقدمها إلى الرجال وربما في تلك الليلة !
 فاستجمعت قواها وهمت بالنهوض لتخلع ثيابها القشبية وتلبس ملابسها القديمة ، وتخرج من تلك الدار هاربة لا تلوى على شيء . ولم تكند تتحرك حتى امتدت لها يد احدها بلفافة تبغ فرفضت ، وألحت الأخرى فأقسمت أنها لن تدخنها ، فامتنع عن الإلحاف ، وفي تلك المدة اليسيرة كان رأيها قد تغير . وجدت نفسها مطمئنة إلى نقائص حللها ، وكان الحرير يلس جلد لها لينا رقيقًا ، ولانت لحديث نفسها إذ حدثتها : « ماذا يمكن أن يحدث في ليلة واحدة ؟ فهل تبلغ بين النذالة حتى يلقين بي من أول ليلة في أحضان الرجال ؟ لا أظن . إذن لأصبرن الليلة حتى آكل فيها طعامًا ساخنًا ، ثم أهرب منهن غدًا ومن كل من يلوذ بهن »

وجعلن يتحدثن ؛ على أن حديثهن كله لم يكن يتمدى موضوع الرجال . واتفق أن ناجية كانت تصني إلى حديثهن ، وهي وإن لم تدرك نوع الصلة التي جمعت تلك النسوة وأحكمت الروشيعة بينهن ، قالت في نفسها بمنطق المرأة الساذجة : « يلب على ظني أن هؤلاء النسوة لسن صالحات ، لكنهن يتمتعن بكل مظاهر الأبهة والترف . لباسهن من حرير ، ومقاعدهن من حرير ، حتى البساط الذي يلعب تحت أقدامهن يبدو من لينة كأنه حرير أيضًا . ترى كيف تكون موأدهن ؟ »

كانت تنظر إلى علبة السكر الموضوعة على الصحفة وتبصرها مطعمة بالذهب الخالص ، فيذهب بها الخيال شقى المذاهب ، خيال من لم يتناول صاحبه من الصباح لقمة سائمة بل ولا غير سائمة . وبينما هي تتحلق في جو من الأحلام مخيلة الصائم طفتت تنجشًا . لارب أنها ستأكل هذه الليلة من الأطعمة الساخنة كل ما لذ وطاب . وكانت وهي تتجشأ تهتز اهتزازًا . ففجئت من هذا الذي اعترافها على كره منها ، وغلب على ظنها أنه يناقى الأدب ، فأجهدت نفسها لمنع تكرره . وبينما هي تبذل الجهد ، طرقت سمعها حديث صابرة وصاحبها بشكل استرعى أذنيها وأرهقها كأنهما حديثًا عهد بالسمع

— لارب أن فصيح بك يعطى هذه الشابة مائة جنيه ليلة واحدة

قردت (معزز) تقول :

— ما أظن أنه يعطى هذا المبلغ ، فإن هذا العرديد يباهى بالقول ويفخر ، فإذا دعى إلى العمل يجبن ويتضاءل

الأسامي، ولذا ضيقنا على نفسيهما وأجلستاها في وسط
التقدم الخلق بينهما . طفق الجوادان يمدوان كأنهما
يسابقان الرياح ، وكان يبدو على ناجة أنها تصنى
إلى حوارها ، على أنها كانت منهمكة بما يسجعه خيالها
من نسيج لا يبدو سدهاء ولحمة الطعام . وصلت
الركبة إلى « حيدر باشا » وجملت تجرى من
الافرىز الذى على ساحل البحر وناجة تنظر حوالها
بمعينين زائتين لا تبصران شيئاً . لم تشاهد « قاضى
كوي » قط ، ولما كانت عيناها اعتاداً أن تشهدا في
غدوها ورواحها دورا سكدار الضيقة المهمة وأزقتها
الموحلة ، فقد أذهلتها من هذا الحى دوره الشاغرة ،
وأبنته الباذخة ، وأرصفته المهددة ، وأرضه المبددة ؛
وخيل إليها أنها حلت بأرض أجنبية . وأبصرت
في أثناء سير الركبة رجالاً في غاية الأناقة كانوا بطاطئون
رؤوسهم اجلالاً لمن يذأخها ، ولم تلبث الركبة أن
وقفت أمام ميدان فسيح .

وكان الناظر من خلال هذه الأشجار يرى بحراً
خضياً لا يحده البصر . وما لفت نظر ناجة في هذا
المتنزه اختلاط الرجال والنساء اختلاط الأسرة
الواحدة ، يتزهون ، ويركضون ، ويقفقهون .
وبينا هي تسرح نظرها حولها إذا بصوت صارة همس
إلى أحد ، فالتفت فأبصرتها تكلم شاباً أصفر اللون
حليق الشاربين ، أبيض الهندام ، كان يقول :

— أقمت عليك إلا قلت من هذه

وكانت صارة تجيب على سؤاله بابتسامة دلال :

— إني لا أعرفها ، فلما ركبت مركبتنا على

جهلنا حقيقة أمرها .

وييناهى يتحدث إلى نفسها ، كانت معدتها
تجيب وجيب القلب ، ولم يمد يسترى سمها شيء من
حديثهن إذ سبح خيالها في ذكريات الأطعمة التي
طالما أكلت منها قبل المهاجرة ، وأمسّت تلهف
عليها فلو أنها خرجت متبرمة منهن وهربت
مناضبة فإذا تستطيع أن تأكل في غدعها ؟
وما لبثت أن تمثل أمام عينيها إناء الغضار الأخضر ،
وبدا لها ما بداخله من الجيوب السوداء ، فتقرزت
وانتفضت انتفاضة المصفور بلله القطر . رفعت
رأسها وهي تتمم : « مهما كانت الحال فلها ستلبث
الليلة بين هؤلاء النساء » ثم قالت : « لأجل الطعام .
نعم لأجل الطعام » ولم ترد أن يخطر ببالها شرفها
الذى كان معرضاً لأعظم خطر في حياتها . هذا
على أن منيرة وصابرة أخذتا تبديان لها ما انطلوت
عليه عزيمتهما ، ولم تخفيا عليها الغرض من جلبها ،
إذ كانتا تقولان إنها سيقدمانها إلى بعض البكوات
وهما مطمئنتان إلى أنها ستسلب منهم ألبابهم بمجالها
الساحر . وأخذت (ممرز) تحهن على المبادرة قائلة :

— عجلن واركن الركبة حتى تدركن ركب
باخرة الساعة الرابعة عند خروجهم منها ، وتزهن
في حديقة « مودا » فانكن ولا ريب ستصادفن
أناساً ممن يرغبون فيكن وترغبن فيهم .

فألبثن أن نهضن وانتررن ، وقبل أن يغادرن
الدار قبلت صابرة ومنيرة السيدة معزز قبيلات حارة
ذات أنفاس طوية ، ودارت هي الأخرى قبلت
ناجية ، ثم شيعتهن جميعاً حتى الباب . في هذه المرة
لم تشأ السيدتان أن تستوى ناجة كما سبق على التقدم

— صابرة لاتما كسيني . إن عائلتي في جزيرة
الأمرء وليس في القصر من أحد ، وإن هذه الفرصة
لن تسنح لي مرة أخرى . دعيني أتمتع في ظلها
الوارف بمودها الزيان ، ولا رب أني سأعد هذا
الصنيع منك منة كبرى ويدأ لاتنسى . وكأنا يتكلمان
بهمس ، ولكن ناجية على الرغم من دقات قلبها ،
كانت تسمعها دون أن يفوتها من حديثها شيء .
— فإن أسديت إليك هذه اليد فبأذا تكافئي

— ماذا ترومين ؟

— أنا لا أخصص

— أعطيك الآن خمسين جنيتها

— مهلا ، مهلا ، فليست بها أهلا

— ثمانين جنيتها

— هيات ، هيات ، قل لي برك أنت في

سوق المزاد ؟ إذن خير لك أن ترفع القيمة قرشاً
قرشاً ...

— هل تعترضين أيضاً إذا ما قدمت إليك مائة

وخمسين جنيتها ؟

— أنتم النظر يا عزيزي في هذا الجمال الذي

تتقاذف نحوه القلوب وتشرئب إليه النفوس ، وتأمل

بأى جوهره كريمة ستتمتع ، وبأى لؤلؤة يتبعه

ستعطي ، واذا ذكر ميلوويج تلك المرأة التي فأت

الأربعين وتضعيتك لها بما عز وهان . هلا صنت

خرمة الجمال ؟ اصعد ، اصعد .

— مائتين .

— وماذا سمعني لها ؟

— لا شأن لك في هذا

أرهفت ناجية أذنبا ولم تسكد تصوب طرفها
إلى الشاب حتى أغمض عينيه وأدار وجهه صوب
منيرة وعجب لأمر هذه الشابة التي صمقته بنظرة
واحدة منها ، ودعش لما تبديه في أطوارها من وقار
وما يتجلى في نظراتها إليه من عدم اكتراث به ،
كأنها لم تسمع عنه شيئاً ولم تشاهده قط .

— برك يا صابرة من هذه ؟

— هاهي ذى أمامك كآرى ، إنسانة !

— عجيب والله ! كأنك تخشين أن تقولي إنها

ملاك .

— نعم إنها ملاك .

— أوصل إليك يا صابرة بكل عزيز لديك

أن تقدميني إليها .

— أى حلي الوديع اهي لا تحدث الرجال ولا

تستأنس بهم

— آليت عليك برك

— إذن تعال إلينا الليلة

— إن حفلاتك يا صابرة لا بد لها من القو

العاصف الأهوج ولا تغفل من الزحام ، وأنا جئت

بآخر باخرة متبكا وقد تمشيت ، ولا تجهلين أي

لا أستطيع أن أحسن شيئا بعد الطعام ، فإذا

جئت فساكون بينكم متفرجا فحسب

— حسن ! فعمل والبت ليتنا متفرجا

لست ممن يعشون بذائق حياتهم ويضعونها سدى

— وبحك ! أريد أن تأخذ هذه الحورية

وتذهب بها كيلا تكون سيادتك عابجا ؟ ما أروع

ذكاءك ؟ ؟

— لا بل يجب أن تقول .

— أقسم يا صابرة أنني لم أر طيلة حياتي امرأة لها مثل هذه الروعة . ربما أخذها خليله أو خليله — أخساً ! إنك منذ ثلاث سنين تعني كل من تشاهدها بالمخاللة ! أنسيت أنك استفتلتني بالقاء مثل هذه الأمتية في روعي ؟

— لكن هذه لا تقاس بغيرها فإنها أجل من كل جميلة .

كانت المساومة ولا ريب تدور حولها فضائق الأرض في عينها بما رجبت ، وخطر لها مرة أخرى أن تقفز من المركبة وتهرب ، ولكن إلى أين ؟ إنها لا تستطيع أن تذهب وهي وشيكة السقوط على الأرض مغشياً عليها من الجوع . فتذكرت دارها ، ولكن هذه لم تردّها إلا اضطراباً شاف عن بأس شديد . وما لبثت أن عاودتها روائح الأطعمة الزكية فطفتت تتجلد . كان صديق صابرة الشاب دعاهن إلى التنزه والنس من منيرة ألا ترفض فنزلن من المركبة . واثنت صابرة التي تقدمت بضغ خطوات على عقبها بسرعة غريبة وقالت :

— صديقة الطفولة السيدة ناجية وقالت لناجية :

— فصيح بك الشاب الذي عكف على إنثاف ثروة أبيه وبذلها في أودية الهوى بأرجمية وسماحة ، وأخذت تضحك حتى بدت نواجذها وتقوس ظهرها . وابتسمت ناجية ابتسامة متقبضة من فرط حيرتها

جرهن الزحام في تياره ، وكن أثناء سيرهن محط أنظار الفتيات والفتيان . وبينما الجوع قد بلغ من ناجية حدّاً جعلها تشعر بمغص وتضور شديدتين ، وقد خيل إليها أنها ترى نقطاً سوداء تتطاير أمام عينها من فرط الاعياء ، كانت الشمس أخذت تقيب وراء الأشجار . فقالت صابرة :

— لنعد أدراجنا ، فاني شعرت بالتعب وأخشى أن يكون المدعوون لمادة الليلة قد حضروا وأخذوا في انتظارنا

قالت منيرة :

— أياي معنى فصيح بك أيضاً ؟

— وجهي القول إليه . أظن أنه لا يريد المجيء فأجاب فصيح بك :

ألتبس المعذرة فاني لا أستطيع المجيء

قالت صابرة :

— فصيح بك ! إن داري ستكون الليلة

غاصة بالمدعوين وناجية لا عهد لها بمثل هذا الزحام والضجيج فهلا أخذتها عندك هذه الليلة ؟

— إلى أعد هذا منها مكرمة . ووجدوا تنازلاً

بتشريف داري

لم تستطع ناجية أن تجيب واكتفت بابتسامة مصطنعة وحدثتها نفسها بأنها إن ذهبت مع صابرة فلا بد أن يحال الطرب والرقص والسمر كل هذا سيسترق من الوقت ما يتجاوز ثلثي الليل ثم يشارون الطعام ، هذا على أن الليل قد حل ولا سبيل إلى الفرار من يد هذه الطائفة لو أرادت

وقفز منها فصيح بسرعة ومد لها يده :

— تفضل !

ومشياً يضع خطواته وقفاً أمام باب حديدي
وكان يبدو للناظر من داخله المظلم طريق صفت على
جانبيه الأشجار ، وفي نهايته شبح قصر . أخذ
فصيح ينادي بصوت عال :

— آدم ! آدم !

أجابه من الداخل صوت رجل يبدو من لهجته
أنه ألباني :

— نعم يا سيدي .

— أسرع وأشعل مصابيح البهو .

وكان يبدو من زى هذا الرجل الطويل الذي
ظهر أمامها أنه بستانى القصر :

التفت فصيح إلى ناجية وقال لها :

— ليس في البار من أحد غير هذا البستانى
فأرجو أن تأخذى نصيحتك من الحرية دون خجل .

— سأفعل ...

صعدا ، وكانت المصابيح أشعلت وبدأ البهو
رائماً بما احتواه من الأثاث والرياش الثمينة ، ولم
تكد ناجية تبصر هذه العظمة حتى أخذتها الدهشة

وكادت تنسها الجوع وآلامه ، إذ كانت الطنائس
والأبسطة النادرة والرسوم البديعة التي تحلت بها
الجدران والستائر الغالية من أنفس ما اجتثته الأنظار ؛

وكان فصيح يجانبها قد أصبح بلبلًا غريداً لا يكاد
يسكت ولا ينفك يطرها وابلا من أحاديثه التي لم
تفهم منها شيئاً ، وتحدث إليها عن الحب الأزلى ،
والزواج ، وعن ثمرة الهناء من رفاة وبنين وعدد لها

ذلك . أما الشاب فلارهب أن داره خالية من الزوار ،
وإن ذهبت فلا تلبث أن تجلس إلى المائدة وتشبع
بطبها ثم تتمحمل الأعداء وتحمل حتى يتنفس الصبح ؛
وعند الصباح يحمده القوم السرى . فالأرجح إذن
هو أن تختار الذهاب مع هذا الشاب ... وعندها
انصرفت صابرة ومنيرة وأسرع الشاب وتأبط
ذراع ناجية وأركبها المركبة ، وطفق يثنى على جمالها
النادر وحسنها الرائع ، ويغالى في إطرائه ويحاول
بأنواع المازلات المعجبة أن يثير فيها رغبة الحديث ،
ولكن ناجية كانت في شغل شاغل . عنه وعن
مفازلاته ، إذ كانت تفكر في المائدة التي ستجلس
بها عما قريب . إن رب دار يجود للمرأة التي قدمتها
خسب بما تئين من الجنيئات لا عجب أن تجمع مائدة
أنغر الأطعمة وأطيب الأغذية .

ينما هي مستغرقة في مثل هذه الخيالات والمركبة
تركض في أمم شوارع الحى ، كان الشاب أيضاً
يتأمل محاسنها التي زادها استغراقها في أحلامها
حسناً على حسن . وما لبث أن قال :

— بربك يا سيدي فيم تفكرين ؟ هل
تشكين ألاماً ؟

— لا يا سيدي .

— إذن فلم هذا الاستغراق في الفكر ؟

— لا شيء .

وأوشكت أن ترجوه إذا ما بلغا الدار ألا يلبث
لحظة واحدة قبل أن يجلسا إلى المائدة . ولكنها لم
تستطع أن تكاشفه بما في نفسها . وما إن وقفت المركبة
حتى اهترت ناجية كمن استيقظ من نوم عميق ،

— نحن الآن ياسيدى فى منتصف الليل ،

ولا يوجد حانوت مفتوح

— لا تصدع رأسى بثرثرك ، بل ابذل جهدك

واعمل المستحيل حتى تجد طعاما ، ولا تتسكأ فى

إحضاره إلى غرفة الطعام

— أسرع ! أسرع ! ولا تنبس بكلمة .

— ياسيدى ! ماذا أستطيع أن أصنع وكل

الحوائت موصدة ؟

— قلت لا تنبس بكلمة . أفأنت تعتمد عصيان

أوامرى ؟ هيا أسرع وأحضر طعاما .

فلما ذهب الألبانى التفت فصيح إلى ناجية

وقبض على يمينها البيضاء ، وطلق يطبع عليها

قبلات الاستمطاف ، ويقول بخنان يوشك أن

يسيل رقة :

— أرجوك المغوىة عيني ، فوالله لأتلافين

هذا الأمر غدا .

— لقد شرد لى وطار صوابى حين وقع

بصرى عليك فأنسيت كل شىء فاصفحي عى .

— عفوا ياسيدى !

— حقاً إنى كنت عديم الذوق بل مغفلا .

— المغو !

طرق سمهما وقع أقدام الخادم ، وكان قد دخل

البهو ، فما كانت تصنى إلى حديث الشاب إلا قليلا .

جاء الخادم وقال من خارج الباب :

— قد أعد الطعام ياسيدى

ههنا ، وهدمها الشاب حتى بلغ بها إلى غرفة

أنواع المتع والسعادة التى سيجنيها : استرسل فى

مثل هذا الحديث حتى فاجأها بقوله :

— هلم يا عزيزتى نصعد إلى فوق

فسألتها ناجية وقد كان ذهنها غاصاً بذكريات

الاطعمة :

— إلى أين ؟

— إلى غرفة نومنا

فقال فى ذعر : — « ولكن ... »

— ماذا يا روى ؟

فاستطاعت أن تقول بشق النفس :

— لو أكلنا شيئاً سيراً !

فصرخ فصيح وقال :

— الله ! لا ريب أنى مغفل ، بل جار ، ولكن

لى بعض المذر بجمالك الذى أذهلنى عن هذا الأمر .

إنى أتوسل إليك راجياً المغو عنى . لقد أفرطت فى

تناول الطعام قبل عودتى فى « سر كى جى » حتى لم

يخطر لى الطعام يال . فاسمحن لى أن أجد شيئاً .

ونفض ثم خطا نحو النافذة فاطل منها ورفع عقيرته

ينادى :

— آدم ! آدم !

— نعم !

— أسرع فأتنا بشىء من الطعام .

أرهفت ناجية أذنها عند ذكر الطعام وسمعت

الخادم يقول :

ما ذا أصنع ياسيدى ؟

— اصنع ما يمكنك صنعه وأحضر طعاما .

فنهضت ناجية، وقالت:

— ليس بي شيء

وأخذت تمشي نحو الباب. فهم فصيح ليمنها
فصرخت في وجهه، وجعلت تحديق فيه تحديقة
حقق وبفض شديد. وقالت:

— أرجو أن تتركني وإلا أسأت إليك.

ثم أشاحت عنه بمتعة. وكانت عيناها
الجليلتان قد جحفتا حتى كادتا تخرجان من محجرهما
فتجنبها الشاب ولبث فاغراً فاه مدهوشاً وهو
يصرها تسرع الخطأ حتى خرجت من الباب.

ولما سمع وقع أقدامها على حصا الحديقة،
جعل يقول في نفسه:

— ما أعجب هذه المرأة! إنها لغز. إنها ولا ريب

مصابة بالهستيريا.

انطلقت ناجية هائمة على وجهها، راكبة رأسها
تعدو في عرض الفضاء، يحيطها الظلام الدامس،
ولذا لا تملو وقد أوشكت الليلة أن تضحي بشرفها
من أجل أكلة طعام واحدة. وهما ذى تلج تلك
الصور الشائعة وتراد هذه الحدائق الغناء، وتتناول
بيدها أواني الذهب والفضة، ثم لم يكن نصيبها من
هذه الدخائر والكonz التي حوتها غرفة الطعام،
إلا الزيتون الأسود والخبز الأسود! ظلت تتغفل
في أحشاء الظلام، ولم تبك بعد، كأن قلبها قد
تمحجر، ولا ريب في أنه تمحجر، إذ أحست بثقله في
صدرها. ولم تزل على حالها تلك، تعدو ما وسمها
المدو، تجر وراءها ذبول القنوط واليأس من طريق

الطعام الواسعة المؤتمنة على أنغر طراز وأشار إليها
يقول:

— تفضلني يا سيدتي

فدخلت، وكان حول المائدة كرسيان متقابلان
وضع أمام أحدهما صحفة واحدة، فأجلسها هذا على
الكرسي، لكنها لم تكدر ترى ما في الصحفة حتى
انتفضت انتفاضة الدهشة، وعلا وجهها شحوب
خفيف، كأنها أبصرت فيها شيئاً لا يقوى الإنسان
على احتمال رؤيته. وصرخت بأعلى صوتها

— يا لله!

فما كانت الصحفة تحتوى إلا زيتوناً، وما كان
بجانبه شيء غير ذلك الخبز الأسود الذي اعتادت
أكله منذ أربع سنين!

أسندت ذراعها على المائدة، وغطمتها برأسها،
وفاضت عيناها بالدموع، وكان إجماعها ونشيجها
يفصحان عن القنوط واليأس، وبينتان بأشد
حالات التأثر والألم. ولم يستطع فصيح أن يدرك
من هذا الانفعال المفاجئ شيئاً، لأنه كان ينظر إلى
جبهتها الشفاف الذي بدا واضحاً لدى انكبابها على
المائدة، فأعماه عن رؤية الزيتون والخبز الأسودين
الذين لم يجد الخادم سواهما في المنزل

اشتدت بناجية الحال وتجهم وجهها، وتوترت
أعصاب صدغيها، وزاد ضغط فكها. ولم يكن
فصيح قد استرح رشده الذي أفقده إياه هذا التغير
المفاجئ فأخذ يقول:

— ماذا دهالك يا حبيبتى؟ ماذا بك يا إنسانة عني؟

ويثقل عليها جسمها الخفيف ، فتهن عن أحباله ،
فتغيب عن هذا الوجود ، وتسقط مغشياً عليها
.....
تحمس ناحية أنها في حلم ، وأن صوتاً مهماً خفيفاً
يهمس في أذنها ، ثم يدنو منها وكأنه كان يناجها
عن بعد ، ثم يزداد ويشدد فتفريق بعض الإقافة
وتعرف أنه صوت الموج .

تدور بعينها صوب البحر ، فيلوح لها من
عرضه ضوء النارة كأنه الكوكب الدرى ، فتشعر
— وهى شاخصة إليه — كأنه يبيد إلى قلبها حب
الحياة رويداً رويداً .

عبد اللطيف أحمد

إلى آخر دون أن تعرف مذهبها ، ويستقرها ، حتى
وجدت نفسها في مكان طرق سمعها فيه صوت أمواج
البحر ، فجعلت تمشي صوب الصوت فأبصرت ظلاً
بارزاً يمتد إلى البحر فأخذت تمشي فوقه ، واسترسلت
في المشى حتى أحست بريح قارسة ، وكانت قد
بلغت غاية هذا الظل الممدود ، فوقفت ، وطلقت
تنظر إلى البحر ملياً ، ثم أطبقت جفניה ، وأخذت
تفكر . أرجعت البصر كرة أخرى فأطالت النظر
في البحر ... نعم ! لا مندوحة لها عن إلقاء نفسها في
أعماق هذا البحر ، فإنها حتى لو فازت بدخول
الجنة ، فلا ريب أن البؤس سيرز لها هنالك أيضاً
ويرواحها بالأشجان والآلام ، وسيقبض عليها من

تلايها ، فلن يترك خناقها ، فلماذا
إذن تطمع في الحياة ؟ ...

ولكن ها هي ذى قد ضمنت
نجاة لما اتابها من نصب وإعلاء ،
فعى تحاول المشى فلا تستطيع التقدم
خطوة .

وهي تحس بسحابة الغشية تدنو
من عينيها ولا تلبث حتى تحيط بها ،
فتكتب حولها الدنيا ويزداد الظلام .
وهي تحس إحساساً غنياً أن
الردة تطارد قواها ، فتتهقر هذه
من أطرافها إلى ناحية قلبها الذى
اختبل .

وهنا يشتد الضيق في صدرها ،

تسلم خُصَّير

٥٦٥٠
٥٦٥٠



١٠٥٧
١٠٥٧

برليشة ذهب عيكار ١٤
مضمون ٣ سنوات

تستعمله الحائك ومائ الشرقية
مكتبة د. طيبة خضير بشاع عبد العزيز بصر

فَدْرِيجُو

للكاتب الفرنسي بروسير ميريميه
بقلم الدكتور حسن صادق

عاش في هذه المحنة
ثلاث سنين كان في أثنائها
يخرج إلى الصيد نهاراً
ويلعب الورق ليلاً مع فلاح
يزرع له الحديقة الصغيرة
على أن يأخذ نصف غلتها
أجرآ له .

وفي أحد الأيام ، عاد

إلى البيت مبتهجاً لأنه وفق في الصيد إلى درجة لم
يمهدا من قبل . وما أن استقر به المقام حتى
طرق المسيح ، ومعه اثنا عشر رسولاً عليه بابه
وسأله الضيافة .

سرت بنفس فدريجو عبقة من السرور . حين
رأى ضيوفاً يطرقون بابه في يوم أصاب فيه صيداً
كثيراً ، وأدخل الضيوف في بشر وإيناس وأعد
لهم كل ما عنده من ألوان الطعام ، ثم رجا منهم أن
يلتمسوا له المذرة إذا رأوا فيه العجز عن أن
يعاملهم كما يتطلب قدرهم لأن الزيارة جاءت على غير
انتظار .

نظر إليه المسيح الذي يعرف دون ريب
الفرض الذي يقصد إليه من زيارته ، وغفر له هذا
الشماع البسيط من الزهو في سبيل إظهار ميله
الشديد إلى إكرام ضيوفه ، ثم قال له : « سنكتفي
بما عندك ، فرباعداد العشاء لأننا في وقت متأخر . »
ثم أشار بيده إلى القديس بطرس وقال : « وهذا
جائع إلى أقصى درجات الجوع »

أسرع فدريجو إلى إجابة هذا الطلب ، وأراد

زعموا أنه كان بإحدى المدن الإيطالية رجل
يسمى فدريجو ، وسيم الطلعة رائع القصات بديع
التكوين ، إلى أدب جم وحديث عذب وحلم
مستطاب . ولكنه كان ماجناً مستهتراً يألف
الرجس والفجور . كان كلفاً بالنساء مولماً بالميسر
لا يطبق الضرب عنه . ولم يكن يؤدي قط (فريضة
الاعتراف) أو يذهب إلى الكنيسة إلا ليبحث فيها
عن فرص تعبد له سبل الخطيئة .

شاء له الحظ أن يربح في الميسر أموال اثني
عشر شاباً من أسر كريمة ، وأن يضرب عليهم ذل
الفاقة وظلم الخراب ، فاضطروا إلى الاندماج في
سلك الجنديّة المأجورة ، وماتوا وهم يحاربون القواد
للمأجورين الذين يستخدمهم الملك ، محرومين من
الاعتراف والطقوس الدينية الأخيرة .

دارت الأيام دورتها وخسر فدريجو كل مارج
ثم جميع ما يملك ، فأنحدرت عنه النعمة ولم يبق له
إلا بيت غنيق قائم في مكان هادي خلف بعض
التلال ، فذهب إلى هذا البيت وفي حجبته الاكتئاب
والحسرة ليعتزل الاجتاع ويخفي يؤسه عن الناس .

وفي صباح اليوم التالى اجتمعت الجماعة المقدسة في الردهة فقال المسيح لفدريجو: «نشكر لك استقبالك الجليل وزيد أن مجازيك عليه أحسن الجزاء، فتمنّ علينا ثلاثة أشياء نستجب لك، لأننا قد منحنا كل قوة في السماء وعلى سطح الأرض وفي مستقر الأرواح»

فلما سمع ذلك فدريجو، أخرج من جيبه الورق الذى يحمله معه دائماً وقال: «أبها النقد العظيم، أريد أن أرحم في كل مرة ألب فيها بهذا الورق» فأجابه المسيح في هدوء: «لك ما تريد» وكان بطرس الرسول جالساً إلى جانب فدريجو فقال له بصوت خافت: «كيف تطلب هذا أبها الخطيء التمس؟ ينبغي أن تسأله السلام لروحك وأن يغفر لك ذنوبك وخطاياك» فأجاب فدريجو مطمئن النفس: «إني لا أشغل بالي كثيراً بسلام روحي» فقال المسيح: «لك عنبى شيثان آخران تسألني إياها»

— سيدى بما أنك كريم إلى هذا الحد فإني أرجو منك إذا شئت وتفضلت شيئاً يسيراً خلاصته أن أي شخص يسلمق شجرة البرتقال التي تظلل بابي وتمتد فروعها إلى نافذتي، لا يستطيع النزول إلا بإذني ومشيتي.

فأجابه المسيح إلى ما طلب. وفي تلك اللحظة ضرب بطرس الرسول فدريجو على مرفقه ضربة قوية وقال مغماً: «أبها الخطيء الشقي، ألا تخاف عذاب جهنم الذى تقودك إليه خطاياك؟! لم يفت الوقت بعد، وفي استطاعتك أن تسأله مكاناً

أن يقدم إلى ضيوفه شيئاً آخر فضلاً عن صيده، فأمر الفلاح أن يذبح الحدى الذي يملكه وأن يشويه على السفود.

ولما هيء الطعام وجلس الضيوف إلى المائدة شعر فدريجو بأسف، لأن نبيذه لم يكن جيداً إلى درجة ترضيه، فقال للمسيح: «سيدى، بودي لو يكون النبيذ أجود من هذا، ولكنى أقدمه إليكم كما هو بقلب خالص»

لم يتكلم المسيح ولكنه ذاق النبيذ وقال «كيف تقول؟! وم تشكو؟! نبيذك بلغ الغاية في الجودة. وإني أسأل الرأى هذا الرجل» وأشار بأصبعه إلى بطرس الرسول.

ذاق بطرس النبيذ واستمراً وأعلن أنه حلو جيد، ثم طلب من مضيفه راجعاً أن يشرب معه فأقر فدريجو رأى بطرس بإيماء من رأسه، وقد أخذ قوله وقول المسيح على سبيل المجاملة والأدب؛ ثم تناول جرعة، فمراه الدهش الشديد، لأنه وجد أن النبيذ ألد طمناً من كل نبيذ ذاقه في حياته، حتى أيام كان يملك الثروة الضخمة، وينشى أنحر المشارب. فمرف من هذه المعجزة أن «النقد» في بيته، فنهض من مكانه في إجلال وخشوع كأنما هو غير جدير بأن يأكل مع هذه الجماعة المقدسة.

ولكن المسيح أمره بالجلوس فأطاعه في احترام وفير. وبعد انتهاء المشاء، انسحب المسيح ورسله إلى الحجرات التي أعدت لهم، وبق فدريجو مع الفلاح يلعب الورق كمادته ويشرب ما تبقى من النبيذ.

من السامعين أن فدريجو قد أصاب ثروة في بلاد أجنبية على حساب مقامرين أقل مهارة منه ، وشعروا بالرغبة الشديدة في الحصول على هذه الثروة الجديدة في أقرب وقت مستطاع .

وأراد بعضهم أن يجره في الحال إلى اللعب ، ولكن فدريجو رجأ منهم أن يرجثوا اللعب إلى المساء وانتقل بالجماعة إلى بهو كبير مدت فيه موائد الطعام والشراب بأمره ، فوقع ذلك من نفوسهم موقفاً حسناً ونال جميل لمجاهبهم .

كان هذا الغداء أكثر بشراً من عشاء الرسل . وقدم فدريجو إلى رفاقه أجود أنواع النبيذ وأشهى صنوف الطعام . وقبل مجيء هؤلاء الرفاق كانت فدريجو قد حصل على ورق يائال الذي معه تماماً حتى يستطيع عند الحاجة أن يحمله محل الآخر وأن يخسر مرة في كل ثلاث مرات أو أربع فلا يمر بأذهان رفاقه أية خلجة من الشك في اللعب . وكان يحمل الورق الأول في جيبه الأيمن ويحمل الآخر في جيبه الأيسر .

ولما انتهى الغداء اجتمعوا حول منضدة خضراء وضع عليها فدريجو الورق العادي ، وحدد زمناً للعب ومبلغاً معقولاً من المال . وأراد أن يشعر بلذة اللعب ، وأن يعرف مبلغ قوته ومهارته ، فلبث الموزين الأولين في حرص شديد ، ولكنه خسر وشعر في دخيلته بألم وحسرة ، ثم طلب للجميع نبيذاً واتهم فرصة انهماك الراجحين في احتساء الشراب تنجب ربحهم الماضى والمستقبل ؟ وأخفى باحدى يديه الورق العادي ووضع في مكانه يمينه

في جنة الخلد . فأجاب فدريجو : « ليس هذا بالأمر الذي يتطلب العجلة » ثم ابتعد عن القديس بطرس حتى لا يضاقه بملاحظاته .

وطلب المسيح من مضيفه أن يسأله الأمانة الثالثة ، فقال فدريجو : « أريد أن أرى مخلوق يجلس على هذا المقعد المجاور للوقد لا يستطيع أن ينهض إلا بإذني ومشيئتي » . فاستجاب المسيح لهذا الطلب وغادر البيت هو ورسله .

وما إن اجتاز آخرهم عتبة الباب حتى أراد فدريجو أن يجرب فضيلة الورق ، فاستدعى الفلاح ولعب معه دوراً دون أن يلقي باله إلى اللعب ، فربح ؛ ثم لعب عدة مرات حتى ثبت لديه أن أمنيته قد تحققت .

غادر بيته وذهب إلى المدينة ، واستأجر أجل جناح في أغنى الفنادق . وانتشر خبر وصوله في سرعة عجيبة ، فتقاطر عليه رفاقه الإقدمات في اللعب والمجون وقالوا : « كنا نعتقد أننا لن نراك أبداً لأن بعض الناس قالوا في صيغة اليقين إنك زهدت في مسرات الحياة وأصبحت ناسكاً ! » فأجاب فدريجو وعلى شفثته ابتسامة غامضة : « وهم على حق » فسأله أحد رفاقه : « إذن كيف كنت تقضى وقتك أثناء الأعوام الثلاثة التي لم يرك فيها أحد ؟ » فأجاب فدريجو في لهجة الورع : « في الصلاة يا أصدقائي الأعزاء ، وها هو ذا كتاب الصلاة » ثم أخرج من جيبه الورق الذي يحرص عليه الحرص كله .

أثار هذا الجواب ضحكاً عالياً واعتقد كل فرد

كل يوم أنقر أنواع النبيذ وأبدع ألوان الطعام ، واشتهر قصره بأنه معهد المسرات .

وبعد عام قضاء فدريجو في لعب لا يذهب إلى الشك فيه ، عزم على أن يجعل انتقامه كاملاً فظيماً من جميع كبار الأغنياء في البلد ، ثم استبدل بالجزم الأكبر من ذهبه أحجاراً كريمة ، ودعا هؤلاء الأغنياء إلى حفلة شائقة منقطعة النظير ، وأعلن أنه سيجلب إليها أعظم الفنانين والمغنين ، وأنها ستحتم بمقامرة جسيمة هائلة ، فحضر بعضهم ومعه كل ما يملك من الذهب ، والبعض الآخر اقترض المال الكثير من اليهود . وفي تلك الليلة ربح فدريجو كل هذا المال وسافر به بعد انصراف المذيعون

ومنذ ذلك الوقت اتخذ لنفسه قاعدة لا يحميد عنها ، وهي ألا يلعب بالورق المبارك إلا مع اللاعبين ذوي النية السيئة ، لأنه يستطيع بمهارته أن يلعب مع الآخرين بالورق العادي . زار مدناً كثيرة مقاصراً في كل مكان رابحاً في كل موطن ، وكان يشتري من كل بلد ما ينتجه من البائع . ورغم ذلك لم ينس قط ضربه الاثني عشر شاباً ، وكانت هذه الذكرى الأليمة تكدر عليه صفو حياته وتبطل إليه في كل حين .

ولما ضاق ذرعها ، عزم ذات يوم على أن يتقدم أو يهلك معهم ، فرحل إلى حجم تنفيذاً لقرضه وييده عصا وعلى ظهره حقيبة ، ولم يصحب غير كلبته العزيزة عليه (مارشسلا)

بلغ صقلية وتسلق جبل (جيبيل) ثم هبط من فوهة البركان إلى جوفه ، وظل يتعمق في المهبوط إلى مسافة تماثل ارتفاع الجبل حتى أشرف على فناء (٤)

الأخرى الورق المبارك . وفي الدور الثالث لم يعط فدريجو أقل التفات للعب ، واستطاع أن يلاحظ الآخرين فوجدهم يفشون في لعبهم ويسرقون . وهذه المرفة المبالغتة بشت في نفسه سروراً كبيراً وجملته يعتقد أنه يستطيع أن يحصل على ما في جيوبهم وهو هادي الضمير ، لأن خرابه الماضي كان منشؤه غشهم لا حسن لعبهم أو ضخامة ثروتهم . وفي تلك اللحظة جالت بخاطره ذكرى ثروته الماضية وذكرى الاثني عشر شاباً الذين أقام يسره على عسرهم وخراهم ، وآمن بأنهم كانوا أشرف اللاعبين الذين صادفهم في حياته ، وندم للمرة الأولى على النجاح الذي أحرزه عليهم . ثم حلت في وجهه سحابة قاتمة محل أشعة الفرح ، وتهد تهدة عميقة وهو يربح الدور الثالث .

اتصل هذا الدور بأدوار ربح أخرى لفدريجو واستطاع في ذلك المساء أن يجمع مبلغاً وفيراً من المال دفع منه ثمن الغداء الفاخر وأجر جناحه في الفندق شهراً كاملاً . وكان هذا كل ما يريد في ذلك اليوم . وأصاب الكدر الشديد رفاقه ، ولكنهم وعدوه قبل أن يغادروا الفندق بالعودة إليه في اليوم التالي .

وفي الأيام التالية عرف فدريجو كيف يخسر ويربح في اللحظات الملائمة ، فجمع في وقت قصير ثروة هائلة دون أن يشك أحد فيه أو يدرك سبب ربحه الحقيقي . ثم غادر الفندق ليمش في قصر كبير اشتراه ، كان يقيم فيه من حين إلى آخر أبهج الحفلات وأغناها . وأصبحت أجمل النساء يتشاجن في سبيل نظرة من نظراته ؛ وكان يقدم للزائرين في

كبير يؤدي إلى باب الجحيم .

وكان يحرس هذا القناء كلب ذو رؤوس ثلاثة
فاجتازه فدريجو دون مشقة . وبينما كان الكلب يغازل
مارشسلا ويثألنها ، قرع فدريجو الباب ، فلما فتح
سأله بليتون خازن النار :

— من أنت ؟

— المقامر فدريجو

— وماذا تريد ؟

— بليتون ، إذا كنت تقدر أن أول وأمر
مقاصر على سطح الأرض يكون جديراً بأن يلعب
معه ، فاني أقتح عليك ما يأتي : تلعب عدداً من
الأدوار كما تشاء ، فإذا خسرتُ دوراً واحداً كان
لك روعي ملكاً حلالاً تضمه إلى الأرواح الأخرى
التي تعمّر دولتك . وإذا ربحتُ كان لي الحق في
اختيار روح من رعايك في كل مرة أحمله معي
— لك حكمك

وطلب ورقاً للعب فقال فدريجو في لهفة :
« هاهو ذا الورق » وأخرج من جيبه الورق المبارك
وشرطاً يلعبان .

ربح فدريجو الدور الأول وطلب من بليتون
روح (ستفاند جاني) أحد الإثني عشر الذين يريد
إنقاذهم ، فأجيب إلى طلبه في الحال . وضع هذا
الروح في الحقبة ثم ربح دوراً ثانياً وثالثاً إلى الدور
الثاني عشر ، وفي كل مرة كان يسلم الروح الذي
يريد ويضمه في الحقبة .

ولما تم له ما أراد ، عرض على بليتون أن يواصل
اللعب ، فأجابته وقد أخفق تدمره : « بكل سرور ،
ولسكن لنخرج قليلاً لأنني لأدري أية راحة كريهة

قد انتشرت الآن في هذا المكان » وهو في الواقع
كان يبحث عن وسيلة للخلاص من فدريجو . فلما
اجتاز هذا الباب ومعه حقيته وعصاه ، صاح خازن
النار أن أغلقوا الباب خلفه . عاد فدريجو إلى بيته
القديم المنعزل ، وعزم على قضاء بقية عمره فيه .
وبعد عودته يبضمة أشهر ، وضعت كلبته مارشسلا
عدداً كبيراً من الشياطين غريبة التكوين ، فألقاها
جميعاً في الماء .

وبعد انقضاء ثلاثين عاماً (وقد بلغ فدريجو
السبعين من عمره) جاءه الموت وأنذره وطلب إليه
أن يعد ضميره لأن ساعته قد حانت . فقال له فدريجو
المختصر :

— إني على أتم استعداد ، ولكن قبل أن
تختطف روحي أيها الموت ، أرجو أن تبطيني
برتقالة من هذه الشجرة التي تظلل بابي . حقق لي
هذا الزجاء فأمرت راضياً ممتناً

— إذا لم يوزك غير هذا ، فانا لا أرفض
تحقيق رجائك

ثم تسلق الشجرة ليقتطف برتقالة . وحين أراد
النزول يمز لأن فدريجو أراد له هذا المعجز . فصاح
الموت :

— آه ! لقد خدعتني يا فدريجو ! إني الآن في
قبضة يدك وتحت سلطانك . رد إلي الحرية أعدك
بشرة أعوام قضيتها في الحياة

— عشرة أعوام ! ما أشد بخلك يا عزيزي !
إذا أردت النزول يا صديقي وجب عليك أن تكون
أكثر سخاء من ذلك .

— أهب لك عشرين عاماً

ثم تبسم في سخريته

فقال الموت وقد تملكك الغضب من تبجح

فدريجو: «إذن ليس لديك إلا دقيقة واحدة لمحاها»

وحاول النهوض من مقعده . فقال فدريجو « ربه !

أعرف بالتجربة أنك شديد الدقة في عملك ، ولكن

أنتن عليّ ببعض أعوام أخرى ؟ »

احتاج الموت وبذل جهداً كبيراً في النهوض

وقال : « بعض أعوام يا شقي ! » فأجاب فدريجو

« نعم . وثق بأنني لا أبالغ في طلبي هذه المرة . أريد

أربعين عاماً فقط للشروط الثالث »

أدرك الموت أنه عاجز عن النهوض ، كما كان

عاجزاً حين تسلق شجرة الزيتون ، وأن الذي

يمجزه قوة غير طبيعية . ولكنه في غضبه وهياجه

لم يشأ أن يبيح فدريجو إلى ما طلب

فلما رأى فدريجو عناده ، قال له : « أعرف وسيلة

تذهب بمثالك » ثم ألقى في النار ثلاث قطع من

الخشب فاشتعلت بعد لحظات وملأت النار جدران

الموقد . ولم يلبث الموت أن شعر بالحرارة الشديدة

تكد تحرق جلده فصاح قائلاً : « الرحمة ! الرحمة !

أعدك بأربعين عاماً ! »

ولما نطق بهذه الكلمات ، أشار له فدريجو أن

ينهض من مكانه ففر هارباً وحرارة النار تكوى

ضلوعه

مضت الأربعون عاماً فعاد الموت إلى فدريجو ،

وقد كان في انتظاره وإلى جانبه الحقيقة . فقال الموت

« حانت ساعتك فلا تحاول الإفلات مني بلا

جدوى... ولكن ماذا تريد أن تفعل بهذه الحقيقة؟ »

— أمهراً بي ؟ !

— أعطيك ثلاثين

— لم تصل بعد إلى الثلث

— أريد إذن أن تميش قرناً ؟ !

— نعم يا صديقي

— أنت هازل يا فدريجو لا تعرف الاعتدال

— ماذا تريد ؟ أحب الحياة

— إذن اتفقنا على مائة عام ما دام الظرف يحتم

الوصول إلى هذه النتيجة

وبعد هذا الاتفاق استطاع الموت أن ينجو بنفسه .

وما إن غادر البيت حتى نهض فدريجو في محبة كاملة

وبدأ حياة جديدة في قوة شاب وتجربة شيخ .

واستمر في إرضاء شهواته وعلى الأخص الجسدية

منها دون أن يفعل إلا قليلاً من الخير كلما سنحت

له الفرصة ، دون أن يفكر في سلام روحه ، أي

عاش كما كان يعيش في أيامه الأولى

مضت المائة عام وجاءه الموت ووجده طريح

الفراش فقال له : « هل أنت على استعداد ؟ »

فأجاب فدريجو : « نعم . لقد أرسلت في طلب قسيس

يتقبل اعترافي . اجلس على هذا المقعد قليلاً . إلى

لا أنتظر غير إنجاز الطقوس الدينية الأخيرة ثم

أندفع معك نحو الخلود »

فجلس الموت على المقعد شفقة على فدريجو

واتتظر ساعة كاملة ولم يحضر القسيس . ولما سئم

الجلوس قال :

— أيها الشيخ ، ألم تجد من الوقت في الزمن

الطويل السابق ما تنظم فيه رحيلك ؟

— أقسم لك أنني كنت لاهياً عن ذلك

بعمل آخر

دخول الجنة ، سأحمل إلى المسيح خبر حضورك
وسرى ما يقول »

ولما عرف المسيح الخبر ، خرج إلى باب الجنة
ووجد فديرجو واقفاً على العتبة ومعه الحقيبة ، في
كل عين منها ستة أرواح ، فاستدر هذا المنظر شفقتة
وقال : « آذن لك يا فديرجو في الدخول ، ولكن
ضميري لا يسمح بدخول الاثني عشر روحاً التي
تطالب بها جهنم »

فقال فديرجو : « كيف ذلك ؟ ألم أستقبلك في
بيتى ومعاك اثنا عشر شخصاً وأكرمتكم ما استطعت
إلى الاكرام سبيلاً ؟ » .

سكت المسيح هنيهة ثم قال : « لا سبيل إلى
رفض ما يطلب هذا الرجل . إذن ادخل مادمت قد
استطعت الوصول إلينا » .

حسن صادق

— إنهم تشتمل على أرواح الاثني عشر شاباً
الذين أقتنهم من الجحيم في الزمن السالف
— ليدخلوها معك .

وأخذ فديرجو من شعره وانطلق به في الهواء
نحو الجنوب ، وتغلغل بفريسته في هوات جبل (جبل)
حتى بلغ باب جهنم وطرق الباب ثلاث صرات ،
فقال بليتون :

— من الطارق ؟

— جئت بك فديرجو المقامر .

فصاح خازن النار وقد تذكر في الحال الاثني
عشر روحاً التي خسرها : « لا تفتحوا ! إن هذا
الخليث إذا دخل مملكتي خربها ! »

فحمل الموت فريسته مكرها إلى باب « المطهر »
ولكن ملاكه الحارس أبى أن يقبله لأنه في حالة
الخطيئة الكبرى .

أسف الموت جد الأسف لإفلات فريسته من
جهنم والمطهر وعرف أنه مضطر إلى حملها إلى الجنة
فلما رأى القديس بطرس فديرجو قال له :
« آجرو على الهجيء في الحالة التي أراك عليها ؛ ألا
تعرف أن النساء منقلبة في وجوه أمثالك ؟ ما هذا ؟
إنك لست جديراً حتى بالمطهر وتريد مكاناً في
الجنة ؟ ! »

فأجاب فديرجو : « هل استقبلتك بمثل هذه
الشدة حين طرقت بابي أنت والسيد المسيح ورفاقت
منذ مائة وعشرين عاماً ؟ ! »

فقال بطرس الرسول في لهجة التأنيب المشوبة
بالرقة والحنان : « جميل قولك هذا ، ولكنني
لا أستطيع أن آخذ على عاتقي أمر الإذن لك في

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثنى ١٢ قرشاً

كرد علي

للقصص الروي برشكين
بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

وبعد الموقعة
التي أفضى فيها زهرة
الشباب اليوناني
أشار عليه بوردان
ألبوي بالتخلف .
وتولى هو مكانه .
وهرب أبسلانقي إلى
حدود النمسا ثم
أرسل لعناته إلى

الشعب الذي كان يقوده واصفاً رجاله بأنهم خونة
جبناء أسافل

ولكن هؤلاء الموصوفين بالخيانة وبالجن هلكوا
تحت أسوار معبد سيكوا أو على ضفاف نهر روث
وهم يدافعون دفاع الستميت جيشاً تربو عدده على
عشرة أمثال عدمهم

وكان كرد علي في فرقة جورج كاتاكوزين
الذي يصح أن يقال عنه ما قيل عن أبسلانقي . . .

وفي الليلة التي حدثت فيها موقعة أسكولانا
استأذن كاتاكوزين السلطات الرسمية ، وتخلف
عن فرقته منضماً إلى جيشنا فبقيت فرقته بغير قائد ،
ولكن كرد علي وسفيا نوس وكاتاكوزين وغيرهم
لم يكونوا بحاجة إلى قائد

ولم توصف موقعة أسكولانا على ما يظهر
بالوصف الذي تستحقه فتخيل سبعائة رجل من
الألبان واليونان والبلغار وحشالات كل
الأجناس وليس فيهم من يعرف شيئاً عن فنون
الحرب . . . تخيل هؤلاء أمام خمسة عشر ألف

« كرد علي » بلغاري بمولده . وهذا اللقب في
اللغة التركية يطلق على ذوى الجرأة والقوة ، ولا أعرف
ما هو أصل الاسم الذي يتسمى به بطل هذه القصة
فقد أطلق عليه لقب « كرد علي » وعرف به وأصبح
شخصية مخوفة مرعبة في أنحاء « مولدافيا » لكثرة
ما ارتكبه من العدوان

ولما أعلن إسكندر أبسلانقي الثورة وأخذ في
حشد المتطوعة جمع له كرد علي أصحابه القدامى من
قطاع الطرق ومن على شاكلتهم . وكان هؤلاء
لا يدركون حقيقة السبب في نشوب الثورة فقد
كان مثيها يعني من ورائها تحرير اليونان .
ولكنهم كانوا يرون في الحصول على الثروة من
أسلاب الأتراك أو أهل مولدافيا سبباً كافياً لنشوب
أية ثورة

وكان إسكندر أبسلانقي شجاعاً ، ولكن لم
يتوافر لديه من الصفات ما يكفي لتنفيذ المهمة التي
أعطاه بها ، فلم يستطع السيطرة على رجاله الذين لم
يكونوا يحترمونه ولم يكونوا يثقون به

مولدافيا من الثوار إلا ستمائة الباقى تشرذروا في أنحاء
بساريا . ومع أنهم كانوا لا يكادون يحصون على
القوت فانهم كانوا شاكرين حماية روسيا . وكانوا
يرون جلوساً في المقاهي الصغيرة في بساريا التركية
الروسية وعلى أفواههم أقذاح القهوة . وقد
أخذت الرثاة تبدو على أكسيتهم الملونة وأحذيتهم
الحراء . ولكن طرايشهم الحراء المطوية ذات
الزر الطويل كانت لا تزال ماثلة إلى أحد الجانبين .
وكانت الخناجر والسدسات لا تزال على مناطقهم ،
ولكن أحداً لم يشك فيهم ، فقد كان من المحال
أن يتصور إنسان أن هؤلاء الساكنين بقية من
ثوار مولدافيا زملاء كرد على وأن كرد على نفسه
كان بينهم

على أن الباشا التركى علم بهذه الحقيقة وطلب
إلى السلطات الروسية عملاً بالمأهلات أن تسلمهم
إليه فاعتقلهم ولم ينكر كرد على شخصيته ولم ينكر
ماضيه وقال :

« ولكنى منذ عبرت نهر بروث على أثر
الموقعة لم أمد يدي على أى إنسان ، وقد يكون
الأتراك وأهل مولدافيا محقين في عداوتهم إياي لأنى
كنت أقطع الطريق عليهم ، ولكنى ضيف على
الروس فلماذا يسلمونى إلى أعدائى ؟ »

وبعد هذا القول لم الصمت وانتظر في هدأة
ما تقضى به الأقدار في شأنه . ولم يطل أمد انتظاره
فإن السلطات لا تنتظر إلى قطاع الطرق نظرة العطف
التي يلقيها عليهم الكتاب والشعراء لا نصرافهم

فارس من فرسان الجيش التركى العظيم
عسكرت هذه الفرقة أمام نهر بروث وأمامها
مدفعا قن فى الفرقة من يعرف كيف يستعملان .
وكان بود الأتراك أن يبدأوا بإطلاق النار ولكنهم
في ثبث وعناد أرادوا أن تكون نحن البادئين
وكان قائداً بمحمد الله لم يسمع قط صوت
رصاصة تطلق ، فلما بدأ الجيشان بإطلاق الرصاص
في الهواء نفر سمعه ، ونقد صبره ، وتقدم جيشنا
متوعداً الجيش التركى بسباته ثم ارتبك فلم يعرف
ماذا يفعل . ثم بدا له أن يجرى جري على شاطئ
النهر وجرى وراءه جيشه . وفى أثره كتلة الجيش
التركى .

وكان هذا القائد الذى هدّد جيش الترك
بأصبعه يدعى خوتشفسكى ولا أعرف ماذا صار
إليه أمره

وفى اليوم التالى هاجم الأتراك جيش الثوار .
وعلى خلاف عادة الترك لم يستعملوا للدافع ، بل
استعملوا السلاح الأبيض ، فكنت ترى الرمح فى
يد كل جندي . ولم يكن الأتراك قد استعملوا
الرمح من قبل ، وكانت رماحهم روسية سلبوها
من جنودنا في موقعة سابقة . جرح كرد على فى
تلك الموقعة ، وقتل سفيانوسى . وكان كاتاجونى
عظيم الجسم فأصابته حربة فى بطنه فاستل سيفه
باحدى يديه ، وقتل نفسه حتى لا يموت بسلاح
العدو .

وبانتهاء هذه الموقعة تم النصر للأتراك . وخلت

الباشا حكم بأعدامه ، ولكنه أرجأ موعد التنفيذ إلى يوم عيد . وحجز المحكوم عليه في السجن إلى أن يحين الموعد .

وتولى حراسته في السجن سبعة أتراك هم في صميم أنفسهم لا يختلفون شيئا عن كرد على لأنهم قطاع طريق مثله . ولذلك كانوا يحترمونهم ويصفون في دهشة ولاة إلى ما يقصه عليهم من الأحداث

ونشأت بين السجين وبين حراسه مودة وصداقة . وفي يوم من الأيام قال لهم كرد على : « أيها الاخوان ! إن ساعتى قريبة وليس يستطيع إنسان أن يقر بما قدر عليه ، فأسأركم ولكني أريد أن أترك لكم أترأ تذكروني به »

أرهم الأتراك أذانهم ليسمعوا ، واستمر كرد على يقول : « أيها الاخوان ! منذ ثلاثة أعوام كنت من قطاع الطريق في منس ميخالاكي . ودفينا بالقرب من هذه المدينة آتية مملوءة بالمال . ثم منفتحا ظروف الثورة والحرب عن أن نستردها وسأدلكم عليها فهي لكم »

كاد الأتراك أن يفقدوا حواسهم ، وكان السؤال الوحيد الذي يخطر ببال كل منهم هو كيف يستطيع الوصول إلى مكان هذه الآتية . ورأوا أنهم لا يستطيعون ذلك إلا بإرشاد السجين نفسه . فلما أقبل الليل ، فكوا الحديد عن يديه ورجليه وربطوه بحبل ثم أطلقوه وساروا خلفه خارجين من المدينة

فأدركهم من مكان إلى مكان فشوا مسافة طويلة .

إلى الجانب الروائي من حياتهم . ومن أجل ذلك سبق كرد على مكبلا بالحديد إلى السجن فكانت يبدو من النظر إلى وجهه أنه ابن الثلاثين . وقد كان طويل القامة عريض الكتفين عظيم القوة عليه علامة الخشونة ، وفي نظراته زهو وهدة .

ودخل غرفته في السجن موظف تركي أحر الوجه أشيب الشعر يرتدى ثوبا عسكريا قد سقطت منه ثلاثة أزرار . وفي وجهه كتلة حمراء من اللحم مثقوبة تقوم في ذلك الوجه مقام الأنف . وكان في يده أوراق أخذ يتلوها وهو بين حين وحين ينظر إلى كرد على وهو يصنى إليه باهتمام .

وبعد أن فرغ الموظف من القراءة طوى الأوراق وصاح في خشونة بأن يحمل السجين إلى مدينة جامي ، فالتفت كرد على إلى الموظف وتعم في صوت يتهدج ، وقد تساقطت من عينيه العبرات وتغير شكله تغيرا عظيما ؛ وعمرته رعشة جعلت لأصفاده وأغلاله رنينًا أزعج الموظف فتقهقر ثم صعد السجين بالأمر فاستسلم للجند الذين حملوه إلى عربة جرت به في الطريق .

قال موظف صغير لذلك الموظف العسكري : « ما الذي قاله لك كرد على ؟ » فأجلب وهو يتسم : « لقد طلب إلي أن أعني بزوجه وبابنه اللذين يعيشان غير بعيد في مدينة كيليا وهي من قرى بلغاريا فإنه يخشى أن تؤذيها الجماهير بسببه فإن الجماهير حقا .

ووصل كرد على إلى مدينة جامي فحوكم أمام

وأخيراً وقف أمام صخرة عظيمة . وقال : هنا
تحت هذه

وقف الاركاذيد برون . ولما استقر رأيهم أخرج
أربعة منهم الخناجر ، وأخذوا يحفرون بها حول
الصخرة . وبقي ثلاثة منهم في الحراسة . وجلس
كرد علي فوق الصخرة ينظر ويتربص ؛ ثم قال بعد

مدة : ألم تجدوها ؟ فقالوا : كلا

فأظهر أنه فقد صبره وقال : من أي نوع من
الناس أنتم حتى حفر الأرض لاستطيحونه ؟ إنني
كنت أفرغ من عملكم هذا في دقيقتين . حلوا
وثائق وأعطوني خنجراً

فكر الاركاذك ثم قالوا : أي ضرر في إجابته
وهذا هو كرد علي عبد اللطيف النشار

علمكم المصري يرفرف على

النيل و كوثر

فهما رمزا بلادكم

سافروا عليهما تجدوا راحتكم المنشودة

غرف فاخرة .. طعام شهى .. خدمة كاملة

اتصلوا بشركة مصر للسياحة

شارع ابراهيم باشا رقم ٤٩

عَوْدَةُ الرَّجُلِ

للكاتب الفرنسي تيودور دي بانفيل
بقلم السيد محمد العزاوي

الوسادة الحائلة .
وكثيراً ما كانت الجدة
تمسك الصندوق
ساعات طويلاً ، كأنها
تريد أن تنتهي من
أمره إلى حل ، وتتخذ
خيال ما فيه قراراً .
ودعها سكرة الموت

قبل أن تقرر مصيره أو تتخلص منه
واستعمرت السيدة دافراي قلقاً يساورها عندما
عثرت يداها الباحثتان على الصندوق الصغير .
وقررت أول الأمر أن تحرقه — أمانة منها
وإخلاصاً — دون أن تعرف ما فيه من أسرار .
ولكنها لم تفعل ذلك خشية أن تضيع — بحرقه —
أداء واجب عليها أداؤه ، أو وصية لا بد منها .
وهكذا فتحت الصندوق وألفته مليكاً برسائل جمة ؛
لا تحمل العنوان على الأغلفة كما هي الطريقة الجديشة ،
ولكن تحملها على شرائح من ورق رفيع . وقد
علمت — بعد أن بصرت بأول خطاب — أنها
ليست رسائل جدتها مدام دي ريبيل ، ولكنها
رسائل أم جدتها — السيدة إودكسي تيرين . وقد
رأت هورتنس تلك الجدة المتتيدة . فأنها لم تمت
إلا أخيراً في سنة ١٨٧٢ . ولها من العمر خمسة
وثمانون عاماً .

على أنها تستطيع أن ترى خيالها كل حين إن
أرادت ، فأسرتها تحتفظ لها بصورة رسمها البارون
جروس ، في ميعه شبابها ووفرة صباها . وقد كان عن
طريق غريزة ركبت فينا ، نشعر بها ولا نستطيع
أن نكفيها ، أن رأيت هورتنس دافراي بينها وبين
(٥)

استكملت السيدة هورتنس دافراي في ١٨٨٢
ربيعها العشرين ، وليس في قولي « السيدة » تجانفاً
معي ولا ميئناً . فقد كانت هورتنس زوجة ؛ بل
أرملة بائسة لا ولد لها يسهر عليها ولا قريب يؤويها
إلا جدتها « مدام دي ريبيل » . استقدمتها تلك
الجدة لتشاطرها العيش في مسكنها بشارع ليل .
وكانت هورتنس تنشق — بقرب جدتها — آخر
نسائم العيشة العائلية الهادئة تهب عليها في وكن
وهدوء . قد مضى الآن حولان كاملان على وفاة
جدتها الطيبة التي ماتت حزينة قلقة على مصير
حفيدتها إذ تركها وحيدة في غياهب الفقر وأمواج
الحياة . . إنها عُمُرت ثمانين عاماً رأت فيها من تحب
يتزوجون ، ومن تعرف يرحدون ، ولم يبق منهم
أحد تمهد إليه بحفيدتها البائسة .

ولما أحست مدام دي ريبيل بأجلها يقترب ، رتبت
أمرها في شهرها الأخير ، كي لا تقلق بال حفيدتها .
ولقد غالت الجدة في ذلك ، فكانت ترمي أوراقاً كثيرة في
النار وتحفظ الأخرى . وكانت الجدة تحفظ — طوال
مرضها — بصندوق صغير في دولابها الكبير .
وكانت تضع مفتاحه في خيط من الحرير تحت

وكثيراً ما كانت الحقيقة شيئاً مستحيلاً ، فليس ضرورة أن يكون الشيء ممكناً حتى تقول بأنه حقيقة وإنه لمن الضلال البعيد أن تقول بأن هورتنس قد نجّأها الحب بقتة ، ولكنها كانت تشعر في قلبها بحب قديم ، له آلامه وآماله ، ولسبب ماخذ وانطفاً بل نزع من القلب والدهن انتراعاً . ولكنه استمر نجاةً ، وقفز إلى ذهنها وقلها مما يعذب هذا بالك كريات ، ويكوي ذاك بالشوق والألم

وتفقدت الرسائل فإذا بأعضاء واحدة تذيّلها جميعاً . وقرأتها في شفق وجنون . ثم كانت لانتى عن القراءة والإعادة كأنها محبومة . ولم يكن عسيراً أن يجمع المرء خيوط القصة التي أنجبت تلك الرسائل تروجت جدتها السيدة إبودكسي تيرن من أحد متمهذي الجيوش . وكان كهلاً أنانياً ، أفسدته الخلاعة ، وأضواء المجون . وقد مكنتها مهنة زوجها من الاتصال بضباط الجيش . فهم بحبها ملازم شاب من جنّد نابليون ، يدعى بول فرياديير وجرفها تيار هواه . فلم تستطع أن تقاوم أو تتشبث . فسأرت التيار في هواة وإخلاص . فكان جميلاً أن ترى عاشقين شفهما الهوى وبرح بهما الغرام يتعاطيان كؤوس الوصل مترعة هنية ، وينهلان من منبع الحب الخالص ، فيعطمان بسعادة خالدة ، ونعيم مقيم . غير أنهما — طوال الوقت — يشمران بأجنحة الموت السوداء تصفق فوقهما كأجنحة الخفاش الأعشى ، ويأنسان بمسوح الردى الطخياء تهددهما بالبعد والحداد .

ونزعان ما تبددت الأحلام ، وحلت المخاوف ! لقد فرق الدهر الششت بينهما أيام « أوسترتر » وإينا وإيلو ؛ أيام فريدلند ووجرام . . . وكانا قليلا ما يلتقيان — في تلك الأعوام العصيبة — لحظات

صورة الجيدة — التي صورت من ثلاثة وخمسين عاماً خلون — شبهاً قوياً . بل لتكاد — إذ تنظر إليها — ترى وجهها في مرآة صافية !

ذلك بأن الطبيعة يحلو لها في فترات مختلفة وفي أسرات خاصة ، أن تعيد خلق وجوه درست وثوت بالتراب من أمد بعيد . . . تعيد خلقها كما كانت ، كأنها مثال بأخذ عدة أشكال من قلب واحد . ولكن المرء يسأل نفسه في تلك الأحوال : إلى أى حد يبلغ الشبه ؟ أيقصر على الوجه والخلقة ؟ أم يسيطر على الأفكار والمشاعر ؟ أم ينفذ إلى سواد الفؤاد ؟ . . . تلك مشكلة من مشاكل العلم الحديث يرمينا بها فتفتح أمامنا آفاقاً واسعة غير ذات بر ولا حدود . . .

وقبل أن تقرأ السيدة دافراي أولى الرسائل لمحت سكة كبيرة تتدرج في الصندوق بجوار جداره الرقيق . فالتفتها ، وتفقدتها ، فإذا بها رسم ملازم شاب ، من ضباط الدولة الأولى ، ذى شعر وحف جعد ، وعينين يلعب فيهما بريق الشهامة ويأس الشباب . وجهة قسمتها ندبة جرح طولى إلى قسمين عريضين . يتبسّط أكبرهما من حاجبه الأيمن إلى بنبت الشعر بوسط الحيا . وجهته عامة جبهة شجاع جسور ، وأدمنت هورتنس النظر في الصورة ، فجذبها بريق العينين ، وفتنها سحر الجلال ، وأخضعها بأس الهوى ! فاستشمرت في قلبها آلافاً من المشاعر المتضاربة المركبة ، آلافاً من خوف وأخرى من سرور ، لأنها تحب ! ولكن ويلها من تحب ! ؟ فتى مرّت على وفاته حقب وأعوام ، وتوالت على قبره أحداث ورجام ! فتى دالت دولته ، وراحت صولته ؛ وقد رها ألا تراه على الأرض حياً ! . . . ولكن كثيراً ما لعبت الجذوة التي تلهبنا بالحقائق والأفكار !

توجد المستحيل ! ولم تكف بذلك بل وهبت نفسها
لفرنديير هذا دون أن تفكر لحظة أنه مات منذ أمد
بعيد ، في تيه المجد وخيبة النصر المبين . واعتقدت
أنه يوماً ما وافئها ، وأنها ملاقيته بعد أمد قريب
أو بعيد ، وأنها مسلمة عليه ومصيفة حديثه الجنون ،
ولم يخامرها في يقينها هذا شك ، ولا وجدت على
عقيدتها غباراً ... رأت فأحبت فأغرمت فتمدبت
ثم راحت تنتظر الحبيب بثقة واطمئنان !

لوز رأى النائم العجرات في حلمه لما استغرب ،
لأن النفس تكون متطلقة من الواقع ونظمه ،
والحقيقة وأساطرها . وكذلك لم تستغرب هورتنس
دافراي — حينما كانت ترور مدام دي سيمور —
أن تعلن الخادم قدوم السيد پول فرانديير !

رأته يدخل ؟ هو بيمينه التي أحبت وتحب :
پول فرانديير ! پول فرانديير بشعره الوحد المجدد ،
وعينه السوداءين ؟ ثم بندبة الجرح في جبهته
العريضة ... لم يكن هناك فرق سوى أنه يرتدى
زى ملازم من مدفعية الفوج الافريقى الأول ...
كلا ! لم تعجب مدام دافراي إذ تراه ، فقد كانت
تنتظره بصبر واطمئنان . على أن قلبها غاص في حنايا
صدرها البض ، وراح يحطم ضلوعها بحفقه الشديد ،
وودت أن لم تكن بين ذلك الجمع من الرجال المتألقين
وتلك الثلة من النساء ذوات الأساور والحلى ، فقفز
كالنزال إليه ، ثم تنبى في أحشاء صدره الرقيب
قائلة « ها نا ذى » !

وانحى فرانديير لمعته مدام دي سيمور . ثم
رى هورتنس فجأة ، فيبهت ، لاعرف لديه ولا نكر ؛
وغاض لونه واصفر وجهه ، واستطاع بعد لئى أن
يعتمد على الحائط ويمر قدمه الواهنة إلى خدع كان
لحسن الحظ خالياً ، فتخاذل وارتقى على بساطه

ممدودات . ولكن فرانديير كان يختلس ما بين
واقعتين أو مابين نصرتين فيسطر لها — وهو أشعث
أغبى — آيات الحب والهيام . ويثنها وقدة الشوق
وجذوة الهوى . يسطر لها رسالات مترعة أسمى
وعذاباً ، تقرأها الآن حفيدتها الصغرى بين دمع
وأكف وقلب خافق ؛ بين صدر يملو ويهبط كاللوج ،
وأنفاس حرى تذهب وتجيء . كالت من أجل
إيودكسى — كما كان من أجل نابليون — أن
خاض فرانديير المارك الدامية ، وشرق في البلاد
وغرب ، وقامى كثيراً واصطبر . كان يريد أن ينصر
العاهل حتى النفس الأخير ، وأن يكسب لايودكسى
عرشاً فخياً .

ومات في تلك الأثناء زوجها . وجنى فرانديير
الأمل ، وحن إليها ففكر في الرجوع إلى الوطن .
وبينا الأمل ينمو ويوطد الجذور ، والشوق يستمر
والقلب خفاق ، إذا به يقع في الميدان يتسحط في دمه
الغرم ، وإذا برصاصة تخترق صدره الماشق وتسكت
قلبه الخافق . فتوى في حزون سمولنسك الباردة
وحيداً ، لا قلب يخفق له ، ولا دمع يترقق في
المحاجر أسمى عليه . ونى فرنديير زميل ائتمنه
على سر قلبه وذات صدره . وكان خطاب الزميل مع
الرسائل الأخرى في الصندوق الصغير .

ما في هذا الأمر من شيء غريب . ولكن
الغريب حقاً أن يترامى هورتنس دافراي أنثى
التوسلات والدة كريات التي حفلت بها الرسائل ، وأن
الجوى والهيام كل ذلك لها هي من دون جدتها
إيودكسى تيرين . واندفعت روحها الظائمة ناشدة
ذلك الحب ، تاركة وراءها الحقيقة ونواميسها ؛
وحلقت بالترام في الخيال غافلة عن الواقع ونظمه ،
وتماذت في ذلك فاستباحث لنفسها أن تخلق المدوم وأن

من أمرى شيئاً . وكنت أعلل نفسى أنى ملاقيها
فى جنان الرحمن حيث لا تمجز اللقيا ... ولم يكن
خيالى يستبيح نفسه — وهو الشرود الجوح —
أن يصورها حية فى عصرنا هذا . فهو إن صورها
يصورها نائمة بجبال بين الورود والزهور فى جذعها
الماطر . فيطير لى شعاها ، وتنسرق نفسى هياماً
وحباً ! ...

— هذا حسن ! ولكنك لم تحدث لى من أمر
الصورة ذكراً . كيف تناهت إليك ؟

— ذاك أمر بسيط ! فقد كانت لدى أبى
— فى مكتبته — مكتباً مهجوراً . طلبته منه كي
أستدكر عليه فأعطانيه ولم يجهل . وقال لى إنه من
مخلفات — عمى — عمه الأكبر بول فراندير .
كان ملازماً فى جيش الدولة الأولى . ومات فى
سمولنسك فى السابع عشر من أغسطس سنة ١٨١٢ .
وكانت مفاتيح المكتب ضائعة فاضطرت إلى كسر
أغلاقه ، وفى أحد أدراجها الخفية عثرت بىدى
المجدودتان بتلك الصورة المقدسة ، ولقد عشقتهما من
ذلك الحين .

— حقاً إن فى ذلك الحادث جانباً كبيراً من
التموض والابهام ، وعلى أية حال فأنت شاب طليق
وهى فتاة حرة . فلا مانع يفصلكما من الحب
ومحرما الزواج .

ولكن الأمانى كانت سراياً . فقد أدرك كل من
بول وهورتس صاحبه ، فتذاكرا اليهود وجددا
الفرام ، فتمعا بجنة الحب لأمد قصير . ولكن بول
ذهب فى فوجه إلى « تونكين » وهناك مات —
بجده — برصاصة شقت الصدر وباتت فى القواد ...
أبى يؤس وعذاب ! ...

« شين الكوم » سبير محمد العزاوى

الثمين . ودهشت مدام سيمور من سلوكه الناضر
عن العرف والتقليد ، فتمتقبته إلى حيث تدعى يئن
أنيكاً . ودخلت المخدع ساعة رانت عليه صفرة الموت
وغاب عن الوجود

واستدعت عمته طليماً مشهوراً من أضيافها .
ولكنها أحست — بفرزة المرأة — أن هناك سرّاً
لا يحسن أن يُقصَّ غُلفه لأحد غريب . فغثت
على الليل تلك رأسه وصدغيه ، وتنشقه بعضاً من
يلح قوى مفيق . ثم رفعت رأسه براحتها واضمة
نحتها وسادة من حرر غال

ولما أن أفاق وثاب إليه الوعي ، دس يده فى جيب
صداره وأخرجها تحمل رسماً على ورق قديم ، عمله
قبلات والهمة ، فأراه عمته ، ثم صاح فى فرح المجنون
وطرفه غريق فى الدمع المتون : « أي بلانش !
بلانش ! إنها حياً ! » فأجابته عمته : بلانش ! بالطبع !
إن هورتس دافراى تحياً ، وهى فوق ذلك صديقتى .
ولكن قل لى لم تدخل فى زى الدولة الأولى ؟ على
أنك لم ترها مرة واحدة ! فما معنى تلك النوبة التى
انتابتك من لحظة ؟ فقال فراندير :

— إنى لم أرها إلا الآن ولكن روى هامت
بها من زمن بعيد ، وأوسعتها حباً وعشقا . وقد
استقر حبها بين جوانحى وفؤادى ، وسرى بين لحنى
وعظمى . لم يفارقنى ذلك الرسم منذ خلص إلى
وتناهى من ثلاثة أعوام خلوت . واصططجنى فى
الفتح والحروب ، فى النفق والخنادق ؛ فكان
رسول السلام إلى قلبى الموله الجازع إذا ما اشتد
الزوال وحى الوطيس ؛ وكان بشير الحصانة إذا
مارنق على الرؤوس الموت ليختار على أى يقع .
كان فيض الأمل ونبع الحياة ؛ كان كل هذا برغم
ما كنت أعلم عن موت صاحبه . ولكنى لا أملك

أجلاقيين وسيلزيت

رواية تمثيلية في خمسة فصول

للطبيب البلجيكي مورييس مارتلك

بقلم الدكتور محمد غريب

هنا . إنه على حافة
الخراب ، ذلك المكان
الذي أيقظت فيه
« أجلاقيين » أنفا
إسرائيل -
شقيقي ، انظري من
هنا ، إنني أرى
البتائي الذي لا يزال
يفرس زهوراً حول
القصر

تمة الفصل الرابع

المنظر الرابع

(يقع هذا المنظر فوق قمة البرج حيث ترى
« سيلزيت » وأختها « إيسالين » الصغيرة)

سيلزيت - هانحن أولاً فوق قمة البرج
يا إيسالين ، وفي هذه الآونة يجب أن نعرف ما ينبغي
عمله ... أوه ما أكثر النور في السماء وعلى الأرض
وفوق سطح البحر ! ثم لماذا هذا اليوم هو أكثر
جمالاً من جميع الأيام الأخرى ؟

إيسالين - أين هو ذلك الطائر الأخضر ؟

سيلزيت - إنه هنا ، ولكنه لم يُرَ بعد ،
وسنحني بعد قليل على الحائط ، ولكن انظري
هنا قبل كل شيء ، إننا نرى كل القصور والحدائق
والغابات . إن جميع الزهور قد تفتحت على شواطئ
الجدول ، أوه ! ما أبعد خضرة الأعشاب في هذا
الصباح ! .. إنني لا أجد « أجلاقيين » ... ولكن

هل ترين هناك « ميلياندر » إنه ينتظرها ... اخفضي
قانتك ، فلنخفي ، إذ لا ينبغي أن نكتشف وجودنا

سيلزيت - إنك ستريها تكبر وتتفتح
يا إيسالين وستطفئها لأجل (١) ... تعالى تعالى ،
أنا لم أعد أستطيع النظر إلى ذلك ، فلننظر من هذه
الجهة الأخرى التي لا يرى منها إلا البحر الأكثر
بعداً عنا من القصر ... إن البحر لجلب أيضاً ! إن
الإنسان لا يستطيع أن يجد فيه مكاناً حزيناً في هذا
الصباح ، إنه قد بلغ من الحيرة والعمق إلى حد أن
الإنسان لا يجد الشجاعة الكافية ... ثم إن كل
ما يمكن أن يحدث لا يستطيع أن يحول بينه وبين
ابتناسه هذه إلى مساء . هل ترين هذه الموشية
الصغيرة التي تتكسر على الشاطئ ؟ أنا لا أستطيع ،
أنا لا أستطيع ، قلت لك : إن الزهور والبحر عتمانني
من عمله . لا أستطيع أن أفعل ذلك أثناء النهار
إيسالين - هذه هي الطيور البحرية يا أختي ،
إنه يوجد منها آلاف مؤلفة

سيلزيت - إنها تبيّ مناً من الجانب الآخر

(١) عبر المؤلف هنا بجملة تدع القاري يفهم أن سيلزيت
تصعد أن أختها سقطت الزهور لبعضها على قبرها دون أن
تصرح بهذا حتى لا تنبه الفتاة الصغيرة إلى مآربي إليه شقيقها

والدتي ولم يتسم لي في اللحظة الأخيرة ، فاني لا أزال أتمثل أمامي أنها لم يتسم لي كأن كل أيام الحياة لا يعتبر منها إلا هذه اللحظة الأخيرة . ثم ما ذا قلت لها عن أخلاقي ؟ إنني لم أعد أذكر ..
 ينبغي أن أرى جدتي ثانية ، أما الآخرون فانا أفعل كل هذا لأجل سعادتهم ، فينبني ألا يعملوا شيئاً . لكن هي منفردة ، وليس لأجلها أني صعدت فوق البرج أو أنني سأزل من فوقه . أنت تفهمين أنه من غير الممكن أن أتركها هكذا . تعالي تعالي ، سنماتها عناناً أكثر قوة من قبل .

المنظر الخامس

(يقع هذا المنظر في أحد أجنحة القصر حيث توجد الجدة العجوز نائمة وترى « سيليزيت » و « إيسالين » داخلتين عندها)

سيليزيت موقفة « ميليجران » : جدتي ..
 ميليجران — هأنت في النهاية قد عدت بعد أن انتظرتك طويلاً .

سيليزيت — اصفحي عني أيها الجدة ، فانا أعتقد أنني لم أكن وديعة حين فارتقت منذ زمن ميليجران — بلى ، لقد كنت جد وديعة ، ما ذا حدث ؟ يحيل إلى أنك مضطربة .

سيليزيت — أنا لست مضطربة بإجدي ، ولكنني كنت محتاجة لأن أقول لك : إني أجبك .

ميليجران — أنا أعرف ذلك يا سيليزيت ، ولقد برهنت لي عليه أكثر من مرة في حياتك ، وأنا لم أرتب قط في هذا الحب .

سيليزيت — نعم بإجدي ، ولكنني لم أكن أعرف ذلك حتى الآن .

ميليجران — اقتربي مني أكثر من ذلك

للبحر كأننا نحمل معها أخباراً جديدة ...
 إيسالين — لا لا ، إنها تحمل أسماً كما يا أختي ، وإن صفارهن تصبح في أحجار حوائط البرج ، إن منابر تستوي مع أجسامهن في الطول . هل ترين ذلك الطائر الكبير الذي يحمل ثياب البحر ؟ انظري إنها قد انتهت من أكله

سيليزيت — ماذا قلت لجدتي يا إيسالين ؟

إيسالين — لماذا تبكين يا أختي ؟

سيليزيت — أنا لا أبكي ، وإنما أفكر ...

أنا أفكر ... هل قبلت جدتي قبل أن أنصرف ؟

إيسالين — نعم أنت قبلتها ساعة انصرافك

سيليزيت — كم مرة ؟

إيسالين — مرة واحدة يا أختي ، لأننا كنا

ممجلتين

سيليزيت — أنا أعتقد أنني لم أكن وديعة معها

إيسالين — لقد كنا على عجل يا أختي

سيليزيت — لا لا ، أنا لا أستطيع أن أفعل

هكذا ، إنها ستكون وحيدة ، وإنها سوف

لا تذكر إلا شيئاً واحداً ، وهو أنني لم أكن وديعة

ألا ترين أنه حين يرتحل الانسان ولم يكن سبعة

رحيله أكثر وجاعة منه قبل الرحيل ، فإن من حوله

يظنون أنه لم يعد ينجهم ؟ ولكن العكس هو الذي

ينبغي أن يعتقد في مثل هذا الموقف ، لأن الانسان

الذي يفرط في الحب هو الذي يخشى أن يكون

وديعاً . حقاً إن هذا الحب الذي يأتي أن يكون وديعاً

في اللحظة الأخيرة هو مخطيء ، لأن من يحوطونه

لو عاشوا بعده ألف سنة لما تذكروا من كلامه إلا

الكلمة الأخيرة . ولقد رأيت أنا نفسي حيناً توفيت

أقول : إنني كنت سعيدة ما دمت أنت لم تنفاري
الزلزال الذي أحيا فيه .

سيليزيت — لا ينبغي أن تتعلق السعادة بهذا
يا جدي . أكنت تصيرين شقية لو لم أكن أعيش
معك ؟

ميليجران — ستستطيعين أن تكوني سعيدة
حين لم أصبح موجودة يا طفلي ، لأنه سيتبقى لك
بعدى أشياء كثيرة .

سيليزيت — إذا فقدتني فستكون لديك أحلافين
ميليجران — إنهم لن تم قطع على ركبتي ياسيليزيت
سيليزيت — أحبها بالرغم من ذلك يا جدي .
ميليجران — أنا أحبها ما دمت تحبها يا طفلي
سيليزيت — يجب أن تحبها على الأخص لأنها
هي التي صيرتني سعيدة . إنها جميلة أيها الجدة
إلى حد أنني منذ عرقها من قلبي وأنا أعيش إلى
جانها ، وعيناي دائماً بملتان بالدموع .

ميليجران — إن يدك محرقة الآن بالسيلازيت !
سيليزيت — هذا لأنني مُفرطة في السعادة
أيها الجدة . هل ألتك أحياناً ؟

ميليجران — أنا لا أذكر ألبنة شيئاً من ذلك
يا طفلي .

سيليزيت — بلى ، بلى ، لا بد أنك تتذكرين ،
لأن الانسان لا ينخلو من أن يؤلم من يحبه أحياناً ،
لكن ينبغي أن نقول لي : متى قدمت إليك أ كبر
الآلام ؟

ميليجران — أنت لم تقدي إلى إلا قلباً من
الآلم كلما كنت تبكين ، وحينما كنت تبكين لم تكن
هذه غلطتك ، وهذا هو كل ما أذكره .

سيليزيت — أنت ابن تربى باكية بعد الآن
أيها الجدة .

يا طفلي ، لأنك تعرفين أنني لا أستطيع أن أعانق
من أحب ما دامت ذراعي السكينتان لا تطيعاني .
أنت تظهرين لي غربة هذا اليوم . ألم تكوني تعرفين
إلى الآن أنك تحبيني ؟

سيليزيت — بلى ، أنا كنت أعرفه كما
يعرف الانسان أحياناً دون أن يعرف ، ثم يعود
فيقول في نفسه : إنه لم يكن خيراً ، وإنه كان يمكنه
أن يفعل أكثر من ذلك ، وإنه لم يجب كما كان
ينبغي أن يجب ، ثم هو بعد ذلك يريد أن يستأنف
قبل أن يمضي الوقت وتضيع الفرصة . أنا ليس لي
أب ولا أم يا جدي ، ولولا وجودك لما عرفت كيف
تكون الأم . أنت لم تهجري قط سيليزيتك الصغيرة .
ولقد كان يسمدني أن أعرف إلى من أحبه حينما
تنزل في عادية من عاديات الشقاء .

ميليجران — لكن لا . لكن لا ياسيليزيت بل
أنت التي لم تهجري . لقد كانت تلوح عليك علامم
الجد المرير بعد ظهر اليوم ، ومع ذلك ، فأنا لا أظن
أنك حزينة .

سيليزيت — لقد كنت دائماً سعيدة ، والآن
أنا أعرف ما يمكن أن تكون السعادة .

ميليجران — أو لم تفقدتها على الأقل ؟
سيليزيت — بالعكس ، أنا أعتقد أنني وجدتتها .
وأنت يا جدي أكنت سعيدة أيضاً ؟

ميليجران — متى ذلك يا سيليزيت ؟
سيليزيت — في الزمن يا جدي .

ميليجران — عن أي زمن تتكلمين يا طفلي ؟
سيليزيت — أنا أتكلم عن زمن الحياة يا جدي
ميليجران — لقد مرت بي أيام سيئة بجميع
الذين يعيشون فوق الأرض ، ولكنني أستطيع أن

ولكن الجمال يبق ، وهناك قوم آخرون سعداء .
ميليجران — من قال لك ذلك باطلفي ؟
سيلزيت — إن أجلائين هى التى قالت لى كل
ذلك أيتها الجدة .

ميليجران — ما أشد لمان عينيك ياسيلزيت !
أنا أعتقد أنك تبكين باطلفي .
سيلزيت — لا لا ، أنا لا أبكى ، وإذا بكيت
قليلا فاقما من السرور أبكى .

ميليجران — قبلينى ياسيلزيت ، قبلينى بقوة
وامكثي بالقرب منى .

إيسالين — أيتها الأخت أنا أريد أن أعاقها أيضا
سيلزيت ، مبعدة إيسالين يديها : لا لا يا إيسالين
دعيني أعاقها وحدى اليوم ، سيأتى عما قريب اليوم
الذى تعاقبها فيه بدورك منفردة ... وداعا أيتها
الجدة وداعا

ميليجران — سيلزيت ! ماذا حدث ؟ أين
تذهبين ؟

سيلزيت — وداعا أيتها الجدة وداعا
ميليجران — سيلزيت ، امكثى هنا ، أنا
لا أريد ، أنا لا أريد مطلقا أن تنصرفي
(قالت هذه الجملة وهى تحاول فى جهد شديد
أن تمد ذراعها فى الفضاء)

أنا لا أستطيع ، أنا لا أستطيع ؛ وأنت ترين
ذلك جيدا ياسيلزيت
سيلزيت — وأنا أيضا لا أستطيع أيتها الجدة .
وداعا ناي فى سلام هذه الليلة ولا تحلى أحلاما
مزعجة . وداعا أيتها الجدة وداعا .

(قالت ذلك وخرجت بسرعة ، ويدها قابضة على يد
أختها الصغيرة)

ميليجران — إعرفي جيدا ياسيلزيت أنت
السعادة تندو وتروح بين أفراد بنى الانسان أشبه
شئ * برقاص الساعة ، ولهذا ينبغي أن يؤجل الانسان
بكاهه إلى آخر وقت ممكن .

سيلزيت — أنت حققة يا جدتى ، وحينما تعود
إليكم السعادة ، أنت وهما ستجمنهما ذات مساء
حولك وستقصين عليهما قصة حفيذة

ميليجران — ماذا تقولين ياسيلزيت ؟ ؟

سيلزيت — لاشئ ، لاشئ ، أيتها الجدة ، إننى
كنت أفكر فى الوقت الذى كنت فيه صغيرة جدا
ميليجران — وأنا أيضا أفكر فى ذلك الوقت
يا بنيتى ، إننى لم أكن إذ ذاك مريضة ، وكنت
أستطيع أن أحملك فوق ذراعى أو أن أتبعك ، وقد
كنت تذهبن وتجيئين وتضحكين فى القاعات
وتفتحين الأبواب صاحبة بصوت مزعج قائلة : « إنها
تقرب ، إنها تقرب ، إنها هنا » ولم يكن أحديعرف
عمن . كنت تتكلمين بهذا الانزعاج ، بل إنك أنت
نفسك لم تكونى تعلمين ، ولقد كنت أنا أجاريك فى
هذا وأتبعك محترقة الدهليز إلى الحديقة ، ولكن كل
ذلك كان شيئا نافعا ولم يكن له غاية معينة ، ولكن
الهمم أننا كنا نتفاهم ونبتسم طيلة اليوم ، وهكذا
بفضلك أنت عدت فأصبحت أمما مرة ثانية بعد أن
فقدت جمالى . وأنت ستعرفين يوما أن النساء لا يتعبن
أبداً من أن يكن أمهات ، وأنهن يهزرن الموت
نفسه إذا جاء لينام فى حجورهن ، ولكن كل
شئ * يمر قليلا قليلا ، والطفلات الصغيرات يصرن
كبيرات .

سيلزيت — أنا أنا أعرف ذلك يا جدتى ، والآلام
أيضا تمر وتذهب وتعود أكثر كبرا مما ذهبت ،

سيليزيت — وشفتاك أيضاً ، وفوق ذلك فإن
فيهما قوة عجبية .
أجلافين — إنك تظهرين لى منيرة الليلة كأنك
مصباح صغير يا سيليزيت .

سيليزيت — ألم ترى جذقى ؟
أجلافين — لا ، هل ينبغي أن أراها ؟
سيليزيت — لا لا ، إن هذا عبث ، لأنها نائمة
فى هذه اللحظة ، هل أنت ذاهبة الآن لتقابلى ميلاندا ؟
أجلافين — نعم ، وأنت يا سيليزيت ؟
سيليزيت — حيناً تريحه قلبه بالزيارة عني .
أنا سعيدة بأن أفكر فى أنه سيقبلك أنت حيناً لا
أوجد أنا . ولكن ألا ترين أن إيسالين يعوزها
الصبر وأنها تجذبى من يدي ؟ وداعاً يا أجلافين !
سترينى فى المستقبل .

(قالت هذا وخرجت مع أختها إيسالين وأخذت
تبتعد مترنمة بتلك الأنشودة الجزينة السابقة التى طالما
رددت فيها اسم الموت ثم انقطع الترنم فجأة وخرجت
أجلافين بدورها .)

المنظر السابع

(يحدث هذا المنظر فوق قمة البرج حيث تشاهد سيليزيت
وإيسالين تدخان)
سيليزيت — والآن فى الساعة يا إيسالين
الصغيرة ، وأنا لن أنزل بعد ذلك لأتسم لها مرة
أخرى . إن الطقس بارد الليلة فوق قمة البرج ،
وإن ريح الشمال هى التى جعلت موج البحر يلعب
الآن هكذا . لم يعد الانسان يرى الزهور ولا يسمع
أصوات الناس ، وكل شيء صار الآن أكثر حزناً
منه فى هذا الصباح .

إيسالين — والطائر ، أين هو أيتها الأخت ؟

ميليجران — سيليزيت ! ... سيليزيت !
ثم أخذت تبكى بكاء خافتاً فى وسط الظلمة
الحالكة التى جعلت تم وتشمل كل شيء .

المنظر السادس

(يقع هذا المنظر فى أحد دهاليز القصر حيث كانت
سيليزيت مارة مع شقيقتها الصغيرة ثم لحت أجلافين قادمة
نحوها فحاولت أن تخفيه . ولكنها لم تنجح فى هذه المحاولة
إد لحتها أجلافين فالتفتت منها قائلة : هل هو أنت يا سيليزيت ؟
لماذا أنت تخفينى ؟)

سيليزيت — أنا لا أدرى بالضبط لماذا أنا أختبئ .
لعل ظننت أنك تريد أن تكونى منفردة .
أجلافين — أين كنت ذاهبة ؟ ها هي ذى
إيسالين الصغيرة تنظر إلى نظرات تدل على أنها تخفى
شيئاً ، لا بد أنك قد تأمرتما على شيء .
سيليزيت — نعم لقد أعطيت وعداً يجب على
أن أتمسك به .
أجلافين — إلى أين أنت تقودين سيليزيت
يا إيسالين ؟

(ولكن إيسالين لم تجب على هذا السؤال)
أجلافين مستمرة : ألا تريد أن تقولى لى
ذلك ؟ وإذا جعلت أقبلك حتى تنبئينى فإذا أنت فاعلة ؟
سيليزيت — أوه ! إنها بدأت تعرف كيف تحتفظ
بالسر كأنها شخص كبير .

أجلافين — أنت تظهرين لى الآن متمتعة ولا
أدري أذلك مسبب عن ظلمة المساء أو عن شيء آخر ؟
سيليزيت — أنا أشتعئ أن أقبلك يا أجلافين .
(قالت هذا ثم تافقتا)

أجلافين — إن شفتيك غضتان وعذبتان فى
هذا المساء .

إيسالين — أنا لا أريد أن تبكي أيتها الأخت .
 سيليزيت — لكن أنا لا أبكي يا إيساليني
 الصغيرة، وهذا على الأخص هو الذى ينبغي ألا تتخليه؛
 إنما من الإفراط فى الابتسام تظهر على ملامح البكاء .
 إيسالين — ولكن لماذا عيناك كأنهما تبكيان ؟
 سيليزيت — أنا لا أستطيع أن أعرف ما فعله
 عيناي ، ولكن احفظي جيدا ما يأتى : إذا قلت
 لأحد إننى كنت أظهر حزنة فستعاقبن زمنًا طويلًا
 إيسالين — ولماذا ؟

سيليزيت — لأسباب متعلّمينها يوما ما ، ثم
 لا ينبغي أن توجهي إلى هذه الأسئلة فأنت لست
 إلا شيئًا صغيرًا لا يستطيع أن يفهم ما يفهمه
 الآخرون ؛ وأنا أيضًا في مثل سنك لم أكن أفهم
 بل وبعد ذلك بوقت طويل ، فإذا رأيتنى أفعل هذا
 أوداك ، فليس ما تريسه هو الأكثر أهمية . هل
 ترين يا إيساليني الصغيرة ؟ . أنا لا أستطيع أن
 أتحدث به . ومع ذلك فسأكون في حاجة إلى أن
 أقوله لأحد ، لأنه من المحزن أن ينفرد الانسان
 بمعرفة مثل هذا .

إيسالين — لم يعد الانسان يرى الشمس تقريبًا
 أيتها الأخت .

سيليزيت — انتظري ، انتظري أيضًا يا إيساليني
 الصغيرة ، لأن شيئًا آخر يقترب بقدر ما تبعد
 الشمس ، وبقدر ما يقترب هذا الشيء تنكشف
 أمانى الحياة بشكل أوضح ، أنا لم أعد أعرف إذا
 كنت أحسن العمل بإحضارك معي إلى قبة هذا البرج
 ومع ذلك فقد كان ينبغي أن يحضر أحد إلى هنا ،
 لأنه يوجد من الناس من يشتي أن يعرف كل شيء
 وإن كانوا لا يصيرون سعداء إلا بأن يجهلوا هذا .

سيليزيت — ينبغي الانتظار حتى تهبط الشمس في
 عمق البحر وتموت جميع الأصواء في الأفق ، لأن الطائر
 يخشى النور ، ولأنه هو والشمس لم يتلاقيا قبل الآن
 إيسالين — وإذا وجدت النجوم أيتها الأخت ؟
 سيليزيت — وإذا وجدت النجوم ؟! ولكن
 النجوم لم تظهر بعد في السماء ، وإن كانت مستعدة
 لأن تنقها عما قريب ؛ ولهذا ينبغي الإسراع لأنه
 حينما تظهر النجوم يكون ذلك أكثر رعبًا
 وإزعاجًا .

إيسالين — أنا أشعر كثيرًا بالبرد أيتها الأخت .
 سيليزيت — لنجلس هنا إلى جانب الحائط
 الذى سيحمينا من الهواء إلى أن ينطفئ آخر خط
 أحمر فوق سطح البحر . أترين كيف تنغمس الشمس
 في الماء ببطء ؟ . عند ما تقرب سأذهب لأري .
 دعيني أفسك في إزاري الأبيض الذى لم أعد
 محتاجة إليه .

إيسالين — أنت تقبليني بعنف أيتها الأخت .
 سيليزيت — هذا لأننى في غاية السعادة
 يا إيسالين . أنا لم أكن قط أكثر سعادة منى الآن ؛
 ولكن انظري إلىّ جيدًا . ألسنت الآن أكثر جمالًا
 منى فى الماضى ؟ . أنا أنبسم ، أنا أنبسم وأشعر بذلك .
 وأنت ؟ ألا تبسمين لى ؟ .

إيسالين — لا ، أنت تتكلمين سريعًا جدًا
 أيتها الأخت .

سيليزيت — هل أنكلم سريعًا ؟ .
 إيسالين — نعم ، وفوق ذلك فأنت تمزقين
 الزهور .

سيليزيت — أية زهور ؟ آه ، هذه ؟ لقد
 نسيت أنها زهورك .

بعد الآن . قى ، تعالى ، إجلسى فى هذه الزاوية
ودعني أربط طرف إزارى على صدرك ، لأن الهواء
أمسى بارداً هل أنت أحببتى حقاً ؟ لكن
لا ، لا ، لا تجيبى على هذا السؤال فأنا أعرف الجواب
جيداً . أنا أريد أن أضع هنا أربعة أحجار ضخمة ،
لأحول بينك وبين الاقتراب من الفتحة التى سأنحى
عليها . إذا أنت لا ترينى ، فلا تخافى ، لأنى
سأكون قد زلت من جهة أخرى لا تنتظرينى
حينئذ وانزلى وحدك من السلم الحجرى ، وعلى الأخص
لا تقتربنى من الحائط لترى ماذا أفعل ، وإذا فعلت
ذلك فلن ترى شيئاً وستعاقبين . أنا سأنتظرك تحت
البرج قبلينى يا إيسالين وقولى لحدتنا
إيسالين — ماذا يبنى أنا أقول لها أيتها الأخت ؟
سيلزيت — لأشئ لاشئ ، لقد كنت أعتقد
أننى نسيت شيئاً .
(قالت هذا وتقدمت نحو الحائط التهدم بجانب
البحر ثم انحنت عليه قائلة : أوه ، إن البحر يظهر
بارداً وعميقاً !)

إيسالين — أيتها الأخت ؟
سيلزيت — إنه هنا ، أنا أراه ، لا تتحركى
من مكانك .

إيسالين — أين هو ؟
سيلزيت — انتظري انتظري يجب أن
أخفى أكثر من ذلك يا إيسالين !
يا إيسالين ! إن الأحجار تضطرب ! إننى
أهوى ! أوه

(لم تكد تنهى هذه الكلمات حتى انخلع جانب
من الحائط وسقط معها إلى أسفل البرج فسمع له
نجيح متمرج بصوت ضئيف مؤلف من ألم وخوف

وفى الوقت الحاضر أيتها الأخت الصغيرة أنت لا تحفظين
كل ما أقوله لك . نعم ولكن سيحىء اليوم الذى
ستفهمين فيه كل شئ وسترين كل ما لا ترينه الآن
أثناء عرضه عليك . وإذا ذاك ستصيرين حزينة ولن
تستطيعى أن تنسى ما ستلمحه عينك السكبتان
عما قريب . ومع ذلك أفلا يبنى أن ترى دون أن
تفهمى حتى لا يفهم الآخرون ؟ ولكنك لن تستطيعى
أن تمنى نفسك من البكاء نجياً مستكبرين وقد
يثقل هذا المنظر حياتك ، ولذلك أنا أسألك أن
تصفحى عني اليوم دون أن تفهمى ما سيؤلك عند
ما تفهمينه جيداً فى المستقبل
إيسالين — إن قطمان الحيوانات تعود من
الحقول أيتها الأخت .

سيلزيت — وغداً ستعود القطمان أيضاً .
إيسالين — نعم أيتها الأخت .
سيلزيت — وغداً ستغنى الطيور أيضاً .
إيسالين — نعم أيتها الأخت .
سيلزيت — وغداً ستفتح الزهور أيضاً .
إيسالين — نعم نعم أيتها الأخت .
سيلزيت — لماذا يبنى أن يكون الأصفر هو
الذى ؟

إيسالين — لم يعد باقياً إلا الخط الصغير الأحمر
أيتها الأخت .
سيلزيت — أنت عمة ، لقد جاء الوقت
إنما أنت التى تدفئنى ، وكذلك النجوم يموزها
الصبر . وداعاً يا إيسالينى ! إننى لسميدة جداً جداً .
إيسالين — وأنا أيضاً أيتها الأخت أسرعى ،
فان النجوم ستظفر .
سيلزيت — لا تخافى يا إيسالين إنهم لن يرونى

آه ! . أليست هذه الجملة نفسها هي التي تدبنا نحن الاثنين وتأتي علينا المسؤولية ؟ ... والآن كل ما قالت لنا من كلمات ، وكل ما قامت به أماننا من أعمال يصعد من جديد إلى نفسى في شكل ارتياح وحشى خفيف سينتهى بتحطيم حياتى ... إن الحب لا يقل قسوة عن البغض ... أنا لم أعد أصدق ، أنا لم أعد أصدق ! ... إن كل الآلى قد تحولت إلى تقزز ...

إننى أبصق على الجمال الذى يجلب الشقاء ... أنا أبصق على العقل الذى يريد أن يكون قيا أكثر من اللازم . أنا أبصق على الحظ الذى لا يريد أن يلين أو يتسامح فى شيء ... أنا أبصق على الكلمات التى لا تتدح إلا الجانب الحيوانى فى الإنسان ... أنا أبصق على الحياة التى لا تريد أن تستمع إلى الحياة ، أو على الآثرة التى لا تريد أن تستمع إلى الإيثار .

أجلافين — ميلاندر

ميلاندر ، فى جفاف وقسوة : ماذا تريد منى ؟؟

أجلافين — تعال تعال ، أنا أريد أن أراها لأن هذا غير ممكن ... ينبغي أن نعرف ... إنها لم تعمل ذلك بإرادتها ، لأنها لا تستطيع أن تفعل ذلك ، وإلا لكانت إذاً ...

ميلاندر — إذاً ، ماذا ؟ .

أجلافين — ينبغي أن نعرف ... تعال تعال ... لا أهمية للوسيلة التى يجب أن نعرف بها ... لا بد أن تكون قد تأملت كثيراً حتى تصل إلى درجة الانتحار ! . أنا لن أعرف ذلك ، ولن أستطيع أن أعرفه أبداً .

(نطقت بهذه الجملة ثم جذبت ميلاندر بفتة إلى حجرة سيليزيت)

وحزن ثم تلا ذلك سكون طويل عميق) .

إيسالين ، صامحة : أيتها الأخت ... أين أنت ؟ ...

إننى خائفة أيتها الأخت !

(ثم أخذت تبكى وحدها فوق قمة البرج)

الفصل الخامس

المنظر الاول

(يحدث هذا المنظر فى أحد دهاليز القصر حيث يشاهد « ميلاندر » و « أجلافين » داخلين)

ميلاندر — إنها الآن نائمة ، وإن كل توسلاتى إلى الطبيب ذهبت عبثاً ، إذ لم أستطع أن أنزع من فم كلة أمل واحدة ، وهو قد غادر القصر . إنها سقطت على ربوة من الرمال كأن هواء البحر قد جمها هذا المساء إلى جانب البرج ، كأنما فعل ذلك خصيصاً ليستقبلها فى وداعة ولين . هناك قد وجدها الخدم فى نفس الوقت الذى كنت تظن فيه أنك ستذهبين للاقائها عند طريق القرية . لم يظهر بها أى جرح ، وكأن جسمها الصغير لم يمس أى شيء ، ولا يرى عليها شيء غير عادي إلا ما ينساب من السماء من بين شفتيها . وحينما فتحت عينيها ابتمت لى دون أن تنبس بين شفة .

أجلافين — لكن إيسالين ماذا قالت ؟ قد قيل لى إنها كانت معها .

ميلاندر — لقد سألتها . إنها وجدوها فوق قمة البرج تضطربن هلعاً وبردًا . إنها ترد بأكية أن الحائط قد انفتح بيننا كانت سيليزيت منحنية لتقبض على طائر كان يمر فى تلك اللحظة ... حينما قابلها بد ظهر اليوم فى هذا الدهليز نفسه ، بل وبين هذين العمودين كانت تظهر لى أقل حزناً من ذي قبل « .

المنظر الثاني والأخير

(يقع هذا المنظر في حجرة سيليزيت المحضرة المطروحة على سرير الموت حيث يشاهد ميلاندر وأجلافين يدخلان . سيليزيت محاولة التهوض من سريرها في ضعف شديد وهي تقول : هل هو أنت يا أجلافين ؟ هل هو أنت يا ميلاندر ؟ لقد كنت أنتظر كما لكى أسعد بمرآ كما . ميلاندر ياتي بنفسه على السرير باكياً ، متعباً وهو يصيح : ياسيليزيت ياسيليزيت)

سيليزيت — ماذا عندك ؟ إنك تبكيان .

أجلافين — سيليزيت ، سيليزيت ماذا فعلت ؟ إننى لتسعة .

سيليزيت — ماذا حدث يا أجلافين ؟ إنك تظهرين لي قلقة ، هل أنا فعلت مابصيرك بائسة ؟ .
أجلافين — لا لا ياسيليزيتى المسكينة ، لست أنت التى تسليبن من الناس سعادتهم ، وإنما أنا التى أجنذب الناس نحو الموت ، أنا التى لم أعمل ما كان يجب عمله .

سيليزيت — أنا لا أفهم هذا . ما ذا حدث ؟
أجلافين — لقد كان يجب على أن أعرف ذلك ، بل أنا أظن أننى عرفته بالفعل يوم كنت آتحدث اليك عنه . ها أنذى أسمع منذ أكثر من أسبوع صوتاً يصيح من غير انقطاع في داخل قلبي مرردداً صدى هذا الحادث ، ولكنى لم أعرف ما ذا أعمل ولم أستطع الحصول على شيء ؛ على حين أن أقل الجلل في هذا الموقف كانت تستطيع أن تنجى حياة ذلك الكائن الذى لم يكن يطلب إلا أن يحيا ، وإن أصغر الناس شأنًا كان يمكنه أن يجد بسهولة تلك الجلل التى تحفظ الحياة .

سيليزيت — ولكن ماذا كنت تهرفين إذا ؟
أجلافين — حينما تحدثت إلى عن الفكرة التى

كانت عندك منذ أيام ، بل وفي هذا الصباح ، بل وبعد ظهر اليوم أيضاً كان يجب علي أن أغمس يدي في أعماق روحك . لأبحث فيها عن الموت الذى كنت أمثله حيا في داخل نفسك . كان ينبغي أن أستعين بالحلب لأنتزع من نفسك الاعتراف ، ولكنى لم أعرف شيئاً . ولقد كنت أنظر دون أن أرى بالرغم من كل ما أرى ، ولكن أفته فتاة من بنات هذه القرية كانت تستطيع أن تجد من القبل ما تنتجى به حياتنا جميعاً ، وبالأحرى ، إنها كانت تستطيع أن تفعل خيراً مما فعلته أنا في هذا الموقف . أنا إما أن أكون سافلة إلى درجة لا يمكن التعبير عنها ؛ وإما أن أكون عمياء إلى حد لا يدرك مداه . ! إننى في هذا الموقف قد فررت من الحقيقة للمرة الأولى في حياتي كما تفر الأطفال . أنا لم أجد أجروء على أن أسألك نفسي . أصفحى عني ياسيليزيت لأنى لن أكون سعيدة بعد الآن .

سيليزيت — أنا أؤكد لك أننى لا أفهم هذا .
أجلافين — لا تهربى من الحقيقة بدورك ، فقد رأيت ماذا يحدث للإنسان حينما لا يطيع ما يسمعه في أعماق نفسه .

سيليزيت — ماذا سمعت إذا في أعماق نفسك ؟
أجلافين — لقد كنت أسمع نهاراً وليلاً أنك تبحثين عن الموت .

سيليزيت — أنا لم أبحث عنه يا أجلافين ، وإنما هو الذى دفعنى دون أن أذهب للملاقات .
أجلافين — إن الموت كان مشيقاً علينا جميعاً ، ولهذا أنت تترين أنه لم يبحث عنك ما دام قد فر منك حينما كنت تتسقيته .

سيليزيت — لا لا يا أجلافينى ، إنه بكل بساطة

هذه اللحظة ، فليس معنى هذا أننى أرتاب ،
ولكننى كنت أرغب فى أنك أنت لارتابين ...
ياسيلزيتى المسكينة إننى أركع أمامك ، إنك بكل
بساطة فعلت أجل ما يمكن أن يفعله الحب حينما
يتخضع ... ولكن الآن ، أنا أسألك باسم حبنا
الذى لا يتخضع أن تفعل شيئاً أسمى مما فعلت . أنت
تحون الآن بين شفتيك الصغيرتين جوهر الهدوء
العميق فى حياتنا جميعاً .

سيلزيت — عن أى هدوء تتكلمين يا أجلافين؟
أجلافين — أنا أتكلم عن هدوء شديد الحزن
وشديد العمق !

سيلزيت — ولكن كيف يمكن أن أستطيع
أنا متحكم هدوءاً عميقاً ؟ أنا لأرى فى نفسى الوطن
الذى أستطيع منه الحصول على هذا الهدوء ، فكيف
أمنح مالم أحصل عليه ؟

أجلافين — يبنى أن تقولي لنا بكل بساطة
إنك أردت أن تموتى ، لتسعدينا .

سيلزيت — كنت أشتى أن أقوله لك ،
ولكن هذا مستحيل ما دام غير حقيقى . هل
تمتدين أن الانسان يكذب هكذا فى ساعة موته ؟
أجلافين — أنا أرجوك ياسيلزيت ألا تفكرى
فى موتك ... عند ما أطلبك هكذا ، فأنا أزل لك
عن حياتى كلها ، وليس من الممكن أن يموت
الانسان ما دامت روح أخرى تنفس فى أنفاس
حياته . يا إلهى ... ماذا يبنى عمله لوقف روحك
عن الخروج ؟ لو أن الموت كان هنا لفهمت أنك
قد تكذبين ، ولكنه بعيد عنا ، وإن الحياة هى
التي تريد الحقيقة ، حقيقة حبك الجليل ، لأجل أن
تصيرى محبوبة أكثر مما كنت . لا تقولي : لا ؛

ينتظر حتى تكونى أكثر سعادة .

أجلافين — إذا فسيتنظر زمناً طويلاً ياسيلزيتى
المسكينة .

سيلزيت — استمعى إلى : إننى لجد مسرورة
من مجيئك إلى على الفور ، لأننى أحس أننى لن أبقى
متعلقة وقتاً طويلاً ، إذ لدى الآن شيء يحدث فى
عينى اضطراباً خفيفاً ، لكن ما سأقوله بعد قليل ،
أنا نفسى لا أعرفه ، لأن من يحضرون — كما
تعرفين جيداً — لهم أفكار غريبة . . . لقد رأيت
فى الماضى من يموتون ، والآن هذا دورى ، وعلى
ذلك ، فلا تلتفتى إلى ما سأقوله عما قريب ولا تعبى
به ألبة ، أما الآن فأنا أعرف ما أقول ، وهو وجده
الذى يجب عليك أن تتمسكى به . أنا أظن أنك
مراهبة يا أجلافين .

أجلافين — واحر قلباه ! إنها يقينيات
لا شكوك .

سيلزيت — أظنن أن . . .

أجلافين — نعم . . .

سيلزيت — أظنن أننى لم أسقط بارادى ؟
أجلافين — أنا متأكدة من ذلك ياسيلزيت
سيلزيت — يقال إن الانسان لا يستطيع
أن يكذب إذا حضره الموت ، ولأجل هذا أردت
أن أثبتك بالحقيقة .

أجلافين — أنا أعرف أنك تحبيننا الحب الذى
يشجعك على أن تقولي لنا الحقيقة .

سيلزيت — لقد هويت دون أن أريد ذلك ...
هل هو أنت الذى تنتحب هكذا يا ميلاندر ؟ .

أجلافين — استمعى إلى بدورك ياسيلزيت ،
أنت تعرفين أننا نعلم الحقيقة ، وإذا كنت أسألك فى

سيليزيت - لا لالام يقفد بي أحد^(١) ...
أجلافين - إن كلمة واحدة تكفى لإضاعة
الحياة، وإننى أسألك راحة أن تنطق بهذه الكلمة.
قولها لى بصوت منخفض إذا أردت أو أشيرى
بمينيك؛ وميلاندر نفسه لن يعرفها.

ميلاندر - إن أجلافين بحقة ياسيليزيت فانا
أطلب ذلك أيضاً.

سيليزيت - لقد هويت وأنا أحنى ...
أجلافين - لقد سألتنى كثيراً عما كنت
سأفله لو أئى فى موقفك

سيليزيت - لقد هويت وأنا أحنى
أجلافين - ألا تعرفين لماذا أنا أسأل هكذا؟

سيليزيت - أجلافين ! ...
أجلافين - سيليزيت ماذا حدث ؟ أنت
تتقين ! أتألمين أكثر من ذى قبل ؟

سيليزيت - لا، أنا تألم من قرط السرور ...
أوه كم أنت تتحب يا ميلاندر !
ميلاندر - سيليزيت ...

سيليزيت - لاتبك هكذا يا ميلاندرى المسكين،
إنما الآن فقط يتحاب الناس ولا داعى للدموع،
وسترى بعد قليل أننى سأبسم لك حيناً أصبح جثة
هامة، ولن تستطيعوا إذ ذاك أن تصدقوا أننى ميتة
مما تراه على وجهى من السعادة، وأنا لا أفهم
كيف أنى - مع صغر شأنى إلى هذا الحد -
أستطيع أن أجد فى قلبى فردوساً عظيماً إلى هذه
الدرجة؛ ولهذا أنا أخشى أحياناً أن أرتحل حاملة

(١) يقصد المؤلف بقذفها إياها من فوق البرج أنها هي
التي تسببت لها فى الانتحار.

لا تهزى رأسك، لأنك تعرفين أن الإنسان
لا يتخدد حيناً يتحدث بهذه اللهجة.

سيليزيت - ومع ذلك فأتت تتخددين يا أجلافين
أجلافين - إذاً، فسنظل نبكى وكل منا بينهما
وبين صاحبتهما بعد ألف مرحلة ما دمنا لا نتفاهم.

سيليزيت - ولماذا لا تصدقين الحقيقة ؟
أجلافين - لأنه لا توجد كلمة واحدة ولا فعل
واحد مما حولنا يؤيد عكس ما أذهب إليه ولو عند
أصغر طفل.

سيليزيت - وما هو ذلك الذي حولنا ؟
أجلافين - لماذا كنت ذاهبة لتودعى
جدتك ؟

سيليزيت - لكن أنا كنت أودعها فى كل
مرة أخرج فيها.

أجلافين - لماذا ... ولماذا كل شيء
ياسيليزيتي ؟ !. أليس من الشقاء أن يوجه الإنسان
مثل هذه الأسئلة عند ما يقفأ الموت السيون، لاسيا
وأئننى أعرف جيداً أن الحقيقة هنا تحت يدى وعلى
مقدار إصبعين من قلبى ؟.

سيليزيت - أنا كنت أظن أننى سعيدة،
ولكنك ستحزنينى إذا أرتبت فيما أقول. ماذا
ينبنى أن أحمل، لكى لا تشكى ؟.

أجلافين - لا توجد إلا الحقيقة ياسيليزيت.
سيليزيت - لكن أية حقيقة أنت تريد
إذاً يا أجلافين ؟.

أجلافين - إنما أنا التى قذفت بك من فوق
البرج دون أن أعرف.

أجلافين — ماذا يا سيليزيت ؟
 سيليزيت — لا شيء ! لا شيء ، هذا سيمر ،
 لقد كنت أظن أنني لن أقول الحقيقة
 أجلافين — أنا لن أطلبها بعد الآن يا سيليزيت
 سيليزيت — عندما أقول لك غير الحقيقة ،
 ضي يدك على فمي ، عذبي بذلك ، أنا أرجوك
 أجلافين — أنا أعذك بذلك يا سيليزيت
 سيليزيت ، إلى ميلياندر : إن لدى شيئاً أريد أن
 أقوله لها يا ميلياندر

(لم يكده ميلياندر يسمع هذا حتى يتمدد في
 سكون)

سيليزيت — إنه حزين ، إنه حزين ، ستقولين
 له ذلك يوماً في المستقبل حيناً يحمل النسيان محل
 التذكريات ... ضي يدك على شفتي يا أجلافين إنني
 أتألم فجأة

أجلافين — قولي لي ، قولي لي يا سيليزيت .
 سيليزيت — لقد نسيت كل ما كان ينبغي أن
 يقال ... لم يكن ذلك هو الحقيقة وإنما الكذب
 هو الذي كان يصعد إلى فمي ... ضي يدك في نفس
 الوقت على عيني يا أجلافين . ينبغي أن تغلقيهما
 كما فتحتهما .

أجلافين — سيليزيت ! ...
 سيليزيت في ضعف شديد : إنني ... إنني
 هويت وأنا أحمي ...
 (ثم ماتت)

أجلافين ، صارخة موهلة : ميلياندر ميلياندر ..
 ميلياندر ينكب منتجعاً فوق جثة سيليزيت
 صائحاً : سيليزيت ، سيليزيت !

محمد محمود

« انتهت »

مع جميع السعادة التي أحس بها دون أن أترك
 شيئاً لن سيقون بدى

ماذا ؟ أتبتكين أنت أيضاً يا أجلافين ؟
 أجلافين — إنجنينا السلام العميق يا سيليزيت
 سيليزيت — أنا أرد إليك السلام الذي منحتني
 إياه يا أجلافين
 أجلافين — أنت تستطيعين منحه ، ولكنك
 لا تفعلين

سيليزيت — إن ما لدى هو مع ذلك عظيم جداً
 أجلافين ، باكية : لو كان القدر نفسه ضدك
 لكان خاطئاً يا سيليزيت

سيليزيت ، هاذية بصوت متغير : جدتي كانت
 تقول لي : لماذا أنت ترينين ؟ لماذا ترينين يا طفلي ؟
 — إنني أرتحل بسبب المفتاح الذي وجدته يا جدتي
 أجلافين — سيليزيت !

سيليزيت ، مستفينة : إيسالين ماذا أنا
 قلت ؟ قولي لي : ماذا قلت ؟ ليس هذا حقاً ...
 لقد تكهنت بذلك ونهتاك إليه

أجلافين — لا شيء ، لا شيء ، أنت لم تقولي
 شيئاً ، لا تعذبي نفسك يا سيليزيت المسكينة
 سيليزيت — لقد نهتاك إلى أن كل ما يمكن
 أن أقوله عما قريب سوف لا يكون صحيحاً . ينبغي
 الصفع عني ، لأن روعي ضعفت . هل أنا تكلمت
 عن جدتي ؟

أجلافين — نعم
 سيليزيت — نعم أنا كنت أريد أن أقول لك :
 ينبغي أن نهضها دون أن تلمس ذراعها ... لقد كنت
 أريد أن أعلمك هذا ، ولكن الوقت لم يرد ، أوه
 إحدري يا أجلافين

لثقف فجأة مستغرقة في التفكير ثم تعود إلى معاملي
كأنني طفل تداعبه فلا تلبث حتى تفورق عينها
بالدموع فتجهد خيالها لتخترع كلمة أو حركة ملائمة
تملأ بها حالمها وتبتعد بعد ذلك عنى متحيزة مقدماً
للتسلل عليه لتفكيرها .

أفي العالم مشهد أجل من هذا المشهد ؟ وكنت
كلما التقيتا تحت ظلال الشجر أهتف بها قائلاً :
— إن الله نفسه ليس مما تثيرين بي من
حب لك .

وما كنت مع هذا لأتمكن من إخفاء ما تفعل
بي أشواقى وما أعانى من مغالبة شهواتي .

وكنت عندها ذات ليلة فقلت لها إنه بلغنى أننى
خسرت دعوى هامة لها شأنها في أعمالى
فقالت : أخبريني بمثل هذا وأنت ضاحك ؟
فقلت : لقد أعلن أحد شعراء الفرس أن من تحبه
حسنا لا ينال منه القدر .

فأطرقت ولم تجب ، وحاولت أن تظهر بمظهر
السرور أكثر من عادتها ذلك المساء ؛ وجلست
إلى عمتها ألب باليسر فكانت هي تداعبنى وتعمل على
نكايتي متقدمة ضروب ألماني ، وراحت ضدى حتى
خسرت كل ما كان مئى من المال .

وعند ما انسجت العجوز إلى غرفها خرجت
بريحية إلى الشرفة فلحقت بها ، وهنالك ثملنا
الصمت أمام ذلك الليل الرائع وقد جنح القمر إلى مغربه
ولمحت النجوم في قبته ، وقد اكفهرت آفاقه الزرقاء ،
وسكن النسيم عن الأشجار فالأح لها أملود ، فبقى
الجو يعطر الأزهار .

وكانت مسندة ذراعها إلى متكا الشرفة متطلعة
إلى السماء ، فأنجنت إلى جنبها أنقرس في ملاحعها
(٧)

من أعماق النفوس



استغراب في العصور

لأفريدى موسى

بقلم الأستاذ فليكس فمارس

الجزء الثالث

الفصل العاشر

لو أننى كنت صائفاً وأردت أن أقدم عقداً من
اللؤلؤ مما اكتنزت لما كان يبلغ سرورى أشده إلا إذا
أنا قلته بيدي للمهدى إليه ، ولو كنت أنا من يتقبل
الهدية لكنت أفضل الموت على أن أترعها انتراعاً
من مقدمها

ولكم رأيتم من الناس من يسارعون إلى وصال
من يمشقون من النساء ، أما أنا فكنت أسير على عكس
هذه الطريقة مدفوعاً إلى اختيارها بداعة لا تملاً
وقصداً فإن المرأة التي تحب قليلاً وتقاوم لم يبلغ
الحب منها مداء ، أما التي يتسلكها الهيام فإنها لا تقاوم
إلا لشعورها بعدم تكامل الحب في قلب مرادوها .
وازدادت ثقة بدمام يارسون بي وما كنت
أعهد بها مثل هذا الاستسلام من قبل أن تعترف
لي بحبها . وما كان ما أبدى لها من احترام إلا ليشير
فيها سروراً شديداً تظهر أماراته على وجهها الصبح
فكأنه زهرة تنور من أشعاش فؤادها ، وكانت
تذهب بعض الأحيان بسرورها إلى المرح الصاحب

روح الوجود، وأنت الشعلة المقدسة قضت الطبيعة
على نفسها إمدادها بالقوود في هيكल الله فلا يحبو
لها نور

أنت محور الوجود أيها الحب وبك قوام كل
موجود، وما تنفخ روح الفناء عليك إلا لتفني . إنني
لا أعجب أن يدنس اسمك من جهلوك إذ حسبوا
أنهم عابوك لأنهم فتحوا عيونهم على الحياة ، وأنت
عندما تمر بتابعين أخلصا لك تجمعهما بقبلة وتأمرو
أجفانهما بالانسداد على أحداقهما كيلا يبصرا
بالسعادة على هذه النبراء

ولكن أنت يا من تراك وأنت لنا ، أيها
السمات التراميات على الشفاء، أيها اللمسات الحائرة ،
أيها المناغة الأولى المترددة على شفة الحبيبة ، أعمرة
أنت من سلطان الله بأكثر من سائر ما في الوجود ؟
وهل أنت إلا ملاك يرف في مأوى عاشقين لينزع
النوم من أجفانهما فينتبها من السبات الذي ألقاه
الله عليهما ؟

أي بنات نشوة الهوى .. لكم أنتن عززات على
قلب أمكن . أنت أيها النجوى بين عاشقين تلمسين
أوائل الأسرار باللمسات المرتجفة متملصة على مهل
من عفافها وبالنظرات الجائفة ترسم على صفحات
القلب أوائل الخطوط الغامضة لصورة المحبوب
أيها الملكة العظمى القائمة على الفتح المبين ،
إن في أرجائك وتحت أعلامك ينشأ الماشقون
وأنت أيها التاج الذي يعصب رأس المحبين بالقبطة
والحبور فيلقون من تحته أول نظرة على الوجود
فينجلي لهم من خلال عاطفتهم الثائرة ؛ وأنت أيها
الخطوات الأولى يسير بها الماشق إلى قرب من
يهوى ، من يقدر على تناولك ببيان ؟ وأية كلمات

فجذبت عيناى إلى هدف عينها في العلاء ، وشعرنا
كلانا بنشوة من عبق الأزهار ونحن نشيع بأبصارنا
آخر ما أبقى القمر على الأفق من نوره الباهت وهو
يتوارى وراء كتل غاب الكستنا السوداء .

وتذكرت اليوم الذي شخصت فيه إلى هذا
الأفق الواسع الباهر حين قبض اليأس على مشاعري
 فلم أجد فيه غير الفراغ ، فارتعشت وأنا أراه الآن ولا
فراغ في أية ناحية فيه . وخيل إلى أنني أسمع نشيد
الحمد يرتفع من قلبي ، وأن غرامنا يتعالى مع هذا
النشيد إلى عرش الله .

وطوقت محبوبي بذراعى فأدارت وجهها نحوي
على مهل وقد انهمرت من عينها الدموع فالتوى
خصرها وارتجت بشفيتها النورتين على فمي وتوارى
أماننا الوجود ...

الفصل الحادى عشر

من له أن يصف ما في صمتك من معان أيها
الملاك الناصر جناحين أبداً على ليالى اللذات . أيها
القبلة تساقى الشفاء بها الرضاب السكر كأساً تندفق
على كأس ، لأنت خالدة كبداً الوجود

يا لنشوة الغرام ، وأنت حافظة كل كائن وصلة
جميع الكائنات ؛ بأى بيان تناولك من تجشموا وصفك ؟
لقد دعوك عاطفة زائلة وأنت الدائمة البدعة ، فقالوا
إنك الناعة خاطفة أثارت وشيكا أيامهم الدارات .
قالوا إنك كلمة أقصر من لفظة الحياة على شفاء اللذتين ،
بل هتفة حيوان يهزه الشبق ويعجب بقصر بقاءه
ناظراً إلى شعاع المصباح الأبدى نظرة إلى شرارة
تنفخ من حصاة

لا عجب إذا دنس الناس اسمك أيها الحب وأنت

وبدأت تعرض علي ما بدلت من زى شعرها
 مجارة لنوقي ، وتشير إلى إطار أسود ترتعته عن
 الجدار لأنني رأيتها قائما حزنا ، وإلى ما وصلت من
 الأزهار في جوانب الغرفة؛ وأخذت تسرد علي ما فعلت
 إذ كانت تشهد عذابي مؤكدة لي أنها أرادت حرارا
 مبارحة البلاد هربا من غرامها ، ولجأت إلى كل حيلة
 تقيا مني ، واستشارت عمتها وركاسون والكاهن ،
 وأنها كانت حلفت أن تموت ولا تستسلم ، وعادت
 تذكر من كلتي ولقتاتي ما جعل كل هذا الحذر هباء .
 وكانت ترفق كل قسم من اعترافها بقلة تلقها علي
 وجهي . وكنت أبديت استحساني لبعض ما في غرقها
 من التحف فأصرت علي إعطائي إياها لأضمها علي
 رف غرقي ، وطلبت مني أن أضع لها منها جاك تسير
 عليه في حياتها اليومية لأن ما بينهما في الحياة إنما هو
 رضى فلا تعبا بأقوال الناس ؛ وصرحت لي بأنها إذا
 كانت فيما مضى تملكت بالقييل والقال ، فما كان ذلك
 إلا بقصد إيمادي عنها ؛ أما الآن فهي تقيم أذنيها
 عن كل صخب ولا تسمع إلا لهاتف قلبها يجذبها
 إلى التمتع بالسعادة ، إذ أنها بلغت الثلاثين وما يتسخ العمر
 لها مجالا طويلا للتعمق بحيي لها . كانت تقول هذيان
 تسألني : هل ستحيي طويلا ؟ أصادقة هذه الكلمات
 العذبة التي أسكرتني بها ؟
 وتمود عاتبة علي لتأخرى في الحضور إليها ،
 وتنتقد المطر الذي يفوح مني فقرأ حيناً قويا وآونة
 ضعيفا ؛ ثم تقول إنها ألقت الخلفين عن رجلها لأرى
 أن يياضها يياضى يياض يديها ؛ ثم تستدرك قائلة
 إنها ليست جميلة وتتمنى لو أن لها أضعاف هذا الجمال ،
 وقد كانت علي مثل ما تمنى وهي في الخامسة عشرة
 من سننها

بشرية تصل إلى تصور أضعف لساتك ؟
 إن من خرج في صبيحة بليلة بغض إهابه من
 باب سرى تدفع مزلاجه يد محبوبه ، فثنى بخطواته
 الحائرة إلى حيث لا يدري فاجتاز مجتمع الناس
 ولم يسمع صوت صديق يناديه واتجه إلى مكان منعزل
 ضاحكا باكيا دون أن يعلم ما يضحكه وما يبكيه
 ومسح وجهه بكفه مستنشقا آثار ما عبق عليه من
 عبير ؛ ونسي فجأة جميع ما أتاه على الأرض إلى ذلك
 الحين ، إن من وجه خطابه إلى الأشجار الناعمة على
 جانب طريقه وما يرفرف عليها من أطيوار ثم رأى
 نفسه بين الناس مضيقا رشده في جواره فجثا شاكرا
 ربه علي ما أنعم عليه ، لما شق له أن يموت غير متذمر
 من القضاء لأنه امتلك المرأة التي يحبها

الجزء الرابع

الفصل الأول

على أن أقص الآن ما آل إليه غرامي وما طرأ
 علي نفسي من تغيير وأنا عاجز عن تمليله ، ولكنها
 الحقيقة آليت ألا أكتبها

وما كان مضى علي استسلام مدام ييارسون لي
 أكثر من يومين ، وكنت خرجت من الحمام في
 الساعة الحادية عشرة ليلا وسرت أجتاز المتزهد قاصدا
 بيتها وقد استولى علي المرح حتى جعلني أقفز علي
 الطريق قفزاً ويدي ممدودتان نحو السماء

ووجدت بريجيت واقفة علي قمة السلم مسندة
 ذراعيها إلى عارضته وأمامها شمعة تنقد وقد كانت في
 انتظاري ، فما لمحتني حتى سارعت إلى لقاءى ، وما
 مضت لحظة حتى كنتا في غرقها وقد أوصدنا الباب علينا

إلى الأنعام فأمرهم راحتي على جيبتي كأنى أحاول طرد ما يخيم على عيني من ضباب، فكنت أغرب الأرض بقدى وأهز كتفى كأننى أوقع على ما يساورنى من جنون. وجلست أخيراً على وسادة على الأرض فهرعت برميحيت إلى وأنا أنزع تفكيرى فيما يجتاحه من لبدات الظنون فقلت لها :

— الحق أنك ماهرة فى الكذب . أأنت واضعة هذه الأنعام ؟ أيجل هذه السهولة تكذبن ؟ فنظرت إلى باستتراب متسائلة عما يدور فى خلدى وهى لاتصدق أن فى من الجنون ما يدفع به تقريبا على مثل هذا المجون البريء . وكانت تعلم تفاهة السبب فى كدرى فزاد هذا الكدر أهمية فى تقديرها . ولأجل لها أنى أردت مقابلة مجونها بمثلها ، ولكنها رأت على جيبتي من الشحوب مامنهما من الأخذ بهذا الاقتراض فانفجرت شفتاها وانحنت فوق وقد خانتها القوى فقالت :

— يا لله ! أهذا ممكن ؟

لقد تبسم أبها القارىء وأنت تطالع هذه الصفحة ولكننى أنا كاتبها لا أزال أرتش منها حتى الآن .

إن للصائب ما للأمراض من أعراض تدل عليها ، ولا شئ أشد خطراً فى البحر من نقطة سوداء تلوح على أفق .

ولما طلع الفجر وضمت برميحيت فى وسط الغرفة خواناً صغيراً أعدت عليه طعام العشاء أو بالحرى فطور الصباح ، لأن المسافرين كانت بدأت بالزقزقة فى الحديقة وأسراب النحل بدأت بالطنين . وما كنت أرفع الكأس إلى فى قبل أن ترطب مرشقه بشفتها

وكانت تسكلم وهى تحظر فى الترفة يطير بها المرح ويشعل خديها الفرام فكأنها لم تكن تعلم ما يجب أن تقول وأن تفعل لتهب روحها وجسدها وكل ما لها

وكنت مستقيماً على المقعد أستمع إلى أقوالها فأشعر عند كل عبارة من عباراتها أن ساعة سوداء من ساعات حياتى الماضية تنفصل عني ، فكنت أطلع إلى كوكب السعادة يطل من الأفق على وكأننى شجرة جرى فى أعراقها نبع الحياة فى تنفس أوراها الجافة لتكسى خضرة جديدة

وجلست إلى البيانو وقالت إنها ستمزف مقطوعة « ستراويلا » وكنت ولا أزال أحب الموسيقى الخالصة ، وكانت أستمعنى هذه القطعة من قبل فهزت أوتار قلبى

وبعد أن أتمت عزفها التفتت إلى وقالت : إن هذه القطعة من تأليى أنا

— أأنت واضعة هذه الأنعام ؟

— أجل وكنت أوهمتك أنها من موضوعات « ستراويلا » لأعلم رأيك فيها ، وما تبودت أن أوقع على البيانو الأنعام التى أتوصل أحياناً إلى تأليفها ، وقد أردت هذه المرة أن أعرف مبلغ نجاحى ، وقد جاء انخداعك مؤيداً حسن ظنى

يا للإنسان وما فيه من غرائب !

إن هذه الحيلة البريئة التى تحظر لولد يريد مفاجأة معلمه نشرت أمام عيني غماماً ؛ ولحظت هي أن سحنتى تغيرت فسألتنى فأخفيت عنها ما به وزجرتها أن تكرر العزف وبدأت أخطر ذهاباً وإياباً فى الترفة وأنا أستمع

لا تقرأ هذا . فزمت الكتاب إلى الخوان قائلا :
لك الحق . فإ كنت أعلم ما أفعل ، فقالت — وقد
لاحظت امتعاضي — أتواجه هذا أيضا كأنه جد ؟
خذ الكتاب فاني أريد أن تقرأ . فقلت : لنضرب
صفحا عن هذا فما عساني أجد مما يثير اهتمامي في هذا
الكتاب ؟ إن أسرارك تنميك أنت يا عزيزتي .

وبقي الكتاب على الخوان ؛ غير أن عيني كانتا
منصبتين عليه . وسمعت نجاة صوتا يهمس في أذني ؛
ولاح لي أنني أرى وجه ديجنه في قساوته وعلى
شفتيه ابتسامته المتجعدة في صميمها .

قساءت عما أتى بفعل ديجنه هنا ، كأنني رأيته
متصباً أمامي حقيقة لا خيالا . وقد ظهر لي كما
رأيت ذات ليلة وقد انحنى جبينه أمام شعاع مصباحي
واندفع يلقى بصوته الأجش دستور العاشقين

و كنت لأزال معلقاً أبساري على الكتاب وقد
ترددت على حافظتي بعض كلمات مهمة لا أذكر أين
سمعتها ، فقبضت على فؤادي وشعرت أن روح الشك
الحائمة حول رأسي قد قطرت سمها الزعاف في غروقي
وتصاعدت أنجرة هذا البسم إلى دماغي فأورثني دوار
السكر القاتل .

أي سر تخفيه بريجيت عني ؟ وكنت أعلم أن
ليس علي إلا أن أمد يدي لأفتح الكتاب ، ولكنني
ما كنت أعرف أين يجب أن أفتح لأصادف الصفحة
التي وقمت أنظاري عليها .

وقد كنت فضلا عن ذلك أرى كبريائي تحول
دون رجوعي إلى فتح الكتاب . ولكن هل
الكبرياء وحدها كانت السبب في امتناعي عن
اقتحامه ؟

واخترق نور الضحي الستائر الموقوفة فاستقر على
ماني وجهها من بهاء ، وما على جفونها من استرخاء ،
وشعرت بالناس فألقت رأسها على كتفي تقبل عني
متمتعة بكلمات هيانها .

وغلبت على شكوكي أمام هذا الاستسلام
فحسبتي تخلصت من أشباحها المزعجة فطلبت المفو
عن لحظة نأر فيها جنوني قائلاً بكل إخلاص :
يؤلني أن أكون وجهك إليك التقرع فقد ظلمتك
من أجل مزاح بريء ؛ غير أنني أطلب إليك إذا
كنت تحبيني ألا تكذبي علي حتى في أنفه الأمور
فلا شيء أظفح لدى من الكذب وما لي طاقة
باحتاله .

وانطرحت على سريرها تطلب الوسن فأردت
البقاء إلى جنبها إلى أن تنام ، ورأيت جفنيها يندسلان
على جمال عينيها ، ولأحت ابتسامه المهجوع على
شفتيها فأخفيت ملقياً على وجهها قبلة الوداع ؛
وخرجت مراتع القلب أعلى النفس بالتمتع يسعادتي
دون أن أعكر صفوها .

وفي اليوم الثاني قالت لي بريجيت دون أن
تقصد : إن لدى كتاباً أدون فيه مذكراتي وما
يعن لي من خواطر ، وسأعطيك هذا الكتاب
لتقرأ فيه ما كتبت في الأيام الأولى التي تعرفت
فيها إليك .

وقرأنا سوياً ما يتعلق بي وأضفنا إليه ما عني لنا
من ساهجات ، وأخذت بعد ذلك أقبل الصفحات
بمركبة آلية فاذا بنظري يقع على عبارة كتبت بأحرف
كبيرة فقرأت بعض كلمات ليس فيها ما يسترعي
الاهتمام حتى إذا تجاوزتها استوقفتني بريجيت قائلة :

أربعيني الهدف الذي رأيته يدفعني إليه
فكأنني وجدت نفسي فجأة تجاه ما كنت
أحسبه قد تواري في من أوجاع حملتها، ومن ذكرى
مخادعات شهدتها، ومن دواء كان أقطع من العلة في
نتائجها، ومن أقوال رددتها الأصحاب على مسامعي، ومن
انطباعات ألقتها على المجتمع الذي مررت بفجائعه،
ومن مفاسد أدركتها استنتاجا بنافذ بصيرتي، وأخيراً
تجاه الفحشاء واحتقار الحب والافراط في كل شيء.
وهكذا بينما كنت أوئل الرجوع إلى الأمل والحياة
هبت من نفسي هذه القوى الكامنة نائرة تقبض
على عتقي لتصيح بي قائلة: أنا لم أزل هنا

ومددت يدي ففتحت الكتاب ثم طويته
ورميت به إلى الخوان. وكانت بريجيت شاحصة إلي
وليس في لحاظها ما يدل على عزة جريحة أو بادرة غضب،
بل كان بها ما يرمي عن اضطراب أم تنظر إلى طفل
مريض؟ وقالت وهي تطوفني بذراعتها: أحسب
أن لدى أسراراً؟ قلت: لا، إنني لا أظن شيئاً
وليس بي إلا اعتقاد واحد وهو أنك جميلة وأنني
أود أن أموت وأنا غارق في بحار حبك

وعدت إلى مسكني. ولما جلست لأتناول طعامي
قلت لخادتي لاريف: من هي مدام يارسون؟

فالتفت إلي والدعش باد على عيائه، قلت: إنك
في هذه البلاد منذ سنوات عديدة، ولا ريب في أنك
تعرفها أكثر مني. فإذا يقول أهل القرية عنها ياترى؟
وماذا كانت حياتها قبل أن عرقها؟ ومن هم الأشخاص
الذين ترددوا عليها؟ فقال لاريف: والله يامسيدة إنني
ما رأيتهما يوماً تفعل إلا ما تفعله في هذه الأيام، فهي
تذهب إلى الزهرة في الوادي، وتلعب بالورق مع عمتها

واجتاحني حزن شديد ففتفت في نفسي قائلاً:
هل الماضي هو طيف يمت من الفناء؟ فيا لله
لشقوتي! هل سأقف عاجزاً عن الشعور بالحب فيأبداً؟
واجتاز خاطري فجأة جميع ما كنت رددته من
أمثال احتقار النساء والهزؤ بهن أيام كنت ضارباً
في بيداء الفحشاء. ومن الغرائب انني في ذلك الزمن
كنت أردد هذه المأثورات مباهيماً بها دون أن
أعتقد بصحتها. فأصبحت الآن أعتقد أنها تصور
حقيقة ما يقع الآن أو على الأقل ما يقع فيما مضى
وكانت مضت أربعة أشهر على تعرفي بمدام
يارسون دون أن أعرف شيئاً عن حياتها الماضية
ودون أن أسألها شيئاً عنها. فكنت مستسلماً لحبا
بشفة عمية فأجد لذة في تمنني بالصمت تجاهها وتجاه
كل من يتعلق بها. وما كان في طبعي أن
تساورها الشكوك وتحكمها التبره، لذلك كنت
أشد استغراباً من بريجيت لما تجلبي في من غيرة
وشكوك. وما كنت يوماً في سابق غرامي أو
معاملي للناس رجل محاذرة وسواس، بل كنت
مقدماً أذهب في طريق صريحاً لا أحاذر شيئاً ولا
أظن السوء في شيء، ولولا أنني رأيت بعيني حياة
عشيقتي لما كان خطر يبالى أنها تخدعني. وقد كان
ديجنه وهو يلقي على مواعظه يضحك من سذاجتي
ويراني أسهل الناس انخداعاً؛ وما كانت وقائع حياتي
كلها إلا دليلاً على سلامة طويتي وبمدى عن كل
وسواس. لذلك شعرت وأنا أأحدج كتاب مذكرات
بريجيت بعين الارتباب أن شخصية غريبة مثلت
في ذاتي، وأن تفكيري يتمرد على هذا الحافظ وقد

فرايته يتقدم نحوى قائلا :

لقد أظهرت نحوى ذلك اليوم من الغضب مالا
يمكن لثلي أن يذكره جاقداً . فانا أقدم إليك الآن -
اعتذارى لأضطرارى إلى القيام بمهمة مكبرة فكننت
مشوشا في الأمر على غير مناسبة .

فأجيبته متلفظاً ظاناً أنه سيذهب عني ولكنه
تابع مسيره إلى جنبي :

فبدأت أردد في ذهني اسم دالانس قائلا في
نفسى إن لا ريف لم يقل لي عنه إلا ما يمكن لخادم
أن يسرد تقلا عن خدمة أو عن مزارعين ، وأنا أريد
شاهداً يكون رأى هذا الرجل عند مدام يارسون .
وتحكت هذه الفكرة في دماغى فقررت أن أفأخ بها
ماركاسون .

« يتبع » فليكس فارس

وتقوم بأعمال البر نخسنة إلى الفقراء . ويدعوها
القرويون بريحيث الوردية ، وما سمعت قط كلمة سوء
عنها ؛ فكل ما يقال أنها تتجول في المزارع وحدها
نهاراً وليلاً لغاية حميدة ، فهي رسول العناية في هذه
البلاد . أما ماشرورها فهما الكاهن والسيو دالانس
وذلك أثناء العطلة

— ومن هو دالانس هذا ؟

— هو صاحب القصر القائم وراء الجبل وهو

لا يزور هذه الأرجاء إلا للصيد

— أهو شاب ؟

— نعم ياسيدى

— أيبته وبين مدام يارسون صلة قرابة ؟

— لا بل كان صديقاً لزوجها

— أمتد زمن طويل مات زوجها ؟

— في عيد جميع القديسين يكون قد مر خمس

سنوات على وفاته ، وقد كان رجلاً طيب الخلال

— وهل سمعت أن السيو دالانس يتجيب إليها ؟

— والله ياسيدى ... قال هذا وسكت متردداً

— تكلم

— قال الناس هذا وما قالوه ... أما أنا فإنا

رأيت شيئاً

— قلت لي أولاً إن أحداً في القرية لم يقل

شيئاً عن مدام يارسون

— لم يقل أحد شيئاً ، وكنت أعتقد أن سيدى

عارف بالأمر

— وأخيراً هل تكلم أحد عن هذا ؟

— أجل ، أظن أن الناس تكلموا

نهضت عن المائدة وسرت إلى المتبزه فوجدت

ماركاسون هناك وحسبت أنه سيتحاشى ملاقاتى

تاريخ الأدب العربي

للمؤلف أحمد حسن الزيات

الطبعة السادسة

في حوالى ٥٥٠ صفحة من القطع المتوسط

يعرض تاريخ الأدب العربي منذ نشأته إلى اليوم

في صورة قوية تحليلية رائعة

تمه عشرون قرشاً ويطلب من إدارة الرسالة

ومن لجنة التأليف ومن سائر المكاتب

له الكاهن الطيبي تميزاس عن الصاعب التي لا بد من
تجسسها قبل أن يصل إلى بلاده — وقد عرف له
الكاهن ثم أتى أمه وكلها فأخبرته عما صنع عشاق
زوجها بلوب بقصره وما كان من ولده تلك — ثم
كلم أشياح طائفة كبيرة من غدارى اليونان وأبطال
الحرب الطروادية أمثال أخيل وأجاكس وأجاممنون
— وعاد أدراجهم إلى جزيرة سيرس — وهو هنا
يتم قصته »



الأوديسيوس

لهرميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

مقدمة قصة أوديسيوس

« لما وضعت حرب طروادة أفلح أوديسيوس
— بطل الأوديسة — بفننه قبل أن يندم الفرارين
للآلة فقضت عليه أن يشق طريقاً في عرض البحر
— وقد أغار في طريقه على مدينة إزمابروس ولكن
أهلها كروا عليه فأخرجوه ورجاله من مدينتهم — ثم
مر بأرض اللوتوفايي وهم قوم يأكلون اللوتس العجيب
الذي ينسى أكله كل ماضيه ولا يقبل حين يأكله أن
يعود إلى وطنه — وقد أكل بعض رجاله من هذا
الثمر ولم يرضوا مفارقة الجزيرة حتى ذهب إليهم وأعادهم
إلى سفنه بالقوة — ثم أرسوا على جزيرة السكالة، وهم
مخلوقات عجيبية وكسرتهم عين واحدة، وقد حبسهم
أحدما في كهفه وراح يتألم طائفة بعد طائفة حتى دبر
أوديسيوس حيلة سمل بها عينه وفر بغير رجاله من وجهه
— وأرسوا بعد ذلك بجزيرة عروس البحر سيرس التي
سحرت بعض رجاله فأصبحوا خنازير إلا واحداً فر
ليخبر أوديسيوس الذي أتى هزم من رسول البهاء فتصعبه
وزوده بعشبة لا يسحر حاملها يسحر ساحر — وقد
استطاع أوديسيوس فهر سيرس فأعادته رجاله إلى صورهم
وتزلوا في ضيافتها جيماً بعد أن أقسمت أغلظ الأقسام
ألا تلتق بهم أذى — وقد نصبت لأوديسيوس أن
ينهب في رحلة إلى الدار الآخرة — هيذر — ليرى

أوديسيوس يتم قصته

١ — السرينات المخنيات

٢ — سكيللا الهولة

« والآن، وقد احتملنا الباب ذو الشَّجَج
وذرعنا اليم للترامي، وعثمتا فنرب في موج كالجبال،
فقد وصلنا بعد لأى إلى جزيرة إيايا المرجانية حيث
ترج أورورا ابنة الفجر الوردية وتلب، وحيث
مطلع الشمس وراء البحر المضطرب... وألقينا
مراسينا، وتلبثنا فوق رمال الشاطئ قرب انبلاج
الفجر، حتى إذا لاحت تابشيرها أرسلت طائفة من
رجالى إلى قصر سيرس فأحضروا جثان إليثود
(الذى خر من السطح فشق عنقه)، ثم إننا بكينا
عليه أحر البكاء، وجمنا له من الحطب والغشب
ماوسعنا، وطرحناه وسط الكومة التي صنعناها
من هذا الوقود، وطرحناه معه سلاحه، وأقننا إلى
جانبه مجدافه العظيم؛ ثم أدبنا له الشمار الخنثيرة
التي أرويناها بأزكى دموعنا، وأشعلنا النيران بعد
إذ أقننا له نُصباً جليلاً، تحية وذكرى. ولم تعلم
بعودتنا سيرس؛ نيد أمها مع ذاك أقبلت في ركب
من وصيفاتها الحسان الأتراب يتهادين بحونا،
حاملات دنائنا من أكرم الخمر... ووقت لينتنا
المروس الهيفاء، ثم قالت: « ويحك أيها الأشقياء

يخطر السيرينات بين شجر البوق متهاديات
فوق السندس الحلو الجميل ... فأوصيك أن تفرغ
في أذان رجالك من سائل الشع قبل أن تبلغ
أرضهم ، فاهم بذلك لا يسمعون شديون ولا
يسحرون بفنائهم . أما أنت ، فلك أن تنصت إلى
ذاك القناء إن شئت ؛ بيد أنه ينبغي أن يشد رجالك
وثاقك في قلع سفينةك شداً قوياً محكاً ، فيربطون
ذراعيك وساقيك بأمراس وأجبال ، حتى لا يسبيك
ما يُشفن أذنيك من غناء وشدة فلا ترضى إلا أن
تتوى بأرض السيرينات ؛ فإذا اشتد بك الوجد
من سحر ماتسم وطلبت إلى رجالك أن يخلوا عنك
لزم أن يزيدوا في رباطك ويحكموا وثاقك أضما
ما فعلوا بك من قبل ... فإذا جُزئتم تلك الجزيرة
وغابت مناظرها عن أبصاركم ، فلرجالكم أن يطلقوا
سراحك ... على أنني لا أدري أى السبل ينبغي أن
تسلكوا بعد هذا ، فهناك طريقان أحلاهما مر ،
وأيسرهما غناء وضر ، وإلى واصفة لك بكلهما ،
وأدع لك كالك أن يختار لك ... إنكم بالغون في
سبيلكم إلى صخور هائلة نائمة في البحر ، يتكسر
فوقها أواذيه ، وترطم بجلايدها أمواجه ، وتذافه
على أحياها أمفثريت (زوجة نبتون) الجبار .
وقد أطلق الآلهة على هذه الصخور اسم (إراتيك)
وهي قلال موحشة لا يستطيع مخلوق أن
يقرب منها ، ولا يجسر الطير أن يهبط فيها ، بل
طير أيتنا جوف نفسه الذي يحمل إليه غذاءه
الإلهي للقدس ، لم يجازف مرة فخط فيها يستجم
من سفر ، لا يعلم من أنها مهلكة زلقة . ولم
ترسُ عندها سفينة قط إلا ارتطمت فوق تنوئها
وهوت إلى القاع عن حلت ، أو ابتلعها المواقف

كيف حلاً لكم أن تموتوا مرتين بينما يموت جميع
الناس مرة واحدة ؟ ولكن تماؤوا ، هلموا إلى
طعامكم ، وتحسسوا من هذه الحجر لتقضوا يومكم
فوق رمال هذا الشاطئ في شراب وآكال ، فإنكم
ضاربون في ظلمات ذاك البحر فجسر غد . وإني
منتبشكم عما يروكم في طريقكم عسى ألا تنفل بكم .
وياما أكثر ما تتجشمون من أهوال في البر والبحر
وليبنا دعوة الربة المضياف ، فأقبلنا على طعام شهى وشراب
رؤى طيبة يومنا ، حتى إذا توارت ذكاه بالحجاب ،
وشعلنا ظلام الليل ، تطرح رجالك فوق الرمال الناعمة ،
ثم اتجيت أنا وسيرس ناحية ، وجلست قبالتها ،
وراحت هي تحمديني وتقول : « أما وقد أوشكت
متاعبك أن تنتهي ، فاصغ إلى ؛ إققه ما أقوله لك
وتدبره ، فهو وحى يوحى إليك من السماء ينفك
إذا جد بك الجد ، وأزفت حولك الآزفة ... ستصل
أول ما تصل في رحلتك عبر هذا البحر إلى جزيرة
السيرينات الشاديات اللاني يسحرون بفنائهم
القلوب ، ويخلبن بجرسهن الأبواب ، ويطنين^(١) كل
من أوصله سوء حظله إلى جزيرتهن بحلو تطربهن
وجيل شديون حتى يلبصق بأرضهن وينسى آله
وأوطانه ، ولا يخطر في باله أن يعود إلى بلاده لينها
ب لقاء زوجة الحبيسة وأولاده الأعزاء ، بل يجمد
مكانه من الشاطئ حيث يكون بمسمع من السيرينات
وتكون عن يمينه وشماله رفات الضحايا الكثيرين
الذين عرجوا من قبل ليشنفوا آذانهم بفناء أولئك
العداري فجددوا مثله ، وذهلوا عن أنفسهم حتى
ذووا ، وذبلوا وضووا ، وحاق بهم الغناء بينما

فهى تنقض كالصاعقة على السفينة العابرة ، وتلتقم بأفواهها الستة الجاثمة ستة من بحارتها مرة واحدة تقضمهم قضا . . . وتلقاه هذه الهضبة ، هضبة أخرى على مرمى سهم يا أوديسيوس ، وقد كتمت فوقها تينة برة كبيرة ذات أفنان وعساليح حائيات فوق الماء ، وتحته عين خاريديس الحثة التي يفيض فيها ماء البحر كله ثم تعود فتنبجه ثلاث مرات في اليوم . ويك أوديسيوس ! خذوا حذركم ! فوالله إنكم إن ذنوتهم منها فإنها تبتلعكم ، ولا يستطيع نبتيون نفسه بعد ذلك أن ينجيكم . وإني أرى أن تدنوا من الصخرة الأولى فتلتقم سكيلا ستة منكم ، فهو خير لكم من أن تفرقوا جميعاً » وسكت سيرس ، وقلت أسألكم : « بحق الآلهة عليك يارية أن تُجَبِّرَ : أما أستطيع أن أقذف رجلى الساكنين من سكيلا إذا نجونا من خاريديس ؟ » فقالت تيجيني : « أيها التمس ، أما تفتأ نحن إلى مجازفات الحرب وخوض غمار الوغى ؟ إنه لا سلطان للآلهة نفسها على سكيلا ، وهى ليست مخلوقاً مما يجوز عليه الفناء ، بل هى قول سرمدى شديد المراس ، شكس شديد الشرسة ، لا ينال أحداً إلا غلبه ؛ فأطلق سفينتك للريح ، وله منها بالفراق . وإياك أن تفكر فى التسليح لها ، ففي لا بد ملتزمة ستة من رجالكم إذا حاولت مدافعتها فإنك منهم ! فإذا بعدت فاضرع إلى كرافيس ، أم هذه الهولة التى هى إلى الأبد طاعون للبشر ، أن ترد كيد ابنتها عنكم فلا تنبكم فى سبيلكم ولا تلتقم منكم أكثر مما خلت . . . وإنكم بالنون (تريناشيا) بعد هذا حيث ترى الربتان الحسناتان : لبتيا وفيتوزا ابنتا هيريون من عروس الماء نيرا ،

الموج فغابت حيث لا يدري أحد . ولا يعرف أحد سفينة جازت مهالك هذه الصخور إلا السفينة (أرجو) التى حاطتها جونو^(١) برعايتها رحمة بجاسون وحناناً من لندن سيدة الأوب ، حين أقلمت من جزيرة إيايا ؛ وقوام تلك الصخور هضبتان شاغتان شاهقتان ، تمثل إحداها صنما هولةً صنخا يضرب فى السماء بروقه وتراكم فوقه منذ الأزل ثقال السحاب التى لا يذيبها خريف ولا صيف ، لأن الشمس لم تنشر عليها أشعتها قط . . ولو أن أحداً من المائين له عشرون يداً وعشرون رجلاً ما استطاع أن يرق عليها أبداً ، لأنها ملساء ناعمة كأنها صقلها يدا مثال صناع . . . وإن فى سندهِ الربى لكهفاً سحيقاً قعره بآسم إربوس^(٢) ، وإني لأحذرك أن تقترب منه حين تجوز به يا أوديسيوس ، بل كن بنجوة منه ، بعيداً بقدر ما تستطيع ، أو على الأقل على مرمى سهم مرش من سفينتك إلى وصيد ؛ ذلك لأنه مأوى سكيلا الخفية التى تدوى بصوتها وعواها ، ويفرق الناس والآلهة من وجهها المكلم القبيح ؛ وحسبك أن تعلم أن لها اثنتي عشرة قدماً كلها أمامية ، وأن لها ستة أعناق طوال ينتهي كل منها برأس كبير فظيع ، سلع بثلاثة صفوف من أنياب حديد أصلاً ثابت ، وحشوها سم زعاف . وهى تربض فى غور كهفها السحيق ، بينا أرونها بارزة من فوهة الكهف تبحث فى الماء عن الدلافن وكلاب البحر ودواب الماء وجميع حيوان مملكة امفريت . . . وليس يجسر بحار أن يفرح بأنه نجا مرة من شرها

(١) هى حيرا زوج زيوس كبير الآلهة .

(٢) إله الظلام الذى تروج من أمه (ليله)

إن أردتم أن تكون بنجوة من الهلك في تلك الأرض الملعونة) . وهكذا نهت غافلهم بتحذيري . ثم إننا انطلقنا في اليم ، وأخذنا نقرب من بحيرة السيرينات ، وعرفت ذلك لما هدأت الريح فجأة ، ونام الموج ، وخفت أنفاس الطبيعة ، وشمل الركود كل شيء حولنا ، كأنما بسخت يد مقبسة علوية كل هذا الوجود الرب . ونشط الملاحون إلى مجاذيفهم فالتفتحتهم بسات الماء ، ثم نشطت أنا إلى قذرم الشمع فمالجته بسكين ، ثم قومته براحتي وتركته كي يلين قليلا في أشعة الشمس ، ثم جعلت منه في آذان رجال واحدًا فواحدًا . . . وامتسلت لهم بعد هذا فشدوا وثاق في شراع السفينة شدًا محكمًا ، وجلس كل إلى مجدافه ، وانسربت الفلك في الماء تشقه وتجرجر فيه . . . وصرنا على مدى ما يبلغ الصوت من الجزيرة إلى آذاننا فأصغيت وأصغيت ، وإذا السيرينات الشاديات يتغنين هكذا : « أودسيوس أيها الزعيم ! يا من لهج بذكره كل لسان »

« ألق في جزيرتنا مراسيك يا نخر اليونان »
« تلبث عندنا أيها العزيز وشفن أذيتك »
« يا غائتنا »

« فإ من أحد جاز بجزيرتنا حتى عرج يتزود من هذا النماء »

« ثم يقلع أسعد ما يكون ، وأظن ما يكون »
« ذلك ونحن نعلم من أبناء ما أصابك كل شيء »
« ما خضت من معمان طروادة ، وما أصابتك الآلهة من مصيبة ، وما لقي قومك في كل مكان »

قطمان أيهما السبعة التي يشمل كل منها تخسين شاة ذوات صوف ناصع كالثلج . . . وكل هذه الشاة يرعى ثمة باسم رب الشمس العظيم . فإذا كنتم حقًا تشوقون لبلادكم ، وتتحرقون شوقًا إليها ، فاحذروا أن تصيبوا تلك القطمان بسوء ، فإنكم إن فعلتم غرقت بكم سفينتكم وذهب رجالكم أبديد . أما أنت ، فتتجو بعد لأى وبعد نضال وأهوال ، فتصل إلى بلادك ملومًا محسورًا ! »

وتنفس الصبح الندى فذهبت تبتخر وتجور أذيلها إلى قصرها النيف ، وذهبت أنا إلى الشاطئ فأيقظت رجال وأمرتهم فجروا السفينة حتى استوت في الماء ، ورفعت مراسيها ، ثم جلس كل إلى مقعده ، وأعملوا أيديهم في مجاذيفهم فتدافعت الفلك في البحر ، وما هي إلا لحظة حتى أرسلت سيرس ، الربة المقدسة ، نسيًا رخاء كان خير رفيق لنا ، إذ كفانا غناء التجديف ، فتطرحنا في المركب ، واشتدت الريح في غير عصف فأسرعت بنا ديرًا . . . ثم كلفت رجال وفي قلبي وجيب فقلت : « أيها الأصدقاء تعالوا أحدثكم عما تنبأت به سيرس لنا في رحلتنا هذه ، فانه سيان إن أفلتنا من العذاب أو تردتنا فيه ؟ بل أردت أن أطلعكم على ما خباؤه المقادير لنا لتأخذوا حذركم ، وتبرموا أمركم ، ويكون كل على نفسه وكيلا . لقد حذرني أن يستمع أحدكم إلى غناء السيرينات الشاديات وحلو نظريهن ، وأجازت لي وحدي أن أصغى إليهن ؛ بيد أنها أوصيتني أن أخبركم أن تشدوا وثاق بامتئ الأمراس في سارية السفينة فلا تطلقوا سراحى حتى تبعد عن جزيرتين . وكلما رجوتكم أن تخلوا عني شددتم وثاق أكثر فأكثر (هذا

« تمال تمال ... هلم نحدثك فنحننا علم كل شيء » .

وهكذا شرع المذاري يسكن إرناهن الجميل في قلبي ، وكأنما كني نبتن فيه السحر فيصني ويصني وتلح عليه الرغبة في الإصغاء ، ورحت أنا أضرع إلى قومي أن ينفكوا قيودي ويطلقوا سراحي ويخلوا بيني وبين أولئك السيرينات الطربات ، فلم يسموا لا بإشاراتي ولم يستجيبوا لتوسلاتي ، بل هب يوريلوخوس وبرميديس فضاعفوا أغلالى وشدوا على جبالي ... ثم بدنا ... وظللنا نبعد ونبعد ، حتى إذا كنا حيث لا يصل إلينا من شدو السيرينات شيء ، نهض رجالى فأزالوا ما كبت قد جعلته في آذانهم من الشمع ، ثم عمدوا إلي فأطلقوا سراحي ...

وما كادوا يفعلون حتى أبصرت في غلام البعد موجا كالجبال كأنه ظلمات بعضها فوق بعض ، ودخانا كثيفا ينعدق في الجو ، ثم إذا بي أسمع رعدا قاصفا يصم الآذان ! وقد ذهل رجالى عن أنفسهم ، وطارت المجاديف من أيديهم فلم تعد تجديهم نفعا ، ووقفت السفينة كأنها الأرجوحة على أدوس الموج ، وذهبت أنا أشجعهم رجلا فرجلا : « أيها الرفاق ! ها نحن تلقى أولى عقباتنا ، وهى ليست على كل حال أشد هولا من مصيبتنا يوم حبسنا السيكلوب في كهفه السحيق ، وكيف احتلت لفرادنا من وجهه ؛ وسيأتي يوم نذكر تلك الشدة المفاجئة بمثل النبطة التى نذكر بها الشدائد السوالف ... هلوا إذن ، اثبتوا في أما كنكم ، واصمدوا لهذا اللج المصططب ، واضربوا فيه في جلد وصبر ، عسى أن يكلاكم جوف ربكم فينجيكم منه . وأنت أيها الريان أضغ إلى ، إنك تقبض على ناصية الحال ، فتحاش أن تقترب من

هذا الدخان وتلك الأمواج الثائرة ... إبتعد ما استطعت عنها ، وخذ سبيل هذه الصخرة ، ذلك أدنى ألا تقذف بنا في حمأة الخطر ... وظللت أنفخ فيهم روح الصبر حتى فاءوا إلى أمرهم فاستقلوا في مجاهدة الأمواج استقتالا ... وتسلمت أنا بكل ما استطعت من عدة ، وجملت في يدي ربحين طويلين ، ووقفت أقرب سكيلا الهولة من بعد ، ولم أجسر أن أذكر كلمة عنها لرفاقى حتى لا تفرغ أفتدسهم فرقا فيهربوا من عملهم ويكتظوا في بطن السفينة مخافة أن يسمهم منها أذى ... وشرعنا نعبد البوغاز ، ... ولشد ما أفرغنى أن أرى سكيلا ترمقنا وتتلمظ ، وقد انتصبت كاللوت على الشاطئ القريب ، ثم أرى في الوقت نفسه خاربديس على الشاطئ الآخر تحشرج في حلقتها الربح الفظيع عباب الماء ثم تتجه ، فكأنما تقذف من جوفها ماء فائرا يعلو في الجو كالبحر ، ثم ينهمر وبه في كل فج ، وتمود فيفيض البحر في بلعومها ، ثم تقذفه ، وهكذا دواليك ... بالروح ، وباللفزع الأكبر ! نالقه لقد كنا ننظر ما تبدي خاربديس وما تعيد في جزع وفي هلع ، بينما كانت سكيلا تتوثب وتتوثب ، ثم ترسل أدومها الستة فتلقم ستة من رجالنا كانوا وأأسفاه أشجعهم جميعا ، وكان قلبي يتمزق حين راحوا يهتفون بى ، وينادوننى بأسمى وأنا كاللدى أسقط في يديه ، ما استطيع شيئا فأصنعه ، بل أنظر إلى أذرعهم وأرجلهم تغلب في الهواء وهم يصيحون ويعولون ، وأنا ساكن ذاهل أقلب كفى ولا أقبل شيئا آخر ! واحزنانه ! ما كان أشبه سكيلا التوحشة بصائد السمك الذى أطعم سناره وأرسلها من فوق صخرة تداعب السمكة السكينة ،

أفرغ حتى اتسبب يوريلوخوس يرد على في جفوة
وضيق : « أوديسوس ، أيها القاسي الطائفة ،
أما أوهنت كل تلك الشدائد جلدك ؟ أخلوق أنت
من حديد فارتق وما تلين ؟ أتأني على زجالك
الموهوبين المكودين أن يرسوا بهذه الجزيرة الفيحاء
المسببة ليريفوا مما بها من الآلاء ، وليطمعوا من
خيرها الكثير ؟ أنصرفنا عنها بزقك وقلة بصرك
لنخبط طول الليل في هذا البحر الأجاج خبط
عشواء مع ما تكون الريح عليه حينئذ من شدة
وعنف ؟ خبرنا أيها الأحقق ما ذا نصنع إذا عصفت
بنا نكباء من الجنوب تحطم فلكتنا ولا يتجينا من
بطشها حتى الآلهة ؟ أليس الأفضل لنا أن نرسو
في هذه الجزيرة فنقضي بها ليلنا ، حتى إذا انفلق
الإصباح أقفلنا منها على هدى ؟ »

وحيد الملاحون ماقال ، فدار في خلدي أن لا بد
مما ليس منه بد ، وأن لا بد من وقوع القارعة
الكبرى بنا ، فقلت في كلمات يائسات : « لا يضير
يا يوريلوخوس ، وليس بي من بأس أن أخضع لنا
تري الجماعة ؟ ولكن تمالوا جميعاً فأعطوني موثقم
ألا تذبجوا شاة ولا يجزوا نعمة مما هنا من هذه
القططان ، مهما ألج عليكم السَّغْبُ ، وأضواكم
الجوع ... بل يكون حبسكم ما حلتكم من آكال
من عند سيرس »

وأقسموا أغلظ الأقسام أن يفعلوا ، ثم عمووا
بالفلك في جون هادى ترتفع في وسطه نافورة
رائحة ؟ فأرسوا ثمة ، وندفقوا إلى الشاطئ ،
وراحوا يمدنون وجبة المساء ؛ بيد أنهم سرعان

حتى إذا حان الحين جنبها إلى عل ترتفع هنا وهناك .
هكذا كانت هذه اللعينة التي جذبت إلى كهفها
أشجع رجالنا وراحت تقتات بهم بين الصراخ
والبكاء ، وبين التوجع والأنين ، وكلهم يعد إلى
زراعيه مستنجداً مستغيثاً في قنوط ويأس ! ! أبداً
ما وقعت عيناى في مشارق البحار ومناربها ، بل في
جميع غاطرانى ، على منظر أبث للأسمى ، وأمض
للنفس ، وأجرح للفؤاد ، من ذلك المنظر الرهيب !
وما كدنا نفلت من سكيللا وخاريديس بعد تلك
الفاجعة حتى اقتربنا من أرض الشمس ، حيث
ترعى قطمان هيريون^(١) الجيلة الكثيرة ذات الفراء
الناعمة ... ولقد كنت أسمع نغادها ورغادها إذ أنا
على ظهر سفينتى في عرض البحر . وسرعان
ما ذكرت ما قاله الكاهن الطيبي الأعمى ، تيرذياس
في هيدز ، عن هذه القططان ، ثم ما أندرتني به سيرس
سيدة إيليا من وجوب الابتعاد عن هذه الجزيرة التي
كانت منذ الأبد غواية للبشر ، حتى قفت في رجلى
فجعلت أحذرهم وأقول : « أيها الرفاق اسمعوا ؛ هذه
هي جزيرة الشمس الهائلة التي حذرنا تيرذياس الكاهن
الطيبي من الرسو بها أو الاقتراب منها . وكذلك
حذرتنى منها سيرس ربة إيليا ، فان كل ما لقينا من
أحوال ليس شيئاً إلى المول الذى يحيق بنا إذا حللنا
بها . فاسمعوا نصيحى وسيروا بنا نذرع هذا البحر
نسلم من شر مستطير ، وبلاء لا يبيحنا منه مجر »
وكانوا يصغون إلى في حيرة وذهول ، وما كدت

(١) في بعض المصادر أن الشمس غير هيريون ، وفي بعضها أنها هو ، وفي بعضها أنه أحد سواس عربتها

غرجا ... وبيننا أجوب الجزيرة إذا بي أبعد كثيرا
عن رفاقي، فبدى لي أن أسكن إلي منطف دافئ
هادئ على سيف البحر، فأغسل^(١) يدي مما علق بهما
من قدر، ثم جلست أصلى للآلهة، وأدعوها واحداً
بعد واحد أن تهني لنا من شدتنا مرفقاً، ولكنها
جميعاً — وأأسفاه — أصمت أذانها عن دعائي، ثم
أرسلت على طائفاً من الكرى ... فنمت نوماً
عميقاً ... بينما كان يوريلوخوس التمس يوسوس
إلى رفاقه فيقول: «أيها الأصدقاء! أنا أخوكم في
البلاء فاسموا وعوا. ليس أشنع من الموت إلى النفس،
ولكن الموت جوعاً هو أشنع ألوان المنايا التي يرتجف
منها الانسان ... هلموا ... لنذبح من هذه الشاة
والنعم، ولنضج للآلهة أضخم ثيران الشمس،
ولنتندر أن نبنى للرب المبارك هيريون هيكل عظيم
حالماً نصل ساليين إلى إيثاكا، ولنتندر أيضاً أن نجعل
في الهيكل من الطرف والتحف ما يرضى الآلهة ويكفر
عن سيئتنا. أما إذا آثر أن يفرق فلكننا وتضافرت
معه جميع الآلهة على ذلك، لأننا ألحقنا أذى بمدد
من قطمانه، فاني أول من يجاهر بقبول الموت
مرة واحدة في أحباق هذا اليم، على أن أموت
هذا الموت البطيء جوعاً!» وزين لهم ما قال،
فاستاقوا أسمن ما في القطمان التي كانت ترمي العشب
قريباً منهم، ثم أطعموها أنضر أوراق الشجيرات
الباسقة إذ فرغ كل ما لديهم من الشعير، ثم

مانهوا مستغيثهم حين تذكروا إخوانهم الذين غالهم
سكيللا، وراحت تفتنى بهم أمام كهفها السحيق
فأخذوا يبيكونهم ويدفون عليهم دموعهم حتى
غلبهم التماس، فناموا ... وفي الهزيع الثالث من
الليل، حين عبرت النجوم فكانت في كبد السماء،
ساق چو في رب السحاب الثقال ريحا جابت البر
والبحر، وغمرت هما بماء منهمر، ثم عقد في الكون
ظلمات فوق ظلمات يتدجى بعضها في بعض ... ثم
أشرقت أورورا الوردية، فهضنا من مراقبنا،
وسحبنا الفلك إلى غار كان لبعض عرائس البحر
يرقص به أو يستروحن فيه؛ وما كاد ثملنا يجتمع
ثمة حتى نهضت في رجالي أقول: «أيها الرفاق إننا
ما ينقصنا غذاء، وما بنا من حاجة إلى أكل، فمنا
من ذلك الشيء الكثير، فليأكل وأن تمسوا هذه
القطمان بأذى؛ وحسبكم أن تعلموا أنها ملك خالص
لربة الشمس التي تراكم أينما كنتم» وهكذا أيقظت
في نفوسهم النخوة. ثم إنا لبثنا في تلك الجزيرة
شهرًا ما نريم عنها وما كان لنا إلى غيرها متحول؛
ذلك لأن الدبور^(٢) ظلت تهب من الجنوب في
صرامة وشدة، فإذا هدأت، لم تهدأ إلا لتهب ريح
شرقية أشد منها عتفاً. لم يمسوا قطمان الجزيرة
السامة بأذى مادام لم ينفد ما كان معهم من طعام.
فلما تناقصت مبرتهم راحوا يتلمسون صيد البر
والبحر، أما أنا فكانت أجوس خلال الجزيرة عسى
أن ألقى لاسها أضرع إليه فيجمل لنا من أمرنا

(١) كان غسل اليدين كالوضوء عندنا شرطاً لا يصح

الصلاة اليونانية بدون

(٢) ريح الجنوب ضد الصبا

على هيتك ، بل ظل مشرقاً على بنى الموقى الدائنين
 فى تلك الأرض ، وإلى مسخر صواعقى على سفينتهم
 فى عرض البحر فى مثل لمح البصر فتذهب بها
 وبهم أبدياً » ... أما من أخبرنى هذا فقد نبأنى
 به كليسو ، فقد حدثها به هرمرز رسول الآلهة ...
 ثم وقفت فيهم أنهرهم وأنمى عليهم ، ولكن ...
 وأسفاه ! أى انهيار وأي نبي وقد سبق السيف
 العذل ؟! ثم حدثت المعجزة ! وبدأت السماء تشهد آياتها
 فقد تحركت الجلود الملقاة على الأرض وزحفت نحونا
 ثم سمعنا مضغ اللحم الفريض سواء منها ما ظل دون
 أن يمس وما علق منها بالسفافيد ، وقد أرسل ثناء
 وخوار كأنها ما تزال على قيد الحياة ! ... وهكذا ظل
 رفاقى يجزرون كل ثور حزين من ماشية إله الشمس
 ويفتدون بحواياها طوال ستة أيام ، حتى إذا كان السابع
 أمر جوف العاصفة فهدأت ، والبحر قسطاً من ، فأجرعنا
 إلى الفلك فأنزلناه إلى اليم ، ونشرنا الشراع ، وأقلعنا
 حيث لا ندرى ماذا يراد بنا ! ! ثم غابت الأرض
 عن الأنظار ، ولم يكن إلا البحر من ورائنا وأمامنا
 وعن شمالنا وأيماننا ... ثم السماء من فوقنا ... ثم
 شرع زفيروس ^(١) يهب ويهب ، ويقلب اللج من
 حولنا ، ثم اشتد واشتد ، وصار ريحاً عاصفاً
 هوجاء ، كسرت قلاعنا وحطمت سكاكنا ، وذهبت
 بقلب الريان المسكين فلم يعد له صبر ولا جلد ... ثم
 سلط علينا جوف صواعقه ققصمنا ، وحطم سفينتنا
 فترنحت أول الأمر ، ثم غاصت إلى الأعماق ،

صلاوا للآلهة ، وجزروا الحيوانات البائسة ثم
 سلخوها ، وفضلوا الأخفاذ والشحم ، وقذفوا بها
 إلى النار تقدمه للآلهة وقرباناً . . . ولم يكن معهم
 خمر ليمتوا بها الشعائر القدسية ، قذفوا فى النار
 بدلاً منها ماء قراحاً . . . وجلسوا بعد هذا يمدون
 شواءهم من الحوايا ^(٢) والكبد وما إلى ذلك مما فى
 جوف البهم ؛ حتى إذا طعموا ملء بطونهم انطرحوا
 فى مرآقهم بينما استيقظت فجأة من سباتي ونهضت
 لأنطلق فى طريق صومهم . وما كنت أشرف عليهم
 حتى ملأ خياشيمي قنار ^(٣) ما فعلوا ، فوجت وجوماً
 شديداً ؛ ثم أجهشت ، ثم استخرطت فى بكاء طويل
 وضعت إلى الآلهة وظللت أقول : « أهكذا يأرباب
 السماء تلقون على ذلك الطائف من الكرى فيفعل
 أصحابى ما فعلوا إذ أنا أعطى فى نوم عميق ؟ » . .
 وطارت لبتياً بالخبر المشثوم إلى إله الشمس فنار ثأره
 وطلق يصخب ويهتف بالآلهة ويقول : « يا جوف
 العلى ، وأنت يا آلهة السموات ! إنأرى لا فعل
 السفهاء من رجال أودسيوس . لقد اجتروا فجزروا
 من نعمي وشأى الذى هم يهيجنى وأنسى التى أرمقها
 أبداً من علباء السماء ؛ فإن لم تنقمى لى فوعزنى
 لأهبطن بشمسى إلى هيدز فأثير آفاقها ، وأضنى
 أضوائى على الإشباح ثمة (وأدع هذا العالم للشرق
 الجليل يضرب فى دياجير ما مثلها دياجير . »
 وأجابه رب السحاب الثقال فقال : « يا إله الشمس

(١) الأماء .

(٢) ريع الشواء .

(٣) إله الصبا .



سكيللا الهائلة طافيا هناك ! إذن ما استطاع إقناذي
رب الأرباب نفسه من خالها وأنيابها !! ثم بقيت هكذا
تسعة أيام ليالها . . . يصرعني البحر وأصرعه ،
ويناضلني الموج وأناضله ، حتى رثت الآلهة لخالي
فساقتني في الماشر إلى أوجيجيا ، جزيرة عروس
الماء كليسيو ، فرسوت ثمة في ليلة ليلاء ، مظلمة
طخياء . . . وقد نالني من كرم العروس وجيل
معروفها ما رد إلى قواي ، وأنا باني عما لقيت من
شقوة وأرزاء . . .

ولكن لم هذا ؟ لقد تعمق قصتي مع كليسيو
من قبل ، إذ رويتها للملك ولزوجه أمس ، وإني
لأكره الحديث للماد

(تمت قصة أوديبوس)

(يتبع) دبرني غيبية



تصحيح

نأسف ونعتذر لأن أربعة أسطر في صفحة ٩٠٢
من العدد الماضي وهي التي في أول العمود الأيمن
وضعت مكان أربعة الأسطر التي في آخره فاختل
السياق وضاع المعنى . وتصحيحها بالطبع أن تنقل
الأسطر الأربعة التي في آخر العمود إلى أوله ، وتنقل
الأربعة التي أوله إلى آخره ، فيتصل الكلام

وظفونا على سطح البحر الفاضب بلا أدنى أمل في أي
شيء به العودة إلى بلادنا . . . ولقد كنت
أرغب حطام الفلك يطفو معنا وينفوس ، حتى عن
لي أن أعلق بالمهرب القريب مني ، فطويت عليه
قطعة من الشراع الممزق وجعلته لي ثامناً لصقت
به ، بينما نامت الشمال لسوء حظي ، وأخذت
الجنوب تهب في عنفوان وبأس ، وتدفعني بقسوة
وقوة حتى خيل لي أنها ستنتهي بي إلى عين خاربيديس
الحمئة . . . يا للهول ! لقد مضى على ليل أياما ليل . . .
حتى إذا أشرقت ذكاء ، رأيته وبالأسف عند صخرة
سكيللا ، وعلى مسافة من عين خاربيديس . ولحسن
حظي كانت اللينة قد ابتليت كل ميناء الشاطئ . . .
ثم دفعتني موجة من الأعماق فاستطعت أن أعلق
بأحد أغصان التينة الهائلة النامية فوق صخرتها ،
فبقيت لاصقاً به كالحفاش لا يمكنني أن أهبط أو أن
أتسلق لعظم ما كانت الأغصان تباعد من الأرض
وتتمد من حولي ، ولأنها كانت تمرش من فوق
خاربيديس ، حتى كنت أرتعد من فزع وهلع عندما
كنت أبصر تحتي فأرى العين الحمئة اللمونة تتلعب
الموجة إثر الموجة ؛ ثم رأيت المهرب وقطعة الشراع
التي كنت عالقاً بهما ينقدان نحوها ويكوثان تحتي
فطربت ولو أن هذا جاء متأخراً حتى رجع قلبي
وهنت قواي ؛ وغمرني شعور الذي انفرجت أزمته ،
وكشفت عنه غمته ، فهويت إلى الماء ، وتملقت بهما
بقبضتين مستمتيتين . . . ويلاء على !! أواه ! لو لمحتني

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المستول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عم سنة

٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ عن العدد الواحد

الإدارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

المصرية

مجلة أسبوعية للقصص والديخ

نصدر مؤقثاً في أول كل شهر وفي نصف

العدد السادس عشر ١٠ رجب سنة ١٣٥٦ — ١٦ سبتمبر سنة ١٩٣٧ السنة الأولى

من أحسن القصص



فهرس العدد

صفحة	
٩٧٠	على الحديدة أقصوصة مصرية بقلم الأستاذ ابراهيم عبد القادر الكلزى
٩٧٤	قصة بلا نهاية للكاتب الروسى أنطون تشيخوف بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي
٩٨٢	المرض المتبادل أقصوصة مصرية بقلم الأديب نجيب محفوظ
٩٨٧	جبان للقصصي الفرنسى دى موباسان بقلم السيد محمد الزاوى
٩٩٣	فلوشت للكاتب الروسى تشيركوف بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب
١٠٠١	على الباغى تدور الدوائر مترجمة عن الانجليزية بقلم الأديب أميل فرج
١٠١٣	لأنها أمى أقصوصة مصرية بقلم الأستاذ محمود خيرت
١٠١٧	الثعلب القضى للقصصية الألمانية فيكى باوم بقلم الأديب أحمد فتحي مرسى
١٠٢٣	اعترافات فتى الصبر لألفريد دى موسيه بقلم الأستاذ فليكس فارس

لا لا لا... لا تخافى

لن أصنع شيئاً من
« هذا »

فصت وهي تتلفت

إليه وتهز إصبعها
محدرة منذرة . ودفع

يده فى جيبه بحكم

المادة ثم أخرجها فارغة فتهند ونهض إلى الباب
وهو مطرق ، فقد كان هذا خامس يوم لم يدخن فيه
سيجارة ولم يشرب فنجان قهوة . وخرج يستأنف
البحث عن عمل ، وأكبر ظنه أنه سيرجع كاي رجوع
كل يوم بالخمسة المرة وإن كان لم يترك باباً إلا طرقة .
ولو كان ممهشي من المال لغامر به فى تجارة ما .
ولكن دخله كان قليلا وكان يكفهما بفضل تدير
زوجته وحسن تصرفها

وإنه لماض وعينه على الدكاكين والمكاتب وإذا
بسيارة نفحة تقف بجانبه ويناديه سائقها وصاحبها ،
فالتفت فاذا صديق له ، فدعاه إلى الركوب فركب
وهو يحمده الله فقد كانت قدماه قد ورمتا قليلا من
كثرة المشى . وسأله الصديق : « كيف حالك
ياسى أحمد ؟ »

فقال أحمد بخير والله الحمد .
فماذ يسأل : « لسنأ تراك فى هذه الأيام فأين
تختفى ؟ وماذا تصنع بنفسك ؟ »
فهرب أحمد من الجواب وقال : « لا شئ ...
كالمادة »

ولمنا بيت الصديق وكان شقة صغيرة فى حي
جديد زاخر بالناس ودخلا ، والصديق ينظر إلى
أحمد من طرف خفى ، ويتأمله ويحيل عينه فى ثيابه ،

عَلَى الْحَدِيدَةِ

للاستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

« كيف نطبخ ؟ »

فرفع عينه إليها فلم يرتح إلى نظرتها وهيئة
وجهها ، وآثر السلامة فعاذ بالجاهل وقال « إيه ؟ »
فصاحت به وهي متكئة على المائدة بيد ، ويدها
الأخرى فى خصرها : « ألم تسمع ؟ إني أسألك كيف
نطبخ وقد قطعت الشركة عنا الماء ؟ »

فقال وهو يتكفف التهوين من الأمر : « آه ..
صحيح .. ألا يمكن أن نستغنى عن الحساء غدا ؟ »
قالت : « لا تمزح ! ! إني أتكلم جادة »

فقال : « هل هناك أمل كبير فى الطبخ حتى
ترغبى نفسك إلى هذا الحد ؟ »

قالت : « وغداً يقطع عنا تيار الكهرباء أيضاً »
فقال : « هذا أهون .. على كل حال .. يميزنا
أن الانسان لا يمكن أن يجد فى الدنيا كل ما يشتهى »
فقالت وهي تهيم بأن تخفى عنه : « هذه الفلسفة
لن ترد إلينا الماء ولن تميزنا على احتمال هذا الكرب »
فقال : « اسمعى .. سأذهب وأملأ لك بعض
الجرار والمواعين من الجيران »

فارتدت إليه وعينها تلمح شرراً وصاحت به :
« إليك أن تفعل ... الجيران ؟ أتريد أن يعرفوا
ما نحن فيه من الضيق ؟ والله إن قلت هذا .. »
فقال بسرعة : « لا لا لا ... إنما كان خاطراً .. »

وفراغا من الطعام فاضطجع أحمد في كرسيه ، وقد امتلأ ورضى عن الدنيا ، فناوله جميل سيجارة فأشعلها وراح يدخن مسرورا ، فدار رأسه وزاغ بصره ، كما هي العادة إذا انقطع المرء عن التدخين وقتا ثم عاد إليه . ولج جميل ذلك فبصر رأسه أسفا ، وعثر عليه ماصار إليه أمر صديقه . وكان يعرف في اجد الاء والمفة فاتق أن يصارجه بشيء أو أن يلج عليه بالأسئلة لئلا يجرح إحساسه .

وقال جميل : « والآن .. ما قولك ؟ .. هل تريد أن تذهب إلى مكان معين فأحملك إليه ؟ » فقال أحمد وقد شعر أن ليس في وسعه بعد هذه الأكلة الهنية أن يجني قدميه بالمشي بحثا عن عمل : « لا . سأرجع إلى البيت »

وعاد إلى بيته يعيش الهويني ، وفي قلبه سكينه ؛ وامتدت يده إلى جيبه — عفوآ لا عمداً — فأحس شيئا صلبا فيه ، فدهش وأخرجه فإذا هو علبة سجائر ! « فوقف مكانه ، وقد تفقد جيبه عرقا ، فقد كبر في ظنه أن يده لا بد أن تكون قد امتلئت إلى هذه العلبة وتناولتها ودستها في جيبه وهو غير مدرك لما يصنع ! ففوا خجلناه ! وماذا عسى أن يقول جميل حين يفقد علبته ؟ لن تأخذ حيرة في الامتهاء إلى الذي أخذها ومضى بها ، فما كان معه في البيت سواء ، وهذه الخادمة الصبية التي لا يعقل أن تكون من المدخنت ؛ وهما كانت مبهن فان جيلا ما كان يحتفظ بها لو أن يدها كانت طويلة ؛ ثم إن العهد بها قديم ، فلا وجه للاستباه فيها . ولا نكران أن جيلا كريم عظيم المروءة ، ولكنه ليس من الكرم أن يكون المرء عرض اللصوص ؛ ولو أنه طلب منه العلبة لما تردد في تركها له ، فلا داعي للسلو ، ولكن كيف فعل هذا ؟ إنه لا يذكر أنه خطر له أن يأخذ العلبة ، بل لا يذكر أنه غنى بأن ينظر إليها ، وكل

وإن كان لا عيب فيها إلا أنها غير مكوية ، وصفق جميل — فقد كان هذا اسمه — فأقبلت خادمة شابة فقال لها : « إني ميت من الجوع ... فهاتني لي بسرعة شيئا يؤكل »

وكان لا يكف عن التحديق في وجه أحمد فقد راعه اصفراره ثم سأله :

« هل كنت مريضا ؟ »

فقال أحمد وهو يتكلف الاستخفاف : « لا ..

أبدأ .. تب بس »

فسأله : « العمل كثير ؟ .. »

فزل لسان أحمد وقال وهو يضحك : « لا كثير ولا قليل » وأراد أن يتدارك الأمر فقال : « شيء بسيط على كل حال »

ففطن جميل إلى الحقيقة كلها وأدرك أن هذا اصفرار الجوع

وأعد الطعام فجلسا إلى المائدة ، ولم يكن جميل يموت من الجوع كما قال لخادمتة فجعل همه أن يتكلم ، وأن يبحث أحمد على الأكل ؛ وأقبل أحمد على الطعام في أول الأمر متمفقا يتناول بقدر ولكن الطليعة غلبته ، فما ذاق طعاما حسنا كهذا منذ أسبوعين ، فلم يعد يبالي أن يتكلف أو يتظاهر بالزهد . وكان ربما تذكر زوجته وهو يلتهم اللقم فيتمنى لو استطاع أن يحمل إليها بعض ما أمامه من الألوان . ولكن كيف يصنع ذلك ؛ ويحدث نفسه أنها لو كانت خرجت معه لكانت الآن تأكل بلا حرج أو خجل . ولم يخطر لأحمد أن جيلا عرف حقيقة حاله . نعم زل لسانه بما يفيد أنه لا عمل له الآن ولكن هذا ليس معناه أنه هو وزوجته لا يكادان يجدان الكفاف وأنها يستعینان على العيش برهن أشياء مما في البيت حتى لم يبق إلا الفرش والأوعية والأدوات التي لا يستغنى عنها ولا يجيء رهنها بشيء . وهذا كله لا يعرفه — ولا يمكن أن يعرفه — جميل

إنه سيرجع أدراجة لعله يعثر على الظرف حيث سقط
ولا يحتاج أن يقول إنه لم يجد شيئاً !

ومضى نومان انقطع في خلالها تيار الكهرباء،
وازدادت الحالة سوءاً ، وكان شر ما فيها وأشقه على
الزوجة أن لا ماء في البيت ، وأن الاتجاه إلى
جار أو غيره يفضي إلى الفضيحة وهتك السر ؛ ولم
تكن تدري أن ما تحرص على كتمانها معروف ، وأن
الجيران لا يلغطون بشيء كلفطهم به ، وأن هذا أمتع
ما تدور عليه أحاديثهم في مجالسهم وسهراتهم ، وكانوا
ينصفونها ويحميهم منها تعففاً وبجلاً وتسترها ،
ولكنها هي كانت لا تعرف هذا ، ولا يمتنها إلا أن
من الواجب أن تستر هذه الخلعة حتى تنفجر الأزمة
وتتفتح أبواب الرزق . وكانت تتفق ما تحصل عليه
من رهن أشياءها على الطعام ، وكان الأمر يحتاج
إلى التقدير الشديد ، والحساب الدقيق ، لقله ما تأخذه
من المزايا التي كان يعطيها القروش وكأنه يسكبها
من جلد . وقد نفذ ما يسعها رهنته ، ولم يبق إلا
الأنث وما إليه ؛ وكان الجزع ينتابها حين تفكر في
أنها ستضطر أن تخرج هذه الأشياء فيراها الجيران
ويعلمون إلى أين تذهب ؟؟ وإذا طالت بطالة أحمد
أسابيع أخرى فلن يصبح من الميسور الاحتيال
لتدبير أجرة البيت ، وحينئذ ماذا يكون المصير ، ولا
صبر لأحد على مفلس ؟؟

ودخل الليل والرجل وامرأته جالسان ، ساهمين
لا يتكلمان ، وإذا يباب الشقة يذق دقا غنيماً ، فذعرا
وتبادلا نظرات الاستغراب . ومن تري يكون الطارق
في هذا الوقت ؟؟ وماذا يعني ؟؟ وماذا عسى أن
يقدم إله إن كان زائراً ؟

وتوالى الدق وتعالى ، فنهض أحدهما يقول لامرأته :
« ما العمل ؟ ليس عندنا نور ... ولا جاز ولا
شمع ... لا حول ولا قوة إلا بالله »

ما يملك كره أنه كان قرر العين جدياً وهو يدخن السجارة
بعد أن زال عنه الدوار ، حتى الدوار الذي اعتراه لم
يكن يخلو من لذة

والآن ماذا يصنع ؟ لم يتردد أحمد في أن الواجب
هو أن يحتفظ بالسجائر ليردها إلى جيل متى سحت
له فرصة يزوره فيها ، وعليه أن يسجل بذلك ليحس
من نفس جيل ما عسى أن يكون قد دار فيها ،
وبذلك يصبح الأمر مدعاة للضحك

ويلغ البيت وهو مبرم المزم على ذلك ، فآلني
زوجته جالسة إلى المائدة وفي يدها قلم ، وأمامها ورقة
عليها أرقام شتى ، فضحك وهو يقول :
« ما أغرب أن يضرى الفلاسون بالحساب !!
أم تراك وجدت رزقاً يا امرأة ؟ »

فقلت وهي متجهمة : « أقمد . أين أوراق
الزهر ؟ »

فسألها : « ما حاجتك إليها ؟ »
قالت : « سبحان الله ! أريد أن أعرف حساب
البيت على وجه الدقة »

قال : « أي بيت ؟؟ ما بقي من البيت لنا ، أم
ما انتقل إلى ذلك المرابي ؟ »

قالت : « هات بس ! »

فدس يده في جيبه فأخرج علبة السجائر ، ثم
دسها مرة أخرى ليخرج الظرف الذي يحتفظ فيه
أوراق الزهر ، فلم يجد شيئاً ! فبهت واصفر وجهه
وزاغت عيناه ورأت منه ذلك فسألته : « مالك »
قال : « مالي ؟ ضاع الورق ! »

قالت : « يا خبر أسود ! ضاعت أشياءي كلها ،
ومصوغاتي جميعاً ! »

فنهض أحمد ، وجعل ينفذ جيوبه واحداً واحداً
بلا فائدة ، فاحبط على كرسي وقد أيقن أن الظرف وقع
منه حيناً أخرج علبة السجائر ، وأخبرها بذلك ، وقال

زوجته ذاهلة مرتبكة ، وكان كل شيء قد أهد ،
فاستقبلها الجميع بالصحة والبشر ، وأجلسوها في
الصدر ، وجلسوا هم كيفما اتفق ، وبدأ الأكل بر .

ولكل شيء آخر .
نهض المحسة ، عن كراسيهم ، وودعوا أحمد
وزوجته ، وانصرفوا بمثل الضجة المرححة التي دخلوا
بها ، وأغلق الباب ، فوقف الرجل وامرأته ينظران
إلى المائدة التي تركها القوم مثقلة بما يكنى المدير
القتصد بضمة أيام .

وشرع أحمد رد الكرسي إلى مواضعها على
حين كانت زوجته ترفع الطعام وإذا به يرى ظرفاً
على كرسي فتناوله بيد مرتعشة وفتحه فقرأ فيه :
« غزال إخوانك ، وكروا عليك هذه الكرة
الباغنة لأنك أخفيت عنهم أمرك ، وحرمتهم أن
يؤدوا لك بعض الواجب . ولا خير فيمن لا يعرف
صديقه إلا في حال يسره واستغفانه ؛ وليس ذنبك
أنك تبطل أياماً أو أسابيع فإن كل امرئ محزنة
لذلك ، والدنيا مثل الخيارة . . . »

غداً تستطيع أن تقابل مدير مصنع الزجاج . . .
ليكل اليك العمل الذي استطعت أن تجده لك على عمل . . .
وهذه دفعة على الحساب ، تردها متى وكيف شئت .
وسيعود الماء والنور غداً . . .

رئيس الرابطة : جميل
فسالت الدموع على خدي أحمد ودفع بالكتاب
إلى زوجته ، في صمت ، وهم بالخروج فوقعت عينه على
ربطة صغيرة في زاوية ، فوق يتأملها هنية ثم يمد يده
إليها وفكها فإذا فيها كل ما كان مرهوناً عند المرائي !
في هذه اللحظة فقط أدرك أنه لم يسرق
(سجنار) ولم يفقد أوزاق الرهن . . .
ابراهيم عبيد القادر المازني

ولم تستطع المرأة أن تبقى لتواجه القادم ، كأنها
من كان ، ولو كان أباهاً أو أخاه ، فقد كانت تكتم
الأمر حتى عن أهلها ، فهربت إلى غرفة النوم ،
وتركت أحمد يفتح الباب ويتصرف كما يلمه الله .

وفتح أحد الباب عازراً وأطل بوجهه ليري
من القادم وإذا به يبصر جيلاً وأربعة من جماعته
— وهم جميعاً يعرفون أحمد — فارتد عن الباب
مضطرباً ، وقد دار بنفسه أن هؤلاء آخر من كان
يطبق أن يعرفوا حاله فإنهم من أهل الثراء ، ثم إنهم
خسة فإذا يصنع ؟

وألمه الله أن يقول لجيل « جيليك ؟ تفضل !
ولكن أرجو أن تزموا السكنية ! الست متعبة
وراقدة ؟ تفضلوا . . . يتكتم ، ولكن في سكون من
فضلكم . . . واعذروني إذا لم أقدم لكم القهوة أو
شيئاً ، فأني لا أعرف كيف أصنعها . . . ولا مؤاخذه ؟
تفضلوا . . . أهلاً وسهلاً »

وارتاح وخلصت أنفاسه بعد أن قال ذلك ،
وأحس أنه استطاع أن ينجو من الفضيحة ، وأنه
ستر الحال على خير وجه وأبعثه على الرضى
ولكن أحبابه لم يلزموا السكنية ، ولم يحرموا
على راحة المريضة المزعومة ، فقد كانوا أعرف
بالحقيقة من أن يصدقوا ذلك ، فدخلوا يقنون ،
ووقف جميل في وسط « الصالة » يقول :

« أيها الأتباع المخلصون . . . ضموا مامعكم ،
ورتبوا السفرة ! » والتفت إلى أحمد وقال :

« تفضل بدعوة السيدة الكريمة فقد جئنا متطفلين
لنتعشى على مائدتها . . . ولن يطيب لنا طعام بغيرها »
وكان الأربعة قد شرعوا يمدون المائدة
ويخرجون الأطباق ويضعونها عليها ، ويفكون
الرباطات التي يحملونها بعد أن أوقدوا شموعاً جاءوا
بها معهم ، فخرج احمد والدمع يتفرق في عينيه وعاد

وجدت الباب الداخلي
غير موصد ، ففتحته
وصهرت إلى المدخل
فلم أر أى بصيص من
النوء ، فقد كان
الظلام حالكا . وفى
ذلك الظلام شمعت
رائحة بخور عيلاً الجو .

وبينا آتحمس طريقى للخروج من المدخل صدمت
كوعى بشئ مصنوع من الحديد ، وتعثرت فى
الظلام بمائدة لم أتبين نوعها فكادت تسقط على
الأرض . واهتديت آخر الأمر إلى الباب المنعطف
بقاش من الصوف الخشن ، فاجتزته إلى ردهة
صغيرة

وما أكتب الساعة قصة خيالية ؛ وأبعد
ما أفكر فيه هو إثارة غاوى القارىء ، ولكن
الصورة التى وقع عليها نظرى وقد تحطمت عتبة
الباب ، صورة شبحية لا تستطيع غير يد الموت
رسمها . فلقد كان فى مواجهة مباشرة باب يؤدى
إلى غرفة انتظار صغيرة . وكان فى الغرفة ثلاث
شمعات من النوع الرخيص موضوعة فى صف
واحد ، تلقى ضوءاً ضئيلاً على الجدران المغطاة
بورق رصاصى باهت اللون . وفى وسط الغرفة
مائدتان وضع عليهما نمش . على جانب رأسه شمعتان
لا يكاد يكفى ضوءهما لإظهار معالم وجه أصفر قاتم
نصف مفتوح الفم مدبب الأنف . وقد لغت الجثة
بقاش من الموسلين فى غير نظام ، من الرأس إلى
أطراف القدمين ، وقد برزت من بين هذا الكفن
يدان صفراوان جامدتان قابضتان على صليبين من

قصة الانهائية

للكاتب الروسى أنطون تشيخوف
بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدى

منذ سنوات عديدة ، وفى الساعة الثانية صباحا
اندفعت طاهيتى إلى مكتبى — على غير انتظار —
باهتة اللون مضطربة ، وخبرتني أن السيدة ميمونية
المعجوز ، مالكة البيت المجاور لبيتى جالسة فى المطبخ .
وقالت الطاهية وهى تلهث :

« وهى ترجو ياسيدي أن تذهب إليها ، فقد
أصاب السوء نزيل دارها ... فقد أطلق على نفسه
الرصاص ، أو هو قد شقق نفسه »
فقلت :

« وماذا أستطيع أن أفعل .. فلتذهب إلى الطبيب
أو إلى البوليس ! »
قالت الطاهية :

« وكيف أستطيع هى أن تبحث عن طبيب !
إنها لا تقدر على التنفس إلا فى عناء وجهه ، ولقد
تجمعت منكشة تحت الموقد .. فعلى هالمة لا تملك
أعصابها .. فن الإحسان أن تذهب إليها ياسيدي »
فارتديت معطفي وبعثت وقصدت إلى بيت السيدة
ميمونية . وكان الباب الخارجى الذى أتجهت إليه
مفتوحاً ، فوقفت بمجواره لحظة متردداً فيما أفعل ،
ثم تحطيت عتبته داخلاً إلى فناءه غير باحث عن
جرس البواب .. وفى الظلام تحت السقيفة التهمدة

في عينيه الكبيرتين اللتين رفعهما نحوى صورة
معجزة الوصف من الفزع والألم والتوسل ؛ وكان
المرق المتحدر من جبينه ، والمني البادي على وجهه ،
وارتجاف يديه اللتين ابتكأ عليهما ، وتنفسه الثقيل ،
وأسنانه المتقلصة ؛ كان ذلك كله ناطقاً بأنه يمانى من
الألم ما لا تحتمله القوة البشرية : ورأيت السدس
ماقي على مقربة منه وسط بركة من الدم
فلما انطلقا عود الثقب سمعت صوتاً خافتاً يناديني :

« لا تذهب ، وستجد شمة فوق المائدة »
فأشملت الشمة ووقفت وسط الغرفة لأدري
ما أنا فاعل بعد . ووقفت أنظر إلى الرجل الجالس على
الأرض وقد خيل إلى أنني رأيته من قبل .
وقال الرجل هامساً : الألم فوق ما أحتمل ...
وليس بي من القوة ما يكتفى من إطلاق الرصاص
على نفسى مرة أخرى .. وهذا عجز في الإرادة غير
مفهوم ... »

فطرحت معطفي عن كتفي وانحنيت على الرجل
الجريح أعنى بأخذه ... فخلته كالطفل بين ساعدي
وأرقدته على الصفة المغطاة بالجلد الأمريكى ، وغطيت
عنه ملابسى في عناية ورفق ، وقد ارتجف برداً
عند ما عرشته . ولكن الجرح الذى رأيته لم يكن
ليتنفق مع رجفته ولا مع الذى بدا على وجهه من
معانى الألم . فقد كان جرحاً صغيراً ، وقد مررت
الرصاصة بين الضلعين الخامس والسادس في الجانب
الأيسر فلم ترد على أن قطعت الجلد واللحم ، وقد
وجدت الرصاصة نفسها مستقرة في طيات بطانة
سترة بالقرب من الجيب الخلفي . فوقفت الزيف
بجبر ما استطلعت من الوسائل ، واصطنعت له ضبادة
وقتية من قماش إحدى الوسائد ومنشفة ومنديلين

الشمع . وكانت أركان الغرفة الصغيرة المظلمة
القابضة للنفس ، والأياقين القائمة وراء النعش ،
والنعش نفسه ، وفي الجملة كل شيء في الغرفة ،
غير بصيص الضوء الخفيف ، كان ساكناً ساكناً
الموت ، كأنها القبر
فقلت في نفسى وقد ألجئنى هذه الصورة غير
المنتظرة من صور الموت :

« ما أعجب هذا ! ولماذا هذه العجلة ؟ إن
زبل هذه الدار لم يكده ينتهى — على ما علمت — من
شئ نفسه أو من إطلاق الرصاص عليها . . وهذا
نشه قد أعد بالفعل ! »
والثفت حولي فرأيت إلى الشمال باباً نصفه من
الزجاج ، ورأيت إلى اليمين مشجباً مائلاً على عليه
معطف رث من الفراء
وسمعت أنين إنسان يقول :
« الماء ... »

وجاء الأثنين من جهة الشمال من وراء الباب
الزجاجى ، ففتحت ذلك الباب ودخلت إلى الغرفة
الصغيرة ذات النافذة الوحيدة التى تسرب من خلالها
ضوء خفيف منبعث من مصباح الطريق
فقلت متسائلة :
« أوجد أحد هنا ؟ »

ودون انتظار للجواب أشعلت عوداً من الثقباب
وهاك ما رأيته على ضوءه : رأيت رجلاً جالساً عند
قدمى فوق الأرض المطلخة بالدماء . ولو أن
خطوتى كانت أوسع لوطأته قدماى ؛ وكانت ساقاه
مدودتين إلى الأمام وكفاه تضغطان الأرض ، بإذلاً
هذه الحركة جهده لرفع وجهه الجميل وقد غطاه
شحوب وسط لحيته حالكة السواد ؛ وقد قرأت

« ما أشدّ الريح ! وما أقسى صفيها ! »

فقلت :

« نعم إنها شديدة . . . والآن ينجل إلى أنى أعرفك » ألم يكن لك دور في المرسية الخاصة التي مثلت بدار الجترال لوهاتف في السنة الماضية ؟
ففتح عينيه وسأل متعجلاً :

« وماذا في هذا ؟ »

وكأنما قد غشت عينيه سحابة قاتمة

فقلت :

— « إني على التحقيق قد رأيتك هناك .

أليس اسمك فاسيليف ؟ »

— « إذا صح ذلك فاذا وراءه ؟ إنه لن يحسن

من حالي أن تعرفني »

— « لا ولكنه مجرد سؤال »

وأطبق فاسيليف عينيه ، وكأنما هو قد امتعض

فأدار وجهه إلى ظهر الصفة . وقال متمناً :

« لست أفهم معنى لهفتك . ولعلك تسألني بمد

ذلك عن السبب الذي دفعني إلى الانتحار ! »

وقبل أن تمضي دقيقة واحدة أدار وجهه إلى

مزة أخرى وفتح عينيه وقال في لهجة باكية :

« أرجو أن تعرف لي لهجتي . ولكنك ستعرفني

على أنني مصيب ! فليس من الكرم أن تسأل بحكوما

عليه كيف دخل السجن ، ولا أن تسأل متشجراً لماذا

أطلق الرصاص على نفسه . . . نعم ليس ذلك من

الكرم ولا من الرقة . . . أن يشي الإنسان لهفته

البليدة على حساب أعصاب إنسان آخر ! »

فقلت للرجل متلفظاً :

« ليس هناك ما يدعو لك لأن تثير أعصابك ...

فلم يخطر لي قط أن أسألك عن تصرفاتك »

وقد كنت له قدحاً من الماء ثم غطيته بمطف الفرو الملقى على المشجب ، ولم ينبس أحداً بكلمة واحدة في أثناء هذه العملية . فقد مضيت في عملي بينما هو راقد لا يتحرك ينظر إلي بعينين مسبتين كأنما هو يشعر بالجل من فشله في الانتحار ومن التعب الذي سببه لي .

ولما انتهيت من تضديد جرحه قلت له :

« والآن أرجو أن تسكن في مكانك فلا تتحرك ،

حتى أذهب إلى الصيدلية فأحضر بعض الشيء »

فأمسك بكى وفتح عينيه الواسعتين وقال :

« ليس ثمت ما يدعو إلى ذهابك »

وقرأت في عيني الرجل معاني الفزع ، ولقد

كان خائفاً من ذهابي ، ثم عاد يقول :

« نعم ليس هناك ما يدعو إلى ذهابك ، فابق

هنا خمس دقائق أخرى . . أو عشراً . . إذا لم

يكن في ذلك ما يضايقك . أرجو يا سيدي أن تبقى

إلى جاني »

وكان وهو يرجوني يرتجف وأسنانه تصطك .

فأجيتته إلى ما أراد وجلست على حافة الصفة . ومرت

عشر دقائق في سكون تام ، فقد جلست صامتاً أنظر

حولى إلى الغرفة التي جاء في القدر إليها على غير

انتظار . فياله من منظر يرم عن الفقر المدقع ! فهذا

الرجل ذو الوجه النسائي الجميل واللحية الكثة المعنى

بها ، لم يكن حوله من المتاع ما يمكن أن يحسده عليه

أفقر العيال : صفة مغطاة بالجلد الأمريكي الممزق ،

وكرسي رخيص قذر ، ومائدة مغطاة بقطع من

الورق ، ولوحة قديمة معلقة على الجدار . . هذا

هو كل ما رأيته . أما جو الغرفة فكان رطباً قابضاً

وقال الجريح وعيناه مغمضتان :

الموت . أما الآن وقد أشعلت الشمعة وأنت جالس إلى جانبي فاني لا أنكر حتى في ساعة الموت ، فلتفسر لي هذا التغير إذا استطعت ! هل تحسنت أحوالي ؟ أم هل بثت امرأتي من الموت فانفضت ناهضة من نشها الذي ترقد فيه على بضع خطوات من هذا المكان ؟ أم ترى هو تأثير الضوء في نفسي وحضور شخص غريب إلى جانبي ؟
فأجبت لجرد أن أقول شيئاً :

« لا شك في أن للضوء تأثيراً ؛ وتأثيره في التركيب المعنوي للإنسان ...
فقاطعتي بقوله :

« إننا نسلم بتأثير الضوء ... ولكنك تعلم أن هناك أناساً ينتحرون على ضوء الشموع . وإنه ليكون من الشائن حقاً لأبطال رواياتك أن يستطيع شيء تافه كالشمعة تغيير مجرى مآسهم مثل هذا التفسير المفاجئ ... وربما أمكن تفسير كل هذا السخف ، ولكن لسنا نحن الذين نستطيع تفسيره ؛ ومن البعث أن يسأل الانسان أسئلة ما ، أو أن يقدم معلومات ما فيما لا يفهمه ... »

قلت :

« عفواً ... ولكنني أستطيع ، مما يبدو على وجهك ، أن أحكم بأنك في هذه الساعة ...
تصطنع ما تقول »

فاجفل فاسيليف وقال :

« نعم هذا جائر جداً ، فإني بطبيعتي « أبله مفرور » ! فيحسن أن تفسر لي ذلك إن كنت واثقاً بقوتك في قراءة الوجوه ! فن نصف ساعة أطلقت

« لقد أوشكت أن تسألني ... وهذا ما يعمله الناس دائماً ، ولو أنه ليس هناك من فائدة في السؤال . على انني لو أخبرتك لا صدقت أو لا فهمت ... ويجب أن أعترف انني أنا نفسي لا أفهم من الأمر شيئاً ... هناك عبارات تستعمل في إدارة البوليس وفي الصحف مثل قولهم : « الفشل في الحب » و « الفقر المدقع » ولكن الأسباب غير معروفة ... غير معروفة لي أنا وغير معروفة لك أو لإدارات الصحف حيث يتبجحون بأن يكتبوا « يوميات متحرر » والله وحده هو الذي يعرف حالة نفس الانسان الذي يقتل نفسه ، ولكن الناس لا يعرفون شيئاً من ذلك »

فقلت :

« كل هذا حسن ، ولكنك في حالك هذه يجب أن تزم السكون فلا تتكلم »
ولكن لم يكن من اليسور أن أمنع جريحي من الكلام ، فقد أسند رأسه إلى كفه ، ومضى في الحديث بلهجة أستاذ عظيم فقال :

« لن يستطيع الانسان أبداً أن يفهم العوامل النفسية التي تحمل المتحرر على ارتكاب جريمته ! وكيف يستطيع الانسان أن يتكلم عن الأسباب ؟ فقد يدمي اليوم سبب من الأسباب إلى اختطاف مدسد وإطلاقه على نفسي ، بينما هذا السبب نفسه لا يحملني غداً على التفتيح ببيضة فاسدة ، فالأمر كله متعلق في الثالب بالحالة الخاصة التي يكون عليها الانسان في اللحظة المينة ... ولأضرب المثل بنفسي ؛ فن نصف ساعة مضت كنت أرغب رغبة ملحة في

« أليس ذلك مما يدعو إلى الانشراح ؟ يا لله
مما يرى الانسان ومما يسمع ! ولو كان من
الليسور أن تطلق هذا المرح على قواعد الموسيقى
لأمكن كما يقول هملت :
« أن نلن الجاهل وأن نمر حواس البصر
والسمع بأسباب المتع »

وما كان أجدنى عندئذ بأن أفهم هذا النوع
من الموسيقى ! وكم كنت أستطيع أن أشعر بما
فيه من جال ! ولكن قل لى فى أى ساعة نحن ؟ »
قلت :

« نحن الآن فى الساعة الثانية والدقيقة
الخامسة والخمسين »
قال :

« إذن لا يزال الصباح بعيداً ، وفى الصباح
تشيع الجنائز . وقد وضع لها برنامج لطيف ! وسيتبع
الانسان النمش وسط الوحل والمطر . ولا يرى فى
طريقه غير السماء الملبدة بالغيوم وغير المناظر الكريهة
وفتيان الدير والحانات النائية والوعول النافرة . . .
وتفرق سراويل الانسان فى الطين إلى الركب . . .
والشوارع التى لا نهاية لها . . . ويمر الوقت فى بطء
كأنه الأبدية . . . والرجال القلاظ القلوب . . .
وفى وسط الأحجار نجد حجراً . . . »

وصبت لحظة ثم قال فجأة :

« هل مضى عليك وقت طويل منذ رأيت
الجنرال لوهاتشيف لآخر مرة ؟ »

« لم أره منذ الصيف »

« إنه مغرم بالتقيل ، ولكنه عجوز مثيل الجسم

الرصاص على نفسي . . . وفى هذه الساعة ترانى
أصطنع ما أقول . . . فسر لى هذا إن استطعت . . .
نطق فاسيليف بهذه الكلمات الأخيرة فى صوت
خافت متداع ، فقد أنهكه التعب ، ثم رقد صامتاً .
ومررت فترة سكون . فتدققت النظر فى وجهه ، وقد
علته صفرة الموت ، وبدأ لى كأنما شملة الحياة قد
انطفأت فى نفسه ، وأن مظاهر الألم الذى أحس به
الرجل « الأبله المذموم » كانت هى وجدها التى
أظهرته فى صورة من لا يزال حياً . . . وكان من
المؤلم أن ينظر الانسان إلى هذا الوجه . . . ولكن
ما هو شأن فاسيليف نفسه الذى مازال يحتفظ من
القوة ما يمكنه من الجدل ، ومن الاصطناع إن لم
أكن غلطاً ؟ »

ورفع الفتى نفسه فجأة على صريره وقال :

« أنت هنا . . . أما زلت إلى جانبي ؟ يا لله ! أصغ

إلى هذا ! »

فأصغيت وكان المطر ينهمر على النافذة المظلمة
ولا ينقطع لحظة واحدة ، وكانت الرياح تهب عنيفة
مولولة ، ولقد سمعت السيدة ميمونية تقرأ فى الغرفة
الجاورة هذه الكلمات فى صوت خافت متعب :

« وسأكون أشد بياضاً من الثلج وسبسم
أذناي نجات السرور والفرح » . . .

ولم تكن نبرات السيدة ميمونية لترتفع أو
تنخفض فعلى تقرأ هذه الكلمات الجافة على وتيرة
واحدة ملة

وأدار فاسيليف عينيه الجازعتين نحو لى وقال
هامساً :

ظريف . أو مازلت تكتب القصص ؟ »

« نعم أكتب قليلا »

فقال الرجل :

« آه ! أذكرك كيف كنت أصرح كالآخرى

الأبله ، كالجار الجامح في تلك القطع التمثيلية عند

ما كنت أتودد إلى زينا ؟ لقد كان ذلك سخفا منى

ولكنه كان جيلا ، وكان فكها . . . وإن مجرد

ذكره لتنبعث أنفاسا من الريح . . . والآن اما أقسى

تغير المنظر ! هاك موضوعا تكتب فيه ! ولكن

لا تحاول أن تكتب « يوميات متحرج » فهذا فضلا

عن خشوته تقليد لشيء سابق . فلنستخرج من

هذا الموضوع شيئا اجتماعيا فكها »

فقلت :

« أراك مرة أخرى . . . تصطنع ما تقول ،

فليس في موقفك هذا شيء فكها »

فاستوى فاسيليف جالسا وقد تفرق الدمع

في عينيه ، وبدا على وجهه الباهت معنى الحزن العميق

وارتجف فكها وهو يقول :

« ليس فيه شيء مضحك ؟ تقول ليس فيه

شيء مضحك ؟ »

ثم توقف لحظة عن الكلام وعاد يقول :

« إنك تضحك من غش الكتبة الفشاشين

والزوجات الخائنات ، ولكنك لن تجد كاتباً غشاشاً

ولا زوجة خادعة قد غشاً إنساناً يمثل ماغشى القدر !

لقد خدعت بما لم يصدق بمثله قط أحد المودعين

أموالهم المصارف أو أحد الأزواج المغفلين ! فلنتأمل

إلى أى حد قد خدعني الحظ ! فلقد شهدت بعيني

رأسك أنفى في العام الماضى لم أكن أعرف ما أفعل

بنفسي من فرط السعادة . والآن هاذا أمام

عينيك ... »

وغاص رأس فاسيليف في الوسادة ونضحك

ثم مضى يقول :

« ليس من الممكن أن يتصور الانسان ما هو

أشد من هذا التغير حماقة وسخفا . فالفصل الأول

يحتوي على : الريع والحب وشهر العسل ، شهر

العسل حقاً . والفصل الثانى : البحث عن عمل

ومكتب الهمون والشحوب والصيدلية . والنصوص

غداً في الأحوال في الطريق إلى المقبرة »

ثم ضحك مرة أخرى . فشرعت بضيق شديد

وصممت على الخروج من ذلك المكان . فقلت :

« أرجوك ثانية أن ترقد هادئاً وسأذهب إلى

الصيدلية » .

فلم يجيبني ، فارتدبت ممطفي وخرجت من

الفرقة ، وعند اجتيازي الممر نظرت إلى النمش

والسيدة ميمونية تقرأ عليه . وحدثت النظر عبثاً

فلم أتمكن من أن أعرف في وجه زينا الأصغر

القائم ذلك الوجه الفتان المملوء حياة ، الذى رأيت في

اجتماع دار الجنرال لوهانشيف

فقلت في نفسي :

« طريق الانتقال . . »

وعلى هذا غادرت البيت غير ناس أن آخذ

السدس منى ، وذهبت إلى الصيدلية . ولكن

كان يجب ألا أذهب ، فقد وجدت ، بعد عودتي

فاسيليف راقداً فوق الصنفة في حال إغماء ، وقد

وبرى السيدات كيف تنفي القنابات الرفيات أغاني الحب ، والسيدات يضحكن مما يربهن ، وهو أيضاً يضحك متمتاً نفسه بما يحيط به من مظاهر السرور وإني لأدعوه للحضور إلى غرفة مكتبي ، فيبدو عليه أثر الامتناع لحرمانه ذلك الاجتماع الهنيء ، ويقبل على فيقف أمامي وقفة الرجل الذي ليس لديه من الوقت ما يضيعه في حضرتي . وإني لأعطيه هذه القصة وأسأله أن يقرأها . وإذ كان دائماً يتفضل بالخصوع لسلطاني فانه يتهد تهد القاري الكسول ويجلس على كرسي كبير ثم يبدأ القراءة . فلا يلبث أن يقول وهو يتشم :

« تباً لذلك كله .. يا لها من أهوال ! »

ولكنه كلما أمعن في القراءة ازداد وجهه تجمهاً ، وأخيراً تحت تأثير الذكريات الموجبة يصفر لونه اصفراراً مروعاً ، وهم واقفاً ويستمر في القراءة وهو واقف ، حتى إذا انتهى من القراءة خطر في الغرفة من ركن إلى ركن . وإني لأسأله :

« كيف تنتهي هذه القصة ؟ »

فيقول متسائلاً بدوره :

« كيف تنتهي ؟ ... »

ثم ينظر إلى الغرفة ، وإلى ، وإلى نفسه ... فيرى رداءه الجديد المصنوع على أحدث طراز ، ويسمع ضحكات السيدات في الغرفة المجاورة .. يرتجى على أحد الكراسي ويبدأ يضحك كما ضحك في تلك الليلة ثم يقول : « ألم أكن على حق عند ما قلت لك إن الأمر كله عبث ؟ يا الله ! لقد كان على أن أحمل أثقالاً تقصم ظهر الفيل ، والشيطان يعلم مبلغ ما قاسيت من ألم .. وليس في الوجود من إنسان كان يستطيع أن يحتمل

انزعجت الضمادات بمنف عن الجرح فانفتح وسال منه الدم من جديد ، وقد أشرق الصباح قبل أن أتمكن من إفاقة الجريح ورد الصواب إليه ، وكان يهذي في أحلامه ، مرتجفاً ينظر في أرجاء الغرفة بعينين لا تبصران ، حتى أقبل النهار وسمعتنا صوت القسيس ينال الصلاة مسرعاً على رأس الميتة

ولما ملئت غرفة فاسيلييف بالجناز وفتيات الدير ونقل النعش من مكانه وحمل إلى القناء الخارجي نصحت للفتى بأن يلزم البيت ، ولكنه لم يستمع إلى نصحي على الرغم من ظلمة الجو وانهمار المطر وما يعاني هو من ألم . وسار وراء النعش عارى الرأس صامتاً طوال الطريق إلى المقبرة ، ولم يكن يستطيع نقل قدم عن قدم إلا بمجدد شديد ، وكان ما بين فترة وأخرى يضغط جنبه الجريح بكف عصبية متقلصة ؛ وكان المعنى المادى على وجهه يدل على فقدان الشعور . ولم يتحدث ، غير مرة واحدة عندما أيقظته من سباته بسؤال قافه ، أن حول نظره عن الأرض والسور الداكن ، فرأيت في عينيه لحظة برق الغضب الحزين وقرأ على لوحة الارشاد كلمات :

« مل إلى اليمين » مكتوبة خطأ من ناحية الهجاء

فقال :

« يا لهم من جهلة أميين ، فليأخذهم الشيطان ! »

ولقد سجدت من المقبرة إلى البيت

مضى عام واحد على هذه الليلة ، ولم يكده فاسيلييف يبل النملين اللتين غاص بهما في الوحل وراء نعش امرأته

وفي هذه اللحظة التي أختتم فيها هذه القصة يجلس فاسيلييف في غرفة استقبال يمزق على البيانو

عند ما كان ينظر إلى النافذة المظلمة . وإلى لأراه وهو يلبس دوره العادي في تمثيل المحدث الذي البق ، مستعداً لأن يعرض أمامي نظرياته البليلة كنظرية « تحويل المادة » وأذكر في الوقت نفسه جلسته في وسط بقم الدماء رافعاً إلى عينيه الدابنتين المتوسلتين .
واني لأسأل نفسي في صوت عال :

« كيف تنتهي هذه القصة ؟ »

فيصغر فاسيليف ويسوى رباط رقبته ويسير متجهاً إلى غرفة الاستقبال فأنظر إليه محمقاً . ولسبب ما آسف على ما شهدت من آلامه الماضية ، آسف على كل ما شعرت به أنا نفسي نحو ذلك الرجل في تلك الليلة الفظيعة المائلة وأنه ليخيل إلى كأنني قد فقدت شيئاً...
عبد الحميد حمدي

من الآلام فوق ما احتملت فيها أظن ، فإن هي آثار ذلك كله ؟ إن الأمر يدعو إلى الدهشة . لقد كدت أظن أن الأثر الذي تركه الآلام القاسية في نفس الإنسان لا يمكن أن يمحي وتطمس معالمه وأنه لا بد باق أبداً . ومع ذلك أرى هذا الأثر يبلى بأسهل مما يبلى النملان الرخيصتان ، ولم يبق منه شيء ولو كافها ضئيلاً ، حتى ليخيل إلى أنني لم أنالم قط في ذلك الحين ، بل لكأنني كنت أرقص رقصة المازوركا . إن كل مافي الوجود زائل ، وهذا الزوال نفسه عبث باطل ! وإنه ليدان واسع للروائي الاجتماعي ! فلتضع لقصتك ، يا صديقي ، خاتمة فكها !
وهنا وصل إلى سمي صوت السيدات القلقات ينادين على بطل قصتي :

« بيتور نيكولا يفتش ، ألا تأتي في الحال ؟ »

فيجيب الرجل « المغرور الأبله » وهو يسوى رباط رقبته :

« في هذه الدقيقة »

ثم يتم حديثه مي فيقول :

« إن كل شيء عبث يدعو إلى الأسف يا صديقي . نعم عبث يدعو إلى الأسف ، ولكن ماذا يستطيع الانسان أن يفعل ؟ إن كل شيء زائل ، وإلى لأشكر — على كل حال — لأمتنا الطبيعة عملها في تحويل المادة . ولو أننا احتفظنا بذكري موحجة لما يتناوبا من آلام الأستان ومن جميع الأهوال التي لا بد أن يقاسها كل واحد منا ، ولو أن كل هذه الأمور كانت باقية أبدية لقضيتنا نحن الفانين الساكنين أسوأ الأوقات في هذه الحياة الزائلة »

واني لأنظر إلى وجهه الباسم فاذكر ما كانت تفيض به عيناه منذ عام من معاني اليأس والفرع

تاريخ الأدب العربي

لأستاذ أحمد حسن الزيات

الطبعة السادسة

في حوالي ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط

يعرض تاريخ الأدب العربي منذ نشأته إلى اليوم

في صورة قوية تحليلية رائدة

ثمّة عشرون قرشاً ويطلب من إدارة الرسالة

ومن لجنة التأليف ومن سائر المكاتب

المرض المتبادل

أقْصُوصَة مِصْرِيَّة
بقلم الأديب نجيب محفوظ

وصاحت به: «مرض

سرتي ... ؟»

«نعم ياسيدتي..

إني أعنى ما أقول،

ولكن هدئي روعك

واملكي زمام نفسك

حتى لا تجر هذه

الكارثة وراءها

كوارث أخرى أشد إيلاماً.. أقلت إنك متزوجة...؟»

فأحت رأسي أن نعم وهي لا تدرى؛ فاستطرد

الطبيب قائلاً:-

«وأسفاه، إن الشهوات تعمى الرجال حتى

التزويج منهم؛ ومهما يكن من شيء فالواجب يحتم

عليك أن تجاهي زوجك بالحقيقة، وقد كانت

الواجب عليه أن يصونك من عواقب مفاصله. أما

وقد وقع المحذور فلا عيب من تنبيهه واصطحابه

إلى وإلا ذهبت محاولة علاجك سدى ...»

ولكن خرجت من المرأة صرخة مبجوحة وقالت

بسرعة وهي تلهث:-

«كلا ... كلا ... لا يمكن أن يكون ذلك ...»

بادر إلى علاجي واذع أمر زوجي ...»

«ولكن ...»

«بالله لا تجادلني ... لا ينبغي أن يعلم زوجي من

الأمر شيئاً.. أذ واجبك وستنتهي الأمر إلى خير

حال إن شاء الله ...»

فاستولت الدهشة على الطبيب وأنعم النظر في

الوجه القلق الذي طغى آلام نفسه على آلام

جوارحه، فطالع فيه الملح والعرب والاثم ... بالهول؛

أمكن أن يكون ما لم يقع له في حساباً أبداً ...»

فرغ الطبيب من الكشف على الزائر الخامس

في صباح ذلك اليوم، ولث ينتظر المريض السادس،

فدخلت سيدة مقنعة رشيقة القامة وسفرت عن

وجه غاب جلاله البهي خلف تجمعات الألم كوردة

بيضاء سفا عليها عجاج الحسین، وقد بادرت هاتفة:

«التوث أيها الطبيب!»

فدنا منها وجل وجهه ابتسامة تبث الطمأنينة

وسألها:-

«ما بك ياسيدتي ...؟»

فارتحت على مقعد بين يديه وراحت تروي له

قصة ذلك المرض الويل الذي فجأها لدى الصباح

فاضطرها إلى أن تقصد إليه دون أن تترتب

لحين أوبة زوجها من الوزارة. واستمع الطبيب إليها

في دهشة وحيرة وهو يحاول عبثاً أن يوفق بين

ما يروي له، وبين هيئة السيدة المتزوجة التي تنطق

بالحشمة والصون

ثم أدى واجبه الدقيق بعناية فثبت لديه

ما كان منه في ريب واكفر وجهه وهو يقول:-

«سيدتي ... إنه لأمر مؤثر ... لقد أصبت

بمرض خبيث ... بمرض سرتي ...»

فاتفضت المرأة فأعته وجحظت عينها من الملح

والذعر، وقد ضاع ألها المبرح في تيار الخوف الجديد

ثم إن زوجي رجل مستقيم يصعب على صكه بالحقيقة الروعة ... فدفع الأمور بحري على مشيئة الله ... فعمل الله حفظه من الأذى؛ وعسى أن يجعل من بعد عسر يسرا»

وساد سكون عميق مؤلم ... وكأن المرأة تذكرت شيئاً فجأة فظفرت إلى الطيب جزعة وسألته: «سيدي ... هل يبق هذا سرا مكتوماً ...؟»
«طبعاً ... طبعاً ... اطمئني إلى كل الاطمئنان، فصدر الطيب مقبرة للأسرار لا تنبش أبداً»

فتهدت من قلب مقروح وقالت: —
«إذا فلتبدأ من الساعة ... وسأوالى الحضور إلى هنا كل صباح إلا يوم الجمعة ... ولأنظر ما قدر لي»
ولما انتهى من عمله وهمت بالخروج استمهلها لحظة وجلس إلى مكتبته وسألها: —
«ما اسم السيدة ...؟»

فبدأ على وجهها الرعب وسألت: —
«ولم هذا ...؟» فقال بطمئنها: —
«لا تخافى ولا تحزنى ... إنها تقاليد متبعة ... أنظري إلى هذا الدفتر تجديه مزدهجاً بأسماء المرحومين وعناوينهم ... لا تخشى شيئاً واذكري أي طيب لا أكثر ولا أقل ...»

فقالته وهي تنهد: —
«حرم محمد عباس أفندى مهندس بوزارة الأشغال»

وفي صباح اليوم الثانى جاءت السيدة وقد قالت للطيب إن ما يبدو على وجه زوجها من الهدوء والصحة ينعش الأمل المحترق في صدرها
فلما أن كان المساء دخل على الطيب زائر جديد

أيمكن أن تكون هي الجانية على نفسها، وربما على زوجها أيضاً ...؟

وما من شك في أن الزوج مهدد بخطر عظيم، إن لم يكن أدركه بالقتل فهو على وشك أن يدركه، وربما وقع في متناول الأذى أطفال أرباء يحبون ... فما العمل؟ وكيف يتأتى له أن ينقذ هذه النفوس مما يوشك أن يحيق بها من غير أن يهتك ستر هذه المرأة الآثمة الهلعة المتأللة ...؟

وأحاط به هم التبليل والحيرة حتى ضاق صدره فحدث نفسه: — لماذا أزع بنفسى في شئون الناس وآلامهم ...؟ إلى طيب وما ينبغي لي أن أجوز حذود مهنتي ... وبين يدي امرأة ماثلة فلا أشرع في معالجتها والأمر من بعد ذلك لله ...

واطمانت نفسه إلى هذا الرأي وهم بمباشرة عمله، ولكن سرعان ما عاودته أفكاره وقصرته نفسه على مراجعة التفكير في أمر هذه الأسرة المهددة فرأى أن يتخذ طريقاً وسطاً فقال: —

«سيدتى ... ينبغي أن تعلمي أن زوجك في خطر عظيم ... وأن إخفاك الأمر حيناً لن يمنع الحقيقة من الظهور»

فاختلجت عيناها كالزئبق المترجرج وقالت: —
«كم يقتضى العلاج من الزمن ...؟»
«أسبوعين على أقل تقدير ومع أكبر عناية»
«أواه ... إنه الدمار»

«فاصابة زوجك محتومة ...»
«من اليسور أن أدمى توقعك المزاج هذه الفترة وأن أباعد ما بيني وبينه حتى أبرأ»
«فإن كان السيف قد سبق المذل ...؟»
«أواه ياسيدى ... لا يمكن أن أنتصر مختارة»

على حياتهما الزوجية...؟ وأين ياترى المرأتان الآن...؟
وكيف قرعتها الفضيحة وكيف تتجرع عواقبها...؟
ليته يعرف كل شيء... »

أما الآن فما عليه إلا أن يؤدي واجبه . وخطا
بالفعل نحو الحجرة الداخلية ولكنه سمع المهندس
يقول له بلهجة حزينة : —

« إني أخشى يادكتور أن تعقب هذا المرض
مأساة ألمية »

فسأله وهو ما زال شارد اللب : —

« وله ؟ »

« لأنني زوج ... ورب أسرة »

فقطب الطبيب جبينه وبدت عليه آيات الدهشة
وفهم الرجل دهشته على غير حقيقتها فقال : —
« هكذا ترى أنه ليس المزاج فقط هم الذين

يأثمون ... »

« أتمنى أن زوجك مهددة ... ؟ »

« طبيعى يادكتور ... إن موقفي غاية في
الخرج ... والذى يضاعف لى الآلام أنها سيدة طيبة
لا تستحق أن تجزى هذا الجزاء السيء ... فما
العمل ... ؟ »

ياغبيا ! . لقد وضع وبرح الخفاء كلا الزوجين
آثم ، وكل منهما ينحى باللائمة على نفسه . وكاد
يستسلم لتيار أفكاره لولا أن سمع الرجل يلح عليه
في السؤال ويكرر قائلاً : —

« ما العمل ياسيدى الطبيب ... »

فقال له : —

« بالحكمة تستطيع أن تصرف الأمور المعقدة
إلى خير العواقب ، فغالوا أن تصحبها إلى من غير
أن تثير شكوكها »

في الثلاثين ، ملتحج القمبات ، طويل القامة ، تسم
وجهه آيات الذكاء والجسارة غيا الطبيب قائلاً :

« مساء الخير »

« مساء الخير »

فضحك ضحكة جهد نفسه أن تكون مرحلة
طبيعية ولكنها لم تستطع أن تخفى القلق المساور
لنفسه وقال : —

« أصبت يادكتور »

« بجه ... ؟ »

« بالذى يصاب به من يقصدونك »

« وأسفاه ! »

« أتأسف حقاً يادكتور ... أريضك أن
يزدجر الناس عن الهوى وأن تحسر جمهور المتردين
عليك ... ؟ »

« لا أظنك قد جئت إلى هنا لتفلسف ...
اتبعني إلى هذه الحجرة ... ولكن انتظر لحظة ،
أرجو أن تملى على الاسم الكريم »

محمد عباس ... أنا جارك يادكتور ... وإن
شئت أن تعرف صناعنى فأنا مهندس وزارة الأشغال
يا للمفاجأة ! كادت تغلب من بين شغتيه آهة

دهشة وإزعاج ، وهم أن يرفع رأسه عن الدفتر
بحالة عصبية ثم عما يضطرب في صدره ، ولكنه
ذكر تخرج الموقف واشتاله على ما يهدد بالويل ، فصر

بأسنانه وأحى رأسه حتى كاد يلس الصفحة
البسطة أمامه ليخفي معالم وجهه عن القاعد تجاهه
إذن هذا هو الزوج المنكوب ، وقد أصيب بما

كانت تشفق زوجه عليه وعليها منه ... ترى كيف
كان وقع البلاء على نفسيهما ... ؟ كيف اكتشف
المرض وكيف تحسس مصدره ... ؟ وماذا جرّ ذلك

« يا يؤس هذه الدنيا ... »

فهز الطبيب كتفيه استهانة وقال : —

« كثيراً ما أسمع هجاء مريراً يصب على رأس الدنيا ولكنى أعتقد أن الانسان هو الخالق الأول لهذه الآلام التى يتعلم من تبعها ويلقيها على عاتق الدنيا ... »

« كما نشاء ... اعلم ياسيدى الطبيب أنى فى الفترة القصيرة التى تتيبها عنك أحدثت فى حياتى حدثاً هائلاً ، فقد فصل الطلاق بينى وبين زوجى وحرمنى نور أطفالى حينما سأخاله دهرأ مديداً ... »

بالقول ... ترى ما الذى حدث ... ؟ وكيف حدث ... ؟ فان قلبه يهمس له بفحواه ولكنه لا يدرى تفاصيله ولا يستطيع أن يرحم بما قلب منطق الحوادث وجعل عاليها سافلها ...

واستولت عليه الدهشة وباتت عيناه تلحزان بالسؤال بأفصح مما بين اللسان .. فقال المهندس : —

« إليك قصتى بكل إيجاز : غادرتك ليلة الأمس وقد صدقت. نيتى على دعوة زوجى إلى زيارتك كي يطمئن قلبي ، ولكنى كنت مضطرباً لا أدرى كيف أبدأ باقتراح الأمر عليها ولا علم لى ، إن أنا اقترحت بما أبرده به ، فاتخذت مكانى على مقربة منها بادى الهم والفكر ، وللحال لاحظت طوارئ الهم والاضطراب ترحب عليها زحفاً ، فظننته سدى لاضطرابى وهى واستجابة لها ، وتلثت أنتظر أن تبدأ بسؤالى عما يساورنى فلم تفعل ، فصقت بالأمر ضيقاً استفزنى إلى طرح هذا السؤال (ألا تشكين من شيء ... ألا تحسين

فبنت على وجه الرجل الحيرة وقال وهو ذاهل

عن نفسه : —

« أحاول »

وحدث الطبيب نفسه بعد أن غلب المهندس عن ناظرية : ان الله يريد انخير بهذه المرأة ... وكأن الأمور تسير وفق مشيئتها ، فسيأتى بها إلى وأكشف عليها وأعلنه باصابتها فيوقن فى نفسه أنها ضحيته دون سواء ، ويركان على يدى ويعود الرجل زوجه رافعا يديه حمداً لله وطلباً لنفقاته وهو يجمل أن زوجه فرطت فى حقه أضعاف ما فرط فى حقها ... فيا لرحمة الله ...

ولكن أليس من الظلم أن يفضى الله بستره خبيثة هذه المرأة الآثمة ... ؟
فيا لحكمة الله ...

وحان موعد مجيء المرأة ولم تحضر فترجع لدى الطبيب يجيئها مع زوجها عند المساء ، ولكن المهندس أتى وحده وكان يادى التغير منكفى الوجه ، مصفر اللون ، منطفئ البصر كأنه تقدم فى الكبر أعواماً فتوقع الطبيب مفاجأة وبلاء وسأله : —

« ما بك ... ؟ »

فهز رأسه بحزن وقال : —

« ماذا محدس ... ؟ »

« لعلك راودتها على المجيء فأبت وعصت ... »

« كان يهون ... »

« آه إذا قد انفضح أمرك ولم تتقن تمثيل

دورك ... ولت جزاءك على يدىها ... »

نهضت الرجل لحظة ثم قال بصوت تقطعه حشرة الياس : —

خبثتي ... أنا الجانية على نفسي وعليك ... أنا
أعرف أنك تعلم ذلك ولكني أستحلفك بالله ألا
تمسني ... طلقني ولكن لا تمسني ... ثم ارتمت
بين قدي مغنى عليها

مامنى هذا ... لقد تسابقت الظنون إلى قلبي ،
وانصبت الشكوك في قلبي ، واكتظ بها رأسي
فانصهر من الحرارة والالتهاب ، وخلت أن شعر رأسي
يقف ويتصلب كشعر القنفذ .

إن المرأة لتبهظ الرجل وتقل كاهله وهي تؤمن
بأنها لم تجاوز بعض حقوقها ، أما إذا اعترفت بأنها
جانية وسألت الرحمة ووقعت منسياً عليها فلن يكون
ذلك إلا لأمر واحد .

يا عجباً ... فقد ذهبت جانية آتمة فإذا بي مجنى
عليه . رحمت أ كفر عن ذنبي فإذا بي ضحية تسمية !
ما ذا يمكن أن يفعل رجل في مكانى ؟

نعم لقد قارفت من الذنب ما قارفت ، وسقطت
في الهاوية التي ابتلمتها ، فهل من المستطاع أن أسبل
ستاراً كثيفاً على تاريخ الهم كله ؟ وأن أحمل عقاب
الله الصارم في صبر ، وأروض نفسي على النفو
والصفاء ... ؟

إنه حل رؤاى قد يستحسنه غيري وبمطف
عليه نفر غير قليل من الناس . أما أنا فقد انسقت مع
طبيعتي وأصخنت إلى صوت الغضب في قلبي ، فهويت
بالطلاق على رابطة الزوجية : فخر بتي وانتزعت
الحضنة مني أطفالاً أعزّة كانوا نور حياتي المشرق ؛
فسبحان الله أعدل الحاكمين ... »

جيب محفوظ

بلأم ما ... ؟) فخلقت في وجهي بعينين هالمتين
وقالت باضطراب : (كلا ... كلا ... والحمد لله)
فقالكت نفسي وقلت كاذباً (لاحظ عليك
هذه الأيام بعض الاصفرار والتضير وقد رأيت
أن أقترح عليك زيارة طبيب ... فما رأيك ؟)
فردت بحدة وبلهجة من تحمس لدفع خطر مروع :
(كلا . . . كلا . . . أنت واهم ولا لزوم لذلك ألبتة . .
إنني أذكر الأطباء ويهيج وساوسي الاستماع
لنصائحهم)

فطال طلابي وطال رفضها ، فالححت عليها فأصرت ،
فرجوت وتوسلت فمندت وازدادت تشبثاً ؛ وعيثاً
حاولت أن أثنها عن رأيها حتي دهشت لاصرارها
وصقت صبراً بها وبنتسي فاهتاجني المرض
والغضب وسحت بها بجنون جعلني استهت بكل
شيء : (يجب أن تصنى إلى ... تعالى مي إلى الطبيب
لأنني مصاب وأريد أن أعرف ...) ولم أتم كلامي
لأنها انتفضت قائمة متصلة كالأفعى التوتبة للاندساس
وجحظت عيناها ولم تتمالك نفسها سرت في جسدها
رعشة شديدة فأدهشني ذلك وسألت نفسي :
مالها . . . ؟ ، وهمت أن أعاد الكلام في ملاطفة
مصطنعة ولكنها قطعت على الطريق بهزة رأس
عصبية ما زالت تكررهما بنفس جنوني حتى
تلبست صورتها هيئة غريبة تندد بالويل ، فازدادت
في الحيرة وسألتها : (ما الذي يعربك ؟ لم تحشين
الطبيب ؟) فصاحت بصوت ملتبس لا تكاد تميز نبراته :
(الرحمة ... الرحمة ...) ولكن عاودني الغضب بمجالة
لم تأذنت للرحمة أن تأوي إلى مستقرها في قلبي ،
فقطوت نحوها أهدر غاضباً ساخناً فصرخت :
(محمد ... الرحمة ... الرحمة ... لقد كشف الله

جَبَّانٌ

للقصص الفرنسي دي موباسان
بقلم السيد محمد العزاوي

وفي إحدى الأمانس
اصطحب صديقتين إلى
مسرح واصطحبه
معهما زوجها. وبعد
أن انتهى التمثيل
دعاهم إلى مشرب
«تورتوني» ليتناولوا
بعض مرطبات.

ولم يلبثوا في المشرب
إلا قليلاً حتى أخذ أحد الجلساء يحدق في
وجه إحدى صيفتيه بوقاحةٍ وشره. وبدأ على وجه
الغادة قلق واضطراب فغضت من بصرها، ونادت
زوجها :

— إن هذا الرجل ليحدق في وجهي. وإنني
أجعله، فهل تعرفه ؟
فصعد الزوج الغافل فيه نظرةً وأجابه. ثم قال :
« كلا . فأنال أمه يوماً » .

فقالت الزوجة باسمه فجرة :

— ليس هذا بحميل، فهو يكاد يلهمني ويفسد
عليّ ما آكل

فهرز الزوج كتفيه ثم قال :

— إن كان علينا أن نهم عن تلقى من الأراذل
فسوف لانسر ولا نهأ، لا تراعي ولا تلقى له بالاً...
ولكن سنبول لم يستطع على هذا صبراً، فما
يهون عليه أن يضاقهم دخيل غريب وما اعتاد
أن ترى إهانة في وجهه عمداً وإضراراً، إن الغريب
يضايقه هو لا هي لأنه المضيف، إذن فالاهانة تلحقه
دون سواه، فوثب إلى الرجل قائلاً :
— أيها السيد ! إنك تحدق فيهما بمن لا تدر

كان المجتمع يكتبه « سنبول الجليل ». أما
اسمه فكان الفيكونت جوتران جوزيف دي سنبول
وقد يسر له غناه ويتمه أن يعيش عيشة ضاحكة
راضية ... كان له أسلوب وشخصية . وله في اللسان
طلاقة توهم الناس بأنه على حظ من التوفيق العظيم .
كانت له عزة وأنفة ، ووداعة يوحى بها طرفه العف ؛
وجرأة يتم بها شأربه الصغير . وداعته تكلف بها
النساء ، وتمشق حسنة الفيد الحسان .

كانت « الأمهاء » تجذب في طلبه ، والراقصات
الفيد يقفون أثره ، وتنشدنه أني يجلس أو يرقص ،
فكان بذلك يثير على شفاء الرجال بسمة طلالا ترفرف
عليها حين يمر بهم فتى جميل وسيم ، وبأفتدتهم
تهماً بعلائق عدة ، لا تليق إلا بأعزب مثله على
مثل حظه من غنى وجمال . كان يحيا باسماً حراً
يضحي في نعيم وغبطة ، ويمسي في بهنية وخلو بال ؛
وكان فوق ذلك مبارزاً جباراً طوق الآفاق سمحه ؛
يحارب بكل سلاح ، وبخاصة السدس ، فهو به
أشد على الغريم وأعتى . وكثيراً ما قال « إن كان
لأريد من الزوال فاني أخو الرصاص ، لأنني به على
حصصى قوى مكين »

ثم جلس وطفق يقدر ويفكر ... إذن لا بد له من اختيار وكيلين مع الصبح ، فمن يختار ؟ ومن يفتي ؟ لقد فكر في أصدقائه الذين ينعمون بين الناس بسِمِّع كريم . فاصطفى من بينهم « بوردين » القائد والمركز دى لاوار نوار . لقد اتفق قائداً وشريكاً . إن هذا لعظيم ! ولسوف تقع أسوأها في الصحف موقفاً ما أمجله وأحسنه ... وأحس بأنه ظان ، فشرب من الماء شرب الهيم ؛ ثم تابع التدرع والتفكير ... وأنس من نفسه بطشاً وقوة . فلأنه تعاظم واشتط كأن يدي رغبته في إبلاغ الأمر نهايته ، ويطلب شروطاً صارمة قاسية ؛ أو يصير على نزال عنيف ، إذن لتخاذل غريعه ولرد البطاقة ثم اعتذر

واختطف البطاقة — بعد أن جذبها من جيبه ورمها على النضد — فقرأها مثلما قرأها في الشرب أول مرة ، وكما قرأها في العربة حين العودة مرة أخرى ؛ ومثلما قرأها على ضوء كل مصباح منير : « جورج لاميل ، ٥١ شارع مونسي »

وعاد يمتحن الحروف ؛ لقد تراءت له غريبة غامضة في ثناياها معنى منهم أجوف ! جورج لاميل ! من هو ؟ وماهى حرفته ؟ وما كان ينبغي من التحديق في النادة ؟ وأعاد سنوول تعجبه « أى وحش ! » إنه الآن يقف جامداً كالصم لا تسمع له نامة ، ولا يمتلج له عضل ، وعيناه مثبتتان على البطاقة ... إنه يفكر ... ويمكن من قياده غضب جموح ، وقلق عظيم .. أى جنون قد أناء وأى فعل قدمه ؟ ويمكن منه كره البطاقة وصاحبها ، فأمسك بمذبة ماضية وقصد

للذوق معي ، وإنى لا أطيق عليك صبراً ، فلفظ من شراحتك ، واغضض من بصرك !

فألبث الأجنبي أن قال :

— ألا فاذهب إلى الشيطان !

فزجر الفيكونت :

— حذار أيها السيد ! وإلا فأنت دافعي إلى أن أتمدى حدود الأدب

ولم يجيب السيد إلا بكلمة هازلة ماجنة ، ردد المشرب صداها ، وجملت كل فرد يثب وثوبا ، فاستدار من ولها ظهره ، واشترأت رؤوس النازلين واستوقفت ثلاثة خدم ، ثم جعلت سيدتين يتبان عن متكايمهما كأنهما لوليان واثبان

وأعقب ذلك سكون عميق ، شقه صوت حاد ، إذ صفع الفيكونت الرجل بلفنه دعوة المبارزة ... وتدخل الناس في الأمر ، وتبادل الطرفان بطاقتين وما عاد الفيكونت إلى بيته حتى جد في ذرع الأرض جيتة وذهابا . لم يكن يفكر في أمر على حدة لأنه كان مضطرباً ... ولكن ثمة فكرة كانت تحوم على ذهنه وهى « المبارزة ! المبارزة » ولم تتر الفكرة شيئاً في نفسه ، فقد ألفها وأحبها . حقاً إنه عمل ما حق أن يعمل ؛ وقد ظهر بما يجب أن يظهر به فيكونت عظيم . سوف يتحدث الناس عنه ، ويؤيدون سلوكه وقضه ، ثم يلقونه فرحين مهينين ... وصاح محدثاً نفسه ككل من ضاق صدره ، وشغل ذهنه بأمره :

— أى وحش كان الرجل !

لم يقفز قلبه هلمًا من أى صوت ينبعث ؟ حتى من صوت الساعة إذا حان دقها ... كانت حالة سيئة بائسة ... وبدأ يحاور نفسه في ذلك الأمر : أتحسب أن بي خوفًا وفزعًا ؟ كلا ! إنه ليس بخائف ولا مخلوع القلب . فما عهده بقلبه إلا شجاعًا لا يخاف ولا يوجل ولكن ماله يحس بقلق مغير ؟ أيمكن أن يخاف المرء رغمًا عنه وقهرًا ؟

ويمكن هذا الشك من نفسه ، وانصب هذا الريب في قلبه . ماذا يحدث لو غلبته على أمره قوة قاهرة أشد منه صلاحة ومراسًا ؟ نعم ماذا يحدث ؟ لا مناص له من الزلزال ولا محيص ؛ ذلك بأنه هو الذى يرغب الزلزال وأكده . لنفرض أن يده ترددت فاهتزت . أو لنفرض أنه راح في نوبة إغماء . أى بؤس إذن وأى شقاء ! أى ذكر يطيح وأى مجد يزول !

ولجت به إحدى الأفكار أن يرى وجهه في المرأة فلماها ، ووقف لدى المرأة ثم أضاء المصباح ، فلنكر خياله ؛ إذ يرى شخصًا غريبًا لا عهد له به ، أشبهت الشعر مرتعد الشفاه . أصفر الوجه كثير النضون وطرقته وهو أمام المرأة — فجأة — فكرة عصفت به عصف الريح العاتية :

— ربما كنت قليلًا في مثل هذا الوقت من بعد غد ! واختلج قلبه لذلك حينًا وجفل ... — ماذا ؟ ربما كنت في مثل الساعة من بعد غد قليلًا ! ! ذلك الخيال ! خيالي الذى أرى ... مائلًا بين يدي ... بعد حين لا يكون ! ! أأقف هنا —

بها البطاقة في صميم الذى تحمل ، كأنما هو يقطع غريمًا إذن فلا بد لي أخيرًا من نزال ؟ ! أأختار الرصاص أم السيف ؟

إذن فقد اعتبر نفسه الطرف المهان . إنه يخاطر إذا ما اختار السيف . ولكنه موقن بانسحاب غريمه إن كان الرصاص . إن مبارزة السيوف قلما كانت شافية حاسمة . إذ في مقدور المتنازلين أن يتحاشيا الطعنات القاتلة بشيء من حذر وسرعة ، ولكن الرصاص كان على الغريمين بلاء . فهو رهان بالحياة والأمانى جميعًا . فغالب أو مغلوب ، وإن كنت الثانى فيئست الوكسة وسوء المكاب ، أو الأول فتم نصر وغفار

— لا تكن حازمًا جبارًا ، كي يخاف ويخشى . ولكنه ارتجف إذ سمع صوتًا من حوله . فالتفت عن يمين ويسار . لقد استشعر خوفًا وهلمًا . فاجترع كوبًا من ماء ؛ وطفق يخلع رداءه متأهبًا للنوم . ووثب إلى السرير ، فأطفأ المصباح ، فأغمض أعجفانه ، وراح في فكر عميق — إن لدى طول الند أرتب فيه شائى فلا ثم الآن حتى أصبح قويًا نشيطًا

وأنس النقاء بين طوايا الفراش الوثير . ولكنه ما استطاع أن يهجع قليلًا أو كثيرًا ، إذ كان يثنى ويتقلب ، فينام على ظهره فترة ، ويتقلب إلى عطفه الأيمن ، فلا يلبث إلا رد الطرف حتى يفرع إلى الأيسر . ولج به العطش فقام يشرب . وإذ ذاك طرقته فكرة متعبة : — أيمكن أن أكون خائفًا ؟

بقطة وحياة ، وأرسل إلى الفيكونت التمس قبساً من أمل ... أهو مجنون حتى يبيع للخوف أن ينصب في قلبه ويفسد عليه نفسه وهو بعد لا يدري هل قابل وكيلاه وكيلي جورج لامليل فكتب عليهما القتال ، أم يجد الله له من كل ذلك مخرجاً ؟

وأخيراً قام ، فارتدى ثيابه ، فترك الدار بعزم جديد وكثيراً ما تردد في نفسه أثناء سيره :

— عليّ أن أكون حازماً ... حازماً جهد الحزم ! لأثبتن إني على البلاء قوى مكين ...

وجاءه وكيلاه ، فلما سلما جلسا يبحثان الشروط فقال القائد :

— أتود أن يكون الزوال صارماً ؟

— صارماً جباراً

— وما زلت تصر على الرصاص ؟

— نعم !

— أندعنا ترتب لك باقى الأمر ؟

فأجابه الفيكونت في صوت جاف خفيض :

— عشرون خطوة ... إطلاق الرصاص لدى

الإشارة ... رفع الذراع بدلاً من خفضه ... تبادل

الطلقات حتى يجرح أحداً جرحاً بليفاً ...

— شروط جيدة ... وإنك لمن خير الرماة ؛

وإنك لمن حظ عظيم .

ولما افترقوا عاد سنيول إلى بيته مرة

أخرى : وكانت حاله تردّد سوء أكل حين . فقد

كان يستشعر رعدة تمشي في ساقيه وزنديه وفي

صدره . ولم يكن يستريح إلى جلوس أو رقاد . وكان

يدير لسانه في شديقه من حين لآخر ثم يمر به سريماً

أمام المראה — موقناً بحياتي ووجودي وبعد أربع وعشرين ساعة أكون منطرحاً على الفراش قتيلاً ؟ جثة باردة لاحياة في ولا حراك ؟ ! وتبقى عيناى مسبلتين أبداً لاتنفرجان لترى الدنيا وهجتها ! ؟

والثفت إلى السرير ، وتصور نفسه وهو على الفراش مسجى ، يضمه السرير وتحضنه الأعطية .

ثم عاود النظر في المראה . فألقى خدّيه يغوران كما غارت خدود الموتى ، ويديه معروقتين لالتبشان على حال

وشعر حينذاك بخوف من السرير شديد .

ودّ لو لم ير السرير من قبل أو يذق به طعم الكرى .

ثم دخل حجرة التدخين كيلا يبصره وأشعل نفسه

سيجاراً دون وعى منه ، وجد في ذرع البساط

مرا را . لقد كان بارد الأعطاف غتل القوى ، فسار نحو

الجرس ليوقظ خادمه ولكنه امتنع في نصف المسافة قائلاً :

— سيدرك خوفك ذلك الخادم

ولم يقرع الجرس ، بل أضرم لنفسه النار بيده

وكانت يده ترتجف إذ هي تلبس الأشياء جميعاً ، كم

عصفت برأسه المواقف ! وتلونت أفكاره الوجلي

بلون الحزن والسواد ، بل رانت على فؤاده غشية كأنها

غشية الخمور ... وكان يسائل نفسه بلا انقطاع :

— والآن ماذا أفعل ؟ والآن ماذا أفعل ؟

وارتعدت لذاك فرائسه ، وارتجكت مفاصله

فانتفض وعدا نحو النافذة فأزاح عنها الستائر والحجب :

لقد تنفس الفجر ، وأشرق يوم جميل صافى ...

كانت السماء الدامية تعكس على الأفق والمنازل لونها

الذهبي فتكسب الجو جمالاً ورقة وأرسلت ذكاء

فوجاً من نورها يمحض الكون ، ويهيه فيضا من

ولما جئته السكون مرة أخرى ظن أنه مجنون ... وأخيراً جلس إلى مكتبه يخط بعض الرسائل ، وادّكر فهم يخط وصية فلم يزد على قوله : « ألا إن تلك رغبتى ... » حتى قفز عن المكتب مؤمناً بأنه لا يقوى على ربط فكرتين معاً ، ولا يستطيع تقرير شيء مهما صغر ، أو الاجابة على سؤال مهما قل

إذن فلانماص له من الزلال . لقد أضحى اجتنابه قوت يده ... إنه يريد الزلال مصرحاً عليه ، ولكنه يعلم بأنه على رغم جهود ذهنه وعزم إرادته لن يستطيع أن يحتفظ بقواه الكاملة ؛ أو حتى بقواه التي تحمله إلى حومة الزلال ... وحاول أن يتصور المبارزة وكيف يدخلها فيؤديها فيخرج منها . أخرج جريحاً طريحاً أم يخرج سليماً غفوراً ؟ ... وكلنت أسنانه تصطك من حين لآخر ... وأراد القراءة فأمسك بقانون شاتو فيلار للمدني ولكنه عاد يسائل نفسه :

— أغشى غريبي حبلات الزلال كثيراً؟ وهل هو معروف؟ ومن أي الطبقات هو؟ من لي بكل هذا؟ وادكر إذ ذاك كتاب البارون دي فوكس عن مشاهير الرماة . أتى به وتصفحه ورقة ورقة ولم يكن به اسم ذلك الجورج لامليل . على أنه لو لم يكن من خير الرماة لما قبل الشروط القاسية ، ووافق على السلاح الخطر . وكان يقرب المكتب فأخرج من درجه مسدسه الكبير ، ورفع يده كمن يسدده إلى هدف بعيد ، ولكنه كان يرتجف من فرعه لأخص قديمه . لو استمر على تلك الحال لخسر الدنيا والآخرة فلاهو منصور ولا هو خالده ! وقال في نفسه : « إن هذا مستحيل ! لا أستطيع الزلال » وأمسك بالسدس يفحصه ويخزّه ... حديق ملياً في فوهته العميقة تلك التي تقذف ألوت الأحمر لمن يريد ومن

على شفثته ليزيل ما علاها من زيد الخوف والوجل وقد حاول أن يفطر فلم يستسج طعماً . وسنح له أن يشرب ليحدد قواه الخائرة ، فاجترع ستة من الأكواب الصغيرة بعضها يكسع بعضاً فأفسد الدفء في جسمه وصفت روحه

— هذا حسن ! لقد عثرت على الطريق ! ولكنه أفرغ الزجاجة فيما يقرب من الساعة ، وحاله لما تهدأ ولم يقربها قرار ؛ وأحس برغبة جامحة تلج عليه أن يتنرغ في الأرض وبعضها ثم يبيك !! وطوى الليل النهار

ودق وكيلاه الجرس ، وكانت دقة الجرس هذه كفيلة بأن تثبته على السرير هالوعاً جزوعاً لا يستطيع حراكاً ولا قولاً ، فلم يقدر على السلام ولا التحية ، بل لم يجرؤ ، خشية أن يعرفوا من درجة الصوت حاله ، وقال القائد :

— لقد تم كل شيء حسبما تريد وترتضي فقد كان غريمك يقول بأنه الطرف المهان ولكن سرعان ما أقطع عن هذا ورضي الشروط القاسية ! ووكيلاه رجلاً من رجال الجيش — شكراً لكما

واعتذر المركز قائلاً : « أسمح لنا بالخروج لترتب الأمور الباقية ، فلا يزال أمامنا أن تأتي بطبيب ، فانت تعلم أن الرصاص ليس من الأمور الهينة ، وأن نبحث عن حومة الزلال متوخين فيها القرب من البيوت العاصرة ، ليتسنى لنا نقل الجريح لو دعت الحال » ونجح الفيكونت في أن يقول مرة أخرى : « شكراً لكما »

وعاد القائد يسأله : — أأنت على ما تحب من الهدوء ؟ — نعم ! أشكرك ! — وانسحب الرجلان على الأثر

فقد فاز فوزاً عظيماً . وإلا فقد ضاع ضياعاً مبيئاً .
ذلك بأن الهزؤ يلاحقه ، والنوادى تلفظه ، والمحافل
ترفضه ، والغواني تبغضه ... كان يحس بكل ذلك ،
ولكنه لم يكن يملك لنفسه من غريمها شيئاً . ومع
ذلك فقد كان نبيلاً شجاعاً لأنه يريد النزال ويطلبه .
لقد كان نبيلاً شجاعاً لأنه ...

لم تكن تلك الفكرة التي استولت على ذهنه
لتكمل ... ففقره ، وصوب بغوثة السلاح إلى فيه ،
ثم ضغط على الزناد فغز قتيلاً يتشحط في الدماء القانية
وأهرع خادمه إليه حين سمع البوى فألقاه لدى
الباب قتيلاً ، وألقى الدم قد سال منه على ورقة فوق
النضد . لقد كانت بيضاء كتب بأعلامها :
« ألا إن تلك رغبتي ... »

سيد محمد العزاري

لا يريد ... وازدحت حينذاك برأسه الأفكار ...
فكر في عاره إذا غلب على أمره فهو جريح أوقيل ...
فكر في لفظ النوادي وهمس الصحاب وغمز الميون .
وفي سخرية الصالونات ... وفي سمات الهزء إيماءة
الرؤوس ... وطفق يصور ما سوف يجسر على قوله
الجبناء ... وما سوف تكتبه الصحف ... وما سوف
تقوله النيد الحسان ...

وظل محدقاً في فوهة السلاح مدة . ثم دفع
«سلم الأمان» إلى الأمام استمداداً للمعل ، ولم يكن
يرى ضرورة لحشوه ؛ فقد كان موقناً بأن ما به من
الرصاص يكفي
وأحس بفرح مضطرب يغمره ويغمر فؤاده
الرديد ...

حقاً إنه لو أفلح في فرض الرهبة على قلب الغريم

عليكم المصري يرفرف على

النيل و كوثر

فهما رمزا بلادكم

سافروا عليهما تجدوا راحتكم المنشودة

غرف فاخرة .. طعام شهى .. خدمة كاملة

اتصلوا بشركة مصر للسياحة

شارع ابراهيم باشا رقم ٤٩

فاوست

ملطاب لروسی شیرکوف
بقلم الأستاذ ذکامل محمود جیب

يلتهمه في شراة ونهم؛
ثم يدلف إلى حجرة
المطالمة. فيستلقي على
أريكة هناك ويذهب في
سبات عميق ينفط غطيلا
زعج الأطفال ويبعث
في نفوسهم الرعب؛
وكانت المربية تتخذ
من هذا الصوت المبكر

أداة تخيف بها الأطفال وتضطرهم أن يركنوا إلى
المهدوء والسكون إن هم صاحوا أو تاشجروا ،
فتقول لهم : « أقتسمون صوت اللب النائم في
الحجرة سأغريه بكم إن لم تمسكوا ... » ويهب الرجل
في الثامنة فيصبح بصوته الأجش : « لماذا لم
توقظوني ؟ » فتجيب الزوجة في خضوع : « لقد فعلنا
مرات ومرات فما زدت على أن قلت : نعم ، نعم ! »
ثم هو يجلس إلى نضد يقرأ صحيفته وزوجته كرتينا
بأفولتنا تصب الشاي ، وأما ماريا بيتروفنا في الناحية
الأخرى من النضد تداعب طفلا ، وقد هدأ السكان
إلا من بعض أوامر يقذف بها الرجل في وجه زوجته
السكينة ... ثم ينطلق إلى الندي يلبس الورق فلا يعود
إلا في الثانية بعد نصف الليل ، وقد نام الجميع سوى
حماته ماريا تنتظره لدى الباب فتحصيه تحية جافة تشيع
في جنباتها أنات الألم والحزن ...

ما كانت الزوجة لتنتظر زوجها ، وما كانت
تألم لنطيطة ، ولا تأسى على غيبته ، أما الحماة فكانت
لا تستطيع أن تكتم بعض ما يؤلها من شذوذ الرجل
وقسوته فتندفع إلى الزوجة تبسرها إليها بحديث تنفّس به
عن نفسها : « حقا ، إنه زوج ظريف ؛ إن كل
(٤)

استيقظ كل من في الدار وإيفان منها لوقتئذ في
فراشه لا يجد القوة على النهوض ، فيتكى على وسادة
ينفث دخان سجائره وفي نفسه القلق والاضطراب
لأنه لا يشعر بالرضا ولا يحس في نفسه بالقناعة ؛
فهو قد برم بحياة تدفقه دائما إلى أن يسرع في كل
ما يعمل صباحا ؛ في ارتداء ملابسه وترتيب شعره
وتناول طعام الافطار ؛ ليطير إلى عمله في المصرف ...
لقد سمع إيفان - وهو في مكانه - زوجته
تأمر ابنه : « إذهب فأيقظ أباك ! » واندفع الطفل
إلى أبيه : « أبي ، ألا زلت نائما ؟ » فأجلب الأب
في غلظة وجفاء : « لا ، لا ! »

وعلى المائدة جلس إيفان وقد غمره الكسل
والفتور ، وأثقلته أفكار سوداء تضطرب في خياله
فما استطاع أن يقول شيئا ولا أن ينظر إلى أحد ؛
فراحت المرأة ترمقه في أسى وحسرة وهي تقول
لنفسها : « لعله خسر كل ما منعه في الندي فهو
لا يجد مالا ! »

لقد دأب إيفان على أن ينطلق إلى عمله في
الباشرة من كل صباح ويعود في الرابعة مساء ، وقد
أنهكه العمل وأضناه الجوع ، فيجلس إلى غداة

وجها من سمات الألم والحياة ...
ثم ... ثم ينتهي الشاء ومن بعده الشاء
وينسل الزائرون لا يخلفون من وراءهم إلا سحب
الدخان منعقدة في سماء الحجرة وإلا صحاف الطعام
وفناجين الشاي وزجاجات الخمر فارغة متناثرة هنا
وهناك ، وإلا بقايا الدخائن ملقاة في نواحي المكان ؛

ثم يسود الدار سكون عميق وكزينيا على كرسي في
ركن تحس في مفاسلها ألم الاجهاد والتعب ؛ وأما
تجول في أرجاء الحجرات تفتح النوافذ وتلتقط بقايا
السجائر من أصص الزرع ، غصبي مغيظة : «أما كان
يقنهم أن أثر (الطفاطيق) على الناضد فينصرفون
عنها إلى الأصص ؟ » ثم تندفع تنظم ما تشعث ؛
وإيفان يضطرب بين الحجرات وقد أمضه ما رأى
وهو يقول في غضب : « لقد نامت الدواب على نهر
الفولجا ، أما نحن ... » ثم يستلق على فراشه ينتظر
زوجته في قلق ... ويناديه في قسوة ، فما يسمع
سوى عويل طفل يرتفع في الناحية الأخرى وزوجته
تهدهده ، وحين ينفذ صبره يجذب النطاء وينطوي
إلى نفسه وقد أدار وجهه إلى الحائط ...

وكانوا هم يخرجون إلى دار أحد أصدقائهم مرة
أو مرتين في الشهر ليشهدوا مثل هذه الضوضاء
ومثل هذا الاضطراب ...

ومرت الأيام جرداء محملة ، فبدت الحياة في
عيني كزينيا جافة قاسية لا لذة فيها ولا متعة ؛ مظلمة
لا نور فيها ولا سلاوة ؛ وسلط عليها الملل والضيق
فانطوت على شعور غريب فيه الضجر والقلق . ماذا

مارتستعين به منه هو قميصه الملق على الشجوب !
فتصرخ الزوجة في وجهها في غضب وغيظ :
« لا يا أماء ، هذا هو دأب كل زوج ... ! » ثم
تدلف إلى حجرة الاستقبال وهي تترنم :
من وراء الأفق أرض جميلة ...

اعتاد إيفان وزوجته وأما أن يستقبلوا الزائرين
مرتين كل شهر ؛ وهم جماعة قصوا أعمارهم في مناصب
الحكومة ، في هدوء الدواوين ، وخود الوظيفة ؛ لم
تصقلهم الحياة ولا حنكهم التجارب ففهم الفناء
وفهم الركود ... فسكانوا يجلسون إلى إيفان وزوجته
يتحدثون عن حياتهم الزلية ، وعن أطفالهم ، ثم
عن الجو ؛ ومازيا تمد الشاي والبري والكحك ...
ثم يتدافعون — وقد شربوا الشاي — إلى المائدة
الخضراء يلعبون الورق ويدخنون ريثما تهبي الزوجة
وأما طعام العشاء ، والخبز يستولى عليهم رويداً
رويداً ... ثم ينطلقون جميعاً إلى الطعام والشراب في
صخب ولجب ، وقد استخفهم الطرب ، ودب فيهم
النشاط والمرح ، فيجلس إليهم إيفان يقص قصة
زواجه من كزينيا وقد عبث برأسه الخمر « لقد
أحب كل منا صاحبه جداً يكاد ينشق له القلب وأنا
ما أزال — حتى الساعة — أذكر لقاءنا في حديقتهما
الجميلة في ضوء القمر ، فنجلس ساعات في كن هناك ،

وقد نامت عين الرقيب والواشي . لقد كان قلبي يدق
دقات عنيفة متوالية ... » وكزينيا على خطوة منه
يتصاعد دم الخجل إلى وجنتيها وتشير إليه بطرف
العين أن أمسك ، وهو يغضى لا يعنيه ما يبدو على

ولا يعنى بأمرها ؛ ثم زوجة تنفر من زوجها وتضيق به ذرعاً ، وهى لا تستطيع أن تجهز بهض ما يتسرع في قلبها فتكتمه على مضض . أما الحب ؟ أما السعادة فى الحب والزواج فخيالات لفتها الأيام لتنتشر مكانها ما تكابد فى دار زوجها من هم وتكد ... واصطرعت فى نفسها خيوط امر مؤلة كادت تصصف بعقلها ، غير أن شبحاً بدأ فى الظلام يقرب منها رويداً رويداً يجذبها من أخيها ... إنه هو إيفان ميها لوقتش فى قميصه الأبيض جاء يلقي بنفسه على كرسى إلى جانبها ، وراح يتشادب ويقول : « لقد أكلت طعاماً شهيماً ونمت نوماً هادئاً ، ولكن فيم تفكرين ؟ » قالت : « لاشئ ... لقد كنت أفكر ... » إن هذه الحياة جافة يا إيفان ! قال : « أفيكون لك ثلاثة أطفال ثم ترعين أن حياتك جافة ؟ » قالت : « إنها عملة لأنها على نبط واحد ! » فقال الرجل بفيض وهو يلوح بيده فى الفضاء كأنما ينجي عنه شيئاً يريد أن يلصق به : « أفتعيشين عمرتك مضطربة ككثبة ؟ » ثم انطوى وخلفها إلى أحزانها تبسم فى حسرة ثم تنزوها زوات الألم فتجهش إلى البكاء ...

وصاح إيثان - بعد حين - « ما هذا ... ؟ » ثم نادى زوجته يطلب ماء ، غير أن الحماة اندفعت إليه وفى قلبها شهوة الانتقام وهى تصيح : « ما هذا ؟ ما ذا صنعت ؟ ما ذا صنعت ؟ » قال : « لاشئ » ، إنى لا أستطيع أن أفهم ابنتك ولا ما تريده ! قالت وهى تضطرب : « ما ذا ؟ ما ذا صنعت ، ما ذا قلت ؟ » قال : « لاشئ » ، إنها

تستطيع أن تفعل وهى فى سجن من دارها وسجن من أولادها ؟ أفتستطيع أن تجد مهرباً مما هى فيه ؟ وترقرق العبرات فى عيناها ...

واستشعرت الأسى والألم فى نفسها حين بدا لها أن سجنها يكاد يضمها بين جدرانها فيقصص عظامها ويفرى جلدها . إنها ترى الناس يندون ويروحون فى نشاط ومرح ، فيهم الأناقة والدكاء والخفة ؛ أما هى ... أما هى فقد استولى عليها الفتور والجحول ، وبدا عليها التشعث والغباء من طول ما اعتزلت الناس

وحلست الزوجة إلى الشباك وخيالها يحلق فى متاهات لا يجد الهداية ... وارتدت إليها ذكريات الطفولة الجميلة ، وأيامها الباسمة ، وحياتها المشرقة ؛ حين كانت ترى العالم كله يضطرب فى قلبها وتضطرب معه آمال كبار تتراعى لها من وراء الأفق فيها السعادة ... سعادة انحب فتبسم فى رضا واطمئنان ، وهى تنتظر المستقبل الجليل .

ولكن ... ولكن ها هى الحقيقة مره لداعة ، إن العالم كله الذى عاش فى قلبها سنين لم يبق منه سوى شارع ضيق قذر قصير ، فى أحد طرفيه دكان البديل وهم له مدينون ، وفى الطرف الآخر الدار حيث تطوى هى أيامها لا تجد إلا الأطفال وصراخ الأطفال ، وعويل الأطفال ، وإلا عملها فى الدار ، وإلا جماعة من العجائز يلبسون الورق بين الحين والحين فى ضجة وضوضاء وإلا الزوج المنيد يشاكس زوجته وينهلها فى غلظة وفضاظة ، لا يعرى حقها

تحدثه في لطف وهي تشير إلى المائدة : « ها هو طعامك » فما أجاب الرجل ، وما ألحت المرأة ... وأخذ إيفان يطوف مايطوف في حجرات الدار كأنما يريد أن يشعر كل من في الدار أنه السيد الأمر ؛ وبعد لأي دلف إلى حجرة المطالمة ليستلقي على أريكته هناك ، وأرادت ماريا أن ينزل عن رأيه فلا ينام في حجرة المطالمة فلم تفلح ...

وكان الكلب (نورما) يطمئن إلى إيفان ويهفو نحوه ، لأنه كان يحبوه بطفه. وحنانه ؛ والآن — حين رأى سيده يدخل حجرة المطالمة وحين سمع ما كان بينه وبين ماريا — انطلق إليـه في هدوء يداعبه كأنه يريد أن ينزع عنه بعض ما أحزنه ؛ وراح هو يداعب كلبه في صرح ونشاط ، ونادت ماريا من خارج الحجرة : « نورما ، نورما ! » ولكن الكلب لم يأبه ؛ وتردد الصوت : « نورما ، نورما ! » ففزع إيفان عن مكانه وأغلق الباب في شدة وعنف فأسكت الحماة عن النداء ، وذهبت في انكسار إلى فراشها وهي تحدث نفسها : « أفينام مع الكلب ؟ هذه هي ثالثة الأثافي ! »

لقد كانت حياة ضنكاً ، فيها الاضطراب والقلق ، وفيها القسوة والشدة ، تشدد قسوتها في المشيرين من الشهر حين يتقاضي إيفان مرتبه الشهري ويجلس بحسب ديونه وهي تربو على مرتبه ، وهو يرى مصيئته في امرأتين قيّد هو بهما وهما تسعين للحرية ولا تصلحان لتدبير شئون الدار ؛ ثم يقلب صفحات دفتره وهو يقول : « لاضير ، إنهما يريدان

انفجرت ضاحكة على حين بفتة ثم راحت تبكي ! » قالت : « لا ، أنا لا أصدق ، هذا عبث ، لا بد أن تكون سحرتها ! » قال الرجل في حدة : « لقد قلتُ إن شيئاً لم يكن ... ! » ثم انطلق ... انطلق إلى الندى يلمب الورق ...

وزاغ بصر المرأة فراحت تذرع الأرض وهي تضطرب وفي نفسها النيفظ والنفض ، ثم جلست إلى ابنتها تحدثها : « لقد تخاصمتي ، فلماذا ؟ ماذا فرط منه ؟ » قالت الزوجة : « لا ، لا شيء ! » قالت الأم : « لعله أمتهنك وأغضبك ! » قالت الزوجة : « لا » قالت الأم وقد هدأت من ثورتها فبدأ الحنان في رنات صوتها : « يا عزيزتي لا تكتمي عني شيئاً ، أنا أعرف أنه أناني ، فلا تثبري غضبه » قالت الزوجة ومن عينها تتدفق المبرات : « حقاً ، حقاً ! ثم إنه غبي ! » وثارث ثائرة الأم فقالت في شدة : « إن امرأة تحدثت عن زوجها هذا الحديث فما بعده سوى الشر المستطير ! » وراحت تدفع عن الزوج في لباقة وذلاقة : « إن زوجاً يذ إيفان لم يخلق بعد . أفلا تعتبرين بسواك ؟ إن زوجة كاييتا لينا السكنية تحمل أثقالها وأثقال زوجها في صبر وصمت ، ثم هي لا تسب زوجها ولا تحقره . إن بعض ما أنت فيه هو السعادة يا ابنتي ... ! » غير أنها لم تغفر بكلمة واحدة فانطوت على هما تنتظر الزوج ...

وعاد إيفان يذق الباب في عنف ، فقالت ماريا لنفسها وهي تفتح الباب : « لعله سكران ! » ثم قالت

منذ سنوات تسع ثم يتمكها في سجنها ليذهب هو إلى الندي

وظهرت رواية (فاوست) على مسرح المدينة . فانطلق إيفان إلى المسرح يحجز له وزوجته كرسيين ، واربد يقول وهو ياق بالتذكرتين على المنضدة وعلى وجهه سمات الغضب : « سندهب الليلة إلى الملهى ، لنرى (فاوست) ! وصرخت الزوجة في جهور وقد تدفق دم الشباب في وجنتها : «فاوست ، فاوست ! » وانطلقت كزينيا ترتدى ملابسها وتصفف شعرها وإيفان ينظر إليها ويتقد كل ما تعمل . إنه يريد لها جميلة جذابة يفخر بها وبجمالها ، وكانت هي أيضاً تريد أن تبدو أمام الناس خلابة آسرة ثم ... ثم انطلقا جنباً إلى جنب صامتين لا يشعرا بالرح ولا السرور ، وذراعاً في ذراع وبود كل منهما لو سحب ذراعاً من ذراع صاحبه ...

ودلفا معاً إلى بهو المسرح والموسيقى تغزف الألحان الأولى وإيفان يعيش الخلاء وإلى جانبه كزينيا مطأطئة ذاهلة كأنها تساق إلى القفص ... وأطففت الأنوار ، ورفعت الأستار ، وبدا فاوست في ملابس رمادية وقبعة كبيرة ولحية بيضاء طويلة ، يفنى :

عبثاً ، عبثاً ما أحاول أن أعثر عليه بطول السهر والسكد

وكزينيا في مكانها جامدة لا تحركها الأغاني وتشجها الموسيقى ، ثم بدا ميفستوفليس أحمر فانياً يتلهب ، يعلن أنه يستطيع أن يأتي بكل شيء حتى

الحرية « فتجيب الزوجة : « وماذا بين الحرية وبين هذا ؟ » فيقول هو : « إن الشيطان يعرف لماذا يعلمونكن الجغرافيا والجبر والحساب وحساب الثلاث والهندسة ! ماذا يفيد ككل هذا وأنت لا تستطعن أن تنظمن حياة رجل ؟ لملكن تتعلمن هذه العلوم لتطالبين بالحرية في إصرار وإلحاح ! » فتقول ماريا : « إنا ولا ريب نستطيع أن نوازن بين دخلك وحاجاتنا إن أنت اطلأنت إلى الدار فلم تذهب إلى الندي » فيقول هو : « وأنى إذن أجد المال ؟ أفأزيه ؟ » وهكذا يتنازعون بينهم أمرهم ، ويؤنب أحدهم الآخر ثم يستشعرون جميعاً الخزي والعار في حديثهم ، ثم .. ثم تمر الأيام والليال وتستولى على نفس الزوجة ويدب فيها الفتور والكسل فيمنحي من عينها بريق التبعة والسرور ، وتبدو وهي في حركاتها واهنة ضعيفة كأنها في تشمها وهزالها عجوز شحطاء تدب إلى القبر وهي ما تزال في أيام الصبا على المرء أن يسعى جهده إلى الراحة والاستجمام بعد العمل المضني ، ليبدأ عملاً جديداً في قوة وفتوة . وكان إيفان يرى الاستجمام في كؤوس من الخمر تذهله عن متاعبه حيناً ثم هو يقول : « يجب أن يطرح الإنسان عن نفسه بعض ما يثقلها ليجد النشاط والقوة » أما كزينيا فكانت لا ترى الراحة إلا في الملهى وقد حرمتها زماناً ، فهي دائماً تطلب إلى زوجها أن يصحبها إليه فينطوى عنها وهو يذكرها بزيارتها للأوبرا في سانت بطرسبرج حين كانا عروسين

اطمأنّت هي إلى ما ترى فففضت عنها ما يحضها وما يحزنّها ، ونسيت الغضب والهكم والديون ... وما رأت على حياتها من ألم وضيق ، فبدت روحها صافية طروباً ؛ وأندمل جرح في قلبها نكاته الحياة المرة التي تعيشها

وفي الفصل الثالث طارت خواطر كزينيا بعيداً عما حولها إلى ضوء القمر ، إلى الحديقة الفناء ، إلى أيام الحب والسعادة ... السعادة التي راحت تنمو في خيالها رويداً رويداً حتى غمرتها إلا غلالة صفيقة من حزن ؛ وهي ترى مرغريت الجميلة الجذابة في غداؤها الذهبية اللامعة تجبّو عند قدمي حبيبها الشاب فاوست تستعطفه في سذاجة وصفاء ؟ ثم سارت إلى جانبه تحت ضوء القمر الجليل وفي نفسها الخوف والأمل وهي تنفي أغاني الطرب تناجي بها الكواكب اللامعة ، وتشر أمامها أسرار سعادتها ، والليل هادي والحديقة ناعسة ، ورنات صوتها العذب الساحر تشق طريقها إلى السماء كأنها تسبيجات عابد يتعبد في غسق الليل لقد ملست فتاة المسرح كل قلب فأنارت الشجون وهزّت أفئدة الذين خاتمتهم السعادة فألقت بهم في قرارة البؤس ، فوجم الجميع وبدأ السكان هادئاً ... واضطربت كزينيا حين رأت مرغريت تمثل دوراً مثله هي حين تغفل في قلبها حب إيفان

ورن في جنات البهو صوت ميفستوفليس يضعك في تهكم « ها ، ها ، ها ! » وفي صوته القسوة والخشونة ، وراع كزينيا أن يحذنها هذا الصوت الأجش من أحلامها فبدت منيطة محنقة

الشباب والمآل . وتراى إلى كزينيا اليوم العشرين من الشهر وما فيه من عراك وشجار ، ودوى في مسمعيها صوت إيفان : « الحرية ، الحرية ! » وحين ارتدت إلى ما يمثل أمامها كان فاوست قد خلع لحيته وملابسه ليبدو شاباً أنيقاً جذاباً يتسم وبغنى :

أيها الشباب ، هات محرك اللانهاى ... ثم هو يفتخر في نشوة وطرب ، والزوجة جالسة تأمى على شبابها المفقود ، ثم زفرت زفرة عميقة وهي ترمق زوجها وقد مال رأسه في صلف ، وعلى وجهه الحليق الناعم وشاربه المقتول سمات الجبد والحزم واتتهى الفصل الأول فخرجا معاً إلى المقصف وإيفان يزججه أن يرى شعر زوجته لم يذب كما يريد هو ، وأن ينجس إليه أن وجهها ليس طروباً ناعماً كوجوه النساء حوله ، وأن عينيها قد انطلعا ما كان ينبعث منهما من أشعة آسرة ؟ ثم هي فائرة خاملة والنسوة من حوله يرحن في خفة وطرب

ورجما في صمت وكل يعيش في عاله هو ، لا يعنيه ما يضطرب في نفس صاحبه ؛ وكانت الأنوار الكهربائية تنعكس على ثياب السيدات فتزيد البهو رونقاً وجلالاً ، والسكان يمج بأصوات الناس ، وكزينيا ترى فيما حولها أسباب حزنها وألمها ، فلم ترفع بصرها لترى في البهو أشياء حرمها زماناً ، ولكنها انطلوت على آلام في نفسها مبرحة وإلى جانبها زوجها لا يسرى عنها بعض ما يضطرب في خيالها . وحين ابتدأ الفصل الثاني

الحياة تنعكس كما لو كانت في مرآة» ثم انحنى يهمس في أذن زوجته في رقة ولطف: «أفند كرين... هناك في الحقيقة!»

وشاع الخجل في وجه الزوجة حين ذكرت كرينيا وإيفان حبيبين يتلاقيان على ميعاد في حديقة البار ثم همست في أذن زوجها: «كأنه حلم!» وجاء صديق يحميها: «كيف حالكما؟» فأجابه الزوج: «إننا لا نجد ما يحزننا، فالحمد لله! وأنت؟» قال الصديق: «لا بأس، شكراً لك، إنى أرى كرينيا تبدو أنيقة جميلة» فلأها السرور والكبرياء ثم قالت: «يجيب أن أسمع منك هذا وأنا أرى أنني أفقد جمالي رويداً رويداً» وردد إيفان بصره في زوجته وهو يحدث نفسه: «حقاً إنها جميلة جذابة». ثم قال في كبرياء وصلف: «إن فوق مكتبي رسماً لهما حين كنا خطيبين أفرأيت؟ لقد كانت أجمل من مرغريت!»

وفي الفصل الأخير اضطربت في رأس إيفان خواطر: لقد تراهى له أن زوجته ستلقى ما لقيت مرغريت فتدفقت الشفقة والرحمة في قلبه... لقد كان هو فاوست في وقت ما وكانت هي مرغريت. أما الآن، أما الآن...

الدار وهي تبدو في عينيها سجنًا مظلمًا؛ والأرض الحجرية؛ والقش التراكم فوق السقف؛ والراء المسكنة التي تلمس القسوة والفظاظة في زوجها فتخضع وتستكين وهي لا تستطيع أن ترد عن نفسها بعض ما يرضيها؛ ثم الماضي الجميل وقد

وإلى جانبها زوجها إيفان يقول في هدوء: «لا بأس، لا بأس!» وألقت السيدة على زوجها نظرة خافتة ثم أرسلت أنه محمية حين تراهى لها أن الرجل الجالس إلى جانبها كان هو فاوست حين كانت هي مرغريت... ثم جاءت الغلظة الأخيرة... الزواج... لقد تزوجت منه لتشييد صرح سعادتها فهدمت حياتها وهنأها ودوى هتاف الاستحسان حين أسدلت الأستار ثم رفعت مرة أخرى فاذا فاوست ومرغريت وميفستوفليس يداً في يد يتسففون للجمع الحاشد؛ ثم هم يبددون من رأس كرينيا أخيلة كانت قد سيطرت عليها حين خيل إليها أن ما ترى حقيقة لا حصرية فيها

ونادت كرينيا زوجها: «تعال، يا فانيا!» ثم انطلقا إلى القمص يشربان الشاي ويأكلان البرتقال، وقال إيفان وهو يقدم إلى زوجته برتقالة: «أنا ظمان!» وأحسن هو أن قلبه قد نفذ عنه ما علق به من بفض وكراهية فقال: «أهذه البرتقالة حامضة؟» قالت الزوجة في رقة: «لا، إنها جميلة حلوة!» وأكلت الزوجة البرتقالة وهي ترقب الرجال حولها وتحديث نفسها: «ليس فيهم من يشبه زوجي، كلهم يذهبون إلى الندى، ولكن زوجي خيرهم» ثم قالت لزوجها: «كيف وجدت مرغريت، يا فانيا؟» قال: «لا بأس، ولكن ألفاوستر تفوقها» قالت: «أفسممت أماً؟» قال: «أفلا تذكرين؟ لقد سمعتها سويًا في سانت بطرسبرج» قالت: «لقد كان ذلك منذ أمد بعيد» قال: «طبعًا، لقد رأيتهما مرارًا، وأستطيع أن أراها مرات كثيرة، إن

فقال : « إنك تشبهين مرعريت في سجنها »
 وغضت كرينيا من بصرها وقد ابتسم قلبها لأن
 صدى صوت أيام الشباب الجميلة رن في أرجائه ؛ ثم
 راح يودعها وهو يقبلها : « نعمت بنوم هادىء
 يا مرعريت » فقالت هي في حياء : « حرسك
 العناية الإلهية يا فاوست ! »

وانطلق إيثان إلى حجرة نومه ليخلع ملابسه
 في بطة وتلكأ وهو يفتي :

لكم السعادة يا من تمشون في رضى وقتاعة ...
 لامل محمود حبيب

أترعت أيامه باللذات والسعادة ؛ كل أولئك ارتد
 في خيال إيثان فجأة فأنّ أنه كادت تنقطع لها
 نياط قلبه ، ثم نظر إلى زوجته فراها واجبة
 حزينة والمبرات تترقق في محاجرها فأله ما رأى
 واستقر في نفسه أنه هو الجاني . وعادت إليه أول
 ذكريات حبه حين جلس إلى التي أحب يترنم وقد
 نشر الظلام مسوحه على الحديقة في وسط هذا العالم
 الصاحب ...

ومن حولها البلبل تسجع والسما صافية
 وغادرا للهي وهما يحسان أن حملا ثقيلا قد
 انحط عن قلبهما فعادا حيين كما كانا منذ سنوات
 وسنوات ... وطارا إلى الدار وإيثان بطوق زوجته
 بذراعه كأنه يخشى أن يفقدها ، وهي تحفى وجهها
 في فراء ممطفها وعيناها تلمعان من بين القراء
 الكثيف والقبعة البيضاء الكبيرة . . . واندفع
 يجول في أنحاء الدار مزحاً مسروراً وهو يفتي :
 دعيني أهدق في هذا الوجه الذى أمانى . . .
 فقالت ماريا : « كل ثم هدق كيف شئت ! »
 وجلس الثلاثة يتناولون الشاى ويتحدثون في
 هدوء واطمئنان وإيثان يستشعر في نفسه السرور
 واللذة ، ويهدق في زوجته وقد أبدلت ثيابا بشباب
 فبدت في صورة ملائكية رائعة جذابة . . . ثم
 انطلقت إلى أولادها تنظر إليهم — وهم نيام — في
 حنان وشفقة وقد خيل إليها أن هؤلاء هم الملائكة
 الصغار الذين حملوا روح مرعريت إلى جنة الخلد .
 وداف إليها إيثان فبدا له أنه يقف بإزاء فتاته الأولى
 حين كان قلبه يمتنى أن تكون له . . . له وحده ،

(١) خالتي وقصص أخرى

(٢) وكيل البريد وقصص أخرى

مجموعتان من أقاصيص رابندرانات طاغور

ترجمته عبد اللطيف النشار

(٣) جنة فرعون وقصائد أخرى

(٤) نار موسى وقصائد أخرى

ديوانان من شعر عبد اللطيف النشار

(٥) الاسكندر

رواية تاريخية عن حياة الفاتح الكبير

ترجمته عبد اللطيف النشار

ثمن هذه الكتب الخمسة عشرة قروش

بما في ذلك أجرة البريد

وتطلب بالبريد من صاحبها بعنوانه :

١٨ شارع الإنعادية بحرم بك بالاسكندرية

على البائع نذر الدوائر

مترجمة عن الإنجليزية
بقلم الأديب أميل فنج

دافيد فوستر وحيد
هذا الرجل النبيل ...
فكان يمر كل يوم منذ
التحق بمصنع أبيه
ليحسني ويدش في
وجهي دون سائر
الموظفين فزاد ذلك في
تعلقه بعمله وإخلاصه
له ...

ما هذا ... ؟ المستر فوستر يموت بعد التحاق
ابنه بالمصنع بسنتين !! الرجل العصامي ذو الأعصاب
القولاذية والعينين الברاقنتين الصريحتين يخفي فجأة
ولم نعد نراه يطوف بهالة المخلصين فيملاً نفوسهم
أمنًا وهدوءًا واستقرارًا ، ولم نعد نسمع صوته
يتجاوب في فضاء المصنع صداه في رنة مترنة حنون ،
ولم نعد نراه يتأملنا وترعنا في حنان وعطف
عجيبين ... مات فتولى ولده منصبه وسارت السفينة
تحمّل ركابها كما كانت ... وأخذت المطارق تطرق
طرقاتها التقليدية المتكررة ... فقد أقل نجم وسرعان
ما أشرق نجم ... ولكنه كان قاسيًا عنيدًا ...

وفي سبتمبر من السنة التالية تزوج فتاة
أحلامى : ماري جاكسون وكانت تشتغل في
المصنع بجانبه . وكانت ماري ولا تزال أجل فتاة
في العالم في نظري ، ولم يكن وجهها جميلًا بحسب ، بل
حبها الله نفسًا كريمة وقلبًا كبيرًا ... فتبادلنا ثقة
خالصة وحبًا جمًّا جعلنا في أقصى درجات السعادة
والهناء ... واشترينا منزلًا أنيقًا ببيتنا بخيلنا قبل
أن نشتره فصار فردوس غرامنا ومهد أحلامنا ،
وكانت حديقته الغناء مسرحًا يلهو فوقه طفلنا العزيز
(٥)

ذكريات ... ذكريات بعيدة تداعب خيالي
الآن كما تداعب يد طبيب ماهر جرحًا قارب الشفاء
فتؤله ألمًا محتملاً مقبولاً ...

هأنذا أرى نفسي يافعًا يسي في طرارة سنه
لكسب عيشه فيصبح عاملًا في مصنع كبير يحوى
أغلب شبان المدينة ... وكان لترددى على مدرسة
ليلية لأتعم مسك الدفاتر الفضل في رضا المستر فوستر
صاحب المصنع على ، وبذلك فتح أمامي باب الرقي حتى
بلغت درجة رئيس قسم من أقسامه الكبيرة . لقد
كان صاحب المصنع رجلًا عصاميًا عطوفًا فشملي
بمطفه ، وكلاثنى بمنايته ، فكنت به مبدعًا وله مخلصًا ،
وكان بي فخورًا ولّى أبا حنونًا ...

لن أنسى هذا الرجل ماحييت ، لأنه استطاع
بلطفه وحنانه وجهه العجيب لعمله أن يطبع في
نفوس موظفيه وخاصة في نفسي ذكرى لا تمحي ...
فكان الرجل النبيل المطوف في حياته ، والشخص
القدس الخالد في مماته ...

كنت سعيدًا مقتبطًا بهذا المنصب الكبير
الذى أسند إليّ وبفضله صرت من رجال
المدينة البارزين ؛ وكان من أسباب سروري وجود

الصداقة المتينة تنشأ بين طفلين ذكر وأنثى .
وقد كان من الطبيعي أن نرى يتر في الرابعة عشرة
من عمره السعيد لا يفارق أديث إلا في وقت
الذكرة والنوم . أثنى غفر كان يملأني عند ما أرى
الصداقة تزداد متانة بين الطفلين ! إنها أمتنى ...
إنها سعادتي ... إنها حلمي اللذيذ ... ولكن
الدهشة كادت تصرعني في عصر يوم من أيام
الصيف الهادئة عند ما فاجأني دافيد بزيارة في مكتبي
وقال بعد عبارات الجمالة المألوفة :

— ألا تعلم يا بهيرن أن ولدك يركب العربية
مع ابنتي أديث في زهابها وإياها من المدرسة كل
يوم ... ؟

فابتسم وأجبت بهدوء :

— أجل ... لقد عرفت ذلك منذ بضعة سنين

— لا أرى أن هذا من اللائق المستحسن ...

خبرك أن تمنع ولدك من الركوب مع ابنتي
وبدون انتظار لجواب ... خرج مسرعاً من
غرفتي وبقيت أنا ذاهلاً بضعة دقائق أفكر في لاشيء ،
لقد دعت الفتاة يتر لمرافقتها من لقاء نفسها فما سر
هذا الامتناع ؟ ... لا بد أن يكون دافيد فوستر
خطئاً ظالماً ... لقد صار كل من الطفلين للآخر
ضرورة من ضرورات الحياة ...

وعند ما أخبرت ماري بما جرى أجابني في
هدوء ورزاة :

— هذه هي غريزة الأبوة ... لا شيء سوى
أن أبا أراد أن يحمي ابنته الوحيدة
فأجبتها ثائراً :

— كلا ! كلا !

ولكنها ابتسمت ابتسامة رزينة وقالت :

يتر فيلماً مراً وحياة فأسعدني بالحياة بين
هذين الطفلين الحبيين ...

ولم يكذب يتر المزيج يبلغ من العمر سنتين حتى
تزوج دافيد فتاة جميلة مريحة وهي ابنة أحد أثرياء
جنوب إنجلترا . وكانت تبث في الجو حولها لونا
جيلاً من الصراحة والألفة . فتصادقت هي وماري ؛
وكانت أحب الساعات إلى هذه السيدة الكريمة تلك
الساعة التي تداعب فيها طفلنا الحبيب ، لأنها كانت
لا تمنى شيئاً في الحياة إلا أن يزرعها الله طفلاً
جيلاً ... وهكذا نالت أمتيتها وولدت طفلة جميلة
ظريفة سمها — أديث — وكانت قرة عين والديها
ومعقد آمالها ...

ومرت السنون متتابعة وأقبلت علينا الحياة
بوجهها الضاحك الصبوح ، واستطعنا في هذه المدة
أن ندخر مبلغاً لا بأس به ليكون لنا عوناً على تعليم
ولدنا يتر ... وكنت في ذلك الوقت راغباً في أن
أصير أباً لأطفال كثيرين ولكن الله شاء أن يجعل
يتر زهرتنا الوحيدة فقصرنا جهودنا على أن نوفر
له السعادة والسيادة ... وشب يتر صلياً جيلاً رأيت
من خلال عينيه الصافيتين معاني الرجولة النبيلة
والأخلاق الهمشة . وكذلك نشأت أديث ابنة
دافيد فوستر حلوة جميلة كأماً واعتادت الفتاة أن
تذهب إلى مدرسة للبنات بجانب مدرسة يتر —
فكانت تمر في طريقها بمنزلنا فتحيينا تحية رقيقة
ثم تمضي . وما مضت مدة طويلة حتى أصرت
لأديث على أن يصحبها يتر في عربتها كل صباح
ويرجع برفقتها كل مساء ... وهكذا كان ...
وكنت أنا وماري نراقب صداقة الطفلين بسرور
ونؤمل ما يؤمله كل أب وأم عند ما يريان تلك

الرقباء ... وقد أخبرت زوجتي بهذا الحادث
ولكننا كسائر الآباء ينشدون الخير لأولادهم، فابتسمت
مارى وأيقنت في هذه اللحظة أن حرمان أدبى من
مرافقة بيتر كما يحب شجعها على مرافقته سراً بين
الغابات وفي الخلوات ... وعلى كل فقد تركنا الأمور
تسير كما يشاء الله ...

وفي الليلة التالية فوجئت بزيارة دايفيد لى
وماكدت مارى ترى العلامات الغامضة التي ارتسمت
على وجهه وبريق الخلق يشع من عينيهِ الفاسيتين
حتى توقفت شراً .

وواجهنى دايفيد بوجهه المتجهماً قائلاً :

— ألا تعلم يا هيرن أن ابنك رآه الناس يخرج
مع ابنتى في كثير من المناسبات إلى الغابات ويخلو
بها ... قد تكون يا عزيزى علاقتهم مجرد صداقة
بين فتى وفتاة، ولكن الصداقة في مثل سنهما لا تجمد
عواقبها .

عند ذلك أجبتُه باقتضاب :

وبعد ؟ !
— يجب أن يتمتع بيتر عن أدبى لأنى أخاف
عليها كلمات الحب التي تعد في مثل هذه السن
المبكرة جريمة .

لم أجد شيئاً أقوله في هذه اللحظة، ومع ذلك
تمتعت قائلاً :

— سامع بيتر من الاختلاط بابنتك يا مستر
فoster ؛ وعلى كل حال سيرحل ابني عما قريب
للالتحاق بكلية الطب . وفي خلال السنوات الست
القابلة لا يمكن بيتر من رؤية ابنتك ...
فأجابني الرجل ودية الفرح تهز كيانه :

— بلى يا عزيزى إنه السلوك الوحيد الذي ينبغي
لأب مثل دايفيد أن يسلكه

— ولكن كيف تستطيعين منع بيتر ؟ ... كيف
تخبرينه عند ما يجي ... ؟

ولما جاء بيتر في الساعة الثامنة مساء بعد أن
انتهى من واجباته قالت له أمه :

— هناك شيء مهم أريد أن أقضى به اليك
يا عزيزى بيتر

— ماذا يا أماه ؟

— مسألة ركوبك المرة مع إدبى يا بيتر ...
إننى أراها يا عزيزى أنانية منك لأنك تركب كل يوم
معهما في حين أن هناك أطفالاً في سنهما يودون
الركوب معها كذلك

— سوف لا أركب معها ثانية يا أماه ، لأنى
أرغب في التأخر في المدرسة بعد انصرافها لأمارس
بعض الألعاب الرياضية وهي لا تهملني حتى ألعب ، بل
تظل تصرخ في الخارج حتى أترك ألأبى وأذهب معها .
سوف لا أرافقها مرة ثانية ...

— ما أطيب قلبك يا بيتر ...

وكذلك أمر دايفيد ابنته أن تتمتع من دعوة
بيتر للركوب ... وقد امتثلت أمره بعد عصيان
وعتد شديدين .

وفي سن السابعة عشرة ترك ولى المدرسة
وعزم على دراسة الطب ... وما كان أشوقنى إلى أن
أرى ابني العزيز طبيباً شهيراً فأكون بذلك قد
حققت أعز أمانى في الحياة .

ولم يكن غريباً أن أرى بيتر الشاب المراهق
وإدبى الفتاة الناهد يسيران جنباً إلى جنب في
إحدى الغابات اللزجة والنجوى بعيداً عن أعين

إن العالم جميل ساحر في عينيك وعيني أدبث ...
 كلا كما في شبابكما الفض الجليل رسم صوراً فاتنة
 للمستقبل الزاهر ... أجل يا بيدر، قد تكون الأحلام
 رائحة يا ولدي ولكنها تكون أروع وأدهش لو
 تشبعت بالحقيقة ... إنني أرجو يا ولدي العز
 أن تستمر ذكرياتك عن أدبث عزيزة محبوبة كما
 كانت لأنها ستحفظك تقياً ... صادقاً ... شريفاً
 في معمة الحياة وزوابع الشباب ... احتفظ
 بذكرياتك ... واجعلها تمويذتك المقدسة في إبان
 نضالك في الكلية ... وبعد ذلك عندما تبلغ أمتيتك
 وتصير أدبث امرأة ناضجة ستعرفان قيمة هذه
 الذكريات ... وتعرفان أنها السلاح الماضي الذي
 حاربنا به حادثات الدهر ونوائب الزمان ... ولدي
 ...

ثم ضمته إلى أحضانها وراحت تقبله بمحان
 وعطف ... وأخيراً قال:

— سوف لا أراها يا أماء ... سأحرم نفسي
 لقاءها ...

وعندما تركنا لينام شعرت بالفخر بلس قلبي
 في غدوبة وليونة لأن بيدر أصبح رجلاً نبيلاً ... فما
 أسعدني بك يا ولدي! ليباركك الله وليبارك رجولتك

وبعد شهر قضاء المستر دافيد في الأجازة خارج
 المصنع ، وفي يوم رجوعه إلى المدينة من مصيفه
 استدعاني إلى مكتبته الخاص ، وبعد التحية العادية
 خاطبني قائلاً:

— إنني أريد أن أدلي اليك بشيء يا هيرن .
 وقبل ذلك هل لي أن أسألك عما إذا كنت سعيداً
 في وظيفتك في هذا المصنع ...

— هذا حسن ... هذا جميل يا صديقي ... إنني
 أشكر لك فضلك ...

ثم انصرف الأب بعد أن اطمان على مستقبل
 ابنته كجندی غادر ميدان القتال منتصراً مزهواً ...
 أي انتصار أيها الرجل القاسي ... ؟! أنفخر
 أنك حرمت ابنتك الحب وقيدتها بقيد ، وضنت على
 ابني أن يتذوق السعادة ؟ أنت مخطئ ... بل مجرم ...
 وفي هذه الليلة الثقيلة الحزينة أفضيت إلى بيدر
 بما جرى بيني وبين المستر فوستر ورجوته أن يكف
 عن لقاء ابنته .

ظل بيدر صامتاً يفكر ... ثم نظر إلى الأرض
 نظرة شاردة وقال كأنه يخاطب نفسه:

— لقد أحببت أدبث يا أبي أكثر من أي
 فتاة في العالم ... فهي ... فتاة محبة ، لقد رغبت في
 أن أكون طبيباً شهيراً في يوم ما ، وقد عزمت على
 انتظارى حتى أسجل اسمي بين الأطباء بمحروف من
 جد ومجد ...

ومرت فترة صمت قصيرة قطعها ماري قائلة:

— حقاً إنها فتاة محبة ، فهي من النوع الذي
 يولد الحرارة والاقدام في نفوس الشباب ...

— هو كذلك يا أماء ... كنا أصدقاء ، وكنا
 عازمين على أن نظل أصدقاء حتى ...

ثم أطرق المسكين حزيباً ولكن أمه قالت
 مسرعة:

— حتى تصبح طبيباً شهيراً
 فأولماً بيدر موافقاً ثم طوق أمه بذراعيه وقال
 لها متسائلاً:

— لقد فهمت يا أماء ... لقد فهمت ... ؟
 — أجل يا ولدي العز ... لقد فهمت ...

— وظف ابنك في مصنعي ودعه يفتن فكرة

الطب ...

فنظرت اليه نظرة شاردة ولم أستطع أن أفهم

ما قال ...

— أوظفه بمصنمك ... ؟ ... ولا يدخل

كلية الطب ؟ ... إنني متأكد يا مستر دافيد أنك

لا تعني ما تقول ...

— إنني أعني ما قلت ... وسيرث ابنك منصبك.

سأكون صريحاً معك. يجب أن أعني بمستقبل ابنتي

الوحيدة ... فإذا التحق ابنك بمصنعي لم تعد ابنتي

تعتبر لديك زوجاً الكف ...

— تريدني أن أعني بمستقبل ولدي من أجل

حب صبياني يتلاشى كما تتلاشى سحب الصيف ...

ست سنين يا سيدي كافية لأن تنزع أعماق الحب

من قلب المرأة إذا جفاها جفها

— إن كلمة أعني قاسية يا صديقي ... لأنك

قد صرت من رجالات المدينة المتقدمين بفضل

منصبك هذا ، فلماذا لا يخلفك ابنك ؟

فأجبتته ببرود :

— إذا كان حقاً ما تقول، وسيتمتع ابني بهذه

المكانة السامية فلماذا لا توافق على زواجهما ؟ ...

فأجابني ببطء شديد :

— لأن مركزى في المدينة يخالف مركزك

فنظرت إليه باشفاق عليه راثياً له وقلت :

— وهل يباع الحب بالفوارق الاجتماعية ؟ ...

وهل تظن يا سيدي أنك قادر على أن تسلمها الحب

مضى شاباً وكبراً . !

فأجابني بصوت قاس صلب ...

فأجبتته مندھشاً :

لماذا ... ؟ ... أجل يا سيدي فالصنع منبع

رزقي الوحيد فهو كل شيء لي في العالم ... ولن

أنسى سعادتي التي وجستها بين جدرانها

— هذا حسن ... والآن لنعالج مثاعبنا . رجلاً

أمام رجل ... لقد أصرت ابنتي على حب ولدك ، وقد

رفضت أن تتمهد بالامتناع عن لقائه

— ولكن ألا ترى أيها الصديق أنها حساسة

الشباب التهور ؟ ...

— لا ... لأظن ذلك ، فأديت فتاة رزينة

عاقلة وخاصة في مثل هذا الأمر ، وقد كانت في خلال

زهنتنا الطويلة تبسم وتتكلم مني بصعوبة شديدة ،

وكلاً حادثتها أجابني بأنه ليس من حق أن أنكر

عليها حقها في حب الرجل الذي اختارته

— إن ابني لم يكشفها مطلقاً بحبه

— أجل يا صديقي ... فهي تعتبر العلاقة للآن

بمجرد صداقة عزيزة ، ولكنها عزمت على أن تتزوج

بمجرد حصوله على أجازة الطب . سأكلك بصراحة

يا هيرن ... ابنك شاب ذكي طموح وهي محبة

هذا النوع من الرجال ... ولكن مركزك أقل من

مركزى في المدينة ... فبحال أن يتزوجا

— ولكن آمالهما آمال أطفال يا مستر دافيد

سترول بمجرد أن تكبر أديت وتفهم العالم على حقيقته

— أنت مخطئ يا سيدي ... لقد عزمت على

إرسال أديت إلى مدرسة داخلية لتكون بعيدة عن

ولدك ... ومع ذلك أرجو أن تعمل أنت شيئاً من

جانبك

فأجبتته دون أن أتوقع ما سيحدث :

— بكل سرور يا سيدي ...

— ولماذا تنتظر للعد... لك أن تمتعني
مستقبلاً من الآن... سيذهب ولى إلى الكلية..

ولأول مرة في حياة هذا الرجل القاسى الجبار
رأيته يحيد عن جادة الصواب ويخرج عن حد اللياقة
إذ قال لى بانفعال :

— إنك رجل غر مغفل لأنك لا تدري من
أين يأتيك خبزك...

عند ذلك لم أستطع أن أحتمل... فرميتة بنظرة
قاسية متكبرة، ثم مضيت خارجاً من غرفته
ساعياً كالآلة الصماء إلى مكنتي حيث شعرت بالتعب
والضعف يستوليان على أعصابي ورجبة ملحة في
البكاء... واستولت على الأفكار السود فقلت
في نفسى

الرجل الذى طوقى ببطفه وإحسانه شاباً
ورعاً يحنانه ورضاه رجلاً بطردنى ولده الآن! كأن
ذلك التاريخ الجليل وتلك الذكريات العذبة لم تستطع
أن تحمله على أن يحترم شيتخوختي ويذكر صادق
خدماني لأبيه...

ولم يكن من السهل على رجل مثلي مضى أمام
مكتبه أجل أيام شبابه ورجولته أن يترك ذلك
المكتب العزيز إلى الأبد... وقد كانت الساعة
السادسة مساءً عند ما خرجت حزيناً تاركاً ورائى
بحال الشباب ومرتج الرجولة... وسعيت يبطء
فأنا نحو منزلى لأخبر زوجتى المسكينة بهذا الخبر
الفتيل...

وقضينا مدة طويلة في ترتيب المستقبل الصالح
لبيت العزير... وكانت النقود التي ادخرناها طيلة

سأرى دي في سبيل الحيلولة دون هذا
الزواج

عند ذلك تصاعد الدم حاراً إلى رأسى وامتلاً
قلبي بالغيظ ولكنى استعظمت أن أملاك نفسى وأحتفظ
بصوتى راثماً هادئاً كما كان قلت :

— مستر دافيد... إننى أحب الرفعة لولدى
كما تحب السعادة لابنتك... إن مستقبله هورسالى
في الحياة فلا بد أن أؤديها بأمانة وإخلاص...
لقد أراد أن يصير طبيباً فأريت سعادى وسعادته في
اختياره المهنة التي أرادها... فالطب هو مهنته التي
خلق لها ولن ينجح إلا بممارستها، فجعله في وظيفتى
وهو يريد خدمة المجتمع جريئة هائلة... محال
ياسندى أن أقرفها...

عند ذلك نفث دافيد دخان سيجارته بشراهة
ثم قال...

— إذن أنت ترفض أن تدخل ابنك مصنى..
أليس كذلك؟... لملك خلتى مغفلاً متهوراً
عند ما طلبت منك هذا الطلب

— متهور...؟ أجل، فطلب مثل هذا يستند
إلى حب صيداني فاف هو عين النهور والقسوة...
— حسن... ولكنى مازلت متمسكاً بمطلبي
وتستطيع أن تشاور زوجتك وتخبرنى عما استقر
عليه رأيك...

— لا حاجة لى بمشاورة زوجتى... فلها
سترفض طلبك كما رفضت

— على كل حال... دعنى أعرف قرارك في
العد، وإذا كان بالرفض فأرجو أن أتلقى معه استقالتك
فأجبت بهدوء قاتل :

نهضت الأم الحنون مَهْرولة إلى غرفة ولدها ،
ولما رجعت بعد نصف ساعة رأيت جنبها مَخْضَلَتَيْنِ
بِالْمَوْعِ

— لقد لقي بيتر إديث في الطريق ولما لم يكلمها
كما وعدنا ... أسمعته كلاماً جارحاً وقالت له إن
حبه لم يعد يساوي شيئاً لديها . . .

فأجبتها باستغراب :

— لقد تحدثنا عن الحب ؟ ! . .

— أجل .. لقد بكى المسكين في أحضاني .. وإنها
لأول مرة أراه فيها يبكي منذ سنتين ... لقد بكى
لأن الفتاة احتقرته وآلمته ... ولذلك أخبرته أنه في
حل من وعده ... وله أن يقابلها في الند ويشرح
لها كل شيء ... ولكنه رفض ...

لم أجد شيئاً أقوله في هذا الوقت ، ولكن
مارى استطردت تقول بصوتها الحزين :

— لا بد أن يكون دايفد فوستر مستريحاً
الآن ... لقد حقق الشقي غرضه على أقاض ذنبك
القلبين الشاينين ... وسيذهب بيتر إلى كلية الطب
واللوعة ترافقه لأن الفتاة التي أحبها احتقرته ...
وكم كنت أتمنى من صميم قلبي أن ترافق بيتر في
سفره ذكرياته العزيرة وحبه الطاهر الشريف ليقابل
حياة الاغتراب بقلب محصن ونفس جزلة ...

ثم قالت أخيراً بصوت منكسر :

— قد يظن المسكين أننا حرمانه متممة الحب
فيرمينا بالقسوة

فأجبتها بلهفة وحزن :

— ألا يمكن يا ماري أن تخبري أدِيثَ بالحقيقة

هذه المدة كافية بأن تبلغ بولندا المسكاة التي تصبو
إليها نفسه ...

وفي الصباح سألتني بيتر ... لماذا لم أذهب إلى
المصنع كالعامة ؟ فأجبتته بأن خلافاً بسيطاً
حدث بيني وبين المستر دافيد استقلت على أثره من
وظيفتي .

لم يصدقني ولدى فكرر السؤال على ماري
فأجبتته بنفس اللاحابة بدون اكتراث ... ثم
ابتسمت فابتسم بيتر وقال :

— إذا كنما أننا أصحاب الشأن لا تهتان
فلماذا أهتم أنا ؟ ... إنني أستطيع أن أرى إديث
الآن ... إذا أردت ...

— لا يابتر ... لن تراها ... إن الرجل
لا ينجس بوعده . . .

— كما تريد يا أبي ... لن أراها ...

ثم خرج بعد أن شملنا بنظرة حنون ملأت قلوبنا
راحة وسكينة وجعلتنا نثق بالمستقبل الذي كان منذ
لحظة مظلمة كرهنا

وبعد خروجه استطاعت ماري أن تقننى أن
نحل بيتر من وعد لا مبرر له الآن فقد امتنع عن
رؤية إديث لأنك كنت موظفاً عند والدها ، ولكنك
الآن حر طليق ، فمن الحرام أن يتقيد شاب في مثل
سنه بقيد تقبل على قلبه الشاب ... ثم اتفقنا على
إخباره بذلك القرار عند رجوعه

ولكن ... ولكن ما كاد بيتر يبلغ باب المنزل
في عصر هذا اليوم ... ولم يكذب بظالمنا بوجهه
النقيض الحزين وعينيه الباكيتين الشاكيتين
حتى أدركنا أن هناك أمراً عجزنا قد وقع لولدها
الجيب . . .

ما احتملت ... اليوم الذى ذهبت فيه إلى الحطة
لأستقبل بيتر العزيز يحمل لقبه الساحر «دكتور»
وقد استقر رأينا على أن يلتحق بيتر بمستشفى

في الجنوب ليكمل تدريبه ، في عصر يوم
أقبل الدكتور كرولي طبيب العائلة وقال إنه يود أن
يلحق بيتر بمستشفى مدينتنا الذى بناه والد دافيد
منذ زمن بعيد ... وفيه ثلاثة أطباء حطمتهم السن
المالية ولا يقرون على مشاق السفر ليلا لإسفاف
المرضى ... حينئذ قالت ماري وبريق الإعجاب والرهو
يشع من عينيها :

— إننى أريدك بجانبى يا بيتر العزيز ...

فأجابها بصوت منخفض حنون :

— سأبقى بجانبك يا أماء .. سأعمل بالمستشفى .

وفى خلال سنة اشتهر الدكتور بيتر شهرة
مستفيضة .. وأصبح طبيب جميع العائلات المحترمة
في المدينة وخاصة في الحالات الخطيرة المستعصية .
ومما هو جدير بالذكر أن بيتر لم يحدث أدبث
في خلال السنتين اللتين قضاهما في المستشفى كما
أنه لم يذكر اسمها أمامه إلا مرتين ... وفى كل
مرة كانت تنقش عينيه سحابة من الحزن الدفين .
وأظنه كان عالماً أنها سافرت منذ أن حل بالمدينة
في رحلة طويلة لتكون بعيدة عنه ... وكان أبواها
هما اللذين ذرا ذلك ...

لا أدري أية دهشة استولت علينا أنا وماري
في عصر ذلك اليوم الجميل من أيام الربيع الهادئة
حينما دخل علينا المنزل دافيد فوستر وهو يتسم
ابتناسمه البغضية القاتلة ... ويقول من غير مقدمة :

حتى تصافى القلوب وترجع المياه إلى مجاريها
— لقد فات الوقت ... وأريد الآن أن أفكر
في مستقبله لا في حبه ..

وفى الند رأيت بيتر شاحب الوجه ... ذابل
العينين ... حزن النفس من جراء ما قاساه البارحة
فظل طيلة اليوم مفكراً صامتاً ...

ومرت السنين متتابعة متشابهة ... نال بيتر
في خلالها أجزة الطب ... وأنا لم أرحج إلى مصنئ
القديم ، ودافيد فوستر لم يسأل عنى وكأنه لم يعرفنى
لقد قاسيت كثيراً في بدى الأمر حتى التحقت
بمصنع للأثاث ... وكان مرتبى ضئيلاً إذا قورن
بذلك المرتب الذى كنت أتناه من مصنئ القديم ..
ولكنى استعظمت أن أعيش به مستريحاً قائماً حراً
بيدأ عن سطوة ذلك الرجل الكريه ... فتعلم ابنى
كما أراد وحقق آماله وآمالنا ...

وبينما كان بيتر يسمى في تلك السنين بنحو المجد
والنجاح ... كانت رفيقة صباه أدبث تسمى بنحو الزهو
والهو ... فاندجبت في حياة صاحبة ماجنة ...

كانت لا تذهب إلى الكنيسة ... لأنه من
المسير أن توفى فتاة لعوب بين رغبات الجسد
الجامعة ... ونداءات النفس الصالحة ... لقد هجرها .
بيتر ومضى يسمى مستقبله وبجده يقوده صوت الضمير
اليقظان فراحت تثار لحبها وتنغم لنفسها من ظلم
التسوة القاهرة ... فكهرت والدها وأصبحت
لا تكلمه إلا قليلاً

وبعد مضى ست سنوات أقبل اليوم الذى
فحيت من أجله ما ضحيت . واحتملت في سبيله

إلى جسيم... ثم استمر يقول:

— لقد ذهبت زوجتي لتزور إدنيث لأنها أبت

أن ترجع إلى المنزل... وهناك وجدت الأم طفلها
المسكينة تحجل أن ترجع إلى المدينة لأنها...

قارت أن تصير... أما... أما...

فتمتت في حشرة قاتلة:

— أما... أما... ١٩

فأجاني بإماعة حزينة

— من أجل هذا أتيك... لقد عادت زوجتي

بأديث اليوم إلى منزلنا وهناك قصت الشقية قصتها
الحزينة على أمها... حياة صاخبة... ووعود كاذبة
وعلاقات آتمة

— ولكن ماذا أستطيع أن أساعدك به

ياسيدي...

لقد تردد وبذله أن يتراجع لأنني رأيت في

عينيه بقية من كبرياء... ومع ذلك خضع وقال:

— تستطيع ياسيدي أن تحمل ولدك على استعمال

فنه في إقناذ ابني من المار

— تمنى عملية إجهاض؟...

لم أستطع في هذه اللحظة أن أمالك نفسي.

ترأت لي حياة الفقير التي عشتها بفضل ظلم

هذا الرجل الدليل الواقف أمامي الآن... لقد علمني

حياة الحرمان... وأسأفني في أعز شيء لدى...

وعلى ذلك أجبته بخشونة:

— لن أسأل ولدي ذلك... لماذا أتيت الآن

ذليلاً تطلب ممونة الرجل الذي علمتني الصميم؟...

لقد فصلتني من وظيفتي التي أقيمت فيها شباني

وكهولتي... وأردتني على أن أحرم ولدي متعة العلم

— لم تكن زيارتي منتظرة بلا شك...

— فأجيبته ببرود وبطء:

— أجل... لم أكن أظن أنني سأملك ثانية

فأطرق الرجل إطرافة حزينة ثم قال:

— لقد أيقنت أنني أخطأت... وجهت إليك

الآن أقرر خطيئتي وأسألك المونة من أجل ابنتي

إديث...

— مموتني؟... بأى طريقة يمكن أن

أساعد ابنتك؟

— لم أصلح أن أكون أباً... لقد أحببت

أن تصير إديث زهرة يامنة في المجتمع لتتزوج رجلاً

شهيراً ذا مكانة. وكان هذا هو أمني وحلمي...

ولكنها نبذتني وكرهتني منذ أن حرمتها لقاء ولدك.

لقد أبت أن تتزوج... وفضلت أن تسير في الطريق

التي رسمها لها خيالها المكدود المتعب... صارت

الفتاة تسمع لتلك الأصوات المفرية الفاتنة في همس

عاشق حبيب، فأنخدعت المسكينة بحلو الحديث وروعة

الهمهمات الخافتة... وترأت لها أضواء المدينة

متلألئة صارخة منادية... فلبت الشقية النداء...

لم أستطع، وهو يقول هذه الكلمات في حماسة

ومرارة كأنها قطعة رثاء يليقها، إلا أن أظل صامتاً

ناظراً إليه في بلبلة... لم أفهم ما قال... ولم أفقه

ما ذا أعني... غير أنني أدركت أنني أمام رجل

محطم ذليل... كسرت قلبه فكرة خاطئة...

ذهبت ضحيتها فتاة بريئة طاهرة... فزاح يتلوى من

الأم والندم... لم يستطع السكين أن يخفي شيئاً

فراح يرسل نفاثه للسمومة في جو الحجر الحزين

فكانت كلماته كالنصال الجادة تتناثر في الفضاء فتحو له

— إنني أقدم هذه الذكريات دافيد فوستر ...
وإنني لستعد أن أساعدك في كل عمل شريف
ولكنك تطلب مني أن أملكك على عمل دنيء
فقال بعد أن رماني بنظرة ذليلة كبيرة :

— سأذهب إلى ابنك نفسه وأقدم إليه أجراً
يكفيه أكثر حياته ...

— تستطيع أن تجده ياسيدي في المستشفى
وجاءه دق جرس التلفون فتناول الساعة وإذا
بصوت يتر يصل إلى من خلال الأسلاك الدقيقة
متهديجاً ... مضطرباً :

— هالو ... بابا ... إنني أعتذر عن العشاء
في هذا المساء لأنني ذاهب إلى منزل دافيد فوستر
فإن أبنته إديث على وشك أن تجوز

وسمعت ولدي يضع الساعة ولكنني لم أجد
القوة لأضيقها ... وكان دافيد فوستر يعيش في العزلة
بخطوات بطيئة تبعه منكساً رأسه في حزن عميق
فناديته ...

— دافيد ... دافيد فوستر ... انتظر ...
انتظر دقيقة ...

التفت المسكين بسرعة ونظر إلى نظرة متسائلة ..
متوسلة ... فشعرت في هذه اللحظة أن الرجل
قد تحطمت كبريائه وتقطع قلبه وتقدم بـ عشرين سنة :
فبدأ شيخاً حزينا ذليلاً ... وأمام هذا المنظر
وهذه الشيخوخة العسة ... تسدبت عيناى
بالموع ثم قلت :

— لقد قال لي ولدي الآن أن زوجتك استعدته
بالتلفون فأجابني بكياً :

— استدعى إلى منزلي ... آه ... ألم تحت

وسعادة الحياة ... ثم تريدني الآن على أن أقدم اسم
ابنتك وسمة أسرته ..؟ كلا ... قلني يدنس ولدي
مهنته الشريفة ...

عند ذلك قام كنغر مفتوح محبوس في قفص
ضيق مزيج ، ثم واجهني واقتربت عيناى من عيني
وراح يحملني فيها بشراهة غريبة ثم قال :

— هل تعني ماذا يعني رفضك هذا ...؟ إذا
أعدتلك إلى وظيفتك تحمل ولدك على أداء ما طلبته
منك ؟ ...

— كلا ... وإن ما يدهشني الآن أنك أتيت
إلى أنا ... لماذا لم تذهب إلى طبيب آخر ...

— لقد ظننت أنني أجدهم الساعده منك أنت
— إنك لا تقدر خطورة سؤالك هذا ...

إنك تريد أن تجعل ولدي يدنس شرف مهنته ...
إن الأطباء لم يخفوا ليحطوا بالحياة بل لينقذوها
عند ذلك دنا الرجل مني حتى التصق بي ونظر
إلى نظرة ذليلة ثم قال :

— أنسيت ما صنعه أبي لك ..؟ ربما أكون
قد عاملتك بقسوة وهأنذا أعترف بأنني كنت مخطئاً
وقاسياً ، ولكن أبي قد استخدمك صديقاً وصادقك
رجلاً فاستطعت بفضل موته وعيته أن تشتري
منزلك الذي تسكنه ... وتعلم ابنك المهنة التي أرادها
هل نسيت هذا ؟ ... هل أستطيع ياسيدي أن أقدم
إليك بطلي باسم تلك الذكريات المؤثرة التي ربطتك
بوالدي برباط مقدس جليل ... ما ذا كان لك أبي ؟
وماذا فعلت من أجله ... ؟

ونظرت إليه بصمت حزين ... ثم قلت بصوت
منخفض تشوبه ارتعاش خفيف :

دافيد فوستر بصوت مبجوح كصوت نعل خاف
يجري على شيء صلب قاس:

— إديث ... إديث

فأجابته المرأة الشجاعة بصوت أرادت أن تجعله
قوفاً حاسماً فكانت منها كذبة هائلة لأنها لم تستطع
المقاومة فقالت:

— لقد ... ماتت ابنتك منذ ساعة كما قال

بيتر ... لقد انتحرت

عندئذ نظر إليها زوجها بيلادة وبلاهة كأن
لا يدرك حقيقة موقفه وقال:

— ماتت؟ كيف؟ أريد أن أراها ... أريد
أن أرى ابنتي الصغيرة العزبة، أريد ...

فأجابته زوجته بخنان:

— نستطيع أن نراها بعد برهة قصيرة إذا فدايد،
إن بيتر معها في الغرفة ... لقد ماتت وصورته لاصقة
بصدرها ...

— أجل ... بيتر هيرن ... لقد ذهبت إديث

بحبه إلى السماء ...

ما هذا ... ما هذا الشقاء الذي حاق بهذين
الرأسين الأشيبين؟ لقد شعرت بالدموع تهر على
خدتي فرأيت من خلالها دافيد فوستر يقف ذاهلاً
كرجل ضعيف تحت تأثير منوم مغناطيسي ... حينئذ
قالت الأم الحزينة:

— يجب أن ندع بيتر يتناول حبيبته الصغيرة
التيته بين ذراعيه برهة قصيرة ...

فانفجر دافيد من الحزن والحنق وأراد أن يقول
شيئاً ولكن زوجته أسكتته بنظرة صارمة حازمة
ثم قالت:

إديث؟ ... أخبرني ... لقد قالت إنها ستنتحر ...
أخبرني بربك ... أخبرني ...

فأجبتهم ببطء:

— لا أعرف سوى أن يتر في طريقه إلى
منزلكم ...

عند ذلك طرح المسكين على مقدم بجانبه ثم
راح يتم في همس حزين:

— ابنتي الصغيرة ... ابنتي الصغيرة ...
لقد عزمت على أن تفارقنا للأبد ... للأبد ...

— دعني أوصلك إلى منزلك ... ربما تكون في
حالة خير عما ظن ... إن كان هناك أمل في شفائها
فيبتسر سينقذها حتماً ...

فأجابني كرجل نائم تحت تأثير حلم هائل:

— سينقذها بيتر ...

وقد ساعدته على النزول وأركبته العربة ...
وفي أثناء الطريق راح يتم في حشجة خفيفة ...
« سينقذها بيتر »

وعند ما بلغنا المنزل ... شعرنا بجو من
الكآبة يكاد يخنقنا ... شعور مبهم لا ندري كنهه
ولكنه تحقق حين رأينا الخدم واقفين بوجوم
وحزن ... بعضهم ذاهل وبعضهم يبكي

لا أدري كيف قادت الرجل المحطم إلى داخل
منزله ...؟ ولكنني أفقت حيناً رأيت زوجته جالسة
كحيوان عاجز كسير حرم أطفاله قسراً ...
ولكنها حين رأتنا وقفت بكبرياء عجيسة ...
وكجندی في ميدان الحرب لا يبعد بدأ من إبداء
شجاعته وإلا هلك، وقفت تواجهنا بوجهها الأصفر
الهزيل وعينيها الباكيتين ... عند ذلك همس

شابة تحتاج إلى مال أو ملابس ... روح معذبة
مظلومة تشد الراحة والمناة ... كذلك كان زوج
هذه السيدة قد اعتزل العالم وأصبح زاهداً فيه ...
يتردد بين عمله ومنزله ... وقد عرف أخيراً أنه
هو المحسن العظيم الذي بنى جناحاً آخر للمستشفى
وأهـ الكـريم الذي لا يرد سائلاً ، ولا يخبى راجياً ...
يساعد اليتيم ، وينصف المظلوم ، ويعاون الأرمال
على العيش ، ويساعد الفقراء على الزواج
يرجو بذلك أن يكفر عن ذنب اقترفه .. إذ سلب
ابنته الحب والحياة ... وسلب ابني الراحة والسعادة
يريد أن يكفر ... أجل يكفر ... ليلبغ سلام
النفـس وما هو بباله
رباه ! في أي حال نحن أسعد ... ؟
أفي الحب ... ؟ أم في الاحسان ... ؟ أم
في الموت ... ؟

أصيل فرج

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

العدد ١٢ قرشاً

٢- إن الله مهمما الآن يا دافيد ... وسيعلم بئر
أن ابنتي قد أحبته ... وأن روحها نقية طاهرة ..
لأنها أحبته ...

وجلس دافيد فوستر بجانب الأم الحزينة وأسند
رأسه فوق صدرها كطفل تمب متهدم يشد الراحة
بين أحضان أمه الحنون ، ثم دفن وجهه في صدرها
وراح يهتز كريحشة في صهب الرياح ... ثم بكى ...
وفي هذه اللحظة خرج بئر من الحجرة أصفر
الوجه ، سامم العينين ، غائب الحواس ، كأنه
إنسان صناعي يسير بقوة أجنبية عنه ... ودون أن
يدري تقدم نحو السيدة فوستر ففتحت المسكينة له
ذراعها فاستقر بينهما ... وهو يهيم بصوت أليخ :
— أشكر لك يا سيدتي عطفك على هذه الليلة ..
فأجابته المسكينة :

— ليباركك الله يا ولدي العزيز ...

كنت أود أن أحبك كوالدي ... كنت أود ...
فلم أقو على احتمال هذا النظر ولا على سماع هذا
الكلام ، فخرجت وكأني أخرج من قبر مظلم ، ثم
لحق بي بئر وقال وهو يستنم بأنسامة باكية متجلدة :
— سأذهب للمستشفى الآن ... وسألحق بك
إلى المنزل ... إلى اللقاء يا ولدي ...

ودار الفلك دوراته المنتظمة المتعاقبة وما زال
ولدى في المستشفى لا يبرحه
وقد خيط في رأسه الشيب ولم يتجاوز الخامسة
والثلاثين من عمره .. وقلما تجده مشغولاً بغير مهنته ..
ويستطيع كل زائر أن يرى سيدة جميلة وقورة
ترور المستشفى كل يوم ترجو من الدكتور بئر أن
يقول لها إذا كان في الناس من يحتاج لشيء ... أم

سرر بلد كان الباجا
بوصه ٣ طراز لويس
الرابع عشر كان خصصا
لنوم البارون دى ...
وعند ذلك يتبارى
الراغبون فيه . فتسمع
تجاوزهم فى المزايدة خمسة

للاستاذ محمود خيرت

إنها أمي

جنيتات ... ونصف ... سبعة ... ونصف ... عشرة
وعندئذ يصيح العامل فى أسف :
عشرة جنيتات بس ! مين قال حد اشتر ... راح
نبيع ... راح ينكسب ... الآونة ... ألا تتره .
مبروك عليك يفندي

أما أنا فكنيت فى شاغل عن هذه الحركة بمداعبة
البيضاء ، أحدها فتسكت ، وأستنطقها فلا تجيب .
وقد خطر لى أن أغريها بقطعة من السكر من مقهى
قريب يبنى وبين صاحبه صلة ، ولكنها مع ذلك لم ت
صمتها بالرغم من إلحاحى ، وكأن صبرها فرغ فرفقت
فى وجهى عينها المستديرتين الصغيرتين ثم فتحت
مقارها الأصفر صائحة فى غضب : لا . لا وعند
ذلك أقبل الدلال وتقلها إلى مائدة فى وسط المكان .
فأخذ الحاضرون يتدافعون حولها ثم طرحها فى
المزاد ، حتى إذا وقف عند سبعة جنيتات صاحت
البيضاء من داخل القفص وهي تقول : (ثمانية)
فضحك الناس إلا واحداً من بينهم كان يُسمع له
أنين وبكاء ، وكان رجلاً قصير القامة ذابل العينين
فأخذ يقول وقد اخضعت لحية البيضاء بالدموع :
إنها لتساوى أضفاف ذلك لأنها تعرف أربع لفات ،
وكانت أنيسى فى غيبة زوجتى وأولادى بأيتنا ، ولولا
هذه الحرب القائمة لما غرمت على اللحاق بهم ولا

كنت أحد صالة البيوع هاجمة ، يخيل لى
وأنا أمر فى ممشياى اللتوية بسبب تكدر محتوياتها
أنها خالية من القائمين عليها . ومديرها منزور فى
ركن مظلم وقد أرخاه الكسل وغلبيه النعاس ،
وكذلك عماله ، لوقوف حركة البيع والشراء بسبب
دخول فصل الصيف

أما المكان فكان مكتظاً بمختلف المعروضات ،
فهنا أثاث قديم ولكنه من طراز لويس الخامس
عشر أو السادس عشر ، وهناك فى بعض الأركان
تمائيل من الجص والطين المحترق والبرز استوقفى
من بينها تمثال من الرمرى لفادة عارية تنامى جسمها
فى الحسن ودقة النسب ، وعلى كتفها دراعة تمتد
طرفها فينطى أحد نهديها وأعلى نخذيها وهي من
نفس الرمرى ، ولكنك مع ذلك تكاد تلعج من خلالها
محاسن هذا الجسم الفتان الناعم . وفى مكان آخر
قفص أسلاكه من النحاس به بيضاء لاتنطق ولا
تتحرك كأنها من بعض التماثيل الخ . الخ

ولكن الصالة فى ذلك اليوم كانت تموج بالناس
وبأيديهم بيان مطبوع يقفون منه على ما سيتناولوه
المزاد ، وكان المدير وعماله يتنقلون فى أرجاء الصالة
وقد امتلأوا نشاطاً وحركة ، حتى إذا مادنا الموعد
ودق الجرس أخذ الدلال يصيح بصوت عال :

لطيف من السرور والنشوة

وكان يتنازعني عندئذ عاملان قويان امتزج فيهما سلطان الفن بسلطان الماطفة ، لأن الطريقة التي اتبعها المصور فيهما حديثة يطلقون عليها اسم Impressionisme أى رصد الأثر الوقي الذي تشعر به النفس . والمصور على أساس هذه الطريقة يقذف بألوانه فوق لوحته قذفاً لكي لا يتبدد الأثر الذي تكون النفس قد شعرت به في لحظات تأملها . ولذلك لا تجد نفسك أمام لوحة مستوية مصقولة بل أمام ما يشبه أطواداً وأغواراً من ألوان متحجرة لو أنك مررت عليها بأصابعك لتفززت نفسك عند لمسها . ولكنك إذا نظرت إليها من بعيد هالك ما يتجلى فيها من جمال الطبيعة الحى قدسحرك سحرآ وتفتنك فتونآ . على أن نفسى أخذت بعد ذلك تنحدر في اتجاه آخر وأنا أتساءل عن حقيقة هذين الشخصين : أكانا أخوين ؟ أم كانا زوجين ؟ لأن الذى صورها شخص واحد (ج . موساكيس) ولما بين الصورتين من الوحدة في الوضع والاتفات والقياس والإطار . كما أن الصالة اشترطت أن لا تباع إحداهما دون الأخرى ؛ ثم إنى لمحت فوق جمال المرأة وسموها الباديين من خلال شيخوختها وفوق ما يشهه وجه الرجل من دلائل القوة والتبل أنه يحمل مغطاً من معاطف الجندي لا يريد به إلا ذو مقام فيها . وعندئذ يذهب خاطرى إلى أنهما كرميا التبت ، وكانا في بسطة من العيش فلما كثر لها الحظ سلكا سبيل ذلك النفر الذى يقره البؤس وتفنيه الشيخوخة بما تحمل معها من أجسام مترهلة ووجوه مضننة مما يسعى إليه الفنانون في دراساتهم ، ولذلك دفعت بهما الحاجة إلى الوقوف أمامهم كمنادج

اضطلوت إلى التفريط في هذا الطير الذى يحبنى وأعبده . ثم يعود إلى البكاء

أما في هذه المرة فقد كان المروض صورتين زيتيتين لرأسى رجل وأمرأة طاعنين في السن ، وما كانت مساحة كل منهما تتجاوز عشرين سنتيمتراً في عشرة

أخذ المنادى يصيح : الثمن الأسامى جنهان لكل صورة . والمزاد عليهما ممآ . ولكن الناس أعرضوا عنهما مع ما كانتا عليه من دقة الصنع وروعة الفن ، وأخيراً أعادهما إلى حيث كانتا وأخذ في إشهار المزاد عن معروضات أخرى

لقد كانت هاتان الصورتان آيتين من آيات الفن الحديث ومنع ذلك غفل الناس عن التفكير في اقتنائها وما كان المزاد ليرسو فيهما بأكثر من بضعة جنيهات ولكنهم أحجموا ولم العذر ، وما كانت النفوس في مصر قد استمدت وقتئذ لفهم مثل هذه الآثار وتقديرها والشفق بها ؛ ولو أننى كنت في ذلك اليوم أملك أكثر من جنيهين كانا كل ما مي لا ترددت لحظة في الظفر بهما لأننى بالرغم من اشتغالى بالمهاماة كنت أيضاً مولماً بالتصوير أتقى فيه درساً على المرحوم بولوفور شيلأ أستاذ مدرسة الفنون الجميلة . بل إننى كنت أيضاً أكثر من الاطلاع على بعض مجلات هذا الفن وعلى بضعة من النكتب الموضوعة فيه ومنها أجرومية شارل بلان التى هى بالنسبة للفنون الجميلة أشبه بمقدمة ابن خلدون بالنسبة لتاريخ العمران ، ولذلك كانت نفسى مهابة إلى حد ما لإدراك مالماتين الصورتين من القيمة الفنية حتى أننى بعد أن أعادهما المنادى إلى مكانهما لبث أنظر إليهما في خشوع وأنا يفمرنى سيال

وينتصر لها ولذلك أخذت تعد نفسها هذه المرة لتصفع كبرائى وجهلى الصفعة الأخيرة . ولكن كم كانت دهشتها حين رآته على غير رأيها لوأن مادفعته ليس بالكثير فى جانب هذه اللوحة القيمة . وعند ذلك خيّل إليها أنه إنما يزح أو أنه مثلى مجنون ؛ ثم أرادت أن تتبين أمره فقالت له : إذن خذها بالثن الذى دفعه زوجى فيها فقال : بل إننى أدفع فيها عشرين جنباً لو أنه يرضى . أما أنا فرفضت ، وأما هى فخرجت مغضبة

والواقع أننى ما كنت لأقبل فيها ثمناً ما سها كان مع أنها ما كانت إلا قطعة بسيطة من القماش فى إطار قديم لا تساوى معه بضعة قروش . ولكن القيمة فى الفن الذى كساها ، واليد الموهوبة للماهرة التى أخرجه عليها . والفنان ، الذى وهو يصور نموذجيه ، تجرد عن كل شيء إلا عن التفكير فهما فامترجت نفسه بنفسيهما حتى لتلمس فى هذه الخرقه البالية وفى أختها خفقات قلبه ، وخرارة أنفاسه ، وهيامه بفنه ، وتلاشيه فيه . فها هى إلا وحى أرسلته خواطره ، وأبدعته ألوانه الخاضعة وأصابه الجبارة . وإذن فكيف أفرط فيها ولا أكون ضئيلاً ككل الضن بها ؟ إن البخيل ليكتنز الدينار لذهبه ، ولكن الفنان أو الورع بالفن يحتفظ به للنفس البديع الذى على وجهيه . وقد يكون هذا النقش على قطعة من الحديد لا تساوى شيئاً ولكنه لا يزل عنها ولو عوّض فيها سبيكة من الذهب الخالص

كنت سعيداً كل السعادة بهذه الصورة لا أخرج إلا إذا عرجت على غرفة مكتبى لأملأ عيني منها ولا أعود حتى أسرع نحوها لأطمئن عليها . أما زوجتى فما عادت تكلمنى فى شأنها ولكن أتر

وكثيراً ما كنت أصر على تلك الصلاة فأجد الصورتين فى مكانهما وأساوم صاحبهما فهما أو فى الإحداهما فبأبى ، وأخيراً قبل أن يأخذ فى واحدة منهما ثلاثة جنيهات ، فاخترت المرأة وحملتها إلى منزلي وأنا أشعر بأنى أخل كزراً .

كنت فى ذلك اليوم أشعر بالسعادة تهبط على من جميع النواحي وأحس وأنا أعلقها على أحد جدران مكتبى بحيث تقع عيني دائماً عليها أننى ظفرت بأسمى تحفة من تحف الفن . نعم إن زوجتى حين أبصرتها كادت تستلقى على ظهرها من الضحك ، وهى تدهش لأننى قد دفعت فيها ذلك الثمن مع أنها لا تساوى فى نظرها قرشاً . ولكنى كنت فى شغل عنها بما يفوح به ذلك الوجه المنبر وتلك البشرة المتجمدة من عيبز الجمال والإبداع مما زادت فى ثورتها ، فجمعت حولي أولادها وهى تقول : أنظروا ماذا جاء به أبوك اليوم ! ومن الغريب أنه كثير الإعجاب بها ويقول إنها من أجمل الصور التى رآها . وعند ذلك ينفجرون بالضحك ويصيحون : إيه إيه ! دى جميلة ، دى زى ستنا المعجوزة الى ماتت . مش كده ياماما . وعند ذلك تتشمخ بأنفها كأنها قد تم لها الانتصار على وأنا فى نفسى أضحك عليها وعلى هذا الجهل الذى غمرها حتى طاب لها الاستنجاد بهؤلاء الصنار

وباليتها اكتفت بذلك فقد أخذت تروي قصتى هذه لكل من تجتمع بهن من السيدات سواء فى دارنا أو فى دورهن فى أيام زيارتها لهن حتى يعلم من يعرفوننا بخبر تلك الصورة وحتى أقبل أحدهم ليرونى ويرى ببعينه ذلك الأثر الذى أطم كل هذه الضحكة ، وكانت زوجتى حاضرة مجلسنا وهى تحدث نفسها بأن هذا الزائر سوف ينصفها

الدار حتى ناولنى خادى كتاباً قال إن رجلاً تركه
وسيمود

سيدى المحترم

لم يسبق لي أن حظيت بمعرفتك . ولكن سرّاً
ألياً هو الذى جعلنى أقصدك وأطمع فى عونك
وأنت حمام تنصر الحق ويفيض قلبك بالرحمة . فى
سنة ١٨٩٨ كنت أتهياً لامتحان السنة النهائية
للفنون الجميلة بمدرسة أوتينا . وكان من بين اللوحات
التي يجب أن أقدم بها صورتان لشخصين مما يعبر
عنه بالمحاولة (Etude) فرأيت أن تكونا صورتي
أبى وأبى الشيخين . ولما نجحت حجبوا تلك اللوحات
إلا صورتيهما فقد احتفظت بهما لمزتهما على . ولما
قامت الحرب المالية الأخيرة وقف عملى وضاعت
يذى فاضطرت إلى بيعهما وأنا أبكى . ولكنى
وقد تهياً لى سبيل العمل رأيت من الواجب أن
أستعيد هذين الأثرين اللذين أفرغت فيهما مواهبي
وحبي . وقد عثرت على إحداها أمس فقط بإحدى
صالات البيع وعلمت أن الأخرى عندك . . . فهل
تحول بينهما ويبنى ؟ إنها أهي . . .

ج . موستا كيس

وما كدت أنتهى من تلاوة هذا الكتاب حتى
مررت على وخف عبء الهوى الذى كان يضغط على
صدرى ؛ وكان الرجل قد أقبل فسبقته إلى غرفة
مكتبي وأخذت الصورة من مكانها وأنا أقول لها
فى نفسى : هأنذا أبر بوعدى فأردك لا لى زوجك
فحسب ، بل إلى حظيرة ولدك أيضاً . ثم ناولته إياها
فشكرنى بلسان مضطرب ثم طبع على خدى قبلة
شعرت أنها هى التي طبعها .

محمود فهمت

(القاهرة)

الحزن كان بادياً على وجهها وعلى حركاتها . وللمها
الغيرة التي أحدثت ذلك والنساء يغرن حتى من
صورة ، وحتى من صورة لامرأة عجوز

على أن هذه السعادة لم تدم طويلاً . فلقد كنت
ذات ليلة مستغرقاً فى النظر إليها فانتقل خاطرى فجأة
إلى صالة البيوع وإلى الصورة الأخرى التي بها .
وعند ذلك غمرنى حزن خفى وشملنى ذهول مشوش
وخيل إلى أن الصورتين إنهما إلا روحان قربت بينهما
تلك الصالة فكأنا سعيدتين بهذا القرب ، أما وقد
فرقت بينهما فقد هدمت بعملى هذا تلك السعادة .
وعند ذلك رفعت بصرى إليها فهاهى ما صورته لى
وهى وكأن الحزن يرحل لإطار رجاء ويهز الصورة
التي بين أعواده هزاً عتيقاً ، كما خيل لى أن شعرها
السنجاني تحول إلى بياض ناصع ، وأن السطور
الأربعة التي ارتسمت على جبينها أصبحت مضاعفة
وأن تينك العينين اللابتين اللتين كان يشع منهما
النور واللفظ والسكون أصبحتا أكثر ذبولاً ،
وانبثق منهما شمعان ضيفان يحملان فى ذراتهما
كل معانى الظلمة والأسى والاضطراب . وعند ذلك
اتجه خاطرى إلى صورة ذلك الجندي الحبيس فى
ظلام تلك الصالة ، فكاد يعنى على لما صار إليه وقد
فعل فيه البعد ما فعل بأخته أو زوجها ، حتى أنني لما
أصبح الصباح عقدت العزم على اقتناء تلك الصورة
وأنا أقول لأختها فى نفسى : لن تحزننى فسيكون لى
جانبك بعد قليل ، ولكن صاحب الصالة أفهمنى أنها
بيعت من يوم ، وأنه لا يعرف أين يقيم ذلك الذي
اشترأها . فعدت ، وقد توزعت خواطرى وبططوت
خطواتى وثقل همى ، ولكنى ما كدت أجتاز عتبة

الحلق، عميق الوجيب،
ملء شغافه أمل التحلى
بذلك الفراء الجميل...
وكانت تدعوه في
أحلامها «ثعلبي الفضي»
وفي كل صباح من
أصبح العمل في الساعة
التاسعة والديقة الثالثة

الثعلب الفضي

للقصة الألمانية فيكي باوم
بقلم الأديب أحمد فتحي مرسى

تلقى ماييل على ثعلبا نظرة
الترور والوداع ثم تنطلق
في سبيلها إلى محل عملها
في شركة «بارسون -
ماتون» حتى تصل إليه
قبل وصول «السيدة
بلاكني» مساعدة المدير...
وتهربول ماييل في طريقها
حتى تصل إليه أخيرا
واحدة لشي وقد أعياها
السير، وجهدها الفجلة...
ولكنها تجد نفسها - على
الرغم من ذلك - وصلت
مستأنة متأخرة عن موعد
وصول السيدة بلاكني



ربما كان في طوق
«مايل» أن تحصل على
الثعلب الفضي لو تسلفت
النظر قليلا إلى الأمام قبل
أن ينبت لها عرس العقل
الذي بذلت في سبيله كل
ما في يدها...

وكان الثعلب الفضي
معروضا في واجهة أحد
محال الفراء في شارع
واردر، وكان من عادة
مايل أن تتلبث أمامه
برهة من كل صباح،
تسرح البصر في أطرافه
وأعطافه، وقلبا مجلان

التي تسارقتها النظر الشر خلال ساعات العمل...
ومايل - إلى جانب ماتقدم - عادة في ربيعها
المشرين جميلة القصبات... ولكن هذا لا يكفي...
فهناك جوع زاخرة من الفتيات قد تحشدن في
الطرق وكلهن جميلات رائبات... فما الذي مازها
منهن؟.. نعم! لقد مازها منهن لون عينيها وشعرها...
(٧)

ولبت فيكي باوم في فينا في ٢٤ إبريل سنة ١٨٨٨
وكانت في مبدأ حياتها تعزف على الود Harp في أحد
مسارح فينا... وكان للموسيقى ولصبتها الوثيقة بالمرح
أثرين في حياتها القصصية حتى يرى مختصم أثرها الأدبي
أن معظم أعمالها الأدبية التي سبقت قصتها «الفندق الكبير»
تصف الحياة المسرحية وصفا دقيقا رائعا... وقد بلغت
أوج مجدها الأدبي بعد قصة «الفندق الكبير». وهي تمد
الآن من أكبر كاتبات القصة في العصر الحديث «فتحي»

وفي ذات صباح من أصبح الخريف الضاحية
أقبلت السيدة بلا كني تَريف في خطرتها ، وقد
تطوق عنقها بتبلب فضي جميل كان هدية المدير إليها
في عيد ميلادها الخمسين .

وكان هذا هو اليوم الذي قرَّ فيه غزم ماييل
على شراء ثعلبها الفضي الذي عقدت أسبابها به هذه
الشهور الطويلة ... فبدأت تقتصد في مالها

وأخذت ماييل تقضي أمسياتها في المنزل
عازفة عما خلاه وقد ارتسمت في مقلتها صورة
السيدة بلا كني وقد التفت فراؤها الفضي على كتفها
وتوهجت عيناه الدقيقتان من بين طوايا الشعر الغزير
وما أكلت ما ييل اثني عشر جنبها حتى دهاها
ما دهاها من ضرر العقل ... وأنت أعلم بما ينتاب
الانسان في مثل هذه الحال ... يتولاها الألم ، ثم
يرج به ، ثم لا يستطيع مضغاً ولا حركة ، ثم يفحصه
الطبيب ، ثم يستريه يوماً ثانياً ثم يوماً ثالثاً ، ثم ينتهي
الأمر بنحلم الضرس . ثم يعطيه الطبيب بطاقة صغيرة
عليها الأجر .

إلى هنا لم يبق مع ماييل إلا سبعة جنبات ،
نفلت إلى نفسها حزينة يائسة ... وأقبلت عليها
صديقتها ليليان . تسرى ورفه عنها ... وكانت
ليليان فتاة في مثل سن ماييل تعمل في أحد محال
التجميل ، وكانت على النقيض من ماييل فتاة فاعرة
جميلة مرحة — من هؤلاء الفتيات الباسمات اللاتي
يجتذبن قلوب الرجال من النظرة الأولى — وكان
جالها يقوم على التصنع والتطرية إلى حد ما ...
فوجه ناصع البياض ، وأظفار شديدة الحمرة ، وشعر
مُنسَّق مُصَفَّف ... الخ ...
ولعل من العجيب أن تجمع الصداقة بين هاتين

فاينك إذا فانتيت إليها الطرف ارافق منها التقاء شعرها
المجلل وعينها الصافيتين عند لون واحد هو اللون
البنى الضارب إلى الذهب
هذا عن ماييل ...

أما عن ثعلبها الفضي ... فقد كان لين الحاشية
كمخمل الديباج ، ناصع اللون كروائع الشيب ، وله
من الفضة وهجتها والتماعها ، وكان عندما رأته
ماييل للمرة الأولى — متوسطاً للواجهة وقد نقش
عليه ثمنه « أربعون جنباً » ثم عصفت به عواصف
السوق فانثبنت به أحد أركان الواجهة وقد نقش
عليه « ثلاثة وثلاثون » جنباً

وظل الثلب مرقوماً بذلك الثمن ثلاثة شهور
دون أن يتقدم أحد لاشرائه ... ثم تخفّض فجأة
إلى « ثلاثين جنباً » ثم أقبلت طلائع الصيف
فهبط إلى عشرين ... وأصبحت فرصة ثمينة لمن
ينهبها .

ورأته ماييل فكاتما تنزل عليها الفراء من
السما ... إن عشرين جنباً مبلغ ليس بالهين
ولكنه أيضاً ليس ممتنعاً عليها كل الامتناع ...
ومضت تقاول نفسها وقد استبدت بها جنون الحصول
عليه ، وخيل لها أن كل ما جوالها من النساء
حاليات المطف بالفراء وهي وحدها العاطلة

فها هنا قرينات أصحاب الشركة الثلاث تباد
على أعطافهن الثعالب الفضية وتوشى حلل الخريف
المنصورة ... وها هنا زائرات الشركة تنوس على
أكتافهن ذيول الثعالب وتثني في هيئة ورقف ...
وها هنا ثلاث عاملات من زميلاتها يتخطرن في
ندل وقد ترين بالفراء المجلل ... نعم ... إن ثعالبهن
صغيرة وقصيرة ولكنهن ثالبة فضية أيضاً ...

فَتَمَلَّقَتْهُ وَعَادَتْ إِلَى مَايِل قَائِلَةً :

— لو استطعنا أَنْ نَشْتَرِكَ مَعًا فِي شِرَائِهِ ؟
وسقطت هذه الكلمات العذبة الطلة على قلب
ماييل سقوط الندى على الزهر فندت أطرافه ،
وَأُثْلِجَتْ شَفَافَهُ ... فقالت مرهدة :

— لو استطعنا أَنْ نَشْتَرِكَ مَعًا فِي شِرَائِهِ !
ولكن لمن يكون الثعلب ؟

— لنا على السواء

وطربت ماييل لهذه الفكرة وحببت ليليان
فاشترتا الثعلب القضى ... وأصبح ملكهما على
السواء ... تطوَّق به ماييل اليوم ... وتأخذه ليليان
غداً ... ثم ماييل بمدغد ... وهكذا ...

والواقع أن ليليان كانت سخية من جانبها عازفة
بعض الشيء عن الثعلب ... فكثيراً ما كانت تلمسه
منها ماييل في غير وقتها فلا تمنع قائلة ...

— خذيه يا عزيزتي ... فسأرتدي اليوم قرأني
الأخضر .

ولبت هذا النظام معمولاً به بينهما في رقة من
الجانبين ، وصفاء القلبين من اليوم السادس عشر
من نوفمبر عند ما ابتاعتا الثعلب إلى ذلك الاثنين من
إبريل عند ما ظهر الرجل في القصة

في صباح يوم من إبريل ربحي التسميم ، أقبلت
سيارة رمادية أنيقة إلى « صالون السيدة هيلين »
للتجميل وهبط منها شاب يعم شطر الديرة وسألها
عن السيدة هاريس ... وأرسلت الديرة ليليان
للسؤال عنها داخل الصالون ، وبعد برهة أقبلت
ليليان تقول : إن الماملة تقوم لها بعملية تجميد الشعر

الفتاتين على ما فيهما من تباين الأهواء والمنازع ...
ولكن لا عجب في ذلك فقد جمعهما منزل واحد
وألفتهما سن واحدة ، وضمهما أجر متقارب ...
فكانت ماييل تشغل جانباً من قلب ليليان ، وكانت
ليليان تشغل جانباً من قلب ماييل ... قالت ليليان :
— يجب عليك أَنْ تحصل على المال من طريق
غير الاقتصاد .

— فهل تسمحين يا عزيزتي أَنْ تصني لي الطريق
إلى ذلك ؟

— إنني مقدمة على شراء ورقة نصيب ... فهلا
تقاسمتها .

وكانت ليليان طموحة مفاخرة في أمثال هذه
النواحي وكثيراً ما كان يأتيناها الجد قبح ...
فأجابت ماييل :

— إذا كان الأمر كذلك فسأبتاع بدوري
ورقة أخرى .

ولإجمال الحديث أقول إنهما ابتاعتا ورقتين
ربحت إحداهما اثني عشر جنيهاً .

وقد يبدو لأول وهلة أن ماييل غمرها الفرح
بالربح ولكنها كانت على التقيض من ذلك حزينة
بأساة لأن نصيبها لا يقوم بأبتاع الثعلب القضى ...
فقالت ليليان :

خفضي عليك يا عزيزتي ... إنني أخشى عليك
أَنْ تَمْسُكَ مواسم الجنون من جراء ذلك الثعلب
اللعين .

— إنني أود أن تريه أولاً يا ليليان
وانصاعت « ليليان » للرجاء وذهبت — في
طريقها إلى محل عملها — فألقت عليه نظرة خاطفة

وإنها ربما تستغرق نصف ساعة ... فقال الشاب
في خفوت :

— سأعود ثانية

وقبل أن تضم ليليان شفتها بعد تلك البسمة
التي شيعته بها اختفى الشاب وسيارته ... وعاد
الشاب بعد ثلث ساعة وجلس ينتظر مع ليليان التي
علمت منه أن السيدة هاريس ليست زوجته وليس
أخته وإنما هي والدته وأنه يسكن معها في «توبريدج»
وأنه يشتغل مهندساً في المدينة .

وكان جيمس شاباً رقيق الشباب لمن الماطف
فارح القامة لطيف المدخل ، لا يستطيع أحد أن
يفرق بينه وبين بسمته اللطيفة الوداعة ...

وانتهت السيدة هاريس من عملية التوجيه ،
وخرجت تمبق أردانها بالأنسام الماظرة ، وشمورها
الزماذي مموج ، مصفف ، مطر ، ومحبت ولدها
إلى السيارة فانطلقت بهما إلى « لونبريدج » ...
ولم ينس جيمس هذه المرة أن يشيع ليليان بإتسامة
عذبة جميلة ...

وعادت السيارة الرمادية إلى الصالون مرة أخرى
خلال ذلك الأسبوع ثم مرة ثانية ثم ثالثة ... ثم
كانت صداقة بين جيمس ولييان ... ودعاها جيمس
بعد ذلك للمساء معه ... وطربت ليليان لهذه الدعوى
وقبل أن تتخلج شفتها باقبول ذكرت ماييل فقالت :
— بكل سرور ... إذا أمكنني أن أصطحب
صديقة لي

وقبل جيمس ذلك فرحاً ... ثم قال في ابتسام :
ولكن متى يكون ذلك ...

السبت ؟

ولكنه كان يقضى السبت والأحد دائماً في
«توبريدج» مع والدته ... فقال :

— وماذا عن « الاثنين » ؟

— الاثنين ؟ ... حسن ... إلى اللقاء

وكان ذلك يوم الخميس ... وكان يوم ماييل
للتحل بالثعلب وستأخذه منها ليليان صباح الجمعة ،
ثم ماييل السبت ، ثم ليليان الأحد ، ثم ... آه إنه
لمايل يوم الاثنين

وفي صباح الأحد دخلت ليليان على ماييل في
مطرفها الياباني الموشى :

— أأنت في حاجة اليوم إلى الفراء ياعزيزتي ؟

— كلا ... فلن أغادر الغرفة اليوم

وفي المساء قبيل موعد النوم بقليل أقبلت
ليليان تقول لمايل في بسمة جميلة :

— آه ... لقد نسيت أننا مدعوون للمساء غداً

— مدعوون ؟ ... ولكن من دعانا ؟

— جيمس

— ومن جيمس هذا ؟

— سترينه ... شاب لطيف

— ولكن كيف يدعوني جيمس هذا وأنا ...

فقاطعتها بإسعة :

— رأيت من الأفضل أن نذهب معاً

— أيجبك هذا الشاب ؟ ...

— يلوح لي ذلك

— وأنت ؟ أيجبينه ؟

— ربما ... قالتها في ضحكة عالية مرنة

— ولكن حشيتي ياعزيزتي ... من هو ذلك

وضمت مايل وأخذت طريقها إلى الحمام فأوصدت خلفها الباب ثم نظرت في المراة ، وقد تكفأ لونها ، واستدّمت عينها من التأثر ...

وأقبل جيمس أخيراً وكانت مايل تلوح في ثوبها البسيط جميلة رائعة ، وقد نبت النموع وجنتها ووردت طرف أنفها ... أما ليليان فكانت ترتدي ثوباً أحمر مزينا بالريش ، وعلى كتفها الأيسر ينسوس الثعلب الفضي ، وعلى الأيمن طاقة صغيرة من الزهور وعلى جيدها سمط منضد من اللؤلؤ ... وركبوا جيماً السيارة ، فبقى جوها بأعطار ليليان ... وانطلقت في طريقها إلى الطعم حيث كان جيمس ينتظر قدوم صديق له فاختار منضدة قرية من المدخل حتى يلحظ قدومه ...

ورأت ليليان ألا تمر بجمع حافل كهذا دون أن تلفت لحاظ من حولها ... وبهزة خفية من كتفها سقط الثعلب الفضي على الأرض فثنى جيمس والتقطه ثم انهض واقفاً وأعاده إلى كتفها وهو حائض منفيط ، فقد كان لا يجب أن يلفت إليه الأنظار ... وجلست ليليان تتحدث وتحدث وتسهب وتستفيض ومايل معقودة اللسان صامته ... وأخذ جيمس اللال من الحديد ، فطفق يسارق مايل النظر ... ونظر جيمس فإذا بداها على المنضدة ... فجعل يقارن بين هذه الكف المظلية الأطفال التي يفوح من أنفها العطر ... وبين هذه الكف الرخصة ، الرقيقة الأنامل ، الوردية الأطفال دون طلاء ...

وجأه ... ودون أن يدرك جيمس حقيقة ما يفعل رفع تلك الكف الجميلة إلى فمه وطبع عليها

الشاب ؟ ... أهو جميل ؟ ... وماذا يعمل ؟ ... وأين تقابله ؟ ... وأى ثوب أردت ؟ وأغرقتها مايل في فيض من هذه الأسئلة ... فأجابها ليليان :

— سترين ... إنه سيمر علينا غداً في سيارته عمي مساء يا عزيزتي وخرجت ليليان تتخطر في مشيتها بعد أن حلت الثعلب الفضي ... ولم تفلن مايل أول الأمر إلى ذلك ، ولكنها ذكرت أخيراً أن يوم الاثنين من نصيبها ... وفي مساء الاثنين بين السادسة والسابعة والنصف هبت العاصفة ، وابتدأ الشجار ... إذ نهت مايل ليليان إلى أن الثعلب من نصيبها ذلك اليوم ... ولكن ليليان أصرت على أنه من نصيبها هي الأخرى وقالت :

— إنني لم أطلوق به البارحة
— هذا لا يعني ... ولكنه كان يومك. فقالت ليليان محتدمة :

— لقد دفعت نصف ثمنه ... أو لم أفعل ؟ .. ولم أستعمله إلا زهارة ربع المدة ، لقد كنت سخية فيه معك أكثر مما ينبغي وزلت هذه الكفات على مايل كالمسح الوحي ، حقاً لقد كان معها الثعلب أكثر المدة ... فقالت في استخزاء :

— ولكن كيف أحبك ؟ وليس لدى إلا ثوبي الأزرق القديم .. ؟ أما أنت فلديك الكثير ويمكنك أن ترتدي ثوبك الأخضر الجديد ولكن ليليان لم تعرها التفاتاً ... وطفقت تتزين أمام المراة

دعاهها جيمس لزيارته في « تونبريدج » لترى والدته فأجابت بالواقعة .

والظاهر أن السيارة الرمادية الجميلة جالت عدة جولات قبل وصولها إلى المنزل ... لأن مايل وجدت ليليان قد وصلت قبلها وأوصدت عليها باب غرفتها

من يعلم ؟ ... ربما لو أزينت مايل تلك الليلة وتطلعت بالثعلب الفضي لتبذل الموقف وصار غير ماهو عليه الآن ... ونظرت مايل .. فإذا الثعلب الفضي ملق على سريره ينظر إليها بعينه الواهجتين في دهاء ومكر ... كما لو كان حياً .

فتمي

« اسكندرية »

قبلة هادئة ... ثم أعادها إلى مايل كما لو كان بعيد شيئاً ثمناً يخشى عليه التلف

وأقبل صديق جيمس أخيراً وهو شاب في مقتبل العمر ، وعندما قدم جيمس إليه صديقتيه تبدت له ثلاثة أمور جديدة ، أولها أن اسم مايل ينتهي بكلمة « سوتون » . وثانيها أنه يذكر ذلك الاسم منذ أيام دراسته في « اكسفورد » وهو اسم صديق له يدعى « ريتشارد سوتون » . وثالثها أن صديقه ريتشارد سوتون أخو صديقه مايل سوتون ...

وجلس جيمس يفكر في تلك الفتاة الصغيرة الجميلة التي تجالده الحياة وتستدفع الفقر يديها ليتربي أخوها الأكبر في « اكسفورد » ... إنه ليعمل جليل حقاً ... وإن مثل تلك الفتاة الجديرة بالاكابر والاحلال ...

وعزفت الموسيقى وبدأ الرقص ، فرقص جيمس مع مايل أولاً ثم مع ليليان ، ثم مع مايل ثانياً ... ثم جلسوا جميعاً ، وجعلت ليليان ترسل النكات الفارغة الواحدة تلو الأخرى ... وجلست مايل تجاه جيمس بوجهها الباسم الحالم ، وعيناها وشعرها تفيض ذهباً

ورتب جيمس الأمور على أن يصحب صديقه ليليان إلى المنزل ، وأنت يصطحب هو مايل في سيارته على أن تتولى القيادة ذراعاً اليمنى ، لأن الدراع اليسرى لا يمكنها أن تنادر تلك الماطف اللدنة وقبل أن تهبط مايل من السيارة أمام المنزل

في أصول الأدب

لأستاذنا أحمد حسن الزيات

كتاب جديد فريد في نوعه . يشتمل على أبحاث تحليلية طريفة في الأدب العربي وتاريخه . منها تاريخ الأدب وحظ العرب منه . العوامل المؤثرة في الأدب . أثر الحضارة العربية في العلم والعالم . تاريخ حياة ألف ليلة وليلة وهو أوفى بحث كتب في هذا الموضوع إلى اليوم . ثم قواعد تفصيلية للرواية التمثيلية الخ الخ ...

يطلب من إدارة مجلة الرسالة

ومثنه ١٢ قرشا

عندها ؟ ولعل لديك الآن أسباباً أجعلها تدفع بك إلى الاستسلام عنه ، أما أنا فكل ما يوسى أن أقول عن هذا الرجل هو أنه كريم المحند ومن أهل الصلاح والبر ، وقد كان مثلك يا سيدي يزور مدام يارسون بلا كلفة وهو صاحب أملاك واسعة ومضيف في بيته ، وكان مثلك يعزف أجمل القطع الموسيقية عندها وما أعلم أنه قصر في شيء من واجباته في سبيل الإحسان ، فقد كان أثناء وجوده في هذه البلاد يرافقي مدام يارسون في رحلاتها كما ترافقها أنت يا سيدي ، ولأسرة هذا السيد سمعة طيبة في باريس ؛ وكنت كل مرة أزور فيها مدام يارسون أصادفه عندها ، والمعروف عنه أنه حسن السيرة والأخلاق وما أعنى بالصدافة التي ذكرتها إلا الصدافة الشريفة اللاتقة بأمثال هذا الرجل . وأظن أنه لا يأتي إلى هذه الأرجاء إلا للصيد . وقد كان صديقاً لزوج الأرملة ، ويقال إن دالانس ذو ثروة كبيرة وأنه جد كريم ، أما أنا فأكاد لا أعرفه إلا بما سمعت عنه . يمثل هذه المبارات المشوشة كان هذا الجللاد الثقيل يجهز على . ونظرت إليه وهو يتكلم وقد استولى الخجل على فاقدرت أن أوجه إليه أي سؤال كما يجيزت عن وضع حد لثروته فذهب في أقواله ، وقد أوردت مثالا منها ، إلى أبعد حد من القيمة والاعتياب دافعاً بنبضه المتعرج إلى قلبي حتى إذا اخترقه إلى أقصاه تولى عني ، فاستمكنت من إمساكه ، فذهب وكأنه لم يقل لي شيئاً وبقيت وحدي على طريق للتنزه أرقب الظلام ينسدل على تلك الأرجاء وأنا أتردد بين عاطفتي الغضب والأسى إذ لم يكن يوسى أن أعتقد في ضلال هذه الفقة الغيياء التي استبسلت لها في حيي لبريحيث فذقت منها مثل هذه اللذة الصافية ، وكنت أرى في

من أعماق النفوس



استغرابي في العصور

لألفريد موريه

بقلم الأستاذ فليكس فانس

الجزء الرابع

الفصل الأول

وما تمكنت أن أعرف يوماً حقيقة خلق مراكسون وفطرته من المراوعة أو السذاجة ، غير أنني ما ارتبت قط في أنه يضمر لي البغضاء ويعمل على نكايتي ماوسمه . أما مدام يارسون فكانت تنيل هذا الرجل قسطاً مما تبذل من مودة لعمه الكاهن وهو جدير بالاحترام . وتملك مراكسون شيء من التهور لالتفات مدام يارسون إليه فأصبح غيوراً ، وبغض الناس لا يملكون أنفسهم من الاقتتان لكلمة عطف أو لابتسامه تبذل لهم من شفقة تفتقر عن نور الجمال

ما طرحت أول سؤال على مراكسون حتى بذت عليه من دلائل الدهشة ما بدا على خادى لاريف وما كنت أنا أقل اندهاشاً منهما عما أقول ، ولكن من من الناس يدرك ما في أعوار نفسه ؟ ...

وعرفت من أول جواب أوردته مراكسون أنه نفذ إلى قصدي وقرر ألا يرضيي إذ قال :

— أنت تعرف مدام يارسون منذ زمن طويل وتروورها بلا كلفة فكيف لم تصادف المسيو دالانس

ولا ريب قد علقت في شرك غاوية وأنا مغمض
العينين أحسب أن في قلبها حباً وهياماً . فإلى أن
أفعل الآن وليس أمامي سوى هذا الكاهن الذي
يتذرع بالابهام تجاهي وإذا أنا لجأت إلى عمه فلا
بد أن يكون أشد تكهما منه ؟

من سينقذني من هذه الورطة ؟ من سيمزق
ستار الريب فتنبلي الحقيقة ليني ؟

بهذا كانت تخاطبني غيوتي ، فتسبني كل ماذرفت
من دموع وما تحملت من أوصاب ، فأصبحت وما
مر يومان بعد على استسلام بريحيته لي اضطرب
لتوصلني إلى التمتع بها وما كنت في هذا إلا كسائر
التشككين ، أضرب صفحاً عن العواطف والأفكار
لأصارع الوقائع نفسها مقدماً على تشریح من أهوى
كأنها جثة لا روح فيها

وكانت تجول هذه الأفكار في دماغي ورجلاي
تقوداني إلى مسكن بريحيته ، ولما اجتريت الحاجز
الحديدي لآح لي نور من نافذة المطبخ وخطر لي
أن أستجوب الخادمة فأتيجت نحوها وأنا أتلس
بعض القطع الفضية في جيبى ، غير أنني ماوصلت
إلى العتبة حتى وقفت واجماً . وكانت هذه الخادمة
امرأة مسنة ناحلة حفر العمر في وجهها أثلاماً
وأصبح ظهرها مقوساً لفرط ما انحني ، ونظرت إليها
فاذا هي تعمل في غسل الأواني على مصب قدر وفي
يدها شمة ترتجف أشعتها وحولها أوعية المطبخ
والصحون وبقايا طعام يحدهج كلب دخل وراني
متجسساً خجولاً . وكانت تفوح من الجدران
الرطبة رائحة تعفن تملأ المسكان ، وما لحت الخادمة
وجودي حتى ابتسمت ابتسامة معنوية لأنها كانت
رأيتي منسلماً من غرفة مغلقتها عند الفجر ، فارتشمت

اندفاعي نحو هذه المحبوبة اندفاعاً شلت مقاومتي
أمامه دليلاً كافياً على أنها أهل لتعلق بها ، لذلك
كان يصعب على التصديق بأن هذه الأشهر الأربعة
الطاغية بالسعادة لم تكن إلا أحلاماً

وتساءلت فجأة في سريري عما إذا كانت هذه
المرأة مخلصه عند ماظهرت في مظهر التمتع في حين
أنها استسلمت بعد ذلك بسرعة وقد كفت كلمة
واحدة لتبديد مقاومتها . ولاح لي أن من شغلتي
لم تكن إلا واحدة من نبات الدلال الغريبات أو أن
الدلال وسيلة لكل امرأة تريد أن تتبع غريزة
الدفاع أسوة بكل أنثى

أفأباحث بريحيته بفرامها من تلقاء نفسها في
حين اعتقدت أنها أفلتت إلى الأبد من يدي ؟
أفأرضيت في أول يوم عرقها فيه أن تستند
إلى ذراعي قبل أن تعرف من أنا بشيء من الخفة
كان على أن أئنبه له لتنبينه ربيتي

إذا كان هذا الدعو دالانس قد توصل إلى
امتلاكها فالأرجح أنه لم يزل يتمتع بها حتى الآن ،
فإن من هذه العلاقات مالا بداية لها ولا انتهاء في
المجتمع ، فإذا ما التقي عاشقان قديمان استسلما لما
تموداه ، وإذا افترقا نسي أحدهما الآخر

إذا كان هذا الرجل يأتي إلى هذه الأرجاء في
كل موسم صيف فأنها ستجتمع به عند قدميه وقد
لا تقطع علاقتها بي

من هي عمة هذه المرأة ياترى ؟ وما معنى هذه
الحياة السرية المستترة وراء أعمال البر والأحسان ؟
ألا تكون هذه المرأة وعمتها من مشعوذات
المجتمع تتوسلان إلى اكتساب المقام السامى بهذا
البيت الصغير والظاهر بالدواعى والحبكة ؟ إنني

ومشت أمانى إلى الغرفة وجلست على مقعد لا تصل إليه أشعة القمر، وكنت أنا أشعر بشدة ما أقيت من كلات وقد امتلأ فؤادى مرارة من معانيها القاسية .

وذعر الطفل فبدأ ينادى بريجيت وينظر إليها من بعيد بعين ملؤها الحزن، وما لبث حتى سكنت عن مناغاة واستغرق فى النوم على مقعده، وهكذا حكمتا الصمت نحن الثلاثة ومررت غمامة على القمر حجبته أنواره .

وبعد هنيهة دخلت خادمة تحمل مصباحاً لتأخذ الطفل من مرقدته، فوقفت بريجيت فى آن واحد ورأيتها تربط على قلبها براحتها وتهوى إلى الأرض أمام السرير فهرعت إليها مذعوراً وكانت لم تزل محتفظة بوعينا فرجتى ألا أدعو أحداً وقالت إنها تصاب أحياناً بالخفقان منذ صباحها دون أن يكون من هذه التوبات التى لم تجد لها علاجاً أقل خطراً على حياتها؛ وجثوت بقربها، ففتحت لي ذراعها فألقيت رأسي على كتفها، وعندئذ قالت لي: إننى أشفق عليك يا صديق . فهمت فى أذنها: يا لشقاوى ويا لجنونى!

ولكننى لا أستطيع كتمان أمر تضمره سريرتى . من هو يا ترى المسيو دالانس الذى يقطن الجبل ويأتى لزيارتك أحياناً؟ ولاحت دلائل الاستغراب على وجهها عند سماعها هذا الاسم فقالت: دالانس هو صديق لزوجى

وحدثنى كأنها تريد الاستفهام عن سبب سؤالى وقد امتنع لونها فمضت شفتى بأسناني وقلت فى نفسى: إذا كانت ترى لى مخادعتى فقد أسأت التصرف بإعلان ما أضمرت

ونهضت بريجيت متناقلة تمشى فى الغرفة

والاستمزاز بملأ نفسى مما أنيت أطلب فى هذا المكان من أمر يشبه حقارته . فوليت الأديار هارباً من هذه المرأة ومن غيرة كآن الروائح الكريهة المنتشرة هنالك خارجة من قلبي

وكانت بريجيت أمام النافذة تسقى أزهارها وبقرها طفل إحدى جاراتها جالساً بين السائد اللينة وقد أمسك بكها وهو يسرد لها حديثاً طويلاً لا يفهم وفه محشو بالهلوى، فتقدمت وقبلت الطفل على خديه كأننى أستعيد لنفسى بعض الطهارة منها

فاستقبلتنى بريجيت بشيء من الحذر لأنها رأت شخصها منطبعاً فى عيني وقد غشيها الشكوك وكنت من جهتى أحذر أن ألتقى بنظراتها لأننى كلما أمعنت فى جمالها ومظاهرها اخلاصها أذهب إلى القول بأن هذه المرأة شيطان رجيم إذا هم تكن هلكاً كريماً . وكنت أستعيد فى ذهني كلمات مركانسون لأقابل بينها وبين ملامح عشيقتي وإشراق وجهها الرائع فأقول فى نفسى « إنها لبديمة الحسن ولكنها جد خطيرة إذا هم أتقت الخاتلة ولسوف تجد خصماً عنيداً يقاتلها بمثل سلاحها »

وبعد أن صمت طويلاً قلت لها: قبل أن أجيء إليك تلقيت كتاباً من صديق يسألني نصيحة فى أمره وهو شاب ساذج يقول إنه اكتشف أن المرأة التى تستسلم له تستسلم أيضاً لما شق آخر

— وبماذا أحببته ؟

— أقيت عليه سؤالين وهما: أهي جميلة؟ وهل أنت تحبها؟ فإن كنت عاشقاً لها فاركبها، وإن كانت جميلة ولست ولوعاً بها فاحتفظ بها وتمتع بجمالها، ولك أن تسرحها حين تشاء إذ ما الفرق بينها وبين سواها؟ وما سمعت بريجيت كلانى حتى ابتعدت عن الطفل

مفجأة ألقت بي إلى الهاوية ، فأنا منذ سنة لأرى من الحياة إلا الشرورها . ويعلم الله أنني ما كنت ، حتى صدمني هذا الاختبار ، لأعتقد بإمكان استسلامي إلى النيرة وهي أظن ما يمثله الانسان من أدوار الحياة . ليشهد الله أنني أهواك وليس لسواك أن يشفيني من علل آيبي اللماضيات وما عرفت فيها من النساء إلا من خدعتني وكنت قاصرات عن إدراك الحب . لقد عشت فيا مضى كما شئت وفي قلبي من التذكريات ما لا قبل لي بمحوها . فما الذنب ذنبي إذا كانت أضعف التهم وأبعدنا عن التصديق تفرع من هذا القلب أوتاراً لم تزل تهتز بالآلامها وهي مهيأة لقبول أية ضربة لتستطلق الأوجاع .

لقد ذكر هذا المساء أممي اسم رجل لا أعرفه ولا علم لي بوجوده وقيل لي إن شائعات لا ظائل تحتمها دارت حولك وحوله وأنا الآن لا أسألك شيئاً عن هذا الأمر الذي آلمني لأنني ارتكبت فيه ذنباً لا يفتقر وأنت متفرقاً به أمامك ، وبدلاً من قبول ما تعرضينه على سألتي بهذه الأوراق إلى النار بحمق لا تحاولي تبرير نفسك لثلاث أسال أمام نفسي . لا تنزلي بي المقاب وما لي من ذنب غير فجيعتي وآلامي .

وهل لي أن أرتاب فيك وأنت على هذا البهائم وعلى هذا الاخلاص ؟ فان لفظة واحدة منك تحمل من الإفصاح ما لا يمكن أن أستجلي بنفسى لتثيت هيامي . آه لو تعلمين بما ابتلي من الفجائع والأكاذيب هذا الفتى المائل أمامك الآن ! لو تعلمين كيف عامله الناس وكيف هزأوا به وبخبر صفاته ، وكما اجتهدوا لتعليمه كل ما يقود إلى الشكوك والنيرة واليأس ! وآسفاه أيها الحبيبة ! إنك لا تعرفين من هو هذا

كستروحة بمروحتها وقد تهدجت أنفاسها ، وشعرت بأنني رميتها بسهمي فحكمت الصمت وتلاقت نظراتنا وفيها برود وفيها شيء من العداء . وتوجهت إلى مكتبتي وفتحت الدرج وأخرجت منه لفافة أوراق مبرومة بشرط من حرير فالتفتها إلي دون أن تفوه بكلمة .

وبقيت ذاهلاً عنها وعن رزمة الأوراق التي ألقتها إلي إذ كنت مستغرقاً كمن طرح حجراً في هاوية وصمد ينتصب إلى دويه

ولاحظ لأول مرة أممي أماراة الكبرياء الجريحة على وجه بريحت وقد عمت عنه سطور الاضطراب والاشفاق فشمعت أنني منها تجاه شخص غريب . وقالت اقرأ هذا

فتقدمت نحوها ماداً يدي فكررت قولها : اقرأ هذا — بلهجة باردة .

وشعرت وأنا أقبض على الأوراق أن شكوكي قد زالت فاعتقدت ببراءة بريحت ورأيتي ظالماً يحترق الندم قلبه .

وقالت : أنت تذكرني بأن علي أن أسرد تاريخ حياتي ، اصغ إلي لأقص عليك . وبعد ذلك تفتح أدرج مكتبتي لتقرأ كل ما فيها من رسائل كتبها أنا وكتبها سواي .

وجلست مشيرة إلي بالجلوس ورأيها تتجلد لتبدأ بمحادثتها وقد علت وجهها صفرة الموت وتشنج حنقها فهدج صوتها .

فصحت بها : بريحت ... بريحت . أستحلفك ألا تسكمني ويشهد الله أنني ما خلقت على ما ترين وما كنت من قبل لا متشككاً ولا متحدياً . لقد ضللى الناس وأفسدوا قلبي ، لقد مهت بي غيره

الفصل الثاني

إن للماشقين شيئاً من الركود والأسن يطفئ
عليه مريح كله مهادرة وألم ، وما حالهم هذه إلا نتيجة
حياة تتحكم فيها شاردات الأهواء لا حاجة الأجساد
فما جسد الفاسق إلا مطية تفكيره الجموح وما تقبه
الارادة وقوة الشباب منبة التفريط إلا إلى حين ،
لأن الطبيعة انتقامها الدساس الخفي وإذا انتهت القوة
يوماً لاستعادة ما هدر منها فإنها تجد الارادة المشلولة
ترصدها لتدفع بها من جديد إلى التفريط

إن الفاسق الذي أفلت زمام التمتع من يده
لا يجد غير اقسامة الازدراء يقابل بها كل ما كان
يشير شهواته فهو يقتحم ملاذة بثورة الأعصاب
لا برصانة القوة . وما يستولى الفاسق على ما يجب
إلا عنوة واغتصاباً ، وقد أصبحت حياته ملتهبة بمحومة
فيلجأ إلى المسكر وإحياء الليل في المواخير ليرتفع
بأعضائه المهوكة إلى مستوى الملذات

إن مثل هذا الرجل يحس في أيام ضجره وتراخيه
بالمجال السحيق بين قوته وشهوته بأكثر مما يشعر به
أي رجل آخر ، وإذا ما أراد مقاومة ما حوله من
مغريات فإنه يلجأ إلى الكبرياء مستمداً منها الاعتقاد
الوهمي بأنه يزدري هذه المغريات ولا يأبه لها

وهكذا لا يني الفاسق متنقلاً على ولائم حياته وقد
قبض الغرور على عنقه ليجره جرأ بين سعار شهوته
وكرهته حتى يدفعه إلى هاوية الفناء . وبالرغم من أننى
كنت أفلت من زمرة الفاسقين فإن جسدى تذكر
بقاء أنه كان محشوراً بينهم ، وما كنت لأشعر بمثل
هذا الانبعاث من قبل ، حين اجتاحتني الحزن الشديد
لوقاة والذي ثم جاء الحب الترح يشغلني فأرتد الملل

الذى تشقىني . لا توجهي إلى اللوم والتفريع بل
تجلدى وأشفق على إذ لا بد لي من أن أنسى وجود
كل كائن على الأرض إلا أياك فإن أمانى مآزق من
الآلام يجب على اجتيازها وما كنت أتوقع أن أراها
معترضة على سبيلى تتحدى قواي للمجادلة والنضال .
إننى ما عرفت ما فى ماضى إلا منذ ضمنتك بين
ذراعى إذ شعرت وأنا أضع قبلاقي على شفتيك بما
على شفتى من أوصار . الموتة يا ربيحت ؟ إننى ألبأ
إليك فساعدني بنحى ربك على الحياة فإن ربك قد
خلقني خيراً مما تربىنى الآن .

وفتح ربيحت معصمها وضمتني إليها طالبة
منى اطلاعها على الوقائع التى أدت بي إلى هذا
الموقف ، فأسردت لها إلا ما قاله لاريف لأنني جيت
عن الاقرار لها بأننى استطعت مكرانسون . وعادت
فأكرهتنى على سماع إيضاحها فقالت : إن دالانس
أحبها ولكنها رأت ما هو عليه من خفة وتقلب
فأعلنت له أنها لا تقصد الزواج ورجته ألا يعود إلى
ذكر عواطفه فغضغض لارادتها ، ومنذ ذلك الحين
أصبحت زيارته نادرة حتى انقطع عنها .

قالت هذا وسحبت من الرزمة كتاباً عرضته
على وهو يحمل تاريخاً حديثاً فسا ملكت وجهي
من الاحمرار إذ رأيت فيه إثبات ما أعلنته من
الحواث

وأكدت لى أنها تغفو عنى غير أنها فرضت
على كعقاب أن أوافيها بلا إبطاء بكل ما يدعو إلى
تبين شكوكي فيها بدم وتبادلنا العهد بقية ، وعند
مبارحتها عند انبثاق الفجر كنا نسينا أن فى الوجود
رجلاً يدعى دالانس .

وأُزِلَ به أَوْجَعُ الِاهانات وهي تنظر بصبر إلى في
ولما يزل مرطباً بقبلتها يتدفق تحميراً وجنوناً
وكنّت في الأيام التي تجتاحني فيها مثل هذه
النوب أُنْذِفُ إلى ذكر ما قضيت في أيام الفحشاء في
باريس فأصورها كأنها خير حياة ، فأقول لبريجيت :
ما أنت إلا قاتلة ممتدة ، وهل لك أن تمرّفي ما هي
هذه الحياة فليس في الناس خير ممن لا تنالهم الموموم
إذ يمارسون الحب دون أن يعتقدوا به
فكأنني كنت أعلن لها بصراحة أنني لا أعتقد
بالحب أنا أيضاً

وتقول لي بريجيت عندئذ : إذا كان الأمر على
ما تقول فما عليك إلا أن تملني بأرضيك به ؛ وليلي
لست أقل جالاً من معشوقتك اللواتي تأسف
لفراقهن . وإذا رأيت أنني محرومة من المعرفة التي
كن يبدئها لتسليتك على طريقة خاصة فأنا مستعدة
لاقتباسها . لتكن معاملتك لي كأنك لا تحبني ودعني
أحبك دون أن أعلن لك حبي . فما أنا أقل عبادة في
هيكل الحب مني في هيكل الصلاة . قل لي ما يجب
أن أفعل لنؤمن بما أقول

وأراها بعد ذلك تقف إلى مرآتها لترتدي في
رائعة النهار ملابس السهرات والمراقص متظاهرة
بالتبذل — وما هي من بنات الدلال — محاولة
تقليدي فتضحك وتظفر في العرقلة قائلة : أتراني
على ذوقك الآن ؟ وأية خيلة من خيلياتك أشبه ؟
أفأبي من الجمال ما يكفي لاقتناعك بإمكان الاعتقاد
بالحب ؟ . أفأنا لوح على دلائل من لا يبالون بالحياة ؟
وإنني أرى الأزهار المكللة صفائر شعرها المقصوص
ترتجف وهي مولية ظهرها لاختفاء تصنعها فأنطرح
على قدميها قائلاً :

عني وأنا في عزائي وما يهيم المنفرد إن دار به الفرح
أو ساورته الأحزان

إن « الزنك » لا يدفع بالشرر الكامن فيه إلا
إذا احتك « بالنحاس » التي وقد جاءت قبلات
بريجيت كهذا النحاس تقدح ما كن في أعماق قواذي
فكنّت وأنا أواجهها استجلى حقيقتي فأعرف نفسي
وقد كنت أصبح أحياناً وأنا شاعر بحالة جد
غريبة في تفكيري فأحسبني قضيت ليلي في ولية
ترك بي طعامها وشرابها ما أمك قواي فتعبنى
أضعف المؤثرات الخارجية وكل الأشياء التي أعرفها
واعتدت النظر إليها توثني الملل والنفور ، فإذا
تكلمت سنخرت بأقوال الناس وبخاطري نفسها
فكنّت أستاذتي على مقعد ، مستسلماً للكسل ، معارضاً
في تنفيذ ما قرأته من نثره ، مستعيداً ما كنّت قلته
فيها مضى لطبيعتي من كلمات التودد والاختلاص ، مفسداً
بذلك تذكّار أيام الهناء

وكانت بريجيت تنظر إلي حزينة وتقول : بالله
دع هذا يا أوكثاف ، إذا كنت تضمّر شخصيتين
مختلفتين أفأبوسمك أن تدع الشخصية الطيبة وشأنها
عندما تبين فيك الشخصية الشريرة

وما كانت معارضة بريجيت لضلالي إلا لتريدني
استغراقاً في مرمى المزج ، وما أغرب طبيعة الإنسان
التي أرى أبدأ إلى إيلام من يهوى . وهل من
داه أقطع من داه العجز عن التحكم في الذات
وما أشد ما تحتل المرأة إذ ترى الرجل الذي
ضمت إلى صدرها ينقلب هائلاً بلا مبرر بأقدس
ما في ليالي الهناء من أسرار . وكانت بريجيت تتجلد
فلا تهرب مني بل تبق إلى جنبي منحنية على قطعة
تطرّزها وأنا ذاهب بمجازي القاسية أنال من الحب

ذلك الثقل المتقل من الجفاء والاستهتار إلى العطف والولاء، ومن الكبرياء والقسوة إلى الندم والخضوع وكان وجه ديجنه الذي تجلى أمامي أولاً كأنه يندفوني بما سأفعل لا يبارح توحي فأناجيه في أيام شكوكي وبرود هيامي، ولكن قلت في نفسي بصد توجيه التقريرع إلى بريجيت مستهزئاً جافياً: لو أن ديجنه مكاني لذهب إلى أبعد من هذا

وكنت إذا ما هبات للذهاب إلى بيت بريجيت أنظر إلى وجهي في المرآة وأنا أضع قبعتي على رأسي فأقول: — أي شرفي هذا؟ أنا لي خلية استسلمت إلى فاسق فقلها أن ترضى به

وكنت أصل إليها والابتسامة على شفتي فأستلقي على مقعد متراخياً عن قصد لأنظر إليها تتقدم نحوي بعينها الواسعتين وقد ملأها الاضطراب فاقبض على راحتيها الصغيرتين لأذهب تأمناً في أحلامي أيمكن لأي بيان أن يأتي باسم شيء لا اسم له؟ فهل أصف نفسي بطيبة القلب أم بسوء البنية. أحزماً كان ما أفعله أم جنوناً؟ ما يفيد التبصر؟ فإني على إلا السير على السبيل المخطوط

وكان لنا جارة تدعى مدام دانيال، عليها مستحبة من الجمال وفيها شيء من الدلال وهي فقيرة تحاول الظهور بمظهر الفتي، وكانت تأتي لزيارتنا وتلبس اللبس مضاربة معنا بمبالغ كبيرة فإذا خسرت صعب الأمر عليها فلجأت إلى الانشاد بصوت ليس فيه شيء من الجمال. وقد كانت هذه المرأة التي اضطرتها المقادير لتمضية حياتها في هذه الثابتة الضائعة بين الجبال ظامئة إلى السرور واللذات، فما كانت تتكلم إلا عن باريس حيث تذهب لتمضية ثلاثة أيام كل سنة وكانت تدعى أنها تتبع الأزياء الحديثة فتساعدها بريجيت بآرائها

— كفالك تقليداً إنك لتذهين ببيدك في محاكاة من لم يتورع في عن ذكرهن أمامك. انزعى هذه الأزهار، واخلي هذا الثوب، ولنفس هذا المزج بدعة صادقة، دعيني أنسى ... إنني الولد الأبق فقد كفاني ما أتمثل من ماضي حياتي

غير أن هذا الندم نفسه كان جافياً إذ يبين لها ما لأشباح الماضي من رسوم متغلغلة في سريري. وما كان ما أبدية من استمزاز إلا ليعلم لها الدنس المروء في الصور التي كانت تحاول تقليدها لإرضائي وكنت أجيء إلى بيت بريجيت وقلبي طافح سروراً وأنا أقسم أن أنسى بين ذراعيها آلام أيامي الماضية، فأجرو أمامها مبدياً كل دلائل الاحترام وأزحف خاشعاً إلى سريرها كأني أدنو من هيكل الصلاة ماداً إليها ذراعي والدموع تنهمر في عيني، غير أنني كنت أراها عند ذلك تنفوه بكلمة أو تخلع ثوبها بمجرأة لها طابع خاص فينتصب أمامي فجأة خيال غائبة تنفوت بمثل هذه الكلمة أو أنت بمثل هذه الحركة وهي تتجه إلى سريري

يا لك من روح غلصة؛ وباللعذاب الذي تحملته عند ما كنت أنتج ذراعي لضمك إلى صدرى قسقطان — كأن لأحياة فيهما — على كتفيك الناعمتين، وعند ما كانت تنطبق شفثاك على شفتي فأحس بأن نظرات الهيام في عيني وهي شعاع من نور الله تراجع عن هدفها كأنها سهام هبت الريح عليها فلوتهما في انطلاقتها

أواه يا بريجيت! لكم انهمرت لآلئ في أحداقك عند ما كنت تسقين براحتيك ذلك الحب الحزين الشغوف من معين أرفع بر وأصدق إحسان وتوات الأيام ما كدر منها وما صفا وأنا فيها

إنما هي علصت من فكرة الأزياء التي كانت تثير حماقتها، فأقدمت على عمل سداه الاخلاص ولحمته الحفاة إذ انتهزت فرصة اختلاطها ببريجيت في زهرة لتقول وهي تماقها، إنها لاحظت ميلاً منى للتحجب إليها وإننى أسمعها بعض كلمات لا بحال للارتياح في مقصدي منها وأضافت إلى ذلك قولها إنها عارفة بأبنى عاشق لأمرأة أخرى وأنها تفضل الموت على إتيانها أمراً يهدم سعادة صديقة لها .

وقد زأت بريجيت أن تشكر مدام دانيال على صراحتها فذهبت هذه مرآحة الضمير غير أنها لم تنقطع عن إرسال لحظاتها إلى تزييد في نكايي

وبعد أن بارحتنا مدام دانيال عند المساء أخبرتني بريجيت بلهجة قاسية عما جرى في المتره بينها وبين هذه المرأة . وطلبت إلى أن أوفر عليها تحمل مثل هذه الاهانة فيا بعد قائلة : إننى لا أعلق كبير أهمية على مثل هذه الهازل ولا أصدقها غير أنني أرى من الفضول إذا كنت تجبني أن تدع امرأة أخرى تشمر بأن محبتك لا تحتفظ بمستواها كل يوم . فأجبتها ضاحكا : أيمكن أن يكون لهذا الأمر شأن عندك ؟ أفأ ترين أنني لا أقصد سوى الهزل لتضية الوقت ؟ فقالت : أواه يا صديقي إن من البلية أن يرى الانسان ضرورة لتضية وقته .

وبعد أيام عرضت على بريجيت أن نذهب إلى قاعة الحكومة لمشاهدة مدام دانيال في رقصها فقبلت على مضض وبينما كانت تردى أثوابها قرب الموقد بدأت أوجه إليها اللوم لأنها تخلت عن مرحها القديم فقلت لها ، وأنا لا أجهل حالها : مالك يا بريجيت لقد أصبح القطوب مستحكما في ملامحك فاذا دام الحال على هذا النوال فلا بد من أن يسود الحزن

وهي تبسم شفقة عليها . وكان زوج هذه المرأة موظفاً في دائرة تسجيل الأملاك فيذهب بها أيام الأعياد إلى مركز الناحية لترقص بكل ما في قلبها من شوق مع ضباط الفصيلة في قاعة الحكومة . وكانت تعود من هذه المراقص وقد وهنت قواها وازداد زيق عينيها فهرع إلينا لتخبرنا بما صادفت من نجاح وبما أثار من أشجان . أما ما تبقى لها من الوقت فكانت تقضيه بمطالعة الروايات غير ملتفتة إلى شيء من مشاغل نيتها .

وكنتم كلما التقيت بهذه المرأة أسخر بها لفرابة حياتها ، ولكم قاطعتها في حديثها عن المراقص لأسأله عن زوجها ووالده وهي تكرر الأول لأنه زوجها والثاني لأنه من زمرة الفلاحين كما تقول . وهكذا لم يخل أى اجتماع لنا بها دون أن ينشأ بيننا خلاف شديد .

وخطر لى في أيامي السوداء أن أحبيب إلى هذه المرأة نكايي ببريجيت فأقول لهذه : أفأ ترين أن مدام دانيال تفهم معنى الحياة فعنى ناعمة البال مرحة وأراها خير ممشوقة يتمناها الرجال .

وهكذا كنت أبدأ بالثناء على هذه المرأة فأصف ثروتها بسهولة البيان ودعواها المريضة يميل بديهي إلى التمتع بالحياة وأرى أن لا ذنب عليها إذا كانت فقيرة ما دامت تتترف بهذا الفقر إلى أن أقول أخيراً إنها لا تسمع مواعظ الناس ولا تبذل المواعظ لهم . ثم أطلب من بريجيت أن تتخذ هذه المرأة مثالا تحتذى به مدعياً أن هذا النوع من النساء يوافق ذوق :

ولاحظت مدام دانيال أن في نظرات بريجيت بعض الأسى ، وكانت هذه المرأة طيبة القلب غلصة

معاملتي ولا يسمعها إلا الاعتقاد بزوال حيي ؛ ثم أعلنت لي بصراحة أنها أصبحت لا تطيق هذه الحياة وقد عزمت على الإلحاح لأية وسيلة تنقذها من أطوارى الشاذة ومعاملتي الباردة . ورأيت الدموع تنسكب من عينيها بفزارة فكنت أجدو أمامها لأطلب

عفوها ، غير أنها استمرت على إرسال تقريرها مفتوحة بكلمات ذهبت إلى كبرياء فخر حيا وثار ناري فأجبتها بكلمات من طراز كلماتها حتى اتخذت مناقشتنا شكل جدال لاهوادة فيه . فقلت لها : إن من المستغرب ألا يكون عندها من الثقة ما يميز لي إتيان أبسط الأمور : فلا بد إذا أن يكون هناك سبب آخر غير السبب الذي تمسك به لأنها تعلم أنني لا أبالي بدماد دانيال فليس تقربها لي إلا الاستبداد بعينه ؛ ومع ذلك فإذا كانت متمعة من هذه الحياة في وسعها أن تضع حداً لها بالفراق .

فقلت : « ليكن ما تقول لأنك تنكرت ليني منذ بذلت نفسي ، فقد لمبت دورك بمهارة لافتتاحي بجهك لي ؛ وما قد أتيتك هذا الدور فلا تجحد من الأعمال إلا ماتسيء به إلي . لقد ارتبعت إخلاصي لكلمة واحدة مررت على أذنك ولاحق لي بتحميل نفسي ما توجه من إهانة إليها . لقد تبدلت فأنت الرجل الذي أحببت

— إنني لأجهل نوع الآلام وأراها مستجدة لكل خطوة في حياتي وسوف لا يطول الأمر حتى أحرم حق التكلم مع أي مخلوق سواك فأنت تظاهرين باحتمال سوء الماملة لتجيزي لنفسك توجيه التفرع إلي وما تشكين استبدادي إلا طلباً لاستبدادي .. أما وقد أصبحت أشوش عليك

ساعات انفرادنا . لقد عرفتك من قبل أكثر مرحة وحرية وصراحة . وليس مما يوجب اختخاري أن أكون أنا علة هذا الانقلاب الطارئ على أخلاقك ، ومع ذلك فاني أتومم فيك خلال أهل الزهد فكأنك خلقت لسكنى الدير

وكان ذلك اليوم يوم أحد فاستقلنا عربة وسرنا ، حتى إذا وصلنا إلى المنزه رأيت بريجيت رهطاً من صديقاتها بنات الحقول سائرات إلى مرقص أشجار الزيفون ، ونضارة الشباب تدفق من وجوههن فاستوقفت عربتها وحيت الغتيات ، وإذا استأنفنا السير أطلت من نافذة العربة مشيعة بأنظارها رهط الصبايا ، كأنها تشوق إلى المرقص القديم ، وإذا توارين عنا رأيتها ترفع منديلها إلى عينيها وصلنا إلى مرقص الحكومة فرأينا مدام دانيال تطفر فرحاً وحبوراً ، فبدأت بالرقص معها وكررت ذلك بصورة تسترعى الانتباه ، وكانت لها عبارات الإعجاب فكانت تجيب على مجاملتي بمثلها . وكانت بريجيت تنبها بأنظارها أفي سرنا . ويصعب علي أن أصف ما شعرت به في ذلك الحين ، إذ تمازج سروري بألي لما تجلي لي على سياه بريجيت من غيرة فكان هذه الغيرة كانت تحفزني إلى التماسدي في إضرامها

وتوقعت بعد عودتنا أن تلجأ بريجيت إلى لوي ولكنها بقيت مغمدة في مجودها وصمتها في اليوم التالي وما بعده ، فكانت تستقبلني بقبلتها المعتادة ثم نجلني وكل مناستغرق في نفسه فلا يتبادل الكلام إلا قليلا . وفي اليوم الثالث عيل صبر بريجيت فاندفعت بها جنبي بعشها المرافلة : إنها لا يجد ما تبرره

— نحن طفلان يا أوكتاف، يا صديقي، وما كان
لما كنا من سبب ولا معنى، ولولم تأت إلى لذهب
اليك في هذا الليل. اغفر لي فالذنب ذنبي أنا. إن
مدام دانيال ستأتي غدا لتناول الغداء فلك أن تفتح
سيلا لندى عما تسميه استبداداً في معاملتي. إن
سعادتي متوقفة على حبك لي فلننس ما مضى
ولنحتفظ بسعادتنا
(يتبع). فيليكس فارس

حياتك فاستعدي السكنية لها. إنك لن تريني
بعد الآن
وافترقا على غضب؛ وصر النهار دون أن أراها
وفي اليوم التالي شمعت عند اتصاف الليل بحزن
لم أجد لاحتاله سيلا فدرقت الدموع سخينة
وأخذت ألوم نفسي وألمها قائلاً: إن من الجنون
المطبق أن أعذب أشرف النساء وأطيهن قلباً. ثم
نهضت راكضاً إلى بيتها لانطرح عند قدمها

دخلت الحديقة وإذا رأيت النور من نافذة
غرفتها ساورتني الشكوك فيها فقلت: إنها
لا تنتظرني في مثل هذه الساعة ومن يدري ما تفعل؟
لقد تركتها أمس غارقة بدموعها وللمنى أراها الآن
مشغولة بالغناء غير مبالية بي وغير شاعرة بوجودي،
بل لعلها ترتدي أثوابها وتجعل وجهها كذلك
المرأة... لأدخلن إذن متجسساً فأطلع على الحقيقة
وتقدمت على حذر وكان باب غرفتها مفتوحاً
فتمكنت من مشاهدتها دون أن تراني

وكانت جالسة إلى خوان تكتب في مجلد
المذكرات التي كانت مبعث ارتياحي بها. وكان في
يدها اليسرى علبة صغيرة من الخشب الأبيض
تنظر إليها من أن إلى أن يارتاش عصبي ظاهر
ولا أدري أية روح صروعة كانت تسود هذه الغرفة
في جوها الهاديء، وكانت رفوف المكتب مفتوحة
وقد صفت عليها رزم الأوراق كأنها ربت في برهة
وحيزة.

ودقت الباب فنهضت وأقفلت أدراج المكتب
وأنت إلى والابتسام يغلفها قائلة:

لمحة التأليف والترجمة والنشر

سيرة السيد عمر مكرم

لؤلؤها الأستاذ محمد فريد أبو مديرة

سيرة جلية من سير الزعامة الشعبية وصفحة
رائعة من صحف الجهاد القوي خلال القرن
الثامن عشر حتى فاتحة عهد محمد علي عند
ما اجتمعت كلمة الشعب على اختيار ملكه المحبوب
جد الأسرة الملكية الكريمة

والكتاب مزين بالصور التاريخية.

ثمنه عشرة قروش عدا أجرة البريد

ويطلب من اللجنة بشارع الكرداسي رقم ٩

ومن المكاتب الشهيرة



الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب

على هدى وبصيرة

الرسالة : تعبر باخلاص عن روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية

الرسالة : تصور مظاهر العبقرية للامة العربية

الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية

الرسالة : تحيي في النشء أساليب البلاغة العربية



مجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

الجديد ، وسجل الأدب الحديث ، ودائرة معارف عامة



الاشتراك اداخلي ستون قرشاً ، والخارجي ما يساوي جنبها مصرياً ، وللبلاد العربية بخم ٢٠ ٪

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

برل الاشرافك عمى سنة

٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ من العدد الواحد

الوزارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

المروية

مجلة أسبوعية للقصص والروايات

نصدر مؤقناً في أول كل شهر وفي نصف

العدد السابع عشر ٢٥ رجب سنة ١٣٥٦ — أول أكتوبر سنة ١٩٣٧ السنة الأولى



فهرس العدد

صفحة	
١٠٣٤	لو عرف الشباب ... أفضوة مصرية .. بقلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني
١٠٤١	الدم ... للكاتب الفرنسي إميل زولا .. بقلم الأستاذ محمود خيرت
١٠٤٦	سباق الحصاد ... للكاتب الإنجليزي ليام أوفلاهerty .. بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي
١٠٥٢	روز ... أفضوة مصرية .. بقلم الأديب يوسف فهمي
١٠٥٧	سالوما ... للكاتب الإنجليزي أوسكار وايلد .. بقلم الدكتور جتن صادق
١٠٧٩	الباتنة الصغيرة ... للكاتب النمساوي هانز أندرسون .. بقلم الأديب شكرى محمد عياد
١٠٨١	اعترافات فتى مصر ... لألفريد دي موسيه .. بقلم الأستاذ فليكس فارس
١٠٨٨	الأوذية .. لهوميروس .. بقلم الأستاذ دريني خشبة

لَوْ عَرَفْنَا لَشَبَّابًا

دُرُوسُ أَدَبِ رَهِيمِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْمَلَانِي

وقال لها عصر يوم
وهي تقدم له القهوة
وتدني منه «طاولة»
صغيرة عليها «منفضة»
للسجائر: «يا حليلة..
اسمعي يا بنتي ... أنا
منتظر رقية ..»
فقال مستفسرة:

« رقية ؟ .. »

قال : « رقية ... نعم ... بنت المرحومة الست
خديجة .. ستقيم عندنا إلى .. »
ثم كأنما رأى أن التحديد عسير فتركها هذا وقال :
« أظن من السهل عليك إعداد الغرفة الجنوبية
لها ... هه ؟ »
قالت : « سهل طبعا ... لكن بنت صغيرة ... ؟ »
يمكن تتبكا »

فقال محاولا أن يزيل دواحي القلق الذي يساورها :
« بنت صغيرة ؟ ... هذه بنت عشر ... اشابة ! »
فلم ترد حليلة على أن قالت : « طيب »
وجاءت الفتاة بعد قليل مع رسول من قوم أمها
يحمل لها أشياءها القليلة، وكان وجهها أصفر منهضا
وعظام وجهها بارزة ، ونظرتها ساهمة ، فقبلت يد
الشيخ فتناول وجهها بين كفيه المروقتين وقبل
جبينها وأجلسها إلى جانبه ، وشرع يحدثها ويلطفها
حتى أنست به وهشت له ، ثم تركها حليلة تمنى بها
ومضت الأيام ووجدت رقية في الشيخ سليم
عوضا عما فقدت . وزالت الفضاضة التي كانت تجدها
في أول الأمر وصارت حين تقول له : « يا عمي »
تسمر أنه معها حقاً وصدقا ، وتفتح لها قلبه الكبير

كان أبوها تاجرا حسن الحال ، وأقبلت عليه
الدنيا فأقبل على تجارته يوسعها ولكن بلا تدبر ، وعلى
المال ينفقه بلا حساب ؛ وأغرى بالقمار فأفضى به
الأمر إلى الخراب الوحي ، فتجلد وراح ينشد العمل
في متجر ، ولكن سيرته في أيام النعمة خوفت منه
التجار وزهدتهم في استخدامه ، فلم يبق له إلا
الاحتيال على صفقات قليلة يوفقه الله إلى عقدها
ويخرج منها « بموالة » ضئيلة لا تنفي . وكان في
أثناء ذلك يبيع حلي زوجته ، ثم أثاث بيته ؛ فلما
أتى على هذا وذاك ولم يبق إلا الموت جوعا شرب
خمرا رخيصة في ساعة يأس وألقى بنفسه في النيل
وترك امرأته وبنته — وكانت في الثامنة من عمرها —
تميشان أو تموتان . فأما الأم فقضت نحبها بصد
شهور ، وأما الفتاة فسمع بخطفها رجل طيب كان
يعرف قوماً فاقمهم بأن يدعوهم ليتبنوا ويأنس بها
ويستعين بها على ضعف الشيخوخة ، وكان هو أيضا
تاجرا ، فلما ارتفعت به السن قطع عما أفاد وصنع تجارته ؛
وكانت زوجته قد ماتت من غير أن تعقب نسلًا ، فاتخذ
فقيرة من قريانه لتدير أمر بيته ، وكانت امرأة سالحة
فرجة وجعلت له من نفسها خادما وأمًا واختا
ووصية أيضا

قالت: «آه»

قال: «إن شاء الله»

وخطر للشيخ وهو راقد على سريره في تلك الليلة أن رقية مسكينة، وأنها مستوحشة في هذا البيت الكبير الذي ليس فيه إلا هو وحليمة والخادم الكهل الذي يقضى الحاجات، وأن رغبتها في التعلم من مظاهرها إحساسها بالوحشة، وأن الواجب ... ولكننا نسبق الحوادث

وجاءت العلة وبدأت الدروس فشغلت بها رقية عن كثير مما ينصف على حليمة، ولكن الشيخ لم يقنع بهذا ولم ير فيه الكفاية وإن كان لم يفته أن حليمة أصبحت أقل شكوى وتدمراً من رقية. وكانت عادة الشيخ أن يخرج إلى صلاة الفجر في مسجد سيدنا الحسين ثم يشرب الشاي في إحدى القهوةات الكثيرة المشهورة بصنمه هناك، ولا يعود إلا في الضحى فيتناول شيئاً يسيراً من الطعام ويرتاح قليلاً ثم يمودف يخرج ويمر بأخوانه التجار في دكاكينهم ولا يرجع إلا وقت الغداء؛ وإذا خرج في العصر فقلما كان يعود إلا بعد صلاة العشاء في (الحسين) وقال ليلة وما جالسان إلى الطعام: «أظن يارقية أنك تستوحشين هنا ...»

فقالت: «كيف تقول يا عمي؟»

قال: «الوحدة ... ليس لك أنيس من سنك ...»

والبيت واسع كبير كالربيع ... وليس فيه إلا نحن والمغاريت»

وسره كلامه فضحك فقالت: «بسم الله الرحمن الرحيم ... قل لي يا عمي ... هل في البيت غفاري؟» قال وهو يتسم: «هل تخافين المغاريت؟» فأجابت بسؤال: «ألا تخاف أنت؟»

وأثرلها منه في جبهته، وذاق في شيخوخته المالية ما حرّمه طول حياته من حلاوة الأبوة ونعمة البنوة البارة، فقد صارت رقية هي التي تعني به وتعد له حاجاته وتسهر على راحته وتبقى إلى جانبه حتى يصرفها إلى مرقدها بمد أن يدعو لها ويمسح شعرها ويقبلها

ولكن حليمة لم ترض عن رقية، وكان رأيها فيها أنها فتاة عديدة وأن أباها أفسدها بالتدليل وأن الشيخ سليم يزيد فساداً بأسرافه في إظهار التعلق بها والحنو عليها، وكان يسوؤها على الخصوص أن لسان رقية حاد، وأنها لا تفعل إلا ما يطيّب لها؛ وكانت حليمة صريحة فلم تكن تكتم رقية سوء رأيها فيها، أو تتقن أن تنذرهما بمستقبل أسود «كالخبر» وكثيراً ما كانت تقول لها إن الشيخ يسيء إليها بهذا التدليل

وكان هذا الكلام وأشباهه يهيج رقية في أول الأمر ويطلق لسانها بما يخطر لها ساعة الغضب، ولكن ترى نفسها كأن خصماً فلم يخل كلام حليمة من أثر، فقالت ذات ليلة لعمها وهي جالسة على ذراع كرسيه:

«عمي»

فرغ إليها وجهه المفضن وسألها: «نعم؟» قالت وهي تداعب شعر لحيتته: «إنك تفسدني بالتدليل. لماذا لا تربيني كما يربني؟»

فدهش الرجل وقال: «من وضع في رأسك الصنير هذا الكلام؟ حليمة بالطبع» قالت: «هي على حق ... شف ... لي هنا نحو سنة ... وقد نسيت ما تعلمته في المدرسة»

قال: «آه! صحيح ... الحق معك ... صحيح ... هل تريدن أن تعلمي حقيقة؟»

قال : « الله هو الحافظ ... لقد خطر لي شيء ...
أريد أن أدفن في بلدي »

فساحت به وقد حقق قلبها : « أعوذ بالله ! لماذا
تقول هذا الكلام ؟ »

قال : « يا بنتي الموت حق ... دعي هذا ... قريتنا
جميلة ... لي فيها أرض ودار لا بأس بها ، والحياة
هناك أشرح للصدر وأنس للقلب . ناس كثيرون ...
أهل ومعارف ... لا يمل الإنسان ... والمناظر جميلة ...
الحاصل ... سنذهب إلى البلدة وترك هذا البيت
الموجش ... مادام أن أبقى في مصر ؟ »

قالت : « أمرك يا عمي »

قال : « ألا يسرك ؟ يمكننا أن نعود إذا لم ترقأحي
هناك ... الأمر سهل »

وبعد أيام من هذا الحديث حملها معه إلى البلدة
وترك حليمة والخادم الكهل ليرسلا أثاث البيت
ويلحقا بهما

ولم يبالغ الشيخ فقد كانت القرية جميلة والدار
رحبية تقوم في وسط بستان ثمر وزهر ، ولكن
العناية بالزهر كانت ضئيلة فلم يكن هناك إلا بضعة
أعواد من الورد ؛ أما الأشجار فكانت كثيرة وكان
ثمرها وفيراً ، فطاب الثمام لرقية ، ووجدت في
الحديقة الواسعة ملهى ومرتباً . وكان فتى من
أقرباء الشيخ في السابعة عشرة من عمره هو الذي
يتهمد الحديقة ، وكان يبيت في الدار أيضاً ولكن في
إحدى الغرف الضخمة . ولم تكن رقية ترتاح إلى
هذا الفتى ولكنه كان قريب الشيخ ، وكانت تدرك
أنه لا بد للحديقة من رجل يتعهدا ، فإذا كان عمها
قد آثر أن يكل هذا إلى قريب له فهو على حق ،
والأقربون أولى بالمعروف . وهي أجنبية — ولا

ينبغي لها أن تنسى هذا — فليس من حقها أن
تكروه وتحب . وما شأنها على كل حال ؟ وإذا
كانت لا ترتاح إلى محمود هذا فإن في وسعها أن
تتجنبه ، وأن تبقى لقاءه بلا عناء . غير أنها
— لسبب ما — كان يستخطها عليه ما ترى من
بلادته وجوده وبطء حركته ، وأن وجهه لا ينطلق
قط . وقد سمعت أنه حفظ شيئاً من القرآن وأنه
قضى بمدرسة ابتدائية بضع سنوات فهو ليس جاهلاً
كما كثر الفلاحين .. فإله ؟ .. ما خطبه ؟

وكانت ربما لقيته في بعض جولاتها في الحديقة
فيضيق صدرها ببهايمته ، ولا تملك إلا أن تصيح
به : « يا شيخ اتلحج شوية ! » فينظر إليها متمعضاً
ولا يزيد على أن يقول لها — حين يقول شيئاً —
« وانت مالك ؟ » ويستأنف ما كان فيه غير عابئ
بها أو مكترث لها فكأنها غير موجودة
وكان الشيخ يلاحظ حبهما للحديقة فقال لها
يوماً : « لملك مسرورة »

فطوقته بذراعها وقبلته ، فاستغرب الشيخ
إحساسه بذراعها وتنبه إلى أن هزأها قد زال ،
وأن وجهها قد امتلأ ، وأن ذراعها صارتا بشتين ،
وأنها — ولم يمض عليها عنده إلا عام وبضع عام —
قد طالت قامتها وعلأ ثديها على صدرها .. بالاختصار
أصبحت شابة ... لا يمكن أن يخطر لأحد أنها في
الثانية عشرة من عمرها فقط ...

وقال لها وهو ينحى ذراعها عن عنقه برفق :
« كيف وجدت محموداً ؟ »

فعبست وسألته : « هل تحبه ؟ »

فقال كأنها أراد أن يلخص لها موقفه منه في
أوجز عبارة : « أمه بنت خالتي »

من يدري ؟ .. لعلهما حينئذ يتحولان إلى ...
ولكن من يدري ؟ . من يدري ؟ . على كل حال
هذا خير من قرب يثير بينهما حربا ...

غير أن الأقدار لم تمكنه من إرضاء غزوه ، فقد
أصابه برد ثقلت وطاقه على جسمه التهدم فأحس
الرجل بدنو الأجل ؛ ودعا إليه رقية ، وأدناها منه
على سريره ، وقال : « قلت لك يازقية إنى كنت
أحيانا أحلم بأشياء ... وأخشى أن أكون قد
أسأت من حيث قدرت أن أحسن . ولست أحب
أن ألقى الله بضمير مثقل بهذه التبعة . نعم كان
يسرنى أن أوفق بينك وبين محمود ... هو أيضا
ليس له غيرة ، ولكنى لا أحب أن تشمرى أن
عليك أن تفعل شيئا لا لسبب إلا ظنك أن هذا
يرضى . إن حياتك أمامك فأصنى بها ما تشائين .
كنت أحب أن يطول عمرى حتى تكبرى فأترك
مطمئنا ولكنه لا راد لقضاء الله ... وقد تركت
لك أكثر ما أملك واحتطت فلن ينازعك أحد .
وتركت له ما فيه الكفاية ، فأحرصى على مرضاة الله
ثم مرضاة وجدانك ، ولا تجعل بالك إلى ما تظنين
أنه يرضى ... هذا ما أردت أن أقوله لك ... »

فلم تستطع أن تقول شيئا فقد انهمرت دموعها
وخفقها البكاء

وبعد يومين ذهب الشيخ الكريم في سبيل
من عبر ...

وظهر أنه وقف ماله فترك لها نصف الأرض
ولحمود النصف الآخر . أما الدار التي في القرية
والبيت الكبير في مصر فجعلهما فيها شريكين بحيث
لا يستطيع أحدهما أن يحنث فيها شيئا — كائنا
ما كان — إلا باتفاقهما على ذلك ؛ وآثرها على الفتى

فأدهشته بقولها : « هل كنت تحب بنت
خالذك ؟ »

فقال : « أ ... أ ... أحبا ؟ .. آه بالطبع ..
بنت خالتي ... طبعاً »

قالت : « لا أعنى هذا »
فزاد عجبها منها وأراد أن يغير الموضوع فسألها :
« ما رأيك في محمود ؟ »

فقلت : « بإيجاز بليد ... »
فسألها بلهجة الشفق : « هل قلت له هذا ؟ »
فضحكت وقالت : « لا تخف ... هو أيضا
لا يكتمنى رأيه في »

فهز الشيخ رأسه أسفا وأطرق قليلا ولكنها
ردته إليها بقولها :

« قل لى يا عمى ... لماذا تسألنى عن محمود ؟ »
فنظر إلى عينيها الواسعتين الميعتين قبل أن
يجيب وكأنما رأى أن لآخر في اللف والمخالطة مع
هذه الفتاة فقال : « لا شيء ... ولكنى رجل
كبير وأحيانا أحلم بأشياء ... كله بيد الله .. قوى
هاتى لى حصيرة الصلاة »

فجاء بها فوقف ورفع يديه إلى أذنيه وكانت
هى عند الباب فقالت له وهى تهم بالخروج :

« اذكر يا عمى أنه هو أيضا لا يحبى »

فما استطاع الشيخ أن يتوجه بقلبه في صلاته
إلى الله وحده إلا بجد

وخطر للشيخ بعد مدة أن الأولي أن يعبد
محمودا عن الحديقة ، وأن يكل إليه عملا آخر في
النيط ، فإن البعد رحمة في بنض الأحيان ؛ وأخلق
بهما إذا قل لتأوها أن يفتر بينهما هذا العداء ؛ ثم

ومضت الأيام وكرت الأعوام والفتى في بلدته
والفتاة في البيت الكبير بمصر ومعهما حليلة والخدام
الكهل ، والوصى الأمين يرعاها ويحذب عليها ولا
ينفل أمر محمود . وكان ذكر محمود لا يرد على لسان
الشيخ سعيد إلا في الندرة القليلة ، فسأته يوماً :
« ما أخبار البلد ؟ »

فقال : « أنا خائف على محمود »

فقطبت وقالت : « ماله ؟ »

قال : « شديد على الناس ... أصبح أعداؤه
كثيرين »

فاستردته مستفسرة ، فقال لها : « إن الفلاحين
يهملون أحياناً فيشتد عليهم ويقسو بهم ويماملهم
بالمنف . وقد سرق أحدهم أخيراً كيسين من القطن
فضبطه وضربه حتى كاد يميته ... وأمثال هذا يحدث
كثيراً ... وهم يخافونه ولكنهم يكرهونه وأخشى
أن يتربصوا به »

فلم تقل شيئاً ، ولكنها بعد أسبوع سألت
الشيخ سعيد : « هل أستطيع أن أزور البلدة ؟ »
قال : « طبعاً ... ما المانع ؟ »

قالت : « ربما استاء محمود ... هو مرتاح من
وجودى كل هذا الزمن »
قال : « ولكنه لا يستطيع أن يمترض على
وجودك »

فقلت : « ليست المسألة مسألة اعتراض »

قال : « ماذا إذن ؟ »

فهزت كتفها وقالت : « لا أدري »

وسافرت بعد أيام ومعهما حليلة التي انقلب
تحبها كأنها بنتها . وكان محمود في النبط ، فلما علم
بمضورها خف إليها ورحب بها ، فاستغربت وقالت
له : « لقد صرت ظريفاً »

بيت صغير آخر تحته دكانان . وجعل النظارة لتاجر
من أصدقائه ، ولكل منهما على نصيبه بعده
وبعد الأربعين خفت الفتاة والفتى إلى مصر
إجابة لدعوة الشيخ سعيد ناظر الوقف . وقد قابل
كلا منهما على حدة

وقالت الفتاة بعد أن سلمت وجلست : « لست
أفهم شرط عمى فيما يتعلق باليتين »

قال : « الأمر سهل ... إذا أردت مثلاً أن
تسدى شباكاً فلا يجوز لك هذا إلا بموافقة محمود .
وإذا أراد محمود أن يفتح باباً أو يبيض جداراً فلا
يكون له هذا إلا بإذنتك وموافقتك »

فقلت : « ولكن لماذا ربطنا على هذا النحو ؟
إن الاتفاق بيننا مستحيل »

فابتسم الشيخ سعيد وقال : « لا حل لهذا
الإشكال الذى أورثنا إياه إلا الزواج »

فصاحت الفتاة مستنكرة : « أتزوج محمود ؟
أعوز بالله ... مستحيل »

قال وهو لا يزال يتبسم : « حل آخر ... وطنى
نفسك على التنازل له فى المستقبل »

فقلت : « أتنازل له ؟ ولا فى المنام »

قال : « إذن لا حيلة إلا الصبر »

ودخل عليه محمود بعدها فسأل بعد كلام :
« ما العمل فى حل هذا الإشكال الفظيع ؟ »

فقال الرجل : « أحسن حل أن تزوجها »

فقال الفتى : « يا سائر يارب ! »

فقال مقترحاً : « تنازل لها إذن »

فصاح الفتى : « أتنازل لها ؟ لها ؟ هذا شيء
لا يكون »

قال : « صبراً إذن يا بنى »

فهاج الناس وماجوا ، واشتد اللفظ ، وسمع صوت يقول : « أوع يا أحمد ! حسب » وارتفع صوت محمود يصيح : « رفع العصا عليّ يا كلب يا ابن ... أنا أقتلك »

ولكن الرجال دخلوا بين التمازكين وردوا بعضهم عن بعض وحملوا محموداً إلى الدار وأغلقوا وراءه الباب ، فصعد إلى فوق ولم يكذب بصير إلى مكان فيه نور حتى وقف ينظر إلى يديه مستغرباً وكانت رقية واقفة أمامه فسأته : « مالك ؟ هل أصابك شيء ؟ »

قال : « لا ... ولكن هذه السكين ؟ كيف صارت في يدي ؟ لم يكن ممي شيء ؟ »

فابتسمت رقية وقالت : « ألم تضربه بها ؟ » فسألها متعجباً : « أضربه ؟ أضرب من ؟ » قالت : « الرجل الذي رفع عليك العصا » فقال وهو لا يزال يتعجب : « أضربه بالسكين ؟ » قالت : « لقد وضعتها في يدك لهذا الغرض » فصاح وهو مذهول : « أنت وضعت السكين في يدي ؟ »

قالت : « بالطبع ... من كنت تظنه فعل ذلك غيري ؟ لقد نزلت وخفت أن يراني الرجال فأطأأت المصباح ؛ ولما رأيت أن الأمر متفاقم خفت ، وكان الشيخ سعيد قد أخبرني أن الفلاحين يكرهونك لأنك شديد عليهم ، فجريت وجئت بالسكين وتسللت في الظلام ووضعتها في يدك ... لم يرني أحد في الظلام ... ظنوني على الأرجح رجلاً منهم »

فقعده محمود ولم يستطع أن يقول شيئاً ، وطال صمته ، فهزته رقية وسأته : « مالك ؟ » فقال : « مالي ؟ الحمد لله على كل حال ... لو كان هناك نور

فضحك وقال : « لقد كبرنا يا رقية ... كئنا أطفالاً »

فقالت ضاحكة : « أحسبنا ما زلنا أطفالاً » فقال وهو مطروح : « حملنا لهم قبل الأوان علمنا ... الحمد لله على السلامة ... يا أهلاً وسهلاً » وتبادلا الأخبار عن البيت الذي في مصر والدار التي في القرية فقال لها : إنه محتاج إلى خازن وليس هناك مكان يتخذه غزناً إلا الجانب القبلي من الدار ، يهدم ذلك الجانب كله ويبني من جديد فيصلح به البيت من فوق وتقوم الخازن المطلوبة ، فاعترضت على هذا بشدة وقالت : إن هذا الجانب فيه الغرفة التي كان ينام فيها معها فيجب أن تبقى كما هي ، وقالت : إن الذي يحتاج إلى عمارة هو بيت مصر ... واسع جداً بلا ضرورة ولا ينتفع به أحد ، فيحسن أن يشاعر البيت شطرين ، واحداً يبقى لسكنائها والآخر يؤجر . فاعترض الفتى وقال : إن هذا يفسد البيت . فقالت : إن الأمر على كل حال للشيخ سعيد وستقمنه بذلك ومتى اقتنع الشيخ سعيد فإن الأمر يكون له . ولم يستطيعا الاتفاق ولا التفاهم وإن كان الأمر كما قالت للشيخ سعيد فشكل خلاف عبث . وقام محمود مضطرباً يائساً من إمكان الوفاق مع هذه الفتاة المنيدة . وجاء الليل واجتمع محمود في الساحة أمام الدار بالفلاحين يحشدون في شئون الأرض ويحاسبون ويتناقشون أخبار ما فعلوا في يومهم ، وكان لا يزال متأثراً بخلافه مع رقية ففرج عن طوره مع أحد الرجال وتفاقم الأمر ، فقام محمود وضرب الرجل واجتمع اثنان عليهما وعلت الأصوات ، وكانت الليلة مظلمة حالكة السواد ولا ضوء هناك إلا ضوء مصباح غاز في ردهة في الدار ، فانطلق المصباح فجأة

قالت : « صحيح ... ولكن ... لا أريد الآن »

قال : « لأنني اعترضت ؟ »

قالت : « آه »

قال : « أظن أن رأيك أصوب »

فصاحت وهي فرحة : « صحيح ؟ »

قال : « بالطبع ... كل ما يرضيك افعله ... »

وهل لي غيرك ؟

قالت : « ولا أنا »

بقال : « المرحوم كان حكيمًا »

فقالت : « عمي ... أوه جدًا »

قال : « كان غرضه ... »

فلم تهمله وقالت مقاطعة : « كان مدهشًا ... »

عرف كيف يحتال علينا بمد وفاته »

فسألها : « ما قولك في تحقيق رغبتك ؟ »

فأطرقت حياء ؛ ففكر عليها السؤال فقالت :

« أسأل عمي الشيخ سميد »

ولم تكن سن الزواج لها حد في تلك الأيام

ففرح الشيخ سميد بتحقيق أمل صديقه

ابراهيم عبد القادر المازني

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

العدد ١٢ قرشًا

ورأوا السكين ؟ نهايته ... حصل خير »

وقالت وهي مضطربة : « هل أخطأت ؟ قل لي

الحق ... لقد كنت خائفة عليك »

فنهض وهو يتسهم وقال : « حصل خير .

حصل خير ... ربنا ستر »

ولما أرادت أن تعود إلى القاهرة رافقها إلى

المحلة ، وهناك تركا حليلة مع الأشياء وراحا يتمشيان

في انتظار القطار وقال لهما في بعض حديثهما :

« حكاية السكين هذه ... ماذا أغراكَ بها ؟ »

قالت : « كنت خائفة عليك من الفلاحين ؟ »

قال : « مدهش ! »

قالت : « هل كنت تظن أنني سأتركهم

يقتولوك وأنا أفرج ؟ »

قال : « لم أكن أتصور أن تخاف على ... »

مدهش ! »

قالت : « ما هو المدهش ؟ »

قال : « سأسافر معك ... أريد أن أقابل عمي

الشيخ سميد »

قالت : « من أجل الخازن ؟ »

قال : « إيه ... حاجات كثيرة »

قالت : « اسمع ... مسألة الخازن في عملها ... »

افضل ما تريد »

قال : « ولكن الأمر بيد الشيخ سميد »

قالت : « نعم ولكنه لا يخالفني »

فأطرق ، وبعد برهة سأله بلهجة التردد : « بيت

مصر ... هل صحيح أن لك رغبة في قسمته ؟ »

قالت : « هذه فكرة ... بالطبع لا أستطيع

الآن . »

قال : « لماذا ؟ الشيخ سميد لا يخالف لك رغبة »

المول الذى ينتظرهم في
الغد.. فأخذوا يحتفلون
بتلك الساعات القليلة
التي جاد بها عليهم حسن
الحظ غافلين عن ظلام
الليل وظلام الموت
وأجنحتها التي تحلق
فوق هذا اليدان فتبرز
سكوت الفضاء

ولما انتهوا من

طعامهم تأقت نفس أحدهم إلى الفناء واسمه «جنوص»،
ولكن نبرات صوته كانت تمرق غشاء الهواء القائم
الحزين، وكانت أغنيته إذا خرجت من شفتيه امتزجت
بالصدى فكانت كتشهد عميق. وعند ذلك شق
حجاب الظلام صرخة مزججة دوت في الفضاء
فاضطرب حتى أنه كف زفيقه «إلبرج» ليذهب
ويرى فللمل إحدى تلك الجثث عادت إليها الحياة.
وهكذا ابتعد إلبرج على ضوء مشعل أخذ معه
ورفاقه يشيعونه بميونهم لحظة على قدر ما يستمتع به
امتداد الضوء فأبصروا به وقد انحى من بعيد يسأل
الموتى ويفتش بينهم بطرف سيفه ثم احتق

وبينا هم سكوت صاح جنوص بزميله الثاني
«كليران» أن يذهب في أثره خوفاً عليه من الدئاب
وهكذا احتق هذا أيضاً في الظلام

أما جنوص وفيلم فبعد أن طال بهما الانتظار
ارتدبا مطعقهما واستسلما للنوم إلى جانب تلك النار
وقد شارفت على الانطفاء. وما كذا يتمضآن
أجفانهما حتى سما تلك الصرخة من جديد وكأشها
تمر من فوق رأسهما حتى أن فيلم انتصب فزعاً
(٢)

الدم

للكاتب الفرنسي أميل زولا
بقلم الأستاذ محمود خيرت

ها أنت ذى لازلت بين أشعة الشمس وأرج
الأزهار. ألم تسأى هذا الربيع المستمر يا نينون؟
دعيني إذن أغمض جفنيك الناعستين على تلك القصة
الكثيرة المول، فان النفس متى ملّت طول النشوة
قد تسكن إلى صوت الأوهال

— ١ —

في اليوم الذى انتصر فيه الجند أخذ أربعة
منهم مقاعدهم عند ركن من ميدان القتال وقد التفت
من حولهم الظلام وهم يتناولون طعامهم بين جثث
الموتى

وكانت ألسنة اللب التي يشوون طعامهم عليه
تنعكس أشعتها على وجوههم وترسل من خلفهم
ظلالاً ضخمة إلى مسافات بعيدة حتى أن سيوفهم
كانت تتألق من وقت لآخر تحت شرارات تلك النار،
وحتى أن الناظر كان يلحج في قلب الظلام جثث
القتلى وهي ناعمة حافظة الميون

أما رفاقنا فكانوا فرحين يضحكون في جوف
الليل غير شاعرين بتلك الميون الجميلة فيهم. وللمل
لهم عذراً من هول ما رأوا في يومهم الدابر، ومن

فأخذ يتسع مجراه حتى استحال إلى جدول ثم إلى نهر ثم إلى سيل يسمع له وهو يجري صوت أصم وقد أخذ يقذف على جانبيه زبدًا أحمر، وأخيرًا استحال إلى نهر واسع يكسح أمامه هذه الجثث ولكن كيف خرج كل هذا الدم الفزير من جروح أولئك الموتى حتى غمرهم؟ وعلى كل حال فقد اضطر جنوص إلى التراجع أمام تلك اللجة الصاخبة وقد غاب عن نظره الشاطئ البعيد، كأنما تلك المسافة المترامية الأطراف قد استحالت إلى بحيرة واسعة، حتى خطر له أن يفر لولا أنه وجد نفسه نجاة عند كوم من الصخور وأمواج الدم ترتطم بفخذه، وكأنما الأشلاء التي يجرفها التيار أمامه تعلمه كلاً أبصرت به في طريقها، وكأن كل جرح من جراحها لم يزد به ويسخر من رعبه. أما البحر الزاخر فكان يملو ويملو حتى بلغ صدره، وعندئذ استجمع ما في نفسه من قوة وأخذ يتعلق بالفجوات التي بين الصخور حتى غاص إلى كتفيه والقمر الحزين الباهت ينظر كيف يبتلع هذا البحر أشعته كلاً انعكست فيه، وكأن ظلمته ودويه يخرجان من فوهة هوة سحيقه

— ٢ —

ولما بزغ الفجر عاد البحر فأبقيت جنوص وكان قد ضل السيل في الأحراج فقلبه النوم أيضاً عند شجرة حيث رأى من غريب المشاهد ما كانت صورها لا تزال عالقة بذهنه

قال : رأيت كأن العالم لا يزال في طفولته والسماء تنقسم والأرض بكر تنبت فيها السنبلة وتنمو، حتى أن شجرة البلوط العالية عندما لا تعد بجانها شيئاً. والأشجار الباسقة تملأ الفضاء بأوراقها المريضة التي لا يحصيها عد، والحياة تجري صافية في شرايين

وتأجه إلى تلك الجهة التي اختفى عندها رفيقاه وهكذا لبث جنوص وحده وقد أخذ شبخ الخوف يتمثل لعينيه كلما وقع بصره على تلك الهوة السوداء التي كانت تدوى بمشرفة الموتى. وعندئذ أتى في النار بعض الحشائش اليابسة لمل اشتغالها يمد شيئاً من ذلك الرعب الذي تملكه ولقد أخذت أسنة اللهب ترتفع أخيراً حمراء كالدم فأضأت الأرض على مسافة مستديرة واسعة كان يحيل إليه أن حشائشها أخذت ترقص من فوقها، وكأن أصابع خفية كانت تحرك جثث القتل على أن القمر أخذ. بعد ذلك يظهر قرصه عند الأفق فتبدد أشعته الضئيلة مخاوف تلك الأهوال التي كان الليل يخفيها في جوفه. وكانت الصحراء جرداء خالية إلا من بعض أشلاء منظرحة تحت أكناف من النور

أما جنوص الذي كان العرق يتصبب من جسمه فقد فكر في الصمود فوق رابية هناك وهو يسائل نفسه : لم أشباح أولئك الموتى لا تنتصب من مكانها وقد أخذت تملق فيه. وهكذا أخذ جودها أيضاً يرسل إلى قلبه عوامل الرعب فأغمض عينيه. وبينما هو في مكانه جامد شعر بجمرة تدب في قدمه اليسرى فأنهى ليتبين أمرها ولكنه رأى سلسالا رقيقاً من الدم يملو وينحدر بين الحصى، ولجربانه خربير ناعم لطيف

وكان هذا السلسال يخرج من الظلام ويتلوى تحت أشعة القمر ليمود ثانية إلى الظلام، فكان كالثعبان المطنخ يقع سود تتابع كالحلقات بخفة وبلا انتهاء. وعندئذ تراجع إلى خلفه وقد تمردت أجنافه فلم يستطع إطباقها من هول ما رأى. أما السلسال

تداعب كل سنبلة تقع عليها عينه ، وهو بين لحظة وأخرى يلتفت إلى زميله وعلى شفثيه ابتسامة صافية لم تكن غير ابتسامة أخ

أما زميله فكان صامتا يرسل إليه وجهه المكفهر نظرات حارة ملوثة الخقد ، وهو يتمتر كلما أسرع من خلفه كأنه يقتني أثر فريسة فرت منه

وعندئذ قطع فرعا من شجرة أخذ يسوى منه هراوة أخفاها تحت ثوبه ، ثم اندفع وراء صديقه الذي وقف ينتظره وقد أخذ يقبله عند ما اقترب منه كما يقبل الانسان صديقا حيا طالت غيبته عنه

وهكذا عادا إلى سيرهما وقد أذنت الشمس بالنسيب ، والفتى مسرع وهو يصير من بعيد خطأ لطيفا أصفر عند سفح الجبل لم يكن غير تحية النساء ترسلها الشمس للطبيعة . أما صاحبه فظنه يهرب منه ، حتى إذا التفت إليه وعلى طرف لسانه كلمة حلوة أراد أن يستر غرضه بها كانت الهراوة على وجه ذلك الفتى المسكين ههيمته

ولقد صادف أول نقطة من دمه بعض الحشائش فنفضها عنها إلى الأرض مُرثاعة فامتصتها هذه وهي لا تقل ارضاعا منها ؛ وقد خرج من بين أحشائها أنين مؤلم يحمل إلى السماء صوت سخطها ومقها حيث طفع الرمل ذلك الشراب القاتل على صورة زيد خالطه دم

وما كاد القتييل يصرخ من ألم الضربة حتى تشقت الخلائق هولاً ، وأخذت تهيم على وجوها في الأرض ، وأقويؤها في مفارق الطرق يصرعون الضعفاء منهم . وعندئذ أيقنت أن الكون قد بدأ فيه نذير الاضطراب والاحلال

وهكذا استعرضت عينا مناظر هذا الاعتداء المطرّد ، فكان الباشق يهوى على القبرة ، وهذه على

الكون ؛ والماء عذب غزير حتى إذا أخذت الأشجار كفايتها منه سال بين أحشاء الصخور

وكانت الآفاق تمتد ساكنة متشعبة ، والطبيعة كالطفل يحنو عند الصباح ليحمد الله على نعمة النور وتجمده هي أيضاً بأريج الأزهار وتفريد الأطيّار كنت أراها زاهية خصبة تفيض بخيراتهما من

غير ما نصب ، والأشجار ذات الثمر تنمو وحدها ، وسنابل القمح تكسو جوانب الطريق كما يكسوها الآن الشوك . وكنت أستنشق الهواء فلا أشعر بأن عرق ابن آدم أخذ يتصبب فيمتزج بأنفاس السماء ، لأن الله كان يهيئ كل أسباب الحياة لخليقته

كان الانسان كالطير يعيش مما تخرجه له الطبيعة فيأكل من ثمارها ، ويرتوي من أنهارها ، وينام إذا دجى الليل تحت أشجارها حامداً الله ؛ وقد عافت عيناه مرأى الدم ، فظل طاهراً ، ورفقته طهارته فوق جميع المخلوقات

نعم كان الوثام سائداً بين الناس ، والسلام خاققة رايته في كل مكان ؛ حتى أن الطيور ما كانت لتتحرك أجنتها فزعاً من خوف ، ولا كان البني يدفع أحداً إلى الابتعاد للغابات والأحراج ، كل له حصّة من حرارة الشمس ، والجميع أسرة واحدة شريعتها المحبة ولقد خيل إلى وأنا أمشي بين الناس أنني أصبحت أطهر وأقوى مما أنا عليه الآن ؛ وكان صدري يستنشق طويلاً نسيم تلك السماء الليل بعد أن كان يستنشق نسيم جونا الفاسد ، فأشعر بنشوة الطفل وهو يصعد رويداً رويداً في الفضاء

وبينا هذه الأحلام تهزني انتقل خاطري إلى غابة فوق بصري على رجلين يقطعان طريقاً ضيقاً تماثقت من فوقه غصون الأشجار ؛ وكان أسفرهما متقدما على رفيقه ووجهه يفيض بالامتنان ، ونظراته

تنظران إلى روحها وهي تصعد حاملة معها مهجتها ،
وتلك تتجرع كأس الموت على صدر رفيقها مطوقة
عنقه بذراعيها تودعه الوداع الأبدي

وكذلك كنت أرى من بين الناس من سثموا
الحياة ومالوها فودعوها لعل أرواحهم تذوق طعم
النسيم في عالم آخر

أينما كنت أذهب كانت أثر أقدام الملوك (١)
مرسوماً محفوراً على ذلك البلاط القاني ... فنهيم
من كان يعيش على دم أخيه ، ومنهم من كان يسير على
دم شبيه ، فترك أقدامهم من خلفها أحرفاً ناطقة :
هنا من ملك !

أما القساوسة فكانوا ينفون السيوف في مطاوى
أثوابهم الكهنوتية وأصواتهم تملأ الحروب باسم
الإنسانية وباسم الله
كان العالم كله تملأ بخمرة البطش ، يضرب كل
منهم أخاه بسيف ذي حدين ، والأرض عطشى تكرع
من الدم ولا تروى

— ٤ —

وعند ذلك صاح جنوص لقد هلت تباشير
الصباح ، ولكن طرق آذانهم صوت بوق بعيد
لم يكن غير أمر للمتفرقين من الحشد بالاجتماع تحت
علمهم ، فنهض الثلاثة حاملين أسلحتهم ثم ابتدوا وهم
يرسلون إلى موقدهم نظرة وداع أخيرة . فغير أنهم
لحوا رفيقهم الباقي مقبلاً وقدماء معفرات بالتراب
فاستوقفهم يقص عليهم ما رآه :

قال : إنني أجهل من أين أتيت لأنني كنت أعدو
عدواً وكأن الأشجار لجزعها تمدو مثلي حتى غلب
على سلطان النوم فتمت حيث رأيت نفسي فوق تل
منفرد وقد كادت قدمي تحترقان من حرارة الشمس

(١) أي الظالين منهم

الندابة ، والندابة على جروح القتلى ؛ فلم يترك الفرع
أحدًا من البودة إلى الأسد كأنما قد استجالت
الخليقة إلى عقرب أخذت تمض ذنبها بفمها فنابت
في ظلمة الفناء

وعلى أثر ذلك اتناثت الطبيعة هزة طويلة كسرت
خط ذلك الأفق الصافي ، وشوهدت جمالي الشفق بما
اعترضه من السحب الحمراء

وكذلك البحار أخذت تضطرب بين قصيف
الأمواج وهزيم الرياح من خلال الأشجار وقد
التوت سيقانها وأخذت تنفض عنها كل سنة حلة
أوراقها

— ٣ —

وما كاد البرج ينتهي من حديثه حتى ظهر
كيريان وهو يقول : لست أدري إذا كان ما سأقصه
عليكم حلاً أو حقيقة ، لأن ما رأيت في نوى يكاد
يكون حقيقة ، ولأن الحقيقة من بسده تكاد
تكون حلاً .

رأيت كأنني في طريق يشق المسكونة على جانبيه
المدن والأهم تقطعه مثلي ، وهو مكسو ببلاط أسود
انمقد فوقه دم كانت قدمي تنزلان من فوقه
أما الناس فقد كان الآباء منهم يقتلون بناتهم
ليكون من دمايهم قربان لله ، فكانت تلك الرؤوس
الفتية الجيلة تجرّ تحت مدام وقد هرب لونها على
أثر هذه القيلة التي كانت شفة الموت تضمها عند
أعناقهن

وفي مكان آخر كان العذارى يصنّ عفافهن
بالإلتخار جاعلات من القبور الكفن ليكورتن
وعلى مسافة من هذا المكان كنت أرى
المشيقات نفيض أرواحهن تحت قبلات الحيين ، هذه
تنوح ثم تسقط جثة هامدة عند الشاطي وعيناها

هأنذا أنوح على ثوبي الملطخ فإن أجد أخاك
أيها المسيح ليفتح لي طرف ثوبه فأحتسني فيه ؟ ومن ذا
الذي يقبل بعد الآن ريشي الذي صبغته دمك ؟ هـ
وكان المصلوب كان يستمع لنواح تلك الحماة
وريح الموت تحرك جفنيه ، وسكراته تلوي شفثيه ؛
غير أن نظراته انحجبت فجأة إليها كأنها توجه لها لطيف
المتاب . ثم صرخ صرخة مالت عندها رأسه إلى
صدره فذعرت الحماة وفرت ، وقد اغبر وجه السماء
واهترت الأرض ، ثم أخذت تبتعد حتى اختفت
في ثوب الظلام

أما أنا فأخذت أعدو وقد بزغ الفجر واستيقظت
الطبيعة باسمعة من خلال ضباب الصباح ، وقد اختفت
زواجر الليل فماد للسماء صفاؤها ، وعادت للأشجار
نضرتها ؛ ولكن الطريق كانت لا تزال تكسو
جانبيها الأشواك ، ولا تزال ساكنة في فجواتها
الزواحف التي كانت تقف في طريق سري بالأمس .
نعم إن دم المسيح جرى في شرايين الأرض القديمة
من غير أن تعود إليها نضرتها الأولى
على أن البوق كان لا يزال يسمع صوته من
بعيد فصاح جنوص في رفاقه قائلا :

« ألم تشعروا يا أولادى بقسوة هذه المهنة ؟
لقد أزعجتكم تلك الأشباح في نومكم كما أزعجتني .
مثلكم ساعات طويلة . إن لي الآن ثلاثين سنة لم
أقضها في غير قتل بني جنسي حتى شعثت نفسي .
وإنني أعرف أن هنالك أراضى واسعة في حاجة إلى
سواعد ومحارث ، فهلا ترون أن تتذوق بعد ذلك
طعم الخبز الذي يخرج من كدنا ؟ »

وعند ذلك صاحوا جميعا : نعم
ثم أخذوا يهثئون حفرة يدفنون فيها سلاحهم
وبعد أن اغتسلوا في النهر اختفوا بين شأيا الطريق

محمود خيرت

« الترجمة »

وبينا أنا أثب من صخرة إلى أخرى لحت رجلا
صاعدا نحوى وعلى رأسه تاج من الشوك وعلى
كتفيه معطف ثقيل والرقق يتصبب من وجهه في
حمرة الدم . وكانت حرارة الشمس قد أثرت في قدي
فأخذت في الصعود حيث أنتظره تحت كل شجرة
فوق رأس التل ، حتى إذا اقترب منى وجدته يحمل
صليبا ففرحت إذ لم أجده ملكا
ولكن جنودا كانت تجرد في أثره وهم يهدونه
بجرابهم ، حتى إذا مآدركوه صلبوه فوق تلك الشجرة
ودموعه تسيل وعلى شفثيه ابتسامة صفراء ثم عن
مبلغ ما حل به من الحزن

هالني هذا الشهد ولكنني رأيت الرجل عظما
في موته فتأكد لي أنه غير ملك . ولذلك أشققت
عليه وأنا أصبح بهم : اطمنوه في قلبه حتى لا يطول
عذابه . وعندئذ وقفت حمامة على الصليب وأخذت
تنوح ونبرات صوتها تصل إلى سمعي فتصورها لي
عذراء لم تملك نفسها من البكاء وكأنها تقول :
« مالي أرى الدم قد صبغ الليب والفضاء
والأشجار ؟ وما لساقى تنوصان من نحي في الرمل
القاني ؟ وما لجناحي حين لسا هذه الأغصان صبغتهما
الحمرة ؟ »

لقد صادفت في طريق رجلا صالحا تتبعته حتى
إذا اغتسلت في النبع خرجت وثوبي طاهر تقى
ولذلك كنت أقول لريشي : قرعينا فانك فوق كفتي
هذا الرجل لن تحمل هما . ولن تدنسك آثام . أما
اليوم فقد أصبح نشيدي :

نوحى يا حمامة وابكى ثوبك الذي لطحه دم من
اتخذت حماك بين نديه . إنه جاء ليصون لك يياض
ثوبك ولسكنه تحت حكم أولئك القساة بلل ريشك
بندى جروحه

سَبَاقُ الْحَصَادِ

لِلْكَاتِبِ لَا يُجْلِزِي لِيَامٍ أَوْ فَلَاحِرَقِي
بِقَلَمِ الْأَسْنَانِ عَبْدُ الْحَمِيدِ مُحَمَّدٍ

وقاد الرجال من
طرف الحقل إلى الطرف
الآخر فأراهم كيف
قسمه إلى ثلاثة أقسام
متساوية، وكيف وضع
خطوطاً تبين معالم كل
قسم من هذه الأقسام
وصاح الرجل في

نشوة أشبه بنشوة تلميذ المدرسة :

« لا يمكن أن يكون هناك ما هو أعدل من
هذا، وعندما أطلق النار من مسدسي سيداً الجميع
العمل في لحظة واحدة، والزوج الذي يسبق في حصد
شقته يحصل مئ على ورقة من ذات الخمسة الجنيهات
وهز الفلاحون رؤوسهم ونظروا إلى الشيخ
ما كدارا. نظرة الجدة على الرغم من أن كل واحد منهم
كان يعتقد في نفسه سفة ذلك الشيخ الذي ينفق
خمس جنيهات على حصد حقل يمكن حصده بمجنينين
لا أكثر؛ على أنهم لم يكونوا مع ذلك أقل من
ما كدارا نفسه اهتماماً ولهفة، فإن الثلاثة المتفوقين
بين الحاصدين في جزيرة أنفيرا را كلها قد تقدموا
إلى هذه السابعة، وكانوا في هذه اللحظة واقفين
عند رأس الحقل كل في شقته مستعدين للعمل، وكان
كل منهم مستصبجاً زوجه لتتزوج ما يقطع من
الشعر وتربطه ولتقدم له الطعام أيضاً

أما اختيار الشقة التي يعمل فيها كل منهم
فكان عن طريق الاقتراع إذ سحب ثلاثتهم ورقة
ملفوفة من قبعة ما كدارا، حتى إذا عرف كل
شقته وقف على رأسها منتظراً إشارة البدء في العمل؛
وعلى أن الشمس لم تكن بعد قد بشت بحاراتها إلى

لم يطلع الفجر إلا وقد تجمع الحاصدون في حقل
الشعر، ذلك الحقل الكبير القائم الروايا الذي يملكه
جيمس ما كدارا المهندس التقاعد. ويتندى الحقل
من منحدر أحد التلال ثم يمتد في ميل خفيف
حتى ينتهي إلى طريق الشاطئ المغلبي بالرمال يحيط
به سور غير مرتفع من الحجر تددت عليه رؤوس
عبدان الشعر الصفراء متكافة تغطيه فلا يكاد يظهر
لأحجاره من أثر، يحيط بعضها بعضاً فتحدث حفيفاً
خفيفاً كلما هبت عليها نسبات الصباح.

وكان ما كدارا نفسه — وهو شيخ أبيض
الشعر — واقفاً خارج السور في سراويله الرمادية
يلوح بمصاه متحدثاً إلى نفر قليل من الناس اجتمعوا
جوله في هذه الساعة المبكرة من النهار مدفوعين
بحب الاستطلاع، وكانت أمارات الاهتمام بادية على
وجهه المشرب بالحمرة وهو يتحدثهم في صوت مرتفع
يقول :

« لقد منسخته يوم أمس على أدق الوسائل؛
وأقسم بشرى أن ليس هناك من فارق ولو بوصة واحدة
بين مساحات الأقسام الثلاثة. وانظروا لقد رسمت
خطوطاً على طول الحقل حتى لا يضل أحدهم طريقه
فلتقدموا لتروا بأعينكم »

إلى امرأته في لمحة جديّة خافتة ، وكان رجلاً كبير
 الهامة غليظ الأطراف والمنق ، أسود الشعر ضرب
 الصلع في مقدم رأسه ، وكانت جبهته شديدة
 البياض وخداه بشديدي الاحمرار ، وكان كبير
 التقطيب يحرك حاجبيه السوداوين ، وكانت امرأته
 ماري قصيرة القامة نحيفة ، شاحبة الوجنتين ، تبرز
 أسنانها العليا إلى الخارج قليلاً على شفتها السفلى
 ووقف على رأس الشقة اليمنى « بات كونسيدين »
 وامرأته « كايته » ، وكانت « كايته » كبيرة الهامة
 مفتولة المصل ، مرقشة الوجه ، نبت على شفتها
 العليا شاربان يسترعيان النظر ، شعرها غزير
 يضرب لونه إلى الصفرة القاتمة وقد تركته مراسلا
 غير ممسحط ، وكانت تتحدث إلى زوجها في صوت
 عال فيه خشونة صوت الرجال ، تميزه نغمة تنفيء
 عن طيب الخلق والوداعة . وكان زوجها على العكس
 منها رجلاً قصير القامة ، ضئيل الجسم ، بدأت
 التجاعيد ترسم على وجهه ولما يبلغ الأربعين .
 وكان وجهه في وقت ما مشرباً بالحمرة الداكنة ،
 أما الآن فقد بدأ يعلوه الشحوب ، وقد فقد
 أغلب ثنائه ، وكان في هذه اللحظة واقفاً في غير
 اكتراث يتسم لما كدارا ، وكانت ضالة جسمه
 ونحوه يخفيان ما ركب في ذلك الجسم من قوة ،
 ثم هن ما كدارا عضاه ، ورفع ساعده وأطلق النار
 من مسدسه فبدأ سباق الحصاد ؛ وبحركة واحدة
 ركع الرجال الثلاثة على ركبهم اليمنى كاي ركع الجنود
 ساعة الران على إطلاق النار ، وفي نفس هذه الحركة
 أطبق كفوفهم اليسرى على حزم من عيدان الشعير
 وارتفعت متاحل الحصد في الهواء ، ثم سمعت أصوات
 قطع تشبه الأصوات التي يحدتها أكل البقر الجائعة

الأرض ونسيم البحر كان لا يزال ندياً رطباً ، فان
 الرجال الثلاثة قد خلعوا أردبتهم إلا الأقصة
 المفتوحة الصدر ، وقد طووا أكمامهم ورفعوها إلى
 مافوق المرافق ، وكانت الأقصة مصنوعة من
 الصوف الرمادي ، وقد تمتطوا بأحزمة من الصوف
 منسوجة باليد ؛ أما سراويلهم فكانت من قماش
 أبيض تدخل نهاياتها تحت جوارب طويلة من
 الصوف محلاة رؤوسها بمختلف الألوان ، وقد
 انتفخوا نمالاً خفيفة من شأنها أن تبقى أقدامهم
 وتسمل عملهم ؛ وكان ثلاثهم عاري الرؤوس ، أما
 نساؤهم فقد ارتدين سترات حمراء وربطن حول
 رؤوسهن شيلاناً صغيرة

وكانت الشقة اليسرى من نصيب ميخائيل
 جيل وزوجته سوزان . وكان ميخائيل رجلاً طويل
 القامة صلب المود قوى البنية ، أشقر شعر الرأس ،
 أفتى الأنف ، يحرك في استمرار فكه الأسفل إلى
 الأمام وإلى الوراء ، وكانت عيناه الزرقاوان
 الصغيرتان محدقتين باستمرار إلى الأرض ، حتى
 لا تكاد أهدابه البيضاء الطويلة تلمس عظمي وجنتيه
 كما لو كان نائمًا ، وقد وقف جامداً يحمل في يده
 اليمنى منجل الحصاد ممسكاً بحزامه اليسرى ، وكان
 يرفع أهدابه ما بين فترة وأخرى مصغياً يتوقع
 انطلاق المسدس ؛ وكانت امرأته تكاد تدانيه طولاً
 ولكنها كانت بدينة حمرة الوجه ، وكانت امرأته
 صموتا ووقت في هذه اللحظة تفكر في طفلها الذي
 لم يتجاوز الشهر الثامن من عمره وقد تركته في
 البيت في عناية أمها

وكانت الشقة الوسطى من نصيب جوني
 بودكن ، وقد وقف متكئاً مفرشخاً يتحدث

عضلات وجهها في تقطب جدى أشبه بالرجل الهمك في حل مسألة كبيرة الخطر

وبأى بعد « بودكن » كونسيدن وامرأته ، وقد أبدى هذا الرجل الضئيل الجسم ، بعد أن انهمك في العمل ، قوة مدهشة وخفة في الحركة تشبه خفة الجديان . وعند ما كان ساعدها التحيفان الطويلان يعملان في قطع الشعر كانت العضلات تبرز فوق ظهره كسلسلة من اللوالب المضغوطة . وكان كلما اعتمد على ركبته اليمنى ليتقدم إلى الأمام في خط الحصاد ينفرج فمه عن صوت أشبه بالأنين المقطوع ؛ وكانت امرأته التي غمر العرق جبينها تتحرك في أعقابها محزم ما يقطع وتشجعه على العمل ضاحكة مازحة بصوتها المرتفع كمادة الخارج من أعماق قلبها

وكان آخر الثلاثة ميخائيل جيل وامرأته . وقد بدأ ميخائيل عملية الحصاد في حركة متأنية مترنة كالة ميكانيكية تبدأ حركتها بقوة دفع خفيف . وقد مضى في عمله في خطوات متساوية لا يبرها أبداً ولا يرفع رأسه مطلقاً ليرى إلى أين وصل منافسائه ؛ وكانت يدها الطويلتان تتحركان في سكون فلا يسمع لحركاتهما صوت غير صوت احتكاك أسنان المنجل لسيقان الشعر . ولم ينظر وراءه قط ليرى إذا كان قد حصد ما يكفي لجمعة واحدة ، حتى يبدأ في الجملة الثانية ، فقد كان مقدراً جميع حركاته من قبل تقديراً صحيحاً ، ففى حركات ثابتة متأللة دقيقة غاية في الدقة وحتى تنفسه كان شبيهاً بحركاته هادئاً لا يخرج إلا من أنفه كنتفتن النائم السليم من الأمراض . وكانت امرأته تسير وراءه في مثل هدوئه تحزم الحصادات في تأن وكثير من العناية لا يبدو عليها أي أثر للانفعال أو الاجهاد

وإذ تقدم النهار أقبل الناس من كل ناحية

الحشيش المبكر في الريح . ثم إذا بثلاث حزم صغيرة ملفوفة من الشعر تاقى على الأرض اللنداء بجوار السور ، وراء كل ساق مثنية من سوق الحاصدين الثلاثة حزمة منها ؛ وكانت النسوة الثلاث ينتظرن في لفحة عصبية الحصد الأولى ، فهذه الحصد قد تكون بشيراً بالنصر أو نذيراً بالهزيمة ؛ وتكونت حزمة واثنان وثلاث وأربع ... وكان جوى بودكن ينط كالجواد الأثّر ملقياً بالحزم التي يقطعها في غير توقف . ولم يلبث أن رفع منجله عالياً قتل عليه صائحاً في صوت عال صيحة الانتصار يقول : « الحصد الأولى » فأطبقت امرأته بكلماتيديها ، وبدأت عملية الحزم في سرعة ومهارة تدعوان إلى الدهشة والإعجاب ، وكانما كانت أصابعها الطويلة في أثناء هذه العملية تلعب بإبر التطريز . ولم يتوقف الحاصدان الآخران وزوجاهما لينظروا ما حدث ، فقد اتبعى الحاصدون الثلاثة من قطع حصصهم الأولى ، وانهمكت زوجاتهم راكعات على ركبهن في عملية الحزم .

واستمر بودكن في الحركة النيفة التي بدأ بها ، فلم يحض إلا قليل من الوقت حتى كان قد تقدم منافسيه بمسافة غير قصيرة ؛ وكانت ضرباته في قطع سيقان الشعر غير منتظمة فكان يترك وراءه بقايا هي أثر لعدم انتظام الضربات ، ولكن السرعة التي كان يعمل بها والقوة التي بدت في حركاته أدهشتا المراقبين أكبر الدهش ، فكانت يدها تعملان بالمنجل عمل الجبارة ، وكان جسمه الكبير يتحرك في قوة ، فكان في حركته أشبه بفيل يذب وسط إحدى الغابات . ولكن المشاهدين كانوا يرون في حركات أطرافه التي لا تهدأ توازناً لا يخرج من الجمال ؛ وكانت امرأته من وراءه تحزم في استمرار ما يحصد في سرعة تدعو كذلك إلى الإعجاب ، وقد جمعت

فأحضرت وعاء مملوءاً بالشاي البارد وفطيرة كبيرة من الدقيق الأبيض فقطعتها قطعاً كبيرة وغطت كل قطعة منها بطبقة كثيفة من الزبد، وقد أعربت إلي جانب ذلك أربع ميضات مسلوقة. ولم يكن لبودكن وامرأته أطفال، لهذا كان بمقدورهما أن يعيشا في شيء من السعة، أو على الأقل كانا أرفه حالاً من أمثاليهما من الفلاحين، فما وقع نظر بودكن على الطعام حتى أتى بمنجله وأقبل يأكل في سره فازدرد في لحظة ثلاث ميضات بينما امرأته التي لم تكن لتقل عنه جوعاً أكلت الرابطة؛ ثم أقبل بودكن على الفطيرة المحملة بالزبد والشاي البارد يتلهم الجميع بمثل السرعة التي كان يحصد بها النبات. ولم يتحجج الزوجان لأكثر من دقيقتين وثلاثة أرباع الدقيقة لالتهام كل هذه الكمية الكبيرة من الطعام والشراب. وكان الدكتور جالاغر الواقف على الشاطئ بين المراقبين يحسب الوقت مدفوعاً إلى ذلك بحب الاستطلاع، وما انتهى الزوجان من الأكل حتى عادا يحصدان بمثل العنف الذي كانا يعملان به من قبل.

وكان كونسيدن قد تساوى ببودكن في اللحظة التي استأنف فيها هذا عملية الحصد، وبدلاً أن يجلس كونسيدن وامرأته للطعام تناولا على عادة مألوفة بين فلاحي انفيرارا في مثل هذه المواقع، فكانت كايت تطعم زوجها في أثناء عمله بقطع من فطير الشوفان المدهون بالزبد، وكانت من فترة لأخرى تناوله وعاء الشاي فيشرب منه قليلاً، وبهذه الوسيلة كان عند انتهائه من الأكل لا يزال في مستوى بودكن، وقد أعجب الشاهدون بما رأوه من حماسه وتبأوا له بالفوز.

ولم يهتم أحد من الشاهدين بجيل وامرأته فلم

ليرقبوا حركات الحاصدين. وارتفعت الشمس في كبد السماء، واشتدت الحرارة، وانقطع الهواء، وجمدت سيقان الشعير فلم تعد تتحرك كما كانت تتحرك في أول النهار بمعدل نسيم الصباح، بل وقفت منتصبه ثابتة أشبه بزجاج من الذهب تحمل أسنة من الفضة البيضاء. وكان قسم كبير من الشعير قد حصد تاركاً مكانه فراغاً يزداد اتساعاً ما بين لحظة وأخرى، وقد انتشرت فيه نقط خضراء هي نبات بعض البنور التي اختلطت بينور الشعير عند زروعه؛ وكان المشاهدون يتحدثون بعضهم إلى بعض في أصوات مرتمعة، ولكن ارتفاعها لم يكن لينطلي على صوت المناجل الحاصدة.

وقبل أن ينتصف النهار بقليل كان بودكن قد انتهى من حصد نصف شقته، وكان صاحب الحقل قد وضع قطعة من الحجر على الخط الفاصل بين النصفين، فما وصل بودكن إلى هذا الحجر حتى رفعه بيده عالياً وصاح:

« هذا هو الدليل على أنه لم يولد بعد في جزيرة انفيرارا رجل في مهارة جوني بودكن »

فأجابه المشاهدون الواقفون وراء السور على هذا التفاخر بصيحات التهليل. ولكن كايت كونسيدن حملت حزمة من الشعير فهزتها في الهواء وقالت بصوتها الخشن وفي لهجتها الفكاهية الموهودة:

« إننا لا نزال في طليعة النهار يا بودكن الناعم اللحم. »

فارتفعت في الجو صرخات السامعين لهذه الفكاهة. ولكن بودكن لم يجب، فلم يكن حاد الدكاء حاضر البديهة ليقابل هذه البداية بتلها. أما جيل وامرأته فلم يلتفتا إلى ما حدث، ولم يرفضا أعنيهما عن عملهما وكانت امرأة بودكن أول من أعد طعام الغداء

المشاهدين يتراهون على من سيكون الفائر . ولم تكن اللمعة إلى هذه اللحظة تد بلفت حدها ، فقد كان الجميع واثقين من فوز بودكن الذى كان يتقدم منافسيه بمسافة طويلة . ولكن هذا التفوق لم يلبث أن تهدده الخطر ، فعلى الرغم من تقدمه على جيل إلى مدى بعيد كان التعب قد أخذ منه وقد بدت عليه آثاره واضحة ، وكان من أظهرها خطأ ضربات منجله ما بين فترة وأخرى ، إذ كان سته يضرب الأرض فيخرقها ، وكان جسمه كله يتصبب عرقاً ، وشرع ينظر وراءه إلى جيل متضايقاً من صيحات المشاهدين وتهليلهم

وقبل الساعة الرابعة قليل سقط كونسيدن فجأة مجهوداً غلموه إلى ما وراء السور ، وأحاط به فريق من المشاهدين . وسقاه مستر روبرتسون القيس قليلاً من النبيذ أعاد إليه شعوره فحاول أن يعود إلى العمل ولكنه لم يستطع الهوض . فقالت إمرأته غاضبة :

« ابقى حيث أنت فقد قضى عليك . وسأستأف أنا العمل »

وشمرت المرأة ساعديها ثم حملت المنجل واندفعت إلى الحقل سائحة وشرعت بمحصد في قوة وعنف . وصاح ماكدنارا :

« مرحى ! مرحى ! »

ثم وجه كلامه للدكتور جالاغز ، وقد لمس كتفه :

« سأعطي المرأة جائزة خاصة يا جالاغز ، فهي بعد من النسل الايرلندى .. وإنك لتفهم ما أعني .. إنها من النسل النشيط ! »

ولكن اهتمام المشاهدين انصرف كله إلى المعركة بين بودكن وجيل . فقد نأر بودكن ثورة هائلة فبذل مجهوداً رائعاً ، واستطاع أن يتقدم قدماً جديداً

يمكن في حركاتهما ما يسترعى النظر أو يثير اللمعة ؛ على أن هذين الزوجين لم يقطعا عملهما ليأ كلا ، وكانا يقتربان في انظام من منافسيهما ؛ وعلى الرغم من أنهما كانا لا يزالان متأخرين قليلاً عن مستوي هؤلاء ، كان يبدو عليهما النشاط الهادى ، فكانا في هذه الساعة من النهار مثلهما عند ابتداء السباق لا يبدو عليهما أى أثر للتعب أو الاجهاد ، بينما مظاهر التعب قد أخذت تبدو على بودكن الذى أثقله الطعام البسم ، وفي حين بدأ على كونسيدن أنه قد أخذ ينفق من قواه الاحتياطية . وإذ وصل جيل إلى الحجر المميز لحظ النصف من شقته وضع منجله في هدوء وطلب من امرأته أن محضر الطعام فأحضرتة من جانب السور وكان مكوناً من خبز الشوفان المدهون بالزبد الخفيف ، وزجاجة مملوءة باللبن الطازج وشيء من دقيق الشوفان في قاع الزجاج ، وأكل الزوجان طعامهما على مهل ثم استراحا فترة من الوقت . فلما رأى المشاهدون ذلك بدأوا يتكلمون عليهما ، ولكنهما لم يعبأ بهذا التهمك ولم يلقيا إليه بالا . حتى إذا صرحت عشرون دقيقة عادا يستأنفان عملهما ، فارتفعت في الجو عبارات السخرية وصاح شيخ عجوز :

« إنك تلوث اسمي يا ميخائيل »

فصاح ميخائيل جيل :

« لا عليك يا أبى فان السباق لم ينته بعد »

ثم تقل على يده وأمسك بمنجله من جديد ثم بدت على المشاهدين آثار الدهشة البالغة فقد رأوا جيل وإمرأته يستأنفان عملهما بنشاط جم وسرعة هائلة ؛ وكانت حركاتهما منتظمة آلية كما كانت من قبل ولكنهما الآن كانا يعملان بضعف السرعة التى عمل بها في أول النهار ، فارتفعت صيحات الاستهزاء إلى هتاف الإعجاب ، وأخذ السادة من

يشرب حتى بلدت حواسه ، وأثقل الناس رأسه ، وأصبحت حركاته حركات لا شعورية ، فكان يرى أمامه الجدار الذى ينتهى عنده السباق ويجاهد فى الوصول إليه ، وشرع يحدث نفسه ، ووصل بالفعل إلى الجدار فى إحدى نهايتى خط الحصاد ، ولم يكن عليه إلا أن يحصد الشئير على طول الجدار وينتهى الأمر . وما هى إلا ثلاث حصدات ثم ... ثم يصبح أهر حاصد فى أنفجارا ... ويحصل على الورقة ذات الخمسة جنهات ...

وما وصل فى حديثه لنفسه إلى هذا الحد حتى اخترقت صياحه أذنيه صيحة التهليل والاعجاب تدوى فى الجو :

« لقد فاز جيل »

فسقط بودكن على الأرض بين أنين الموضع المقهور
عبد الحميد حمدي

وكان جسمه الثقيل يتحرك بئنة ويسرة وإلى الوراء فى خط الحصاد ، فكان كما كان ينتزع عيدان الشعير بفعل ساحر . وكان كلما انتهى من حصدة تناولها امرأته فخرتها . ولكن عند ما وقف بودكن فى الساعة الخامسة ونظر إلى الوراء رأى جيل لا زال يتقدم فى اطراد منتظم خفيف . وأحس بودكن فجأة أن متاعب اليوم كله قد استولت عليه فى هذه اللحظة أحس بأذى الأمر بملش شديد ، فأرسل امرأته لتحضّر له من جواز السور وعاء الشاي الاحتياطي ، فلما عادت به شرب فى شره شديد . وكان كلما شرب ازداد شعوراً بالملش . فصاح به أصدقاؤه من المشاهدين محذرين ، ولكنه جن بالملش ، فلم يعد يمي شيئاً ، فاستمر يشرب ، وكان قد أصبح على بضعة خطوات من خط الفوز ، فنظر إليه ذاهلاً وهو يلوح بمنجله فى الهواء ، ثم عاد

إحياء أثر أدبي نفيس

وفق الأساتذة خليل محمود عساكر ومحمد عبده عزام ونظير الاسلام الهندي فى الحصول على مخطوط قيم نادر بمكتبة الفاتح بالاستانة فاشتغلوا بتحقيقه وضبطه والتعليق عليه وعمل فهراس مستوفاه له ثم طبعوه على نفقة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) طبعة علمية متقنة فى شكل أنيق مع مقدمة تحليلية متممة للأستاذ الجليل أحمد أمين . والكتاب فى الدفاع عن شاعر من خول الشعراء كثرت فيه الآراء واختلف النقاد فى مذهبه وتقدير شعره . ومؤلفه أديب ممتاز فقهياً فإى رويه ذلك الكتاب هو : أخبار أبى تمام لأبى بكر الصولى وهو مطبوع على ورق جيد ويقع فى ٣٤٠ صفحة من القطع الكبير ومثمه ١٨ قريشاً عدا أجرة البريد ويطلب من اللجنة ومن المكاتب الشهيرة

(١) خاتلى وقصص أخرى

(٢) وكيل البريد وقصص أخرى

مجموعتان من أقاصيص رابندرات طاغور

ترجمته عبد اللطيف النشار

(٣) جنة فرعون وقصائد أخرى

(٤) نار موسى وقصائد أخرى

ديوانان من شعر عبد اللطيف النشار

(٥) الاسكندر

رواية تاريخية عن حياة الفاتح الكبير

ترجمته عبد اللطيف النشار

عن هذه الكتب الخمسة عشرة فروش بما فى ذلك أجرة البريد وتطلب بالبريد من صاحبها بنواؤه :
١٨ شارع الإيمادية بمحرم بك بالإسكندرية

بالكنجي بجانب خيمة
أسرة مدكور العربية
الخالصة

ولم يكن الدهر
وقتشذ لآل مدكور
عبوساً ، فالسحب في
كل عام ممطرة ، والشعير
وفير ، والشاء والنباق
منتجة غزيرة ألبانها ،

والحياة رعدة مندقة يزيد في هئانها صفاء السماء في
الصيف وجفاف الجو في الشتاء

وكانت « منبئية » إحدى زوجات مدكور
الأربع على وشك الوضع حين شيدت أسرة يسكوالي
بجانب خيمتها أول منزل أقيم في تلك الجهة ؛ فلما
وضعت منبئية طفلها أوحث إليها امرأة يسكوالي أن
تدعوها « روز » فقيل ، وكان الإسم أول طفيان
للمدينة الطاللة على قدسية مابنته الطبيعة بيدها الطاهرة
وجاءت «روز» آية في الجمال تجمع كل مافي معنى
الوردة من حسن وبهاء ؛ فالوجه لطيف الملامح وسميم ،
والجسم متنسق الأعضاء غصن ، والبشرة بيضاء نضيرة
وذبحت الألام بأثار الحرب المشؤمة إلا ما أوغلت
من مدينة في بقاع مريوط الشاسعة وتركزت من تعاليم
الحضارة الفاسدة في نفوس سكانها -

فالخيام الآن مضرورية في نقطة الكنجي حول
مساكن من الحراسة المسلحة خططت أبداع تخطيط
تحفها الفرنديات وتحيط بها الجداول التي تروى بما
تزرعها أحدث المحركات الزيتية والهوائية من مياه الآبار
وكانت تلك الخيام وهي قائمة حول هذه
المساكن التي تخرج بضوضاء السرعة الآلية ومرح
أهل الحضارة التكلفة المزوج بكثير من الرضا

رُوز

بقلم الأديب يوسف فهمي

كان اسمها روز . وعجيب أن تسمى روز ابنة البادية
وأعجب من هذا أن أهلها كانوا يجهلون معنى
هذا الاسم وقت ميلادها . فهم أصدقاء الطبيعة
الساذجة يعرفون للزهور أسماءها وللأعشاب أنواعها ؛
ولم تكن إلى ذلك الوقت قد آذنت حاسة سمعهم
تلك الكلمات الأعجمية التي يستعملها في عربيتهم
غير الناطقين بالضاد . فكانوا يعرفون أن ملكة
الزهور هي الوردة ، وكانوا يجهلون تماماً أن كلمة
« روز » هي اسم هذه الزهرة المطرية عند الفرنجة
ولكن هي الحرب العالمية التي تظفل أثرها إلى
نفوس أهل الدعة والسكنية ، عشاق الجمال الخالص
من كل تصنع ، رفقاء الشمس في بكورها وأصيلها
وشفقها ، والقمر في هلاله وبدره

نعم هي الحرب الفروس التي قضت ظروفيها
السيسة أن بطاً بنو التاميز أرض مريوط حاملين
إليها سموم مدنتهم ومدنيات أتباعهم ، وأوشك
النفر من مرتقة الأمم الغربية الأخرى الذين كانوا
يلازمون الجيوش في تغلباتهم ليفنموا من يسع
سلمهم أكبر الفائدة

وهكذا أراد القدر أن يمسك البريطان بالأميرية
وأن تتخذ أسرة يسكوالي الايطالية المرتقة مسكنها

فضلات الوليمة إلى مَنِيَّةٍ فتلقاها المسكينة فرحة وتحملها إلى أولادها وهي تحمد الله أن من علمهم بقوت يومهم في سعة وكثيراً ما كانت «روز» تهجم عن مشاركة إخوتها في تناول تلك الفضلات وكانت أمها تعرف سبب إحجامها - فيسكوالي الشاب أكثر عطفاً عليها من أبيه على «مَنِيَّة» فهو لا يرضى أن يراها تأكل من فضلات طعامه ، وقد شاركته اللعب طفلًا وشاطرة المرح والابتهاج بمناظر الطبيعة مرافقاً ، وهي لا تألو جهداً في إرضائه وخدمته ، وقد صار شاباً ترهب من عواطفه الرعاية والرثي فاذا ما جلس إلى المائدة ورأى في حديث المجتمعين حولها ما يشغلهم عنه ، اختلس اللحظة ونهض إلى حجرة الطبخ ليتحف رفيقة طفولته بنصيب من لذيذ الطعام فتأخذه شاكراً وتنتحي ناحية وراء المنزل لتلهمته بشطف بيده عن عين الرقابة ولم يكن عطف بسكوالي الشاب قاصراً على إطعامها قدر استطاعته، بل كان يمتدئ ذلك في بعض الأحيان فينقلب حنواً شديداً يستجلى في مظاهر التدليل التي كان يحيط بها - فكم من مرة مسح على كتفها وهي في مزمل تقوم بمعلمها للزلي ، وقال لها في لطف خيم : « أنت جميلة يا روز ! وحرام أن يضيع هذا الجمال وسط الصحراء »

وكانت روز تصني إلى هذه الكلمات المذبة وهي مظاظة الرأس فتحمر وجنتها من خفر ، وتحتلي نفسها بحياء وزهو - وكيف لا تقم هذه النفس البريئة الصافية بالخيلاء وما هو ذا ربيب المدينة والجاه ، يردد على مسمها عبارات الاطراء في لهجة نتم عن صدق وإيمان قوين . هو أدري بتقدير جمال النساء لأنه يرى من أنواعهن المختلفة في شتى الأزمان ما يجعله دقيق التقدير صادق الحكم . فهي إذن جميلة وجديرة بأن تكون من ربوات تلك

والاستهتار تنكس هامتها ذلاً وخنوعاً بمد أن كانت في فضاء الله الحر عالية الرأس عزيزة الجانب ولقد شاء نخس الطالع أن تمن هذه الخيام في ذلها وأن يخضع ساكنوها لسلطان المدينة القاهرة تحت ضغط الفاقة ، فالسحب نادرة المطر منذ خمس سنوات ، وما أشق أهل البادية إذا شح القطر وحرمت حياضهم من ري الديم المحسنة ولم ينج مذكور على رغم سعة العيش التي كان يتمتع بها من غالب البؤس . فلا شير بكديس حول خيامه ، ولا أشباب تكسو التلال البعيدة فتشيع قطامه . وتوالت عليه النكبات عامين متوالين فقتله الحزن وأودى تاركاً من ورائه نسوة لا عائل لمن ، وعدداً كبيراً من القدرة لا يجدون من القوت إلا الكفاف

وآل إلى مَنِيَّةٍ وأولادها مما بقي من مال زوجها شاة وناقة وحمل وما بخيمتها من متاع قليل ولم تشأ أسرة بسكوالي - وقد احتمت في جوار هذه الخيمة إذ كان المرز يرفرف فوقها - أن تتخلي عن حمايتها في أيام محنتها فجعل ربه من مَنِيَّةٍ حارسة لمصيفه وما حوله من أراض وأورق شجرها وطاب ثمرها أثناء إقامته بالأسكندرية ، وخادماً يقوم بنظافة المنزل وتعاون زيتة في الطهي أثناء راحته بمربوط

وكانت روز تعاون أمها في كل هذه الأمور ، فإذا لجأت أسرة بسكوالي إلى مصيفها في نوى السبت والأحد من كل أسبوع كمادتها أخذت في تنظيف الحجر وإعداد الأسرة وغسل أدوات الطبخ وحمل الماء المذب من صهريج المحطة وإعداد المائدة في أوقات تناول الطعام

فاذا انتهى أفراد الأسرة وضيوفهم من تناول الطعام وأفرغوا من زجاجات الخمر المتعة ما أفرغوا أمر بسكوالي وهو في نشوته ومرحه أن تعطي

وقوة ساعديه ما يعادل محاسن شبان الحضرة؟ أو لا ألقى منه عطفًا وحنانًا يوازن عطف بسكوالي وحنانه؟ أو ليس أبوه سيد عشيرة « أولاد علي » وعميدها المحترم؟ فإذا أبنى من الدنيا أكثر من أن أكون له زوجة؟ « وفي الواقع كل هذه الصفات وهذه المميزات تجتمع في حميده عبد الكريم؛ ففيه الجمال البدوي الهبيج، وفي أسرته كرم المحتد والسيادة بين عشائر مروط العربية.

فأبوه الحاج عبد الكريم تحتكم الأسر في الخصومة إلى سيد رأيه وعدله، ويلجأ الغريب إلى خيامه فيجد من كرم الضيافة ما يجعله يلجج بفضل. — ورث عن آباءه جيتين يتعاون أبنائهم الثلاثة على ربحها من بئر رومانية فتزوي كل منها بمحبوبها وفيرا: تينا وزيتونا وعينا. وكلما حان وقت قطاف التمار راح حميده وأخوه يبيعون جزءا منها في قرى الكنجه والعامرية والموارية، وتولى الحاج عبد الكريم بيع الباقي إلى تجار الفاكهة ممن تعودوا شراء غلاته. أما الغنم فيرسلها إلى مراعي البحيرة حتى إذا جاء عيد التسم أو عيد الأضحي ساقها أحد أبنائه إلى الاسكندرية فيرجع منها كثيرا.

وكانت أمنيته الملحة أن يرى قبل موته خيمة حميده — ابنه الأصغر — مضروبة الأطناب بجانب خيمتي أخويه يرفرف فوقها الهناء الزوجي بمناحيه. واستغل حميده هذه الرغبة في نفسه فتعجل الحوادث وجعل أخاه الأكبر يفاقم ألامه بما يكن قلبه لروز من الود والصدق، فوافق على هذا الاختيار، ولا سيما أن المرحوم مذكور كان من أخلص أصدقائه ومنذ ذلك الحين أخذ حميده يهيئ الظروف المناسبة لعقد الخطبة بقراءة الفاتحة في حفل من الشهود، فذهب إلى منبسيه ورجاه الموافقة على الزواج من ابنتها فوافقت مقتبضة؛ وحدد لمقد الخطبة موعداً ضربه فهورت إلى صديقها «ناجيه»

للقصور التي كثيراً ما وصف لها بسكوالي الشاب داخلها وما تضم من أثاث فاخر وزينة كان يصور لها تلك القصور تصوراً رائعاً خلافاً لما عجزت عن إدراك دقائق التعبير بالنسبة لأحد أجزائها اتخذ من حجر مصيفهم مثلاً مصغراً فيقول لها: « أدأت قاعة الاستقبال وما بها من ريش؟ إنها لا تذكر بجانب قاعات الاستقبال في قصور الأغنياء وليس بين نسائهم من تضارعت حسنات ونضارة! كل هذه التأثيرات من إطراء ووصف وإغراء كانت تغفل رويداً رويداً في نفسها الطمئنة فتجعلها فريسة الاضطراب، وتهيج في قرار عقلها الباطن عوامل الطموح إلى الجاه والرغبة في التمتع بمظاهر الحياة وحسب الوصول إلى مكانة تتفق وما حبها الطبيعية من جال؛ ويحت هذه التأثيرات أصبحت «روز» — وهي ابنة الصحراء القاننة من العيش بالكفاف، ومن المتاع بأقل من الضروري — ترى في فضاء مروط سحناً ضيقاً، وفي الخيمة التي أبصرت فيها الحياة مأوى حقيراً لا يليق بمحسنة مثلها إلا أن هذا الضرور لم يكن قد استولى بعد على كل إرادتها الناشئة؛ فكانت كلما رجع بسكوالي الشاب إلى المدينة ثابت إلى حقيقة أمرها، وطردت الأوهام الباطلة من غيبتها، فتعود إليها بإسمائها الحلوة ومرحها الساذج، وتتلقى «حميده عبد الكريم» خطيبها اللدله ببشاشة تزيد من نفسه الكابة واليأس من حبا.

وفي بعض الأحيان كانت تذهب في النظر إلى الحياة نظرة فلسفية رصينة إلى أبعد من هذا الحد، فتأخذ في تأنيب نفسها على طموحها الأوهج ونفورها من حميده كلما أراد التقرب إليها، فتتسامل في دهشة: «لم أحاول التخلص منه وهو شاب جميل الطلعة طيب القلب غني؟ أو ليس في سحر عينيه الواسعتين، وبشرته النحاسية اللطيفة، وقلامته العالية

التي أخذت شناعتهما تتجلى لها أثناء رحلتها بالسيارة، ولكن الأمر قد وقع ولم يمد يدها ليقبضها قليلاً. فقد تركت الصحراء وهي تعلم أن الرجوع إليها مستحيل إذا الموت المؤكد دونه.

ولم تال المجوز جهداً في تهدئة روحها، فجعلت تساعد بسكوالي في رطانتها المشوهة على تصوير المستقبل أمامها باهراً. ولكن الصدمة كانت قوية في نفسها فلم تع من عباراتها إلا حديثاً مبهماً مملًا. ولمّا كابدته من إجهاد عقل شاق، وعناء جسني شديد، رجعتها تركها وحيدة؛ وما أن أغلقا عليها باب الحجرة حتى ازتمت على سريرها وأجهشت في البكاء، ثم تقلب عليها الناس فنامت، وكان نومها متقطعاً تتخلله الأحلام المزعجة.

وفي الصباح الباكر حمل إليها بسكوالي ما ابتاعه لها بالأمس من أحدث الملابس الإفريقية غطاء. فلبست منها وتظرت إلى نفسها في المرآة فعاودها غرورها وطموحها وابتسمت، وكانت إقسامها أولى علامات الرضا بطورها الجديد في حياة المجون.

نعم لقد بدأت «روز» منذ تلك الآونة تتنخس نفسها إلى شيطان الهوى فجرها إلى وهدة البعارة وهي صاعرة مستبعدة.

فلم يمض زمن طويل حتى كانت لبسكوالي خلية تماقره الخمر، وتصاحبه إلى أما كن القسق. وما هي إلا أشهر بعد ذلك حتى نبذها خليلها فراحت تترعى في أحضان كل فاجر.

ودخل اليأس من الحياة قلبها فأدمنت على تناول المخدرات، وبذل الشقاء من نفسياتها فصارت شرسة فظة، وبغت الموموم وموموم الخمر أكثر ملامح الجمال من محياها، فبدت آثار الدمامة عليها واضحة، ورضيت أن يدعوها طلابها بغير اسمها فأصبحت تدعى «وزة العربية».

ولم يقف بها شقاؤها عند هذا الحد من التماسه

وطلبت إليها أن ينوب زوجها آدم عن والد روز في الاجتماع لسه له من الأفضلية بحق الجوار قبلت وقبل الزوج شاكرًا.

وفي عصر اليوم المحدد كانت خيمة منيية وما جاورها من الخيام في عيد ومرح، فلبست النساء زينتهن وبدت «روز» بينهن في أجل ما لديها من الملابس كالوردة الفضة وسط الروع الزاهر، والتحف الرجال بمشاكلهم الحرة والصوفية وحلوا بندقياتهم وساروا في موكب يحفه الوار محو خيام «أولاد على» يتقدمهم آدم.

وكان الحاج عبد الكريم وشيوخ أسرته وأخصاؤه ينتظرونهم عند منتصف الطريق، فلما اقتربوا منهم أفرغوا بندقياتهم في الهواء لتحييتهم فردوا عليهم التحية بتمثلها، واجتمع الفريقان وكان سلام وكان كلام إلى أن دخلوا الخيمة.

ولما استراحوا قليلاً وضعت أمامهم أطباق التريد فأصابوا منها ما اشتهاوا، ثم دارت عليهم كؤوس الشاي فشربوها حتى قلبها الجميع علامة على الاكتفاء. وعندها تربع الحاج عبد الكريم بعد اتكائه ففعل الكل مثله ورفع بالكفين فرفعوا، وقرئت الفاتحة وقع كل ذلك في غيبة بسكوالي الشاب، فلما علم به ثارت ثائرته وصمم على الالتجاء إلى كل سبل الإغراء لمنع هذا الزواج. فاستعمل للوصول إلى غايته كل ما أوتي من ذكاء ودهاء، وأخيراً أفلح في تنفيذ ما عزم عليه.

فأهى في الأيام قلائل بعد حفلة الخطبة حتى كانت فكرة الفراق قد اختمرت في رأس روز، وفي ذات ليلة ابتعدت عن خيمتها ولم تمد إليها.

اختطفها بسكوالي في سيارته وعهد بها إلى مجوز أفريقية تزجر حجرًا مفروشة في حي وجيه من أحياء الاسكندرية. فدخلت الحجرة التي أعدت لها وهي رجلة مرتدة الفرائض نائمة على فلتها

الكآبة على نفسه؟ وربما قدر له أن يراها أثناء تجواله وماذا يكون موقفها منه تأثير هذا الموقف الرهيب على شعوره؟ إنه لحزن مبلبل الوجدان يتخفى لو تبعد الظروف عن لقاءها في قرارة نفسه أن يراها ويتمع النظر ولو برهة قصيرة بهيج عيها

وانقضت أيام ثلاثة وهو فريسة لهذه الخواطر المتناقضة تتنازع رغبتان ملحتان: الفرار من الوقوف أمامها، والبحث عنها. إلى أن كان اليوم الأول من العيد فيينا هو يجمع العدد القليل الباقي من النعم في ناحية من ميدان المحطة لمح امرأة تجلس على مقعد قريب من مقاعد الحديقة وتأتي بمحركات غير عادية فتطوح رأسها وتلوح بذراعيها في الهواء، ثم تخلع قممها البالية عن رأسها وتبديها بمنف وهي تكيل الشتائم لأناس مجولين في لهجة بدوية

وتبين حبيده في وضوح النهار وجه هذه المتوهة البائسة في ثيابها الأفريقية المزقة فإذا به أمام فائتته المقودة، ففقت الدهشة لسانه هنيهة ثم صاح متوجهاً:

— روز! إلى هذا الحد أوصلك الشقاء؟

فرفعت روز عينيها الشاردتين وتفرست في وجهه طويلاً ثم طفقت تهقه قائلة:

— روز! روز! لا تدعوني بهذا الاسم البغيض فأنا «وزة العربية»

ثم انقطع ضحكها فجأة ومدت يدها بحركة آلية وقبضت على جرابه الجلدي المزركش بخيوط الفضة وطلبت منه في ضرع قائلة: — اسمعني بنشقة!

— نشقة ماذا؟ — نشقة كوكاين ...

فلم يقو حبيده على تحمل المصأب أكثر من ذلك فجري كالمجنون نحو غنمه وهش عليها بمصاه في غضب وترك الميدان هارباً.

يومف فرهمي
عضو جماعة نصر الثقافة بالإسكندرية

بل بلغ بها القيمة فأوصلها إلى السجن مرات لتلاق بين جدرانها أنقطع ما يمكن أن تتحملة المرأة من يؤس ومضت الأيام وذهب الهم بذكائها وطمست السموم البيضاء حافظتها وتصورها، فأصبحت بلهاء تقطع الشوارع في ذهول طول النهار، فإذا ما أسدل الليل حجابها قادها أحد السوق لتقاسمه طعامه الحقيق ولهريق في مقابل ذلك بعض ما أبقت أيام الشؤم في وجهها من ماء الحياة

واقرب عيد الأضحى فأمر الحاج عبد الكريم ابنه رحيمده أن يذهب إلى الاسكندرية ليلبيح غنمه مع أخيه الأكبر، فدخلها وهو منقبض الصدر برغم شوقه القوي إلى رؤيتها، فهو وإن كان قد وجد في زوجه المخلصة بعض الزاء عن حبه الضائع، وفي صادق ودما بعض السلوة لقلبه السكوم، إلا أن شبح «روز» لا يزال يعاوده فيمكر عليه صفو عيشه الآونة بعد الأخرى — وهو وإن كان يحترق هذه المرأة الفاسدة الخلق التي لم ترع لحيه الطاهر ذمة ولا لشرف أسرته حرمة، لا يزال يهواها، ولا يزال قلبه يخفق عند ذكر اسمها. فكمن من ليلة مقمرة هام فيها على وجهه يقطع المسافات الشاسعة مبتعداً عن مضارب الخيام ليخلو لنفسه وليستعيد الذكريات الماضية والأحلام اللذيذة التي كانت تملأ نفسه بجلو الأمان فيتمثل حبيبة قلبه وكأنها ما برحت تسير إلى جانبه تبادل الغرام وتردد على سامعه في لهجة التوكيد عبارات الفرح بمشاركته الحياة، ثم يثوب إلى رشده فيلمنها ويقفل راجعاً إلى خيمته كثيب النفس كاسف البال وها هو ذا الآن يجوب المدينة التي تضم أرجاؤها هذه المخلوقة التي يعتزح حبا في قلبه بما طفتي البنض والازدراء — فكيف إذن لا ينقبض صدره وتستولي

سَيِّدُ الْمَوَا

مأساة في فصل واحد

للكتاب الانجليزي أوسكار وايلد
بقتلم الدكتور حزن صادق

غلام هيرودية -

أنظر إلى القمر !
أغربه الليلة ! يحيل إلى
أنه امرأة خارجة من
القبر... إنه أشبه شيء
بامرأة ميتة . كآني به
يبحث عن موتي

السوري الشاب -

نعم القمر الليلة ما أغربه !
إنه كأمة صغيرة على

وجها نقاب رقيق أصفر اللون ، ولها قدمان من
فضة ، إنه كأمة لها قدمان كيمتين صغيرتين
ناصعتي البياض... كآني به رقص
غلام هيرودية - إنه كأمة ميتة . أنظر إليه
كيف يسير في بطء شديد !
(يسمع ضوضاء في ردة الالام)

الجندي الأول - ما هذه الجلبة الشديدة ؟ من
هؤلاء الذين يصيحون كأهم الذئاب العاوية ؟
الجندي الثاني - إنهم اليهود وهم يتحدثون
ضوضاء في كل مجلس ، ويتجادلون في دينهم أبنائهم
الجندي الأول - ولماذا يتجادلون في دينهم ؟
الجندي الثاني - لا أدري . هذا طبعهم الذي
يضحهم في كل موطن ، فالفريسيون منهم يؤمنون
بوجود الملائكة ، والصدوقيون (نسبة إلى صدوق ،
رجل يهودي عاش في القرن الثالث قبل المسيح وأثنأ
مذهبا) دينيا عرف باسمه) ينكرون وجودها
الجندي الأول - الجدال في مثل هذه الأشياء
لغو وسخف

السوري الشاب - ما أجل الأميرة سالوما
هذا المساء !

سائر الشخصيات

- (١) هيرودس أمير يهودية من أعمال فلسطين
- (٢) يوحنا المعمدان ، التي
- (٣) السوري الشاب ، رئيس الحرس
- (٤) تيجالان ، شاب روماني
- (٥) نوني
- (٦) الجندي الأول
- (٧) الجندي الثاني
- (٨) غلام هيرودية
- (٩) عبد
- (١٠) نعيان ، الجلاله
- (١١) يهود وأشخاص من الناصرة
- (١٢) كايادوس (رجل من بلد بآسيا الصغرى)
- (١٣) صدوق (نسبة إلى رجل سياتي ذكره)
- (١٤) هيرودية ، زوج هيرودس
- (١٥) سالوما ، بنت هيرودية من زوجها الأول
- (١٦) جند وعبد وإماء

المنظر

(شرف Terasse كبير في قصر هيرودس في نهايته
باب يؤدي إلى ردة الحفلات والالام ، وفي الجهة اليسرى
سلم كبير ، وفي نهايتها صهريج عتيق يحيط به جدار من
الشب الأخضر ، وعند حاجز الصريف عدد من الجند متكئين
عليه بمراقبهم ... القمر بازغ)

السوري الشاب - ما أجل الأميرة سالوما

هذا المساء !

النوى — آلهة بلادى يحبون الدم ويكلفون به ،
ونحن نقدم إليهم قرايين من الفتيان والمذارى
مرتتين في كل عام : مائة عنراء ، ونصف هذا العدد
من الشبان في كل مرة . ولكن يظهر أننا لا نقدم
إليهم من الدم ما يطفيء غلهم لأنهم رغم ما نفعل
يشربون في قسوتهم علينا إلى حد بعيد

الكابا دوسى — بلادى خالية من الآلهة في
الوقت الحاضر ، لأن الرومان قد طردوهم منها .
ومن الناس من يقول إنهم لجأوا إلى الجبال ، ولكنى
لا أعتقد ذلك . لقد قضيت ثلاث ليال في الجبال
أبحث عنهم بحثاً دقيقاً ولكنى لم أجدهم ، ثم ناديتهم
بأسمائهم فلم أسمع جواباً على ندائى . والرأى عندى
أنهم قضوا بمحجم جميعاً

الجندي الأول — اليهود يعبدون إلهاً لا تراه
العيون

الكابا دوسى — لا أستطيع أن أفهم ذلك
الجندي الأول — خلاصة القول أنهم لا يؤمنون
إلا بما لا يرى

الكابا دوسى — في إيمانهم سخف كبير
صوت يوحنا — سيأتى من بعدى آخر أكثر
قدرة منى . إنى لست جديراً حتى بأن أحل سيور
نمالة حين يأتى . ستخضر الأرض الجرداء وتردهر ،
وترى عيون المعى ضوء النهار ، وتسمع آذان الصم —
مختلف الأصوات ... سيفزع الوليد الجديد يده على
بيوت التين ويقود السباع من أعناقها
الجندي الثانى — مره بالسكوت . إنه يقول
داعماً هراء

الجندي الأول — ولكنه رجل طيب القلب ،
نقى السريرة ، وذيع الخلقى ؛ كل يوم أعطيه يأكل
وهو يقدم إلى الشكر داعماً

غلام هيرودية — إنك تطيل النظر إليها وتلهمها
بمينيك ! لا يجوز أن تحدق في الناس بهذه الطريقة
المنكرة ... قد تقع بئاملة !
السورى الشاب — إنها فاتنة في هذا المساء
رائعة

الجندي الأول — الأمير مكتئب
الجندي الثانى — نعم يبدو عليه الاكتئاب
الجندي الأول — إنه ينظر إلى شئ
الجندي الثانى — إنه ينظر إلى شخص
الجندي الأول — إلى من ؟
الجندي الثانى — لا أدري

السورى الشاب — ما أشد اصفرار الأميرة !
لم أرها قط متمتعة اللون إلى هذا الحد أكأنها
انعكاس وردة يضاء إلى امرأة من الفضة !
غلام هيرودية — كف عن النظر إليها . إنك
تحدق فيها كثيراً !

الجندي الأول — ملأت هيرودية كأس الأمير
الكابا دوسى — أهى الملكة هيرودية تلك التى
تلبس قلنسوة سوداء مرصعة باللآلىء ، وقد نشرت
على شعرها مسحوقاً أزرق ؟

الجندي الأول — نعم ، إنها هيرودية زوج الأمير
الجندي الثانى — الأمير مولع بالنيبذ ، ولديه
منه أنواع ثلاثة : الأول من جزيرة ساموتراس ،
أرجوانى اللون كعباءة قصير
الكابا دوسى — لم أر قط قصير
الجندي الثانى — والثانى من مدينة قبرص ،
أصفر اللون كالذهب

الكابا دوسى — أحب الذهب كثيراً
الجندي الثانى — والثالث من صقلية أحر
اللون كالشمس

الجندى الثانى — كلا . لقد مكث فى هذا
الصهرج شقيق الأمير الأكبر وزوج الملكة هيرودية
اثنى عشرة سنة سجيناً ولم يث ، فاضطر الأمير فى
النهاية إلى خنقه

الكابا دوسى — خنقه ؟ ! من ذا الذى جرز
على هذا العمل ؟

الجندى الثانى — (مشيراً إلى الجلاء وهو عبد ضخم)
هذا الرجل ، نعمان

الكابا دوسى — ألم يشعر بالخوف ؟
الجندى الثانى — كلا ، لأن الأمير أرسل
إليه الخاتم

الكابا دوسى — أى خاتم ؟
الجندى الثانى — خاتم الموت ، ومن أجل هذا
لم يشعر بخوف
الكابا دوسى — ومع ذلك فإن من الفظاعة
خنق ملك

الجندى الأول — لماذا ؟ ليس للملوك إلا عتق
واحدة كغيرهم من الناس
الكابا دوسى — يخيل لى أن ذلك عمل يشع
رهيب

السورى الشاب — نهضت الأميرة وغادرت
المائدة وعلى وجهها سمة الضجر . آه ! إنها تسير إلى
هذه الناحية . نعم إنها مقبلة علينا . ما أشد اصفرارها !
لم أرها قط مصفرة إلى هذا الحد !
غلام هيرودية — لا تنظر إليها ، أرجو ألا
تحقق فيها

السورى الشاب — إنها كالتيامة التى ضلت ...
إنها كزهرة ترعى يتلاعب بها الهواء ... ما أشبهها
بزهرة من فضة !

الكابا دوسى — من عسى أن يكون ؟

الجندى الأول — إنه نبي

الكابا دوسى — ما اسمه ؟

الجندى الأول — يوحنا المعداد

الكابا دوسى — من أين جاء ؟

الجندى الأول — من الصحراء ... غذاؤه

فيها الجراد والعسل البري . وكان يستر جسمه بور
الابل ويحمل فى وسطه نحرماً من الجلد ؟ وكانت
هيئته رهيبية موحشة ، ولكن عدداً كبيراً من
الناس كان يثق به ... كان له فضلاً عن ذلك أتباع
وتلاميذ

الكابا دوسى — عن أى شئ يتكلم ؟
الجندى الأول — لم نفر قط . وفى بعض
الأيام ينطق بكلام مزعج خفيف ، ولكن من
المستحيل إدراكه

الكابا دوسى — هل من الجائر رؤيته ؟
الجندى الأول — كلا . هذا أمر لا يبيحه الأمير
السورى الشاب — أخفت الأميرة وجهها
خلف صروحها . يداها الصغيرتان البضاوان
تتحركان كيمايتين تطيران نحو عثهما ... إنهما
كفراشتين ناصعتي البياض .. ما أشبههما بفراشتين
بيضاوين !

غلام هيرودية — ما لك ولهذا ؟ ! لماذا تنظر
إليها ؟ ينبغي أن تطلع عن النظر إليها ... قد يجمع
بنا ملة !

الكابا دوسى — (مشيراً إلى الصهرج) أى سجن
عجيب !

الجندى الثانى — أنه صهرج عتيق
الكابا دوسى — صهرج عتيق ؟ ! إنه ردى
وبيل ، مافى ذلك شك

(تدخل سالوما)

سالوما — لن أبقى . لا أستطيع البقاء . لماذا ينظر إلى الأمير دائماً بعيني أرعن فاجر تحت هديين مضطربين ؟ غريب أن ينظر إليّ زوج أى بهنذه البين ! لا أدري ماذا تمنى نظره هذه ... فى الواقع نعم . أعرف معناها ومسامها .

السورى الشاب — أركب الوليعة أيتها الأميرة ؟ سالوما — الهواء هنا منمش ما أجله ! آه ! هنا أنفاس يبعد ضيق ! فى الردهة يهود من أورشليم يقتلون جدالا فى شأن طقوسهم الضخيفة ، وبرابة يشربون بلا انقطاع ويلقون بالنبيذ على أرض الردهة ، ويونانيون من أهل أمير قد موهوا عيونهم وزينوا خدودهم بالأصباغ وجعدوا شعورهم وجعلوها جدائل متفرقة ، ومصريون يستطيعون الصمت والرزانة السامية ، على أصابعهم وشم وعلى أجسامهم عباءات سمراء ، ورومانيون تصحهم خشونتهم وجود نسيمهم وكلماتهم الجافة القليظة ! آه لشدما أكره الرومان ! إنهم من حشالة الناس ويتخذون لأنفسهم هيئة العظاء !

السورى الشاب — أتردين الجلوس أيتها الأميرة ؟

غلام هيرودية — لماذا تخاطبها ؟ لماذا تتحدث فيها بعينيك ؟ أوه ! سيقع خطب لا عمالة

سالوما — ما أجل أن يرى الإنسان القمر ! إنه يشبه النهرم الأخاذ . كائن به زهرة صغيرة من الفضة ... القمر بارد تقى الإزار ... أعتقد تمام الاعتقاد أنه كالفتاة العذراء ، له جمالها وطهرها . نعم إنه عذراء لم تدنس نفسها ولم تستسلم قط للرجال كالربات الأخريات

صوت يوحنا — لقد أتى السيد ! أتى « ابن الإنسان » فاحتبأ القنطورس (أى السطور نصفه آدمى ونصفه الآخر حيوان) فى الأنهار ، وغادرتها بنات الماء وورقت تحت الشجر فى النباتات سالوما — من هذا الذى نطق صارخا بهذه الكلمات ؟

الجندي الثانى — إنه النبى أيتها الأميرة سالوما — آه ! النبى ... أهوال الذى يخافه الأمير ؟ الجندي الثانى — هذا أمر لا نعرفه ... إنه النبى يوحنا

السورى الشاب — أتردين أن أطلب لك هودجك أيتها الأميرة ؟ الجو جميل فى الحديقة سالوما — إنه يقول عن أى أشياء فظيعة ، أليس كذلك ؟

الجندي الثانى — إننا لانفهم ما يقول يامولانى سالوما — إنه ريميا بأشنع الأقوال عبد — الأمير يامولانى يطلب منك راجياً أن تعودى إلى الوليعة

سالوما — لن أجيب هذا الرجاى السورى الشاب — عفواً أيتها الأميرة ... قد يقع خطب إذا أصررت على رفض العودة سالوما — هل النبى شيخ كبير ؟

السورى الشاب — أيتها الأميرة ، يحسن أن تعودى ... أسألك الإذن فى أن أحبك إلى هناك سالوما — النبى ... هل هو شيخ كبير ؟ الجندي الأول — كلا . إنه فى زهرة العمر وميعة الصبا

الجندي الثانى — هذا أمر مجهول . يقول بعض الناس إنه إلياس النبى

عن ذلك فانتا لسنا نحن الذين ينبغي أن توجيهم
إليهم طلبك

سالوما — (تنظر إلى السورى الشاب) أه —
غلام يهودية — أوه ! أى شئ سيحدث ؟
إني مستيقن بأن مصيبة ستحدث

سالوما — (تدنو من السورى الشاب) ستفعل
ذلك من أجلي ، أليس كذلك ؟ ستفعله في سبيل .
أنسيت أني أحسن معاملتك في كل حين ؟ إذن
ستفعل ما أطلب لإرضاء لي . أريد فقط أن أراه ،
هذا النبي المجيب . لقد كثرت الكلام عنه ، وسمعت
الأمير يتحدث في شأنه جملة مرات ، وأظن أنه
يتخافه ويتحاشاه ... أوقن بأن الأمير يتحاشاه . هل
تخافه أنت أيضاً ؟

السورى الشاب — كلا أيها الأميرة . إني
لا أخاف أحداً . ولكن الأمير يحرم تحريماً قاطعاً
رفع غطاء هذا الصهريج

سالوما — ستفعل ما أريد ، وغدا حين أجتاز
يهودجي باب بائى الأصنام ، سأدع زهرة صغيرة
تسقط من يدي على الأرض ، زهرة صغيرة خضراء
يانعة ، هي لك

السورى الشاب — أيها الأميرة ، لا أستطيع ،
لا أستطيع .

سالوما — (باسمة) ستفعل ذلك في سبيل .
أنت مستيقن بأنك فاعل ذلك من أجلي ، وغدا
حين أسير يهودجي على جسر مشتري الأصنام
سأهدى إليك نظرة خلال الستائر الرقيقة . وقد
أقسم لك أيها الشاب . أنظر إلى ... أه ! أنت
مستيقن بأنك فاعل ما أطلب . تعرف ذلك جيداً ،
أليس كذلك ؟ ... أنا أنا فاني أعرف جيداً

سالوما — ومن هو إلياس ؟
الجندى الثانى — نبي قديم من أنبياء هذه البلاد
عبد — أى جواب أحمله إلى الأمير يامولاني ؟
صوت يوحنا — ضربت عليك البلة يا أرض
فلسطين ، فلن تمتطي أبداً لأن عصا الذى ضربك
قد كسرت وتحطمت . سيخرج من سلالة الثعبان
صل ، وما يولد منه سبيلهم الطير

سالوما — ما أغرب هذا الصوت ! إن شوقاً
ملحاً يدفعني إلى غمطه

الجندى الأول — أخشى أن يكون هذا مستحيلاً
أيها الأميرة . الأمير لا يريد أن يكلمه أحد ، متى
إنه حذر على الكاهن الأكبر التحدث إليه
سالوما — أريد أن أكلمه

الجندى الأول — مستحيل أيها الأميرة
سالوما — أريد ذلك

السورى الشاب — يحمل بك أيها الأميرة
أن تمودى إلى الوليمة

سالوما — أخرج النبي
الجندى الأول — لا تجرؤ

سالوما — (تدنو من الصهريج وتنظر إلى داخله)
سجن ما أظله ! إنه لفظيع ، كما أعتقد ، أن يقيم
الانسان في قفب جاكك الظلمة مثل هذا ... إنه
كالقبر ... (إلى الجندى) ألم يصل إلى سمعك ما قلت ؟
أخرجوه ، أريد أن أراه

الجندى الثانى — أسألك ضارعا أيها الأميرة
ألا تطلبي إلينا ذلك

سالوما — إنكم تبطلون في إنفاذ أمري
الجندى الأول — أيها الأميرة ، حياتنا ملك
لك ، ولكننا لا نستطيع إنفاذ ما تطلبن ... وفضلا

تنهض من فراش فجورها ، فراش وطء المحرمات
حتى تستطيع أن تسمع صوت الذى يهوى طريق
السيد ، وحتى تندم على خطاياها وتكفر عن جرائرها
إنها لن تكفر أبداً ، وستظل غارقة فى الانم
والفواحش ، ولكن قولوا لها رغم ذلك أن تأتى
لأن السيد يحمل فى يده ميزانه .

سالوما — هذا فطيع ... فطيع .
السورى الشاب — أتوسل إليك أن تغادى
هذا المكان .

سالوما — العيان على الأخص مخوفتان ،
ما أفظهما ! كأنهما ثقبان أسودان تركتهما
مشاعل على دياحة يضاء إنهما كالسكوف السوداء
التي تسكنها الأفاعي ، كهوف مصر السوداء التي
تجد منها الأفاعي ملجأ وملاداً ، ما أشبهما بحيزات
سوداء ، قد بثت فيها الاضطراب أقمار عجيبة
مستبهمة ! أنظن أنه سيتكلم بعد ذلك ؟

السورى الشاب — غادى هذا المكان أيتها
الأميرة ، رجأت إليك أن تعدلي عن البقاء هنا
سالوما — ما أشد هزاله ! إنه كتمثال نحيل
من العاج ... كأنى به خيال من الفضة . أعتقد أنه
فى طهره كالقمر . ما أشبهه بشعاع من الفضة ؟ لايد
أن يكون جسده شديد البرودة كالعاج بعد أن
أن أراه من كتب .

السورى الشاب — أيتها الأميرة ! أيتها الأميرة
يوحنا — من هذه المرأة التي تنظر إلى ؟ لا أريد
أن توجه إلى بصرها ... لماذا تحرق فى بينيها
الذهبيتين بين جفونها الموجة بلون الذهب ؟ إلى
لا أعرف من هي ، ولا أريد أن أعرف ، قولوا لها
أن تنهب ، فليست هي التي أريد أن أكلمها .

السورى الشاب — (يشير إلى جندى ثالث)
أخرج النبي ... الأميرة سالوما تريد أن تراه
سالوما — آه !

غلام هيرودية — أوه ! ما أغرب شكل القمر !
كأنه يد ميته تحاول أن تغطي نفسها بكفن !
السورى الشاب — عليه سمة النراية . كأنى به

أميرة صغيرة ، لها عيان من عنبر ... إنه يتسم
خلال السحب الرقيقة كأمية صغيرة
(يخرج النبي من الصهريج . تنظر إليه سالوما وتراجع)

يوحنا — أين ذلك الذي امتلأت كأسه بكبائر
الانم حتى فهقت ؟ أين ذلك الذى سيموت ذات
يوم أمام الشمب فى ثوب فضي ؟ قولوا له أن يأتي
حتى يستطيع أن يسمع صوت الذى صرخ فى
الصحارى وفى قصور الملوك

سالوما — من يعنى بقوله ؟
السورى الشاب — لا يستطيع إنسان أن
يعرف أيتها الأميرة

يوحنا — أين تلك التي رأت على الجدران
صور كلدانيين ملونة فاستبقادت لشهوة عينها ،
وأرسلت إلى بلادهم الرسل والسفراء ؟

سالوما — إنه فى شأن أى
السورى الشاب — كلا

سالوما — بلى ، انه عن أى يتكلم
يوحنا — أين تلك التي استسلت لرؤساء الجند

الأشوريين الذين فى أوساطهم حمائل للسيوف بهيعة
وفوق رؤوسهم تيجان ذات ألوان متباينة ؟ أين تلك
التي استسلت لشبان من المصريين أقوىاء الأجسام
يلبسون ثياباً من كتان حملاء بالمرصد ويحملون
دروعاً من ذهب وخوداً من فضة ؟ قولوا لها أن

العرب ليست في مثل بياض جسمك ... لا الورود
في حديقة ملك العرب ولا أقدام الفجر التي ترقص
على أوراق الشجر ، ولا صدر القمر حين يرقط على
سطح البحر ... لا شيء في العالم يماثل جسمك في
بياضه ... دعني ألسه

يوحنا — إلى الوراء يا بنت بابل ! إن الشر
لم يدخل العالم إلا بواسطة المرأة . لا تكلميني . لا أريد
أن أسمع إلى قولك ... إنى لا أنصت إلا لأقوال السيد
سلوما — جسمك بشع . إنه كجسم المريض
بالجدام . إنه كجدار من الجص صرت به الصلال
والأفاعي ... كجدار من الجص اتهمت منه المقارب
أحجارا . إنه كقبر أبيض الجدران زاهر بأشياء
عفنة كريهة ... جسمك ببيض ما أبشعه ! شمرك
هو الذي يستهويني يا يوحنا ... شمرك كمنافيد من
عنب ، كمنافيد من عنب أسودفها جمال وفيها سحر
مستبد ... إنه كأشجار الأرز اللبانية الكبيرة التي
تبسط ظلالها على السباع والصوص الذين يرتلون
الاختباء أثناء النهار ... الليالي الطويلة السوداء
المحرومة من القمر ، ليست في سواد شمرك ...
السكون المقيم في الثبات لا يماثل في سواده شمرك ...
ليس في العالم شيء في مثل سواد شمرك ... دعني
ألسه ...

يوحنا — إلى الوراء يا بنت سلوم ! لا تلمسيني !
لا يجوز أن يدنس معبد السيد
سلوما — شمرك بشع . إنه مغطى بالوحل
والتراب ، كأنه إكليل من الشوك وضع على جبينك
كأنه ذنب حية سوداء يهتز حول عنقك . إنى
لأحب شمرك ... شمرك هو الذي يستهويني ويملك
على حسي يا يوحنا . شمرك كشريط قرمزي على برج

سالوما — إنى سالوما بنت هيرودية ، أميرة
يهودية .

يوحنا — إلى الوراء يا بنت بابل ! لا تقتربي ممن
اختاره السيد . لقد ملأت أمك أرض الكروم
بالآثام ، وبلغت صرخة خطاياها آذان السماء
سالوما — تكلم يا يوحنا ، فإن صوتك أعلى
السورى الشاب — مولاتي ! مولاتي ! مولاتي
سالوما — تكلم ... تكلم يا يوحنا وحدفني
عما يبني أن أفعل .

يوحنا — لا تقتربي منى يا بنت سدوم ولكن
ضى على وجهك حجابا وعلى رأسك ترابا ثم اذهبي
إلى الصحراء وابحثي فيها عن « ابن الانسان »
(أى المسيح عليه السلام)

سالوما — من عساه يكون ابن الانسان ؟ أهو
جيل مثلك يا يوحنا ؟

يوحنا — إلى الوراء ! إلى الوراء ! إنى أسمع
في القصر ملاك الموت يضرب بمناحيه الهواء
السورى الشاب — أيها الأميرة ، أتوسل
إليك أن تعودى إلى الوليمة

يوحنا — يا ملاك الله ماذا تفعل هنا بسلامك
الرهيب ؟ عمن تبحث في هذا القصر الملوث ؟ ...
لم تحن بعد ساعة ذلك الذى سيموت في ثياب فضية
سالوما — يوحنا !

يوحنا — من المتكلم ؟
سالوما — يوحنا ! إنى لمشفوفة بجسمك !
جسمك أبيض كزينة المرج لم يقرها بشر . إنه
أبيض كالثلوج التي تستطيب الرقاد فوق الجبال ،
كالثلوج التي تهبط على جبال يهودية ثم تسقط في
الأودية على مهل ناسمة ... الورود في حديقة ملك

صغيرة من المطر وأقراطاً من الفضة ، والآن أراه
أباي قتيلاً ! آه ! ألم يتبأ بوقوع مصيبة ! ولقد
توقعت حدوثها أيضاً ! عرفت أن القمر كان يبحث
عن ميت ، ولكني لم أدرك أنه كان يبحث عن
السوري الشاب . آه ! لماذا لم أخفه عن القمر ؟ لو
أخفيت في كهف لمعز القمر عن أن يراه !

الجندی الأول — أيها الأميرة ، لقد قتل
رئيس الحرس الشاب نفسه منذ لحظة

سالوما — دعني أقبل ثمرك ياوحنا
يوحنا — ألم تشعرى بالخوف يا بنت هيرودية ؟
ألم أقبل إني سمعت في القصر ملك الموت يضرب
بجناحيه الهواء ؟ ألم بات الملك كما قلت ؟
سالوما — دعني أقبل ثمرك

يوحنا — يا بنت الزنا والفجور ، ليس في
الوجود إلا رجل واحد يستطيع إنقاذك ، وهو
الذي حدثتك عنه . إذهي وجدي في البحث عنه .
إنه في بحر الجليل على ظهر فلك يتحدث إلى
تلاميذه . إركبي على ساحل البحر وارفعي صوتك
منادية باسمه . وحين يلبى نداءك ، كما يفعل مع جميع
الذين ينادونه ، اسجدي عند قدميه واضرعي إليه
أن يغفر لك خطاياك

سالوما — دعني أقبل ثمرك
يوحنا — عليك اللعنة يا بنت أم تستحل
الحرمات ... عليك اللعنة !

سالوما — سأقبل ثمرك ياوحنا
يوحنا — لا أريد أن أراك . لن أنظر إليك .
إنك مملوئة ، مملوئة ياسالوما !
(يعود إلى الصهريج)

سالوما — لأقبلن ثمرك ياوحنا ... لأقبلنه

ومن العاج . إنه كعبة رمان شقت بسكين من العاج .
الجنار الذي نبتت يانما في حدائق « تير » الفناء
أشد حمرة من الورود ولكنه لا يبلغ في لونه ثمرك .
الصرخات الحمراء ، صرخات الطبول التي تعلن قدوم
الملوك وتبعث العرب في قلوب الأعداء ، أقل حمرة
من ثمرك . إنه أشد حمرة من أقدام الذين يهرسون
التبذ في المعاصر . إنه أكثر حمرة من أرجل الحمام
التي يسكن المباد وتفذية القسس . إنه أكثر حمرة
من أقدام الإنسان المائد من غابة موحشة بعد أن
قتل فيها أسداً ورأى غوراً في لون الذهب . ثمرك
كفصن من المرجان يحده الصيادون في غبش البحر
ويحفظونه هدية للملوك ! أنه كقوس ملك الفرس ،
عليه قوش قرمزية وله قرنان من المرجان في
طرفيه ... لاشئ في الدنيا يبلغ في حمرة ثمرك ...
دعني أقبله

يوحنا — كلا يا بنت بابل ! يا بنت سدوم ! لن
يحصل ذلك أبداً !

سالوما — سأقبل ثمرك ياوحنا ... سأقبله
السوري الشاب — أيها الأميرة ، بإطاعة من
الزهر ، يا إمامة الحمام ، لانتظري إلى هذا الرجل !
لا نقول له مثل هذه الأشياء ! يؤلتي سماعها جد
الأم ! أيها الأميرة ، أيها الأميرة ، لانتظري مثل
هذه الأشياء

سالوما — سأقبل ثمرك ياوحنا
السوري الشاب — آه !
(يقتل نفسه وينقط على الأرض بين سالوما ويوحنا)

غلام هيرودية — قتل السوري الشاب نفسه !
قضى على نفسه رئيس الحرس الشاب ! سبغ دمه
الرجل الذي كان لي صديقاً ! لقد أهديت إليه علبة

كأمرأة لعبت رأسها الخمر؟ انه يشبه امرأة محتاجة
الحس مضطربة الأعصاب ، أليس كذلك ؟
هيرودية — كلا . القمر يشبه القمر ، هذا
كل شيء ... فلندخل ... ليس لديك من عمل هنا .
هيروودس — سابقى . يا غلام ، ضع بنفسك من
الطنافس هنا ، وأشمل المشاعل ثم أحضر الموائد
العاجية والفضية . الهواء هنا عذب جميل ،
وسأشرب نبيذاً مرة أخرى مع ضيوفى لأن سفراء
قيصر يستحقون كل حفاوة وإجلال
هيرودية — ليس من أجلهم تريد البقاء في
هذا المكان

هيروودس — نعم الهواء عذب جميل . تعالي
يا هيرودية ، فالت ضيوفنا في انتظارنا ... آه !
انزلت قدامى ! انزلت على الدم ! هذا نذر شر !
نذير شر مستطير ! لماذا أجد هنا دماً ؟ وهذه الجثة ؟
لن هي ؟ أنظفون أنى كذلك مصر الذى لا يقيم وليمة
من غير أن يعرض جثة على ضيوفه ؟ تكلموا ، من
عساه يكون صاحب هذه الجثة ؟ لا أريد أن أراها
الجندي الأول — إنه رئيسنا يا مولاي الشاب
السورى الذى رفته إلى هذه المكنة منذ ثلاثة
أيام فقط .

هيروودس — لم يصدر عى أى أمر بقتله .
الجندي الثاني — قتل نفسه يا مولاي
هيروودس — لماذا ؟ قد جعلته رئيساً !
الجندي الثاني — لا ندرى يا مولاي . ولكنه
سفك دمه بيده .

هيروودس — هذا عمل يبدو غريباً . كنت
أظن أن حكام الرومان فقط هم الذين يقتلون أنفسهم
بأيديهم ، أليس كذلك ؟ يا تيجالان أن الحكام في
روما يقتلون أنفسهم ؟

الجندي الأول — ينبغي نقل الجثة إلى مكان
آخر . الأمير لا يجب أن يرى الجثث ... لا يجب
أن يرى إلا جثث الدين يقتلهم بيده
غلام هيرودية — كان لي أخاً وأعز علي من
أخ . لقد أعطيته علة صغيرة تشتمل على أنواع من
المطر ، وخاتماً من عقيق كان يحمله دائماً في
أصبعه ... كنا نستريح في الماء على شاطئ
النهر بين أشجار اللوز ، وكان يتحدثني كثيراً عن
بلاده في صوت منخفض كعادته في كل حين . آه !
رنين صوته كان يشبه صوت الناي ، وكان شديد
الكاف أيضاً باطالة النظر إلى صورته في صفحة
النهر ، وكثيراً ما أخذت عليه هذا الكاف
الجندي الثاني — أنت محق . ينبغي إخفاء
الجثة حتى لا يراها الأمير

الجندي الأول — لن يأتي الأمير ... لن
يخرج إلى الشرف ... في نفسه من التبي خوف
شديد
(يدخل هيروودس وهيرودية وجميع أفراد البطانة)
هيروودس — أين سالوما ؟ أين الأميرة ؟ لماذا
لم تعد إلى الوليمة كما طلبت منها ؟ آه ! ها هي ذى !
هيرودية — ينبغي ألا ننظر إليها . إنك تحقق
فيها دائماً !

هيروودس — ما أعجب شكل القمر هذا
السماء ! ألا ترين أنه غريب إلى حد بعيد ؟ لكأنه
امرأة مضطربة الأعصاب تبحث عن عشاق في كل
مكان ! إنه غار أيضاً لا يستره شيء . السحب تحاول
أن تلقى عليه من نفسها رداء ، ولكنه يرفض ويأبى
وهو يهتز خلال السحب كأمرأة أخذتها نشوة الخمر ...
أعتقد أنه يبحث عن عشاق ... ألا ترين أنه يهتز

هيرودية — لا أسمع شيئاً .

هيرودس — لم أعد أسمع ، ولكنى سمعته .
كان صوت الهواء من غير شك . لقد سكوت ...
ولكن لا ... إني أسمع صريراً أخرى ... ألا تسمعين ؟
إنه حقاً صوت أجنحة تضرب الهواء
هيرودية — أقول لك لاحققة لما تتوهم .
أنت مريض . فلندخل

هيرودس — لست مريضاً . ابنتك هي
المریضة ... عليها سمة المرض . لم أرها قط مصفرة
إلى هذا الحد

هيرودية — قلت لك لا تنظر إليها
هيرودس — صبوا النبيذ (يحضر الخدم نبيذاً)
سالوما ، تعالى واشربى معى قليلاً من النبيذ . عندى
نبيذ عذب لنبيذ الطعم ، أرسله إلى قيصر نفسه .
اغشى في الكأس شفتيك الصغيرتين القرمزيتين
ثم دعينى أفرغها في جوفى حتى التأملة

سالوما — ليس بي ظمأ أبها الأمير
هيرودس — أتسمعين كيف ترد على ابنتك ؟
هيرودية — أجد أنها على حق . لماذا تنظر
إليها دائماً ؟

هيرودس — أحضروا ألوان الفاكهة
(يحضر الخدم الفاكهة) تعالى كلى معى فاكهة ، من أحب
الأشياء إلى نفسى أن أرى في الفاكهة أثر أسنانك
الصغيرة . أقضى جزءاً صغيراً من هذه الفاكهة ،
وما يبقى منها سألهمه التهاماً

سالوما — لا أشعر بالجوع أبها الأمير
هيرودس — (إلى هيرودية) أنظرى كيف ربيت
ابنتك !

هيرودية — ابنتى وأنا من سلالة ملكية . أما

تيجالان — بعضهم يفعل ذلك ، وهم الرواقيون
إنهم قوم فيهم غلظة وخشونة ، إلى شنود وسخف
كبير ... إني لأجدهم ذوى سخف شديد .
هيرودس — وأنا أيضاً ، من السخف أن يقتل
الانسان نفسه .

تيجالان — الناس في روما يسخرون منهم
ويضحكون ، وقد وضع الإمبراطور في شأنهم شرراً
لاذع التهمك برويه الناس في كل مكان .

هيرودس — آه ! وضع في شأنهم شرراً لاذع
التهمك ؟ قيصر رجل عظيم يستدر غاية الإعجاب .
إنه قادر على كل شيء ... غريب أن يقتل السورى
الشاب نفسه . ما أشد أسنى ! نعم ، آسف لموته جدي
الأسف ، لأنه كان جيلاً ... كان بديع التكوين
رائع القسبات . وكان له عينان ناعستان كبيرتان
وأذ كرأتى رأيتَه ينظر إلى سالوما بطرف ناعس كبير ،
حقاً إني أجد أنه أطال إليها النظر .

هيرودية — من الناس غيره من يطولون إليها
النظر .

هيرودس — كان أبوه ملكاً فطردته من بلاده
وكانت أمه ملكة فجعلت منها يا هيرودية جارية ذليلة
وكذلك كان بيننا كضيف . ومن أجل هذا جعلته
رئيساً للحرس . آسف لموته جد الأسف ... ولكن
لماذا تركتم الجثة في هذا المكان ؟ ينبغي نقلها إلى
جهة أخرى . لا أريد أن أراها ... أحملوها ...
(تحمل الجثة) الجو بارد هنا ، والرياح شديدة . ألا
ترين أن المكان كثير الرياح ؟

هيرودية — كلا ليس في المكان رياح .
هيرودس — بلى ، الحق ما أقول ... أسمع في
الجو صوتاً كصفق أجنحة ، كصفق أجنحة هائلة
ألا تسمعين ؟

يهودى — هذا أمر مستحيل لا يثبت عليه
العقل من بعد إلياس النبي ، لم ير الله أحد . إنه آخر
إنسان رأى الله . فى وقتنا هذا لا يظهر الله نفسه
إنه يستخفى ، ومن أجل ذلك تتوالى على البلاد
المصائب والملمات

يهودى آخر — فى الواقع لا يدري أحد أراى
النبي إلياس الله حقاً أم لا ؟ . إنه على الأرجح رأى
ظل الله فقط

يهودى ثالث — الله لا يستخفى مطلقاً . إنه
يظهر نفسه دائماً فى كل شيء . الله فى الشر وفى
الخير على السواء

يهودى رابع — ينبغي ألا تقول ذلك . هذه
فكرة شديدة الخطر ، فكرة جاءت من مدارس
الاسكندنديية حيث تعلم الفلسفة الاغريقية ...
والاغريق قوم ذوو رقة ، حتى إنهم يمرضون عن
الختان وينفرون منه

يهودى خامس — الإنسان عاجز عن أن يترفع
كيف يعمل الله ويدبر لأن أساليه شديدة الغموض
قد يكون مانسميه شراً هو الخير ، ومانسميه خيراً
هو الشر . لا يستطيع الانسان أن يعرف شيئاً ؟

ومن الضروري الذى لا مفر منه أن نخضع لكل
شيء . الله قوى إلى أبعد حد ، وهو يحطم الضعفاء
والأقوياء فى وقت واحد . إنه لا يهتم لأحد مطلقاً
اليهودى الأول — هذه حقيقة لا ريب فيها .
الله جبار . إنه يسحق الضعفاء والأقوياء كما يسحق
الصح بين شقي الرعى ، ولكن هذا الرجل لم ير الله ؛
لم يره أحد من بعد إلياس النبي

هيرودية — أطلب إليهم أن يكفوا عن الحديث ؛
إنهم يغمزون على الملل

أنت فإن جدك كان يرعى الإبل ! وكان فضلاً عن
ذلك لصاً كما تعلم !

هيرودىس — تكذبن !

هيرودية — تعرف جيداً أنى قلت الحقيقة

هيرودىس — سالوما ، تعالى واجلسى على مقربة
منى . سأعطيك عرش أمك

سالوما — لست متعبة أيها الأمير

هيرودية — إنك ترى جيداً رأيها فيك

هيرودىس — أحضروا ... ماذا أريد ؟ لأدري
آه ! آه ! أذكر ...

صوت يوحنا — حان الوقت ! يقول السيد
لقد وقع مانتبات به . هاهوذا اليوم الذى تكلمت عنه
هيرودية — أسكنوه . لا أريد أن أسمع صوته .

هذا الرجل يقذفنى دائماً بالسباب

هيرودىس — لم يقل شيئاً منك . إنه نبي عظيم
هيرودية — لا أؤمن بالأنبياء . هل يستطيع

إنسان أن يعلم الغيب ؟ هذا أمر لا يعلمه أحد . إنه
يكيّل الشئام لى فى كل حين ، ولكنى أعتقد أنك
تخافه ... أعرف جيداً أنه يمت فى نفسك الخوف
هيرودىس — إنى لا أخافه ولا أخاف أحداً

فى الحياة

هيرودية — بلى إنك تخافه . وإذا كنت
لاتخافه فلماذا لا تسلمه لليهود الذى مضى عليهم ستة

أشهر وهم يلحون فى طلبه منك ؟

يهودى — فى الحق يامولاي ، يحسن أن
تسلمه إلينا

هيرودىس — كف عن الكلام فى هذا الموضوع
فقد أعطيتك جوابى قبل الآن ، وهو لا يتغير ،

لا أريد أن أسلمه إليكم . إنه رجل رأى الله

هيرودس — ولكنني سمعت بعض الناس يقولون إن يوحنا نفسه هو نبيكم إلياس يهودي — هذا لا يمكن أن يكون . لقد مضى على إلياس النبي أكثر من ثلاثة مئة سنة

هيرودس — بعض الناس يقولون إنه إلياس النبي ...

ناصرى — (نسبة إلى الناصرة) أعتقد أنه إلياس النبي

يهودي — كلا

صوت يوحنا — جاء اليوم ، يوم السيد ، وإني لأسمع فوق الجبال وقع قدمي من سيكون منقذ العالم

هيرودس — ما معنى هذا ؟ منقذ العالم ؟

تيجالان — هذا لقب يتخذه قيصر لنفسه

هيرودس — ولكن قيصر لن يأتي إلى يهودية . تسلمت بالأمس رسائل من روما ، وليس فيها ما يدل على عزم قيصر . وأنت يا تيجالان لقد كنت في روما وبكثت بها الشتاء كله ، ألم تسمع شيئاً عن هذا الأمر ؟

تيجالان — حقاً لم أسمع شيئاً أيها الأمير . إنى أفسر اللقب فقط ، إنه أحد ألقاب قيصر

هيرودس — إنه لا يستطيع المجيء . قيصر مصاب بداء النقرس ، ويقال إن له ساق فيل نتيجة المرض ، فكيف يقوى على السفر ؟ يضاف إلى هذا السبب أسباب أخرى مانها أعباء الدولة وسياساتها والمعروف أن من يقادروا ويتشبه عنها يفقدها .

لن يأتي قيصر ولكنه صاحب الأمر على كل حال ، سيأتي إذا شاء ، ولكن يفلب على ظني أنه لن يأتي

الناصرى — ليس عن قيصر تكلم النبي ، أيها الأمير

هيرودس — ليس عن قيصر ؟

الناصرى — كلا أيها الأمير

هيرودس — عمن تكلم إذن ؟

الناصرى — عن المسيح الذي ظهر يهودي — لم يظهر المسيح

الناصرى — جاء المسيح ، وهو يأتي بالمعجزات في كل مكان

هيرودية — أوه ! أوه ! المعجزات ! إنى لا أؤمن بالمعجزات . لقد رأيت منها أكثر مما ينبغي !

(إلى غلامها) مروحى يا غلام

الناصرى — هذا الرجل يأتي بالمعجزات الحقيقية ، فهو مثلاً قد أحال الماء إلى نبيذ في عربس أقيم بمدينة صغيرة من مدن الجليل . وقد حمل إلى هذا الخبر قوم رأوا بأعينهم ما حدث في ذلك المرس ثم رأى أيضاً مريضين بالجذام جالسين أمام باب « كفر ناحوم » فلمسهما بيده فزال عنهما المرض

ناصرى آخر — كلا ، الشخصان اللذان شفاهما في كفر ناحوم لم يكونا مريضين بالجذام ، ولكنهما كانا ضريرين

الناصرى الأول — أخطأت الصواب . كانا مجذومين ، وقد رد البصر أيضاً على كثير من المعى ، وروى على جبل يتحدث إلى ملائكة

صدوق — ليس للملائكة وجود

فريسي — الملائكة كائنة ، ولكن لا أعتقد أن هذا الرجل يتحدث إليها

الناصرى الأول — رأه كثير من السابلة . يتحدث إلى ملائكة

صدوق — ليس إلى ملائكة

هيرودية — ما أشد ضيق هؤلاء الناس ! منهم

إلى قادم من أورشليم ، ولم يسمع عنه حديث منذ شهرين .

هيرودس — الخلاصة أن هذا الجدل ليس بذى شأن . ولكن ينبغي العثور على هذا الرجل وإخباره . من قبلى أنى أحزم عليه إحياء الموتى . إحالة الماء إلى نبيذ وشفاء المجنومين والمعنى ، هذه أمور يستطيع أن يقوم بها إذا شاء . وفى الحق أن شفاء المجنومين عمل كله خير ، ولكن لا أسمح له أن يحيى الموتى ... فقلع أن تعود الموتى إلى الحياة !

صوت يوحنا — السهرة الملوثة ! آه ! البنى آه ! بنت بابل ذات السنين الذهبيتين والجفون الموهبة بلون الذهب ! هذا ما يقول السيد . أثيروا عليها عدداً كبيراً من الناس . فليرجعوا الشعب بالأحجار هيرودية — أسكنوه !

صوت يوحنا — فليطعنوا رؤساء الجند بسيفهم وليسحقوها تحت النعال .

هيرودية — هذه بداية لا تحتمل ! صوت يوحنا — كذلك سأعجو من الأرض الجرائم ، وستعلم النساء جميعاً ألا تحاكى أمام هذه المرأة .

هيرودية — أسمع أنت إلى ما يقذفنى به ؟ وهل تركه يسب زوجك ؟

هيرودس — ولكنه لم ينطق باسمك . هيرودية — وما قيمة ذلك ؟ إنك تعرف جيداً أن سبابه موجه إلى ، وأنا زوجك أليس كذلك ؟ هيرودس — أنت زوجى يا هيرودية العزيزة ، وقد بدأت سلسلة حياتك بأن كنت زوج أختى هيرودية — أنت الذى اقتلعتى من بين ذراعيه اقتلاعاً .

أغبياء كالبهايم ! لا فرق بينهم وبين الأنعام ! (إلى غلامها) أين مرهوتى ؟ (يطبقها الغلام المروحة) أنت ذاهل تحلم ، وهذا لا يجوز . الحالمون مرضى يا غلام (تضرعه بالمروحة فى رفق)

الناصرى الآخر — وهناك أيضاً معجزة فتاة يبروس

الناصرى الأول — نعم هذه حقيقة لا يمكن إنكارها

هيرودية — الجند يستبد بهؤلاء الناس ! لقد أطالوا النظر إلى القمر . قل لهم أن يكفوا عن الثرثرة هيرودس — وما هى معجزة فتاة يبروس ؟

الناصرى الأول — كانت ميتة فأحيائها هيرودس — هل يحيى الموتى ؟ الناصرى الأول — نعم أيها الأمير ، إنه يحيى الموتى .

هيرودس — لا أريد أن يفعل ذلك . أحرم عليه هذا العمل . لا أيسح لأحد أن يحيى الموتى . ينبغي البحث عن هذا الرجل وإخباره أنى لا أسمح له أن يحيى الموتى . أين هو الآن ؟

الناصرى الآخر — إنه فى كل مكان أيها الأمير ولكن من العسير العثور عليه .

الناصرى الأول — يقال إنه الآن فى السامرة يهودى — من الجلبى أنه ليس بالمسيح إنما كان فى السامرة ، لا يمكن أن يأتى المسيح للسامريين لأن عليهم اللعنة ، إنهم لا يهدون إلى المبدد القرايين الناصرى الآخر — غادر السامرة منذ أيام ، واعتقادتى الشخصى أنه الآن فى ربض من أرياض أورشليم .

الناصرى الأول — كلا . إنه ليس حيث تقول

هيرودس — ربما يكون غلامًا يحضر الله
 هيرودية — ما نوح خمر الله هذا ؟ من أى
 كرم استخرجت ؟ فى أى معصرة توجد ؟
 هيرودس — (نظره عائق يسالوما لا يفارقها)
 تيجالان ، حينما كنت فى روما أخيراً ألم يتحدث
 إليك الامبراطور فى شأن ... ؟
 تيجالان — فى أى شأن أيها الأمير ؟
 هيرودس — فى أى شأن ؟ آه ! لقد وجهت
 إليك سؤالاً ... أليس كذلك ؟ نسيت ما كنت
 أريد معرفته

هيرودية — ما تزال تنظر إلى ابنتى . لا يجوز
 أن تنظر إليها . سبق أن قلت لك ذلك
 هيرودس — إنك لا تقولين شيئاً آخر
 هيرودية — وأكرر ما أقول
 هيرودس — وإصلاح المبدأ الذى كثر الحديث
 عنه ؟ هل فى النية إتخاذ شيء ؟ يقال إن برقع المحراب
 قد فقد ، أليس كذلك ؟
 هيرودية — أنت الذى أخذه . مالى أراك ذاهلاً
 مضطرباً فى سبيل الحديث ؟! ألا أريد البقاء هنا ...
 هلم ندخل

هيرودس — سالوما أرقصى أمام عيني إرضاء لى
 هيرودية — لا أريد أن ترقص ابنتى —
 سالوما — لا أشعر بأقل ميل إلى الرقص أيها
 الأمير

هيرودس — سالوما يا بنت هيرودية ، أرقصى
 إرضاء لى

هيرودية — دعها ولا تكدر هدوءها
 هيرودس — آمرك أن ترقصى يا سالوما
 سالوما — لن أرقص أيها الأمير

هيرودس — فى الحق أنى كنت الأقوى ...
 ولكن دعينا من هذا الموضوع ، لا أريد أن أطرقه
 ومن أجله نطق النبي بكلمات هائلة ، وقد تحدث
 من أجله مصيبة . فلنتجنب الحديث فى هذا الشأن
 يا هيرودية النبيلة ، لقد نسيتنا ضيوفنا ، صبي لى التبيذ
 يا أعز الناس على ... امثلى الأقداح الكبيرة الفضية
 والزجاجية بالتبيذ . سأشرب نخب قيصر وصحته .
 هنا فئة من الرومان ، وينبغى أن نشرب نخب صحة
 قيصر .

الجميع — قيصر ! قيصر !

هيرودس — إنك لا تلاحظين مبلغ اصفرار ابتك
 هيرودية — وما ذى همك ؟
 هيرودس — لم أرها قط مصفرة إلى هذا الحد
 هيرودية — يبنى ألا تنظر إليها

صوت يوحنا — فى ذلك اليوم ، ستصبح
 الشمس سوداء ككليس من شعر فاحم ، والقمر
 أحمر كالدم ، وستسقط نجوم السماء على الأرض كما
 يسقط التبن الأخضر من الشجرة ، ويملك الرعب
 قلوب الملوك

هيرودية — آه ! آه ! ما أشد شوقى إلى رؤية
 ذلك اليوم الذى يتحدث عنه ، حين يصبح القمر
 كالدم وتسقط النجوم على الأرض كالنبت الأخضر !
 هذا النبي يتكلم كرجل غل ... ولكنى لا أستطيع
 احتمال صوته . إنى أكره صوته وأمقته . مره
 بالنسكوت

هيرودس — كلا . إنى لم أسمع ما قال ، ولكن
 ربما يكون قوله كاشفاً عن الغيب

هيرودية — لا أؤمن بهذا المرء الذى يسمونه
 كاشفاً عن الغيب . إنه يتكلم كرجل لبست بقلبه الحمر

هيرودية — (ضاحكة) أ رأيت كيف تطعمك ؟ !
 هيرودس — وماذا يهمني إن رقصت أو رفضت ؟
 هذا أمر لا قيمة له عندي . إنني سعيد في هذا المساء ..
 سعيد إلى حد كبير ... لم أكن قط سعيداً إلى مثل
 هذه الدرجة

الجندى الأول — يبدو الا ككتاب على الأمير
 ألا ترى أنه غير مبتهج ؟

الجندى الثاني — عليه أمارات الحم والاكثاب
 هيرودس — ولماذا لا أكون سعيداً ؟ قيصر ،
 وهو سيد العالم ، سيد كل شيء ، يحبني كثيراً .
 وقد أرسل إلي في الأيام الأخيرة هدايا عظيمة القيمة
 ووعدني فضلاً عن ذلك بأن يدعو إلى روما ملك
 كابادوس عدوي اللد . ربما يصله في روما .
 قيصر يستطيع أن يفعل كل ما يريد . إنه سيد العالم
 بلا جدال . من هذا ترون أن لي الحق في أن أكون
 سعيداً . لا شيء في العالم يستطيع أن يكدر سروري
 أو يفسد علي أبتهاجي

صوت يوحنا — سيكون جالساً على عرشه في
 ثياب أرجوانية وقرمزية ، وسيحمل في يده إناء
 من ذهب مملوء بضروب تمجديه . سيضربه ملاك
 السيد ، وسيكون للديدان طعاماً

هيرودية — أ سمعت لما يقول عنك ؟ يقول
 إنك ستكون طعاماً للديدان

الجندى الأول — نعم إنه مكتتب
 هيرودس — سالوما ، سالوما ، أرقص أمام
 عيني . أضرع إليك أن ترقص . إنني حزين هذا
 المساء . نعم حزين جداً هذا المساء . لا وطئت هذا
 المكان أنزلت قدمي في الدم ، وهذا نذير شر .
 وصمت ، وأنا واثق بأنني سمعت في الجو صفق أجنحة
 هائلة ، لا أدرى ما معنى ما سمعت ... إنني حزين هذا
 المساء ، ومن أجل ذلك أريد أن ترقص أمام عيني

هيرودس — لم يتكلم عني . إنه لا ينطق بشيء
 ضدي ألبتة . إنه يعني بقوله ملك كابادوس عدوي ،
 وهو الذي سيكون طعاماً للديدان ، ولست أنا أمير
 يهودية . لم يقل النبي شيئاً ضدي قط ، سوى أنني
 أخطأت بالزواج من امرأة أخي . ربما يكون على
 حق . والحقيقة التي لا تقبل الشك أنك عاقر

على التقيض من ذلك شديد الحرارة . أختنق من شدة الحر . صبي على يدي ماء . أعطني ثلجاً آكله ، حلّ عباتي . أسرع ، أسرع ، حلّ عباتي ... كلا ، دعها كما هي . إنه تاجي الذي يؤلمني ، تاج الورد هذا . لكأن هذه الورد قد خلقت من نار .

إنها أحرقت جبيني (ينزع التاج من رأسه ويشبه على اللاتئة) آه ! الآن أنتفس . ما أشد حمرة هذه الورد ! كأنها تقط من الدم على غطاء اللاتئة الأبيض . ليس هذا شيئاً مذكوراً . ينبغي ألا يرى الانسان رموزاً في كل شيء يقع عليه بصره حتى لاتكون الحياة مستحيلة الاحتمال . الأفضل أن يقال إن تقط الدم جميلة كالورد . أفضل كثيراً أن يقال ذلك . ولكن دعونا من هذا الموضوع ... الآن ، إني سعيد إلى أقصى حد . لي الحق في أن أكون سميماً أليس كذلك ؟ سترقص ابنتك إرضاء لي . سترقصين لي ياسالوما ، أفى ذلك شك ؟ لقد وعدت بأن ترقصي لي

هيرودية — لا أريد أن رقص

سالوما — سأرقص لك أيها الأمير

هيرودية — أأسمعين إلى قول ابنتك ؟

سترقص لي . أنت على صواب ياسالوما في إجابة طلبي والرقص أمام عيني . وفي نهاية الرقص لاتنسى أن تسأليني كل ماتصوب إليه نفسك . كل ماترغبين فيه ، سأعطيك إياه ، ولو كان نصف ملكي . لقد أقسمت ، أليس كذلك ؟

سالوما — أقسمت إلى أيها الأمير

هيرودية — ولم أخلف قط وعدي . لست من هؤلاء الذين ينقضون كلهم ويخونون بهودهم . لا أعرف كيف أكتب . إني عبد كلتي ، وهي كلمة

أرقصي إرضاء لي . سالوما ، أضرع إليك . إذا رقصت لي ، فإن في استطاعتك أن تسأليني كل ماترغب فيه نفسك ، وسأعطيك كل ماتطلبين ، ولو كان نصف ملكي

سالوما — (تنهض) ستعطيني كل ماتطلب أيها الأمير ؟

هيرودية — لا ترقصي يا ابنتي

هيرودية — كل شيء ، ولو طلبت نصف ملكي

سالوما — أقسم أيها الأمير ؟

هيرودية — أقسم ياسالوما

هيرودية — يا ابنتي لا ترقصي

سالوما — بأي شيء أقسم أيها الأمير ؟

هيرودية — بحياتي وتاجي وأكفتي ، سأعطيك

كل ماتطلبين ولو كان نصف ملكي ، إذا رقصت لي

أوه ! سالوما ! سالوما ! أسمعيني بالرقص أمام عيني

سالوما — لقد أقسمت أيها الأمير

هيرودية — أقسمت ياسالوما

سالوما — كل ماتطلب ولو كان نصف ملكك ؟

هيرودية — لا ترقصي يا ابنتي

هيرودية — ولو كان نصف ملكي . ستكونين

ملكة رائعة الجمال خلافة المنظر إذا سرك أن تطلعي

نصف ملكي . ألا ترين يا هيرودية أنها تكون رائعة

الجمال إذا غدت ملكة ؟ آه ! الجو بارد هنا ! الجو

شديد البرودة ، وأسمع ... لماذا أسمع في الجو صفق

أجنحة ؟ أوه ! يخيل لي أن طائراً هائلاً أسود

اللون يحلق فوق الشرف ! لماذا لا أستطيع رؤية

هذا الطائر ؟ صفق جناحيه رهيب خفيف ، والهواء

الذي يأتي من جناحيه رهيب مرعب . إنه هواء

بارد ... ولكن لا ... ليس الجو بارداً ، بل هو

كان على حق للمرة الأولى في حياته . ملوك الأرض
يستولون عليهم العرب ... يحسن أن ندخل . أنت
مرضى ، وسيقال لأهل روما إنك مجنون ...
هلم ندخل

صوت يوحنا — من هذا المنحدر من عيساف
ابن إسحق القادم من بصرى (بلد الشام كانت تحت
حكم الرومان) في ثوبه الأرجواني ، للشرق الطلعة في
جبل ثيابه ؟ من هذا الذي يعيش في قوة هائلة أخاذة ؟
لماذا ثيابك ذات ألوان قرومية ؟

هيرودية — هلم ندخل . صوت هذا الرجل
يهيج أعصابي ويشتت الضيق في صدري . لا أريد
أن ترقص ابنتي وهو يصرخ على هذه الصورة ، لا
أريد أن ترقص ابنتي وأنت تنظر إليها هكذا
هيرودس — لا تنهني يا زوجي ، يا مليكتي ،
فلن يكون لإصرارك أية ثمرة . لن أرحم مكاني حتى
ترقص ابنتك . أرقصي يا سالوما ، أسعديني بالرقص
كما وعدت

هيرودية — لا ترقصي يا ابنتي
سالوما — إليك الرقص أيها الأمير
(ترقص سالوما رقصة البراقع السبعة)

هيرودس — آه ! رقص غم رائع ! إنك ترين
أن ابنتك قد رقصت لي . اقربي يا سالوما ! اقربي
حتى أستطيع أن أعطيك أجر ما فعلت . إني كريم
مع الراقصات إلى حد كبير . وسأعطيك من الأجر
ما يرضيك . سأعطيك كل ما تطلين . ماذا تريدن ؟
تكلمي

سالوما — (راكبة) أريد أن يقدم إلي الآن
في طست من الفضة ...

هيرودس — (ضاحكا) في طست من الفضة ؟
(٦)

ملك . ملك كلابدوس يكذب دائما ، ولكنه ليس
ملكا حقا . إنه جبان ضعيف الخلق ، ودليلي على
ما أقول أن لي عنده مالا لا يريد أن يرى منه
ذئته ، ولم يقف عند هذا الحد ، بل آمن في الصفاقة
وأهان سفرأئي ونطق بأقوال جارحة مريرة . ولكن
قيصر سيصلبه في روما حين يذهب إليها الجبان .
إني واثق بأنه سيصلبه ... إيه ! سالوما ، أفي انتظار
شيء أنت ؟

سالوما — أنتظر جواردي يحضرني إلي الطبيب
والبراقع السبعة ، ويخلعن نعلي (الجوارى يحضرن
الطيب والبراقع السبعة ويخلعن نعلي سالوما)

هيرودس — آه ! سترقصين عارية القدمين ؟
هذا حسن ، جميل . ستكون قدماك كيمتين ناصعتي
البياض . إنهما أشبه شيء بزهرتين صغيرتين ناصعتي
البياض ترقصان على غصن شجرة ... آه ! لا ...
سترقص على الدم على الأرض دم . لا أريد أن
ترقص في الدم . إنها لو فعلت لكان ذلك نذير
شر وشؤم

هيرودية — وماذا يهيك من رقصها على الدم ؟
لقد سرت أنت فيه ولوئت به نمليك

هيرودس — وماذا علي من ذلك ؟ آه !
أنظري إلى القمر ! لقد صار أحمر كالدم ، آه ! النبي
تنبأ بذلك . قال إن القمر سيصير أحمر كالدم ، أليس
كذلك ؟ لقد سمعتم إلى قوله جيما . صار القمر أحمر
كالدم ، ألا ترونه ؟

هيرودية — أراه جيدا ، والنجوم تسقط كالطين
الأخضر ، أليس كذلك ؟ والشمس ستغدو سوداء
ككيس من شعر فاحم ، وملوك الأرض يستولون
عليهم العرب . هذا ظاهر واضح على الأقل . النبي

هيرودس — أسكني إني لا أوجه إليك الحديث
 هيرودية — ابني على حق في طلب رأس هذا
 الرجل . إنه قذفي بالسباب ورماني بأشنع الأقوال
 لا تنزلي عن طلبك يا ابني . لقد أقسم أمام
 الحاضرين جميعاً

هيرودس — أسكني . كفى عن مخاطبتي ...
 أصني إلي ياسالوما ، ينبغي أن يتغلب العقل على الهوى
 أليس كذلك ؟ أفرغني إلى العقل فذلك أجدى عليك .
 إني لم أقس عليك قط ولم يبد مني إساءة بتأخيرتها
 علي . لقد أحبتك في كل حين ... وربما ذهبت في
 حبك إلى جدد النالوالاغراق ، ومن أجل هذا
 أرجو أن تعدل عما طلبت . إن ماتطلين بشع خفيف .
 وفي الحق أتى لا أعتقد أنك جادة في طلبك . رأس
 إنسان مقطوع ، هذا شيء دميم ، أليس كذلك ؟
 هذا شيء لا يجوز أن تراه عذراء . أي سرور يبعثه
 في نفسك هذا المنظر الفظيع ؟ إنه لا يبعث في
 النفس غير التفرز والاكتئاب . كلا ، كلا ، إنك
 لا تريد ذلك ... أصني إلي لحظة . عندي زمردة ،
 زمردة كبيرة مستديرة أرسلها إلي أقرب المقرين
 إلى قيصر . إذا نظرت خلال هذه الزمردة استطعت
 أن تشاهدي أشياء تقع على مسافة هائلة . قيصر
 نفسه يحمل زمردة تماثلها تماماً حين يذهب إلى
 القرق (أي السرك) ولكن زمردتي أكبر .
 أعرف جيداً أنها أكبر . إنها أكبر زمردة في
 العالم . إنك تريدونها أليس كذلك ؟ أعطيك إياها
 فاطلبها مني .

سالوما — أطلب رأس يوحنا

نعم في طست من الفضة دون شك . إنها فاتنة خلافة
 أليس كذلك ؟ ما الذي تريد أن يقدم إليك في
 طست من الفضة يا عزيزتي الجميلة سالوما ، يا أجل
 فتيات يهودية ؟ تكلمي . مهما يكن الشيء الذي
 تطلبين ، فاني أعطيك إياه . كنوزي بين يديك وهي
 ملك لك . ماذا تطلبين يا سالوما ؟

سالوما — (تنصب على قدميها) رأس يوحنا
 هيرودية — آه ! قول صائب يا ابني
 هيرودس — لا . لا .

هيرودية — أحسن ما يقال يا ابني
 هيرودس — كلا ، كلا ياسالوما . إنك لا تطلبين
 ذلك . لا تستمي إلى قول أمك . إنها تقدم إليك
 دائماً الرأي الموجه والنصح السلي . لا تعيرى قولها
 التفتاناً .

سالوما — إني لا أتبع نصيح أي ، ولكني
 أطلب رأس يوحنا في طست من الفضة تحقيقاً لمسة
 نفسي . لقد أقسمت يا هيرودس . لا تنس أنك
 أقسمت

هيرودس — أعرف ذلك . أقسمت بالهتي .
 أعرف ذلك جيداً ، ولكني أضرع إليك ياسالوما
 أن تطلبي مني شيئاً آخر غير الذي طلبت . اطلبي
 مني نصف ملكي أمتحك إياه . ولكن لا تسأليني
 ما طلبت

سالوما — أسألك رأس يوحنا
 هيرودس — كلا ، كلا ، لا أريد
 سالوما — لقد أقسمت أيها الأمير

هيرودية — نعم أقسمت أمام الحاضرين جميعاً
 وبلغ القسم مسامعهم

الجمال مثل هذه . سأعطيك خمسين طاووساً منها ،
 فكيف ترين ؟ ستبئك أبنا سرت ، وستكونين بينها
 كالقمر وسط سحابة كبيرة بيضاء ... سأعطيك
 كل ما أملكك منها . ليس عندى إلا مائة ، وليس فى
 العالم ملك يملك طواويس مثل التى عندى ، ولكنى
 سأعطيك إياها جميعاً . ويبنى فى مقابل هذا أن
 تحلىنى من كلتى وتعبدى عما طلبت
 (يفرغ كأس النبيذ فى جوفه)

سالوما — أعطنى رأس يوحنا

هيرودية — أحسنت القول يا ابنتى ! أما أنت
 فانك شديد السخف بطواويسك

هيرودس — أسكتى ، إنك تصرخين دائماً .
 تصرخين كحيوان مفترس . لا يجوز أن تصرخى
 هكذا . صوتك يبعث فى نفسى الملل . ربما يكون
 هذا الرجل مرسلًا من قبل الله . أعتقد أنه مرسل
 من قبل الله . إنه لرجل طاهر مقدس . لقد لمسه
 الله بأصبعه ، ووضع فى فمه كلمات خفيفة هائلة . الله
 دائماً معه ، فى القصر وفى الصحراء على السواء ...
 هذا ممكن على الأقل لا نستطيع أن نجزم ، ولكن

ليس بمستحيل أن يكون الله معه يحبه ويشد أزره .
 ومن أجل ذلك قد تحدث مصيبة إذا مات هذا
 الرجل ... ألم يقل إنه فى اليوم الذى سيموت فيه
 ستنقص مصيبة على أحد من الناس ؟ قد لا نصيب
 غير شخصى . أذكرى أنى ارتلقت على الدم حين
 دخلت الشرف ، ثم سمعت صفق أجنحة فى الهواء .
 حدثان يتدنان بالشر من غير شك ... هية ! سالوما
 إنك لا تريدان أن تسيين مصيبة ، أليس كذلك ؟
 أوه ! استمعي ؟

هيرودس — أنت لاهية عني لا تسمعين لقولى
 أوه ! دعيني أتكلم يا سالوما
 سالوما — رأس يوحنا

هيرودس — كلا ، كلا ، إنك لا تريدن ذلك .
 تقصدين بطلبك هذا إلى إيلامي ليس غير ، لأنى
 أطلت إليك النظر هذا المساء . إيه ! نعم نظرت إليك
 المساء كله ... جمالك بعث فى الاضطراب ... جمالك
 غمز على الاضطراب الشديد ، وقد حدثت فيك
 أكثر مما ينبغي ، ولكنى لن أعود إلى مثل هذا
 العمل . يبنى ألا ينظر الانسان إلى الأشياء ولا إلى
 الأشخاص ... لا يجوز النظر إلا فى الرايا لأنها
 لا تظهر لنا إلا أقنعة ... أوه ! على بئيد ! الظلم
 يستبد بى ... سالوما ، سالوما ، فلنكن صديقين ...
 تفهمى قولى ... ماذا كنت أريد أن أقول ؟ فى أى
 شأن كنا ؟ آه ! أذكر الآن ! ... سالوما ، كلا ،
 اقتربنى أكثر من ذلك . أخشى ألا يصل صوتى إلى
 سمعك ... سالوما ، تمرفين طواويسى البيضاء الجميلة
 التى ترحح فى الحديقة بين الآس البرى وأشجار السرو
 الكبيرة ، مناقيرها ذهبية والحب الذى تأكله ذهبى
 أيضاً ، وأرجلها فى لون الأرجوان . إذا صرحت
 هطلت الأمطار ، وإذا تبخرت وعقدت ذيلها على
 شكل مروحة بزغ القمر ؟ وهى تسير اثنتين اثنتين
 بين أشجار السرو والآس البرى الأسود ، ولكل
 طائر منها عبد يقوم بشأنه . وفى بعض الأحيان
 تطنز خلال الشجر ، وفى أحيان أخرى ترقد على
 المشب وحول البحيرة . ليس فى العالم طير لها مثل
 سحرها ، ليس فى العالم ملك يملك طيراً بحجية مثل
 هذه . أعتقد أن قيصر نفسه لا يملك طيراً رائعة

سألوها — أعطني رأس يوحنا

هيرودس — أترى أنك لاتصنين إلي؟ !
ولكن تملق الهدوء . أنظري إلي ، إني هادىء إلى
أقصى حد . أصنى إلي ، عندى حل غبابة هنا لم
يرها أحد ، وأبك نفسها لم يقع عليها بصرها قط ،
حلى عجيبة تدهش العقل وتبهز النظر . عندى عقد
من اللؤلؤ ذو أربعة صفوف ، من برى هذه اللآلىء
يخيل إليه أنها أقمار قد سلكت فى أشعة من فضة .
لكأنها خمسون قرأ فى أسر خيط من ذهب ، وقد
حملته فيها مضى ملكة على صدرها الماحى . أما أنت
فانك حين تضعينه على صدرك ستكونين جميلة
رائمة كملكة . عندى نوعان من جوهر عجيب ،
أحدهما أسود اللون كالنبيذ ، والآخر أحمر اللون
كالنبيذ إذا مزج بالماء . عندى أحجار كريمة من
الزبرجد الأصفر كميون النمر ، ومن الزبرجد
الوردي كميون الحمام ، ومن الزبرجد الأخضر
كميون القطط ، عندى أحجار لبنية تضيء دائماً
بشملة باردة لا أثر للحرارة فيها ، وأحجار لبنية
أخرى تحزن الأفكار وتمسح الطفلات . عندى
كثير من أحجار الجزع Onyx تشبه إنسان عين
امرأة ميتة . عندى أحجار زبد القمر Selenites
تغير حين يتغير القمر وتصبح صفراء مبهوتة حين
ترى الشمس . عندى صغير (١) كبير الحجم
كالبيض ، وأزرق اللون كالآزهار الزرقاء ، البحر
يموج فى داخله والقمر لا يعكر البتة زرقة أمواجه .
عندى أنواع كثيرة من الزبرجد والياقوت
والحجر النيسان والأخيلدونيا ، وسأعطيك كل

هذا لا أقص منه شيئاً ، وسأضيف إليه أشياء
أخرى . أذكر الآن أن ملك الهند أرسل إلي منذ
أربعة أيام مراوح مصنوعة من ريش البغاء ،
وأرسل إلي ملك نوميديا ثوباً مصنوعاً من ريش
النعام . عندى امرأة من البلور لا يجوز للنساء أن
تراها ، والفتيان أنفسهم لا يجوز أن يروها إلا بعد
أن يضربوا على ظهورهم بالمصى والقضبان . وعندى
فى خزانة من الصدف ثلاثة أحجار من الفيروز
عجيبة فتاة ، إذا وضعها الإنسان على جبينه استطاع
أن يتصور أشياء لا وجود لها ، وإذا حملها فى يده
استطاع أن يضرب القم على النساء . إنها كنوز
نفيسة لا تقدر بثمن . وليس هذا كل شيء . عندى
فى خزانة من الأبنوس قدحان من عنبر كتفاحتين
من ذهب ، إذا صب فيهما عسلو سما ، صارا
كتفاحتين من فضة . وعندى فى خزانة مرصعة
بالتنبر نعال مرصعة بالزجاج . عندى عباءات ثمينة
وأساور مخلاة بالياقوت واليشم Gade من صنع
مدينة الفرات ... تكلمى ، ماذا تريدن ياسألوها ؟
أفصحى عما تريدين فيه حتى أعطيك إياه . سأعطيك
كل ما تطلبين إلا شيئاً واحداً . سأعطيك كل
ما أملك إلا حياة واحدة . سأعطيك عبادة الكاهن
الأكبر . سأعطيك برقع الحراب
اليهود — أوه . أوه !
سألوها — أعطنى رأس يوحنا

هيرودس — (يغور فى مقعده) ليكن لها ما تطلب
حقاً إنها بنت أمها !

(الجندي الأول يقترب . هيرودية تأخذ من يد الأمير
خاتم الموت فيتناول منها الجندي ويحمله سريماً إلى
الجلاد . الجلاد يندو عليه الفزع)

فاكهة ناضجة . نعم سأقبل ثورك يا يوحنا . قلت لك
إني سأقبله أليس كذلك ؟ إذن سأقبله الآن ...
ولكن لماذا لا تنظر إلي يا يوحنا ، هناك الجوارتان
الخفيفتان اللتان كانتا مليئتين بالغضب والازدراء ،
أراهما الآن منفقتين ، ولماذا أراهما مغمضتين ؟ افتح
عينيك ، أرفع جفنيك يا يوحنا . لماذا لا تنظر إلي ؟ هل
أبث فيك الخوف فلا تريد أن تنظر إلي ؟ ...
ولسانك الذي كان كشيء من اللحم ينفث السم ...
إنه ساكن لا يتحرك هذه الحية الجراء التي رمتني
بسمها : لا تقول الآن شيئاً ، هذا غريب ، أليس
كذلك ؟ كيف حدث أن الحية الجراء لم تعد
تتحرك ... ؟ لم تشأ أنت أدنو منك وألمسك
لقد رفضت ودي يا يوحنا وكنت لي الأقوال الشائنة
وعلمتني كسبتهرة ، كبنى ، أنا سالوما بنت هيرودية
أميرة يهودية ها أناذي يا يوحنا ما أزال على قيد الحياة
أما أنت فأنك ميت ورأسك في حوزتي وملك لي ،
وفي استطاعتي أن أقبل به ما أشاء ؟ في استطاعتي
أن ألقيه للكلاب ولطير الهواء ، فتشه الكلاب
وتلهمه طير الهواء . آه يا يوحنا يا يوحنا ، أنت الرجل
الوحيد الذي أحببته ... كنت جيداً يا يوحنا ...
جسمك كان عموداً من العاج على قاعدة من الفضة
كان حديقه تتوج بالجمام وأزهار السوسن النضجة .
كان رجلاً من الفضة مزدهناً بقواهم من العاج .
ليس في العالم جسم في مثل بياض جسمك . ليس
في العالم شيء يماثل شعرك في سواده . ليس في العالم
كل شيء يضارع ثورك في جمرة . كان صوتك مبعرة
ينتشر منها غير غريب ، وحين كنت أنظر إليك ،

من ذا الذي أخذ خاتمي ؟ كان في يدي اليمنى
خاتم . من ذا الذي شرب نبيذى ؟ كان في قدي
نبيذ ... آه ! ستحدث مصيبة من غير شك
(الجلاء ينزل إلى الصهريج) آه ! لماذا أعطيت كلتي
وقطعت على نفسي عهداً ؟ يجب على الملوك
ألا يعدوا أو يقطعوا على أنفسهم عهداً . فطبع إذا
أخلفوا ولم يوفوا ، وقطيع أيضاً إذا روا بوعدهم ..
هيرودية — أجد أن ابنتي قد أحسنت صنعا
هيرودس — ستحدث مصيبة من غير شك
سالوما — (تنح على الصهريج وتنتص) لا أسمع
صوتاً . لماذا لا يصرخ هذا الرجل ؟ آه ! لو حاول
أحد أن يقتلني لصرخت وقاومت ... اضرب
اضرب يا نعمان . إني لا أسمع شيئاً في الصهريج
سكون رهيب ! سقط على الأرض شيء . سمعت
شيئاً يسقط ... إنه سيف الجلاء . استولى الخوف
على هذا العبد ، ينبغى إرسال جند (ترى غلام هيرودية
تفناطيه) تمال هنا . قل للجند أن ينزلوا إلى الصهريج
وتحصروا لي ما طلبته ، ما وعدني به الأمير — ما هو
ملكى (الغلام يتراجع مذعوراً ، تفناطيه سالوما الجند)
أيها الجند ، انزلوا إلى الصهريج وجيئوني برأس ذلك
الرجل (الجند يتراجعون) أيها الأمير ، أيها الأمير ،
مر جنودك أن يأتوني برأس يوحنا (يدكية سوداء
يد الجلاء تخرج من الصهريج حاملة رأس يوحنا على ربح من
الفضة . تتناول سالوما الرأس . هيرودس ينجني وبخه بعبادة
هيرودية بتسم وتهمز مروحتها . الناظران يركمان ويشرعان
في الصلاة) . آه ! لم تشأ أن تدعني أقبل ثورك يا يوحنا
إذن سأقبله الآن . سأعضه بأسناني كما يعض الإنسان

سوداء تمر بوجه القمر وتجنبه تماماً . المرح يفره
ظلام دامس ويشرع الأمير في الصعود على السلم الكبير)
صوت سالوما — آه ! لقد قبلت نترك يا يوحنا
كان على شفتيك طعم حريف لاذع . أكان هذا
طعم الدم ؟ ربما كان طعم الحب . يقال إن للحب
طعماً لاذعاً ... ولكن ماذا يهم ؟ لقد قبلت نترك
يا يوحنا

(يقطع على سالوما شعاع من ضوء القمر وينيرها)
هيروودس — (يلتفت إلى الخلف ويرى سالوما)
اقتلوا هذه المرأة !

(الجند يتقضون على سالوما بنت هيرودية أميرة يهودية ،
وليحقونها بسلاحهم)
(تمّت)

مربها
مسن صادم

تاريخ الأدب العربي

لؤي ستاز أحمد مسن الزيات

الطبعة السادسة

في حوالى ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط
يمرّض تاريخ الأدب العربي منذ نشأته إلى اليوم
في صورة قوية تحليلية رائعة
ثمّة عشرون قرشاً ويطلب من إدارة الرسالة
ومن لجنة التأليف ومن سائر المكاتب

كنت أسمع موسيقى عجيبة ! آه ! لماذا لم تنظر إلى يا يوحنا ؟
خلفت يديك وسبابك وشتائمك ، أخفيت وجهك .
لقد وضعت على عينك عصابة ذلك الذي يريد أن يرى
ألمة . إذن رأيت ربك يا يوحنا ، أما أنا ، فأنك لم ترى .
قط . لو رأيته لأحببته كجاراتك يا يوحنا وأحببتك .
أوه ! لشد ما أحببتك وما أزال أحبك يا يوحنا .
لا أحب سواك ... إلى متعطشة إلى جمالك ، متلهفة
على جسمك ، ولئن يهدد رغبتى نبيذ أو فاكهة .
ماذا أفعل الآن يا يوحنا ؟ لا الأنهار ولا البحار
تستطيع أن تطفى غلة هواى . كنت أميرة فازدريتنى ،
وكنت عذراء فقصيت على نفرتى ، وكنت على طهر
فلأنت عروقى بالنار ... آه ! لماذا لم تنظر إليّ ؟
يا يوحنا ؟ لو نظرت إليّ لأحببته . أعرف جيداً
أنك لو نظرت إليّ لأحببته ، وأن لفر الحب أكبر
من لفر الموت . لا يبنى النظر إلا إلى الحب

هيروودس — إنها وحش يشغ . ابنتك وحش
مفترس . إن ما فعلته لجريمة كبرى من غير شك .
أعتقد أن ما فعلته جريمة ضد إله مجهول

هيرودية — أفرعمل ابنتى وأريد البقاء هنا الآن
هيروودس — (وهو ينهش) آه ! الزوجة الأثمة
التي تتكلم ! المرأة التي تفر المحرمات ! هيا
لا أريد البقاء في هذا المكان ... ستحدث مصيبة
لا محالة ... ماناس ، أساكار ، أوزياس ، أطفنوا
المشاعل حتى لا أرى الأشياء ولا ترائى . أطفنوا
المشاعل . إحجبوا القمر وانثروا على النجوم غطاء
هلم نحتبىء . في قصرنا يا هيرودية فقد بدأت أشعر
بالخوف

(العبد يطفنون المشاعل . النجوم تخفى . سحابة كبيرة

كانت تقصص
من البرد وترتد من
الجوع ، وتسير
متحاملة على نفسها
تجر قدميها جراً...
كانت صورة من
التماسة تلك الفتاة
المسكينة ! وقد تغطي

بالثلج شعرها الأصفر المسترسل الجميل ، وتدلث منه
خصلات نامت على جيدها الأبيض الناصع . ولكن
تلك الفكرة لم تكن لتطيف بذنها إذ ذاك ، فقد
كان النور يشع من النوافذ ، ورائحة الأوز المشوي
تفوح في الفضاء مؤذنة بميلاد عام جديد . فالتبذت
ركناً مزوياً نجحت على ركبتيها ، وتقبعت في
مكانها ، والبرد يسرى في أعضائها قارساً للأعماق .
ولكنها لم تكن لتجرو على الذهاب إلى منزلها ، وما
باعت من ثيابها شيئاً ، فعصا الأب تترقب ، وسقف
البيت مهدم خاوي تمت به الريح ، ويصفر فيه الهواء
كان البرد يحد يدبها الصغيرتين ، فتفكر في
عود من الثقب تأخذ من الحزمة ، فتشمله في
الخانط ، فتدق يديها على لحيه . وما تمالكت أن
فلت فاضاء المود بلهب ساطع كنور الشمعة ،
نخيل الفتاة أنها جالسة بإزاء موقد ذى ألوان ، له
قاعدة من نحاس وغطاء من نحاس لامع . ما أجل
النار تبعث الدفء في الأطراف ، والظائنة في
النفس ! ولكن اللب الضئيل لم يلبث إلا قليلاً حتى
خيا . فتبخر في الهواء موقدها النحاسي اللامع ،

البائع الصغيرة

للكاتب الدانمركي هانز أندرسون
بقلم شكرى محمد عباد

كان البرد يشتد ، والثلج ينهمل ، والظلام
يحولك ، والليل يسدف لينبلج عن صبح عام جديد .
وكانت تضرب في همة الليل وصيارة القرفانة حاسرة
الرأس عارية القدمين : كانت تنتمل خفين عندما
غادرت منزلها ، ولكنها كانتا واسعتين فقد كانتا
قبل لأمرها . وبينما هي تعبر الطريق أمام عربيتين
مسرعتين أضاءت خفيها . فأما الأولى فلم تجد لها أثراً ،
وأما الأخرى فقد خلفها طفل وجري . فراحت الطفلة
تجوب الطرقات وقد تمررت قدماها ، واحرثا من
برد وازرقنا . وكانت تحمل في جيب ثوبها المتين
حزماً من الثياب ، وفي يسراها حزماً ، وقد أدبر
النهار وما باعت منها شيئاً ، ولا حصلت ليومها
فلساً

يعد هانز كريستيان أندرسون عميد الأدب الدانمركي بنير
منازع . وقد ذهب جميعه فيها وراء وطنه . واشتهر بين
كتاب الغرب قصصاً له مذهب خاص في القصة . وكثير من
الغدا يحذف « الخرافة Faaly Stery » من القصة . إلا
ما كتب أندرسون . وقليلون غيره ، في هذا الباب .
« والبائسة الصغيرة » على الرغم من قصرها قطعة رائعة من
الأدب ، ومثال دقيق من فن ذلك الأدب .

وطارت بها في عالم من البهاء والسرور ، وحلقت
بها في السموات العلى ، وحلتها من الأرض إلى
حيث لا يبرد ولا جوع

غير أن الطفلة كانت تجلس في ركنها ، مستندة
إلى الحائط وقد احمرت وجنتاها ، وانفجرت
شفتاها عن ابتسامة سعيدة ، هناك كانت ترقد
أيسها القر ، وقد احترقت علبه من تقابها ، فقال
الناس : « لقد أرادت أن تدفن نفسها » وما علم الناس
أى جمال رأت ، ولا بأى احتفال حملت إلى السماء
ليلة العيد ...

شكري محمد عياد
كلية الآداب

ولم يبق يديها سوى رماد العود المحترق . فأشعلت
عوداً ثانياً ، فالتهب فوق نوره على الحائط ، فصيرته
كقنطار يشف . استطاعت أن ترى الحجرة من
خلاله . رأت مائدة بسط عليها قماش أبيض صفت
عليه آنية المشاء ، وتوسطته أوزة مشوية يفوح
منها بخار له نكهة وطيب ، ويملا أجوفها فتاح ويرقوق
بحجف . ثم يا للعجب ! لقد قفزت الأوزة من الطبق
وتهدأت على أرض الحجرة ثم أقبلت على الطفلة وفي
صدرها شوكة وسكين ! ثم انطفأ العود فلم تبصر
الفتاة إلا حائطاً رطباً سميكاً بارداً ، فأشعلت عوداً آخر
فاذا هي جالسة تحت شجرة جميلة من أشجار عيد
الميلاد تشتمل على أوراقها آلاف من الشموع ، فتتمتع

بنورها صوراً ملونة جذابة كتلك التي كانت تراها في
المكتبات ، فدت الفتاة يديها نحوها فانطفأ العود ،
وارتفعت أنوار عيد العام ، فرأى الفتاة نجومًا
في السماء ، سقط أحدها فرسم خطًا طويلاً من
النار ، ففكرت الفتاة الصغيرة : الآن أحد يموت .
فكذلك علمتها جدتها المجوز التي دوجت إلى
القبر وما كان للطفلة غيرها يحبها ويرعاها . وأشعلت
الفتاة في الحائط عوداً جديداً ، فسطع الضوء مرة
أخرى ، فتمثلت لها جدتها تشع نوراً وحناناً .
فصاحت الطفلة : « جدته ! خذيني معك ! سوف
تدعين إذا ما خبا نور القناب . ويزول طيفك
الحبيب مثلاً ذوت النار الدافئة ، والأوزة الشبية ،
وشجرة عيد الميلاد » . وأقبلت على القناب تشمله
كيلا تذهب جدتها ، فتلهب بنور أسطع من
الشمس ونحما . وتمثل لها جدتها أبهى مما كانت
وأجل ؛ ثم أقبلت الجدة على الطفلة فاحتضنتها ،

في أصول الأدب

لمؤتاز احمد حسن الزيات

كتاب جديد فريد في نوعه . يشتمل على أبحاث
تحليلية طريفة في الأدب العربي وتاريخه . منها
تاريخ الأدب وحظ العرب منه . العوامل
المؤثرة في الأدب . أثر الحضارة العربية في العلم
والعالم . تاريخ حياة ألف ليلة وليلة وهو أوفى
بحث كتب في هذا الموضوع إلى اليوم . ثم
قواعد تفصيلية للرواية التمثيلية الخ ...

يطلب من إدارة مجلة الرسالة

وشمه ١٢ قرشا

بتمرد شديد، على وتطلقها إلى ما مضى أسفة على
مرحها وحريتها .

وكنّا عند ما تمشي على مهل في الغاب على
ضوء القمر نشعر كلانا بالوحشة تنفلت في أحشائنا
فتنظر برجييت إلى وفي عينيها كثير من الاشفاق ،
وتنجه إلى صخرة مرتفعة تطل على وادٍ مقفر حيث
نستعرض الساعات تمر بنا بطيئة فأحس بعيني
خيلتي وقد غشاهما الأسي توران في عيني نافذتين
إلى قلبي ثم تردهما عني لتسرحها على صفحة السماء
ومسالك الوادي فتقول :

— إنني أشفق عليك يا بني فأنت لا تحبني .

وكانت الصخرة تبعد مسافة مرحلتين عن القرية
فنضطر إلى قطع أربعة مراحل ذهاباً وإياباً . وما كانت
برجييت تخاف السير في الليل فكنا نجعل مجيئنا عند
الساعة الحادية عشرة لنعود منها عند بزوغ الفجر .
وكانت في هذه الرحلات تردني سيرة زرقاء وسروال
رجل قاتلة إن أوثابها المادية لا تليق لمثل هذه
المغامرات بين الأشواك . وكانت تتقدمي على الطريق
الرملي بخطوات ثابتة فأرى فيها ليونة الأنوثة
تشدها أقدام الطفولة ، فأأمالك نفسي من الوقوف
في كل فترة لأنظر إليها معجباً وهي مندفة في سيرها
كأنها مقدمة على القيام بواجب صعب تفرضه عقيدة
مقدسة .

وكانت وهي مندفة إلى الأمام منشدة بأعلى
صوتها كالجندي المهاجم تقف بقة لنعود أدراجها
إلى مدغدة وجهي بقبلائها .

وفي عودتنا كانت تشكّ على ساعدي فلا
تركض ولا تقني بل تناجيني بمبارات رقيقة تسرها
إلى بصوت خافت كأنها تحاذر أن يسمعا أحد ونحن

من أعماق النفوس



اعترافاً في العصور

للفريد موسى

بقلم الأستاذ فليكس نارس

الجزء الرابع

الفصل الثالث

وشعرنا عند صلحنا بما لم نشعر بمثله في
خصماننا ؛ ولأح لي أن برجييت تضمر أمراً لم أدرك
كنهه أولاً ، ثم رأيت الاضطراب يستقر في نفسي
ويكسر عليها صفوها ، فكنت كلما صرت في الأيام
ينجلي في ويتفوق على مقاومتي عنصران من الشقاء
أورثتني إياهما ضلالات ماضٍ : أحدهما غيرة
ثائرة تندفق لوما وتحقيراً ، وثانيهما نوع من المرح
القاسي والحلفة المصطنعة أذهب بها إلى إهانة كل
عزيز علي ، فكنت وأنا أستسلم تارة إلى الغيرة وطوراً
إلى المرح الساخر أعمل برجييت كأنها خلية خائنة
أو كأنها امرأة مستأجرة ، فأبليت حتى تولاهما من
الأسي ما جلل حياتنا بالسواد . ومن التراب أنني
كنت أعمل من سيادة الحزن علينا وأنا لا أجهل
مصدره ولا أقوى على انكار جنائقي فيه

كنت في ديمان العمر ميالاً إلى السور فقل
علي أن أفرد كل يوم بامرأة أكبر مني سنّاً بتالم
ويتزايد تحولها وأمارات الجد على وجهها فأحس

إنشادها ، ولكنها ما رأت الكوكب يتعالى حتى خفت صوتها وأصبحت نبراتها حزينة هادئة فارتمت على كتفي وطوقتنى بنوايعها قائلة :

لا تظن أن حقيقة قلبك خافية علىّ فأنا بلائتك على ما تحملني من عذاب ، وما أنت بالذنب إذا خاتك قواك فمجزت عن نسيان حياتك الماضية . لقد أحببتني بكل إخلاص ؛ ولن أسف ، ولو قتلتني حبك ، على استسلامي إليك . لقد ظننت أنك ستبعت حيا بين ذراعيّ قتلوا من أوردتك الهلاك من النساء

ولقد تقيت بالابتسام ما اعترفت لي به من اختبارك الحياة وأنت تسرد ما سرّ عليك متباهياً كالأطفال في غرورهم لأنني اعتقدت أن إرادتي ستكفي لهدايتك ، وأن قبلة واحدة على شفيتك ستجذب إليهما ما سوى من قلبك . لقد اعتقدت أنت أيضاً اعتقادى فضلنا كلانا

إن في قلبك جرحاً يتمرد على الشفاء فقد نالت المرأة التي خدعتك مالم أنه أنا من حبك ، وها إن حي المسكين لا يقوى على عو صورتها من تذكارك وإذا كان إخلاصك لك لا يجديك نفماً الآن فما ذلك إلا لأن هذه المرأة قد ذهبت في خيانتها إلى أقصى ما تبلغ حسوة الخائنات . ومن يتدبّر ما فعلت الأخريات من بنات الشقاء حتى تفنن السم في أزهار شبابك ؟ إلى أية درجة بلغت الملاذ التي ابتعتها منهن حتى تطلب مني الآن أن أتشبه بهن ؟ وأمن رياودن تذكرك وأنت بالقرب مني ، وذلك أشد ما أقاسيه منك يا بني . إنني أفضل أن أراك مستبداً في ثورة غضبك فترى بوجهي ما يمكن لك أن تصوّره في من سيئات وهمية منتقم لنفسك مما جتته عليك خليلتك الأولى

نمضي منفردين في الأماكن المقفرة ، ولا أذكر أن كلمة واحدة من هذه الأحاديث شذت عن دوائر الحب والولاء .

وسلكنا في إحدى الليالي مسلكان نحو الصخرة افترضناه في الغاب غير السلك المطروق ، فذهبت بريجيت أمامي تحتخط السبيل وعلى رأسها قبعة صغيرة من القطيفة تنفر من تحتها غداثر شعرها الأشقر ، نغيل إلى أنها ليست امرأة بل غلاماً يافكاً يقتحم الصعاب . ولكم سبقها في تسلي الصخور فقلقت بنتوايتها مستنجدة بي وقد عجزت عن الارتقاء ، فكنت أرجع إليها لآخذها بين ذراعي قائلاً : أنت ياسيدي من أبناء الجبال ، لك القوة والرشاقة ، ولكني لا أرى بداً من حلك بالرغم من عصاك الثقيلة وحذائك المصنع .

وصلنا إلى محجّتنا وقد تهدجت أنفاسنا وكنت شاداً حقوى بنطاق تبدل منه قربة ، وإذ طلبت بريجيت مني هذه القربة ، تبينت أنها سقطت مني مع زناد كنا قدحده لإزالة معالم الطريق وقراءة لوحاتها حذراً من الضلال ، وكثيراً ما كنا نضل فأتسلق الأعمدة وأقبح الزناد مزاراً فأمكن من قراءة ما كتب في أعلاها

وقالت بريجيت : علينا أن نغضى الليل هنا فقد أضعنا الزناد وأما متعبة من طول السير ؛ غير أن هذه الصخرة قاسية فلنلق عليها من الأوراق اليابسة ما يحولها إلى فراش وثير

كانت هذه الليلة من أروع الليالي سكونا وجلاء وقد زادها روعة ظهور القمر من ورائنا فقلقت بريجيت أنظارها عليه وهو يتلمص على مهل من سواد الأشجار المكللة أعلى الراية ، وانطلقت توجه إليه

إلى والد خطيبي الذي كان يدعوني دائماً يا ابنتي ،
وكان قد اشتهر في البلد بأمر زواجي قريباً بابنته فأصبح
هذا يتمتع بأوسع حرية في معاشرتي

وكان الشاب — ولا فائدة لك من معرفة
اسمه — عشيراً لصباى فانقلبت مودة الطفولة بيننا
إلى عبة . وكان ينتهز فرصة انفرادنا ليدكرني بما
سنلاق من سعادة بعد الزواج ويشكو تبايرج الانتظار.
وكان يكبرني بسنة ، وله صديق من عشاء النوء
ينقاد اليه ، فقرر أن يخدم أباه وينكث بعهده بعد
إيقاعى في فخاخه ، وهكذا استغل جيلى وعبت
بطفولتى

ودعانا والده ذات صباح ليلفنا أمام أفراد أسرته
أن يوم زواجنا قد تمين . وما أسدل الليل ستاره
حتى لقينى فى الحديقة وأندفع يشرح هواه قائلاً :
إنه بعد نفسه زوجاً لى ما دام يوم القعد قد تمين ؟
وإنه فى الواقع زوجى أمام الله منذ كان طفلاً ، واستعان
على بقتى وجهلى فاستسلمت له قبل أن يعقد له على ؟
غير أنه هجر بيت أبيه بعد هذا الحادث بثمانية أيام
هارباً مع امرأة كان صديقه قدمها له ، وأرسل إلينا
كتاباً يقول فيه إنه مسافر إلى ألمانيا ، واحتفى عينا
منذ ذلك الحين

هذه هى قصتى وقد عرفها زوجى كما عرفها
أنت الآن . لقد عززت نفسى على فماهدتها فى وحدتى
ألا أعرضها مرة أخرى للشقاء . لقد نكثت بهذا
المهد عند ما رأيتك فسيت عهدى ولكننى ما نسيت
أوجاعى . إن كلينا مريض يا أوككتاف ؟ فليعالج أحدهنا
الآخر بلين وتؤدة . أفلا ترى أبنى أنا أيضاً أعزف
ما هى ذكريات الماضى ؟
ولكنكم ترعونى هذه الذكريات وأنت قريب

على أن أراك ذاهباً فى مرشك القبيح وعلى وجهك
إمارات المتهتك المستهزئ منطبعة على سحتك
كأنها قناع يحول بين شفتيك وشفتى

لم تحملنى مثل هذا يا أوككتاف ؟ ولم هذه الأيام
التي نتناول فيها الحب بأحقر بيان هازناً حتى بأعذب
ما فى استسلامنا من ملذات ؟ ما فعلت بأعصابك
الحساسة يا ترى هذه الحياة التي خضت عباها حتى
تركت على شفتيك هذه اللعنات تخفق بينهما حتى
الآن ؟ إنك تقذفها مرغماً لأن قلبك طيب كريم ،
ولأن حمرة الخجل تملو جبينك فما تنفوه به ، فأنت
ولا شك متألم فى حبك لى إذ تشاهد ما تحملنى
من عذاب

إننى أعرفك الآن ، ولكننى يوم رأيتك لأول
مرة على مثل هذه الحال ملكنى رعب يصعب على
وصفه لأننى حسبك مخادعاً يتظاهر بحب لا يشعر به
وحقق بإصديق ، لقد فكرت فى اقتحام المدم
فى ذلك اليوم ، ومرمت على ليله هى أشد ليالى روعاً
وبأساً ...

أنت تجهل حياتى ولا تعلم أن اختبارانى فى
الحياة لم تكن أقل مرارة من اختبارائك . ويلاه ! إن
الحياة صريرة لا يستمدنها إلا من يجهلها
لست يا أوككتاف الرجل الأول الذى أحبت فإن
فى قلبى حدثاً مشثوما أريد أن تعرفه

كان أبى قرر وأنا طفلة بعد أن يزوجنى من ابن
وحيد لأحد أصدقائه القدماء . وكان هذا الصديق
صاحب أملاك مجاورة لأملاكنا ، وكانت الأسرتان
على اتصال دائم ، ومات أبى ، وكانت أمى قد ماتت
قبله بزمى طويل ، وهكذا بقيت تحت رحمة عمى الذى
تعرفها ، واضطرت عمى إلى التئيب مدة فأسلمتنى

ولمت السماء فوق رؤوسنا بكل كواكبها ، فقلت
لبريجيت : —

أفأنت ذكرك هذه الأفاق النيرة بأول استسلام ؟
إنني أشكر الله لأننا لم نعد منذ ذلك الليل إلى
تلك الصخرة فبقيت هيكلًا طاهرًا تمر وحدها
بمخيلتي مجللة بالبياض بين أشباح حياتي

الفصل الرابع

ومهرت ذات ليلة بساحة القرية فلمحت رجلين
يتحدان وصمعت أحدهما يقول بصوت بلغ أذني :
إنه يماثلها معاملة سيئة .

فقال الآخر : الذنب ذنبها ؛ فما كان أغناها عن
اختيار مثل هذا الرجل الذي لم يماشر حياته سوى
بنات المواخير ؛ أما وقد جنت هذا الجنون فلتتحمل
نتائجها .

وتقدمت في الظلام لأنين من ها التكملات
ولأنتمكن من استماع تمة الحديث ؛ غير أنهما لحظا
اقترابي فابتعدا .

ذهبت إلى مسكن بريجيت فرأيتها جد مضطربة
لمرض جديد اشتاب عمتها ، فما زاد حديثنا على بعض
كلمات ، وما تسنى لي أن أراها بعد ذلك ، بل عرفت
أنها استقدمت طبيبًا من باريس . وبعض أسبوع
فاذا هي تدعوني إليها لتقول لي إنها فقدت بموت
عمتها آخر قريب لها ، وأنها أصبحت وحيدة في العالم ،
وستضطر إلى مغادرة القرية .

فقلت لها : وأنا أألت شيئًا معدودًا في نظرك ؟
فقلت : أنت عارف بحبي لك كما أنني أنا أعتقد
بحبك لي في كثير من الأحيان . ولكن أني لي أن
أعتمد عليك وما أنا إلا خليلتك دون أن تكون أنت

معي ؛ غير أنني أشد شجاعة منك ، ولملني أنفوق
عليك بالحزم لأن آلامي كانت أشد من آلامك .
لقد كانت حياتي ساكنة هادئة في هذه القرية قبل
قدومك ؛ وكنت وعدت نفسي بالأبد لمن هالها ؛
وهذا ما يجعل هذه النفس شديدة الشكيمة على .
ولكن ما يهمني كل هذا ، فأنا لك . أفأقلت لي في
أوقيات الصفاء : إن العناية قد عهدت إلي بالسهر
عليك كما تسهر الأم على ابنها فما أنا خليلة لك كل
يوم ، فإنا أكثر الأيام أمك لأنني أريد أن أكون
أما لك . إنني لا أرى فيك العاشق عند مارتهمني
بالتعذيب ، بل ولدًا مريضًا يساوره الحذر أو يستخفه
الطرب فأبذل جهدي لدوائه وشفائه . طامحة إلى
استعادة الرجل الذي أحب وأريد أن أحب إلى الأبد
ورفعت عينها إلى السماء قائلة :

ليعزني الله بهذه القوة وهو السميع المحيب
لدعاء الأمهات والعاشقات فأتمكن من إتمام هذا
الواجب ولو هلك في سبيله ، حتى ولو أصبحت
معزة نفسي المتمردة وقلبي المنكسر وكل حياتي ...
وشرقت بدمعها فاختنقت الكلمات في صدرها

وإذا هي جاثية على الصخر وقد شبكت أمانيل
يديها وهرزا الهواء كما يهز عاشقات الشجر حولنا
يالها من مخلوقة تجلها العظمة في ضعفها وهي
تؤسل إلى الله من أجل حبا

ورفعتني إلى صدرى قائلا لها : —
أي صديقتي الوحيدة ! يا خليلتي وبأى وبأختي !
توسل إلى الله من أجل أيضًا ليهني قوة أحبك بها
قدر استحقاقتك . اطلبي لي الحياة ليقبل قلبي
بدموعك فيصبح قريبًا لادنس فيه تقسمه أمام الله
واستلقينا على الصخر وساد الصمت حولنا

خليلي . وآسفا ! لكان شكسبير قد عثاك عندما قال :

« اصطنع لنفسك رداء من التسيج المتزوج لأن قلبك شبيه باليشب يشع بالآلاف الألوان » أما أنا فهناك ثوب وقد ثبت فيه لونه الأسود إلى زمن طويل — لك أن تبارحى هذا البلد فانا وراءك أو أنتحر .

وانفطرت جاثيا أمامها :

— أواه يا بريجيت ! لقد حسبت أنك أصبحت وحيدة في العالم عند ما ماتت عمك . إن فكرتك هذه لأشد عقاب يمكنك أن تنزله بي ، فاشمرت قط كما أشعر الآن بمسكنة حي لك . أنكرى هذه الفكرة على نفسك فانها تقتلني وإن كنت أستحقها . أفلا أكون في حياتك شيئا معدودا إلا للاحاق الضرر بك وتمنيك ؟

— إننى أجهل من هم الناس الذين يترصدون لنا ، فقد شاعت عنا في القرية شائعات لها غرابتها فقال البعض : إننى أقضى على نفسى لتساهلي وجنوني . وقال آخرون : إنك رجل قاس يكره فيك الخطر على . فلا أدري كيف نفذ الناس إلى أقصى سرأنا

فاكتشفوا جميع ما ظننته متجليا لي وحدى من تقلبك في معاملتي وما نشأ من هذا التقلب من تكرر الخلاف بيننا ، حتى إن عمى نفسها فاتحنت بالأمر وكانت مطعمة على حالنا منذ مدة طويلة ولم تقل شيئا ومن يدري ؟ لعل هذه الأشاعات عجلت في القضاء عليها .

وقد لاحظت برود. صديقاتي أو ابتعادهن عنى كلما صادفهن في التنزه . بل إن الفلاحات أنفسهن اللواتي أجبنتى كثيرا يهزرن اكتافهن عندما يرين

مقعدى خاليا في مرقص الأحد .

كيف يقع هذا ؟ إننى أجهل السبب ولعلك تجهله أنت أيضا ، وعلى كل يجب أن أسافر فقد حيل صبرى في هذا الموقف بعد أن مر الموت على مسكنى وأصبحت وحيدة أمام هذه الغرفة المهجورة . أواه يا صديقي ! لا تنخل عني .

واستخرطت في البكاء ، وتطلعت فإذا في أرض الغرفة صندوق السفر وجميع ما يدل على الاستعداد له . فأنصحت لي أن بريجيت كانت قد عزمت على الرحيل وحدها على أثر موت عمها دون أن أعلم غفاتها القوى . ورأيت على وجهها دلائل الحور وأدركت صراحة هذا الموقف الذى زججتها أنا فيه ، فأكفى ما تحتمل من العذاب حتى زاد عليه تحقير الناس لها ؛ وما كان الرجل الوحيد الذى يجب أن تستند إليه وتمزى به إلا منشأ أشد اضطرابها وأفزع ما فى عندها .

ومثلت سياتى أمامى فجعلت من نفسى إذ رأيت ما فعلت فى مدى ثلاثة أشهر بتلك الوعود والأمانى . كنت أحسب أن فى قلبى كنزا فاستخرجت الأيام منه إلا مرارة التسليين وأشباح أحلام وشقاء المرأة التى أعبدها .

لأول مرة فى حياتى شعرت أننى أجاهه ذات الحقيقة وجها لوجه . وما كانت بريجيت توجه إلى أقل ملامة بل كانت تريد أن تتوارى عن عيانى فتخونها قواها وتقف متاهبة لمصارعة أحزانها . وخطر لي فجأة أن من واجبي أن أتوارى لأتقدها من مصائبها بإقادها منى .

نهضت متوجها إلى غرفة بريجيت فجلست على

لأرب في أنك ستدفع بها إلى الغير لأن محبتك
محركة قاتلة
لقد سلطت على هذه المرأة هائجات أعصارك
وهي الطالبة بتسكين ثأرها فإذا ما تبعها فانت
لا شك قاتلها

كن على حذر يا هذا ، فإن ملاك عاشقتك يترصد
وقد أتى ضربة الموت على هذا المسكن ليطرد منه
هذه الأهواء الجامعة في صلب المار . وها هوذا يلهم
بريجيت الفرار ؛ ولعل مايسر به إليها هو آخر نجواه
احذر أيها القاتل ، أيها الجلاد فإنك تجاه
حياة وتجاه موت

بهذا كنت أخطب نفسي عند ما حانت مني
التفاته فرأيت على المقعد ثوبا مخططا طوى وأعد
ليدرج في الصندوق ؛ وكان هذا الثوب قد شهد
يوما من أسعد أيامنا فأمررت يدي عليه ولسته
قائلا : أبوسى أن أفارقك أيها الرداء الصغير ؟ أفتريد
أن تتخلي عني فتذهب وحدك ؟

لا ، إننى لا أقوى على ترك بريجيت ؛ فإذا فعلت
في مثل هذه الظروف كنت غادرا لثيما . لقد ماتت
عمتها ، وها هي ذى وحيدة تصددها سمايات عدو مجهول ؛
ولعل هذا المدبو مر كانسون بعينه . فقد يكون
تحدث إلى الناس عن مقابلتي له واستفهامي عن
دالانس مستنتجا من غيرتي ما جعله أساسا لإشاعته .
ما هذا الرجل إلا حية رقطاء تقطر سمها الزعاف على
زهري . فعلى أولا أن أعاقبه ثم أتجول إلى رد

ما سببته لبريجيت من إضرار
ما أشد حماقتي ! فأننى أفكر في التخلي عنها في
حين يجب على أن أكفر عن ذنوبي نحوها
فأعوضها سعادة وجبا عما ذرفت من دموع

صندوقها مسندا رأسي يدي وأنا مضطجع الحواس
أنظر إلى ما حولي من رزم لم تزل مفتوحة ومن
أثواب مبشرة على الرأس ؛ وما كانت قطعة من القطع
غريبة عني وفي كل ما لس حبيتي شيء من قلبي .
ودهبت أحاسب نفسي على ما سببت من شرور
فانتصب أمامي خيال بريجيت عندما رأيته لأول
مرة تحت أغصان الزيزفون وجديها الناصع البياض
يراكض وراءها . وناجيت نفسي قائلا : — بأى
حق تجرأت على الدخول إلى هنا لتتسلط على هذه
المرأة ؟ من أجاز أن يتذنب الآخرون من أجلك ؟
إنك تقف أمام مرآتك وتسرح شعرك لتذهب
بمخموك تلمس السعادة قرب خلية يحيط بها الشقاء
فترتمى على السائد التي ركمت عليها موجهة إلى الله
توسلتها من أجلك ومن أجلها فتأخذ راحتها
لتنغدغها ضاحكا ولما ترالا في رجة الصلاة

إنك لنو مهارة لاشمال جذوة الخيال في رأس
متالم فتندفع إلى الثروة محمومًا بفرامك كأنك حمام
يخرج محلقي العينين من موقف دفاعه عن قضية
خاسرة ، فما أنت إلا الولد الآبق يتلاعب بالآلم ويتسلل
بالعذاب فيحفلوك أن ترتكب جريمة القتل في
جلس أنس بوخزات الأبر

بأية كلمة ستقف أمام إلهك الحي عندما
تكبل عملك ؟

إلى أين مصير المرأة التي تهواك ؟
إلى أية هاوية تنزلن بهذه المرأة التي تستند إليك ؟
بأي وجه ستقف أمام الشمس عند ما تدرج
بيديك في اللحد عاشقتك الناحلة الشقية كما أدرجت
هي آخر سند لها في الحياة ؟

مجالاً للفتولن للادعاء بصحة إشاعاتهم

إننى سابقى ولا أبلى

وعدت إلى بريجت بعد مرور نصف ساعة
غيرت في أثنائها رأيي ثلاث مرات فأقنمتها بالعودة
عما قررت بعد أن أخبرتها بما فعائته عندما غبت عنها ،
وما توصلت إلى إقناعها إلا بشئ النفس ، وهكذا
اتفقنا على أن نحتقر أقوال الناس فلا نغير شيئاً من
حياتنا . . وأقسمت لها أن غرامى سيعجزها بقلوب
به جميع أحزانها ، فظاهرت بعودة الأمل إليها
وأكدت لها أن هذه الحوادث قد جلت لى موقفى
منها وأبانت إساءتى ، ووعدتها بتطهير نفسى من
جميع ما رسب فى قلبى بن جراثيم أبهى الماضيات فلن
تتعذب بعد الآن من كبرائى وجوح عواطفى
وطوقتنى بذراعها وهى تخضع حزينة صابرة
لخطرة من خطرات اهوائى كنت أحسبها أنا ومضنة
من العقل هدتى سواء السبيل

فليكس فارسي

« يتبع »

توفيق الحكيم

يوميات نائب فى الأرياف

« هاكم صورتنا فى الرأه

فلنصلح من شأننا قليلا

إن أردنا لكياتنا بقاء ! »

طبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

ويطلب من المكاتب الشهيرة

وتمنه ١٥ قرشاً

أما أنا سندها الوحيد فى العالم بل صديقها
الأوحد وسلاحها الذى تنقى به هجمات الدهر؟ فقل
أن اتبعها بأن ذهبت فأحجها بمسدس وأغزىها عن
حبها واستسلامها لى

ودخلت إلى الغرفة التى بقيت بريجت فيها
وحدها وقلت لها أن تنتظرنى فى ساعة ربنا أعود
فسألتنى : إلى أين أنت ذاهب ؟ قلت : أنتظرينى .
لاذهى بدونى واذكرى كلمات راعول : « إلى أية
جهة ذهبت سيكون شعبك شعباً لى وسيكون إلهك
إلهى فأموت حيث تموتين وأدفن حيث تدفين »

وخرجت مسرعاً قاصداً مراكسون فقل لى
إنه خرج من بيته . وجلست أنتظر عودته أمام
مكتبته الأسود القدر ؟ وطال انتظارى فعاودنى تذكـار
مبارزتى لأجل عشيقتى الأولى فقلت لنفسى : لقد
أصبت بطلقة عيار نارى فجئت وسخر الناس بى
فاذا أتيت أفعل هنا الآن ؟ ولن يقبل هذا الكاهن
الزول إلى ساحة المبارزة ؟ فإذا مات حديثه أجابنى أن
ثوبه يمنعه من سماع أقوالى . وهكذا ينفث أمامه مجال
التوغل فى أحاديثه وإشاعاته على أثر هذه المقابلة

وعلى كل فاية أهمية لهذه الإشاعات وهى تدور
على معاملتى لها وعلى عذابها ؟ فهل تمنى هذه الأمور
أحداً سوانا ؟ إن خير وسيلة فى مثل هذه الحالة
إنما هى عدم المبالاة . وهل يوسع أحد أن يمنع القليل
والقال فى القرى ويرد هجمات المجائر عن امرأة
تتخذ لها عشيقاً ؟

يقولون إننى أعامل بريجت معاملته سيئة فاعلى
إلا إثبات عكس الأمر بالى هى أحسن لا بالزجر
والمكابرة . إن تعرضى للمجادلة مع مراكسون
وقصدى مفادرة القرية لن مستديعات السخرية
يجب أن أبقى حيث أنا لأننى إذا تواريت أفتح

الساحرة سيرس التي مسخت بعض رجاله إلى خنازير
وما كان من احتياله حتى ردهم إلى صورم ، ثم قص
رحلته إلى هينز — الفار الآخرة — وذكر من لقي
هناك من أبطال الأعراب الذين قتلوا في طروادة وكيف
كلم شيخ أمه وأرواح المذارى اليونانيات ... ثم عاد
إلى سيرس وأبحر من عندها مرة أخرى ليصل إلى
بلاده ، وما لقي من المهول في طريقه بالصنوبرين
الموحشتين سكيلا — الهولة التي أكلت ستة من
رجالها — وغارديس التي تبلع البحر وتنفقه — وما
كان من رسوه بأرض الشمس واعتداء أصحابه على
قطعاتها — الأسر الذي أغضب رب الشمس وكان
سبباً في غرق سفينة أوديسيوس وموت جميع أصحابه
وكيف نجا من هذا الفرق إلى جزيرة كليبو « وفي
تلك الظروف كان أصهاره لينا كما قد طمعوا في زوجه
أوديسيوس لجمالها الفتان غاصروا بيتها لختار من بينهم
بملاهل ولبثوا هناك أعواماً يرففون من خير البطل
ثم ذهب تلياك ابنه الحبيب ليسأل الملوك عن والده فلم
أنه حبس كليبو المذكورة — وروع العشاق لما
علموا بسر تلياك فترصوا له ليقنطروه في الطريق »



الأولاد الذين

لهو سيرس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

مقدمة الفصل المائة

أوديسيوس يصل إلى ايثاكا

وفرغ أوديسيوس من حديثه ، وجلس القوم
في الردهة ذات الظلل مسبوهم مشدوهين من
روعة ما حدث ، ومن غريب ما روى ، حتى تكلم
الملك فقال: « أوديسيوس ، يا أيها العزيز ! صف بالك
وطاب حالك ، واستندرت من ذرى هذه القبة
الثناء بركن ركين ، فلن ينالك أذى بعد اليوم ،
ولن تقدر عليك الرياح الموح في رحلتك الآمنة إلى
بلادك ، وإن يكن مثلك لا يزال الحدائق ، ولا يابه
لصروف الزمان ، بعد إذ رضع لبانها ، وتقلب طويلا
في أحضانها ... وإنه والله ليس أحب إلينا من أن
تقيم آخر الدهر عندنا فتتجسس ماشئت من أكرم
هذه الجمر ، وتشتت أذنك بما يتفنى مطربنا الحبيب
الإلهي ؛ وإلا ، فذاك صندوقك العزيز وفيه أذخار

» عاد أبطال اليونان إلى بلادهم بعد انتهاء حروب
طروادة إلا أوديسيوس ملك إيثاكا فقد ضلت به الفلك
في البحر اللجي لأنه لم يفر القرايين للأله قبل إبحاره
فوقفت له تيتون رب البحار بالرصاد وأغرق سفنه
وسبح البطل حتى كان في جزيرة كليبو عروس
الماء التي هوجت وأولمت به واحتجزته عندها سنتين
عدة حتى تحركت الشفة في قلب مينفارية الحكمة
فسألت أباه كبير الآلهة أن يأمر بإطلاق سراح
أوديسيوس ففعل وأبحر البطل على رمث من عند
كليبو — ولحقه تيتون عدوه الأله فأغرق رمثه ،
ولكنه سبج هذه المرة أيضاً حتى كان في شاطئ
شيرا ملكة الفياشين ، وهناك لقيته ابنة الملك
ألكينوس فأخذته إلى بيت أبيها الذي أكرم مشواه
وأظم له حفلا كبيرا أبدى فيه أوديسيوس من ضروب
التجاعة ما بهر الفياشين. وخب أبائهم ، ولا عرفوا
أنه أوديسيوس سألوه أن يقص عليهم ما عنده من
قصص فأخذ يسرد قصته الجببة الرائعة فذكر قيامه
من طروادة وغروره لزمروس ورسوه في جزيرة
الروتولجي — أكلة اللوتس — وتزوله في أرض
السكراب وكيف حبسه السكراب في كهفه ثم نجاتهم
منه بعد أن أكل منهم عدداً كبيراً ، ثم تزولهم بجزيرة

جربانها الوثيد ، فهو دائماً يقرب منفيها بمعنى ذلك الزارع الشقي الجوعان الذي أجهدته طول النصب في حرق حقله ، فلقن بصره بالشمس يمتنى لو هبطت نجاة في المغرب لياوي أعنة بها عه إلى كوخه ، وليبلغ هناك بليقات ! وما كادت تتوارى بالحجاب حتى وجه الخطاب لزعماء الفياشين في شخص الملك ، فقال : « مولاي الملك الجليل ألكينوس ! يا نضر شيرا وعماد الفياشين ! حبذا لو أدت الصلاة الحرية يا مولاي وتفضلت فأذنت لي في وداعكم ، مادمت قد أعددتكم لي الهدايا والى ، والأبطال الصناديد من رجالكم الملاحين ... وإني لأبصر إلى الآلهة أن ترافني في رحلتي في اليم ، وأن أصل إلى بلادى فألقى فيها آلى وعشيري سائلين ، كما أسأل أرباب الأولب أن ترعاهم وأن تقر أعينكم جميعاً بنوكم ، وأن تقبض عليكم من نعماتها ، وتحفظ بلادكم من عاديات الزمان وملقات الجدثان » وبس الجمع من مقاتله فهفوا له ، ورجوا الملك أن يأذن له في السفر ، فالتفت ألكينوس إلى مشيره وقال : « هلم يا بنوتون فادهق الزرق واجمل الحمر إلى جميع أصيافنا ليريقوها خالصة لوجه سيدي الأولب ، كي تتأذن لأوديسيوس بالرحيل إلى دياره » ولبي المشير ، وأخذ كل كأسه ، ولم ينتظر أوديسيوس حتى يصل الندمان إلى الملكة البجلة الوقور ، بل هب مسرعاً وقدم إليها كأسه الهائلة ، وقال : « وداعاً يا مولائي الملكة أحر الوداع ! وداعاً إلى آخر العمر ! ولكن عمراً موفوراً مخفراً جداً تقرب فيه بمولاي الملك والسادة النجب أبنائك المحبوبين وشعبك الأمين » .

وحياً وحباً ، ثم أهرع إلى المرفا ومشير الملك يسعي بين يديه ، وثلاث من وصيفات الملكة يتهادين

(أ)

الهدايا وأعز الله ، من مطارف الدياج ، ومكنون الذهب الوهاج ... ولكن على رسلك ، هلموا يا مباشر الفياشين فليحضر كل منكم للتنازع الكريم طرفة من أثر الطرف ، وتحفة من أجل التحف ، ولتكن ركيزة من الذهب وأصيصاً صغيراً للزهر ؛ وليسام الشعب في هذا ، ذلك أدنى ألا تطيقوا ثمنها^(١) »

وصادفت مقالة الملك هوى في قلوب السادة زعماء الفياشين ؛ ثم نهضوا ففترقوا إلى منازلهم يلتمسون الراحة ، وينعمون بنظيب المنام ؛ ونضرت أورورا ابنة الفجر خبيث المشرق بأفواف الورد فهب الزعماء المعظم من مرافدهم ، وبادروا إلى السفينة بهداياهم التي وصف الملك . وقد كان ألكينوس نفسه ينتظرهم ثمة ؛ وكان يتناول كل هدية بيده فيضعها موضعها الأمين تحت مقاعد المجدفين حتى تكون بنجوة من ضرر يعينها ، أو أذى يلحق بها ، حين يكون الملاحون مشغولين فياهم بسبيله من عمل البحر ومصارعة الموج ... حتى إذا أسلموا تذكاراتهم عادوا مع الملك إلى قصره المنيف لوليمة الوداع الفاخرة وقد قرب إلى جوف الكبير التعلل رب الأرباب ورب السحاب الثقال ، بشور جسد عظيم ؛ وأعد من تغذية شواء شهى أقبل عليه القوم يأكلون ويروغون^(٢) ، بينما يسكب في آذانهم غناء ديمودوكوس مطربهم الحلق الجيب . وكان أوديسيوس يرنو بظفره المشتاق إلى الشمس يود من أعماقه لو عجلت إلى خلدتها ، وكان يضجره منها

(١) في الأصل : يقول الملك إنه سيكلف الشعب بعض الثغراب لسداد الثمن ولا تدري كيف يسبغ ملك أن يقول ذلك . (٢) يدسون القلعة

وتلاّلت في الأفق الشرق نجمة الفجر
الصادق، حينما كانت الفلك قبالة الأرض الموعودة ...
إيتاكا ... بعد إذ أتمت رحلتها الخاطفة في جنح
الليل ... وهناك في شاطئ المدينة، أنشئ صرفاً
أمين باسم فورسيز رب الأسماك يُدخل إليه بين
حاجزى أمواج ممتدين على مدى الجون الجليل، بين
فراخى الميناء، فما تستطيع ريح أن تثبت بما فيه من
سفين وقد بسقت أشجار الزيتون على الشاطئ
وامتدت امتداداً هائلاً إلى كهف حرّ تأوى إليه
طائفة من عرائس البحار يقال لها النّسياد. وثمة،
أي في هذا الكهف المقدس، صُفّت أباريق من
حجر وجرار كثيرة، يأتي النحل فيودع فيها
شهده؛ وقامت فيه أيضاً عمد من حجر يقال إن
عرائس الماء تنسج عليها أثوابها الجميلة. وفيها
أيضاً عيون من ماء زلال تنقى ساكنيه. ويؤدي
إلى الكهف طريقان عظيمان، أحل أحدهما الناس
يفضون فيه ما يشاءون؛ أما الآخر فلا تطؤه إلا
قدم إله كريم، ويعرف بطريق الجنوب المقدس
ويتم البحارة بفلكهم شطر الميناء، ثم أرسوا
فيه، وجنحت السفينة بنصف حيزوما على زماله ...
وحلوا أوديسيوس العزم دون أن يوقظوه، ووسدوه
على فراش^(١) وطأوه على الشاطئ؛ ثم جعلوا كل
متاعه وأذخاره فجعلوا إلى جانبه خلف زيتونة ضخمة
تحجبها عن أنظار المارة، حتى لا يصب بها عيار إذ
هو غرق في نومه العميق ... وركبوا الفلك بمد
هذا وعادوا أدراجهم إلى شيزا ... وأحس نيتيون
الجبار رب البحار وعدو أوديسيوس الأكبر بما فعل
الفاشيون فثار ثأره وقال يئس على زيوس: «أيها

(١) في نسخة أنهم حملوه بفراشه

في إثره؛ أما أولاهن فكانت تحمل الثوب الدياتمي
الموثنى؛ وأما الثانية فكانت تحمل الصندوق الثمين
ذا الأذخار؛ وحملت الثالثة مئونة حافلة من أشهى
الأكال وأطيب الشراب ... حتى إذا كن عند
السفينة، سلن ماحلن للملاحين الشجعان واثنين
من حيث أقبلن ... واشتغل بعض البحارة بإعداد
فراش وثير في قرة خلفية من أجل أوديسيوس ...
الذي آوى إلى منامته واستغرق نمة في سبات للذيذ،
بينما كان الملاجون دائبين في فك الحبال ورفع
المرساة من صخور الشاطئ، حتى إذا انتهوا
توزعوا إلى محاديفهم وأعملوا فيها أيديهم، فهمت
الفلك واحتواها الماء، وأقلعت تشق الأمواج،
واتخذت سبيلها في البحر سرباً ... هذا بينما كان
النائم البريء قد استسلم لطائف من الكبرى يشبه
طائف النون

وعمره الله هل رأيت أربنا من صافنات الجياد
تتبارى في حلبة، وقد أذن المؤذن فاندفعت نهب
الرحب، وأرسلت في الهواء أعرافها؟ لقد كانت
السفينة تتواءم على أعراف الموج مثلاً، والبواب
الزأخر يصطخب من ورائها، واللجة من بعد
اللجة تبحش وتضطرب تحتها، كأنما تتحدى اليم
في طلائنة ومبات، أو تسابق في الجو البواشق
البزاة!! وكيف لا، وقد حملت رجلاً كالرجال،
وبطلاً بز الأبطال، وحكيماً رباً^(٢) للآلهة في
المسكرات وعظيم الفعّال، وقرناً ليس كمثل قرن
في يوم كريمة أو ززال؛ لم يشف من قبل هذه
الغفوة الناعمة التي باعدت بينه وبين ما يحشم من
آلام وأحزان وأشجان ...

(١) الترب بالنكر اللدة أو اللشبه

يحييه : « هلم يا أخى قاصنع ما بذاك ، وافعل فملتك التى رسمت ، وليكن ذلك حينما يقترون من مدينتهم حتى يرى أهل شيرا ما يجمل بسفينتهم لتكون لهم آية ! » . وانطلق منزلز الأعماق فى أثر الفياشين حتى إذا كانوا قاب قوسين من الشاطئ أرسل يده تحت فلكهم فضر بها ضربة هائلة أرسلتها فى الهواء وهوت بها إلى اللج ، ثم تركت مكانها جيلا عاليا أشم ، ولوى عتائه إلى أرجاء ملكه الرب .

ووقف الفياشون — مارك البحار — على شاطئ البحر مسبوهم دهشين يسأل بعضهم بعضا : من ذا الذى أرسى هذا الجبل الهائل مكان سفينتهم لتقاء المدينة حتى ليحجبها عن أنظار السفن العابرة فى اليم ؟ والتفت الملك وكان واقفا بينهم فقال : « يا لآلهة ! لقد ذكرت نبوءة قديمة قصها على والدى فى غير من الزمان ... فلقد ذكر لى أن شعبنا المجيد مأذون له من نبتيون أن تحمل الناس من كل فج ، من ضل سبيله منهم إلى بلادهم مهما تبادت . وقد ذكر أيضا أن سفينة من سفننا بعد إذ ترتد من رحلة لها إلى بلد رجل غريب نازح ، ستفرق فى اليم ويسقط مكانها جبل عظيم شاهق يحجب شيرا عن البحر ... وهاتين تحققت النبوءة ، فهلوا تقرب الإله البحار نبتيون باثنى عشر مجلا جسدًا تكون أعظم عجولنا وأعلاها قيمة ، عسى أن يرثى لنا فيكشف عنا هذه النعمة ولا يحول بين البحر وبين مدينتنا بهذا الطود الكبير الراسى . وتفرغ زعماء الفياشين ، وإدروا إلى عجولهم فجزروها باسم نبتيون ، وتككبوا حول مذبحه فصولوا له ، ومبجوا بذكره ... أما أوديسيوس فقد ذهب من نومه وهو لا يدري أين هو ؛ ومع أنه كان بنام آله النوم فوق شاطئ بلاده ، فإنه لم يعرفها

الإله الأعظم الأبدى ، أبدا ما أحسبى أنال نصليج من التقديس والتبجيل بين الآلهة منذ اليوم ، مادام شعب فياشيا لم يأبها أن يحرقوا أو يألوا بي ، فقد كنت عولت على ابتلاء أوديسيوس بأروع صنوف البلايا قبل أن تطلأ قدمه أرض بلاده ، ولم يكن فى تصميمى أن أحول بينه وبين المودة إليها لأنك كنت قد وعدت بتمهيد السبيل لهذه المودة ، ولكتمهم حملوه على فلكهم غارًا فى أحلى المنام ، ثم حملوه على الشاطئ الإيثاكي بما معه من المطايا والأذخار ، وطرف النحاس ، وتحف النصار ، ومطارف الديباج ، وما حمل من كنوز لم يكن يحمل شيئا منها حتى لو عاد بنصيبه من أسلاب طروادة ! وأأسفاه ! وأأسفاه ! » وقال يحييه رب السحاب الثقال : « ماذا تقول يا منزلز الشيطان والخلجان ، يا ذا الملكوت والجبروت ، يا أبها العظيم نبتيون ؟ لا عليك يا أخى ! لا عليك ، فإنه لن تحمرك الآلهة ولن تستخف بك ! فإذا استخف بك مالا ضعيف من بنى الموتي — عبادنا البشر — فما يضريك ؟ أليس فى يديك ألف فرصة للبطلن بهم والانتقام منهم ؟ اربع عليك يا نبتيون ، وقمل ملاذك ، فإنه لست عبدا لأحد » قال نبتيون : « خوف يارب السحاب إنه ليس أحب إلى من أن أبطلن بهم كما أشرت ، ولكنى لا أخشى إلا تحديكى دائما بغير حق ، وإنى أرجو أن أعصف بسفينتهم فى دأمانى اللجى حتى لا يحملوا ضاربا فى البر والبحر مثل أوديسيوس مرة أخرى ، وإنى مقتف آثارهم الآن ، فضارب فلكهم اللعين ، فساحره فى الحال إلى طود عظيم ينهض بروقيه أمام مدينتهم حتى ليحجبها عن كل سارب فى البحر فلا يراها أحد أبدا ! » فقال خوف

لننتقم لي يا رب الأرباب من هؤلاء الخونة البطلين ،
ولكن ... يجدر بي قبل كل شيء أن أحصي أذخاري
لأرى هل سلبني منها هؤلاء اللصوص شيئا ؟ » ثم
راح يحصر كنوزه ، فما وجد شيئا منها ناقصا أو
غير موجود ، وزاد ذلك في أشجانه ، فأخذ يندب
حظه ، ويكي على ما لقي من زمانه ، ويشج نشيجا
مؤلا لهذه الهجرة الظالة عن أوطانه وجمل يروح
ويفدو على سيف البحر المضطرب ، وحيدا معنى ،
ويرسل دموعه وزفراته حتى بدت له آخر الأمور
ميرقا في صورة راع صغير غرض الأهاب عجيب الثياب
جيل الحيا ، كأبناء الملوك ، ملتفعا حول عنقه ومن
فوق صدره بشيف ^(١) صفيق طوى حولها طيتين
وفي قدميه نعلان متواضعتان ، وفي قبضته حربة ناعمة
لامعة ... وكانت مفاجأة سارة فوجئ بها أوديسيوس
نظرا خطوات عاجلة إلى الشاب وراح يسأله :
« مرحبا أيها الشرائق الجليل ! لقد كنت أول إنسي
ألقاه هنا ، فحق هذا عليك أنت تحميني وتحمي
أذخاري هذه ، وألا تلحق بأينا أذى ! إني أتوسل
إليك كما لو كنت أتوسل إلى أحد الآلهة أن تصدقني .
فيا أسألك عنه : أية بلاد هذه ؟ وأى قوم يعيشون
فيها ؟ أم جزيرة آهلة ، أم حدود من بلاد مترامية ؟
أخبرني بأربابك أيها الفتى . »

وقالت ميرقا ذات العينين الزرجديتين بحبيبه :
« أيها الغريب اللاجئ كم أنت ساذج ! كيف تسأل
عن هذه البلاد كأنك لست من أهلها ؟ إنها بلاد
ذات ذكر في الشارق والمغرب ، ومنها وإليها
تصدر الركبان إلى كل فج ، ثم هي ليست يهماء
مجهولة ، بل هي خنة مأهولة ، زاخرة الخيرات
(١) الثوب الرقيق

لطول ما شظت به النوى ولأن ميرقا الكريمة ،
سليمة جوف العظيم ، كانت قد ألقت حوله ظلالا
تحجبه عن أعين المارة مخافة أن يعرفه أحد منهم قبل
أن تلقفه من حكمتها ما هو ضروري له في حالته
هذه ... كأنما أرادت ألا يستبينه أحد من مواطنيه
ولا من أصدقائه وذويه حتى يبطش البطشة الكبرى
بالمشاقق الفساق الذين استباحوا عرضه واستحلوا
بغير الحق زاده وخيره ، وعمرها كالشياطين داره ..
لذلك موته ميرقا كل شيء في عيني أوديسيوس
فالطرق مستقيمة مستطيلة ، والموانئ رجة مترامية ،
والجبال ذاهبة في السماء ، والدوح باسق يطاول الجوزاء
وكل شيء ليس كأى شيء مما عهده البطل في بلاده ..
ووقف يقلب عينيه في المشاهد المكددة به ، ثم تهد من
أعماقه ، وبسط كفيه إلى السماء ، وضرب بهما في
برم على نغديه ، وأنشأ يقول : « ويلاه على ألف
ويل ! أى شعب من الشعوب يقيم بهذه الأرض
ترى ؟ أأجلاف ظلمة هم ، أم أطهار أخيار يخبتون
للآلهة ؟ ليت شعري أين أخيه هذه الكنوز
والأحراز ؟ وى ! بل أين أذهب أنا ؟ لمعري لقد
كنت أوتر ألا أنال شيئا منها من هؤلاء الفياشين
على أن أكون قد حلت بأرض ذى نخوة وذى
نخوة من ملوك الأرض غير هذا الملك ألكينوس ،
فكان يرسلني آمنا سالما إلى بلادى ! ماذا أصنع ياربى ؟
أأترك هذه الثروة الطائلة هنا ؟ أأدعها فريسة حلالا
لغيري من الناس ، وأهم في هذه البطحاء على وجهي
والأسفاه ! أهكذا يفر رب الفياشين فيلقونى في
شاطئ غير شاطئ بلادى ، وقد وعدوا أن يهبطوا
بي مرنا إيثا كالأمين ؟ اللهم يا جوف العظيم ، يامن
إليه يجار أبناء السبيل والمهاجرون والمساكين ؟

برحى فأرديته ، وكان معه زميل له شرير فذبحته ،
 واستعنت عليهما بدجى الليل ودُجنته ؛ ثم هربت
 تحت أستار الظلام بأحرازي إلى الشاطئ ، نصبت
 حلتى سفينة قياشية رجوت ملاحيا أن يحروا بي
 إلى شاطئ ييليا ، أو إلى حرقا إيليس ... لكنهم
 وأسفاه اضطروا إلى الإرساء هنا لأن ريحا عاصفا
 قسرتهم على ذلك ، فوصلنا هنا برغمتنا في جنح الليل
 البهيم ، ولقينا عتاء عظيما في النزول بالرفأ الأمين ؛
 ومع شدة حاجتهم إلى الطعام ، فإنهم لم يستأنوا ، بل
 تركوني وحدي ، وأبحروا على مجل ، بعد إذ غمت
 على الشاطئ من الإعياء ، وبعد إذ حملوا إلى هنا
 متاعى ... وهم الآن في طريقهم إلى سيدونيا ...
 وهأنذا وحدي هنا ، لا أعرف أين أذهب ، ولا أين
 أمضى !!

وسكت أوديسيوس .. ولكن الراعى الشاب
 الجميل أخذ يتحول في قفون وسحر إلى صورة
 خلابة أخرى ... لقد أصبح امرأة حسناء هيفاء ...
 وهما هي ذى .. تلك المرأة الحسنة الهيفاء .. تبدو
 في صورة ميخرفا - ربة الحكمة - التي اقتربت
 من البطل في تبسم وظرف ، وأخذت تعبت بلحجته
 الكثة الشعثاء في دلال وسخرية ، وراحت بدورها
 تجميه : « مرحى أوديسيوس ... مرحى مرحى !!
 ما أحسب أن أحدا - حتى من الآلهة - يفوقك
 في مكرك وبراعة حيلتك يا ابن ليرتيس !! أما أن
 أن تقلع عن مراءغاتك التي حذقتها مذ كنت يافعا
 وعن توشية الأحاديث الملققة التي حذقتها واشتهرت
 بها في المألين ؟! ولكن ... تعال ... ليدع كلابنا
 ما يحاول أن يزوق به كلامه ، فكلانا بارع في ذلك
 صناع ... أنت بفصاحتك . ودقة فهمك وطريف

موفورة البركات ، ففيها أنضر سهول القمح ،
 وأبهج عرائش الكروم ، وأخصب الراعى الخضر
 الحافلة بقطمان النعم والشاء ؛ تسقى من ماء معين ،
 وأنهار وعيون ... هذه يارجل إيثاكا ... إيثاكا
 المباركة ، التي استطاعت شهرتها ، واستطار ذكرها
 حتى ملأ الخلقين ، وجاوز طروادة ذات المجد ، التي
 لا تبعد شطآنها من آخايا »

وشاع البشر في نفس أوديسيوس لما سمع
 الراعى الجميل يؤكد في لهجة قاطعة أن هذه البلاد
 هي إيثاكا الموعودة ، وهز السرور أعطافه لما رأى
 من زهو الشاب واقتضاره بها ... بيد أنه مع
 ذلك راح يتجاهل ، ويسدى عدم معرفته لهذه
 البلاد ، ويحاول أن يخدع الفتى عن نفسه ، وما
 يخدع إلا نفسه هو ... قال : « أجل ... لقد
 سمعت عن إيثاكا في أقاصي البحار ... والناس
 يعرفونها حتى في كريت التي وصلت منها اليوم
 بمتادى هذا ، تاركا فيها أبنائى وذوى رحى ، فارا
 بنفسى من القملة الهائلة التي فعلت ... يا ويح لى !!
 لقد قتلت المداء المعروف أرسيللو بن أيدومين
 العظيم ، للذى لم يكن يباريه في سرعة عدوه أحد .
 لقد حدثته نفسه أن يسلبنى ماغنمت من كنوز
 طروادة وأسلابها وما حصلت عليها إلا بعد قتال
 شديد ولفظى حرب ، وركوب أهوال في ذلك الميم ...
 وذلك لأنى أبيت أن أقاتل تحت لوائه ، أولواء سيده
 ومولاه ، بل قدت فيلقا من الجند فظفرت
 وانتصرت ، فكبر عليه هذا ، وحفظها لى ،
 وأنصر فى نفسه الندى ، فلما عدنا أدراجنا إلى أرض
 الوطن ، حاول أن يسرقنى كنوزى ، فأقصده ^(١)

حيتك بين الناس ؛ وأنا بحكمتي وقوة يديري بين
الآلهة ... وما أحسبك تبجل مينرفا ابنة جوف
الأكبر ، التي كانت رائدك ورفيقك في كل ما حاق
بك من مكروه ... فلقد كنت أقذف الشجاعة في
قلبك في مواقف شدتك . كما كنت أثير الحمية في
أفئدة الفياشين الذين وصلوا بك إلى هنا وهأنذا
طويت إليك فداقد الرب لأخلو ساعة بك ، ولأن
لي حديث نصح معك ، بودي أن أمحضك إياه ...
وقبل هذا ينبغي أن تخبرك كنوزك التي أسبغت
عليك بمشورتي ... ثم إني محدثتك عما يتحيفك من
أرزاء ، وما يدبر لك من كوارث تحت سقف بيتك ،
ونصيحتي أن تحتمل ما يصيبك أول الأمر بقلب
جليد وصبر ثابت وطيد ، واحذر أن يعلم أحد ،
رجلا كان أو امرأة — بوصولك إلى إيثاكا وحيداً
شريداً لا حول لك ، كما وصلت ، بل اصمت كلما
حاول أحد أن يتعرفك ، واحتمل الأذى كلما امتدت
به يد إليك . » وقال أوديسيوس ، وقد أسقط في
يديه : « لله درك يا زبنة ! ما أبرعك في نقشية الميون
وتضليل الأبصار ، والتشكيل في أي صورة شئت !
يئد أنك برغم ذلك حليلة رحيمة كهمدى بك دائماً
ألا كم نصرت أبطال أخايا المذاويد ، وأظفرتهم
بأعدائهم في ميدان طروادة ... ولكني لن أنسى
مذ ألق أسطولنا من مياه تلك المدينة ، بعد سقوطها
في أيدينا أنك لم تظهرى لنا قط ، ولم تبادري مرة
إلى إنقاذى من إحدى الرزايا التي كانت تحيق بي
والتي كنت أحتملها بقلب حديد ، وصبر شديد ،
حتى رثت الآلهة لحالي فجعلت لي منها مخرجاً وأقذتني
إلى برفاشيا . حيث أثرت في صدري النخوة ،

وأوليتني الشجاعة ، وكنت دائماً دليلى ورائدى ...
ولكن ... أصدقيني بأبيك يا ابنة جوف ، هل
وصلت حقاً إلى إيثاكا ؟ أم أنا في صقع سحق عنها
وإنما أنت تسخرين منى وتبئين في ؟ أصدقيني بأبيك
يا زبنة ، هل هذه بلادى العزيزة إيثاكا ؟ هل هي
حقاً ؟ » وقالت ذات العينين الزبرجديتين تجيبه :
« دائماً حذر يا أوديسيوس ، وإلى الأبد يملأ
الوسواس صدرك ، برغم ما أوتيت من حكمة وتبيان
ورحابة فكر وسلامة جنان ! بيد أنك معدور
يا صاح ، إذ أى رجل لا يتشوف لرؤية زوجه وأبنائه
ولا يتحرق شوقاً للقيام ، بعد هذا النوي الطويل ،
والبعد الممض ، والأحوال الجسم الجملة ؟ غير أنه
أفضل لك ألا تعلم شيئاً ولا تسأل عن شيء حتى تلس
بنفسك مقدار ما تكنه لك من الحب ، تلك الزوجة
الوفية المخلصة التي ذهب شبابها عليك حشرات ،
والتي ذرفت دموعها من أجلك آناء الليل وأطراف
النهار طوال تلك السنين الباكية الحزينة الموحشة ..
إني لم أتركك يا أوديسيوس كما تظن ، بل كنت أعلم
أنك راجع دون ماريب إلى بلادك ، وإن قدت كل
رجالك ورفاق سفرك الطويل الشاق ... غير أنني
أشفقت أن أثير حقن نبتيون ، عمي وأخو أبى ،
الذى يحز الأذى في قلبه من فلتك التي فلت
بعين ابنه السيكلوب ... ولكن هم ... إني سأقطع
شكك باليقين ، وسأدلك على علام تؤكد لك أنك
في إيثاكا ... فهذه هي ميناء فورسيو حكيم
البحار ، وما هي الرتونة الكبرى عند رأس المرفأ
وعلى مقربة منها ذلك الكهف المقدس الإلهي الذى
تأوى إليه عرائس البحر المعروفة باسم النيا ، وقد

بالعود، ويزخرفون لها الأمانى، ويسلمون لها كلمة
الفسق، وهى ما ترداد إليك إلا تحرقاً، وما ترقاً
دموعها من أجلك، فحتال لهم، وتهد هذا وتوشى
المنى لداك، معللة نفسها بموعدك لتسحقهم جميعاً!
واستعير أوديسيوس قليلاً وقال: «أوه! كأن
القضاء الذى أسكت نامة أجا ممنون يكاد يمحى بى
أنا الآخر فى صميم دارى! ولكن... وكى! أضرع
إليك أيتها الربة أن تشيرى على وتنصحى لى وتلقينى
كيف أنار من هؤلاء الطغاة؛ وأتوسل إليك أن تقضى
فى قلبى الشجاعة كما قدفتها فيه تحت أسوار طروادة،
فإنى بمونك أدوخ الثمين من أعدائى، نادامت يدك فوق
يدى، فإنى مستأصل شافنهم جميعاً» قالت مينرفا:
«اطمئن يا أوديسيوس، فساكون معك وإن لم تمتد
إلى طرفك حتى تقتالم أجمعين، وحتى تطيح رؤوس
أكثرهم على أرض قصرك... ولكن تعال،
أنتى باللك إلى، إنى سأغير من صورتك، وأحور من
شكلك حتى لا يعرفك منهم أحد؛ فهاتان الوفرتان^(١)
تستطيلان حتى تغطيا كنفيك وحتى تصلا باللة^(٢)
وسأدرك بدمار مرصع رث يثير التفزز فى نفوسهم
فلا يمدون أبصارهم إليك، وسأحدث أوزاماً حول
عينيك تريد فى تنكرك، حتى ليحسب من يرى
إليك من أعدائك أنك وأهلك بعض الساكين
الذين لا يفتأون يضربون فى الأرض... على أنه
ينبئ أن تلقى رعايك الأيمن (إيوميابوس) الرجل
الوفى الذى ما يزال يخلص لك، وبنى لابنك، ويؤثر

ظالماً كنت تجزى القرابين والأضاحى باسمهن عند مصيده،
وهناك جبل نيريتوس وأولئك غلبته الشجاء...»
ثم رفعت ربة الحكمة العشاة عن عينيه فعرف بذيابه
ولم ينكر شيئاً منها، وهكذا شادت العناية أن يشهد
البطل المكشود بلاده الحبيبة مرة أخرى، وهكذا
خر أوديسيوس جاثماً يقبل برى الأرض المقدسة،
ثم رفع يديه يصلى لعزائس الماء كسابق ذأبه:
«يا عرائس البحر يا بنات جوف الأعظم، لقد قنطت
قبل هذا من أن أراكن، فهأنذا أعود إليك بألف
نذر وألف تحية وسلام... لكن القرابين الغوالى
إذا مدت أختكن — مينرفا الحكيمة — فى أباي
وباركت رجولة ولدى ومعقد أحلامى»

وقالت ابنة جوف تويده: «تشجع يا أوديسيوس
لا طائل لهذه الوسواس التى تمذيك! هلم! البدار
البدار! انسخي! هذه الكنوز فى أغوار ذاك الكهف
السحيق لتكون فى مأمن من عبث عابث، ثم هلم
أدبر الأمر معك» وانطلقت الربة فى ظلمات الكهف
تتكشفه بينها حمل أوديسيوس أذخاره فوضعها حيث
أشارت مينرفا، ثم حملت بيديها الجبارتين صخرأ
عظيماً فأحكمت به غلق المدخل الرهيب، وجلسا عند
أسل زيتونة باسقة، وشرعا يرسمان الخطط ويحكان
التدبير لهلاك المشاق الفساق الماميد، فقالت
مينرفا: «أوديسيوس، يا ابن ليرتيس المجيد، هلم
فاعملى فكرك الآن فى الوسيلة التى تبيد بها أعدائك
الذين لا يستحقون، أولئك المشاق الذين استبدوا
بأسرتك طوال أعوام ثلاثة، واستباحوا حالك،
وتكالبوا حول زوجتك كل هذه السنين ينرونها

(١ - ٢) الوفرة ما بلغ شحمة الأذن من الشعر واللة

ما ألم بالنبك منه

المرقع الرث ، وهاهي ذى تحدث الأورام حول عينيه
وتروده يمزق قدرة قد علق بها التراب والسخام^(١)
وهاكها تضفي عليه بعد ذلك جلد طلي قديم غليظ
وتدفع إليه بمكازة طويلة يتوكأ عليها ، وتعدمه بمزود^(٢)
تدلت منه أوشية قبيحة ، وأحيط بسيور من جلد
عتيق ...

واقترعا ... فهو إلى حيث يلقي راعيه ... وهي
إلى حيث تاتي تلك في مملكة ليسديمون .

« بنع » دريني فنبه

(١) الفهم أو ما يعرف بالعامية بالهاب (٢) خرج

لجنة التأليف والترجمة والنشر

سيرة السيد عمر مكرم

لؤلؤها الأستاذ محمد فرير أبو عديب

سيرة جلية من سير الزعامة الشعبية وصفحة
رائمة من صفح الجهاد القوي خلال القرن
الثامن عشر حتى فاتحة عهد محمد علي عند
ما اجتمعت كلمة الشعب على اختيار ملكه المحبوب
جد الأسرة الملكية الكريمة

والكتاب مزين بالصورة التاريخية

ثمنه عشرة قروش عدا أجرة البريد

ويطلب من اللجنة بشارع الكردامي رقم ٩

ومن الكاتب الشهيرة

بأصق وده زوجك ... فاذهب إذن إلى جُبيل
كورا كس المظل على نبع أريشوزا ، تجد قطمانك
ترعى العشب الحلوثة ، وتسقى من السلسيل المجاور ؛
وتجد راعيك الشيخ يتشوف إلى رؤيتك ، فحيه
واجلس إليه ، واسأله عن كل ماترى أن تعرف من
أبناء بيتك وأهلك وعقارك ، وتلبث معه حتى أعود
إليك بابنك من أسطرة ... ابنك تلك الذي ذهب
ينزع الرج سائلا عنك ، متحسسا أخبارك حيث
حل ضيفا كريما على الملك منالوس ، الذي أرسله
إلى ليسديمون ليرى هل ما زال أبوه حيا يرزق ؟
قال أوديسيوس : « وأسفاه عليك يا ولدي !! ولم
أبها الرية المحيطة بكل شيء لم تخبره أنني حي أرزق
وأنتي لا بد عائد إليه ، فكنت كفيته بلاء الرحلة
في تيه البحر ، بينا هؤلاء الكلاب يستزفون ثروته
وماله ؟ » فقالت نجيته : « لا تأس على ولدك هكذا
يا أوديسيوس ؟ لقد أرسلته أنا ثمة ينشد الشرق
وينشر ذكره بين الناس ... إنه لا يلقى عنتا هناك ،
بل هو ينعم بالرعاية في قصر أتريدس ! واعلم أن
فريقا من عشاق بنلوب يتربصون به ، ويتربصونه
في طريقه ابتداء أن يقتلوه قبل أن يبلغ أرض
الوطن ... ولكن لا ... خاب فاهم ... إنهم لن
يمسوه بأذى حتى تكون الأرض قد رويت من
دمائهم ، وغيبوا جميعا في بطونها ؛ أولئك السفلة
الذين يستحلون زادك وعتادك الآن » . ثم مسسته
بعضاها السحرية فبدت عليه بدوات الكبر ؛ فهذا
جلده قد تفضن ، وهاتان وفرتاه ولته قد استطلت
حتى بلغ شعرها قديمه ، وهاهي ذى تضفي عليه الدثار



Almanac

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب

على هدى وبصيرة

الرسالة : تعبر باخلاص عن روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية

الرسالة : تصور مظاهر العبقرية للامة العربية

الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية

الرسالة : تحيي في النشء أساليب البلاغة العربية



بمجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

الجديد ، وسجل الأدب الحديث ، ودائرة معارف عامة



الاشتراك المداخل ستون قرشاً ، والخارجى ما يساوى جنبها مصرى ، وللبلاد العربية بمضم ٢٠ ٪

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ عن العدد الواحد

الادارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦
الغنية الخضراء - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

الحرورية

مجلة أسبوعية للقصص والبرامج

نصدر مؤقثاً في أول كل شهر وفي نصف

العدد الثامن عشر ١١ شعبان سنة ١٣٥٦ - ١٦ أكتوبر سنة ١٩٣٧ السنة الأولى



من أحسن القصص

فهرس العدد

صلىحه			
١٠٩٨	الطلل	أقصوبة مصرية	يقل الأستاذ محمود خيرت
١١٠٦	أم إمام	أقصوبة مصرية	يقل الأستاذ غفرى أبو السعود
١١١٦	السهم الرابع	للكاتب الروسى أنطون تشيكوف	يقل السيد جورج سلسقى
١١٤٢	الحظ	أقصوبة مصرية	يقل الأديب نجيب محفوظ
١١٢٨	الراكبون إلى البحر	للكاتب الارلندى جورج ملتون سنج	يقل الأديب شكرى محمد عياد
١١٣٤	الملك الشاب	للكاتب الانكليزى أوسكلر وايلد	يقل الأديب بشير الفرقي
١١٤٢	إنت تهمل البار يصعب عليك إطفائها	للقصصى الروسى الكونت ليوتولتسوى	يقل الأستاذ عبد اللطيف النشار
١١٤٨	اعترافات فتى المصر	لألفريد دى موسيه	يقل الأستاذ فليكس فارس
١١٥٣	الأوذية	لهومبروس	يقل الأستاذ دوتى خشبة

الطَّلَلُ

لِلْأَسْتَاذِ مُحَمَّدٍ خَيْرْت

ولو أنك رجعت
القهرى إلى النصف الثاني
من القرن الثامن عشر
لأيت رجلاً مقوساً
حطمه الكبر ويبيض
لمته أحداث الزمن
معروف باسم « الشيخ
حسن » اعتاد كل ليلة
قبل الفجر أن يسلك

رويداً رويداً ذلك الطريق الصاعد وهو يرتكز في
خطواته على قدميه ارتكازاً كأنه يحاول بضبطهما
أن يرسم في تراب الطريق صورة من حمل السنين
التي أثقلت ظهره

من عساه أن يكون هذا الشيخ البائس ؟ وما
الذي يدفع به كل ليلة وهو من الضعف بحيث
لا تستطيع أن تجعله ساقاً إلى ذلك البرج وكأنه
في خشوعه مُقبلٌ على عراب ؟

طلل من بنى الانسان كان لا تهدأ نفسه إلا إذا
سعى إلى زيارة الطلل الصامت وقد كان قسيمه في
أحلام الشباب كما كان قسيمه في نحوس الأيام !

في ذلك المهد كانت هذه المنطقة أهلة بالسكان
عامرة بالحركة يقوم فوق ربوتها قصر منيف على
الطراز البيزنطى العربى ، له من جهة ذلك الطريق
مدخل ذو باب نفخ ضخم من خشب السينديان
رُكزت فيه مسابر غليظة هي ومقبض ساعته من
النحاس الأحمر . وكانت له في جهاته الأربع
(مشربيات) رشيقة على مثال (مشربية) ذلك البرج ،
كلها من خشب القزو التركى المخروط الضيق العيون
مما يساعد على استرواج الهواء الهادى واستقبال
النور اللطيف

وكانت جدرانها من الداخل مكسوة بالقاشانى

على الشاطئ الشرقى من النيل عند ساحل (أثر
النبي) لسان بارز في النهر يترك إلى يمينه مرفأ متوسطاً
على شكل نصف دائرة ، يبدأ عند ركنه الجنوبي
من جهة الشاطئ هذا اللسان الذى يأخذ في الصعود
حتى ينتهى إلى ربوة مرتفعة يقوم على مسافة من
حافتها بناء مهديم لم تبق البالي منه غير زاوية تمتد
أحد ضلعيها في اتجاه ذلك الطريق الصاعد ، والثانى
في اتجاه مجرى النهر . ويقوم عند ملتقى هذين الجدارين
جانب من برج عال متصدع فوق شرفة مستديرة
أشبه بمظلة من خشب قديم متفحم . وبأسفل هذه
الشرفة (مشربية) كوجه بارز يعلو فتحتان أفقيتان
كالنيتين كسا كرو السنين زجاجها بطبقة من خضرة
مفبرقة ، بحيث إذا نظرت بعد منتصف النهار إلى هذا
البرج وقد انعكست أشعة الشمس عليه وعلى زجاجه
خيل إليك وأنت في وسط النهر أنه شبح قائم في
أعلى تلك الربوة يحدق في الفضاء . يمين تنثر من
فجوتها شرارات خضر . وأما إذا نظرت إليه في
ليلة يطرح القمر على فضاءها شبكة من نور وستان
ضئيل تمثل لك كأنه راهب أشعث في جلبابه
الأسود اتصب فوق تلك الربوة وهو ينظر في سكون
الليل إلى أمواج النهر تتدافع من تحتها ولها قصيف
متقطع كأنات الحزين تخرج من جوف الماء فتعزق
سمت ذلك السكون

من الصيد ومن الوجه البحرى حيث ترسو عند هذا المرفأ وخدام السفن في حركة لا تنقطع يجرّون من هنا ومن هناك لطف الشرع وتفرغ المحمول وتقله إلى مخازنه ، وهم يجتازون ذلك الطريق الصاعد رويداً رويداً في جلبة من الفناء والتهليل

في مستهل القرن السادس عشر كان على « حلب » حاكم من المالك اسمه خير بك لم يفل السلطان سليم حين وفد إلى مصر عن المساعدة للتي قدمها إليه وهو يمدد سرأ باليرة والمال فعمله على القاهرة بعد أن تم الأمر في مصر على يد العثمانيين . فخير بك هذا هو أصل هذه الأسرة والجد الأول لمحمد بك نصر الدين خير ذلك التاجر الذي جثنا على ذكره .

وكان لمحمد بك هذا أخ أكبر منه سنأ قُتل غيلة في بعض الليالي فتمهد ولده حسن في هذه البار بالراعية والتربية مع أخته نادر كُمل (أى الورد النادر) وكانت هذه الفتاة يتيمة من أمها ، ولم يكن لأبيها سواها ، فكانت محبة إليه عزرة عليه لا يصبر على فراقها ، ويتحاشى أسباب الأساءة إليها أو اللظظة في معاملتها إلى حد أنه لم يفكر يوماً في الزواج بغير أمها حتى لا يحزنها أو يجرح شعورها . وهكذا نشأت هي وابن عمها الذى أصبح فيما بعد ساعد أبيها الأيمن في تجارته ، على الألفة والحب

وكان كلاهما على قسط وافر من الوسامة وجانب كبير من حسن التقدير وسلامة الذوق ؛ وقد تجانست ميولها واتحدت غايتها فكان من ذلك وحدة شفاقة متألقة تجعل من زواجهما جنة وارفة الظلال ملؤها النعيم والسعادة

وكانت لا تنتظر إلا بعينه ، ولا تنصت إلا بسمعه ، ولا يخفق قلبها إلا له ول به . حتى أنه كان إذا رحل في

المختلف الألوان الجليل النقوش . وسقوفه ترينها زخارف عربية غائرة وبارزة بديمة التنسيق ، بعضها مدھون بألوان يتحكم فيها الازورد ، وبعضها عمود بالذهب المادى اللبان . وكان يتدلى منها ثريات مثمنة الأضلاع ملقن في زواياها قناديل غروطية من زجاج أخضر يتخلله عروق على هيئة أوراق الشجر جميلة الشكل . وبأركان الحجرات أوان من الفخار المحترق المكسو بطبقنة من اللنا أو من النحاس المنقوش الكفّت بالفضة أعدت للزهور أما البسط ومختلف الطنافس والرايش والتحف فلا حاجة إلى محاولة وصفها لأن كل وصف يتناولها لا يسمو مهما بلغ من دقة التميز إلى الإلھام بحقيقة جمالها ودقتها ؛ ويكنى أنها كانت آية من آيات الصناعة ودليلاً ناطقاً بمسرة صاحب الدار وسلامة ذوقه ولا تنس إيوان القصر وهو بطبيعة الحال يشغل الطابق السفلى على ارتفاع متر من مسطح الأرض ، ويصعد الزائر إليه بثلاث درجات عريضة عند طرف كل منها أصص من الزهر

ويرتكز سقف الإيوان في جانبي هذه الدرجات على أربعة عمد أسطوانية من الرخام تيجانها على هيئة أبقايس تربط أركانها بهذه العمود تُطلق من النحاس ، وقد توسط أرض الإيوان الزينة بالفسيساء نافورة رشيقة من المرمر يحيط بها أوان أثرية بها زهور جميلة . وعلى كل حال فقد أعد هذا الإيوان لزوار الدار يقطعون فيه سهراتهم مع صاحبها بين بحار الطيب وأكواب الشراب وعلى أصوات اللنين وأنغام الدف والطنبور والناى

أما النهر حول هذا القصر فكان بين وقت وآخر يوجج بالسفن الشراعية الكبيرة المعدة لنقل الأخشاب والحبوب مما يتجر به صاحبه تيجى بها

اكتشف دليلاً جديداً على توثقه ، وليس لحسن خير منها ولا لها خير منه وهو ربييه وابن أخيه والشرف على إدارة شؤونه

وكانت هي أيضاً لا تجهل نواياه هذه نحوها ونحو هذا الذي كانت لا تشعر بالسعادة إلا إلى جنبه وفي ظل الزواج منه ، ولكنها مع ذلك كانت تفرّ من هذا الزواج فلا تلتجئ لابن عمها به ولا تتمجّله فيه ، بل لقد كانت كلما حاول استدراجها إلى الكلام في أمره أقسدت عليه محاولته وأسرت ففبرت مجرى حديثه عنه ، ولكن في أسلوب لبن مستطاب لا يشعر عنده بأنها تقصد إلى ذلك

وفي الواقع أنه لَينَ الغريب أن يجد الجائع سبيله إلى الطعام ثم تواف نفسه أن تمتد يده إليه ، وإذا سألته في ذلك انتقلت خواطره فجأة إلى عالم آخر ، وكذلك كانت نادركل إذا خاطبها حسن في شأن الزواج ظهر عليها الاضطراب وصبغ وجنتها الخجل ثم انتقلت فوراً إلى هذا العالم وقد دبّ في نفسها شعور مهم جعلها تعتقد أنها لن تبلغ أمنيئها من هذا الزواج مع أن كل ظواهر الحياة في تلك الدار كانت لا تدل على أن هناك عقبة ما في سبيله .

وهكذا كانت إذا همّت تكشف حبيبها به وقف لسانها في فيها وأحست كأن يداً خفيفة جبارة تسترجعها وتحول بينها وبين النفوذ إلى غرضها أما هذا الشعور فقد خالط خواطرها على أثر ليلة رأت في حلمها أن أمها سقطت في البئر وكانت تتوسل إليها وتستصرخها فألقت بنفسها فيه ، ولكن التيار كان شديداً فقلبها وجرفها معها

ولقد نشأت نادركل نشأة صالحة تحفظ كثيراً من آيات الكتاب وتجوِّص على الصلوات فما ذهب ظنها إلى أن ما رأيته كان من قبيل أضغاث الأحلام ، بل لقد استقرّ في ذهنها أن روح

شأن من شؤون التجارة انسدل على وجهها قناع قائم من الحزن ، وأحست فراغاً موحشاً تضطرب له خواطرها وأحلامها . فتألم (مشرية) ذلك البرج وترسل نظراتها إلى قبة السماء الصافية لا لتتفقد نجومها ولكن لتتظفر في خيالها بذلك الكوكب الأنيس الغائب عنها

وكانت رحلته تمتد أحياناً إلى أسبوعين ، وقد تنتهي في أقل من ذلك تبمّا لبعد النواحي التي تحمل السفن عروض التجارة منها فكانت تقدر على وجه تقريبي ذلك اليوم السعيد الذي يعود فيه . وعند ذلك تألم نافذة البرج ترقب منها أشباح السفن النائية وما كانت لتخفي عليها لعلامات فيها تميزها عن غيرها ، حتى إذا ما هلت غمر السرور نفسها ورد إليها بشاشتها والسفن تهتز سارياتها كأنها نشوى ، وتحقق شرعها فوق الماء كأنها مناديل النازحين يلوحون بها من بعيد إشارة إلى العودة واقترب ساعة اللقاء . ولم لا والسفن والدور والأثاث وكل ما يتصل بالإنسان تثبت فيه ريحنا ، وتسكنه ذرات خفية من خواطرنا وأحلامنا وأنفاسنا وأرواحنا ، فتصبح كأنها مِنّا تحمس بحسنا وتشعر بشعورنا ؟ للدور أرواحٌ تحسُّ لأهلها

وتطوف من خلل الحواجز حوَّماً وضاءً بهمُ الزمان فإن همُ نزعوا تنشأها الظلام وخبيا وهكذا تظل (نادركل) نشوى بهذا القرب حتى إذا دنت السفن من المرفأ ورفع حسن بصره إلى (المشرية) يحببها بغمزة من حاجبيه اندفعت إلى رأس السلم تستقبله وتطبع على فمه قبلة حارة يثيب صوابها عندها

وما كان يخاف على أيها ما توثق بينهما من علائق هذا الحب ، بل إنه كان يشعر بالنبطة كلما

عنه شيئاً من خصائصها حتى كأنه حيالها عند كتاب مفتوح . وقد أدركت نادركل قلقه هذا فأرادت أن تضع حداً لعذابها ، وكانت الفرصة مواتية وقد أقبل عليها وهي لا تزال إلى جانب تلك النافذة —
وعما يحسن ذكره هنا أنه كان لأبيها في تجاربه شريك اسمه « احمد أغا » وهو رجل في الستين من عمره قصير القامة بدين الجسم شادبه الغزير يكاد لطوله يصل إلى أذنيه ، وأنفه كبير موج كمنقار النسر ؛ أما شفتاه ففليفلتان تنفرجان عن أسنان صفر مخز فيها السوس ؛ وأما حاجباه فكثيفان يُظللان عينيْن لا يدري الناظر إذا كانتا غائرتين أو جاحظتين ، ولكنهما كانتا تبرزان كلاهما إلى غرض من الأغراض ، وتنفوران إذا فكر في تديير أمر من الأمور .

ولقد قضى هذا الرجل حياته تاجراً ؛ وكان يخيل إليه حرص كل الحرص على الذهب لأنه في عينه الغلة التي لا تتأثر بأحداث الزمان . ولذلك كان في نبوة عن التفكير في الزواج أو الانصراف إلى غيره من أسباب اللغو . ولكنه وقد أترى واجتمع لديه من سيد المادان آلاف الدنانير فكر في الترفيه عن نفسه ، فكان لا يحمله السهر إلا عند شريكه ، فوقع نظره مرة على نادركل وأدرك ما هي عليه من الملاحظة التي جرت في ذلك العهد مجرى المثل والناس يطلقون عليها اسم « جمال نادركل » أي جمال الورد النادر ولذلك افتتن بها وقوله فيها . وكثيراً ما كان يطلبها من أبيها والحاضرون من المحبوبين عليه يساعدونه في ذلك وهو صامت ممسك عن الجواب فيكتفي احمد أغا بذلك وفي هذا الصمت دليل الرضى وما كان حسن يحضر مجلس عمه ، لأن الأدب التركي ينفر من ذلك ، ولأنه ففي عمر قلبه الصالح

أما قلقه عليها منزجبة لها ، وأنها لم تكن غير تلك القوة الخفية التي تجذبها وتستوقها والأرواح مكشوفة عنها الحجب فهي ترى في هذا الزواج ما لا تراه عليها التي غشت عليها كثافة المادة وملاً فراغها زخرف الحياة . وقد يكون لهذا الحلم أيضاً مجرد معنى التنبيه بأن هذا الزواج لن ييم ؛ وعلى كل حال فقد كانت من تلك الليلة وهي تحت سلطان هذا الحلم لا تفارق نافذة البرج ترسل إلى النهر نظرات زائفة حزينة كأنها تفتش في لججه عن مكان تلك الأم التي كانت تستنجد بها

وكان يخيل إليها تارة أن سطح الماء أخذ يرتفع كأنه تحت تأثير مد قوي ، حتى إذا اقترب من وجهها وهو يلمع كالمرآة أبصرت فيه عينيْها وقد أخذتا تسيمان وتقربان ثم تختلطان ، فإذا ما استحالتا إلى عين واحدة كهوة واسعة سحيقة انحدرت روحها إليها وغاصت في ظلامها

وتارة كانت ترى الماء ينخفض رويداً رويداً ثم يجف فينكشف لها قاع الوادي وقد بثمرت فيه جثث لفتيات فانتات ما زلن حافظات لنفوسهن حاليات بمقودهن اللونة وأفراطهن الذهبية ، وعلى شفاهن ابتسامات ، وفي عيونهن استقرار وهدهد ؛ وعند ذلك يذهب خاطرها سريعاً إلى أنهن من عرائس النيل اللاتي كان القدماء يزفونهن كل عام إليه

وكانت هذه الخواطر لا تفارقها حتى في الليالي القمرية والبدر في كبد السماء يصب على سطح النهر المرتجف رذاذاً ناعماً من النور فيستحيل إلى قطع مبعثرة متألقة من ماس متحرك . على أن حسن لم يخف عليه أمرها ولا يحاولها ، ولكنه كان في حيرة ، وهي بالرغم من ذلك تصفيه حبها ولا تكتم

أشهد الله عليها وهي أننى لن أكون فى حياتى يوماً
ما لنفرك .

وعند ذلك طرق سمعها نشيد بعض الملاحين
فأطلت من النافذة بينما هو فى مكانه ذاهل مفكر ،
ثم التفتت إليه كالطبية تقول : ما أسعد هؤلاء الناس
بقضون حياتهم بين الماء والسواء ويستنشقون من
عليل النسيم ما صفا من عواصف الأكدار !

وصرة أخرى صعد إليها ينبها باقتراب يوم
الاحتفال بوفاء النيل فهلت على وجهها بشاشة
خالطها حزن ، ولكنها سرعان ما حالت بينه وبين
الشعور به سائلة فى استنكار :

— ولم هذا الاحتفال والنيل فى هذا العام
شحيح ؟

— إنها عادة يا نادر

— ولكن قصد بها تكريم النيل إذا ما جاد
بفيضانه حتى قالوا كما قلت أنت الآن : « الاحتفال
بوفاء النيل » فهل حتى مع عدم وفائه يكون استمرار
هذه المادة مما لا بأس به ؟

وعند ذلك أرتج عليه ووقع فى حيرة وقد
فوجئ بهذا الاعتراض الذى لارد عليه ولا حيلة
فيه ، ولكنها هونت عليه موقفه قائلة :

— وإذا كانت ظواهر الحال تدل على أنه
لا يبشر هذه السنة بفيضان فلم لا يهتبون له عروساً
كذلك التى كانوا يزفونها إليه من قديم ؟

وعند ذلك انفجر حسن فى ضحكة طويلة منقطعة
وهو يقول : هب أن القوم على استعداد لإحياء
تلك المادة من جديد فن هي التى ترضى الآن بأن
تكون تلك العروس ؟ فصاحت : أنا... أنا ، فما أبهى
هذا اليوم الذى أنال فيه هذا المجد ، ويقام فى فيه

لا ينشئ مثل هذه المجالس . على أنه سمع ذات ليلة
أحد أغا يلح على عمه فى قبول زواجه من نادر ،
فاضطرب خاطره واشتغل بالله وكاد يمك بطرف
الخط من سر استخفافها بالزواج

— دائماً إلى جانب هذه النافذة يا نادر ؟

— ولم لا وأنا أطل منها على هذا النهر الصافي
والنسيم يداعب سطحه بأمله الخفية الناعمة ، والشمس
تنسج له من خيوطها الذهبية هذه الحلة المتموجة
البيدية ، وهذه السفن بشرعها البيضاء تختر فيه
كأشها أوز عائنات ؟

— ولم لا تطلين من نافذتى عيني هاتين فكنت
ترين ما أعددت لك بقلبي مما يسمو على كل هذه
المشاهد ؟ إنك تجدين فيه محراباً أعددت لهادة هذا
الحسن فيه ، وتجدين جوانبه يقرها نور غير هذا
النور لأنه معنى من معانى حيك ؛ ولكنك تجدين
أيضاً إلى جانب كل هذا ركناً مظلماً خصصته
لشقاى ومدمامي ، وأنا لا أجد معنى للحياة إلا بك
وفى ظل رضاك

— وما الذى لسته فى يدفع بك إلى هذا
الركن الذى لم يكن إلا من صنع خيالك . لقد آن
أن أفهم إذن أنك لا تزال تبجل ما أحفظه لك فى
نفسى من الإعجاب والتقدير

— والحب ؟

— والحب يا حسن

— ولكن لسانك وحده هو الذى جرى
بهذه الكلمة

— بل قلبى الذى أرسل بها إليه ليخملها إليك

— إذن لم تتحولين ؟

— اسمع يا قبله أملئ وخذها منى كلمة صريحة

وقد بدأ بالفعل يسكون عن الوفاء بها نقداً أو عيناً
فرأى من الحكمة لهذه الاعتبارات كلها ألا يتردد
في قبول رجاى شريكه لأنه غنى ، ولأنه رجل الساعه
في تلك الأوقات العصية . وهكذا عقد له عليها
بصفته ولى أمرها ، ثم اختل بها ليوقفها على مسلكه
وهو واثق — بمد يان كل تلك العوالم السيئه —
من رجاحة عقلها وطاعتها

— أراك لا تبيين يا نادر

— وما الفائدة وقد وقع المخذور؟

— وهل إذا وضعتُ نفسي في إحدى كفتي
الميزان وكان ابن عمك في الكفة الأخرى رجحته
على ؟ ...

— كلا . ولكن الذي كان يوضع في الكفة
المقابله لكفته إنما هو ذلك الصهر الجديد لأنت ؛
إنه هو الذي بعثني إليه يبعاً كأثني من بعض السلع
أو من سقط المتاع . أو نسيت يا أبن أنهُ هو الذي
قتل من قبل أخاك ؟

— إشاعة لم تلبث أن تبددت كالنخان

— وهل ثمة دخان بغير نار ؟ إنه هو وحده
الذي قضى على عمي ؛ وهذا أنت تنكته من القضاء
على ولده ومن القضاء على أيضاً . وقد أقدمت على
ذلك وأنت هادى قرر البال ، لأن ابنتك البريئة
المظلومة لم يعد لها حساب ولو ضليلاً في إحدى
هاتين الكفتين

— نادر ...

— ولا ليتك حين فعلت في مام سيدنا ابراهيم
أن يفعله بولده ، كنت مثله في حسن التقصد وما أراد
إلا وجه ربه ؛ أما أنت فما أردت إلا وجه هذا المبود
الذى انصرف إليه الناس من دون الله ... المال ...

مثل ذلك المهرجان ويشير إلى الناس عنده من جميع
النواحي وهم يتهايمسون : تلك هي المروس ، تلك هي
عروس النيل

وما كانت اللحظة متسمة ليفعل هول هذه
الخواطر فله فيه لأنها كانت تنفض كالقصبه وقد
تصبب جبينها عرقاً ثم سقطت فوق الوسادة التي
إلى جانبها منثبياً عليها

ولقد كان هذا الحادث وما سبقه من الأحداث
كافياً ليضع حسن يده على الحلقة المفقودة من موقف
ابنة عمه معه . إنها تحبه وتعبده لاشك في ذلك ،
ولكن هناك إلى جانب هذا الحب حائلًا تحاشت
الإشارة إليه في أحاديثها ، وإلا فلم حين ضيق عليها
الحصار يصدد هذا الزواج ولم تر وسيلة هذه المرة
إلى الإفلات منه تخطته إلى ذكر غيره فقالت :
« لن أكون في حياتي يوماً لمليرك » لأنه لو لم يكن
هناك شخص ثالث يزاحم فيها لما أشارت في وعددها
إليه ولقالت له في صراحة : « ثق يا ابن عمي أنك لي
وأني لك فلا مانع عندي من هذا الزواج » ولذلك
أيقن بأن مطمح ذلك الشريك وصل إلى علمها من
طريق آخر

ولقد كان أبوها هو نفسه الذي باح لها به لأنه
من زمن غير قصير لاحظ بوادر الخطر على الحالة
الاقتصادية في الوجهين البحري والقبلي وقد ازدادت
هذه الحالة سوءاً بسبب قلة الفيضان كما شاع أن
الجراد أخذ أيضاً يتحضر للهجوم على الصعيد وقد
لا يلبث أن ينتقل بعد ذلك إلى الوجه البحري مما ينذر
بقحط صرعو يم جميع البلاد
ولقد كانت كل أموال الشركة في أيدي الناس

من الطبول أو الأواني النحاسية أو غيرها ، وهم يصيحون : الجراد الجراد ، ثم يهللون ويكبرون ومن كان ينظر يومئذ إلى السماء — وهي تكاد تشتعل من الحر — كان يرى سحباً مقبلاً من بعيد ، وكان نحاس اللون مندجاً بمضه في بض وهو ينوح كالريح العاتية إذا صادتها في انطلاقها غابة كثيفة وما كان هذا السحاب إلا ذلك الجراد متاسكاً بأجنحته الصلبة المنبسطة — وبالرغم من ذلك الصراخ والتهليل وقرع الأواني والطبول — فإنه كان يتقدم دائماً نحو هذه المنطقة ، وقد أرسل من تحته على السهل وعلى سطح الهر ظلاً متحركاً فسيحاً ...

ولما أن ساءمت تلك الكتلة الرؤوس أخذت أطرافها في الضمور شيئاً فشيئاً تاركة فيما بينها فراغاً متقطعاً حتى أصبحت كأنها موشاة بمخيوط تتدلى منها على هيئة ذنائب . وعند ذلك أخذت تنفصل عنها وحدات كالرذاذ الذي تمطره السحب ، وقد بدأ يتحدد شكلها وتظهر العين حمرتها ، ثم أعقب ذلك تهتك الكتلة كلها وانهارها كوابل خشن له صوت أجش مدوّ ؛ فكانت الحقول على مرى الأنظار منقطعة ببطقة كثيفة من هذا الجراد . وعند ذلك بدأ الاقتتال وقد علا صياح غلظت مزيج ودوت فرقعة وهرس ، وكأنا الناس بمحاولهم وقوسهم يتصارعون مع تلك الأرض المتحركة المألجة

على أن الدور لم تسلم من هذا الضيف الثقيل أيضاً ، فقد كان يساق إلى داخلها من أبوابها ونوافذها ومداخلها ، وقد أخذ يتعلق بحوامل الأستار ، أو يحتجى في قناتها وهو يقرضها وهشما بينها طوائف منه تثب بين أركان الغرف وترحف فوق الجدران وقد امتد ظلمها إلى جانبها تاركاً فوقها صوراً مزججة غيفة

إلى المال الذي أصبح في عينيك كل شيء . بل ياليتك أنت الذي همت بذبحي منك ، فكنت لك نعم الفداء وأنا راضية أضع قلبي على حد مدبتك قبل أن تمتد إلى عني . إنك نسيت كل ذلك وتركتني إلى هذا الغليظ العاتي تدفن شبابي عند شيخوخته القاسية . والآن — بعد أن قضى الأمر — فليكن ما أردت ؛ ولكنني سأعرف كيف أختار القبر الذي أوسد في ترابه هذا الشاب

— أنت ؟
— نعم
— وكيف ؟
— هذا شأني
— ابنتي ...
— أنا الآن زوجة أحمد أنا ...

وعند ذلك اندفعت إلى غرفتها وأغلقت بابها من دونها . أما هو فحملوه إلى حجرة نومه بين حي وميت

وكانت الأخبار تزد من شتى البلدان منذرة بسوء الحال لوقوف حركة الأخذ والعطاء ، ومجز التجار عن الدفع ، وللمتهدين عن تسليم ما في ذمهم من أعلاق التجارة ؛ فلم ير محمد بك إلا أن يقوم ابن أخيه في الحال يطوف بالتمامين منه لا تقاذ ما يمكن تحصيله من الحقوق ، ولذلك كانت رحلته في هذه المرة طويلة شاقة

على أنه ما كاد يعضى على سفره يومان — وكان ذلك في وقت الضحى — حتى استحال هدوء المنطقة وما جاورها إلى حركة مدوية ، وقد ارتفعت الأصوات ، وانفجر الصراخ ، وهرع الناس ينقرون بكل ما يصادفهم من عصي وقضبان على ما يقع تحت أيديهم

بساطاً وردى اللون تتخلله شرارات حمر كأنها
فصوص الباقوت . وكانت الريح قد أخذت تشتد
مقبلة من الشمال ، وقد كاد يحنق قرص الشمس
خلف الأفق ، والأمواج يطغى بعضها فوق بعض
وهي ترتطم بالشاطئ تحت نافذة البرج

في تلك الساعة الرهيبة شمعت نادر بوقع أقدام
ثقيلة تقترب مقبلة من جانب السلم ، فأبجنت لترى
ذلك القادم فإذا به أحمد أغا ، والغضب ينطق في
وجهه ، والشر ينبثق من عينيه ؛ وكان على غير
عادته يحمل في حزامه الغليظ غدازة وخنجرًا برز
طرفه فوق سرواله الضبابي فأيقنت أنها عند ساعتها
الأخيرة مع هذا الرجل الذي جعل أبوها منه لها
جلاداً لا زوجاً

ولم يمض على حوارهما أكثر من دقائق حتى
استل خنجره من غمده وانقض عليها كالنمر الجائع
في تلك اللحظة الفاصلة بين الحياة والموت أو بين
الشقاء والراحة طاف بخاطرها ذلك الحلم القديم
وأما تناجيهما وتبصرهما ، فأندفعت من نافذة
البرج نحو النهر

وعند ذلك أسرع خلفها من نافذة قريبة منه
تطل على الرفا ، وكان سباحاً ماهراً ، ولكنه
صادف في هبوطه مساراً غليظاً في حافة زورق مثبت
في الشاطئ فنفذ في غيّه ، فذهب غير مأسوف عليه
وكانت النار قد اتصلت بأخشاب الحانوت وزاد
هبوبها اشتداد الرياح ، فالتوت نحو القصر بحيث
لم تمض ساعات حتى استحال إلى شعلة هائلة كأنها
خارجة من فوهة بركان

وهكذا لم يبق من هذا القصر الذي كان زينة
القصور إلا هذا الطلل القائم يندبه حسن ويسكيه

(القاهرة) محمود خيرت

(٢)

وعند ذلك أيقن محمد بك باستحالة الهوض من
هذه العمرة التي قضت على ثروته وآماله . وكان لا يزال
مريضاً على أثر تلك الحادثة التي تقدم ذكرها ؛ فكانت
هذه الصدمة الجديدة القاضية على حياته ، وقد احتقن
وجهه وعسر تنفسه ، ثم سقط في نوم ثقيل لم يبق
بعد منه ...

أما أحمد أغا فكان فارس الميدان يصول ويجول
في الدار يحكم الشركة ويحكم المصاهرة . وكانت
نادر كل - وهي في ثوب حدادها - تفكر في أمر
هذا الزوج العاتي معها وفي غيبة حسن عنها ، ولكنها
كانت لا يزال أمامها شهر حتى تنقضي مدة الأربعين
التي تنتهي بها أيام الحداد ؛ وقد يعود حسن في
خلال ذلك فتدبر معه أمر الخلاص من هذا الرجل ،
ولكن حسناً لم يمد ؛ وأخذ أحمد أغا يلح عليها
ويستعجلها ، وهي تسوف وتنتحل للمآذير لهذا
التسوف

وفي عصر يوم من الأيام كان في حانوت الخشب
القائم على حافة الرفا من الجهة المقابلة للدار ويده
مقبض النارجيلة ينثف دخانها منه في الهواء ، وهو
يفكر في أمر تلك الفتاة الحرون ، ويعجب كيف
- وهو القوى البطش القوى السلطان - ثقليه
على أمره ، وتضع بينه وبين ساعة العمر التي ينتظرها
سداً من تلك الأسباب والمآذير ؟

وعند ذلك تأرت تأثرته وصعد الدم إلى وجهه
فنبذ النارجيلة بعيداً ، ونهض مسرعاً نحو الدار غير
شاعر بأن حركته هذه قلبت النارجيلة ، وبمئرت
قطع فحمها الملتبها فوق أرض الحانوت

في تلك اللحظة كانت نادر كل عند النافذة
والشمس تؤذن بالغيب ، وقد مدت على سطح الماء

وهزتها فانفجرت الفتاة
غيطاً تقول : « نفتش
عليه فين دلوقت والخاليق
نايمه ؟ انت انهيتي
والا ايه ؟ »

فلما يئست منها
صبيحة صعدت إلى
السطح ، وكان ضوء
القمر يغمره ويغمر
ما عليه من أحمال الحطب

أَقْصُوصُ صَبِيحَةِ مِصْرِيَّةٍ لِلْأُسْتَاذِ فَخْرِي أَبُو السَّوْدِ

و (كيزان) الدرة وأقراص (الحيلة) ، ويمتد إلى آخر
البلدة . وكان يقوم في وسط البلدة مثدنا الجامع القبلي
وجامع المدة البحري وتترأى من بُعد أشجار
السرو والنخيل ، وانحدرت صبيحة عدداً من
الدرجات ومشت إلى الباب وفتحته قليلاً قليلاً .
فلما تأكدت من انقطاع الرجل خرجت تلتفت بمنة
ويسرة ، ثم دلفت إلى الطريق الواسع وكان يسير
محاذياً فضاء كبيراً تمتد فيه البيارد ، وما تزال النوارج
قائمة فيها كالأشياخ القابعة وسط المحصول وتسللت
بجانبا الحيطان متضائلة ملهمة ثيابها لا يبدو منها إلا عين
أو عينان حتى صارت على مقربة من دكان قائم بجانب
جزيرة ضخمة ، تنبسط أمامه بركة واسعة ثلاثاً وثلاثين
كالفضة في ضوء القمر الصافي ، ووقفت صبيحة على
مدى تستمع إلى حديث القوم التجمعين أمام الدكان
لعلها تميز صوت ابنها ، فقد كان من عادته أن يسهر
هناك ، ولكن لم يطل بها الوقوف حتى لمحها القوم ،
وانتصب أحدهم قائماً فسلط ضوء القمر على مقدمة
لبده وفوهة بندقيته المدلاة خلف كتفه ، وصاح :
« مين الي هناك ده ؟ » فارتدت صبيحة على أعقابها
مسرعة إلى الدار ، ولكن الخفير ارتبأ في أمرها
ولاحقها أمراً بالوقوف مهدداً بإطلاق النار ، فلما

كان القمر يري شعاعه من طاقة في الدار على
جسم مضطجع بين الجلوس والرقود ، مشتمل
بجلايب سوداء ، ومضى هزيع من الليل وقامت
جلبة بين الأوز في حظيرته ، فأنهت صبيحة من
غفلتها بين النوم واليقظة ، بين أحلام النوم الخفيفة
وهواجس اليقظة المؤلمة ، ورفعت الثوب عن وجهها
فبدا جليلاً فاتناً أبيض ممتلئاً ، وإن كان الهم والقلق
مرسمين في عينيها ، وقامت إلى جانب من الغرفة
مظلم قليلاً ، وكانت تستطيع أن ترى من بعد أن
الفرش الذي أعدته هناك كان ما يزال كما أعدته
لم يس ، ولكنها لم تقتنع حتى تحسسته بيدها
فوجدته خالياً

وتهدت واتجهت إلى جانب آخر من الحجرة ،
فعمرت بجسم متمد قاموت إليه تهززه قائلة :
« مبروكة ، بت يا مبروكة ، اصحى يا بت أخوك لسه
يا جاش » ، فأنهت الفتاة بعض الالتباه وقالت :
« طب وأنا مالي ؟ حا عمل له إيه ؟ » ومشت صبيحة
إلى رف غائر في الخائط فاستخرجت منه حبرتها
الرفية القديمة المهدد ، فالتفت بها وعادت تعلق
مبروكة التي كانت قد انقلبت إلى جانبها الآخر وراجعت
نومها ، قالت : « قومي يا بت نوسيني ؟ قومي نفتش عليه »

أدركها كشفت عن عينيها قليلاً ونظرت إليه
فارتد الرجل القهقري وقال: «سا الخير يا أم
إمام» فسأته هل رأى إماماً؟ فأجابها بالنفي،
فتركته وأسرت عاتدة، ووقف الرجل يتأملها
ملياً وهي تمتد عنه، ثم عاد إلى رفاقه وهو يتحرك
أسى على أن لم يطل حديثه معها أكثر مما كان،
وجعل يصف لأصحابه سحر عينيها وفتنة منظرها
وتأثير كلماتها ويدي ويميد في ذلك، وقد أثار
وصفه لهفة القوم فاسترادوه، وراح كل منهم يصف
كيف رآها مرة وكيف سحره جمالها، ولا غرو
فقد كانت صبيحة مازال يحتفظ بجانب وافر من ملاحتها

ولدت صبيحة في بيت عنز، فقد كان أبوها
عمدة القرية ثم خلفه أخوها بعد موته، فنشأت
مذلة ناعمة، وعرفت بالجمال البارع من صفرها،
وجلبت روحها على المرح والحبور، فكانت قرة
عين أهلها ومتعة نفس من رآها، وكان السرور
والضحك يتبعانها حيث ذهبت، بتسم لكل من
رأت وتداعب كل من عرفت، على أنها ما كادت
تبلغ العاشرة حتى خيف عليها من الحاسدين والأشرار
فأسدل عليها الحجاب الذي هو ميزة بنات الأعيان
في الريف، ولكن الحجاب لم يثقل على الجبور
الركب في طبعها، فكانت تفتن كل فرصة في أطراف
الليل والنهار للجالسة أترابها ومفاكهة قريباتها
وتكثر خاطبوها لما كان يملأ القرية كلها من
حديث جمالها ولطفها، ثم فاز بها حنار عن غنى كان
أبوها الغاني في حاجة إلى موعته ليتخلص من بعض
ديونه، وكان ذلك الزوج، على ثقاه واستقامته، شكس
الطباع عبوس الوجه صارم العادات، لقيت صبيحة
الرخة المطراب في معاشرته عتاء، وكبعت ميولها
كبحاً، وبدأ الوجوم وشرود الذهن يحلان محل
مرحها وسرعة يديها، وكانت أحياناً تضيق بأفعاله

ذرعاً فتغضب وتلاذ بيت أخيها العمدة الجديد على
الرغم منها، وهناك كانت تقع بين نارين، فانه لم
يكن بين زوجها وأخيها إلا الجفاء والنفور، وكان
كلهما عنيداً مستكبراً، فلا هذا يأتي لاسترجاعها
ولا ذلك يخاطبه في شأنها، وكانت لشموها بالمرج
في بيت أخيها ترق نفساً بالامتناع عن الأكل
والاحتباس في بعض الحجرات، فينال ذلك من صحتها
ورزقت صبيحة من الشيخ إبراهيم ابنتها مبروكة
ثم ابنها جباراً وإماماً، وإذا كانت الأم تؤثر ابناً على
ابن فقد كان إمام لا شك أحب أبنائها إليها، لأنه
كان الأصغر ولأنه على صفره كان يفوق أخاه بسطة
جسم ووفرة عقل وشجاعة قلب، وما تزال تذكر
كيف كان في صفره يتحمل من الآلام ويؤدي من
المهمات ما يتكفل عنه أخوه، فهو يوم طعماً ضد
الجدري تحمل مضجع الحجام بمنتهى الثبات بينما ملأ
أخوه النار صياحاً، وهو كان يتطوع بالخروج
ليلاً لشراء التبغ لأبيه حين يفتقر أخوه من
مجاورة عتبة الباب، وهي لا تنسى كيف أرسلتها
يوماً إلى السوق الأسبوعية وهدمت بالنقود إلى جانب
لكبره، فعادوا وقد غبن جابر في الصفقة، ولما أراد
أن يعطيها بقية النقود انتضح أنه قد فقد الكيس
في عودته، فأرسلت إماماً إلى السوق مرة أخرى
فأعاد إلى الجزار لجه اللتان، وفي عودته عثر على
الكيس على قارعة الطريق، وكان من حسن الحظ
أن لم يره أحد من المارة في ذلك اليوم المزدحم
وازدادت صبيحة تعلقاً بصغيرها لما مات أخوه
وصار إمام وحيداً، وقد واظب أبوه على إرساله إلى
مكتب القرية حيث حفظ جانباً كبيراً من القرآن
السكرم، وكان خاله العمدة يستطيل الاستماع إلى
تلاوته، ولما علم بعزم أبيه على قطعه عن المكتب
واستلحاقه في عمل المزرعة، أسف وهم أن يشير على
زوج أخته بأن يكفل تعليم ابنه، ولكنه كان يعرف

والحرية والتسليم؛ وكان وهو يتقلب في فراش الداخلية الناعم يتوق إلى الاضطجاع على قبة القرن، وإلى الاستيقاظ صباحاً مع الطيور المفردة والأشعة التوهجة، فإذا دنا موعد إحدى العطلات راح يعد الأيام عدا وعاد إلى أهله مسرعاً فنتلقاه أمه بذراعيها مفتوحتين وتضمه ضماً طويلاً تشفي قلبها وتدفي صدرها بقربه وكان يقضي العطلة في بهجة مستمرة، يقضي النهار في الحقول يساعد أباه ويقعد الفلاحين في كل ما يفعلون، يسوق الماشية ويركب النورج ويمزق الأرض، ويدير البدالة لرى الزرع، ويضطلع معهم ساعة القيلولة تحت ظل الشجر، ويؤاكلهم ويستمتع بأغانهم وينصت إلى حكاياتهم، وهم أشد منه حبوراً بوجوده بينهم، وأشوق إلى الاستماع إليه. كان ينبطهم على حياة الطبيعة والحرية التي يحبوها، ويود لو يستبدل الفأس والمقطب بالقلم والكتاب، وهم ينبطونه على حياة الراحة والدعة والنظافة والتنوير التي يحياها ويتمنون لو استبدلوا بحياة الكد المستمر حتى إذا ما قربت العطلة نهايتها بدأ بماوده المم وينكسف باله، وتبدأ أمه في الخبز والطهي والشراء والحزم والربط، ثم له زاداً وفيراً من طيبات الريف ينتظره زملاؤه بفارغ الصبر، وتودعه ويودعها وعبراتها تجري، وتظل أياماً بعد ذهابه حزينة القلب دامة العين، وظل أياماً بعد عودته إلى المدرسة وابتداء الدراسة كثيلاً أسفاً على دنيا السعادة والحبور التي خلفها وراءه، مشتاقاً إلى العودة إليها، مستفكاً كل علم، مستزداً كل معلم، نافرأ من محبة زملائه التراثرة، ميالاً إلى العزلة، حتى يتضاءل صدى الريف في ذاكرته شيئاً فشيئاً، وينغمر في الجو المدرسي من جديد

وإنه ليلعب في الفناء مع زملائه يوماً إذ دعاه ضابط المدرسة وسلمه رقية، ففضضها وقرأها فإذا هي تمنى إليه والده، تخف سريعاً إلى قريته فوجد

نفسية الرجل، كان يعلم أنه يعتمد مغالطة اشارته كبرياء وخشية أن يقال إنه ينقاد لأرائه ويأتمر بأوامره لكونه الممدة

وكان للممدة صديق متعلم من أهل المركز يزوره بين حين وآخر، وكان يحب إماماً حب الممدة إياه ولا ينسى أن يتحفه بهدية كلما جاء، وقد ذكر الممدة لصديقه همام ما اعترمه أو ما نفذه فعلاً الشيخ إبراهيم، من قطع إمام عن المكتب وتشغله في الزراعة، فنهض همام افندي إلى أبي الولد في حقله، وكان هذا الأخير يجله ويحبه لطفه على ابنه، وبعد أن لطف همام الغلام ودفع إليه هديته المعتادة، قال لأبيه مترقفاً في الخطاب: «ابنك ده خسارة في النيطيا شيخ إبراهيم، ابنك ده ح يتي باشا انشاء الله، تمال يا امام باشا! فوقع قوله من نفس الرجل موقفاً حسناً، وبرت أساريه طرباً وقال: «انت تشوف كده يا حضرة الافندي؟ قال: «امال؟ يا بن الله يمكن مصر تتحرر على يديه! »

وكان الغلام يعلم أن هماماً يمتدحه امتداحاً كبيراً فأطرق خجلاً وإن لم يدر معنى كلمة «تتحرر» هذه وحاز في تفسيرها، وظنها مشتقة من «الحر» ولم يدر أى علاقة له بمصر، وإنما ظن أنهم يريدون إرساله إلى مصر القاهرة للتعليم، وظل بعد ذلك كلما رأى هماماً يتذكر كلمة «تتحرر» هذه، ويهم أن يسأله عن معناها، ولكنه ينثنى خجلاً، واشترى له أبوه كل ما يلزم، وتوالى هام إدخاله المدرسة الابتدائية بالمركز، وانتزع من حصن أنه انزعاجاً، ولم تكن ترضى بمفارقة لوالجرامه والده التي لا تقبل اعتراضاً، ولولا لقب الباشوية المنتظر

وغاب إمام عن أمه شهوراً، وكان لا يعود إلى القرية إلا في عطلات العيد ونصف السنة والصيف وكان رغم تفوقه المستمر على زملائه بمقت قيود التعليم ويمن إلى العودة إلى القرية، إلى الحقول والترع

ومعالم المآثم قد قامت حول داره ، ودخل إلى أمه فقامت إليه تضمه وسط عرايتها المتدفقة ، وكانت قد لبست ثياب الحداد السوداء وشدت على رأسها منديلا أسود بداخيه وجهها الأبيض شديد الفتنة ، وكانت هي التي أسرت على استدعاء إمام بينا كان خاله العمدة يرى ألا يزج الغلام بهذا الخبر فجأة ولا يقطع عن دروسه في غير جدوى ، ولكن عاطفة أمه التي أثارها هذا المصاب المفاجئ لم يكن يردّها إلا أن تتمزى برؤية ابنها إمام وضمه إلى صدرها مليا استمر المآثم أياما وتوافد إليه المزون من أطراف البلدان المجاورة ، ثم انقضت معالم الحداد وصرا أسبوع وتلاه آخر ، وإمام وأمّه يواظبان على زيارة قبر والده والتصديق على الفقراء عنده وتلاوة القرآن ، وتولى العمدة النظر في شأن الأملاك التي تركها المتوفى ، وترك إمام إليه أمر إدارتها وتأجيرها لمن يشاء ، إذ لم يكن إمام إلى ذلك الوقت إلا حدثا لا يهتم إلا بجمعات الحياة الرّوحية ، ولا يلتفت إلى المادة ولا يحفل بالمال ، واستمرأ المقام بالريف واستراحت أمه إلى وجوده بجانبها ، وكانت رؤيته بقوامه المعتدل وزيه الخضرى تملأ نفسها غبطة وتعزيمها عن فقدان بعلها ، وهي التي لم تلق من بعلها في حياته ما تطمح إليه أنوثتها من عطف ورعاية حتى لمح العمدة ابن أخته يوما يسير بعض الفتيان من رسته ، فجب من استمرار إقامته في القرية ؛ وفي عصر ذلك اليوم زار أخته في دارها وألح عليها وعلى إمام في ضرورة عودته إلى مدرسته ، وكان إمام مهاب خاله ويستحي منه فلم يسمعه إلا الإذعان على كرمه ؛ بيد أن العطفة الصيفية مالبثت أن حلت وعاد إمام إلى القرية كعادته ، ولم يرجع إلى مدرسته في مستهل العام الدراسي إلا بعد إلحاف خاله الذي دفع له المصاريف وأعد له كل شيء ، ولكن تكرّر بعد ذلك انقطاعه عن المدرسة

وعودته إلى القرية ، وكان في كل مرة يختبر لأمه عدرا مختلفا ، من ادعاء العطفة أو التظاهر بالاحتراف فلا تفلظ عليه بل تسرها رؤيته على كل حال كان إمام قد دخل في سن المراهقة الذي تتغير فيه طبائع الناشئ تغيّرا كبيرا وتبدل نظرته إلى الحياة ، وكان قد نما جسمه وامتدت قامته وصار شديد العناية بظهوره ، وكان في تلك المرحلة الخطيرة من حياته في حاجة إلى يد حازمة تلزمه جادة الصواب ، وكان خاله يعلم ذلك ولكن كل جهوده ذهبت هباء أمام حنان الأم الجاهلة الفطري ، واتفق العام الدراسي بسقوط إمام في امتحان الشهادة الابتدائية ، وعلم بسقوطه وهو في القرية فأعلن أنه لا يريد معاودة الدراسة ، وأصر على البقاء في القرية لإدارة أملاكه التي ورثها عن أبيه

وضرب بنصائح خاله وبفضبه عرض الحائط وتولى بنفسه تأجير الأرض وأشرف على بعضها بنفسه ، وبذل في ذلك كل جهده ، وأقبل على العمل بحبه المتأصل لأعمال الفلاحة ، وساعده تنوره الذي اكتسبه من الدراسة بحيث ينجح في أعماله في السنة الأولى نجاحا طار له لب أمه فرحا وطال عنقا تيمنا ، وكان حديث أهل القرية ؛ ووفرح له العمدة ذاته وازدهى وزال ما كان بينه وبين ابن أخته من فجاء ، وصار إمام معبود القرية ومكان الاحترام من شيوخها وموضع المحبة من شبابها ، ومطمح أبصار قرياتها ، وما لبث أن صار له من أولئك أصحاب ومن هؤلاء صاحبات غير أن من صفات الشباب غير المحرب الترجيح بين الطرفين ، والتراوح بين التقيضين ، فأعقب التجاح الذي أصابه إمام في عامه الأول دمارا شديدا في عامه الثاني ، فقد اندفع في طريق الاسراف والتبذير ، وبالغ في شراء فاخر الشباب وأنيق الأثاث وزاد فأولم الولائم وذاق الخمر وأدمن السهر وغفل

عن الميرى وشرة » ، قال : « مش انت يا أولية اللي عاززه الوصاية على ابنك قبل ما يفرتك الفدانين ؟ »
 قالت : « يفرتكهم يفرتكهم فداء ، وصاية على مين ياخويا خلا الشر ؟ دابقي ماشاء الله طول وعرض .
 اللي ماحجرنا عليه وهو عيل حنججر عليه بعد ما بقى أطول منك ؟ »

بهت الرجل لهذا التناقض السريع الذي لا يقدر على مثله إلا النساء ، ولا يكاد يتصوره الرجال ، وكان رغم إخلاصه لأخته وابنها وحرصه على مصلحتهما ، يتوقع بعض النفع من وراء إدارة أملاكهما الواسعة وأحس الآن أن خوف أخته من انتفاعه بالأرض هو سبب تشيرها رأياها ، وغاظة تنهبها إلى نيتته ، وهاجه ارتبابها في ذمته ، فقام غاضبا وهو يقول :
 « أما انت يا صبيحة زديتها لحد ما خليتي الواحد مش عاوز ييص ف وشك ! ليه ما قلتيش كده قبل ما اسى واحنى ؟ أودى وشي فين دلوقت من الناس اللي اترجيتهم ؟ معلش ، النوبة الجاية اتق ف وشي إذا كنت أمحسرك في حاجة والا أعتب باب دارك حتى »

وكان أخوها لا يزور بيتها في حياة زوجها لما كان بين الرجلين من تدابر ، فلما مات الشيخ ابراهيم اصبح الممدة يتردد على صبيحة من حين إلى آخر يؤانسها وينظر في حاجاتها ، أما بعد ذلك اليوم فإنه برّ بنفسه ولم يدخل بيتها بعد ذلك ، ولا يدخل في شؤونها التي سارت من سي إلى أسوأ فإن إماما تهادى في غيه ، وأتى التبذير والشراب وزيارته للقاهرة على فدانين أبيه واحداً فوحداً ، فلم ينقص عامان حتى تلاشت تركه أبيه التي تركها باسمه ولم يكتب قيراطاً واحداً منها باسم زوجها ، والثقت الشاب إلى حلى أمه يسرقها تارة ويحتال عليها فيها طورا ويقتصبها إياها حيناً حتى أملت الأسرة وصارت في شر حال ، وتقلصت عن الدار ظلال النعماء ،

عن شؤونها ، وكانت أمه تنصحه نصحاً ضعيفاً يغرى بالتماذي ، وتماثمه ممانمة أئتمية تحرض على العناد والاسترسال ، وكان التعليم الذي ظفربه وحرسه قد دفع عقليته عن عقليتها درجات ، وزاد قوة إرادته على إرادتها أضمافاً ، وأصبح ينظر إليها من عكس نظرة يمازجها الرئاء والأزدراء

وما راعها إلا أن علمت ذات يوم أن ابنها قد باع فداناً وقبض ثمنه منذ أسابيع ، فهرعت إلى أخيها تستنجد ، فاشبعها تمنيناً على أن لم تستمع إليه من بادئ الأمر ، وأكد لها أن ابنها لن يفلح إلا أن يمود إلى دراسته ويثابر على ما أعد له وعرض عليها أن يتولى الوصاية عليه ويميده بالرغم منه إلى المدرسة ، ويتولى عنهما إدارة أملاكهما حتى يشب الفتى فيسلمها إليه ، فارتاحت إلى ذلك الحل وشكرت أخاها ودعت له خير دعاء ، وقصد الممدة من غده إلى المركز واتخذ الاجراءات التمهيدية وقابل بعض أصحابه ليساعده على إنهاء العمل بالسرعة المنشودة ؛ بيد أن الخبر تسرب إلى إمام ، فتودد إلى أمه وقدم إليها ما بقي في يده من ثمن الفدان الذي باعه ، وأعلن توبته عن كل ما لا يرضيها وأكد لها أنه سيجبر أصحابه الذين لازمهم في أيامه الأخيرة ويعود إلى الاستقامة التي كانت سبب مجاحه الباهر في عامه الأول ، وخيل الفتى لأمه أن غرض خاله إنما هو الانتفاع بالتصرف في أملاك أبيه ، ثم وضع يده عليها نهائياً

وجاء الممدة بعد أيام يزور أخته ويشرح لها ما اتخذ من خطوات ، وطلب إليها أن تستعد في النداء لترافقه إلى المركز للشهادة وإتمام كل شيء ، فقالت : « أنا مش رايحه ولا جاية ، ح تقعد بجر جري فين ؟ » قال : « ما فيش جرجره ولا غيره ، دى كلمة والرد غطاها ، عشان شغل الميرى كده » قالت : « وأنا إيش زفنى على شغل الميرى ؟ خليني بيمده »

وجاوبه صدي ضعيف من المؤذن الآخر على الجامع
القبلي: «حي على الصلاة! حي على الفلاح! » ونهضت
أم إمام من جلستها ، وودت أن تستطيع الصلاة ،
فستستفر لابنها وتسال الله أن يهديه ، وكم توسلت إلى
زوجها في حياته أن يعلمها الصلاة ، فكان يسخر منها
ويقول : « ما بقاش إلا النسوان كان رح يصلوا ؟! »
بكره يملوك إمامة جامع والا مأذونة ! » وإذ حُرمت
السكينة هذه الوسيلة للاتصال بخالقها ، لم تجد أمامها
إلا الرق والتعاويد والبحور والنذور ، وقد أفقت
على هذه الأساليب السحرية — قصد هداية ابنها —
كل ما استطاعت أن تخفيه عنه من دراهم

وخفت أقدام الناس في الطريق مسرعين إلى
الجامع ، فلم تر أم إمام بداء من الارتداد عن الباب
بعد أن قضت الليل في عتاء ولم تظهر بطلال ، وإذا
شاب طويل القامة حسن البزة يلبس (كوفية) بيضاء
وحول كتفيه عباءة ثميثة وفي يده (بارودة) ذات
(ماسورتين) يندفع إلى الباب ، وقبل أن تراه أم إمام
على الضوء الضئيل الذي كان مريضاً من شمع القمر
النارب وشمع الفجر السهل ، دفع إمام الباب
بيده القوية فخطها الباب في جبهتها ، فلما تنبه إلى
وجودها صرخ في وجهها : « خبر إيه يا وليه ؟! انت
برضك مابري هنا زي أم فويق ؟! أنا غرضي أفوخ
البارودة دى في بطنك في يوم من ذات الأيام ! »
ودخل بخطى رجبة قوية ، ودخلت وراءه مهرولة
ويدها على رأسها وهي تقول : « الحمد لله ياخويا اللي
جيت بالسلامة ! ألف حمد ! دانا كان على نافوخي
كابوس وطار ، أجهز لك لقمة ياخويا تاكلها ؟ »
قال : « جاكي سمف بطنك ! غوري عن وشي بلاش
دوشة أنا اواز أستريح شوية ، وإياك انت والا
النجر. شوعلك اللي بيدجوا هنا يدوشوني أقوم أقطع
اصداغكم ! » ومضى إلى فراشه الذي كان ينتظره
طول الليل ، وعلق البارودة على الحائط ، وأخرج

وارندت كالحة حقيرة المحتويات ، فارغة الحظيرة إلا
من بعض دجاجات وأوزات
ولما أعيت إماماً الحبل في الحصول على النقود
اتجر بالمخدرات فربح منها أموالاً طائلة ، وكانت له
في تجارتها مفاسد كثيرة ، واستهدف لأخطار
لم يُبجِه منها إلا ذكاؤه حيناً ، وإغصاء خاله حيناً
آخر ، ثم تمادى في الفتك فصار يسطو على البور
ويسرق الفانلين ؛ ثم أسرف فصار يؤجر نفسه لمن
يريد له يقتل من يطلب إليه قتله نظير عشرات الدنانير
وكانت مواهبه الجسمية والعقلية المشهود له بها منذ
الصغر خير معوان له على اجتراح آثامه ، وصارت
له في القرية رهبة محوطة بالإجرام ، بعد أن كانت
له هيبة مخوفة بالمعاف والإعجاب ، ولم يعد أحد
يجرؤ على الوقوف في طريقه ، مخافة لطامته القوية
نهاراً ، أو نار بندقيته في غلس الظلام

عادت أم إمام بعد عاداتها القصيرة مع الخفير
الذي رزها من دكان متولى إلى دارها ، ولكن
الفرع كان مستولياً على نفسها ، والرحلة القصيرة
ونسيم الليل النمش قد نبها أعصابها ، فلم تحس حاجة
إلى النوم ، وإنما وقفت برهة وراء الباب الموارب ترقب
الطريق ، ثم تعبت فجلست في مكانها وعيناها شاخصتان
إلى الخارج ، ونسيم الليل البارد يضرب حدقتها
وأنفها فتفروق عيناها بالدموع ، وطال بها الجلوس
ومال القمر إلى الأفق وحفّت لونه ، ثم تعالى أذان
الفجر من المئذنة البحرية يشق أجواز الفضاء فيزيد
السكون خشوعاً ورهبة ، وانتهت أم إمام على صوت
المؤذن الصارخ ، فإذا هي كانت قد غلبها النعاس في
موضعها ، وقد حلت أكثر من مرة أن إماماً قد عاد
وأنها عاتبته على طول تقيسه ، وكانت مرة تراه نادماً
يعدّها بالإفلاج ، ومرة تراه صاحباً يسكنها ويتهددها
وتتابع الأذان : « الله أكبر ! الله أكبر ! »

الرزق من وجوهه الحلال ، والرضى بالقليل المبروك
عن الكثير المحفوف بالهالك ، ولكنها كانت تختبئ
سورة غضبه إذا تقدمت إليه بمثل ذلك المقال ،
فجلست تحدث نفسها أمام الموقد بما تود أن تحدّثه به
وتقول : « ارجع بقى يا ابني يا حبيبي ! ليه بس
الشقاوة دى يا ابني الله يجازى اللى على ملوك الشقاوة !
حرام عليك دانا عيني ماقت بتدوق النوم ، طول
الليل وأنا قاعدة على التبة زى الكلبة ! »

وحانت منها الثالثة فإذا إمام واقف وراءها
بقامته المديدة مطرق نحوها فى تجهّم ، وكان قد
سمع طرفاً من حديثها مع الفتاة ونزل السلم قبل أن
يحص به أمه ، فلما رآه أجفلت وتفلت فى صدرها
قال : « خبر إيه يا وليه ؟ انت تشخّطرقى ؟ »
قالت : « بسم الله الرحمن الرحيم ! طربيتي يا إمام
يا ابني ؟ أنا بجهز لك لقمة أهوه ، احنا بقينا الظهر »
قال : « دقّ لي شوية ميه استحمى على ما أوصل
لحد دكان متولى وارجع ، وحضرى لى هدومى عشان
رايح مصر ، وهمت أن تتكلم وتطلب منه ألا يذهب ،
وهمت أن تبغى ولكنه تركها بمخطوطاته المديدة وخرج
ولم يكده يصل إلى دكان متولى ويطلب تمييزه ،
حتى أتاه خفير يطلبه لموااة العمدة فى الدوار ، وفى
الدوار وجد ضابطاً وبعض الجنود فى انتظاره ورأى
بعض زملائه من الأشقياء مغلولي الأيدي ، ورأى
العمدة جالساً برمقه بنظرة يتطار منها الشرر ولكنه لم
يخف ولم يتعلم ، وأنكر الاشتراك فى جريمة البارحة
أو فى غيرها ، رغم اعتراف الآخرين بعد أن جهّزوا
بالشهود وصوب عليهم الضابط وسط عذابه ، وأراد الضابط
أن يعامله معاملة الآخرين ، فطاول على قدميه يريد
أن يصفه ، ولكن إماماً دفع يده فى هدوء وقال :
« خليك فى أدبك يا أفندي ولا تندش إيدك عليه »
ودش الضابط إذ رأى نفسه هذه المرة أمام
شخص متعلم يحترم نفسه ويأبى أن يضرب ضرب

من حبيه صرة مفعمة وضعها تحت وسادته ،
وتهدت أمه وهي تراقبه ، وخلع حذاءه وجلبابه ،
وجر اللحاف على جسمه واستغرق فى النوم
وبدأت خيوط الصباح البيضاء تنتشر فى كل
مكان ، وراحت المصافير تسقى على عيدان القطن
الجافة فوق الدار ، ومشت أم إمام إلى ابنتها مبروكة
وأيقظتها فى رفق ، وأمرتها أن تأخذ (المقطف) وتلتحق
بزميلاتها ، فقد كانت صواحبها قد وعدنها بالمرور
بها صباحاً ليذهبن سوياً إلى السوق الأسبوعية ،
وخشيت أم إمام أن يزجج ابنها دهن الباب ولنظهن .
وغسلت مبروكة وجهها فى مجلّة وصمت وعبوس ،
وخرجت دون أن يحدث أخاها أو يحدثها ، وقلما
كانا يتقابلان أو يتحدّثان ، بل كان بينهما جفاء
ووحشة ، وكانت مبروكة تقي شره بمجانته

وظلت أم إمام تروح فى الدار ويحجى وتصمد
وتهبط ، تنجز أعمال الدار ، وهي التي لم تمتد معظم
حياتها أن تمد يدها إلى خسيس الأعمال التي تراوحتها
الآن ، حتى اعتدل ميزان النهار ، وجاءت بنت
جارتها تستعير منها المنخل ، وشرعت تقص لأُم إمام
قصة طويلة فطلبت إليها هذه أن تخفض صوتها ،
وأخبرتها الفتاة أنها قد عادت من السوق حيث
سمعت الناس يتحدثون بمقتل شيخ البلدة المجاورة
على يد عصبة من الأشقياء سرقوا معظم ما وصلت
إليه أيديهم من أمواله ومتاعه ، فدق قلب أم إمام
كمادتها لدى سماعها خبر جريمة أية كانت ، مخافة أن
تكون لابنها يد فيها ، حتى لقد صارت إذا حدثها
عبدت فى أمر جريمة اقترفت بحس كأنه يتهم ابنها أو
يتهمها هي بارتكابها وتهم بالدفاع عن نفسها وعن ابنها
وجلست إلى الموقد توقده بعيدان من الحطب
(وقوالح) اللدرة ، وتروّج على اللب بذيل جلبابها وتنفع
فيه بقمها ، وفكرها سارح فى الأوهام والمخاوف ،
وودت أن تنصحه ابنها بالإقلاع عن غيه وابتغاء

الأشقياء أمامهم ، وظل العمدة في المركز طول النهار فلم يمد إلا في المساء ، ودخل داره وسار إلى السلم ليصعد إلى غرفته . وما فوق همه هم ولا بعد غضبه غضب ، كان على حالة لا يدانيه فيها ولا يكلمه أحد . اتقاء شره ، ولكن أخوانه المجتمعات في فناء الدار وفيهم أم إمام هبّ من دفعة واحدة حين رأيته ، وقد قضين اليوم في مفضض وانتظار وتجرّؤ في أخبار إمام ، وقدّ من إليه وفي طليمتين زوجته التي قالت وهي تمد يدها متذلة : « والتبي يا أفندي ! » وعند ذلك انفجر سخط الرجل فركلها مبيداً وصاح فيهن : « إخرسي يا مراه إني وهيه بلاش دجل نسوان ! سودتوا وشنا قدام الخلق ، جاكوا أرف في تربيتكو ! ياريت يا يدي وأنا كنت اطلمه المشنقة بنفسي ! »

وتطاوالت أدوار القضية وانتقلت من المركز إلى القاهرة ، وأم إمام في لوعة وتكالد لا يهدأ ، تمد الأيام وترقب صدور الحكم كما يرقبه الوائقي من البراءة ، وقد تضمض جسمها في الحول الذي مضى على ذهاب ابنها ، وذوى جمالها ، وغاض ما بقي من بشرها ، وكان قد تقدم إليها الخاطبون بعد ممات زوجها فردّهم جميعاً احتفاظاً بشرفها فإن معاودة الزواج لا تليق بالجزائر في ذلك المجتمع ، لا سيما إذا كان لمن أبناء ، وأخيراً أمّاها بآ الحكم وهو السجن خمسة عشر عاماً ، فلطمت خديها وقالت : « يا ضنايا يا عقل امك يا ابني اكده خالك برميك الرمية دي يا ابني ! » قالت ابنتها مبروكة : « وخاله ذنبه إليه ؟ خاله قال لك خلية في مدرسته كان زمانه اتعلم وبقي واحد أفندي يشرح القلب زي ابن الحاج سرحان ! » وكان الحاج سرحان هذا هو شيخ البلد ، وكان ابنه معلم فؤاد مبروكة التي كبرت ولم تتزوج بعد أن تدهورت أصرتها هذا التدهور ، أما العمدة الذي اتهمته أخته بري ابنها فلطمه كان لا يقل عنها كدّاً .

(٣)

الأمم ، وفيها هو فكر تقدم إليه شيخ البلد وهمس في أذنه أن الشاب ابن أخت العمدة ، فبدا الأسف على وجه الضابط ، ونظر إلى العمدة الذي كان مطرقاً سامتاً ، ولم ير الضابط حاجة إلى إطالة الموقف إزاء ثبوت الأدلة ، واستأذن العمدة في تفتيش دار إمام وعرض عليه العمدة أن يرافقه ، ولكن الضابط أعفاه من هذا العمل المؤلم ، وكأنه كان يعلم يمين العمدة ألا يزور دار أخته أبداً أدفأت أم إمام الماء كما أمرها ، ولكنه لم يمد وطال غيابها وعادها القلق ، فقد كانت حياة المسكينة سلسلة متتابعة من المحاجس والمخاوف ، وإنها لذلك إذ دخل إمام تخفق قلبها ونظرت إليه نظرة البشر والأسف والاستعطاف المترجّة التي اعتادت أن تستقبله بها ، ولكن ما راعها إلا دخول الضابط وجندي وخفير في أثره ، وطلب منها ابنها أن تخلّي الطريق ، فتفهقرت أمامه مذعورة ، ثم صاحت وهي تنكمش في بعض الأركان ، وتحنّ وجهها بطرف وشاحها : « كده يا إمام مش قلت لك ارجع اكده جه كلام الأم في محله ولا لا ؟ تستأهل ! والله بركة ! لاجل تعرف وجرم ! »

وسرعان ما خرج الجميع ثمانية وقد حمل الجندي بندقية إمام ورصاصه وصرة النقود التي كانت في ثيابه ، وما عثروا به من نقود صديحة المسكينة ، ولم يلبث غضبها الذي ناز على ابنها أن تلاشي ، إذ رأيته يخرج أمامها وسط الجنود أعزل سامتاً ، فدقت على صدرها وقالت : « يا روحى يا ابني ! يا عقلى يا خويا ! واخذينك على فين يا ابني ؟ ساييني ورايح فين يا امام ؟ » وهمت أن تخرج جارية وراء القوم ، ولكن خفياً كان قد تحلف بالباب بإشارة العمدة أو إشارة الضابط لينتصرا من الخروج ، وكان هو الخفير الذي قابلته في ضوء القمر ، فذابت نفسه حسرة لما رأى في وجهها الجليل من أمارات الجزع والوله . وذهب المحققون وفيهم العمدة إلى المركز يسوقون

بينها وبينه إلا خمسون يوماً، وكانت دائبة تربي السجاج والأوز وتناجر فيها في كل سوق أسبوعية، ويجمع لها الحشائش من شطوط الترع وأطراف الحقول، وتقتري على نفسها وتدخر لإمام وعلمت من سجنين عائد أن زيارة ابنها ممكنة، فاحي إلا أن مشيت إلى موسى زوج ابنها التوبة تسأله أن يرافقها في تلك الزيارة، فأبى وتعلل بكثرة العمل، ثم رضى على شرط ألا ترافقه وأن يأتيها هو بأخباره، فاحتفت بصنع أنواع المأكولات وحملها الرجل على حماله ومضى حتى جاوز القرية المجاورة وقد اشتد وهج الظهيرة وخلت السكك من المارة، وإذا هو يحس إنساناً يتبعه، فالتفت فإذا أم امام سائرة وراءه ممسكة بذيل الحمار يجهد في ملاحقته، فقال الرجل: «بسم الله من الشيطان! إنت طلعتي منين يا شيخه؟» وألح عليها في الرجوع فلم يفلح، واضطر إلى قبول الأمر الواقع، وانطلقا حتى بلغا السجن وسمح لأهل المساجين بالمرور أمام سياج حديدي يطل السجون من خلفه، ولا يسمح باتصال الحديث بين الفريقين أكثر من دقائق معدودة، ولم يكن إمام متمود أن يزوره أحد ولا كان ينتظر أحداً ولكنه كان واقفاً بين الساجين يتفرج على ما يجري بينهم وبين أقربائهم، وإذا هو يلح موسى فجأة فتداه مبتسماً غيبياً، ورأه أمه على ضعف بصرها طويلاً يفرح الرجال الآخرين عظيم الشارين يدل منظره على التو والاعتداد بالنفس، فلو جت له يدها صائحة بقول ضائع بين لفظ الآخرين: «الحمد لله على سلامتك يا إمام! إنشاء الله ترجع بالسلامة يا ابني!» ولم يكذب إمام بلحها ويميزها رغم شديد تغيرها في أعوام سجنه، حتى اقتبضت أسارىه وأطبق فيه بعد ابتسام وصاح في موسى: «إنت جايب دي هنا ليه؟ روح يا كح!» ودار وابتمد عنهما وغاب في داخل السجن قبل أن يستطيع موسى أن يفتح فيه

لذلك الحادث، لا حزناً على إمام ولكن أسمى على ما أصاب شرف أسرته وشرفه من مهانة، وقد أصيب منذ ذلك اليوم بفالج كان يلزمه الفراش من حين إلى آخر، وكان الحاج سرحان يقوم عنه بأعمال القرية الرسمية، ويتمنى موته من يوم لآخر كي يحل محله نهائياً، وتم له ما تمنى، فأتت الممعة كدأ وكان ابنه ما يزال قاصراً، فانتقلت الممودة إلى أسرة سرحان وبذلك اجتمعت المصائب على أم امام السكينة: فقدت ابنها وضاعت ثروتها ومات ذووها واحداً بعد واحد، وذوى عودها وانحني، وتقدم إلى مبروكه خاطب هو مرسى أحد أصدقاء إمام فقبلته على مضض مخافة ألا تجد سواه من بعده، وأقامت أم إمام وحدها في الدار، وقد تحولت تلك الزهرة البانعة التي زفت إلى الشيخ إبراهيم منذ نحو ثلاثين عاماً عجوزاً شتطاء يقذيك منظرها وتشتت من ابتسامها إن هي ابتسمت كما تشتت من عبوسها، وما لبثت ابنتها بعد سنوات من الحياة الزوجية المنفصلة أن ماتت وفقدت أم امام آخر قريب، ولم تعد هي نفسها إلا ميتة على ظهر الأرض، لا حديث لها إلا حديث الحزن والحلم والتحصن على مفات، ولا تنتقل من مأتم إلا إلى مأتم، ولا يطيب لها إلا البكاء والاشتكاء - وزيارة المقابر، وهي التي كانت في مستقبل عمرها لا تعرف إلا الضحك ولا تألف إلا الطرب

على أن أمل أم امام في الحياة ما زال قويا كما مال أنصر الشباب وأسد الفتيات، يتمثل ذلك الأمل في إمام، ويتجمع حديثها حول إمام، ويتطرق كل موضوع تطرقه معها إلى إمام، فإذا قال لها قائل إن ثمن الترة ارتفع، قالت إنه لم يرتفع هكذا منذ ذهب إمام، وإذا سألتها سائل ألها مأرب في الحج قالت إنها ستفعل متى عاد إمام. فبينما كان إمام يسوء مسلكه في السجن وتعديه على السجنائين يطيل مدة مقامه فيه كانت أمه تقصر هذه المدة في وهما، حتى لم يعد

بكلمة ، فالتفت إلى المرأة وقال : « عاجيك كده ؟ ! »
 أما هي فكانت تحف بدعة سرور وأسف مما جرت
 على خدها الجعد ، وقالت بصوت يقطعه البكاء :
 « على رأى اللى قال : قلنى على ابنى انفطر وابنى قلبه
 عليه حجر ! » وترا الما كولات تحت رحمة السجانين ،
 وعادت أم إمام منشرحة الصدر قريرة العين ، تحبر
 كل من تراه أنها رأت إماماً وأنه عائد بعد خمسين يوماً
 وكان هام افندى قد تقل من وظيفته في المركز
 إلى بلد قاص منذ سنين طويلة ، ولم يشهد تلك
 التطورات المؤسسية التي اختلفت على إمام وأمه منذ
 غادره غلاماً نجيباً في المدرسة ، ولعله لو كان حاضراً
 لكان له تأثير محمود في سير الحوادث ، والآن جاء
 لزيارة صديقه المدة ففوجئ بخبر موته منذ سنين ،
 ولم يقابله إلا ابنه الفتى ، وروّع بأخبار الحوادث سائلة
 الذكر ، على أنه اختار خير ما في حقيقته من زجاجات
 الربى والشهد والمطور ، وعلب الجوى والصابون ،
 وطلب من ابن صديقه أن يصحبه إلى دار عمته
 ليهدى إليها كل ذلك برأبها وبذكرى الأيام السالفة
 وعارض الفتى في إهداء كل هاتيك التحف
 الثمينة إلى تلك المعجوز ، وقال لهم افندى إنها لن
 تقدرها حق قدرها ، وهل يعرف الجير طعم الجزيريل ؟
 ولكن هماغأ أصر ، وفي الطريق اقتنع الفتى
 من تلك الهدايا كل ما استطاع أن يدسه في جيبه
 ولم يدُر الحديث بين هام وبين المعجوز إلا حول
 إمام طبعاً وحول عودته القرينة ، وأخبرته إخبار
 الواثق أنه لم يبق على عودة إمام إلا خمسون يوماً ،
 كانت تقول ذلك لحادثها وفي وهما أنها خمسة أيام
 أو خمس ساعات ، ولم تحس شيئاً من هدايا هام بل
 احتفظت بها جميعاً لإمام ، يأكل منها ويتطيب يوم
 عُمرسه ، وخباها مع روثها التي كان يتحدث بها
 أهل القرية من أبناء الجيل الجديد ، إذ كان كثيرون
 يتفقون أن أم إمام نجية في دارها المهذبة كنزاً ثميناً

وخرج هام من عندها مطرقاً مهموماً يرم
 طرف شاربه الأبيض ، وقد هاله ما آكل إليه حال
 أخت صديقه التي كانت من قبل مضرب المثل في
 الجمال واليسار ، وأخيراً رفع رأسه وقال للفتى :
 لقد أذبل الجهل والهلم والفقر هذه المرأة قبل
 أوانها ، كما أضع الجهل والاحمال مواهب ابنها هدرأ ،
 وإن من ظلم القدر أن يحظى أمثالنا من متوسطى
 الدكاء بنعمة التعليم ويتمتعوا بمزاياه ، على حين يحبطه
 أمثال ذلك الشاب الذي كنت أتوقع له مستقبلًا حافلاً
 لم يبق على عودة إمام إلا خمسون يوماً : ذلك
 ما كانت أم إمام تحدث نفسها به وهي سائرة على
 الطريق الزراعية ، تحمل على رأسها قفة قمع تريد أن
 تطحنه في (وابور الخواجة) ، وكانت قد ابتذلت
 حجابها منذ زمان وصارت تسيّر حافية ، وضعف
 سمعها وبصرها كثيراً ، وإنها تحدث نفسها
 بالفطائر التي ستخبزها لإمام من ذلك القمع ، إذ
 دهمتها إحدى السيارات التي بدأت تنتشر إذ ذاك
 في الأرياف ، فطحنها أرضاً وبعثرت قمعها عينا
 ويساراً ، ومُحلت المرأة إلى مستشفى البندر فاقدة للبطني
 وبلغ الخبر القرية على لسان بعض المارين الذين
 شهدوا الحادث ، فأسرع موسى زوج ابنتها إلى
 المستشفى ، واستعادت المرأة وعيها بهمة ، فقال
 موسى : « شد حيلك يا أم إمام ! » فتمتعت كأنها
 ترجع صدى قوله : « إمام ! » وكان ذلك آخر
 ما لفظته وأطبقت عينها إلى الأبد ، ونختمت حياتها
 الحافلة بالسناء وكتبان الأكلام ، وتجمش القلق
 والخوف والاضطراب ، ومداواة الأحداث وإنكار
 القات ، وطول الكد والسبي والتعلق بالأمال ،
 وعاد موسى يبحثها إلى دارها المتبقية ، وتكفل
 بتشييدها إلى قبرها ، ولاحظ أهل القرية أنه استعاد
 يساره بعد فاقة وعسر ، واشترى قطعة أرض راح
 زرعها بهمة واجتهاد فخرى أبو السعد

السهم السراج

للكاتب الروسي أنطون تشيكوف
بقلم السيد جورج سلسيتي

الطالع فيريح في النصيب،
ولم يكن ليعتبر هذا
النوع من الأمل إلا
ضرباً من الوهم الباطل،
وهو لو كان في ساعة
غير هذه الساعة لما
أُدار قاعة السحب
أهتاهه قط . أما وقد

كان في فترة فراغ، وكانت الصحيفة بين يديه،
فلا بأس إن هو راجعها ؟ ومن يدري ؟ فقد
يسهو الدهر صرة في المعر عن الزاوية به ، وقد
يسم القدر بسمة واحدة في الحياة ، وقد يكون
هذه المرة من أولى الحظ ، فلير إذن ولتبع عيناه
جدول الأرقام من أعلاه إلى أسفله واضعاً سبائته
تحت كل رقم حتى لا يفوته التدقيق
يا للسعد !

لقد برز الرقم ٩٤٩٩ في السطر الثاني من
الجدول ، ولقد خيل إليه أن أرقامه ترقص أمام
ناظره ساخرة من أرتيابه وشكّه ، هازئة به
وبضغف يقينه وثقته ؛ فأخذته النشوة واستحوذ
عليه السرور ؛ ولقد ترك الجريدة تسقط من يديه
على ركبتيه دون أن يتحقق صحة ماقرأ ، ودون أن
يدقق فيما إذا كان الرقم الذي ذكرته له زوجه مغلوطة
فيه ؛ فقد أحس بطراوة منمشة تلج لها صدره ،
وبنشوة مثيرة عذبة أنتشى لها وطرب
وتتمت شفتاه بصوت خفيض :

— ماشا ! الرقم ٩٤٩٩ مدرج في الأرقام

الرابعة

لم يكن (إيشان ديمتريش) ميسوراً في حياته
ولا ممسوراً ، ولا كان ربّ ثراء يعيش منه في
نعيم ، ولا أخافقه يشكو السور والفقر ؛ وإنما
كان يحيا حياة رضية هائلة راتب سنوي قدره
ألف ومائتا روبل . ولم يكن طموحاً بميد الأحمال
بل كان قائماً بحظه من دنياه راضياً بقسمته منها
ولقد كان جالساً بعد المشاء على الأريكة يتصفح
جريدته ويطلع أبناءها عند ما قالت له زوجته وهي
ترفع السباط عن المائدة :

— لقد فاتني أن أقرأ الجريدة اليوم ، فانظر
يا إيشان فلعل الأرقام الراجعة منشورة بها فأجابه :
— إنها منشورة ، ولكن ألم يذهب عن بالك
أن تدفئ بدل الضمان يا ماشا قبل ميعاد السحب ؟
ثم انظري ، ألم تقديده ؟ !

— لا لم أفقده ، ولقد سددت قيمة الضمان
يوم الثلاثاء المنصرم

— مارقم السهم الذي تحملين ؟

— رقم السابق ٩٤٩٩ ورقم السهم ٣٦

— حسن ، سنرى ، ٩٤٩٩ و ٣٦

لم يكن إيشان يعتقد أن المرء قد يؤايبه حسن

— دقيقة واحدة فقط ، أسمحين ؟ إن لدينا من الوقت متسعاً نبتلي فيه بالاخفاق ، ونجابه الحقيقة المرة إن كنا غدوعين ، فلم لا نتم هذه اللذة الساحبة ؟ وصمت لحظة ثم استطرد : وقد تكون أبدية ، فمن يدري ؟

إن الرقم في أعلى الجدول وفي السطر الثاني قيمة الريح إذن خمسة وسبعون ألفاً من الروبلات وليس هذا بالبلغ القليل ، أجل إنه ثروة !

وأتى على المجريدة نظرة فاحصة كأنما شاء أن يعلم إن كان الرقم ٣٦ موجوداً فيها أم غير موجود ، إلا أنه لم يلبث أن استرجعها دون أن يحلو حقيقة الأمر ، فلقد عثر عليه أن يفقد هذه اللذة التي لم يشعر في حياته بتثلها . وما هي إلا لحظة حتى تابع القول :

هيه يا ماشا ، اصني إليّ . أية سعادة تلك التي ستعمرنا بفيضها الساحر إن كنا قد ربحتنا حقاً ؟ فضحكت وضحك معها ثم راحا ممّا يتألمان طويلاً في صمت وهدهو . فاحتمل إقبال الشعادة عليهما بوجهها الثالث الضاحي بلبهما وألقاها في قلق واضطراب ، فذهلا عن نفسيهما واستسلما للخيال المتع حتى لم تعد الدنيا ليهما إلا صفحة بيضاء خط عليها بأحرف بارزة كبيرة العددان ٩٤٩٩ و ٧٥٠٠٠

ونفض إيفان من جلسته وجريدته في يده وراح يتخطر بقامته المشوقة وقد بدت على عياه دلائل التفكير العميق ولم يلبث أن وقف وقال :

وحدقت زوجه في عياه ، فأدركت من أمارت الدهشة والذهول البادية عليه أنه جادّ في قوله ، فسرت الدهشة إليها أيضاً وعراها هي الأخرى الدهول ، فسألته وقد امتنع لوئها وتركت السباط المطوى يسقط على المائدة :

— ال ٩٤٩٩ ؟

— نعم يا ماشا ، ال ٩٤٩٩

— ورقم السهم أيضاً يا إيفان ؟

وكأنما كان إيفان في غيبوبة فأفاق ، وتذكر أن ٩٤٩٩ لم يكن ال رقم السباق وأن عليه أن يرى رقم السهم كذلك ، فتمتم : — آه ! نعم علينا أن نرى رقم السهم أيضاً فلتراجع الجدول إذن ، ولكن... لحظة من فضلك يا ماشا ، حسبنا لدة الآن وجود رقم السباق في جدول الريح ، أفهمين ؟ ! قال ذلك وهو ينظر إلى قرينته ، وقد تجلت على ثغره بسمه عريضة بلهاء كأنه طفل غرير أراه أحد الناس شيئاً يبهز النظر

وبسبت امرأته كذلك ، فلقد كان الأمر لها كما كان له للذيذاً عذيباً ، وإن كانت لم تثقن بعد من معرفة رقم السهم المحدود وهزتها الأحلام وهدهدتها الأمانى ، أحلام وأمان ممكنة التحقيق ، فيا للذة المسكرة !

وقال إيفان بعد صمت طويل :

— لقد ظهر رقم السباق فمن المحتمل إذن أن نكون قد ربحتنا . إنه محض احتمال ، إلا أنه مستحب وكأنما عيل صبر زوجته اللجوج فقالت له : — حسن : لقد آن لك أن تنظر الآن ؟

صحا الجو واعتل التسميم ، وعلى مقربة منه ولداء الصغيران يلعبان معاً على الرمال وبحفران فيها حفرأ صغيرة يملأنها بالماء ، أو يلهوان في أرجاء الحديقة الفيحاء ويلتقطان منها بعض الحشرات من بين الحشائش المحضلة الندية

على هذه الصور الفاتنة غفا إيشان على مهل غير آبه لشيء ولا عابئ بأحد ، وقد شعر من صميم فؤاده بلذة ما بهدها الله ، وأحس أنه يستطيع أن يفعل ما يحول له ويطيب ، فهو إذن لن يذهب إلى مكتبه لاغداً ولا بعد غد ، ويرى ليصد عنه الناس إذا أخذ بما قد أجفانه أن يتعهد أصص الورود والرياحين ، أو أن يتجول في قلب الغابة اللقاء يفتش في حناياها عن الذي يحب ، أو أن يقف على ضفة النهر ينعم بمراى البؤساء وهم يتصيدون الأسماك

هذا في الصباح ؛ أما في المساء ، عند ما تلم الشمس ذوائبها النورانية من حواشى الأفق فلا أشع لذيذ من الاستحمام في البهر ، وإنه ليرى نفسه وقد دلف إليه متابطك منشغته فما يكاد يصل حتى ينزع ثيابه عنه بثودة وبطء ثم يدغدغ صدره المارى بكتلتا يديه ما يشاء له أن يفعل . ويمدب يلقى بنفسه في الماء حيث ترشح الأسماك الصغيرة وتهتز ، وحيث تموج الحشائش المائية وتبايل مع هبات التسميم الرخى ، فيستجم ساعة أو بعض ساعة متنمعا وحده دون الناس أجمعين ، ثم لا يرى بداً من أن يستجم قليلا وأن يتناول أبناء فترة استراحته شيئاً من الزبدة مع الشاي والسكر ، وما إن ينتهي من

— أجل : يا ماشا ، أي سرور سينمرنا إن كنا قد ربحنا حقاً ، وأية حياة جديدة تلك التي سنحياها ، وأى انقلاب سيتناول شؤوننا كافة ؟ إن السهم لك وحدك لا يتازعك فيه منازع ولكن حينذا لو كان لي ؟ إذا كنت اشتريت قبل كل شيء عقاراً بخمسة وعشرين ألفاً ، ولبدلت عشرة آلاف لشراء أثاث جديد لمزنتنا ، ولوفاء ما على من دين قليل ، وللسياحة في بلاد الله الواسعة ؛ وأما الأربعون ألفاً الباقية فأنضمها في المصرف

فأجابه امرأته وقد جلست ويدها على ركبتيها : — أحسنت يا زوجي العزيز ، فالمعار لا بد من شرائه ، على أن يكون في أنحاء (تولا) أو في أرباض (الأورول) فنحن لانملك منزلاً نقضى فيه فصل الصيف القاطظ ، والمعار عدا ذلك ستدر علينا أرضه الخيرات

وتراكت في تخيلته اللوحات والصور ، وكل واحدة أفن من الأخرى وأعلق بالقلب ، وتخيل نفسه فيها جميعاً يأكل من الأطعمة أشهاها وأهناها ؛ ويمش على هواء أرغد عيش وأترفه ، معاف الجسم ، قوي البنية ، مرتاح الضمير ، قريب البال

وتخيل نفسه وقد أخذه الحر الشديد ، غير أنه ماشكا ولا تبرم ، فالمطبات أمامه والمبردات النمشة رهن إشارته ، وهو إذ تناول منها ماشاء يرى أن يستلقى على ظهره على الرمل المنتور فوق ضفة الجدول القراق أو في الحديقة الوارفة الفينانة ، وقد

واستولى عليه اللعاس غطى وجهه بجريدته واستسلم
إلى الكرى الهادى الطمئن بعد أن يكون قد جاء
من فك له أضرار صدريته وخلع نعليه

وهكذا مضى إيفان في تصوراتيه ، وانتقل به
خياله من الحريف الحزين إلى الشتاء المنتحب الباكي
فاذا به يرى السماء ممطرة أبداً لا ينقطع لها معين ،
ولا ينضب لها ميزاب ، والأشجار ممرأة من كساها
الحالية النضرة ترتش أمام صفعات الرياح القفرة الباردة ،
والدواجن في المزرعة قد لجأت إلى أوكائها من رذاذ
الطر المهر خائفة حزينة ، والناس قد أووا إلى
منازلهم فلامتازه يؤم ولا حديقة تقصد ، ويرى نفسه
هو قد اضطرت الطبيعة القضي أن يبق في المنزل
كسواه ، فيذرع الترفة بخطواته المترنة ذهاباً وإياباً
طول النهار ، وأن يتطلع بين الفينة والأخرى بقلق
وعجبر لا حد لها خلال النوافذ الزجاجية التي خددها
الطر إلى حين

وهنا وقف إيفان فجأة كأنما انقطع تيار خياله
الجامع وقال :

أندرين يا ماشاء الله في سلقتي

ثم صمت لحظة تخيل فيها نفسه يتنعم بلذة الهجرة
في أواخر الحريف وهو يتنقل كالطائر من بلد إلى
بلد زائر أفرنسا فيطالبا فلنند ؛ وإنها لرحلة ممتعة
شاققة ما في ذلك ريب

— وأنا أيضاً سأغترب يا إيفان « قالت امرأته
بنبرة جازمة ثم استطردت :

أما حان أن تنتظر رقم البهم ؟

— دقيقة واحدة إذا تفضلت ، أرجو أن تنتظري

هذا حتى يكون قد آن أوان التنزه في هداة المساء
الرائق ، أو التسلى بلعب الورق مع الصاحب والجيران
كان إيفان يسبح من خياله الرحب في بحر
لحيّ عندما قالت له امرأته وقد كانت في غمرة
الأحلام مثله :

— أجبنا لنا لنحسن صنعا بشراء عقار يا إيفان .
قالت هذا وصمتت وعيناها عالقتان بالهدف البعيد
فما يشك رايتها ساعته في أن الأحلام تسكرها
هي الأخرى
وكانما لم يسمع إيفان ما قالت فالتفت إليها لأنه
كان لم يزل يتخيل

وإنه ليرى نفسه في الحريف ، والحريف فصل
حبیب إلى فؤاده ، فهذه السماء مربدة الأفق مكفهرة
الأديم ، وهذه الأسماك كالحة باسرة ، والتنزه في
هذه الفترة من الزمن متممة . فها هو ذا يخرج إلى
الحديقة وقد عبت بأزهارها أيدي الرياح الهوج ؛
وها هي ذى أوراقها الصفراء مبشرة ها هنا وها هنا
كانها الضحايا أو أشلاء الشهداء في معترك الشرف
فما يتمشى قليلا حتى تنفحه النسيمات ؛ وما إن تسرى
البرودة في عروقه وتتمشى في مفاصله حتى يهرع
عائداً إلى منزله فيتناول كأساً من (الفودكا) يدفي
بها أحشاءه ويتلصق لقمة أو لقمتين من الخيار
الكبوس مع الشمرة أو الفطر الأحمر ثم يجرع
كأساً أخرى . . .

وهنا يمدو ولدها عائدین من البستان ومعهما قليل
من اللفت والجزر تث منه رائحة الأرض الرطبة

ويستلقي بمدند على الأريكة ويطالع على مهل
جريدة مصورة ، حتى إذا خدرت أعصاب عينيه

السنين ، وتفوح منها - فوق هذه العيوب - رائحة الطبخ الذى قلما تفارقه ؛ فى حين أنه هو ما يزال فى إبان الصبا وشرح الشباب أليق ما يكون بالزواج ثانية من خير فتاة

وقال إيشان فى نفسه : إن هذا لمن سفساف القول ولا طائل لى فيه ؛ وإن هذه حقيقة لا أجدها ولا أنكرها ، ولكن لماذا تريد هذه اللعونة أن تقترب ؟ وماذا تفهم من السياحة والأسفار من تكون (نابل) و (كلين) لديها سواء ؟ !

إنى لأشعر منذ الآن أنه لى يكون لها من عمل إلا مضايقتى وإرهاقتى ، وإنى سأكون تحت حكمها لا أعصى لها أمراً . وإنى عدا ذلك ، أدرى الناس بها فى كيفية الاحتفاظ بالدرهم والمحرص عليها ؛ فهي ستضعها - شأن أكثر النساء - فى صناديق من حديد وراء عشرات الأقفال المحكمة ، وستخبئها عني وتحمي على الفلس الواحد ، فى حين أنها ستكون سمحة الكف جوادة مع أهلها وذوى قرباها

وهنا تذكر إيفان أهل زوجته وأنسابها ، وكيف أنهم سيفقدون إلى دارها متى علموا بالرج يستجدونها فى إلحاح المتسولين وهم يتسمون بذنوبة ورقة ؛ والله أعلم أى لؤم تخفى تلك البنات ، وأى رياء ؟ ! ..

يا لهم من ذرية سافلة دنيسة ، ومن نسل لا خير فيه ، إذا أعطوا الحفو فى طلب المزيد ، وإن ردوا نشطت ألسنتهم تقتاب وتقدح ما شاء لها الاعتياث والقدح ، وتمنوا لرادم كل أذية وبلاء . وتمثل له أهله ، فأذا به يرادم صفيق الوجوه فى

وراح يتهاذى فى الغرفة مفكراً ، وقد سهم وجهه وقطب أساريره ، ويتساءل عما إذا كانت امرأته تعنى حقاً ما تقول وأنها ستتقرب معه !

غير له وأجدى عليه أن يسافر بمفرده من دونها ، أو برفقة غايات وعناوات إن لم يكن للرفقة من بد ، غايات خفيفات لا هم عندهن ولا غم ولا يشن إلا للساعة التى هن فيها ؛ أما السفر مع امرأة لا تفكر طول الطريق إلا فى أولادها ولا تكلم إلا عنهم متأووه نارة متدلة أخرى ، تحاسبه على كل بارة ، فهذا ما يكرهه ويجتويه

وتخلت له زوجته فى عربة القطار المكثفة بالزعم والسلال والطرود متأووه ولا يدري أحد لماذا ، وتشكو الصداق لساع ولغير داع ، وتتذمر من كثرة النفقات ، وتتبرم من غلاء الحاجات ، وترغبه فى المحطات أن يهرع لينتاع لها «سندوتشا» وليأتها بالماء ، لأن حضرتها لا تريد أن تتناول غداءها فى المطعم لبهظ الأسمار ، وهذا ما لا يرغب فيه . إذن خير لها وله أن تبقى فى منزلها لا تبرحه وإن تطلق له حرته ، فالسياحة لم يخلق لها الضحج الضنين ، وما عسى يستطيع البخيل أن يرى من متع يا ترى ؟ ؟

ثم إنها عدا ذلك كله ستلازم غرقها فى الفندق الذى سينزلان فيه

وستحفظ به حيالها لا يفارقها وهذا ما لا طاقة له به ولا قدرة له على احتماله

وألقى على امرأته نظرة فاحصة عجلى ، فإذا به يراها لأول مرة فى حياته ، قبيحة للنظر ، دميمة الوجه ؛ قد دهمتها بوادر الكبر ، وظهر عليها أثر

فاحتدم غيظه واشتد حنقه ؟ وصرعان ما فتح
الصحيفة وألقى على الصفحة الرابعة منها نظرة خاطفة
وأعلن لها ، حبا في مناوئها فقط ، بصوت الفلتر
الفخوري :

— « السابق ٩٤٩٩ والرقم ٤٦ لا ٢٦ » وصمت .

على مضض

لقد شاء أن يثير حفيظتها ، وأن يحفظها فم له
ما أراد ، إلا أنه تأثر هو كذلك واستاء . فالأحلام
الذهبية تلاثت واضمحلت ، وهوت قصور الأمانى
إلى الحضيض هويا ، فتمثل المنزل لها خالكا قائما
حقيرا ، وظهر لها أن المشاء الذى فرغا من تناوله
منذ حين لم يكن لذيذا شهيئا ، ولقد شعرا مما بوطاته
على معدتيهما

وتراوت لها هذه الأمسية طويلة ما تنتهى ،
ومملة غاية الملل !

فيا للأجواء المربدة القائمة وإن لم يكن بها
أربداد ولا ققام !

ومشى إشارات مهتاج الأعصاب نائر النفس
ونخطى الدهشة بخطى السريع المجلان وصوته
الحائق يجلجل في أرجائها ، فتجواب منه الأصدا :
— ما هذا ؟ لا أدري ما أدعوه وربى ؟ فأينا
أمش لا أرى إلا قصاصات الأوراق ، وأتشر بالأشياء
المبعثرة هنا وهناك ، وفي كل زاوية بل في كل موضع
لاشع العين إلا على قتات الخبز وقشور البيض ،
أمريلة هذا أم منزل ؟؟

يجب أن أنأى عن هذا الجو الموبوء وأن أهجر
هذا المحيط الملعون ، سأذهب ، وليحملني الشيطان ،
فأشفق نفسى على أول شجرة أقع عليها في سبيل
رحمة مبرج ملقى

حين أنه كان — لساعة خلت — يرى تلك الوجوه
ذاتها تفيض بالوداعة ، وتتألق بالحياة والبشر

فتتم : « بالاحشرات ! »

لقد بدت له وجوه أحب الناس لديه وأدناهم
إليه بغيضة مكروهة ، وغلى صدره بالحق عليهم
جميعا ، وتمنى على الله في سره لو لم يوجدوا

وتدنى سروره ، فلقد شاباه الكدر ، وعمرت
جسمه رعشة اشتزاز من أولئك الأهل المرائين
المتسترين تحت ألف تقاب ، ومن تلك الزوجة المقترنة
حتى على نفسها التي لا تدرك للمال لذة إلا بكنزه
في صناديق من حديد وراء ألف قفل

وتوارت البسمة التي كانت تلوحيها منذ حين
فكلحت منه الأسارير وأصبح لا ينظر إلى زوجته
إلا شزرا . وهى ، هى كذلك اتابها منه ما اتابة
منها ، فبدا لها بغيضا محموتا وهو الذى كان بالأمس
مطمح أمانها ومحط أمانها ، فراحت ترقمه بكثير
من الحقد ؟ فان لها هي كاله أحلام مذهبة الخواشي ،
ولها آراء تعجب بها هي على الأقل إن لم يعجب بها
سواها ، ولها خطوط ومشروعات كلها رائحة جميلة ،
ولم لا ؟ أليكون زوجها المافون هذا خيرا منها ؟ !

لا وألف لا ! وإنها لتعلم العلم اليقين فيما ذا يفكر
زوجها ، وماذا يتراءى له ، وإنها أدري الناس به
وأخبرهم بطباعه . إنه سيكون أول من يندرج عليه
على ظهرها وأول من يتيسط على حسابها هي ،
ولقد كانت بنظراتها — التي تمنى أنه من الجميل أن
يحمل المرء على كيس سواء — تنطق بماعى لسانها عن
بيانه . ولقد فهم الزوج معنى تلك النظرات الشزراء
وأدرك ما يحول بخاطرهما عنه ، وقرأ في تلك
اللامح المضنة ما أبدته ضفائن القلب المحقود ،

الحرمان في الحسرة
وردتها الحسرة إلى
الحرمان

يتحدر هذا
الشاب من أسرة ريفية
فقيرة عميدها ضارع
بسيط، فكان متعجب
حظه من التعليم شهادة

الحِطَّة

أَقْصُوصَةٌ مِصْرِيَّةٌ
بِقَلَمِ الْأَدِيبِ نَجِيبٍ مَحْفُوظٍ

الكفاءة، وقد حسب أبوه نفسه من المجاهدين الصابرين أن بلغ به هذه المرتبة من التعلم، فسعى إلى توظيفه بوضعة جنهات، وكان فرحه بذلك عظيما، كما كان ألم الشاب بليغا؛ أما الأب فقد فخر أهل قريته بابنه «الميري» وعبط نفسه على الجنيه الذي أجراه الشاب عليه، وأما الشاب فكان يجتهد أطلوحا شديد الحساسية، يقطع في المراكز المالية ويتحرق على نعيم الدنيا الذي يرى آثاره المغرية في السيارات المارقة والمارات الشاهقة والليالي الساهرة، فسخط وحقد وحمل الدهر والناس ونظام الكون ما يعاني من شدة وبؤس وحرمان وفقر. وإن حق لأبيه أن يباهي به العالمين وهو قابع في قريته فقد كان يزوي خجلا من تفاهته وهو يسير في القاهرة الصاخبة كمنملة على وريقة شجرة باسقة في غابة شجراء تأوى إليها الأسود والأفيال. يعمل من الصباح إلى المساء يغادر المصلحة مضمحل القوى خائر المزمنة، مهين النفس، قذر الجسم، فيرتجى على فراشه أسفاً قاتلا وهو يتمنى على الله ألا يطلع عليه الصباح إلا وهو في قبر يريحه من العالم وتعبه وضآلة أمله فيه

بدا على وجه محمد أفندي الحلو التهيؤ للتويب والمناصرة فدرس يده في جيبه وأخرج ريثا ثم دخل بأقدام ثابتة إلى مكتب جمعية المواساة وتردد لحظة بقلب ناظره في أوراق النصيب المكسمة ونفسه حيرى وقلبه خافق لا يدري ما يبني أن يأخذ وما يبني أن يدع، وكأنه آثر أن يلقى عن قاتق اختياره التبعة فطلب من موظف المكتب — وهو ينقده الريال — أن يختار له ورقة

والبا نصيب مغامرة خفيفة تجذب الناس على اختلاف طبقاتهم، فيشارك فيه بعض الأغنياء للتلهية ومداومة الملل وإيقاظ المواقف التي ران عليها الشبع والسقم، ويساهم فيه آخرون منهم طلبا للزهد وإشباعا لغريزة التملك التي لا تعرف الشبع؛ أما أغلبية مريديه فن الفقراء الجالين الذين يرون في ورقته «باسبورت» ينقلهم إلى عالم عجماده المصارف وشعاره الترف وآياته زينات الدنيا من النساء والمشاهد والأسفار والمأكول والمشارب. ومن اطلع على وجه محمد أفندي وهو يدفن ورقة البانصيب في محفظته فرأى عينيه الحالتين وسمع تهديته الحارة وهو يدعو قائلاً: «يا رب! لا ينك في أنه من هذه الجماعة الأخيرة التي أوقعها

— إن ما سمعت لهو دون الحقيقة بكثير ، فلم يبق لهم من متاع الدنيا سوى الاسم القديم ، وهم يطمعون في أن يشتروا به أموال عمك الطائفة ؛ وكاد عمك يلين لهم لولا أن انبريت له غاضباً وقلت له : خذ حذرَكَ من هؤلاء الطغاة الماكِرين واذكر أيام كانوا ينظرون إلينا نظرة المؤمنين إلى الكافر ، وهمست في أذنه : إن الأقربين أولى بالمعروف ، وذكرته أن له ابن أخ موظفاً محترماً فعادو فكره ثم قبل ... — ماذا قبل .. ؟

— فقهره الأب حتى بانت نواجذه الصفر وقال :

— قبل أن تزوجك من ابنته ... ابنة عمك خضرا ، مطمئناً إلى أن يدأ غريبة لن تسلبه أمواله .. وصمت الرجل برهة وهو ينظر إلى ابنته ثم عاد إلى الكلام فقال : —

— الحق أقول ... لقد طمعت في خضرا منذ زمن بعيد وتمنيت على الله أن يجعلها من قسمتك ونصيبك ولكني ترددت كثيراً أن أفاتح أخي في هذا الموضوع . نعم هوشيق وقد نشأنا معاً صغيرين محتوين الفقر والبؤس ، ولولا الهجرة التي ارتضاها لنفسه والأعمال التي خاضها لبق فقيراً مثلي ، ولكنه الآن من كبار أغنياء قريتنا ، فازالت متردداً خائفاً ، أفكر في الأمر وأراجع نفسي فيه وأهم وأنكمش وأفرج عن شفتي مجازفاً بالكلام ثم ألصقهما من الخوف لائذاً بالصمت ، حتى تقدم عبد الحفيظ ففك تقدمه عقدة لساني فتكلمت وظفرت ... والآن ما عليك إلا أن تسافر معي اليوم أو الغد . — ولم هذه السرعة ... ؟

ولم تكن هذه أول مرة يشتري فيها ورقة البانصيب ، فكم من مرة اشتري وكم من مرات خسر ، وكم ذهب ينير وجهه الأمل وآب تلتوى شفتاه من اليأس ، وكم نام تسمده أحلام الأمانى ومحا على حسرة وخيبة ، وكانت أهون الخسائر المادية مما يدفعه ثمناً للورقة غير هينة على مثله بل كبيرة فادحة ، ولكنه لم ينتن له عزم ولم تقتر له حمة ولم يول عنه أمل

وزهب كما دته إلى مسكنه أو بالأحرى إلى حجرته ووضع الورقة في ظرف ووضع الظرف تحت رزمة من الظروف والخطابات ، ثم قيد رقم الورقة في مذكرته وانتظر على اللذة الوحيدة التي يجدها نفسه لذة أحلام الأمانى . وبعد أيام فوجيء بمقبح أيه وقد أوجس قلبه خيفة أن يكون بجيئه لحاجة ، وكان صفر اليدين إلا من الضروري ولكن الرجل بادره قائلاً وهو لا يبالك عواطفه :

— أبشر ... لقد أتبسم لك الحظ على يدي ... — كيف ... ؟

— قالها بنير توقع عظيم للفرح لأنه يعلم أن والده يحسب ماهو غارق فيه من بؤس نعباً وسودداً ينبط عليها . واستمر الرجل قائلاً : —

— أعترف أسرة الحمار ... ؟ — طبعاً أذكرهم فقد نشأت مع أحد أبنائهم عبد الحفيظ وطويت في صحبتته عهد الصبا

— أحسنت فهو من أعني ... لأنه تقدم في الأسبوع الفائت إلى عمك طالباً يد ابنته ولعلك لا تعلم أن أسرة الحمار هوت إلى دمار الإفلاس والبوار — سمعت شيئاً من هذا ؟

هذه هي زوجه القبلية أو هي السم الذي وضعت
 الأقدار في دسم المال وقدمته إليه
 وتذكر أمراً فأسرع إلى ورقة اليانصيب وألقى
 عليها نظرة فاحصة فوجد أن موعد السحب في شهر
 أكتوبر وهو ما يزال في يوليو فما من سبيل إلى
 التسويف إلى أن يتأكد من حظه ، فهي غنيمة من
 الجنون رفضها ، وهي مصيبة من المستحيل دفعها
 وسافر في صحبة أبيه وعقد على الفتاة بين الزغاريد
 والأفراح ولبت لديهم يوماً ثم قفل راجعاً إلى القاهرة ،
 وكانت تمنعد على وجهه كآبة مدلهمة ويتعذب قلبه
 بآلم مض ، إذ قر في نفسه أنه باع نفسه بيع العبيد
 أو بذلها بذل البغايا ، وأن تلك الفتاة « النشاز » قيده
 في قدمها ككلب مهين ، فياله من فوز كالحمران
 وأخذ أهون منه الاعطاء ، وكان أمامه عام كامل على
 أقل تقدير تجهز فيه الفتاة على حساب والدها
 وحده لأنهم كانوا يعلمون علم اليقين أنه لو ترك الأمر
 إلى قدرته ما فتح بيت الزوجية ولا في منحدرات
 الشيخوخة ، فتمزى بهذا العام بعض العزاء وكانت
 تكتب نفسه كلما انفرط من عقد أيامه واحد ،
 ولكنه لم يربدا من المحافظة على المظاهر . فافتصلت
 الرسائل بينه وبين عمه وكانت في طلاوتها الظاهرة
 رسائل زوج مجدود يترقب بفارغ الصبر يومه
 الموعود
 أما الذي كان سميحاً حقاً فهو والده ، وقد
 أحزله شقيقه الثرى المطاء ليسدو في المظهر
 اللائق ، فذاقت نفسه الحرومة النعيم على كبر
 وانتمس في الرفاهية وامتلأ بالنبطة فسار في الأرض
 مختالاً غخوراً يكاد يهتف بالناس أن انظروا وسبحوا
 واجسدوا

— خير البر عاجله ... وإنى أريد أن أقطع
 الطريق على أبناء الحمار ... ولا تنس أن نبأخطبتك
 لابنة عمك ذاع بين أهل القرية ، فهمي أن أعجل
 بعقد الزواج أو يقولون إن منهما قطع خطبتها وولى عنها
 — عقد الزواج ... !
 — نعم هذا هين ... وأما الدخلة فلي مهل ..
 هيا ولا يثتك التقدير فإن عمك عليم بحالي وحالك
 وسنكتب مهرأ صوريا فلا تخش شيئا .
 هل يستطيع أنت يقول لا يرفض أفدنة
 وعمارات وأموالاً لا يحيط بها الحسان ؟
 أما ابنة عمه فأعوذ بالله من شر ما خلق ... هي
 كتلة من اللحم المتنفخ ، تضيق في تهذه قسبات
 الوجه ومعالم الجسم ، فهي لا يعرف لها خصر من
 ردف من صدر ، جميعها كتلة واحدة كأنما صبت
 في برميل نبيذ ، وما يرى من عيناها فشقان ضيقان
 كأنما يسلط عليهما شمع شمس لا يضيء ، وما يبرز
 من أنفها فانتفاخ قصيرة كأنها دمل في إبان الخطر ؛
 وهي إلى ذلك ثقيلة الظل ، مظلمة الروح ، شديدة
 البقاء ، وإنه ليذكر أنه داعبها مرة فخطبها قائلاً :
 « يا أبله خضرا » على طريقة أهل المدن فغابت عنها
 الدعابة واصفر وجهها وذهبت إلى أنها غاضبة تشكو
 إليها تهكم ابن عمها وسوء أدبه إذ جعل يخاطبها
 بما يخاطب به الأخت الكبرى وبعثاً حاول أن
 يهدي خاطرها وأن يصرف عنها الموجة
 والأدهى من هذا كله أن أهلها لا يعرفون
 بسبب لها ، فهي لديهم لؤلؤة مبرأة من العيوب ، ولا
 تفتأ أمها ترقعها في الجبنة والدهاب بعين الحب
 والاعجاب ، وما تنفك تحرق حولها البخور دفعا للسوء
 وفقاً لعين الحسود

وسعاة، هذا يعني، وذلك يطلب «الحلاوة»، وذلك يشكو الحظ الذي خانته في رقم أو رقمين، حتى رئيس القلم خاطب محمداً بلهجة رقيقة لأول مرة، بل حدثت معجزة فاقسم له وسأله :-

— علام غزمت ..؟

— لا أدري ياسيدي

— أنصحك ألا تستقيل من وظيفتك ...

فالعامل أبهج مافي الحياة، وهو ذخر تدخره للمات

— أشكرك ياسيدي

قالها ثم سار يترشح كالمثل وقد طلب منه الرئيس أن يكتب طلباً بإجازة يوم أو يومين ووعده أن يوافق عليه فلم يسمع له؛ ونبهه زميل إلى أنه لم يترك ثمن القول فلم يلتفت إليه وسار يترشح لأن السعادة التي وزعها الله على قلوب البشر هرعرت إلى قلبه في تلك اللحظة كما تهرع حيوية الجسم إلى أحد أعضائه حين اشتداد نشاطه

وصر في طريقه بمكتب المراسلة فساءه إن يحده مطلقاً، ولكن قيل له إنه يعلق بابه يوم الأحد، فضايق بذلك وقصد توأ إلى حجرته بل إلى رزمة الظروف، بل إلى الطرف الأخير منها وقرأ ورقة اليانصيب مثني وثلاث حتى اطمان قلبه فردها إلى المجموعة وجلس يستريح ويتأمل بعينين يضيئهما نور الظفر، أركان حجرته الكثيفة وأثاثها البالي الحزين وعروق سقفها البارزة كأوداج المختنق ثم تكلم بصوت عال قائلاً :-

الآن أهجر ك إلى غير رجعة، فوداعاً أيتها الفيران والصراير. أتمنى لك حظاً سعيداً وسأكون جديداً أجدي مما كنت وأتفجع

إلا أن ذكرى سوداء اغتصبت فجأة سعادته

ولم يلبث الرجل أن أخذ على ابنه الموائيق أن يفسح له وأمه مكاناً رحيقاً في يته المنتظر وأن يصون شيخوخته عن ذل الحاجة وكدح السعي فوعده خيراً وهو كظيم، ولم يكن يجيد على والده لأنه لم يضطره إلى شيء ولم يرد له إلا الخير، ولكن كان إذا من عليه أو تنجزه ما وعد حق عليه ثم حتى وفي صباح يوم الأحد من شهر أكتوبر كان محمد جالساً إلى مكتبه في الصلحة، وأمامه الملفات لا تكاد تظهر منه إلا قمة رأسه، وعلى كرسي إلى جانبه وضعت صينية عليها طبق الفول المدس والريغيف والفوطه الحمراء، وكان إلى جانبه زميل يقرأ جريدة الصباح ويعلق على الحوادث والرجال بما يشاء هواه وتفكيره، ولم يلبث أن اشتمله صمت طاريء، ثم أسرع بفتح درجه وأخرج ورقة صغيرة أنعم النظر فيها ملياً، وتردد ناظره بينها وبين صفحة الجريدة المفتوحة أمامه ثم قام إلى محمد وصاح في وجهه بأفعال جنوني :

« رحمت ... »

وكأنما حملت هذه الكلمة البسيطة إلى نفس محمد كل مانفع بل نفس صاحبه فانتفض قائماً كأنه حرر فجأة من قوة جاذبية الأرض وصاح « حقاً إنه اليوم يملن اليانصيب ... كم تنسى المهوم ... »

— أدري رقمك لأتأكد ...

— ها هو ذا ...

— هو بينه ؟

وانتشر الخبر في الصلحة وتحدث به كل لسان، واتسمت له كل عينين، وانفجرت لوقمه كل شفقتين، وازدحمت الحجرة بجمع خفير من مراجعين وكتبة

— تعالى أبها الحبية التي ستجعل لى من كل

حسنا عاشقة وحبيبة

ولكنه وجده فارغاً... آه لقد تذكر أنه وضع
الظرف السعيد فوق الظروف لا تحبها ، فأخذ
الفوقاني وفتحها ولكنه وجده أيضاً فارغاً...
فتصلب جسده وارتعشت يداه وخفق قلبه خفقة
الدمع والوجل ، ولعبت يداه في الظروف تفتشها
فرجع من كل بحنية مريرة ورعب عظيم ،
وقتش الدرج كله وقلبه رأساً على عقب ، وبحث
في الثياب والجيوب جميعاً والفراش وأركان الحجرة
بل نظر إلى السقف متحيراً... ودار في الحجرة وهو
يهتف كالدرويش في حلقة الذكر: «الله... الله...»
هل فرت الورقة فراراً؟... هل لبست «طاقية
الاخفاء»؟...

ولكن خطر له خاطر سريع... ألا يجوز أن
يكون قد وضع خطابه إلى عمه وورقة الطلاق في
الظرف المشتمل على ورقة اليا نصيب وأرسل الجميع
إلى عمه؟...

وأسفاه! هذا هو الفرض الوحيد الممكن

ولطم خديه ، وشد شعر رأسه وقرع رأسه
في عمد السرير ، حتى كاد يشرف على التهلكة ؛
وانتهى به الجنون إلى حالة يموت فيها التدبر ،
فارتدى ثيابه سريعاً وخف إلى الحطة ، وكان بينه
وبين قيام القطار انتظار نصف ساعة ، فهرع إلى
السيارة المموية التي أسرعته به في طريقها إلى بنها
وكان جزءاً ذاهب الحلم ، فثقل عليه طول
الوقت ، واشتد به الانتظار ، وطلق يقوم ويقعد
وينظر في ساعته ويهوله ما تدل عليه من الزمن فيسأل
جاره وجار جاره

فتجههم وجهه ، وانقبض قلبه وصاح غاضباً : —

«أواه! أخضرأ زوجتي...!»

فلا مفر من الحقيقة المرة التي توشك أن تنبله
بنشوته كما يتطلع القبر الحسنا في ريمان الشباب
وميمة الصبا ، فليتة اطلع على الذئب من قبل...
ولكن هيهات أن يدع حزناً في الوجود ينقص
عليه صفوه ، ولن يكون غنياً إذا لم ينهل من مورد
السعادة كل شعبي ويتبقى صفحة وجوده من لونات
الألم والشقاء ، وما هي إلا لحظة حتى ابتدعه عقله الحل
الموفق فهرع إلى المائدة وكتب إلى عمه الرسالة التالية:
«عمنا المحترم :

أرسل إليكم مع خطابي هذا وثيقة الطلاق من
ابنتكم كما هو متقدور ، وأنها لكبيرة ولكي فكرت
في أمرى طويلاً فلم أر عنها عييداً ، فهو تصميم نهائى
لا رجعة فيه وأرجو الله أن يلمكم الصبر وأن ينزل
في قلبكم الرحمة فتفرغوا لي »

وطالعه مرهات ، وقد بدا له جافاً ، ولكنه لم
يحاول تخفيف لمحتة بل ود لو آتته الشجاعة فجعله
أشد قسوة وأتقى للجمالة ، وأخذ ظرفاً دسه فيه
وكتب عليه عنوان عمه وخرج لا يلوي على شيء
يفتش عن المأذون ، ولم يهدأ له قلب حتى سلمه إلى
صندوق البريد ونام ليلته سعيداً مرتاح البال...

وفتح عينيه عند استيقاظه فشهد نور
الصباح ينسكب من كوة الحجرة كأنه صدر حسنا
تنفرج عنه غداثر شعر حالك السواد ، فقام كأنه يولد
من جديد في عالم جديد ، ودلف إلى رزمة الظروف
وأخذ آخرها وهو يقول :

ولا أبوك ... أهذه هي الورقة التي جئت من أجلها؟
خذها إرباً إرباً ... إذهب ... أغرب عن وجهي»
وجرى الشاب نحوه يحاول منعه من تمزيق
الورقة الراجعة ، فطمعه لطمعة أشد من الأولى ،
فأمسك أبوه بيده وهو يبكي ، وجذبه خارجاً وهو
يصيح به مثلاً :

« ماذا فعلت يا محمد ..؟ ماذا فعلت ؟ .. »
وكان الياست قد بلغ به منهاء فأفلت من يده إليه
وجرى شطر الطريق المؤدى إلى النيل ، فارتعب
أبوه وجرى خلفه وهو يناديه ، ولكن ضاع نداءه
في الهواء ، لأن محمداً لم يكن يسمع شيئاً ، فلم يلتفت
إلى والده ولا إلى نداءه ، وماله هو ونداء أبيه ..؟
بل ماله ونداء الدنيا جميعاً وهو لم يعد من أهلها ...
تجيب محفوظ

حتى أراد الله أن تنتهي الرحلة ، فجري جرياً
إلى دار عمه

وكان وصوله عقب وصول خطابه بزمان قليل ،
فوجد البيت هائجاً مائجاً ، وصوت عمه يدوي
فيقتحم حجراته وأفتيته ، ورأى والده المسكين مائلاً
بين يدي الرجل الغاضب ، منكس الدقن ، كسير
الفؤاد ، يتلقى سبابه ووعيده في خشوع وذلة ورهبة
وأحبت دخول الشاب دهشة شديدة غير
متوقعة ، فساد صمت وخيم سكوت ، فنظر إليه أبوه
ومد إليه يديه كأنما يقول له : ماذا فعلت ... ماذا
فعلت ... أما عمه فقد حمل في وجهه يتمعج من
جسارته ومن الباعث الذي حدها إلى الظهور ، ونسى
الشاب كل شيء فقال بصوت مبسوح : —

— ورقة يا نصيب ...

فظل الصمت غمياً ثقيلاً غليظاً ، فماد الشاب
إلى التوصل بصوته الباكى وقد لمح خطابه في شمال عمه :
— ارحمني ... أعطني الورقة ولك ما تشاء ...
فأفاق الرجل من وقع المفاجأة وتنبه إلى الشاب
الواقف أمامه الذي أزعج طمأنينته ولوث شرفه ،
فتقدم منه خطوات وطمعه على وجهه لطمعة شديدة
ترك وراءها آثاراً حمراء وزرقاء ، وبدأ على محمد
أنه لم يشعر بوقع اللطمعة وإن ترخ قليلاً من شدتها
فاستطرد ذاهلاً :

« الورقة ... »

فانفجر عنه مغيظاً محمقاً قائلاً :

« أهكذا يشعر فيك الجليل يا خسيس؟ ... أهكذا
ترد الصنع يا لثم ... وافضيتاه ... واخزيه ...
ستجعلني أمحوة للشامتين والحاسدين ؛ وهذا جزاء
من تأخذه راحة بالأدنياء ... أغرب عن وجهي
يا مجرم ، ولا ترفي صورتك بعد الآن ... لا أنت

(١) خالتي وقصص أخرى

(٢) وكيل البريد وقصص أخرى

مجموعتان من أقاصيص رابندرانات طافور

ترجمته عبد اللطيف النشار

(٣) جنة فرعون وقصائد أخرى

(٤) نار موسى وقصائد أخرى

ديوانان من شعر عبد اللطيف النشار

(٥) الاسكندر

رواية تاريخية عن حياة الفاتح الكبير

ترجمته عبد اللطيف النشار

تمن هذه الكتب الخمسة عشرة قروش بما في ذلك
أجرة البريد وطلب البريد من صاحبها بعنوانه :

١٨ شارع الأيعادية بمحرم بك بالإسكندرية

السالكون إلى البحر

لمسرحية رائعة في فصل واحد

للكاتب لارلندي جورج ملتون سينج
بقتل الأديب شكري محمد عياد

كاتلين — إنها
ترقد؛ كأن الله في عونها.
ولعل عينها قد هجمتا
لو كان للنوم إليهما من
سبيل

(تدخل نورا في هدوء
وتبرز صرة من الثياب
من تحت وشاحها)
كاتلين (تدير مغزلا
مسرعة) — ماذا بيديك؟

نورا — صرة أعطانها القسيس الشاب . إنها
قيص وجورب لرجل غريق في دوينجال (كاتلين
توقف مجلتها فجأة ، وتشخص متعنتة) وعلينا أن نتعرفهما
إن كانا من ثياب ميخائيل ، فبعد قليل نذهب إلى
البحر نتفرس في أمواجه

كاتلين — وكيف تكون تلك ثياب ميخائيل
يا نورا ؟ أني له أن يقطع شئالا ذلك الطريق الطويل ؟
نورا — لقد ذكر القسيس أنه لمع فيها مشابه
من ثياب ميخائيل ثم قال : فإن كانت كذلك فغيرها
أن الله قد قبضه إليه وأنه مات ميتة طاهرة ، وإلا
فلا تذكر إحداكما لها شيئا فتموت أسي ولوعة
(تهب عصفة ريح فيفتح الباب الذي ألقته نورا نصف إقبال)
كاتلين (تنظر إلى الخارج في قلق) — وهل
سألته هل ينعن بارتلي من أن يذهب اليوم بالجياد إلى
سوق جالواي ؟

نورا — لقد قال : إني لن أمنعه ، ولا تخشين
شيئا . إنها لتقوم الليل حتى نصفه داعية ذاكرة
مبهلة ، والله القدير لن يتركها معوزة بغير بنين
كاتلين — أأثر البحر حول الصخور البيضاء يا نورا ؟
نورا — نصف ثورة ... الله يرحمنا ويرعانا ! في
الترب زجرة وإرداء ؛ وعند ما تهب الريح ترداد الحال
سوءاً (تذهب بإصرار إلى النضدة) فأبسطها الآن ؟

« جون ملتون سينج » كاتب لإرلندي كبير . ولد على
مقربة من دبلن سنة ١٨٢١ ، وتخرج في كلية ترينتي عام
١٨٩٢ ، فطلق يجوب ربوع فرنسا وألمانيا ببقائه ،
ويحاول الارتقاء عن طريق الصحافة الأدبية . ثم عاد إلى
إرلندا عام ١٨٩٨ وعاش بين فلاحها بضع سنين ،
فأزهت عبقريته على ربي الوطن وطبائه ، بعد أن كادت
تدوي بين جدران باريس . ثم اضمحلت قواه فأودى به
الطاعون عام ١٩٠٩ ، وقد بدأ نجمه يلمع ويخطف
الأبصار ، وعلى الرغم من ميته المبكرة وتراثه الأدبي القليل
فإنه ما زال يعد عميد المسرح الإيرلندي ونجمه اللامع ،
وأعظم كاتب مسرحي إنجليزي بعد شكسبير

ومسرحيات سينج ممتدة كلها من حياة الفلاحين
الإرلنديين وصائدي السمك في جزائر آران ، « والراكبون
إلى البحر » أعظم مسرحياته ، وقد يبلغ بعض النقاد فيرفعها
فوق أروع معجزات شكسبير ، فنها وصف دقيق لسلطة
الطبيعة على كبح الانسان وتحليله إلى نفسية لم يسلمها البحر
أهلها وبنيها . وهو المسرحية الصوفى الإنسانى يرضها إلى أعلى
مراتب « الواقعية السامية » Transcendental Realism
كما يسميها الناقد الأمريكي « جرات أوفرتون »

شخصيات القصة

موريا : امرأة عجوز . بارتلي : ولدها . كاتلين
ونورا : بنتاهما ، وصغراهما نورا . رجال ونساء
(المنظر : مطبخ كوخ فيه شبك وجلود ومزمل ، وقد
استندت إلى الحائط ألواح جدينة من الخشب . كاتلين — وحى
فناء في نحو المشيرين — تغرق من بحن كمسكة وتضعها
في إناء على النار ، ثم تمسح بديها ، وتفرغ في إدارة مغزلا)
نورا (في صوت غصين) — أين هي ؟

معلق على مسار نازاء الخشب الأبيض

نورا — (تناوله حياء) — أهو ذاك يابارتلي ؟

موريا — خير لك أن تدع الجبل معلقاً إلى الأخشاب يابارتلي (بارتلي يأخذ الجبل) فلسوف نحتاج إليه إن عثرنا على ميخائيل صباح الفد أو بعد غد أو في أي يوم طوال هذا الأسبوع . ولسوف نواريه في تابوت عميق يزحّه الله

بارتلي — سوف أرسن به فرسى . ولا بد أن أسرع الآن ، فلن يسحر بعد هذا المركب مركب مدي أسبوعين أو أكثر . ولقد سمعهم يقولون إن السوق نافقة وإن الجياد تباع فيها بيعاً حسناً

موريا — ولسوف يحزننا قولهم إن عثرنا على الجثة ولم نجد رجلاً يصنع النابوس ، بعد أن بذلت ثمناً طالياً في شراء أخشاب لن نجد خيراً منها في كونغارا . (تنظر إلى ألواح الخشب)

بارتلي — وكيف تطفو الجثة وقد راقبنا البحر تسعة أيام فما رأينا شيئاً ، والريح تهب آناً من الغرب وآونة من الجنوب ؟

موريا — إن كنا لنجد ما نال البحر ، وإن نازاء القمر نجماً طالياً ، وإنه لمشرق لآلاء ، وما جديدي مائة جواد أو ألف جواد وقد فقدت ابنائهم من بديل ؟ بارتلي (برسن فرسه) — راقى الغلال كل يوم يا كاتلين لثلاثاً كلها الخراف . وإذا عن لك من يشتري البطلة مقسطاً فبيعه إياها . لسوف تشق علينا الحياة وليس فينا إلا رجل واحد

موريا — ولسوف يضيق بنا العيش عند ما يبتلعك البحر كما ابتلع الآخرين . وكيف أعيش أنا وبنيتاي وأنا امرأة عجوز تنتظرني القبور ؟ (بارتلي يلقى الرسن ويطلع سترته النيفة ويرنمى أخرى جديدة من نفس القماش)

بارتلي (مخاطباً نورا) — هل أقبل الفلك إلى المرسى ؟

(•)

كاتلين — قد تصبحو قتبنتنا

نورا (تنهب إلى الباب الداخلي وتختصم) — إنها

تنقلب على فراشها ، وفي دقيقة تأتي

كاتلين — ناوليني السلم أخبئها في خزانة الوقود فلا تعلم من أمرها شيئاً . حتى إذا كان المد خرجت ترى إن كان الشرق قد أتى به طافياً على الأمواج . (تستدان السلم إلى زاوية المدخنة ، وتصعد كاتلين بضع خطوات ثم تخفي الصرة في خزانة الوقود . تأتي موريا من الفرفة الداخلية)

موريا (تنظر إلى كاتلين وتأسفاً مدمرة) — أفليس عندك من الوقود ما يكفي ليوم ويلة ؟

كاتلين — تلك كمكة أنضجها على النار . (تلتق بحزمة وقود من الخزانة) وسيحتاج إليها بارتلي إذا كان المد وذهب إلى كونغارا (نور تنطق الوقود وتحيط به الاناء)

موريا (تجلس على كرسي إلى النار) — لن يذهب اليوم والريح تمصف من الجنوب من الغرب . لن يذهب اليوم ولسوف يمتعه القسيس بلا رب

نورا — لن يمتعه القسيس بأماه . ولقد سمعت ليعون سيمون وسيفين فيتي وكولم ستون يقولون إنه سوف يذهب

موريا — وأين هو ؟

نورا — ذهب يرى لعل مركباً آخر يحرق هذا الأسبوع ، وما إخاله إلا آتياً بعد قليل . فقد ظهر للمد عند الرأس الأخضر وأقلت الفلك من الشرق كاتلين — إني أسمع صوت جاريتردين الصخور

المظني

نورا (تنظر إلى الخارج) — إنه لقادم بهذا الشير الينا بارتلي (يدخل ويسرح النظر في الحجرة ، ثم يتكلم في نبرة حزينة هادة) — أين الجبل الجديد يا كاتلين ؟ ذلك الذي اشتريته من كونغارا ؟

كاتلين (هابطة) — ناوليه إياه يا نورا . إنه

سوف تربته فيذهب سوء فالك ، وتقولين له : رعاك
الله يا بني ! فهدأ بالله

موريا (يتناول الحيز) — أفأستطيع إدراكه ؟

كاتلين — إذا أسرعت الآن

موريا (تنف مرتحة) — لم أعد أستطيع السير

إلا بمشقة

كاتلين (ترمقها بنظرات قلقة) — ناوليها الغصا

يانورا ، لئلا تنزلق قدمها فتشمها الصخور

نورا — أى عصا ؟

كاتلين — تلك التي أحضرها ميخائيل من كونمارا

موريا (تأخذ الغصا التي تناولها إياها نورا) — في

أرض الله العامرة يموت الكبار ويخلفون لأنبائهم

ما يملكون ، وفي هذه الأرض العامرة يموت الأبناء

ويخلفون أشياءهم للمجائر الطاعنين

(تخرج في بطء . تنبه نورا شطر النلم)

كاتلين — على رسلك يا نورا . لقد أذهلها الحزن

فاذا تحمسين . ماذا تفعل ؟

نورا — هل وارتها الشجيرة ؟

كاتلين (تنظر إلى الخارج) — لقد ذهبت الآن .

أسرعى فليس يعلم إلا الله أيان تمود

نورا (تأخذ الصرة من الخزانة) — لقد وعد

القسيس الشاب أن يأتي غدا . وقد نذهب إليه ،

إن كانت تلك حقاً ثياب ميخائيل

كاتلين (تأخذ الصرة) — هل خبرك كيف وجدت ؟

نورا (هابطة) — لقد قال : كان رجلاً يجدفان

بخمر قبل أن تصيح الديكة ، فشر بالحقه مجداف

أحدهما ، وهما ماران بصخور الشمال السوداء

كاتلين (تحاول حل الصرة) — ناوليني السكين

يانورا ، لقد زادت ملاحه الماء في شدة الخط ،

واسودت عقدته فما تستطيعين حلها في أسبوع

نورا (تناولها سكيناً) — لقد سمعت أن الصخور

السوداء على بعد قصي من دونيجال

نورا (تنظر إلى الخارج) — لقد مر بالرأس

الأخضر ثم أرخى قلاعته

بارتلي (يتناول حافضته ومطباقة) — سوف أذهب

إلى المرفأ في نصف ساعة ، وبعد يومين أعود أو

بعد ثلاثة ، أو بعد أربعة إن عابثنا الريح

موريا (تنبه إلى النار ثم طرح الوشاح على رأسها) —

أفليس من ظلم الرجل ألا يصيبح إلى مقال امرأة

محجوز نصف به على البحر ؟

كاتلين — في البحر حياة لشاب يريد أن يعيش ؛

ومن يلقي السمح إلى كلام امرأة محجوز لا تفتأ تردده

في كل حين ؟

بارتلي (يقبض على الرسن) — على أن أذهب

الآن سريعاً . سوف اعطي صهوة الجواد الأحمر ويمدو

المهر الرمادي ورأيي .. في رعاية الله .. (يخرج)

موريا (صاعقة وهو بالباب) — لقد خرج الآن .

لن نراه يرحمنا الله ... لقد خرج الآن ... وفي مهمة

الليل يسلبني البحر أولادي أجمعين ! ...

كاتلين — لم لا تباركينه وإنه ليلفت إليك وهو

بالباب ؟ أما كفا نأحرنا حتى تشيعيه بكلام محزن مشثوم ؟

(موريا تناول (الماش) وتجمع النار وهي شاردة لا تنتظر

فيها حولها)

نورا (تلفت إليها) — إنك تبعدين الوقود عن

السككة .

كاتلين (صاعقة) — فليغفر لنا الله يا نورا ! لقد

نسيتنا كمكته ! (تقدم إلى النار)

نورا — ولسوف ينهكه الجوع إذ يحير حتى

خمة الليل بنير زاد ، وما طعم شيئاً مذ طلعت الشمس

كاتلين (ترفع السككة من على النار) — سوف

ينهكه الجوع بنير شك . لقد غفلنا عن ذاك ؛ وحقيق

أن يغفل أهل بيت امرأة محجوز لا يتقطع لها حديث

(موريا تتدخل في مقدها . كاتلين تقطع شطراً من

الحزمة وتلقه في شربة من قاش . ثم تتألم موريا :)

فلتذهبي الآن إلى البئر فأعطيها هذه عند ما يمر بك .

يانورا ... إني لأسمع صوتاً خافكاً في الطريق
نورا (تنظر إلى الخارج) — إنها لكذلك

يا كاتلين . إنها مقبلة إلى الباب
كاتلين — خبيئ هذه الأشياء قبل أن تأتي .
ولمها قد سكنت بعد إذ بارتك بارتل . ولا تجربها
مما تعلمين شيئاً طوال غيبته على البحر .

نورا (تاتون كاتلين في حزم الثياب) — سوف
نضعها في هذا الركن (تختبئها في تهب في ركن المدخنة
تعود كاتلين إلى مغزها) — أقتظنيها رائية نجيحي ؟

كاتلين — اجعل ظهرك إلى الباب بمخاطك النور
(نورا تجلس في ركن المدخنة وظهرها إلى الباب .
تدخل موريا في بقاء شديد دون أن تنظر إلى أيها ، ثم تجلس
على كرسيها إلى الطرف الآخر من النار ، وما زالت اللقافة
في يدها . تتبادل الفتاتان النظرات ، ثم تشير نورا إلى الحيز)
كاتلين (بعد أن تدير مغزها برهة) — ألم تعطيه
اللقافة يا أماء ؟

موريا — (تولول ولولعضيعة دون أن تنظر فيما حولها)
كاتلين — هل رأيته راكباً ؟
موريا — (لا تزال تولول)

كاتلين — (في شيء من الضيق) — سأحك
الله ! أفليس أجدى أن ترفي صوتك وتجربنا بما
رأيت ، ثم تتبكي ماشئت ؟ إني أسألك : أرايت بارتل ؟
موريا (في صوت خافت) — اليوم يرحل في البحر .
وانصدح قلبي

كاتلين (في صبر نافذ) — أرايت بارتل ؟
موريا — لقد رأيت أهول ما رأت عينان
كاتلين (تحلي عجلتها وتنظر إلى الخارج)
ساعك الله ! إني أراه راكباً جواده بأزاء الرأس
الأخضر ، والمهر الرمادي يمدو خلفه

موريا (تهب من جلستها ، فيسقط الوشاح عن رأسها
وينصر عن شعرها الأشيب الأشعث ، وتكر في صوت مرتعب)
— والمهر الرمادي يمدو خلفه !
كاتلين (مقبلة إلى النار) — ما بك ؟

كاتلين (تحمض الحيط) — إنها لكذلك . ومنذ
برهة كان هنا الرجل الذي باعتنا هذه السكين ؛ ولقد
قال إنها على مسيرة سبعة أيام من دونيجال
نورا — وفي كم من الزمن تبعتها جثة طافية ؟
كاتلين (تحمل الحزمة وتأخذ منها جورباً ومزقة من
قيص . الفتاتان تنظران إليهما في ابتاه شديد ثم تهس
كاتلين :) يرحمنا الله يانورا ! أفليس من المسير أن
نحكم إن كانت تلك حقاً ثياب ميخائيل ؟

نورا — سأتى بقميصه من على المسار فترى إن
كان هذا من عين القماش . (تنظر بين الثياب الملقة فتركن
الكوخ) ليس القميص هنا يا كاتلين . فأين هو إذن ؟
كاتلين — ما أظن إلا أن أخانا قد ارتداه في
الصباح ، فقد كان الملح يثقل قميصه . (تشير إلى الركن)
لديك مزقة من قميص فهايتها . (تحضرها نورا فتفترقان
بين الثوبين) إنه من عين القماش يانورا . ولكنه قد
يكون قميص رجل آخر ، فهذا الصنف كثير في
حوانيت جالواي

نورا (بعد أن تتناول الجورب وتمد عينوه) — إنه
ميخائيل يا كاتلين ! إنه ميخائيل يرحم الله ! وماذا
تقول أمنا حين تسمع القصة وقد أبحر بارتل ؟ !
كاتلين (تأخذ الجورب) — إنه جورب غفيل بغير رسم
نورا — إنه ثلثي جوارب ثلاثة صحتها ، وفيه
ستون عيناً انقصتها عيوناً أربما .

كاتلين (تمد العين) — إنها لكذلك يانورا !
آه يا أختاه ! ما أمر على القلب وما أوجع أن طوح
به الموج إلى الشمال القصي حيث لا يندبه أحد إلا
عجائز البحر الكثيبة السوداء !

نورا (تنزع ثم تحضن الثياب) — ما أمر على
القلب وما أوجع أن طاح الموت يبحار قوى شديد
فلم يبق منه إلا مزقة من قيص وجوزبا غير موسوم !
كاتلين (بعد برهة) — خبريني إن كانت قادمة

ولكنهم ذهبوا جميعاً... فأودت الريح الكبرى
بولدى ستيفن وشون، وطوحت بهما إلى الفم الذهبي
ثم ولجا هذا الباب فوق لوح من الخشب (تصت برهة
وتغفل الفتان كأنهما سميتا خفيفاً بالباب الموارب خلفهما .
نورا (في هس) — هل سمعت يا كاثلين ؟ هل
سمعت صوتاً من الشمال الشرقي ؟

كاثلين (في هس) — إنى أسمع لجناً وصياحاً
بأزاء الساحل

موريا (متنبلة لا تسمع شيئاً) — وفي فجأة الليل
فقدنا شيموس وأباه وجده ، ثم أشرقت الشمس على
غير أثر خلفوه ... وانقلبت باتش قارب ففرق ؛
وكنت جالسة هنا وبارتلى نائم على ركبتي — وكان
ما زال طفلاً — فرأيت امرأتين قتلتا نساء فأربعة
رجال يدخلون ويرسمون الصليب على صدورهم
ساهمين ؛ فرميت يصري إلى الخارج فرأيت رجالاً
مقبليين وراءهم يحملون شيئاً في شطر قطع أحر يقطر ماء
فيرسم في الطريق أزراً ... وكان يوماً جافاً بانورا ! ...
(تصت مرة أخرى ويدها ممدودة تان إلى الباب . يفتح ببطء
وتحجز بالوصيد بمحائر يرسم على صدورهن الصليب ثم يخطون
إلى مقدمة المسرح حائيات الظهور وعلى رؤوسهن خرخرءاء)
موريا. (نصف حلة مغالبة كاثلين) — أباتش ؟

أنا ميخائيل ؟ أم أي شيء أرى ؟

كاثلين — لقد عثروا على ميخائيل في الشمال القصي
كيف نلقاه هنا ؟

موريا — تلك قوة الشباب يا كاثلين ... ومن
أدراهم أن ميخائيل هو من عثروا عليه ؟ إن رجالاً
تسطوح به الريح وتقاذفه الأمواج تسعة أيام للكارسم
البطامس لا تتعرفه عينا إنسان ؛ حتى أمه لو رآته
لما علمت أى رجل في إهابه

كاثلين — بل يا أماء إنه ميخائيل ؛ لقد بعثوا
إلينا من الشمال القصي حزفاً من ثيابه

موريا (تسكك في بطة شديد) — لقد رأيت أهول
مارأت عينا منذ أبصر (برايد دارا) الرجل الميت
والطفل بين ذراعيه

كاثلين ونورا — أواه !

(تتفغان قرب النار براء المرأة)

نورا — خبرينا ماذا رأيت !

موريا — ذهبت إلى البئر ، ثم وقفت أخافت بالصلاة ،
حتى أقبل بارتلى راكباً جواده الأحمر ، والمهر الرمادي
وراءه (ترفع يديها كأنها لتخفي عن عينيها شيئاً) الله يرحننا يا نورا !
كاثلين — ماذا رأيت ؟

موريا — رأيت ميخائيل بعينه

كاثلين (في هدوء) — كلا يا أماء ليس ميخائيل
من رأيت . فلقد وجدت جثته في الشمال القصي .
ولقد مات مونة طاهرة برحه الله .

موريا (في شيء من الحمى) — لقد رأيته اليوم
بعده مطلقاً بجواده . وكان السابق بارتلى ، بجواده
الأحمر . فأردت أن أقول له : الله رعاك ، فصافى
لساني ، واختفت الكلمات في حلقى ؛ وقال بارتلى :
في حراسة الله ، فلم أستطع أن أجيبه ؛ ثم صرخت
ونظرت إلى المهر الرمادي يمتليه ميخائيل وقد
اربدى ثياباً قشوية واتمل خفين جديدين

كاثلين (مولولة) — اليوم نحتلمنا ! اليوم
نحتلمنا ولا ريب !

نورا — ألم يقل القسيس الشاب إن الله لن
يتركها معوزة بفير بنين ؟

موريا (في صوت خفيض جلى) — إن عمل بارتلى
لا يعلم عن البحر إلا قليلاً ، ولسوف نقبده الآن .
استقدما ليعون فجهزوا من هذه الأخشاب البيضاء
ناووساً حسناً . فلن أعيش من بعدهم طويلاً . لقد
كان لي بمل وكان لي حم وكان لي في هذا البيت
سنة أبناء — ستة رجال أقوياء كانت ولادتهم على
عسيرة ! — عثرت على بعضهم ولم أعثر على البعض ،

اصنع أنت وإيعون ناووسا ولدنا خشب أبيض جميل ،
اشترته — كان الله في عونها ! — طاعة أن سجد
ميخائيل . وسأعطيك كمة طازجة تأكلانها إيان عملكا
الرجل المجوز (ينظر إلى الأخشاب) — وهل
لديك مسامر !

كاثلين — كلا يا كولم ، فإن لم تفكر في هذا الأمر ..
رجل آخر — عجيب ! ألا تفكر في السامير ،
وقد رأيت النواويس كلها كيف تصنع !

كاثلين — لقد أوقعتها السنون ونامت بما حلت
(موريا تغف في بطن مرة أخرى ، ثم تبسط ثياب
ميخائيل بجانب الجنة ، وتردها بما بقي من الماء المقدس)
نورا (في هس غطاة كاثلين) — لقد هدا روعها
الآن وسكنت . ويوم مات ميخائيل كانت تبدو
مولولة بين البيت والبئر ... لقد كان ميخائيل أحب
إليها ... من كان يظن هذا ؟

كاثلين (في بطن وجلاء) — إن امرأة عجوزاً
لتمل أى شيء تفعل ... لقد غبرت تسمة أيام تصرخ
وتولول وتملأ البيت حزناً

موريا (ترد الزجاجاة الفارغة أسفل المائدة ، ثم يضع
كلتا يديها على قدمي بارثلي) — لقد ذهبوا الآن جميعاً
واتمى كل شيء . يرحم الله بارثلي وميخائيل وشيخون
وباتش وستيفن وشون (تنطأ في هامتها) ويرحمي الله
يانورا ! ويرحم الله كل من لا يزال خيماً على ظهر
هذه الأرض !

(تصمت ويملو عويل النساء ، ثم يغث ويضال)
موريا (مستخلة) — لقد مات ميخائيل في
السهال القصي ميتة طاهرة ، وسيثوي بارثلي في ناووس
جميل من الأخشاب البيضاء ، ثم واري في تابوت عميق ؛
فقيم نامل بعد ؟ لن يخلد على الأرض مخلوق فليتنا
أن نرضى (تركع مرة أخرى ، ويسدل الستار رويدا)

ترجمة شكرى محمد عباد
كلية الآداب

(تقدم إلى موريا قيس ميخائيل وجورج ؟ موريا تغف
في بطن فتأخذها بين يديها . نورا تنتظر إلى الخارج)

نورا — إنهم يحملون بين أيديهم شيئاً ، والماء
يقطر فيخلف على الصخور الكبيرة أثراً
كاثلين (في هس غطاة المجوز التي قدمت) — أبارثلي ؟

إحدى النسوة — إنه هو يرحم الله
(امرأتان صغيرتان تجران المائدة . الرجال يدخلون
حاملين جثة بارثلي على لوح من الخشب ، وقد تغطت بشرط
من قلغ ثم يسجونها على المائدة)

كاثلين (غطاة النساء) — وكيف غرق ؟
إحدى النسوة — ألقاه المهر الرمادي إلى البحر
ففسلناه على أمواج الصخور البيضاء

(تتقدم موريا إلى المائدة ثم تركع عند رأسها النساء يولولن
في صوت خافت ، ويتباين في بطن ؟ كاثلين ونورا يركعان
عند الطرف الآخر من المائدة . الرجال يركعون قرب الباب)
موريا (ترفع رأسها ثم تتكلم كالنساء لا تبصر من

حولها) — لقد ذهبوا الآن جميعاً ، ولم يمد البحر
قادرأ على أن ينال مني شيئاً . لم يبق ما يجعلني أقوم
الليل داعية حين تصصف الريح في الجنوب ، أو حين
تتلاطم الأمواج في الشرق ، أو حين تتلاطم الأمواج
في الغرب ، أو حين تختلط أصداؤها في أذني . لن
أذهب إلى سامهان لأنني بلقاء المقدس ، وحين تمول
النسوة لن أهتم لحال البحر . ناوليني الماء المقدس يانورا
فما زالت منه بقية في القبتة

نورا — (تناولها إياه)

موريا (تسقط ثياب ميخائيل عند قدمي بارثلي وترش
عليه الماء المقدس) — ما كان ذاك لأنني لم أدع لك الله
القدير يا بارثلي ، ولا لأنني لم أتهد إلى ربك في خمة
الليل حتى ليهم عليك قولي ؛ ولكني الآن قد
أشرفت على الراحة إذ أنام في ليالي سامهان ، وإنها
الراحة لو وجدنا حفنة من دقيق لبيل ومكحة مريحة
نأكلها (تركع ثانية وترسم الصلب على صدرها وتهمس بالصلاة)
كاثلين (غطاة رجلاً عجوزاً) — حين تشرق الشمس

الملك والشحنا

للكاتب الانكليزي أو سكارا ويلد
مترجمة بقلم الأديب بشر الشوقي

الناس في حقيقة ذلك
الشخص فبعضهم يقول
إنه شاب غريب يعزف
على القيثارة أوقع الأميرة
في شرك جماله، وآخرون
يتحدثون عنه أنه فنان
رفيع النسب جاء من
« رميني » واختفى فجأة

من المدينة تاركاً عمله في الكنيسة قبل أن ينتهي .
وقد سرق هذا الطفل من جنب والدته أثناء رقادها
قبل أن يبلغ سبعة أيام من عمره . وعُهد بتربيته إلى
قروي يعيش هو وزوجته في طرف غاية تبعد عن المدينة
مسير يوم ، وماتت والدته الفتاة البيضاء ، فأشاع
بعضهم أنها ماتت من الحزن ، وقال أطباء البلاط ماتت
من الحما ، وقال آخرون لا بل ماتت منتحرة بأن
تجرعت في ساعة من ساعات ضعفها كأساً من النبيذ
المعتق صرحت به كنية من السم الايطالي الزعاف ؛
ويذكرون أنه في الوقت الذي وقف فيه الرسول
الأمين بالطفل أمام كوخ المآز وطرق بابهُ الفلظ ،
كانت جثة الأميرة تنزل في قبر قد شق في أرض
صحراوية خارج أسوار المدينة . ويقال إن جثة أخرى
كانت ملقاة في هذا القبر هي جثة شاب خلّاب
الجمال أجنبي الملامح قد شدّ وثاقه بجبل متين وأنخن
صبره بالجراح الجذراء

يمثل هذه القصة كان يتهاوس الناس ، ولكن
من الثابت أن الملك الشيخ قد أرسل في طلب
الفلّام وهو على فراش الموت وأقرّه بحضور
مجلس الوزراء ولياً لهده ؛ وقد يكون الدافع له
إلى هذه البرّة رغبته في التكفير عن جرمته

هي آخر ليلة تسبق اليوم الميعن لتتويج الملك
الشاب وكان يجلس وحيداً في غرفته الفخمة ، بعد
أن خرج من حضرته رجال بلاطه جميعهم مقبلين
الأرض بين يديه تبعاً لمادات ذلك الزمن ، عائدين
إلى قاعة القصر الكبرى ليلتقوا آخر درس في
المباشرة من أستاذ التشرفات . لقد كان بينهم من
لا يزال محتفظاً ببعض أخلاقه الفطرية ، ومما يؤسف
له حقاً أن مثل هذه الأخلاق تعد في البلاط من
أكبر الكبائر

لم بأسف الفلام لرحيلهم — أقول الفلام لأنه
كان غلاماً حقيقة لم يتجاوز السادسة عشرة من
عمره — بل استلقى على الوسائد الناعمة متنفساً
الصمءاء وقد كان وهو مضطجع على فراشه ينظر
بسينيه المستوحشتين وفه مفتوح أشبه ما يكون بإله
الأحراج الأسمر أو بحيوانات النابة الصغار إذا
ما وقعت في فخاخ الصيادين

والواقع أن الصيادين هم الدين عثروا عليه صدفة
وهو يجري عارى الساقين وراء قطع المآز الفقير
الذي رباه وكان عنده بمنزلة ولده
كان الطفل ابن وحيدة الملك الشيخ ، ولديه
على أثر اقتران سري برجل من العامة ، وقد اختلف

فوجده راكماً في خشوع حقيق أمام صورة كبيرة. قد أحضرت من البندقية منذ لحظات ؛ وأنه افتقد مرة فلم يعرف أحد مكانه ، وأخيراً وبعد تفتيش واسع النطاق وجدوه في غرفة صغيرة تقع في أحد أبراج القصر الشمالية محبداً في دُخول بتمثال « أدونيس » ؛ وتذهب القصة إلى أنه قد شوهد يضغط بشفتيه على جبين تمثال قديم كالب قد اكتشف في قاع نهر أثناء اشتغال العمال ببناء جسر حجري ، وإلى أنه أمضى ليلة بطولها وهو يتأمل في منظر انكاس ضوء القمر على تمثال « انديمون » الفضي

كان يفتنه كل ماهو ثمين ونادر فيرسل التجار بعضهم إلى مصر ليفتشوا له عن هذا النوع الأخص من اللازورد الذي لا يوجد إلا في قبور الملوك ، والذي يقال إن فيه خواص السحر ؛ ويرسل البعض الآخر إلى فارس من أجل الألبسة الحريرية والخرف المدهون ؛ ويرسل آخرون إلى الهند ليعتبروا له شقوقاً ودماج وعاجاً مولواً وميناً أزرق وأحجار وشم وطيايس من الصوف الناعم . ولكن الذي تشغل باله أكثر من كل شيء هو الثوب الذي سيرتديه في حفلة تنويجه وقد نسج بخيوط من ذهب ، ثم التاج المرصع بالجواهر الوهاجة ، والصولجان ذو الحلقات الماسية المنتظمة صفاً صفاً . لا ريب أنه كان يفكر تلك الليلة في هذه القطع الجليلة وهو مضطجع على أريكته الفاخرة مراقباً حطب الصنوبر وهو يحترق في الموقد

ولقد حُيِّل إليه في تلك اللحظة أنه عند مذهب الكنيسة في حلة الملك الجميلة وابتسامة الطفل قد

الفضيلة أو مجرد الحرص منه على إبقاء الملك في سلالته وقد أظهر الغلام منذ أن اعترف به أنه قوى الشعور بالجمال ؛ وقد كان لشموه هذا أعظم الأثر في حياته ، فهؤلاء الذين ألحقوا بخدمته ليكونوا رهن إشارته كثيراً ما تعهدوا عن صرخة الاعتباط التي تنكسرت على شفثيه وعن الفرح الأكبر الذي استولى عليه حين رأى الثوب الناعم والجواهر الثمينة تقدم إليه ليستمض بها عن ثوبه الجلدي الخشن وفروته الغليظة

ولكنه فقد مع الأيام حرية الحياة في النابة ؛ وكان كثيراً ما يشكو من حفلات البلاط المضجرة التي كانت تستغرق كل يوم شطراً كبيراً من النهار ؛ غير أنه وجد في القصر المحبب الذي أصبح الآن سيده ، عالماً جديداً يصلح ميداناً لنشاطه ، حتى إذا سئحت له فرصة للتخلص من مجلس الدولة أو من قاعة العرش ، جرى هابطاً السلم الرخاى الكبير وأخذ يطوف الغرف غرفة غرفة ويتنقل في الممرات ممرأ ممرأ كالذي يبحث عنه يجد في الجمال مسكناً لآلامه أو مجدداً لقواه . وكان يرافقه أحياناً في رحلات الاكتشاف هذه على حد تعبيرة وصفاء البلاط الظرفاء بأرديتهم الفضفاضة وأشرطتهم الزاهية الخفافة ؛ غير أنه كان يفضل الوحدة في غالب الأحيان ، مدركاً بسليقته اليقظة أن أسرار الفن إنما تدرك في السر أحسن إدراك ، وإن الجمال كالحكمة إنما يجب من المابد العزلة

وفي هذا الدور تناقل الناس عنه بعض القصص : ذكروا أن حاكم المدينة الضخم دخل عليه يوماً ليلقي بين يديه خطاباً في مصالح سكان المدينة

والنساء التحيلات يجلسن إلى مناضد الخياطة . وكان الهواء فاسداً ثقيلًا ، والكان قد امتلأ برائحة خبيثة والجدران تنثر بالرطوبة

تقدم الملك الشاب نحو أحد الحاكة ووقف إلى جانبه فنظر إليه الحائك غاضباً وقال :

— لماذا تراقبي ؟ أنت جاسوس أرسلك معلمنا لتتجسس علينا ؟

فسأله الملك الشاب : ومن هو معلمك ؟

أجاب الحائك بمرارة : إنه رجل مثلي ، وفي الحق لا يوجد بيننا من فارق إلا أنه يرتدى أجل الثياب وأنا ارتدى أحقرها ، وأنتى مريض من الجوع وهو مريض من التخمّة

قال الملك الشاب : إن رحمة الله واسعة وما أنتم ببعيد

أجاب الحائك : في الحرب يستعيد القوى الضيف ، وفي السلم يستعيد الفنى الفقير . يجب أن نشغل لنعيش . إننا نكدح لهم طول النهار وهم يكسبون الذهب في خزائهم ، وأطفالنا يذوون قبل الأوان . إننا نمصر العنب ويشرب غيرنا الخمر ؛ ونحصد القمح وبيوتنا فارغة منه ، إننا مصفدون وإن كانت العين لا ترى أصفادنا ؛ وإننا عبيد وإن كان الناس يدعوننا أحرارا

— وهل هذا هو حال الجميع ؟

أجاب الحائك : إنه حال الجميع ، حال الشباب وحال الشيوخ ؛ حال النساء وحال الرجال ؛ حال الأطفال الصغار وحال الطاعنين في السن ، لقد أقتض التجار ظهورنا ، ومن شقائنا أننا مضطرون أن نخضع لأوامرهم . يمر بنا التفسير راكباً جواده

ارتسمت على شفتيه فأضاءت عينيه السوداوين بنور بهيج . وها هوذا ينهض من مقعده ويتكى على بناء المدخنة المقوس ويدبر عينيه في الرقعة الباهتة الضوء ، وكان يستطيع أن يرى في الخارج قباب الكنائس الضخمة تلوح كالتفقايع فوق المنازل المظلمة ، والحراس المتعبين يسرون في الطريق المغطى بالسحاب إلى جانب النهر صاعدين هابطين ، والعندليب يقف في حديقة بعيدة ، وعبر الياسين يفوح من النافذة المفتوحة

لقد رفع خصل شعره الفاحم عن جبهته وتناول القيثارة وترك أصابعه تبث بأوتاره فدمت أجفانه الثقيلة وسرى في جسمه فتور غريب

إنه لم يشعر بمثل هذا الشوق من قبل ، ولا بمثل هذا الفرح الشامل ، ولا بمثل غوض هذه الأشياء الجلية وسحرها . وحينما دقت ساعة البرج مؤذنة بانتصاف الليل لمس جرساً فاذا بوصفاته الفيد الأمليد يدخلون عليه وينزعون عنه ثيابه وينثرون الأزهار على وسادته ، وبعد قليل ينادرون العرفة فيسلم جفنيه للرقاد

وقد رأى في رقاذه هذه الرؤيا :

وجد نفسه واقفاً في حجرة واطئة طويلة في وسط السوي المتصاعد من حركة الأنوال البكثيرة ، وضوء الصباح الضيف يطل على الرقعة من النوافذ المشبكة بقضبان الحديد فيجمله يرى أشباح النساء قد انحنوا فوق أنوالهم ، والأطفال قد جثموا بأجسادهم الهزيلة المريضة على القاعد المتقاطعة وقد قرص الجوع وجوههم ، وأرجف البؤس أيديهم الصغيرة

هب نسيم عليل من الشاطئ ففطى ظهر المركب
والشرع الكبير بشيرة حمراء زاهية . وعندما ألقوا
المرساة وطلوا الشرع اندفع الزوج إلى السفينة
وأحضروا سلكاً طويلاً مصنوعاً من جبال قد أثقلت
بالحديد فرماها الريان في البحر بعد أن ثبت طرفها
بدعامتين في المركب ، وحينئذ أمسك الزوج بأصغر
المبيد سناً فزغوا عنه قيوده وحشوا أنفه وأذنيه
بالشمع وشدوا حجراً كبيراً إلى صدره فدب على
السلم تمكياً واحتفى في البحر

وبعد قليل خرج من الماء والتصق بالسلم وهو
يلهث ، يحمل لؤلؤة في اليد اليمنى فتناولها منه الزوج
ودفعوا به إلى الوراء

كان يقوص العبد في الماء ويخرج ، ثم يقوص
ويخرج ، وفي كل مرة كان يحمل معه جوهرة رائعة
فيتناولها منه الريان السفينة ، وبعد أن زنها يضمها في
محفظه من جلد أزرق

لقد حاول الملك الشاب أن يتكلم ، ولكن لسانه
التصق بسقف حلقه وأبت شفتاه أن تتحركا .
لنط الزوج متنازعين على خيط خرز أبيض ، وخام
مركبان حول المركب ، وأخيراً خرج الفائض
لآخر مرة يحمل جوهرة أضواء من نجمة الصباح
ولكن وجهه كان أزرق زرقعة عجيبة وحين ارتقى
على ظهر المركب أخذ الدم يتدفق من أذنيه وأنفه .
لقد تحبط لحظة ثم سكن سكون الموت . ففز
الزوج أكتافهم وقذفوا بالجسم إلى البحر ،
وابتسم الريان من بعيد وحيناً وصل إليهم تناول
الجوهرة ونظر فيها ثم أداها من جبينه وانحنى
(٦)

لاعباً بمسبحته ولأحد يهتم بنا ، زحف القفر بعينيه
الجائعتين في أزقتها التي لا ترى الشمس ، تتبعه الجرعة
بوجهها البشع ، يوقظنا البؤس في الصباح ويجلس
الذل معنا في السماء ، ولكن مالك ولهذا ؟ إنك لست
واحداً منا ، إن وجهك يطفح بالبشر

وأشاح بوجهه عن الملك الشاب وأخذ يرى
الوشعة وسط النول ، فرأى الملك أن الخيوط التي
شدت إلى النول من ذهب ، فاستولى عليه جزع عظيم
وقال للحائك :

— وأى ثوب هذا الذي تحبكه !

أجاب الحائك : إنه الثوب الذي سرتديه الملك
يوم تتويجه . ولكن أنت ما صلتك بهذا ؟

فصرخ الملك الشاب صرخة أيقظته من رقاده
فاذا به لا يزال في غرفته الخاصة ، وإذا به يرى خلال
النافذة القمر الملون معلقاً في الفضاء

ولكن الرقاد غلبه مرة ثانية فرأى هذه الرؤيا :
وجد نفسه ممدداً على ظهر مركب ضخم
يسيره مائة عبد بمجاديفهم وقد جلس إلى جانبه على
بساط ربان المركب وكان أسود كالأنبوس على رأسه
عمامة من الحرير قرمزية اللون ، وتتدلى من شعمتي
أذنيه الغليظتين حلقتان كبيرتان من الفضة ، ويحمل
في يديه ميزاناً من العاج . وكان المبيد عمراً الأجسام
إلا من جلود بالية ، قد شد وثاق كل واحد منهم إلى
جاره تلففهم حرارة الشمس وتسخن أجسادهم سيّاط
الزئوج . لقد بسطوا سواعدهم المنحنية ودفعوا
المجاديف الثقيلة خلال الماء ؛ وأخيراً وصلوا إلى خليج
صغير فوقفوا يسبرون غوره ، وفي تلك الأثناء

قال الطمع : بل لا أعطيك شيئاً ، وخبأ يده
في ثوبه الفضفاض

فابتسم الموت وتناول كأساً ثم غمرها في مجرى
الماء فخرجت من الكأس البرداء^(١) تسير بين الجمع
الحاشد يقيمها ضباب بارد ، وتركض إلى جانبها
حشرات الماء ، فوقع ثلث الخلق أمواتاً

وحينما شاهد الطمع أن ثلث الناس قد ماتوا
أخذ يضرب صدره ويكي ، ضرب صدره العاري
وصاح بأعلى صوته : لقد ذبحت ثلث خدي . أعرب
عن هذا المكان . إن الحرب مستمرة في جبال
التتر ، وملوك كلا الطرفين المتقاتلين يدعونك . لقد
ذبح الأفغان الثور الأسود وهم في طريقهم إلى المعركة ؛
فا الذي يجب لك الإقامة في وادي هذا ، أعرب
من هنا ولا تمد مرة ثانية

أجاب الموت : لا أذهب مالم تغطي حبة القمح
ولكن الطمع قبض يده ، وشد على أسنانه
وتتم : لن أعطيك شيئاً

فابتسم الموت وتناول حجراً أسود ورماه في الغابة
فاذا بالحي يخرج من شجرة بركة ضخمة في ثوب
من الذهب ، وسارت بين الجمع الحاشد لا تلمس
أحداً إلا صرخته

فارتعد الطمع وحشا على رأسه التراب صائحاً :
إنك قاس ، إنك قاس ؛ يوجد جماعة في مدن الهند
ذات الأسوار ، وقد جفت آبار سمرقند ، وهاجم
الجراد مصر من الصحراء ، والنيل لم يمد يفيض على

قائلاً : إنها تليق بصولجان الملك ، وأشار إلى الزنوج
أن يسحبوا الناض . وحينما سمع الملك الشاب ذلك
صرخ صرخة عظيمة أيقظته من رقاذه فأبصر من
خلال النافذة أصابع الفجر الشبهاء الطويلة ممسكة
بالنجوم الزاوية

ولكن الرقاد غلبه مرة ثالثة فأبصر هذه الرؤيا :
لقد أدنى نفسه نائماً في غابة كثيفة تفح فيها الأفاعي
وتظير الببغاوات البيضاء من غصن إلى غصن ،
وتتمدد السلاحف الهائلة راكدة على الوحل اللتهب ،
وكانت الأشجار مكتسية بالقرود والطواويس

وقد ظل يسير حتى وصل إلى نهاية الغابة ،
وهناك أبصر كتلاً عظيمة من الرجال يكدحون
في مجرى نهر جاف ؛ لقد تجمعوا كالنمل عند هاتيك
الصخور ، يحفر بعضهم في الأرض ، ويقلق بعضهم
الصخور بالفؤوس الضخمة ، ويستأصل آخرون
الصبار من جذوره ؛ كانوا يجرون من هنا وهناك
ينادى بعضهم بعضاً وليس فيهم الكسلان

وكان يرأبهم الموت والطمع من ظلمة كهف
قال الموت : إنني متعب ؛ أعطني ثلث الرجال
ودعني أذهب

ولكن الطمع هز رأسه وأجاب : إنهم خدي
قال الموت : ماذا تحمل في يدك ؟

أجاب الطمع : ثلاث حبات من القمح ،
ولكن مالك ولهذا ؟

صاح الموت : أعطني حبة منها لأغمرها في
حديقتي ، حبة واحدة ثم أذهب بعيداً

فنظر الملك في الثوب والتاج والصولجان فأخذ يجمها ولم يكن يحظر على باله أنها يمكن أن تكون بمثل هذا البهاء ، ولكنه تذكر رؤاه فقال لحاشيته : أبدوها عني ! سوف لا أردتها

فشدته رجال البلاط وابتم بعضهم حاسبا أنه يمازحهم

ولكنه عاد يقول في رزائه : خذوا هذه الأشياء واخفوها عني ، لا أردتها وإن كان اليوم يوم تنويجي ، لأن ثوبي هذا قد نسج بأيدي الأمل البيضاء على نول الأحزان . إن الدم في قلب الياقوتة ، والموت في قلب اللؤلؤة ، ثم قص عليهم الرؤيا التي شاهدها

فلما سمعها رجال البلاط أخذ ينظر بعضهم إلى بعض ويهايمسون قائلين : في الحق إنه لمنجون ! فهل الحلم إلا الحلم ؟ وهل الرؤيا إلا الرؤيا ؟ إن هي إلا أضغاث أحلام لا تستأهل الاهتمام ؛ وما علينا أن نفعل في سبيل هؤلاء الذين يكدهون من أجلنا ؟ هل يجب ألا يأكل الإنسان الخبز حتى يزي الزارع ؟ أو ألا يشرب الخمر حتى يكلم المعاصر ؟

وقال كبير الأمناء يخاطب الملك : مولاي صاحب الجلالة ، أتوسل إليك أن تبعد عنك هذه الأفكار السود ، وترتدى هذا الثوب الجميل ، وتضع على رأسك هذا التاج النهي ، إذ كيف يستطيع الشعب أن يعرف أنك الملك إذا لم تظهر له في حلة الملك ؟

فنظر إليه الملك الشاب وسأله : أحقا ما تقول ؟ أصبح أنهم لا يعرفوني إذا لم أرتد حلة الملك ؟

شطآنه بالخيرات ؛ إذ ذهب من هنا إلى هؤلاء الذين هم في حاجة إليك وأترك لي خدي

فأجاب الموت : لا أذهب ما لم تغطي جبة القمع أجاب الطمع : لن أعطيك شيئا

فابتم الموت ثانية وصفر من خلال أصابعه فجاءت امرأة تطير في الهواء قد كتبت على جبينها : « الطاعون » يحف بها سرب هزيل من العقبان ، فنطت الوادي بأجنحتها ولم يبق أحد على قيد الحياة وعندها اختفى الطمع في النابتة وهو يصرخ ، ووثب الموت على جواده الأحمر وأطلق له العنان فجري به يسابق الرياح

وبكى الملك الشاب وقال كن يخاطب نفسه : ليت شعري ! من كان هؤلاء الناس وعم كانوا يبحثون ؟ أجاب رجل كان يقف وراءه : عن ياقوت لتاج الملك فذعر الملك الشاب والتفت حوله فأبصر رجلا في ثياب الحجاج يحمل في يده امرأة فضية ؛ فشجب لونه وقال : لتاج أي ملك ؟

فأجاب الحاج : إذا نظرت في هذه المرأة فإنك تراه

فلما نظر في المرأة وأبصر فيها وجهه هو صرخ صرخة عظيمة واستيقظ ، فإذا بنور الشمس اللامع ينساب في الغرفة ، وطيور الحديقة تنفي وهي على الأغصان

ودخل عليه كبير الأمناء وأعظم رجال الدولة فقبلوا الأرض بين يديه ، وأحضروا له مصفاؤه الثوب المصنوع من ذهب ووضعوا التاج والصولجان أمامه ،

فصاح كبير الأمناء : إنهم سوف لا يعرفونك يا مولاي

فأجابه : كنت أحسب أنه يوجد بين الرجال من يرتدي مثل ثياب الملك ، ولكن قد يكون الأمر كما تقول ، غير أني لن أرتدي هذا الثوب ، ولن أتوج بهذا التاج ، وسأغادر هذا القصر كما جئته ثم أمرهم أن ينادروه جميعهم ، إلا وصيفاً كان أصغر منه بعام احتفظ به كرفيق وخادم . وبعد أن اغتسل بماء قراح فتح صندوقاً كبيراً مزينا بالرسوم وأخرج منه الثوب الجلدي والفروة الفلظية التي كان يلبسها وهو يرعى على جانب التل قطع الماعز ، فارتداها وتناول في يده هراوة المكار الضخمة ، ففتح الوصيف الصغير عينيه الكبيرتين الزرقاوين استغرباً وقال له وهو يتسم : إني أرى ثوبك يا مولاي ووصلناك ولكن أين هو تاجك ؟

فقصص الملك الشاب غصناً من شجرة السلوج البرية التي كانت تتسلق على الشرفة فتناه وجمل منه دائرة ووضعها على رأسه وأجاب الوصيف : هذا هو تاجي

وخرج في هذا الزى من حجرته إلى القاعة الكبرى حيث كان في انتظاره النبلاء المظام ، فضحك منه بعضهم وصاح به آخرون : مولانا إن الشعب ينتظر مليكه وأنت ترى نفسك له شحاذاً وقال جماعة منهم وقد استشاطهم الغضب : إنه يجلب العار لدولتنا ، وإنه لا يليق أن يكون سيدنا . ولكنه لم يجهم بكلمة واحدة بل استمر في سيره وهبط السلم الزخامي وخرج من الأبواب البرزية وامتنع صهوة جواده وأبجعه نحو الكندرائية

والوصيف الصغير يجري إلى جانبه

وابتسم الشعب وقال : إنه الملك مجنون هذا الذي يسير متمطياً جواده ، وأخذوا يسخرون منه فشد عنان جواده ووقف يخاطب الشعب بقوله : ولكنني أنا الملك ، وقص عليهم أحلامه الثلاثة . فتقدم إليه رجل من وسط الناس وقال يخاطبه في صرامة : إن في طفيان الأغنياء حياتنا ، وأهبة الملك تعلمنا الشيء الكثير ، وأخطاؤه تمنطينا خبزنا ، والغربان وحدها هي التي تمدنا بالعون . أنتستطيع أنت أن تقول للمشتري اشتر بكذا وللبائع بع بهذا الثمن ؟ أنا لا أظن ذلك ، إذن فارجع إلى قصرك واربد حلتك الجميلة المزمعة باللاآء فما أحسبك تستطيع أن تفعل شيئاً من أجلنا

فاغبرورت عينيا الملك الشاب بالدموع ولكنه لكز جواده فسار به بين همسات الشعب ، أما الوصيف الصغير فقد داخله الخوف فتركه

وحينما وصل إلى باب « الكاندراية » الكبير أشهر عليه الجنود بلطاتهم وقالوا : ماذا تفعل هنا ؟ لا يدخل من هذا الباب إلا الملك

فقال لهم : وقد علت وجهه أمارات الغضب : أنا الملك ، ودفع بلطاتهم عنه ودخل

وحينما شاهده الأسقف المعجوز يدخل في ثياب الراعي نهض عن أريكته مستغرباً وتقدم نحوه وقال له : أين حلة الملك يا ولدي ؟ بأي تاج سأتوجك وأي صولجان سأضع في يدك ؟ إن هذا اليوم هو يوم فرح لك لا يوم مهانة

قال الملك الشاب : أيمكن أن يرتدي الفرح ما حاكته يد الحزن . وقص عليه أحلامه الثلاثة . وحينما

سممها الأسقف قطب حاجبيه وقال :

— أوى ولدى ! إننى رجل عجوز فى آخر أيامى ؛
وأنا أعلم أن أئاماً كثيرة ترتكب فى هذا العالم
الواسع : ينزل قطاع الطرق المعتاة من الجبال ويخطفون
الأطفال الصغار ، ويبيعونهم إلى تجار الرقيق ، ويحجم
الأسود يتربصون القوافل ليثبوا على الجمال ، ويقضم
الثعالب الكرمة المتمدة على التلال ، ويخرب قرصان
البحر السواحل ، ويحرقون مراكب الصيادين ،
ويتجول الشحاذون فى المدينة بأكلون طعامهم مع
الكلاب . فهل تستطيع أنت أن تحول دون ذلك ؟
أنتستطيع أن تجلس الشحاذ فى بلاطك ؟ هل ينفذ
الأسد أوامرك ؟ وهل يطيعك الخنزير البرى ؟ أليس
الذى خلق الأمي أحكم منك ؟ إنى لا أوافقك على
هذا الذى صنعت . بل أطلب إليك أن تركب وتعود
إلى قصرك وتبسط أسارى وجهك ، وترتدى
الكسوة التى تليق بالملك . إن متاعب هذا العالم أثقل
من أن يحتملها رجل واحد ، وأحزان العالم أعظم
من أن يطيقها قلب واحد

قال الملك الشاب : أأنت تقول مثل ذلك ،
وتقوله فى هذا البيت ؟

وانصرف عن الأسقف متسلقاً درج المذبح إلى
أن وقف أمام تمثال المسيح الذى كان يحمل فى يديه
الكأسين الذهبيتين : كأس الشاء الربانى ، وفيه
الخر الصفراء ، وكأس الزيت المقدس ، فركع أمام
التمثال والشموع الكبيرة تتألق إلى جانب اللزار
المرصع باللائى ، والبخور المحترق يتصاعد إلى القبة
أكاليل صغيرة ، فأحني رأسه يصلى ، وانسل
القساوسة بقمعاتهم الخشنة من المذبح

وجاءه صمغ صوت جلبة آتية من الشارع ثم
دخل النبلاء وقد ترتبوا بشاراتهم الخفاقة وارتدوا
دروعهم الفولاذية اللامعة ، وأشهرها سيوفهم
وكانوا يصيحون : أين صاحب الأحلام هذا ؟ أين
هذا الملك الذى تبارى الشحاذ ؟ هذا الغلام الذى
جلب لدولتنا المار ، سندبحه ولا ريب لأنه لا يصلح
حاكماً علينا . أما الملك الشاب فقد أحنى رأسه وصلى ؛
ولما انتهى من صلاته نهض والتفت إلى من حوله يرمقهم
بنظرة حزينة . عندها سلك إليه نور الشمس من
خلال النافذة وغمره ، ونسجت أشعة الشمس حوله
ثوباً حريراً شفافاً هو أجل من الثوب الذى نسج
له من ذهب ، ونور غصن السلوج الميت فأكسى
فُلاً أضواء من اللائى ، وفتحت العصا الجافة
فاكنت وروداً أكثر احمراراً من الياقوت

وقف هنالك فى حلة الملك ، وقد استولى
على المكان مجد الله ، وخيل للجميع أن القديسين
يهمون للحركة وهم فى حجرهم ذات النقوش

وقف فى حلة الملك الجميلة فمزف الأرغن
أنغامه الشجية ، ودوت الطبول ، وأخذ الصبية
يفنون ؛ أما الشعب فقد ركع فى خشوع ، وأعمد
النبلاء سيوفهم وأقسموا الملك الشاب بين الطاعة ،
وشحب لون الأسقف وارتجفت يداه وركع بصيح
أمام الملك : لقد توجك من هو أعظم منى

ونزل الملك الشاب عن المذبح المرتفع ، ثم سار
إلى قصره وسط الشعب المحتشد ففتت لوجهه
الأبصار وكان أشبه بوجه ملاك

بشير النمرضى

« شرق الأردن »

وقد كانت الأسرتان

في عهد «جوري» والد

جبريل وعهد والد إيفان

على صلات حسنة؛ فإذا

احتاج النساء في أحد

التزلين إلى غرابال أو مثل

ذلك، أو احتاج الرجال

إلى فأس أو ما أشبهه،

بادر أحد التزلين إلى استعارته ما يريده من جاره .

وكذلك إذا رعت بقرة مما يملكه أحد الفريقين في

أرض الفريق الآخر كان كافياً أن يعالج الأمر

بالرجاء إليها أن تمنع الماشية من اجتياز حدود الأرض

التي أعدت لها . أما الضن بما يطلب ، وأما اغتيال

حاجات الجار فأمران لم يمرفا في العهد الأول بين

أهل المنزلين المتجاورين . فلما مات كبير الأسرتين

نشأ الخلاف وكان مداره حول صفائر تافهة

كان لزوج ابن إيفان دجاجة تبيض في الحديقة ؛

وفي أحد الأيام أزعج الأطفال هذه الدجاجة على

ما يظهر فطارت إلى الحديقة الأخرى وألقت

ببيضها هناك ؛ وذبحت زوج الابن كعادتها فلم تجد

البيضة ، وسألت حمايتها وإخوة زوجها فقالوا إنهم

لم يأخذوا شيئاً . وزاد أصفر الأبناء . واسمه « تارا »

على ذلك أن الدجاجة لا بد أن تكون قيد ألقت

بيضها في منزل الجيران لأنه سمع الصيحة من هذا الناحية

وأطلقت فرأت الدجاجة في حديقة الجيران

تهبي مع ديك مبيتاً لها في تلك الحديقة ، فسألت

الجارة وكانت إذ ذاك واقفة بالحديقة : أليست هذه

دجاجةنا؟ فقالت : نعم . وطلبت إليها منعه عن تخطي

أَنْتِ النَّارُ تَصْجِعُ عَلَيْكَ الْإِطْفَاءُ هَا

للقصص الروسي الكونت ليوتولسوي

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

كان في إحدى القرى الروسية فلاح يدعى

«إيفان سترا تشيا كوف» وهو من أقوى الفلاحين

جسداً وأسعدهم حالاً . وكان له ثلاثة أبناء : أما أحدهم

فترج ، وأما الثاني فقد عقدت خطبته تمهيداً

للزواج ، وأما الثالث فلم يشغله شاغل عن نفسه ومجراه .

وكانت زوجة إيفان عاقلة صالحة الإدارة . وزوجة

ابنه مسالمة صبورة على العمل . فعاشرت هذه الأسرة في

وثام ولم يكن ليعلو فيها صوت غير صوت الأب

عند ما تقتوره نوبة الربو

وكان إيفان يملك في جملة ما يملكه ثلاث مهادى

ولسكى منها فصيل . ويملك أيضاً خمسة عشر رأساً

من الماشية وبقرة ومجمل . وكانت البرأتان تقضيان

ساعات النهار في صنع الأحذية للأسرة وفي خياطة

الثياب والساعدة في أعمال الحقل . ويقضى الرجال

هذه الساعات في أعمالهم الزراعية . وإذا ما قل نتاج

الأرض في عام من الأعوام اعتاضوا عن النقص

ببيع شئ من المواشى ، وبذلك سارت شئون

الأسرة على خير ما يربى

لكنه لسوء الحظ كان يقيم بالمنزل المجاور رجل

اسمه « جبريل شروى » أو جبريل الأعرج وكانت

بينه وبين إيفان عداوة شديدة

السور بين التزلين

قيس القرية لا يكف عن وعظهما ودعوتهما إلى الصلح، لكن أحداً لم يصغ إلى دعوة من هذا القبيل قال القيس: «إنك تبديان حماقة عظيمة إذ تأذنان لهذه الخصومة بالاستمرار، ويكتفيك أن تتذكرا أن سبها بيضة. إن خسارة بيضة ليست بالشئ الذي يؤسف له. ومع أنكما تلحضان في ذكر المداواة فلا يزال أمامكما مجال للصلح والتفاهم فليذهب كل منكبا إلى الآخر طالبا صفحه، نازلا عن حقه إن كان يحسب أن له حقا؛ وليس يبق الحق كما هو إذا استبقاه المرء في نفسه، ولكنه يزيد وينمو على مر الزمن

لم يصغ الفريقان إليه لاعتبارهما إياه غير عالم بتفاصيل الخصومة، ولأنه رجل اعتاد أن يتكلم عن السلم سواء أكان له موضع أم لم يكن وكان إيفان يقول لأصحابه: «إنه لم ينتف لحية جاره، ولكن ذلك الجار تنف لحية نفسه، وهو الذي مزق قميصي... الخ»

وتبدلت القضايا بين الفريقين في المحاكم، وفي الوقت نفسه فقدت قطعة جديدة من عربة جبريل. واتهم نساء جبريل أبناء إيفان بسرقتها، فشأت في المحاكم قضية أخرى؛ ويعرور الزمن كان كل من الجارين يتهم الآخر بتهمة جديدة، وتعلم نساؤهما هذه الطريقة، حتى سئمت القرية وملت من شجارهما وتقاضيهما

وكان أكبر أمل في نفس إيفان وجبريل أن يسجن خصمه أو يحكم عليه بالفرامة، وزادت حياة كل منهما مرارة. وكلنا قد لاحظ أن الكلاب إذ تضرب على المشاجرة تزيد في مشاجرتها حدة، وكذلك المتخاصمون من الناس يزيدون لئلا في

قالت: «لم تضع دجاجتنا بيضا في حديثكم؟» فكان الجواب: «لا علم لنا بشئ من ذلك، وعندنا بحمد الله من البيض ما فيه الكفاية. وهل تحسبينا نأخذ ما هو ملك الجار؟ كلا يا جارتى كلا»

غضبت الصغيرة من هذا الجواب وقالت كلة كان الأولى ألا تقولها، فردت عليها الجارة بكلمتين من نفس النوع، واشتدت اللجة وساءت، وخرجت زوجة إيفان فاشتركت في هذه المعركة الكلامية، ثم خرجت زوجة جبريل فأرت جارتها حدة لسانها، وتحول الحديث العنيف إلى خجة، فصارت كل منهن تصيح بأعلى صوتها؛ وارتفعت الحاجة إلى كلمات من هذا النوع: «أنت كذا... وأنت كذا... أنت لصة... وأصابعك الطاعون... أنت أتلقت غربا لي يوم استعمرته... ردى إلى الذي عندك...»

والتفت الجسوم بعد هذا السباب فمزقت الثياب، ووصل جبريل في هذه اللحظة إلى الميدان، فتولى الدفاع عن زوجته؛ وجاء إيفان وابناه وانضموا إلى الجانب الآخر؛ وكان إيفان قويا ولم يقصر في إظهار قوته؛ وجاء الفلاحون من المنازل المجاورة ليقفوا بين المتشاجرين، ولكن لم يصلوا إلا بعد أن جرد إيفان جاره من لحيته

وجمع جبريل شعره المنتوف وذهب إلى محكمة الإقليم وهو يصيح: «إنني لم أرب لحيتي هذا العمر لكي ينتفها إيفان»

ولم يفت زوجة جبريل أن تذكر جارتها بأن إيفان سيسجن أو ينفي إلى سيرا من أجل جرئته هذه كانت هذه بداية العلاقات السيئة بين الجيران، واستمرت الخصومات منذ ذلك اليوم؛ وكانت

وسمع إيفان هذا الجواب فعاد إلى القاضي واستشهد بالجنود، واستدعى القاضي الخصمين وقال: «لقد كانت جرعة مزرية منك يا جبريل أن تضرب امرأة وهي حبل . ومهما يكن في نفسك من النية على جيرانك فليس في الدنيا ما يبرر هذه الجريمة . ولكن إذا اعترفت بالخطأ واعتذرت عنه واصطلحت مع خصمك فأني سأنتي هذه العقوبة

وهنا تدخل كاتب المحكمة فقال إن المادة ١١٧ من قانون العقوبات لا تميز إلغاء العقوبة بمد صدور الحكم، وإن كان الصلح يحو أثر الجريمة قبل النطق به لكن القاضي لم يلتفت إلى ملاحظة الكاتب وقال: «يكني! أسكت فإن هذه المادة تتعلق بنا لا بك ونحن نراقب الله قبل مراقبة القانون، وقد أمر الله بالصلح بين الخصوم»

وحاول القاضي أن يقنع الطرفين بالصلح ولكنه لم ينجح لأن جبريل أصر على عدم الصلح مع أنه هو الذي يستنزل به العقوبة، وكان جوابه: «أنا رجل ليس بيني وبين الحسين غير عام واحد ولي ابن متزوج ولم أضرب قط منذ كنت طفلاً ففند ما يأتي هذا السافل ليقاضيني ويستصدر ضدي حكماً بالجلد لا أستطيع أن أطلب الصفح منه ولتنزل بي العقوبة التي أرادها لي ولكني سأحمله بندم عليها.

وهنا خافه صوته ولم يستطع أن يزيد بل التفت وخرج من قاعة الجلسة رغباً إيقاع العقاب بنفسه وكان بين مكان المحكمة وبين منزل إيفان عشرة فراسخ . ولذلك لم يصل إيفان إلى منزله إلا في ساعة متأخرة؛ وفي أثناء غيبته أعاد النساء الماشية من الرعي إلى الحظيرة .

الخصومة إذا عنفهما الناس عليها، لأن أحدهم يعرف أن سبب هذا التعنيف هو تخدي خصمه إياه، كما يعرف الكلب أن سبب الضربة التي نالته من يد سيده هي العضة التي نالته من الكلب الآخر وكذلك كلما حكم على أحدهما بالفرامة أو بالسجن زادت عداوته وزاد عزمه على الانتقام واستمرت الحال على ذلك ستة أعوام لم تتغير في خلالها نصيحة القسيس، وموغلته فكان لا يزال يقول: «أركأ هذه الخصومة فما تليق بين جار وجار فإن عداوتكما تريد ما زدتما تمهداً لها»

وظل الجاران لا يصفيان إليه

وفي بداية العام السابع حضرت زوجة ابن إيفان عرساً حضره جبريل وشمنت عليه فيه بأنه سرق جواداً، وكان جبريل سكران في هذا العرس فضربها ضربة عنيفة أزممتها الفراش أسبوعاً لأنها كانت حبل . وسر إيفان من هذا الحادث سروراً عظيماً لأنه أتاح له الفرصة في رفع قضية جديدة وهو يقول في نفسه إنه في هذه المرة سيتخلص من جاره نهائياً بنفيه إلى سيرا

لكن زوجة الابن شفيت ولم تجهض، فخرن إيفان على أن القضية لم تقيد بجناية وعزى نفسه بأن محكمة الجنيح قد تحكم على الجاني بعقوبة مزرية، فرشا كلا من كاتب المحكمة وحاجبها بنصف جالون من الاثيرة ليقترحا على القاضي عقوبة الجلد في هذه الخصومة

وصدر الحكم بالجلد على قارعة الطريق العام فأصبح وجه جبريل عند سماعه شديد الشحوب، وكان تعليق عليه بعد خروجه من قاعة الجلسة إنه وإن تكن العقوبة شديدة فهو يأمل أن يذيق خصمه عقوبة أشد منها

يضرب فيضرب فيرد الضربة ضعفين ويتلقاها أربعة أضما؟ كلا يا بني فهذه ليست التربية الصالحة . لقد كان يمتنع كل هذا لو أن الخاطيء طلب الصفح . لكن لماذا تسمعي وتسكتي ؟ ألا ترى وجهة الحق ؟ فيما أقول ؟

لم يجبه إيفان ، وعاد القسيس إلى السعال ثم استأنف حديثه فقال : « انظر إلى العلاقة بيننا وبين الأتراك ، وانظر هل تحسنت العلاقات بعد موقعة بلقنا ؟ وهل كسبنا أو كسب الأتراك شيئا بسبب هذه الموقعة ؟ إنك وأبناءك أقوياء كاللصور ، وأنتم أغنياء ومع ذلك لا تلتنون لذة الفتي ، ولا عزة القوة ؛ وقد كان عليكم أن تقضوا الوقت الذي تقضونه في المحاكم بالزراعة أو في الدار ، وأن تقضوا ساعات المشاجرة في سمر وفي حديث . أتخبرني لماذا لم تحصدوا قحما إلى الآن مع أن كل جيرانكم قد حصدوا قحهم ؟ »

ظل إيفان ملازما للصمت ، واستمر القسيس يقول : « أصغ إلى يا بني ، اركب جوادك الآن وعد إلى المحكمة فاصفع عن خصمك ، واطلب إلغاء الحكم ، وادع خصمك إلى منزلك فأولم له وليمة . إن غداً عيد العذراء فانهزه فرصة للتقرب إليها إلى ابنها . تنهد إيفان وقال في نفسه : « لاشك في أن القسيس مصيب ، ولا شك في أن امتناعي عن الصالحة يرجع إلى جهلي بالطريقة المؤدية إليها وكان القسيس أدرك ما جال بخاطر إيفان في هذه اللحظة فقال : « لا تتأخرا يا إيفان فان النار إن أهملتها صعب عليك إطفائها »

وكان يريد أن يزيد فأقبل نساء أسرة إيفان فرحات بمبتهجات بالحكم الذي علمن بصدوره . ضد جاره . وقد أنهزن هذه الفرصة فبدأن مشاجرة

وقبل وصوله إلى منزله جلس في ظل شجرة يستعرض حادث اليوم ويتخيل حالته هو نفسه لو أنه كان في مكان جبريل . وفي هذا الحين سمع سمال القسيس بجانبه ، وظل كلا الرجلين يسلم مدة ما ، وأخيراً قال القسيس : « هل أصدرت المحكمة حكمها ؟ »

فقال إيفان : « نعم وقد حكمت بعشرين جلدة على جبريل » فhez القسيس رأسه وقال : « آذيت نفسك يا إيفان أكثر مما آذيت ، وأى فائدة تستفيدها أنت بعد أن يجلد ؟ »

قال إيفان : « أردعه فلا يعود إلى ارتكاب جرائمه » فقال القسيس : « أية جرائم هذه ؟ ألت تركب مثلها وشرأ منها ؟ »

قال إيفان : « لكنني إنما أريد زجره وقد كاد يقتل زوجة ابني وتهديد بأن يحرق مزرعتي فلماذا أذعن له ؟ »

فتهد القسيس وقال : « إن البغض يا بني قد أعماك ؛ أنت ترى خطايا الغير ولكنك لا ترى خطاياك ؛ وأنت تقول إن جبريل قد آذاك فهل يمكن أن تقع خصومة بين اثنين ويكون مثارها جانباً واحداً ؟ أنت ترى أخطاءه ولكنك لا ترى أخطاء نفسك . ألم تنفح لحيتي ؟ لقد كانت العلاقات حسنة بين أيبك وبينه ، وكنا يتبادلان المصالح ؛ ولقد حضرت بعض المواقع الحربية وأرى أنك وخصمك أشد عداوة من فريق الجنود في موقعة « بلقنا » وليس هذا أسلوباً للحياة . إنك أب وريث أسرة ، فأى درس هذا تلقته أبناءك ؟ لقد رأيت اليوم ابنك « تارا » يهزأ بعمته « أرينا » ولم تصنع أمه سوى أنها ضحكته منه . فهل تريد تربيتي على هذه القاعدة :

رجلاً أعرج ينظر إليه ويجرى فراراً منه
صاح إيفان : « لن تستطيع الفرار مني »
وجرى فأمسك بذيل ستره ، ولكن تلك القطعة
من القماش انفصلت عن الثوب وفر الأعرج وصاح
إيفان بالخبراء أن يسمفوه

هرب جبريل وجد إيفان في اللحاق به فلما
أعياء وقف . وفي هذه اللحظة سمع صوت فرقة
شديد والتفت فرأى البناء كله أصبح المهبأ من النار ،
وامتدت الظلل والشب إلى منزله فرجع يديه في يأس
إلى السماء وصاح بالجيران ، ولكن صوته خاله وهو
أشد ما يكون رغبة في موالة النداء . وأراد الجرى
نجاته قدما وعجز عن الاستمرار على الوقوف فوقه ،
وبعد قليل ازدهم المكان بالجيران ، ولكنهم لم يفعلوا
شيئاً . وانتقلت النار من الاصطبل إلى منزل إيفان ،
ثم انتقلت بسرعة إلى منزل جبريل ثم إلى سائر منازل
القرية . واستمر الحريق طول الليل ؛ وكان أهل
القرية يتماونون على إطفائه في غير منزلي الجارين
المتخاصمين . وتولى إيفان وحده إطفاء النار في منزله
بعد أن خرج كل أهله منه وكانوا يحاولون منعه
ولكنه لم يكف حتى تطاير شعر لحيته المحترق وحتى

احترقت يده . وكان أبنائه ينادونه وهو لا يسمع
فايقنوا أنه جن من الحزن

وأقبل الصباح وليس منزل إيفان أثر . وجاء
القسيس يسأل إيفان : « ألم يصدق قولى يا بني ؟
من الذى أحرق القرية ؟ »

فقال إيفان : « لقد رأيته بعيني رأسي يحرق
الاصطبل »

قال القسيس : « إنني يا بني لن أعيش طويلاً
وأريد إصلاح بينكما قبل أن أموت فمن منك
الذنب ؟ »

خلفق إيفان في وجه القسيس ولم يقل شيئاً

جديدة مع أسرة جبريل . وقتل إن زوجة ابن
جبريل تهتد بخطابة النائب العام وعرضها عليه
هذه القضايا بمخاضها بل تهددت أيضاً بأن تكتب
رسالة إلى القيصر نفسه . وعند ما سمع إيفان هذه
الكلمات جد قلبه وقر عزمه السالف على الصلح

وفي الصباح سمع صوت جبريل وهو عائد إلى
المزل . وكان جبريل يصيح : « سأذهب وإياه إلى
الشیطان . لا بد من قتله ! »

لكن جبريل لم يقل أكثر من ذلك فاعتناظ
إيفان لأن هذه الكلمات قتلته عنه ولكن لأن
أكثر منها لم يقل . وكانت زوجة إيفان في هذا
الوقت تمد السماء . ولكن « تارا » لم يكن
موجوداً بالمزل . ودعت المرأة زوجها للشاء ،
ولكنه ظل منتظراً عودة ابنه الأصغر وقد صرت
بخطره كلة كان جبريل قد قاتلها وهي أنه يريد أن
يحرق إيفان ويحرق أبنائه

وكانت الرياح إذ ذاك تهب عنيفة ، وكان الظلام
شديداً في الطرقات ، وتأخرت عودة ابنه فخرج
إيفان للبحث عنه

وفي المزرعة رأى شيئاً يتحرك ثم يختفي وراء
شجرة ولم يميز الشبح لشدة الظلام . وذهب إلى
حيث رآه فلم يجد شيئاً . وتحسس وأرهدف أذنيه
ليسمع ولكنه لم يحس وجود شيء

وترك المزرعة إلى الاصطبل فرأى ميضاً يسطع
على حين فجأة ثم يختفي ، ورأى رجلاً من الجهة التي
صدر منها الضوء وأحس في قلبه خفقاناً كرفرفة
المصفور بمخاضه . وأسرع ليمسك بذلك الشبح
فرأى ميضاً آخر من نفس الناحية . وما هي إلا
لحظات حتى علت الألاهيب ورأى إيفان حريقاً
مضطرباً على حين فجأة ، ورأى في مثل ضوء النهار

جرعة جبريل. ودهش جبريل من امتناع خصمه القديم عن التبليغ ضده. وبدأ شعوره الجديد نحوه بالخوف منه، ثم ألف منه طباعاً غير التي اعتادها، ثم امتنعت الخصومة لامتناع الاستمرار على أسبابها. واقتدى نساء الأسرتين برجلهما ووجدت كل أسرة بناء منزلها وتجددت البناى المحترقة واستمر إيفان وجبريل جارين وصاروا صديقين

ولم ينس إيفان نصيحة القسيس بأن النار يجب البدء في إطفائها وهي شرار، فكان كلما أساء إليه أحد لم يضع الوقت في محاولة ضبطه متلبساً بجريئته بل يبدأ بإطفاء الشرارة الموقدة ولم يفت إيفان، على تقدم السن، أن يبدأ حياة جديدة، وأن تكون سعيدة بالمغو وبالترامح عبر اللطيف النشار

فقال القسيس: « تكلم قبل أن يصدر الله كلمته فيك، من منك المذنب ؟ »

اندفع إيفان في البكاء وقال: « أنا المذنب يا أبني » ثم جثا على ركبتيه وقال: « اعف عني يا أبني فاني خاطيء جرم »

قال القسيس: « عفا الله عنك يا أبني » فاشتدت نوبة البكاء وقال: « ولكن يا أبني لا أعرف كيف نعيش بعد حدوث الذي حدث »

قال القسيس: « ستعيش وستدرك ما فقدته من ثروة إن أخلصت لله بعد يومك وساعت المسي » ثم ابتسم وقال: « انظر يا إيفان، لا تقتل من الذي بدأ بإيقاد النار فإن الله جدير بأن يغو عن الخطأين بادئين أو معقنين »

وأجرت الحكومة التحقيق فلم يبلغ إيفان عن

مواعيد الشتاء

خطوط شركة مصر للطريران

ابتداء من ٦ أكتوبر سنة ١٩٣٧ { من مصر إلى بغداد عن طريق فلسطين كل أربعاء وسبت
من بغداد إلى مصر عن طريق فلسطين كل خميس وأحد

ابتداء من ١٧ ديسمبر سنة ١٩٣٧ { من القاهرة إلى أسبوط والأقصر وأسوان كل اثنين وجمعة
من أسوان إلى الأقصر وأسبوط والقاهرة كل ثلاثاء وجمعة

أما الخطوط الأخرى الآتية فعلى حالها:

من القاهرة إلى الإسكندرية ثلاث رحلات يومياً ذهاباً وإياباً
من القاهرة إلى بورسعيد رحلتان يومياً ذهاباً وإياباً
من الإسكندرية إلى بورسعيد رحلتان يومياً ذهاباً وإياباً
(رأساً والأخرى عن طريق القاهرة)

من الإسكندرية أو بورسعيد أو القاهرة إلى أسبوط رحلة يومياً ذهاباً وإياباً
من الإسكندرية أو بورسعيد أو القاهرة إلى فلسطين وسوريا رحلة يومياً ذهاباً وإياباً

— أليس هذا الإكليل الذى تفتتن أوراقه
إكليل لقبك القديم ؟

فملا وجهها الاصفرار وأجابت سلبا
فصحت بها : أقسم بحياى إنه هو بعينه ، فأعطنى
بقايه ...

وجمت الوريقات اليابسة فوضعتها على الهيكل
ووقفت أنظر خاشعاً إليها كأنها رفات . فقالت : هب
أنه إكليل لقي ، أفأ ترى أننى أحسنت عملا بزرعه
عن هذا الجدار حيث علق منذ زمان مديد ؟ أية قيمة
للمندثر البالى ؟ إن بريجيت سيدة الورد قد ماتت عن
هذا العالم فما هى خير من إكليها المنفرط البالى

وخرجت فسمعت شهقة بكائها وصرير الباب
يقفل وراءها ، فإذا بي منفرد فى المصلى أهواوى
جائيا معمولا

وعند ما لحقت بها رأيته جالسة إلى المسائدة
تنتظرنى لتناول الطعام ، فأخذت مكانى وسكت كل
منا عما كان يجول فى ضميره

الفصل السادس

وما كذب الواقع ظنى بمركانسون إذ تأكدت
أنه لم يتورع عن التحدث أمام سكان القصور المجاورة
وأمام أهل القرية عن مقابلي له واستفساري عن أمر
دالانس ، فاستمر قائم عليه اضطرابى من شكوك
ولا يجهل أحد ما فى البلدان الصغيرة من سهولة
انتشار النجاسة فإنها تتطاير من فم إلى فم سائرة إلى
أعرب المبالغات ، وما أفلت وبريجيت من جور هذا
النظام ، فأصبحتنا وكل منا شاعر بأنه أخرج موقف
الآخر ، لأن محاولتها متبادرة القرية كانت قد اصطدمت
بضعفها ، وشدة إلحاحى عليها أكرهتها على البقاء ،



استنرافات فى العصور

لألفريد موسى
بقلم الأستاذ فليكس فانس

الجزء الرابع

الفصل الخامس

ودخلت يوماً إلى مسكن بريجيت فرأيت باب
الغرفة الصغيرة التى كانت تدعوها المصلى مفتوحا ،
وما كان فى هذه الغرفة إلا مصلى من الخشب وهيك
بماوه صليب حوله عدد من المزهار ، وكانت السجف
بيضاء كالجدران الناصعة كالثلج ، تلك كانت خلوة
بريجيت وقد أصبحت منذ انصلت حياتها بحياى
لا تنقطع إليها إلا نادرا

ونظرت إلى الداخل فإذا بريجيت جالسة على
الأرض بين ما تثرى من الأزهار ، وقد قبضت على
إكليل صنير ذوت أوراقه وهى تفرطها بين أناملها
وسألها عما تفعل ، فارتعشت ونهضت قائلة :
لا شيء ، هى لعبة أطفال ، فهذا إكليل ورد قديم
جف فى هذا المصلى ، وقد أتيت لأستبدل هذه
الأزهار ...

وكانت تتكلم بصوت مرتجف وتكاد تهوى
على الأرض
وتذكرت ما سمعته عن تلقيب بريجيت بالوردية ،
فسألته :

يورث إعجابهم في حياتها الماضية تكاويل تظهر الشر فيها، فأصبحوا يرون يرها بالفقراء ويجولها في الجبال لدواوتهم . وهكذا كانت تدور الأحاديث عن بريجيت كأنها إباحية تعرض لأوخم المواقف

وكنت قد صارت بريجيت بأنني أرى، الإغضاء عن كل هذه التخرصات إذ أردت التظاهر بعدم المبالاة بها في حين أنها كانت تهقني وتبليبل أنكراري . وكنت أذهب في بعض الأحيان متجولا في الضواحي أسقط من الإشاعات ما يمكنني الاستناد إليه للوم بريجيت ومناقشتها الحساب . وعيناً كنت أرهف السمع لالتقط من المهرس في المجتمعات ما ينقع غلتي إذ كان الناس لا يدأون بنهش إلا بعد أن أتوا ري ، فكنت أعود إلى بريجيت لأقول لها إنه لا أهمية لهذه التخرصات التي تصل إلينا ، فليذهب الناس مذاهبهم فينا فأنا بالقيم لاغتيالهم وإفكهم وزناً

وما كنت وأنا أتبع هذه الخطة إلا موالياً للناهشين من عرض خليتي إذ كان على وأنا موردها هذه الموارد الخطرة أن أهتم للأمر وأقياها متباعدة .

وما طال الزمن حتى عدت عن ذلك إلى المهاجمة فقلت لجييتي : — إن الناس يتقوون كثيرأ بشأن تجولك في الليالي فهل أنت واثقة من أنهم يقترون ؟ أفلم يقع لك أي حادث على طرق هذه الجبال وفي مناورها ؟ أفما اتفق لك أن عدت في النسق مستتدة إلى ذراع مجهول كما استندت إلى ذراعي ؟ أصبح أنه لم يكن لك من مقصد غير الاحسان في اقتحامك ظلمات هذا الهيكل الجبل بالاحضراء ؟ لأول مرة هاجمت فيها بريجيت بمثل هذا

غير أنني كنت أنا المسؤول أمامها لتهدى ألا أشوش سكبتها بغرقى أو بطيشي ؛ ولهذا كانت كل بادرة قاسية منى نكولاً ، وكل لفتة حزينة منها ملامة مبررة ...

وأحست بريجيت في أول الأمر بلذة في عزلتها وتمكنها من الانفراد في أية ساعة دون عاذرة وتحوط ولعلها كانت تتظاهر بالاعتباط لتثبت لي أن غرامها أعز عليها من سمعتها وأنها نادمة على ما أبدته من الاهتمام بأقوال المرجئين . وهكذا سرنا في حياتنا لا تلوي على شيء من فضول الناس متمتعين بملء حريتنا في اتباع أهوائنا

وكنت أذهب إلى بيتها عند ساعة الإفطار وإذا خرجت فلا أخرج إلا بصحبتها ، فأقضي النهار معها حتى العشاء وعند ما يحين ميعاد انصرافي بعد السمر كنا نتملل بأسباب عديدة للبقاء معاً وتتخذ احتياطات جد تافهة لإخفاء بقائي في غرفتها ليلا . وعلى هذا النمط أقننا دون انفصال مخادعين أنفسنا بأن لا أحد يلاحظنا

وقت بوعدي برهة من الزمان فداريت عواطف بريجيت ولم تنكر جونا غممة ، تلك أيام سعيدة هائلة وليس في مثل هذه السانحات من الدهر ما يستدعي وصفاً وبياناً

وذهبت الإشاعات في القرية وضواحيها تعلن أن بريجيت تسكن علناً فاسقاً باريسياً يمايلها أسوأ معاملة فيمضيان أوقاتها بالتقاطع والتواصل ؛ وتوقع الكل أسوأ العواقب لهذه الحياة

واقبل ما كان يقال من الثناء لبريجيت من قبل لوماً وتقريماً حتى ذهب الناس إلى تأويل ما كان

ودام الحال بيننا على هذا المتوال ستة أشهر لم
أقطع فيها عن اللوم والتقريع وقد تحملت بريجت
أثناءها من الاهانات مالا يفعله إلا فاسق بيني تقاضاه
أجراً عن تنتمه بها

وكنت كلما اقتحمت هذه المشاكسات ملهياً
أفكاري ومقطعا قلبي بالاهام والسخرية أراجع
عنها وقد بلغ الهيام في أشده فأقف أمام خليلتي وقفة
الوثنى أمام صنمه

كنت أوجه أشد الاهانات إليها ، ولا يمر
ربع ساعة حتى أجتو عند قدميها . فإذا ما انتهيت
من التقريع بدأت بالاستغفار ، وإذا خرجت من
الهمك لجأت إلى ذرف الدموع ؛ وتتملنى سعادتي
فأطير فرحاً ، وتثور أعضاى فأقلب إلى العنف
لا أدري ما يجب أن أقول أو أفعل للتكثير عما
أخطأت به ، فأهرع إلى بريجت لأضمها إلى صدري
طالباً منها أن تكرر مائة مرة قولها إنها تحبني
وتفنى عن إساذى ، واعدأ بالتمويض عما بدر مني
مقسماً بأنني سألهب دماغى بقذيفة إذا أنا عدت إلى
إهانتها

وكانت الثورة في عواطفي تمتد الليل بطوله فلا
أقطع عن الكلام والبكاء والانطراح على أقدامها
وارتشاف كأس الغرام مثلاً عن ثنائتها حتى إذا بزغ
الفجر أجدني متهدماً فأستسلم للكسرى وأهض بعد
الصباح وعلى شفتي بسمه الساهر الذى لا يؤمن بشئ
وكانت بريجت في مثل هذه الليالي المشتعلة بنار
اللذات تتنامى شخصيتي الجائرة فلا تنظر مني إلا
إلى الرجل المائل بين ذراعيها ؛ وإذا ما خطر لي أن

الكلام ، أرسلت إلى نظرة هزت مشاعري ولن
أنساها ما حيت . ولكننى قلت في نفسى إذا أنا
تعرضت للدفاع عن هذه المرأة فإنها ستفعل بي
ما فعلته خليلتي الأولى فتعرضني لهزء الناس وسخريتهم
فأجنى الغرم عما غنمت وعما غنم الآخرون .

إن المسافة لجذ قصيرة بين الشك والانكار ،
وما أقرب المتفلسفين إلى اللحدن . قلت لبريجت
إننى ارتاب بسلوكها الماضى ، فأرأيتنى مدفوعاً إلى
الارتياب حقيقة ، وما طال الزمن حتى أسلمنى هذا
الشك إلى اليقين فتصورت أن بريجت تخوننى في
حين أننى لم أكن أبارحها ساعة واحدة ، وعمدت
أخبراً إلى التغييب عنها من حين إلى حين مقنناً نفسي
أننى أحاول تجربتها وما كنت أقصد بذلك إلا إطلاق
العنان لشكوكي ثم أعود بعد تفنبي لأقول لها إننى
برئت من غيري فأصبحت أهزأ بوساوسى القديمة ،
وبما كان معنى ذلك سوى اضمحلال غيرتى لوهن
طراً على هياي

وكنت من قبل أحتفظ لنفسى بما ألاحظه من
جالحها فأصبحت أجد لذة في إبداء ما يمين لجاطرى
فأقول لها مثلاً : إن ثوبك هذا جد حسن ، وقد
كان لأحدى صويجاتى مثله شكلاً ولوناً . فإذا
جلسنا إلى المائدة أدموها إلى الانشاد قائلاً : إن
خليلتي القديمة كانت ترسل صوتها بعد الطعام أفلا
يجدر بك التشبه بها ؟ وإذا أرادت العزف على البيانو
أبدرها بقولى : أرجوك أن تسمعينى ألحان الرقصة
التي كانت منتشرة في الشتاء المنصرم فإنها تذكرنى
بأوقات المرح والسرور

ولكن هذه العاصفة تدخل الحزن إلى نفسي بالرغم مني فعلينا أن نتحداهما

وقت إلى الدنيا أضيء كل شموعها فغمرت الغرفة الصغيرة بالألوان المتدفقة وكان في الموقد نار مشبوبة تملأ المكان حرارة وتريدها نوراً

وتسائلت عما يمكن لنا أن فعل إلى أن يحين وقت المشاء فتذكرت أيام المرافع في باريس ومرت في غيلقي عربات المسافر تتلاق على جانبها الكبرى وخبيج الجماهير يتماهى وهم يخرجون من السارح ، ومثلت أمامي مشاهد الرقص الخلاهي والأتواب المخططة والكؤوس تتدفق خرقاً فانتفض قلبي بكل ذكريات شبابي وبكل عنفوانها . فصحت ببريحييت :

— هيا بنا نتنكر وإن لم يكن أمامنا سوانا وإن لم يكن لدينا ما يفي بالفرص من أبواب فائنا نتدبرها

وأخرجنا من الخزانة ثوبين وأردية وأحزمة وأزهار صناعية وبريحييت تدرع - كمادتها - المزج الصبور . وأرادت أن تعصب رأسي بيدها ثم أخذنا من صندوق صغير قديم قد يكون من متروكات عمته أصبغا وأدهانا فدهنا بها وجهينا حتى تنكر كل منا لعين الآخر . ومرت ساعات السمر نحينا بالنساء وبالقيام بمد يد ماتصورتناه من حركات الجنون حتى مضى نصف الليل وحان وقت تناول الطعام

وكانت الخزائن لم تزل مفتوحة بعد أن قلبنا ما فيها . ولما جلست إلى المائدة جاءت مني التفاتة إلى

أكرر طلب العفو منها تحييني بقولها : أفلا تعلم أنني غافرة لك ؟ وكانت الخي التي تتأكلني تلهب دمهيا فلكن أعلنت لي ، ووجهها ممتنع شهوة وهياناً ، أنها راضية بي على ما أنا عليه ، وأن في ثأرات عواصفي تنفس حياتها فمساحتها كاملة فيما أؤديه غمنا لتمذيبي لها ، وأنها لن تشكو أية شكوى مادام في قلبي شرارة من نار الفراق . ثم تقول : لارب في أنني سألاقي الموت في هذه الحياة ، ولكنني أرجو أن تلقاه أنت أيضاً فيها ، ولهذا أشعر باللذة تتمرني من كل ما توجهه إلى من إهانة أو تذرفه من دموع ، فهي السعادة التي حفرت قبري فيها

ومرت الأيام يستفحل بكرورها دأى فأصبحت ثأراً ، إذا ما حكمتني نوبة الجنون صحت بها حتى شديدة تهزني فجأة فلا تنادني إلى وقد تصيب العرق من جميع أعضائي المرتعشة . وقد كان يكفيني أن يقع بي حادث ليس في الحسبان أو أشاهد ما يثير دهشتي حتى تسودني رجفة يرتاع لها كل من يراني . وكتمت بريحييت شكواها فم عنها شحوبها وما بدأت مرة بالاساءة إليها بعد هذا إلا خرجت من أمامي دون أن تفوه بينت شفة لاجئة إلى غرقها توصلد بابها عليها

إنني أحمده الله لأنني لأنني مارفت يوماً يدي على بريحييت حتى في أشد هياجى وقد كنت أفضل للموت على هذه الفعلة النكراء

واشتدت العاصفة ذات ليلة وأنا وبريحييت نصنى إلى تفرات الأمطار على زجاج النوافذ الملقطة والجملة بالسجف قفلت لها : إنني أشعر بانسباط

دعيني أنفادى جرعة القتل فأذهب في هذا الليل دون
ان أطلبك بعفو ربه الله إذا أنت أقدمت على منحه.
لم يبق لي ما أرجوه إلا قبلك الأخيرة

واحد طابا قبلتي على جبينها، فتهفت بصوت
محتقن: لم يحن الوقت بعد . ولكنني ألتقيها على
المقعد وانطلقت راكضاً إلى منزلي ، وما مضت ثلاث
ساعات حتى كنت على أهبة الرحيل وقد وقفت العربية
أمام بابي

وكان الطر لا يزال يتساقط مدراراً فصعدت
إلى العربية متسلماً ، وما ارتعيت على المقعد حتى شعرت
بذراعين يطوقان عنقي وبهم زفر بالأنين على شفقي
هي بريجت أنت تكمن لي لترحل معي ، فحاولت
عينا إقناعها بالدول عما نوت حتى أنني وعدتها أن
أعود إليها عند ما أكون نسيت ما أوقعت بها من
ضرر مؤكداً لها أنني إذا بقيت لن يكون غداً إلا
كأمننا ، فكأنها - وهي تمسك بي وأنا على
حالي - تصمم على جعلي مجرماً قاتلاً . توسلت
وبذلت الوعود ممزقة بالأقسام ، وذهبت حتى إلى
التهديد فأجدي كل ذلك فتيلاً ؛ إذ كانت ترد كل
محاولاتي ببجواب واحد قاتلة :

— أنت راحل فأنا معك . لهجر هذه البلاد
تاركين ماضينا فيها . لقد امتنع علينا العيش هنا
فلنذهب إلى حيث تشاء . إن الأرض لن تقبض علينا
بزاوية نموت فيها ... لنهنا في هذه الحياة فتجد في
سمادتك وأجد قيك سعادتي

ضممتها وضممتها حتى شعرت أن قلبي ينحطم
عليها وصحت بالسائق: هيا بنا ، وسار الجوادان
يقطعان الأرض ونحن متماثلان

« يتبع » فيليكس فارس

أقربها معني فرأيت على أحد رفوفها السجل الذي
أتيت على ذكره وهو سمير بريجت في أغلب أوقاتها
فقلت لها : أليس هذا مجموعة من خواطرك ؟ فهل
لي أن ألقى نظرة عليه ؟

وعند ما فتحت هذا السجل تحفزت بريجت
لنعي عن القراءة ، ولكنني كنت رأيت بأوله هذه
الكلمات : (هذه هي وصيتي) فقلت الصفحة فإذا
أمامي ما دوت به بخط متناسق ينم عن الهدوء من وصف
دقيق لما احتملته من تمذيب لها منذ استسلمت إلى ،
وقد أعلنت إصرارها على احتمال كل معاملة سيئة
منى ما مدت أحبا ، وعلى اقتحام الموت إذا تخلصت
عنها . واستغرقت في تتبع ما كتبه يوماً فيوماً عن
نضحية حياتها وما فقدت وما كانت ترجو فإذا بها
تصف شعورها بالهشة حتى بين ذراعي ، وتذكر
الحوائل التي تزايد مع الأيام بيننا وما أعلمها به من
قسوة وجفاء لقاء حبا وإخلاصها

دونت كل هذا فما أبدت امتصاصاً أو زفرت
بشكوى بل حاولت جهداً تزيير معاملي والدافعة
عني ، وأخيراً تناولت بوصيتها ما يتفلق بورثاتها
معلنة أنها ستجرح السم لوضع حد لحياتها بحض
اختيارها طالبة ألا تكون مذكراتها سبباً لانتهازي
اجراء ضدي ، وأنت كل هذا بقولها :

صلاوا من أجله !!!

ووجدت في الخزانة نفسها التي أخذت سجل
الذكريات منها علبة صغيرة تجوى مسحوقاً ناعماً
ضارباً إلى الزرقة شبيهاً باللمع

وسألت بريجت عن هذا المسحوق وأنا أدفع
العلبة إلى في فصرت وارتمت على قفلي لها : سأخذ
هذه العلبة وأتوارى عنك فيعودك السلوان إلى الحياة

منه وما يزينون... وقد بقي منها بعد تلك الأعوام
الطوال ستون وثلاثمائة. وربص لدى الباب كلاب
أربعة كسباع البرية، تلاحظ الحظيرة بأعين كالجر؛
وجلس الراعي يعمل لنفسه نعلًا من جلد ثور مدبوغ
بينما انطلق خدمه ومعاونوه الأربعة يعملون ويدأبون
هنا وهناك. وكان رايهم على وشك أن يترك
الحظائر إلى المدينة، حاملًا لهم خنزير حنيد يذهب
به برغمه إلى العشاق الفساق. ولحق الكلاب
أوديسيوس فأهرعت إليه، وظلت تموى وتنبس،
وترعى وتريد، وأوشكت أن تقتك به، لولا أن هب
يومايوس فكسر شرتها بما رماها به من الحجارة،
ولولا أن ترك أوديسيوس عكازه يسقط من يده لأن
الكلاب لا يفيظها إلا أن يمسك لها أحد عكازًا..
قال الراعي: «أيها اللاجئ المعجوز سلمت! خطوة
واحدة، وكانت هذه الكلاب قد مرققتك إربًا،
وكانت لحقت بي سبة لا تبديد! ألا كم ترسل على
الآلهة من كروب! وكم ترميني به من الآلام! أنا،
هذا المعجوز الهالك، الذي أمضى الحزن، وشقى
الأسى من أجل سيدي ومولاي! هاأنذا أسمع
قطعانه وأرعاها لينعم بها غيره، بينما هو نازح غريب
يجوب الأفاق ويشتهي كسرة يتبلغ بها، إن كان
ما يزال حيًا يرزق! أوه! تعال أيها الصديق، هلم
اتبني إلى داري أطعمك ما تيسر، وأسفك كفايتك
من الخمر، وتجبرني بعدها من أنت، ومن أين أقبلت
وماذا وراءك! » وانطلقا، وقدم إليه الراعي الكريم
حشيشته التي كان يجلس عليها، والتي أخذها من
جلد عتر حشاه بالقش؛ فشكره أوديسيوس ودعا له
بما يحب وبكل ما تصبو إليه نفسه. فقال الراعي



الأوديسية

لهرميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

مع الراعي ...

وسلك سبيله في طريق وعمر مخفوف بالأشجار
الباسقة إلى مأوى صديقه الراعي الشيخ الأمين،
فوجده جالساً وحده في مدخل الحظيرة الشاسعة
القائمة وسط المرج المشوشب التنضير. ولقد سورها
يومايوس، إذ سيده غائب في أقصى الأرض، بسور
عظيم ضخ من حجارة قوية تحمها من محجر قريب
وجعل على السور فروعاً من قتاد وشوك وجنوعاً
من سنديان، حتى صارت أمنع من عقاب الجو...
كل ذلك دون أن يساعد أحد... ثم قسمها
إثني عشر زرباً^(١) جعل في كل منها خسين خنزيرة
كنازاً... أما ذكران الخنازير فقد تركها سائبة
في الخارج ليرسل منها إلى العشاق المعاميد ما يأكلون

الجرار ، وَحَوّت الدار ، وَصَوَّلَ الزرع وجف
الضرع ! ! أبداً ما ملك أحد مثل ما ملك مولاي !
لقد كانت ثروته تعدل ما يملك عشرة أو عشرون
أميراً ؛ وما أزال أذكر بما ملكت يده اثني عشر
قطيعاً من الأنعام كانت ترمي العشب في مروج
الشاطئ^(١) المقابل ، وكثيراً من قطعان الأغنام
وأرعال^(٢) الخنازير وأسراب الماعز ، عليها أجراء
وخدم وراة لا يحصون ، ورجال مخلصون يزرعون
في حقوله الشاسعة ويحصدون ، ورجال يجلبون من
قطانه كل كنز للذبح ... أما أنا ... فقد عهد إليّ
بهذه الأرعال التي ترى ، أطعمها وأعني بها ، و ...
وأأسفاه ! وأرسل إلى العشاق كل يوم بخيارها »
وصمت الراعي بينما كان أوديسيوس يصني ويلتهم
طاماه ويفكر ألف فكرة ، ويدبر ألف تدبير
لسحق هؤلاء العشاق الغاليك . حتى إذا انتهى ،
قدم إليه يومايوس كأسه دهاقاً ، فقبلها وشرب
ما فيها وقال : « ترى ما ذا كان اسم سيدك أيها
الصديق ؟ لا بد أنه كان مشهوراً ذا ذكر ، لما
وصفت من واسع ثرائه وسمو جاهه وبسطة ملكه .
لقد قلت إنه ذهب إلى طروادة مع أجائمنون ، فهل
تفضل فتذكر لي اسمه عسى أن أقص عليك من
أخباره ؟ لقد ذهبت أنا الآخر ثمة ، وسافرت في
بلادتي ، وعال ألا أعرف الغطاء الذين جاهدوا
مع أجائمنون . » فأجاب الراعي : « وأأسفاه أيها
الأخ المعجوز ! أبداً لا تنظلي الأنباء الملققة عن

أيحييه : « أيها الصديق ، ليس أمقت إلى من أن
أزود لاجئاً إلى داري وإن يكن أرث منك حالا ،
لأن أبناء السبيل جميعاً هم ضيوف زيوس رب الأرباب
وأنا مع ذلك أعتذر إليك إذا لحظت أن زادي قليل
وأن حالي رقيقة فلقد مضى زمن المز والعيش الواسع
المفرج وأصبحتنا نمانى القلّ والفاقة والعيش النكد
تحت إمرة هؤلاء الرؤساء الأصاغر . آه يا مولاي
يا زين الحياة ومؤدب الناس أين أنت ؟ أين أيامك
وخيرك الوفير ؟ لبيها دامت ، ولبتك ظلت فمشنا في
كنفك ... وليت هيلين وكل من في بيت هيلين
فداؤك ... هيلين التي قتلت سادات هيلاس^(١)
الذين أبحروا مع أجائمنون لينيلوه النصر في ميدان
طروادة ! » ثم لم يداره وذهب إلى الثرب الأول
جفاء بخنزيرتين سميتين قتلتهما وذبحهما وسلخ
جلدهما ، وجعلهما إرباً لإرباً ؛ ثم أشعل ناراً عظيمة
فسوّى على جمرها السفافيد الثقلة بالحم ، وجاء
بالشواء فوضعه أمام أوديسيوس ، ثم نثر عليه من
الصديق ، وأحضر زق الخمر ، وجلس قبالة وقال :
« هلم يا ضيف العزيز فسلك وارو ... لا تؤاخذي
إذا رأيت الشواء لا سميتاً ولا حينئذ ، فكل سمين
وحنيذ يذبح أولاً فأولاً ويرسل إلى العشاق السفلة
الذين لا يرفعون في الآلهة إلّا ولا ذمة ، ولا يخافون
سباء ولا بشرى ... يا الله من هؤلاء الفجرة ... ألا
يلون شمهم ويتبرون بخيلهم ورجلهم على بلد قاص
فيشربوا بأسلاب الغزو وسخط الآلهة ؟ أم ترام
أوحى إليهم بموت مولاي فهم هنا قاعون ما يرفعون
وؤاده آكلون ومن خمره شاربون ، حتى فرغت

(١) لعله شاطئ آسيا

(٢) جمع رعبل وجميع على رعال وأراغيل وهو في الأصل
للخيل والبقرة

(١) اليونان وتسمى أفايا أيضاً

والله على ما أقول وكيل ... إطمئن إذن يا صاح ،
وثق أن أوديسيوس لابد عائد هذه السنة إلى إيثاكا
بل ربما عاد هذا الشهر ، ولن يغضى شهر آخر حتى
يكون قد تار لعرشه من أعدائه وبطش بهم جميعاً ...
أولئك الفجرة الأشرار الذين جسروا على استباحة
حمام ، وإهانة زوجه ، وعدم المبالاة بولده ! »
وسخر الراعى وقال : « أهكذا تقسم وتؤكد القسم
يا صاح ؟ أبدأ لن نزال الرهان أبداً ، فقد أودى
أوديسيوس ولن يمؤد بعد ... هلم هلم نحس
كأسك الروية ودع هذا الحديث فإنه يحزننى ويشير
شجونى ... خلّ قسمك ، وليقدم أوديسيوس فى
خيالك أو فى الحقيقة ، فأنا وزوجه وأبوه وولده ...
كلنا نشعنى ذلك ، وتتمناه على الآلهة ... يا صاح لك
ياتليك الحبيب ! لقد كنت أرقص طرباً كلما رأيتك
تبت كابت أبوك ، وتشب على الفضائل التى شب
عليها ! أين أنت ؟ لقد ذهبت إلى ملك ييلوس
تجسس أخبار أليك ، وهام المشاق يترصد نيك
ويتربصون بك ليقنالوك فى الطريق . ألا طاشت
أحلامهم ، وحماك جوف الأعظم من مكرهم ،
وحفظك ليت أرسسياس يا غر الناس ... ؟
ولكن نعال أيها الضيف الكريم ... قل لى بربك
واصدقنى فى كل ماقول : من أنت ، ومن أين
أقبلت ، وفيم قدمت ؟ وما بلدك ؟ وأين يقيم أبواك ؟
وأى سفينة حملتك إلى شاطئنا ؟ فلمرى إنك لن
تدعى أنك وصلت إلينا سائراً على قدميك !! »
فقال أوديسيوس بيمينه : « سأقص عليك من
أنبأى التى لا باتيها الباطل مالو بلبت عندك عاماً بين
هذه الحجر وذاك الطعام ، بينما يكذب الآخرون من

مولاي على زوجه أو ولده ؟ فكم من جواب آفاق
مثلك ، محتاج إلى لقيات أو سروال ، قد لقي الزوجة
المسكينة فلقق لها قصصاً مكذوباً عن رجلها ثم دلت
الأيام على كذبه وزخرفه ، والزوجة فى كل ما تسمع
تذرف الدموع وتصدد الآهات كأحسن ما تصنع
زوجة وفية من أجل زوجها الذى قضى فى بلد بعيد .
وأكبر ظنى أنك تطمع فى كساء تخلمه عليك هذه
الزوجة المفقودة الرءوم ، فأربع عليك ، فالرجل قد
قضى ، وليس مبيداً أن تكون كلاب البرية وسباعها
قد اغتذت به ، أو أنه قد غرق فأكله السمك ،
ولفظت عظامه على سيف البحر لتذروها الرياح ،
تاركا وراءه قلوباً تأسى عليه ، أحزنها عليه قلبى .
تالله ما وددت أن أرى أبوى اللذين غادرتهما منذ
أحقاب كما أثنوف اليوم إلى رؤية هذا الرجل ...
آه يا أوديسيوس ! أين أنت ... إنك مهما شطت
النوى وشطت الدار فلن أبرح أذكرك وأسبح
باسمك وأوقرك ، بما أحسنت إلى وعيت بشأنى ،
يا من فراقك عندى آلم لى من فراق أعز إخوتى
وأشقاى ! »

وحججه أوديسيوس وقال : « أيها الصديق
لم نياس من عودة مولاك هكذا ؟ ولم يخامرك
الشك فى أن رجوعه محتمل لا ريب فيه ؟ إذن فأنا
أقسم لك قصداً لا أحتث فيه أنه عائد لا محالة ،
ومعاذ الآلهة أن أقسم وأؤكد الأيمان لأنال
القميص الذى ذكرت أو الدثار الذى أنا فى شدة
الحاجة إليه ، بل ليقن القميص والدثار حتى يتحقق
قسمى وتبر يمينى فأتسلها منك ، فإنى أمقت
الكاذب الخائن فى يمينه كما أمقت أبواب الجحيم ،

عواهنه ، فلقد قدت إلى طروادة تسعة جيوش ظفرت بفيالقها قبل هذه الحرب الضروس الأخيرة بينها وبين هيلاس ... ولقد حزت الثراء الجم والفتى الوافر من جراء هذه الحروب ، فأصبحت بين شعب كريت المفضل المجل ... ثم كانت الحرب الأخيرة التي قتل بسببها مئآت من السادة الصناديد من رجال الإغريق ، فاختاروني أنا وصاحبي يلدومين قاتلين للأساطيل ... ثم حاربنا حول طروادة تسع سنين حافلات مُثقلات ، وفي الماشرة سقطت المدينة في أيدينا ، وعدنا أدرجانا نظوي اليم لا ندرى ماذا خبأت لنا القادير ؛ ومن ثمة بدأ جوف يرسل صيكا من الرزايا فوق رأسي ، حتى إذا وصلت إلى كريت سالما لم أثبت طويلا هناك ، ولم أمتع النفس بالأهل والوطن إلا شهرا واحدا ؛ ثم أقفلت في نجبة من رفاق بأسطولنا إلى مصر بعد أن أولت لهم وقرت القرابين . وقد أرسلت العناية لنا رجلا جرت بسفنا رخاء ، كأنما أبحرنا مع تيار نهر لا جبار ولا عتيد ، ولم يحدث لأي من جوارينا سوء حتى بلغنا شطآن مصر في اليوم الخامس ، واتخذت سفننا سبيلها في النيل هجبا ... ثم حدث ما لم أود أن يحدث ، إذ سطا رجلى بعد خُلف في الرأي وشجار بينهم عنيف على حقول الفلاحين فاستاقوا أنعامهم وسبوا نساءهم ، واسترقوا أطفالهم ثم ذبحوا رجالهم ... بيد أنهم لم يسلموا مع ذاك من شر المصريين ! إذ استيقظت المدينة على صراخ الجرحى وأنين القتلى وتضويت النساء فأقبل أهلها كالجراد ، بين فارس ورجل ، وكل يحمل السيف

أجلنا ويجهدون ، مافرغت من قصا عليك ... كفى أنباء بالكية وآلام متصلة ، شاعت السماء أن أقاسها ، وأن أجرج غصصها ... إذن أنا ابن كاستور هيلاسيد أحد سرة كريت ، من سريته المحبوبة التي كان يمزها كزوج . ولم يكن أبي يفرق بيني وبين إخوتي من زوجة ، بل كان يولينا حبه على السواء ، وكان الناس يجعلونه كأحد آلهتهم لثرائه الواسع ، وحسبه الضخم ، ولأعماله الناجحة ؛ فلما مات اقتسم أبناؤه كل ماترك ، وكان نصيبي منزلا متواضعا ، ومالا كثيرا ، وزوجة غنية ذات مال وجمال . ولم يحاول إخوتي أن يدعوني أو يأكلوا ترابي ، لسا كنت عليه من كريم الخصال وحيد الفعالي ، وجمال النظر ووسامة المظهر — لا كما تراني الآن — وأأسفا على ما فات من نصارة الشباب ! تالله لن تستطيع ، ولن يستطيع أحد ، أن يتحدث كم شقيت وكم بُليت ، وكم من الآلام والضنك وأوضار الحياة تحملت ؟ فلقد كنت لا أرهب الردى ، وكنت دائما أخوض خياري المباح في حى مارس ومينرفا فأشكت قلوب الأعدى وأبهر القادة والزعماء بجلال الأعمال ... ولم يكن من دأبى أن أشغل نفسى بكلاف البيوت ومشاكل الحياة المعاشية الدنيا ، التي هى بالأحداث والتلنان أبلى ، بل كنت مشغوقا أبدا بركوب البحار وخوض غمار الوعى ، وملاعبة الأسنة ، وما إلى ذلك مما جعلته السماء غراما وفرحا لى ، وضراما وفرعا في فؤاد سواى — والناس كما تعلم فيما يشقون مذاهب ... ولست أرسبل القول على

اللاحون جميعاً! ... وأكرمني الله العلي الطيف
فبعث إلى بقلع السفينة الأكبر فتملقت به ، ولبثت
الصبا تقذف بي نحو الجنوب أياماً تسعة ، وفي
ظلام الليلة العاشرة ، دفعتني على شطآن تسربيل
حيث أكرم متواى ملكها العظيم البطل فيدون ،
وعنى بشأني . وذلك أن ولده رآني طريحاً على
الشاطئ أكاد أموت من البرد والجوع ، فحملني
إلى قصر الملك حيث ردت إلى الحياة وأعطيت
دئاراً وصداراً ، وخصصت لي غرفة فسيحة ذات
أرائك ... وهناك سمعت عن مولاك النازح ، البطل
أوديسيوس ، ورأيت به بعيني رأسي وقد ذكر لي عن
فضل الملك وإكرامه مثواه ، ما بهرت عليه أعماله ؛
ثم أراني أوديسيوس كنوزه من الذهب والنحاس
وطرف الحديد التي جمعا في أسفاره ، والتي تكني
للنفقة على أسرته عشرة أحقاب ... وكان الملك يحفظها
له في غرف كثيرة في قصره إعزازاً له وتكريماً ؛
وذكر لي أنه ذهب إلى ددونا النائية بين أخيلين
الخور والسنديان ليستوحى كاهن جوف الأكبر إذا
كان خيراً له أن يذهب إلى بلاده متكرراً ، أو في
صورته الصريحة الحقيقية بعد هذا الغياب الطويل
عن أهله . وقد أكد لي الملك أن المركب الذي
سيحمل أوديسيوس إلى بلاده — إيثاكا — ممد
في الرفأ — ولولا أنني أبحرت قبله لشهدته بعيني
ركب الفلك ، ذلك أن فلكا آخر للملاحين من جزيرة
دلشيوم كان راسياً في الميناء ، فأمرهم الملك أن
يحملوني معهم وينهبوا بي بأقصى ما يمكنهم من
السرعة إلى الملك أكاستوس . ولكنهم — أو أسفاه

البتار أو الرمح السميري ، فأعملوا فينا ضرباً وقتيلاً
واستقنوا السبي كله ، وشفوا حرد صدورهم منا ..
أما أنا ... فيا ليتني قتلت فيمن قتل واسترحت من
هذه الدنيا التي جرعتني ضعف هذه الآلام بعد !
لقد كنت أشهد رجالي يهرون إلى الأرض ، وأعلم
أن جوف قد أنزل هذا البلاء بهم جزاء لهم وفاقاً ؛
فلما رأيت أنني لا محالة شارب بالكأس التي شرب
بها رفاقي ، ألفت سيني ، وجريت أعزل من السلاح
إلى حيث الملك الكريم ، فركمت بين يديه ، وقلت
الأرض إجلالاً له ، وبكيت ماشاء جوف أن أبكي ،
ثم سألته العفو والغفرة ، فرق لي ، ورثي لحالي ،
وأمر بي فأخذت في جملة خدمه وخوله إلى المدينة .
وقد زام رجاله أن يقصدوني برماحهم لولا أن
صدم مخافة من الله الذي آمن اللاتئين به الستدئين
بظله . ثم لبثت في أهل مصر سبع سنين هائناً
سميداً محبوباً من الجميع . وحدث في السنة الثامنة
أن قدم إلى المدينة رجل فينقي جواب آفاق ، ما زال
بي حتى أقنعتني بالفرار معه إلى بلاده ، وأغراني بأن
له ضياعاً وأملاكاً ومالاً ، ففعلت ، ولبثت معه حولاً
بأكمله ، ثم حدث أن كلني بعد هذا الحول في رحلة
لا أعرف إلى أين ، كانت أكبر الظن للسطو
والقرصنة ، أو على الأقل ، لأباح في بلد قصي بيع
الزقيق ، فينتفع بشمعي ... ورحلنا ... ولكن عاصفة
جبارة هبت علينا ، وتلاعبت بنا ؛ وعبست السماء ،
وكلج الدأماء ^(١) ، وعمرد من تحتها الماء ، ثم أرسل
جوف صواغقه على السفينة ققصهما ... وغرق

غرياء مثلك ، يروون لي القصص ، ويلفقون الأحاديث عن مولاي ، فيبعضهم يبيكه ويتحسر عليه ، وبعضهم يوشى الأكاذيب لينغم بعض الرغد وينال بعض العطاء ، حين أقدمه للملكة الحزينة الكاسفة ، يثوب ! ولعمري ما انطلت على يومأ أحاديثهم ، ولا خدعت مرة بما رَوَوْقوا وزوقوا ! ! أفتحسبني أصدق ما زخرفت أنت الآخر عن أوبة مولاي مثقلا بأحمال الذهب من كريت ، وهما أننى بهذا أبالغ في إكرامك ، وأحرص على التلطف بك ؟ لم تصنع هذا أيها الرفيق بعد أن ترفتت بك الآلهة ، وهذتك إلى شاطئنا ؟ أما والله إنى إنعما أكرمتك جبا لجوف ورهبة من بطشه ، ولا جاش في صدرى من الشفقة عليك والراء لك ، والتألم من أجلك . « وقال أوديسيوس يبيحه : « لشد ما أوتيت قلبا أفعمته الوساسوس ، ونفسا ساورها الشكوك أيها الشيخ ! هها أنباء ملفقة ، فما يعنى التى أقسمتها لك إذن ؟ تعال ! هلم تنقسم أليّة تكون آلهة الأولب عليها شهداء ، إنه إن آب مولاك إلى بيتك هذا فى أقرب ماظن من الزمان ، فيكون لى عليك مبدار ودثار أسلح بهما شانى حين أعود أدرأجى إلى دلشيوم ... فان لم يؤب كما عاهدتك فتجتمع أنت ورجالك وعمالك وتهدقوا بى من رأس قلعة عالية سامقة يحشى أحقر الأفاقين أن يتربع عليها » وأجابه راعى الخنازير : جميل والله أيها الغريب اللامع ! تكون ضيقى ، وتؤاكلنى وأؤاكلك على مائدتى ، وتطمئن إلى ، وتأتعننى ، ثم أذف بك من حالى ؟ جميل والله

تألبوا على فى عرض البحر ، وتأسهروا بى ، وزرعوا صكاري ، ونفوا دثارى ، ثم اتهموا فرصة الد فأسروا فى شاطئ إيثاكا . بعد أن ألبسونى تلك البرة القبيحة الخلقة التى ترى . ولكى لا أقوم أدنى مقاومة ربطوا ذراعى وساقى وشدوا وثاقى فى السارية فلم أبد حراكا ... بيد أن الآلهة رأفت بى وحلت وثاقى فقذفت بنفسى فى الماء وسبحت إلى الشاطئ حيث وجدتهم يمدون عشاءهم ويلتهمونه سراعاً ... وقد اختبأت فى الأدغال الكثيفة فلم يرونى ... وهالهم ألا يجمدونى حيث شدوا وثاقى ، فذهبوا يحضون عنى حتى إذا لم يقفوا لى على أثر ، أقلموا بحلين ، ونجاني الله منهم ، وساقنى إلى الرجل الصالح الطيب الذى وصل حياتى وأكرم مئواى ... « فتبسم يومايوس وقال : « تالله لقد أثرت فى قوادى مقاتلك أيها الضيف الكريم ، وأشجاني ما لقيت من أهوال ! ولكنك كما يبدو لى لم تكن جاداً فأرويت من أنباء أوديسيوس فلم أيها الأخ وعليك من سبأ النبل وغايل الفضل ما عليك ، تلفق مثل هذه الترهات المضحكات ؟ أما والله إنه إن يكن قد نجى من اللوت فى ساحة طروادة بما ألب عليه من سحق الآلهة أجمعين ، فأكبر ظنى أنه قد غدا جزر السباع وكل نسر قشتم ... وأأسفاه عليه ! ألا ليته قتل فى سبيل بلاده فى حرب عوان يحمى فى وغاها بيضة الوطن ! إذن لبكاه جميع الإغريق ، ولا جمعت هيلاس كلها تنافس فى صنع لبنات قبره ، وتخليد ذكره ، ولأورث ولده المجد والخلود ! هأنذا يا صاح ثاو فى هذا المكان ، لاصق بذلك البيت العتيق ، يفد على فى كل آنة

ويسلب، له الملك، لا شريك له». ثم أدوا صلاتهم الحرة فهاقوا اللدامة للآلهة، وكذلك صنع أوديسيوس؟ وهم ميسولوس — مولى يومايوس وخادمه الذي اشتراه بماله — فوزع الخبز، ولبث يخدم ويسقي، ويجبيء وروح، حتى إذا فرغوا نظف المائدة وأعاد كل شيء إلى مكانه؛ وانصرف القوم إلى مضاجعهم ليناموا ليلة ليلاء محطرة شديدة القفر، عظيمة البرد؛ ونام أوديسيوس قريباً من مضيقه، ولم يكن عليه من النطاء ما يقيه هول القفر^(١) فلفق هذا الحديث للرأي الشيخ ولن نام معه من عماله: «لله مات صنع خرمك بالألباب يا قوم! لقد أوشكت أهذي وانتفض وأملأ شدق بالضحك... ولولا هذا القرفعت فرقت، ولكي عذتكم حديثاً من أحاديث الشباب فيه هذيان وفيه ثرة، وفيه من حيا سلافكم ما فيه. ألا ما أحلى أيام الشباب وما أروعها لو رجعت! إن لها لصدى في نفسى يتردد، وإنى ما عشت لن أنسى تلك الليلة القارسة الشاتية التي قضيتها في صدر الشباب وزيمان الصبي مع صديقى أوديسيوس ومنالايوس في كمين تحت أسوار طروادة، في مستنقع آسن ذى قسب^(٢) ترقب من عنونا فرصة تظفرنا به وتنصرنا عليه، مقتعين في الحديد والورد، صابرين لما يصفعنا به بوريس^(٣) من ريح عاتية وبرد، ويسفطنا به من قو برد، حتى انمقد الصقيع على دروعنا، وكنت أنا أجمد ويجمد الدم في عروقي؛ لأنى وأأسفاه استهنت أول الأمر بما أئذرت به الحال

هذا؟ وتضع صلواتى ونسكى لدى جوف العلى! سه! هلم هلم، المشاء يصاح! لقد آن وقت المشاء... البدار قبل أن يدهمنا عماماً لنا فيزحون المائدة ولا تجد لك مكاناً بينهم»

وهكذا تشقق الحديث بين الرجلين؛ ثم وصلت رجال الخنازير وأهرعت إلى حظائرهما حيث ارتفع قبأهما^(٤) وعلت ضوضاؤها... وهتف الراعى بأحد غلمانة فأمره أن يحضر واحداً من أعمها لمشاء الضيف ولمشاء الرعاة... «... أفأنا نستحق واحداً منها بما تلهم بطون غيرنا الذين ينعمون بثمار كدنا ونصبنا؟»

وحجى بخنزير جسد، وأججت النيران واتهد الحجر، وصلى يومايوس للآلهة ودعا لمولاه بالخير، وتمنى له المود أحمد المود، ثم أهوى بشاطوره على عنق الحيوان غفر يتلبط في دمه؛ وسلخوه بعد ذلك، وهم به يومايوس فقطعه، ووضع إرب اللحم على صيغ الشحم، وثر من الدقيق على كل ذلك، ووضع الجميع في الجمر، وكلما نضج شيء وضمه الغلمان على المائدة، حتى إذا فرغوا تولى الراعى المجوز توزيع الأنصبة، فجعل لابن ميا^(٥) سبعة أسهم، ولعرائس الماء سهماً واحداً؛ وجعل لكل من عماله نصيبه بعد أن أتحف أوديسيوس بأجزل الأنصبة جميعاً، ثم كان يده بعد ذلك بإمدادات حجة! إنما ألهج لسانه له بالشكر وعليه بالتناء... ورد عليه الراعى في أدب وأفر: «إن الله هو مانح كل شيء يمز من يشاء ويذل من يشاء، ويعطى

(١) القفر البرد الشديد جداً

(٢) ريح الشمال الصبا

(٣) القباع بالضم صوت الخنازير

(٤) هزم

شيئاً كثيراً من فراء الغنم وجلد الماعز فجعله ركاباً بالقرب من الدفأ، ثم جعل عليها ظهارة^(١) من الصوف، فصلحت بذلك أن تكون لأوديسيوس وسادة وثيرة ليس بها من بأس، نام فيها فاستراح والتحف بفراء آخر، ويات ليلته والابتهاج ينمر نفسه لما رأى من حرص راعيه على ذكراه، وحنينه للقياء، وعنايته بقطمانه... أما الراعى المجوز الشيخ، فكانما أثرت فيه مقالة أوديسيوس فهب فأتى عليه سلاحه، وأضنى على كاهله دروعه، بعد أن خلع معطفه، وأترد بجملده عزز؛ ثم أجلس بازيه الباشق على كتفه الضعيف، وحمل حربته التي يزود بها الناس والسباع عن رعاله، وانطلق في الغراء، حيث جلس على صخرة مشرفة على السهل، وذلك ليحرس القطيع النائم... غير عابى بقرس الريح ولا وحشة الليلة البلاء...

درونى خشم

» يتبع »

(١) ظهارة الفراش وتغطه مايفرش عليه كالملاءة

رفائيل
لشاعر الحب والجمال لامرئين
مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر
ومن إدارة « الرسالة »

الرقم ١٢ قرشاً

من هذا المآل، نغرجت في عدتي وسلاحي، ولم ألبس معطى ولم أرفع رِيْطِي^(١)، يَتَنَا قد احترز رفاقي فتدثروا بكل ثقل... وخفت أن أصبر لهذا البرد فتكون القاضية، فهتفت بأخي أوديسيوس: « أدركني يا ابن ليرتس النثيل فقد أشفيت على الهلاك من ذلك الزمهرير! أدركني بأربابك فاني قد استخففت بالفصل الذي نحن فيه فلم أحضر معي معطفاً ويكاد يقتلني البرد ويهرؤني الصقيع ». وأسكنتي أوديسيوس خشية أن يسمعن أحد فلا نفلت من الموت، وقال لرفاقه: « أيها الاخوان! رأيت رؤيا وبودي لو يذهب أحد إلى أجاثمون فيطلب لنا مدداً فلقد بعدنا عن الأساطيل، ولسنا هنا بخير لما ترون من قتلنا! »، وانبرى لها أتدريمون، فخلع معطفه وأطلق ساقيه للريح... وأشار أوديسيوس الخبيث إلى، فلبست المعطف واستدفأت به، وحمدت الآلهة « أفليس فيكم أيها الأجاويد رجل رشيد، فينزل لي عن معطفه أتقي به هذا البرد الشديد وأنا في مثل سنى وأنتم في ميمة شبابكم؟ ألا تفعلون؟ لتكن لكم هذه اليد على تفضلاً أو نادباً! » وقال يومايوس يمينه: « لا عليك يا صيفنا المرز... إنك لن تشكو برداً ولا تقصيراً عندنا... وليس لدى كل منا إلا دثاره وصداره ومعطفه، وليس لدينا منها كثير نباحي به؛ ولسو ف يعود تلياك بن سيدنا ومولانا فيخلع عليك من الملابس مايسرك وبهيجك؛ ولكن رويداً فساً كفيك عادية القر برغم هذا... وزعم ما غمزت في حديثك ولزت!! ». ثم نهض فجمع

(١) الرِيطَة تشبه الكوفية

« طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المهدي عمارة هجرم رقم ٧ »

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المستول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ عن العدد الواحد

الردارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

المجلة

مجلة أسبوعية للقصة والديج

نصدر مؤقثاً في أول كل شهر وفي نصف

العدد التاسع عشر ٢٧ شعبان سنة ١٣٥٦ - أول نوفمبر سنة ١٩٣٧ السنة الأولى



من أحسن القصص

فهرس العدد

صفحة	
١١٦٢	الطيار الذهبي في قصر يوسف
١١٦٤	غادة البحر
١١٧٧	الفرقة الزرقاء
١١٨٢	ذو القدم
١١٩٣	فتشتر يوفيانى
١١٩٦	سحابة
١٢٠١	كورنى فاسيليف
١٢٠٩	اعترافات فتى مصر
١٢١٨	الأوذنية
	للكتبة الإيطالية ماتيلدا سيراو
	مشهد من مسرحية الكاتب النرويجى ايسن
	للكاتب الفرنسى بروسير مريميه
	للكاتب الروسى أنطون تشيكوف
	عن كتاب الأطفال المتنازين
	أقصصة موضوعة
	للفيلسوف الروسى تولستوى
	لألفريد دى موسيه
	لهومبروس
	بقلم الأستاذ محمد لطفي جمة
	بقلم الأستاذ خليل هنداوى
	بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب
	بقلم الأدب جورج سلسق
	بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار
	بقلم الأستاذ أديب عباسى
	بقلم الأديب أحمد فتحي مرسى
	بقلم الأستاذ فليكس فارس
	بقلم الأستاذ درفنى خشبة

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب

على هدى وبصيرة

الرسالة : تعبر باخلاص عن روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية

الرسالة : تصور مظاهر العبقرية للامة العربية

الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية

الرسالة : تحيي في النشء أساليب البلاغة العربية



مجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

الجديد ، وسجل الأدب الحديث ، ودائرة معارف عامة



الاشتراك الماخلى سنون قرشاً ، والخارجى ما يساوى جنبها مصرى ، وللبلاد العربية بمضم ٢٠ ٪

أسرار الفن والجمال التي
ازدهرت في عصر
يوسف فنقلت معانيها
الخفية والظاهرة ،
وأفرغت ثمار النعمة
والفنون الحديثة في
قوالبها القديمة الثابتة .
وإن تحليل ذلك تهيّئ

على من يعلم أن عقل مستر
« سترينج بيرد » العالم الأثري
الشهير الذي شاد القصر ووقع دعائمه
وأُنقِص في ذلك معظم ما كان يملك ،
وقضى ثلاثة أرباع حياته في الدرس
والبحث والتنقيب والتحقيق حتى
وصل إلى الصورة الأخيرة التي
نسق عليها القصر ، فتصافر
هو وعقل شارلوت على إيجاد
تلك المعجزة الفنية التي بنيت من
حجر وصخر ومرمر وبلور
فكانت إلى وصف المصوغ أقرب ،
حتى ليخيل إلى الرأي أنه يتمتع بنظرة
بجوهره يتيمة فذة يرى أضواءها

وهو فيها ، ويأخذ يصوره تلوّنها وهو يحيط به ،
ويشع حوله فيرى كالحالم أنه يتقلب في فراش من
الخز والدياج في مقصورة من الماس المضى بذاته
لذاته ...

كان الزائر يمر بالدخل الكبير للقصر بين
عمودين من الرمرر الناصع البياض مربعين لا معين
جلب معدنهما النفيس من الصحراء الغربية ، وإلى

الطيّار الذهبى في قصر يوسف

للكاتبة الإيطالية ماتيلدا سيراو
بقلّم الأستاذ محمد لطفي جمعة

ماتيلدا سيراو Mathilde Seraw

من شهرات القصصيات الإيطاليات .
في أوائل هذا القرن عاشت ووضعت
كتبها في مدينة نابولي بأسلوب
متبكر جذاب ، وقد نقلت بضع قصص
من تأليفها إلى اللغات الأوروبية ؛ وقد
زارت مصر قبيل الحرب ووضعت
قصة خلافة تربط بين الماضي والحاضر
وتجسم الشرق والغرب وجعلت بعض
مناظرها في ظلال الآثار المصرية
الحائلة وبطلة جيو فاني دي فاغا طيار
إيطالي وممشوكة لادى شارلوت
الانجليزية النبيلة . وقد شادت هذه
اللاذى الكسونية لقاء حبيبها قصراً
وصفه المؤلف بالقصر اليوسني إشارة
إلى ما فعلت امرأة العزيز ... وقد
وقعت في ذلك القصر حوادث جام
صاقتها المؤلفات القديرة أجل صياغة
وأفرقتها في أبداع القوالب

وصف القصر كأنك تراه

بدأ الشيخ العربي يروي لي
قصة قصر يوسف في ظلال
العمد الشاهقة عند معبد رمسيوم :
« كان السائر على شاطئ
النيل عقرة من « الدير البحري
الذى شادته الملكة المسترجلة
حتشبسوت نرى . بناء صغيراً
يكاد يكون لجمال كالأمير المتخفي ،
يبدل مظهره البرى على البساطة
والتواضع ، وتنطوى حقيقته على
العملة والفخامة فالقصر
الصغير الجليل لا يرى من ظاهره
ما يبدل على ما انطوى عليه من

الفاخر والمحسن وآيات الفن وضروب الجمال ودلائل
حسن الدوق ومهارة الصانين ولباقة لادى شارلوت
التي جعلت من هذا البناء الأثري متحفاً للجمال الحي
ومصدراً لوسمى الفنون التي تجلت في غرفه . وأول ما
يستدعى نظر الرائي جلال الشخصية التي أشرفت
على إعداده وتأنيته وتنسيقه ؛ وإن الزائر ليحار
حيال القدرة الجبارة التي تمكنت من إدراك أدق

جنب كل منها تمثال لأسد رابض منحوت من الجرانيت القائم ، وقد جملا رمزاً للحراسة والحماية واليقظة ، كما جعل على رأس كل عمود تمثال لنسر يهيم بالتحليق وقد نشر جناحيه وخفض رأسه وحقق بعينه ؛ وكان هذان النسران أجل رمز لفن جيوغرافى ، المهندس الطيار . وإيهما لمصادفة عجيبه فرحت بها لادى شارلوت فرحاً جماً ، فلو أنفقت وزنها ذهباً ما استطاعت تقدير الفكر الذى أوحى إلى الممار وضعمها ، فكانه رأى بعين الخيال ذلك الرجل السعيد الذى سوف ينزل بالقصر ويكون قلب مالسته ملكاً له

فإذا ما عبر الداخل عتبة ذلك البهو الفخم المحروس فى أسفله بالأسود وفى قته بالنسور أخذت عينه وراء كل أسد لبضعة أقدام من أذنانها التى أقمت عليها بتمثالين لمعلاقين من الزوج كأنهما واقفان لحراسة ما وراء الدخول وإضاءة سبيل الزائر الذى توسط بستان القصر . وإنه لمن المهندسين المماريين من تشرف نفوسهم على المستقبل فيلمح أحدهم من بوارق الإلهام ما يقتضى تمام الفن أن يوحى إليه ليخرج العمل الكامل . فإن الفنان قد وضع فى يد كل منها مصباحاً على شكل رأس امرأة قبض الزنجى بأنامله على ضفائرها ، وتشمع من رأسهما حزمتان من النور الأزرق ، فإذا تحرى الناظر مصدر الضوء وجده خارجاً من أعين المرأتين فكان لذلك فى نفسه رهبة أى رهبة . فإذا فرغ عيجه لهذا المنظر أخذ بصره بمحوض يضاوى الشكل من الرمر

الناصع البياض وعلى رأس كل طرف من أطرافه تمثال بدیع لفتاة كاملة الخلق ممشوقة القناعة الطرف قبضت على ثديها يديها فتفجرت منها المياه كما يتفجر لبن المرضع فى فم طفلها المحبوب ؛ والماء المتدفق على هذه الصورة العجيبة ينصب فى الحوض راسماً فى طريقه قوساً جميلاً لا يسمع له صوت لدى خروجه ، ويزيده بهجة ورواء سقوط أشعة زرقاء هادئة مسلطة من مدخل البهو على تلك الينابيع الأربعة المتدفقة من أضاء الفتاتين . فإذا ما أشبع الناظر نفسه بالنظر إلى الحوض والنافورة والفتاتين صعد بضع درجات من سلم واسع الأرجاء مصنوع من الجرانيت الوردى زينت أطرافها بأكيات خزفية ملونة تتدلئ منها أغصان الأسيرجوس ، كأنها شعور خضراء لرأس خفى . وكان الباب الداخلى مستطيلاً وعلى جانبيه مرآة من المدن يتبين فيها الناظر صورته واضحة جلية ، وعلى حافة كل مرآة تمثال من خشب الجوز التركى لطيف فنان راقد فى اطمئنان يربو بعينه النجلاوين المصنوعتين من الصدف والعقيق . الأسود إلى الناظر فى المرآة

ثم يستأذن الداخل على بهو فسيح قد صفت على جوانبه مقاعد من الفسيفساء على صور تمثل الصيد والقتل . أما أرض البهو فكانت من الفسيفساء ، تمثل بحيرة عظيمة تسبح فيها أسماك شتى الألوان والأشكال والحركات ، تتخللها أصداف وأحياء مائية أخرى كقنديل البناء والأخطبوط ؛ وفى وسط الصورة الزائفة الحسن

فإذا ما عبر الداخل عتبة ذلك البهو الفخم المحروس فى أسفله بالأسود وفى قته بالنسور أخذت عينه وراء كل أسد لبضعة أقدام من أذنانها التى أقمت عليها بتمثالين لمعلاقين من الزوج كأنهما واقفان لحراسة ما وراء الدخول وإضاءة سبيل الزائر الذى توسط بستان القصر . وإنه لمن المهندسين المماريين من تشرف نفوسهم على المستقبل فيلمح أحدهم من بوارق الإلهام ما يقتضى تمام الفن أن يوحى إليه ليخرج العمل الكامل . فإن الفنان قد وضع فى يد كل منها مصباحاً على شكل رأس امرأة قبض الزنجى بأنامله على ضفائرها ، وتشمع من رأسهما حزمتان من النور الأزرق ، فإذا تحرى الناظر مصدر الضوء وجده خارجاً من أعين المرأتين فكان لذلك فى نفسه رهبة أى رهبة . فإذا فرغ عيجه لهذا المنظر أخذ بصره بمحوض يضاوى الشكل من الرمر

حوت عظيم فاخر فاه كأنما يريد أن يتلع مايدنو منه من صيد البحر ، وركبت في رأسه عيتان من الياقوت الأحمر . أما زرقة الماء التي تثلها الفسيفساء فكانت مصنوعة من شظايا رقيقة من «أزرق البحر» الفائق الجمال

وكانت جدران البهو مزودة بتصاوير تمثل صيد البر ، فمن طراد بين كلاب سلوقية وغزلان مشردة وبزاة تهاق فوق رؤوس طيأ لتعود إلى صاحبها بالنسيمة الباردة ، إلى مناظر صيد الطيور في برك المياه وسط الحشائش الخضراء ؛ فكان يجيل إلى الجالس في البهو أنه متمتع بصيد البر والبحر ، حتى إذا ماداه رب النار إلى الدخول رأى أمامه وخلفه وعن يمينه وشماله أبواباً تؤدي إلى مختلف الغرف ؛ فمن يمينه غرفة الجالس التي جعلها الماريُّ بيضاوية على شكل حوض البستان وهي تؤدي إلى باب من الحديد المصقول لغرفة الطعام التي جعلت مستديرة على شكل المائدة ، وبينهما حجرة مستطيلة لاتسع لأكثر من خوان الشراب وحوله مقعدان ، وفي جدرانها ينانيس من الفضة إذا حركها الساق سكبت ألواناً من الخمر المتعة التي أوصت بها لادى شارلوت في مصانع إيقوسه وشيانيا وكروم توسكانيا وأفنيون ؛ وقد صنعت تلك الينابيع بحيث تتصل بمخزائن صغيرة تملأ وتستنزف وتتلج من وراء الجدار . ولقاعة الشراب نافذتان تطل إحداها على حديقة القصر ، والأخرى على منظر من ضفاف النيل ، بحيث يرى اللطل الشمس والقمر لدى

الشروق والغروب . فإذا ما اتجه الداخل صوب الشمال بدأ برفة مثثلة الشكل جعلها ربة القصر للقراءة والعبادة . ففي رأس المثلث مبد صغير تقف إليه كلما شعرت بالحاجة إلى الاتجاه إلى ربه . ولم يكن جيوفاني بأقل حاجة منها إلى أوقات يقضيها في ذلك الركن الركين ذا كراً سيده المذراء ومولاه المسيح . وإن نمجب لشيء عجيبنا للاختلاف بين عقيدته الكاثوليكية وعقيدتها البروتسية وقد جمع الحب بين الروحين ، وسوّى بين المذهبين ، وأزال الفروق كما أجرى في عروقهما دماء جديدة للحياة التي تتدفق في الشرايين ؛ والبهجة تدخل القلب فتتمشه ، والأعمال تنهض بالنفس الحزينة فتقومها ، دأب الحب الناشيء في قلبين متمطشين لإيه . وقد حوت هذه المكتبة طائفة من أنفس الكتب القديمة والحديثة ولا سيما مؤلفات توماس هاردى ودانوزيو . ومن فرائد المؤلفات التي احتوتها وعد الزواج للمازوني ؛ وكان جيوفاني يطيل قراءته لاعتقاده أنه يبنى الأبطال ، فقد بنى روسيني روسي حتى إنه ليحفل في كل عام بتاريخ صدره

وأحضرت لادى شارلوت كتباً في فن الطيران وتدخل السرور على قلب حبيبها إذا فاجأته بها . وينتهي رأس « مثلث المكتبة والمبد » إلى باب صغير يؤدي إلى خندق الرقاد ، وقد جعل هذا الخندق على هيئة بناء سداسي كأنه احبلى خلايا النحل . ولا غرو في ذلك فإن الماشقين طالما تبادلوا فيها لذة الحب ، وهي أحلى من الشهد . ولا عجب فإن

وكانت جدران البهو مزودة بتصاوير تمثل صيد البر ، فمن طراد بين كلاب سلوقية وغزلان مشردة وبزاة تهاق فوق رؤوس طيأ لتعود إلى صاحبها بالنسيمة الباردة ، إلى مناظر صيد الطيور في برك المياه وسط الحشائش الخضراء ؛ فكان يجيل إلى الجالس في البهو أنه متمتع بصيد البر والبحر ، حتى إذا ماداه رب النار إلى الدخول رأى أمامه وخلفه وعن يمينه وشماله أبواباً تؤدي إلى مختلف الغرف ؛ فمن يمينه غرفة الجالس التي جعلها الماريُّ بيضاوية على شكل حوض البستان وهي تؤدي إلى باب من الحديد المصقول لغرفة الطعام التي جعلت مستديرة على شكل المائدة ، وبينهما حجرة مستطيلة لاتسع لأكثر من خوان الشراب وحوله مقعدان ، وفي جدرانها ينانيس من الفضة إذا حركها الساق سكبت ألواناً من الخمر المتعة التي أوصت بها لادى شارلوت في مصانع إيقوسه وشيانيا وكروم توسكانيا وأفنيون ؛ وقد صنعت تلك الينابيع بحيث تتصل بمخزائن صغيرة تملأ وتستنزف وتتلج من وراء الجدار . ولقاعة الشراب نافذتان تطل إحداها على حديقة القصر ، والأخرى على منظر من ضفاف النيل ، بحيث يرى اللطل الشمس والقمر لدى

الحق أن الذين صوروا زليخا صوراً بارزة وأخرى غير بارزة ، وصوراً ذات ألوان وأخرى ساذجة ، لم يستطيعوا أن يجدوا ما يتفقون به على صنع الكين صوروا لادى شارلوت . ومما يدل طوراً على الذكاء وتارة على التهور السكسوني أن لادى شارلوت اتخذت من جيوفاني يوسف آخر ، فجعلت في تصاويره بجانب صورها في ملابس نفيسة من قبض إلى جلباب ، ومن قفطان إلى عباءة ، وكل ما يجذبه نبي العفة لباساً خلطته شارلوت على حبيها بريشة الرسام ...

وكانت تلك التصاوير ترين خدع النوم ومجلس الشراب وخلوة الحمام . أما غرفة الطعام فكانت مقاعدها من خشب « الأبنوس » المزكّ بالماج وأسلاك الفضة ؛ وكانت جدرانها مزودة بتصاوير يوسف وزليخا يتفكحان ويشان رائحة الأزهار من باقات صفت لنبهما على الخوان ، وصورة أخرى أضافها لادى شارلوت تمثل عقائل المدينة . وهن يقطنن أيديهن !!

وكان السرير في غرفة النوم واطناً رجباً وثيراً يشمر الراقد عليه بأنه قد أسلم جسمه إلى فراش يكاد لرقته ونومته وطراوته وليوته يكون أحضان محبوب مشتاق ، وقد حشيت الوسائد والحشايا بأنجر الريش وأغلاء ، وغلفت الوسائد وما إليها بالحرير الأزرق ، وجعلت للسرير ستور من الخمل « الجزائرى » (١)

(١) هولون الصدا الذي يهوال الناس ، وسط بين الأخضر والأزرق .

شارلوت تصلح ملكة ، ولا يصلح جيوفاني إلا لخدمتها ، وقد جاءها طائراً كما تحلق ذكور النحل في أفق السماء في أثر الملكة يوم الغزل المشهود . فما أغرب المصادفة التي أوحى إلى المهندس بناء تلك الغرفة على تلك الصورة !

ويتهى أحد أضلاع هذه الخلية الانسانية المسولة بغرفة الزينة التي جعلت على شكل عمارة رومانية إلى أن التي تتحلّى فيها « درة » تربت في أصداف غالية ؛ ويتهى أحد الأضلاع المقابلة بخلوة الحمام ، وقد تفننت اللادى شارلوت في تنسيقها وترتيبها بأحواض من الرمر الملون ومواسير من المعدن الأبيض وصرأة من الفضة المصقولة ، وجعلت في أركان الحمام رفوفاً من العاج ذات تعلقات وحالات من المرجان حملتها بأدوات الزينة النادرة المثال ؛ وكانت مرصعات القيشاني الفيروزية تمكس على الحوائط ألواناً بهجة

ولما كان مستر سترينج يرد قد زين غرفة النوم بتصاوير شتى لامرأة العزيز في مختلف الأوضاع ، فتارة ناهضة من فراشها ، وطوراً راقدة وقد أسننت رأسها إلى مصمميها ، فقد صورها في إحدى اللوحات في موقف المنتظر التلهف ترقب موعد يوسف ، وفي أخرى صورة تجمعهما في فراش واحد جعلها زليخا في غيبة يوسف لتفاجئه بها في اليوم الموعد ، وفي الساعة التي كان لها ما بعدها ! وقد شاعت لادى شارلوت أن تجعل لنفسها من زليخا قدوة فلم تترك وضعا من أوضاعها إلا وقلدتها فيه بتصويرها . وفي

أجل شيء في الكون ، والبحر أبهى الألوان
وكلاهما أزرق ؟ ثم بعد فان أولى الهدايا وأعزها
عندي كانت ذات لون أزرق فتفادت بها وصارها
اللون شعارنا ؟ وزادني به تعلقاً أن جيبني يفضلته على
مأعده من الألوان . وفي عرفنا أن الدم الذي
يجري في عروق ملوكنا أزرق اللون !

العاشقانه بين نارين

لم يكن تدمير القصر اليوسفي الذي استقبلت فيه
لادي شارلوت محبوبها جيوفاني دي نافا المهندس
الايطالي الطيار وليد المصادفة ، بل حدث ذلك
التدمير بالنار نتيجة تدمير سابق بعيد النور

فان لادي شارلوت التي أنفقت في تنسيق القصر
وتزيينه وتأنيته وتجميله وتصوير جدرانها وتلوينها
ما أنفقت من مال وصبر ، ولا سياً قاعة الرقاد التي
جعلها آية من آيات الابداع ومعجزة من معجزات
الفن المصري القديم ، وجمعت لها ما جمعت من
أدوات الزينة وثمين الرياش ، وطرزت حواشيتها
بأنواع المحمل والسندس ، وفرشت أركانها بالدرابي
المبشوة ، وجمت أطرافها بالطنافس الغالية ، وحلت
خواطئها بالتصاوير البارزة التي تمثل مناظر العشق
وأوضاع الغرام إلى جانب مجالس الشرب ومواقف
الغزل ، كانت تظن أنها أعدت لليالى حظوتها
بمحبوبها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ؛ وحسبت
أن الدهر قد صفا لها وهادئها ، وأن الأيام عاهدتها
على الهناء وكفت عن التدر بها . ولكن لادي
شارلوت فطنت إلى شيء وغابت عنها أشياء ونسيت

وكان سقف تلك الغرفة شفافاً بحيث يرى الراقد
فيها قبة السماء كما لو كان يقرب الأفلاك وهو لا
يشكاف مجهوداً قل أو أكثر . فكان لزوغ القمر
وتأله في كبد السماء روعة في نفس من يرى أشمته
الفضية تنسكب انسكاب الندير على الترفة ومن فيها
فتنمرها بسيال فضي يتعكس ضياؤه الأبهى على
زرقة الرياش فيكون لذلك منظر من أبدع المناظر
وأبهجها وأقننها

أما غرفة الزينة التي أبدع الصناع زخرفها فقد
جمعت بين الفن القديم والفن الحديث فوضعت في
صدرها منصدة من المرمر المرقق صفت عليه أنواع
من المرمر الرقيق تحوى أطيب العطور وأروعها ،
ومختلف الأدهان والمكاحل وأدوات تنسيق الأظافر
وتطريتها ، وألوان ذهبية وباقوتية لتخضيب البنان ،
وأدوات لتصفيف الشعر وترجيله وما تحتاج إليه
النساء من أسباب التحل والتزين ، كما حوت صواناً
كبيرة للثياب صنع إطاره من خشب القرو ، وركبت
ألواح وجوانبه من البلور المزودج بحيث لا تحتاج
صاحبه للتنقيب عن الثياب في ظلام الأخشاب .
وقد جعلت في خزائن من خشب عطري علبات
من الفضة المبطنه بالقطيفة الزرقاء لصيانة جواهرها
ومصوغاتها ومعظمها من الدراري القيمة والآلىء
النادرة ؛ وكان للياقوت الأزرق والفيروز والبرجد
أكبر نصيب من فصوص الأقراط والخواتم

وكان اللون الأزرق سائداً في كل مكان . وظلما
سئلت لادي شارلوت في ذلك فأجابت : أليست السماء

الذين جعل إحداها وشادة لرأسها والأخرى وقاية لصدرها ، دأب كل عاشق يحتضن مشوقته فهو يريحها ويحرص عليها ، يريحها كما تريح المرضع الجنون طفلها ، ويحرصها من خطر موهوم ، فكأنه يخشى أن تفلت منه في الظلام وهي به جد لاصقة.. ولكنه لم يجرؤ على تخطي مدخل الغرفة الزرقاء لئلا يخالف بذلك رغبتها. فسمع همساً ، فناداه وأدراجه ووضع يده على مسدسه الذي كان لا يفرط في صحبته مطيعاً في ذلك نصيحة والده رينا لذي دي دنافا : « عليك يا بُنى ثلاث نذاراً بها الأخطار : الهندسة والأسلحة والسلاح ، فالأولى للرزق والثانية للاغتراب والثالثة تلقى بها الرجال »

وقد اهتم جيو فاني ابتسامة أليمة عند ما قبض على مسدسه ، وتذكر حكمة أبيه وقال في نفسه : « هانذا أنفذ وصيتك يا أبتاه ! لقد حذرني من ثلاث ثلاث : من الفقر بالعلم ، ومن الغربة بحفظ اللسان ، ومن لقاء الرجال بالسلاح . ولكنك لم تحذرنى من المرأة التي قد تكون سيئاً في كل أولئك »

ولم يكذب ينتهي من هذا الخطر العجيب الذي مر بذنه بأسرع مما يبرق السهم وأمضي ، حتى سمع صوت رجل يتكلم غاطباً لادى شارلوت ، فكادت دقات قلبه تقف فجأة لارعباً من الخطر ، ولكن إشفاقاً على محبوبته التي خيل إليه أنها في برائن الهلاك . فرفع جيو فاني ذلك الستار بأطراف أنامله ، فرأى رجلاً في صورة أعيان السكسون ،

أن من مره زمن ساءته أزمان ، وأن الدهر قل ما يهادن بنير استمداد لمواقع أخرى قد تكون أشد من الأولى وأقربى ، يمدحها ليصلي المخنوعين بأمنه بنار محرقة من جحيمة . وإنها لفي ظلال الهناء ترشف كؤوس الحب مترعة ، في الليلة الرابعة من ليالى غرامها الخالدة وقد أسدل الظلام ذوائبه على سريرها ، وهي تناجي جيو فاني ، تناوله أشهى القبل وتبادله أرق الحديث وأطيبه ، ولسان حاله يقول :

تبت فؤادك في الظلام خريدة

تسقى الضجيع يبارد بسام

وإذا بها تسمع في الغرفة الملاصقة وقع أقدام خافت ؛ وكانت مرهفة السمع شديدة اليقظة حتى في سكرات الغرام فهضت وحاول جيو فاني النهوض ليقبها ، إلى غرفة الزينة التي اختارت لها اللون الأزرق وهو اللون الميوسب منها المفضل لسيهما على سائر الألوان . وكانت اللادى تلبس للنوم قميصاً من الحرير الأزرق وحول عنقها ذلك العقد الذي تلمع جباهه المجموعة من الياقوت الأزرق ، ويتبدل على عنقها البلوري وكتفها الفضيتين شعرها الناعم القسطنطيني فاجتازت الغرفة بخطوات مسرعة وأزاحت يديها الستار الذي يسدل فيفصل بين الغرفتين ، فيسمع جيو فاني من وراءه وسوسة الحلى وخزير الماء الدافئ ويشم رائحة المطر . وبقى جيو فاني في الفراش بهمة في حال غريبة من اللذة والخوف عليها ، وفي انتظار عودتها إلى ذراعيه

« إن وجود لادى شارلوت برنهارت حفيذة دوق مالبرو وسليلة بيت الوردة البيضاء ، صاحبة المغة وربة التقوى وتاج الصون في هذه البقعة المقدسة لن أجل الاشارات إلى هطول البركات ووفور الخيرات ، ولكن التقاليد صريحة في وجوب إقصاء الدين بلحقهم الدنس وتمسهم شوائب الرجز ، لا فرق في هذا بين العبد والأمر ، فأستحلفك يا بنت برنهارت بامم القوة الساوية التي تستمدن منها وجودك الداني لتقولن لى الصدق فيا أنا سائلك عنه : أنت طاهرة أم ملوثة بأدناس ... العاشقين ؟

قال هذا ووقف تجاه النبيلة يمدح فيها بصره ، كأنه يريد أن تصل نظراته إلى أعماق نفسها ، فأحفظها القول وغازها وكسر بالها ، فتبدل شحوبها بجمرة شديدة وغلى دمها في عروقها ، وأسرع نبضها تيممًا لخفقان قلبها ، وطلق نهداها الرمانيان (اللذان لم يخضعا لقانون التضخم والمهبوط بفضل حمة من الحرير الأزرق مصنوعة حسب آخر أزياء باريس) طفق هذان النهدان يصعدان ويهبطان استنكاراً لكلام تأتي أن تتقبله من إنسان كائنًا من كان ، واستنكاراً لاملة لا تليق بكرامتها . واستقر في خلاها أن بعض أعدائها دبر لها مكيدة للوضع من مكانها ، فصوروا لها رجالا على صورة والدها (لورد ريشا نونكل أوف درومدى أند كولوسترم) ليوهوها بتقمص الأرواح واقتنائهم أثرها ليتنصوا عليها حياتها وحبا ، فوطنت النفس على مفاجأة الشيخ بما لم يكن في حسابه من الشجاعة

يشبه شيوخ السيناتو في رومة القديمة ولوردات الانجليز في لندن الحديثة ، وقد بدا في أشمة مشكاة صغيرة تضئ ظلام الغرفة في ثياب تشبه ثياب النساء ، وله وجه ورأس أشبه الأشياء برأس اللادى ووجهها ، وقد تدلت على صدره لحية لم يستن جيوفاى لونها على حقيقته . وكان الرجل على خلاف المألوف في الانجليز ، أميل إلى السمن منه إلى النحافة ؛ وكان يتكلم بصوت خافت ولكنه صوت الرجل الوديع العالم الذى لم يتعود الصخب ، ولكنه صوت من إذا قال فعل ، وإذا أراد نفسن إرادته ؛ وكان أثناء كلامه يدلغ إلى اللادى ثم يعود التهمى ، فإذا دلف حرك رجله على هيئة قوس من دائرة يتوهما ويرسمها بساقيه إذا خطا . ثم يحرق بالنبيلة الانجليزية بعينين ضيقتين ولكنهما براقتان . وكانت اللادى تنصت في رعب تحاول إخفاءه وراء ثوب شفاف من الهدوء . فلم يمدح جيوفاى سبيلا لاستعمال بنفسه حيال هذا الشيخ الجليل الثابت الجنان ، ولا سيما بعد أن سمع كلامه بالانجليزية بالنه الواضوح نقية اللجة ، فأصغى جيوفاى في حال بين اللذة والقلق إلى كأنه منتقلا بمدحقيه اللتين مدتها الرهبة ، من وجه محبوبته الشاحب إلى وجه الشيخ المتهب . كان وجه شارلوت شاحبا ولكنه كان ثابت التقاطيع فلم يمرها ما يمرو الخائفين من رعشة أو اهتزاز أو تقلص في العضلات . وكان الشيخ يتكلم كما لو كان يملئ وصيته الأخيرة قبل ذهابه إلى ساحة القتال . قال الشيخ بصوت يلقى على رفته في النفس الروع :

السؤال . قال : إذا جليت وأندك المائل أمامك فإنما تجاوبين الأرواح ولا أزيد ، وإنى لأمرك أن تبرحى بإشارلوت - ياتريس . روز . بلانش . تيريز - أن تبرحى هذه البقعة المقدسة التى لوثتها أقدار الأحياء قبل أن تندلع النيران فى أركانه ، وتنقص جدرانها ، وتندك حوائطها ، وتتحطم تحفه ، وتغفر مغانيه ، وتهدم دعائمه ، وتحترق أشجاره وأعشابه ، فيصير أخضره يا بساً ، وباسمه عابساً

لقد كان فى مقدورنا أن نزل بك ما نزل دون إنذار كما تمطر السماء بلا إراق وإرعاد ، ولكن بقية باقية من الشفقة ألهمتنا هذا التحذير فجئنا به ، وستعلمين نبأه بعد حين ! فارتاعت لادى شارلوت لهذا الكلام وقالت : هأنذا ماضية فى سبيلى ؟ ثم دنت من الباب فإذا بها تبصر جيوفانى واقفاً مبهوتا مرثعاً ، لأن ما سمعه من قولها ليس من الهنات الهيئات ، إذ كان يعلم أن لادى شارلوت تؤمن بتخلود الأرواح وبسطة نفوذها وقوة بطشها ، وتيقن بأن لبمضها غلبة وقهراً تمنو لها جباه الجبارة ؟ فخشى جيوفانى أن تكون محبوبته قد خرفت بثبات جأشها وقوة حجتها سياج هذه القوة النامضة ، فوضت من قدر الروح الممثل أمامها فى نظر من سمع هذا الحوار بينها وبينه من خاصة الأرواح المتصلة بالمالم الأرضى ، والتى لم ترتب فى مشاركتها فى استطلاع هذا النظر اللبلى العجيب

هل كان جيوفانى حالماً ، أم كان يقظاً ؟ هل كان هازناً ساخرأ ، أم مؤمناً جاداً ؟ ولكنه أيقن (٢)

ورسوخ القدم والقول المقنع ثم أنشأت تتكلم فقالت :

- ليس من عادة الشرفاء أن يخاطبوا من لا تربطهم بهم علاقة ما - دغ عنك أوامير المعرفة الوثيقة - بمثل ما تكلمت به أيها السيد المحترم ، فضلاً عن أن يدخلوا البيوت من غير أبوابها ، أو ينشوا المراقدة فى مثل هذه الساعة من الليل ... أوالصبح ! فان لم تكن أنت ياسيدى قد سمعت صياح اللديك فقد سمعته أنا وملأت نفسى بعد أذى بجميل نعمه ... فخدق الشيخ فيها بعين الارهاب والتهديد ، وتردد وجهه تربداً تغيرت به بهجته ، وتكررت بشاشته ، فأمسكت لادى شارلوت عن الكلام بعد أن ظن جيوفانى أن التلبه لها ، إلا أن هية منظره لم ترعها ، فتجلدت له وأظهرت من ضروب الاستخفاف بتهديده وإرعاده ما جعله يكبر عليه أن يرى لادى شارلوت لاتقيم له وزناً ولا ترعى له حرمة ؟ واحتدمت فى نفسه نار النفيظ وانفجحت بسببه عروق جهته حتى بدا لونها اللازوردى من خلال بشرته الصافية الأديم ؛ إلا أن الشيخ أو الشبح رأى أن يكلف هذا النفيظ ويأخذ بالأناة فى الأمر ، فأعاد السؤال الأول فى صيغة لطيفة الדיباجة ظاهرة المعنى فقال :

« أعيد عليك سؤال الأرواح التى أنا بئنى عنها فى بقعتها هذه : هل جئت إلى هنا تبينى التطهر من الهنس ، أم أنك طاهرة ؟ فأجاب بصوت جهير : سأجوبك على هذا

وبذلت جهوداً جبارة في رومه ، وفي لندن ، وفي
فيرزة ، وفي برمنجهام ، حتى حولت تيار المودة
بينهما من الصداقة إلى المحبة ، ومن التلذذ بالحديث
المذنب والمجلس الأنيق في الثوى الفاخر النعم إلى
الحب العميق والعشق الساحر . ولم يهدى من روعه
علمه بأن لادى شارلوت تكبره بستين فحى في حدود
الأربعين وهو ما زال في السابعة بعد الثلاثين ، كما
أنها بحكم نشأتها وتعليمها ومحيطها ومستواها تفوقه
في الخبرة والتجارب ؛ ولعلها أذكر منه خاطراً
وأسرع إدراكاً وأحضر بديهياً وأوسع اطلاعاً ، فكم
ملكه زارت ، وكم رجل خطير عرفت وعاشرت ،
وكم كتاب قرأت ، وكم معضلة عرضت لها فحلت ،
وح عتك ما ركز في طبيعتها من السكر الحسن ...
والسوى !!

كان جيوفانى رجل حق وصدق ، سليم الفطرة
طيب القلب ، أبغض شيء له الكيد والخداع ؛ وكان
نايقاً في عمله يتقنه ويبرز فيه حتى يذ معاصريه
وقرناه ، ولكنه كان يظلم لشارلوت إذا لاعبها
الشرطي أو نازلها في ميدان التنيس أو سكواش
راكيتس ، كان يفوقها في النطق وتفوقه في السفسة
والطابة ، وقد طارها على جذر إلى أن استبان
إخلاصها ووفاءها . والمرأة إذا أحببت أحلصت
ووفت ، وكلنا الخلتين رهيبتان بحبها ؛ فإذا مات الحب
نضب معين الفضائل التي كان الحب يمددها وينمئها ،
أما الرجل فلا ينسبه غروب شمس حبه شيئاً
من مكارم أخلاقه التي كان يفر بها عيوبه
لمهد الغرام . ولعل شعوره بانتهاء الحب والانحلال
الرابطة الوثيقة التي كانت بينه وبين « أنني » من
جنسه ينبه فيه عواطف الشفقة والحنان والرحمة ،

أنه في صحو وفي يقظة لأنه رآها توى له إغاثة أدرك
معناها ، وكان المهندس الايطالى (جنيور جيوفانى
كما كانت تدعوه صديقه في أوقات دعائها) يخلق
بفكره ساعته في جو الخيال ، فأنبهته الإغاثة من
غفلته ، فأخذ يرشق اللادى شارلوت بنظرات تشف
عمافي فؤاده من الهيام والخوف عليها . فأيقن الشيخ
أن بين الاثنين سرّاً لا يفسره إلا ارتباط قلبيهما
برباط الحب الوثيق ، فارتد غيضاً وصوتاً باللادى
شارلوت أن تقف وأن تصنى إليه ، ففعلت ناظرة
إليه بعين المستفهم عن سبب استرجاعها إياها وهي
ماضية في طريقها إلى مخرج من حضرته كما أمرها
وطالما سأل جيوفانى نفسه بعد ذلك هل كانت
تنوى العود إلى أحضانها في فراشها ، أم تنوى تغيير
قيص الليل بشباب النهار لتفادى ذلك القصر الذي
وصفه الشبح الإنجليزي بأنه « بقعة مقدسة » ؟
وطالما علل نفسه بسؤالها بعد جوازها تلك العقبة
وتخطيها هذه المحنة التي قصر أمدها وطال ألمها .
ولكن الفرصة لم تسنح له ليلق على محبوبته هذا
السؤال ، دأب العشاق الذين يشغلون بحبهم عن
أنفسهم وعن غير أنفسهم

قلت : ظل الشيخ حينما انكفأت اللادى
شارلوت إلى غرفتها يشيخها بنظره فيصر بها فقال :
« أنت تظاهرين الأرواح بالمداومة والتمدى ! »
والتبادر إلى الفهم أنه لم يكن لك هذه الغواية ويتركك
في هذه العماية إلا حليف لك هو الآن بمراى منا
ومسمع ، ونظر صوب جيوفانى فارتعدت فرائصه
وخارت قواه ، لا جبناً ولا وهناً ولكن رهبة من
هبة الشيخ الوقور . ولم ينفعه علمه بأن لادى
شارلوت هي التي أحبته واستنوته واستدرجته

« لهذا أبذرك أيتها البعيلة (وهنا قال جيو فاني عجباً لهؤلاء الأنجليز ، حتى أشباحهم لا تنسى آداب الحديث في أخرج المواقف) الجامعة في الضلالة بأن الأرواح لا تتجاوز عن ذنبك إلا إذا رجعت إليهم بحسن التوبة » ثم صعد نظره في جيو فاني وأوماً إليه بسبائه قائلاً ، ولكنه قبل أن يتمكن من النطق بحرف واحد بادره جيو فاني بكلمة قاطمة :

« أيها الشيخ الجليل أو الشبح المضيء أرواح الخلاله ، وسامحني إذا لم أعرف كنهك لأخاطبك باسمك وألقابك ، دع عنك بالله تأنيبي واهدنا أولاً إلى مقر الأنسة دوى برنهارت ، فهي التي بسببها جئنا إلى هذا المكان ، وزحنا إلى تلك البقعة التي تصفها بالقداسة ، فأنت تعلم أنها مفقودة وأن أمها جاءت تبحث عنها ؛ فإن كنت جدنا وهي حفيدتك فأنت أولى الناس بالإرشاد إلى مستقرها .

الفتاة المفقودة

وقد كان سؤال جيو فاني في صميم العاطفة ، وصدى للوعة الأم التي قصدت إلى ضفاف النيل لتبحث عن عشيقتها فقدت لبنتها . وكان جيو فاني يلتمس عذر الطيران في السماء الصافية بحجة البحث عن المذراء الغائبة

فمنذ ما جبه جيو فاني الشيخ الجليل أو شبح لورد كولوسترم ، والد لادى شارلوت بالسؤال عن (دوى) مستقرها ومثواها ولمح له من طرف خفي أن الاستدلال على الفتاة المفقودة خير من الظهور للأم في سماء والد حملت ، وتقريها قبيل الفجر على أمور لم تعرف كنهها ولم تقف على مدى خطاها فيها ؛ وطن جيو فاني أنه بهذا التوجيه الكيس قد صدّ تيار

ولو أنت المرأة التي كان يحبها أهلته ولم تعرق له عواطفه بغيرتها وغيظها لرأت منه فوق ما عودها من الرأفة والشفقة ، ولكن المرأة ، ولا سيما إذا كانت ذكية الفؤاد ذات حساسية ، تجمل من القطيعة مسألة نفسانية ذات علاقة بالكرامة ، فلا تقبل من « قطيعها » من الأيادي ما كان يسدى إليها سابقاً ، وتفضل أن تجوع وتمرى على أن تتلقى معروفه وجماله . على أنها في ذلك لا تتبع إلا خطة ثابتة في نفسها ، إذ يسندر أن تلقى بالإحسان من كانت تحب ، بل تفر لدى لقائه وقد تشكر له ، ولا ينفع معها التذكير والتفكير ، ولا يهمها أن تعود بخاطرها إلى ما كان بينهما من أيام الهناء وليالي القرب الأدنى .

ويخطئ من يولمها أو يحقد عليها ، فعندما تملقها بحريتها وبفضها الخضوع لسلطان رجل كان بالأمس سيدها بحكم الحب ، وخلمت اليوم نيره رغبة أو سرغمة ، فهي تنتظر أن تلقى سواء وتلق به وتجبه فهي تمد قلبها للإيجار أو للبيع فتفعل ما يفعل المالك عند « خلو » داره من ساكن من غسل ومسح ورش وكس وتبيض وتلوين وتعليق لوحة للإيجار ... ولا تقل المرأة « الخائبة » عن المالك غيرة على استئثار « البيت الخالي » ، فإن طاف بالسكن الجديد حسناً ومعتزلاً ومبالغاً في قيمة الدار وزينة الغرف وجمال الوضع وتنسيق البهو وحسن الشرفات فهي الأخرى لا تنفي في إظهار محاسنها الظاهرة والخفية بشق الوسائل حتى تقنع الرغب أو الرغوب فيه بالسكنى

كل هذه الخواطر مرّت يذهن جيو فاني في تلك اللحظة الرهيبة وهو يصني إلى صوت الشيخ وهو يكمل حديثه :

نفسه مما عزاه الشيخ إليه ، وخشيت أن تسبق منه كلمة تخشى عاقبتها أو تزل قدمه في عثرة يسر عليه النهوض منها ، فتقدمت نحو الشيخ واجتدرته بقولها :

إنني وحدي الجانية على نفسي بما تعمده من الدخول في هذه المآزق ولا يد لهذا البريء الذليل من كل ذنب ، الطاهر النفس من كل عيب ، فيا اجترحته من الأخطاء

فقال الشيخ : أنتبرين لتبرئته وأنت تملين مقدار مشاركتك في غلطك ؟

قالت : كلا بل إنه أكثر من نصحي أن أتجنب الخطأ فلم تبلغني عقظه ، وزجرني فلم يعمل الزجر في نفسي ، فأقلني من عثرتي وامح ما بي من الدنس الذي أصابني

والذي يعرف أخلاق لادى شارلوت يعلم علم اليقين أنها لم تكن جادة في قولها ، وإنما كانت تمالي الشيخ لتنقذ محبوبها من قوارع كله وزواجر تأنيبه وتعنيفه ، ولتكسب وقتاً تبادله فيه وحبيبها المشورة والفتوى لملهما يقفان على حقيقة هذا الشيخ : أهو جزء من ميكيدة مدبرة أم ظاهرة روحية عميقة السر غامضة المعنى ؟

ولم تم اللادى شارلوت هذه الكلمة حتى تجهض وجه الشيخ وأريد وقال لها : معا تبطين من السكر والحيلة نخط به فوراً ، وما أراك إلا منتحلة تلك المذلة حتى ينجو صاحبك من سخطي

قال هذا ثم توارى عن الأنظار . أما جيوفاني فكان لا يزال مشرد الفكر وقد لبث في مكانه كمن أخذته الصيحة حتى طرق سمعه رنين الطبل النحاسي المؤذن بصلاة الصباح كما هي تقاليد القصر التي رسمتها

الغضب في نفس الشيخ الغيور على طهر كرمته ... ولكن جيوفاني أخطأ في الحساب ، فلم يكن في نفس الشيخ منفذ للرضا أو تأدية واجب لحفيده قبل أن يتخذ روح أمها من الجحيم الخيالي الذي توهما سائرة إليه بغير مرور بالأعراف ...

فان جيوفاني لم يلبث أن ألقى السؤال الخاص بدولي حتى أجابه الشيخ :

إن صح في عرفك أن تمثل دور المشفق على حفيدي ، فلم يصح بعد في شرعة الحق أن أقلب عرافاً أو منجماً ، لأن دولي لم يخطفها أحد طمعاً في جمالها كما حسنت ، بل عقاباً وقتياً لأمرها على انحرافها عن محجة الصواب وعدولها ولو إلى حين عن جادة الاستقامة ، والتستر ، خصوصاً التستر الفروض على كل سكسوني وسكسونية . أما أنت أيها المهندس الذي تمادى في البهتان وخضع لوساوس ابليس فمبكاً تطمح إلى استدرار غيوث المكارم الروحانية والفوز بالمغفرة العليا ، فقد أسررت على المغالاة في حب اللادى ونكثت عهد الزواج ، وحثت في الايمان ؛ ومع أن آلهة قومك قد أجزلت لك المواهب وأغدقت عليك المطاء من ذكاء متوقد ،

وخطر سريع ، وإقدام نادر المثال ، فسوف نعاقبك بالجرمان من عشقك ونفريق بينك وبين تلك التي تدعوها بمعبودتك ونوردك موارد الجحيم ... على الأقل ، تلك الجحيم التي اصطنعها جدكم الأعلى ... دانتي الليجييري ... وأما هذا القصر وهذه الرياش والمخادع الفاجرة فستمل نيلها بعد حين

فالتفت لادى شارلوت إلى جيوفاني وكان واقفاً تجاهها فراه ساكن الجأش مطمئن النفس . وقد أخذ يتقدم نحوها بقدم ثابتة ففهمت أنه يعني تبرئة

أبهاؤه وغرفته ما علم ، وإن لم يقف على تفصيل وصفه
 فقد وقعت لنا صور زيتية وأخرى شمسية تمثل معاله
 وأطلاله ، كما وقفنا على نبد وجيزة وأخرى مسببة في
 وصفه دونت ببعض صحف التاريخ الحديث وروايات
 أسفار السائحين الذين سمعوا إليه وساعدتهم الخط بدخوله
 والتنقل بين غرفه قبل أن تمتلكه لادى شارلوت
 لتستقبل فيه حبيبها جيوفاني . فاستخلصنا من تلك
 المصادر وصفاً صادقاً وإن يكن غير بالغ شأو
 حقيقته فما راء كن قرأ أو سمع

« كان السائر على شاطئ النيل بمقربة من الدير
 البحري الذي شادته الملكة المسترجلة جاتشبسوت
 يرى بناء صغيراً يكاد يكون كالأمير المتخفي »

محمد لطفي محمد

لادى شارلوت منذ احتلته هي وصاحبها ... صلاة
 الصباح ولكنها لم تكن صلاة الصباح بل كان إنذار
 اللهب الذي اندلع في أحيات القصر في لحظة واحدة ،
 وصفير النار التي اشتعلت في الأثاث والرياش ، وتحقيق
 الوعيد الذي جاء على لسان الشيخ الذي قال إن النار
 المحرقة تطهر كل شيء حتى القلوب التي في الصدور !

وكان الشيخ العربي يقص قصته الخلابية ونفسى
 ساجبة في عالم الأحلام ، فكنت أغمض عيني لأتحيل
 الحقيقة التي يرويها . فإذا ما فتحت عيني رأيته في
 مجلسه وسمعته يقول :

« أما القصر الذي طالما قرأ القارىء اسمه ،
 وعلم من أنباء الحوادث التي جرت بها الأقدار في

الكستور المصرى هدية الموسم

حديث المجالس . والأوساط التجارية . ناعم الملمس . متين المحبر .

ثابت الصبغة . متعدد النقوش . معتدل السعر

صنع شركة مصر للغزل والنسيج بالحلقة الكبرى

أكبر وأحسن مجموعة يخرجها مصنع الشركة بالحلقة الكبرى خصيصاً

لشركة بيع المصنوعات المصرية وفروعها

غَادَةُ الْبَحْرِ

مَسْرُوحَةٌ لِلْكَاتِبِ الْعَالِمِ الزَّوْجِيِّ أَبْسِنَ
بِقَتْلِهِ الْأُسْتَاذَ خَلِيلَ هِنْدَاوِي

أليدا — (متضرعة)
لا تطلب إلى الرحيل !
لا تنفري هكذا !
(يسع من بعد قرع
ناقوس السفينة)
الغريب — هذه
القرعة الأولى . الآن
يجب أن تقول : نعم
أو لا

مشهد منها

« أليدا هي امرأة الطبيب (فانجيل) تبدو عليها مخايل
السعادة . كانت في قوتها خطيبة ربات سفينة من
سفن النمل . ولكنه لحاقه توارى ونسيه « أليدا »
وتزوجت « فانجيل » ولكن الريان ظهر وأتى
(أليدا) يطلب إليها أن تتي بوعدها . فمرها اضطراب
وأدركت أن حياتها الحاضرة قائمة على الكذب .
فطلبت إلى « فانجيل » أن يفصل عنها لكي ينسى
لها أن تختار بملء حرمتها أحدها . وهذا المشهد يمثل
« الريان » فادماً يلقي الجواب الهائل »

أليدا — (باسطة ذراعها) أأقرر مصير حياتي
كلها ؟
الغريب — نعم : تقريراً لا يُرد ؛ بعد نصف
ساعة يجيء متأخراً لا نفع وراءه
أليدا — (ناظرة إليه) ولماذا تتمسك بي هذا
التمسك الثابت ؟
الغريب — ألا تشعرين مثلي بأن واحداً يخص
الأخر

أليدا — أبسبب الوعد ؟
الغريب — الوعد لا تقيد أحداً ، لا رجلاً
ولا امرأة ، فإذا تمسكت بك بقوة فذلك لأنني
لا أستطيع أن أعمل غير هذا .
أليدا — (باضطراب وارتياح) ولماذا لم تجيء
بأكراً ؟

فانجيل — أليدا ...
أليدا — (ذاهلة) آه ! إن الذي يغوي
ويذهل النفس ويدفع بها نحو المجهول ، هو هذا :
البحر

(يخطئ الغريب سياج الحديقة)
أليدا — (عادية وراء فانجيل) ما ذا تحمل ؟
ماذا تريد ؟

(يصل الرجل الغريب من الشمال ويقف على
الطريق خارج سياج الحديقة)

الغريب — (مسلماً) عى مساء ، هأنذا قد
جئت يا أليدا !

أليدا — أجل ! دقت الساعة الآن

الغريب — وهل أنت متأهبة للرحيل ؟

فانجيل — ولكنك ترى أنها لم تأهب له

الغريب — إنني قلق ، لا بسبب رداء سفرها ،
ولا لأنها أعبت أمتعتها أو لم تمد ، فإن عندي كل
ما يجب في الأسفار . وقد أعددت لها حجرة خاصة ..
(لأليدا) إنني أسألك هل تأهب للحاق بي بمحض
إرادتك !

فانجيل — (مألاً) إنني أراه جيداً يا أليدا ...
إنك تفرين مني شيئاً فشيئاً . إن رغبة الانهائية والمثل
الأعلى الذي لا يتحقق سينتهيان بإلقاء نفسك في
أطواء الليل العميق

أليدا — نعم نعم ! أحسن أن أجنحة سوداء
صامتة تخفى فوق

فانجيل — لا ينبغي أن تصل إلى هناك . ليس
لك إلا سلام واحد . لذلك فسخت زواجنا .
فاختاري طريقك بملء حريتك

أليدا — (تنتظر لحظة بهمة عميقة) أحقاً
ما تقول ؟ أصدقاً ما تذكر ؟ أنت تقرر هذا من قلبك ؟
فانجيل — أجل ! من كل قلبي البائس المزعج
أليدا — ألك قدرة عليه ؟ أستطيعه ؟

فانجيل — أجل ! أستطيعه ... أقدر عليه
بسبب حبي إليك

أليدا — (بصوت منخفض مرتمش) ألي مثل
هذا المكان في قلبك ؟

فانجيل — ألم نمش معاً مدة أعوام ؟
أليدا — (ضامة يدها) وأنا التي لم أفهم أبداً

هذا الرجل
فانجيل — كانت أفكارك من قبل مغيرة لأفكارك

الآن . وقد انطلقت من نفسك ومن نفسي . لأن
حياتك الحقيقية تستطيع أن تجد طريقها الحقيقي

وتسلكه . الآن تقدرين أن تختاري بكل حرية
أليدا — (أخذت رأسها بيديها ونظرة إلى فانجيل)

بكل حرية ! ... وبكل رغبتني وإرادتي ... أي
تغير هذا ؟

(يصرع نافوس السفينة ثانية)
الغريب — أو تسمعين يا أليدا ! هذه القرعة

الغريب — أليدا ... إنني أنظره ، إنني أسمع ،
هو كما حدثني عنه ...

بلى ! على الرغم من كل شيء سأكون أنا الذي
يقع اختيارك عليه

فانجيل — (ذاهباً نحوه) ليس لاهرائتي أي
اختيار ... أنا هنا لست بالرجل الذي اختارته بحسب ،
وإنما أنا رجلاً وراعياً . أجل ! أنا رجلاً وراعياً !
فإنما لم تنصرف حالاً إلى غير رجعة لا تدرك أي
مازق تسقط فيه

أليدا — فانجيل ! فانجيل ! ماذا تريد أن تفعل ؟
الغريب — نعم ! ماذا تفعل ؟

فانجيل — أقبض عليك كعجرم ... الآن
قبل أن تعود إلى البحر . إنني أعلم من قتل
(سجنوا ليمان)

أليدا — أوه ! فانجيل . كيف تستطيع ؟
الغريب — ذلك ما كنت أنتظره ، (ساحباً سدسه

من جيبه) وقد تجهزت لهذا الغرض
أليدا — (طارحة نفسها أمام فانجيل) لا لا ...

لا تقتله ، أقتلي أنا
الغريب — لا أنت ولا هو . كوني هادئة .

هذا لا ينفع أحداً غيري يمشي ويموت رجلاً حراً
أليدا — (بنهول) فانجيل ! دعني أكلك

أمامه ... إنك تريد وتقدر على حبسني في هذا المكان
لأنك تملك على القوة والوسيلة الشرعية ، ولكن

نفسى وأفكارى ... وكل أهوائى ، وكل رغائى المتوقدة
لا تستطيع أن تقيدها ولا أن تجدها . إنها كلها تفتش

عن ذلك السر وتبته ، عن ذلك المجهول الكبير
الذى خلقت من أجله ، والذى أغلقت أفقه وحجبته عني

الأولى المنذرة بالرحيل . تعالى ...

أليدا — (تلتفت إليه وتنتظره وهو يهول بصوت متهدج)
لن أتبعك بعد اليوم

الغريب - ألا تريد أن تتبعيني؟

أليدا — (مقتربة من فانجيل) إني لن أتركك
بعد حديثك هذا !

فانجيل — أليدا ... أليدا ...

الغریب — هل انتہی کل شیء؟

أليدا - نعم انتهى كل شيء إلى الأبد

الغريب — إنني أرى ... إن هنا شيئاً هو
أشد وأقوى من إرادتي

أليدا - ليس لإرادتك سلطان على . أنت .
عندي الآن رجل هالك عاد من البحر ، وسيعود إليه .

أصبحت لا أخشاك أبداً. ولن تستطيع إغوائى بمد
الفريب — وداعاً أيها السيد ! (تخطي السياج)

على أنك لن تكوني في حياتي إلا ذكرى: ذكرى
شخص غريق. (يخرج من المبال)

فانجيل - (ناظرًا إليه) أليدا! أليدا! إن
نفسك كالبحر. لها من البحر مده وجزره. من أين
دخل على نفسك هذا التغير؟

أليدا - انك لا تفهم ان التغيير قد صار ،
بل يجب أن يصير بقوة منذ تركت لي حرية العمل
فانجيل - وهذا المثل الأعلى ! وهذا المجهول
الغني الذي يجذبك نحوه ؟

أليدا - انه لا يجذبني ولا يروعي . انني أملك
القدرة على التأمل فيه ، والحرية في نقله على وجهه
والإحاطة به . ولذلك استطعت أن أنكره وأجده

فانجيل — بدأت الآن أفهمك ... أفكارك وعواطفك هي كالتماز ورموز . والذي يجذبك نحو البحر ، الذي يجذبك نحو هذا ... نحو هذا الشيء الغريب ، هو حاجتك إلى الحرية التي تبتغى فيك وتتمنى في نفسك

أليدا - لا أعلم ! ولكنك كنت طبيبى الماهر .
جروئت على أن تستعمل العلاج الحقيقى والوسيلة
الناجعة التى أنقذتني

فانجيل - نم ... نحن الأطباء قد نضحي في
الممالك الكبيرة بالكل من أجل الكل. وهكذا
تبقين لي يا أليدا

أليدا - نعم يا حبيبي ! يا فانبجل الأمين ! الآن
 أنا لك ، الآن أقدر على ذلك ، لأنني عدتُ إليك
 بكل حرية ، كأني كائن ضامنٌ ما يعمل
 خليل هندراوي

الحكم في مباراة الأقصوة

اجتمعت لجنة التحكيم في مباراة الأقصوصة التي اقترحها مجلة الرواية وجملت للفائز فيها جائزة قدرها خمسة عشر جنها ، يوم الأحد الماضي مؤلفة من حضرات الأساتذة : محمد فريد أبو حديد ، توفيق الحكيم ، إبراهيم عبد القادر المازني ، محمود تيمور ، ثم صاحب هذه المجلة ، ونظرت فيما يجمع من الأفاضل للتسابقة ، ثم قررت النظام الذي يتبعه في قراءتها وغضها . وستجتمع مرات أخرى متوالية حتى يصدر حكمها فنشره في الرواية والرسالة وبعض الصحف .

يجبك عنى ! » فقالت
الفتاة: « لاضير، فلنلتخذ
مكاناً هادئاً فى القطار
قبل أن يتدفق إليه
الناس.. » ثم جذبته
وهمسوا: « إن واحدًا
لا يستطيع أن يتعرفنا
الآن . أنا الآن مع
كلارا وزوجها فى

الخريف والزرقاء

للكاتبة الفرنسية بروسير ميرييه
بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب

طريقنا إلى الريف — كما يظن الجميع — وسأعود
عند ظهر البلد ؟ أهملت ؟ إنه لن يتطرق اليها الشك
أبدأ ، ثم ... ثم إذا سئلنا عن أمانتنا فى الفندق ؟
قال الفتى : « السيد دورو والسيدة زوجة » قالت :
« لا ، لا ، لقد كان هذا اسم حذاء هناك ! » قال :
« السيد ديموند والسيدة زوجة » قالت : « لا بأس ،
لا بأس ! »

ودق الجرس ، بعد أن أصابا مكاناً خالياً كأنهما
كان مهيأ لهما بخاصة ، فصاحا معاً « إننا الآن فى
خلوة ! » غير أن السرور الذى أفهم قلبهما حين
وجدتا نفسيهما وحيدتين لم يستقر إلا ريثما يفرغه
رجل فى الخمسين من سنه عمره فى ملابس سوداء
قائمة تبدو عليه سمات الحزن والجد وأثر النعمة وهو
يذلف إليهما فى هدوء ويلقى بنفسه فى زاوية بارئتهما..
وانطلق القطار . وانتحى الشاب وصاحبه ناحية
ثم راحا يتهامسان باللغة الإنجليزية فى حذر . فنظر
إليهما الرجل برهة ثم قال فى لسان إنجليزى فصيح :
« سيدى ، إن كان لديك من الحديث ما تشفق أن
أسمعه فلا تقله بالإنجليزية لأننى إنجليزى النشأة
والزنى ؛ ولشد ما يؤلى أن أعجبك أو أقطع عليك
حديثك ، ولكنك بالرغم منى ما فعلت ، فى المرة
(٣)

أخذ الفتى بذرع فناء المحطة مقبلاً مدبراً تبدو
عليه سمات الاضطراب والقلق ، وهو يجهد أن يخفى
معالم وجهه ، فهو قد أرخى طرف قميصه على جبهته ،
ووضع نظارة زرقاء على عينيه ، ولف حول عنقه
منديلاً كبيراً ، وفى يمينه منديل يرفعه إلى أنفه بين
الحين والحين ، وقد حمل فى يسراه حقيبة صغيرة فيها
بعض متاعه ... وهو ينطلق إلى باب المحطة بين الفينة
والفينة يستطلع خبراً ، ثم يتقلب فى لهفة يحدق فى
الساعة الكبرى ... لم يكن القطار ليبرح إلا بعد
ساعة ، ولكنه كان يخشى أمراً .

وابتدأ السّفْر يند زمرأ زمراً والفتى يفرع
لراكم ويمس كأن قلبه يتخلع ؛ ثم هو يشمر بالعدة
تسرى فى مفاصله ، والسككلا يسير عليه ، فرفقا وخوفاً
وانتظر فظال به الانتظار ... ثم طلعت عليه
فتاة فى لباس أسود وتقاب أسود كثيف يغطى
معارفها ، وخطواتها تبدو عن بعض جلالها وشبابها
وفى يمينها حقيبة من الجلد صغيرة . وتلاقيا ...
ولبثا حيناً صامتتين ، يبدأ فى يد ، وعليهما أثر الإعياء
والبهر ؛ ثم اندفعت الفتاة تتحدث : « ليو ! ما كنت
لأستطيع أن أتيبك وأنت فى نظارتك هذه ! »
قال ليو : « وأنا ، لقد كدت أنترك وهذا النقاب

كأنه لغة الهوى الصامتة . وفي الحق لقد سعى الفتى جهده زماناً ليظفر بالتي أحب ، غير أن عوائق حمة حالت بينه وبين أن يكون زوجها لها .
وبلغ القطار (ن ...) قفقر الرجل الإنجليزي مسرعاً إلى الرصيف وخلف ليو يساعد فتاته . ووثب فتى الإنجليزي من العربة الثانية واشتد في إثر الرجل الإنجليزي وهو يتناديه : « أى عمى ، أى عمى ! » فأجابه الرجل في قسوة وغلظة : « دعنى وحيداً ! » فصاح به الشاب : « لا تبذر فى غراس اليأس ! » فالتفت إليه المم ثم ألتي بحقيته عند قدى ليو وهو يقول : « أرجو أن تحفظ متاعى ! » ثم سحب الشاب إليه يجره إلى ناحيته ، وانطلق يحده في رفق ثم ناوله بعض الأوراق المالية فاندفع الشاب لابلوى على شيء ...

وتلاقى الجميع — بعد حين — في فندق القرية ، وجا صاحب الفندق ليو وصاحبه ببحر الغرفات عطفاً منه على الفتاة — عادة تعودها الفرنسيون فاجيحدون عنها ، تنبي عن بعض ما فيهم من أدب وطرف — ودخلا معاً الغرفة الزرقاء ، وقد لصق بها هذا الاسم منذ سنوات وسنوات لأن كرسين كبيرين على جانبي الدفأة قد كسبا بالخل الأزرق ... ودخلا الغرفة فألقيا فيها — سوى الكرسين — سريراً من خشب الجوز ، وسائر من قماش ذى ألوان جميلة ، ووجدوا جدران الغرفة منقطعة بورق جميل زين برسوم مختلفة وصور أنيقة ، امتدت إليها أيدي الزلاء باللبث حيناً وبالتشويه حيناً آخر ، فطمست كثيراً من رواثها وبهجتها وحامت خادماة الفندق حول الفتاة ، يبدلن

الأخرى رجل يضيّق بمرآة صدرى لأننى أستشعر فيه اليهودية ، ثم إنى قد وطلت نفسى على ألا أسافر مع رجل واحد في عربة واحدة ! » ثم توسد حقيته وهو يقول : « سأنام ، وإن لم أستطع فسأقرأ » وحاول الرجل عبثاً أن ينام ، فأخذ يفتش عن كتاب في حقيته ، وحين فتحتها بدا ما فيها من تشمت واضطراب ، وأعجز الرجل أن يجد كتابه ونظارته دون أن يلقى يعض ما في الحقيبة جانباً ؛ ثم تناول من بين متاعه حزمة ضخمة من الأوراق المالية الإنجليزية وهزها أمام الشاب وهو يقول : « أفأستطيع أن أستبدل بهذه ورقاً فرنسياً في (ن ...) ؟ » قال الشاب : « قد تستطيع ، فهذه قرية في الطريق إلى إنجلترا ! »

واضطرب الشاب لأنه هو سبهط هذه القرية في حجة فتاته ليختلسا من الدهر فترة نعيم يتنوقان فيها لذة الهوى المحض ، ويرشقان من رحيق الحياة قطرة صافية حلوة ، ثم لا تمتد يده إلى الثمرة المحرمة ؛ ثم هو أوجس في نفسه خيفة من هذا الرجل الغريب فما في (ن ...) سوى فندق واحد صغير . لقد اختلف ليو إلى هذه القرية مرات ومرات وأعجبه ما فيها من جمال وهدوء ، وجذب إليها ما رأى من روعة وجلال ، فانطلق إليها هو وفتاته يستمتعان بجمال الطبيعة وسعادة الحب . والآن ... الآن حين تصحهما هذا الرفيق الثقيل اضطرب الشاب وفزع وسلبته خواطره بعض ما يستشعر في نفسه من لذة وطرب ...

ما يزال القطار في طريقه والرجل الإنجليزي متسكب على كتابه ، وقد شغله عن كل ما حوله ، والحيطان يتحدثان حديث القلب في صوت خافت

فانطلق إلى صاحب الفندق يوحى إليه بأمر، وانطلق هذا إلى الجند يتلطف في الحديث ويطلب إليهم أن ينزعوا عنهم بعض فخبيجهم لأن عروساً مريضاً تسكن الحجرة المجاورة؛ ودوت الأسوات في أرجاء المكان: «يجب أن تأتى لنشرب نخب سمحها!» لشد ما أزعج ليو أن يسمع أصواتهم المنكرة تملو طالبة أمراً. وتراى له أنهم سيندفعون في غير هودة ولا لين يستلبونه من فتاته وهو وحده لا يستطيع أن يكسر شرهم ولا أن ينبلهم على أمرهم... ولكن صوتاً أجش ارتفع من أقصى المكان يأمر الجميع بالصمت في صرامة وشدة، فأطاعوا، واطمان ليو وصاحبه وراحا يتحدثان حديث الهوى

وأخذ الجند يتصدعون — عند نصف الليل — وهم يصيحون لدى باب الغرفة الزرقاء: «عمى مساء أيها المروس الجميلة!» وخرج على أثرهم الرجل الإنجليزي بنادى: «زجاجة أخرى، أيها النادل!» ثم أتى السكون سجوفه على الفندق، فأطل ليو وصاحبه من النافذة يستمتعان بالليل الهادئ الجميل ويستروحان نسائه الندية، وأبصارهما شاخصة إلى أشعة القمر المنبثة بين أشجار الحديقة تكسبها رونقاً وجماء... وخيل إلى ليو أنه يرى ابن أخ الرجل الإنجليزي يضرب في أنحاء الحديقة حين رأى رجلاً يسير الهوينى مطرق الرأس يدخن سيجارة في هدوء ثم ارتدأ يردان النوم...

وجلسا يتحدثان والشعلة بازأهما على الدفأة يضطرب ضوءها ويخج وريداً وريداً، ثم جفها

جهدهن في إرضائها والعناية بها، وليو في الطهي يطلب المشاء. وتراى إلى مسميه أن فرسان الفرقة الثالثة سيتناولون غداءهم في حجرة الطعام الكبرى فارتاع واشتد به الأسى إذ يعلم أنهم لن يخففوا من هرجهم وخبيجهم حتى نصف الليل، وصاحب الفندق يهدى من روعه ويقسم أنهم على جانب من الأدب والحياء...

وراع الفتى أن يجد حجرة بين حجرة الطعام الكبرى وحجرة الرجل الإنجليزي الذى أفزعته مرأه منذ حين... ثم رأى الإنجليزي يتحصى الخمر ويحرق في ساء الحجرة في صمت وذهول. ستلمب الخمر برءوس الجند من ناحية، وستمب بلب الرجل من ناحية أخرى، وهو بينهما لا يطمئن ولا يهدأ. واضطربت الأفكار في رأسه وتبلبل خاطره حين رأى في حجرة أبواباً ثلاثة: واحداً بينه وبين الطعام، والثانى بينه وبين حجرة الرجل الإنجليزي، والثالث إلى المشى. ماذا يفعل وقد قذفت به يد القدر إلى حيث لا يستقر وهو يريد الخلوة والهدوء؟ لقد أوثق رتاج باين وجلس إلى فتاته...

واستشعر الفتى اللذة والسعادة وهو إلى جانب فتاته يتناجها ويثبها بعض ما يختلج في فؤاده في غير حذر ولا خوف. أليسطيع الفتى أن يقول لنفسه: «أنا سعيد الآن!» وإذا قالها، أفيرى ما يضره له الغيب وقد نظر إليهما الشيطان اللعين بعينين فيها السخرية والهرؤ، وهما يتناولان طعامهما في دعة وطمأنينة، ومن حولهما صخب الجند ولجهم؟ ويل للإنسان من الشيطان! فهو دائماً يمزج رحيق السعادة بصاب الأسى والألم! وأراد الشاب أن يجد لفتاته الراحة والهدوء

السائل ؛ فقد قلبه دقات عنيفة ، وأراد أن يبرح مكانه ليرى ... ولكنه لا يستطيع أن يفرغ فتاته وهي قد ألقت برأسها على كتفه

لقد هم ليو أن يندفع إلى حجرة الرجل الإنجليزي حين سمع الصوت لأول مرة ، ثم حين خشية أن يصبح فريسة لجنون القاتل ، ثم رفع يده يريد أن يضبط على الجرس يبنه صاحب الفندق إلى الخطر ، غير أنه سحبها في رفق حين تراءى له أنه سيزج بنفسه وفتاته بين أيدي الشرطة والنيابة .. والمحكمة يسألونه : من أنت ومن تكون هذه الفتاة ؟ ويلحون في السؤال ... فتكون الفضيحة . وماذا يضيره إن هو أغضى ليقى على نفسه وعلى فتاته ؟ وتعلقت عينا الفتى بالشظية والسائل الأحمر ، وذهل عن نفسه حيناً ثم بدت أول ساعة من النهار خفيفة مبروعة فيها الفضيحة والمار . ثم أضاء له بصيص من نور الأمل ، فقال لنفسه يحدسها : « لا بد أن نبرح عند الفجر قبل أن يُكشف عن الأمر » واطمان إلى الفكرة ثم أخذ يبحث عن ميعاد أول قطار ينادر (ن ...) في الصباح الباكر ، فأفرجه أن يكون أول قطار هو قطار الساعة الثامنة صباحاً . أفيطمئن هو إلى أن واحداً لن يدخل حجرة الرجل الإنجليزي قبل الثامنة ؟

وأراد أن يتمد قليلاً عن فتاته لينشر الأمر أمام عينيه في خلوة أو شبه خلوة ، فسحب ذراعه في رفق ولكن الفتاة استيقظت . وارتفعت أن وجدت صاحبها يرجف وقد جمد الدم في عروقه ، وبردت أطرافه ، وقالت وهي تضمه إليها في شغف : « ماذا ، ماذا كان ؟ » قال في صوت خافت مضطرب

عن أخيلتهما أن سما كأن جسماً ثقيلاً ينهد في حجرة الرجل الإنجليزي ، وكأن النضد يتقلب ... ثم سما أمة عميقة وأنيباً ووعيداً . وسيطر الفزع على الحبيبين ، ولكن الفتى راح يخفف عن فتاته بعض ما أخافها قائلاً : « لعل هذا الإنجليزي يحمل » غير أن الملع كاد يعضف بما بقي فيه من شجاعة حين خيل إليه أن باب حجرة الرجل الإنجليزي يصير صريراً خافتاً ، وأن رجلاً ينسل في حذر خشية أن يشمر به أحد ، فهمس في أذن صاحبه : « ما هذا الفندق ؟ » قالت الفتاة في هدوء : « آه ، إنه كالفرديوس » ثم ألقت برأسها على كتفه وهي تقول : « آه ، إن الناس يغالبني فلا أستطيع دفعه ! » ثم راحت في سبات عميق ...

واستولى على ليو الأرق ، وفي خياله الرجل الإنجليزي ملقى على الأرض وأوداجه تشخب دماً ، وابن أخيه يقذف بالسكين إلى جانبه ثم يفر هارباً .. واستقرت الفكرة في خاطره فلا يستطيع دفعها .. وكى كأن الشاب الإنجليزي تسلق الجدار إلى حيث عمه ليسفك دمه ويستلبه ماله ، ثم يتسلل في هذه الليل وسكونه ! بالشناعة الأهم ، وبالجراء الأهم ! وتناهيت الفتى الأفكار السود فأقضت مضجعه وسلبته طمأنينته وهو إلى جانب فتاته النائمة . لقد أراد أن يتنوق حلوة الرضا ، وأن يرى نور السعادة التي افتقدتها دهرًا من عمره ؛ غير أن القدر شاء أن يقضى ليلته قلقاً ما يستقر ولا يهدأ ... وتعلق بصره بالباب الذي بينه وبين الرجل الإنجليزي فراعاه أن يرى سائلاً أحر يتسرب في بطن من فرجة في أسفل الباب ، وأن يرى شظية يتسكس عليها ضوء الشمعة فتبدو لامعة وهاجة وسط هذا

روح الأنسى والبأس كأنها تشيعهما إلى النهاية ...
وألم الفتى على صاحبه أن تتناول قدحا من القهوة
واللبن فامتعت عليه لأن الخوف كان قد سلبها
كل ما تشتهي النفس

وهبط لبو إلى الطابق الأسفل في نظارته الزرقاء
وإلى جانبه فتاة في قفاهها الأسود؛ ثم انطلقا معا إلى
صاحب الفندق ليدفعا إليه أجر الغرفة ثم يسرعا
إلى المحطة . وراح صاحب الفندق يتحدث الشاب
حديث الجند وحديث الرجل الانجليزي ، فأطنب
وأفاض ، وليو يتحامل على نفسه من أثر الإعياء
والجهد ، والفتاة من خلفه تكاد تسقط من شدة
التعب والآن ؛ ورأى صاحب الفندق ما يدور على
وجه الفتى من شحوب فقال : استريح في الوقت
متسع . إن القطار لا يصل قبل الثامنة ، وكثيراً
ما يتأخر ! « جلسا وبودعا لو طارا إلى المحطة فرارا
من المصيبة التي تنتظرهما في الطابق الأعلى .
وفي هذه اللحظة دخلت الخادم وهي تنادي :
« هات ماء ساخناً لشاي الرجل الانجليزي وقطعة
من الاسفنج أيضاً لأنه حطم زجاجة الخمر فلو شرب
أرض الغرفة وملأها ريحا خبيثة ! »

واهتزت الشابة طرباً ، وابتسم الشاب ، وتبادلا
نظرات فيها الدهشة والذهول ، وكتما بين شفتيهما
ضحكات تكاد تنفجر قوية عاصفة ، ثم أمسك الفتى
بذراع صاحبه وانطلقا معا إلى الغرفة الزرقاء وهو
يقول لصاحب الفندق : « لن نساfer قبل الثانية بعد
الظهر ، هي لنا غداء شهياً تناولوه في غرفتنا »

فلمس محمود حبيب

« لاشئ » ، غير أني سمعت هزة عفيفة في الحجرة
المجاورة ! « ثم سحب نفسه من بين ذراعيها في
دفع ليضع كرسيه بأزاء الباب يخفي به السائل
والشظية عن عيني الفتاة ؛ ثم فتح الباب فيدق رقب
المشي وباب حجرة الرجل الانجليزي في حذر ،
ثم طنّ في مسميه صوت خطوات ثقيلة متزنة تنبئ
عن جندي يرقى درج السلم ، فارتد يتحدث فتاة
حديث خياله ...

مازال الخطر جاثماً على خطوات منهما ...
واستخرطت الفتاة في البكاء تذرف الدمع أسمى
وحسرة على ماخبأ لها القدر في ليلة أراد أن
يقضيها عند محراب الهوى يتعان بهمس القلب
ووسوسة القُبل في منأى عن الواشي والرقيب ،
وينشقان فيها نسمات السعادة وقد ضنت عليهما بها
الأيام حيناً من الدهر . إن بينهما وبين السجن
الساعات القليلة الباقية من الليل فها في عيني القانون
مذنبان يتضرعان بحماة الجريمة ؛ وراح كل واحد
يودع صاحبه وداعاً حاراً وقلبه يتفطر لوعة ، وكبدته
ينشق عن بأس وكمد ، وهما ينتظران النهاية ...
النهاية الأليمة

وانتفضا معا من شدة الدعر حين سما خطوات
أول إنسان يجتاز المشى . لقد ابتدأ الناس يهبون
من مراقدهم عند السادسة ... كيف يجلسان هنا ...
في هذه الحجرة طول هذه المدة ... ! إن القطار لا يصل
إلا عند الثامنة ! هاهم أولاء الخدم ترن ضحكهم
في ردهة الفندق ، والخادماات يفتنن ، والجند
روحون ويحيثون بصفرون صفيراً أنغامه متضاربة .
إن هذه الأصوات تصك أذان الرقيقين فتفتت فيهما

ذو الغمّة

للكاتب الروسي أنطون تشيكوف
بقلم الأديب السيد جورج سلسة

من نشوز، وإنها لم
تبرح القرية قط فعى
لم تر المدينة إذن ولا
أبصرت القطار،
وإنها منذ عشر
سنوات حتى الآن لم
تخرج من منزلها إلا
ليلاً، وأما نهارها

فتقضيه جالسة حيال الموقد ...

إلا أن بوركين لم يدهشه الحديث عن «ماقرا»
هذه ولم يجد في أطوارها ما يستحق الاستغراب
فقال مقاطعاً صديقه :

— وماذا ترى في الأمر من غرابة ؟ إن حب
المزلة من طبيعة الكثيرين ، وإن بعض الناس
كالسراطين لا يرغب عن التنسك بديلاً ، أو كالحلازين
تستطيب أبدأ التخويف في أجحارها !
ولماذا التبسط في الدبول والحواشي وعندى من
جوهر الأمر ما يفي عنها جميعاً ؟

فلئن كانت «ماقرا» قد شاشتك أطوارها فإذا
عساك تقول فيمن بزها في غرابة الأطوار بمراحل،
وفاقها في شذوذها فوق ما تستطيع أن تتخيل ؟ !
فبالأسس القريب قضى زميلي بيليكوف نجمة
فوارى التراب بموته فذاً من أفئاذ الخلق الناشز
والطبع الغريب . ولقد كان رجماً الله عليه حياً إلى
أبد حدود الحياء ، ولا إخال إلا أنك سمعت الناس
يتحدثون عنه ، فانه ملء الأنفواء ، وذكره ملء
الأسماع ؛ وشهرته هذه لم تكن لملوكه في العلوم
والآداب فحسب ، بل لقراءة أطواره ، وشذوذ

كان البيطري «إشان» والأستاذ «بوركين»
عائدين من الفحص عندما دهمهما الليل في ذلك السهل
الفسيح الأفصح فلم يريا بداً من أن يلتجئاً إلى ممرى
من أهراء القرية القديمة القائمة في أقصى البلاد
لقضاء ليلتهما فيه

وإشان كان يقطن في ضاحية المدينة وقد ذهب
للصيد ترويحاً لنفسه وتنشيطاً لبنيته ، وأما الأستاذ
بوركين فقد كان بصطاف كل عام عند صديقه
البيكونت ب . ويتصرف في تلك الناحية على هواه
كما يتصرف في منزله بين أهله ومحبيه

ولم يجد النوم إلى عيونهما سبيلاً ، فجلس إشان
وهو كهل نازل الجسم حيال الباب المغمور بأراد
القمر وأضوائه . يدخن غليونه على مهل ، واستلقى
بوركين في الداخل على أكوام المشيم يرى ولا يرى
وتجاذبا أطراف الحديث ، وحديث الوحدة
طويل ما ينتهى ، وقص كل منهما على رفيقه قصصاً
شتى فيها السائق المتع وفيها التافه الملل ؛ وتحدث
إشان فيها يتحدث عن امرأة تدعى «ماقرا» وقال
عنها إنها حازمة نشيطة ، وإنها ليست بالحفقاء ولا
الساذجة على ما في عاداتها من شذوذ وفي أخلاقها

ومظلة ومظفه التي كان يلوذ بها جميعاً نهركاً من حقيقة الحياة

وما أكثر ما كان يردد هذه العبارة للثائرة بصوت رقيق عذب :

« يا اليونانية من لفة جميلة رثانة الألفاظ ! »

ثم كان يطبق عينيه ويرفع سبابته ويردف عبارته هذه بلفظة (اتروث)^(١)

والأنكى من ذلك كله أنه كان يحاول وهو الذي أن يولد من توفد ذهنه ، كما أنما كان يعض على فكره أن يظل طليقاً ، ويأبى إلا أن يجعل له حجاباً صفيقاً :

وما أشد ما كانت الفُرس المدرسية ممقوتة

لديه ! فقد كان لا يراها إلا مدعاة لإثارة الشك

والارتباب ، وما أكثر ما كان يشك صاحبنا

ويرتاب ! وكان يحس إحساساً قوياً أن الفرص

متلقة بتموض لا يأنس إليه فكره وإبهام لا يرتاح

إليه ضميره

وحتى الرخص كانت بشيضة لديه ، وعند ما

كان يُرخص لأحد ما في المدينة أنشاء مسرح

للتمثيل أو يؤذن له بتأسيس دار المطالعة أو فتح

ردهة لمو كان يهن رأسه الصغير ويقول بصوت

خفيض : « إن هذا حسن ما في ذلك ريب ؟ وإن

في هذا العمل لمتهى الكمال ولكن على ألا يقع

ما نحاذره ونخشاه ! »

ثم إن نقض المهود والتكث بالوعود والخالفات

على شتى أنواعها ، سواء أ كانت متعلقة به أم بسواه

كانت تبليه باضطراب الخاطر وأحلال القوى

ولقد كان يسوءه أن يتأخر أحد زملائه

الأساتذة عن تأدية فرض من فروض الدين ،

(١) لفظة يونانية معناها رجل

عاداته . فقد كان لا يخرج من منزله إلا لابساً معطفه وحاملاً مظلته ومنتعلاً « كوتشوكه » الوافي سواء لديه أ كان الطقس مطراً أم صحواً ، وسيان عنده بسمت الشتاء وهش الأفق أم تجمها وأريد منها الأديم

ولا تسل يا صديقي عن تعلقه بالأغطية وشغفه

بالاغساد فلقد كان لمظلته غلافها ، ولساعته واقية من

الجلد الأشهب ، ولوساه الصغير الذي لا يفارقه غمد

يحفظها فيه ، ولكل شئ عنده غطاؤه حتى كان

يخيل لمارفيه أن لوجهه كذلك وشاحاً يقيه عليه

أو ستاراً يحتجب وراءه

وقد كان يضع على عينيه نظارتين كشيقتين

ويرتدى تحت معطفه صدره من الصوف ، ويضع في

أذنيه قطناً ، ويأبى كلما ركب عربة إلا أن ينشر

غطاؤها وييسط

والخلاصة أنه كان يتجنب الناس ما أمكنه

الأمر وينأى عنهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، فربفته

في الأزواء ملححة قاهرة ، وكان يود لو يستطيع أن

يتخذ لنفسه غمداً يقيه من الموارض الطارئة

والمؤثرات الخارجية

فالحقيقة كانت ترهقه ، والاحساس بالوجود

يرمضه ، والكائنات تثير مخاوفه وتقض عليه مضجعه

وتجعل في قلق دائم وحزن مقيم

فلقد كان يكره الحاضر ويحتويه ، ويمتدح الماضي

ويطريه ؛ وكان غير الموجود حبلياً إلى قلبه والموجود

بنيضاً لديه ، ولم يكن ليجد فيه إلا ما يزيد هلمه

ويكثر مخاوفه

واللغات القديمة التي كان يدرسها وينصب على آدابها ويتصلع في فنونها كانت له « ككوتشوكه »

خلعت البلوى وسَوَّلَ المصاب ، ولكن هناك
لنكد الطالع وسوءه ما هو آلم للنفس وأنكى
فقد كان رحمه الله يأبى إلا أن يزورنا في
منازلنا على كرهه للزيارات وبضفه لها ، وبأبى إلا
أن يقدحنا بطلته الشؤومة في دورنا كأنما لم يكن
يكفيه طول ما ينكبنا بها أثناء ساعات التدريس ،
لأنه كان يعتقد أن زيارة الزملاء فرض لا مناص له
من إداته ، وواجب لا بدَّ من القيام به لمن يشاء أن
يحتفظ بالملاقات الودية وصلات الاخوة به .
وكان يبق جالساً صامتاً لا يتكلم ، إلا إذا أكره
على الكلام أو اضطر إليه اضطراراً ؛ ويظل يحدث
في شيء ما لا يبعد عنه نظره كأنما جاء للتأمل
والصمت الطويل ، ويبقى كذلك ساعة أو ساعتين
ثم يذهب لشأنه وغضى لطيته !

قلت لك إننا كنا نحن زملاءه تجاربه في رأيه
وندارى إحساسه وشعوره كثيراً ؛ وكان رئيس
المدرسة نفسه يجاربه في رأيه كذلك ويداربه مثلنا
لقد كنا جميعاً من أولى التفكير الحر ، التفكير
المعيق البعيد الفور ، مثقفين الثقيف المالى على
أيدي (ثورغيف) و (تشدرين) وأضرابهما من
كبار الكتاب والفلاسفة ، إلا أن الذى كان يهز
المدرسة منا هزاً ، وقيمهما دون سواء ويقعدهما ،
هو هذا الذى لم يكن ليتخلى قط عن مظلمة ومظلمته
« وكوتشوك » الواقى . ماذا قلت ؟ المدرسة ؟ !
إن للمدرسة ليست بالتي تذكر ، فقد كان هذا القزم
المحجن يسيطر حتى على المدينة بأسرها ، فكثيراً
ما استنكفت سيداتنا من تمثيل الروايات على مسرح
المدينة كمدتهن كل سبت من أجله ، وحتى كاهن
الرية كان يتجنب أن يفطر أثناء الصوم ، أو يلعب

ويحزنه أن تسرى شائمة هزؤ عن أحد الطلبة ،
ويؤسفه أن يلتقى أحدُ بإحدى الناظرات عائدةً
متأخرة مساء برفقة أحد الضباط . ولشد ما كان
يتأثر من هذه الشؤون وأمثالها إذا قُدِّر لها أن
تحدث ، ويتمم وشفتاه ترجفان حنقاً : « على ألا
يقع ما نحاذره ونخشاه ! »

أما في الاجتماعات التهديبية العامة فقد كان
كمادته يرهقنا جميعاً بتحفظه واحتراسه ، بريته
وحذره ، بتصورات أقل ما يقال فيها أنها تصورات
(رجل ذى عهد !) . وإن قيل له إن الطلبة كانوا
يسئون التصرف ولا يحسنون السلوك ، أو أنهم
يضعفون في صفوفهم ويصخبون كان يردّد عبارته
المأثورة :

« آه ! على ألا يتصل الخبز بالادارة وعلى ألا
يحدث شيء ، وإنا لو طرد (بتروف) من الصف
الثاني أو (ايكوروف) من الصف الرابع لكان
أحسن »

وبعد فإذا تظن يا صديقي بمن كان لا يفتأ يتأوه
من غير سبب ويشكو من غير داع ؟ ومن تحب
من الناس كان عالمة علينا جميعاً ، ومن كان
وجهه الصغير الشاحب شؤماً على رأيه ؟ وكنا مع
ذلك كله نذعن جميعاً لإرادته ولا نمضى له رغبة
ولا أمراً ؟ ! !

وما قولك في أن الأساتذة كانوا يمتحنون
بتروف و ايكوروف أسوأ العلامات في دروسهما
مذاراة لشعوره ، وأن هذين التلميذين قد طُرِدَا
أخيراً من المدرسة من غير جريمة ولا ذنب نزولاً
عند رغبته وإكراماً لحاظه
ويا ليت هذا كل مافى الأمر يا صديقي ، إذن

وهزة الباب ، يخفى أن يدمم اللصوص منزله ، وأن يرّوه سلاحهم ، يخشى من خادمه الطاعن في السن (أفانسي) أن يزحف إليه ويذبحه . كاذبا غفا واستسلمت مقتلاه للكرى جاشت بمخيلته الأحلام ترّوعه وتخيفه ، وكثيرا ما كان يفيق من سباته مضطربا مذعورا . وهكذا كان يقضى المسكين لياليه التي كان يراها على قصرها طويلة ما تنتهي إلا بشق النفس ؛ حتى إذا حانت الساعة السابعة مشى إلى المدرسة مسرع الخطى مجلّان لا يولى على شيء ، شاحب اللون ، مضطرب الفكر ، قلق الروح ، حزين النفس ، مكمد الأساور ، لا تمسياه بسمه ولا بشره وكان يقول لي كلما رأى التلامذة يضجون في صفوفهم ويصخبون : « إن هذا تخيف ! » وكنت أعلم العلم اليقين أن هذه البارة التي كانت في ظاهرها تمنى ضييع الطلبة ومضجهم لم تكن في جوهرها إلا شكاة لنفسه المذنبّة التي عبر بها عما كان يشعر به من ضنك وعنت .

ثم أنستطيع أن تتصور ، والحالة كما وضعت ، أن أستاذ اليونانية هذا الذي أحدثك عنه ، أن هذا (الرجل ذا الغمد) كان على وشك الزواج وأهبطه ؟ فالتفت إيفان بمحكة عصبية سرية وقال :
— « أجدأ ما تقول أم مزاحاً يا هذا ؟ »
— نعم هما يكن في الأمر من عجب ، فإن الحقيقة ما أقول ، وإن صاحبنا كان على أهبة الزواج حقاً وهاك جلية الأمر :

عين السيد « كفانكو ميخائيل سافتش » أستاذاً جديداً للتاريخ والجغرافيا في مدرستنا ووصل إلينا حضرة مصحوباً بأخته « فارنكا » وكفانكو (٤)

بالورق أمامه ؛ وهكذا ظل الناس جميعاً خلال العشر أو الخمس عشرة سنة التي قضاها بيتنا يرهبونه ويخشونه في كل شيء

وهنا سعل إيفان ليقطع على بوركين حديثه ، ثم أشمل غليونه بعود ثقاب وحجج القمر بنظرة طويلة ثم قال وهو يحيط كلاته معطاً :

« عجبت والله من هذا الذي تحدثني عنه يا صاح ، رجال من ذوى النظر الثاقب والرأى الحصيف ، رجال تتفقوا بثقافة ثورغنيف وتشدرين وأمثالهما من قادة الفكر والرأى يخضعون هذا الخضوع للمهين ، ويتحملون هذا الدلّ الشائن ، ويقبلون هذا كله دون أن يتبرموا ! »

تابع بوركين حديثه : كان « وينليكوف » يقطن في البناية التي أنطقها أنا ، وكنا على سطح درج واحد ، منزلي أمام منزله وبابه تجاه بابي ، وكثيراً ما كنا تتلاقى ، فن الطيبى إذن ، وأنا جاره وزميله ، أن أكون أدرى الناس بحياته الخاصة ، فمنده من الأفاص والمزاج والأفقال وكل ماله صلة بالحياة والأمت والتقييد والخصر والتحظير والمنع مالا يحصى ؛ فلقد كان كثير الخوف والحذر ، ترعبه في الميل أقل حركة ، وتفزع أخف نأمة ، فلا ينام إلا وقد خبا رأسه تحت لحافه غير عابى بالدف الذي يرهقه ، ولا يناز أنفاسه الزوافر الذي يكاد يخنقه ، في حين تكون فيه الريح عاصفة مدوية ، ويكون صاحبنا الجيزع العرديد يرتجف تحت غطاءه ؛ فلقد كان هذا الذي يخشاه الناس في نهاده يخشى كل شيء في ليله ، يخشى أن يحدث ما يذهب بقلبه ويطير بلبه ، يخشى عصف الريح بالمدخنة ودوى الصوت

فألقت عليه نظرة عطف وأبتمت ، وراقته
بسمها فراح ينظر إلى شعرها الناعم المسترسل ،
ووجهها الريم المصبوح ، وفنرها الباسم المفتوح ،
وخصرها الدقيق ، وقدها الرشيق نظرات كلها
إعجاب وافتتان

وكأنما علت أى هوى صادفته فى نفسه قالت
إليه وحتت عليه وراحت تحبسه بدل ونفر عما تملكه
من عقار وعما تنتجه المزرعة التى تملكها فى
(جادياتش) — حيث تسكن والدتها — من خضار
وبقول وجوب ، وعما يحفل به بستانها الثرى من
أشجار مشمرة وجنى شحى

واسترجى اثباتها حديثهما لاسيا وليس فينا
جميعاً من كان يحسب أن بيلييكوف يستطيع أن
يلفت نظر غادة بطلته أو يتحدث
وأوحى لنا صراخها خاطرة فذة كانت امرأة
الرئيس أسبقنا إلى تبيانها فتمتت :

« جميل والله أن نقدره عليها ، فعلى فتاة تحط
عتبة الثلاثين وهو قد تجاوز الأربعين وإخال أنها
تقبله عريسا » وصمت . ولم يتصد أحد منا للبحث
فى هذا الموضوع الشائك مع قرينة الرئيس ؛
ولئن يكن قد خطر فى بالنا تزويجه فليس معنى ذلك
أن نبعث الأمر جدياً ، وكلنا يعلم حق العلم رأى
صاحبنا فى النساء والزواج ؛ وكيف تريد أن نخوض
فى هذا البحث ولم يكن ليدور فى خلده أحد منا أن
رجلاً لا يرتدى إلا ثياب الشتاء فى إبان الصيف
ويتحصن لدى نومه خوفاً من طوارئ وهمية ،
يستطيع أن يحب ويهوى

وكيف تريد أن نبعث فى أمر زواجه وليس
فيها جميعاً من يمتدنان هذا القزم الجبان أهل للزواج ؟

هذا على حداثة سنة طويل التجاد أسمر البشرة أجش
الصوت ، إذا تكلم حسبت صوته خارجاً من « برميل »
لا من حنجرة . أما أخته فارنكا فكانت فى الثلاثين
من عمرها هيفاء مشوقة القوام بجلاء المينين وطفاء
الأهداب وردية الخدين دقيقة الملاحظة فطنة إلى حد
بسيط ، صريحة كثيرة الصخب ، تقضى من غير ملل
أغاني شعبية ، وتقهقه بين الفينة والفينة قهقهة
عالية مدوية

وكانت المعرفة الأولى التى توثقت فيها صلات
الود بين الأستاذ الجديد وأخته وبيننا فى حفلة ساهرة
راقصة أقامها الرئيس فى عيده

ومن حباب ذلك المحيط التزمت الرصين ، ووسط
الأسانذة الجافة اللوللين الذين كانوا كأنما اضطروا
للبقاء هناك اضطراباً ، أنبثقت لنا أفروديت جديدة
ساحرة فلأت المكان الذى كان لولاها فارغاً ما فى
ذلك ريب ؛ فكانت تارة تضحك ويدها على خاصرتيها
ضحكات ساحرة فائنة ، وطوراً تغنى وهي ترقص بخفة
وازنان بصوت رقيق عذب أغاني عاطفية جميلة
مسكرة ، وكانت أبلغ أغانيها فى نفوسنا أتراب أغنية :
« الريح تمصف » وأشدّها تلاعباً بالمواطف تلك
القصيدة الباكية التى أنشدتها من قلب محروق ،
وسكنت فيها من المدوية والسحر ما شاء لها الصوت
الجليل والفن الرفيع ، فأسكرتنا بها جميعاً بما فينا
« بيلييكوف » وربما كانت هى المرة الأولى التى ظهر
فيها أماننا طلق الحيا باسم الثفر

وجلس حياها ، وقال لها وهو يتسم بصوت
حاول جهده أن يجعله ناعماً لطيفاً :

— « إن اللغة الروسية تذكرنا بمندوبيها
وجسرس ألفاظها باللغة اليونانية القديمة ! »

والانتخاب قد تصرّم وفات ، وأن زمن الفتوة الذى كانت فيه تشمخ بأنفها على طالبي يدها من الشباب قد انقضى ؛ أضف إلى هذا رغبتها الملحة فى النجاة من هذا الجحيم الذى تعيش فيه مع أخيها . فلقد كانا يتنازعا لأنفقه الأمور ويتشاجران دون ما سبب ، ويختلفان على لاشئ . فالطباع لم تكن متآلفة ، والأخلاق لم تكن متجانسة . وهكذا كانا أبداً فى نفور ، وحياة كهذه كانت تقلقها وترمضها ، وكان كل ماتأمل أن يكون لها منزل خاص تنعم فيه مع زوج رضى الخلق ، ومن حق من كانت فى عمرها أن تكون لها هذه الأحلام والأمانى لهذه الأسباب التى أبتئها كنا نعتقد أنها تقبل ببيليكوف زوجاً وإن لم تر فيه ما تفضله به على سواه

وكان يشوقه أن يراها وأن يجتمع بها من حين إلى حين إلا أنه كان فى زيارته لها كما كان فى زيارته لنا ، ما إن يأخذ مكانه حتى يعتره الوجوم فيبقى صامتاً لا ينبس ببنت شفة

ولمّا فارنكا هذه الحلة المستهجنة فيه فزاحت نداوبها بالمش له والبش فى وجهه ، وكثيراً ما كانت تقبى له أغنية « الریح تعصف » أو سواها من الأغاني التى يستسيغها ويستعذبها . أو تجلس بالقرب منه تنظر إليه بينما النجلاون السوداوين نظرات صافية إن خلت من حب ما خلت من عطف ولكنّه ما زال كما كان ؛ وما برح — على ما يضطرم فى نفسه من ميول وأهواء ، وبالرغم من هذا التشجيع الذى يلاقيه والأنس الذى تقمره به — فارتأ حياءً ، ذلك لأنه كان يهيب إبداء ما يكنه قلبه لها من

ولقد خيّل إلينا للوهلة الأولى أن قرينة الرئيس هازلة فيما تقول فأذا بنا زارها جادة كل الجدة ؛ على أن هذا لم يحل قط دون اعتبارنا كل قول فى هذا الصدد هراء فى هراء وكل بحث فيه من باب التندر كما كثر الأحاديث التى تداولها الألسن فى مثل هذه الحفلات الساهرة ترجية للوقت ودفعاً للسأم .

وانقضت الحفلة وبودّ صاحبنا ألا تنقضى ، وانفرط عقد الحضور وبودّه أن يبقى منتظاً حتى الصباح . فلقد أحسّ للمرة الأولى فى حياته بنشوة علوية لم يسبق له أن شمر بمثلها قط ؛ وأستطيع أن أوكد لك يا صديقى أنه لم يتم ليئته تلك ، وأنه قضاه وهو بعيد فى ذاكرته ما دار بين فارنكا وبينه من حديث ، ويتصور كيف كانت تبسم له وتدل عليه . ولم يخف علينا هذا الميل الذى بدأ يشمر به ولا فائنا إدراك الرغبة التى تتأجج فى حناياه للاجتماع بالفتاة ، فكان أن تطلعت امرأة المراقب ودعته هو وفارنكا لحضور رواية تمثّل على مسرح المدينة فقبلا الدعوة بسرور ، وكانت هي فى ثوبها الزاهر الأنيق ووجهها الطافح بشراً وإيناساً فاتنة أخاذة . وأما هو فقد جلس حياهما متجمعا كما ثما قد سحب من منزله بالكثيفة^(١) سحبا . ولم يعض رده من الزمن يسير حتى أمت أنا حفلة زاهية زاهرة ودعوت إليها تزولاً على الحاح السيدات صاحبنا وفتاته . وهكذا بدأت الأمور فى سيرها الطبيعى . والذى كان يبدو لنا أن الفتاة لانراض فى الزواج من بيليكوف فيما لو عرضناه عليها ، لأنها تعلم العلم اليقين أن وقت الخييار

نحن في غنى عن زجها فيه ؟

ومضت الأيام تترى ، كان في خلاها يتردد على منزل كفالتكو فيبقى أثناء زيارته - شأنه فيما مضى - جامداً لا يتحرك . وقد كنا نحسب أن الحب كفيل بتقويم ما فيه من أوجع ، وأن الهوى سيطلق روحه من إصار الأمسى والسكابة ، فإذا بالأمس على النقيض مما كنا نأمل ، وأصبحنا لا نراه إلا ساهماً مطرقاً حزناً ، وإذا بجسمه أبداً في تحول كأنما كان يزداد يوماً بعد يوم إيماناً في الثلاثي طى غمده الصفيق

وكان يأتي إلى في بعض الأحيان يحدثنى عن الحياة الماثلة وعن فارنكا كفالتكو ؛ ولقد قال لي مرة وهو يتنسم في حياء بسمه حائرة مرتبكة : إنها - أى فارنكا - تروقه وتنجبه وإنه يعلم أن كل شخص سيتزوج يوماً ما ، ولكن أمر الزواج خطير ، ولقد وافاه بسرعة غريبة دون أن يتخذ له أهبته ودون أن يفكر فيه التفكير الشامل الوافي ، ثم سألني قائلاً :

— ألا ترى مثلي أن عليّ أن أفكر لأجل مستقبل ؟ فأجبت : تفكر في ماذا يا عزيزي ؟ تزوج وينقضى الأمر

قال : لا ، إن الزواج لأشد خطورة مما تظن . وعلى أن أفكر في الواجبات المقبلة وفي التبعة التي ستلقى على عاتق كل لأقع فيها أحاذره وأخشاه . وهذا ما يقلقني ويعضني وينف عن جفني الكرى . فلقد بت لا أنام إلا لما

إن لها كما لأخيا أسلوباً في إدراك الأمور مضحكا . ثم إنها خاضرة الفؤاد حادة الطبع ، وأخشى أن تكون حياتي معها كحياتها مع أخيا شجاراً دائماً وزاعماً ما ينقضى

أحاسيس ويرى في مطارحة أحاديث الوجد نوعاً من التهنك والفرل الأليم ؛ غير أن أثرابه ومعارفه ذكوراً وإناثاً كانوا كلما اجتمعوا به يلقون في روعه أنه غطىء فيا يذهب إليه ، وأن الحب سنة الله في خلأته وما في الهوى الشروع إثم ولا حرج ، وأن الزواج خير له وأجدى عليه ، وأنه وقد عدا سني الشباب وتخطى زمن الصبا لم يبق له من الحياة كلها إلا أن ترف إليه تلك التي يصبو إليها ويهفو ؛ وأنها هي . — والحق يقال — حسناء تجتمع إلى الحسن والجمال خير الخلال وأطيب الخصال ، وأنها مغرية شائقة مريحة تجلو عن القلب المعنى هم وأساه ، وأنها إلى ذلك كله ابنة مستشار في الدولة ولها من الأطيان والمقتنيات بائنة لا بأس بها ...

كان لباراننا في نفسه ما نرجو من نيفيا ، ولكلانا في ذهنه ما نأمل من تأثير ، فقرر فعلاً أن عليه أن يتأمل

وهكذا يا صديق انقلب المزاج جداً — وكمن جد جره اللعب — وأهدت إليه فارنكا رسمها الحبيب فقبله شاكرًا ممتًا وأطّره ، ووضعته على منضدته يتأمل فيه كلما خلا إلى نفسه .

— كان عليهم إذن وقد أقفتموه بالزواج ، أن تقتنموا كذلك بضرورة تغيير ما هجن من عاداته فينهج نهجاً عادلاً صائباً دون أن يستهدف لسخرية الناس وهزئهم

— أعترف لك يا إيشان أن هذا الأمر عسير حقاً . وما إخال أنه كان باستطاعتنا نحن أوفى قدرة سوانا أن يجالده في هذا الشأن دون أن يخلق بنا سخطه وغضبه . ولماذا نلقى بأنفسنا في مأزق حرج

« سألته عندي حتى يأتي إلى منزلي ؟ قل له بالله عليك إنني أكرهه ، وإنني لا أريد أن أبصر له في بيتي وجهاً بعد اليوم »

ولهذا كنا نتحاشى القول أمامه إنه سيكون صهره المتيد ! بل كنا نتحاشى ذكر اسمه أمامه . ولما قالت له امرأة المراقب في ساعة من ساعات اللحو البري إنه قد حان له أن يزوج أخته من رجل جد وقور يحترمه الناس ويجلونه ، امتعض وامتنع لونه وتجهمت أساريره ودمدم :^(١)

« إن هذا لا ينبغي . وما تمودت ياسيدي أن أبحث فيما لا يتعلق بي ، ولا أحب أن أزج نفسي في شؤون سواي ... »
والآن أصحح لما حدث :

لا أدري أى ماجن دعاية رسم صورة بيبليكونف (بكونتشوك) وسرواله الرفوف ومظله المفتوحة وفارنكا تتأبط ذراعه ، وكتب تحت الرسم : « الأتروپوس » العاشق

وكان الرسام موقفاً في رسمه إلى حد بعيد . ولا ريب في أنه قضى وقتاً طويلاً فيه حتى استطاع أن يبعث إلى كل أستاذ بنسخة منه . وقد تاق بيبليكونف نسخته كذلك ، ولا تسل عما كان له في نفسه من أثر بليغ

وكان اليوم التالي للوعد المضروب لاصطحاب التلامذة للتنزه ، فخرجنا أنا وبيبليكونف من منزلينا معاً ، وكانت أمائر الإعياء والتقلق بادية على مجيء الشاحب الهزيل بأجلى مظاهرها . فابتدرني قبل أن أحييه بهذه البشارة اللطيفة التي هي في حقيقتها

(١) دمدم فلان على فلان : كله مضطرباً

وهكذا كان يزن الأمور ويحصيها ويحسب للمستقبل المتيد ألف حساب . والغريب أنه كان يتنزه — مع ذلك كله — هو والآنسة فارنكا كل مساء تقريباً ، ظناً منه أن ذلك واجب يتجتم عليه القيام به ولا مندوحة له عنه

ويجب ألا أنسى أن أقول لك إن كروفالينكو استسجج بيبليكونف وكرهه للوهلة الأولى التي وقعت فيها عليه عينه ، وكان يأنف حتى من ذكر اسمه . وكثيراً ما كان يقول لنا عندما كان يذكر اسمه في أحاديثنا عَرَاصاً : « أنا لأفهم كيف تستطيعون أن تحتملوا هذا المأفون الواشى فيما بينكم ولا كيف تقدرون أن تعيشوا هنا في هذا الجو الخانق ؟ تدعون أنكم سادة وأنكم أساتذة وإن أنتم إلا طلاب رُتب وهواة مناصب ، تمشون في خنوع من مداراة هذا الدعي اللثيم . واسمحوا لي أن أقول لكم إنه ما هذا بمجد علمي وإنما هو مجمع متدينين موبوء ! »

لا يازملأى الكرام ، لن أبقى معكم إلا ردهاً من الزمن يسيراً وأعتزل بعمه منصبى عنكم وأعود إلى مزرعى أوقف الأميين فيها وألهو — كلما سنحت لي الفرصة — بالصيد ، وأعيش حراً طليقاً بعيداً عن المداجبة والرياء والترلف ؛ سأناهى عنكم عما قريب وأما أنتم فستبقون هنا مع يهودا الخائن ، ألا ليتة يموت ! »

ولا أزال أذكر يا صديقي ساعة جاء إلى في ثورة نفسانية هائلة كان بها أشبه بالأسد الطعين منه بالرجل الرزين . وقال وهو يضحك تارة ضحكاً هادئاً مترناً ، وطوراً ضحكاً موحجاً كثيراً :

شكوى صارخة لما كان يمانيه من ألم نفساني مرهق :
 — ألا ما أردنا الناس وأحبهم !
 عبارة كان لها في نفس صداها البعيد فاستدرت
 رأئي له وشفقت عليه
 ورحنا نغمي الهويبي في صمت ...
 — فلنسر في الطليعة !

نداء رنّ في مسامعنا رنين البوق ، فالتفتنا فاذا
 بنا نرى ، أو تدرى من ؟ ! كوفالنسكو ممتطياً
 دراجته ووراء أخته على دراجتها أيضاً ، وقد
 صاحت به ، وهي تلهث إعياء ، ليتابع تسياره ؛ واندفع
 كلاهما كالسهم المارق
 وأدّرت طرفي إلى رفيقي ، فاذا بي أراه قد تمحّر
 في مكانه ، ووقف مشدوها فاغر الفم جاحظ العينين
 كأنه التمثال المنحوت ، ولم يلبث أن قال في يأس :
 هلا تطلعت فأسمعتني ؟ ! ما هذا الذي أرى ؟
 أغشاة على نظري يا ترى أم غشاة على خاطري ؟ !
 قلت : لا هذه ولا تلك ؛ هوّن عليك ، فما في الأمر
 ما ينافي الأدب ، وليرح على هواها فما هذا بضائرها .
 فقال وقد أدهشته رزائني وهدوئي :

أأنت تقول هذا القول ؟ أيجدر بالأساتذة أم
 يليق بالإنسان أن يمتطوا الدراجات في عرض
 الشوارع ؟
 ولم يشأ أن أناقشه في الأمر أو أناظره فيه ،
 وآثر أن يمود من حيث أتى ، موزّع الفكر
 مضطرب الجنان
 وفي الند كان لا يزال شديد التأثر ، وكان
 يفرك يديه بعضهما ببعض وهو يرحف كمن عرته
 البرداء ، ولم يطل به الوقت حتى أحس أنه لم يعد
 يستطيع البقاء ، فترك صفة — ولم يسبق له أن

ترك الصف منذ أن زاول مهنة التدريس حتى تلك
 الساعة — ومضى إلى بيته
 وعند الأصيل لبس ثيابه الشتوية مع أن
 الطقس كان دافئاً كأيام الصيف ، وذهب ببطء
 لزيارة كوفالنسكو ، وكانت فارنكا قد خرجت من
 المنزل وبقي أخوها وحده فيه
 « أرجو منك أن تتفضل وتجلس » هكذا قال
 كوفالنسكو ببرودة ظاهرة وقد قطّب جبينه ، إذ
 وكان قد أفاق من رقاده منذ بضعة دقائق ، إذ
 كانت عادته أن ينام بعد الغداء ، وكان على أسوأ
 ما يكون خلقاً ومزاجاً
 واستهل بيليكوف حديثه بعد عشر دقائق
 قضاها في الصمت والتأمل فقال :

« ماجئت إليك لأنني عن قلبي بعض اعباء
 الهم الفادح الذي برهقه ويضنيه فحسب ، بل
 لأكشف لك عن رأي فيك الذي أرجو ألا تحمله
 مني على غير محمل النصيح والارشاد ، فأنت لا تزال
 في مطلع الصبا وأما أنا فأكمل ، وأنت حديث
 المهد بالأساتذة ، وأما أنا فأستاذ منذ خمس عشرة
 سنة ، فغري بي إذن أن أكون أبعد منك نظراً
 وأوسع إدراكاً ؛ وقد كنت ولم أزل منذ أن بدأت
 أشعر بمعنى الوجود حتى الساعة مثال اللياقة والأدب
 في شؤوني كافة »

وظل كوفالنسكو جالساً بوجهه الباسر الكالم
 صامتاً لا يجبر ، وانتظر بيليكوف قليلاً ثم استأنف
 حديثه الهادي بصوت لا يستره نبرات الحزن :

« ولقد رأيتك أمس ممتطياً دراجة ، وركوب
 الدراجات من شأن الأولاد ، وإن هذه الهبة لا يليق
 بمهذب الشنبية ومثقفا أن يلهو بها

— ولماذا يا سيدى ؟

— أو يحتاج هذا إلى إيضاح بامبختايل وعهدى بك ذكى القواد ؟ لكن ركب الأستاذ الدراجة فما يبقى للأولاد إذنت أن يفعلوا إلا أن يمشوا على رؤوسهم ؟ ثم ...

— ثم ماذا ؟

ثم إنى لم أصدق عيني عند ما رأيت أختك ورائك على دراجتها ، وليس أقبح من أن يرى المرء آنسة أو امرأة على ذلك الشكل المريب

— والخلاصة ؟ ماذا تبغى ؟

— لا أبتنى إلا أن ألفت نظرك إلى تجنب ما يشين سمعتك . فانت حدث والمستقبل أمامك ، وعليك أن تسلك سبيل الرشاد كما ينبغي للرجل الحكيم الماقل أن يفعل . فانت تنزه كثيراً فى الشوارع ، وتحمل معك فى غدواتك وروحانك كتباً الله أعلم ما تكون ، وتلبس حلاًهى أدنى إلى التائق الأرعن منها إلى اللباس المحتشم ؟ وجادت الدراجة ثالثة الأثافي ... « فاحمر وجهه كوقالينكو غضباً وصاح به :

— أما أن نختطى الدراجة أنا وأختى فهذا لا يعنى أحداً سوانا ، وإنى لألقى بمن يمرض لشؤوني أو لشؤون عائلتي فى جهنم ! والآن إليك عني أيها المافون . أغرب من أماي فما تعودت ، وأنا الشريف ، أن أخاطب رجلاً مثلك ، أغرب عن وجعي فانا أمقت الواشين وأجتريهم

فقام ببيليكوف مضطرباً وليس معطفه والتأثر بهزه هزاً ، فقد كانت تلك هى المرة الأولى التى أعيى فيها فى حياته ، وسمع كلاماً جارحاً ماسكاً بكرامته ، وقال وهو يفتح الباب ليخرج :

« لك أن تقول ما تشاء ، ولكن أرى من واجبي أن أذكرك قبل أن أبارح منزلك . فربما يكون قد سمع حوارنا أحد من الناس ، وخوفاً ممن أن ينقله إلى المراقب العام مشوهاً أرى أن أهله إليسه بنفسى دون تحريف »

فاحتدم كوقالينكو غضباً وصاح به :

« تنقل الأحاديث أيها الواشى اللعين ؟ » وتقدم منه فأمسك من الورد بمنقه وقال : « إذهب وانقل هذا إلى المراقب أيضاً » ودفعه وهو يركله بركله على قفاه فراح يتدهور من أعلى الدرج حتى أسفله

وقام المسكين مرضوض الجسم يتلمس فى وجهه وذراعيه مواضع الألم

إلا أنه فى اللحظة التى كان يتدهرج فيها على المتبات كانت فارنكا وسيدتان أخريان قد وصلن فوقفن معاً يراقبته ، وكان هذا وحده عليه شراً من كل أمر سواه ، وكان خيراً فى نظره أن يذق عنقه وتكسر ساقاه من أن يكون أضحكة فى عين من يهوى . والآن ستدرى المدينة بأسرها بأمره وسيقتل الخبر بالمراقب العام ، وقد يرتجونه فى أوضاع ساخرة شتى — فيالكند الطالع — وهم إن فعلوا فسيقتدم إلى :

الإدارة بالاستقالة من منصبه من غير بد وعند ما نهض عرفته فارنكا ولم تمالك لما رأت سحنته النقضة المضحكة ومعطفه المتسخ الغضين^(١) أن أرسلتها تحكركن صداها فى البناء كله

وهذه القهقهة الساخرة قلبت أحلامه رأساً على عقب وطوحت بهنائه المزعوم ، فاسودت الدنيا فى عينيه وأحوطت مرأيتها ، فلم يمد يده ولم يمد يري . وما بلغ منزله حتى هرع توالاً إلى رسم فارنكا

فانتزع من إطاره ومزقه تنفقا وألقى به في النار ، ثم خلع عنه ثيابه ورقد في سريره مرور الجسم منهوك القوى ولم يقم منه بعد ذاك

وبعد مضي ثلاثة أيام أتى إلى طاهيه « أفاناسي » يستشيرني في استقدام الطبيب لأن سيده على ما يرى مذبذب عليل ، فلم أر بداً من عيادته ، وقد وجدته ناعماً وراء كلته ، مغطى بحافه حتى الرأس ؛ وطرحته عليه بعض الأسئلة فلم يكن لي رد إلا بلا أو بنعم ؛ وكان « أفاناسي » الطامح يروح وييجي حيال السرير مكتئب النفس محزون الفؤاد

وكانت حالته تزداد سوءاً يوماً بعد يوم ، وقلما اغتمضت عيناه في لياليه السود لطوارق أوهامه ومروعات أحلامه ؛ وبعد شهر ذاق خلاله هذا البائس المحزون من صنوف الألم وضروب العذاب ما صهر جسده الروحي وأذاب جسمه المهوك ، وقع المقدور ونفذ المحذور وأسلم صاحبنا الروح

أما هيأته وهو مسجى في نعشه فقد كانت تتم عن العنوبة والطمانينة كأنما كانت تنفي عن السرور الذي شمله بوضعه أخيراً في « غمده » ونبيلوغه الهدف الذي طالما حن له ، ولنبيله المأرب الذي طالما سعى إليه

— بل يا صديقي ، ولكن أن نسمع الكذب ولا نسمه قاله ، وأن نرى الواشي ونجبه الاجلال كله ، وأن نجعل الدل الشائش ، ونرضي ونحني الأبناء بالهون ، ونداري من لا يستحق أن نصفه ، من أجل رتبة لا قيمة لها ومنصب لا أهمية له ، فما لا يشرفنا .

وللوقت عندي خير من مثل هذه الحياة وأعذب — هذا أمر آخر يا إيفان ، والآن فلنم ودخل الأستاذ فاستلق على المشيم ، ولم يلبث بعد بضع دقائق أن غفا ، وأما إيفان فقد خرج وجلس حيال الباب يدخن غليونه

وسرنا — الأساتذة والطلبة — جميعاً وراء نعشه في موكب مهيب . وأبت السماء في ذلك اليوم إلا مشاطرتنا ما كنا فيه من أسي على التقيد الراحل فاربذ أديمها واكفهر ، ولم تلبث أن بكت بدمعها الهائل الدرار

وهكذا اضطررنا أن نرتدى معاطفنا ونحمل مظلاتنا ونتمتع « كوتشو كنا » الواقي كأنما آثرنا

في يوم من أيام سنة

١٦٣٨ دخل مدينة

فلورنسا ، وهي إذ ذاك

عاصمة دوقية توسكانيا ،

سبي في الثانية عشرة

من العمر يحمل على

ظهره صرة معلقة في

عصا موضوعة على

كنتفه وكان في جيب

مرقص الصلابة

فَنَشِيرُوقِيَّاتِي

مترجمة عن كتاب "الاطفال المنزليون"

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

هذا الصبي عدد قليل من الدرامم .

قال ابو هذا الصبي مخاطباً إياه قبل مجيئه إلى

فلورنسا : « لقد كبرت يا بني وأصبح في وسعك أن

تمول نفسك ، ولم يعد في وسعي أن أعولك . ولست

أزودك بأعلى من نصيحتي إليك بتقوى الله ؛ فإن اتبعت

هذه النصيحة لم تفقد في أي وقت من الأوقات من

يعد إليك يد المونة »

قال الأب ذلك وبكى ونفخ ابنه بدمعته

هي التي كانت معه حين دخل عاصمة الدوقية ،

وقد حرص الصبي على الاقتصاد فوضع حذاءه

في الصرة التي حملها على عصاه ومشى حافياً ،

ولما وصل إلى شاطئ الأرنو استحم في مائه

وجلس يرفأ غيابه عند الشاطئ ثم غسلها وأستأنف

السير

ولم يكن فيفيا قد تعلم حرفه ما ، بل لم يكن

لديه أي استعداد لتعلم أية حرفة . ولقد كان يحسن

القراءة والكتابة ويعرف الحساب إلى حد ما ؛

وكان يعرف اللغة العبرية وهي التي كان الكتاب

(٥٠)

قد كتب الدهر من وقائمه

أجل مجموعة من السير

يذهب مألوفها ونافهها

في زبد للحياة منسدر

ويخلد النادر الغريب من الـ

واقع لا الزدري من الخبر

إن زال حب الغريب من وسط

فليس فيه مجال مبتكر

غرابية في الجمال ندرته

أبقت في نادر من الصور

كانت حياة وكان صاحبها

لم يبق غير الغريب في الصور

ماضي من العمر أنت صاحبه

ماذا تبي من حوادث العمر

أروعها مظهرأ وأحفلها

بكل ما كان غير منتظر

والشر كالخير رائع الخبر

فالشر في الخير بين الأثر

والشر والخير في اجتماعها

قصه يرون إن تكن رؤيت

أحقق ما توصف النفوس به

خوف جزوع وزهد منتصر

فقطلم يرون غير محقر

صبر فنوع وقنع مصطب

(المترجم)

قبل الصبي وأخذ الصباح فصار يعرض على الأطفال لأول مرة ما يشبه النوع المعروف في مصر باسم « صندوق الدنيا » وإن كان أدق صنعا منه ، فنال فيفياني مبلغا وافرآ من المال

وفي يوم مطير هرب الأطفال من المطر إلى البيوت ؛ وكان فيفياني واقفا ومعه فانوسه السحري ؛ وفي الناحية الأخرى من الطريق رجل غتبي تحت شرفة لكثرة المطر ، فقال له فيفياني : « أيها السيد إذا لم تأت لتشاهد فانوسي السحري فإني لن استطيع المشاء هذه الليلة »

وكان هذا الرجل هو جاليليو العظيم أكبر عالم في جيله ، فأخذته الرأفة ووقف يشاهد صندوق الدنيا لإرضاء للصبي المسكين . ثم أخذ يسأله عن قصته فرواها له : وقد اهتم جاليليو بقصته أيما اهتمام فقادته إلى منزله وتبناه وعلمه فأصبح فيفياني من أكبر العلماء في القرن السابع عشر

وفاعت شهرة فيفياني بعد نصوجه فأدر عليه المال أمراء بيت مديسي ، ومنحه لويس الرابع عشر معاشا ضخما ، وضمنه المجمع العلمي الفرنسي إلى عضويته . وكان من بين أصدقاء فيفياني فردريك الثاني غراندوق توسكاني ، وقد استعان به في علاقته الدبلوماسية عدة مرات ، كان يرسله فيها سفيرآ إلى ملوك أوروبا

ومات فيفياني في الثانية والثمانين ، بعد أن ألف عدة كتب في الهندسة

« عن الانكليزية من كتاب الأطفال المتنازين »

عبد اللطيف النشار

المقدس يقرأ بها في ذلك المهد في إيطاليا قبل ترجمته إلى اللغة الإيطالية

وكان كنيس القرية قد ترجم لفيفياني مضمورا واحداً من مزامير داود فاستحثه ذلك على أن يترجم كل المزامير إلى لفته

كان هذا كل استعداده ، وهو يبحث عن عمل في فلورنسا ، فطاف بالخوانيت لينظر هل من حرفة يستطيع احترافها فلم يجد ما يلائمه . ولكنه وجد في أحد الخوانيت ما استثار دهشته — وجد فانوسا سحريا ، فدخل في الخانوت لالكي يطلب عملا ولكن ليطلب إلى صاحبه أن يرشده إلى كيفية صنع هذا الفانوس

وكانت المصاييح السحرية نادرة في ذلك الحين . وقد كان الرجل ظريفا ، فلم يأب أن يفهم سر هذا الصباح . وقام بروح الطفل أنه يستطيع أن يعيش بالطواف بين القرى والمدن ومعه الفانوس السحري يمرضه بالأجر التافه على الأطفال

وعد مامعه من النقود وسأل صاحب الخانوت : أليس يكفي هذا القدر من المال ثمنا للفانوس ؟ فأجاب : « لا . ولن تستطيع شراء مثله بمشرة أضعاف هذا الثمن . ولكن لماذا تريده ؟ »

فلما قص عليه الصبي قصته قال : إنني لن أبيعك هذا الفانوس ، ولكني أؤجره لك لما يبدو لي من أنك شريف . فهل تمدني بالشرف أن تمر عليّ في كل أسبوع مرة . وتجبرني بالحقيقة كم رحمت . ولت عليّ ألا أطالبك بالأجر إلا بنسبة ربحك ؟ »

خذ اسبرو استوف حمى الدمج والانفلونزا



جاءت حمى الدمج التي يجنس شرها كثيرا واصبحت سببا لكثير من الانفلونزا. والاعراض هي عالج البه
وعطاس ووجع بالدم والتهاب في الزور وضعف شديد في الظاهر ونزول دم من الأنف
ورضا عفات أخرى. فلو حال لسان الرضا عن الوقت بل انظر الى كل سيرة بالاسبرو.
فقد الاسبرو في دعة ظهره أولا في الرض وفي وسطه حينئذ وقف صبر للرص. وقد تم الحرف
أن الاسبرو في أعظم رضاه للمريض في هذا العالم. ليس العالج لالانفلونزا الاسبرو في رضاه
طبيعي للفساد والاضطراب وضرب الجسم. فهو فعال في الجوانب وضاه للمريض في خمسة دقائق
ويخفف الألم ويزيل الالتهاب الشاشي عن الحسنة وهو سهل في شربها التي تتروا الانسان لثلاثة ايام
الدمج التي تجاف منها. خذ افرص

ماذا يعمل

للدمج والالتهاب والانفلونزا أو أي حمى الاسبرو
غنية. خذ قرصيه الى ثلاثة اقداحي كل ساعة حتى تعود
حالتك طبيعية فالاسبرو في خمسة دقائق في دعة ثلث ساعة
استعمله غريزة قرصيه في اربع ساعات ما انزلت الشرايين
الزور. فان دقائق الاسبرو في اضعف بل صبر بالزور
فنفعل فعلها. عمل بسرعة وانفذ نفسك.

الاسبرو في الطريقة المقصودة عند ارتفاع
درجة الحرارة واستعمل الاسبرو في الزور في خمسة
ساعات. الماء. وتغير بها. والالتهاب
الغريزة بالاسبرو في خمسة ايام في ذلك
استعمل الاسبرو في دعة ثلث ساعة

اسبرو
بوقت الألم
في ٥ دقائق

الوكلاء: ج. ب. شريهان وشركاه
القاهرة ٢٣ شارع المراجع
الأكاديمية ٩ شارع طوسون بلقا

باج كاسبرو في جميع الصيدليات
وصارون الزور والاسبرو في
مصر مطبوعات
مطبعة دار الكتب
مصر مطبوعات

خذ اسبرو ولا تخف منه الانفلونزا



سبحان

للاستاذ أديب عباسي

تدني الناس منه وتقر بهم
إليه ولكن في غير
ابتذال ولا خفة، وتبرز
في الدروس ولكن في
غير إجهاد ولا مشقة،
واكتال في التكوين
الجسمي ولكن في

غير نمونة الأثونة ولا طراوتها . ومن هنا فقد نفّض
جميع الشبان أيديهم (والأصح قلوبهم) من فريدة
لما رأوها تنجذب انجذاباً قوياً في ناحية صادق ،
وتدنو منه ثم تصير معه في دائرة محكمة من الحب
الصحيح والمواهب النادرة والرجولة السكاملة ؛ وما
كان يدور لأحد بمخلد أن يتخطى هذا السور ، به
تخطيه ، ليصل إلى حيث استقر قلب الفتاة ويزخرجه
عن موضع ارتكازه

وانقضت سنو الدراسة وخرج صادق يمارس
مهنة الطب بعد أن نال شهادته بامتياز وتقوى
عظيمين . وخرجت فريدة أيضاً في العام نفسه
لتمارس التعليم في إحدى مدارس الأناث العالية ؛
ولم يكن ذلك من حاجة مادية إلى التعليم وإنما
استعداداً لهد الأمومة الذي من أول واجباته معرفة
الصغار معرفة اختيار لا معرفة كتب ومحاضرات
ومضى شطر من العام وصادق وفريدة يفتنان
كل فرصة للقاء ، يروحان على عواطفيهما ، ويعدّان
العدة للمستقبل البعيد الذي ينتظرهما ، مستقبلاً الحياة
الزوجية السعيدة والبنين الصالحين ؛ وانتهيا إلى
مرحلة الاستعداد الأخيرة فأعلنا للمعارف والأصدقاء
خطبتهما التي تلاها الزواج بعد أسبوع ، ولم يشذ

بقول شو بهور على طريقته في التشاؤم والتقطيب
على وجه الحياة : إن معظم الروائيين يقفون
برواياتهم عند عتبة الزواج لا يتعدونها ، كأن ما بقي
من الحياة لا قيمة له ولا خطر في تقديرهم ، أو
كأن ما يملكون علم الخبرة واليقين من انتهاء أحلام
الحب والسعادة قبل الزواج إلى توافه العيش وخول
الاعتیاد بعده يحملهم يقفون عند ذلك الحد من رواية
الحب ، حتى لا يشوهوا الصورة التي دأبوا على تصويرها
قوة ساحرة جهدهم طاقهم .

وعلى صدق ما يقرر شو بهور هنا وعلى عظم الفارق
بين حياة الرؤى والأحلام قبل الزواج ، وحياة الجد
والكلفة بعده ، فأنا مثبتون في هذه الأقصوصة
صورة من حياة زوجين بعد عهد الزواج لا قبله .
وليس هذا لأن الزوجين اللذين رسم لهما هذه
الصورة مثلاً دور الحب الأول تشبيها عاجزاً لا يستحق
جهد الرسم ولا عناء التصوير ، إنما نهمله لأنه كان
طبيعياً لم يثر شيئاً من فضول الاستغراب في الناس ،
كما لم يثر عواطف الحسد ولا مزاحمة الطامعين التي
تكون السبب الأول غالباً في تمقيد الصورة وإكسابها
تشويق الطرافة وإثارة المفاجأة . فصادق كان بين
طلاب الصفوف العليا في الجامعة مثال الشباب النليل
والرجولة القوية والمواهب النادرة : أخلاق وطباع

الموت ووجوم الفناء، وحيناً أمام أقسى الآلام وأشد الأوجاع وآلم الزفرات . ألا يكفيه كل هذا البلاء حتى أحله أعباء البيت وأثقاله لأنصرف إلى الزينة والزيارات وقتل الوقت في ثرثرة المجالس وبطالة الاجتماع ؟ ! ... وفوق هذا ما فتئت فريدة تهيم له كلما آب من عمله جواً روحياً من ذاتها ومما يحيط بها ، يمت إلى نفسه الراح والروح ، وينفض عن شعوره وأعصابه ما علق بها من انقباض ، وخالطها من ارتعاض . تلقاه منشوفة مشرقة ، وتقضي الوقت بين يديه موقدة الحس مشبوبة الماطفة ، وتودعه لطيفة واجفة ، كأنه ذاهب في سفر بعيد أو لخطر أكيد . وهكذا صرت الأيام تترى وخياة هذين الزوجين مثال أعلى ومثل مضروب لهناء الزوجية في السر والاعلان . وقد زاد في هناء الزوجين وثوق بينهما التناجح الباهر الذي نجحه صادق حتى تخطت شهرته المحيط الضيق الذي يعمل فيه ، وغدا مثابة الزماني والمرضى في مختلف القرى والمدن المحيطة .

هذا وقد تعرف صادق بحكم عمله إلى أسر كثيرة ، وتوثقت عري الألفة والصداقة بينه وبين عدد كبير منها . فكثرت دعوات هذه الأسر له وزوجته في المناسبات السعيدة التي تقتضيها الحياة المصرية . وكانت فريدة أول الأمر جدم متشبثة لهذا الطور الجديد من حياتها ، وأقول جديد لأنها نشأت في أسرة محافظة ، ثم تسلمها المدرسة بجدها وأوامرها ونواهيها المديدة ، ثم انتهت إلى التعليم وهو يضع من القيود ويفرض من الواجبات على العلة مالا يبق لها معه مطمح ولا سبيل لهذه الحياة الاجتماعية الحافلة

إلا أنه ما عم أن أخذت فريدة تضيق بهذه

صادق وفريدة عن التقليد الحديث هنا ، فقد قام الأهل والأصدقاء يودعونهما في إحدى أمسيات الربيع المبكر إلى السفينة التي أقطمها إلى أحد الأقطار المجاورة يقضيان شهر العسل كأنهما ما تقضي فترة من العمر

وعاد الزوجان عند نهاية الشهر ، هو لتأبمة عمله ، وهي للقيام بواجبات الزواج والبيت . ولا حاجة إلى القول بأن صادقاً كان إلى هذا الوقت قد اكتسب ثقة المائلات المديدة وأصبح مثابة المرضى وموضع الأمل في الشفاء والسلامة . وقد ساعده على ذلك العلم الوثيق والإحاطة الشاملة والتأبمة الشديدة لكل جديد في عالم الطب ، لعله أن الطبيب الذي يقفل مسائرة مستحدثات الطب يضحى شيئاً عتيقاً في وقت قصير . هذا إلى الشخصية المحببة والأخلاق الموزونة والثقة بالنفس في غير اعتداد ، والفهم السريع والادراك الصحيح للأزمات النفسية التي تتناوب المرضى والمشتلين ، إلى إشراف قوى في الوجه والنفس يمت في النفوس أملاً قوياً في الشفاء ورغبة أكيدة في الحياة

أما فريدة فقد غدا مهما توفير الراحة الفكرية والحسية لصادق ، ليصفو ذهنه وينصرف إلى عمله الدقيق أخل ما يكون بلا ، وأهدأ ما يكون فكراً ، وأشد ما يكون انصرافاً عن توافه الضرورات المنزلية والحاجات البتية المربكة . وكانت تقول : ألا يكفيه هذا العناء الموصول والجهد المضني والزيارات للمفاجئة تستله من أحضاني أو من بين يدي ليلاً أو نهاراً ، وتمرضه للبح الحر أو فتح القتر ، إلى ما يرهق التصور ويرمض الاحساس من العيش الدائم بين آلام الناس وأحزانهم ، حيناً في غمرة

مخالطة الناس ورضيت بالوحدة والاقطاع عما سواها؟
 كلا ! كلا ! والدليل أنني لا زلت أرتاح لزيارة
 صويحباتي وجاراتي، وأنني ما فتئت أزوهن وأسزيرهن
 وأجد الأئس والنبطة في ذلك . إذا ما هو وكيف
 أنفسه ... ؟ ! يا الله ! أيمن أن يكون ذلك
 هو السبب ؟ ! أكاد أعرف ! أكاد أكشف الحقيقة
 المرة ... لقد شاهدتهن في الحلقة الراقصة منذ
 أسبوعين يتسابقن للرقص معه ، ورأيتن يقمنه
 بعبور لا يخفى فيها الإعجاب إن لم يكن ما هو فوق
 الإعجاب ! ثم ألم تمتدح جميلة وسعاد ذوقه ولطفه في
 أذني ؟ وتلك الشقراء معورة العينين شهوانية اللحاظ
 كم أثنت على سمته وأناقته « التي لا ترتفع إلى حدود
 التماثل الهندسي والبسمت البودى كما نرى في بعض
 الخناثين من عباد الزى والأناقة »

ووقفت فريدة عند هذا الحد من التساؤل
 والتظلي خشية أن يجرفها تيار الشعور إلى نقطة
 الخطر في مجارى الشعور حيث تتركز المخاطر
 والهواجس وتحتشد في نقطة واحدة لا تحول عنها
 ولا تريم . وعادت تقول : وما شأنه هو إذا كان سمته
 أو ذوقه أو أناقته أو أى عنصر من عناصر شخصيته
 مثار الإعجاب ومبعث التقدير أو خلافا في نفوس
 الأوانس والسيدات ؟ أليس هو لي وحدي دون
 سواي ؟ أليس يعود في الساء من عمله المرقى فيزول
 في لحظة كل ما ازدحم على جبينه من تقطيع الجد
 وكفهرار العمل ، ويودعني في الصباح وبوده ألا
 يودعني ؟ ألم يقل لي منذ حين إنه لا يشمر بأنه يحيا
 على متن الحياة إلا في البيت ، وأنه خارج البيت كأنما
 يحيا على هامش الحياة وخفاف الشعور ؟

هكذا حلت فريدة الموقف وعرفت أنها

الاجتماعات بمض الضيق ، وأخذ يرين عليها شيء
 من الاقتباس والخرج كعاديت إلى اجتماع من
 هذه الاجتماعات ، بل لقد تطور الاقتباس والخرج
 إلى مقت وكراهية شديدين . على أن فريدة كانت
 من قوة الإرادة ورهافة الحس والتحرز بحيث لم
 يند عن لسانها كلمة أو تبتد منها بادرة تشي بما أخذ
 يستقر في نفسها من مهارة وكره لهذه الاجتماعات
 حتى لا تؤذي شعور الزوج وهي الحريصة جدا
 الحرص على أن تبقى جو البيت الروحي والحسي خنة
 بفي إليها من عتاء المهنة وأوصاب العمل

وكانت هذه الحال تقضى إلى أوخم المواقف
 لو استمرت هذه المقدرة النفسية في نفس فريدة
 وانحدرت إلى معمل العقل الباطن ليحولها سماً زعافاً
 يسمم الروح ويثقل الأعصاب ، ولو كانت فريدة
 عادية الدكاء غير شديدة التفتن والفحص لكل
 بادرة من بوادر النفس وكل هاجسة من هواجس
 الشعور ، فلقد لاحظت هذا الطور الجديد من الشعور
 تنتهي إليه من غير إرادة ولا عزم منها ، ولما حلت
 كذلك أن نصارتها أخذت تجف يطفء ولكنه
 أكيد ، وأن الألق والبريق اللذين ينبعثان من عينيها
 انبعاثاً غريباً أخذ مكانهما ككرة واضحة واعتزاز ،
 وأن تينك الوجنتين الورديتين أخذ لونهما ينصل
 ويحول ، وأن الشفتين المرجانيتين حل محلها خطان
 أبيضان في حمرة خفيفة توشك أن تروى . وهالها
 ما رأت ، ووجت تفكر وتحلل ؛ ولو كان لهجس
 الشعور صوت مسموع لسمعتها حينئذ تقول :

لم كل هذا ؟ ! إنني أشعر بسرور خفي ولكنه
 أكيد كذا مضى الأسبوع ولم تكن دعوات ولا
 اجتماعات ولا زيارات . أيمن أني مللت حقيقة

إهمالاً تكاد تبين فيه القصد، وأن رأته يخلق ذهنه يوماً ويتركها يوماً آخر بدل الخلاقة اليومية التي احتازها . وقد نهته يوماً إلى ذلك فأجاب : إن الخلاقة كل صباح صيرت جلدة وجهي حساسة كل الحساسية ، فانا أعود إلى إطالة فترة الخلاقة لأريحها

وأخيراً زال كل شك من نفسها فيما انتهت إليه من أمر صادق حيناً رأت شعر رأسه يتدل وراه أذنيه بشكل ظاهر ، فاغبروقت عينها ، ودلفت إليه وجلست حذاءه ، كف ترق على سحتته ، وأخرى تبعت بشعر رأسه ، وخطبته بصوت فيه الألم والسرور :

وأخيراً يا صادق ، ألا تنوى أن تدعو الحلاق ليسوي هذا الشعر الذي أخذ يتدل وراه أذنيك بشكل ظاهر ؟ هل أدركك ذهول الفلاسفة أو اعتقادهم أنه ليس ثمة فكر عميق بدون لحية كثة وشعر مهدل طويل ؟ هذه اللحية الشائكة تكاد تترك خدوشاً في وجهي كلما أمردت سحختي على سحتتك

— أما لحيتي فقد فسرت لك لماذا أحلقها يوماً وأتركها آخر . وأما شعر رأسي فأوثر أن أتخطئ الزمن الذي كنت أعيثته للخلاقة لأنجو بعض النجاة من أخطار الحلاقين وما يعرضون المرء له من أسباب الدوى والإصابة . وقد فاتني أن أذكر لك أنه جاني في الأسبوع الفائت شاب يطلع على وجهه مرض خبيث ، وبمذ البحث علمت أن حلاقه آتخفه بهذا المرض بموساه أو يده القدرة . ألا تبص الله الحلاقين ! إنهم وسيلة أكيدة لنقل الأمراض ! — اسمع يا صادق ! غداً عيد ميلادك وسوف يكون عنديا صنوف من الناس ، ولن أطيع أن أراك

وساوس العيرة في غير مبرر ؛ أخذت تنهش وتمتث في صدرها « ولكن أليس هذا كالذي يستلقي في الفراش ويذهب يث وتوجع توجع المريض المدنف لا لشيء إلا لئله أن في الهواء الذي يستنشقه جراثيم المرض وأسباب الإصابة ؟ »

ولكن المنطق شيء والمطافة شيء آخر . فإن فريدة — بالرغم من تحليلها هذه الماطفة الطارئة تحليلاً صحيحاً ، وبالرغم من زوال الشيء الكثير من أسباب القلق وعدم الاطمئنان — ظلت تشعر بالراحة وانفراج الشعور كلما مضى اليوم أو الأسبوع دون أن يُدعوا إلى اجتماع أو يُضطرا إلى إقامة اجتماع في منزلها . وتمتت لو تزول هذه الاجتماعات زوالاً نسبياً أو مطلقاً فيزول معظم السبب فيما تخشى وتحاذر ولا تحظت فريدة كأن رغبها في هذا الشأن أستجيت ، فقد رأت صادقاً يستدر لأصدقائه عن كثير من هذه الاجتماعات بحجة العمل الكثير والزيارات الطبية المفاجئة ؛ وقل تبعاً لذلك دعوتها الأصدقاء والمعارف إلى منزلها . وقد جعلته فريدة أولاً محل الأمر العارض الذي لا يلبث أن يزول ، ولكنها لاحظت استمراراً من صادق على الأعراض عن معظم هذه الدعوات ، فأخذت تسائل نفسها : أيمكن أن يكون قد فطن إلى ما في نفسي فاستجاب له استجابة الزوج الوفي الكريم ؟ وهل كثير على صادق أن ينفذ إلى علة قلتي وشحوبي ، وهو الذي لا يخفي عليه خافية من أمرى ؟ الحق لولا أنني لا أحتفظ في صدرى بصورة غير صورته لأرعدت كلما أطل في عيني أو تفرس في وجهي

وزادها يقيناً بأن صادقاً عرف خبيثه أمرها فأخذ يجارها على ما في نفسها أن رأته يهمل هتدانه

— أوه ! أغتفر ماذا يا فريدة ؟ أغتفر لك أن شحب لونك ، وزالت نضارتك ، وشح نومك وأوشكت أن تدوى ذوى الهمرة في مهب الريح اللاخفة لما خيل إليك أنني صائر إلى غيرك ؟ ! ثم أية متعة من متي لا آتخلى عنها في سبيل أن تعود إليك نضارتك ويثوب إليك بشرك واستقرارك ، كما لاحظتها تعود بعد زوال مذلتي استجابتنا للدعوات والاجتماعات

ومن ذلك الحين عادت الزيارات إلى الاتصال ، وعادت ألبسة صادق إلى أنافتها وانسجامها ، وطدت فريدة لا يقلقها أن تسمع الثناء والاعجاب بصادق يصبان في أذنيها ؛ فلقد وثقت بأنه لها وحدها دون سواها ، بل لقد أصبح الاعجاب بصادق في أية ناحية من نواحي شخصيته يسرها ويطررها . ذلك أنها وثقت بأن صادقاً جزءاً منها ومكمل لها حقاً ؛ وإذن فالثناء عليه والاعجاب به لها فيها حصّة

أدب عباسي

بهذه القنن أو هذا الرأس ، فأما أن تقوم تدعو الحلاق الآن أو ...

— أو ماذا ؟

— أو أنني آتى بالقص والشط ، أنا

— بالله أسرع يا فريدة ! إنه لتدبير والله ! سوف نوفر القروش التي تدفعها لذلك الثمار . وفوق ما توفرين من دراهمي سوف أكون آمناً على نفسي بين يديك . وفرق بين أن يمر ذلك الحلاق القنن يديه على وجهي وعنق ، وبين أن تمرّ يدي هاتين اليدين النظيفتين على رأسي ووجهي .. لماذا تلكتين ؟ هل آتى بالقص والشط أنا ؟

لا تتجاهل يا صادق ! فأنت أدق حساً وأوعى شعوراً من أن يجوز عليك طور من أطواري . هيا نسدل ستاراً على هذه المهزلة التي أوشكتُ بمحافتي أن أصيرها مأساة

وطوقته فريدة بذراعيها وإنهالت تقبله وتقبله حيناً وقع فيها من وجهه ورأسه ، والدموع تسفح على وجنتيها ، والكلمات تقطعها أنفاسها التهذّجة وصدرها الذي أخذ يعلو ويهبط بسرعة وشدة .

ولم يستطع صادق عند هذه الثورة النفسية إلا أن يستجيب لها ويرد لفريدة قبلة قبلة ، وهو في خلال ذلك يناديها ، مالك ؟ ! أجننت ؟ ! لاشك قد جننت ! لقد خفقتي وكتمت أنفاسي ! خلى عني ! أنني وحده لا يبكي للتفلس !

وتجيئه : نعم جننت ؟ وآية امرأة لا تبين إذ يكون لها مثلك ؟ ! لقد جزت الامتحان يا صادق . لقد جزته . اغتفري لغيرتي الحقاء التي صدّتك عن محافل الأنس ، وألبستك ما لا يتلاءم وذوقك وكادت تبدّلك فيلسوفاً بلحية مرخاة وشعر مرسل

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

العدد ١٢ قرشاً

وشيجة القرابة وأصرة
المودة

وباع كورني آخر
رأس من ماشيته وهو
حمل صغير ، بعد أن
اقتصد زهاء ثلاثة آلاف
روبل. ووصل إلى سمحه

أن ريفيا في الجيرة يبيع

أرضه بثمان زهيد ، فذهب
يتقصد أثره ، ويتسقط خبره ،
إلى أن وقع عليه في بلدة قريبة ،
فباد إلى بلدته بعد الصفقة ، ويمهد
السوم ، ويعود بالثمن

وعند ما بلغ كورني المحطة ،
وكانت في جهة قضية عن البلدة ،
كان الصباح قد لألأت حواشيه ،
وكان الجو مبشئ بالسحب الجون ،
والجليد يساقط على الأرض في
هيئة ولطف ... وما غادر كورني
القطار حتى التقى بالم (كازما) ،
وهو رجل رقيق الحال ، حقوق
النفس ، يقتاب الناس ويمتحنهم ،
ويطوى في نفسه الحسد والحقد
على الوسرين ، وخاصة كورني ،

كورني فاسيليف

للفيلسوف الروسي تولستوي
بقلم الأديب أحمد فتحي مرسى

بعد ليون تولستوي في مقدمة كتاب
روسيا الحديثة ... وتعد كتاباته
الأنجيل الأولى لثورة الأخيرة ..
ولد في سنة ١٨٢٨ وتلف ثقافة
فرنسية ثم بدأ كتاباته بتصور حال
الفلاحين البائسة وقد نظم الحكم
فبرع في هذا الناحية ، ولنا يرى متبع
أثره الأدبي أن جل مؤلفاته في هذه
الناحية

وقد نزل تولستوي في أواخر أيامه
عن ممتلكاته لفلاحين مما أكبه
عطف هذه الطبقة عليه ، وتملقها به .
وقد ماز تولستوي عن غيره من
أكتاب روسيا الحديثة النهج الواقعي
التي انتهجه لنفسه (Realism) تخالف
بنك من سببه أمثال پوشكين
و « جوجول » وكذلك مازهم
دقة تصويره لحال الفلاح وسيلس
الفاري ذلك جليا في هذه القصة
وقد اختفى تولستوي في أواخر أيامه
وتوفى سنة ١٩١٠

فتحي

لم يكن كورني فاسيليف
قد نصل بعد من ريعه الرابع
والخمس عند ما عاد إلى الريف
للمرة الأخيرة ؛ ولم يكن الشيب
قد وسم خصلات الجثلة المسبلة
غسب - بسمته الفراء ، بل جازها
إلى عذاريه فستهما مواسمه ،
ولاحت بهما رواعيه ... وكان
ألمس الوجه ، زشيق التركيب ،
رحيب ما بين التكنين ؛ تلوح
على وجهه رفاة المدينة وعيشة
الحضر

ومنذ عشرين حولا خلت
تجزر كورني من ربة الجندية
وتعلق التجارة ؛ ولكن ما تلبث
أن غشي نفسه اللال ، فأخذ يري

الماشية ترمي كلاً الضفاف وعشب الروج

وكان كورني يقيم « بجاني » في منزل تاد
الطراز ، مهتم الشرف ، ومن حوله أم مجوز في
مغرب حياتها ، وزوجة شابة في ريمان صباها ،
وطفل وطفلة لم تخطيا الهد ، ويتم فتى تربطه به
وكان لهم كازما عربة قديمة يجرها زوج من
الخيل الهزال الضامرة ، يثني مقادتها كل يوم إلى
المحطة ، عله يعود من الركب برجل أو اثنين ...
وبهذا كان يقيم أوده ... ابتدره كورني قائلاً :

لها جان صغير على رجع البصر ، فأمر كورنى الم
كازما أن يقف عنده حتى يستريحاً قليلاً ويربها
الحياد اللاعبة ... فجذب كازما عنان الخيل ، ومضت
المجلات تناقل في دوراتها حتى هدت حركتها .
فهبط الم كازما يمرس أطرافه في رخاوة وكسل ،
ومضى يرتب المقاعد ، وينسق الرصائع ، وينظم
أعنة الخيل

وقال كورنى :

— هل لك فى كأس من الخمر أيها الم كازما ؟
— لك الشكر يا سيدى

وجلسا يعبان الجام تلو الجام حتى أفضت الخمر
إلى ممكن أسرار كازما فضى بفيض ويسترسل فى
الحديث قائلاً :

إننى آسف لك أيها السيد كورنى ... كثيراً
والله ما صددت الألسن عن التشديق بك والخطوض
فيك قائلاً للناس : « وما مقدمه يميمد » وسترون كيف
يفار على شرفه »

وكان كورنى يسمع إليه وهو متكئ اللون ،
متفزع القلب ؟ وأخيراً قال فى خفوت :

— ألا تريد أن تسقى الجياد ؟ إن كنت لا
تود فدعنا نرجل

ومضت العربية تريف فى خطرتها ، وتصل ما انقطع
من الطريق ... وأخيراً بلغ كورنى البلدة عند ما
ضربت الشمس جبين الأفق الغربى ... فنادر
العربة ، وهو مائر الخاطر بمحلان الخطو ، وما ولج الباب
حتى قابله أفسستى بنفسه فحياه تحية فارة ثم صعد
الدرج فى تراخ وهينة

وقابلته زوجته فى نهاية الدرج مرجحة باحمة ،
وقادته إلى غرفته حيث لحقت به والدته وهى عجوز رقيقة

— ألا تغفلنى معك إلى البلدة أيها الم كازما ؟

— نظير روييل إذا قبلت

— أظن أن فى سبعين كوبك الكفاية

فتنى الرجل هامته موافقاً وهو يسارقه النظر
الشزر ، فصعد كورنى فتطرح على المقعد الخلقى
للعربة ، وهو لاغب وهنان ، ثم قال :

— حسن ... يمكنك أن تسير الآن

فانطلقت بهما العربية فى طريق رصف ظليل ،
وغشى عليهما الصمت برهة ؟ وأخيراً قال كورنى :

— وكيف حال البلدة أيها الم كازما ؟

— على خير حال يا سيدى ... اللهم إلا ...
فقامه قائلاً :

— اللهم إلا ماذا ؟ أماتت المعجوز ؟

— كلا يا سيدى ... إنها فى عافية صحيجة ...

وكذلك زوجتك الحسناء ... ولم يتحدث شئ سوى
أنها استخدمت عاملاً جديداً يدعى « أفسستى »

وأرسل الم كازما تحفة مرنة زلت على كورنى
كالم الوحى . ففند ما بنى كورنى بمارفا ، كانت
الألسن تتقول بذلك الاسم السالف بجانب اسمها ..
واسترسل كازما يقول :

— هكذا تسير الحياة ... إن أحداً لا يمكنه

أن يحد من حرية المرأة

— هكذا يقولون ! ...

ثم قال كورنى حائداً بمجرى الحديث :

— إن جوادك الكيت قد لحقه الكبر ...

وكذلك الأشهب

— لا بدع فى ذلك يا سيدى ... فهما كبسدهما

على شفا القبر

وبعد أن طوت المركبة زهاء نصف الطريق لاج

— إقستيني ... لا أذكر ... منذ أسبوعين
أو ثلاثة أسابيع
— أتميشين معه ؟
فانهضت واقفة ، وقد تفرّج وجهها ، وتكفأ
لونها :
— أعيش مع إقستيني ... ما هذه الأفكار أيها
الرجل ؟ من قال لك ذلك ؟ من روى لك الكذب ؟
— إنني أسألك : أهذا صحيح أم لا ؟
« قالها وقد اربد وجهه »
— دع عنك هذه الأراحييف .. أأخلك الحذاء ؟
— إنني أعيذ السؤال على سمحك .. أهذا ...
فقاطعته :
— أهذه هي التحية التي تحملها الى ... من ؟
أخبرك بهذا الكذب ؟
— ما الذي كنت تقولين له عند ما لحتكما وأنا
أدعو الم كازما ؟
— ما الذي قلته ... قلته أن يغير غطاء الخزان
— خبريني الحق ... وإلا قتلتك
وأخذه الغضب فجذبها من شعرها بقوة آلتها
— إنك لا تبني سوى الشجار ... يا إلحى
كيف أخلص من تلك الحياة ؟
— كيف تخلصين من هذه الحياة ... ؟ قالها
وقد احتمت غضبه المتوقد
— أجل . لماذا تنازني بالألقاب ... وترميني
برميّاتك الباطلة ؟ ماذا أفيد من حياة كهذه ... ؟
ولم يدعها تم كلامها بل انقض عليها يوسمها
صفعاً وركلاً ، وهو كلما أغرق في ضربها أغرق
في حنقه وقمته عليها ، وهي بين ذراعيه
تخبط كالبطائر في القفص ، تتلقى لكمة يديها ،

البدن سوداء العينين ، فرجت به باسمة جذلة ، ثم
جلست تنقله الحديث وتجاذه القول ، وهو نائر
شارد لا يناقشها القول ولا يراجعها العبارة .. ونجاة
تذكر الم كازما في الخارج ، فابتدر الباب ، وما كاد
يجذب مصراعه حتى لح زوجته وأقستيني تبها مسان
فر بهما دون أن يثنى إليهما الطرف وخرج فدعا
كازما ليتناول معه الشاي فلبى دعوته
وجلس على المائدة كورنى صامتاً معقود اللسان
اللم إلا كلمة قصيرة يجي بها ضيفه ، وبسمة عارضة
يختطفها من شفتيه
وانفضت المائدة وانصرف كازما ، وعاد كورنى
حزيناً واهياً ، فاستلقى على مقعد طويل ، ووسد رأسه
كفيه ، وهو نائر النفس ، موزع المخاطر ... وكانت
تطرق أذنيه الفينة بعد الفينة تفتّح وتقلق ، وأخيراً
ظهرت زوجته بالباب قائلة :
— يالوح لى أنك تعب ... فلم لا تستريح ؟
ثم عمدت شطر الفراش فأصجعت ابتها ... وصعد
الدم في وجه كورنى وقد ذكر قول كازما « وما
مقدم كورنى يميمد ؟ وسترون كيف ينفار على شرفه »
وجاش الغضب في صدره ، وانشعبت به الأفكار ...
وأخيراً رفع وجهه إلى زوجته وكانت مستغرقة في
صلاتها صادفة عما حولها
ثم قامت بمد برهة فتنتت على طفلها في رفق
ولبن قائلة لزوجها :
— إن « أجاشا » نائمة ... لقد أسبل الكرى
جفنيها وهي بين ذراعى
—
ثم سألتها بمد برهة :
أيعمل إقستيني هنا منذ طويل ؟

— ٢ —

سبعة عشر حولا تقضت

وكان الوقت خريفاً وشمس الطفل النارية تلملم
مطارفها المنضرة اللذبة عن المروج ، وقطيع
السيد أندريف في طريق العودة وهو ينقر الطريق
بأظلاله نقرات منتظمة رتيبة تثير فوقه من
النقع مايلبد الجو ويشفي على الميرون .. وكان يماشي
القطيع في المقدمة شيخ واهن أشيب الشعر تنوس
خصلاته الفزار على عطفيه ، وعلى متنه حقيبة
عتيقة ؛ وكان القطيع قد جازه إلى النصف فبدت
راعيته الحسنة تحت الخطى في جنباته منتقلة
من جانب الجانب إلى أن بلغت ذلك الشيخ لحيته في
عجلة وسألته في عطف : لعلك غريب عن الناحية
يا سيدي ... وأنتك في حاجة إلى مكان تقضى فيه
الليل ... فلا تقصد غير دارنا ... الثالثة من أقصى
البلدة ، وهناك كنتي وهي عجوز مثلك وستلذك
بكل تحريم

— الثالثة من أقصى البلدة ؟ أظنها دار

« زينوفيف »

— ومن أين عرفت ؟

— لقد كنت هناك

وأسرعت الفتاة إلى مؤخرة القطيع تستحث

حمار صغيراً ذا ثلاثة أرجل ليلحق برفقته

أما الرجل الشيخ فقد كان كورني فاسيليف ،
وأما الراعية الحسنة فكانت ابنته أجاشا التي كسر
ذراعها من سبعة عشر عاماً وكانت قد تزوجت في

قرية صغيرة تبعد عن « جاني » قرابة أربعة أميال

وتحوم كورني من ذلك الرجل ذى الحول

والطول والثراء ، إلى ذلك الرجل ذى الاطار البالية

رستفتح ذراعيه بذراعها ... وبين ذلك تيقظت
الطفلة على الجلبة وهرعت إلى أمها ، فجمحت به
نوازي غضبه فرفعها وربماها في أقصى الترفة بكل
ما وسعت قواه ، فأخذت الطفلة تصيح لحظة
أو لحظتين ، ثم تخافت بكأؤها وخذت أنفاسها
وأقبلت والدته المعجوز تستطلع جلية الأمر وقد
تهدل شعرها الرمادي الجثل ، وهرعت إلى الطفلة
دون أن تتالم الخبر من كورني وحملتها بين ذراعها ،
وكان كورني جامداً في مكانه يتنفس في قفل ، وقد
جهده الصراخ ، وهد من قواه ، وصاحت المعجوز :
— أنظر ماذا أنزلت بالطفلة ... لقد كسرت

ذراعها

لكن لم يد على كورني أنه فهم شيئاً ، واستدار
على عقبه وخرج من الحجرة حتى بلغ ساحة الدار ،
وكان الظلام غامقاً على الكون ، والجديد يساقط
فينوب على وجهه المتقد ، وطفق يأكل ما علق
بالسياج من الجليد كأنه يطعم به لاهب حناياه وضارم
قلبه ... وكانت الريح ترد إليه من جهة المنزل أسداء
بكاء الطفلة فيخيل إليه أنها صادرة من أفق نام عنه
وأخيراً هب كورني من مجلسه ودخل غرفته .
فأخرج ثم أخذ يرتدي ثيابه . فلما فرغ منها انتقل
إلى الغرفة الأخرى ، فابقظ التلام اليتيم ليسرج
له الفرس

وكان الفجر قد أفصح عندما امتطى كورني
صهوة فرسه ومضى في الطريق الذي جاء منه أمس
في خيبة كازما

وبلغ كورني المحطة قبل تحرك القطار يضع
دقائق ، فارتى لاغياً على مقعد المربة ، ثم صفر
القطار وتحرك ، ثم غاب ... فغاب معه كورني

وأهزأته وتولته الأناة في سيره وسراه ، حتى بلغ في أسبوعين المكان الذي قابل فيه ابنته دون أن يتعرف عليها

— ٣ —

وفعل الشيخ كما قالت له الفتاة فضى إلى المنزل وسأل أهله عما إذا كان هناك ما يحول دون قضاء سواد ليله في ضيافتهم فرحبوا به وأنزلوه على الرحب والسعة ... وقالت له ربة البيت المجوز :
— إنك وشيك أن تتجمد أيها الشيخ ...
فها هو ذلك النوقد أمامك

ورحب به زوج أجاشا الشاب وكان يسرج المصباح في ركن الغرفة ؛ وطفق الشيخ يخلع ثيابه النداء ليخففها ، وبعد برهة أقبلت أجاشا فسألت عن الشيخ قائلة :

— أورد عليكم شيخ غريب ؟

— ها هو ذا

وكان كورني جالساً قبالة المدفأة يمزج أطرافه المرضوضة وييسط أعله فوق النار . ولما حلّ موعد الشاي دعوه فلبى ، وجلس على طرف المقعد ، وأخذوا يتساجلون الحديث عن الجو والزراعة والقمح الأبيض استأنوا في حصاده لجفاف الجو

وخرج كورني من صمته قائلاً : إنه مر في طريقه بكثير من المزارع المبكرة الحصاد ... والتفت فجأة إلى الفتاة قائلاً :

— ما ذا أصاب ذراعك ... لماذا لا تحركيها ؟

فتولت عنها ربة البيت الجواب قائلة :

— إنها كسرت ولم تزل وليدة في المهد .

— ولكن لماذا ؟

— كان والدها رجلاً من أثرياء جاني يدعى

والأعصاب الواهية ، والجسم الهازل الوهتان ، وهو كلاً أضمن في السقم أضمن في الثبوت والتيقن أن زوجته هي التي جرت عليه ذلك المذاب الأليم اللقيم في ذلك المساء الذي نشب فيه اختلاف بينه وبين زوجته وخرج هائماً على وجهه سرّاً في طريقه بذلك الرقيق صاحب الأرض المبيعة ، فلم منه أنه تم بيعها لآخر ، فقصده إلى موسكو وهناك استباه الشراب وأصباه ، فثلث يعاقر الخمر ليل نهار حتى علقته وعلقها ... ثم ابتاع قطعاً من الغنم ولكنه هلك عن آخره ، وأتبمه بآخر ولكن جده تثر به هذه المرة أيضاً ، فلم يبق في يده من الثلاثة الآلاف روبيل إلا خمسة وعشرون

وتنفس كورني طريق العمل فاشتغل كاتباً في مزرعة ، ولكن الخمر استلبت عقله فلم تدعه في عمله طويلاً ... وانتقلت به الحال من مئ إلى أسوأ ... فاشتغل راعياً ولكن طالع المائر لومه هنا أيضاً فنفق القطيع عن آخره لئام انتابه ... ولم يكن لكورني ذنب في ذلك ولكن صاحب القطيع جمع به الفضب فطرده من عمله هو والكاتب

وأخذ كورني يطوف بالبلاد بائناً متجولاً حتى انتابته حتى مستعمية وهي لها جسمه ووهنت أطرافه ، وليس ثمة معين له أو مقيل في غربته ... فقر به العزم أن يصل السير إلى موطنه عسى أن يكون الموت قد أودى زوجته فيعيش بجانب ولده ما تبقى من العمر . ونمضى يقول لنفسه :

— عليها قضت نحبها الآن ... فإن لم تكن فسأمضى لأخبرها ما ذا جرت عليّ من البلا .
والهوان

واشتدت عليه الحما في الطريق فأضوته

— ٤ —

وأفصح فجر اليوم التالى عن صباح مائع من
أصباح الخريف فتبقيظ كورنى وجمع متاعه وعيم شطر
الباب فلقحت به ربة البيت قائلة فى دهش :

— أما تنتظر الإفطار ؟

— يحفظك الله ... يجب أن أذهب الآن

— إذن لانس أن تمر علينا فى طريق عودتك
فتتم شاكراً ثم مضى فى سبيله إلى بلدته ،
وكانت عواصف الخريف قد تنهت من غفلها ،
وهبت من رقبتها ، فصفت بأسماله ، وغشيت على
عينيه ؛ ولكنه كان يعلم الطريق جيداً ، فأخذ يتبعه
دوحة بعد دوحة ، ونهجاً تلو نهج ، وأخيراً بلغ
البلدة فإذا كل شيء فيها كما هو المهد به ، إلا
القليل من مبانيها الذى خر من عحمده ، وتداعى
من أواسيه

وأدناه السير إلى داره ، فإذا بها على حالها لم
يمس بها البلى ... وعلى حين اقترابه منها فتح الباب
فجأة ، وخرجت منها فرس صغيرة فى قرابة الثالثة
من عمرها فادرك كورنى فرسه التى شيعته إلى
المحطة فى سفره ، فقال محدثاً نفسه :

— لا بد أن تكون تلك ابنتها ... ففها من

أما شبه فى صدرها الرحيب وقوائمها الدقاق ...

وكان يتولى مقادة الخليل إلى شهلها غلام أسود
المتين هازل الجسم

— إنه حفيدى ولا شك ففيه من ولدى عيناه

السوداوان

وأخذ كورنى يصعد الدرج فى هواة وتؤدة
حتى بلغ الدرجة التى جلس عليها ليلة أن برح
البلدة ، وإذا ذاك طرق أذنيه صوت امرأة تصيح :

كورنى فاسيليف ، كان فى عيش رغد مع زوجته
ولكنهما اشتجرا ذات يوم ... فجنىا على طفلتهما
المسكينة ...

وارتجفت يد كورنى بكوبة الشاى فأراق نصفها
قبل أن تصل يده إلى المنضدة ليضعها

— ولكن لماذا فعل ذلك ؟

— من يعلم ؟ كثيراً ما تدور الإشاعات الباطلة
حولنا نحن النساء ... يقال إن سبب الخلاف أنها
استخدمت عاملاً جديداً من بلدتنا هذه ، وقد
مات بعد ذلك بسنين قلائل ... وسأل كورنى
فى ذهول :

— مات ؟

— منذ أمد طويل ... لقد كانت المائلة فى
خفض من الميش عند ما كان عائلاً حياً
— أمات هو أيضاً ؟

— نرجح ذلك ... فقد اختفى من زهاء خمسة
عشر عاماً . فقاطعتها أباشا :

— أظن أن عهد اختفائه أبعد من ذلك ...
فقد أخبرتنى والدتى أنه اختفى ولم أزل فى الرضاع
فقال كورنى :

— أأنت ناقة عليه لأنه كسر ذراعاك ؟

— وكيف أقم عليه ... ؟ إنه أبى قبل كل
شيء ... أصب لك قليلاً من الشاى ؟

ولكن كورنى كان مستغرقاً فى صمته تتابع
أنفاسه . فسأله :

— ماذا طراً عليك أيها الشيخ ؟

— لاشئ ... يحفظك الله

وقام الشيخ يتحامل على نفسه ، ويتساند إلى
الحائط حتى بلغ الموقد فجلس يحامه صامتاً

— لحظة أيها الشيخ ... ثم أريد إلى المنزل وتلبث كورني في مكانه مثنى المثنى ، مستنداً إلى الحائط ، مهدل الجسم ، وقد خفت وجيحه وعالوده الضعف ... وخرج إليه بعد برهة شاب تلوح في عياله القلة ... عرف فيه ذلك اليتيم الذي كان يكفله ... وتقدم إليه الشاب يضع لحيات جافة ، فأخذها كورني من يديه وهو يعالج حبس دموعه التي نذت وجهه

واستدار كورني وأخذ ينزل من الدرج ماصداً ، وهو يتكفأ ويساقط في خطاه ... ومضى في سبيله حزيناً وأهنا

وتلبثت مارفا تسارقه النظر من خلف سجناف النافذة حتى غاب في منعطف الطريق ... وعطفها الذكريات إلى الماضي قد كرت كورني الشاب الذي ودعا وودته ... إنها ما كان لها أن تلتاق في هذا الجفاء بعد غيبة طويلة ... وتشعبت بها الأفكار وتالت عليها فصت تنفضها عنها بالتمهي بالممل

— — —

وبلغ كورني دار ابنته بعد لأي وجهه فقالت له :
— إنك لم تذهب بعيداً ياسيدي
— لم أستطع .. فقد هنت قواي .. سأراجع أدرأجي .. أيمكنني أن أقضى الليل هنا ؟
— بكل سرور

وقضى كورني ليلته في صراع الحمى ، ساهد الجفن ، نابى المضجع ، حتى وضع النهار وغداً كل إلى عمله ، ونظر فإذا أحشاها تمد الحزن على غير بعيد منه فتأداها في عطف فأجاب :

— لحظة واحدة ياسيدي ... أريد شيئاً ؟
ولكنه لم يجب ، وأقبلت إليه ، وكان مطر حاراً على ظهره ، فقال دون أن يرفع إليها الطرف

ومن هذا الشحاذ التجزئ على الصمود إلى الدار دون أن يسأل ؟ وعرف في الصوت صوت امرأته ... ونظر فإذا على صرير طرفه امرأة ضاحكة عجوز ... وكان كورني يتوقع أن يرى امرأته فيما كانت عليه من جلال وزهرة ، فإذا به حيال امرأة قد خدش وجهها ظفر الزمان .. وصاحت المرأة :
— لا شيء عندنا ... يمكنك أن تأكل النافذة

إذا شئت

— إنني لم أقدم لأسألك شيئاً

— ما الذي تريده إذن ؟

وتوقفت فجأة عن الحديث وتبدى في وجهها كأنها عرفته

— إن هناك كثيراً من السائلين أمثالك ... يحومون حول القرية كل صباح فاذهب ... اذهب ! وتذاعت أطراف كورني فتساند إلى الحائط وقد بهت لونه ووجف قلبه وقال في خفوت :

— مارفا ... لم يبق لنا من الحياة إلا شطر قليل

— أرجوك أن تذهب ... اذهب

— أليس عندك مزيد من القول ؟

— كلا ... ليس عندي مزيد ... فاذهب

لشأنك

وبخطى وثيدة تدافعت إلى الخلف وغلقت عليها الباب ، وفي هذه اللحظة ارتفع صوت رجل من الداخل يقول :

— لماذا تطردن الشيخ ؟

ورز من الباب شاب قارع القامة ، مستقيم المود أسود العينين ... كان يلوح كأنه كورني من أربعين حولاً خلت ... ولم يكن ذلك الشاب إلا ولده « فيدكا » الذي خلفه من سبعة عشر عاماً وليداً في المهد ... قال الشاب :

فأطافت الشمعة ، ونشرت على وجهه غطاء أبيض

وقضت « مارفا » الليل لا يغمض لها جفن ولا يقر بها مضجع . فلما انحصر الليل عن جبين النهار تأزرت وخرجت تبحث عن ذلك الغريب ، فلما بلغ منها السى ، علمت أنه آوى إلى منزل « أندريف » فيمعت شطره ومضت تقول لنفسها فى الطريق فليصغ كل منا عن الآخر ، وليقض ما بقى من العمر فى جوار ولده

ولما تدانن مارفا من المنزل رأت جمعا من الناس قد تحشد على الباب وهم يتخافتون بينهم أن كورنى فاسيليف ، ذلك الرجل الثرى الذى غادر القرية من سبعة عشر عاماً ، يسلم أنفاسه فقيراً فى منزل ابنته وأقبلت مارفا على المنزل ، فأفسح القوم لها الطريق ولكنها لم تكذب تتوسط الدار ، حتى وقع نظرها على جبان كورنى ممدداً جامداً
إنها وردت مستأنية مبطشة لتسأله الصفع أترى صفع عنها ... وخفضت نظرها إلى وجهه تتلس فى قماته جواب سؤالها ... ولكن وجهه كان أملس لا يتاسك عليه إيجاب ولا سلب
القاهرة .
« فحقى »

— أجالسا ... لقد حانت منيتى ... فبحق السماء

أسألك الصفع عني

— صفع الله عنك يا سيدى ... ولكنك لم تفعل ما يستوجب الصفع فاستدع الشيخ ثم قال — بل هناك ما يستوجب ذلك ... إذهي إلى والدتك ... وقولى لها ... وقولى لها ... إن ذلك ...

الغريب ... إن ذلك ... الغريب

وأخذ الشيخ ينشج ، فقالت ابنته :

— إذن لقد ذهبت إلى دارنا أمس

— أجل ... قولى لها ... واستجمع الشيخ ما تشئت من قواه ، ثم قال :

— إن ذلك الغريب قد أتى يستودعك الله

وأخذ الشيخ يبحث فى جيوبه بيده الراجفة فسأله :

— عم تبحث يا سيدى ؟

ولكنه كان مستعرباً وأجماً فلم يجب ... وأخرج من جيبه بطاقة صفراء صغيرة قدمها إليها قائلاً :

— أعطيتها هذه إذا سألت عن ذلك الغريب ... إنها بطاقة الجنديّة ...

ثم غارت عينا الشيخ ، واصفار وجهه ، وهمس إليها قائلاً :

— أعطيتى شمعة

فتناولت قطعة من الشمع وأوقدتها وأعطتها

للشيخ وهي تكاد تسقط من التأثر ... ثم ذهبت لتحفظ البطاقة

... وعادت أجالسا فإذا الشيخ جامد فى مكانه

وقد جمدت عيناه ، وتصلب عوده ، ويست يدعى على الشمعة فتأذنه ... ولكنه كان قد أسلم الروح ...

كتاب بار جديداً
الموجز في الحوادث

هما غير كتابيه يعلمانك الفرنسية بنفسك

يأبأن جميع المكاتب عن كل منهما بمبلغ ١٠

بعد ، وكنا نطيل التردد متلهسين في الحيرة لذة جديدة ونحن مكبان على الرسوم يصدم جنبي جنبها ويطوق ذراعي خصرها ، فقسألني وأسألها عن مكان عزلتنا ، وعما سنفعل في حياتنا الجديدة

بأى بيان أوضح ما كان يخالجنى من ندم على ما فات عند ما كنت أرفع رأسى مبتألاً في هذا الوجه الشاحب الحامل آثار الآلام الماضية ، وقد أنارته ابتسامة الأمل . وكنت أنصت إلى كلماتها العذبة تصور ماسكون عليه فأتعنى أن أريق دمي فداء لها أى أحلام التلى ! لعلك أصدق سعادة تتمتع بها في هذه الحياة

ومضت سبعة أيام ونحن نفتش عن مأوى لنا ونتجول في المدينة لاقتباع ما نحتاجه لتزيينه ؛ وفي اليوم الثامن طرق بابنا شاب لا أعرفه يحمل رسائل لبريجيت ، وبعد أن قابلها وانصرف رأيتها حزينة واهية القوى ، وما عرفت عن هذه المقابلة سوى أن الرسائل واردة من المدينة التي كنت تبعت بريجات إليها لأملى لها غراى حيث يقطن أقرباؤها

وأعدنا في زمن وجيز كل ما احتجنا إليه ، فأصبحت مأخوذاً بفكرة الرحيل ، وقد تولاني منبأ تمثل منع كل راحة عني ، فكنت أنهض من فراشي مبكراً وأدخل إلى غرفة بريجات ماشياً على رؤوس أصابعي متحاشياً إيقاظها لأجثو أمام سريرها ، حتى إذا أفاقت رأيتني شاخساً إليها ، وقد بللت أجفاني الدموع ؛ وما كنت أدري أية وسيلة أتخذ لأثبت لها إخلاصي في ندامتي ؛ فتجاوزت حدود الأعمال الجنونية التي لامستها في غراى الأول ، وأصبحت أستوحى غراى الجامح كل عمل يتجه إلى الشطط والإفراط ؛ فتحول عشقي إلى نوع من المتبادة ،



من أعماق النفوس

استغاثت في العصور

لأفريدى موسى

بقلم الأستاذ فليكس فارس

الجزء الخامس

الفصل الأول

قدمنا إلى باريس مصممين على الرحيل منها إلى سفر بعيد . فألقنا في منزل خاص لنبدأ ما نحتاج إليه ، وكان تصميمنا على مفادرة فرنسا بدّل كل شيء في نظرنا فماد إلينا الفرح والأمل والثقة مرة واحدة ، وتبدد الحزن من حولنا ، وقضت فكرة الانتقال القريب على كل مشاكسة وجدال

واستغرقنا في أحلام سعادتنا وأصبحت لا أنقطع عن ترديد أغلظ الأسماء بأنى لن أتحول عن حيي ما عشت موحهاً كل عنائي إلى إنساء خليلتي كل ما حملتها من شقاء وأوصاب . وما اكتفت بريجات بإبالتى عفوها ، بل أظهرت أنها لا تردد في تضحية كل ما عزّز للحاق بي ؛ وهكذا رأيتني مدفوعاً بدافع الإنصاف إلى مبادلها إخلاصها بمثله ، فتغلب حبي لبريجيت وإعجابي بها على ما يقبلني من جامع الزعزاع

وانحنت يوماً على (الخريطة) مفتحة عن مكان تتوارى فيه ، وما كان وقع اختيارنا على مكان موافق

إخلاصى ، وأن صفاء نيتى قد نشأ من مجالستها وصبرها
فما وسعها إنكار الملول والعلل لا ريب فيها
وكانت الحوائج ومجموعات الصور والأقلام
والكتب والرزم تملأ الغرفة وقد نشرت عليها
الخريطة التى استولت على كل جوارحنا . وكنت
أذهب وأجىء فى هذه الترفة لأتف أمام بريجت
وأنتطح على أقدامها فتصفى بالكسل وتقول إنها
لا تجد بداً من القيام لوحدها بالأعمال جميعها مادمت
أنا لا أنفع لشيء

وبينا كانت ترتب الحقائق وتقلها كان الحديث
لا ينقطع بيننا عما تنويه لسفرنا ، فكنا نقول إن
سيلسيا على بعدها معتدلة الجو فى فصل الشتاء .
إن جنوا جد رائعة بما وراها من جبال وما فيها
من حدائق أنبسط الاخضرار على أعراشها ولكنها
مكتظة بالناس ، تملأها الصخب ، ويقلقها الضجيج ؛
وإذا مررت فى أسواقها ثلاثة رجال فلا بد أن يكون
فيهم راهب وجندى . إن فلورنسا حزينه ولا تزال
معرضة لحياة القرون الوسطى فكيف نحتمل مشاهدة
نوافذها المحترقة وجدرانها القذرة ؟

أما روما فما شأننا بها وما نحن من السائحين
الذين يتوقون إلى الغرائب أو يطلبون العلم ؟
أفما يجدر بنا أن نذهب إلى ضفاف اليرين ؟
ولكننا لن نصل إليها إلا بعد انقضاء الموسم ،
ويصعب على الانسان أن يقيم فى الأماكن المهجورة
أما أسبانيا فحركاتها مستمرة وعلى مرزاقها أن
يعيش فيها كما يكون فى ساحة حرب فيتوقع مصادفة
كل شيء ما عدا الراحة

لنذهب إذن إلى سويسرا مقصد العدد الفقير
وإن لم ترق لبض الناس ، فهناك يتجلى أروع

فكنت كلما توت منها أنسى أننى مالكة منذ ستة
أشهر ، ويجل إلى أننى أراها لأول مرة فأكدلا
أجسر على لس أدرانها وهى من حلمنا من فظاظتى
مالا يمحتمل . فإذا تكلمت ارتشت كأنى أسمع
روحها لأول مرة ، ويدفعنى الهوس إلى الارتقاء على
أقدامها منتجبا ، أو إلى الاستفراق فى الضحك دون
ما سبب . وكنت إذا ما تذكرت معاملى الماضيه
أشعر بالتمتزاز وأود لو أن على وجه الأرض هيكلًا
للحب أذهب إليه فأعتمد فى مائه القدس ، وأرتدى
مسوحه فلا أخلعها إلى الأبد

ومثلت لخيلالى اللوحة التى رسم فيها تيتان مشهد
الجوارى توما يلبس بأصبعه جرح المسيح فرأيتنى
أشبه هذا الجوارى إذا صبح وجه الشبه بين حب
الانسان وإعانة بره ! إن فى ملايح توما وهو يسير
الجرح ما يصعب تحديده من عاطفه تتراوح بين
النك والايمان فتولج لك كلمه التجديف الحائرة
كانها تذب على شفتى الحوارى ، وقد ارتفعت
منها كلمه الصلاة ، فلا تعلم أجاهد هو أم رسول ؟
ولا تدري إذا كان بلغ فى ذمته ما بلغه من كفره .
ولعل هذا الجوارى نفسه لم يدركه كالم يدرك الرسام
ولم يدرك الناظر إلى الرسم هذا السر النامض الذى
ترف عليه من الخلف ابتسامه كأنها التمايح الندي
تحت شعاع الرحمة والحنان

وما كنت أفق أمام بريجت إلا مثل وقفه
الحوارى توما ، وقد حكنتى الصمت وتولتني الدهشة
فأرتجف فرقا خشية أن يكون ما تبدل من حالى
قد دفع بسريتها إلى الارتياح بى ، ولكن ما مرت
علينا خمسة عشر يوما حتى نفذت بصيرة بريجت إلى
ما يدور فى خلدى فأيقفت أنها استنبتت بإخلاصها

أشكر الله لأنك لا تزالين تحبينني ، فإذا ما عدت يوماً إلى القرية التي رأيتك تحت أشجارها فطلعي ملياً إلى ذلك المسكن القفر ، إنك لو أجدة فيه طيفاً يتوه في أرجائه ، ذلك هو الرجل الذي دخل إليك من باب هذا المسكن فبقى فيه ، لأن الرجل الذي خرج منك منه إنما هو رجل آخر .

وكان جبين بريجيت يشع بنور الحب ، وتلفت إلى السماء قائلة : أصبح أنى لك وأنا سنتبعد عن هذا العالم الذي أهرمك في شرح شبابك . إنك ستعرف ما هو الحب فتنبلي أمأى حقيقة نفسك ؛ وإذا وهنت محبتك لي يوماً أيان يستقر بي الترحال فإنك لن تتملص من تبتك ضمبرك لأننى أكون قت بالهمة التي قدرت على ؛ فإذا ما تخليت عنى أجد في السماء إلهاً أوجه إليه شكرى على ما أولانى من نعمته .

إن هذه الكلمات لم تزل تصدو في جوانب تذكاري فتملأني حزناً وروعة .

وأخيراً قررنا أن نساfer إلى « جنيف » فنختار لنا مسكناً هادئاً على منحدر جبال « الألب » قبلات بريجيت تذكر البحيرة الجميلة فأحببني أنشق النسبات التي تمقد زرداً على سطحها حاملة عطور أزهار الوادى ، فكنا نشاهد بعين الخيال « لوران » و « فيشى » و « أويرلى » ووراءهم قم الجبل الوردى الذي يفصلها عن سهول « لومباردى » الواسعة ، فكأننا كنا نسمع في هذه الأماكن هتاف السكينة ومهمات أرواح العزلة تدعوننا إليها لاغتراف حياتنا فيها

وعند ما كان يحين الساء وأربت على أنامل

ماخلق الله من الألوان : هنالك زرقة السماء وخضرة السهول وبياض القمم العالية

وصاحت بريجيت : هيا بنا ! لنطركفردين في الأجواء ، وليقم في ذهننا أننا لم نلتق إلا منذ أمس الدابر في أحد المراقص فأعجبت بك وأعجبت بي . ولسوف تقص على بعد أن نتبعد أميالاً أنك في القرى الصغيرة عشقت اضراً تدعى مدام ييارسون فلا أصدق شيئاً مما تسترده عنها إذ لا أريد أن تسر إلى بما وقع بينك وبين امرأة هجرتها لتبني . ولسوف أقول لك أنا أيضاً إننى منذ أمد غير بعيد أحببت رجلاً ذا أخلاق سيئة حملت الشقاء من محبته فتسممني كلمات الاشفاق وتلزمى السكوت ، وهكذا نطوى إلى الأبد تلك الصفحة القديمة

وعند ما كانت بريجيت تتكلم بمثل هذا كنت أشعر بجشع الحريص وارتياحه ، فأضمها إلى صدرى بساعدين يرتجفان ، وأنا أهتف قائلاً إننى لأعلم ما يوجب ارتعاشى أفرحى أم خوف ؟ سأملكك إلى بعيد يا بريجيت ، لأنك كنزى الوحيد فتكونين لي تحت هذه الآفاق الوسيمة . هيا إلى الأمام ولتنت ورائى أيام شبابى وتذكاراتى فتضعحل معها آلامنا وأوصابنا

أى خليلتى لقد حوت بصبرك الولد رجلاً فإذا ما تخليت عنى الآن يمتنع على أن أحب بعد

من يدري ؟ لعل امرأة غيرك كانت ستتولى معالجتي لو لم تثرى على . أما الآن فانت وحدك في العالم المرأة التي ييدها لئفاذى وهلاكى لأننى أعمل على قلبى موسم جميع ما حملتك إياه من عذاب . لقد كنت عاقفاً فعميت بصبرى وقسوت عليك ، وإننى

عليلة . وأمضيت يوماً كاملاً في التوسل إليها ذاهباً في ظنوني كل مذهب حتى عيل صبري ، فظفرت إلى الشارع تأتها ولا وجهة أقصدها ، حتى إذا وصلت إلى الأوبرا اعترضني شخص عارضاً على تذكرة دخول فأخذتها منه ودخلت المسرح وأنا لا أعي

جلست مشرد الفكر لا يستريح نظري شيء ، فقد كانت بصيرتي المستقرقة في ذاتها تموء على بصري فتحو كل مرأى حولي وقد انصبت على فكرة واحدة كلما زرتها إيماناً ازدادت غموضاً وإبهاماً

ما هو هذا الحائل الذي انتصب فجأة على سبيل آمالنا فتعثرت به وتبددت ؟ إذا كان هنالك كارثة من فقد ثروة أو موت صديق فما يدعو مثل هذا إلى التكنم والاصرار على السكوت . إن بريجيت لم تدخر وسعاً لتحقيق أمانيتها فما يكون هذا السر الذي يذرو سعادتنا هباء ولا يسمعون إعلانه ؟

أصبح أن بريجيت توصل سريرتها دوني ؟ ما الذي يدعوها إلى كتمان أمرها إذا كان لها من حزنها أو ترددها أو غضبها ما يوجب إرجاء رجلها أو المدول عنه ؟

وما كان قلبي وهو السادر في هواه ليخاضمه ذيب في إخلاص بريجيت فإذا لاح لي فكرة تستدعي لومها ردّها هذا القلب متمرداً بعد أن رأى من ثباتها وولائها ما رأى . وهكذا وجدته تائها في وهاد أظلمت أكافها وخفيت عني غارجهما

ولاح لي على أحد المقاعد المقابلة شاب لم تغرب سبأؤه عن تذكراري ، خدقت فيه وشرود فكري يحول دون تحديدي لشخصه وقرن هيئته باسمه .

بريجيت بأناهي كنا نشعر كلانا بشيء من التسايي يقصر البيان عنه ، وما هو إلا عاطفة كل قلب يستمد للرحيل ، فتنازعه روعة الابتعاد وآمال ما يتوقع مشاهدته في سفره

إن في فكر الانسان أجنحة خافقة وأوتاراً ناطقة تمثل الألوهية فيه ، فإذا ما استعد للرحيل ينتصب فيه عالم جديد كأنه خلق فيه خلقاً

وما غم حتى ظهرت على بريجيت دلائل الشحوب فأصبحت صامتة تحني دائماً رأسها ، وإذا ما سألتها عما بها تيجب في صوت خافت أنها لا تشعر بشيء . ونهبتها يوماً في قرب ميعاد السفر فنهضت متخاذلة لتتم معدّات الرحيل ، وأردت أن أشدد عزماً بتأكيدي لها أنها ستاتي السعادة وأني سأكرس لها حياتي فليجأت إلى ذرف الدموع ، وقبلتها فملاً وجهها الشحوب وأعرضت بعينيها عني تاركة شفيتها الشفتي ، وقلت لها إن بوسعه المدول عن الرحيل فقطعت حاجبها

ودعوتها إلى إعلان ما تضمر مكرراً لها أقصايي بأنني سأفصح حياتي لتأمين سعادتها فارتعت على عنقي غير أنها لم تلبث حتى دفعتني عنها وهي لائمي

ودخلت يوماً إلى غرفتها حاملاً ورقة السفر بالعمرة التي تنجّه إلى « برانسون » وإذا اقتربت منها واضماً هذه الورقة على ركبتيها زفت ساعديها وصرخت ثم سقطت مغنى عليها على قدي

الفصل الثاني

وحاولت عبثاً معرفة ما دعا بريجيت إلى هذا الانقلاب الفجائي ، فكانت تصر على السكوت وهي

الانسان الأدبار أمام من يسير نحوه . وما كان في
المشي أحد سوانا عند ما أتجهت إليه فلا ريب إذن
في أنه تهرب من مقابلي

وما خطر لي قط أن هذا الشاب تمعد إهائني
بما فعل لأنه كان يزورنا كل يوم فألقاه بالترحيب
فضلاً عن أنه كان بسيطاً متواضعاً وليس في خلقه
شيء مما يبرر الظن بسوء قصده فهو إذن أراد
التخلص من محادثته رآها مرهقة له . وهكذا قادني
التفكير إلى اضطراب أشد إذ تحققت وجود علاقة
لأرب فيها بين تهرب هذا الشاب وإصرار بريجيت
على السكوت

ليس في العالم عذاب أشد على الانسان من
الارتياب . ولكم تعرضت للمصائب في حياتي لأنني
ملت إلى الشكوك فاستبقت الحادثات

وعدت إلى السكن فرأيت بريجيت مشغولة
بقراءة هذه الرسائل المشثومة ؛ فقلت لها إنني علت
صبراً فلن أطيق بعد الآن بقاء في هذا المأزق الذي
يلبلب أفكاري ، وأعلنت لها إصراري على معرفة ما
أدى بها إلى هذا التبدل قائلاً : إنها إذا استعجت
على الصمت أعتبر صمتها كرفض صريح للرجل معي
بل كأمر تصدره إليّ بالافتراق عنها إلى الأبد

فاوسع بريجيت تجاه هذه الهاجة إلا أن
تسلمني — ودلائل الاستماض بادية على محياها —

إحدى تلك الرسائل ، فإذا أقرباؤها يقولون فيها إن
رحلها سيصمها بالبار ، إذ لا يحفل أحد ما دعاها
إليه ، وأنهم يجدون من واجهم تذكرها بسوء
مصيرها لأنها تمشي منى تكليته ، وأن عليها وإن

وبعد شخوص مديد عرفت فجأة أنه الشاب الذي
حمل إلى بريجيت الرسائل من مدينة « ن » حيث
يقم أنسابها ، فهضت مسرعاً دون تورع قاصداً
مخاطبته ولكنني رأيت أن لا بد لي من اجتياز عديد
وفير من المقاعد للوصول إليه فاضطرت إلى الانتظار
ربما ينزل الستار . وخطر لي أن هذا الشاب دون
سواه يمكنه أن يرسل نوراً على ظلمات شكوكي
لأنه قابل مدام بيارسون صراحاً عديدة منذ أيام ،
وكنت أراها بعد كل مقابلة معه حزينة قلقة وكانت
قابلة في صبيحة يوم اعتقالها . وما أطمعني بريجيت
على الرسائل التي وردت إليها فقد يكون هذا الشاب
إذن عارفاً بالسبب الذي دعا إلى تأخير رحيلنا وإذا
كان لا يعرف هذا السبب فهو على الأقل يعلم
ما تضمنت الرسائل . وكنت أرى في اطلاع هذا
الشاب على أمورنا ما يجرئني على استجوابه ، لذلك
سرتني الالتقاء به ، وما أسدل ستار السرح حتى
سارعت إلى اللحاق به في المشي ؛ ولكنه اندفع
دون أن أعلم إذا كان رأى أم لا ، وتوارى في إحدى
الشرفات فوقفت أنتظر خروجه ربع ساعة حتى
إذا فتح الباب رأيته خارجاً فهرعت نحوه رافعاً
يدي بالسلام ولكنه بعد أن شئ بضعة خطوات
مرتدداً أدار ظهره فجأة وانحدر على أحد السلام
واختفى .

وما كانت حركتي لتخفي على هذا الشاب فقد
أدركت ولا ريب أنني قصدت مخاطبته ، فهو إذن قد
أراد اجتناب هذه المخاطبة ، وما كان له أن ينسى
هيئتي ، وهب أنه لم يعرفني فليس من المألوف أن يولى

طاقة لي على السفر وأنا على هذه الحال فلا أنتظر
إلا الشفاء ، أو على الأقل استعادة بعض القوى
لأذهب معك إلى جنيف كما تم اتفاقنا
واقترعنا بعد هذه المحادثة وفي قلبي من برودة
لهجتها من الحزن ما لم أكن لأشعر بمثله لو أنها
أعلنت أنها لن ترحل معي

وما كانت هذه المرة الأولى التي حاول بها الناس
بمثل هذه النصائح أن يفرقوا بيننا . غير أن بريجيت
ما كانت من قبل لتأبه لثل هذه المحاولات ، لذلك
صعب عليّ التصديق بأن هذه الرسائل وحدها قد
أثرت فيها هذا التأثير في حين أن ما انطوت عليه
من نصائح كانت قد بذلت لها من قبل أيام لم تكن
بلغنا السعادة التي توصلنا إليها أخيراً . ووقفت
أحاسب نفسي لأعلم إذا كنت أتيت في باريس أموراً
توجب إدانتي . ثم تساءلت عما إذا كان السبب في
هذا الانقلاب ما يطرأ على النساء من ضعف عند
ما يقررن اقتحام أمر فلا يحسرن على تنفيذه ، أم
إن هنالك ما يدعو الإباحيون آخر مقاومة للقائد
الموروثة ، ولكن بريجيت كانت قد أمضت ثمانية
أيام لا تثنى خلالها عن التكلم عن أحلامها وعن
حياتها المقبلة بكل صراحة وبكل إخلاص حتى أنها
أصرت على الرحيل بالرغم مني فلا بد إذن من وجود
سر في الأمر ، ولكن أين السبيل إلى النفوذ اليه إذا
كنت لا ألتقي جواباً على ما أوجهه إلى بريجيت من
سؤال إلا على شكل لا يتفق والحقيقة ؟ وما كان
بوسعي أن أكتبها طالباً منها إيراد جوابها
بشكل آخر

كانت حرة في تصرفها كأرملة أن تحافظ على سمعتها
وشرف الاسم الذي تحمله ، فإذا هي تعادت في غيها
فلا عتب لها عليهم وعلى جميع أصدقائها إذا هم قطعوا
كل علاقة بها . وقد اختتم هؤلاء الأقرباء رسالتهم
بإسنادها النصيحة للرجوع إلى بلادها

ألتقي لمحة هذه الرسالة فلاح لي لأول وهلة
أنها لا تتضمن إلا إهانات وتقريعات . فقلت لبريجيت
لأرب في أن الشاب الذي حمل إليك هذه الرسائل
قد كُلف أيضاً بترديد ماورد فيها على مسامحك
فهل تنكرين أنه يقوم بهذه المهمة ؟

ورجعت إلى الصواب كسراً من حدة غضبي
أمام بوارد الحزن التي ظهرت على وجه بريجيت
وهي تقول : لك أن تفعل ما تشاء إلى أن تقضى عليّ
إن حظي من الحياة بين يديك وأنت سيد هذه
الحياة منذ زمان بعيد وبوسمك أن تمتد ما يحلو لك
من انتقام تجاه هذه الجهود التي يبذلها أصدقاؤني
القدماء بدعوتهم لي إلى سواء السبيل وبمحاولتهم
إدراجي إلى حظيرة المجتمع الذي كنت أحترمه من
قبل والشرف الذي تمررت منه . ليس لي ما أقوله
لك ، ولك إذا شئت أن تتلى عليّ جوابي على هذه
الرسائل فأصنع بأمرك

فقلت لها : إنني لأطلب سوى معرفة ما تقصدين
ومن سيصنع بالأمر إنما هو أنا لا أنت ؛ فقولني لي
أتردين البقاء أم الرحيل لأعلم إذا كان يجب علي أن
أرحل وحدي

فأجابت بريجيت : لماذا توجه إلى هذا السؤال ،
وهل قلت لك إنني غيرت رأيي ؟ إنني متألة ولا

وثقت من أنني سأتمكن من مقابلته فلا يتسنى له
هذه المرة أن يتهرب من ملاقاتي

وما كنت أعرف عنوان مسكنه ، فدخلت على
بريجيت أطلب هذا العنوان قائلاً : إن الواجب يقضى
على زيارة من زارنا مرّات عديدة ، وما كنت أخبرتها
شيئاً عن مصادفتي له في السرح ، فوجدتها مستقلة
على سريرها وعلى أجنافها بلل الدموع ، ومدت يدها
إلى قائلة : ماذا تريد مني ؟

وكانت نبرات صوتها تتدفق مرارةً وحناناً
وخرجت من غرفتها بعد محادثة قصيرة مشبعة
بالولاء وقد سقط عن قلبي بعض ما يثقل عليه

وعرفت من بريجيت أن الشاب الذي أقصد
زيارته يدعى سميت ، وأنه ساكن على مقربة منا .
ولما قرعت بابه ملسكني اضطراب شديد ومشيت إليه
كأنني أقتحم نوراً شديداً ؛ غير أنني ما وقفت أمامه
حتى جردني في عروقي لأنه كان منظر حراً كبير يجتث
على فراشه ووجهه شاحب كوجهها ، فد إلى يده
قائلاً ما قالت هي : ما ذا تريد مني ؟

إن في الحياة من غرائب التصادف ما يحير العقول
فعدت ولم أجب فسكأنني استفتت من حلم ،
وأنا أكرر في سري السؤال الذي وجهه الشاب إليّ
لأنني ما كنت لأعرف ما أتيت أفعل لديه . وهب أن
هذا الشاب مطلع على أمور تهمني فهل هو مستعد
لإعلان ما يكتم . لقد حمل الرسائل إلى بريجيت فهو
لا شك يعرف مرسلها ، ولكن هل هو يعرف عن
مضمونها أكثر مما أطلعتني بريجيت عليه ؟ وصعب

إنها تملن لي استعدادها للرحيل ، غير أن اللجة
التي تتخذها لهذا التصريح تدعوني إلى رفض ما تملن
قبوله ، إذ ليس لي أن أرضى بمثل هذه التصحية وقد
أصبح قبولها في عيني عبارة عن خضوع لأمر واقع
أو استسلام لقضاء لا بد منه . وقد كنت أعتقد
من قبل أن بريجيت تطاوع هواها لتبني إذا هي
في نظري مكرمة على القيام بما عاهدت عليه ووعدت
به ، وروغني أن أحمل بين ذراعي هذه المخلوقة
الشاحبة لأختطفها من أوطانها وأذهب بها إلى أمد
بعيد قد يطول مدي الحياة وما هي بين يدي إلا
ضحية مستكنة

لقد قالت لي إنها ستفعل كل ما يحولني ، وما
يحولني أن أكلف التجلد والصبر ما يزيد في آلام
القائنة الصابرة ، وأسهل لي أن أذهب ضارباً في
جاهل الأرض وحدي من أن أتحمل النظر أسبوعاً
واحداً إلى هذا الوجه يفتح بالشحوب سره الدفين
وبيلي : أبوسى أن أذهب وحدي ناكساً على
أعقابى بعد أن قطعت بخمسة عشر يوماً أجل مراحل
السعادة ؟ أني لي هذا الإقدام وأنا لا أفكر إلا
في الوسيلة التي تمكنني من اختطاف بريجيت
والرحيل بها ؟

ومرّ بي الليل الطويل ولم ينمض لي جفن ،
حتى إذا لاح الفجر وجدتي مصماً على مقابلة
الشاب الذي رأيته في السرح ، وما عرفت أكان
ما يدفعني إلى ذلك حاسة غضب ، أم حاسة فضول ؟
وما عرفت أيضاً ما أريد من هذا الشاب ، ولكنني

شكر المجتمع لعدم شعوره بها ولاغضائه عن مواهبها
وكنتم سمعت عنه أموراً تكفي لتحديد شخصيته

ومنها أنه كان تولّه بقناة عاشرها سنة فرضي أهلها
بتروحيه منها وكاد العقد يتم لولا أن أمه قالت له
« وأختك من سيروجها ؟ » ففهم من هذه الكلمة
أنه إذا تزوج وحول جنى عمله إلى عائلته فإن أخته
تبقى بلا مهر وتحرر من الزواج ، فلم يتردد في التدول
عن زواجه مضحياً غرامه هاجراً ببلده ووجهته
باريس حيث وجد الوظيفة التي يشغلها الآن . عند
ما سمعت هذه الأقصوصة في القرية تمنيت أن أتعرف
إلى بطلها إذ رأيت في هذا الاخلاص من العظمة
ما يربو على أعجاد أعظم انتصار في معارك الحياة

وعند ما قرست في رسم أمه خطرت لي هذه
الحادثة فحوت أنظاري إليه وسألته عن سنه فأدهشني
إعلانه لي أنه من سني ، في حين أن سياءه كانت تدل
على أنه أصغر مني . وعند ما دقت الساعة الثامنة
وقف وأراد أن يخطو إلى الأمام فرأيت به يتأيل مضطرباً ،
وإذ سألته عما به قال لي إن ساعة ذهابي إلى المكتب
قد حانت ؛ غير أنه لا يجد في نفسه القوة على السير
إذ أنه يشعر بنار الحى ويتألم ألماً شديداً ، فقلت
له : لقد كنت في غاية الألمس عند ما رأيتك في
« الأوبرا » فقال : اعتذر إليك لأنني ما عرفتك .
إنني أذهب إلى الأوبرا مراراً ، وأرجو أن أصادفك
هناك

وكنتم كلما أممنت الفكر في حالة هذا الشاب
وأدرت لحاظي في غرضه أزداد تردداً في تناول
الموضوع الذي كنت أتيت لبحثه إذ لم يبق في

على أن أستنطق مضيق وأصبحت أحاذر أن يرتاب
فيما يمر بخاطري

وبدأنا الحديث بالمجملات المألوفة فشكرته لقيامه
بالهمة التي كلّفه إياها أنساب مدام بيارسون وقلت له
إننا عند ما نابرح فرنسا سنعهده إليه أيضاً ببعض
المهام . ثم حكنا الصمت كأن كلا منا لا يدرى سبباً
لوجوده تجاه الآخر

وأدرت لحاظي إلى ماحول ككل حائر فرأيت
في هذه الثرفة وهي في الدور الرابع ما يدل على نزاهة
ساكنها واجتهاده ، إذ لم يكن فيها سوى عدد من
الكتب والآلات الموسيقية ورسوم إطاراتها من
الخشب الأبيض وأوراق منضدة على خوان ومقعد
قديم وبعض الكراسي ، غير أن جميع هذه الأدوات
كانت مرتبة نظيفة يرتاح إليها النظر . ورأيت على
رف الموقد رسم امرأة مسنة وإذ تقدمت لأمن فيها
قال لي إنها أمه

وتذكرت حينذاك أن بريجيت كانت حدثني
مراراً عن سميت ففادت إلى غيلتي حوادث عديدة
عن حياته لأنها كانت تعرفه منذ طفولته وكانت تراه
أحياناً في قرية أنسابها ولكنها انقطعت عن زيارة
هذه القرية إلا مرة واحدة منذ تعرفت إليها ، وهكذا
عرفت صدفه ما عرفته عن حياة هذا الشاب الذي
كان يشغل وظيفة صغيرة ليقوم بأودابه وأخته
منقطعاً عن اللذات من أجلهما ، وبالرغم من براعته
في الموسيقى لم يقتحم المجال طلباً للنجاح في هذا الفن
بل اختار حياة السكون مفضلاً خمول الذكر متمكناً
بهذا إلى فئة قليل عديدها في الحياة ترى من واجبها

وسألك عن سبب استغرابه فوقف وأنتى ساعديه
على كتفى وعيناه جاحظتان وهو يرتمش ، قبضت
على يديه مستفسراً عن أله ، فكف دمه براحتيه
وانسحب يتعب نحو سريره

وحدثت فيه مندهشاً إذ رأيت الحى تهزه هزاً
فترددت في تركه على هذه الحالة ، وإذ تقدمت إليه
ردني عنه بمنف ، وما عم أن عاد إليه صوابه فقال لي :
أعترد إليك . وما كانت حالي تسمح لي باستقبالك
فأرجو أن ترفق بي وتتركني وشأني ؛ ولن يفوتني
عند ما أستميد قواى أن أذهب اليك لأسديك
شكري

فيلكس فارس

(يتبع)

(١) خالتي وقصص أخرى (٢) وكيل البريد وقصص أخرى

مجموعتان من أقاصيص رابندرات طاغور
ترجمته عبد اللطيف النشار

(٣) جنة فرعون وقصائد أخرى (٤) نار موسى وقصائد أخرى

ديوانان من شعر عبد اللطيف النشار

(٥) الاسكندر

رواية تاريخية عن حياة الفاتح الكبير

ترجمته عبد اللطيف النشار

نحن هذه الكتب الخمسة عشرة قروش بما في ذلك
أجرة البريد وتطلب بالبريد من صاحبها بعنوانه :
١٨ شارع الإيعادية بحرم بك بالإسكندرية

خاطري ما كان خاضره من أن هذا الشاب أمكنه
أن يدخل على ذهن برمجيت ما يلحق الضرر بي ، بل
رأيت فيه من دلائل الصراحة والجد ما أوقفني
موقف الاحترام أمامه ، وما لبثت أن اتخذت أفكارى
مجرى آخر وأنا أنفوس في وجه رفيقي وهو يتفرس
أيضاً في وجهي

لقد كان كل منا في الواحدة والعشرين من
سني حياته ، ولكن الفرق كان كبيراً بيني وبينه فهو
الشاب التعمود الحياة المنتظمة المتحرك ضمن دائرة
محدودة ، الذى لا يعرف من الدنيا إلا طريقه بين غرفته
المنفردة ومكتبه في إحدى الوزارات مرسلأ إلى
والدته نتاج الجهود التى لا تعرف قيمتها إلا اليد
العاملة ، فلا يشكو من أله إلا لأن هذا الألم يحرمه
يوم عمل ، ولا ينصب فكره إلا إلى تأمين الراحة
لسواء منذ تحركت للعمل يده . أما أنا فما الذى
فعلته بهذا الزمن الثمين الذى مر في سراعاً ، هذا
الزمن الذى يمتص عرق المجاهدين في الحياة ؟ من
كان مثلى بعد رجلا ؟ ومن عرف الحياة أنا أم هذا
الشاب ؟

إن ما أوردته هنا صفحة مما مر بيننا في لحظة
وأنا أحقد فيه وهو يحقد في

وحدثني بعد ذلك عن سفرنا وعن البلاد التى
كننا ننوى زيارتها ؛ ثم سألتني عن ميعاد هذا السفر
فقلت له : إن مدام ييارسون مريضة طريحة الفراش
منذ ثلاثة أيام فردد قولى : « ثلاثة أيام » . بمحركه
استغراب لم يقو على ردها

كرباً على الملك منالابوس ، وحيث وجدته يتقلب
على فراش السهد والأرق ، لا يستطيع أن يغمض
عينيه من هول ما يفكر في أبيه ... بينا نام ابن الملك
نسطور ملء عينيه نوماً هادئاً عميقاً على سرير مقابل
لسرير الفتى المحزون

ووقفت الربة عند رأس تلياك وأنشأت تقول له :
« إلام تظل في مهاجرك بأقصى الأرض هنا نائماً
عن وطنك يا تلياكخوس ؟ أو هكذا رضىت أن يأكل
المشاق الفساق ثرائك ويذهبوا بنعاء السماء
عليك ، ثم لا تلبث أن تتوب إليهم من تطوافك
بالآفاق بقبضة من هواء ، وخيبة من رجاء !
هلم هلم ! سل الملك أن يأذن لك في السفر من فورك
فقد ألح جدك وأخوالك على أمك أن تزوج من
الأمير يورم ، لما اتفق عليه من مهر ضخم ،

وتقدمات وافرة ، أضفام ما وعد الآخرون ...
هذا فضلاً عما يوشك أن يسلب من القنى العززة
عليك من بيتك التي تنقص من هنا لتزيد فيها هناك ،
فإنه ليس أحب من هذا إلى فؤاد المرأة ، وهي
سرعان ما تنسى أطفالها من زوج شبابها ورفيق
صباها من أجل زوجها الثاني الذي تود لو تهبه
كل شيء . فالبدار البدار إذن ، وعد أدراجك إلى
بلادك لتحفظ ثراث أبيك ينفعك حين تكون لك
زوجة سالحة وذراير أعجاب بركة السماء ورعاية
الآلهة ... ثم خذ حذرنا يا تلياك ، فلقد اختبأ زعيم
المشاق في ثلج من رجاله بين ساموس وإيثاكا

يتربصون بك ويتصدونك ليفتالوك قبل أن
تصل إلى شاطئ الوطن ... وإن فالهم لخائب ،
ولن يفعلوه حتى يهال تراب الموت عليهم جميعاً ...
ألا فارحل يا بنى في ظلام الليل ، واجنب



الأوديسيوس

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

مقدمة الفصل السابع

« انطلق أوديسيوس بعد أن غيرت ميزان ملاحظه ،
جلبته شيئاً هرباً يدب على عكاز غليظ ، ويش تحت
ملايس ثقيلة عتيقة ، فأني بيت رابعه يومابوس الذي
لم يعرفه ، وإن يكن قد هزل له وش ، وأطمسه
وأكرم مثواه ... وأبدى الرأي من الأسف على
مولاه ما أتاح الفرصة لأوديسيوس الذي ادعى أن الرجل
الذي يذكره يومابوس زعماء يصل إلى إلينا كما ذلك الصهر
أو الصهر الذي يليه ، لأنه غافره وهو يوشك أن
يبحر من عند ملك كريت ومعه كنوز فائقة من الذهب
والفضة والنحاس . وأنه يعرفه شخصياً ، وقد اشترك
معه في حرب طروادة ... ولكن الرأي فقهه ملء
شذقيه ولم يصدق حرفاً مما ذكر أوديسيوس ، وعاد
أوديسيوس فأقسم أنه غير خائن وأن مولاه عائد فنتهم
من أعدائه وقتلهم جميعاً ، ثم راهن الرجل ... ومع
ذاك فلم يزد الرأي إلا تكديباً ... وتشقق بينهما
الحديث ، وأقبل الليل ، فهب كل إلى مضجعه ... »

عودة تلياك

ثم رفت ميزاناً رقتين أو نحوهما ، فكانت في
وادي ليسديتون الحصب حيث حل تلياك ضيفاً

فطوراً يلقي بوداع ضيف كريم عزيز مثلك ، لابد له من إكلية خافقة تصبر لسفر طويل يزعمه . فلو أن سفرك هذا كان خلال هيلاس ، وكنت من أجله ستجتاز أرجوس شرقاً لغرب ، إذن لساشرت معك ، ولجرت بك مدائن ششتي ، ولأهرع إلينا عمال الأقاليم يقدمون إلينا الهدايا والتحف ، من مخاف الذهب وركاثر الابرز وكل كأس ثمينة ، ومن كل ذابة مطهمة وجواد كريم » وأجاب تلياك في أسلوب الفطيلين الحذر : « مولاي أتريدس منالايوس العظيم ! تالله إنه لأثر إلى أن أرحل لساعتي ، فلقد تركت وزايتي بيتاً لم أدعه في صيانة أحد ، وحطاماً لست آمن عليه أحداً... وأخشى يامولاي أن أقضي في رحلتي هذه وراء أبي ، فلا أكون قد أقيمت على نفسي ، ولا رعت تراه الذي تركه لي » وأمر الملك خدمه فهيأوا الخوان ، وزودوه بما بقي من عشاء آمن ، بعد أن أضرم رئيسهم إتيون ناراً أسخن عليها ما يئمن أن يكون منها حاراً... وتوجه الملك إلى غرفته ، فلقى فيها زوجه وولده ؛ فتناول كأساً من الذهب الخالص ، ودفع لولده بدلما من الفضة ؛ أما الملكة فنهضت إلى خزانها فأحضرت ساجاً^(١) عملت فيه يدها الصناع فزخرفته وزركشته حتى بدا كعباء التمت فيها نجوم... وعاد ثلاثهم إلى حيث ينتظرهم تلياك وكله الملك فقال : « ذاك تذكاري إليك يا ابن أودسيوس جذا لو تقبلته ؛ وهو كأس نجية من صنع فلكان أهداها إلى البطل فديم ملك سيدون حين حلت عليه ضيفاً ؛ هذا وأنا أدعوك أن يكلاك جوف في رحلتك بعين الرعاية ، وأن يكتب

سفينة كأن تسلك سبيل ساموس ، وابدما استطعت عن الجزائر القريبة منها ، وسيرعالك بعض الآلهة ، ويسخر لك رجماً رخام تسارع بك إلى بلادك . فإذا بلغت أول الشاطئ الإيثاكي فازل إلى البر ، وتسلك الفلك سبيلها إلى المدينة من دونك ، ولتذهب أنت إلى يومايوس راعي قطمانك الذي يحبك فأرسله إلى أمك كي تقرعنيها بأوثك . » وما كادت تفرغ حتى زفت^(٢) إلى الأولب . وهب تلياك وأيقظ رفيقه من نومه قائلاً : « هلم يزاستروس ! هلم فأسرج الخيل ولنرحل من فوراً ! » وقال له ابن نسلوريجيه : « هلم إلى أين الآن يا صاحبي ؟ كيف نجبت في ظلام هذا الليل الدامس ؟ ألا نصبر حتى تشرق ذكاه ، وحتى يلقاك الملك فيخلع عليك ويحسن وداعك ، لتظل ذكراه الحسنة ماثلة إلى الأبد في زوعك ؟ » وانبج الصبح ، فنهض منالايوس الملك من حضن هيلين الباقي ، وعيم شطر الترفة التي نام فيها تلياك ورفيقه . وما كاد تلياك يلمح في غبشة الفجر صورة الملك حتى هب مسرعاً ، وأضفى عليه طليسانه الفاخر ، وأثر فوقه بمژر آخر ، ثم دلف نحو الباب فلقى الملك ثمة وقال له : « بورك الملك وتمالى جده ! تالله لقد آن أن أعود إلى إيثاكا فخذنا لو أذن الملك بذلك » فقال الملك : « إننا لاستطيع أن نحجزك إذا كانت رغبتك أن تشد زحلك ياتلياخوس ؛ وإنه ليس أشق علينا أن يقيم ضيف لدينا برغمه ، أو أن نعمله على الرحيل من عندنا... بيد أنه يحسن أن تنتظر قليلاً حتى نهيه لك أغفر الهدايا وأغفر التي ، وحتى نهداه لك في عربتك ؛ وسأمر ندامي فيعدون لنا

فسأل الملك فقال : « ليتفضل الملك فيحدثنا عن هذه العلامة إذا كانت من أجلنا أو من أجل مولانا » ولكن الملك لم يجز جواباً لفرط دهشه . فلما لحقت حيرته هيلين زوجته ، تكلمت فقالت : « أيها الملك اسمعوا وعوا ، فإنني أحدثكم كما علمتني الآلهة ... تأله إن هذه لآية ، فكلما غلب ذاك النسر أولئك الناس ، وذهب بتلك الأوزة البيضاء ، فهي له ، فكذاك يعود أوديسيوس من تجواله وطويل ترحاله إلى إيثاكا ، فيطيش بأعدائه الذين استباحوا عرضه وعشقوا زوجه ، ويخلو له وجه بنلوب » وانتفض تليماك من شدة ما أثرت فيه كلمات الملكة فقال : « ألا حبذا لو تم هذا ! اللهم يا جوف الشمال حقق النبوءة أعبدك ، واكتب لآبي السلامة أختبت لك ، واكتب لي أن أعود إلى بلادى فألقاه ثمة تكن لك صلاة دأمة ، وذكر متصل يا إله السموات ! » ثم حيّا الملك ، وألهب الجياد فانطلقت تنهب الرحب ... ولم يزل على سفر طوال يومهما ، حتى بلغا قصر ديوكليس مع مغيب الشمس ، فضيغفهما وباتا ليلتهما عنده ؛ وما كادت أورورا تنضرب جبين الشرق بالورد حتى هبا مسرعين ، وودعا مضيفهما الكريم ، وواصلتا رحلتهما ... وكان ابن نسطور قد أخذ بأعنة الخيل فجعلها تنساب حتى لكانها كانت تسابق الريح ... ولما بلغا أبواب ييلوس قال تليماك لصاحبه وهو يحده : « أنت عذيري يا أعز الأصدقاء إذا سألتك أن تصل بي إلى السفينة من غير أن تتوجه إلى بيتكم للقاء أبيك ، فقد يكبر علي أن أرفض زُله ، وأستأني بذلك عنده ، في وقت أنا في أشد الحاجة إلى العودة إلى الوطن ... على أنني سأحفظ

لك السلامة والتوفيق » ثم قدم إليه الكأس العظيمة وكذاك فعل ابنه ؛ أما هيلين فقدمدت إليه الساج ، وتبسمت عن فم أم من أخوانه ، وقالت له : « وأنا أيضاً أدعوك يا بني ، وأقدم إليك سدوساً ^(١) من أنفس الديباج حبذا لو جعلته قسيّة تذخره لك أمك حتى تقدمه بدورك لمروسل ليلة زفافها إليك » وكان لكلّهما في نفسه نشوة ، فأخذ الطيلسان وناول ابن نسطور ، الذي عني به ووضع به بكتانه من العربة . ثم يغموا المائدة الكبرى ، وصبت الماء على أيديهم جارية ذات حسن وأناقَة وظرف ، وأخذوا بعد ذلك في فطورهم ، بينما وقف ابن الملك يدهق الكؤوس ويشرب الخمر ، حتى إذا فرغوا نهض تليماك ورفيقه فسلا وودعا ، وربكا العربة الفخمة المثقلة بأثمن الهدايا ؛ وتناول الملك كأساً من الخمر وسار حتى دنا من الخيل ؛ وصحبها صلاة للآلهة من أجل الزاحلين وقال : « لكما الصحة والعناء أيها الشبان اليافغان . تحياتي إلى نسطور أخي الذي كان يرعاني كأحد أبنائه تحت أسوار طروادة » فأجابه تليماك : « لاغرو أيها الملك ، فنقص عليه آية كرمك وعظيم سخائك ... وحبذا لو وصلت إلي إيثاكا فلقيت أبي أوديسيوس ثمة ! إذن لقصصت عليه هو الآخر ما غمرتنا به من حفاوة وكرم وعطف ! » وما كاد ينتهي من كله حتى بدا عن يمينه نسر عظيم يحمل في مخالبه إوزة كبيرة بيضاء ، وقد حلق في الهواء ، وجري حوله الخلد والحشم من أهل المدينة ، بيد أن النسر فاتهم جميعاً ... وقد زجج الملأ الواقف لتوديع تليماك ، وبدا الملعق في وجه يزيستراتوس ،

(١) هو الساج أيضاً

ذو نخوة ونخوة فيبي عنده ، فهض يقول : « أيها الراعي يومايوس ... وأنتم أيها الأصدقاء الرعاة ... اسمعوا وعوا ... تالله إني لأخشى أن أرفعكم بضائتي أو أثقل عليكم بلبني عنكم طويلاً ، فرجائي إذا انفلق الإصباح أن يقودني أحدكم إلى المدينة لأستجلى وأتكفف ، فلن أعدم فيهم من يفضل على يبلغة أو كسرة أو جرة ماء ... ولسوف أيم شطر قصر بنلوب ، وعسى أن أستطيع لقاءها لأبلغها أنباء أوديسيوس ، فإذا لم أستطع فلن أعدم عملاً في خدمة العشاق ، لأنني والله المحمود ولي من أولياء هرمن رسول السماء ونصير الضعفاء ، ولن أضيق بتكسير الخشب ، أو إضرام الحطب ، أو حمل الكاس والطاس ، أو القيام على الشواء ... أو ما إلى هذا وذاك من عمل الفقراء البائسين » واهتز يومايوس إشفافاً وقال : « أيها الرجل ماذا تقول ؟ أجازف بنفسك فتلقى بها إلى الهلكة وسط جهولاء الناس ؟ من أنت أيها الفقير حتى تحسبك تقدم الخمر لهم أو تخدمهم ، ولهم خدم شباب غير أنت ، ونداء كالسكواكب نضرةً وجمالاً ... وحشيم يلبسون أحسن الوشي وأنغر الحر والدبياج ... لتبقى معنا أيها الشيخ فلن نضيق بك ، وحين يمود سيدي تلياك فإنه بكسوك ويسبغ عليك ، ويعطيك مكرماً مكرماً أنى شئت . » وشاع البشر في أعطاف أوديسيوس فقال : « شكرًا لك يا يومايوس ألف شكر ، وجزاك الله عني أجرل الخير ، بما كفييتي شر السؤال وذلل الاستجداء ، وليس شرًا منهما على نفس أية قاست الأحوال وما تزال تقاسي ... بيد أن لي مسألة عندك بودي لو جلوتها

لك في أعماقي ذكرى خالدة لا تمحي ، زادتني هذه الرحلة الحزينة جمالاً ، وعقد أوامرهما ما بين أبونا من الود ، وما بيننا من اتفاق السن ، وصفو المودة وجيل الأخاء » وتردد ابن نسطور أول الأمر ، بيد أنه لم يستطع إلا أن يلبي رجبةً تلياك ، فغنى أعة الخليل إلى الشاطئ حيث كانت تنتظره الفلك ، فنقل فيها متاعه ، ثم ودعه صديقه وعقرت القرابين باسم ميرزا ، وصلى لها الجميع وسبحوا سبحاً طويلاً ... وإنهم لكذلك ، إذا شاب طوال مقتول المضل يتقدم إلى تلياك ، فيخبره أنه قاتل آبق^(١) ، وأنه يلوح به ، وأن اسمه تيوكليمين ، وأنه يرجوه في أن يسافر معه . فحش له وبش ، وأخذ سلاحه فالتفاه في السفينة ، وأذن له في الركوب ، وجلس الرجل مع تلياك عند مؤخر السفينة ، في حين كان الملاحون يهثون القلاع ، وينشرون الشراع ، ثم أقلت الفلك ، وأرسلت ميرزا بين يديهما سحسجاً تدفعها في رفق ، وتطوى تحتها الماء في حذب . وكانت الشمس تتواري بالحجاب ، وكان الليل يلقي سدوله فوق السكون ... وما هي إلا عشية حتى صرت السفينة بغيريا ، ثم قام بليس ، وجوف في كل ذلك يحرسها ويرعاها

هذا ما كان من أمر تلياخوس الفتي ... أما ما كان من أمر أوديسيوس وراعيه ، فقد كانا يلتمان في هذا الوقت طعامهما ، وما كاد يفرغان من ذلك حتى أحب أوديسيوس أن يرى لنفسه إذا كان الراعي قد ضاق به ذرعاً فينطلق من عنده ، أو هو كرم

(١) ضرب صفحاً عن قصة هذا الرجل مؤقلاً لبعدها عن الموضوع

وسيدنى بنلوب إذا لم أر منها عطفاً علىّ ، لأنها في شغل بحالها وسط هؤلاء الأوغاد الماميد ... وهي بالرغم من ذلك تولى خدمتها القريين منها نصائح غالبية تنفعنا جميعاً ... ثم هي لانتسى أن تنفخ الكثيرين منهم ما يفرحون به من آلاء وأعطيات ، غير مايا كلون وما يشربون . « وكأنا أريد أوديسيوس أن يهكم عليه ويستخر به فسأله عن بلده ووالديه ، وعن القوم الذين أخذوه عنوة ، وفي أي سفينة جاؤا به ، وبكم باعوه لأهل أوديسيوس ، فقال الرجل : « أيها الصديق أعرنى أذنك ، وارشف خمرك ، أقص عليك قصتي ، فالليل طويل ، وفي جنحه يحلو السر ، وليس أشهى من أن يروى ذو أشجان لدى أشجان ، وأنتم أيها الإخوان ، من كان منكم في حاجة إلى النوم ليصحو مبكراً فليذهب لينعم بالكري ... ثم أحسبك سمعت أو عرفت جزيرة سيرا التي عند أورتيجيا ... إنها جزيرة صغيرة ، لكنها غنية بأغنامها وماشيتها وقمحها وأغنامها ، كما اشتهرت بهوائها الليل ، ومناخها الجليل ، وصفوها وطيب رايها ... لذلك لا تعرف أيدان أصحابها الأوصاب ، بل يُسمّرون حتى يأتهم أولو^(١) فيصمهم بسهامه ، وتمجّل أرواحهم إلى هيدز ، ويقسم أرض الجزيرة أهل مدينتين عظيمتين ، كانتا تخضمان لسيطرة أبي الزعم العظيم شتريوس أورميند ... وحدث أن أُرست في شاطئنا سفينة فينيقية محملة بالطُرف والتُحف

لى : أما يزال والد أوديسيوس حياً يرزق ؟ وهل ماتزال أمه بخير ؟ أم أيها اليوم من أهل الدار الآخرة ؟ لقد غادرها أوديسيوس يوشكان بطرقان باب هيدز ، فهل عندك من أخبارها شيء ؟ » . قال الراى : « ومالى لا أصدقك أيها الشيخ ؟ إن ليرتيس — أباً مولاي — ما يزال على قيد الحياة ... لكنها حياة شاقة أنقصت ظهره ، وأنقدت صبره ، وهو مايفتا يضرع للآلهة أن تخلصه منها بالموت ... إنه قد فقد أحسن آماله حين فقد حاي شبيته الزائد عن شيخوخته ، ولده أوديسيوس - وقد جعل له الشقاء موته ، وسأته من بعده ، فهو ما يني يكيه ، وما ينفك يساقط نفسه حشرات عليه ... أما أمه فقد قضت من أسمى وحزن وطول بكاء ، قضاء ماقضى مثله صديق ولا عدو ! لأنى حزين عليها يا صاح ، بل أنا أفتقدتها كأمر من أي لأنها نشأتني صغيراً ، وزعتنى كبيراً ، وكانت تحبى كمحبة ابنتها ستيמיانا التي تزوجت أحسن زيجة في ساموس من كفاء مهرها أحسن مهر وأعلاه ... أبدأ لأنسى أنهم ألسوني أحسن اللباس ، وأعطوني نملين جديدين ، فرحاً بزواجها ، ثم أرسلوني إلى الحقل ، ولكنهم لم ينقصوا من محبتي ... لقد عاشت مولاتى بعد أوديسيوس معيشة شقية كلها آلام ، وكنت أواسيها وأعزيتها ، ولكنها ما انتفعت قط بعزاء ، ولا استروحت إلى سلوة ، حتى ماتت ... وهأنذا أبكيها كلما ذكرتها ، وقل أن أنساها ، على أنى أهد السماء على ما أولتني من خير ، وأسبغت على من نعم ، هي حسبي وحسب الضيف الذي ينفاني ... على أنى أعذر مولاتى

(١) تضيف بعض النسخ ديانا — وهذه أول مرة نرى فيها أولو يقوم بوظيفة عزرائيل في الأدب اليونانى ، لأنها وظيفة هرمن (مركورى) خاصة (للترجم)

ولعب الأطفال ، من صناعة الفينيقيين ؛ وحدث أن كان في بيت أبي جارية قسيمة وسيمة ذات حسن وذات دلال ، كانت تقف على سيف البحر لبعض شئون المنزل ، فرآها بعض ملاحي المركب واستطاع أن يخذعها بكلام معسول ذى طنين وذى رنين ؛ ثم سألها من هي ، ومن أى البلاد أقبلت إلى هذه الجزيرة ... وكان الخبيث يمزج ألفاظه بنظرات الأبالة ، وغمزات الشياطين ، وإقسامات النزل ، فانقادت له ، ضعيفة كبنى جنسها إذا نصبت لمن شراك الهوى ، وجذبتهم أحابيل الترام ، وقد أخبرته الغادة أنها من سيدون المشهورة بصناعة الصلب والنحاس ، وأن أباه أرياس الفلاح ، وأن بعض القرصان قد اختطفها حين كانت عائدة أدراجها من حقله ، وباعها لصاحب تلك الجزيرة بأجنس الأثمان ، وقد أغراها الملاح بالعودة معه إلى بلاده على فلكه ، وبالفراغ من حياة الرق والبودية للقاء الأهل والأحباب والأبوين الثرين اللذين مازالان حين يرقان ... فاستحلفته السكينة إذا كان جاداً فيما قال ، خلف لها ، واستقسمته إذا كان أميناً غير ذى غرض أو لبانة ، فأقسم لها ؛ ثم تماهدا على ذلك وقالت له : « والآن فلا يذكر أحد من أصرى معكم شيئاً لأى من أهل المدينة ، حتى لا يَفْشُو السر ويعلم به صاحبه ، فيكون فى ذلك وبالى ووبالكم وهلاك وهلاككم .. بل امضوا فى بيع بضاعتكم وشراء ما يلزمكم ، ثم إذا عزمتم أن تعلقوا فابشوا أحدكم إلى بقصر صاحب الجزيرة ، فاني مُرضع ابنه ، وهو الآن يحبو ، بل يدرج ، وإنى محضرته معي فانه سينفكم ، بل تستطيون بيعه فى أحد

البلاد يبيع المال ، وسأحضر معه كل ما تستطيع يدي أن تحمل من آتية وأكواب من خالص الذهب وغالى الفضة ، مما يخف حمله ويملأ منه » وعلدت البائسة إلى قصر أبي ... ولبت الملاحون طامهم كله فى مرفئنا يبيعون ويشترىون ، حتى إذا حال الحول أو كاد ، حضر واحد منهم إلى بيتنا يبيع بئسقة^(١) من ذهب وكهرمان ، فالتف حوله وصيغات القصر ثم حضرت أُمى فاشتريت بضاعة الرجل الخبيث ؛ الذى استطاع أن يروي إيماءته التثقف عليها إلى مرضى فلما انصرف من فى القصر من أضياف ، وذهب الخدم إلى كُشَلِهِن قاذفى مرضى الناعسة من يدي فرت بي فى غرفة الزائرين ، حيث كانت أكواب الشراب مازال على المائدة فدست منها ثلاثة فى ثيابها ثم ذهبت بي - وأنا طفل لا أدرك - إلى الرفا ، حيث ركب معها فى سفينة الفينيقيين ، فأقلعوا ساعة الغروب ... ودفستنا ربح عاصف طيلة ستة أيام وفى صبيحة اليوم السابع ، أرسلت دياناً سهاها مسمومة إلى صدر المرأة - مرضى الآفة - فماتت لساعتها - ووضعا جثمانها فى سائب^(٢) ثم قذفوا بها فى اليم ، طعمة غير سائئة للأسمك ، ورحلت أنا ، لفرط حبي لها ، أبكيها وأعول من أجلها ... ثم دفعتم الريح والموج إلى شاطئ إيثاكا ، حيث ابتاعنى صاحبها العظيم ليرتيس ، وبقيت فيها إلى اليوم » وألم أودسيوس لما قص الراعى وتوجع وواساه بكلمات طيبات ... « فلقد وصلت فى رماية

(١) بوزن سفينة ولا تشدد ، هى (البائة أو الكولة)

(٢) السائب والمساب وعاء كبير للزيت أو الخمر وغيره الزرق ولم نجد مرادفاً لكلمة (برميل) المرفوعة فاستعملناه

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ من المدة الواحد

الإدارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
الحي الخضر - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

الحرورية

مجلة أسبوعية للقصص والبرامج

نصدر مؤقثاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الأولى

١٢ رمضان سنة ١٣٥٦ - ١٥ نوفمبر سنة ١٩٣٧

العدد ٢٠



فهرس العدد

صفحة	
١٢٢٦	ليلة هائلة .. للكاتب الروسي أنطون تشيكوف . بقلم الأديب السيد جورج سلسكي .
١٢٣٢	ساكنو الكهوف .. للكاتب النمسي فرديناند فون سار . بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب ...
١٢٤٢	الشامة .. لألفريد دي موسيه ... بقلم السيد مظفر الباقى ...
١٢٦٤	لواء الملح .. أفصوصة موضوعة . بقلم الأستاذ أديب عباسى ...
١٢٧١	اعترافات فى مصر . لألفريد دي موسيه ... بقلم الأستاذ فليكس فارس ..
١٢٨٠	الأوذنية .. لهوميروس ... بقلم الأستاذ دريى خشبة ...

الأمين — وقد أمسك في مخالبه حمامة بيضاء ، فظل يُدَوِّم ويرنق حتى إذا كان بين الفلك والبحر وتلياك في البر تترخاها في الجو ، فنزلن بالقرب من تلياك — وهنا — تكلم تيوكلين فقال : « تالله إنها لآية من السماء يا سيدي ، إنك ابن أعظم من في هذه الأرض ، وإن بيتك أعرق بيوتاتها ، وستظفر كما ظفر آياؤك » وشكره تلياك ، وتمنى لو صدقت نبوءته ، ثم أوصى به أعظم رجالة وأخلصهم له — كليثوس — فاهترت أريحية الرجل ، ووعد أن يكون له كسيده (تلياك) حتى يؤوب... وسلم تلياك — ومضى للقاء يومايوس ثم أقلت السفينة بمن عليها إلى المدينة
« يتبع »
دربى فتيبة

جوف إلى سيد رحيم ورجل بر ، كفل لك الهناء والحياة الهادئة ... أما أنا ، فأزال موكلنا بفضاء الأرض أذرعه ، ويولد ألبسه وآخر أثلعه ... ولما بناما طويلا ، فقد قطع حديثهما حبل الليل ... هذا ما كان من أمرها ... أما ما كان من أمر تلياك ورجاله ، فقد وصل ملاحوه سالمين إلى الشاطئ الاثاكي ، وأرسوا نعمة ، وربطوا حبالهم في أوتاد المرفأ ، ثم اجتمعوا إلى فطورهم فأكلوا وشربوا ... فلما فرغوا أمرهم تلياك أن يذهبوا هم إلى المدينة ، « ... أما أنا ، فذاهب لبعض شأني في المراعى القريبة وسأعود قبيل الغروب ، وفي الغد ، سأسقيكم سلافة الأوبة التي تذهب عنكم وعشاء هذا السفر » ونهض

تيوكلين (الشاب الآبق) فاستأذن في الذهاب بالبشرى إلى والده تلياك ، ولكن تلياك قال : « كلا يا تيوكلين ، لا أريد أن تعلم أي بقدوى اليوم ، فأبق مع رجالي هؤلاء حتى لاتقع أبصار العشاق لنا كيد عليك ؛ وإن شئت فاذهب إلى أحدهم ، يوربماخوس ، فهو أعظمهم قدرا وأنهم ذكرا ، وهو الذي يحاول جاهدا الزواج من والدتي ، والجلوس على عرش أبي ، فأربط حبالك بحباله ... أواه يا أرباب السماء ! حنانيك يا جوف ! بعد لهذا الزواج ، وبعداً لمن يحملون به ! وما كاد يفرغ من حديثه حتى بدا إلى يمينه بازي باشق — هو من غير ريب رسول أبولو

وسلم خضير

١٠٥٧
١٠٥٨



صندوق
١٠٥٧

برليشة ذهب عيار ١٤
مضمون ٣ سنوات

تستعمله الحكيم ومائ لشرقية
مكتبة د. طيبة خضير بشارة عبد العزيز بشار

لَيْلَتُهُنَّ عَلَيْنَا

لِلْكَاتِبِ الرَّؤُوسِيِّ أَنْطُونِ تَشِيْكَوْفِ
بِقَلَمِ الْأَدِيبِ السَّيِّدِ جُورْجِ سِلَاسْتِي

الأيام ولا تماقب الليالي
كان الظلام دامساً
والهواء بارداً قرأ
والضباب الكثيف
يغمر الأرض بجلته
السوداء القائمة عند ما
كنت عائدًا إلى غرفتي
بعد نصف الليل من
مهرة قضيتها وبمض

الآتراب في مناجاة الأرواح عند صديق لي حميم
تقدمه الله برحمته صباح اليوم
وطريق إلى غرفتي في حي « بقطة المقابر »
موحشة تبث الرهبة حتى في القلب الجسور ؛
وقد كان عليّ أن أجتاز منطقات وعمرات لا عدّة
لها تحت ستار الظلام الدجى

وكانت الأنوار في الشوارع مطفأة على غير
عادة فما كان يستطيع عابر السبيل مثلي أن يهتدي
إلا بالتضيئ (١) فكنت أسير وثيد الخطي واجف
القلب كمن يسير في مأمم . فالكتابة الخرساء كانت
تسود مني الحواس واليأس القاتل كان يملك مني
الشاعر . وأفكارى قائمة كأنها أمدّها الظلام
الحالك بسواده

فقد كان تأثير جلسة مناجاة الأرواح شديداً عليّ ،
وكان صوت (سينوزا) الذى وقفنا إلى استدعاء
روحه ومناجاة ما يزال يرنّ في مسمعي ، وعبارة
الأخيرة التى أُنذرت فيها بدنوّ الأجل ونصحنى
بالتوبة واستغفار الخالق عن مآثمى وخطاياى كانت
تدوى في أذنىّ دويّاً يعضّ مني الروح
أجل بإسادة كنت أحمسّ طريق في سيري

(١) طلب النور في الظلمة باليد من غير أن يصير

— « تريدون منى أن أحدثكم عن أشدّ ليالى
هولاً ، كأنكم تعلمون أئى قضيت في سنى العبا
والشباب ليالى مرهوعة ، أو كأنكم تحسبون أنّ لي
مغامرات جنونية تأمر وقائمها القلوب ، وتستحوذ
على الشاعر ، في حين أئى - ولا أكتكم - لم أكن
في يوم من أيام حياتي فارساً ولا مغامراً ، وسجل
حياتى بإسادة خلوت من روائع البطولة ؛ وليس لدى
من الأحاديث التى ترغبون فيها ما أغربه وأتبه ،
إلاّ أنّى لا أرى بداً من أن أنزل عند رغبتكم اللحّة
وإنّ لم أكن في قصتي ذلك القدام الذى تروعه
جزائره ؛ وإن يكن فيها ما لا يزال يهز نفسى ويكبت
روحي »

وصمت « إيفان بتروقتش » لحظة تدفقت
عليه فيها خيالات تلك الليلة الليلاء التى عانى فيها
من ضروب الوجع والرب ما يشيب لها رأس الوليد ؛
ثم قال بلهجة منغلة :

« أعود بكم القهقرى إلى ليلة عيد الميلاد من العام
١٨٨٣ ، إلى تلك الليلة التى ما برحت ماثلة أمام عينيّ .
برغم تقادم العهد وصرور الزمن ، والتى لا أزال حتى
الساعة أذكر وقائعها كأنها جرت أمس ؛ فإنّ من
الوقائع بإسادة ما يتطبع في الدهن فلا يحوه كـ

الوحيد وعلى صدرى كابوس من الهمم جدّ مرهق .
 وكان يحيل إلى أن أرواح الموق تملأ رحاب الطرق
 وأن جموعها تلحق بي وتقفوا أترى . وكنت أحسب
 لدى كل خطوة كنت أخطوها أنني سأجد شيئاً
 من أشباح العالقة واقفاً لي بالرصد ليسك في من
 خناق يده الحديدية

إن الموت محتوم ولا مفرّ منه ، ولكن النفس
 البشرية يمزّ عليها أن تتلاشى حتى ولو كانت من
 الموت على قاب قوسين ، فكيف في حينذاك وأنا في
 رطب المود غيساني الشباب

فقد كنت أسير مرتعد الفرائص من الخوف
 ولكني كنت أشجع نفسي وأهيب بها لتتخطى
 السبيل من غير وجل ؟ وكنت أشعر أنني أدفع
 بخطاي دفعا ليكون لي من وطنها الثقيل على الأرض
 صدى آنس به في ذلك الظلام الحالك الريب
 وأمطرت السماء فكانت ضففاً على إرادة
 وصعد إيفان زفرة محرقة ، ثم تناول الكأس
 عن يمينه وجرع قليلاً من الماء ثم تابع :

« إن هذا الخوف الذي كان يربطني من قبة
 رأسي إلى أخمص قدمي ، هذا الخوف الذي لا يحده
 بيان ولا يل به تمير ، والذي ما إخالكم فقهاء له
 معنى لأنكم — لحسن طالعكم — لم تذوقوه ولم
 تشعروا به لم يكن ليفارقي قطّ حتى ولا بعد أن
 صعدت إلى غرفتي في الطابق الرابع من منزل
 « ترويون » مستطار الأب مبتل الثياب
 فتحت الباب ودخلت وكان الظلام الدامس
 سائداً ما وای الحقيق

واشدت الماصفة فانفتحت ميازيب السماء
 كأفواه القرب ، وجئت الريح فراحت تجار
 بصوتها المدوي الخفيف ، وتصنع مصاريع الشبايك

صيفاً لا رحمة فيه ولا عطف . ونصف في المدفأة
 فيسمع لها أنين كشجرة المحتضر ، قلت في
 نفسي والبسمة المصطنعة تتحير على ثمرى : إن كل
 على أن أمدق (سبينوزا) فأنني وقد نجوت من
 الموت على قارة الطريق لن أجد منه هنا ، وإنني
 سألقي وجه ربي في هذه الليلة الثائرة الغضبي ،
 وأسلم الروح بين عويل الرياح الهوجاء وبكاء السماء .
 ومخطبت التبتة وأنا أرمم إشارة الصليب على وجهي ،
 ثم أشعلت عدداً من القباب ورحت أجوس بنظرائي
 التائهة أنحاء الفرفة وإذا بي أرى منظرأ مرعباً مخيفاً
 لم أكن أتوقع أن أراه قطّ ، منظرأ ما إن لمحت حتى
 انهلع له قلبي من الرعب وقف^(١) له شعر رأسي ،
 فصرخت بملء في وألقيت بنفسي من باب غرفتي
 كالقبول ورحت أقفز الدرج قفزاً من غير وعي .
 ولا أدري يا سادة كيف أتى لم أفع وكيف لم يكسر
 رأسي ويدق عني ، وأرجو ألا تسألوني كيف رحمت
 أركض في الشوارع تحت وابل المطر المهمهم كعباً
 وأنا الذي كنت أسير فيها قبل بضع دقائق متعشياً
 أتلس سبيلي فيها كالممبان . ألا ليت الريح اجتاحت
 بتيارها عود ثقابي ، أو ليتها أطفأته على الأقل ، إذن
 لما كنت على ما أرجح لحت شيئاً ولما انهلع قلبي
 وذهب الرعب بضواي . فقد برز لي في نصف الفرفة
 نمش كستانى اللون مدت حواليه قطعة من الدياج
 المزركش بالأستبرق ، وتدل على غطاءه صليب معلق
 بشريلة وردية من الدمقس المحلى بالشذور

إن في الوجود أشياء تكفي رائحتها خاطفة
 حتى تنطبع في ذهنه بكل دقائقها ، وهذا ما جرى
 لي يا سادة من مرأى ذلك التابوت . فقد ألمت
 بنظرة واحدة عملي بذلك المنظر وحواشيه ، فقد كان

قبل أن يتقاضوا أجرهم من صاحبها الرزأ المفجوع
أو قبل أن يتفهم على الأقل مجدياً^(١) ؟ !

وهكذا صرت في بحر الجحى من الظنون والأوهام،
وأشكلى على الأمر حتى بت أعتقد أنه أحد اثنين
لأثالث لهما : فهو إما جناية أو أعجوبة ، وإن يكن عصر
العجائب قد انطوى بعد أن توفي الله السيد المسيح
ما كنت لأؤمن بمناجاة الأرواح وأحسب أنى
لن أومن بصحتها ما عشت وإن يكن فيها ما لم أوفق
إلى إدراكه حتى اليوم . ولكن مصادفة من طراز
التي وقعت لى تميل حتى بلب الحليم الزين إلى
الناحية الروحية الرمزية ، هذا إن لم نجعله يعتنق
مذهبها ويمتد به بالرغم منه

ولكن مالنا ولهذا الآن ، فلنمد إلى ما كنا
فيه : فقد ظلت بإسادة أسابق الريح في الشوارع
المظلمة تحت وابل الأمطار وأنا أحسب لحوى ورعى
أن الحشة التي تخيلت وجودها في نش منزلى قد
نفضت عنها الأكفان فهي تلحق بى وتركض ورأى
حتى بلغت الساحة المامة واهي القوى مضمضع الجسم
مضطرب الروح ، فوفقت لحظة ومعطى المبالو تلعب
بأذياله الريح ، ووجهى الأصفر الشاحب يلطمه رذاذ
المطر ، والبرد القارس يهزنى حتى المظام . ووقفت
لحظة أستجمع فيها قواي ، فقد كان على أن أيت
فى مكان ما فأتقى هول الماصفة ، ولكن أين ؟ أفى
منزلى ؟ وأنا الذى أخذ الأبن والكلال مأخذهما
منه هرباً من ذلك المنزل المسكون ؟ ! أأنكب نفسى
بالتابوت أو بالجنة التي قد تكون فيه مرة أخرى
وقد هدّت قواي لأجوم منهما وأبتدع رؤيتهما ؟ !
أأخلو وحدى بنمى ؟ ! إن هذا ليذهب بالبقية
الباقية من عقلى . هذا إذا كان قد تبقى لى منه شيء

(١) حذياً كثيراً : الهدية أو الحلوان « البقيش »

النمى لجسم معتدل القامة ، وثبت لى من قبضتيه
البرزيتين ومن الديباج المجلل به والشرطة الحريرية
المزركشة التي تتدلى عليه أنه صنع خاصة لفتاة من
أهل الفنى واليسار

وقامت إحدى الحاضرات فرفعت ذؤابة القنديل
قليلاً ثم عادت إلى مكانها فاستطرد حديثه :

« ما كان لى أن أخشى لو أنى دخلت فرأيت
كليباً كليباً أو لصاً سارقاً ؟ ولا كان لى أن أتعجب
لو أنى دخلت فوجدت النار تلهم النرفة بما فيها ،
أو وجدت السقف قد تداعى والجدران قد انهارت
فهذا كله أمر طبيعى معقول لا غرابة فيه ؛ أما أن
أجد تابوتاً فى منزلى ، تابوتاً ثميناً لفتاة ذات ثراء فى
غرفة وضيفة لموظف صغير — فما لا يخطر فى بالى
قط ، وهو مما يستدعى الدهشة حقاً ، بل مما يهول
المرء ويرعبه !

فمن أين يبط هذا النمى ؟ ومن ذا الذى أتى
به إلى غرفتى الموصدة أثناء غيابى ومفتاحها لا يدرى
أحد أين أضمه إلا خلّص صبحى وأترابى ؟ ولكن
ليس من المنطق فى شيء أن يضع قسيمو ودى
وولائى نمشاً فى غرفتى ! أتكون الأرواح قد
جاءت به إليها ياترى فيكون (سيدنوزا) إذ ذاك
غير مخطئ فى قوله لى ساعة أذرنى بدو الأجل ؟ !
يا للفضيحة إذن ! والهلول ! أتكون ساعتى قد حانت
وأنا فى مطلع الصبا ومستهل الشباب ؟ حنانيك
الهم وغفرانك !

تلك كانت الأفكار التي ساورت غيالى بإسادة .
ولقد كان لى أن أظن أن التابوت قد أتى به خطأ إلى
غرفتى أحد موظفى دوائر الجناز ، فقد يفلط أحدهم
فى الطابق أو يخطئ الباب المقصود ، ولكن
من منا يجمل أن حاملى النموش لا ينادرون النار

يفلّف روعي ويأس قوى يضغط على صدرى
وارتطمت قدي وأنا أقدم في حجن الترفة بشي
حسبته للوهلة الأولى أريكه ، فالتقت عليه معطى
وقبعتي . وبينما كنت أحوّل أن أخخذ مجلسي عليه
كان عود الثقاب الذي رحت أشعله قد أثار جوانب
الفرقة ، وما لحت (أريكني) هذه على ضوئه الباهت
حتى أرسلتها صيحة مدوية ملؤها الرعب اهتزت لها
أرجاء الفرقة من غير ريب ، ورحت كأنها تم المصبول
المرّوح أقفز درجات المنزل قفزاً

فإن ما حسبته أريكه لم يكن إلا نمشاً . أجل
ياسادة ، لقد أبصرته حقاً ولم تخطيء عيناى في مرآه
فقد كان ضئيف نابوت غرقى حجاباً ولونه قاتماً
يوتس رائيه ! فن أتى به إلى هناك ولماذا ؟ أيكون
في الأمر جنابة يا ترى ؟ وكيف جرى ذلك في
غرفتين غرفة صديق وغرفتي ممّا ؟ ومن لى بمن
يجلو حقيقة الأمر ، وبطلنى على تفاصيل هذا البهر
الغامض المبهم ؟ أيكون على عيني غشاوة تربى في
كل ما أرى ماوى الموت الرهيب ؟ أأنكون جلسة
مناجاة الأرواح قد أنهكت أعصابى وانتابنى من
جرائها رُداع^(١) ألم استحال مع كل شيء في
نظري توابيت ؟ أم أنى قد جُننت ؟ !

وما مرّ ذكر الجنون فى خاطرى حتى وضعت
رأسى بين يدى ، ورحت أفكر بما تبقى لى من عقل
وتعمت شفتاى من غير إرادتى :

« أأكون قد أصبحت مجنوناً ؟ ألا رحماك
يا الله ! »

وكادت رأسى تنفجر ، وكانت ركبتاى
تصطكان من شدة الدرع والبرد معاً ، وجسدى

(١) الزناح : وجع المجد أجمع

بل إن هذا لميتنى ما فى ذلك ريب ، ولكن بقاى
فى الشارع تحت المطر الواكف يقرسنى البرد
بزهريره فلما أريدته ولا طاقة لى على احتاله
وتذكرت ، وأنا فى غمرة اليأس ، أن لى فى
« حى الأموات^(٢) » القريب صديقاً يدعى (أوكيف)
— وهو الذى انتحز منذ عهد قريب بطلق من
مسدسه كما تعلمون — فرأيت أن ألبأ إليه لأقضى
ليلى عنده »

وتناول إيفان منديله ومسح العرق البارد
المرفض عن عيائه ثم قال بعد أن زفر زفرة حرى :
« لقد أبى سوء الطالع إلا أن ينكبني بإسادة بملازمته
إياى فى ليلى تلك . فقد أمت منزل صديقى وكلى
أمل بقاءه فإذا بي أذهب فلا أجد أحداً . ولم أبدأ
وقد عولت ألا أرحه إلى مكان آخر ، من أن أتلس
الفتاح فى الكوة التى اعتاد صديق أن يجتبه فيها .
وقد أحسست لما عثرت يدي عليه بلذة تلج لها
صدرى ، وتيقنت وأنا أفتح الباب لبّ الفرج قد
وفاى بوجهه الباسم الطلق ، وأنى واجد من غير بد
فى غرفة صديق الراحة التى عدتها وحرمت منها
هزيعين من الليل كاملين ، فدخلت دخول الوائق
المطمئن وأنا أنضو على معطى المبتل

كان الظلام الحالك باسطاً أروجه ، وكانت
الريح تدوى أبداً بلحنها المومس الفاجع ، وفى إحدى
الروايا جدد يشق هداة الدجى بفتاء مستهجن
يطلقه على وتيرة واحدة ممة ، وكانت النواقيس فى
كنيسة « السكرملين » تملن للملأ بدقاتها الموزونة
صلاة السحر ، وكان كل ما فى الطبيعة الثائرة يبعث
على الرهبة والجلال . وأنا برغمنا كنت بدأت أشعر به
من الطمأنينة ، كنت أحس فى أعماقى مجزى شديد

(١) أحد أحياء موسكو

ووصل إلى مرئمة الفرائص ، شاحب اللون ،
مستطار اللب ، زائع النظر ؛ فأمسك بذراعيّ وسأل
بصوت أبح :

أهذا أنت يا إيفان ؟ أتكون أنت إيفان حقاً ؟
إنك لست شاحب السحنة فحسب ، ولكنك
— أعني يا إلهي — بطل من أبطال الأساطير
المروعة أو جن ، أو ميت نفص عنه الأكفان
وخرج من ضريحه !
فقلت له :

— وأنت يا أخي مالك مضطرباً قلقاً ؟ وما بال
وجهك قد تغيرت منه الأسار وابتدلت فيه الملامح ؟
إنك لتخيف رائيك حقاً يا (بوغوستوف)
— آه ! دعي ربك يا أخي أستنشق الهواء ،
وأستشمر الدعة والألمشنان خيالك ، وإنني جد
سعيد بمرآك هذا إن كنت حقاً أنت الذي أرى ،
وإن أنت لم تكن وهماً لحواسي ومشاعري . لك الله
يا جلسة مناجاة الأرواح من لينة !

وأطلق من صدره المجهود زفرة ملتهبة ثم قال :
« لقد قلت تلك الجلسة أعصابي إلى حد ... آه !
أرجو ألا تعتبرني مجنوناً يا إيفان ... إلى حد ...
تأمل يا هذا ... إنني عند ما دخلت المنزل وجدت
في البهو ... نمشاً ... أجل نمشاً ! »

وكذبت بإسادة أكذب أذنيّ فيما سمعنا لو لم
استعده حديثه ولو لم أرغب إليه أن يكرر قوله
ليثبت لي أن ما رأيته تابوت حقيقي لا ريب فيه
وجلس على العتبة وأجلسني معه وأمسك رأسي
بكلتا يديه وقال :

« أجل يا إيفان ، لقد رأيت نمشاً ، نمشاً
حقيقياً » ثم صمت لحظة كأنه راح يستجمع خيالاته
قواه أو شئت أفكاره ثم استطرد :

كله يرتجف ، والريح الماتية القرة تخترق برودتها
عظامي ، والمطر يتدفق من ميازيب البهاء كالينابيع ؛
وكنت من غير مظف ولا قبعة ، فمطفي وقبعتي
تركتهما على تابوت غرفة صديقي ، ويستحيل عليّ
أن أعود لأتني بهما فالرعب قد شلّ أعضائي كلها
وشدّد الدمع ضغطه على صدري ، وأطبق على
أضلاحي ، وتصبب العرق البارد من وجهي !

ماذا كان عليّ أن أعمل يا سادة ، لقد بتّه
مجنوناً ، أو نصف مجنون على الأقل ، وفقد عقلي
الراجح توازنه ، وأصبحت مختل الشعور . وغدوت
عدا ذلك عرضة للبرداء

وكان ربي وربكم شاء ألا يتخلل عن عبده في
هذه المرة ، فألمني في موقف الحرج هذا أن
ألجأ إلى صديقي الحميم الطيب (بوغوستوف) الذي لم
يكن منزله عن (حي الأموات) بعيد ، وكان يسكن
في الطابق العلوي من إحدى بنايات أحد مستشاري
الدولة ، وكان حضرة صديقي الطيب هذا قد حضر
مع جلسة مناجاة الأرواح اللينة ، فهرعت إليه آملاً
أن ألقى عنده الراحة — ضالتي المشوذة — فإذا
بألمي يخيب ، وإذا بي عنده أنكب برزء جديد تحمّلته
أعصابي المتهوكة المضضمة ؛ فقد سمعت وأنا أصمد
درج منزله جلبة وضوء ، ووطء قدمي مهرول
راكض ، ولطم أبواب ، وقمعة خفيفة ؛ ثم لم ألبث
أن سمعت صوتاً شديداً يزير الأسد الطمين وصوتاً
صارخاً :

« إلى ، إلى ، النجدة ! النوث ! » ثم رأيت
بمد ثانية واحدة شخصاً مجللاً بشابه السوداء ينحدر
على الدرج خائفاً مرعاعاً ، فناديته وقد عرفته فيه
سنوي الحبيب :

— بوغوستوف ، ما بك ؟

عن زى بوغوستوف

إنك تعلم، على ما أظن، أن أحوال عمي المالية قد ساءت كثيراً في الآونة الأخيرة، وإنه في هذه الأزمة الخائفة غارق في ديونه وأن لا سبيل إلى وفائها الآن

وبما أن السلطة متحجزة غداً على مقتنياته، (وهو كما لا يخفى عليك خير صاني التوايت في البلد وأحذقهم في مهنته) قررنا نحن أقاربه الأدين في الاجتماع العالمي الذي عقدناه أمس أن ننقذ شرف عائلتنا وممكتنا من التكبلة الواقعة، وارتأينا أن نخفى أئمن التوايت وأجلها عند من نمتد فيهم الاخلاص والوفاء

وهأنذا، بناء على هذا الاعتقاد، أبث إليك كما أبث إلى كل أخ عب كريم تابوتا للاحتفاظ به أسبوعاً على أكثر تقدير ممتدداً على ما فيك وفي خلص الصحب من كرم ونبل

عجبك : ايفان تشيلوستين

وتنفستنا الصعداء بعد قراءة ككل متعب مكثود ألقى عن عاتقه عبثاً كان يهظه ويرهق قواه. هذه هي ياسادة أشأم ليلة عرفتها في حياتي. وقد وجب علىّ بعدها أن أعالج لدى الأطباء ثلاثة أشهر متواليه لتهذبة أعصابي وإعادتها إلى ما كانت عليه أما صديقنا صانع التوايت فقد نال بشيته وأنقذ سمته وهو الآن يدور بنفسه محلاً لتجهيز الموت يبيع فيه رخاماً وتماثيل وغير ذلك مما له علاقة بالتجنيز، إلا أن أشغاله لنسكد الطالع ليست على ما يرام

ولهذا ياسادة أخشى عند ما أعود كل مساء إلى منزلي، أن أجده فيه حبال سريري تتألا من الرخام الناصع أو نمشاً مزينا

مورج سلسي

أنا لست بالجبان ولا الرعديد، وإن الشيطان نفسه ليرتعب بإصباح إذا عثر على نمش بعد جلسة مناجاة أرواح!

ووجدت من بيان صديقي الطيب حافراً لى على القول فرحت أقص عليه متلعناً تارةً وطوراً مبيتاً قصة للنمشين اللذين نكبت برؤيتهما ورحنا على الأثر يحدق كلانا في وجه رفيقه تحديقاً الواله المشدوه وعمرزه^(١) ليستوثق من وجوده، ثم قال الطيب:

كلانا نمش، فلستنا نأعين إذن، ولا كنا في غمرة الأحلام، وليس (تابوتى) ولا (تابوتك) من صنع الوهم وعمل الخيال ولكنها الحقيقة الراهنة فما العمل الآن يا صديقي؟

وبقينا ردحاً من الزمن جالسين على التبة يقرسنا البرد، تأميين في عالم الرجم والحدس تتسائل عن سر وضع التوايت في الغرف الثلاث. وعزمنا أخيراً أن نطرح عن نفسيينا عبء الوجس والرعب، وقررنا أن نوقظ الحجاب وأن نستدعيه لندخل وإياه غرفة الطيب. وهكذا فعلنا، وقد رأينا لدى دخولنا نمشاً مزيناً بالحرير، مموهاً بماء الذهب

ورسم الحجاب إشارة الصليب

قال الطيب بصوت راجف التبرات: «علينا الآن أن نعرف إذا كان النمش مأهولاً أم خالياً» وبعد تردد طويل في أئنا يُقدم على فتحه، انحنى الطيب نفسه وهو يصير بأسنانه فرقاً وجزعاً ورفع النطاء دفعةً واحدة، وإذا بنا نرى عوضاً عن الخلفه التي كنا نترب أن نراها فيه كتاباً هذا نصه:

(١) مرزه: قرصه بأطراف الأصابع

شطاء . وهناك في
تفاريق النسابة بعض
فتيات فهن الملاحه
والظرف والجمال وفيهن
التبذل والفجور أيضاً ؛
يجذبهن العمل وتغريهن
الدرهمات ولكنهن
شر مستطير على من
يقع في حبالهن ، فما

له من عقاب سوى العزل . ولقد كنت أقسو عليهن
أحياناً فما أزيدن إلا سخرية وتهكماً ؛ ثم هن
يحدقن فيّ وعلى شفاههن ابتسامات رقيقة خلاية ،
فأثني عنهن خيفة التردى فيها هو أدهى وأمر ، وما
استطاعت واحدة أن تجذبني إليها والنوابة تتجاذبن
وغير بعيد منا ، على شاطئ الهر إلى جانب
سوق المدينة ، يعيش جماعة من ذوى اليسار من
التجار والفلاحين ؛ وهناك مركز الشرطة ؛ وعلى
جانبى الطريق ، بين المعامل والمدينة ، دور بناها
الكونت لتسكنها الطبقة الوسطى من العمال ، وهم
ناس فيهم النظافة والنظام ، وفي الناحية الأخرى
من المدينة أكوخ قذرة ضمت سفلة القوم
وأوشابهم ، ومن بينهم رجل يدعى كراتوشويل
وجدلدة في الخمر فاندفع يشربها فا يبدو إلا سكران
ممتلخ العقل . ثم استلبه الشراب — بعد حين — من
قوة فما عاد يصلح لعمل . بين يديه زوجة وثلاثة أطفال
تمضمهم الفاقة فما يجدون البلاغ ولا يستطيعون العمل
فراحوا يستكفون الناس ، وانسلت الأيدي تشرق
ما تبلغ إليه ، ثم هم ينتظرون من ينزل بهم من الرحل
في شغل وشوق لينالوا منهم شيئاً وليجمعوا ما بقي

سَيَاكُونُ الْكَهْفِ

للكاتبة المنسوى فردينا د فون سار
بقتلم الأستاذ كامل محمود حبيب

قال مستر برنيت مفتش أعمال الغابة وهو يمش
بلحيته البيضاء : « لقد كان ذلك منذ سنوات
وسنوات وهي في خيالي كأنها ذكرى الأمس
القريب »

— ١ —

في سنة ١٨٦٥ كنت مساعداً في أعمال غابة
الكونت (و...) في مورافيا ، وكان رئيسنا رجلاً
طوى سنى شبابه ، وأصابه النقرس فهو يتكىء دائماً
على كتفي أو على عصاه ، وكنتُ فتى بَيْنَ الفتاء ،
شديد القوة أتعشق عملي فلا أتركه إلا إلى دار
الראسة في القلعة ؛ ولم أكن شاباً بين الشباب
يستهوئني ما يستهوئهم ويجذبني ما يأسرهم ؛ فما
طلبت اللذة في الخمر ، ولا وجدت السعادة في قصف
ولهو . غير أن نفسي هفت نحو أمر ما تبصر عنه ..
تلك هي رقيقة الصبا وقسمة الشباب ، وأنى لي أن
أجدها في هذا القفر الياب ؟ أفتستطيع النفس
الظامئة الوأبة أن تكفكف زغبات تسأجج بين
طيات الجوانح فتدفعها إلى أمر ... ؟ وبدت دار
رئيسي — وكنت أسكن معه — جرداء ممحلة
بعد إذ تروح ابنتاه وخلفتنا وراءهما أمماً عجوزاً وخداماً

نهاره يصيد السمك، وأنا أجد في عينيه الزرقاوين وشعره البسط المنسدل على جبينه ما يجذبني إليه فأقذف إليه قطعة من قود أو بقايا ذبينة فيتلقيها فرحاً مسروراً

وفي صباح يوم من أيام ماو أشرفت سمه وهذا نسيمة، انطلقت إلى القلعة أفضى وطراً؛ وحين دنوت من القنطرة رأيت فتاة استلقت على ظهرها إلى جانب النهر على الرمال الدافئة، لا يسترها سوى قميص قصير ما يكاد يبلغ ركبتها، به فروج تبدى عن شيء وتختفي شيئاً؛ وقد انكشف مندليها عن شعر ذهبي سبط جميل تداعبه نسبات النهر الهينة. وحين سمعت وقع أقدامي تقترب منها رويداً رويدا نظرت إلى بيمين خضراوين جذابتين. من تكون هذه الفتاة الفتاة التي انطرحت على الأرض في أسماها؟ لعلها ابنة كراتوشويل!

وعند الظهر عدت إلى داري فالتفتها في مكانها لم ترم، وأحسست كأن نظراتها تحترق شفاف قلبي فأنتفض وقد استشعر أمرها؛ غير أنني طربت إلى داري خشيّة أن بقودني قلبي إلى الهاوية

وقصصت ما رأيت من أمر الفتاة وأخبرها على رئيسي فاحتاج وغضب، ثم قال «إن هذا جود وإغضاء من القانون. أفيترك هؤلاء ولا عمل لهم يمشون في الأرض فساداً؟ لا بد أن أسوق الأبوين إلى العقاب وأن أدفع بالآبناء في غمار العمل» قالت زوجته «وأسفا! أقيميش الأطفال ههنا، وفيهم الجمال والدكاء ولا سيا البنت؟» وصاح الرجل مغيظاً: «ماذا نفعل؟ وهذا عمدة البلدة لا يني بأمراته، فهو يقذف به بين الأنعام ليقضى عمره بهيمة بين البهم لا ضير فهو غنى، أما هؤلاء فقراء بموزم المال (٢)

من آثارهم. وأذن لهم الفئش بالاحتطاب عطفاً منه وإشفاقاً، غسنت حالم وبدا عليهم أثر النعمة فبنوا كوخاً كبيراً وزرعوا أمامه بعض الخضر وتندّر عليهم بعض الفرفاء فأطلقوا على الكوخ اسم «قيللا كراتوشويل». أما زميلي مساعد الفئش فكان يلقبهم بـ (ساكني الكهوف) فلمن بهم الاسم.. وكان أكبر الإخوة طفلاً عليلًا سقيماً أنهكه الفراغ وأضناه الكسل، وبدت على الطفلين الصغيرين سمات الشر فانطلقا يتسولان ويسرقان. وبذت الطفلة أخاها، فهي تختفي في الدور حين يسدل الليل مسوحيه. ثم تنسل عند الصباح الباكر في خفة إلى دارها وبين ثيابها ملابسها من المتاع ما تستطيع حمله. وفي ذات مرة عثر عليها تحت سرير أحد الموظفين فساقتها إلى الشرطة؛ غير أن صفر منها حال بينها وبين السجن فموقت بالضرب، ولكن آتني للمعنا أن تنزع شرّاً وتقرس خيراً؟ لا ريب أن أباهما وأما كانا يدفعانها إلى مهاوي السوء ليستطيع الأب أن ينال بعض ما يمتنى من شراب. وشباً.. ووجدت الابنة — بعد حين — في أخيا معواناً.. ثم قبض عليها ممّا في غزن. وحكم على الفتاة بالسجن سنة، أما الطفل فكان صغير السن

تلك هي حياة آل كراتوشويل خلال السنوات الأولى التي قضيتها هناك. ولشد ما ألمي أن تلوث هذه الشرذمة الناحية التي أعيش فيها. وكان الصبي يستجدي بعض عطفي بين الفترة والفترة بأصابعه المبتورة. ولقد قيل إنه هو الذي عمد إلى المنجل فبتر به أصابعه فراراً من العمل الذي أرغم عليه، ولكنه كان قوياً شديداً تبدو عليه علامات الدكاء والقراءة. وكان يختلف إلى النهر فيقبض شطراً من

جانب الطريق كأنما تنتظر إنساناً وبين يديها بعض زهور يانعة تثبت بها . وحين صرت بإزائها نظرت إلى في حياء وخفر ، فاضطرب قلبي ؛ غير أنني اندفعت في طريق ... واستطعت أن أراها وأنا في المزرعة ، وأردت أن أنزع عن قلبي بعض ما نفثته في نظراتها الملحة ؛ فتنكبت في العودة طريق الأول ، وسرت غير بعيد ، فإذا الفتاة تشتد في سيرها تقطع على السبيل ، وتثر عند قدمي أزهارها ، ثم تخنق في أضماغ الفتاة ؛ وعادت تكرر عملها مرة ومرة ، وحين اقتربت من باب داري سمعت نطحها ترن على بضغ خطوط مني فيها السخرية والمهزء وتبتمنى يوماً ويوماً فما شككت في أنها ترصدني .

وعند عودتي في اليوم الثالث سألتني الرئيس : « برينيت . أفرأيت ابنة كراتوشويل ؟ لقد حامت حول الدار كأنها تريد أمراً ... » واعتقل لساني فما استطعت أن أحده الحديث ، ثم قلت : « نعم رأيتها على مسافة بعيدة » قال : « وإذا رأيته ثانية فليها وسقها إلى الشرطة ، وإن هي حاولت فراراً فارمها بالكاب عزمها أو أقدفها برصاصة . قلت وأنا أرغم نفسي على الابتسام : « هذا أمر صعب » قال : « لا ، فما أريدها تسكع حولنا ؛ أو توعدنا بأن نمنع أبويها الاحتطاب فقد يكسر هذا من شوكتها » وشق على أن أكنم في نفسي أشياء . وناداني صوت الضمير فجزمت على أن أخفف بهذه الفتاة الشريفة بعيداً عن الفتاة

ولاقيتها في اليوم التالي — فناديتها : « ها أنت ذهبت » ونظرت إلى في استحياء ، فقلت في غلظة : « أي شيء جاء بك إلى هنا ؟ » وخاب أملها حين أغلظت لها القول ، فاطورت في ذلة وانسكمار

وتعصرهم الفاقة ، ولا ريب أن الفساد ينخر في عظامهم في غير هواده ولا لين ... » وأخذ الرجل يتحدث عن الأمر في شدة وحساسة حتى تفرقنا كل إلى فراشه . ورأيت فيما يرى النائم كأن آل كراتوشويل يرتكبون الجرائم الوحشية في غير تخرج ولا حياء

— ٢ —

وفي الصباح التالي حملت بندقيتي وناديت كلبي وانطلقنا معاً إلى الفتاة . وكان اليوم من أيام الاحتطاب يتطلب اليقظة والدقة والعناية ؛ فإن أخلاط الناس يحشرون في الفتاة يمشون بها إن وجدوا منا غفلة أو أنسوا إهمالاً . ورئيس الحرس إلى جاني يتنزه نشاطاً وجداً ، وتقاطر الفتيان والفتيات حول يلتمسون الإذن ثم انطلقت أضرب في أنحاء الفتاة ما أهدأ ولا أستقر . وعند الظهر ابتداء الجمع تصدع فهمت أريد الذهاب إلى داري فرأيت زوجة كراتوشويل تدب وتحمّل على نفسها كأنها تنحط من صيب ، وهي تحمل حلاً ثقيلاً من الخشب وأنفاسها تتتابع من البهر والتعب ، والعرق يرفض من جبينها فما ينصب ، ومن خلفها ابنتها تهادي في أمانة وصف لا تحمل سوى المنجل ، وراعى أن أرى الفتاة تحتال في سيرها كأنها ابنة أمير ، ثم هي لا تخفف عن أمها العجوز بعض ما أثقلها . وحينئذ الأم بصوت فيه رنات الأسى والجهد : أما الفتاة فانطلقت لا تعيرني التفاتة ، وحين جاوزتني نظرت إلى نظرة ذى علق وعلى ثمرها ابتسامة رقيقة خلافة كأنها أحست مني الميل نحوها ؛ فأهمي أن تضطرب الفكرة في خيالها وأنا أكنمها في نفسي ..

ودلفت في اليوم التالي إلى عملي على حدود الفتاة في المزرعة ؛ فإذا الفتاة جالسة على مسجرة نائمة على

الاعياء... ثم تذكرت أنني رأيت منذ شهور ينبوعاً في هذه الناحية ، فمطقت أقتش ... وراعى أن أحد إماء به ماء فاضطرب قلبي وأنا أضحك فيه أريد أن أستشف أمراً ، وفزعت حين سمعت صوت جسم يسقط من بين الأغصان إلى جانبي ، فالتفت فإذا هي ... هي الفتاة ، ابنة كراتوشويل ؟ وراحت ترمقى بنظرات نفاذة وهي تبسم ، اهتز لها قلبي ثم ... ثم نكصت على عقبي وكلني من ورائي نلغ في الإماء حتى روي ثم اندفع في أثرى .

وبلقت الدار ونفسي تنازعني إلى الفتاة ، والرغبة الجامحة تلح علي ، وسيطرت على فكرة ما أستطيع دفعها فسلبتني الراحة والهدوء ، واضطربت الحياة في ناظري فما أطمأن إلى فراش ولا ألتذ بطعام وساقني العمل إلى النابة بعد أسبوع ، فرأيت الفتاة في مكانها الذي اعتادت أن تنتظرني فيه ، فسرت في مفاسل — لدى رؤيتها — رعدة شديدة وحدثني نفسي أن أقول لها ... غير أني استشعرت المار والفضيحة فأنطلقت لا ألوي على شيء ، وكلني يصعب عندها بذنبه كأنهما صديقان ، ورأيتها تداعبه فتشفله عني ، فنادته فلم يابه ، فقلت في شدة « دعي ! » فقالت في هدوء « أنا لا أستطيع أن أطرد صاحبي ، وهو لا يكتم في نفسه ما يكتم سيده » قلت : « ماذا ؟ ماذا ؟ » قالت في رقة وهي تدلف إلى « أوه ، لقد لبثت طويلاً هنا أنتظرك » قلت : « أنا ؟ لماذا ؟ » ووقفت الكلمات على شفتيها وفي نظراتها الرقة والظرف فنفقت في نفسي الحنان والمطفأ ، وفي قلبي السحر والهوى ، فتخاذلت ... واستطعت بعد لآلئ أن أحدها في غلظة « إنك لا تستحين ، ابتعدني عني ! » فنظرت إلى في خوف

وهي تقول : « أى شيء ... ؟ أغرام على ؟ » قلت « نعم » قالت : « ولماذا ؟ إن النابة مفتوحة لكل طارق ! » قلت : « لا ، وإذا كان حقاً ما تقولين فأتت آخر من يستطيع أن يجول في أحمائها » قالت : « ومن ذا يقف في طريق ؟ » قلت : « أنا » قالت : « أنت ؟ » ثم حدثتني بنظرة فيها الصلف والجحود وفيها الرقة أيضاً ، فاضطربت وتخاذلت ثم ناديت شجاعتي فلبتني سريعاً فقلت : « أنا لا يميني أن تكوني هنا أو هناك ، ولكن الرئيس أمرني ... » قالت : « وكيف تنفذ أمر رئيسك ؟ لملك تريد أن تنزى بي كلبك . انظرا ! » ثم ألقت إليه بقطعة خبز فالتقطها وأخذ يحوم حولها . فقالت وهي تبسم في رقة وظرف : « ليس فيه ما في سيده من تجر وعناد . لقد أخذ ما أعطى ! » وابتدأ الحديث يلمس في ناحية حساسة فقلت : « أنا لا أريد أن أندفع معك في الحديث ، ولا أريد أن أقسو عليك ، ولكن اضطرابك في جوانب النابة دون عمل سيضطرنا إلى أن نمنع أبويك الاحتطاب » ثم ناديت كلبي وهي من خلفي ترسل فمخكاتها ترن في الفضاء وتصمرت أيام لا أراها ، وهفا قلبي نحوها ، فآلني أن تخضع هي لأمرى فتحجب عني ودارت الأيام ، وهبت رياح الصيف الساخنة تنضج القمح ، وانطلقت إلى القلعة — ذات صباح — لأنجز عملاً ... ثم عدت عند الظهر في الماحجرة ، والشمس تلتهب ، والدنيا صامتة ، والريح ساكنة ، وأنا أسير الهويني ... وتلفى الحر فطبختني وكلبي المهاجر ، وغلبنا القيط والظلمة فما أجد ربياً والدار على بعد ساعة منا ، والقنوات بازائنا ما فيها قطرة ، وما في لساني ريلة ، وقب أعياني الجهد وأضناني

قالت في انكسار: «نعم» ثم حيتها وانصرفت
والعبرات ما تزال تندفق من مجريها... واطمان
قلي لأنني استطعت أن أغسل عنها بعض خطاياها..

— ٣ —

وفي مساء هذا اليوم انطلقت إلى الفتش أحدثه
حديث الفتاة وأسأله عملاً لها. وعجب هو لحديثي -
بادي ذي بدء، غفيرة بوعدها، فقال: «حقاً،
لن أقف في سبيلها فأجني عليها جناية أخرى.
سأجدها عملاً برغم أنني لا أثق بها. إن الإرادة
يأبى وإن كانت من حديد لا تنقلب الطبع وهو قد
انحدر من الأبوين واختلط بالدم. لقد كان أبوها
يطلبان العمل في الحين بعد الحين ثم لا يلبثان أن
يلقيا بالفأس والمكسل جانباً ويندفعان إلى حياة
التبطل والكسل؛ وأنت تعلم أن أخاها قطعاً
أصابه بالتبطل. هرباً من العمل حين أرغم عليه،
وأنا أخشي أن تنهج هي نهجه، ولكنني سأحبوها
بعمل...»

وأشرفت - بعد يومين - من عل على الحقول
والمال يمزقون أستطلع خبر الفتاة، والساء صافية
والنسيم عليل، والناس منشرون هنا وهناك بين
نبات اللقد، وإلى جانبهم حقول القمح تضطرب
تحت النسبات اللينة كأنها أمواج من ذهب. وجهدت
أن أرى الفتاة فمجزت والباس يجد طريقه إلى نفسي
رويداً رويداً، ثم أشرقت على شفتي ابتسامة الرضا
والطأنينة حين رأيتهما مجدة في عملهما وإن لم أر أترأ
لما عليهما سوى منديل قثيب أحمّر تداعبه هبات
النسيم... ثم انقلبت إلى داري فوحاً

وعند الساء أحسست بالمرض يتدفق في جسمي

وفزع ثم تقهقرت حين رأيته أهن في يدي بندقتي.
تقهقرت وعلى وجهها أثر الخبث والدهاء ثم قالت
في استعطاف: «لا، لا تفعل، لا تطلق بندقتك
فتحدث ضوضاء وضجة. أنا ذاهبة ولكن أعطني
بعض المال فأنا جائعة، وملابسي ممزقة، ثم إنني
لا أملك حذاء» قلت: «حذاء؟ وماذا يفيدك
الحذاء أيتها الخائنة؟» وأسفطت عليها كلمتي الأخيرة
صاعقة مهد من كيائها وتصصف بقوتها، فقالت وهي
تتحامل على نفسها: «لا تنطق بها ثانية، فأنا لم
أسرق منك شيئاً» وندمت على أن زلت لساني
فنطق بما لا أبتغيه، فاندفعت أرفه عنها بعض
ما أصابها فقلت في هدوء، «لقد أثرت غضبي؛
وإذا كنت جائعة عارية فلماذا لا تصيحين بعملك
مالاً؟» ثم أخذت أحجب العمل إلى نفسها بكلمات
فيها الرقة والحنان فقالت: «إن إنساناً لا يطمئن إلى،
وأنت تعلم لماذا...» قلت: «نعم، وسأحدث
إلى الفتش في أمرك» قالت في شغف: «نعم،
خذني أنت، إنني أريد أن أعمل تحت رعايتك»
واقتربت منها وفي يدي حافظة نقودي «إنك فتاة
جميلة جذابة فلماذا لا تكونين رفيقة أمينة؟
ما اسمك؟» قالت: «ماروشكا» قلت: «حسن
ياماروشكا، والآن أريد أن تضرب لآخوتك
مثلاً أعلى في الجد والنشاط والاستقامة، فتمولين
أبويك وقد أقدمهما الكبير. ألم تفكرى في
المستقبل ياماروشكا» وأعمرت كلماتي فانفجرت
بأكية، فقلت وأنا أعبت بشعرها: «لا تمزقي باصديقتي
واذهبي بعد يومين فأطلي عملاً، وخذني هذا المال
فهو كل ما أدرخت فسدي به بعض حطمتك» ثم
وضعت المال في يدها وأنا أقول: «أندھين؟»

الحين بعد الحين عند القنطرة ؟ وإن رأيتي تبيل عني
تحقق في ماء القدير . ثم هي قد حال أمرها فأبدلت
ثياباً بثياب ، وبديت نظيفة أنيقة ترف جلالاً وبهاء ،
فيها متعة العين والقلب في وقت ممتع ... وقالت لي
نفسى : أتى لها هذا ؟ لست أدري

وتصرمت أساييح ، وجاءت أسرة الكونت ،
وتدقت — على آثارهم — جماعات من الضيوف ...
وانطلقت أنا إلى رئيس الحرس أهنيّ أسراً ...
فألفت زوجة لدى الباب ترضع طفلها . فأشارت إلى
الطريق الذي سلكه فذهبت أتقصصه ، ووقفت على
شرف أستطلع خبر الحارس ، فأفزعني أن أرى في
وفتة يستلقيان على الأرض يتماثلان في شفق
وشوق ، واضطربا أن رأيتي أحرق فيهما ، فطلبا مهرباً
وقد أرخت الفتاة متديلاً على وجهها ، وعرفت فيهما
ماروشكا وابن الممدة ، وهو صبي وسم الطلعة ، في
المقد الثاني من عمره وفيه التخث والغباء فاضطرب
قلبي وزلزلت زلزالاً ...

وعدت أدراسي ، غير أنني سمعت الشاب يتنادى :
« سيدي ، سيدي ! » فأجبت في غلظة وجفاء :
« ماذا تريد ؟ » . قال في تلمع : « سيدي ، أرجو
أن تكتم هذا الأمر في نفسك ، وإن لا تكن صفة .
شديدة لأبي ولأخي معاً » ، وسبقني لساني إلى سؤال
استشمرت منه الخزي : « ولكن هل تتلقيان هنا
كثيراً ؟ » قال : « كل يوم تقريباً » قلت : « وفي
هذا المكان ؟ » قال : « حيناً هنا وحيناً في مكان
آخر » قلت : « أو ماراكما غيري ؟ » قال : « رأينا
بعض سكان مقاطعة الأرشيديوقي وهم لا يعرفونا »
قلت : « والحارس ؟ » قال : « لقد أغلقت فيه ! »

فيحجبني عن عملي أياماً ... وانهى عرق اللفت ...
ثم تماثلت للشفاء ...

واستحصد القمح ، غير أن الكونت (و...)
وجاره وصديقه الأرشيديوقي كانا قد قدما للصيد
فشغلت بهما حيناً ، ثم استطعت أن أنطلق إلى الحقل
عند شروق شمس يوم من أيام يولية . لقد كان الحر
شديداً والعرق يتصبب من كل فتاة وفيهم في عملهم
مندفعون ومن ورائهم زميلي يبعث فيهم النشاط
والقوة . ووقع بصره على فتاداني : « عم صبايحاً ياربيت
أجئت لترى فتاتك ؟ لن تجدها فهي قد عاقت العمل
بعد يومين » ثم ابتسم في سخرية وسهك وهو يقول
« وإذا شاقك أن تراها فهي هناك » وأشار إلى
راية . حقاً إنها هناك عند الساقية إلى جانب شجرة
الصفصاف وهي ما تزال في ملابسها الرثة وهيئتها
الزرية ، ثم ابتسم صاحبي مرة أخرى وهو يقول : « لاجرم
أنه يلزم للإنسان أن يرمقها من بعد ! كيف تقضي
الفتاة ساعات يومها ؟ ماذا يفزعها عن الطريق المستقيم
طريق النجاح ؟ إنها جميلة فتاة وعجيب ألا تجذب
إلها فتى من طبقها . إنني لا أوقن بطهارة ذيلها
وعفتها علي رغم أنني لم أرها صديقاً . أفتستحق
الحب ؟ لو كنت غنياً ، إذن لوفرت لها أسباب الهناء
والسعادة ؛ ولكن ماذا يفيد وقد صرخ الشيطان
في عروقها ؟ » وجاءت الآلة تجمع ما حصده
المناجل فانطلق هو إليها ، وخلفني وكلمته توقظ في
نفسى هوى نشرت عليه أستار التسيان ، فدق قلبي
في عنف واضطربت الأخيصة في رأسي ثم ... ثم
كتمتها في نفسي ...
وراحت هي تنسكب طريقاً ما أراها إلا في

رحيق الغرام ، فجن جنونه فما يستطيع عنها صبراً .
والآن فأبوه يرقبه عن كعب فما يدعه فييب عن
ناظره . ومن الغريب أن الريبة لم تضطرب في خياله
والناس يرؤن الفتاة تتأقن في ثيابها الغالية وتهادى
في غرور و صلف ، وما لها من عائل . فأبوها هناك
سكران ما يفيق . على أن هذا الأمر يخذل كرامتنا
يا برينيت ، فما يتلاقيان في الغابة إلا تحت سمع الحارس
وبصره ، وما من شك في أن الشاب أخرسه ببعض
ماله فواراهما في كن ، ثم سحّوق فراح يذيع الخبر
طمعاً في مال آخر ... »

ثم ... ثم انطلق كل منا إلى فراشه ، وما لبثت
أن سمعت نباح الكلاب يشتد ، ثم دق الجرس في
عنف ، فقتاللت أستطلع الخبر فرأيت بناءين ،
فاستخبرتهما الأمر بخبراني أن نأرا في المدينة إلى
جوار الغابة

واندفع الرئيس من فراشه لدى سماع الخبر وقد
نسى مرضه وهو يقول : « نأرا في الغابة ! » ثم انطلق
إلى ملابسه يرتديها وهو يردد : « نأرا في الغابة ! كيف ؟
كيف ؟ » قلت « أظن أنها ليست هناك ، لعلها في
كوخ الحارس » قال : « هذا صحيح ، لقد أشعلتها
ابنة كراتوشويل لتثار من الرجل » ثم قال :
« أسرعوا إلى هناك . سألحن بكم » وألححت عليه
أن يظل في مكانه رحمة مني له ، وخوفاً أن يثور
به المرض فلا نستطيع السير إلا في بطاء ... ثم
انطلقت مع الرجلين وفي أيدينا المصابيح ، ووجدنا
الناس قد تدفقوا إلى النار فأخذوها فلم تأكل سوى
قليل من قش حول دار الحارس

وسألت الزوجين الخبر ، فقالت الزوجة في غير

وحققت كلماته رأياً اضطرب في خيالي وخيال رئيسي
حيناً من الدهر . لقد كان الحارس ذكياً جسوراً
ونشطاً ، ولم تكن فيه الأمانة لأنه كان سكيراً
تدفعه الخمرة إلى الخيانة والسرقة ، ولكن الكونت
كان يحبوه يممض عطفه لأنه قضى دهرأ من عمره
وهو خادمه الأمين ... وحز الأمر في نفسى ...
وصمت حيناً فقال الشاب : « سأقدم إليك جائزة
سنية ! » فصرخت في وجهه في غيظ وغضب :
« تنح ، لن أفشى سرّك إن أنت هجرت هذه
الناحية ! » ثم طلبت الحارس فوجدته قد عاد إلى
داره ؛ ونازعني نفسى إلى أن أحدثه حديث الفتى
والفتاة . فتمنى الخجل والحياء ...

— ٤ —

أفعد المرض رئيسي عن أن ينطلق إلى العمل
أو إلى المدينة أو إلى السوق إلا في الغينة بعد الغينة ،
فهو يجلس دائماً في الندى يشرب الجمّة ويأب
الورق ، وهو حين ينشئ يندو فرحاً طروباً

وجاء — ذات ليلة — وعليه أثر الرح فقال
وهو يجلس إلى جاني : « أفعلت ؟ لقد دوت إشاعة
في كل مكان أن قد وقع ابن العمدة في جائل ابنة
كراتوشويل » قالت زوجته : « لا تقل هذا ! »
وهزئت أنا كفتي كأننى لأعرف شيئاً من أمرها .
واستمر الرجل يقول : « عجيب أن يغضب الأب
ويزجر ويتوعد بعد أن أفلت الأمر من يديه ، فالفتى
يريد أن يتزوج من فتاته وهو يتهدد من يقف في
سبيله . قالت الزوجة : « عجيباً ، يا لبالء ! » واندفع
الرجل في حديثه « لقد أغووه ، وفصح له الفتاة
ذراعيها فذاق لذة الهوى ، وجذبته إليها يشرب من

من ورائه أبوين يشقيان بفقدانه

وقصفت المجرود كراتوتشويل فتيم أبناؤه ،
وتأيت أمهم ، وحال آخر أكبر أبناء كراتوتشويل /
فراح يرمي قطمان الأوز في أمانة ونشاط ، فوق به
الناس واطمانوا إليه ، فأقاموه على قطمانهم راعيا

وانصرفت سنة وما في الناس من يذكر
ماروشكا ، ومسحت الأيام ذكراها من قلبي فانطلقت
إلى ابنة مقاول أجانبها الهوى ثم خطبتها فزوجتها
ولشد ما أدهشني أن أرى ماروشكا في ليلة
ظلماء من ليالي نوفمبر بإزاء الفنطرة ؛ وأردت أن
أجذب نظرها إلى فلوت غنى رأسها ؛ وأحزنتني
أن أرى السجن يستلمها من جمالها وروثها

وفي ذات صباح وقع بيننا وبين المال خلاف
فاستقر الأمر إلا وقد أثناني التنب وأكذني
الجهد ، والرئيس في فراشه يشكو مرضاً وزوجه
إلى جانبه تنغي بأمره

وانطلقت عند المساء إلى حجرتي أطلب الخلوة
لأحصي الحساب ووقفت حوادث اليوم دون عملي
في خاطري تبلبل وفي عقلي اضطراب ، فألقيت
بالقلم جانبا وأخذت أضرب في أرجاء الحجرة وكلي
إلى جانبي ما يستقر ولا يهدأ . واستطلعت — بعد
لأى — أن أنكب على عملي ؛ واستلقي الكلب
على الأرض وقد غلبه النوم . ومضت ساعتان ...

ثم رفعت رأسي أسمع صوت العاصفة الهوجاء
يدوي في أنحاء الغابة ؛ وأزعجني أن أسمع صوت
أجراس ترن متتابعة فتخطط بهزم الريح فتبث في
النفس الفزع والرعب ، فاندفعت إلى النافذة لعل
أرى شيئا ، ووق قلبي أن رأيت السنة النار تتدلع

ترو ولا أناة : « لعل إنسانا أشعل النار ، فساركو
السيد قد سلط عليهم النفيظ والحقد لما أصابهم به
زوجي ، وقد يكون ... » ثم أمسكت عن الحديث
على حين فجأة ، فهي قد التفتت إلى زوجها بفتنة
فأرت كأن شرراً يتطاير من عجزه ، وانطلق هو
في رزانه وتؤدة يقول : « أنا لا أنهم أحدا ، إن
البيلة قرة ونحن أوقدنا النار يصطلي بها الأطفال
فلحقت بالفض وهو قديم بال لا قيمة له »

وبدأ لي من خلال كلماتها أن ماروشكا بريثة ؛
غير أن الرئيس أصر على أنها هي الجانية ومن ورائه
غوغاء الناس يدفونهم ؛ وطار الخبر أن ماروشكا
أشعلت النار ققبض عليها تسام الخسف

ودفعت الفتاة الهممة عن نفسها في لباقة وحماة
فوهت حجة الرئيس ، فسحب المدعي المموى الدعوة :
غير أن الجمهور راح يقذفها بتهم أخرى منها السرعة
والتشرد والسفاهة ... أراد المستشارون أن يهدئوا
من ثورة الناس فساقوها إلى الإصلاحية

ووجد الفتى لفقدتها ثالثا وذهل عن نفسه ،
وانطلق إلى آل كراتوتشويل يقضى نهاده بينهم ،
ثم انحط في حمأة الرذيلة لا يرعوى ولا يثوب .
وأراد أبوه أن يدفعه إلى الجندية ليسلو ، ثم أمسك
ضنا^٥ بوحيدة أن تطحنه الحرب

— ٥ —

ووضعت الحزب أوزارها في سنة ١٨٦٦ فتجلت
— والحرب مأتممة ميسمة — عن حزن أفيم
القلوب وعصف بالأفئدة ، وعن عيون مارقاً عبراتها
تبكي الضحايا ؛ ولقد قذف ابن العمدة بنفسه في
أوارها عله يجيد فيها دواء دانه ، فآلهمته وخلف

الدار وحدها تكفيني ! » قلت في تهكم : « إنها دار العمدة وهو رجل غني لا يضيره أن يشيد غيرها وإذا آله ذلك — كما تظنين — أفنتقمين منه وقد فقد وحيداً لأجلك ؟ » قالت في استهتار : « وماذا يعني وأنا لم أحبه أبداً ؟ لقد سمعته لأسلبه ماله ولأنك أنت أعرضت عني » ثم هبت الماصفة زفرقة فانبعثت النار نائرة تتحدم، فضحكت وصاحت فرحة : « هاها ، أفلا ترى ، لقد تسمرت النار وامتد اللب إلى البيت المجاور » ثم أخذت الزجاجاة تتعصب الحجر ، وهي تقول : « ستشوى جلودهم ... أولئك الذين دفنوا في إلى السذاب ، ماذا أفادهم وماذا أصابني ؟ أنا لن أعمل لأنني أكره العمل ... وإذا أرغمني إنسان عليه فأسألك منه في غير هودة ولا لين » ثم راحت ترقص وتدور حولي في سمر وجنون ، فأمسكت بها وأنا أقول « أفلا تستطيعين العمل ؟ ستعملين مرغمة » ثم أشرت إلى النار وقالت « إن هذا معناه العمل الشاق سنوات عشرين » فقالت « العمل الشاق ! العمل الشاق ! أين هو الرجل الذي يستطيع أن يقذف بي إلى العمل الشاق ؟ » قلت « سيعلم الناس الخبر ، وإذا وجدت إلى الحرب سبيلاً فسيكثر عليك الشرطة » قالت « أفظننه ؟ ولكن لماذا لا تقبض أنت علي أو تقتلني برصاصة من بندقتك هذه ؟ » ثم ألقى بنفسها على الأرض وهي تصيح : « اقتلني ، اقتلني ! » ثم هبت واقفة واندفعت إلي قائلة : « لا ، لا تفعل ! بل قبلي ، قبلي ، أفظن أنه غاب عني ما قاسيت في سبيلي ، نعم ، نعم لقد جُذبت بي ، غير أنك خفت أمراً لولاه لضممتني إليك . افعل الآن .. الآن عند الهياة » ثم تملقت

مرتفعة صوب السماء . إنها في المدينة . ووثبت من مكاني وعلى أثرى كلي (ستوب) أعدو نحو النار . لشد ما غاظني أن أرى اللب يؤرج في دار العمدة ! وذهلت عن نفسي حيناً وأنا في وسط الطريق . أفأشدد صوب النار أم أريد أنثر الأمر أمام رئيسي ؟ ثم سمعت حركة عنيفة فوق رأسي ، بين أغصان الشجر ، والنار تضيء الغاية فتكشف عن كل ما بها ؛ وتوورت الأمر ، فإذا هي ... هي ماروشكا ، فصحت بها « هل أنت هنا ؟ » قالت : « نعم » قلت : « وماذا تفعلين هنا ؟ » قالت : « أرى ، إنني أنتظر منذ ساعتين لأرى اللب وهو يتسمر » قلت : « أفعلت ... ؟ » قالت : « دون ريب لقد انتهى كل شيء ! » ورتت بي زوايا الغضب فقلت « أيتها الماصفة ! » ثم أمسكت ببندقتي أريد أن أحطم رأسها برصاصة ، ففزعت واضطربت ، ثم قالت : « أففعل ! ولكن لن أخشاك . اقتلني ، اقتلني أنت فهو خير لي » ثم قفزت فإذا هي بإزائي ، ونظرت فإذا زجاجة زهر يسد بعضها من جيبيها فمزقت أنها عملة ، ثم قالت في هدوء : « لماذا لا تقتلني والنار ليست في الغاية ؟ » قلت في رقة : « أنا أعرف ذلك ولكنني أرى هؤلاء الناس » قالت « لا بأس ، لا بأس . لقد أردت أن أجزيهم بما فعلوا ، فلقد كنت في المرة الفائتة بريئة لم أقترف ذنباً فدفعتوني إلى السجن ظلاً وعدواناً ، وما أنا ذى أذيقهم وبال أصرهم » قلت وأنا أنظر إلى النار : « أيتها المايبة ، لقد أحبط الله عملك فالريح قد هدأت وأمنواهم الخطر » وحدقت فبدا لها صدق قولي فتارت بها ثورة الغضب والحقد فقالت وهي مغبطة عميقة « هذه

واضطراب — حال بينهم وبين أن يسموا صوتي
وفيه بحة من أثر الأين ورائحة الخمر معاً . وقزعت
الفتاة أن رأني أستمدي عليها الناس فتراحت
أعصابها فدفعها عني في قوة ثم أطلقت رصاصتين
في الهواء ، فطار هي في أضغاث النابتة

واضطربت لما كان فناديتها: « سهرين ولكنهم
سيمثرون عليك ! » وتفرق رجال المطلق في ثنايا
الغابة يحاولون عبثاً

وفي الربيع التالي انفرج الثلج عن جثة فتاة
مشوهة عرف الناس فيها ماروشكا ؛ غير أنني لم
أرها لأنني كنت قد ذهبت لأعمل في مقاطعة صهر
الكونت في جنوب سيرا على حدود كرواتيا
لأمل محمدر مبيب

بي وقارت بين شفتي وشفتيها ، وقد انبعثت من
بينهما رائحة الخمر الكريهة ، وأنا أحول بينها وبين
ما تريد . وانقض كلبي عليها يمزق ملابسها وهي عنه
لاهيبة ، ثم اندفعت تقول : « تمال ، تمال إلى النابتة
إلى الظلام ، إلى الخلعة .. » وجذبتني إليها في شدة
وعنف وقد عبثت بقوتي رائحة الخمر النبعثة من بين
شفتيها قوية نفاذة فما استطعت أن أدفعها عن نفسي
وجاء الخلاص في صوت محلات آلة المطلق
تسرع إلى حيث النار . لقد سلكوا هذا الطريق
لأنه قصير ولكنه كان وعراً ، فراح رجال المطلق
يستحثون الخيل في أصوات خشنة . وأطمأن قلبي
فناديت : « يا للرجال ، يا للرجال ! لقد أمسكت
بالجاني فأعينوني بقوة ! » وحال ما هم فيه من لب

لمناسبة فصل الشتاء

معرض عام

بشركة بيع المصنوعات المصرية

وفروعها بالقاهرة وعواصم المديريات

مجموعة كاملة من المنسوجات الصوفية والحريرية والقطنية

ذات الأذواق السليمة والأسعار المغيرة

زوروا الشركة وفروعها قبل البت في اختيار

ملابس فصل الشتاء

الشَّامَةُ

لَا فَرِيدِي دِي مُوسِيَّه
بِقَلَمِ السَّيِّدِ مَظْفَرِ الْبَقَاعِي

الضعف سوى قوة
واحدة وهي كونه عديم
الرحمة

ففي إحدى المشيات
وقد جلس أمام النار ومد
رجليه فوق حافة الموقد
تملكته السويداء كمادته
فرفعت الركيزة فجأة
كتفها ضاحكة، وكانت

تجمل النظر في رزمة من الرسائل، فسألها الملك عن
جلية الخبر فأجابته :

« ذلك أني أجد هنا كتاباً لا يدل على رشد
ولا بصيرة، بل فيه ما يؤلم ويهيج المطب والشفقة
فقال الملك : وماذا في ذلك ؟

— ليس فيه اسم قط، فهو رسالة غرام
— وماذا في أعلاه ؟

— هنا النكتة، إنه موجه إلى الآنسة دانيول
ابنة أخي صديقتي السيدة داستراد؛ ومن الجلي أنه قد
حشر بين هذه الأوراق لأراه

فقال الملك ثانية : وماذا به ؟

— ولكنني قلت لكم إن فيه غراماً . وهو
يتكلم عن فوفر ونوفليت فهل تعرف جلاتك هذين
البلدين ؟ وهل من نبيل فيهما ؟ »

كان الملك يباهي بمعرفته فرنسا عن ظهر قلب،
ويعني بذلك أشرافها . على أن مراسيم بلاطه وقد اطلع
عليها ودرسها لم تكن مألوفاً لديه، وكذلك أشعة
مملكته، فعلمه بها المام؛ أما البقية فلا يمتد بها بل
يسدل عليها شيئاً من التكبرياء، ولذلك فإنه بعد أن
سبح في لجة الأحلام برهة فقلب حاجبيه كمن طريقه
تفكار سيء، ثم أوماً إلى الركيزة . أن تقرأ وأنتي

— ١ —

عند ما أزعجت لويس الخامس عشر المشاجرات
التي وقعت في عام ١٧٥٦ بين الوزراء وبين البرلمان من
جراء ضريبة الدائنين أزعج أن يحضر الجلسة بنفسه
ليرغم النواب على الخضوع له، فاستقال هؤلاء عندئذ
وقبلت استقالة ستة عشر منهم ثم نُقوا . وقد
قالت السيدة دي ببادور لأحد الرؤساء : « أنتستطيعون
وأنتم حفنة من الرجال أن تقاوموا سلطة ملك فرنسا؟
ألسم على ضلال ؟ أزعج مطف الرأسه ياسيدي
تر مثل ما أرى . »

لم يحمل النفيون وحدهم وزر أعمالهم بل شاركهم
فيه أهلهم ومحضهم . وكانت مراقبة الرسائل تسلي
الملك فكان يوعز إلى حظيته أن تتلو له كل ما يستثير
الفضول في البريد عل ذلك يسرى عنه سامنه من
لدائه . ولا حرية أنه بعله القيام شخصياً بأعمال
شرطته السرية كان يتلقى بالآلاف الدسائس التي
كانت تمر بهذه الصورة أمام عينيه . وكان مصير كل
شخص ذي وشيجة قريبة كانت أو بعيدة بزعماء
الأحزاب إلى الهلاك غالباً . فقد كان معلوماً أن
ليس للويس الخامس عشر مع كل ما فيه من أنواع

ولكن الملك رفضني على صورة لا تزال ذكرها
لدى مررة . إذ يجب ألا أعاقب من أجل رأي أن
(الذي أود أن يكون خطأ) ، وإن إخلاصي
للملك أصدق وأعق من حين لك . ولو اسطعت أن
أجرد سيق في سبيله لتجلى صدق وإخلاصي . إن
رفض طلبي أمارني بالأساء ، لأن ابتلائي بجرمان
كهذا يتعارض مع المعروف من كرم الملك »
فقال الملك : حقاً إن هذا يهني

« لو تعلمين كم نحن في اكتئاب ! آه !
يا صديقتي ، واهاً لرسالة نوفليت وكشك ثوفير
وهذه الفيض التي أنزله فيها وحيداً طول النهار ،
بقدر حظرت العمل على البستاني البفيض إذ أتى
أمس بمجرفته وكاد يحس الرمل ... حيث لا تزال
آثار أمانل قدميك الصغيرتين وكعبك الكبيرين .
الأبيضين ظاهرة في المشي ، وبصمات خطاك وهي
أخف من النسيم لم تمح ؛ وقد تمثت لي قدمك
تسيران أمانل لدن كنت أتبع طيفك الجليل فكان
هذا الشبح الفاتح يلعب آناً فآنكاً كما لو كان مجتلياً
جواداً شارداً

« فهناك وقد كنت أمانيك أثناء سيرنا الوئيد
على طول الحديقة أتبع لي أن أعرفك فأفدرك :
أدب رائع في نفس ملاك ، وكفاءة الملكات في
لطف الآلهة ، وأفكار تليق بلابيز في حديث ساذج ،
نحلة أفلاطون على شفاء ديانا . كل ذلك كان يجعلني
دقيماً تحت قبة الهيام والمبادأة . وكانت الأزهار
الحبيبة خلال ذلك تضوع من حولنا ، فكنت وأنا
منصغ إليك أنثى عبيرها حيث تحيا ذكراك ؟
وما هي ذى الآن تحي الرأس وترين الموت ... »
فقال الملك : إن هذا أسلوب ردي على غرار

بنفسه في الأريكة وهو يقول باسمًا : « إياه ! فالفنأة جميلة »
فشرعت السيدة دي عيادور تملو بلهجتها التهكية
اللطيفة رسالة طويلة مفعمة بمباريات الهيام ، يقول
الكتاب : « تأمل قليلاً كيف أن الأقدار تجفوني ،
فقد كان يبدو لي أن كل شيء معد لتنفيذ رغائبي .
وأنت نفسك يا صديقتي الحنون ألم تجعليني أوّل
السعادة ؟ ويجب مع ذلك أن أتحاشاها من أجل
خطيئة لم أرتكبها ؛ أو ليس من فيض القسوة أن
أسقط في الهاوية بعد أن سمح لي أن أرنو إلى السماء ؟
ومن ذا الذي يجعل نصب عيني تمليس محكوم
عليه بالموت كل ما يحبه في الحياة ويجعله يتحسر
أسفاً عليها ابتداءً أن يتمتع بلذة بربرية ؟ ومع
هذا فكذلك حظي ؛ ليس لي ملجأ ولا أمل
سوى القبر لأني منذ غدوت بالأساء وجب عليّ ألا
أفكر مطلقاً في الزواج بك . وعند ما كان الحظ
والننى يسببان لي كان الحصول عليك جملة التي
وأقصى الآمال ؛ أما اليوم وقد أمسيت فقيراً فإني
أرتمش إذا ما ظلمت أجتري أن أحلم بذلك . ومذ
أخفيت غير قادر على أن أحملك سمينة صرت أمتك
أن تحبيني برغم أني أموت فيك غراماً ... »

فأبستت المركزة لهذه الكلمات الأخيرة ،
وقال الملك : دونك يا صديقتي رجلاً شريفاً . ولكن
ماذا يمنه أن يتزوج من صاحته ؟

— اسمحوا لي يا مولاي أن أتم :

« إن هذا اللطم الذي يهنكي فأجأت به أفضل
الملوك . وإنك تعلمين أن أبي كان يطلب لي وظيفة
ضابط صاحب العلم في الحرس لأن هذه الوظيفة
ذات أثر في حياتي ، فهي تخولني حق تقديم نفسي
إليك . وكان البوق دويرون قد وعدني بها ،

فضت المريضة في التلاوة بصوت أكثر خفوتاً:
« حقاً إننا الجيران الأدنون والأقرباء الأبعدون
للراهب شوفلان ... »

قال لويس الخامس عشر مثاليّاً:
— « ها هي ذي جلية الأمر . هو أيضاً من أقارب
جماعة المدققين المحاسبين ، إن برلاني يستغل رحتي .
حقيقة إنه كثير المال
— ولكنه قريب أبعد ! »

— حسن . إن هذه الدنيا لا تنفي فتيلاً في
نظر هذا الراهب شوفلان فإنه من الأخلاقيين
المتشدين ، غير أنه مع ذلك إبليس رجيح ، ولذلك
أقيل وعزل . أتى هذه الرسالة في النار ولا تعودى
إلى الخوض في هذا الموضوع !

— ٢ —

لم تكن الكلمات الأخيرة التي نطق الملك بها
حكماً بال موت ولكنها حرمان من الحياة . ما ذا
يستطيع أن يفعل في عام ١٧٥٦ فتى بلا ثروة لا يريد
الملك أن يصني لشكائه ؟ إن سعى الإنسان للحصول
على عمل أو محاولته أن يجعل من نفسه فيلسوفاً أو
شاعراً قد يجدي ذون أن يكون له مساعد ، وعندئذ
يتبين ثقافة مهنته وحقاقتها

وما كان هذا الحرمان مما يرغب فيه القارس
فوقر الذي كتب بمداد من دموعه هذه الرسالة التي هزأ
بها الملك ، فقد كان حينئذ وحيداً مع أبيه في قصر
نوفليت القديم وقد أخذ يذرع الغرفة في اكتتاب
وغضب ثم قال :

— أود الذهاب إلى فرساي

— وما الذي تفعل هناك ؟

— لا أدرى ، ولكن ما ذا أصنع هنا ؟

جان جاك ، فقيم قراءته لي ؟
— لأن جلاتكم أمرتني بذلك جفاً في عيون
الآنسة أنيبول الجلية

— حقاً إنها ذات عينين جيلتين
« وعند ما أعود من هذه الزهات أجذ والذي
وحيداً في القاعة الكبرى مستنداً على مرفقه قرب
شمعدان بين تلك الأواني الذهبية الكامدة التي
تغطي روافدنا النخرة ، فينظر إلى قادمياً وفي النفس
ألم ، لأن حزني يزيد في جواه ... يا أنتاني ! فيمتحي
هذه القاعة قرب النافذة ما يزال القيثارة الذي لعبت
بها أنا ملك اللطيفة التي مستها شفتاي مرة واحدة
فتمتحت إذ ذاك فاك لتندسى أعذب الألحان ...
وما كانت أنشودتك سوى ابتسامة

« ما أسعد أغاني لولي ورامو ودوني وكثيرات
غيرها غما لا أدرى ! نعم نعم أنت تحبها ، فمانيها
في غيبتك وألفاظها مررت على شفتيك

« إنني أنا أيضاً أجلس إلى هذه القيثارة وأحاول
أن أعزف عليها أحد هذه الأنغام التي تسرك فتبدو
لي كلها باردة مملولة فأدعها وأصني إليها تموت بينا
يضع صداها تحت تلك القبة المزخرفة . ويلقى أبي
على نظره فيرائني مغتاً كثيراً فلا يسمه أن يصنع
شيئاً لأجلى لأن أمراً من أمور الديوان أو الطريق
أغلق أبوابنا . وماذا عساه أن يصنع في سبيلي وأنا
الذي — على رغم ما فيه من شباب مضطرب ، وعزم
متقد — لا يطالب إلا أن يتبوأ مكاناً في الدنيا ؟ »

فقال الملك :

— ألا يقال إن هذا التلام كمن ذهب إلى
الصيد فقتل طريده وقد كاد أن يقتصمها فلم
تكون ... ؟

لنفسها في أول الأمر ريساً قدره مائة وثمانون ألف ليرة ، وما كان ذلك إلا سخافة لا تعد شيئاً الآن إذ لا يستطيع تصور المبالغ الهائلة التي ينفقها الماهل عليها ، فلا تنقضي من السنة ثلاثة شهور حتى تلتقط ريساً خمسمائة أو ستمائة ألف ليرة . أس بحجة الملح واليوم بحجة زيادات خازن الاصطبلات . وقد اشترت عدا مالها من مساكن في كل الدور الملكية : (لاسل) و (كريسي) و (أولني) و (رامبورون) و (ماريني) و (سان ريمي) و (بلقو) وكثيراً من الأراضي والقصور في باريز وفونتينبلو وفرساي وكومبيين . كل هذا فضلاً عن الثروة السرية المكتنزة في كل بلدان أوروبا ومصارفها خوفاً من هجر الملك المتوقع أو موته . ومنذ الذي يدفع هذا كله ؟

— أجهل ذلك يا سيدي ، ولكنه غيري .
— بل هو أنت ، وكذلك جميع الناس ، بفرنسا بأسرها ، وهذا الشعب الذي ينضح دماً ويتصبب عرقاً ويصرخ في الطريق شامخاً الأوابد . إن البرلمان لا يرغب في هذا . ولا يريد ضرائب جديدة ، فمعد ما نشبت الحرب قدمنا آخر فلن من مالنا ولم نفكر في المساومة ، وقد استطاع الملك الظافر أن يمس بعينه عجة شعبه له بشكل أوضح عند ما أشق على الموت ، فقد انقطعت الاحتجاجات وسكنت الأحزاب وزالت الأحقاد وجشت فرنسا كلها تصلي من أجله . ونحن إذا كنا ندفع نفقات جنوده وأطبائه بلا حساب فلننا نريد الاتفاق على حظايه وعلينا واجبات أخرى غير إعاشة السيدة دي بيمادور

— لست أدافع عنها يا سيدي ، فأنا لا أستطيع أن أخطئها أو أصوب رأيها إذ لم أرها قط

— إنك في صحبتي وما إخطالها تسليك ؟ ولست على أي وجه أحبك عن الذهاب ، ولكن أنتسى أن أمك قد ماتت ؟

— كلا يا سيدي ، وإن وعدتها أن أهب لك حياتي . غير أنني أريد السفر الآن ، وسأعود إذ ليس في طوقي البقاء في هذا المكان

— وعم نشأ هذا ؟
— عن هيام مفرط فاني متبول القلب بحب الآنسة انيبول

— هذا عبث أنت أدري به ، فارتوج بلا مهر غير مولير . وهل تنسى نكبتني ؟

— أواه يا سيدي من نكبتك ! أيجوز لي ، دون أن أجمد من أعماق احتراي ، أن أسألك عن سببها ؟ لسننا من أعضاء البرلمان ، ونحن ندفع الضرائب ولا نقررهما ، فإذا كان هؤلاء يقررون على الملك فذلك شأنهم لا شأننا . ولم يجرنا حضرة الراهب شوفلان إلى الخراب معه ؟

— إن الراهب المذكور يعمل كرجل شريف ، فهو يرفض أن يوافق على عشر ، لأنه ناز على إسراف البلاط الذي لم يحدث مثله منذ زمن السيدة دو شانورو . وقد كانت تلك على جالها لا تكلفنا شيئاً تقريباً حتى ولا ما كانت تهب بسخطها المفرط . وعلى أنها كانت حظية وملكة كانت تقنع بالألقاها الملك في سجن مظلم تغفن فيه إذا ما حرما عطفه ؟ أما هذه (الدابالة) ، هذه (النورمندي) هذه (الجشعة) !

— ما ذا يعني ؟
— أقول ما ذا يعني ؟ إن الأمر لأعظم مما تصور . ألا تدري أن ثروة حظية هذا الملك الذي يقتصب مالنا لا تحصى ؟ فقد خصصت

فأنك ترى عندئذ أن ليس بينك وبين جلالته سوى مصراعى باب تستشف من وراءه هاوية قتلت باجئاً عن « مهرب » أو ملجأ فلا توفى إلى شيء . هل تصور كيف ينتقم الملك لنفسه منا نحن أقرباء السيد شوفلان ؟ إنه بأمر يتمذيب داميان الذى طعنه بعوسى وينقى رجال البرلمان ! أما نحن فيكتفى بكلمة أو بالصمت وهو الأنكى . أتدري ما هو صمت الملك حينما يحمدك عند مروره بنظرة خرساء ؟ إنها درجة من درجات المذاب تاتى بعد الاعدام والباستيل ، وهى فى الظاهر أقل منهما قسوة ولكنها أشد أترأ من مرأى الجلاد . حقاً إن المحكوم عليه بها يظل خراً ، ولكن عليه ألا يفكر فى الاقتراب من امرأة أو من أحد رجال الحاشية أو من قصر أودير أو ثكنة ، فكل شيء موصد دونه محظور عليه ، وهو إذن يتزه على غير هدى فى سجن غير منظور — سأتحرك فيه حتى أخرج منه

— لن تفعل أكثر من غيرك . فابن السيد دومينير لم يكن مجرمًا أكثر منك ، وكانت له مثلك وعود وآمال مشروعة ، وأبوه أخلص أتباع جلالته وأشرف رجل فى المملكة . أقصاه الملك فذهب يشغره الأشقر لا ليرجو بل ليحاول إقناع الحظية : أتعلم بم أجابته ؟ هاك نص أقوالها وقد بعث إلى بها السيد دومينير فى رسالته : « إن الملك هو السيد . إنه لا يريد إظهار استيائه منك شخصياً ، بل يكتفى بأن يظهره لك بحرمان ابنك من الوظيفة . ومما قبئك على غير هذا الشكل بادرة لا يريدنا فيها احترام لإرادته . انى أرئى لك مع هذا وأندخل فى همومك ، فقد كنت أنا وأعلم وقع هذا الأمر فى نفسك » هاك كلام هذه المحلوة التى تريد أن تتراى على قيمها !

— من غير شك . ولعله لا يسوؤك أن تراها لترى رأيك فيها ، أليس كذلك ؟ إن العقل فى سنك يحكم بواسطة المنيين . حاول رؤيتها إذن إن راق لك ذلك ، غير أن هذه السعادة ستخطئك — ولم ياسيدى ؟

— لأن هذا جنون ، ولأن هذه المركزة أكثر اختفاء فى مقاصيرها الصغيرة فى رامبورون من سلطان الأتراك فى قصره . لأن الأبواب تغلق كلها فى وجهك . فإذا تريد أن تفعل عندئذ ؟ أحمولة التسجيل ؟ أم البحث عن الثروة كشريد ؟ — لا ، ولكن كما شق . أنا لا أريد التوصل ياسيدى ، وإنما أريد الاحتجاج على ظلامه . فلقد كان لي أمل راسخ بل شبه وعد من السيد دويرون وكنت على وشك الحصول على ما أبني . ليس غرامى هذا نزوة أو طيشاً لأنك ما أنكرته على ، فاحتمل إذن محاولتى الدفاع عن قضيتى . إنى أجهل ما إذا كان يتاح لى الاتصال بالملك أم بالسيدة دى بيمادور ، ولكنى أريد السفر

— إنك لا تعرف البلاط ، وتريد الثول فيه ! — لا بأس ! فقد يكون قبولى هناك لهذا أكثر سهولة ، لأنى مجهول — أنت مجهول أيها الفارس ! أظن ذلك ؟ اسم كاسمك ! إننا عريقون فى النبل ياسيدي فلا يمكن أن تكون مجهولاً

— حسن إذن فمالك يصفى إلى — ولكنه لا يريد أن يفهم منك . إنك تحلم بفرساي وتظن أن سيحتويك قصرها عند ما يقف الحوذى بك هناك ... لنفرض أنك تمكنت أن تصل إلى الاميون بل إلى الرواق ومن ثم إلى الكوة

ولكنه لم يتدان لسباع قصته بل قال : « حقاً لقد جئت في الوقت المناسب ، في البلاط الليلة حفلة تمثيل أنواع من عيد لا أدري ما هو . ولست راغباً في حضوره لأنني نائم على الركيزة من أجل الحصول على شيء ما . فهناك كتاب توصية من حضرة الدوق دومون طلبته منه لشخص لا أدري من هو . اذهب إلى البلاط وإن لم تكن قدمت إليه من قبل إذ لا حرج عليك وبفيتك المشاهدة ، إحرص على أن تكون في طريق الملك في المخرج الصغير فنظرة واحدة تجعلك سعيداً »

فشكر الفارس الراهب وعاد إلى الفندق وكان متعباً إثر ليلة سهاد ونهار ركوب ، فوقف أمام امرأة قبه يرتدى ثيابه بمساعدة خادمة زيتنه على قدر طاقتها ففطت ثوبه الموشى بالذهب بمسحوق الرز . زينة مضطربة تليق بالعشاق كثيرآ . استسلم هكذا للقادر وسار فقد كان عمره عشرين عاماً

وصل إلى القصر والليل رخى سدوله ، فتقدم من الباب الحديدى بوجل وسأل الحارس عن الطريق فأشار له إلى درج كبير ، وهناك علم من الخاجب السويسرى أن الحفلة على وشك الابتداء ، وأن الملك أى الجميع في القاعة . وأضاف السويسرى قائلاً : « وإذا أراد سيدي المراكز اجتياز البلاط فسيكون بعد برهة من شهود الحفلة ؛ وإن كان يرغب أن يمر بالقصور ... »

لم يكن الفارس يعرف القصر فدفعه حب الاطلاع أولاً أن يجيب بأنه سيمر بالقصور ، وإذا بخادم تبعه ليده فأردف قائلاً بأفنة : إنه ليس في حاجة لمن يرافقه ، وتقدم عندئذ وحيداً في اضطراب كان قصر فرساي يتلأأ أنواراً من أقميته حتى

— يقال إنها فانتانن ياسيدى

— ربما ! إنها ليست جميلة والمعروف أن الملك لا يحبها ولكنه يخضع لها ويلين أمامها . فيجب أن يكون لها شيء آخر غير رأسها الخشبي لكي تحتفظ بنفوذها القريب

— يزعمون أنها ذات فكر ثاقب !

— ولكنها بدون قلب

— بدون قلب ؟ ! وهى التى تعرف كيف تنشيد أشعار فولثير وتغني موسيقى روسو والتى تمزق أنغام الزيروكوليت ! هذا مستحيل ولا أسدقه قط — أما إنك تريد فاذهب إليها وانظر ! إني أنصح ولا أصر ، وستحضر نفقات السفر ؛ ويظهر أخيراً أنك مدله بحب هذه الآتسة انيول ؟

— أحبها أكثر من حياتي

— اذهب ياسيدى

— ٣ —

يقال إن الأسفار تخفف من أوار الحب بما تهبه من هو وتسليه . ويقال أيضاً إنها تذكى ناره . ولم يبق الفارس بهذا التمييز العلمى لطراءة صباه . وقد امتلغى في منتصف الطريق حضاناً من خيلى البريد إذ أنهكتته العربية فوصل نحو الساعة الخامسة مساءً إلى فندق الشمس ، وكانت الشمس في زمن لويس الخامس عشر شعار الزى

كان في فرساي راهب شيخ يعرفه الفارس ويحبه إذ سبق أن كان قسيساً قرب نوليت . وكان لهذا القسيس الساذج الفقير ابن أخ راهب في البلاط قد ينفع فتاناً فيم شطره . وكان هذا رجلاً مهيباً غمره رداؤه الواسع فاستقبل الوافد بترحاب عظيم ،

ذروته، وكان يرقى الثريات والمصاييح وللمان الأثاث المذهب والرخام يخطف الأبصار ما عدا مقاصير الملكة فقد كانت أبوابها مفتوحة، كان الفارس كلما سار ازداد تعجبه وانهاره بشكل يتعذر تخيله. ولم يكن الجلال وحده، بل ولا سنا الأضواء نفسه يجعل المنظر رائعا، وإتماما للوحشة التي تسود هذا المكان الشبيه بالصحراء المسحورة

حقا إن وجود الانسان وحيداً في ميدان متسع سواء كان ميّداً أو مقبرة أو قصرأ فيه شيء من الخفاء أو الغرابة، يخيّل إليه أن البنيان أناع بكلكله عليه، وأن الجدران رتمقه والأصداء تصني إليه، ورنين خطاه يعكر صفو السكون الذي يشمر بالوحشة منه رغماً عنه، فلا يجسر أن يسير إلا في خشوع. وهكذا حدث للفارس بادي الأمر، ولكن حب الاطلاع تغلب عليه حالاً واستدرجه، فقد كانت أسننة ثيابه قاعدة المرايا تنكس أنوارها، وليس من يجهل وفرة ما كان على الجدران من نقوش ترمز إلى الترام والمشايق والآلهة فكانت جميعاً ترفرف على السقوف وتبدو كأنها تدمج القصر كله باكليل عظيم

— أقيم في هذه اللغاي التي لا مثيل لها مخلوقات غريبة؟ وهل يجلس غواني من لحم ودم على هذه الأرائك التي ما يزال من استدارتها اللينة فوق تلك التلكتات هذا الأرائك الخفيف اللقيم بالتراخي؟ من يدري؟ ربما تبتنا من وراء هذه الأستار الصفيقة أميرة ما تزال نائمة منذ مائة عام في أحماق غدع واسع باهر، أو فتاة من الجن بثوب من سلال أو إلهة الرخام تنفتح رافدة ذهبية في عمود من الرمر وتخرج منها

أذهبت هذه الأوهام صواب الفارس فألقى بنفسه على أريكة هناك كي يجلس. ولو لم يتذكر أنه عاشق لظل مشرد البأً منذاً طويلاً. ما الذي تفعله أنتذ الأكنسة أنيول خبيثة الخبيسة في قصرها العتيق

فصاح فجأة: أفتباني؟ ماذا أصنع هنا غير إضاعة الوقت؟ هل علمت الرشد؟ أين أنا إذن؟ إلى متى هذا جرى لي؟ ثم نهض واستمر يجوس خلال هذه

هنا قاعات ذات أسجاف مخفية موشاة بالذهب وأرائك نخمة ما تزال تحتفظ بجلال الملك العظيم، وهناك مقاعد متجعدة وكراسي صغيرة مبشرة حول منضدة قمار. عدد لا نهاية له من القاعات المتعاقبة كلها خالية تأخذ زرعها الأبصار، ولو أنها تبدو عديمة الفائدة. ترى بين آونة وأخرى أبواباً سرية تؤدي إلى ردهات يته النظر من كثرتها. ألف سلم تقاطع مع ألف ممر كأنك في أجمة متشعبة الدروب. أعمدة صنعت للجبارة. غادع متشابكة

هنا قاعات ذات أسجاف مخفية موشاة بالذهب وأرائك نخمة ما تزال تحتفظ بجلال الملك العظيم، وهناك مقاعد متجعدة وكراسي صغيرة مبشرة حول منضدة قمار. عدد لا نهاية له من القاعات المتعاقبة كلها خالية تأخذ زرعها الأبصار، ولو أنها تبدو عديمة الفائدة. ترى بين آونة وأخرى أبواباً سرية تؤدي إلى ردهات يته النظر من كثرتها. ألف سلم تقاطع مع ألف ممر كأنك في أجمة متشعبة الدروب. أعمدة صنعت للجبارة. غادع متشابكة

هنا قاعات ذات أسجاف مخفية موشاة بالذهب وأرائك نخمة ما تزال تحتفظ بجلال الملك العظيم، وهناك مقاعد متجعدة وكراسي صغيرة مبشرة حول منضدة قمار. عدد لا نهاية له من القاعات المتعاقبة كلها خالية تأخذ زرعها الأبصار، ولو أنها تبدو عديمة الفائدة. ترى بين آونة وأخرى أبواباً سرية تؤدي إلى ردهات يته النظر من كثرتها. ألف سلم تقاطع مع ألف ممر كأنك في أجمة متشعبة الدروب. أعمدة صنعت للجبارة. غادع متشابكة

الامكان ، وحدث نفسه بقوله : إن هذا القصر جميل جداً وشاسع جداً ، ولكنه محدود له نهاية ؛ وليكن أطول من قصرنا بثلاث مرات فيجب أن أرى أقصاه

لكن ليس من السهل أن يسير الانسان في اتجاه واحد نحو الأمام في قصر فرساي مدة طويلة وآلهة البناء لم ترض هذه المقارنة القروية بين الدار الملكية والقصر المحقر إذ بدأت تشرد الناشق المسكين وتضله بشكل مروع لك تماقبه ولا ريب ، فقد أخذت تثلثذ بأن تديره وتلفته على أقدمه ذاتها فترجمه بلافتور إلى الموضع عينه كفلاح تائه في غابة . وهكذا ظل جيس البناء المرمرى الذهبي

في لوحة « أزمان روما القديمة » التي صورها بيراني في الايطالي مجموعة رسوم يسميها المصور « أحلامه » هي تذكارات مشاهداته الخاصة أثناء هنيان حي اتابته ، تمثل هذه الرسوم قاعات غوطية شاسعة فرشت أرضها بكل أنواع الآلات والأدوات والمجلات والجمال والبكرات والروافع والمخاق وغيرها دلالة على قوة عظمى تقوم بعملها على مقاومة هائلة . وتصاد على شفير الجدران سلماً يرتقيها بيراني نفسه بصعوبة . وإذا ما تابعت بنظر درجاتها الملوية تشرف فجأة على هوة سحيقة . ومهما يكن من أمر بيراني في المسكين فانك توفن أنه أنجز عمله على الأقل إذ لا يستطيع أن يتقدم خطوة واحدة دون أن يقع ؛ لكن أرجع البصر ترى سلماً أخرى منصوبة في الهواء فوقها بيراني أيضاً على شفاهاوية أخرى . أنظر إلى الأعلى أيضاً تجد سلماً هوائية تنصب أيضاً وبيراني يتم صعوده وهكذا

المدينة الجديدة فضل فيها وكان ذلك أمراً بديها . وظهر له خدامان أو ثلاثة في أقصى الرواق يتها مسون فتقدم منهم وسألهم عن طريقه إلى مكان الحفلة فأجيب بنفس اللمجة : « إذا كان سيدى المركز يرغب أن يحتفل مشقة النزول من هذا السلم ويسير في الرواق الآمن فسيجتاز ثلاث درجات ينطف عند ارتقاها إلى اليسار ، وعند ما يجتاز قاعة ديانا وقاعة أبولون وقاعة الشعراء وقاعة الربيع يهبط ست درجات أخرى ثم يترك على يمينه قاعة الحرس ليصل إلى سلم الوزراء ، وهناك يصادف . ولا شك حجاباً يدلونه على الطريق

— شكرآ . إننى إن لم أهتد بعد هذه المعلومات

فذلك ذنبى

وعاد إلى السير بشجاعة ، ولكنه كان يقف رغماً عنه ينظر من طرف إلى طرف ، ثم يتذكر غرامه فيتابع تسياره ؛ وأخيراً بعد ربع ساعة خالها دهرآ أننى خداماً جديداً كما أنبىء من قبل ، قالوا له :

« السيد المركز قد ضل ، إذ كان عليه أن يسير من الجناح الآخر للقصر ، ومع هذا فالوصول إليه سهل ، وليس على السيد إلا أن ينزل من هذا الدرج . ثم يجتاز قاعة النقوش وقاعة الصيف وقاعة ... فقال : « أشكركم »

ونابى الفارس نفسه قائلاً : « إنى مغفل حقاً إذ أسأل ناساً كالبهاء فأتقص شرفى في جهد ضائع ؛ ولو أن هؤلاء على فرض المستحيل لا يسخرون منى . وماذا تفيدنى هذه الأسماء التى يسردونها أمامي بل وكل هذه الألقاب الطنانة لتاعا لا أعرف منها واحدة ؟ »

وعول أن يذهب قدامك في اللمجة الهبى قدر

حسان مخضبات في أناة بالآحمر والأبيض ،
يسكنهن لا من أذرعهن ولا من أيديهن بل من
أطراف البنان سادة كهول وفتيان ؛ ولكن جد
حريصات على أن ينالكن في مشيتهن كيلا تنتسخ
ثيابهن ؛ وكان كل من في هذا الحفل الباهر يتكلم
همسا بشيء من الجدل المزوج بالرهبة والحرمة

لم يحزر الفارس أن الصدفة قادت به إلى المخدع
الصغير بالضبط . فقال : ما هذا إذن ؟ فأجاب
الحاجب : سيمر الملك . هناك ضرب من البسالة
التي لا يقف دونها شيء . وهذا النوع بسيط جداً
لأنه شجاعة غير المذهين من الناس ، وفتانا الرقيق
لم يكن يتصف بهذه المزية على رغم كونه بأسلاً حقاً ،
فما إن سمع كلبتي « سيمر الملك » حتى تولاه الجلود
وتعلمه شيء من الدعر . كان في لويس الخامس
عشر تراخي الملوك وقلة أكرامهم وإن كان يظل في
الصيد متمطياً صهوة الجواد اثني عشر ميلاً دون أقل
حذر . ولم يكن يطرى نفسه عبثاً بأنه أول شريف
في فرنسا ، ولا تقول له حظياته دون سبب إنه
أكمل الأشراف وأجملهم . وكانت رؤيته تاركا
مقعده ومتنازلاً للسير بشخصه الكريم أمراً غريباً .
وعند ما اجتاز المخدع وذراعه موضوعة أو بالأحرى
ممتدة على كنف السيو درجنسون بينما كان كبسه
الأحمر ينزلق على الأرض (وكان قد ابتدع هذا
الذي من الكسل) انقطعت الضوضاء وطأطأت
الحاشية رؤوسها . ولم تجسر أن تجي فوراً . أما الحور
العين جثثون بهدوء وأناة على أربطة سوقهن ذوات
اللون الناري في أقصى أردتيهن الفضفاضة وحين
بمخلاة تحية تدعوها جداتنا احتراماً ، وقد استبدل
بها عصرنا المصافحة الانكليزية الجافة

على التوالي إلى أن تختم السلم الأبدية هي ويرانيزي
معاً في النجوم أعنى في جافة الصورة

إن هذه الصورة التي أوحتها الخي تفل بكثير
من الدقة الضجر من جهد بلا جنوى ونوع الدوار
الذي يسببه نقاد البصر كحال فارسنا الذي استولى
عليه الغضب وهو يجوب قاعة بعد قاعة وإواناً بعد
إوان ثم قال :

« حقاً إن هذا أمر قاس . اني بعد إذ كنت
مفتوناً مأخوذاً مغتبطاً لوجودي وحيداً في هذا
القصر اللعين (إذ ليس هو قصرًا للجن) لم أعد
أستطيع منه خروجاً ؛ قبح الله الفطرسة التي أوحى
إلى فكرة الدخول إلى هنا كما فعل الأمير (ففترينه)
بمحاذاه الهي الثقيل بدلا من أن أطلب إلى أول
خادم قادم أن يقودني بكل طيبة خاطر إلى قاعة الحفلة !
لما استشعر الفارس من نفسه هذا الندم المتأخر
كان مثل ييرنيزي في منتصف سلم على درجة قاعة
بين ثلاثة أبواب خيل إليه أنه يسمع من أوسطها .
لفظاً شديد المدوية خفيف الجرس مفرط اللذة إذا
صح التعبير ، بحيث لم يستطع أن يتمتع عن الصباح
دهشاً وبينما كان يتقدم ويصيح بسمعه في اضطراب
من ذلك انفتح هذا الباب على مصراعيه وعبق في
وجهه نسيم عطري أرجه ألف شذى ، وطفنت عليه
موجة من النور كسفت قاعة المرايا ، فنعكس على
عقبه من هذه المفاجأة وسأله الحاجب الذي فتح
الباب : « هل يريد سيدي المراكز الدخول ؟ »
فأجاب :

— أريد الذهاب إلى حفلة التمثيل

— إنها انتهت في هذه اللحظة

وعندئذ أخذت تخرج من قاعة الاحتفال غيد

وفوق أذنها وردة وقد أعطت يدها برشاقة ولباقة
لسيد كانت تكلمه همساً من وراء مروحتها
وشامت الصدفة أن نفلت هذه الروحة لتحلل
حديثها وضحكها وحركاتها قسقطت تحت مقعد كان
أمام الفارس تماماً فبادر لالتقاطها حالا ، ومن أجل
ذلك جثا على إحدى ركبتيه فندب له الشابة فتاة
جداً حتى أنه قدم إليها الروحة دون أن ينهض ،
فوقفت هنيئة وابتسمت ، ثم مضت بعد أن شكرته
بإيماء خفيف برأسها ؛ وشعر الفارس عقب النظرة
التي رمتها بها بخفقان في فؤاده دون أن يعلم لماذا
— وكان محمداً — فإن هذه الصبية كانت (المتلونة
الصغيرة) كما لا يزال يدعوها الناقون . أما الآخرون
فكانوا يقولون عند الكلام عنها : « المركيزة » . كما
يقال « الملكة »

— ٤ —

« هذه هي التي ستجنيني والتي ستجنيني !
حقاً إن الراهب مصيب إذ قال لي إن نظره يقرر
مصريي ! نعم إن هاتين العينين الناعستين الجليبتين ،
وهذا الثغر العذب الساهر ، وتلك القدم الغريفة في
الحذاء الحريري ... هي سحر جنيي الحنون ! »
بهذا كان الفارس يتأجج نفسه ولكن بصوت
عال : وذلك لأن عودته من الفندق . فمن أين أتاه
هذا الأمل الفجائي ؟ هل كان الصبا يتكلم فيه ، أم
إن عيون المركيزة كانت قد تكلمت ؟ على أن المقدمة
ما تزال على حالها ، لأنه إذا لم يعد الآن يفكر في الثول
يين يندى الماهل فمن ذا الذي يقدمه إلى المركيزة ؟
وقضى شطراً عظيماً من الليل يكتب للأمة آيينبول
رسالة تضارع الرسالة التي قرأها السيدة بمبادور
من قبل . وإيراد نص هذه الرسالة لا فائدة منه إذ

أما الملك فلم يكن يبال شيئاً أو ينظر إلا لما
يحلو له . ولعل الكاتب (ألفيري) الذي يقص في
مذكراته كيف مثوله في فرساي ، كان هناك حيث
يقول :

« كنت أعلم أن الملك لا يكلم غير البارزين من
الأجانب ، ومع هذا لم أستطع أن أعتدي على هيئة
لويس الخامس عشر العبوسة المقطبة إذ يجيل النظر
فيمن يقدم إليه من رأسه إلى أخمص قدميه ، ولا
يبدو عليه أى اكتراث له . وقد لاح لي آنذاك
أنه كذلك الجبار الذي قيل له « دونك تلمة أقدمها
إليك » فنظر إليها وابتسم أو لعله قال : « ما أصغر
هذا الحيوان ! »

جلس الملك خلال هذه الأزهار وتلك النيد
الحسان وكل ذلك البلاط واجماً لا يعبأ بأحد ،
فأدرك الفارس دون تأمل طويل أن أمه في الملك
خائب وأن قصة غرامه لن تنال شيئاً من اهتمامه .
وفكر يقول :

« إنني لثمس ! ولقد كان أبي محمداً إذ قال لي
إنني سأرى بيني وبين الملك هوة وأنا على قيد
خطوتين منه . من ذا الذي يحميني بل من يقدمني
إليه إذا ما اقتحمت خلوة ؟ هو ذا السيد المطلق
الذي يستطيع بكلمة أن يغير طالعي ويؤمن سعادتي
ويحقق أماني . إنه هنا أمامي ، وإذا مددت ذراعي
لمست زينته ، ولكنني أشعر أنني أشد بعيداً عنه
منى عند ما كنت في أقصى قرقي ! من لي بأن
أكله أو أحازه ؟ ومن ينجديني إذ ذاك ؟ »

بينما كان الفارس هكذا مغمماً رأى غايه مُصمراً
تدخل ومبات الرقة والدعة تشع منها . كانت ترتدى
ثوباً أبيض غايه في البساطة دون ماس أو وثى

فلا يدع للصدق مكاناً . لكن أرد الشبان أعصاباً
إذا كانوا شباناً حقيقة (إذ ليس كل الناس كذلك
وإن كانوا في سن الشباب) تمكنوا أن يستبينوا
هذا الشعور الغريب ، الضمير الجريء ، والخطر
الأخاذ ، الذي يستدرجنا نحو الخط . يشعر الانسان
بأنه أعمى ويتمنى ذلك . لا يدرى أين المسير ولكنه
يمشي ؛ والسحر هو في هذا الاستخفاف وهذا الجهل
نفسه ، فهو لذة الفنان إذ يحلم ، والماشوق إذ يقضى
الليل تحت نوافذ صاحبتة ؛ وهو فطرة الجندي بل
وكفاءة المقامر

سلك الفارس سبيل ترابون من دون وعي تقريباً .
وعلى أنه لم يكن حسن الهندام كما يقال فما كانت
تنقصه الأناقة ولا العظمة التي تجعل الخادم حين
يلتقي بك لا يجروء على أن يسألك : إلى أين تذهب ؟
وبفضل بعض المعلومات التي استقفاها من فندقه لم
يسر عليه الوصول إلى باب القصر الخارجي ، إن
كان يصح تسمية هذا البيت الرمرى الصغير الذي
رأى كثيراً من الملاذ والتاعب قصراً . وكان
الباب مغلقاً لسوء الحظ ، وفي المشى الداخلي
سويسرى ضخم مترمل برداء فضفاض يتمشى
ويده خلف ظهره فلم من لا ينتظر أحداً

فتساءل الفارس : « لعل الملك هنا ! أو لعل
الركيزة غير موجودة . وعند ما تكون الأبواب
مغلقة والخادم يتزهون فمن البدهي أن يكون
الأسناد موجودين أو خارجين »

ما العمل ؟ فقد اتاباه الاضطراب والحمية فجأة
بيد ما كان منذ هتية يشعر بالشجاعة ورباطة
الجأش ؛ وكانت تخيفه فكرة كون « الملك هنا »
أكثر مما أزعجته أمس الكلمات الثلاث : « سيمر
الملك قريباً » لأنها كانت آتت مفاجأة ؛ أما الآن

ليس سوى الماشوق — إذا استثنينا البهاء — من
يستشعرون الجدة إذا كرروا الشيء ذاته

ولما انبلج الصباح خرج الفارس يتمشى في
الدروب وهو يحلم ، ولم يخطر بباله أن يستعين بحماية
الراهب . وليس من السهل تبيان السبب الذي وقف
به دون ذلك إذ هو خليط من خوف وجراءة ، ومزيج
من خجل خاطئ وخيال . وفي الحقيقة لم كان يحجبه
الراهب إذا قص عليه قصة المشية ؟ كان يقول :

— لقد أتيت لك التقاط مروحتها ، فهل
عرفت كيف تستفيد من ذلك ؟ ماذا قلت للركيزة ؟

— لا شيء

— كان عليك أن تخاطبها

— كنت مضطرباً فأضمت الرشد

— هذا خطأ . يجب معرفة اقتناص الفرصة
ويمكن تلاقى ما فات . أريد أن أقدمك إلى السيد
فلان فانه من أصدقائي ، أو إلى السيدة فلانة فأنها
أحسن وأفضل ؛ وسنحرص على أن نوصلك إلى هذه
الركيزة التي أخفكتك ... الخ ... الخ

على أن الفارس لم يكن يبالي شيئاً من هذا
وكان يخيل إليه — إذا صح التعبير — أنه إذا سرد
الحادثة أذهب روتقها وأفسد بهاءها . وكان يقول في
نفسه إن الصدفة فعلت من أجله ما لم يسمع بمثله
ولا يمكن تصديقه فيجب أن يظل هذا سرّاً بينه
وبين السعادة . وكان يرى أن إفشاء هذا السر لأول
من يصادفه يجرده من قيمته ويظهره غير جدير به ،
فكان يناجي النفس قائلاً : أمس ذهبت إلى قصر
فرساي منفرداً ، فسأذهب اليوم إلى قصر ترابون
وجيداً . (وكان قصر ترابون مقام الخطية يومئذ)
قد يبدو هذا الطراز من التفكير — بل ويجب
أن يبدو — خيلاً وعتاهية لمن ينعم النظر في المواقف

اللامبة قد غطاها الثبار ، وكان قد ارتكب خطأ بالحيء مشياً في بلد لا يمشي الناس فيه ؛ فأطرق السويسرى أيضاً ، ثم صعد فيه النظر لا من فوق رأسه إلى قدمه ، بل من قدمه إلى فرقه ، فبداه الثوب نظيفاً ولكن القبة كانت مائلة قليلاً ولا عيار عليها . فقال :

« ليس معك رسالة . فإذا تريد ؟ »

— أريد أن أتحدث إلى السيدة دى بيمادور

— أحميح ! وهل حسبت أن ذلك يجري على

هذا الشكل ؟

— لا أعلم شيئاً عن هذا ، هل الملك هنا ؟

— ربما . أخرج ودعنى في راحة

اصفر الفارس لهذه القبة رغماً عنه إذ ما كان

يريد أن يستولى عليه الغضب فأجاب : « كنت

أقول أحياناً للوصيف أن يخرج ، لكن لم يقل لي

ذلك وصيف قط »

فصاح السويسرى في حق : وصيف ! أنا

وصيف ؟

— وصيف ، بواب ، خادم وضيع ، إني لأهتم

بذلك وقلنا أعنى به

نظماً السويسرى نحو الفارس خطوة وقبضته

متشجعتان ووجهه ملهب ، فتحفز الفارس متهدداً

واستل بعض حسامه وقال : « خذ حذرك فإننى

شريف نبيل ويكلفنى أن أجندل فقطك مثلك ستاً

وثلاثين ليرة

— إن كنت نبيلاً فأتاً من أتباع الملك ، أقوم

بواجبي . ولا تظن ...

سمع عندئذ صوت بوق من بعيد كأنه أت من

غابة (ساوورى) ثم تلاشى في الصدى ، فترك الفارس

فهو يعرف نظره الصفراء وعظمته القاسية

« رياه ! بأى وجه أقابل هذا الملك الرفيع بعد

إذ أحاول الدخول إلى هذه الحديقة كطائش سادر

فألتقي به وجهاً لوجه وهو يتناول قهوته على حافة

الساقية ؟ »

وتعث في الحال للماشق المسكين شبح الباستيل

البغيض بدلاً من خيال الركيزة الفاتن الذى ارسم

في خيئته إذ مررت باسمه ، ولقد استبان مشارف

وأنيبة وخيزر أسود وماء التمثيب ، لأنه كان

يعرف حكاية (لاود) المتشرد الفرنسى الذى ظل

سجيناً خمساً وثلاثين سنة لاستياء السيدة بيمادن

منه . فأخذ التأمل يحل شيئاً فشيئاً محل الأمانى

التي طارت

وحدث نفسه ثانية قائلاً : غير أنى لم أجترم

ذبناً قط لا أنا ولا الملك أيضاً . وأنا إنما أعترض

على غلامه دون أن أتقص أحداً ؛ وأمس استقبلت

في فرسائى بكل لطف ، وكان الخدم جد مهذبن

فعلام الخوف إذن ؟ أمن ارتكاب حماقة ؟ سأعمل

على ما يرتق الفتى »

اقرب من الباب ولمسه بأصبعه ، ولم يكن منطلقاً

تماماً فانفتح فدخل بثبات ، فانفل السويسرى في

سأم وقال : « ماذا تطلب ؟ إلى أين تذهب ؟

— أذهب إلى السيدة دى بيمادور

— هل أنت على موعد ؟

— نعم

— أين رسالتك ؟ »

ليس لديه كلمة من مركيز كما كان بالأمس ، وليس معه

في هذه الكرة كلمة من البوق دومون ! وأطرق

الفارس واجماً فلاحظ أن جوربه الأبيض وأبازمه

تحسبني ثائراً ولا تفهم أن في جيبى رقيقة لجلالته !
وأنى من أبناء الريف . لكنك أحمق »

فكان جواب السويسرى أن ذهب إلى زاوية
أخذ منها رمحه وظل واقفاً كذلك والسلاح في يده
وصاح بعنف « متى ترحل ؟ » ويظهر أن الشجار
الذى تنوى وجد مرة بمسد أخرى غداً جداً في
هذه المرة . وصارت يدا السويسرى الضخمتان
تضطربان بشكل غريب . ولا أدري ما الذى كاد
أن يحدث حينما التفت الفارس فجأة وقال « آه ! من
هذا القادم ؟ » وكان خادماً ممتطياً جواداً كريماً
يمدو به ملء فروجه ، وكان الطريق قد توحد من
الطر والباب غير مفتوح تماماً فتردد القادم ، فتقدم
السويسرى من الباب ففتحه ، فوكر الراكب
الحصان بمهمازه وكان قد وقف هنيهة فاندفع ففترت
به قائمته فكبا بفارسه على الأرض البليلة

ليس من السهل أبداً لإنهاض جواد كبا حيث
لا سوط يساعد على ذلك ، بل ذلك خطر . وكانت
محاولة الجواد فاشلة خصوصاً وإن قدم الراكب
ما تزال تحت السرج . إلا أن فارسنا بادر لمعونة
الخادم دون أن يلقى لهذه المحاذير بالا ، وما عم أن
أنهض الحصان وخلص ممتطيه من الوحل الذى أخذ
يقزله يبطه ففعله حالاً لنزل السويسرى مجلس بدوره
فى المقعد الكبير وقال للفارس : « لا مهربة في أنك
نبيل ياسيدى ، وقد أسديت إلى خدمة ، فهلا أسديت
إلى يدأ ؟ أجل فتذهب بهذه الرسالة إلى السيدة
الركيزة بدلا منى لأنها مرسلة من الملك ومستعجلة
جداً كما ترى ، فقد كادت تدق عنق وعنق جوادى
من أجل السرعة ، وصرت الآن وأنا أعرج أخلق
بجمل نفسى منى يحمل هذا الرقيم

سيفه يسقط في غمده وقال وقد نسى الشجار الذى
ابتدأ :

— ويحك ! إن الملك يخرج إلى الصيد ، فلم لم
تقل لى ذلك فوراً ؟

— ليس هذا من شأنى ولا من شأنك أيضاً
— أسع إلى يا صديق العزيز : ليس الملك

هنا ، وليس لى رسالة ، ولم أحصل على موعد . هاك
ما تصلح به شأنك ودعى أدخل

وأخرج من جيبه بضعة تقود ذهبية ، فصوب
إليه السويسرى نظرة ثانية باحتقار شديد ، وقال
بترفع :

— ما هذا ؟ بهذه الوسيلة يحاول الناس
الدخول إلى دار ملكية ؟ إحذر أن أحبسك فى
هذا المكان بدلا من أن أخرجك منه
فاستعاد الفارس عندئذ غضبه وأمسك حسامه
ثانية وقال :

— أأنت أيها الظليع ؟
فردد الرجل الضخم قائلاً : « نعم أنا »

لكن أثناء هذا الحوار الذى يأسف للؤرخ
لتمريض بظله له اغربت السماء وتلبدت بالغيوم وتارت
عاصفة لمع فيها برق خاطف تله رعد قاصف وانهمر
وابل من التيث فرأى الفارس والذهب ما يزال فى
يده قطرة ماء كبيرة كالدينار على حذائه المنبر فقال :
« ويلك ! هلا صرنا إلى ملجأ . إذ ليس من اللازم
التعرض للبلل »

واتجه برشاقة نحو غار مالك (خازن النار) حيث
دار البواب إذا احتيج إليه ، وهناك بلا اكتراث
ألقى بنفسه على مقعد البواب الكبير وقال :
« رياه ! إلى كم تضايقنى ! وكم أنا تمس ! إنك

أنشأها في كل ناحية كما يظهر ، فالصيد الغلابي حيث كان يتجول جده بجبال أصبح يومئذ منقسما بصورة غريبة إلى أجنحة وأقسام غير متناهية وفيها من كل الألوان ، وكان الملك ينتقل ككراشة بين هذه النياض الحرة والخميلة

وقد سأل يوما الكونتس سيران الجميلة : — ألا يشوقك أثاث مقاصري ؟

فقلت : — لا ، إلى أريده أزرق . ولما كان الأزرق هو لون الملك فقد أطربه هذا الجواب . وفي الخطوة الثانية وجدت السيدة سيران أثاث المقصورة أزرق كما رغبت

ولم تكن القاعة حيث كان الفارس آتتذ وحيدا زرقاء ولا بيضاء ولا وردية ولكنها كانت كلها مرابا . ومن المعلوم مقدار ما تحببه السيدة الجميلة ذات القوام الفاتن من تمكها من إبداء محاسنها مكررة على ألف وضع فهي تصرع وتستولى على من تود أن تفتته لأنه أنى نظر رأها فلا يجد إلى اتقاها سبيلا فيضطر أن يفر أو يعترف بخضوعه

كان الفارس ينظر أيضا إلى الحديقة . حيث تتجلى خلال الجفائن والمائمي السندسية الأويد والأواني المرصية التي يبدو فيها ذوق الرعاة ؛ وكانت المركزة تعمل على جملة زيا وطرازا وقد ارتفع بعدئذ لدرجة سامية من الكمال والاتقان زمن السيدة بارى والملكة ماري اتوانيت . وكانت تظهر البدائع الخلوية حيث تزرى الأخيلة التي تذهب اللب . وكانت الحراي الموهبة وتماثيل الآلهة الوقورة والمها كل العلية والأنصاب ذات الرؤوس الكبيرة الجالدة من الهول في صوامع زرجية ترى ظهور بستان انكليزي خلال أشجار السرو الناهلة وتكاد

وأخرج الغلام من جيبه غلافا كبيرا مذهبا وضمينا بنقوش عربية وعليه الخاتم الملكي فأجاب الفارس : « حبا وكرامة ياسيدى » ومضى بعد أن أخذ الغلاف ، يعدو على رؤوس أقدامه بخفة ورشاقة

— ٥ —

لما وصل الفارس إلى القصر وجد سويسريا أيضا أمام الايوان فقال وقد أبدى الرسالة : « أمر الملك » فما كان الفتى يخشى الحراب في كرتة هذه فدخل جذلا مارا بين نصف دستجة من الخول والاتباع

ورأى الأمر الملكي والخاتم حاجب كبير واقف وسط الدهليز فانحنى بوقار كنخلة حنبا الرمح ، ثم لمس بأحدى أصابعه الهزيلة وهو يتسم زاوية أحد الجدران الخشبية فانفتح حالا باب سري مغلق بسجادة ، فأشار الحاجب للفارس بلطف فدخل منه وانسدلت السجادة خلفه ، وعندئذ أدخله وصيف صموت إلى قاعة ومنها إلى ردهة فيها أبواب ثلاث أو أربع غرف صغيرة ثم أخيرا إلى قاعة ثانية ووجه أن ينتظر قليلا . فساءل الفارس : « أنا في قصر فرساي أيضا ؟ وهل نشرع في لعبة (الطيمية) ؟ »

لم يكن قصر تريانون يومئذ كحال الآن أو كما كان قبلئذ ، وقد قيل إن السيدة منتنون جعلت فرساي معيدا ، وإن السيدة عبادور جعلته وكرغرام . وقيل أيضا عن تريانون : إن هذا القصر الخزفي الصغير كان عث غرام السيدة مونتسيان . وصما يكن من أمر هذه الوكنتات فان لويس الخامس عشر

وحيدة ، جالسة أمام منضدة وقد التفت بقرقل وأسندت رأسها يديها ، وبدت جد منهمكة . فلما رأت الفارس يدخل قامت فوراً وقالت : « هل أنت قادم من عند الملك ؟ » وكان في إمكان الفارس أن يجيب . ولكنه لم ير أحسن من أن يجنحوا باحترام ويقدم إلى المركبة الرسالة التي يحملها فأخذتها أو بالأحرى تناولتها بمحبة بالغة ، وكانت يداها وهي تفرض الرسالة تضطربان من فوق النواف

كانت هذه الرسالة التي سطرها الملك يده طويلة جداً فالتهمتها أولاً بنظرة إذا صح القول . ثم قرأتها بحرص ودقة حميقة ، مقبلة حاجبها مطبقة شفيتها ، فما كانت وهي كذلك جميلة ولا تشابه قط المظهر السحري الذي بدت فيه لدى المدخ الصغير . فلما أتت على آخر الرقيم أخذت تفكر ، وبدأ وجهها الذي اصفر يتخضب شيئاً فشيئاً بلون وردى خفيف (وما كان لديها أثخذ خضاب أحمر) واستمدت مع الدماء والأنس بارقة من جبال حقيقي لاح على وجهها الصبوح حتى ليظن أن خديها وردتان . فتنفست الصمءاء وألقت الرسالة على المنضدة ثم التفت نحو الفارس وقالت له بإتسامه خلاية :

« لقد كفتك شقة الانتظار لأنني لم أكن مستديقة ، وما أزال ، ولذا أمرت أن يوثى بك من القاصير فإني سجنينة هنا كما لو كنت في بيتي . وبعد فإني أريد أن أجيب الملك بكلمة فهل يسوؤك أن تكون رسولي ؟ تريث الفارس إذ رأي أن من واجبه الإفصاح حتى إذا استجمع قليلا من شجاعته قال في حزن : — مع الأسف يا سيدتي ؟ إن هذه المنة التي تطوقين بها جيدي لا أستطيع لها نيلا . — وكيف ذلك ؟

الجدول الصغيرة والمناير الصغيرة تحمل محل الجنة فتسبدل بها دار ألبان : ما أعجب سخرية الطبيعة التي يقلدها الانكياز ويسخونها دون فهم ! لعبة طفل حقيقية أنحت الآن ملهاة سيد كمول لا يدري كيف يبدد سأمه من فرساي وهو في فرساي نفسها

أما الفارس فكان جد مفتون وجد مأخوذ من وجوده هناك فلم يخطر على باله فكرة الانتقاد لأنه كان بالكس مستعداً للإكبار كل شيء ، وكان فعلاً محبباً بكل شيء . وبينما هو يقلب الوكنة بين يديه فمل القروي بقمته إذا وصيفة حسناء تفتح له الباب وتقول بمذوبة :

« تعال يا سيدي » فتبعها ، وبعد ما اجتاز من جديد عدة أروقة سرية أدخلته غرفة كبرى لم يكن مصراعها مفلقين تماماً ، وهناك وقفت وأخذت تصني فجمل الفارس يقول في نفسه : « لعبة الطيمية دائماً » ومع ذلك فقد افتتح أيضاً بعد مضي زمن قصير باب وكررت وصيفة أخرى كانت تبدو أكثر جمالا من الأولى بنفس اللمجة نفس الكلمات :

« تعال يا سيدي »

ولئن كان في فرساي مضطرباً فقد كان الآن كذلك مضطرباً محتاجاً ولكن بصورة تختلف كثيراً عن الأولى . لقد أدرك أنه يلس عتاب الهيكل الذي يحمل فيه الألوهية ، فتقدم خافق القلب مستضيئاً بنور لطيف أسدل عليه غطاء فتبدد بعض الظلام ، وتأرجح الجو بطور لذيذ عبق لا يكاد يدرك ، فأزاحت الوصيفة بوجل زاوية سحج حريري فإنا به يرى في أقصى مخدع كبير بسيط الأثاث رائته ، السيدة ذات المروحة — يعني المركبة القديرة . وكانت

وكانت المركيزة ممتادة أمثال هذه الأجاديث كثيراً وإن لم تكن تقاوح بها إلا بصوت خافت ، ولكن يظهر أن الحديث الخالي سرها جداً فقالت :-
واعتاداً على أي ظن ، وثقة بأي يقين وثقت بإمكان الوصول إلى هنا ؟ إذ يخيّل إلى أنك لم تكن تحسب حساب جواد يمر في الطريق !

— سيدتي . كنت أعتقد ... كنت أأمل ...

— ماذا كنت تأمل ؟

— كنت أأمل أن تستطيع ... الصدفة ...

— دائماً الصدفة ! إنما من أصدقاتك على ما يظهر ، ولكني أذكرك إن لم يكن لك من ضديقة سواها فشاغتك محزنة

ربما أوشكت السعادة الهائلة أن تنتقم لنفسها من هذه القصة لولا أن رأى الفارس الذي خيلته هذه الأسئلة الأخيرة على حافة المنضدة المروحة التي التفتها أمس ، فأمسكها وقدمها إلى المركيزة وقد ركع ركوع البارحة وقال لها : « هاك ياسيديتي صديقتي الوحيدة هنا »

غارت المركيزة برهة وأخذت تنظر إلى المروحة تارة وإلى الفارس أخرى وقد بدا عليها الدهول ثم قالت :

— آه ! إنك حق فقد عرفتك . إنك أنت يا سيدتي ! أنت نفسك الذي رأيته أمس بعد التمثيل مع السيد ريشيليو فأسقطت هذه المروحة حيث وجدت كما تكرر القول ...

— نعم يا سيدتي

— فأعدها إلى بكل لباقة كفارس من صميم الفرسان ، فلم أشكرك ، ولكني مازلت واثقة بأن من يعرف كيف يرفع مروحته يمثل هذه الرشاقة (٥)

— لم أحصل على شرف أن أكون من أتباع جلالتك

— وكيف جئت إلى هنا إذن ؟

— مصادفة واثقافاً . فقد اتفق أن رأيت في الطريق خادماً ملقاً على الأرض فرجاني ... (ويظهر أن المركيزة كانت آتخذ جذلة وأن السرور يأتيها طائماً) فأعادت مقهقهة :

— كيف ؟ ملقاً على الأرض ؟

— نعم ياسيديتي فقد كبا به حصانه لدى الباب ، واتفق وجودي هناك لحسن الحظ فساعدته على النهوض وكانت ثيابه قد توحلت كثيراً فرجاني أن أحمل رسالتك

— رأيت مصادفة أوجدتك هناك ؟

— ذلك لأن لدى رفيعة أريد تقديمها إلى جلالتك — ولكن لا يقطن الملك هنا

— نعم ولكنك تقطنين أنت

— بخ بخ ! كأنك كنت آتياً تحملني رسالة ! — سيدتي أرجو أن تصدقيني ...

— لا تخش ، فأنت أول من فعل ذلك ... ولكن أسألك بالمناسبة : فيم تقصدني أنا ؟ مع أي لست إلا امرأة ... كسائر النساء

وعندما فاهت المركيزة بهذه الكلمات في سخر ، زمقت الكتاب الذي فرغت من تلاوته بظفر ، فأجاب الفارس :

— إنني أسمع دائماً القول المأثور : الرجال يمارسون السلطة والنساء ...

— يعلينها ، أليس كذلك ؟ حسن ياسيدي ، إن في فرنسا ملكة

— أعرف ذلك ياسيدي ولهذا أجددني هنا اليوم !

الحصول على هذا القلب الذى لم تبج من ورائه إلا
العار والقضيعة لولى العهد ، وقد انقضت سنوات
عشر والرغبة فيه تلبهم فؤادها حتى نالته أخيراً ،
ولم تكن تعرف أن السيد فوفو سوى قصة غرامه
ولكنها كانت مسرورة به سرورها من خبر مفرح
كان الفارس واقفاً فى جمود خلف المركبة
يراقبها وهي تكتب بالدفء ولهفة ثم تفكر وتنقطع
عن الكتابة فتلمس ييدها أنفها الصغير الدقيق
كالمترجم يفرغ صبرها كأن أمراً يضايقها ثم تمضي
أخيراً وترجع ، ومن الواجب أن نقر بأن ما كتبه
ليس سوى السودة

كانت قبالة الفارس فى الطرف الآخر من
النصصة امرأة جميلة من صنع البندقية تلمع ، وعلى أن
الرسول الجبان لم يكن يجزأ أن يرفع ناظره ، فقد
كان من الصعب ألا يرى فى هذه المرأة وجه وصيفة
الملكة الجديدة ، ذلك الوجه البوس الساحر فأخذ
يتأجج نفسه قائلاً :

— ما أجملها ! ومن تماسى أى عشيق سواها .
ولكن (أتيناى) أجل ، ومع هذا فإن التفكير فى
ذلك يمد منى خيانة مرمية !

فقالت المركبة (وكان الفارس يبحر بالنجوى
دون أن يشعر)

— عمّ تتكلم ؟ ماذا تقول ؟

— أأنا يا سيدتى ؟ إلى أين أنتظر

فقالت المركبة وقد أخذت ورقة أخرى

— هاأنذا قد أنجزت

ولكن نصيفها سقط عن كتفها عند ما قامت
بحركة صغيرة كما تلتفت

إنه الزى شئ غريب ، فقد كانت جداتنا

البالغة يعرف كيف يرفع عند اللزوم القفاز أيضاً ؛
ومن النساء يحب هذا

— ليس ما قلت سوى الحقيقة لأنى كدت

أبازر السويسرى أنفأ لادى مجيئى

— ويحك ! مع السويسرى ! وقيم ؟

— لم يشأ أن يدعى أدخل

— لوأضرغسنا . ولكن من أنت يا سيدى ؟

وماذا تطلب ؟

— سيدتى إلى أدعى الفارس فوفو ، وعدنى

السيد ييرون أن يجعلنى ضابطاً صاحب العلم

— حقاً لقد تذكرت أنك آت من نوفليت

وأنت عشيق الأنسة أنيدول

— سيدتى من الذى استطاع أن يقول لك ؟

— آه ! أنذكرك بأنى بمنى رهب جانبهم وأنا

أحزر عند ما تخوننى الناكرة أنك قريب الراهب

شوفلان وقد رفضت من أجل هذا . أليس كذلك ؟

أين رفيتك ؟

— ها هي ذى ، ولكنى حقيقة لا أقدر أن أفهم

— وفيم الفهم ؟ أنهض وضع ورتك على هذه

المنضدة فأنى سأجيب الملك فتحمل إليه طلبك

ورقى مما

— ولكنى أظن أن قد قلت لك يا سيدتى ...

— ستذهب . فقد دخلت إلى هنا من عند

الملك ؟ أليس كذلك ؟ حسن ! وستدخل إلى هناك

من عند المركبة بمجادور وصيفة شرف الملكة

فأنجنى الفارس دون أن ينبس بيت شقة وقد

أخذته الدهشة ، فقد كان الناس كلهم يعرفون

منذ زمن طويل ما حاكت الحظية من أحاييل وما

دبرت من حيل ومكائد ، وكلما قاومت فى سبيل

ولمست جسماً صغيراً ثم مدت للشاب ذراعاً
عارية بعد أن رفعت عنها موجة من الوشي (الذاتللا)
فأخفى هذا كربة ثانية ولمس بأطراف شفتيه
أنامل الركيزة الوردية فلم يجد في هذا العمل وقاحة
لاستحالة أن يكون ذلك بل رأته فيه شيئاً غير
قليل من التواضع

ولم تلبث الوصفات الصغيرات أن ظهرن (ولم
تكن الكبيرات قد استيقظن بعد) وكان خلفهن
الرجل الهزيل كالتيس في القطيع ، وكان يشير إلى
الطريق بإبتسام

— ٦ —

كان الفارس قابلاً في غرفته الصغيرة في فندق
الشمس غربياً في مقعد عتيق فقد انظر الفد وما
تلاه دون أن يتلقى خبراً بفعل يقول :

« يا لها من امرأة غريبة ! حولة وقاهرة ، طيبة
وخبيثة ! أكثر النساء استهتاراً وأشدهن عناداً !
لقد نسيتني ، أواه يا للتماسة ! إنها محقة لأنها قديرة
على كل شيء وأنا لست شيئاً »

ثم قام وصار يذرع الغرفة ويقول : « نيم لاشي »
لا ، لست إلا فقيراً مملوئاً ، ولم ينطق أبى بغير
الصواب فقد سخرت مني الركيزة . ولقد أتعجبا
جمالها فحسب إذ كنت أنظر إليها فكانت جد مقبلة
لرؤيتها في هذه المرأة وفي عيني تأثير محاسنها التي
لا تضارع . وإيم الحق . نعم إن عينيها صغيرتان
ولكن ما أطفهما ، وهي صغيرة الجسم ولكن قامتها
هيفاء !

آه ! يا أيتها الأنسة انيول !

آه ! يا صديقتي الغالية ! هل أستطيع أن
أنساك أنا أيضاً ؟

لا يزالين الذهاب إلى البلاط بثياب فضفاضة تدع
أعناقهن عوارياً ويجدن ذلك أمراً نافعاً ليس فيه شيء
من الخلاعة ، لكنهن كن يسترن بحرص ظهورهن
التي تبديها غادات اليوم في الرقص والمسرح وهذا
من مستحذات الجمال وطرائفه

كان يوجد على كتف السيدة عبادور النحيل
البض الأخاذ شامة صغيرة سوداء تشبه ذبابة واقعة
في الحليب فجعل الفارس ينظر إلى هذه العلامة
برصانة كطائش يتكلف الوقار ، وكانت الركيزة
تنظر إلى الفارس وقد رفعت ريشتها في الهواء
ففي هذه المرأة تبدلت نظرتان لا تخطئ النساء
فهمهما ؛ ومنهما من جهة : « أنت ساحرة » ومن
الجهة الأخرى : « لست مستاءة من هذا »

إلا أن الركيزة أصلحت نصيفها وقالت : « إنك
تنظر إلى شامتي ياسيدي ؟ »

— أنا لا أنظر ياسيدي وإنما أرى يا كبار
— هاك الكتاب نخذه ورفيعتك إلى الملك
— ولكن ياسيدي ...
— وماذا تريد بعد ؟

— خلالة الملك في الصيد فقد سمعت آفناً
صوت البوق في غابة سافوري

— حقاً . إنني لم أظن لذلك . حسن ! فليكن
غداً أو بعد غد إذ لا أهمية لذلك . ولكن لا ،
حالا ، اذهب وأعطها إلى (لوبيل) . الوداع ياسيدي .
واجتهد ألا تنسى ان هذه الشامة التي رأيت الآن
لم يرها في الملكة سوى الملك وسوى صديقتك
(لصادفة) . ورجائي أن تقول لهذا الصديق ألا يتباد
الجهر في سرد أسرارهِ إذا كان وحيداً كما فعل الآن .
وداعاً أيها الفارس

- ودق الباب بجفاء دقتين أو ثلاثاً فقال : « من هذا ؟ » وإذا بالرجل الهزيل مرته سواذاً وجورين حريين يشفان عن ربلي الساقين الضامرتين قد دخل وحياء في احترام وقال : « ستقام الليلة حفلة رقص مقنع في البلاط ، وقد أرسلتني سيدتي المركيزة أقول لك إنك مدعو
- حسبك يا سيدي وإني أشكرك شكراً جزيلاً !
- وما إن انسحب الرجل الهزيل حتى أسرع الفارس إلى الجرس فقرعه فأنت نفس الخادم التي ألبسته حسب معرفتها من ثلاثة أيام ، وأخذت تساعده ثانية على ارتداء نفس الكسوة الموشاة بالذهب وحرصت جهدها على أن يجعله أنيقاً
- مشى الفتى بمدد نحو القصر حيث كان مدعواً في هذه المرة وقد اصطنع الهدوء ولكنه كان أكثر سخطاً وأقل جرأة منه عندما خطا في هذا العالم الذي كان مجهولاً لديه خطوته الأولى . أذهلته روائح فرساي في هذه المرة بمقدار ما أذهلته في المرة الأولى . ولم يكن القصر ليلتشد خالياً فكان الفارس يسير في الردهة الكبرى ناظراً إلى جميع الجهات حرصاً على استكناه سبب وجوده هناك فلم يلبخ له اقتراب أحد منه . وما انصرفت ساعة حتى سمع وعول على الانصراف لولا أن استوقفته لئن مروره سيدتان على وجهيهما قناعان متشابهان كثيراً . وكاتباً جالسين على مقعد . سددت إحداهما إليه أسبمها كأنها ممسكة غدارة فهضت الأخرى وجاءت إليه فأخذت بذراعه في تراخ وقالت له : « يظهر يا سيدي أنك على ما يرام مع مركيزتنا »
- أستمتعك يا سيدي عفواً ، عمن تتكلمين ؟
- إنك تعرف المقصود جيداً
- لا ، قطعاً
- عجباً ! ولكنه الواقع
- أبداً
- كل البلاط يعرف ذلك
- ولكنني لست من البلاط
- إنك غر ؟ فقد قلت إنه قد عرف ذلك
- هذا ممكن يا سيدي ولكني أجهله
- على أنك لا تجهل أن خادماً وقع لدى باب قصر ترانون أمس الأول . أو لم تكن هناك مصادفة ؟
- طي يا سيدي
- أما ساعدته على النهوض ؟
- لقد فعلت يا سيدي
- أو ما دخلت القصر ؟
- دون شك يا سيدي
- هل أعطوك ورقة ؟
- نعم يا سيدي
- وقد حملتها إلى الملك ؟
- بالتأكيد
- لم يكن الملك في قصر ترانون بل كان في الصيد وكانت المركيزة وحدها ... أليس كذلك ؟
- طي يا سيدي
- وكانت قد استيقظت منذ هنيهة وما تزال شبه عريانة لولا نصف كبير .
- إن أولئك الذين لا يستطيع منعمهم من الكلام يقولون ما يدور في خلدكم .
- حسن جداً . ولكن يظهر أنك تبادلنا نظرة لم تسوها
- ماذا تقصدين بهذا يا سيدي ؟

— وأية علاقة تربط زيارتي باليسوعيين

والبرلمان ؟

— خطى لى كلمة قهلك المركزية ولا شك أن
لك الفائدة العظيمة والشكران الجزيل ...

— أطلب عفوك ثانية ياسيدتى ، ولكننا
تطلبين دماء

— وهل فى السياسة مروة ؟

— لا أعرف ذلك . لقد أسقطت السيدة بمبادور
مروءتها أمانى فالتفتها وأعدتها إليها فشكرتني
وسمحت لى بكرم أخلاقها أن أشكرها بدورى

— دعنا من الجملات فإن الوقت ينقضى .
إنى أدعى الكونتس دستراد وأنت تحب الآنسة
أنبول ابنة أخى ... لا تقل لا ، فلا فائدة من
الإنكار . إنك تطلب وظيفة صاحب العلم فى الحرس ..
ستنالها غداً ، وإذا كانت آتيناى تمجيك فستقدو
حالا صهرى

— آه ياسيدتى ! ما هذا الاحسان الفياض ؟

— ولكن عليك أن تتكلم

— لا ياسيدتى

— قل لى إنك مدنف فى حب هذه الفتاة مدله

— بكل جوارحى . ولكن يجب أن يظل

شرفى إذ أبنتها غرامى

— إنك عند جداً أيها الفارس ! أهذا

جوابك الأخير ؟

— إنه الأخير كما كان هو الأول

— أرفض الدخول فى الحرس ؟ وترفض يد

ابنة أخى ؟

— نعم ياسيدتى إن كانا بهذا الثمن

— أنك أعجبتا

— لا أدري شيئاً من هذا ، وإنما سيصيرنى
إلى القنوط أن أرى المروءة النادرة والطف الذى لم
أكن أتوقع والذى كان بالغ الأثر فى أعماق نفسى
يفدون سبب دسائس شائنة

— لقد أحتاجك الغضب سريعاً أيها الفارس .
ويلوح لى أنك ستدعو إلى البراز كل من فى البلاط
فلا ينتهى بك الأمر إلا بعد أن تردى كثيرين
— ولكن إذا كان هذا الخادم قد سقط
وإذا كنت قد حملت رسالته ... فأعذرينى إن سألتك
علام سئلت ؟

فشدت السيدة المقنعة على ذراعها وقالت له :

— أصبح إلى ياسيدي

— بمقدار ما يسرك ياسيدتى

— إليك ما تفكر فيه الآن : إن الملك لا يجب
المركيزة قط وليس من يعتقد أنه أحبها من قبل .
أما هى فلم تكنف بارتكابها جريمة إغلاق البرلمان
وإلقائه هو وضريبة الدافقين ظهرياً ، بل هى تجرؤ
اليوم على أن تحارب سلطة أعظم كثيراً وهي سلطة
اليسوعيين ، وعلى أنها ستفشل لأنها ذات أسلحة
تدافع بها عن نفسها قبل أن تهلك

— حسن ياسيدتى ، وماذا أستطيع أن أفعل ؟

— سأقول لك : إن السيد (شوازل) مستاء

من السيد (بنى) وكلاهما ليسا واثقين من التجربة
التي يريدان القيام بها . وبكلمة منك يتمكن شوازل
أن يحل محل بنى

— وبأي صورة ياسيدتى ، أرجوك ؟

— بأن تروى نبأ زيارتك بالأمس

— ماذا تقولين يا سيدتي ؟
 — هاك شهادتك وصك زواجك
 وألقت إليه مروحتها فاذا بها تلك التي التقطها
 مرتين من قبل ، وكانت الأصداف المذهبة تتألق
 وبينها نقش الصور التي عرفها فلم يبق عنده مجال
 للشك في أنها مروحة السيدة بمبادور فقال :
 — يا للسماء ! أهذا ممكن أيها المركبة ؟ فقالت
 وقد حشرت اللثام الأسود الشفاف :
 — كل الامكان
 — لا أدري يا سيدتي كيف أجيب ...
 — لا حاجة لذلك . إنك رجل مذهب أديب ؛
 وستلتقي لأنك عندنا . فقد جعلك الملك صاحب العلم
 الأبيض . تذكر أن أكبر بلاغة يتمسك بها الراجي
 هي أن يستطيع السكوت عند اللزوم . وأردفت
 ضاحكة وقد هربت : « ساعنا إذا حصلنا على
 معلومات قبل أن نغنيك ابنة أختنا »
 (دمشق) مظفر البقاعي

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

المن ١٢ قرشاً

خُدجته بنظرة ملؤها الفضول والاستكناه ،
 ثم ابتعدت يبطء إذ لم تر على وجهه أثرًا للتردد
 واختفت بين الجماهير . وجلس فارسنا الذي لم يفهم
 من هذه الحادثة الغريبة شيئاً في زاوية من زوايا
 الردهة وجعل يناجي نفسه قائلاً : « ماذا تريد أن
 تفعل هذه المرأة ؟ لا شك أنها مختلة الشعور ، إنها
 تريد إحداث انقلاب من أجل وشاية حمقاء وتمرض
 على أن أدينس شرفي من أجل الحصول على يد ابنة
 أخيها ! ولكن (أنياني) لا ترصاني ، بل إني أرفضها
 لأن كان الحصول عليها يحتاج إلى دسيسة كهذه !
 ماذا ؟ أعمل على نخراب هذه المركبة الطيبة
 وقضيحتها وعارها ؟ أبدأ ! لا ، أبدأ ! »

ظل الفارس على إصراره ومقاومته حتى أوشك
 أن ينهض فيتكلم جهراً لولا أن لست كتفه في خفة
 أئمة وردية اللون فرفع عينيه ف رأى أمامه القناعين
 المتشابهين اللذين أوقفاه من قبل ، وقالت له صاحبة
 أحدهما وقد غيرت نبراتها :

« ألا تريد إذن أن تساعدنا قليلاً ؟ » فلم ينخدع
 الفارس على رغم تشابه الثوبين التام وبرغم الجهود
 المبذولة لازالة الفرق بينهما ، إذ لم تكن النظرات
 ولا التبرعات ذاتهما في السيدة الأولى . وكررت
 التلكمة قائلة :

أحبب أيها الفارس ؟

— لا يا سيدتي

— أنت كتب ؟

— ولا هذا أيضاً

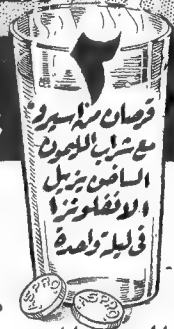
— مازلت على مكابرتك وإصرارك إذن . مساء

الخير أيها الملازم !

أسبرو

الانفلونزا

في ليلة واحدة



قوسان من أسبرو
مع شراب الليمون
الساخن يزيل
الانفلونزا
في ليلة واحدة

أسبرو
لا
يضر
القلب
ولا
المعدة

ان تغلب الانفلونزا في الليلة الواحدة قد أصبح كثير من المرءات يأتون بالبرد
كل عام فاستخدم الانفلونزا والدمع والروماتزم فوهم يربط بين الانفلونزا
والسرعة والبقاء بشرطها. ولقد أثبتت الرقعة الناس ان أسبرو
يعمل على الإصابة بالانفلونزا في ليلة واحدة فامادوا في تجربته
ولما كانت نتيجته ما يشبه على الإصابة سرية أكادته - فجادوا في تجربته وسامعوا
وقد علموا بحسبهم ومنهم من كتب في الصحف ان أسبرو يزيل الانفلونزا في
أسبرو في عينه اسما على الانفلونزا فأنك لو لم تكن لتفقد في استعماله
اذا اردت ان تعطي نفسك الإصابة بالانفلونزا ومعه ان فعلك. ولما اخذت
أسبرو وشراب الليمون الساخن فصبته على الليمون في ليلة واحدة
فاحسنه انك تعلم ان أسبرو يزيل الانفلونزا في ليلة واحدة فاحسنه انك تعلم
الاشياء دون ان تصاب بالانفلونزا كذلك تعطي نفسك الإصابة

بالبرد والروماتزم
ما تترجم في وجع



الشيء والاسم لان أسبرو في غير علاج لها

أسبرو



يستعمل
تفريعة



في الشراب الزود

للبرنج والظم والانفلونزا أو أي من الالام
غنية. فخذ قسمة من تاركة أو اخص كل ساعة حتى يعود
حالتك طبيعية فالأسبرو يخفض الحرارة في دقائق قليلة
استعمله في قسمة في ارتفاع الحرارة مع الالام الزود
الزود. فان دافئ الأسبرو في قسمة في الالام الزود
فقطقل فعلها. العمل بسرعة وانقذ نفسك.

أسبرو يباع في جميع الامارات ومجانا في الادوية
٢ قوسان ٥ مليم ١٠ قوسان ٢٧ قوسان ٢٧ قوسان ٢٧ قوسان

الموكالا
ج. ب. شريهان وشركاه
٢٣ شارع جليلي
٥٤٢٢٢
٩ شارع مسعود الموكالا
٢٦٣٤٠

المِثَاءُ الْمِلْحُ

لِلأُسْتَاذِ أَدِيبِ عَبَّاسِيٍّ

حتى غدا من طول
الانحناء لا ينصب قامة
ولا يقيم ظهراً ؟ فإذا
ترك ؟ إنني أجيل
عيني هنا وهناك فلا
أرى إلا هذا الثور
الحزيل وذلك البهي
لا يضيء يوم أو يومان

حتى ينقضي كما أرقه النير وبهظه الثور قرينه في
الميل عليه والاسراع في السير دونه . وثست أدري
ماذا يكون حالنا هذا العام إذا تأخر المطر أسبوعاً
آخر أو أسبوعين ؟ إن لدينا ما يكاد يوصلنا إلى بدء
الحصاد ، ولكن ماذا نصبر إليه بعد أوان الحصاد
إذا ظل وجه السماء أمداً آخر على جفافه الشديد
وجوده المئس فصول التبت وهلك الزرع الذي
نما مع البدرى^(١) ودلت تباشيره على الخير
الوفير ، ولكن شوال النيم^(٢) بعده وانقطع القطر
فصدى التبت وجف وأوشك أن يزول ؟ »

هكذا شرع يوسف الجلال يناجي نفسه لما
نظر حوله ورأى الفقر والخصاصة اللذين خلف
له والده . وفكر ملياً ماذا هو صانع ، أيستمر يفلح
الأرض ويزرعها وتستمر آماله تتراوح بين أقصى
الأس والرجاء تبملاً لانحسار المطر أو إغداقه :
وهل في ذلك ما يحقق الآمال المسولة والأمانى
المناب ؟ « ثم لم لا أكون كموسى وخليل
التاجرين توفيقاً وميسراً حال ؟ ولكن أواه أين

ورث يوسف الجلال عن أبيه بضعة عشر فدانا
من الأرض ، ونظر حوله فلم ير غير هذه الأعدنة
وزوجة وصبيك في الخامسة من عمره وطفلة مازال
تنبو ، وحيوانين هزيلين يستخدمهما في فلاحته .
وفكر ملياً ماذا يصنع وكيف يسير بقية الطريق ؟
أيستمر يستغل الأرض ويستدرها وهي هنا
— على سيف الصحراء — كثيرة المثل عسيرة
الحلاب شديدة الختل ، إذا جادها النيث — وهو
شحيح — فما الزرع ، لم يسلم من ربح الشمال
تجففه وتذويه ، أو الريح الشرقية تلفحه وتذريه ، أو
الدودة تمشش في خيوطه وتأتى عليه ، أو الجراد يحط
على الحقل أخضر مرمعاً ويتركه أحمر كالخا لآحياة
ولا غناء فيه ؟ أيمضي يفلح الأرض ويزرعها ، وتلك
هي احتمالات الثراء السريع الذي ينشده وتقمض
على صوره عيناه وتطيف بها أحلامه في البقطة وفي
النام ؟ « كلا ! كلا ! فالأرض التي لا تمطر إلا
الكفاف حين تمطر لا يفتأ المرء لاسقاً بها مشدوداً
إليها ماعاش . وأين من ارتفع وجهه عن الأرض
من ركنوا إلى الأرض ؟ هذا والدي رحمه
الله ، ألم يقطع أربعين عاماً حثيثاً فوقها مكبوباً عليها

(١) البدرى : المطر قبل الشتاء

(٢) يقال شوال النيم إذا انقطع المطر

الشعور في صدر الزوج فأطرق يفكر ... ولكن لم تلبث صور التراء السريع والميش الموطأ أن رقصت في خياله دورة أو دورتين حتى انحسر عن صدره شعور الحنين واللفة التي أثارته زوجه بحديثها ، فرفع رأسه وخاطبها بحفاة

لقد غرمت على الخلاص من عناء الفلاحة وأتمايها ، فلا تلجى في الجدل ولا تتأدى في الصبح والاشفاق . اني سوف أكون تاجراً كهؤلاء التجار الذين يقضون أوقاتهم في لعب « الطاولة » أو « المنقلة » أو القمار أو في الجلوس والحديث ، ثم في التهويم والنوم وما إليها من أسباب المتع وبواعت اللذة ولم تجادل الزوجة . فهي تعرف من عناده ولمصراره ما لا يجدي معه جدل ولا حوار

قبض يوسف الثمن بضع عشرات من الجنيئات وأستأجر دكاناً وحشد فيه من السلع كل ما قدر له الزواج السريع وظن فيه الربح الوفير . وجلس على كرسي في ركن من الدكان ينتظر تهافت الشارين عليه وإرباكهم إياه بكثرة الطلب والمجادلة في جودة السلع وأثمانها . ولكن ارتفع النهار وأقبل الظهرون أن يوم دكانه شار ؛ وبعيد الظهر جاءت صبية صغيرة بيضتين تطلب فلفلاً . فقبض قبضة وصرها في ورقة ، ولكن الصغيرة استقلت الكمية وطلبت المزيد ، ولما لم يزدها استردت البيضتين ... وعزى يوسف نفسه بأن الناس لا بدّ مقبلون عليه متى علموا مكانه من السوق وعلموا جودة البضائع عنده ورخصها ، ولا حاجة إلى القول بأن النهار الأول مضى دون أن يبيع بما يزيد عن بضعة قروش . وجاء النهار التالي ولم يكن خيراً من سابقه ، وكذلك اليوم الثالث والرابع إلى آخر الأسبوع . وعندها أخذ الشك

رأس المال ، وكيف أبداً التجارة كما بدأها ؟ ولكن هل من اللازم أن يكون المرء تاجراً وزارعاً سمّاً ؟ ولم لا أبيع هذه الفلدائن بمحصولها هذا العام فأخلص إلى الأبد من كد الفلاحة وعسرها ، وأخلص من ريب الحبل هذا العام وكل عام ؟

وعرض يوسف الجمال رغبته هذه على أهل البلدة ، فقدم حالاً من ابتاع الأفدنة بقلها ، إذ ليس يجفو الفلاح الأمين الأرض مهما جفته وقبت عليه ، ولا ينقطع له منها رجاها مهما تقطعت أسباب الرجاها . وهو يعلم بدءاً أنها مهما جفته لا تخذه ، ومهما ضغطت عليه لا تسحقه ، وإنما تخرجه جليداً على الشدة أياً على اليأس

ومن الإنصاف أن نذكر أن زوجة يوسف لم تكن راضية عن هذا التبديل والتحول من استقرار الزراعة إلى مفارسة التجارة . وفي أصبوخة اليوم الذي جرت فيه صفقة البيع جاءت بعينين مفروقتين وأهداب مخضلة وخاطبته : ماذا أنت صانع يا يوسف ؟ أتبيع الأرض التي حفظها لك أبوك أربعين عاماً كما حفظها له أبوه وحفظها كل أب لابنه وجد لحفيده حتى وصلت إليك غير متقوصة ولا متحصفة ؟ ألا تحس بأننا نفقد شيئاً غير التراب والحجارة إذ نفقد الأرض ؟ برك ألا تشتاق الحين بعد الحين أن ترى قطع هذه الأرض التي تمل والتي لا تمل ، وتجوس خلالها وفي صدرك مثل الذي تحسه لولديك أو منزلك حينما تقيب عنهم أمداً طويلاً ؟ تصوزكم دغدغ أبوك وأجدادك صور هذه الأرض بمحاريثهم ، وكم توسدوا تراها وحلوا الأحلام بقوها وكم قاتهم وبنت أجسامهم القوية بما تدر وتنشج ! تصور هذا يا يوسف وانظر أي شيء نفقد مع البيع ! وكأن حديث الزوجة قد نفذ شيئاً إلى مكان

ثمن إذا وجد خيراً منها دلّه على أنك لا تقيم وزناً كبيراً لفضيلة الصدق . أما قولك أنك تبنيه السلعة بلا ربح فدلالة الكذب فيه واضحة ، إذ لماذا أتت هنا إذا كنت تبني السلعة برأس المال متجاوزاً عن الربح ؟ وهب أنك أخطبت الرجل فابتاع السلعة فهو ليس بمائد إلى دكانك مرة أخرى ، فالشارى يجب أن يكون حراً في كل شيء ، حراً في الاختيار ، حراً في تعيين الثمن ، حراً في ألا تظن فيه الكزازة وحسب الماكسة ، وإذا استشعر شيئاً من ذلك في دكان من الدكاكين فليس بمائد إليه . هذه أمور لمالك يجملها لقلة خبرتك بشؤون السوق وتركك مشتري حاجات البيت لى . وكما ألححت عليك أن تقوم أنت بشراء ما محتاجة فكنت تمتدّر بأن تنفيك في شؤون الفلاحة سحابة النهار لا يسمح لك بارتداد السوق ومعرقتها جيداً . وإذن إليك ما أفدته بالخبرة من هذه الشؤون ، وما هو خليك أن يجتذب الشارين ويُحسن الحال : عليك أن تبسط وجهك وألا تكتر من التوكيد والأقسام ، وأن تكون صبوراً ، وألا تشعر الشاري شيئاً من الضيق والحرج أو الاحتقار ، فليس أقتل للتجارة وأدعى لبوارها من هذه . اعرض حاجتك عرضاً مقبولاً وأرح نفسك وأرح الشارى من الأيمان ، فعلى من تريده يقيناً بما تقول . امتدح السلعة ودلّ على صفاتها ولكن باعتدال . وإليك ومثل هذه الأقوال : « إن سلمي خير مافى السوق ، وإننى أعطيكمها بلا ثمن » وغيرها مما لا يفيدك شيئاً إلا اعتقاد الشارى أنك تكذب وأن السلعة قد تكون من الرذالة بحيث تحتاج إلى كل هذه الأقسام والتوكيد . ثم إليك أن تبدى شيئاً من الدهشة أو الامتناع مهما عرض الشارى ثمناً للسلعة ، أفهمه بلطف أن الثمن الذى يرضه هو دون ما يستطيع بيعها به ، وإذا خرج لم

يدبّ إلى نفسه والوساوس تساوره ، وأفضى إلى زوجته بما أخذ يتدسس إليه من ريب . وشكوك تخاطبته بقولها : عليك أن تصبر هنا يا يوسف صبرك على الأرض أو أكثر ؛ وأزيدك أن احتمال الخسارة المفاجئة هنا أشد وأنكى . فأنت في الفلاحة إذ تفقد بعض ما تفقده يعض عليك عنه غالباً في السنوات الآتية ، والأرض بعد باقية لك ، ولكن الخسارة في التجارة معناها الدمار والخراب . وكمن تاجر أصبح في نعيم وبلهنية وأمسى في شقاء الفقر وضيق الفاقة ، فواجبك إذن الصبر وطول الأناة . وعلى كلٍّ أحب أن أنزل غداً لأرى كيف تبني وفي صباح اليوم التالى زلت الزوجة وجلست بين الجدار وبين رفوف السلع القاعة بحيث ترى ولا ترى . وجاء أول شار فقام زوجها وعلى وجهه جهومة الارتياح وكدره الهم وأحضر حاجة الرجل ، فقبلها هذا بين يديه فلم تمجبه وطلب خيراً منها ، فأجابه يوسف : إن هذه السلعة خير ما عندي ، ولن ترى أحسن منها في جميع السوق . وأقسم لك بشرفى أنني أدفعها لك بلا ثمن إذا وجدت أفضل منها ؛ ثم إننى أكتفى منك ثمناً لها برأس المال . إلا أنت الشارى هز رأسه وخرج لم يشتر شيئاً . ولم تطق الزوجة صبراً فخرجت إليه وقالت : الآن علت لماذا يتجنب الناس دكانك ؟ تعلم أن أكثر الناس يكرهون البوس والاكفهرار في وجه التاجر ، فكل الناس همومهم ، ويجب ألا تضيف إلى همومهم همك . ثم إن لحاجتك وإلحاقك على أن حاجتك هى أحسن الحاجات يبتان الشك والريب في نفس الشارى . فالتاس تعلم بالخبرة أن التاجر لا يُطلب في امتداح السلعة إلا إذا كان يشك هو في جودتها ، وإلا ترك هذه السلعة تملن عن نفسها بنفسها . ثم إن توكيدك الأقسام بأنك تقدم السلعة للشارى بلا

وعلى كل فاما محصن نفسه من الآن وعازم ألا يزيد
البلغ الذي أقامر به على بضعة قروش

وفي الليل أم يوسف مجلس القامرين في أحد
الدور المتطرفة ، وتلطف به القامرون القدماء فقام
وقد أضيف إلى عشرة القروش التي جاء بها عشرات ؛
وانكفأ إلى بيته وإهايه لا يكاد يسمه من فرط
السرور ؛ وأيقن بأن نجمه أخذ في الصعود وأنه
لا بد مدرك الثراء السريع وتحقيق أحلامه بمجملتها
وسألته زوجته فيم كان تأخره ، فتلطف لها
بالاعتذار ودفع إليها حفنة من قطع النقود المختلفة ،
وسألته في هذا الببلغ الكبير من أين جاء ، فأجاب
بأن توفيقه في البيع ذلك النهار كان توفيقاً نادراً
وعاد يوسف طليعاً إلى مجلس القمار في الليلة
التالية ، وعاد إلى الكسب والخسارة كما كان يحلو
للقامرين الماهرين حتى لا يئوسوه من القمار قبل أن
تتمكن عادته منه ، وعندها ما أسهل أن يجردوه من
كل ما لديه

وهكذا صرت الليالي وصاحبنا لا ينفك يقاصر
ويقامر . وفي خلال ثلاثة أشهر افتقد ما لديه من
الدرام التي كان ينوى أن يتناع بها بضاعة جديدة
في أول الموسم ، فأصبحت يده صفراً . وهنا شعر
كأن قلبه يهبط من موضعه ، وكان ماء بارداً يصب
على جسمه . فلم يكن يقدر أن القمار يفعل به كل هذا
الفعل ؛ ولم يكن يجزؤ أن يجري حساباً على ما لديه
حتى يظل على اطمئنان الجهل بحاله ، وما أودى به
القمار من ماله . وكانت هذه الصدمة تميد إليه رشده
لو لم تكن المادة قد استحسنت منه إلى الحد الذي
يكاد يستحيل الفكك منها عنده . ومن هنا صار
همه بعدها أن يبيع في النهار ما يستطيع بيعه
ويذهب في المساء يقامر به على يسترد بعض
ما فقد . ولكن هيات ! فقد أعتمته الخسارة وأحصى

يشتر شيئاً فلا تشيعه بدمدمة الامتناع وعيوس
الفشل . ثم الربح ، اكتف منه بالقليل تبع كثيراً
وتربح . وبالجملة عليك أن تجعل علاقتك بالشارى علاقة
مقبولة غير منفرة

وكأن يوسف استفاد من نصائح زوجة الذكية
وخبرتها الصحيحة ، فتحسنّت عنده نسبة المبيع
اليومي ، فبش وتطلق وجهه بعد أن كان يغال
نفسه مغالبة على اصطناع البشاشة والجبور .
وسارت الحال سيرها الطبيعي عاماً وبعض العام ،
وحسب يوسف أرباحه عند نهاية العام فوجدها
لا بأس بها ، وإن كانت دون ما كان يؤمل من
الغنى المفاجئ وهو شهوته المتحكمة وهواه الكمين
الذي طلق الفلاحة من أجله ... وعلى كل فقد
عزم على أن يمضي في هذا السبيل قُدماً ، فليس
بمبدأ أن يصبح في خلال بضعة أعوام كأغنى تاجر
في البلدة . ثم ألم تيسر له هذه التجارة حياة الدعة
والراحة كما كان يتشهى ويأمل ؟

غير أن جوح الخيال وزق الشهوة جملاه على
غير استقرار من أمره ، فعاوده هوى الغنى السريع
على مستوى جديد أعلى من مستواه الأول . وإذن
فتجارته هذه بمجالها المحدودة لا تئله وطراً ولا تئله
غاية . فإذا يصنع إذا ؟ قام في نفسه هذا السؤال
وأبى أن يتراجع ؛ وعندها أحس كأن شيئاً من
داخله يوسوس له ويهتف به : ما شرك يا يوسف
لو جربت حظك — كما يجرب الناس حظوظهم —
في القمار ؟ وأراد يوسف أن يطرد من صدره كل
ما يبعث على التردد فيما يوسوس له به ، فقال : لن أقامر
بمبالغ كبيرة ، يكفي ربح يوم واحد . هام أولاء أناس
أعرفهم لا يقتاون يقامرون ومع ذلك لم يفتقروا
ولم تخرب بيوتهم ، كما يقال عادة عن عواقب القمار .

لك البيت لتبيعه حينما تحتاج إلى ثمنه .. ألا يسرك هذا ؟ !

— أرجوك يا مريم ، أرجوك ! لا تفضحيني ! أقسم لك بشرفي وروح والدي أن يكون هذا آخر عهدى بالقار ! كفى ما جره علينا من دمار

وقام إليها يرضأها ويقبل جبينها حيناً ووجنتا الطفلين حيناً آخر . وما زال بها حتى فتر عزما على الذهاب ، فعدت إلى البيت وذهب هو إلى عمله ***

وعادت الأمور إلى مجاريها واسترد يوسف شيئاً من نشاطه بعد أن انقطع عن القار ، وكاد يلثم شتمه ويرأب بعض الصدوع في تجارة التي أوشكت على البوار ، وظل حاله في اتشام إلى أن هبط البلدة رجل غريب يحمل كتاباً في كيس من قماش ، ولم يطل المقام بهذا الرجل الغريب حتى شاع في البلدة أن لديه في كتابه مقاييس الكنوز التي خلفها الأوائل والتي لا تزال مطمورة في الخرائب والقبور القديمة المبتوثة حول البلدة . وبحكم العلة المستحكة والهوى المزمع كان صاحبنا يوسف أول المصدقين لما أذاع الرجل عن نفسه من القدرة على كشف الكنوز . وفي ذات مساء دار حديث بين يوسف وهذا الرجل كانت نهايته كالآتي :

— أتؤكد لي أنك قادر بكتاباتك وسحرك على الاهتمام إلى مواضع الكنوز وكشفها يا أبا ميسور ؟

— ثقي بهذا وثوقك بأن في وجهك عينين وفي يديك عشر أصابع

— ماذا لو شرعنا في البحث إذن ؟

— ولكن البحث يحتاج إلى أشياء يا صاح : يحتاج إلى البخور وغيره مما نستعين به على طرد الأرواح التي أقامها الأولون على هذه الكنوز لتضل

من اليسير على المقامرين الماهرين أن يخدعوه ويخبروا عليه النش في اللعب . وكانت زوجته تسأله عما صارت إليه تجارته ، ولم ترى البضائع تذهب ولا يوثي لها بموضع ؟ فكان يجيبها أجوبة فيها امتناص وصرف عن التناهي في السؤال . وأخيراً عولت على معرفة الحقيقة من طريق آخر . ولم يطل بها البحث حتى عرفت كل شيء

وعاد يوسف كمادة متأخراً إحدى الليالي فوجد زوجته ما زالت جالسة عند رأس ابنها ورأسها منكس إلى حجرها ، فهمس متكفلاً السرور والنبطة ، إلا أنها رفعت رأسها ولم يجبه بشيء ، وإنما كان على وجهها المتجهم وفي عينيها الحمرتين وآثار السمع على خديها ما صرفه إلى فراشة دون أن يتبس بينت شفة . فلقد شعر بأنها عرفت حقيقة حاله وما آل إليه أمره ، وخير له إذن أن يتجنب العاصفة وهي في إبان عصفها

وفي الصباح قامت زوجته إلى ابنها وأخذتها بيديها وسارت تبني الخروج . فناداها : إلى أين وما ذا تمنين ؟ فأجابت بجفاء : هذا لا يعنيك . إنني ماضية أقيم مع أهل بضعة أسابيع

— ولكن كيف لا يتينني غيابك ، ومن يقوم بشؤون البيت ؟ وهل تظنين أنني أقدر أن أخبز وأطبخ وأقوم بمهام التجارة ؟

فخدجته بنظرة لم يستطع أن يتلقاها بعينييه ، فكسر نظره وإن لم يشع عنها بوجهه ليوهما أنه مازال ناظراً إليها ولم ترعبه بنظرها ، وتقدمت خطوة نحوه وسألتها بلهجة لم يسمع منها مثلاً قط :

أقول مهام التجارة ؟ ! بسمتك تقولها ! وهل بقيت لك تجارة لتقوم بمهامها ؟ ! لقد طلبت الراحة إذ طلقت الفلاحة ، وسوف تراح راحة تامة حينما يأتي القار على البقية الباقية ... وهذا وأحب أن أترك

الذى ابتعناه بنصف جنيه ليس من الصنف الجيد الذى يجعل دخانه طرد الأرصاد واطهار الكنوز .

وعلى كل فقد يكون سبقنا إلى الكنز باحث فاستحوذ عليه دوننا ؛ فغير لنا إذن أن ننقل إلى مقارة أخرى ولم يفت صاحبنا يوسف ما ناجى أبو ميسور به نفسه ، لأن الثعب والريب سيصراه بشديد الإصغاء والسماع ، ولأن هذا — أبا ميسور — أراد ألا يصل صوته من الخفوت إلى درجة الخفاء

— صدقت يا أبا ميسور ! قد يكون سبقنا إلى الكنز باحث غيرنا ففاله دوننا

— قد يكون هذا وقد يكون أن البخور ليس من الجودة والنقاء بحيث يجذر الأرصاد فتنتل عن الكنز الدفين

— غدا نجدد البخور إن شاء الله — ولكن نصف الجنيه الذى دفعته إلى استنفذه فى مشتري هذا البخور الردى

— غدا يكون لديك غيره . لا يهمك أمر الدرام . كلما احتجت إلى مبلغ فأنا أدفعه إليك وهكذا سار الحال على هذا النوال بضعة أسابيع ويوسف دائم على الحفر فى ظلام الليل ودفع المبلغ بعد المبلغ إلى صاحبه ليشتري البخور وخلافه من المواد التى كان يُفرب فى تسميتها دون أن يكون لها وجود ألبتة ، لكن يشده يوسف بملء وقوفه على أخفى الأسرار التى تملق بالبحث عن الكنوز ، وحتى لا يوثسه من أمل النجاح قبل أن يكون استصغى البقية الباقية فى دكانه

وكانت يوسف وصاحبه يحفران كل مقارة وينبشان كل قبر فى البحث عن الكنوز . وكانت تقع لها فى أثناء البحث وقائع ومفاجآت عديدة ، كأن يقضى البحث والحفر إلى مقارة مطموزة فينتشئ الأمل الداهب ، وأن ينتهيا إلى نقرة

الباحثين أو تنولهم أو تخفى الكنز كلما أوشك أن ينكشف

— هذا على يا أبا ميسور ، وليس عليك منه شيء . هكذا اتفقا . وفى الصباح فقد يوسف صاحبه نصف جنيه يشتري به بخورا وغيره مما سيحتاج إليه فى طرد الأرصاد وترضى الجن وشرعا فى البحث متسترين خشية الاقتضاح والوقوع تحت طائلة العقاب

اختار صاحبنا أبو ميسور مقارة من المناور النائية عن البلدة لأن كتابه — كما زعم — دله على وجود كنز من الكنوز فيها . وشرع ينظر فى سقفها وجوانبها مليا ويقرأ فى كتابه ، ثم أخذ يقيس أبعادها ويرسم خطوطا متقاطعة فيها إلى أن انتهى إلى نقطة معينة رسم حولها دائرة ، ثم أوقد النار وألقى عليها البخور ، ثم تتر عليه مادة أخرى لم يدر صاحبنا يوسف ما هى . ولما سأله عنها أجابه : هى خليط من مواد عديدة يؤتى بها خاصة من الهند والصين ؛ ومن هنا كانت كثيرة التكاليف عزيزة إلا على من يبدل فى إعدادها المال الوفير

وأشار أبو ميسور إلى الدائرة التى رسمها فى قاع المقارة وقال ليوסף : أحفر هنا . وأخذ يوسف الممول وشرع يحفر بقوة وحماسة شديدين . وفى خلال ثلاث ساعات فتح حفرة تكاد تقيب الرجل وهو منتصب . وأشبه يوسف إلى عمق الحفرة التى حفر وإلى يديه اللتين تحملا^(١) من شدة العمل ، فاستولى عليه الريب وشعور الخلية فأحس بالثعب الشديد والكلال المفرط . ولما عاود الحفر عاوده يبطء وضعف ظاهرين . ولاحظ أبو ميسور ذلك وأدرك علته ، فقال كأنه يحدث نفسه : يحيل إلى أن هذا البخور

— إلى البلدة ! إلى البلدة ! إلى البلدة وإلى البخور من أجود الأصناف ! لا تسر على الأرض بل طر طيراً في الهواء . هيا ! هيا ! وإلا طار الكنز وطرت أنا معه !!!

وشمر يوسف أذنيه وانطلق يمدو في ناحية البلدة بسرعة المجنون
ولا حاجة إلى القول بأن يوسف عاد بعد ساعة يحمل البخور فلم يجد أبا ميسور . ونظر في قاع الحفرة فرأى مكان الأبريق حفرة خالية ، فصاح صيحة خرجت معها البقية الباقية من عقله : وشرع يلطم وجهه ويلطم صدره وهو في خلال ذلك يصيح
أخذهما الأرصاد ! ! أخذهما الأرصاد ! !

واثنى يمدو راجعاً إلى البلدة ولازمة جنونه :
أخذهما الأرصاد ! أخذهما الأرصاد ! وسار في سوق البلدة يلطم وجهه ويكرر الصراخ : أخذهما الأرصاد ! أخذهما الأرصاد . وحف به الصبية من كل جانب وأسسك كل بحجرين وشرع يقرعهما بعضهما ببعض ويصيح : أخذهما الأرصاد ! أخذهما الأرصاد ! وظلوا وراءه يقرعون الحجارة ويردون على لازمته بمثلهما إلى أن أبلغوه منزله على هذه الحال من المته والخبال

أما مزيم زوجته النعمة فلم تقتلها الصدمة وإن كادت تصرعها ، فلقد خفف وقمها بعض الشيء أنها كانت تقدر زوجها شيئاً قريباً من هذا منذ رآه ينصرف هذا الانصراف الجنوني إلى البحث عن الكنوز ، وفشت فشلاً تاماً في صرفه عن هذا الاتجاه الجديد الذي وضعه في جو من الخفاء والاعتقاد يسهلان ضمضة الحس واختيال الفكر
لقد كانت مريم بطفلين وزوج يولهم ، أما الآن فقد أضحت بثلاثة أطفال عليها أن ترى هي كيف تعولهم ... !!
أدب عباسي

في صخر رأس أو جرة مهشمة فيضرب أبو ميسور كفاً على كف ويشرع يندب سوء الحظ الذي جعلهما يجهلان متأخرين في البحث حتى يكون الكنز الخبوء نصيب غيرهما ممن سبقوها إلى التنقيب ، أو كأن بطير خفاش أو بومة فيطير له قلب يوسف الذي غدا يعتقد اعتقاداً جنونياً بالأرصاد وصار يرى في كل ما يدب أو يطير في هذه الغاور رسداً بصورته الحقيقية أو التخفية ، كما لم يفتأ يوحى إليه أبو ميسور

وتشاه المصادفة أن يحفرا بعد يأس في مغارة صراً بها أولاً ، ولكن أبا ميسور أهملها لأنه لم ير فيها دليلاً على وجود كنز من الكنوز فيها ، فيكشف الحفر فجأة عن إريق من البرز بغطاء محكم . ويرفع يوسف الغطاء بحركة عصبية لا وحي فيها . ولما بدا له ما كان بداخله صاح صيحة صرعية هرع لها أبو ميسور من ركن المغارة حيث كان يحرق البخور ويمزم ؟ ونظر إلى أسفل ، وعندها صاح : مكانك ! إياك أن تمسه ! الرصد ! الرصد بدأ يتحرك ! آه لقد أخذ يضايقي البخور ! نحتاج إلى البخور . وإلا غاب الكنز وهلكنا ! السرعة ! السرعة إلى البلدة وإلى البخور ! الباقي يوشك أن يتفد !
الأرصاد بدأت تضيق على ، الأرصاد !

وخرج يوسف من الحفرة مغفور الفم مضعضع الأعصاب زائغ العينين راعش اليدين ، ونظر إلى أبي ميسور وهو عند باب الحفرة يحرق البخور ويقرأ ويمزم نظرة فيها توسل الرجاء ، وبريق الأمل ، وفيها بلاهة الدهشة ورعشة الخوف . لقد تحقق أمل العمر أو كاد ، وحوست السعادة فوق رأسه . ولكن الرصد ! الرصد يوشك أن يطيرها !

— ألا تزال واقفاً ؟ ألا تتحرك يا خشبة ؟ !

— نشدتك الله يا أبا ميسور ما ذا أصنع ؟ !

بكلمة باردة تتجمد منها كلمات قلبي على شفتي
 وكان سميت يأتي إلى مسكننا كل يوم فلا أشعر
 بنفور منه لما كان يبدو عليه من حسن الثبقة
 والسذاجة، ولا اشتراكه في بحث مسألة راحلنا بكل
 إخلاص، في حين أن زيارته المتكررة كانت سبباً
 لا حل من اضطراب على بيتنا؛ وبالرغم من أن زيارتي
 له كانت قد أبتت في شكوكا مستغربة. وكنت
 حدثته عن الرسائل التي حملها إلى بريجيت فالاحت
 عليه دلائل الاستنكار، بل رأيته يبدى من الحزن
 بقدر ما أشعر به، فأعلن لي أنه كان يجهل ما في هذه
 الرسائل وأنه لا يقر لمحتجها؛ ولو أنه عرف بما فيها لما
 كان يحملها. وما كان لي أن أذهب إلى الاعتقاد بوجود
 سر ما بين سميت وبريجيت في حين أنها كانت تعامله
 معاملة لا تتجاوز حدود الجمالة، ولهذا كنت أقابله
 بسرور بالرغم من وقوف كل منا تجاه الآخر موقف
 المحاذر المتكلف. وكان قدر رضى بأن نهد إليه بمقابلة
 انسياء بريجيت بعد سفرنا والعمل على نقادى مقاطعتهم
 لها، وكانت لسميت حرمة في البلدة، لذلك توقعت أن
 يكون لتوسطه خير نتيجة، واعترفت له بهذا الجليل؛
 وكان كل شيء في خلق هذا الشاب يدل على نبلة إذ
 لم يكن يدخر وسعاً لإعادة السرور إلينا عند اجتماعنا
 به فتنأكد أن ما يطمح إليه هو أن تسود السعادة
 بين بريجيت وبينى، وما سمعنا مرة يورد ذكر علاقتي
 بها إلا وهو يبدى عقيدة الرجل الذي يرى في الحب
 أقدس رابطة تضم شخصين أمام الله. وهكذا كان
 سميت في تقديرى صديقاً مخلصاً أوليه ملء تقى.
 غير أن الأحزان التي كان يقابلها فتبدو عليه بالرغم
 منه كانت تثير في أفكاره غريبة فاستعيد ذكرى
 السموع التي رأيت هذا الشاب يذرفها وأتمثل وقوعه

من أعماق النفوس



اعترافاً في العصور

لألفريد رويس

بقلم الأستاذ فليكس فانس

الجزء الخامس

الفصل الثالث

وتحسن صحة بريجيت وكانت أعلنت لي أنها
 مستعدة للرحيل في حال شفائها فلم أطاوعها بل رأيت
 أن ننتظر خمسة عشر يوماً أيضاً ريثما تستعيد قواها
 لتحمل مشاق السفر

وبقيت ممتعة بصمتها الحزين فلم أستطع اقتيادها
 إلى مصارحتي بما تضرر، وقالت إن سبب انقباضها
 هو الرسالة التي وردت إليها، ملححة على بالاً أطلب
 منها إيضاحاً في هذا الصدد فاضطرت إلى
 مجاراتها، فنقل علينا الأفراد حتى لم يعد يستقر بنا
 مقام كل مساء إلا في المسارح والملاهي فنكتفي
 بالقعود جنباً إلى جنب، فإذا أشجاناً نتم أو شاقنا
 بيان شدة يداً بيد، أو تبادلنا نظرات التفاهم والولاء؛
 غير أننا كنا نحفظ بالصمت أيان توجهنا

وكنت آنحزب عشرين مرة في النهار لأرتعي عند
 أقدامها متوسلاً إليها أن تعيد لي سعادتي أو تقضى
 على فبردى ما يبدو على وجهها من شجوب عند ما
 تحس بما أنوى، إذ كانت تقف وتولي أو ترسل لي

يحدوني إلى الاستفهام من بريجيت عن تفاصيل حياته ، وما كان لديها سوى ماذكرته فيها تقدم ، لأن حياة هذا الشاب كانت عبارة عن فقر واستقامة وخول ذكر ، وما تستدعي مثل هذه الحياة أكثر من كلمات وجيزة لسردها ؛ غير أنني كنت أستمع لإيراد حوادثه وأنا لا أدري سبباً لاهتمامي بها

وحللت تفكيري فأدركت أن في قرارة نفسي ألكاً خفياً كنت أنكره على ذاتي . ولو أن هذا الشاب جاء إلينا في أيام سعادتنا فحمل إلى بريجيت رسالة ثم تجنب الالتقاء بي في المسرح ثم ذرف دموعاً لا أدري سببها فهل كنت أفهم عند مثل هذه الحوادث وأنا ممتع بمصادق ؟ ولكن الأمر قد وقع في زمن كنت أسطدم فيه بأحزان بريجيت وأشعر أن معاملي الماضية لها قد ولت فيها هذه الأحزان ؛ ولو أنني عاملتها طوال الستة أشهر الماضية المعاملة الحسنة لما كنت أجهد من سبب لتكدير صفو حياتنا . وقد كان سميت ، بالرغم من كونه رجلاً عادياً ، متصفاً بالأخلاق الرضية ، ولا تخفى صفاته الطيبة عن الناظر إليه فلا يجذبني من الوثوق به ، ولذلك كنت مضطراً إلى أن أقول في نفسي : لو أن سميت كان هو عاشق بريجيت لما كانت تردد في الرحيل معه راضية مسرورة كنت أرجأت سفرنا بملء اختياري فأصبحت الآن نادماً على ذلك . وما كانت بريجيت تفعل عن تكديري بالسفر فتقول لي : ما الذي يمنعنا عن الرحيل بعد أن شفيت من دائي ؟

وفي الواقع ما كنت أدري سبباً لتأخري . ولكن وقفت مستنداً إلى اللوقد ، أنظر نارة إلى سميت وطوراً إلى خليلتي فأرى كلاهما شاحب الوجه سامناً فأعاز في تعليل هذه الحالة ؛ غير أنني كنت

مريضاً في الزمن نفسه الذي مرضت بريجيت فيه فأحس من كل هذا بوجود تفاهم حزين يسود بينهما وبينه ، فلا أملك نفسي من التألم والاضطراب

لقد كانت أقل رغبة تدفع في من قبل شهر إلى الاندفاع مع غيرتي اندفاعاً جنونياً ، فأصبحت لا أجهد أمراً يدفعني إلى الارتياح ببريجيت فأقول مالي وللسر الذي تخفيه إذا كان هنالك سر مادامت مصمة على الرحيل معي ؟ وهب أن بينها وبين سميت أمراً تخفيه عني فهل في ذلك ما يستوجب اللوم وليس بينهما سوى مودة واشتراك في أحزان ؟ لقد عرفته طفلاً وهي تراه الآن بعد مرور السنين في زمن تستمد فيه لبارحة فرنسا ليتقدم إليها كآلة في يد القدر ليبلغها ما يكدرها في موقفها الحرج ، فلا غرابة إذن أن يسود عليها مثل هذا الحزن من تذكر الماضي . وهل من موجب للوم إذا هو واجهها بنظرات الأسف الحزين إذ يراها مقدمة على سفر طويل معرضة لحياة مضطربة ، وقد أصبحت مضطربة بكاد ينكرها أهلها وأصحابها ؟

وعند ما كانت تمر هذه الخواطر بيالي كنت أرى أن عليّ أنا أن أقف بين بريجيت وبين سميت لأدخل إلى نفسيهما الاطمئنان مؤكداً أن لها يدي . ستكون خير عهد لها إذا شئت أن تستند إليها ومؤكداً له أنني ممثلاً لها بيدي نحوها من عطف ، ولما سيؤديه من خدمة . كنت أراي مدفوعاً إلى هذا دون أن أجسر على القيام به إذ كنت أشعر بصقيع في دمي فأبق دون حراك على مقعدي

وعند ما كان سميت ينصرف إلى مسكنه في المساء كنا نبقى صامتين أنا وبريجيت أو يدور حديثنا عليه وما كنت أدري حقيقة الدافع الغريب الذي كان

أشعر بأن ليس هنالك سرّان بل سرٌّ واحد مشترك،
 فما تستقر الرية متى كما كانت تستقر من قبل في غيرة
 مريضته بل في أعماق غريزتي كأنها أرض واقع
 لا يقاوم . وفي غرائز الانسان أمور جد مستغربة ،
 ومن أغربها أنني كنت أجد شيئاً من اللذة حين
 أترك بريجيت وسميث يتحدان قرب الموقد لأذهب
 تأنها على الأرضفة وأستند إلى الأعمدة للمادة للنهر
 مسرحاً أبصارى على مركض المياه كما يقف من
 لا عمل له متلهياً بالنظر إلى المارة في الشوارع
 وعند ما كان يدور الحديث بينهما عن الأيام
 التي قضياها في بلديهما محتوجه إليه بريجيت الخطاب
 بلهجة الأم مذكرة إياه الأيام التي قضياها سوية
 كنت أحسبني مثالاً ، ولكنني كنت في الوقت نفسه
 أشعر بشيء من السرور فاستنطقهما عن تلك الأيام
 وأحدث سميث عن أمه ، وعن أعماله ، وعن أمانيه
 في المستقبل فافتح له مجالاً لا يظهر حقيقة شخصيته
 على خير ما تظهر به فأتزع من تواضع صورة فضائله ؛
 وكنت أقول له إنك شديد التعلق بأختك (فاي) ، متى
 تنوى تزويجها ؟ فكان يقول والاحرار يملو وجهه
 إن إنشاء الأسرة يكلف كثيراً ، ولعله يتمكن من
 تحقيق هذه الأمنية بعد سنتين أو أقل من هذه
 المدة إذا سمحت حالته الصحية بالقيام ببعض أشغال
 إضافية تنليه كمكافأة فوق راتبه ؛ ثم يقول إن في البلدة
 عائلة لها كفافها من العيش اتفقت مع أسرته لتزويج
 أخته من ابنها البكر ، وإنه تخلى لأخته عن حصته
 في إرث أبيه ، وسوف لا يعدل عن ذلك وإن
 أصرت أمه على الرفض ؛ ثم يضيف إلى ذلك قوله : إن
 للشباب ساعدين يؤمنان حياته ، أما الفتاة فحياتها متوقفة
 على زواجها . وكان سميث يعرض أمامنا مشاهد

حياته وخفايا نفسه وأنا أنفوس في ملامح بريجيت
 لأقرأ تأثير هذه المشاهد عليها
 وكنت أشيع سميث إلى الباب عند انصرافه
 ثم أقف مستغرقاً في التفكير إلى أن ينقطع صوت وقع
 أقدامه فأعود إلى الغرفة لأنظر إلى بريجيت وهي
 تنهياً تلغ ثيابها فأقف متمتماً بجسمها الرائع وبما فيه
 من جمال امتلكت كنوزه فأراها تسرح شعرها
 الطويل وتمتد فوقه عصابة ثم تترك رداها ينزلق
 عن جسمها إلى الأرض لتطفر نحو سريرها كأنها
 إلهة الجمال تندفع إلى البحر للاستحمام في مياهه .
 وكنت أنا من جهتي أنظر على سريري دون أن
 يخضر لي يبال إمكان استسلامي إلى سميث ، فأكنت
 أقصد التبرص لها للوقوف على جلية الأمر بل كنت
 أتمنى وأقول في نفسي إنها لجد جميلة ، وما سميث
 المسكين إلا شاب طيب القلب ؛ ولكل منهما أحزانه
 كما أن لي أحزاني . وهكذا كنت أشعر بإقباض
 قلبي وأحس في الوقت نفسه أن حلاً قليلاً سقط عنه
 وفتحنا صناديق السفر فانفجح لنا أننا نسينا
 بعض الحوائج فعدنا إلى سميث بمشتراتها ، وما كان
 هذا الشاب ليتردد في القيام بكل ما تكلفه به .
 وعدت يوماً إلى البيت فرأيت جاثياً على الأرض
 منهمكا في إقبال صندوق كبير ، وكانت بريجيت أمام
 البيانو الذي كنا استأجرناه لمدة إقامتنا في باريس
 وهي تعزف عليه أنثاماً عزيزة على فوقفت في مشي
 الغرفة وكان الباب مفتوحاً انتصبت إلى هذه المنهات
 وهي تنفذ إلى أقصى مشاعري ، وما سمعتها من قبل
 تتيرها بمثل هذا الشجي وهذا الخشوع . وكان
 سميث يثلث بالإنشاء إليها وهو على ركبتيه يشد حابل
 الصندوق . ثم وقف وقد أكمل عمله وبقيت بريجيت

عما إذا كانت تود أن نذهب إلى هذه القرية . وما انتظرت جوابها فأخذت قلما ووجهته نحو الرسم ؛ وإذ سألتني بريجيت عما أريد أن أفعل ، قلت لها إنني سأحاول بتعديل بعض الخطوط على وجه الفتاة المائلة في الرسم أن أجعله شبيها بوجهك ؛ ولعلني أوفق أيضا لوضع بعض الشبه من وجهي على وجه الجبلي الجسود وأعجبها هذه الفكرة فأربتها تأخذ محفظة قلمها على الوجهين فبدأت أنا برسم بريجيت مكان وجه الفتاة ، وحاولت هي أن ترسم وجهي مكان وجه الفتى ، ووقفنا كلانا إلى ما قصدنا فإذا بي وبها على مدخل القرية في سويسرا . وبعد أن ضحكنا أمام هذا المشهد بقيت المجموعة مفتوحة ، وإذا بالخادم يدعو لأمر ما ففرجت . ولما عدت إلى الغرفة رأيت سميت مستندة إلى الخوان وهو مستغرق في التأمل حتى أنه لم ينتبه لدخولي . وجلست قرب الموقد حتى إذا رفعت صوتي وخاطبت بريجيت اتبته سميت لوجودي فرفع رأسه وتفرس فينا لحظة ثم استأذنا بالإصراف فجاء . وبينما هو يتجه من المشي إلى الباب رأيت يصنع جبينه راحته فنهضت عن مقعدي وهرعت إلى غرفتي وقد انطبعت في عيني هذه الحركة التي تنم عن الألم وأنا أسأل نفسي ماذا عسى أن يكون هذا ؟ . وضممت راحتي بحركة الاسترخاء دون أن أدري إلى من أوجه بها ، إلى ملك سعادتي أم إلى شيطان يؤمسي ؟

الفصل الرابع

وكان قلبي يهيب بي إلى الرحيل فأرجى السفر من يوم إلى يوم إذ كنت أشعر في كل مساء بلذة صريرة تسمرني في مكاني . وكنت في كل مرة أتوقع فيها زيارة سميت يملكني اضطراب لا يبدأ حتى

مقلية أناملها على معزف البيانو وقد شخصت أبصارها إلى الآفاق . ورأيت للمرة الثانية الدموع تنحدر من عيني الشاب فكادت عيناها تذرفان مثلها ، فتقدمت نحوه دون أن أدري ما أفعل ومددت يدي لأصاغه ، فارتشت بريجيت وظهرت دلائل الدهش على وجهها وقالت لي : أكنت هنا أنت ؟ فقلت : إنني كنت هنا . أنشدني يا عزيزي وأسميني صوتك أيضا . فماودت الإنشاد دون أن تجبني بكلمة ، ورأيت مايفعل إنشادها بي وبسميت تخفت نبرات صوتها تدريجيا حتى حسبت نغمت الشعراء همسا يتردد في الآفاق من بعيد . ونهضت فألقت قبلة على وجنتي ، وكان سميت لم يزل قابضا على يدي فشمرت أنه يشد عليها بحركة مرتمشة وقد علت وجهه صفرة الموت

وحملت إلى البيت مرة أخرى مجموعة مناظر عن بلاد سويسرا جلسنا نحن الثلاثة قلب صفحاتها فاستوقف انتباه بريجيت أحد المناظر في مقاطعة « القود » على مقربة من طريق « بريك » حيث يمتد واد ظليل تحف به أشجار التفاح وترتوي المواشي في مروجها ، ووراء هذا المنظر كانت تلوح قرية لا يتجاوز عدد مساكنها العشرة ، وهي مبنية بشكل مدرج على منحدر التلال ؛ وكان يظهر في مقدمة هذا المنظر رسم فتاة تلبس قبعة من القش وهي جالسة إلى جذع شجرة وأمامها خادم المزرعة يدلها بمصاه الممددة على الطريق التي قطعها من جهة الجبل حيث كانت تظهر مناظر جبال الألب تكملها ثلاثة تيجان من الثلج مرصمة بأشعة الشمس الناربة . وكان هذا المنظر على غاية من الجمال يلوح الوادي المنحضل فيه كأنه بحيرة من الأعشاب الندية . فسألت بريجيت

إنني أذكر حادثة وقعت لي على الجسر المسمى
رأيت فيها رجلاً يهلك غرقاً
كنا رطماً من الأحباب نتمتع على السباحة
فذهبنا تحت الجسر يبتعدا مركب فيه سباحان من
متخصصي الانقاذ، وتبعنا رطماً آخر حتى بلغ عدداً
الثلاثين . وأصاب أحد رفاقنا احتقاناً أوره الدوار
فاذا به يصرخ مستجداً وقد رفع يديه يلوح بهما على
سطح الماء ، وما عثم أن اخنق أثرها . فالتقينا بأنفسنا
في اليم ثم عدنا بلا جدوى ، وما أخرج الفريق إلا
بمد مرور ساعة إذ وجدت جثته عالقة تحت كومة
من الأخشاب

لن أنسى ما حيت ما شعرت به وأنا أغامر بنفسي
تحت أطباق المياه ، فإني كنت أرسل أبصاري في
اللجج القاعة تدور في بصخبها الخفق ، وأذهب غائماً
على قدر ما يطبق صدرى كبت أنفاسي ، ثم أطفو على
سطح الماء لأتبادل بعض كلمات مع رفاقي الناطقين
مثلي ، ثم أعود إلى الأعماق لاصطياد الإنسان الغريق
وملء قلبي الأمل والارتياح . وما كنت أتمثل يدي
الغريق تقبضان على برعشة الموت حتى أشعر بلذة
يعازجها هلع لا أستطيع التغلب عليه . وطفوت
راجعاً إلى ظهر المركب وقد أهكى الثعب

إن من نتائج الفحصاء إذا هي أبقى في الإنسان
على شيء من إنسانيته أن تدفع به إلى هوس الاستطلاع .
وقد تكلمت عما انتابني من هذا الهوس في زيارتي
الأولى لديجنته ، وسأذهب الآن في وصف الفضول إلى
أبعد ما وصلت إليه

أسمع قرع جرس الباب منذراً بوصوله . فإني
بأثر هذه العاطفة المضرة فينا يستهويها الألم
ويشد بها الشقاء ؟

وكنت كل يوم أترش لكلمة أحدها أو لبارق
لحظ أبغته ثم تردني هذه الكلمة نفسها وهذه البارقة
عينا في اليوم الثاني إلى الحيرة والارتياح بريتني .
وما أدري لماذا كنت أرى بريجت وسميث غارقين
في بحر من الأحزان كما لا أعلم لماذا كنت أشخص
متأملاً فيهما وأنا لا أبدي ولا أعيد في حين أنني
ما كنت أملك ثورة نفسي في مثل هذا الموقف .
لقد كنت أحس بشيء من الخيال وفي من الغيرة
العنيفة في الحب ما يشبه غيرة الشرق في لخب غرامه
وكنت أمضي أبني في الانتظار دون أن أعرف
ما أنتظر . حتى إذا أمسيت قدمت على سري قائلاً :
لا فكرن في هذا الأمر ؛ فأسند رأسي يدي ولا
ألبث حتى أصبح : لا إن هذا مستحيل . ثم أعود
إلى مثل هذا العمل في الليلة التالية

وكانت بريجت تبدي لي من التجنب أمام سميث
ما لا تبدي مثله ونحن منفردان ، حتى إنها ذات
ليلة كانت ذاهبة معي في مجادلة قاسية ، فما سمعت صوت
سميث في البهو حتى هزعت إليّ وقدت على ركبتي ؛
أما هو فكان يبدو في كل آن كأنه مستغرق في شيء
لا ينقطع عن مجالده ، فكانت حركاته معتدلة ولا يتكلم
إلا متهملاً ؛ غير أنه لم يكن يملك أحياناً من الإتيان
ببعض حركات تشد بمنغها عن حالته العادية

أفكان تمللي في موقعي ونفاد صبري نوعاً من
الفضول ؟ ولو جاني أحد وقال لي : مالك ولهذا
الأمور ؟ إنك حقاً لفضولي . فهل كان يمكنني أن
أفسر عاطفتي بنير التحرش والفضول ؟

أناملهم فيطرحون أردبتهم عنهم ويجلسون إلى مائدة ليكرروا - وهم يقهقهون ضحكا - آخر عبارة نطقوا بها أمام جملة من فضليات النساء

أفأكان بوسع هؤلاء الأغرار أن رفعوا يذل بعض دربهات الرداء المنسدل كالتقاب على مواضع المفة فما يكون تقديرهم للحياة وهم منها في موقف المثلثين وراء ستائر المسرح الداخلية؟ ومن كهؤلاء

الناس يذهب إلى قرارة الأشياء وقد تمود سبرها محترقاً جاحداً؟ أفأسمعتهم ولا بيان لهم إلا التماير الجافية التهتكة القذرة فهم لا يرون الافصاح عن الحقيقة إلا بها، وما سائر التماير في عرفهم إلا سخافات وتعبه، فإذا هم قصوا عليك واقعة أكتفوا بالبيان عن احساسهم منها فلا يخرج من شفاههم إلا سفيه الكلام؛ فمبتدأ تقتض على الروح فيها يقولون وما يتلفظون إلا بالحرف الميت. فإذا أراد أحدهم أن يقول: لقد أحببتى هذه المرأة، قال: لقد تمتت بوصال هذه المرأة. فهو لا يقول: أحب، بل يقول: أبشيتى. وبدلاً من قوله إن شاء الله يقول: إن شئت أنا

ويعلم الله ما يدور في خلد هؤلاء الناس وبماذا يناجون أنفسهم.

ومن كانت هذه حاله فلا بدع إذا هو استغرق في الكسل أو اندفع بمحاسة الفضول إلى هناك الأستار، لأنه بينما يتمرن على تمثيل الأمور على أسوأ حالاتها لا يروق له أن يرى في العالم من يحسن به ظنا، فيعمد إلى سد أذنيه في تكاسله. وهكذا يدع الأب بأنه حراً في ارتياد الأماكن التي تحمله قائلًا: للشبسية أن نجيا حياتها؛ غير أن الابن لا يتألك نفسه

بهذا الإختبار. وبعض الناس يتراجعون خوفاً أمام العظم المرتنى والبعض الآخر يتألم الارتياح فيرتشون كالأشباح لا يتقدمون ولا يتأخرون.

وهناك أناس يعدمهم هذا المبهذ فيموتون ولعلمهم أفضل الأحياء. وغير الخلت على أكثر الناس فيتألمون سيرهم ملقنين بالنسيان، والأجيال تتابع على هذا السبيل نحو الفناء

وقد قضى على بعض الأشقياء في مثل هذا الموقف ألا ينكسوا على أعقابهم ولا يترددوا فلام ينسون ولا يموتون، فإذا ما قدر عليهم أن يصلطوا بكارثة، وما الكوارث إلا كاشفة الحقائق للبصائر، فإنهم يقتحمونها ويدنون أذرعهم نحوها فهم كالغنائص تحت أطباق اليم يستغرم نوع من التوكل بالفرق وقد كبح وجهه في قبضة الموت فيتلهسون موضعه حتى إذا قبضوا عليه ضموه إلى صدرهم وتجرأوا عن منبض حياته

هؤلاء المثلون بجمرة الفضول الطامعون إلى معرفة ما وراء كل مظهر، يقضون عمرهم في الإرتياب ومحاولة بلوغ اليقين فيقفون جهودهم على استكشاف ما في الحياة كأن الله قد بثهم عليها عيوناً وأرصاداً فيرسلون أفكارهم مشحونة بالسهام وتقطع أحشاهم نهشة الفهد الكاسر

ليس كالفساق من يستولى عليهم مثل هذا الهوس لأنهم يقفون أمام نهر الحياة فلا يكتفون بالنظر إلى الماء يجري صافياً في مرآته بل يندفعون أبداً إلى سبر أعماقه ومراسيه. فهم إذا ما خرجوا من مرقص هرعوا إلى المواخير ولما تزلأ كفههم ندية من مصافحة يد عذراء قد تكون ارتعشت بين

تسير إلى المجرز وهي تقضم الأعشاب مطمئنة على طريق مذابحها، أفليس من يحسن الفن ويمجيا مطمئناً خير ممن يصدم الحياة بما يدعوه نباهة وحزماً وهو يفنئ تفكيره بمبادئ «لاروشفوكول» ؟
وهل من واقعة يمكنني أن أوردتها مثلاً أشد

إثباتاً لما أوردت من الحادثة التي أقصها
لقد كانت خليقة مستعدة للرحيل ، ولا تنتظر إلا كلمة أقولها لتصدع بها وما كان حزنها خافياً على فلماذا بقيت ؟ وما ذا كان يسبق لوانا شدتنا الرحال ؟
لقد كان علي أن أقسم بخاوفي حتى إذا مررت ثلاثة أيام على رحيلنا نسينا كل ما وراءنا ، وهل كان لما أن تفكر في سوى وهي منفردة بي ؟
لساناً وقفت متهماً بسر لا يتهدد سمادتي ؟ إن بريحييت كانت مستسلمة لي فهل كان علي أن أذهب إلى ما وراء استسلامها ؟

كان لي أن أتي قبلة على شفاها فاضع بها جدياً لكل شقاء ، ولكنني تخيرت مسلماً آخر . وهذا ما فعلت :

كان سميت قد تناول المشاء معنا ذات ليلة فتركته مع بريحييت وانسجبت حالاً ؛ وعند ما أقفلت الباب سمعتها تنادى الخادمة طالبة إحضار الشاي

وعند ما دخلت الغرفة في اليوم التالي مررت صدفه أمام المائدة فرأيت عليها إبريق الشاي وقربه فنجان واحد ؛ وما كان أحد دخل قبلي لأفترض أن الخادمة أخذت أحد الفنجانيين ، فأرسلت نظاري في جوانب الغرفة فلم أجد للفنجان الآخر أثراً

فسألت بريحييت عما إذا كان سميت تأخر عندها ، فقالت إنه بقي حتى نصف الليل . فسألها عما إذا

عند عودته من التفرس في وجه أخته ، وقد اتصبت في غيبته الوقائع الحيوانية التي تصدمه في كل آن فيسأله عما إذا كانت أخته ليست من طينة المرأة التي كان في غرفتها ... ويدور القلق بالفتى فيرى أحشائه الارتباب

إن سوء الفن النافع إلى الاستكشاف إنما هو داء وبيل ينشأ من ملامسة الأجاس يدفع بالبتلين به إلى التجول كالأشباح بين المقابر عاطلين على هنك ما تستر لحودها . وما هذه الزعة إلا عذاب أليم يعاقب الله به من ارتعوا على مزالق الضلال ، فهم يتشوقون أبداً إلى التيقن من تداعي كل من حولهم إلى الانهيار . ولعل هذه الزعة تملأهم ارتياحاً ولكنهم مسوقون كرهاً إلى التحري والتجسس ومنازعة الوقائع أسرارها فيحنون الرأس على الروايا كالملامر يوجهها لتركيز ما يقيمه في خياله . فإذا ما عثروا على دليل يثبت الشر علت شفافهم بسمه الرضى ؛ وإذا ساورهم الشك في وجوده مالوا إلى افتراضه والابتيان ؛ وإذا صدمهم الخير تطلعو إلى ما وراه إن أية هؤلاء القوم قولهم من يدري ؟ تلك كلمة

البلبيس ألفاها في وجه السماء وقد أغلقت دونه بابها . ولكم أشقت هذه الكلمة من بنى البشر على عمر الأجيال ، ولكم جرت من الوبلات وأدت إلى مجادر ، ولكم ذهب كالنجل يقطع أعمار السنايل الخضراء قبل نضوج حبوبها . إن ألوف الأسر قد دفنت تحت أنقاض مساكنها منذ دوت هذه الكلمة بين جدرانها

من يدري . من يدري . يا لها من كلمة دنيئة ! وخير للناس من أن يتفوهوا بها أن يقتدوا بالأغنام

لخليتي كل ما طرقت أذني وما لاح لعيني ، وكنت
أبته من حين إلى آخر إلى الغرفة التي رتبنا فيها
حقائب السفر منذ شهر فافتحتها وأفحص ما وضعت
فيها يداها الناحلتان من حوائج وكتب وأنا أنصت
إلى فرقة بمحلات العربات في الشارع فيخفق لها
فؤادي .

وبسطت على الخوان خريطة أوروبا الشاهدة على
ما بنينا من أمان واستسلمت أمامها لأفجع تشاؤم .
ومن الغريب أنني لم أكن أشعر في آلامي بما يرم
عن غضب أو غيرة ، فقد كانت ريبتي تقف مترددة
لا تقتحم تعيين أمر تبني عليه شكاً جلياً . فيا للعقل
البشري من قوة تخلف من المظاهر ما يذب القلب
ويشقيه ! وما أشبه الدماغ بسجون ديوان التفتيش
في القرون الوسطى وقد علقت على جدرانها من
الآلات ما يحيرك فلا تدري أي الأعباء أطفال أم
مكاشم تعذيب

وهل لأحد أن يبين لي ما الفرق بين قولي
لخليتي : إن جميع النساء خائنات وبين قولي لها :
أنت خائنة ؟

وحررت في رأسي خواطر أشبه بأدق القياسات
البنية على السفطة ، فكنت أسمع إلى ما يدور من
جدل بين عقلي وضميري فأسمع الأول يقول :

— إذا فقدت بريجيت ماذا يكون ؟

فيقول الضمير : أنها سترحل منك

— وإذا كانت تخادعني ؟

— وهل لها أن تخدعك وهي من طلبت في

وصيتها أن يضي الناس من أجلك

— لعل "سميث" يحبها ؟

كانت نامت دون أن تدعو أحداً من الخدم فقالت :
لم أدع أحداً لأن السكل كانوا نياماً

فذهبت أنظاري في جوانب الغرفة مرة أخرى
تفتش على الفنجان . في أية مهزلة يرى على المسرح
غيوراً تذهب به حماقة إلى التفتيش عن فنجان ؟
وما كان قصد بريجيت وسميث من شربهما في فنجان
واحد يا تري ؟ ...

وما كانت هذه الفكرة على شيء من الواجهة
في غرابتها ، ومع ذلك بقيت أذرع الغرفة ذهاباً وإياباً
والفنجان في يدي حتى هزنتي بحكمة عصبية قهقته
بها طارحاً الفنجان إلى الأرض فانحطم وتطايرت
كسره بداداً ، وسميث أزيد هذه القطع تكسيراً
بضربات قدي

ونظرت بريجيت إلى وهي صامتة ، واستمرت
على معاملتي ببرودة تكاد تكون احتقاراً في اليومين
التاليين ، وهي ترداد ملاطفة لسميث حتى أنها بدأت
تدعوه باسمه « هنري » ولا تكف عن الابتسام له

وقالت ذات مساء بعد المشاء إنها تريد الخروج
لاستنشق الهواء وعرضت عليّ أن نذهب مشياً إلى
الأوبرا ، فرفضت مرافقتها وقلت : إذهبي مع سميث
وخلياني . فاستندت إلى ذراعه وتمشيا وبقيت
وحدي كل السهرة أحاول أن أدون ما بين خلطاري
فيتمرد البيان عليّ ، وألجأ إلى استعراض شجوكي
والتلذذ بها فأمن فيها كالماشق لا ينفرد بنفسه حتى
يخرج من حبيبه رمم محبوبته محمداً فيه مستغرقاً في
أحلام غرامه

وعلقت أبصاري على المقعدين حيث جلس سميث
وبريجيت كأنني أستنطقهما سرا يكتمان مستهيداً

— ذلك لضلالك في المسالك المظلمة وليس لمن
يسير في الظلمة أن ينكر النور ، فلماذا تحشر نفسك
في زمرة البهائم ؟

— لأنني أحاذر الدخول في زمرة المخدوعين
— لماذا تحيى لي بالبحر المسهر ؟ إن الأطفال ينامون
عند ما ينسدل ستار الظلام ، ولماذا أنت منفرد الآن ؟
— ذلك لأنني أفكر وتساورني المخاوف والشكوك
— ومتى تؤدي فريضة الصلاة ؟

— عند ما يعود إيعاني إلى . لماذا خدعتي الناس ؟
— ولماذا تخدع الناس أنت الآن أيها الجبان ؟
أفليس أولى بك أن تموت إذا كنت لا تحتمل الآلام ؟
هكذا كان يتجادل في صوتان هائلان يتناقضان
فأسمع صوتاً ثالثاً ينتحب بينهما قائلاً

— يا للطهارة المفقودة ويا لأيامي الماضيات !
« يتبع »
فليكس فارس

تاريخ الأدب العربي

لـمـؤـتـاـز أـمـمـد مـسـن الزبـات

الطبعة السادسة

في حوالى ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط

يعرض تاريخ الأدب العربي منذ نشأته إلى اليوم

في صورة قوية تحليلية رائعة

تمته عشرون قرشاً ويطلب من إدارة الرسالة

ومن لجنة التأليف ومن سائر المكاتب

— مالك ولهذا أيها المجنون وأنت الواصل من
أن محبوبها هو أنت لا سواك

— إذا كانت تحبني فما هو سبب حزنها ؟
— ذلك سرّها فاحترم هذا السر
— أتكون سعيدة ياترى إذا أنا اختطفتها ؟
— ان سعادتها متوقفة على حبك لها
— لماذا تضطرب عند ما ينظر نعيمث إليها
فتحول عن عينيه عينيها ؟

— ذلك لأنها امرأة ولأنه في شرح شبابه
— لماذا يملو وجهه الاصفرار عند ما تنظر هي
إليه ؟

— لأنه رجل ولأنها رائحة الجلال
— لماذا انطرح على صدري عند ما كنت في
زيارته ولماذا ضرب في أحد الأيام خبيثته براحته ؟
— لاتسل عما يجب أن يجمل

— ولماذا وجب على أن أجعل هذه الأمور ؟
— لأنك حقير ضئيف ولأن الله وحده علام
الغيوب

— ولكن لماذا أحس بهذه الآلام ولا أفكر
بهذه الأمور دون أن يسود الاضطراب أعماق
روحي ؟

— تذكر أباك واصنع الخير
— ولكن ما الذي يصدر عن هذا التذكار
وعن هذا البر ولماذا يجتذبي الشر إليه ؟

— انطرح جاثياً على ركبتك واعترف لأنك
إذا كنت أسأت الظن فقد ارتكبت سوءاً

— وما هو ذنبي إذا كنت أتيت الأثم ولماذا
تخلى الخير عني ؟

أوديسيوس يلتقي تليماك

لقد كانت هداة الفجر الساكنة الجميلة حينما
 هب يومايوس وضيغه من نومهما ليلبسا ثيابهما وبعدا
 فطورهما ، وليرسل الراعى عماله وراء قطعانه الناعمة
 في السهل الصامت الوديع ... وحينما أقبل تليماخوس
 أهرعت إليه الكلاب تلحس ثيابه وتلمق قدميه ،
 وتهتز من نشوة وطرب لأنها رائته بعد طول
 النياب ... وقد لحظ أوديسيوس ذلك فقال بتحدث
 إلى الراعى : « يومايوس ! هذا أحد معارفك أو
 الأوداء إليك مقبل ... لشدة ماعلقه الكلاب التي
 أوشكت من قبل أن تعقرني ! إنها لا تنبج ولا
 تكشر ، بل تقى في إثره ذليلة ! » . وما كاد يفرغ
 من حديثه حتى كان ولده واقفا أمامه في رجة
 القدار . وما كاذ يومايوس يلحعه ، حتى هب من
 مقامه مسبوها مرتبكا ، وحتى اقتذفت الأكؤس
 التي كان يمزج فيها الخمر من يديه ... بيد أنه
 ذهب إليه يقبله ويقبله ، ويبالغ في تقبيله ، كأب
 مشوق لقي ولده فجأة بعد بضعة سنين من مرارة
 البعد وألم الفراق ! ثم قال يكلمه : « أواه
 تليماخوس ؟ أهو أنت يا نور عيني ؟ أنت نفسك ؟
 أو قد عدت ؟ تالله ما كان يخظر بخلدك أنك عائد
 من سفرك بعد الذي دبروا لك ! هلم يا حيبي !
 تعال يا بني ! فلقد عادت إلى روحي من سفر سحيق
 برؤيتك ... تعال تليماخوس فما أنرماتورونا هنا طول
 اشتغالك بالمعابد النذ كيد !! » وقال تليماك بحبيبه :
 « أجل أيها الصديق ؛ غير أنني أتيت لأسألك
 عن أمي !! أما تزال مغلصة لذكرى أوديسيوس
 فأعده على عهده ، أم أنها هجرت مهاده لتلق في شرك



الأوديسيوس

لهيرميرس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

فصل من الفصول السابقة

« لم يبد أوديسيوس بد إلا وضعت حرب طروادة
 أوزارها لأنه ضل طريقه في البحر ولأن إله البحار
 نبتون كان آتد أعدائه وكان لهذا واقفا له بالمرصاد -
 وقد أبحر ولده تليماك ليسأل عنه الملوك الذين يحبه
 إلى طروادة - وكانت أمه آية في الجمال اليوناني الغد
 فلما تأخر وصول زوجها طبع في زواجها جميع أمراء
 إيثاكا وأمرأاء الجزر القريبة منها فغشوا إلى بيتها
 وحاصروها فيه ليضطروها إلى الزواج من واحد منهم
 ولكنها استمقتهم حتى تفرغ من نسج كانت تعمل
 فيه بالليل وتغتنه بالنهار ؛ وأبحر بعض عشاقها ليقنوا
 تليماك في طريقه إلى الوطن . وقد لقي أوديسيوس
 أهوالا جمة في أحسن مافي الأودية وقد مررت
 بالفارى في الفصول السابقة . ثم أوصله تلك الملك
 الفياشين - أمراء البحر - سالما إلى إيثاكا - وقد
 غيرت ميثرا ملاحه وأظهرته في شكل شجاع مجوز
 وأمرته أن يذهب ليلبت عند راعيه يومايوس وليظلل
 لديه يومين أو نحوهما حتى تنبج في تضود بابته تليماك
 سالما إلى الوطن - وفي الفصل التالي يلتقي الولد أباه
 ويصاوبان ... »

لا أستطيع أن أدفع عنها إصر هؤلاء الأنجاس
 الناكيد ، الذين طال لبثهم حولها ، وتوهم بسببها
 حتى لأخفى أن تضيق بهم فتختار مرعشة ،
 أفضلهم بعلا لها ، أو أكثرهم عطاء ، وأوسعهم
 ثراء ... بيد أنني أوثر أن أمنحه دثاراً وصدراً ،
 ونملين ، وسيفاً جرازاً ، ثم أرسله إلى أى أقاليم
 العالم شاء ، فى حمايتي ... وإن أحب ، فليبق هنا
 فى ضيافتك أنت ، وسأرسل إليه ما هو حسبه
 من طعام وشراب خشية أن يرهقك ، أو أن تضيق
 به ... أما أن يصحبني إلى القصر الذى تعلم من أمره
 ما تعلم ، فذاك ما لا أرضاه له ... فقد يفرقه أحد
 بكلمة فيجرحه ، وأجرح أنا بسببه ، وأنت لا يفتنى
 عليك أننى صغير لا أستطيع مهما أوتيت من
 الشجاعة أن أرد عادة هؤلاء الأوغاد ، وتولى
 أودسيوس الاجابة فقال : « أوه أيها الحبيب الطيب
 القلب ! لشد ما يمزق نياط قلبي لما سمعت من أمر
 هؤلاء المشاق الأشقياء الذين يستبيحون منزل
 فتي كريم مثلك ! ولكن قل لي ، إذا أدت أن
 أتكم فى هذا الشأن : هل عن رضى منك لصقوا
 بمنزلك فاريعون ؟ أم برغلك أيها العزيز ؟ أليس
 لك أخوة يسندونك ويشدون أزرك فتطردهم من
 بيتك ؟ أو أه لو عاد لي شبابي الآن أو أه ! وآه لو عاد
 الآن أودسيوس ! تالله لو أننى فى حالك هذه
 لكرت أن أمتشق سبني فى وجوههم فاما أن أظهر
 ببقى منهم ، وإما أن أخز قتيلا بينهم فلا تقع
 عيني على ما يصنعون ، ولا أرى إلى عيشهم وعيشهم
 بكل ما فى منزل أبي من خير ومسير السنين
 الطوال ! » فقال تلياك : « ليس سرأيها اللاجئ
 الكريم ما بيني وبين قوي ، وليس منهم من
 (٨)

من شركاء المناكب المهدقة بها ! » وأجابه
 الراعى فوصف له ما تلقاه الأم المحزونة من الضنى
 والحزن ، وما تذرف من الدموع فى جنح الليل
 لما يرميها به الحيدان ... ثم دخل تلياك بعد أن
 أخذ الراعى حرثه ، فنهض أودسيوس ليخيل لولده
 مقعده ، فأبى تلياك .. « لأن المكان فسيح ، ولأن
 يومايوس يستطيع أن يعد لنا مقعداً آخر ... فوالله
 لتجلسن أيها اللاجئ الكريم ! » . وهما الراعى
 لسبيده مقعداً من الحشائش النضة والحلفاء الرطبة
 جعل عليها فروة كبيرة تما عنده ؛ وجلس تلياك ..
 وأحضر يومايوس فطوره فى أطباق من أطباق أمس
 وشيئاً من الخبز والخمر ؛ ونشر الصحف على الخوان
 أمام مولاة ، وأخذ الثلاثة يلثمونها أكلة مريثة
 هائلة ... حتى إذا فرغوا ، توجه تلياك بالحديث
 إلى راعيه فقال : « ممن ضيفك يا أبتاه ؟ ومتى وصل
 إلى إيثاكا وكيف ؟ وأى اللاحين حملوه إلى
 شاطئنا ؟ » . قال الراعى : « والله يا بني ما أستطيع
 أن أخفى عنك ما قال ؛ فهو يدعي أنه من نسل
 الأمائل الأبحاد من أمراء كريت ، وأنه طوف فى
 الآفاق ، وسافر فى البلاد ورأى من المدن ما لا عين
 رأت ... وهو يقول إن فلاناً بشرويتا قد حمله إلى
 شاطئنا قبل أن نحمله رجلاً إلى كوخى هذا ...
 ولكن .. لم هذا ؟ ولم أتولى أنا الاجابة ؟ إنه أمامك
 وأنا أزع أمره لك ، فاصنع به ما تشاء ... إنه لا يذ
 بك ، قاصد بابك ، وأحسب أن له حاجة عندك ! »
 وبدا الألم فى عيا الشاب فأجاب : « تالله لقد آلمني
 حديثك أيها الأب يومايوس ! أنت تحمله لا تذا بي
 قاصداً بابي ، وأنت تعرف من حالى ما تعرف ، وتعلم
 أننى مُرْزَأٌ بهذه الظئمة ، مشغول بالوالدى التى

فعلها أوديسيوس فهب مسرعاً إلى رية الحكمة التي قالت له : « الآن ينبغي أن تكشف نفسك لولدك فتقفه على حقيقة الأمر ، ثم تذهب معه إلى المدينة وفي قبضتك الموت . الزوأم تجرعه صاباً ومجموماً للشماق . وسأكون دائماً معك ، وسأشرف على على المركبة بنفسى » ولسته بمصاها السحرية فارتد إلى صورته الحقيقية ، وعاد إليه عتفوانه وجماله ، وتلك البشرة البرزية التي تتلعت فوق جسمه دائماً ؟ واستطلت لحيته كذلك ، وعاد إلى الكوخ في حلتبه الضافية التي كانت عليه من قبل ... فلما رآه تلياك شده وقرق وقال له : « أيها التازح الغريب ماذا أصابك ؟ لقد تبدلت أيما تبدل ! خبرنى أرجوك وأتوسل إليك ، أنت إله كريم فتمقر لك القرابين ونذبح من أجلك الأضاحى ؟ » قال أوديسيوس : « ليفرخ روعك يا بنى فانا إله إن أنا إلا بشر ، وإن أنا إلا أبوك الذي ذهب تذرعه الدنيا من أجله والذي بشييه غصبت بكل هذه الآلام ، وصبرت للؤم هؤلاء الناس ! ثم ضم إليه ولده وطلق قبله ويذرف دموعه على خديه ! بيد أن تلياك لم يصدق وراح بدوره يقول : « أبى ؟ لن تكون مطلقاً أبى ! بل أنت إله تنزل من السماء ليعبث بي ، وليزيدنى شقوة وأشجاناً ! أي بشر يستطيع أن يصنع ما صنعت ، وكنت منذ لحظة مجوزاً محمودة بالظهر بمحمد الوجه غائر العينين ، تلوح في ضرائق وأسبال ، ثم تخرج هنيئة وتمود في هذا البدن الفينان وذلك المظهر الفتان الذي لا يكون إلا للالهة ؟ » فقال أبوه : « أي بنى أنا أوديسيوس ، ولن يرجع إليك أوديسيوس آخر سوى ! اطمئن يا ولدى فقد صنعت ميتراً ما رأيت بأبيك ، وما صنعتها أنا بنفسى

يضمركلى عداوة أو يطوى جوانحه لى على حقد ... أما الأخوة والأشقاء فليس فى أسرتنا من رزق هذه النعمة ، بل هذا دأب عائلتنا منذ القدم ؛ ذلك أرسسّياس لم ينبج غير لترتيس ، ولم ينبج لترتيس غير أوديسيوس ، وهذا لم ينبج غيرى ... أنا ... هذا المرأ الحزون الموجه القلب .. من أجل ذلك طمع هؤلاء الطامعون فينا وتكالبوا على بيتنا من كل فج ، فأقبلوا من ساموس ودلشيوم وزاكتتوس وأطراف إيثاكا ، ومن الجزر الكثيرة المنتشرة في هذا البحر ... كل رغب أن تكون أوى له من دون المالمين زوجة برغمها ، فهم مقيمون لا يرمون ، آكلين ناعمين ، يستنفدون غلة ما ترك أوديسيوس ، آتين على كل ما فى بيته وخزائنه ، ويوشكون أن يأتوا على أنا الآخر ! » ثم أمر بومايوس أن يذهب إلى القصر فيخبر أمه بمودته سالماً من بيلوس ؛ فذكره بومايوس بمجده الضعيف الشيخ الذى امتنع عن الأكل والشراب منذ أن رحل تلياك يسائل عن أبيه ... وذلك مما أضواء من المم ، واستأذنه أن يمر عليه فيخبره بمودة مولاه حتى يطمئن هو الآخر . ولكن تلياك أمره بأن يذهب من فورده إلى القصر فيخبر الملكة ، ولترسل هي إحدى وصيفاتها إلى جده فتخبره ... وانطلق بومايوس ... وكانت ميتراً تنتظر ذهابه لتبدو لأوديسيوس في صورة حسناء ذات وقار وحسن سمى ، وقد أخذت الكلاب بروعة مراقبتها فتكسبت في أحد أركان الحظيرة ، وراحت توفوق وتهر^(١) مما شاهدها من منظر ميتراً ، وقد لفت

(١) الوقوفة صوت الكلاب إذا غابت والهرير صوتها إذا أكرت شيئاً (العمالي)

كان فرطهم بالضرب والسباب ... ويسرى أن
 تحتمل وتصطر ، فإذا زادوا قاصرف عني أذام
 بكلمة طيبة حتى يحكم الله بيني وبينهم بأن يحين
 حينهم ... واحذر أن تجر أحداً بمعودي حتى ولا
 أبي ... بل على الأخص أمك بنلوب أو هذا الراعي
 يومايوس ... إذ ينبغي أن نستعين على أمرنا بالكتمان
 حتى نعرف أسدقائنا ونخبر أعدائنا ! » وطمأنه
 تلياك وأكده كل شيء ... ثم وصل يومايوس إلى
 بنلوب فأخبرها بمودة تلياك ، وذاع النبأ بين المشاق
 فذعروا ، لفشل مؤامرتهم ضده ، وانتشروا خارج
 القصر ، واعتزموا أن يمتثلوا نورا منهم بهذا النبأ
 إلى الطغمة التي ذهبت لترصد بالفق لتنتاله إذ هو
 عائد من يياوس ... ثم اجتمعوا بمكر السيثات
 ويدبرون قتل تلياك حين تتيح فرصة أخرى .
 وكان ميدون قريبا منهم فاسترق سمعهم وطار به إلى
 بنلوب التي هالها ما مكروا وما دبروا ، فذهبت في
 جميع وصيفاتها إلى رجة القصر ، حيث اجتمع
 أعداؤها إلى شياطينهم ، فصاحت بزعمهم
 أنطونيوس من وراء حجابها قائلة : « أنطونيوس
 تبت يدك يا ألام الناس ! أنت يا من يدعونك التي
 الصالح وأنت أسفل مما يظنون طوية وأخبت سريرة !
 كيف حدثتك نفسك بهذا التدبير السيء فترسم
 لأشرارك قتل ولدي الذي لم يد لي في الحياة رجاء
 غيره ؟ ألا لأنه ضعيف بنفسه ؟ ألا فاعلم أنه قوي بالله
 الذي ينتقم لمباه من الظالمين ! أيها اللئيم ، أبطل هذا
 تجزي جميل أودسيوس الذي حال مرة بين أيك
 وبين أعدائه معرضاً بنفسه للهلكة ولولاه لظفروا
 به ، ولولا أن قتل منهم من قتل وصرع من صرع
 لعجلت روحه إلى نيران هينز وبس القرار ؟ أفلم

إنه ربة ولها القدرة على كل شيء ، فني وسمها
 أنت تظهر من تشاء في صور شتى ، وليس هذا
 على أئتنا بعزيز » وأجس تلياك ما كان يشيع في
 كلمات أبيه من حرارة وإخلاص لا يصدران
 إلا عن قلب أب ، فانطلق يبادل والده عناقاً بناق ،
 ودمعاً بدمع ، وقبلات بقبلات ! ثم سأله كيف
 عاد إلى الوطن بعد كل تلك السنين الطوال ، فقص
 عليه قصته ثم قال له : « ولكن حدثني أنت
 عن أمر أولئك المشاق الأوغاد ما عدهم ، وهل
 نستطيع كلانا أن نقف لهم فنفقر بهم ؟ » فأجاب
 تلياك : « أبنا ! لقد سمعت اللئاء على شجاعتك
 وسعة حيلتك وجليل حكمتك في كل أخبار
 وكل تقع ... ثناء بلهج به فم الدنيا جميعاً ! بيد أنه
 ينبغي ألا نجازف بهذه المجازفة التي لا نعرف ماذا
 وراءها ... إذ ماذا يصنع اثنان بشرين ومائة من
 خيرة صناديد إيشاكا وما حولها ؟ الرأي أن نفكر
 في أنصار يشدون أزرنا ويكونون عوناً لنا » فقال
 أودسيوس وهو يتسم : « وما قولك يا بني في اثنين
 الله — جوف الملى — نالهما ، ومينرفا نصيرتهما
 على القوم الظالمين ؟ إذا كان هذان معنا ، أفنحتاج
 إلى عون آخر ؟ » فقال تلياك : « بلى ... تعالى
 جوف وجلت مينرفا ... إن لها لأبدية فوق أبدى
 الناس ، لأنهما يحكما من فوق عرشهما المرء
 فوق السحاب ، في الأرض والسماء على السواء . »
 وقال أبوه يزيد طمأنينة : « وسيكونان معنا في
 الحلبة حين يجدها ... فإذا كان الصباح فاذهب
 إلى القصر واخطلط بالمشاق . وسبقودني راعينا
 الأمن إلى هنالك ، متكرراً في صورة الشحاذ الفقير
 الذي رأيت ، فإذا فرطوا علي فلا تأس ، حتى ولو

ثم قال لراعيه : « أيها الأب الصديق ، إني متوجه إلى المدينة لألقى أبي ، فأكبر الظن أنها لن رقا لها دمع ولن تخفت لها آهة حتى تراني ... أما هذا اللاجيء ... فوأني أن ينطلق إلى المدينة فليسال الناس وليطرق الأبواب ، ولن يعدم إذا تكففهم أن ينال رزقه ويحصل على لقمتا يتبلغ بها ... إن لدى من المتاعب والشاق ما يشغلي عن كل جواب آفاق ... إضرب به إلى المدينة إذن ؛ فإذا آله هذا ، فهو حر ... إني رجل لا أعبأ أن أقول الحق ! »

فنهض أوديسيوس ليقول : « سيدي ! إني لم أبلغ أن أثبت هنا ، فليس لشحاذ فقير مثلي أن يلمس رزقه في الحقول والنيطان ؛ بل إني منطلق إلى المدينة ولست مقعداً أو ضعفاً فلا أقوى على عمل يؤجرني عليه أحد أمرائها ... تفضل أنت فاذهب لطيفك ، وسامض أنا مع خادمك حين تمتع الشمس قليلا ، فأنا كما ترى رجل شيخ ، وأخشى أن يقتلني برد الصباح وصقيعه ، وليس ما يحفظني منها إلا ما ترى من مرق مضى أسلها وبقي رقعها ! » ... وانطلق تلياك فيبلغ القصر ، ولقي أول من لقي مرصمه يوريكليا ، حيث كانت وأترابها ينشرون فراء على كراسي ومجالات مبشرة في الردهة ... فلما رآه عجلت إليه ورحبت به وسلمت عليه ، وانطلقت اللامع من عينها فانقد لسانها وانحبس منطلقها ، ثم اجتمعت الجوارى يقبلن تلياك ويحدقن به حتى لفتن نظر الأم المذبذبة المحزونة المطلعة من إحدى شرفات القصر ، فأهرعت من عل وأخذت في حضنها الحب الرحيم أعز الأبناء ، وأمطرت جبينه وخديه بالدموع والقبل ثم جلست تقول له : « أو قد عدت إلى الوطن يا نور عيني ! تلياك ! تالله لقد وقر في

يكفك ما تأكل : بغير حق من زاده ، وتعتب غير عابئ بمتاده ، فترسم لأشرارك غيلة ابنه ؟ » وانبرى يوريماخوس يهدئ من ثورتها ويطمئنها أن أحداً من العالين لا يستطيع أن ينال تلياك بأذى مادام هو حياً يدب على قدمين ... وكان يتكلم برغم ما كان ينطوي عليه قلبه ... لأنه كان من أكبر التآمرين على حياة ابنها العزيز الحبيب ... وبعد أن توارت أوردورا عاد الراعي إلى حظائره يدب على عكازه ، وكانت ميزقفا قد لست أوديسيوس بعصاها السحرية فقاد إلى صورة الفقير الشحاذ وعادت إليه مرزقه وأسباله ، فوجد سيده وضيغه الفقير يمدان عشاءهما . ولما لمح تلياك قال له : « ما وراءك يا يوماوس الصالح ؟ أعلت عن الطمنية التي استأنت في ساموس تتربص بي شيئاً ؟ » فأجابه الراعي : « تالله لا علم لي بشيء يا مولاي ، فأنا لم أنتظر طويلا في المدينة لأتسقط الأنباء ، لأنك أمرتني أن أرتد على عجل ، بيد أنني لحت مركبا يطوي البحر إذ أنا عائد ، ويدخل الرفأ ، وفيه من العدة والمدد ما يبهز النظر ويخطف البصر ، وأحسب أنهم هم الأمراء الذين تمنى ، غير أنني لا أجزم بهذا . »

ونظر تلياك إلى والده مبتسما ، عاذراً أن ينتبه الراعي إلى شيء

أوديسيوس في قصره

ونضرت أوردورا جبين الشرق بالورد ، وخضبت بالشفق ، فهب تليماخوس من نومه الهاني الهادي الموشى بالأحلام ، فلبس واتمل ، واخترط جرازه

قلبي أنني لن أراك بعد إذا أبحرت إلى ييلوس
برغمي، وعلى غير علم مني، لتتسقط أنباء أميك...
ولكن... خبرني يا بني ماذا عساك سمعت. «
فقال الفتى: «أماه! لم تعودين بذكري إلى عيوس
الحياة وقد أفلت من الموت؟ أولى لك ثم أولى أن
تصني عليك من أغر أتوابك، ثم تصلي للآلهة
أن تهني لنا يوم انتقام عادل لا يبق ولا يذر! «
يبد أنه يفتني أنت أذهب الآن لألقي ضيقاً
كثيراً عزيزاً جداً علي - عزيزاً جداً علي يا أماه! -
حضر مني في سفيني أسس، وقد أرسلته مع من
يُصَيِّفه عني حتى أعود فأصَيِّفه أنا نفسي «
وذهبت بنبوط فصات طويلة للآلهة، وانطلقت تلياك
فاتي تيوكلنوس وعاد معه إلى القصر، وجلسا
يتحدثان بينما أحضر أحد الخدم مائدة حافلة بألوان
الطعام وأطبب صنوف الشراب، فوضعا أمامها...
وأقبلت بنبوط جلست لدى الباب تنسج ثوبها الذي
لا ينتهي! فلما فرغا من طعامها أقبلت فقالت مخاطبة
تلياخوس: «يبدو لي أنك لن تقص علي الآن
ما سمعت من أنباء أميك يا تلياخوس، وأوثر إذن
أن أصدق فأضجع في فراشي الذي أبليه دائماً
بدموعي منذ فارق أوديسيوس... فإذا انصرف
الأوغاد الماميد وفرغت من شغلهم بهم فاحضر
إلي لتقص علي من أنباءه. « ولكن تلياك قال:
«أماه! لم لا أقص عليك ما سمعت وما سافرت إلا
لأطمئنك وأطمئن نفسي؟ لقد سافرت إلى ييلوس
وحفظت بقاء نسطور الذي هت لي وبش وفرح
بي كأنما أنا ابنه الذي افتقده طويلاً وعاد نجاة إليه؟
خير أنه لم يذكر لي عن أبي قليلاً أو كثيراً لعدم
علمه بشيء من أنباءه، ولذلك بعثي مع واحد من

أبنائه إلى ملك أسبرطة لأسأله عن أبي... وقد
لقيني منالوس فأحسن لقائي وأكرم مثواي،
ورأيت زوجه هيلين الحسنان اللتان التي شئت
بسببها حروب طروادة، والتي لقي من أجلها أبطال
الأغريق أنكى ألوان العذاب... ولا سألتني الملك
فيم قدمت، نبأته بأنباء العشاق الماميد، ووصفت
له ما يجرون على بيت أبي من الخراب، فأرغى وأزبد
ولعنهم أشد اللعن، وتوسل إلى الآلهة أن ترد إليهم
أوديسيوس فيطعن بهم، ويضد إليهم صوابهم، ثم
قص علي ما سمع من أحد أرباب الماء - بروتينوس -
الذي أخبره أن أبي ما يزال حياً يرزق في إحدى
الجزر النائية، وأن عروساً من عرائس الماء تحجزه
عندها في تلك الجزيرة برغمه، لأنها تحبه وتهواه،
وأنه لا يجد سقينة يهرب عليها إلى الوطن... هذا
يا أماه كل ما علمته عن أبي من الملك منالوس، وقد
أذن لي في العودة، فأبث في رعاية السماء وحفظ
الآلهة. وكانت بنبوط تصني وثورة من الحزن
تحتاج نفسها، ولظي من الوجد يفتك بقلها. فلما
فرغ تلياك، التفت تيوكليمونوس التتبي إلى الفتنة:
الزؤوم فقال: «يا زوج أوديسيوس أعيريني سمكاً -
إصني إلى فسأنتبأ لك! إن ابنتك هذا لم يسمع عن
أبيه أي نبأ يقين... أما أنا، فقد بدت لي أمارات
وشهدت في السماء علامات... ومحال أن تكذب
علامات السماء... أقسم لك يجوف المني رب
الآرباب، وأقسم بهذا البيت أوديسيوس، أن
زوجك هنا، وفي إيثاكا... وهو يعلم كل صغيرة
وكبيرة من أنباء العشاق وخباياهم، وإنه ليدبر
لهم عقاباً هائلاً لن يقلت أحداً منهم «!! وسكت
التتبي... وأقبل العشاق من لمهم نخلوا عبايهم،

البذاء ، وركل أوديسيوس آخر الأمر ركلة قوية في ساقه ، فلو لا ما حرص الملك عليه من كنان أمره لحطمه بسببها ، ولسح به ظاهر الأرض ! ولقد هاج هايج يومايوس فدعا أكلته لتنتقم لرفيقه الضعيف وطلق يقول : « يا عرائس هذا النبع المقدس اسمي بحق ما عقر لك أوديسيوس وبامم ما ضحى أن تردبه إلى بلاده لينتقم من أمثال هذا الوغد الزنم الذى لا يحسن إلا أن يلقى أعداء مولاه ، وإلا أن يشقى رحابهم ، بينا قلعناه ساعة في المرج لا راعى لها ولا حفيظ ! » فصاح الراعى الوقح : « هاه ! أجيى يا عرائس دعاءك لك الأمين ! أواه لو أستطيع أن أحملك في فلك أحد هؤلاء السادة فأبيعك بيع الرقيق في بلاد سحيق ! أوديسيوس ما ذا أيها البهم ! لقد أودى أوديسيوس ولن يعود إلى الحياة قط . وبودي لو لحق به ابنه تلياك ! » ... قالها ... وانطلق حتى بلغ القصر وغشى مجلس المشاق يطرفهم بما حدث له مع راعى الخنازير ... أما أوديسيوس وأمينه فقد سارا رويدا حتى أتيا بوابة القصر فثلبا عندها ... وتناول أوديسيوس يد الراعى وقال : « يومايوس لا ريب أن هذه سراى الملك ! أنظر ! ها هي ذى الحجرات يتلو بعضها بعضا ، وهاك الرحبة الكبرى ذات المهاد وذات الأبواب ... وإنى أحس أن هناك أضيافا اجتمعوا لوليمة ، وهذا قنار اللحم بلا غياشيشي ، وإرنا القيثارة يجلجل في أذنى ... » فقال يومايوس ييجيه : « أنت ذكى شديد البذاء ! إنه هو المكان بيمته ، والآن ، هل تذهب أنت وحدك فتستعرض الأمراء وتعود ، أم تنتظر حتى أذهب أنا فأخطف نظرة إليهم ؟ على أنك يجب ألا تلتب هنا طويلا ، فقد يراك بعضهم

ثم نشطوا إلى الشاء والخنازير فجزروا لطعامهم ... هذا ما كان من أمر تلياك وأمه ، وما كان من أمر المشاق . أما ما كان من أمر أوديسيوس فقد مضى في الطريق إلى المدينة بخطى متمترة والراعى بين يديه ، وعلى كاهله حقييته ، وفي يده عكازه ، وكلما لقيهما أحد صغر خده ، وشمخ بأنفه ، تقززا من منظر هذا الشحاذ الفقير القدر ... ثم أتيا إلى نبع يشجر في الطريق فيستقى الناس منه ، وقد بسقت من حوله أشجار الجور والسندبان ، وترقرق الماء فوق الحصباء كاللجين يتدرج من حيد أكمة هناك ، أقام الصالحون فوقها مذبحا لعرائس الغائب حيث يتقدم الناس بذورهم ويمغزون إخصيتهم ... وقد لقيها هناك راعى ماغر الملك — ملائتيوس — يسوق قطيعا من أئمن ما يرعى لأجل ولائم المشاق ... ولقد كان ملائتيوس هذا من أذنانهم ومتعلقهم . وكان يصنع كل ما يجيبه إليهم ويضمن له عطفهم ، فلما رأى الفقيرين وأحدهما زنيل له ، انطلق يهذى ويصخب ، ويسب ويسخر ، ويفسر الرجلين غمزا شديدا موجعا ، حتى غل الدم في رأس أوديسيوس : « إنشعلا أيهذان المسخان ! طاعون يجتاحك يا راعى الخنازير القدر ! حقا إن الطيور على أشكلها تقع ! كلب يقود آخر ... إلى أين ؟ إلى حيث يلتقط فئات موائدنا ! عجيا ؟ ألا تطلقه معي إلى المزارع ينظف الزرائب ويحمل العلف ويمرّس التلة ويشرب ما شاء من اللبن الحازر ^(١) والمحيض ، ويكسو عظامه للمروقة بأهاب من اللحم ! ولكن هينات ! فقد بلت طباعه فلا يصلح لعمل شريف ! » وهكذا ظل الراعى الشرير يقى من هذا

(١) شديد الحموضة والمحيض الذى استخرجت زبدته

الذى قضى وتركه من ورائه لإكمال الوصيفات وقلة
أكثرائهن ... أما عبيد هذا القصر فهم كالوصيفات
حنوك النمل بالنمل ، فهم لا ينشطون لعمل كما
ينشطون وسيدهم بينهم ، ثم هم قد فقدوا بالبودية
وذلة الرق نصف آدميتهم ورجولهم !! ثم مضى
أوديسيوس نحو صديقه وخدمته ، فبكى وذرف
دموعه ، وكذلك فعل الكلب ... حتى مات ...
ولكن بعد أن رأى سيده تارة أخرى !!

ولم تلبث تليك راعيه فأومأ إليه ، وأخذ جانباً ،
ثم أمد به نصيب جزيل من طعام الويلمة ... وبعد
لحظات أقبل أوديسيوس في صورة الشحاذ الفقير ،
وجلس على الأرض ، فأرسل إليه ولده شيئاً من
الخبز والخبز مع يومايوس ، وأسر إليه أن يرسله
بين الأشرار يتكفف ، وبالأحرى ليتعرف ، فلما
فرغ من طعامه نهض فسار بينهم يسأل هذا ويحدث
فيه ، وينصرف إلى ذاك ويحدثه ، ويمد يده من
من أجل لقمة كما يصنع الشحاذون ، وقد رثي له
كثيرون فأمدهوا بلقعات ومضغ من اللحم ، إلا
أنطونيوس ، فقد استهزأ به وبمن أحسن من
الأشرار إليه ، وعيّرهم بأنهم يتصدقون بما ليس لهم
ثم هاج وماج ، ورفع كرسياً أوشك أن يخط به
رأس أوديسيوس ، وأمره أن ينصرف فلا يعكر
عليهم صفوهم أكثر مما فعل !! ولكن الكرسي
صدع كفت الملك ، وأغرى رأسه ، ووقف أوديسيوس
كالصخرة لا يتحرك ولا ينبس ببنت شفة ...
ولكن ألف ألف فكرة سوداء كانت تكطف فؤاده
وترحم تفكيره ... ثم مضى فجلس حيث كان من
قبل ، وهتف بالمشاق في صوت جهورى فقال :
« سادى الأشرار اسمعوا ! تالله لو أنها ضربة في
حرب بين كفتين لاحتلها موجودة في نفسى ...

فيؤذيك ويطردك من هنا شر طردة » وقال
أوديسيوس : « بل انطلق أنت وإني منتظر هنا ،
فاذا لمكنى أحد أو لكزنى أو ركلى ، فليشد
ما احتمل هذا وذاك ، وهل هو إلا بعض ما احتملت
في حروبي الطويلة ؟ » وبينما يتحدثان ، إذا
كلب كبير رايق يقف فجأة فيصبع بذيئه وينصب
أذنيه ، ويحدث بصره في أوديسيوس ، ويظل
مسحوراً ذاهلاً ! آه ! إنه الكلب العزيز أرجوس
الذى رياه الملك قبل أن يرحل إلى طروادة ...
لقد أهمل أمره ، فهو رايق هكذا في حانة من
الروث والقذر والقمل أمام بوابة القصر ، كالشاعر
المجوز الذى يجتر ذكرياته !! لقد عرف صوت مولاه
برغم السنين الطوال ، فبكى ، وهر ، وأرسل الدموع
حراراً تسقى صديقه ! وقد تأججت في قلبه الحيوانى
ثورة من الحزن الطارىء المفاجئ فلم يقو أن يزحف
ليسمح بلسانه قديم مولاه ... وقد لحظ أوديسيوس
ما أصاب كلبه العزيز فبكى هو الآخر تأثراً ، وسجل
هذه الآية من الوفاء للحيوان على الإنسان ! وأشاح
بوجهه عن الراعى حتى لا يدرك ما بينيه من دموع.
فلما مسحها بكفه قال يحدث يومايوس : « أليس
جميعاً ومؤلفاً مما يا صديق أن يتركوا هذا الكلب
الذى تبدو عليه سماء النبل فوق هذه الكومة من
الروث ؟ قد يكون أقمده الضعف عن متابعة الصيد
وقد يكون بقاؤهم عليه من أجل منظره وحسن
سمته !! » فأجاب الراعى : « أوه ، بلى أيها الرفيق !
أما والله لو شهدت في إثر مولاه أوديسيوس لمجبت
لعظم قوته وشدة جبروته ! أبداً لم يخلق الله وقتئذ
كلباً أتبع لصيد ، أو أقوى حاسة شم منه ؛ وأبداً لم
يكن عندنا كلب ليس يدرك عشمه كلب كآرجوس
هذا الراض يساقط نفسه أنفساً !! إنه يبكى مولاه

« انطلق إذن فأحضره ، ودعه يتحدثني بما روى
وجهاً لوجه ، وسأهبه صداراً ودثاراً إذا توسمت
في قوله الحق ، وآنتست في روايته الصدق »
وادعى أودسيوس أنه يخشى أن يجوز وسط
الأمرء مرة أخرى ، وفضل أن يلقى الملكة
فيتحدث إليها إذا جنّ الليل بجانب الدفا ...
ووافقت الملكة ، وصوّبت رأي الرجل ؛ وكان
الوقت أصيلاً فقصّد الراعى إلى تلياك واستأذنه في
الانصراف إلى حظائره ، فأذن له ، ولكن بعد أن
أصره بالتزود لمشائه ، ففعل يومايوس ، ثم مضى
ليسهر على خنازيره
« يتبع »
دربى فئيدة

ظهرت مدينا

مسرحيات

توفيق الحكيم

في مجلدين

٦٠٠ صفحة

نمن الجزمين ممّا ١٨ قرشاً مصرياً

عدا أجرة البريد

تطلب من ناشرها

مكتبة النهضة المصرية

١٥ شارع الدابغ بالقاهرة

ولكن أنطونيوس رأى من سلطات الجوع
والضعف على ما جرّاه وأثار نخبته ... وأنا مع
ذاك أترك جزاءه لله ، وأضرع إليه جل ثناؤه أن
يقبضه قبل أن ترف إليه عرسه !! « وكأنا خجل
العشاق مما فعل أنطونيوس فجعلوا يلومونه ويتلاومون
فيا بينهم . قال قائلهم : « من يدري ؟ ألا يحتمل أن
يكون أحد آلهة السماء جاء ليلونا ... والويل لك
يا أنطونيوس إذا صدق حدسنا ... ألا تعلم أنهم
طالما يتزلون فينشون مبدنا في صور الشحاذين ليروا
بأعينهم ما نافك وما تخين ؟ » ولم يبال بهم ولم يابه
لما قالوا ... وكان تلياخوس يتميز من الفئط ،
وئسر في نفسه أوجع الألم لما نال أباه من الضرب ،
يبد أنه غلب غضبه ، وحسبه في أعماقه ، كما حبس
في عينيه وأبلاك من السموع ... وكانت بثلوط تطلع
من شرقتها وترى ما حل بالرجل من إيذاء ، فتهفت
بيومايوس أن يدعوها إليها كيما تماثله عن
أودسيوس ، لما يبدو عليه من أثر السفر وجوب
الآفاق . قال الراعى : « أجل يا مولائي ، إنه رجل
من كريت ، وقد خاض ألف مكروه قبل أن تحمله
الصدفة إلى بلادنا ؛ ثم هو محدث ساحر الحديث
طلي الرواية ، حتى ليخبط سمع من يصنى إليه بأشد
مما يستطيع منشد مطرب أن يفعل ! وكلا طال
حديثه لذت طلاوته ، وكثرت حلاوته ، فلا تغل
أذنان ، ولا يضيق به مصغر إليه ... وأعجب ما ذكره
مرة في أنه رأى أودسيوس وعرفه في أبيروس ...
بل يزيد فيؤكد أن مولاي مائد أذراجة إلينا ، حاملاً
معه كنوزاً من الذهب ، وأذخاراً لم تر العين مثلاً
ولم تخطر على قلب بشر !! » فتهتت بثلوط وقالت :

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المستول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك على سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ عن المدد الواحد

الادارة:

شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخفراء - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

المجلة

مجلة أسبوعية للفصحى والتاريخ

نصدر مؤقثاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الأولى

٢٨ رمضان سنة ١٣٥٦ - أول ديسمبر سنة ١٩٣٧

العدد ٢١



فهرس العدد

صفحة	الفرام الأول	أقصوبة مصرية	بقلم أحمد حسن الزيات
١٢٩٠	الزوجة الحناء	للكاتب النموى هيرمان بار	بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب
١٢٩٥	في ليلة الميلاد	للقصصى الفرنسي جى دى موباسان	بقلم السيد محمد النزاوى
١٢٩٩	يقظة الضمير	لبوريس فيليوف	بقلم الأستاذ محمد لطفي جمعة
١٣٠٩	خيال الحب	للكاتب الفرنسي أنثريه بيرابو	بقلم الأديب محمود السيد شعبان
١٣١٥	قصة كان	للقصصى الروسى أنطون تشيكوف	بقلم الأديب السيد جورج سلسنى
١٣٢٢	الأغلال	للشاعر الفيلسوف رايندرانات طلاغور	بقلم الأديب شكرى محمد عياد
١٣٢٩	بقية حبة	للكاتب الروسى تورجنيف	بقلم الأستاذ خليل هندأوى
١٣٣٢	اعترافات فتى الصر	لألفريد دي موسيه	بقلم الأستاذ فليكس فارس
١٣٣٦	الأوذية	لهوميروس	بقلم الأستاذ دروي خنية
١٣٤٥			

وجها الكامد
 طرحها السوداء،
 فلم أثبت معرفتها.
 وعهدي بالقرية بعيد
 فلم أعد أميز المرأة
 بلبستها ومشيتها
 وبهيبتها كما كنت
 أفضل.

من ذكريات الريف

الغمام الأول

بقلم أحمد حسن الزيات

ارتد بصرى إلى خائباً لأملاك تفسير ما في نظرة
 الصديق من حجب ، وما في ابتسامته من خبث ..
 فسألته : ماذا ؟
 قال : أما عرفتها ؟
 فقلت : من هي ؟
 قال : فلانة !
 فقلت : فلانة !؟

قال : نعم فلانة ! ولا أدري كيف أحببت هذه
 المرأة وأنت رجل منذ نشأت شاعر القلب ، وهي
 على ما أرى من ضмор الجسم وجفاء الخلقه ... ماذا
 فتنك منها وإنك لتزأها ؟ ...

فقلت له : بالله ربك لا ترد ! لا أريد أن تصفها
 ولا أحب أن أراها . دع لى صورة الفتاة التي
 عرفتها وأحببتها . إنها لا تزال فى طويلا القلب
 طاهرة كالطفولة ، ناضرة كالصبي ، ساحرة كالشيبة .
 أما هذه التي ترى فليس بيني وبينها عهد ولا سبب .
 قم بنا عن هذا المكان وسأريك من هذه الصورة
 الجميلة خطوطاً تمثلك على أن تخيل أكثر مما
 تسمع ، وتتمتع أكثر مما تفهم

كان ذلك فى ربيعى السابع عشر والدنيا غير

ذهبت منذ قريب إلى القرية فى شأن من شئون
 الأسرة . وللقرية فى رمضان سحر يفل على القوى
 الحاسة فتفرق فى فيض من الشعور الرضى الرخي
 الجهم ، فلا تدرى أهو حلاوة الذكرى الخاطرة ، أم
 نشوة الطبيعة الشاعرة ، أم لذة الأنس الخالص ،
 أم جمال الايمان المشترك . وأحب شئ إلى نفسي هناك
 أن أخرج أنا وصديقي العمدة إلى ملاعب الطفولة
 ومسارح الصبي ، فاستنشى عير الذكريات الجميلة ،
 وأستوحى آثار الداهيين الأعزة . مشينا على العادة
 ننقل الخطو الرفيق على أسطوار مشرقة من آدم
 الثرى الحبيب ؛ فهنا نذكر مجلساً من مجالس الآباء ،
 وهناك نتمثل ملعباً من ملاعب الإخوة ، ونمت
 نتخبط موقفاً من مواقف الأجيال ، حتى انتهينا إلى
 مكان ظليل جميل فى ظاهر القرية ، فجلسنا فيه نقول
 كان وكان ، وتتمتع بجل العين والصدر والنفس من
 صفاء الجو ورخاء النسيم وإشعاع البيئة . وفى فترة من
 فترات الصمت العميق الحالم أرسل صديق نظره إلى
 مورد الماشية من الترع ثم رده على وفى عينه الساجية
 جميع معاني التنجب ، وعلى شفته الباسمة كل أدوات
 الاستفهام . فنظرت حيث نظر فإذا امرأة فى
 أخريات الشباب تورد بقرتها الماء ، وقد أسدلت على

ومشيهن الوئيد في أخاديد الأرض منحنيات على
الفروع الموقرة بالثر الثالي يقطفنه في لباقة ويضعنه
في خفة وهن يتفكهن بالنسكات ويتروجن بالأغاني
ويتساررن بالني ، ثم عودتهن في طفول الشمس
يمرحن كالفرلان ويصدقن كالمصايف فيخلطن على
كأبة النهار المختصر وضاء الصباح الوليد ؛ كل
أولئك كان يهف شعوري بالجمال فاسمو على حدائقي
وجهائتي إلى أفق اللهام والشعر .

وكان من بين هؤلاء الفتيات النواهد أربع
لهن عليهن السلطان الغالب والأزادة الطاعة ، لا ميازهن
بالحسن الرائع أو الصوت العذب أو الدلال العاثر .
ولهذه المزاج نفسها نشأت بيني وبينهن ألفة ، فكن
يتخلفن عن السرب ينضجن وجوههن ويصلحن
هنداسهن حتى تنهض الجمال رائحة بأحمال القطن ،
فنمود جميعاً صامتين إلا كلمة حية أو نحيب ندية تقع
في الأذن أو في القلب حيناً على حين

وكانت ثلاثة هذه إحدى هؤلاء الصواحب
الأربع ، وكانت يومئذ في عمر البدر تمتاز منهن بمحاولة
الصوت ولطافة الروح وقوة الجاذبية . وكان منبع
الجاذبية فيها عيتين حوراوين تشمان الفتنة من خلال
أهدابهما الوطّف ، وفرا رقيق الشفتين تضيد الثنايا
جميل الاقترار ، وصوتا لطيف الفتنة حلو الثبرات
فضي الرنين ، ونفساً رزينة الطبع رقيقة الشعور
هادئة الشماع ؛ فلا تملك وأنت مأخوذ بسحر هذه
الصفات أن تفكر فيما فقدته من براعة التكوين
وصفاء البشرة وغضارة البدن . وكانت هي من دونهن
شديدة الخفر طويلة السكوت خافضة الصوت ؛
تتعمق إذا تكلمت ، وتطرّق إذا تبسّعت ، وتنظر
إذا نظرت . خلّسة أو عن عُرض . فأعراني

الدنيا ؛ والناس غير الناس ، فالدور يفيض منها الخير ،
والجالس يشيع فيها الوقر ، والأخلاق تنلب عليها
السذاجة ، والأمور بين أهل القرية تجري على نظام
سماوي من التسامح والتعاون والألفة والشفقة
والاحترام والاحتشام والبر . وكان سلطان الأب على
الأسرة أشبه بسلطانه عليها في الجاهلية الأولى ، فهو
يجمع رأبها في القول ، ومرجع أمرها في العمل ؛ لا يُتّقى
له يد في شأن ، ولا يُرد عليه قول في حكم . لذلك
نشأنا على الحمية فلا تقرب من مجلس ، وعلى الحياء فلا
نشارك في حديث ، وعلى الطاعة فلا نمارض في أمر ،
وعلى الحشمة فلا نتبدل في عاطفة . فستطيع أنت
من وصف تلك الحال أن تدرك طبيعة الحب التي
يولد بين هذه البيئة وبين هذه النشأة .

كنت أقضي عطلة الدراسة كل صيف في
القرية ؛ فلا أكاد أطلق من قبود الحياة في القاهرة
حتى أعود إلى أحضان الطبيعة العروم ، أتوخي أفياء
الشجر كالطير ، وأحوم بين الحقول كالفرش ، وأروى
مشاعري الظامئة من الجمال الحلال في السماء والماء
والهواء وصور الناس ووجوه الأرض . فاذا أبلغ
القطن وحن جنيته حلا لي أن أخرج وراء الجانيات
الجليات بعلّة أن أراقب عملهن وأسجل أسماءهن ؛
ولكن الباعث الصحيح على مكابدة القبط واحتمال
النساء كانت شغفي بالجانب الشعري من هذه
المشغلة . فقد كان خروج الفتيات من أزقة القرية
أسراباً إلى الطريق الضاحك الطالول عليهن صباحة
الصبح وإشراق النافية ، ووقوفهن صفّاً على رؤوس
الخطوط في أعلى الحقل يحين بأصواتهن الرخيمة
الشادية شجيرات القطن . وقد انمعدت على أوراها
أكاليل الجباب وسال على أطرافها رصاب الندى ،

بالشباب ، وصمتت الطرقات فلا تهزج بالأغاريـد .
وأصبح لقاء الأوانس الأربع ، أو الآنسة المرادة من
هذا الجمع إن أردت الصدق ، عسيراً على مثلي ممن
لا تساعد تربيتهـم المدنية على أن يشقوا دور الأهلين
في كل وقت ، ويلابسوا طبقات الفلاحين من غير
سبب . ولكنني أصبحت على غير ما أُمسيت !
ففراخ بالي قد امتلأ ، وأفق خيالي قد امتد ، وسر
حالي قد استعلن ؛ وظللت اليوم كله لا أجد في قلبي غير
هواها الملح يصصف به عصف الريح بالشجرة المهذلة ،
ولا أبصر في عيني إلا جفنيها الكجـيلين يُسبلان
في سكـون على الحـاظـها الفاترة ، ولا أسمع في أذني غير
أغنيتهما مع صاحبـاتـها في آخر يوم من أيام الجنى ساعة
أجملت على الحقل في ضحوة النهار كعادتي ، ومطلعها :
يا بدر لما جيت كـانـت ضلـام تـورـت
تلمست الملل والحيل لأراها في بيتها أو ألقاها
في غيظها ، فأخطأتني التوفيق لهذا الحياء الغالب على
طبي ؛ فكنت أمر يبابها ، أو أسير في طريقها ،
فأجدها أحياناً على عتبة الدار داخلة أو خارجة ، أو
أحـمـها حـينـاً على حمارها القصير الأبيض راكبة على حمل
من البرسيم ، فنتخلس النظر ، وتسارق الابتسام ،
ثم يذهب كل منا لوجهه

لم أكن أعرف على وجه اليقين شعورها بهذا
الفراق بعد أيام الجمع ، ولكنني علمت من بعد
أنها كانت تبثني الوسيلة إلى اللقاء الحر حتى اهتدت
إلى هذه الحيلة :

كان في بيتنا صيدلية صغيرة من العقاقير
الضرورية الواقية ؛ وكان أهم ما في هذه الصيدلية لثر
دائمهم قطرة الزنك يجعله لمن يشاء من أهل القرية .
فكنت ترى « النظرة » فيما بين الغرب والعشاء أشبه

هذا النغور الغزالي بها ، فكنت أسلط عليها رفيقـاتها
فيداعبها باليد ، أو يما بثنها باللسان ، فتنظر أو تضحك
أو تصيح ؛ فأحس في دجج عينيها ، وبريق ثناياها ،
وحلاوة جرسها ، شيئاً خفياً قوياً لا أجعله لأنه
ملء الشعور ، ولا أعلمه لأنه فوق المعرفة

كنت أقعد تحت الظلة عند مفارش القطن
المجموع فتأتي الفتيات فرادى وثكني فيضمن ما يشغل
حجورهن من القطن ، ثم يثرثن طويلاً وينصرفن
طافرات أو هاجات ، إلا فـلانة هـذه ، فقد كانت تأتي
وحدها فتحل نطاقها على طرف المفرش ، ثم تفرط
حجبرها وهي خاشعة الطرف باسمه ، فأحاول استنطاقها
فترتاع وتغلب إلى خطها مـضـرجة الوجه لا تنبس ولا
تلتفت . وفي ذات مرة طلبت منها جرة الماء فجاءت
بها على استحياء وهي تحاول أن تفضن من وجهها
وتكسر من طرفها فلا تستطيع . ووقفت أمامي
عيناً لمين ، وروحاً لروح ؛ وجهت أنا كذلك أن
أقول لها كلمة فذهل الخاطر وتمطل اللسان ؛ وظل
كلانا ينظر إلى الآخر ولا يراه ، ويتلسل الطريق
إليه ولا يجده ؛ ولكن سبباً من أسباب القدر كان
قد وصل القلب بالقلب ، فامتزجت النفس بالنفس ،
وفهم الشعور عن الشعور ؛ وأدركنا معاً أن بيننا
سراً ليس بيننا وبين الناس ، جعلها في نظري
غير من أرى من الصبايا ، وجعلني في نظرها غير من
تعرف من الصبية . ومنذ ذلك اليوم أصبحت تحوم
حول حومان الروح حول جسدها الهامد ؛ تعلم أنه
لها ، ولكنها لا تعلم أن تبث الحياة فيه

ومضت أيام الجنى السعيدة ، وقررت الكوابع
الحسان في البيوت ، وأقترت النيطان فلا تعج

لا . لا . عيني سليمة ، ما فيش لزوم
 حينئذ لم يبق بيني وبين نور إلا شيء له
 دلائل وليس له لغة . هي تعلم أني أحبها ، وأنا أعلم
 أنها تحبني ، ولكننا لا نجد لهذا العلم الضروري
 اسماً يدل عليه ، ولا كلاماً يعبر عنه . لأننا معشر
 القرويين — كما تعلم — نعرف الحب بمعناه ونشكره
 بلفظه . فنحن نفرق منه كما نفرق من ألفاظ
 الفضيحة والنقيصة والمهر ، ولا نفهم من كلمة الحب
 إلا افتتاح العين والقلب لواجد من الناس في غيبة
 الأسرة . ذلك إلى أن الحياء الطبيعي يعقد اللسان عن
 شكايه رُحائه وحكاية همه ، فكيف بالتصريح به ؟
 كانت هذه الساعة التي جلسنا إلى ظاهرها من
 أغرب ظواهر النفس : صبيان في سحيا الشباب
 ومرح الفتوة يتحرق كلاهما شوقاً إلى صاحبه ،
 فتدنيهما الفرصة المرقوبة ، وتجمعهما الطبيعة المؤلفة ،
 على غفلة الأعين وهموذ الأذان ، فلا تنبسط يد ، ولا
 ينزلق لسان ، ولا تبجح شهوة ، ولا يكون بينهما إلا
 حديث عام لا يلبث أن ينقطع لأنه زورٌ على القلب
 وكذبٌ على الخاطر ؛ ثم يفترقان وفي صدر كل منهما
 سعي من الوجد يذيب الحشا ويرمض الجوانح .
 دأبت نور على هذا اللقاء بهذه العلة أسبوعاً من
 الدهر كان شيباً وريراً لهذه العاطفة المكتوبة فتمت
 نحو الجبار في صدره واهن ضيق . ثم خشيت فضول
 الرقاء من طول الاستشفاء فأمرت عينها أن تبرا !
 وانسدل بيني وبينها الستار فلم أعد أراها

تذرت إلى صداقة أخيها بوحدة السن والهوى
 حتى تمكنت بيننا الألفة . وأتمت هذا الصداقة
 بتيجها المقصودة فكتت أقصى أماني في بيته ، بين

بالمادة الناجحة . وكان الذي يتولى هذا العمل
 الخيري أنا أو أحد إخوتي . فبينما أنا ذات ليلة جالس
 وحدي على مصطبة الدار إذا بي أراها مقبلة تهادي
 في الظلام ، وقد غصبت عنها العيني بتعديل أسود !
 نهضت إليها مجلان في حال تم على دهشة المفاجأة
 وربكة الموقف وقلت لها :

— أهلاً وسهلاً ! سلامة عيناك يا نور !
 — فقلت نور ويدها ترتجف في يدي ، وصوتها
 يهتج في أذني
 — الله يسلمك ! عاوزة أحط أطرّة
 — فدخلت بها المنظرة وأجلستها بجانبني على
 السكينة ، ورففت هي المصاصة عن عيناها فإذا جفناها
 محتمقان قليلا . فسألتهما عن سبب هذا الاحتقان
 فقالت إنها حكتهما عامدة بالتوتيا الخضراء فالتها .
 فقلت لها وقد ظننت إلى ما رمت إليه :

— ولماذا ؟

— كده !

— كده ليه ؟

— أهو كده !

فضحككتُ وضحكتُ . ثم أملتُ رأسها الصغير
 على ركبتي ، ووضعت كفي على جنتيها ، وأنا ملي
 على خديها ، وطفقت أنظر من هذا القرب إلى هذا
 الجلال الذي شغفني وشغلي . فهذه هي العين التي
 ترسل السحر حيث ترسل النظر ؛ وهذا هو الثغر
 الذي يفتقر عن الفاتن كما يفتقر عن الدرر ؛ وهذا كله هو
 الحيا الذي يشرق في قلبي الناشئ إشراق الأمل ،
 ويتحدث في نفسي النضة حديث الصباية . وأردت
 أن أحجز تيار الهوى عن الوضع الذي نحن فيه فلاأت
 القطارة وهمت أن أفتح عينيها ، ولكنها نهضت
 مذعورة وهي تستضحك وتقول :

الماشق الصغير ، فقالت لى بلهجة الأم المطوف :
سافر يا بنى مطمئناً فعلى لك !

وذهبتُ إلى نور فى الحفل القريب أودعها وداع
الراحل فى القصد ، فوجدتها بين البقرة وعجولها
الصغار توزع بينهم الملق ، كما وجد قتر شرلوت
بين أطفالها الستة توزع عليهم الخبز ! جلست على
حزمة من البرسيم ، وجلست هى إزائى على أديم
الأرض . ومررت برهة من الصمت الحزين قبل أن
أقول لها إننى عاهدت أمها على أمر ستعلم بناءً منها
إذا سألتها ، وإننى سأسافر فى القصد إلى القاهرة ،
وسأعود فى الصيف إلى القرية ، فيجتمع الشمل
ويرجع الألس ويتحقق الرجاء . فتبين الأسى فى
وجه نور ، وحاولت أن تكلم فأعياها الكلام ؛
فأطرت برأسها ، وتحملت على نفسها ، ولكن وجهها
احتقن احتقان الخنثى فأنفجرت بالبكاء حتى سمع
نشيجه من بعيد . فكانت هذه هى المرة الأولى
التي قالت فيها نور بلسان الطبيعة القوى الصريح :
إنى أحبك !

وسمى الدهر بينى وبينها ، فوسَّع مسافة الخلف
بين طريق وطريقها ؛ وقطعتنى القاهرة عن القرية
فأصبحت لا أزورها إلا لاما ؛ واستحدثت فى نياط
القلب أسباب جديدة ؛ وتزوجت نور من ذلك
الشقي الذى تعرف ، فألج على براءتها بالشر ، وألجى
على سعادتها بالفقر ، حتى أصارها إلى ما ترى !

وكم يا صديق فى أجادب الدنيا وصحارى الحياة
من أزاهير لوحتها السموم وصوحها الهواجر ، ولو
أنها غرست فى أطياب الأرض لكانت زينة الميشت
وبهجة النفس ومتمعة النظر !
الزيت

أمة وزوجه وأخته . تجلس جميعاً على قرن القاعة الدافئ
تلمب الورق ونشقق الحديث ، ولكن ماحولنا وما بيننا
من الأشخاص والأشياء كان إطاراً وكانت هى الصورة .
فالذين لا تقع إلا عليها ، والقلب لا يتجه إلا إليها ، حتى
فطنت لحالنا الأم ، واضطربت بمجدتنا الألسنة ، وعزا
الخليسون هذه الماطفة إلى طيش الحدائث ، واستبعدوا
أن ينتهى هذا البعث إلى شئ من الجد لاختلاف التربية
وتباين الطبقة ؛ ولكن هوى نور غطى على قواى المدركة
فتركنى اضطرب فى دائرة ضربها على فلا أحول
الخروج من حصارها الكثيف ، ولا أقصد إلا الغاية
الحتمية للحب العفيف . ذلك أن الحب انجذاب
وامتلاك واستئثار ومتمعة . وهو يسلك إلى هذه
الأطوار ما أمكن من المسالك ؛ فإذا تعددت أمامه
المنافذ انسرب من هنا وانسكب من هناك ،
حتى ينتشر ويتبدد ؛ وذلك هو الحب فى المدينة .
أما إذا انحصر فى حدود من الخلق اللين والتنشئة
القوية هدير هدير الأسير المفلوج ، واضطرب
اضطراب المحتق المكروب ، ثم لا يجد له متنفساً
إلا الفرجة الوحيدة المشروعة ؛ وهذا هو الحب فى
القرية . لذلك قطعت المزم على أن أفضى بذات
صدرى إلى أمها قبل رحيلى إلى القاهرة . فلما كُنْها
ورجوتها فى ضراعة وتوسل أن تذود الخطأب عن
نور ريثما أعود ، غيَّتها هذا الرجاء فشخص بصرها ،
وانغفر فوها ، وظلت على هذه الحال برهة لا تطرف
ولا تجيب . وأخيراً قالت فى لهجة الحائر المشدود :
وهل يرضى أبوك ؟

فقلت لها : وماذا عليك ؟ إنى أعرف من
يستطيع إقناعه . ولكن أم نور نفسها لم تقتنع ،
وكرهت مع ذلك أن تكسح باليأس أمل هذا

نعم إنني أحبها ولكن
أعلم ما يشغل زوج
المرأة الحسنة إذا
غاب عنك هذا
فلا تتحدث عن شيء
بعده. إن الزواج من
حسنة يتطلب صبراً
كبير أبوب» ثم
راح يصغر صغيراً

الزوجة الحسنة

للكاتب النمساوي هيرمان بار
بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب

مرحباً وفي وجهه العيون والتجهم؟ وحيل إلى
أنني سموت إلى الغاية التي يريد قلت: «أقرأيت
يا بول، إن خطاياك تنحدر إليك من سبب هذا
هو الجراء! إن الغيرة تكاد تصف بك» ونظر
إلي في دهشة وهو يقول: «يا للفناء! أي غيرة؟ فيم
تفكر؟» وأسفت على أن ريمته بتهمة هو منها براء،
فقلت: «أفلا تستشعر الغيرة؟» قال «لا، لا»
إن الزوجة الحسنة هي خير ما يمتنى الزمان إن لم
يستعبدها جملها» قلت: «لقد قصر عقلي عن أن
أستشف ما تريد» قال: «سأضرب لك الأمثال
لأكشف لك عن بعض ما عني عليك»
وبدا لي أنه ينفس عن كبريته حين ينشر على
عيني أمره، وأنا صديق قديم حبيب إلى نفسه،
فتعلق بصري به وهو يتناول سيكارة أخرى فيشلمها
وهو يقول:

إن النشوة التي سيطرت علي - يوم زواجنا -
كادت تستليني عقلي. لقد انطلقت إلى ميونيخ
برفقة زوجتي، وخيالي يصورني أننا نستطيع أن
نحول في آنحاء المدينة في لذة وسعادة؛ نرؤى مما
بعض أصدقائي ثم نطير إلى مروج باقاربا نتمتع

... ولاقيت صديق بول دورن بعد غياب
طويل فاندفعت إليه في شوق قائلاً: «كيف حالك
يا عزيزي؟ لقد احتججت عنا طويلاً، أفتروجت
حقاً؟ لم يكن ليضطرب في خيال واحد من رفاقك
أنك تزوج فتزل عن بعض ما فيك من عبث ومرح
ولكن المرأة... المرأة يا بول!»

وابسهم بول في رقة وأخذ بذراعي يجرني إليه
أفكان لبول أن يتزوج وقد عرف فيه محابته
المجون والعبث؟ إن هذا خيال ما يستطيع الإنسان
أن يثق فيه!

وتناول سيكارة في هدوء ووقار، وحديثه
بطرف عيني قائلي أن أرى فيه الزانة والسكون!
لا ضير، فهو زوج اثم... ثم قلت: «لقد أبدلت
طبعاً بطبع يا بول بعد أن تزوجت... تزوجت من
فتاة جميلة» فترك ذراعي في غضب وهو يقول: «دع
عنك المزاح وإلا كان هذا فراق بيني وبينك!»
وأزعجني حديثه فاندفعت أسأل: «ما ذا، ماذا
يا صديق؟»

قال: «حقاً، إنها حسنة فائنة... ولمعزى
إن البلاد في الزوجة الحسنة، فأنا أدفع الثمن غالياً،

إلى النادلة تسألها ثم دلفت إلى قفازة وتؤدة ، وحين صارت يازاء الطلبة تركت مظلها تسقط من يدها فاندفعت النادلة إليها والطلبة في شغل

وسألها عن بعض ما تحب من أصناف الطعام لتتناول طعام الإفطار فلم تعرضوا إلى التفاتة وراحت تقول : « أنا لا أريد أن أجلس إلى هذا الشباك فهناك في الشارع وعلى جدار الملهى أشياء تبث في النفس الضيق والملل ... خير لنا أن نتنحي عن هذا المكان . ثم انطلقت تختار نضداً إلى جوار الطلبة ؛ وحين سحبت إليها كرسياً هزت الآخر فانتثر ما عليه من صحف فتناولتها والطلبة في لهوهم ما ينظرون .

واستقرنا المقام فسألها مرة أخرى عما تتطلب من طعام ، والشوق يدفعني إلى العرض ؛ غير أنها قالت في تؤدة وهي تضع نظارها على عينها : « خبرني ، أفلا يجد هؤلاء الطلبة عملاً سوى شرب الجمعة ولعب الورق ؟ » وأمسكت بصحيفة أصرف بها عن نفسي السوء وأكفكت بين سطورها نزوة تضطرب في قلبي ، ولكنها لم ترض أن تنزل عن رايها في سهولة ، فاندفعت تتحدث إلى : « يالتمس آباء هؤلاء الطلبة ! إنهم يذلون آخر فلس في جيوبهم في سبيل أبنائهم وهم يدنون المال في القاي ، أين العلم وعصا العلم ؟ » وانطويت عنها أردد بصرى في سطور الصحيفة في إغضاء وإحمال ؛ ولكنها قالت : « أنظر إلى كؤوسهم ... إلى رؤوسهم ! يا عجباً ! إنهم كحال المحطة ! »

وتأجج الغضب في رأسي وأنا أهدي من ثوري خشية أن ينظم شرقي في هذا الندى ، ثم قلت في هدوء : « لا ، بل أستطيع أن أرى أن ميونيخ تبث في نفسك الضيق والصحير ، وأنا لا أجد بداً من أن نتطلق إلى شليس بعد ساعتين ، فهو مكان

بالخولة ، ونقطف الثمرة الحلوة . ووجدت السعادة في ميونيخ ، وعلى حين فجأة بدأ القلق يضطرب في ناظرها ، فجلست إليها أستطلع الخبر ، فقالت : « لاشئ ! إنني أرى الجمال هنا ، ولكن ... ولكنني أرى في الناس غلظة وجفاء ! » وحدثني نفسي : « بالله ! لا ريب أن في سكان ميونيخ البطء والهدوء ، أما الغلظة والجفاء ... ! » واندفعت هي في حديثها : « حقاً ، إن فيهم غلظة وجفاء ! إن المرء ليضرب في الطرقات والشوارع الساعات فلا يرى إنساناً واحداً يرفع بصره فيجده في الآخر . هذه هي الغلظة التي رأيتها فيهم »

أفرايت يا صديقي ؟ لقد زلت زوجتي ، فهي تريد الشوارع تموج بالناس بين معجب بها وعاشق لها ، وهي لا تجد بفتيها في ميونيخ . لملكك تنفجر ضاحكا من هذه السخافة ، ولكنك ستجد في أقص عليك متعة وسولة

وفي الصباح التالي انطلقت أجلس في ندي مكسليان أنتظر زوجتي لأصحبها إلى المرض . لقد تركتها في الفندق ترتدي ملابسها وتترن . وليبت طويلاً أنتظرها . ودقت الساعة عشراً وأنا جالس إلى نضد أردد بصرى بين المارة وأحقد في داز الأوبرا وهي قبالي ؛ وأبدأ الناس يتصدعون عن المكان والنذل متكئون إلى الجدار في كسل وفنور . وخلا المكان إلا من شزمة من الطلبة يتحصون الجمعة ويلعبون ؛ وهذا المكان إلا من بعض كلمات تنفجر عنها شفاء الطلبة بين الحين والحين ؛ وبذر الانتظار في نفسي غراس القلق والضيق ... ثم جاءت عند الظهر ... جاءت ترف رقيقاً جميلاً ، حسناء جذابة ، فائنة خلافة ، تسير الهويبي في خيلاء وصغر ، وعلى ثغرها ابتسامة عذبة ... ومالت

إلى بلد آخر إن لم تجدى اللذة هنا » ، واضطرب قلبي ، وانتفض فؤادي ، واستولى على الأسمى والحزن ، فأنا لأطمئن إلى حياة قلقة لا أستطيع فيها أن أستقر في مكان جميل جذاب أجد فيه السكون والراحة ، ولكن ماذا أقمل وأجناً ما بهداً ولا تطمئن . لا ريب فهي تريد أن تنطلق إلى فينا حيث تطوقها الأنظار في كل مكان ، لأنها إن افتقدت من يجب بها حارت حيرة من اعتاد التدخين ثم هو لا يجد إلى الدخان سيلاً . تلك حقيقة مروعة ، تغير للإنسان ألا يتزوج من حسناء !

وفي الصباح التالي بكرت إلى البحيرة ، إلى الوادي ، إلى النابة أمتع نظري وأشبعها جميعاً بنظرات الوداع ، نظرات فيها الألم والحسرة ، والخواطر المتناقضة تصطرع في خيالي . أما هي ... هي أجابا قاتزال في مخدعها تنم بالنوم الهادي . إنني أتمسك هذه الناحية من الأرض ، ولكن ...

ولم في خاطري رأى ، انفرجت له شفتائني غن ابتسامة فيها الرضا والاطمئنان ، فانطلقت أعود في لفقة إلى صديق دريتشر ، وهو ممثل بارع ، وهو رئيس فرقة التمثيل الأهلية في بافاريا يستمتع بشهرة عالية ؛ وهو أيضاً شاب فيه الروح والطرب والفكاهة والرأى النافذ والفرجة الواعدة ... وهو صديق فيه الاخلاص والوفاء

وحين ضمنا المجلس اندفعت أقول : « دريتشر ، إنني أطلب إليك شيئاً وأرجو ألا تجادلني فيه . إنك تعرف كل إنسان في هذه الناحية ، أفتستطيع أن تمدني بشاب أنيق وسيم ليملئ دور عاشق ؟ » قال في دهشة « ليميل ماذا ؟ » قلت « ليميل دور عاشق . إنني أريده يجلس ويحدق ... يحدق في زوجتي ساعة من نهار . إن زوجتي قد اعتادت

هأدى جميل ، وهناك دريتشر صديق قريب إلى نفسي » ثم رجنا إلى الفندق نتأهب ...

وأبرقت إلى صديقي ... وبلغنا شليرسي عند الساعة الرابعة ، فالتفت صديقي لدى المحطة ينتظر . وانطلقنا جميعاً إلى فندق جميل على شاطئ البحيرة وحللنا غرفة واسعة أنيقة جميلة ، تترأى أمامها البحيرة وما حولها من مباحج . وأضنى التعب زوجتي — أجابا — فانطرحت في فراشها في سبات عميق ؛ أما أنا فقد انطلقت على دراجتي أطوف بالبحيرة والقرية وأستجلى رواء الريف الجميل ، ثم عدت عند الثامنة فإذا هي في الحديقة ، وفي يدها كتاب ما تستقر عيناها بين سطوره ، وعلى خطوات منها بعض الرنمين ، وقس يجلس إلى الحارس . وأخذتني روعة السكان فأحببت أن أقضي بعض وقتي هناك ؛ واندفعت إليها وهي جالسة في ثوبها الأبيض الحريري الجميل ، يتأرجح الطر منها عبقاً طيباً ؛ غير أنه لم يلتفت إليها أحد ، ووقفت بإزائها أقول : « ما رأيك يا عزيزتي ؟ » فخذجتنى بنظرة قاسية وقالت : « أهذه هي شليرسي ؟ أنا لا أستطيع أن أمكث هنا أكثر من يومين فهذا مكان لا يلذني » قلت : « إنه هادى ... والبحيرة ... »

فقاطعتني « والبحيرة صغيرة عابسة » قلت : « والوادي الجميل ... » فقاطعتني ثانية : « والوادي الجميل غير صحي » قلت : « والجبال ... » فقاطعتني مرة أخرى : « والجبال ، أنا لا أحبها ! » ثم نظرت إلى في ازدراء وهي تقول : « والطعام ردى الطهى والجمعة البافارية تملأ الجسم شحماً ، وأنا لا أريد أن أبدو خدلة كالملاحات . إنني أبني حياة هادئة . لقد كان من الخير لي أن أسجن في دير ولا أتزوج من رجل لا يحبني » قلت : « لا بأس ، سرحل

أجابنا وحدها في الحديقة ... وجاء العامل في ثوب أبيض ... جاء بفرد أمر سيده في راعة وإتقان ... ورجعت أحدثها : « لقد ذهبت إلى المحطة ... فراقني أن نساقر على قطار الساعة العاشرة صباحاً » قالت في لهفة : « ماذا ؟ ماذا تمني ؟ أفلا تستطيع أن تستقر في مكان ؟ إنني أميل إلى هذا المكان ، إلى البحيرة ... » فقاطعتها قائلاً : « ولكنها صغيرة ! » قالت : « هذا هو موضع الجمال فيها » قلت : « والجبال من حولها » قالت « لاضير ، فأنشد الهواء الليل في أعاليها . سبقي هنا حيناً من الدهر فما يرضيني أن تضطرب في أنحاء العالم ... »

ومكثنا هناك ثلاثة أسابيع دفعت فيها الثمن غالياً . ولا ريب أن أجاتنا لن ترضى بهذا المكان

هذا النوع من النزول فهي تفرع عن كل مكان تنفذ فيه ببيتها . وسأدفع له ثلاث ماركات في اليوم ثمناً لجلوسه في الحديقة يردد بصره بين الفينة والفينة في زوجتي ، وأدفع له ثمن شرايه » قال : « لاضير ، لاضير ... » ثم نشرت الخبر أمامه ، فقال : « نعم سأفضل غير أني لأستطيع أن أستغني عن واحد من زملائي ، ولكن ... آه ، نعم ، إن في الفرقة عاملاً شاباً فيه الأناقة والطرف و ... دع عنك هذا ، سأحدثه الحديث كله الآن ؛ وفي المساء نبتدي العمل ... » قلت « أشكرك يا صديقي ، ولكن أفطمعن إلى العامل ؟ » قال « وماذا يمتنيك أنت ؟ إن المرأة لاتعني بنظرات من يتعشقها بقدر ماتعني بنظراتها هي ؛ وسترى ... »

طاهر محمد هنيب

بديلاً ...

وعند المساء انطلقت إلى مكتب البريد وخلفت

استديو مصر يقدم نجيب الريحاني في

سلامه في خير

بالاشتراك مع

راقية ابراهيم . روحه خالد . فردوس حسن . حسين رياض . منسى فهمي

فؤاد شفيق . استفان روسي . حسن فائق . محمد كمال المصري . إدومون تويما

وفي نفس البروجرام

كازينو بديعه اسكتش موسيقى غنائي مصري

جريدة مصر الناطقة : مصر المسحورة

يعرض الآن

بسينا رويال بمصر و سينما عدن بالمنصورة

وسينما الكوزموجراف بالاسكندرية

فَلَيْلَةُ الْمَيْلَادِ

لِلْقَصَصِي الْفَرَنْسِي جِي دِي مَوِيَّاسَان
بِقَلَمِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ الْعَزَاوِي

لقد كان يوماً فريداً كل عام . وبخاصة في ذلك العام الذي مضى عليه عشرون من إخوته ... حينما كنت في الثلاثين .. فانا الآن في الخمسين ! « كنت حينذاك مفتشاً بهذه الشركة التي

أديرها الآن ، « شركة ماريتيم للتأمينات » . ولنا أزمع العام الرجل عقدت العزم أن أمضى عيد رأس السنة الجديدة في باريس الالهية . ولم يخالجي شك في أني سوف أفضي في باريس يوماً سعيداً حافلاً ، وليلة مريحة لاهية ... ولكنني تلقيت من من مدير الشركة خطاباً يأمرني فيه أن أبحر — توأ — إلى جزيرة ري « Ré » إذ اندفع فلك شراعي ذو ثلاث سوارٍ إلى الشاطئ فاحتث الرمل وعجز عن الخروج . وكان الفلك تابعا لشركة « سنت نازير البحرية » إحدى عميلاتنا القديمات

« إذن ضاع الأمل في ذلك اليوم السعيد الحافل ، وفي تلك الليلة البرحة الطروب ... وكانت الساعة الثامنة حين تسلمت الخطاب . فوصلت في العاشرة بناء الشركة لأتلقى التعليلات اللازمة . وفي نفس المساء حملني القطار السريع ، فوصلت « لاروشل » في صبيحة الحادي والثلاثين من شهر ديسمبر

« وكان لدى ساعتان من الزمن أقضيهما قبل أن أركب فلك « ري » السفين « جان — جيتون » فطفقت أطوف بالمدينة . وقد عجبت من أمرها إذ لم

لقد كان أمس اليوم الحادي والثلاثين من شهر ديسمبر

و كنت على وشك أن أتدنى مع صديقي القديم « جورج جارن » ، حينما ألقى إليه مولاه خطاباً غطت غلافه الطوايح والأختام الأجنبية . فقال لي جورج : — أتسمع ؟

— من دون شك !

فطفق يقرأ ثمانى ورقات طوال ، خطت عليها يد انجليزية أسطراً في كل اتجاه .. فهي تستقيم في اتجاه واحد حيناً ، وتقاطع في اتجاهاتها أحياناً . وكان يقرأها بصوت بطى خفيض ، متنبهاً لما يتلو أعظم انتباه ... في تلك اللذة التي يحسها عادة من شيئاً يمن قلبه الرقيق

وبعد أن فرغ من تلاوته وضعه على رف المصطلى ثم قال :

« هيه ! هذا من أذبال تاريخ قديم ، مافضت غلفه لأحد من قبل ... تاريخ عاطفي أسدل عليه الزمن سجفه وحجبه . لا يذكركني به إلا بعض الكسائم تهب على من هذا الكتاب وأمثاله ... آه !

— يوسف — « فلما كبراً ذا ثلاث سوار من سفن » سنت نازير البحرية — « قد اضطرت له ليلة عاصفة أن يبحرث الرمل من جزيرة » رى ... »

« وقد كتب مدير الشركة : لقد قذفت العاصفة « ماري — يوسف » في ليلة هوجاء ، فغشب في رمل الشاطئ حتى بات من المسير تسييره من جديد . ولم يكن هناك من الوقت ما يكفي لأن يحمل ما كان على ظهره ، إذن فيجب عليكم تقدير حال السفين المنكوب ، وتقدير ما كانت عليه حاله قبل الكارثة ، ثم الحكم بعد ذلك بأن كل ما بذلناه من جهود كاف لأن يعيده سيرته الأولى . وقد ذهبت وكيلاً من شركتنا كي أقدر حال السفين ، فربما حكمت لهم ، وربما شهدت عليهم أمام القضاء إذا دعت الحال » وبعد أن يتسلم المدير تقريرى يجب عليه أن يعد عدته الدفاع .

« وكان قائد الزورق « جان — جيتون » يعرف كل شيء عن الكارثة إذ دعى وسفينه وألقيت على عاتقه عملية الانقاذ . وقد قص على القصة فى بساطة وسهولة قال : إن « ماري — يوسف » قد قذفته هبة من ريح صرصر عاتية فى ليلة مدمهمة فتحول عن طريقه فضل سواء السبيل ، وأخذ سبيله فى اليم سرياً ، وبات لا يدرى ربه أن فى أى شقة من اليم هو ، ولا فى أى وقت من الليل الطويل ؛ وظل يخط فى بحر من الزبد الغاضب والموج المتدافع والريح العاتية .. موجة تبلمه وأخرى تخلمه ، وريح تسفمه وأخرى تدفمه ، حتى ارتطم بذلك الساحل الهولة . وأنت تعلم أنه كثير الرمل لأن اليم يأتيه برمل « الصحارى » أثناء المد .

وبينا أنا أتحدث كنت أتلفت حولى ، وأدير البصر

أر مدينة أعجب من « لاروشل » . فعلى واسعة الشوارع ملتوية المسالك كأنها اتيه « اللابرت » « وبعد أن طوّفت ما طوّفت فى شوارعها الفريدة حملنى زورق بخارى أسحم إلى جزيرة « رى » وتحرك وهو يصفر صغيراً مدوباً يبدو عليه الغضب والاحتدام . وصرق من بين المنارتين اللتين تحرسان الثغر ، ثم عبر الجون الهسدى فخرج من ذلك السد الذى ابتناه « ريشليو » حفظاً لليناء وأمناً للسفن . حينئذ رأيت المناء كيف يتكسر على صخوره ، وشاهدت الصخور فى البحر تطوق المدينة البارزة فى اليم فكأنها عقد درى زان منحرفها الجليل ... ومن ثم اتخذ الزورق طريقه فى اليم إلى اليمين .

« لقد كان يوماً ذا برد وزمهرير ، فساؤه لمبدة بضباب كثيف وسحب ثقالة ، وكان البحر هادئاً تحت ذلك السقف الواطى للنحوس ، فكان الزورق يخمر فى أديم أزرق صاف ... فى مياه هادئة لا تحركها هبة نسيم ، فكأنها متمبة منهوكة من كثرة ما لاقت من الأثمن والعت ، بل كأنها ميتة لا حياة فيها : أماتها البرد القارس ، وجثم على صندرها ذاك الضباب الكثيف ، وانزل « جين — جيتون » على صدرها الصقيل بأمن ودعة . واستطاع أن يسزى فى تلك اللجة السدقاء الهامدة ، تاركاً وراءه أمواجاً صغيرة لا تلبث أن تهى فتموت .

« وطلعت أتحدث مع القائد مدة ... كان هذا القائد مبدجاً فلا تدرى فى أى موضع ركبت أطرافه منطوباً على نفسه فهو مستدير — إجمالاً — كهينة زورقه البخارى . وكنت أريد أن أعرف بعض خفايا الكارثة التى سوف أقررها : وهى أن « ماري

ذلك في الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والأربعين
أو في الثالثة على الأكثر . وأنا أعديك أن لن تجد على
« ماري — يوسفك » هذا قطرة من ماء أورأزرا
لوحل ... وسوف تسر وتدهش إذ تعلم أن تلك
العملية لن تستهلك من الزمن إلا ساعة وخمسا وأربعين
دقيقة أو ساعتين على الأكثر . والواقع أنه لا يمكننا
أن نقضى في تلك العملية أكثر مما قلت ، لأنه سرعان
ما يعقب الجزر مدا في ذلك الشاطئ اللعين ... لك
أن تبدأ عودتك إلينا في تمام الرابعة والدقيقة الخمسين
— أندرك ما أقول؟ — وأن تركب « جان — جيتون »
في السابعة والنصف ، وأنا زعيم بأن أحملك في نفس
المساء إلى ميناء « لاروشل »

« فشكرت القائد ، ثم تحدثت في مقدمة الزورق
مقعداً أقرب منه مدينة « سان مارتان » فقد كنا
نعدو نحوها في سرعة فائقة

وكانت « سان مارتان » ميناء تشبه جميع
الوانى الصغيرة . إلا أنها تتمايز عنهم بأنها حاضرة
تلك الجزائر التي بعثرها يد الطبيعة — حول القارة —
في قاموس المحيط . كانت قرية كبيرة من قرى
الصيادين ، قدمها في الشاطئ ، والقدم الأخرى
في وشل اليم العظيم ... تفتتات الخضر والطيور ،
والأصداف والسمك ، ومعظم الميش على هذا الأخير ،
لأن الجزيرة خفيفة الأرض قليلة الزرع ، تبدو كأنها
غير أهلة وإن كنت لم أطوف بها أو أوغل بداخلها
« وبعد أن اغتذيت عبرت رأساً ناتئاً مندفعاً
في صدر البحر ، وكان هذا ينطف من ورائه فجأة .
فكنت أصوب النظر — فوق الرمل — إلى مكان
بعيد ، شديد البعد ... حيث تبدو نقطة سوداء
بأقصى الأفق هناك بعيداً ... بعيداً ... وحثت .

في كل مكان : فقد كان هناك بين أديم المحيط وسطح
الضباب مجال تجول العين فيه وتبصر . وأخيراً
شارفنا أرضاً قتلت :

— أهذه جزيرة رى ؟

— أجل يا سيدى !

وأشار القائد بيده — فجأة — إلى شيء غير
واضح يقوم بقاموس المحيط — تقتحمه العين ولا
تكاد تدركه — وقال :

— هيه ! هذا سفينك

— ماري — يوسف ؟

— نعم بالطبع !

ولكنى ذهلت ... ! ههذه النقطة السوداء
« ماري — يوسف ؟ » تلك التي لا تكاد تبصرها
العين حين بصرت بها حسبها قبة صفوان غارق في
اليم ! وبدت لي النقطة تبعد عن الشاطئ ثلاثة
كيلو مترات سوياً ، قلت :

— ولكن أيها القائد ! لا بد ألا يقل غور الماء عن
مائة وخمسين متراً في تلك النقطة التي أشرت لي عليها
فلفظ بضحك ، ثم قال :

— مائة وخمسون متراً يا صاحبي ! إنى أقسم أن
ليس هناك متران ! فكيف غورك الذي فرضت
يا صديقي ؟

— حقاً إنها مشكلة !

ولكنه استمر يقول :

— نحن الآن على المد ، فالساعة لا تبلغ التاسعة
والدقيقة الأربعين ... لك أن تذهب أنى شئت ...
فامش والشاطئ ضاماً يديك إلى جيوبك ، واملأ
بطنك الرقيق بما يقدم إليك « فتبدق ولى المهد »
من آكال شهية وأشراب فاخرة ، ثم عد إلى بعد

« وبدأ إلى الحوت، وقد تطرح على ذلك البساط الأصفر كبير الحجم عظيم النسب، وقد تفتته بعد ساعة من المشي السريع ...

« لقد استراح على أحد أعطافه مهدماً محطماً. يبدى للناظر عظامه المروقة وأضالعه اليابسة. مثلما يفعل الحيوان المليل... حقاً لقد كانت ألواح سحابة من أثر القطران. ولكن من يتبادر إلى ذهنه أنها من أثر القطران، وليست عظاماً نخرة فتتها السوس وسودها البلى؟ إن المدقق يستطيع أن يميز هذا من ذاك. وما ذلك بفضل فراسة أو ذكاء، بل بفضل دُرسٍ حديدية، ومسامير فائقة في الخشب! سوف يرى المدقق وغيره أن الرمل قد فرغ من غزوه من زمان بعيد. وأنه قد غزاه من كل ثلثة فتقها الحطم فيه. حقاً! لقد تغفل الرمل فيه حتى بات من المسير أن ينظفه المرء أو ينتقل الفلك منه. بل لقد حسبت أنه لما في الرمل كما ينمو الزرع في الأرض، فليس إلى اقتلاعه من سبيل. لقد غرسه الزارع من مقدمته فهي تبدو مدفونة في ذلك الرمل الأصفر، بينما ترتفع مؤخرته إلى السماء فارة ضارعة كأنها صبيحة غوثٍ يائسة! وكانت كتلتان رجحهما اليأس وأضواهما الحزن، تبدوان على عطفه الأعلى:

« ماري — يوسف »

علوت جثة الفلك من عطفه الذي استراح عليه، وبعد حين كنت على سطحه الأعلى، ثم دخلته لأطوف بحجراته وأبشائه ماسحاً لي الرمل بذلك. وكان النور الشاحب يوصوص إلى من تلك المنافذ التي أنشأها فيه مبدع الفلك، أو من تلك الفتوق التي أحدها الصخر فيه. وكان

الخطى فوق ذلك السهل الأصفر، فكانت قدمي تنوصان فيه كما تنوص يد الجزار في لحم عجول سمين! لقد كان البحر في جزره بعيداً عن الشاطئ الطويل؛ وكثيراً ما أنعمت النظر كي أبصر ذلك الخط الذي يفصل الرمل عن المياه الصافية فلم أفلح إلا في رؤية خط باهت مفرغ لا تفاصيل فيه ولا ملامح... والآن... ينبطح المحيط الأطلسي أمامي تماماً... الشاطئ يحجزه... فلست أدري أهو يحضنه محبة أم يتأهب لأن يصد غارته إذا ما عاد بمده صاحب... كنت أسير في مغازة وحدي، بلطفي نسيم البحر في هينة ودعابة... ويلقي الماء الأجاج برائحته الفظة الحمة... ولكني بين ذلك لا أعدم هبة من نسيم البر القوي... من روائح العاقول وذلك النبات الذي ينمو على الشطآن، ولا أعدم هبة من نسائم الموج الهادي حين الجزر...

« كنت أسير وحدي، وكانت تشأني أرواح أولئك الذين أماتهم البحر غيلة واقتساراً. نعم! وكانت تحوم حولي، وتحاذني بأصواتها الخافتة، يحملها النسيم على أجنحته الخفية.. ولكني ما كنت أحيي ما تقول شيئاً، فقد كنت من آن لآخر أسرع الخطو وأوسع الخطى... وأدقاني الجهود إذ زاد عني برد الجو الشديد، وبدأ الضالّ « ماري — يوسف » يتراءى لي بطلا غالماً اليم، ولفظها الموج على الشاطئ؛ ولكنه كان يكبر كلما تقدمت رويداً؛ حتى هالني عظم حجمه، واعتقدت بأنه حوت هائل قد أجهد صيادوه أنفسهم في صيده وإخراجه من البحر، ولكن جهودهم تكاد تذهب سدى، فالحوت ينطرح على عطفه الأيسر، ويوشك أن ينزل إلى اليم مرة أخرى...

فيذكر أن كيف مات ، ثم يقصان على من أنباء
الفلك ما لم أحط به خيراً . ولا أكتفك أني
ذعرت لتلك الفكرة ، فقفزت إلى سطح السفينة
من إحدى الكوى . وهناك عند مقدمة الزورق
شاهدت سيداً وقوراً ، قد حفت من حوله ثلاث
فتيات حسان... أو بالحري سيداً انجليزياً تحف به
فتياته الثلاث ، ولا يتأجلجلى ريب أنهم فزعوا جميعاً
إذ يروني بنته أخرج إليهم هلعاً جزوعاً ، فقد كانوا
يحسبون الفلك خالياً وحيداً ... وفرت صغرى
البنات ، ولا ذهب عنها الروع عادت . أما الفتان
الباقيتان فقد أمسكتا بأبيهما خشية أن يسقط على
الأرض . أما هو فقد ففر فاه دهشةً وذعراً .
وكان هذا كل ما أبداه من علامم الدهشة والحيرة .
وبعد ثوان قال :

- آه ياسيدي ؟ أنت صاحب هذا السفين ؟
- نعم ياسيدي !
- أسمح لنا بزيارته ؟
- إذا تكرمتم ياسيدي !

ونطق بعد ذلك بجملة غريبة الألفاظ لم أدرك
من ألفاظها إلا كلمة « كريم » فقد كانت تتردد في
كلامه كثيراً

وطفق يبحث عن مكان سهل الصمود ، فدلته
وأعطيته يدي ليستعصم بها من الزلل . وبعد أن
ارتقى السطح أعنت الفتيات الثلاث على الصمود
معنا إلى سطح السفينة الأعلى . لقد كن جيلات
ساحرات ، وكبراهن خاصة ... ملاك في
الثامنة عشرة من عمرها ... يانة كالزهرة ، فاعة
كالباية ، عاطرة كالترجة ... دقيقة ... رقيقة !
لينة الماعطف مرهفة القوام ... احقا ! إن هؤلاء

يأتي بأشعته الحزينة على تلك الحجرات والأهباء
التي سيرها الرمل كهوفاً وغيرانا ... لم يكن هناك
شيء سوى الرمل ... والرمل فقط ... !

وبدأت أسطر على قرطاس ما أشاهد من حال
هذا البضال النكود . وكنت أبني أن أفرغ من
تقريرى ، ولكن جوف الفلك مظلم لا يدخله النور
إلا من كوة صغيرة تنكفي لأن أبصر منها جل
الشاطي الأصفر ... كان حينذاك الوقت أصيلاً ،
تداعب الشمس فيه بنورها الذهبي رمال الشاطي
الصفراء فتكسبه نوعاً من حياة وبهجة ، لاتبث
هذه أن تفيض وأن تنقبض هذه الأخرى . ذلك
لأن الشاطي كان وحيداً فلم يكن به أحد غيرى ...
وغير ... « ماري — يوسف » ؛ وإلى لا أذكر أن
منظرآ من مناظر الغروب قد أثر في مثلاً أثر هذا ،
فقد ملك ما ملك من زمام حسي وذهنى ، واستولى
على ما استولى حتى لم أعد أصطبر عنه برهة ربما
أخط بضع كلبات في تقريرى الطويل . إن الطبيعة
تتجلى في الأماكن للنزلة قسحراً وتأسر ...
ولكنى تلهيت عنها فجلست على دن مقلوب مشم .
وأسرعت أخط ما يعين لى من الفكر كى أفرغ من
تقريرى سريعاً . وبينما أكتب كنت أصح هممة
جافة خافتة ... إنها هزيم الموج البعيد ... إنها
عواء الرخ المتيد ... إنها أهات الفلك الضاربة ...
بل هي آتاه الموجة ... كلا ! إنها أصوات غامضة
تحدثها مئات بل ألوف من حيوان اليم العظيم !

وسمعت بقرى أصواتاً آدمية فجأني فبهت
وتحيرت في أمرى ، فوثبت جزوعاً كأنما أنا أمام
شيطان رجيم ! لقد جلست — في برهة — أن
غريقين سوف يقومان من قاع المركب ، يأتیان

وعلمت أنهم يقضون الشتاء في «بياريتز» وأنهم قد وصلوا جزيرة «ري» أخيراً كي يشهدوا منظر «مارى - يوسف» وهو غارق في اليم محترقاً شاطئه ورملة. ولم أجد بوجوههم ذاك التجمع الذى يشف عن غطرسة طلالا غرسها أنجلترا في نفوس أبنائها الكرام. لقد كانوا نبلاء بسطاء : هؤلاء الناس ! لا أثر لكبر ولا غطرسة ! كانوا من هؤلاء السواح الدائنين الذين تقذف بهم أنجلترا إلى العالم يخبرونه ويعلمون أسرارهم . فالألب سمهرى القوام ، بادي الهزال ، عظيم الوجه أحمره ، يحده من الجانبين عذاران ناصعا الشيب . وكذلك بناته فأرعات القوام باديات الهزال كذلك — إلا الكبرى — رقيقات لطيفات ... وكبراهن خاصة !

لقد كان لكبراهن أسلوب في الخطاب وفي الحديث ... في الفهم وعدم الفهم ... في تصويب حديثها نحوى إن أرادت سؤالى ... حديثها الصافيتين كماء المحيط ! في الإمساك عن الرسم كي تقدم ما رسمت ، وتمدل ما خطت من خطوط ... في الإقبال على العمل بنشاط وجور ... وفي إجاباتها « بنم » أو « لا » ... أسلوب جملي أذهل وأدهش ... أذهل عن وقى ونفسى مما ... جملى أعلق السماع لها ساعات لا عد لها ... وأغرم بترقب ما تسقطه شفتاها اللساوان من رائع اللفظ وعذب الحديث !

وعلى حين غرة قالت لى هامسة :

— إلى أسمع صوتاً تحت هذا السفين

كأنى أسمع الصوت أنا الآخر ! فقفزت إلى سطح الزورق الأعلى لآتني هؤلاء الناس !

الأنجليزيات الحسان يشهن زهرات بديمة تمدها المحيط بلطفه ، وجباها بملطفه ، وشملها بمنايته ؛ فنشأها على جماله ونسقه ... ولو صح ذلك لكانت كبراهن إحدى الزهرات اللاتي نشأن بشاطئ أصفر لا تزال تحفظ له الهد ، وتخلص له الود ، فاتخذت من رمله شعرها الغزير البديع !

وكانت تتحدث بلهجة أسلم من لهجة أبيها ، فكانت ترجاناً بيني وبينه . وكان على أن أقص عليهم الكارثة وخوافها ؛ فبدأت أنسج الحوادث ، وأنغم التفاصيل ؛ وكنت أقدر الحوادث في صهارة وحلق ، وأؤكد في التقرير ما وسعني التأكيد ؛ فكانت كفت حاضراً حينذاك ، فأنا أحد الذين كرمهم البحر بغيره ... ! وما دخلوا جوف السفين الذى ينيره بصيص من نور ينفذ إليه من الكوى والفتوح حتى علت صيحات الفرح والإعجاب ... وجذب الوالد وبناته دفاتر الرسم لاشك أنهم كانوا يحملونها في ثيابهم الواسعة . ثم أخذ كل يخط رسماً « كريكاتوريا » لذلك الشكل النائر العجيب ... حقاً ! لقد كان شيئاً لا يقدر على وضه إلا يد اليم الماهرة ، ولا يقدر على رسمه إلا يد فنان موهوب ... وساد الجو سكوت حبيب . ولك أن تخيلهم وقد جلس أربعتهم كل قريب من الآخر ... أبوهن في طرف وهن في الطرف الآخر ... قد جلسوا جميعاً على روط خفيض ثم وضعوا دفاترهم على أنفاذهم وانحنوا عليها يرسمون منظر الفلك الحزين . وبدأ كل يخط خطوطاً لا بد أنها تتحد منظر السكان مرسوماً من الداخل المتم وبيننا كبراهن ترسم كانت لا تكف عن التثرة والحديث سى ، أما أنا فقد كنت أجلس جوارها أقارن بين ما ترسم وهيكلي «مارى - يوسف» المنكود ...

مقدمون عليه من خطر عظيم . فوددت لو صرخت :
« النجدة ! » ولكن لمن أوجه الصيحة ؟
« واحتضنت الفتاتان الصغيرتان أباهما .. وكان
هذا يحدث في البحر الساخر بعين غاضبة محفنة
« أسدف الليل قبل أن يسرد البحر مياه الد
فكان ليلاً رطباً ثقيلاً بارداً ...
وأخيراً قلت :

— لا شيء لدينا سوى أن نمكث الليل بهذا
السفين .

— نعم بالطبع !

« ألبئنا كذلك ربع ساعة ؟ نصف ساعة ؟
لست أدري كم من الوقت لبئنا ، ولكن الذي أدريه
أنا كنا جميعاً متكاتفين ، نحدق في المياه الهادئة من
حولنا ... تأتي جمجمة من بعيد ، فتتحدق على
المنرج ساخرة ، وتمس الزورق فنحس بأنها تقف .
كلا ! لم تكن تقف ، بل كانت تيمس وتدلف
— ساخرة — إلى الشاطئ المغلوب !

« واستشمرت إحدى البنات البرد يقرسها ،
ففكرنا حينئذ في الرجوع إلى جوف الزورق من
جديد لتتق هبات النسيم البارد ، وانحنيت على السلم
فألقيت الماء على قاع السفين ، فافترحت عليهم أن
نمكث في مؤخره المرتفعة ريثما نجد لنا مخرجاً من
مازقنا هذا ، أو نكون في مكان يمصتنا من الماء
إلى حين

« لقنا الظلام بمسوحه السوداء الطاخية ...
وتقارب كل منا من صاحبه كي يشيع الدفء فينا ...
ولكن ... كان يحيطنا الماء والظلمة ! أحس بحمسه
يرتد بجانبني فيرتطم بكتفي ، لقد كانت صفري البنات
ترتعد من خوف وزهرير ، وأسنانها تصطك من
(٢)

/ وأصنعت السمع فسمنت إذ ذاك هممة ، سمعتها
منذ أمد قصير . كنا نسمع هممة جافة مستمرة في
حفيف غير حالي الثبرات ... تستمر في صوت أجش
خفيض ... ما هذا ؟ رفمت رأسي وفزعته إلى
النكوة فصرخت صرخة مدوية : لقد استردنا اليم
لخاطنا بمائه وموجه !

وقفزنا جميعاً إلى ظهر المركب ، ولكن أزمة
الفرصة قد أفلتت جميعاً من بين أيدينا . فقد عرفنا
الأمر أخيراً ولات ساعة مفرقة ! حاضرتنا المياه
من كل جانب ، كل فوج يتبع الآخر ، والوج
يكسح بمضه . بعضاً ... كلا ! لم تكن تعدو ! بل
كانت تحبو مدلة وادعة ترمقنا بسناها الذهبي ، ثم
تودعنا وهي تترنم بخيرها الساخر في الطريق إلى
البر القريب ! ماذا حدث ؟ لا شيء ! أكثر من بضعة
أمتار من الماء قد سبقتنا إلى الساحل ... ولكن
لم يكن المرء بمستطيع أن يميز حد الماء الزاحف على
رمل الساحل القريب

« وقد تأهب الإنجليز للمغامرة بأنفسهم وسط
الماء الترحل إلى البر ، ولكنني منمتهم لأنه بات
أماناً مستنقع عميق يأتيه الماء متحدراً من منرج
مرتفع ، فإذا ما قفزنا فيه جرفنا الماء وأغرقتنا
دوامات النحدر

« وانصب النغم في قلوبنا صبا ، إذ كانت لحظة
عصيبة لمسا ما بعدها من اللحظات السود ... ولم
نكن ندرى ماذا نفعل ... على أن صفراهن ضحك
قائلة :

— بئنا نحن المنكوبين المفرقين !
« وأردت أن أضحك . ولكن الملع الجنى
وأخرسني ... إذ تتلأأأى ما نحن فيه وما نحن

— آه حقاً إنه يؤذيني
وأردت أن أهبط معطي ولكنها أبت . غير
أنى خلعت وألقيته على كتفيها بالرغم منها
وبدا الهواء يحرك الوج — في هنية ورفق —
فيسمع له خريف خفيف ، ولكنه تعاظم واشتد
فانقلب زفيراً صاخباً .. واندفعت المياه إلى فلكنا
لاهثة غضبي ... ووثبت إذ ذاك فجأة ، فقد لطمني
الهواء البارد في وجهي ، وبدأت العاصفة !
« وأحسن السيد بما أحسست به ، فما زاد على
قوله :

— إن هذا لمضر بنا ... إنه ...
« هو مضر بنا جميعاً دون ريب ... إنه الموت
الأكيد الأسود ! ... فقد بدأ الوج — حتى
الضعيف منه — يهاجم السفين . ذلك الرمث المفكك
يربطنا ظهره بالحياة . فإذا ما صفعته على جنبه موجة
هوجاء تفككت أوصاله ، وانفصمت عراه الواهية ..
« كانت ظلمة الليل تزيد وتعظم كلما هبت علينا
ريح مسحاء عاتية . وكنت إن أنعمت النظر في الماء
— في تلك الخلقة المتكاثفة — رأيت خبالاً من
الزبد يشد بعضها بعضاً ، ثم تتلصق في أعطاف
« ماري — يوسف « التكدؤ ، فتتحرك ، وحينئذ
تهبط قلوبنا في البطون ، وتبلغ أرواحنا الحلقوم
خوفاً وفزعاً .

وبدأت كبرى الفتيات تضطرب وترتد ،
فالتصقت بي تلتصق لدي دفناً ... وتملكت من
زمامي رغبة جامحة أن أحضنها بين يدي ، وأغنيها
في صدري !

هناك البحر ... البحر من خلفنا وأمامنا ،
والبحر عن يميننا ويسارنا ... وهناك على البر تقوم

حين لآخر بصوت جاف خفيض ... لا تتحدث
إلا غرراً بعد أن سجدنا على أخاذنا — كما يفعل
العابد الخائب — نحدق في المياه الداكنة بحزن
وجزع . ومع ذلك فقد بدأت أستشعر لغة غريبة
تنهز قلبي الواجب برغم الليل الحالك والبلاء العظيم !
لغة قوية أجدها في البرد القارس والليل الحالك
والكرب الميت ... في تلك الساعات المضطربة
السفاه التي أمضيها — والتي سوف أمضيها فوق
ذلك الرمث الهائم في جوف الليل البهيم — قريباً ..
قريباً من ... تلك الفتاة الساحرة !

وتساءلت طويلاً فيما بيني وبين نفسي : لم غلبني
على أحسني هذا الشعور بالفرح والسعادة ... له ؟
« له ؟ هل أدري ؟ .. أألها بقربي ؟ .. من ... ؟
هي ؟ .. ومن تكون « هي » ؟ فتاة إنجليزية مجهولة ؟
إني لا أحبها ... بل لا أكاد أعرفها ... ثم ... ثم
بعد ذلك أستشعر حناناً هائلاً يعصف بقلبي ال ...
مفلوب ! وددت لو استطلعت إنقاذها ... بل وددت
أن أضحي بنفسى في سبيلها ! .. هذا الشيء الأجنبي !
الليل يثقل بيزده وجلسته ... أمواج من ماء
وأخرى من أسداف الظلام ... ليل ساد وغممت
مقيم ...

« وعلى حين غرة سمعت نسيجاً ... وأسفا !
كانت صغرى البنات تبكي . وحاول أوهها أن يسليها
ويداعبها فاشتركت معه أختها . فتكلم الجميع بلفتهم
التي لا أعرف منها لفظاً ... لكنني حدثت أنهم
يهدهونها ويداعبونها ، ولكنها تأتي فتنتطوى على
نفسها في خوف وفزع

« وسألت جارتى :

— ألا تحسني برداً يا أخته ؟

يما شادت وماحلا لها من أهاليج الفرح والتطريب
علنا نلبي ما نمانى من بلاد وعنت . وأرذنت جارتى
ما اقترحت عليها ، فهاهى صوتها فى الليل حنوناً
قويماً . ينثى الشعر ، ويثبث الشعر حياً . تهادى ...
فترقق ... ثم سال حزناً وأسى . لقد كانت تنفى
لحناً حزيناً دون ريب ... إذ كانت تستأنى بنبأه
ومقاطعه ، فيخرج من بين شفثها حزناً موجهاً ...
ثم ... ثم يصدر عن السفين ... يهيم فى الظلام ...
ليتكسر على ردوس الصخر وشعافه ... ثم يغيب
فى شحكات الموت الساخرة ! ولست أدري هل
كنت بقلان حيناً حسبت أنى أسمع صوت كروان
جريح ينوح ويكيى بيننا . رجعت فوق الموج فى
حزن ولجب ! ... ؟

وسخر بنا البحر فماد بمده ، ثم طفق يرتطم
بسفيننا « ماري — يوسف » ولكن ... لم أكن
أنا لأفكر فى شيء من هذا ... لا أفكر إلا فى هذا
الصوت الحنون !

وما لبثنا إلا قليلاً حتى انقلبت بنا السفينة بركة
فقد اعتدلت كأنها تستعد لنزال ، فاندحنا — برغمنا —
على سطح الزورق الأعلى . وانطرحت على كبراهن
فأمسكت بها فى جنون ونشوة ، فضممتها إلى دون
ونى ولا تفكير ... لقد كنت أحسب أنى أنشئ
آخر أنفاسى ، فوددت أن يكون حيناً آخر عهدى
بهذه الدنيا ؛ فسرعت أقبل ذلك الشعر الجليل الجميل
الآن ! لم يعد السفين يتحرك ... ولم نعد نحن نحتلج
وساح الأب فرعاً « كيتى ! » فأجابته من بين
ذراعى : « نعم ! » ثم تطلعت من بين أحضانى ...
يا لها من لحظات ! كم وددت حينذاك أن ينحطم
« ماري — يوسف » فيلما بنا البحر سوا

النائر ... ومنها تبراقت الأنوار البيضاء والحرارة
والزرقاء كل له ميزته ودلالته ... تبراقت أمامنا
وخلفنا . وتدور نافذات كل منار من آن لآن ...
فكأنها عيون باحثة ... عيون مرعدة تسائل عنا
الليل البهيم ! وقد حسبت أن إحداها عثرت علينا
فهي تسلط فى سيرها ، فكأنما هي تتعرف علينا
خفية وتتوسم الوجوه ! ولكنها ضايقنى هذه
النارة وأغضبتنى ! فقد تراءى لى — بعد لحظة —
أنها تتلهب كمين الماذل الثقيل ! فهي تبطل فى
السير كظلمة غضبي ! ثم لا تنمض أحفانها عنا إلا
على قذى وشجن ؟

وكان السيد الإنجليزي يشعل عوداً من الثقاب
ليرى الساعة من حين إلى حين . وعلى حين بشفة قال
لى — من فوق رؤوس فتاته — فى لهجة بالسة :
— سيدى ! أتمنى لك عاماً سعيداً ؟

لقد كنا فى منتصف الليل فتمنيت له ماتمنى ،
ومددت له يدي فشد عليها بجمرة ، ثم قال لبنتاه جملة
طويلة لم أققه منها شيئاً ، فبدأت الفتيات يتفتن
— وهو مهمم — وارفع الصوت حاراً قوياً ،
ينشد : « الله يحفظ الملكة » فهاهى النشيد فى الليل
البهيم وحوتم فى الظلام الأبكم ضارعاً ملتاعاً ...
وأحسست أولاً رغبة قوية فى الضحك ،
ولكنى أمسكت بفضل شعور فاضر عجيب ...

لقد كان شيئاً غريباً منكوداً ، لازمه سوء
الطالع فألمبه وأرهقه : ذلك النناء .. غناء الموتى
المفرقين ... غناء من ضرب عليهم الموت فلا صرخ
لهم ولا هم ينقدون ... ذلك الغناء كان شيئاً يشبه
الدعاء والابتهال !

وبعد أن فرغ النناء طلبت إلى جارتى أن تنفى

وقال السيد :

لماذا ... ؟ وأنا الآخر لا أحدها عن شيء إلا عن
« ماري — يوسف »

غرامى الأول والأخير ... المرأة التى أحبتها
وأحبها ... كلا ! بل التى سوف أحبها ... آه !
لقد كرثنا الدهر كما كرث اليم « ماري — يوسف »
وحطمتنا الحب كما حطمه البحر ... وضل كل منا
فى الحياة طريقه ، كما ضل « ماري — يوسف » فى
الظلام طريقه ... إن الحوادث تحملك بعيداً ...
بعيداً ... ثم بعد ذلك ... بعد ذلك ... كل شيء يمر
وينقضى ... فعلى الآن مجوز دون شك ... لا أكاد
أعرفها إذا ما لقيتها ... فتاة الساضي ... فتاة
« ماري — يوسف » الشريد ... أى مخلوق ...
مقدس ! لقد حدثنى أنه قد أبيض شعرها شيئاً ..
وهذا شعرى يشتمل فيه المشيب ... يا إلهى ! إن
هذا يفزعنى ... آه ! تلك الفدائر ... الفدائر
الصفراء .. كلا ! إن وجهها قد غاض وتغضن ...
إيه أيها الداكرة ! أى ذكرى أليمة تبهثن ...
سيد محمد العزاوى

رفائيل

شاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثنى ١٢ قرشاً

— إنها خطيرة باغته ، ولم تحدث بنا ضرر ، فما
يزال بسطح الزورق أطفالى الثلاث
يا الله ! لقد كان يحسب — حين لم يصبر فتاته
الكبرى أنه قد شكها
وناب إلى الرشاد رويداً رويداً . وهناك عن
كتب شاهدت نوراً يترجح على الماء الناضب ...
وصحت فردت الصيحة . لقد كان زورق الفندق ، أنى
ليبحث عنا بعد أن أدرك ما قدمنا من تهور
ونجونا ، وكم أسفت لقلبك ! حلنا الرجال عن
الرمث إلى زورقهم الثين ، فلا أمل فى الكرب
ثانية ... ! وأخيراً عدنا إلى مدينة « سان ماركان »
وفرك الأنجليز أيديهم :

— العشاء ، العشاء !

« وقد طعمنا ... ولكنى لم أكن سميذاً ...
لأنى حزبت على « ماري — يوسف »
وكان لا بد أن نفترق فى القد . وبرحوا الجزيرة
إلى « بياريتز » بعد كثير من الوعود والقبل . ولم
أكن أستطيع اللحاق بهم ، فهناك قيود العمل اللعين
كم كنت مجنوناً حينذاك ! كان على أن أطلب
يد الفتاة ، فإنى واثق أنى لو مكثت معها ثمانية أيام
لكنت فى التاسع زوجها !

كم يكون المرء — أحياناً — ضعيفاً غامضاً !
ومضى عامان لا أسمع فيهما من أخبارها شيئاً .
وفى رأس الثالث تسلفت من نيويورك خطاباً . فقد
تزوجت هناك ، وقد قلت لى ذلك . ومنذ ذلك
الوقت ونحن نتراسل فى اليوم الأول من يناير كل
عام ، وهى تحدثنى عن معيشتها ... أطفالها ... عن
أخواتها ، أما عن زوجها فلا ... لماذا ؟ آه !

يَقْظَرُ الضَّمِيرُ

لبوريس فيليبوف
بقلم الأستاذ محمد لطفي جمعة

عن نفسه في كل مساء باللو
في الأندية والملاعب والحانات
ويحتم لينتبه بالخاصرة
والمافرة - وأحياناً بالقاهرة
على المائدة الخضراء فيريح
ما يريح ليعوض نفقات
سهرته ، أو يخسر مالا يؤثر
في زوته . ولم يكن متزوجاً
لأنه مازال في عنفوان

الشباب ، ولم يلق في الأماكن
التي كان يفشاها تلك التي تتغلب
على عوامل المزومة في نفسه ، بل
كان يكتفي بالو التي يقضين لباتته
في لقاء صاحب ، تسبقه نشوة
اخمر وتمتبه لذة الذكرى . وكان
يذكر تلك الأيام والليالي جيداً
حتى التافه من حوادثها ، واستمر
على تلك الحال بين العمل واللغو
حتى التي بالفتاة «جوتي» وكانت
امرأة مدرس صغير في مدرسة
ابتدائية ، وكان الزوج فقيراً
يكفيه مرتبه كمعظم أبناء صنفته

الذين تستغلهم الحكومة ليجرؤوا رجال المستقبل ،
وهم يموتون جوعاً ، ويلاقون الويلات من شظف
العيش . ولكن جوتي .. ما أحل هذا الاسم في فقه فقد
كان يتلمظ إذ ينطق به كأنه يحسو خيراً أو يستوعب
قطعة من الحلوى المحشوة بالجوز واللوز عند ما روى لي
قصتها وقصته بنفسه قبل مونه بأيام قليلة قال : لم
تكن محبوبتي جوتي جميلة وصغيرة فحسب ، بل كانت

(اشتهر هذا الكاتب الذي نشأ في
مدينة كييف ، عاصمة مقاطعة پادولي
بدرس أعماق النفس البشرية ، والاحاطة
بالعوامل النفسية التي تنتج عن تغير
أحوال الفرد بفعل القضاء والقدر
وهو يعتقد أن الانسان أداة عاجزة
و « عجيبة لينة » في يد الفلك المدار
فهو ليس ملك نفسه ، وليست لإرادته
بناقة ولا بشافة إذا تحكمت لإرادة
عليا . وقد وضع قصصاً طريفة تؤيد
نظره ، وتعرض بعضها في مجلات
برافدا ، و « ذرفي دانيا » وفي
مجموعة صغيرة دلت على علو كعبه في
فن القصة ، ولكن اللينة عاجلته في
منتصف العقد الثالث في عام ١٩٢٢
وهذه القصة من خيز ما كتب)

كان صديق بوريا مقاولاً
وفناناً وقد درس صنعة الغارة
على أبيه ، فقد كان مهتماً شهيراً
شاد بعض قصور النبلاء وشارك
في رفع قوائم كنيسة سانت
أندريه في ساراتوف على نهر
القولجا . وكان له مال وفير ورث
بعضه عن أبيه وحاز بعضه بمجده
وكده . فنشأ في العز والترفع ،
وعاش عيشة راضية سعيدة .
وقضى شبابه في بطرسبرج عاصمة
القيصرية ، وكانت أجمل المدن
في نظره ، فكان شديد الإعجاب

بها ، يصفها بأنها ثمرة خير قران بين المدن والمرمر
والماء ، ولم يوفق البنافون في أنحاء العالم وفي كل
المصور إلى ما وفقوا إليه في تشييد قصورها ومد
جسورها وتزين طرقها ولاسيما برسيكتيف نيشكي .
فكان بوريا يعيش سعيداً بين عمله وبين إعجابه بمسقط
رأسه ومدينة أحلامه ، غير مكترث بما كان يقع
في قصورها وسجونها وحسونها من الظالم ، يرفه

كان حاضراً لا غير حضوره موقناً ! نعم كنت أحبها على الرغم منه ومنها ومن العالم أجمع . لم يكن قدھا ولا جمال وجهها وعينها ولا رخصة أناملها ويديها ولا إبداع مساوتھا التي فتنتني وحدها ، بل صوتھا أيضاً ... صوتھا ... كان هذا الصوت مزيكاً من الموسيقى وتثريد البلابل وهزات النسيم وسحر النغم القامض وحنان الأم ، فاجتذبتني قبل أن أفيق من غشيتي لدى رؤيتها . لقد تثلت لي فيها الأنوثة الكاملة وأردت في لحظة جنونية أن أوزق منها بفلام . لقد صرخت الطبيعة في أذني ، وتحرك كل ساكن في كيان ، وفي لحظة أخرى عدت إلى نفسي فاحتقرت نفسي لاتهامي في الشهوات البخسة ، ورأيت ضرورة الشئير قبل أن أنس بكلمة ، لأصبح رجلاً جديداً جديراً بحبھا ، ولا بد من أن أطلق ماضي حياتي الملوثة بالدنایا قبل أن أفوز بيدها . هل تتخيل أن هذه المعجزة تم في دقيقة واحدة على يد امرأة صغيرة ؟ ولكن المعجزة تمت ، فإن جوتي بادلتني حيي ؟ ولم يكن الفقر وحده سبب مطاوعتها إليي وتليينها نداء قلبي — لأنها كانت مستورة — ولم يكن نداء الجنس بالدافع الوحيد لها — لأن زوجها كان شاباً — وقد قالت لي إنها لا تشمر بالخطيئة الزوجية ، لأنها أحبت باخلاص ، وإن الذنوب لا يشعر بها إلا بالرغم على اقترافها . أما الحب الطاهر ولو كان مشوباً بالتسليم فلا يشعرها بالخطيئة ، فقلت لها : يا جوتي الصغيرة ، يا جوتي الحبيبة ، يا حلم الملائكة ورمز هيلانة الهاربة في سبيل باريس الفارس الجليل ، كيف تقولين ذلك ؟ إنه ذنب ضد عقيدتنا ... فنظرت إلي نظرة قصيرة ثم أغضت ... هل هو عتاب أم تكذيب ، أم تغليب إرادة الحب على إيمان القلب ؟ لست أدري ! اللهم اغفر ذنب حبھا إليي فقد أحبتني

فانت قدرة نادرة على تنظيم الحياة وتدير الدار ، حتى تمكنت من مطاردة الفقر ومحاربه بالفطنة . فكانت تمدل النداء والمشاء ، ولكن جسمها كان دائماً نظيفاً معطرأ . وتبدو أناملها التي تمارس الطهي مرتين في النهار رخصة دقيقة لم يعلق بها أثر من آثار النار أو الدسم ؟ وكان شعرها أسود لامعاً ، أما عينها فنبتان من منابح الجمال . كيف أصفهما وهما بلون القطيفة الخضراء وحولهما إطار بلون الشهد الذهبي ؟ أما ثيابها فقد كانت فتنة الفنان كأن مصوراً يفكر ثم يتفكر ، ثم يخرج فكرته ؛ فهي ثياب رخيصة ولكنها متقنة بل إلى ما فوق الاتقان . وهي التي علمتني أن الثوب ليس بشئ فاشه ولا بلون رسومه ولكن بدقة صنعه وتطريزه . كانت على فقرها محسودة من ربات الحجال من طبقة الأغنياء ، فصجحت تلك الفاتنة في أن تعيش بالخيال وجعلت من حياتها وحبا حلماً رائعاً . فلما رأيتها أثناء زيارة فنية في بيتها الصنيز في شارع بوشكين في الخطط الرابع في الدور الأعلى من المارة رقم ١١٧ ، نسيت نفسي ونسيت وجه الدفترنيك (البواب) اللميم الذي لم أر أبيض منه في حياتي . لقد نسيت نفسي حقاً وتساءلت أفي الأرض أنا أم في السماء ؟ وأحسست أنني تغيرت في طرفة عين ، وصرت رجلاً آخر ، لأحب سواها ولا أفكر إلا فيها ، ووهمت أنها لم تخلق إلا لتسعدني ونسيت أنها متروجة ، وأن لها رجلاً آخر يماشرها ويسعى على رزقها ورزقه . وناب عني شبحه وفكرته وصار في ذهني الملهب كأنه شخص خيالي لا وجود له في الحقيقة !! هل هذا هو ما يسمونه الحب للوهلة الأولى ، أو دقة الصاعقة ؟ لا أدري . والعجب في أمرنا أنها هي الأخرى أحببني منذ تبادلنا النظرة الأولى ؛ وكان زوجها غائباً بالطبع ، وفي ظني أنه لو

وأنتذرتني. عجبا! هل يحوز ذنب واحد ذنوباً جمّة؟
 هذا هو الذي حدث. فإني بعد حبها أصبحت بريئة
 كالطفل. لقد أجبتي لأبني كنت حمرحاً وكنت
 غنياً فكنتها من التمتع بما كانت محرومة منه من
 ملذات الحياة. صحبتها إلى المسارح الراقية وأسمعتها
 شليابين، وبني، وكارين دمنسكي، وأريتها إيزيدورا
 دنكان ترقص، وسقيتها كوؤوس البيرمنت والهودكا
 النالية والبندكتين اللذين بعدد العشاء في مطعم
 بورتريف، ولم تكن تعلم بأن قدمها تطآن أرضه؛
 ورأت انعكاس أضواء المدينة على نهر النيفا، وتلاؤ
 أنوار قصر الشتاء على الجليد. وخلوت بها في يوت
 جميلة، فكانت تقول لي: «إن قلبي يحيدني يا بوريا
 العزيز بأن هنأى بك قصير الأجل، ولكن لأعليك
 فقد حييت واستمتعت» ولا أستطيع أن أذكر
 لك كل ما رأيته وسمعت منها فلم أحفظ بصورة من
 صورها التي صنعتها بنفسى في الحداثى وفي ظل
 الأشجار وعلى موائد الطعام. ولم أستبق رسالة من
 رسائلها، فقد سلمتها إليها بدأ بيد، كالمرق البائد
 في زمننا، فإن الماشق لا يحفظ رسائل معشوقته
 المتروكة...
 ولكن كل ذلك انتهى فجأة وأنا المذنب الملو
 حقاً فقد بدأت بالقطعة ولا أدري ما السبب، سوى
 رذيلة الملل من الشيء الواحد، وبطر الرجل حيال
 المرأة الخاضعة، وعزيرة الزهد فيما يملك. فإن النفس
 تنزع من ظلام الجحود أسبانياً للفرقة. لقد تألت
 لفراقها وشمعت بعلمن الخناجر عند ما قالت لى لى
 لقائنا الأخير: «ألم أتبا بأن سعادتنا قصيرة الأجل؟
 إنك مثل كل الرجال، وإن لم أكن عرفت سواك،
 فأت تبذني بعد أن فرغت من غايك. وأصبحت
 لا تقيم لي وزناً، ونسيت كل عهدك. لقد سلكت

السيبل التي يسلكها أمثالك، فأنا لا ألومك،
 ولكنى أحببتك وصدقتك ولا أندم على حبك،
 ولا أستطيع أن أستطفك أو أحرك شفتك فليس
 فى وسعك أن تحبني بعد أن زهدت في؟ وليس فى
 وسع أعظم الرجال أن يقدم الكرامة على الماطفة
 فان ملاكك عند وسلك إذا انتهى الحب يكون أقل
 لى من عذابى بعد هجرى. لو كنت امرأة أخرى..
 لو كنت عذبتك وأذتلك لوعة الدلال والبند،
 وبمك صفاء قلبى غالياً، لبقيت طول حياتك على
 حى؛ ولكن طبعنى لا تتغير، وقد جدت لك
 بنفسى منذ أحببتك فكانت عاقبتى مرارة البند. لقد
 أفسدت حياتى يا بوريا، فلن أصلح لأكون زوجة،
 بل لن أصلح للفساد بمك؛ فأما راهبة وإما منتحرة؛
 فأيهما يحلو لك؟ أقتنى فى هجرى كأنتيتى فى حى.
 قل بالله عليك ولا تضن على بضحك» فكانت
 كلتها كوخز السنان فى قلبى، وكانت الدموع لا
 تكفى لتمحو أنى، كما كان الرجوع إلى سابق عهدنا
 مستحيلًا. بعد أن انحنى المقد الذى كان يربطنا،
 وانتزعت كلماته المعزقة فوق رمال القطيعة الجديدة
 كالصخراء، فرجعت إلى صديق كرنسكو بيليانوف
 - قاله الله! - فقد كان فاسقاً مستهتراً، وكنت هجرة -

منذ عرفت جيبتي المخلصة جوتى. وقلت له أسمع:
 إنها تنذرني بالندم، زاعمة أنني لن أجد سواها فيمن
 يماثلها من النساء. فقال لي: كلهن يقطن هذا القول
 لاستبقاء الرجل المحبوب؛ أما إذا فرغت قلوبهن من
 حبه، فلن يبرهنه أقل لفته، ولا يشفقن عليه ولو تمرغ
 فى تراب أقدامهن ولو تمرغ أحشاهن أمام أعينهن.
 الأولى لك يا صديقى أن تف عن الطعام ونفسك
 تشبهه. أنظر هنا يا بوريا. أنظر هنا، الأولى لك أن
 تبدأ بالانصراف قبل أن تقاوتك هى بالهجر -

فأحدث الخبيث بيليانوف في ذهني صورة قبيحة
قائله الله ! ليتني ما أسكرته فقد صار بعد القودكا
أسلط لساناً وأقبح لفظاً وأجراً على الكلام القارس .
يا لك من عدول لثيم يا بيليانوف .. لم يكن اللثيم خالياً
من الأغراض . فقد كنت هجرته فيمن هجرت
من الأصدقاء بعد حي إياها ؛ وقد كفتني الاجتاع
به وبرفاقه في الحانات والملاهي والمناهي الصاخبة
فقتعت بها دون كل الناس . فكان يروق له أن
يستردني لأعود سيرتي الأولى . أليس هذا عجيباً ؟
لقد كان يغاز منها وهو لا يعلم ذلك ، أو يعلمه ويخفيه
عني ليظهر أمامي بمظهر الناصح المحلص
فقلت له قبل أن يصيبه الصداق :

— ولماذا لا تنصح لي أن أتزوج ؟ فقال : آه .
الزواج ! هذا شيء آخر . دعنا نخلص أولاً من
الخليلة ، حتى نبحث عن الخلية

قائله الله وجميع القديسين ! لقد كان جوابه
حاضراً وبديهة سريعة فأفنتني قبل أن يصيبه صداق
القودكا الحتم . وصحت عزمي على هجرها خلعت بين
نفسي وبينها وأنا على أشد الألم ، فتخلت في النهاية
بعد أن ذقت الأسمرين . فقد كانت صورته لا تفارقني
في الليل والنهار ، وكنت أحلم بلقائهما ووصلهما وأسمع
أنيهما كأنهما يجيئني ، وأندوق حلاوة لهما وهي
بعيدة عني حتى لقد هممت المرة بعد المرة أن أئوب
إليها ، وأعود راكماً بين يديها

وتخيلت فرحها إذ ذاك فكذبت أجن من الوجد
ولكنني قاومت وقاومت حتى فزت بالنسيان ، ولست
أدرى بالذقة كيف عشت بعد هجرها ؛ وتلميحت
بالانكباب على عملي ، وقطعت علاقتي ببيليانوف
وأشبابه وطلعت حياة الرقص والغر ونفضت عن
كاهلي حياة الفجور كما ينفض الشخص ثيابه في يوم مطير
وتفرغت للبناء وجمع المال فبرحت فوق ثروتي
أرباحاً طائلة ، وصرت المقاول المعروف بالمهارة في

إن الحب حرب بين الخسنيين يا أخي ، ومن المهارة
في الحرب أن تنسحب من الميدان قبل أن يتال منك
خصمك أو يجهز عليك ، والإحجاز هنا أن ينتهي
حبها إليك وأنت متعلق بها فالويل لك ثم الويل لك .
واعلم أننا جميعاً نفعل مثلك : نغازل النساء المتزوجات
ثم نودعهن وداعاً لا لقاء بعده . فافعل كل ما يفعله
أبناء جيلك ولا تحسب أنك تذهب في حقها .. وإذا
كنت تعلم أنها فقيرة ، وأنها متشبثة بك لثناك ووفرة
مالك فلا بأس من أن تدوسها بنفحة أو بسطة
كف تستعين بها على نسيانك وتجديد حياتها في
ظل زوجها الأنوك !

وعندما سمعت منه هذه الكلمة قلت له : أخرس
أيها النذل ؛ فإنها ليست من هذه الطبقة وليست
على هذا الطراز . إن هذه الطفلة الواعدة تنقلب دُباً
لتنشب أطفارها في وجهي إذا قدمت لها المال ...
ثم أتت فتناب رجلاً جنيثُ أنا عليه ! ففضبت
ببيليانوف . وقال لي : أنا نذل .. ؟ أنت حمار ، لن تستريح
حتى تنق . فأعجبني التكتة وصحكت وصاحته . هذا
العدول الخبيث ببيليانوف ، اصطالحنا وسقيته قنينة
من القودكا الرخيصة الثمن لأنني كنت أكره أن
أراه يشرب النوع الذي كانت جوتي تشربه مي
فأردت تسميته لأجل الذكرى . وبعد أنت تلذذ
ببيليانوف بالغر ، وقبل أن يصاب بالصداق الحتم قال لي :
أنا أعلم يا بوريا أنك رجل شريف ، تكره
المزفة وتأتي المطل في السداد وتبض خيانة الأمانة
وترفض أن تهضم حقوق الغير ، وهذه عادات كسبتها
بممارسة أعمالك ، ولكن أن تستمر على حب امرأة
أحبها غيرك ، هذا الذي لا تطيقه بطبعك . إنها
كالنواة التي يلفظها من أكل الفاكهة ، أرضى أن
تعيش على النوى ؟ إنها متروجة كما تقول ، فلها
رجل آخر لا تقدر على رده ...

وقضت على البقية الباقية من مالى . وغادرنى التوفيق
وابتمد عنى أصحابى وعادانى أشد من لؤمى ، ماعدا
ييليانوف ، لأنه لم يكن يعطينى شيئا ولا يضيره أن
ياخذ من غيرى . وألقى فى المجتمع الذى كنت يوما
من سادته ، ولكن الحالة الجديدة لم تجعل سيديا
ولا عبدا . وكان يمزى أن القيصر وولى عهده
والقيصر وبناها لم يكونوا أسعد منى حظا ، ولكن
هذا القول كان وهما ؛ ولكننى كنت أؤم ما هو أعظم
منه وهو أنى سأعود يوما ما إلى الثراء بعد الحاجة ،
واليسر بعد المر ، إذا نقضت عن كتنى غبار
البأس القاتل ، وصورة الثروة التى أستردها لما تفارقنى ،
وكانت تحارب أمام عيني شعب الفقر الذى يهددى ،
فكنت أحسب أن لى قريبا مجهولا سوف يهلك فى
أمريكا وتوافنى ثروته على عمل ، أو أن يكون لى
كزدين فى أحد البيوت التى بنيتها . وتلكت
هذه الفكرة نفسى فمادت إلى بضيع من الرجاء
وظفرت بصفقة رابحة عديدها فاقمة الخير وبداية
الفرج بعد الضيق . وكان الجنود المأذون من
الميدان يعللون الحانات ، ولا سيما فى حى بطرس
وبولس بجوار الحصن الشهير ، ففشيت ليلة إحدى
هذه الحانات التى كانت مكتظة بالشرايين من عسكر
الدولة التى بدأت تتلون بلون الثورة ، وكانت نجمة
الجنود وهم يتجرعون القودكا تلو وتنضخم وتهز
أركان السكان كما انقادت فى سقفة الأسود سحب
من دخان طباقهم ، وأخذوا ينظرون إلى شررا
لأننى لم أكن أختال فى ثياب كشيهم ، فطلبت من
الساق قتيعة من القودكا لأحرف أنظارهم عن فتنة
نظرم إلى من الحقد إلى السخرية ، كأن الحمر كان
وقفا عليهم .. ولكنهم فى الحى كانوا يتسألون فيما
بينهم عن علة قمودى ، لأننا لا أخوض غمار الحرب
التي خاضوها ، وأبقى فى العاصمة منعا بالحرية

عملى والاناقة فى شخصى والاستقامة فى خلقى
وبلغت ذروة الانتصار المادى وتكدست أموالى فى
المصارف ووقتت فى الشركات ورجال الأعمال
وتعنتت من التصرف فى ملايين الروبلات واتصلت
شهرتى بفنلندا فبنت للقيصر قصرا على شاطئ
البحر وأعدت له مرسى ليخفته الذى كان يتمدد
عليه فى فراوه . أنرف تسارسكوى سيلو ؟ نعم !
أنا الذى أشرفت على بنائه وسافرت إلى الغرب .
وزرت إيطاليا وفرنسا ودرست كل طراز البناء
القديم والحديث .. وأخيرا حننت إلى البيت
والتوى والركن الركين والرجولة الطمئنة الآمنة
بالمال واليسر والرخاء المضمون . فتزوجت من فتاة
جميلة ورزقت أطفالا وبنين بنت أسميتها جوى
(لأجل الذكرى التى كانت تتجدد) . ثم جاءت
الحرب العظمى واضطربت الأحوال وارتبكت
الشؤون ونفخ فجأة فى صور الثورة . وصار كل
شئ إلى الفناء المقدور ، إلى الدم . وحل الفشل
عمل النجاح وماتت الزوجة وتشتت شمل الأطفال ،
فلا أدري أين هم . وقابلى ييليانوف وكان لا يزال
يسكر ويلهو ويعتمد على النير فى تفقاه ، فلما رآنى
وسمع قصتى قال : لا تبتئس فان جان نجاك روسو
كان له خمسة أطفال ألقى بهم جميعا فى ملجأ القضاة !
لست أعلم منه ولا أعقل ولا أغنى . لقد كان
فيلسوفيا كبيرا وألف أحسن الكتب ، وأنت ،
ما أنت إلا مقاول ومعمار . وإن العالم كله أضنى إلى
تعاليمه وهو لا يعلم إن كان أولاده أحياء أم ذهبوا
إلى العالم الآخر ، إن كان هناك عالم آخر ؛ المسألة
ترجع إلى اعتقاد روسو . فسرى عنى وأنا أعلم
خبثه وقبلت كلامه على علاته بحكم اضطرارى
لقبولة . وعدت إلى شرب الخمر ولعب القمار من
جديد ثم مارست أعمالا فأحرق الأخضر واليابس

الماضي الحالك .. من غزن التصاور القابع في ذهني
كأنه صراف يجفل ... لا يقدم الأشكال والرسوم
إلا بحساب أي حساب

لقد تجاهلتني وابتعدت عني وثابت على
الترحيب بأضيافها حتى لم يحرم أحد من الخطوة منها
بيسة أو نظرة عطف مصطنع أو كلمة عذبة أو وعد
ب لقاء قريب .. وكانت « خلة السير » قد ساقها
مصادفة أو بقصد غامض نحو المنضدة التي طرحت
عليها أعباء هي ووهي ومددت لديها بساط خسارتي
وندى ، فلما دنت مني حدثت في ، ودهشت ، ثم
تراجعت وقالت لي وهي تضحك ضحكة الألم والسخرية
والندم والخجل ، ضحكة لم تكن تعرفها جوتي الأولى ،
وأقتنبا هذه الثانية وقالت لي :

— أأنت هنا ؟ في الحانة ؟ لقد التقينا . إن
العالم صغير ، ولا بد للأحياء أن يجتمعوا مهما
فرقت الأيام بينهم . أنظر إلى ما صنعتك بحيث لك أن
تفتخر . أنا مخلوقتك ، بل قل مخلوقة حبك ، إن
شئت . فأخبرت رأسي ألما وحسرة فقالت لي :

— أرفع رأسك يا بوريا ولا تتجمل . إن الصانع
لا يتجمل من صنعته ، وأنا صنعة يديك . لم يكن
ينقصني إلا أن أراك ، وهأنذا قد رأيته . ثم مدت
لي يديها — تلك اليد التي طالما قبلتها وبلتها بدموعي
وبقيتها هكذا برهة لا أدري هل طالت أم قصرت
لأن نفسي كانت فريسة الانفعال والمواطف ورأسي
كأحد مصانع الأسلحة والذخائر ، ثم شعرت أنها
تسترد كفيها من يدي ، كما لو كانت حلية تخشى
عليها من سارق يقلبها بين كفيه ليسلبها ، وحولت
عينها عن عيني وقالت : الوادع يا ... بوريا

في صباح تلك الليلة عثروا في نهر النيفا على جثتين
الأولى لرجل في الأربعين من عمره والثانية لامرأة
في مقتبل الشباب . بوريا وجوتي !

محمد لطفي جمعة

والسلامة ؟ ولو علموا الحرب التي أعانها لأشفقوا
على فاتها كانت أحمر ناراً وأحرق أواراً من حرب
القنابل ، فإن الموت كان خيراً مما أنا فيه . وطالب
حسدت بطل تولستوي « الميت الحي » ولكن أنى
لي بنعمة الموت المنقذ ؟ وبينما أنا مستغرق في وحدتي
والألم يحز في نفسي ، والندم على دخولي هذا المكان
يكاد يغرق أحشائي ، وإذا بأمرأة ظهرت تحتل
وتبتخر وتبقي وتتلأأ كالكوكب الدردي في
ظلام تلك الحفرة المدمية ؛ كانت تلبس ثوباً من الحرير
الأحمر يماثل ثياب ضباط الفرسان وفي يدها عصا
صغيرة من العاج . فلما دخلت ساد السكون وأجمعت
الأنظار إليها ثم أخذت تنظر وتنتقي ما طاب لها من
الشبان والكهول وتوزع الضحك والكلمات
العذبة والنظرات الفاتنة ذات البهيم وذات اليسار .
وجاءة انطلقت الألسن ببارات الإعجاب وتبدل
البوس بالابتسام والضحك ، وأخذوا يستعطفونها
ويقدمون لها الأنداح ؛ وقد ينهض أحد هؤلاء
الجنود الظمآنين إلى الحب فيلمس يدها ثم يقبض عليها
ويضع على أناملها قبلة حارة . وكانت المرأة تقابل ذلك
كله ببشر وسرور وصرح ، وترحب بألفاظ الحب
بنظرة دلال ، وتبادل بعض الضباط نكات لاذعة
ولكنها في حدود الأدب ، فاقبلت الحانة الجهنمية
روضة من رياض النعيم . وعلى غير انتظار رأتهي .
والتقت عيناها ، فأعرضت عني أولاً .. وتجهم وجهها
وتغيرت حالها . وفي شبه حلم خفيف عرقها هي ..
جوتي .. لقد أخبروني أنها ماتت في جزيرة القريم
منذ ثلاثة أعوام بمرض الصدر ... كذبوا وهامى
ذئ على قيد الحياة ، جميلة رائمة ، ولكنها تبدلت .
صدقوا ... إن جوتي التي عرقها وأجبتها وقاطعتها
ونسيتها قدسانت ، أما هذه فامرأة أخرى وأأسفاه ...
إنني لم أستطع أن أنتزع صورته الأولى من ظلامي

ومع ذلك فقد جرى
غناها مثلاً على السنة
الناس في إقليمها وما
جاوره . وكانوا كثيراً
ما يقولون إن أموالها
ستؤول كلها في نهاية
أمرها إلى خزنة الحكومة ،
ولكني قد علمت الآن أن
أمر يكياد قد اشترى قصرها

خيال الحب

للكاتبة الفرنسية آنديريه بيريابو
بقتل محمود السيد شعبان

الفسيح ؛ وذكري هذا مثلاً عملياً له علاقة بهذا
الموضوع كنت قد سمعت امرأة تقوله يوماً لابنتها ..
ورأيت في يوم من الأيام — بينما كنت أطل
من إحدى نوافذ الفندق امرأة نصفاً تجمع أزهاراً
في الحديقة ، وكان الشيب قد وخط شعرها
وظهرت على جبينها تجاعيد تنم عن الكبر . وما إن
رأيتها على ماضي عليه حتى اعتقدت تماماً أنها تؤدي
وحدها أكبر نصيب من العمل في الفندق
ودخلت حجرتي خادمة فسالها : « هل هذه
التي أراها هي الآنسة (دي ياردبلاك) ؟ » فقالت :
« إنها هي » ...

وأخيراً رأيتها في إدارتها الصغيرة — وكانت
تعد مغارث من الكتان — غيبتها وذكرت
اسم (ياردبلاك) فأدارت وجهها إليّ في حدة
وسألني عما إذا كنت أعرف شيئاً عن هذا
الاسم ... ؛ فحدثتها عن المنزل ، والنهر الذي ليس
يبعد عنه ، ثم عن (الجارون) وهو قريب منه ،
وذكرت لها بعد ذلك أسماء كثير من تعرفهم ؛
وتحدثت عن السيدة الهرمة التي رأيتها في العربة
الصغيرة ثم سألتها : « هل كانت تلك السيدة

رغبت في أن أقضي أياماً على بحيرة (ليمان) ،
ولما كنت حريصاً على ألا أنفق أكثر مما في طوق
فقد رأيت أن تكون إقامتي في فندق (بلاري) .
وعند ما سألت هناك عن الشروط أعطيت كثيراً
عليه اسم صاحبة الفندق الآنسة (أوجيني دي
ياردبلاك) .

وقد أيقظ هذا الاسم الأرستقراطي كثيراً
من الذكريات في نفسي فتذكرت بيت عائلة
(ياردبلاك) الفخم الذي كان في النهاية القصور
من فرنسا بالقرب من مدينة أعرفها جيداً .
وأصْدُقُك القول أنني كنت أشق ذلك البيت
القديم الشریف الذي كانت تكتنفه حديقة فسيحة
فيها بحيرات عدة . وكنت أرى في بعض الأحيان
مالكنه وهي تجوز فانية عند ما كانوا ينتقلون بها في
أنحاء الحديقة وهي جالسة في عربتها الصغيرة

وكان سكان المدينة كثيراً ما يمشون منها ، فهم
يقولون إنها تملك قصرًا جميلًا ولكنها لا تستطيع
أن تتمتع به ، وخيولاً كثيرة لا تستخدمها في شيء ،
ومطابخ عوج في جنباتها الطاهون بالرغم من أنها
لا تمشي إلا على اللبن

وكانت عمى تثير الإعجاب بما تعمله في يوم ميلادها ؛ إذ كانت تنفق المال في ذلك اليوم بغير حساب ؛ وكان أقاربها يأتون إليها من الأماكن الدانية والقاصية كل يرجو صلاحها ؛ ومن أجل هذه الصلات كان الرجل الذى لا يستطيع الحضور بنفسه يرسل زوجته لئلا تترك عمى بنصيه . وقد ذهب والذى مى في ذلك اليوم بالرغم من أننا كنا نسكن على بعد ثلاثين ميلاً من دار « يارديلاك » وإلى لمسى يقين الآن من أن أبى وأمى كانا يتوقمان بذهابهما مى إلى عمى خيراً كثيراً بعد ما أيقنا أن وجودنا عندها ما كان يبعث إلا السرور والإعجاب في قلبها ؛ وما كان ينال بعض ذلك أحد أقاربها الكثيرين الطامعين ، ولذلك كان أبواي من أسبق الناس إلى اكتساب صلاتها

وإلى لأذكر جيداً أن عمى قالت لأبى ونحن نتأهب للمودة : « إن فضائل الإنسان هى التى توصى خيراً به ؛ وقد أجمعت رأيي على أن أترك لك كل ما أملك » ...

ولم يكن هذا كل ما حدث ، فقد جمعت عمى أقاربها الآخرين قبل ذهابنا ثم ذكرت لهم وحى تفرع الأرض ببصا في يدها كل ما تمتعده فيهم ، فقالت لهم إنهم منافقون يتملقونها لينالوا أموالها ، ثم طردتهم بعد ذلك من منزلها . وبذلك ظهر الأمر أكثر وضوحاً لأبوى ، وما كان في حقيقته كذلك أو ما كان على الأقل سهلاً ميسوراً كما وقع في ظنهما ...

وفي الخامس من أبريل من العام التالى ذهبنا إلى عمى جميعاً في أبيع زينة وأجل ثياب . وكانت تاملنى عند ما كنا عندها معاملة فيها الفظاظه

عمتك ؟ » غهزت رأسها بالإعجاب .
قلت : « ألم تنهني إلى منزل (يارديلاك) في الأيام الأخيرة ؟ »

فأجابت - وحى تلقى مغرشاً على الكوم الذى أمامها : « إننى لم أذهب إلى هناك منذ إحدى عشرة سنة »

قلت : « ليس من الممكن على كل حال أن يكون قد تسبك الناس هناك . وإن كنت لا أعلم أتمرفين ذلك أم تجهلينه ؛ ولكنك ولا رب قد صرت مثلاً بين الناس هناك ... ؛ فقد سمعت امرأة تصيح في وجه ابنتها قائلة لها : إنك قد فقدت عقلك وصرت غيبة كنتك الآنسة « دى يارديلاك » التى فضلت الحب على ثروة كبيرة !! »

فنهبت الآنسة (دى يارديلاك) وقالت بحد قليل من التفكير : « إنهم ولا رب يقولون ذلك !! » ثم ضحكت فجأة ، وما كان ضحكها مما تراح الأذن إلى سماعه ؛ فقد خُيل إلي أنه يخرج من قلب صيغ من صوان صلد ؛ واستمرت تمد مفارشها الكتانية ، ثم التفتت إلي بعد دقيقة وتكلمت كما لو كانت تتم حديثاً :

« سبعة عشر عاماً .. سبعة عشر عاماً طوالاً ! لقد عشت مع عمى سبعة عشر عاماً بطولها وما كنت إلا خادمة أو ما يشبه ذلك عند ما جئت إلى هذا الفندق أول مرة ؛ ولكن ليس هذا ما يهمنى . لقد كنت خادمة عند عمى ، بل كنت أقوم بما يعملها الخدم جميعاً على اختلاف أعمالهم ؛ وكنت صبية صغيرة عند ما ذهبت إلى منزلها أول مرة وما تسيت ذلك اليوم أبداً ؛ فقد كان الخامس من شهر أبريل وهو يوم ميلاد عمى !

وَمَا أَظُنُّ ضَادَّةً أَنْ أَبِي كَانَا يَتَقَدَّانِ أَتَيْنَا
قَدْ أَسَاءَ إِلَى بَرِّكَ مَعَ عَمِّي ، قَدْ كَانَا يَظُنَّانِ أَنِّي
سَأُظَلُّ عِنْدَهَا بِضِعْمَةِ أَسَابِيحٍ لَاغِيرٍ وَأَنِّي سَأُذْهِبُ
إِلَيْهَا مَتَى أَشَاءُ وَأَعُودُ مَتَى أَحْبَبُ ، وَمَا عَلِمَا أَنَّ عَمِّي
إِنَّمَا كَانَتْ تَرِيدُنِي عِنْدَهَا خَادِمَةً خَاصَّةً أَتَيْنَاهَا
وَلَا أُنْزَلْنَا ، وَأَخَذَهَا عَلَى الرِّغْمِ مِنِّي بَعْدَ أَنْ يَسْتَبَدَّ
مِنْ أَنْ تَجِدَ لَهَا خَادِمَةً تَقْبِلُ أَنْ تَكُونَ كَذَلِكَ وَتَرْضَى
بِمِثْلِ هَذِهِ الشُّرُوطِ ...

وَكُنْتُ بِالطَّبْعِ أَسْكُنُ عِنْدَ عَمِّي ، وَكَانَتْ
تَكْسُونُنِي وَتَقْلَعُنِي ، وَكَانَ أَجْرِي عَنْ عَمَلِي مِاسَارُهُ
عِنْدَهَا مِنْ ثَرَوَةٍ كَبِيرَةٍ عِنْدَ مَا تَحْتُ . وَمَا كُنْتُ أَظُنُّ
أَنِّي إِنَّمَا أَخَذْتَنِي صَغِيرَةً لِتَذَلَّنِي وَتَخْضَعُنِي لِسُلْطَانِهَا ،
وَعِنْدَ مَا أُدْرِكُ أَبَوَائِي حَقِيقَةَ الْأَمْرِ ، وَعَلِمَا بِمَا هُوَ
وَأَقَعَ لَمْ يَحْتِجَا عَلَى هَذِهِ الْعَامِلَةِ وَلَمْ يَفْضِلَا حَيَاةً لِلثَّرْوَةِ
الْمَوْعُودَةِ وَالْفَنَى الْمُبْتَظَرِ ...

وَبَدَأَتْ حَيَاتِي عَلَى أَنَّ أَكُونَ رَفِيقَةً لِعَمِّي
وَوَرِثَةً لَهَا . وَمَا بَلَّغَتْ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِي
حَتَّى كُنْتُ قَدْ أُدْرِكْتُ تَامَمًا أَنَّ أَقْلَ نِسْيَانٍ أَوْ أَدْنَى
إِحْمَالٍ أَوْ أَصْفَرَ كَلِمَةٍ فَاجِئَةٍ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ عَدَمِ الْبَالِقَةِ
سَتَفْقِدُنِي مَالِ عَمِّي وَثَرَوَتَهَا . وَبِمَكْنَتِكَ مِنْ هَذَا أَنَّ
تَفْهَمُ كَيْفَ كُنْتُ أَقْرَبَ مُسْتَقْبَلٍ وَكَيْفَ كُنْتُ
أَخْشَى أَنْ أَخْطِئُ فَأَرْتَكِبُ غَلْطَةً ... وَعَلَى هَذِهِ
الْحَالِ عَشْتُ سَبْعَةِ عَشَرَ عَامًا !!

لَمْ يَكُنْ هَذَا أَشَدَّ الْأُمُورِ مِرَارَةً عَلَى نَفْسِي
قَدْ كَانَتْ عَمِّي لَا تَسْمَحُ لِي بِأَنْ أُسْتَرْخِجَ يَوْمًا فِي
حَيَاتِي أَوْ أَخْلَصُ سَاعَةً إِلَى نَفْسِي إِذْ كُنْتُ لَا أَفْرُغُ
مِنَ الْعَمَلِ أَبَدًا . لَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ أَنْ أَعِيشَ مَعَ عَمِّي
صَبِيَّةً نَامِيَةً الْجِسْمِ ضَاحِكَةً الْوَجْهَ . وَقَدْ تَبَيَّنَ هَذَا
كُلَّهُ سَرِيعًا وَتَبَدَّلَ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ شَيْءٌ ، إِذْ خِجَلْتَنِي

وَالشَّرَاسَةَ ، كَمَا كَانَتْ تَمْزِجُ مَعَ أَبِي مِزَاجًا حَرَامًا مَوْلَا
لِأَنَّهُ خَسِرَ شَيْئًا مِنَ الْمَالِ فِي صَفَقَةٍ عِنْدَ مَسْجَلِ عَقُودٍ
وَمَعَ ذَلِكَ قَدْ عَرَضَتْ عَلَيْنَا عِنْدَ مَا كُنَّا
تَتَأَهَّبُ لِلْمَوَدَةِ إِلَى دَارِنَا أَنْ نَحْكُمَ عِنْدَهَا لَيْسَ
أُخْرَى ، وَكَأَنَّمَا كَانَتْ هَذِهِ الدَّعْوَةُ امْتِيَازًا مَازَتَنَا بِهِ
مِنْ بَقِيَةِ أَقَارِبِهَا

« ثُمَّ قَالَتْ : إِنْ فِي مَنْزِلِنَا هَذَا خَمْسِينَ حِجْرَةً
لِلنُّومِ ، وَإِنِّي أَدْعُوكُمْ لِلانْتِظَارِ عِنْدِي إِلَى الْغَدِ » ...
وَكَأَنَّمَا أَغْرَقَتْ أَبِي وَأُمِّي فِي بَحْرِ مِنْ كَرَمِهَا
بِهَذِهِ الدَّعْوَةِ فَقَدْ أَوْجَهْمَا هَذَا أَنَّ ثَرَوَتَهَا قَدْ صَارَتْ
أَكْثَرَ قَرِيبًا مِنْهُمَا وَأَنَّهُمَا سَيَنَالَانِهَا دُونَ رَيْبٍ . وَبَيْنَمَا
كُنْتُ فِي حِجْرَتِي الْكَبِيرَةِ الَّتِي اخْتَرْتَهَا لِنَفْسِي مِنْ
الْبَيْتِ الْفَسِيخِ سَمِعْتُ أَبِي وَأُمِّي فِي الْحِجْرَةِ الْجَاوِرَةِ
يَهْنِئُ كُلُّ مِنْهُمَا الْآخَرَ ضَاحِكًا مُسْتَبْشِرًا ... ؟ غَيْرِ
أَنْ مَا حَدَثَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي لَمْ يَكُنْ مِمَّا يَسِيتُ عَلَى
الطَّمَأْنِينَةِ ، قَدْ تَجَاهَلْتُ عَمِّي وَجُودَنَا ، وَكَانَتْ تَسْخَرُ
مِنْ أَبِي سَخَرِيَّتَهَا الْمَوْلُوءَةَ بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ

وَلَمَّا أَعَدَّ طَعَامَ الْفِدَاءِ لَمْ تَرْضَ عَمِّي عَلَيْنَا
أَنْ نَنْتَظِرَ ، فَلَمْ يَجِدْ أَبِي بُدًّا مِنْ أَنْ نَعُودَ إِلَى دَارِنَا
بَعْدَ أَنْ أَهَاتَتْهُ عَمِّي وَحَقَرَتْهُ . وَكَانَ أَبِي فِي هَذِهِ السَّاعَةِ
مَكْتُبًا مُنْقَبِضَ النَّفْسِ . وَلَمَّا عَرَضْنَا عَلَيْهَا عَزْمَنَا عَلَى
الْمَوَدَةِ لَمْ تَمْنَعْ فِي ذَلِكَ وَقَالَتْ لَنَا : « مَعَكُمْ الْحَقُّ ،
فَلَكُمْ أَنْ تَذْهَبُوا وَلَكِنِّي سَأُقِي هَذِهِ الصَّبِيَّةَ مِ
لَأَنِّي فِي حَاجَةٍ إِلَى رَفِيقٍ ؟ وَقَدْ خَطَرُ لِي هَذَا أَمْسٍ
عِنْدَ مَا شَاهَدْتُ بِنَفْسِي نَحْوَ جِسْمِهَا وَحَسَنَ خَلْقِهَا »
وَأَذْهَلَ الْأَمْرَ أَبِي وَأُمِّي وَحِيرَهُمَا قَبِيلًا خَوْفًا
مِنْ أَنْ يَفْقِدَا الثَّرَوَةَ الْمَوْعُودَةَ إِنْ رَفَضْنَا مَا عَرَضَتْهُ
عَلَيْهِمَا عَمِّي . ثُمَّ ضَامِنِي إِلَيْهَا بِحَرَارَةِ مَا أَحْسَسْتُ
بِمِثْلِهَا مِنْ قَبْلِ عِنْدَ مَا وَدَعَانِي فِي ذَلِكَ الصَّبَاحِ

تطرد الواحد منهم أو الجماعة فيتركونها، أما أنا فقد بقيت وحدي عندها لا تطردني ولا تبعدني عنها

« وجاء يوم ميلادها فاستقبلت أقاربها، وكان بعض أبناء أحوالي قتيانا مرحين فتبادلنا بساط ممسولة، ولكنني كنت أشعر طول الوقت أنهم كانوا كاذبين فيما يظهرون لي فقد كانوا ينظرون إلي من طرف خفي كما ينظرون إلى عبدة لهم و... و... ولكن ما كنت أستطيع أن أقول شيئا. إن الواجب يحتم علي الورثة المنتظرة ألا تفقد عقلها... وألا تفقد قلبها... »

وكانت نضرت قد ذلت قبل أن أبلغ الثامنة عشرة من عمري، خفت عودي، فإنا بالفتاة وما أنا بالمرأة؛ وكنت أعجب كيف تستطيع مثل أن تعيش، وما كنت في الحقيقة إلا شبحا كالخ اللون ينتظر نعل امرأة ميتة، ومع ذلك فما كانت تملكني إلا فكرة واحدة وهي أنني يجب ألا أغضب عمي (إيرن) ...

« وكان قد لسنى الفرور من قبل عند ما رأيت أنني قد صرت فتاة جميلة ساحرة. ولكن هذا كله قد أصبح جزءا من الماضي التي فات والغابر الذي مات. فهأنذا أرتدى الملابس السود ولا أعتني بشعري فأصلحه أو أرتبه في أي شكل من الأشكال. وهأنذا قد أصبحت نحيلة الجسم صفراء اللون حتى صرت في الثامنة عشرة من عمري صورة رمزية لمانس لم تزوج ... »

فسألها: « ألم ترى والديك في ذلك الحين؟ » فأجابت: « كنت أراها مرتين تقريبا في العام ساعتين فقط. وما كنت تسمح لي عمي إلا

السبودية التي أعانيها متافقة كاذبة، ووضعت في طبعي السكر والخبث، وبحثت من شفتي كل ضحك وابتسام. لقد كتبت مرة أو مرتين إلى أبوي أتكسّي وأتظلم، ولكن أبي أرسل إلي ردًا جميلًا ساحرًا وقال لي يشجمني إنني سأجني من وراء هذا ثروة كبيرة... » كانت عمي غنية جدًا، ولكنها كانت مقعدة كسيحة، وقد جعلها هذا الداء امرأة غريبة الخلقة والخلق، تكره كل إنسان، وتغت كل شيء. وكانت تحتم على خدبها بل على كل من يتصل بها طاعة لها لا تغيّر. والأعجب من ذلك أنها كانت تتور، وتكاد تتميز غيظًا إن رأت أحدًا يضحك أو تظهر على وجهه مخايل السعادة والبشر. وكانت لا تسمح لي بالذهاب إلى الحديقة بمفردي، بل كانت لا تسمح لي بأن أتركها أو أبتعد عنها لحظة واحدة؛ وما كانت لي إلا فرصة واحدة أتمتع فيها بالجزى وحدي في البيت وذلك عند ما كانت عمي ترسلني لأبحث لها عن منديلها أو عن قيمتها المصنوعة من القش...

« لم يكن لها أسدقاء، فإن أناها زائر قلنا إنها غير موجودة، وعاشت بذلك في عزلة. وما كانت تذهب حتى إلى القديس في المدينة، ولو ذهبت لانهزمتها فرصة أرى فيها الناس. وكان كاهن الكنيسة يأتي إلى منزلنا ليتلو علينا نحن الاثنين قدامه في إحدى الحجرات، ثم يتلو بعد ذلك على الخدم في الفناء الخلفي للدار. وكان الطبيب يأتي عادة في موعده، ولكن عمي أسادت إليه مرة إذ وصفته بالبناء على منعم منه. أما جناعات الخدم فما كانوا يمتكون طويلا عندها إذ كانت تغريم بين الحين والحين، وكانت

« واقرب مني في يوم من أيام ميلادها اثنان من أقاربها وقال لي واحد منهما دون أن ينتظر إلى :
« إن عمك تعجز عن أن تعمل أى شيء إفولم
تكوني ملازمة لها . وقد خيل إلى أنه لابد أن
يكون كل واحد منهما قد فقد بنتا له في الخامسة
عشرة من عمرها ، تشبهني لأنها صارت ميتة ، ولا
تشبهني لأنها كانت سعيدة ١١ »

« ودارت الأيام دورتها فصارت عمي أشد
قسوة من قبل . فما أ كاد أمسك كتابا حتى تطلب
مني شيئا ، وما كنت في حقيقة الأمر غير كذب
يرتدى ثيابا أنيقة . فما كان عليها إلا أن تنادي
صاحبة : « يا أوجيني ! » حتى أسرع إليها .
وكثيرا ما كنت أحجل عند ما كانت تناديني في
لهجة مصيبة فإن ناديتي غاضبة اندفعت أبكي ...
سبعة عشر عاماً ١١ »

« وذات مساء ... هذا شيء مضحك ! ...
ذات مساء — بعد سبعة عشر عاماً ١١ » ، وسكنت
بضع دقائق ، ثم قالت : « كان ذلك في السابع عشر
من أغسطس فانا أعرف هذا اليوم كما أعرف يوم
ميلاد عمي ... كان هذا اليوم عيداً علياً من
أعياد المدينة ، وكانت عمي (إيرين) تكرر هذا
اليوم لأن الناس يجتمعون فيه ويمتعون أنفسهم بما
يشتهون من مهر ومزح . وكان النساء ساكنات جيلات
ولذلك تناولنا عشاءنا على سطح البيت كما هي عادتنا
في ليالي الصيف الجميلة الصافية »

« وأثار اللف الهم في عروقي ، فجلست — بعد
أن فرغت من عشائي — على السور الحجري ،

زيارة عاجلة لها ، أما ما فكان بخشيان الحضور إلى
بيت عمي (إيرين) خوفاً من أن يخطئنا فيقولوا
أو بفعل ما ينضبها

« ومرض والذي مرضاً لم يرج له شفاء منه .
وقبل أن يموت قال وهو يسم لي ابتسامة كلها ألم :
« ليس في يدي شيء أستطيع أن أتركه لك يا طفلي
المسكينه ؛ ولكنك سوف تنالين عما قليل كل
ما تريدن ١١ » . ولم تمض أي طويلا بعد وفاة والدي
وقالت لي قبل موتها : « كم كنت أتمنى أن أعيش
حتى أدرك تلكين ثروة عمك (إيرين) كلها ١١ »
« آه من هؤلاء النسوة المعجزة الثريات ١١ ...
إن الواحد منا ليكاد يعتقد أنه لا يمكن أن يؤذين
شيء أو يضرهن أو يغير منهن . ولكنهن مع ذلك
يفرغن عند ما يسيبن أذى ، وقد كنت أنا فزعة
هلمة مثلهن لأنني كنت أخشى أن تصدر مني هفوة
بسيطة أفقد بسببها كل ما أضعت صباهي من أجل
الحصول عليه ... »

« وظل أقارب عمي يأتون إليها في يوم ميلادها
الخامس من أبريل من كل عام . وكانوا يأتون من
أقصى فرنسا ، وكنت في بعض الأحيان أتهد
وأزفر بالرغم مني هند ما يرحلون عنا ، وكانت تملأ
خاطري أحيانا رغبة خفية في أن أبتعد عن عمي
قليلا فأقول لنفسى : « آه لو كان في مقدورى ألا
أظل بجوارها إلا في الليل ! » وطافت برأى هذه
الفكرة : « كم أتمنى أن ينام معنا في هذا البيت
إنسان آخر ١١ » . ولكنها كانت آمالا تخطر في
نفسى ما استطعت يوما أن أعبر عنها بكلمات أقولها ١١

يا عمى ! « دون أن أنظر حولي فما كان في استطاعتي أن أحول بصرى عن الجبيين ، وإن كنت كأنى أراها من خلال سحابة ... وأسر الرجل إلى الفتاة بشيء في أذنها فضحكت مسرورة في خجل ! فتذكرت مرة أخرى أنى ما عرفت الحب طوال عمرى ، وأنى لست في الحقيقة غير عانس قد دوى عودها ولم تزوج ... !

« وبقيت ناطرة إلى الجبيين . وبجأة بدأت البطة التي ربطها الرجل إلى عائق الدراجة تصيح وتبجّ فصاح بها الرجل : « أخراك الله ! » ثم رماها ببقمته . ولكنها بحثت وصاحت مرة أخرى ثم سكنت بعد ذلك

« واقرب الفتى من الفتاة فحدقت فيهما ؛ ولكنى كنت كأنا أراها من خلال ضباب !! »
« الحب ... إيه أيها الحب ... لقد رأيتهما من المكان الذى جلست عليه فوق السور الحجرى وعيناهما نصف مقلقتين ، قفلت لنفسى : إننى سأظل هكذا لا ينظر إلى أحد ولن يبحنى أحد . وكان الرجل قد طلق يده خصر الفتاة ... وخيل إلى أنه إنما يطوق خصرى أنا بيده ... ؛ ثم ... ثم صاحت عمى : « يا أوجين ! ألم يصبح الجو بارداً ؟ » ولكنى لم أجب فما كان في استطاعتي أن أجيب !
« وبعد ذلك ... بعد ذلك أمال الرجل وجه الفتاة إليه كأنا يريد أن يقبلها ، حاولت الفتاة أن تمنعه ؛ ولكنى أدركت أن ذلك لم يكن غير تصنع منها كما كنت أنا لأبذل فاعلة تماماً لو ... لو أراد الرجل الذى أحبه أن يقبلني !!

وكان ما يزال دافئاً من تأثير حرارة الشمس وشغلت نفسى في حياكة بعض الملابس

« واخططت أصوات النساء التى عهدناها في المدينة بضوضاء مهرجان العيد وجلبته ، وكانت عمى جالسة على مقربة منى تقصُّ على قصة طويلة كنت أعرفها بل أحفظها عن ظهر قلب ...

« وكنت أنظر إلى الطريق الذى كان قريباً من المنزل ، وقد غرست على جانبيه أشجار الحور التى كانت تضطرب وتهتز وإن لم تكن هناك رياح ، فرأيت في الطريق فتى وفتاة ، وكانت الفتاة تحمل قبعتها في يدها ، وكان الفتى يجر دراجة ، وقد وضع على عاتقها بطة فاز بها في بعض الألعاب المقامة في ساحة المهرجان ، وجلست الفتاة على الحشائش الخضراء التى على جانب الطريق لتخرج من حذاءها حصاة قد دخلت فيه ، وأسند الرجل دراجته إلى شجرة . ثم جلس بعد ذلك بجانب الفتاة

« ورأيتهما ونظرى مصوب إليهما ما يتحرك عنهما ، بينما كانت عمى مستمرة في سرد قصتها التى لا تنتهى ؛ وكان من الواضح الجلى أن كل واحد منهما يحب الآخر حباً جماً ، فقد أسندت الفتاة رأسها إلى صدر الفتى . وعند ذلك لم أستطع أن أمنع نفسى من التفكير في أنى قد بلغت من العمر اثنتين وثلاثين سنة ، وأنى مع ذلك لم أعرف الحب ولم أندوِّق طعمه وأنى ... وأنى ...

« وبجأة صاحت عمى : « هل أنت مصيبة يا (أوجينى) لما أقول !؟ » . فأجبتها : « نعم

ياسيدي أنى قد ضرت مثلاً فى هذه الناحية من فرنسا؟ وما أستطيع أن أمتنع نفسى من الابتسام عند ما أفكر فى هذا الأمر. فهم يقولون فى أمثالهم هنا: «إنها أعقل من تلك الفتاة» «دى يارديلاك» التى فضلت الحب على أن ترث ثروة واسعة! «ولإني... إني ما أظن هذا إلا شيئاً طريفاً، ولكن لا تنس أن الناس هنا كثيراً ما يبالغون...»

«الحب... الحب... أى نوع من أنواع الحب هذا الذى كان فى قلبى ياسيدي؟ إنه خيال الحب... ولكنه خيال ناقص النمو مجرد من كل شىء»

ثم ضحكت ضحكاً خيلاً إلى أنه يخرج من قلبه قد قد من صوان صلد، بينما كانت تنظر فيها حولها. وهى تعد المرة الثانية للفرار الكفانية

محمود السيد شعبان

تاريخ الأدب العربى

لؤي ستاز، أستاذ فى الزبابة

الطبعة السادسة

في حوالى ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط
يعرض تاريخ الأدب العربى منذ نشأته إلى اليوم
فى صورة قوية تحليلية رائعة

ثمانية عشرون قرشاً ويطلب من إدارة الرسالة
ومن لجنة التأليف ومن سائر المكاتب

«وصاحت عمتى: «يا أوجينى! إبحثى عن وشاخى»

«آه! القُبلة.. القُبلة التى لم أعرفها ولم أذوقها بعد! وأغلقت عيني حتى لا أرى أكثر مما رأيت وحتى أحلم بالقبيل والحب — القبيل والحب الذى ماعرفته طوال حياتى والذى لا يمكن أن أناله الآن...»

«وصرخت عمتى بحدة: «يا أوجينى!... أوجينى»، ولم أستطع أن أجبها. ونجاة كرهت هذه المرأة العجوز التى خدعتنى وأبعدتني عن كل ما يمكن أن أناله من سعادة الحياة...»

«وبعد ذلك... بعد ذلك نادتنى مرة أخرى؛ ولكن أنا — أنا قد صرت نجاة لأول مرة فى سبعة عشر عاماً — نائرة حاققة لا أستطيع الصبر.. فقلت لعمتى بالرغم منى فى سائمة وضجر: «أوه! أخزأك الله!.. ثلاث كلات فى لحظة طارئة من لحظات اليأس والسأم! ولكنها كانت أكثر مما كان يكنى لأن أخسر بسببه ميراثى الذى استبعدت من أجله وخدمت للحصول عليه، وبهذا أضعت كل ما عملته فى سبعة عشر عاماً بطولها...»

«وسمعت عمتى تقول بمتعجة: «أوه!..» وعند ما أدبرت وجهى ورأيت وجهها القامى أدركت... أدركت بين ظلام الشك... أنها لن تعطينى بل لن تترك لي فلساً واحداً من مالها.»

وسكنت الآنسة «دي يارديلاك» وأبحثت على ريف بجوارها ثم حدثت فى الكومة التى أمامها من المفارش الكتانية. ومهتت لحظة طويلة قبل أن تفتح شفتيها ثم قالت أخيراً: «إننى أعرف

قِصَّةُ كَانِ

لِلْقَصَصِيِّ الرُّوسِيِّ أَنْطُونِ تَشِيكُوفِ
بِقَلَمِ الْأَدِيبِ السَّيِّدِ جُورْجِ سَلَسْتِ

اليوم البنيض الحاضر؛
ذكريات الأمل البعيد
أيام كان من صباه
الأنيق في نعيم تنعمه
شقي الهفائنات، وأيام
كانت السعادة تظله
بفيها الوديف الفينان؛
أما اليوم فقد انقلبت
به الحال، وبات نضو

بؤس وأخافقة؛ أنأخ عليه
الشقاء بكل كل مود يصهر
المافيه ويذيب القوى،
وهجرته زوجته التي كان
يحسبها فيها مضي أخت
اللائكة الأطهار وشقيقة
الحور لما كانت تحبوه من
عطف وتمنحه من حب،
فاذا بها لدى أول كارثة
ألت به من كوارث
الدهر أول من تنكر
له واجتواه، وفرت مع
عشيق لها متخيلة عنه
أحوج ما يكون إلى عطفها
وحبها وحنانها؛ ففهم منذ

ذاك الحين على الحياة وأضاع ثقته بالناس جميعاً،
وخلال كانه يشته شكاة قلبه المذهب المفزود، ويندب
على نفات وأتاره أحلامه الذهبية التي صوحتها خريف
المعر، وطوحت بها أيدي الحدان؛ ويحيا في منزل
وضيع بمنزل عيشة الزاهدين المتقشفين لا يمتثلط



الكاتب الروسي الكبير أنطون تشيكوف

النهار ساكن مسجور
ونسبات الأصيل منمشة
محببة، والشمس التكتكة
على أريكة الأفق النارية
تبث بأشعتها المتألقة
فأرة وسنى، والموسيقار
الكهل «سميتشكوف»
يدلف على عازاة الشاطيء
اللازوردي وثيد الخطى،
وعلى ظهره المجهود من وفر
السنين كانه الضخم في
كثته (١) الحالية؛ كان
قد يكون عبءاً على سواء
إن راح يحمله، أما هو
فلا يشكو من حمله ولا

يترم لأنه مودد رزقه الأوحده فحب، بل لأنه
حبيب إليه بعد أن نأى عنه خلصاؤه ومحبه، ومسيره
في الليالي السود عند ما يروح به الهم ويبتاحه الذكريات
الأممية المرة ذكريات المهد السرى النابر، وذكريات

(١) السكة بالكمر: البيت ووفاء كل شيء وسره

جالسة القرفصاء ويدها قصبه ذات شص تصطاد بها صغار الأسماك، فمرته ليدري رؤيتها قشمية سرت في أعضائه كلها سريان الكهرباء في أسلاكها؛ فقد كان يحبس نفسه بمنأى عن عيون الناس ومنجاة منهم فإذا به يرى فتاة، إلا أنه ما لبث أن حمد الله لئن حدثت فيها وأدرك أنها غافية

واستولى عليه شعور لذيذ مهم لم يدرك كنهه ولا معناه؛ وأحس بشوة علوية قرت لها نفسه، واهترت لها جوارحه
يا للمعنى الحبيب!

لقد بدأ يحس حرارة الحرمان، على طول العهد بعدم الإحساس بها؛ ويشعر بفراغ روحي كبير وهو الذي كان يخيل إليه أنه لن يفتن بمد بآنتي؛ فقد أثارته هذه الغادة الغافية ما لم تثره في نفسه غافية ولا مستيقظة!

وحدثته نفسه أن يوقظها إلا أنه عدل عن فكرته هذه خشية أن تروعهما رؤيته، ورؤيته على كل حال ليست بالتي ترضى!!
وتهد من فؤاد ملتاع وتحم:

— «لقد أوشك ميما دهاى إلى قصر الأمير أن يحين فوداعاً أيها المجولة الرائعة الحسن» وراح يسبح بهدوء، حتى إذا دنا من الضفة وألقى عليها نظره الجامعة الأخيرة خطر له أن يتركها ذكرى من مجهول، ذكرى ممن رآها ولم تره ومن قد لا تراه، وسرعان ما نفذ فكرته، وجمع من زهر الحقل ونبات الماء طاقة كبيرة علقها بالشص فراحت تطوف على سطح الماء يحملها التيار الجميل؛ وصعد مرة أخرى على الضفة ليلبس ثيابه ويذهب إلى شأنه

بالناس إلا مضطراً، ولا يماشرهم إلا مكرهاً عند ما يدعوه أحد النبلاء للمزف في حفلة تقام أو في مأدبة تودب، وهو لو يستطيع اعترضهم جميعاً وعاش في صومعة كالنساك المتبدين، بعيداً عن التزلف والرياء والحياة والغدر

وإنه الآن مدعو إلى قصر الأمير «ببولوف» مع جوقة موسيقية في السهرة الراقصة التي سيقمها رب القصر احتفالاً بمقد خطبة الأميرة ابنته. وها هو ذا قد خرج من منزله ميماً قصر الأمير غتاراً ضفة النهر المشوشة سبيلاً؛ إلا أن روعة الأصل أخذته وصرفته عن نفسه، وسحر الماء الهادئ المناسب بدعة وسكون فتنه، وخريره الموزون المؤبد الترويد ملك عليه مشاعره، وأحس وهو الكلف بالطبيعة، الهائم بجبالها الساحر الأخاذ برغبة ملحة تدعوه للاستمتاع بلقاء الفتان، وقد سكبت عليه ذكاء أشعتها المسجدية. وحدثته نفسه بالاستحمام، فإن لديه من الوقت سمحاً يستطيع خلاله أن ينعم ما شاء وأن يتملى من متعة السباحة ما طاب له التملئ؛ وقرر تلبية نداء نفسه، فها هي إلا هنية حتى كان قد نضا عنه ثيابه وتركها على الضفة فوق كانه الضخم وألقى بنفسه في الماء الرقاق؛ وراح يتغلغل بين تضاعيف التبعج السرى، ويسبح هاتكاً مسروراً كأنما ألقى عن صدره ما جثم عليه من هم. وها هو ذا ينمعه فيض الإحساس بالجبال الشمرى المونق فينقسم بسمه الطفل التريز.

— يا الله!

هتاف خفيض انفرجت عنه شفتاه بدهشة واستغراب لا حد لها. فقد أبصر على الضفة فتاة

والغيب ولم يبق لها لتتوارى وراء الشفق البعيد إلا مرحلة تقطعها بخطى المكثود الوانى ، فرأت أن الوقت قد حان لتعود إلى المنزل ، ونظرت في الماء فلم ترَ عوامتها طافية على سطحه فسحبت القصبه فاذا بالخيوط تمتد ، غير أن العوامة لم تَبين والشص لم يظهر له أثر ، فطاقة الزهر لما تربت من الماء تقلت فامتحدت بالشص إلى القاع

وخيل إليها أن الشص عالق بشيء ما فعلها إذن أن تنفطس في الماء لتتخلصه

ورفعت عينها الجليتين إلى الأفق البعيد فرأت الشمس تلطم ذواتها من رحاب الآفاق ، فمزّ عليها كثير أن يدركها المساء قبل أن تحصل على صئارتها فما كان منها إلا أن نضت عنها ثيابها في مثل خطف البرق ، وغطست في الماء حتى كتنفها الماخيتين وراحت تسمى لحل صئارتها من طاقة الزهر وتسريح الخيط المتعقد

ووقفت إلى مبتغاها بمد لى فخرجت من النهر سميدة تتألق ملامحها بالسرور ، وتفيض عينها بالبشر الوداع ، ولكن سرعان ما اضمحلت بسماها وانماحت ، وتبدل يشرها بالجهامة والتفتليب

فلقد أبى سوء الطالع إلا أن ينكبها بما نكب به الموسيقار الكهل من قبلها فسرفت ثيابها ولم يترك لها السارق ما تأثر به . فراحت تقول وتنتحب وتندب حظها المنكود

وأدركت أن البكاء لا يجديها قليلا ، وأن من الواجب عليها أن تفكر في أمرها لا أن ترتقب رحمة الأقدار وقالت في نفسها :

« ليس لى إلا أن التنجي إلى هذا الجسر القريب

ولكنه وقف على الضفة مأخوذ اللب مسلوب الفكر ، وسحر في مكانه والمأ مشدوها ثم دمد سميتشكون ووقف ذاهلاً بين الحيرة والحنق فإن ثيابه سرفت كلها ولم يترك له السارق إلا القبة والسكان !

لم يكن فقدان ثيابه خسارة في نظره على ما هو عليه من ضيق ذات اليد ، ولكن الأمر الهام لديه هو وجوده في قصر الأمير في الموعد المضروب وجلس على كتفه كأنه يفكر في وسيلة تخرجه من هذا المأزق الحرج الذى زجه فيه بعض الأشرار الملاحين !

وغمره يأس شديد وحزن ممض ، ومسه صداع أحس معه بتلاشى القوى وققدان الحلم ؛ وظل على هذه الحال ردحا من الوقت حتى أمده الله برحمته وألمهه أن يتخذ الجسر القريب ملجأ ينجي نخته وراء الموسج والليق ، حتى إذا ما أدركه الليل انسل تحت جناحه الدجوى إلى أقرب بيت يراه واستنجد بساكنيه ليتداركوه بما يستتر به حتى يبلغ منزله

وبناء على هذا الخاطر وضع سميتشكون قبعته الطويلة على رأسه وجعل كأنه على ظهره ومشى نحو الجسر المتصود ، وهو يحيل أنظاره هنا وهناك خوفاً من أن تقع عليه عين

والآن يا قارئى دعنا نترك صاحبنا مستسلما إلى همه لحظات قلائل ولنعد إلى غادة الشاطىء لنرى ما حل بها :

لما أفاقت من غفوتها كانت الشمس قد جنحت

وضاعة حسنها ، فأفرخ روعه واطمان باله ، ثم قال لها بلهجة كلها ضراعة وتوسل :

— « آه يا آنسة ، لقد رزمت بما رزئتُ به أنا من قبلك ، وألم بك ما ألم بي من خطب ، وإحال أن الذين سرقوا ثيابي هم أنفسهم الذين تطاولوا إلى سرقة ثيابك حتى أصبحنا في البؤى سواء . ودرع نظره إليها فرأها مطرقة حياء منه وخجلاً فاستطرد قائلاً : « أرى يا آنسة أن وجودي أمامك على هذا الشكل الميب قد حرمك متعة تسريح النظر ، وأن الأسباب ذاتها التي تحول دون ذهابك من هنا تحول بين الذهاب وبينى ، فهل تريدن أن أضحك في كسنة المكان فتنجي من رؤيتي وتحتجي عن ناظري ؟ »

ومد يده قبل أن ينتظر جوابها وأخرج الآلة الموسيقية من مكانها وتقدم منها ، وقد فتح فوهة الكنتة بكنتا يديه ، فارتجت فيها وهي متجمعة على نفسها ، ثم راح يربط الفوهة والبسملة العربية على ثفره ، لأن الله - على حسبانه - قد حياء هذا العقل الراجح الذي أقنعه من ورطة ما كان لينجو منها لولاه ! ثم قال سيميتشكوف : « الآن يا آنسة لتعري عينك ولتطمئن نفسك ، فسأحملك عند ما يحن الليل إلى أهلك ثم أعود إلى هنا فأخذ كأي ! »

وعند ما مد الظلام رواقه على الكائنات كان الموسيقار الكهل يدلف نحو قصر الأمير وعلى ظهره حمله المحبوب ، ولم يسر أن عليه أن يتجه أولاً إلى أقرب بيت ليستعير من ساكنيه ثياباً يرتديها ثم يمضي لطيته

وهكذا راح يسير في الاتجاه الذي رغب فيه متشد الخبطي يستمد في ذاكرته ذكريات النساء

حتى إذا اشتد الظلام هرعته إلى بيت « أغافيا » القريب وأرسلتها لتأتيني ثياب من المنزل »

وهكذا انسلت سرية الخبطي بين العشب الطويل حتى بلغت الجسر ، ولم تكذب تخطو تحتها خطوتين حتى لحق رجلان عارياً منتصباً أمامها كاللارد بصدرة الأزب وذوائب شعره اللدلة على منكبيه تحت قيمته الطويلة السوداء ، فقف شعرها فرقاً منه وجزعاً وصرخت صرخة واحدة وارتجت على الأرض مفتحة عليها

ولم يكن « سيميتشكوف » بأقل منها خوفاً وقد حسبها لأول وهلة جنينة قذف بها القدر لتضليله وإغوائه

ثم قال لنفسه : أجل ! ولم لا تكون جنينة هذه الساحرة التي هبطت على عارية ؟ وإن لم تكن كذلك فما معنى ظهور فتاة لها هذا الجلال الفاتن والحسن الرائع على هذه الصورة المنحجلة أمام الناس ؟ وكيف جاءت إلى هذا المكان دون سواء إن لم تكن موفدة لإغوائى ؟

وبينا كانت هذه الأفكار وأمثالها تضطرع في رأسه كانت القادة الجميلة قد ثابت إلى رشدها وأفاق من غيبوبتها فقالت له وهي ترمد فرقاً :

— « لا تقتلني ! ارحمني ربك وأشفق على صباي . أضرع إليك ألا تسنى بسوء ؟ أنا الأميرة جيولوف ياسيدى ، سيفدق أهلى عليك المال بلا حساب إن رأفت بي ، إن أولاد السوء قد اغتتموا فرصة غوصى في النهر واخلسوا ثيابي جميعاً »

فأحنى سيميتشكوف هامته وراح يحدث في الأرض ، وأدرك أن هذه التي حسبها جنينة لم تكن إلا فتاة الغافية التي وقف في النهر يتمنى من

دون حراك تتنابها شتى الآلام النفسانية الالعة ؛
ولقد سمعت نداء الموسيقىار ووقع قدميه الثقيلتين حين
هروول را كضاً ، فلمت في سرها الساعة التي أتت فيها
لصيد السمك ، والوقت الذي أذعنت فيه لرأى ذلك
الخبول ، ورضيت أن تودع في هذا الوقاء الذي كادت
تحتنق فيه ؛ فكانت تحصى الدقائق آملة أن تصل
إلى القصر بين كل لحظة وأخرى فإذا بمجالها الأحق
ياقي بها على قاعة الطريق دون أن يفكر فيها

ولقد حدثتها نفسها بتمزيق الوقاء بأستانها
والخروج منه إلى الهواء الطلق تملأ منه رتبتها ،
وتتلفق بعد ذاك بقطع الوقاء وتسرع إلى قصرها ،
وكادت تهم بذلك فعلاً لولا أنها سمعت لفظاً فقبت
في مكانها واستكاتت

وكان القادمون رفاق سيمتشكوف وهم في طريقهم
إلى قصر الأمير . فلما أبصروا الكنة في سبيلهم
وقفوا حيا لها حارثين دهشين

قال أحدهم : « كان يازفاق » ولكنه آلة
زميلنا سيمتشكوف ، فإذا جرى له يارى حتى تركها
هنا ... ؟

— ربما كان المسكين نشوان لمبت بله سورة
الخر فرى بها على قاعة الطريق من غير أن يى !
— فلنجلجلها معنا إذن ولنسد إليه جياك . قال
الثالث هذا وتقدم من الكنة فجلجلها على ظهره
وتأبوا سرام ؛ وإن هى إلا بضع خطوات مشوها
حتى بدأ حاملها يتبرم بها ويشكو من ثقلها :

« يا للشيطان اللعين ! »

« ماذا ألم بك ؟ »

— « إنها ثقلية فوق ما تتخيلون ، فوالله ،
لو كنت إياه لأبيت أن أعرف على هذه الآلة الضخمة

فيمبس تارة ويستسم أخرى ، فما يشك رائيه —
لو قبض لأحد أن يراه حينذاك — في أنه خبول !
وقد يكون الخبال مسه فعلاً فإن ما وقع له
لفوق ما يستطيع أن يحتمل عقله المضطرب الضميف .
وأقول عقله الضميف وأنا واثق بما أقول ، فإن زوجته
التي لازمتها زمناً طويلاً وبلت فيه أخلاقه وخبرت
طباعه لم تهجره عن عبث ، ولم تتخل عنه طمعاً في
المال الوافر والشباب الزيان كما يدعى

ولقد كان متبطلاً بحمله مسروراً ؛ ولها لنمى
أن يحمل كهل مهجور أميرة عذراء فانتة المحاسن 11
وكانت الأحلام تهدده على ما كان فيه من حال
زرية وعري ميب ، ويأمل أن يرفع آل بوبولوف
من حضيض الصنعة والمهانة إلى أوج العز والنعيم
لهذه اليد البيضاء التي يسديها إلى وحيثهم وأحب
الناس إليهم ، وقد تمتعت شفتاه وهو يكاد يرزح
تحت عبثه الحبيب :

« سبحانك اللهم ! ما ضربت ييسارك إلا لتلقيت
ييمينك ! »

ولاح له عن بعد شبجان خبيلا إليه في البدة
وهين من أوهام النظر الخاطي والفكر التريد ؛
إلا أنه لم يلبث أن تثبت من حقيقتها لئن أنم فيها
النظر ، ورأى أن كلا منهما متابط رزمة ما شك
في أنها الثياب المسروقة ، فوضع للتو حله عن
منكبه برفق وصرخ بجلء فيه :

« مكانكما ! »

وركض وراءهما بكل ما تسمعه قواه ، ولكنهما
أطلقا سيقانها للريح لما رأيا من يلحق بهما ، فراحا
وهيات أن يدركا

أما الأميرة البائسة فقد ظلت في كنة المكان

الجزل في موضع الجِدِّ يا خضرة الكونت ؛ وإني
لأؤكد لك أن ذلك الموسيقار الغني قد لعب أمامي
على كمانه نخبة من أناشيد «ليست» طربت لها كثيراً
حتى أنني رغبت إليه لفرط إعجابي بها أن يلقيني
أنشودة منها ففعل ، وأنا الآن أجيد عزفها بعض
الإجادة »

— هيه ؛ نخبة من أناشيد «ليست» . إنك
تمزح في قولك الآن وتهزل من غير ريب
— لا وربك . ثم قال السشار بلهجة ملؤها
الحزم والجِدِّ : تعال معي أبرهن لك على صدق
ما أقول . هلم بنا إلى منبر الموسيقى لترى بعينيك
وتسمع بأذنيك . إني لأعجب كثيراً لهذه المسكارة
تبدو منك يا خضرة الكونت . ومشياً معاً إلى المنبر
حتى إذا بلغنا راحا يفكان رابطاً وقاء السكان ...
و ... آه ! ... يا لكمان الحلي !

ليطلق القاريء الكريم تخياله العنان هنا ،
فاني أترك له أمر الحكم على مآل الحوار الموسيقي
بين التيلين ، وأدع له أمر البت فيه بمد هذه المفاجأة
للذينة العذبة ؛ ولنعد إلى سميتشكوف :

فقد ظلّ السكين يمدو وراء السارقين حتى
وهنت قواه وكلت رجلاه . ولما أيقن أنه لن يستطيع
إدراكهما عاد يلهث من الإعياء إلى حيث ترك
وديته القالية .

ولشد ما التاع إذ لم يجد لها أثراً ولشد ما اغتم
واكتأب إذ راح يفكر في طالمة المنكود وجده
المائر ؛ أغفر زوجته مع عشيقها على مرأى منه

فإن حملها وحده لا يعادله أجر ولا بدل »
— «إنه السي وراء الرزق يا صاح ، يرغم المرء
على احتمال المسكارة »

— «إني لأؤثر الانتحار على اكتساب القوت
عن سبيل هذا (الكمان) الثقيل الفادح »
وما زال هذا يتذمر وفكّ يرفه عنه بالحديث ،
وذلك يهون الأمر عليه حتى بلغوا القصر ، فوضعا
(الكمان) على منبر الموسيقى في محله المهود ، ودخلوا
قاعة الطعام ، فإذا بالثريات تتلألأ مصابيحها وتتألق
أنوارها ، وإذا بالائدة قد صفت عليها كوؤوس
الشراب ، وآنية الطعام ، وطاقات الزهر ، وإذا في
صحن الصالة خاطب الأميرة ، وهو مستشار في الحكمة
المليا وأحد أركان غرفة المواصلات في الدولة ،
يزجي وقته بالتحدث إلى الكونت «شكاليكوف»
عن الفن الموسيقي الجميل ويقول :

— «لقد عرفت بنفسى في مدينة نابولي
يا خضرة الكونت عازفاً على الكمان الكبير كان
يُبدع سامميه بأنغام هي السحر ، وكان يأتي بالمجزات
حقاً في توقيعه الجميل وعزفه الفريد

وقد كان بكانه الكبير الضخم يكرر الحنين
معاً بسرعة مذهشة تأخذ بججام القلوب ، ولقد
عزف عليه حتى الـ «فالس ستروس» وحمل سامميه
إلى الملأ الأعلى ، وأسكرهم جميعاً وترنحت منهم
الأعطاف كالشاردين النملين

قال الكونت : «حسبك وإني لأستميحك
عذراً إن أنا هزئت بقولك ، فإنه ليقوق حد
التصديق ! »

— «أنا لأغالي في القول ، وليس من شأنى

وأنا مجرم أقيم ؟

أجل إنني مجرم قاتل . فالأميرة قد اختنقت ،
ما في ذلك ريب في ذلك الرقاء الصفيق اللعين . لقد
قتلها يدي فالويل لي !

وصمت لحظة تمثلت له فيها جثة الأميرة الملائكية
الحسن ملقاة حبال الطريق تنوشها عقبان الجو ،
وتتخاطف لهما كواصر الوحش ، فشق ذلك عليه
واريدت بحياه ، وانتفتحت أوداجه ثم ضرب برأسه
الجدار صرتين أو ثلاثا ، وقهقهه بملء فيه قهقهة
صدعت بأصدائها هدأة الليل الساجي !

وكأنما أفاق بمد برهة من سورته فرمق السماء
بنظرات شذراء وقال يتحدث نفسه : « سأراها ،
سأبحث عنها في كل زاوية وفي كل شارع حتى
أجدها »

وخرج من تحت الجسر وراح يبحث عنها في
كل مكان ولكن من دون طائل ، حتى إذا أوشك
الفجر أن ينبجل عاد إلى مكانه بين العليق والموسج
مرتهك المفاصل مضطجع المزم وارتدى على الأرض
وهو يقول :

« سأغادر مكاني ههنا بعد المساء المقبل
وسأبحث عنها الليل بطوله ، وإن لم أعثر عليها أعدت
الكرة في المساء الذي يليه إلى أنت أوفيق إلى
مبتغاي »

وحتى الآن يتحدث الفلاحون المقيمون في
تلك الأنحاء عن رجل عار يحمل الشعر جسمه كله
مقيم تحت الجسر الصغير ، وكثيرا ما يسمعه عابرو
السبيل معمولا بتحضر على عزيز مفقود !

مورج ملسي

ومسمع ، ولا يثار لنفسه المكشوفة ، ولا لكرامته
المثلومة ؟ أنسرق ثيابه ويرى سارقها ، ولا يستطيع
أن يقبض عليهم لتفتقر المدالة منهم ؟ أنكون
الأميرة الفاتنة في كنة كانه ، ويحملها على ظهره
التعب المكشود ، وعشى بها على الجادة عارى
الجسم ويتركها تفلت من يديه دون أن ينال رضاها
ويكتسب ودها ، ويفقد ما أمل نيله على يديها من
مال هو في أشد الحاجة إليه في أيامه السود !

ومشى يحدق في جوانب الطريق بعينين زائفتين ،
وتقدم إلى الأمام مسافة طويلة وهو يعلم حق العلم
أن قدميه لم تطأها منذ أمد بعيد . وعاد القهقري
حتى تجاوز كل مدى تخيل إليه أنها قد تكون
فيه ، ثم رجع إلى الجسر منهوك القوى يفتش هنا
وهناك عن ضالته ... ولكن من غير جدوى

واتصف الليل !

ووقف تحت الجسر وقد أسند رأسه إلى جداره
وغرق من أفكاره القائمة في لجة بعيدة النور !
وخدرت أعصابه حتى لم يمد يشعر بالوجود
ولا يحس بالحياة . وجد بصره كمن طرأ عليه بفتة
طارى روعه ، ولم يلبث أن ترع قبعت الطويلة
السوداء عن رأسه بحركة عصبية ، وأمسك شعره
بكلتا يديه وجعل يشده كمن أصيب في عقله بمس ؛ ثم
بدأ يلكنس^(١) صدغيه بكل ما أوتي من قوى
وانفجر بعد ذلك كالطفل الرضيع يني بكاء مرها
ويقول بصوت خفقه الشجي :

« يلى من غبول ! أآهسر على ثيابي التي
فقدتها أم على المال الذي كنت آمل أن أحصل عليه

(١) يضربه بجمع الكف

لتمسخرى منى بفضولك
المجيب ؟

فقلت شياما :

« أسخر منك ؟ »

الحبيب « إلى أن أترع

حُلّ فاضع مكانها

« أغلاك ! »

الأغلاك

للمشاعر فيلسوف رابندرانات طاغور الهندي
بقتله الأديب شكري محمد عياد

« سرقة من خزانة الملك ! »

ذهبت هذه الصيحة تطلو المدينة طلياً ؛ لا بد
أن يقبض على السارق حتى لا يصيب قائد الحرس أذى
وكان فاجارسن قد هبط إلى الثغر غريباً عن
أهله ليبيع جيناداً في المدينة ؛ فسلط عليه عصية
من اللصوص سلبته كل ما كسب ، وأجأته إلى
أطلال معبد مهدم خارج أسوار البلدة . فآلقوا عليه
التهمة ، واقتادوه مفللاً إلى السجن مجتازين به
شوارع المدينة

وكانت « شياما » المتجبرة ذات الجمال الفتان
جالسة في شرقها تطل في تراخ على الجمع المار .
فإذا هي ترعد فجأة وتصيح بوصيقتها : « وأأسفا !
من ذلك الشاب ذو الوجه النبيل والجمال التوراني ؟
ذلك الذي رسف في الأغلاك كأنه لص ؟ سني
رئيس الجند باسمي يأتي به إلى »

وجاء رئيس الحراس بالسجين وقال لشياما :

« ليس في الوقت متسع لإجابتك - ياسيدتي -
إلى ما ترغين ؛ فلي أن أهرع إلى الملك إطاعة
لأمره »

ورفع « فاجارسن » - سريعاً - رأسه ، وصاح :
« من أغراك يا امرأة بأن تأتي بي من الطريق

ثم التفتت لرئيس الجند وقالت :

« إليك كل ما ملكت عيني وأطلقه حراً »

فأعنى الرجل وقال :

« ليس الأمر في وسي ؛ لا بد من نحية نطق »

بها غضب الملك .

فتوسلت إليه شياما قائلة :

« إنني لأطلب للسجين غير مهلة يومين »

فابتسم رئيس الجند ووافق

وفي نهاية الليلة الثانية من اعتقال فاجارسن :

قرأ السجين صلواته ، وجلس اللحظة الأخيرة يكتب

وإذا بالباب يفتح وبالمراة تدخل حاملة في يدها

مصباحاً . ثم أشارت لخل الحارس وثاق السجين ،

فقال الشاب :

« لقد جئت إلى هنا المصباح - أيتها المرأة

الرحيمة - كما يطلع الفجر بنجمة المصباح بعد ليلة

حبي وهذيان »

وصاحت شياما :

« رحمة حقاً ! » وانفجرت ضاحكة حتى

سالت من عينها الدموع ، وصرخت قائلة :

« ليس بين أسجار هذا السجن ما هو أصلب

من قلب هذه المرأة وأقوى . » وأمسكت يده

السجين فاقناده خارج الأبواب

أشرقت الشمس على ضفاف الفارونا ، وكان
زورق على المرسى ، قالت شياما :

« تمال مي في هذا الزورق أيها الشاب النازح ،
وحسبك أن تعلم أنني قطعت كل أغلاك ، وأنى
معك في هذا القارب »

وازلني القارب في هينة ولين ، وغردت الطيور
في صرح وجبور ، وقال فاجارسن :

« خبريني يا غرامي ! بأى ثروة اشتريت
حريتي ؟ » فقالت شياما :

« هيه ! ... ليس الآن ... »

تكبدت الشمس السماء ، وعادت نساء القرية
إلى دورهن وثيابهن تنز بعد الاستحمام ، وجرارهن
ممتلئة بالماء ، وانفضت السوق فالتق في الشمس طريق
القرية الخالي ...

وهبت نفحات الظهر الدافئة فأزاحت النصف
عن وجه شياما ، فهمس فاجارسن في أذنها :

« لقد أخرجتني من غل زول إلى غل يدوم
مدى الحياة . ذريني أعرف كيف فعلت ! »

فأسبلت المرأة النصف على وجهها وقالت :

« ليس الآن يا حبيبي ... »

وأغطش الليل ، وراح النسيم الواني ، والتمع
الملال المليل على نحواشي الماء ذى السواد
الحديدي

وجلس شياما في الظلام ، وأراحت يدها على

كتف الشاب ، ونام شعرها بين ذراعيه ومهست
في خفوت :

« لقد أتيت من أجلك أيها الحبيب أمراً إذا ؛
بيد أن إخبارك به أشد وأقسى . لا كشفه لك في
كلمات قصار : لقد سحلت عنك أغلاك يوتيجا ،
وهو فتى شفه الحب وأضناه الهوى ؛ وادعى الجريمة
وأهدى إلى حياته ... في سبيل حبك اقترفت أعظم
ما اجترمت يا أعز حبيب ! »

كانت تتكلم والملال الشاحب يضوى ويحول ،
والطيور تأوى إلى أوكارها فتسلم الغابة لسكون عميق
وانسل ذراع الشاب في هدوء من حول خصر
المرأة وتسلل الصمت من حولها واستحجر في
الأذان ...

وجثت المرأة فجأة عند أقدامه ، وتملقت
بركبتيه صامحة :

« غفرانك أيها الحبيب غفرانك ! دع العقاب
لله هو يجزي على ما قدمت يدلى ! »

وانترع فاجارسن ساقيه بعيداً ، وصاح في
صوت أبح : « تشرن حياتي بضمن الخطيئة ! لعنة
الله على كل نفس من أنفاس حياتي ! »

وهب واقفاً ، وقفز إلى الشط من القارب ،
وانماث في ظلام الغابة ، وظل يسير ويسير حتى انقطع
به الطريق ، واستوقفته الأدغال المتكاثفة والأشجار
المتنفة

وجلس على الأرض متمباً ... ولكن من هذا
التي تبمه في صمت طوال الطريق النظيم ، والتي
يقف الآن كالشبح وراءه ؟

وصاح فاجارسن : « هلا تركتني ! »

قَدَّرَ على أن أعيش »
وجاءت شياما ... ووقفت بازاء الشاب فنظر
في وجهها ، وتقدم خطوة ليضمها بين ذراعيه . ثم
قذفها بكلتا يديه وساح
« لماذا ؟ آه ! لماذا عدت ؟ »

وأغمض عينيه ، وأشاح بوجهه ، وقال
« اذهبي ... اذهبي ... دعيني »
ووقفت المرأة لحظة ، ثم ركعت عند قدميه
وأبخت كثيرًا . وهبت فيممت نحو الشط وغابت
في ظلام الباب كمن ابثت من نوم . وجلس
فاجرسن في القارب صامتًا وحده ، وقلبه يدي
نجمه شكرى محمد عباد
كلية الآداب

وهوت عليه المرأة في لحظة ، وأغرقتة بدلها ،
وغطته بشعرها التهدل ، وأتواها الحرارة ، وأنفاسها
الترددة ، وصاحت في صوت خففته المبرات المحتبسة :
« لا . لا . لقد اجترمت لأجلك فاقطنى إذا
شئت ؛ دعنى أموت بيدك ! »

وارتمش ظلام القابة الراسخ لحظة ، وسرى
الزعب في جُنُوز الأشجار التفلتة في جوف الأرض
وارتفعت تحت جناح الليل آهة مكتومة ، وأنفاس
مضطربة ، وسقط على الأوراق النواوية جسد

توهجت شمس الصباح على مسلة المعبد البعيد ،
وبرز فاجارسن من القاب ، وظل النهار بطوله يهيم
بجوار النهر صاليًا بحرارة الشمس لا يفتر لحظة

وفي الليل ارتد إلى القارب على
غير هدى ، فوجد على القراش سوارًا ،
فقبض عليه وضمه إلى قلبه حتى أدماه ،
وانطلق على الوشاح الأزرق المتكوم
في الزاوية فأخفى وجهه بين طياته ؛
وأراد أن يجتر من نموة حريره ،
وشذا عييره ذكرى جسده حبيب...
وترخ الليل في صمت ثقيل راجف ،
واخفى القمر وراء الأشجار ، ووقفت
فاجارسن مادًا ذراعيه إلى القاب مناديا :
« تعالى إلى يا غراي ! تعالى إلى ! »
وانبث من الظلام فجأة شبح
وقف على شفير الماء . « تعالى إلى »
يا غراي ! تعالى إلى ! »
« لقد جئت يا حبيبي ، ولم تستطع
بدالك العزيزتان إذهاق روجي ، فقد

تسليم خضير

١٠٥٧

١٠٥٧

برليشة ذهب عيار ١٤

مضمون ٣ سنوات

تسليم الخبز كومات الشقية

مكتبة وطبعة خضير بساط عبد العزيز بصر

— أنا هي بذاتها
وما كان لي إلا
القول والنظر كالمجنوب
في هذا الوجه الأربد .
وفي هاتين المصنبت
اللامتين الشاخصتين
في بدون حياة
أعذه المومياء هي
(لو كريا) أجل وأبهي

للكاتب الروسي تورجنيف بقلم الأستاذ خليل هنداوي

بَقِيَّةُ حَيَاتِهِ

إمائنا، من كانت بضة الأهاب وردية اللون ترقص
وتضحك وتمرح وتنفق؟ لو كريا... الرقيقة التي فتنت
رقاتها، ومن كنت أبسم لها خفية حينما كنت في
السابعة عشرة

— آه يا لو كريا ماذا أصابك ؟

— إنها حادثة مروعة، ولكن لا تخش
ياسيدي، ولا تترك السآمة من حالي . اجلس مني
قريباً على هذه الحماية لأنك لا تستطيع الإصفاء إلى
بعيداً . أي صوت لي الآن ؟ إنني جد مسرورة
برؤيتك ...

(وهنا تمس عليه لو كريا قصتها، وأنها في ساعة
مرهبها سقطت غن السلم ومرهاها جذبا اللال الذي عطل
حركتها . وقد جربوا باطلا أن يجدوا لها الدواء . وأخيراً
قادوها إلى هذه المزرعة عند أقارب لها)

— وهل تظنين مضطجعة هكذا دائماً ؟

— نعم ! وقد غبر على سبعة أعوام، في الصيف
أمكنك في هذا الحصى الصغير، وفي الشتاء يحملونني
إلى مدخل هناك

— ومن عسى يعني بك ويقوم بحاجاتك ؟

— إنني وجدت هنا رجالاً كرماء لا يتركونني
ولكن في الغالب لا أحتاج إلى شيء . كدت أستغني

كان تورجنيف خلال صيد يفش عن ملجأ من
الطر في مزرعة لأمه . فحبط كوخاً مهجوراً ووجد
خصاً في زاوية من زواياه سرير خشبي يرقد عليه شكل
إنساني صغير »

دنوت ولكن الدهشة سمرتني في مكاني . إن
إزائي كانتا حياً، ولكن ما هو هذا الكائن ؟

وجه غاض منه ماء الحياة، وغشيه لون برزّي
كأنما يرى فيه الناظر صورة قديسة قديمة، وأنف
دق مارنه حتى أشبه حد المدينة، وشفتان دقيقتان
نخيفتان لا تكادان تحسان، وعينان لامعتان، وأسنان
بيضاء، وبعض غدائر شقراء ناست تحت النقاب،

وفي أطواء الفضاء تتحرك يبطه أصابع يدين، ووجه
لا يسمه القبح، وإنما هو جميل، ولكنه غريب
مؤثر، ولكني لحت أشد ما أثر في نفسي ما لحتته على
الحدين المتصلبين صورة ابتسامته تجهد ذاتها باطلا لتظهر
— ألا تعرفني يا سيدي ؟

تردد ذلك الصوت الذي راح يردده هذا الكائن
كنفخة، تحركت به شفتان بقاء

— إنني (لو كريا) هل تذكرني ؟ هذه أنا التي
كنت أرسل الأغاني وأثير الضحكات غند أمك !
— أأنت « لو كريا » أنت ؟ هذا مستحيل

كيف تعملين حتى تبرح الأفكار نفسك؟ وعلى الأقل
ألا تنامين كل الوقت؟

— لا ياسيدي ! لا أستطيع أن أنام . حيث أريد
ويدون أن أحس الآلام الكبيرة أجد في أعماق
نفسى آلاماً صماء تمشى في عظامى ، وهذا ما يجرمى
النوم . لا... أظل على حالة واحدة هادئة دون تفكير.
أحس أنني أحيأ . إننى أنفَس ، وهذه كل حياتى .
إننى أنظر وأسمع ... تدوى أسراب النحل وتسقط
حمامة على السقف وتمشى ، ودجاجة تقامم فراخها
فتاتاً أو عصفورة أو فراشة تحوم . هذا يدخل
السرور في نفسى ، ومن عامين طرق السنونو هذا
المكان وبني — هنا — عشاً . ما أجمل هذا !

وفي بعض خطراتى أردت صلوات ، ولكنى
لا أعرف منها كثيراً ، ولكن لماذا أنجز الإله
الصالح منى ؟ وماذا أطلب إليه ؟ إنه يعلم حاجتى
أكثر منى . إنه أرسل إلى صليبه وهذه علامة
عبته لى . أعرف صلاة (يا أبانا) وصلاة (السلام
عليك يا منزيم) ثم أراى أحلم فى شيء ... وهكذا
الزمن يمضى

(وهنا يعرض عليها (تورجنيف) أن يبتاعها إلى مستشفى
في المدينة ولكنها ترجوه ألا يفعل)

— إننى أعرف ياسيدي أن فى عمله خيراً لى ،
ولكن هل فى الإيمان مساعدة الآخرين ؟ هل يمكن
قراءة ما فى النفوس ؟ إنما يجب على الإنسان أن يجد
مساعدة فى نفسه . إنك لا تؤمن به . فى بعض
خطراتى وأنا مضطجعة وحدى أحس أن لا أحد على
الأرض غيضى ، وأن لا أحد لى سوى ، وأشعر بأن
بركة تنزل على ... تساورنى أفكار تبتث على البهشة

عن الطعام والشراب ، وترانى أكثر الأوقات
مطروحة جانب هذا الينوع البارد ، وأستطيع أن
أبلغ مرمى وحدى ، إذ لا تزال إحدى يدي سليمة .
وهناك فتاة صغيرة تبتتمة ترافقنى كثيراً فليجزها
الله عنى ! كانت هنا قبل لحظة ، ألم تلاحظها فى طريقك ؟
إنها عادة شقراء تحمل إلى أزهاراً طلالاً أحبها . كان
عندنا من الروضة أزهار ولكنها ذوت . أما أزهار
الحقول فعلى جميلة أيضاً وشذاها أضوع ! ماذا تريد
خيراً من ذلك ؟

— ولكن الحياة ؛ ألا تجدينها كثيفة ثقيلة
عليك يا لوكريا البائسة ؟

— ما العمل ؟ لا أقدر أن أكذب . كانت
أيام مصابى الأولى أياماً ثقيلة قاسية ، ثم ما لبثت أن
تعودت ، وللإنسان من درهمه ما تعود ، وصبرت
وذكرت أن آخرين — هنالك — قد يكونون
أحق بالشكوى منى ...

— وكيف ذلك ؟

— هم من لا مأوى لهم مثلاً ، والعميان والصم !
أما أنا — فشكراً لله — أبصر وأرى ، وأسمع
ما خفت من الأصوات . ليشق خلده منقذاً فى
الأرض فأتى أسممه ، وأتروح كل المطور حتى
الضئيل منها . لتزه زهرة فى الحقول أو زيقونة فى
البستان دون أن أخبر بذلك ، فإذا ذهبت عليها الريح
أكون أول كائن يحس ما تنطوى عليه هذه الريح !
لا لا... ولماذا ألن حظى ؟ فهناك آخرون حظهم
أقسى ، وكذلك الأشخاص المماقون تدفع بهم
ميولهم كثيراً إلى عمل الشئ . أما أنا فالخطيئة تركتني
— وهل أنت وحيدة ، وحيدة دائماً يا لوكريا ؟

« في هذه الروح ، هذه الروح ، في هذه الروح الجميلة الخضراء » كانت تشدو دون أن تبدل ملامح وجهها وعيناها لا تتحولان . ولكنها كانت ترسل صوتها ين مؤثراً ، هذا الصوت الضيف الذي كان يجهد نفسه متصاعداً كأنه خيط دخان ، متدفقاً من كل نفسها . أصبحت لا أحس ذلك الرب ، بل حل محله شفقة عنيفة تضغط على قلبي
أنت فجأة وقالت :

— لا أقدر ... إن قوتي تخونني ، إن فرحي كثير برؤيتك . وهنا أغضمت عينيها ، ولست يدي أصابعها الباردة فنظرت إلى نظرة خفية ، ثم رأيت جاحيها الكثيفين النتهين بخطوط ذهبية تخطوط الهيكل القديمة قد أغلقت
كنت بالقرب من الباب عند ما ذكرني ...

— هل تذكر ياسيدي (وقد بذت ملامح غريبة على عينيها وشفقتها) هل تذكر جدتي الصغيرة ؟ كانت تهوي حتى ركبتني . غير على ذلك عهد طويل وأصبحت لا أجزم . كانت غداً جميلة وأني لى أن أعمل المشط فيها في هذه الحالة ؟ فاضطرت إلى قصة ... عفواً يا سیدی ... لا أستطيع !

مرت أسابيع ممدودة علت خلالها أن لوكريا غادرت هذا الكون . وهناك يقصون — أنها في يوم موتها — كانت تسمع بدون انقطاع نواقيس قرع . وكانت لوكريا ترم أن هذا اللحن الذي تسمعه لا يقبل من الكنيسة ولكنه من العالم الأعلى وكأنها لا تجرؤ على أن تقول : من السماء

فيليب هيندري

— وأية أفكار تساورك يا لوكريا ؟

— يستحيل الافضاء بها ياسيدي ! لأنها مما لا يمكن التعبير عنه . ثم أنساها . ثم ... يعرض لي ذلك كبحاجة تمر فوق . وعندها أحس ندوة تفرني . ماهذا ! لا أعلم منه شيئاً . ولكني أقول : لو كان واحد معي لا يجده مكاناً . لا أحس شيئاً ولا شيء إلا رزيتي

وهنا نهدت لوكريا نهداً شديداً ولكن صدرها لم يسمعها على التهدأ أكثر من بقية أعضائها — سیدی ! إنني هجت فيك حسن الشفقة كثيراً ، فلا تأسف على كثيراً . أصغ إلى ما سأقوله لك ... إنك تعلم ، أو تذكر أنني كنت طالبة للرح كثيراً في عهدي الأول . وتعلم كم كنت أغنى ! — وأنت تتنين أيضاً !

— نعم : أردت أغاني القديمة ، أنواعاً كثيرة من الأغاني ، أعرف منها كثيراً ولم أنساها . ولكن ألحان الرقص أصبحت لا أرددها لأن حالتني لا تساعدني

— إنك تتنينها لنفسك بدون شك ؟

— نفسي ... وأرددها عالياً ، قد لا أقدر أن أغني عالياً جداً ، ولكن سامعها يفهمها . إنني حدثتكم الآن عن غادة صغيرة تمودني . لقد علمتها وأصبحت تعرف منها أربما ، وعمما قليل ترى

تنفست (لوكريا) والفكرة التي بدأت ترددها هذه الغادة الغائبة مجزأ قد أيقظت في نفسي هولاً لا قبل لي به . ولكني قبل أن أنبس بكلمة تصاعدت رنة تتعالى بصعوبة لكنها صافية مستقيمة ملائت أذني ، ثم رنة أخرى تلتها ثم أخرى ... ولوكريا لا تزال تردد ...

هذه هي اسبرو

يساعدك!

انه أقوى دواء
تسير الى الآن
للقضاء على الألم



خدمة عالم سريع التغير. لدمتحي فيه ساكننا. حوادث جديدة وأكوار جديدة
في كل وقت ودون انقطاع. وفي العالم الطبي حركة نشاط كبيرة. فالتقوية للألم
البرجودية في زمن اسبرو أصبحت معروفة بصفة عامة. فهي تخلص الألم وتزيل الشكايات التي للعجب
الناشئة من حرارة الجو. وتجنب النوم المذنب للمصابين بالألم، ولذلك أقبل الناس أفواجا على
محلات الأدوية لشرائه. ولهذا الشكايات كثيرة سببها واحد. فاسبرو يطلب على هذا السبب وتزيل الشكايات
في الحال. ولهذا هو السبب فيما لو سبرو منه القوة الزائدة على باقي الألم. لقد انقضت أيام استعمال الأدوية
الطرية. فان جماع اسبرو فجاء كالبحر في جميع الناس يستعملون الآن هذا الفين العجيب لأنه أسرع وأضعف
دواء للشكايات الناجمة من حرارة الجو. فاسبرو مستعمل منذ ذلك الوقت ولكن عليك
أن تتأكد من أنك تحصل على اسبرو فقط من هذا الأصل
تسمية اسبرو في ظاهرها ولكن اعلم أن محتويات الأقراص الرفيعة
هي التي تأتي بالشفاء.



اسبرو مصنوع في إنجلترا

يباع في جميع الدول أخانات ومجان الأدوية

مليان	٥	قرصان	٢
قرصاً	٢ ½	أقراص	١٠
فريش	٥	قرصاً	٢٧

من حقك أن تحصل على ما تطلبه - فلا

تأخذ غيره . . . الوكلاء . . . ب. ج. شريان وشركاه

أخرى، فأخفى ساعة أجمس وأنصت إلى حديثهما .
ولكم خطر لى أن أوجد خلافا بينى وبين سميت
فأدعوه إلى المبارزة، فكنت أدير له ظهري وهو يوجه
الخطاب إلى فأراه يتبعني مندهشا وعبد يده إلى
ليصاغنى . ولكم قصدت أن أنهض من فراشى
ليلا لأفتح أدراج مكتب بريجيت وأغص أوراقها،
ولكننى قاومت هذه الفكرة حتى اضطرت مرة
إلى مناداة البيت كيلا أستضعف لها . وخطرى
يوما أن أدخل عليها وأنا شاهر خنجر أ لا كرههما
على الاقرار لى بسبب الحزن المستولى عليهما . وفى يوم
آخر انقلب غضبى عليهما إلى عداة لنفسى . إننى
أدوّن هذه الأحوال بمداد الأسى والخلج . ولو أن
أحد الناس انتصب أمامى ليسألنى عما يدفع بى إليها
لكنت ولا ريب أصاب بالي فلا أجد كلمة أبر بها
ما أقفل

لقد كنت موجها كل قواى إلى التجسس
والارتياح فأخلق الاضطراب والشقاء لنفسى
فأقضى أيامى فى إرهاف أذنى بالتسمع ، وليالى فى ذرف
السموع، مهددا قولى إننى سأموت غما وألما، مشددا
إيمانى بأن هالك ما يستأزم هذا الفناء . وهكذا
كنت أحسن أن الضعف يبحث الأمل من قلبى .
ويحيل إلى أننى أجمس فى حين لم أكن أسمع فى
الظلام سوى خفقان قلبى فلا أقطع عن ترديد هذه
المبارات الفارغة التى يتلهى الناس بها فى كل
مناسبة فأقول : إن الحياة حلم وكل شئ باطل
زائل . وأتوصل أخيرا إلى سوء الظن بالله وأنا سائر
على سبيل هومى وآلامى

هذه هى الحياة التى كنت أستعطر منها لذتى
وبمثل هذه المشاغل كنت أقطع متخليا عن الحب

من أعماق النفوس



استغاثت فى العصور

للأفريدى موسى

بقلم الأستاذ فليكس فانس

الجزء الخامس

الفصل الخامس

إنها لقوة مرهقة هذه القوة الكامنة فى الفكر
الانسانى ! فعلى السلاح الذى ندافع به والمقل الذى
نلجأ إليه ؛ إنها لأفضل ما وهب الله للانسان ، فعلى
تأبئة لنا تأتمر بأمرنا ؛ نقذف بها إلى الأفاق ولكنها
إذا ما تخطت حدود ذهننا ذهبت طليقة لا تملك لها
زماما

وكننت وأنا أرحب الرحيل من يوم إلى يوم
تبارحنى قواى ويهجرنى الوسن فتسرب منى حياتى
دون أن أشعر ؛ فإذا أنا جلست إلى المائدة كرهت
طعامى ، وإذا أسدل الليل ستاره وانطرحت على فراشى
ترادى لى حتى فى أحلامى وجهان شاحبان هما وجهها
سميت وبريجيت كانهما يرقباني كما أرقبهما من
صباحى حتى مساءى

وكننت كلما ذهبا كل مساء إلى الملاهى أرفض
مراقبتها ثم أتبعهما إلى المسرح الذى قصدها
فأقعد غتفيا بين النظارة لأراقبهما . وإذا ما جلسنا
تحدث فى غرفة أديعت أن لى ما يشغلنى فى غرفة

الآفاق متوقفاً أن تقذف إلى بقنبلة تضع حداً لأوهامى . غير أن هذه الحال لم تكن تتجلى أمامى إلا كلمات بروق خاطفة فى دياجير آياي ما أشبه الفكر عند ما يدور على نفسه بدرويش يطلب الاستغراق فى نشوة دورانه فلا يلبث حتى ينهكه جهده فيقف مرثاعاً وما اكتشف فى محاولته شيئاً ، إذ لا يقوده الانصباب على أغواره إلا إلى الهاوى حيث ينقطع الهواء كما ينقطع فى الآبار السحيقة وعلى التدرى المحتكة بالسحاب ، فقد وضع الله حداً لكل مجال تحيم على الإنسان ألا يخترقه . وعند هذا الحد النعيم يتطرق الصقيع إلى القلب وتسوده غفلة يندفع فيها إلى اجتياز نطاقه طلباً للحياة حاسباً أنه ينشق الهواء وليس ما حوله إلا أثر أوهام تتحشد فيه جهوده المضنية أشباحاً تدور به لتقضى عليه

ووهنت قوى فى موقفي حتى غلوت لا أطيق الحياة فى وساوسى وشكوكى فصممت على القيام بفعل أنوصل به إلى معرفة الحقيقة استأجرت عربة وأصرت أن تكون مقعدة للسفر عند الساعة العاشرة ليلاً وأوصيت الخدم أن يدعوا مدام ييارسون تشرم بالأمر

وجاء سميت وقت العشاء فجلسنا إلى المائدة وأنا أنكلف المرح وأقول لبرييجت : إننى لا أعارض فى المدول عن السفر إذا كانت ترغب عنه ، لأننى أستحسن باريس ولا أجد بين المدن مدينة تفضلها فى ملاهيها ومسراتها . وأعربت أخيراً عن ميلى إلى البقاء مادام ليس هنالك ما يضطرنا إلى الرحيل وكنت أتوقع أن تملن برييجت إصرارها على السفر إلى جنيف ، فاكذب ظنى إذ أبدت رغبتهـ (٧)

حارماً نفسى نقي الهواء وصفاء السماء وسعادة الحرية أجل إن الحرية الخالدة كانت تستهوينى بالرغم مما وصلت إليه لأنها ما انقطعت عن مرادة تفكيرى ، فكنت أشعر وأنا مستغرق فى غرائب أطوارى وجنونى بقوة تثبث فى نفسى فتقطعها من أجواء سجنها ؛ تلك فترات كنت أتمتع بسكونها عند ما تنفخنى نسبات من الهواء البليل ، أو عند ما أدرج جانباً المؤلفات المشحونة بالنقد المنيف وبثورات الإلحاد التى تحتاج المجتمع لخميه بالملل ، فأطالع سواها كدكرات كونيستان مثلاً . ولأوردن بضعة أسطر قرأتها من هذه الذكريات فأعادتني إلى حقيقة حياتى : « أصيب بالسودوف الجراح الساكسونى التابع للبرنس كريستيان بشظايا قذيفة كسرت ساقه فى معركة واغرام ، وكان منظر حراً على التراب وهو على آخر رمق ، فإذا به يرى «أميديه دكربورغ» مرافق أحد القواد يسقط مصاباً بقنبلة سمدت صدره فتندق الدم من فمه . ويتيقن أن هذا المصاب سيموت مغلوجاً إذا لم يبادر أحد لإسعافه ، فزحف مستجماً بقية قواه حتى وصل إلى المرافق السريع وعالجه بفصد أنقذ حياته . وجعل الجراح بعد المعركة إلى فينا حيث قطعت رجله فلم يمش إلا أربعة أيام »

قرأت هذه السطور فسقط الكتاب من يدي وطفقت أبكي بدموع أعادت إلى السكينة يوماً كاملاً إذ تحولت عن كل هم وانقطعت إلى ذكر سالسدورف فما خطر لى أن أوصوب ربييتى إلى أحد

وما كانت تفيدني مثل هذه اللحظات سوى التفكير فى زمن ساد الصلاح فيه عواطف وحياتى فأبسط ذراعى نحو السماء أستعطفها فى شقائى، وأسائل نفسى عن هدفها فى هذه الحياة مديراً لحاظى فى

مازحاً ققلت لها : إن ما بدالى من إصرارها أثناء العشاء دفعنى إلى التمجيل ، وما خرجت بعد الطعام إلا لأطلب العربة . ودخل خادم المنزل يشمرنا بأن الحوائج قد رتب وتربط وأن السائق فى انتظارنا وقالت : أسمح أنك تريد الرحيل فى هذا الليل ؟

قلت : ولم لا ما دمنا متفقين على مفارقة هذه المدينة ؟

— وهل نساغر الآن فى هذه الساعة ؟

— أجل سنسافر . ألسنا على أمة منذ شهر ؟ وما دمنا قررنا الأمر فالتمجيل خير من التسويف . أفا رأيت كيف تم كل شيء بسهولة ؟ ومن رأيي أن يقضى الانسان فى شؤونه على هذه الطريقة فلا يدع لئله ما يستطيع أن يفعله فى يومه . إذا كان يحاول السفر هذا المساء ، فلماذا لا أنهز الفرصة للتخلص من التسويف وقد قُلت هذه الحياة على ؟ إذا كنت عازمة على الرحيل فلترحل

وساد بيننا السكوت ، فتقدمت بريجيت إلى النافذة فإذا بالعربة أمامها تؤيد ما عزمته عليه . وما كان لها أن ترى فى هذا إلا تنفيذاً سريعاً لما شاءت هى ، فأصبحت تجاه أمر واقع لتلك العدول عنه . وبعد أن تحققت أن كل شيء قد أعدت رحت نظرها فى جوانب المسكن وأخذت قيمتها ودأرها قائلة : هيا بنا . ولكنها وقفت مترددة وأخذت يدها مصباحاً وزهبت تدور فى غرفتي وفى غرفتها فآخمة أدراجهما ثم سألتني عن مفتاح مكتبها قائلة : إنه كان معها منذ ساعة . وقد فقد . وعادت تقول : هيا بنا إننى مستعدة ، وهى لتلك نفسها من الارتياش وجاءت فجلست حيث كنت جالساً وأنا أحرق

فى ذلك ولكن بلهجة لانتم عن عزم أكيد . فأنهزت الفرصة للزول عند إرادتها وغيّرت مجرى الحديث قطعاً خط الرجعة على ما اعتبرته أمراً مقضياً . ثم عدت أقول : وهل هناك ما يمنع مرافقة سميت لنا فى رحلتنا فإن بإمكانه أن يحصل على إجازة ، وفضلاً عن ذلك فإن مهارته فى فنه وإن أنكرها هو تضمن له العيش حراً فى أى بلد نزل فيه . إن عربتنا تتسع له ؛ وليس من الخبر لشاب فى سنه أن يعصى أيامه سجيناً ، ووجهت الخطاب إلى بريجيت أطلب منها أن تبذل نفوذها لإقناع سميت بأن يصحى من أجلنا ستة أسابيع من وقته على أن يعود بعد هذه السياحة إلى مكتبه

وكانت تعلم أن هذه الدعوة لم تكن إلا نوعاً من المزاح ولكنها لم تردد فى ضم صوتها إلى صوتي . غير أن سميت تملل بإمكان فقد وظيفته إذا هو تيب عنها واعتذر إلينا متأسفاً

واستحضرت زجاجة من خير الشراب واستمروا فى الحديث حتى انشينا . وخرجت بعد العشاء لأننا كد من أن أوامرى قد نفذت ، ثم عدت مسروراً إذ رأيت كل شيء على ما يرام . وأبدت رغبتي فى عدم الذهاب إلى الملاهى وطلبت أن يعزف سميت لنا على قيثارة لنمضى السهرة سوية . فأخذ يوقع الأنغام وزهبت بريجيت تطلق صوتها بالإنشاد ، وجلست أنا أضرب على البيانو ، وقتنا بعد ذلك نحسى « البوتش » ونلعب بالورق وأنا معلق أنظارى على ساعة ، حتى إذا وصلت إلى العاشرة سادني ارتياش فتلبت عليه ، وقرقعت المجلات أمام الباب فقبضت على يد بريجيت وسألها عما إذا كانت مستعدة للرحيل . فنظرت إلى مستعربة وقد حسبتهى

تنتظر إشارتي - وقد بدا التأثر بجلاء على ملاحظها -
شمرت باقباض في حشاشتي ؛ وكانت وجدت
مفتاح مكتبها إذ رأيت أدرجها مكشوفة فارتيت
على المقعد قرب الوقد ، وقلت لها وأنا لا أجسر على
التحديق في عينها :

- إصني إلى يا بريجت . لقد أسأت إليك
كثيراً وقد حق عليّ أن أحمل آلامي فلا أشكو
إلى أحد . لقد طرأ على حالك من التبدل ما ضمني
فاضطرت إلى دعوتك لجلاء أمرك ، ولكنني أعدل
اليوم عن الاستفسار وأصرح لك بأنني راض بالبقاء
هنا إذا كان يصعب عليك الرحيل

فقلت : هيا بنا فلنرحل

- لك ما تشائين ، ولكنني أقتضى الصراحة
منك ، فأنا مهيباً لاقبال أي سهم يسد إلى دون
أن أسأل عن مصدره فلا أتمهل ولا أشكو ، وإذا
كان قضى عليّ بأن أفتدك فما أطلب منك إلا حجب
الأمل عن كيلا أتمر بأذيله فأومت
غددت في قائلة : حدثني عن حبك ولا تذكر
أوجاعك

فقلت : أحبك أكثر من الحياة ، وما أوجاعي
إلا أوهام تجاه هذا الترام . تعالى لنذهب إلى آخر
الدنيا فأحيا بك أو أموت من أجلك
وتقدمت نحوها فاذا بالاصفرار يملو وجهها وإذا
بها تراجع إلى الوراء مرعمة وهي تكره شفتيها
المتقلبتين على الابتسام ، وذهبت إلى مكتبها قائلة :
أنتي هنيهة من الزمن إذ عليّ أن أحرق بعض أوراق
وأبرزت رسائل أقاربها أممي ثم مزقتها وألقت بها
إلى النار ، وعادت فأخرجت أوراقاً أخرى طالعها
ووضمتها على الخوان ، وما كانت هذه الأوراق إلا

في سميت الواقف أممي وقد ملك نفسه ، فأنتم عن
اضطرابه شيء سوى قطرتين من العرق تدحرجتا
على فوده . وكانت بين أنامله قطعة عاج من قطع
اللب انحطمت وتساقت كسرهما على الأرض .
ومذ كانتا يديه إليها ليصالحنا قائلاً : سفر سعيد
يا صاحبي

وعدنا إلى الصمت وأنا أتوقع أن يضيف إلى
توديعه كلمة واحدة ، وقد قلت في نفسي إذا كان
هنالك سر فني أية مناسبة غير هذه سأوفق إلى
اقتناسه ؟ إن في مثل هذه الساعة تنعكس الأسرار
على الشفاء ، وهأنذا أترصد خيالها

وقالت : في أي بلد ستقيم يا عزيزي أكتاف ؟
وأنت يا هنري ستكتب إلينا ؛ ولن تنسى أهلي
فتسى جهدك لديهم من أجلي

فقال بصوت طني التأثر على هدوء نبراته : أعدك
بالأ أدرج جهداً في هذا السبيل ، ولكن الرسائل
التي تلقيتها لا تدع لي أملاً كبيراً ، فاذا ما جبطت
مساعى فلا تنهمني بالقصور . وعلى كل لا توقى
وزود أخبار تسرك في القريب العاجل . تقى بي
فاني نخلص لك

وبعد أن وجه سميت إلينا بعض كلمات من قبيل
الجمالة تحول نحو الباب فسبقت إليه وخرجت لأدع
له مجالاً لخلوة أخيرة . ودفت الباب ؛ ورأى كأنني
أبتعد ، ثم عدت فأصقت أذني بفتحة المزلاج
وحقق سميت فيها قائلاً : متى أراك ؟

فقلت : لن تراني بعد . الوداع يا هنري
ومدت إليه يدها فرفعها إلى شفتيه وخرج ،
ولو لم أندفع بسرعة إلى الوراء لكان اضطدم بي
وعند ما خلوت ببريبيت وهي حاملة دنارها

واستطردت قائلاً : لماذا نخادع أنفسنا ؟ لو لم أكن تراميت إلى الهاوى في نظرك لما كان وسعك أن تتظاهرى بغير حقيقتك أمامي . أفترين هذا السفر تنفيذاً لحكم مبرم قضيت به طائفاً وأنت به جلاداً يقودك إلى الإعدام ؟ أى شيء يروعك من غضبي لتلجى إلى مثل هذه الحيل ؟ وما هو هذا الخوف الذى يقودك إلى مثل هذه الأكاذيب ؟

— أنت غطلىء يا أكثاف . قف عند هذا الحد ولا ترد .

— لماذا هذا الحذر ؟ إذا كنت قد فقدت صفة الأمين على شرك فعاملينى بمعاملة الصديق على الأقل . وإذا امتنع على أن أغرف مصدر دموعك فهل أحرم النظر إلى انسكابها من عينيك ؟ أترجعت ثقتك عني إلى حيث لا تمتدح باحترامى لأوجاعك ؟ وما هى الجناية التى أعاقب عليها بحرمانى معرفة هذه الأوجاع ؟ أفليس لدائك من دواء ؟

— لا ! وخير لك ولي أن تشدد النكير على . إنك لتدفع بنا كلينا إلى الشقاء ، أفلا يكفيك أن نرحل عن هذه البلاد ؟

— وهل يوسى أن أرحل وكل حركة منك تدل على نفورك من هذا السفر ؟ فانت تقتصينه مكرهه وبوادى التدم تسبق أقدامك عليه ، فما تخفين غنى يا ترى ؟ وما يفيد التلاعب بالألفاظ إذا كانت الفكرة أوضح من النهار ؟ وهل يحمل بي إذا لم انحط إلى أدنى دركات الإنسانية أن أقبل عن رضى ما تجودين به مكرهه أسفة ؟ على أننى أقف حائراً فى رفضه وأنت تحطمين قواى بصمتك

— لا . إننى لا أتبعك مكرهه . أنت على خطأ

قوائم حسابات لبعض موردي حوائجها ، وبينها ما لم تكن دفعت ثمنه بعد ، وطفقت تتكلم وهى تدقق فى هذه الحسابات راجية عفوى عنها لاحتفاظها بالصمت طوال المدة الأخيرة ، مبدية نحوى أشد العطف ، مستسلمة لإرادتى ، فرأيت فيها مجسم الحب أو مجسم مظاهره ، وذهب مرحها المصطنع يحز فى قلبى إذ رأيت فيه ألماً يمحذ نفسه فيتكلف سروراً أجفج من النواح واستسلاماً قرارته أمر عتاب . وقد كان خيراً لى لو أنها ظهرت جامدة ولم تلجأ إلى هذا الهياج المكذوب للتعلب على نفسها وظهرت بريجت لى كائناً مما كانت عليه قبل خمسة عشر يوماً ، فإذا بكل حركة منها كانت تسكرني غراماً من قبل تصدم قلبى فيقبض لها ارتياحاً وصحت بها فجأة : أى سر تضمرين يا بريجت ؟ إذا كنت تحبينى حقيقة فالى م ترمين بهذا النور الذى تحكين تمثله أمامى :

— أما أمثل ! وما الذى يدعوك إلى هذا الظن ؟ — أفأ يجدر بك أن تعلمي أن روحك تلامس الموت ، وإنك لتحملين عذاب الشهداء ؟ إننى أفتح لك ذراعى فألقى رأسك إلى صدري وأطلق سراح دموعك عليه ، فلعلى أذهب بك إذا فعلت ، أما أن أخطفك ، وأنت على ما أرى فذلك مما لا أقدم عليه فصرخت : هيا بنا فلنذهب

فقلت : لا ! فما بحياتي إننى لن أقبل ما دام بينى وبينك هاوية سر أو سواد تقاب . إن أشد مصاب لأهون وقفاً على من هذا المرح الذى تصنعين فوجت إذ رأيتى نافذاً إلى أقصى سريرتها بالرغم مما تبذل لحجبها عني

فقدك، حتى ولو سقطت هذه الجدران على قبل أن
أطلع على هذا السر الذي يقض مضجعي منذ شهر .
إنني نارك إذا لم تتكلمى . لقد أكون مجنوناً ؛ لقد
أكون مقدماً على هدم حياتي يدي ؛ ولقد يكون
من الخير لى أن أجهل ما أطلب إضاحه ، فلا أثير
بيننا أموراً قد تقتل سادتنا وتمزق شملنا ونحول دون
هذا السفر الذى حصرت أمانى فيه ؛ لقد يكون
كل هذا ولكننى لا أرتجع عن غزى . تكلمى
أو اتخلى عن كل شىء .

— لا ... لا ... لن أنكم

— بل سوف تتكلمين . أفحسبين أننى أخدع
بأكاذيبك ؟ أيجيل إليك أننى جاهل أمرك وأنت
تبدلين بين صبح ومساء متقلبة كتقلب الظلمة
والنور ؟ وتلجأين إلى تبرير موقفك بإبرازك رسائل
لا تستحق أن أتى عليها نظرة واحدة . وهكذا تقنعين
بأننى أكتفى بأول تمثيل يعطرك تقديمه ، أو جهك
وجه تتألم من الجبر لتضمحل وراة أشباح عواطفك
فا هو اعتقادك فى ياترى ؟ إننى لا أتخدع بنفسى
على قدر ما يلوح لك فخذار أن ينم لى سلوكك عينا
تبدلين لستره كل هذه الجهود

— وماذا تعتقد أن يكون هذا السر الذى أخفيه ؟

— ألى يوجه هذا السؤال ؟ وما تقصدين من
هذا التحدى الصريح إذا لم يكن ما ترمين إليه
إجراجه لا لئلا كرامتى الجريحة حتى إذا انفجر غيظى
مخلصت منى .

إنك تتوقفين منى تصريحاً لتقابليه بنجبت الأنوثة .
تريدن أن أهمك لتردى على بقولك : إن امرأة مثلك
لا تتنازل للدفاع عن نفسها . إن أشد النساء لؤماً

فى اعتقادك هذا ، فأنا أحبك يا أكتاف فكف
عن تمزيبي

وتساقطت هذه الكلمات من فها بكل عنوبة
الحنان ، فأريت نفسى منطرحاً على قدميها وقد
غلبتني نظراتها ونبرات صوتها فهتفت : أتحبيننى
يا بريجيت ! أحق ماتقولين يا خليلتى ؟

— أجل إننى أحبك . أجل إننى ملكك فاعمل
بى ماتشاء . إننى سأتهلك . هيا بنا يا أكتاف فإن
المرية بانتظارنا . وشدت بأاملها على يدي وهى تلقى
على جبينى أحرّ قلاتها مكررة قولها : لا بد من أن
أتهلك . إننى أريد أن أسير معك إلى آخر يوم من
حياتى ...

رددت كلمة « لا بد » فى نفسى ووقفت ناظراً
إلى بريجيت قلب آخر صفحة من أوراقها فسألها
عما إذا كانت أتمت عملها ، فأجابت إيجاباً

عند ما أوصيت بالمرية لم أكن مقررراً الرحيل
بل رميت إلى القيام بتجربة فإذا أنا تجاه أمر واقع
وتقدمت فاتحاً الباب وأنا أرفع صوتى قائلاً :
« لا بد » وما تنسى هذه الكلمة ، بل أى شىء وقع
هنا وأنا لا أدرى به ؟ أو ضحى لى الأمر وإلا بقيت
حيث أنا ؟ أفيكون حبك لى فرضاً عليك وعاطفة
لا بد منها ؟

فارتعت على المقعد وهى تفرك يديها ألماً وتصرخ :
ويحك ! إنك ستجهل الحب طول حياتك

— لملك تقولين الحق ، ولكننى أستشهد الله
على أننى أعرف المذاب . لقد قلت إنه لا بد لك
من حبي فلا بد لك أيضاً من إبداء الجواب ، وما
أنا مباح موقف حتى ولو اضطررتى إصرارى إلى

شعرت بضنك أشد على روعي من هذا الضنك
وما قررت البقاء في باريس إلا وأنا مصمم
على استنطاق بريجيت مهما كلفني الأمر، فأخذت
أستعرض الوسائل توصلاً لبنييتي فلا أجد، وأعني
لو خطرت لي وسيلة ناجمة أبذل في اتخاذها كل
ما أملك

ما العمل؟ ماذا أقول؟ وهي واقفة أمامي هادئة
تحدثني بنظرات ملؤها الأسى

وسمعت قرعة خوافر الخيل وقد حلت من
مرابطات العربة، وما لبث حتى سادت الصمت على الشارع.
وقد كان بوسي أن أقف وأصرخ لأسترجعها غير
أنني جمدت مكاني كأن القضاء قد حتم بابتعادها
دون مباد

تقدمت إلى الباب ودفعت من زلاجه وأنا أسمع
في أذني همساً يقول لي: لقد أصبحت وحدك تجاه
المخلوقة التي في يدها حياتك أو موتك

وعدت إلى التفكير في حيلة تهتك الأستار
أمامي فإذا في أُنذكر قصة من قلم ديدرو عن امرأة
تأكلها الفيرة على عشيقها فلجأت إلى حيلة غريبة
توصلاً لجلاء ريتها به إذ صرحت له بزوال حبها له
وبأنها عازمة على هجره؛ وكان هذا الماشق يدعى
الركيز أرسيس، على ما أذكر، فوقع في الحيلة
واعترف لخليته بأنه هو أيضاً لم يمد يدها بلحب لها.
وكنتم قرأت هذه القصة وأنا في زمن المراهقة

فأعجبت بحيلة بطلتها، وعندما عشت لخطأى وأنا
في هذا المآزق ابتسمت وقلت في نفسي: لعل بريجيت
تقع في الشرك نفسه إذا أنا مددته لها فتفضي إلى
بسرها

تعرف كيف تشخ بيرود العظمة وتذود عن نفسها
بسلاح التحقير، فالصمت أقوى ما تتمتع به المرأة. وما
تعلمت هذه الحقيقة من أمس. إنك تراودين الالهانة
بالسكوت ولكن إذا كان بوسمك أن تحاربى قلبي
لأن قلبك خافق فيه، فأنت أضعف من أن تهاجي
تفكيرى، فإن رأسي أقسى من الفولاذ وفيه من
المعرفة مالا تملين

— يالك من ولد مسكين! أفلا تريد أن نرحل؟
— لا. إنني لن أسافر إلا بصحبة خليلتي وما
أنت بخيلتي الآن. لقد جاهدت طويلاً وتعذبت
كثيراً وأنا أقرض شفاف فؤادى. لقد طال ليلى
وآن للصبح أن ينجل. فهل أنت مودة جوابك
أم لا تزالين مصرّة على السكوت؟

— لن أجواب
— ليكن ما تريدن فأنا مصرّة على الانتظار
ودهبت لأطرح على مقعد في آخر الغرفة
مصمماً على عدم الحركة حتى أعرف ما أريد معرفته.
أمامي فأخذت تمشي أمامي رافعة رأسها وقد انطبعت
آثار التفكير على جبينها المتجهم

وبت أنهما بأظارى، وكلا استترقت في صمتها
أوغلت في غصبي. وكنت أحاول إخفاء ثوري
فتوجهت إلى النافذة وصرخت بالخدم أن يؤدوا
للسائق أجرة معلنًا عدولي عن السفر هذا المساء
فقالن بريجيت: مسكين أنت!

وأقبلت النافذة وعدت إلى مقعدى متظاهراً
بأننى لم أسمع شيئاً وفي أحشائي نار تتقد تجاه هذا
الصمت الجليدى وهذه القوة السلبية. ولو أننى كنت
في موقف عاشق تيقن خيانة محبوبته له لما كنت

وتصاعد الدم إلى رأسى فقبضت على يدها قائلاً :

— اجلسى واسمى

فقلت : ولماذا أستمع وما أنت الذى يشكك ؟

وخجلت من محاولتي المراوغة فمدلت عنها وقلت :

— اسمى إلى واقتربنى منى . إننى أتوسل إليك

أن تجلسى إلى جنبى ، إذا كنت لا تزالين معرفة

على الصمت فاستمى لى على الأقل

— أنا مصفية فتكلم

— لو خافنى أحد وقال لى أنت جبان وأنا من

لم يتجاوز الثانية والعشرين ، وقد أقصم المبارزة فلا

ريب فى أنى أغضب لامتihan كرامة أعرفها فى نفسى

فأسير إلى الميدان مجازفاً بجيأتى لأشك سيقى بسيف

نكرة من الناس . وما أقدم على هذا إلا لأثبت أننى

لست جباناً ؛ وإذا أنا لم أنفل ألصق المجتمع بى ذل

الرعديد ، إذ لا يورد الجواب على مثل هذه الالهانة

إلا كلمة السيف

— لا ريب فيما تقول ، ولكن إلى أين تشجه

بهذه المقدمة ؟

— إن النساء لا يزلن إلى ميدان المبارزة ؛ غير

أن لكل إنسان سواء أكان ذكرًا أم أنثى ساعة

يتناقص فيها الحساب مهما انتظمت حياته ، ولا يفك

من هذا المأزق إلا رجل يرضى بالمرء وامرأة تقنع

بالقطيمة والنسيان . لقد حق على كل مخلوق أن

يثبت حيويته فإذا ما هوجم رجل دافع بسيفه ، أما

المرأة فما يجديها امتشاق الحسام لصيانة نفسها بل

عليها أن توجد لنفسها ما يوافق موقفها من سلاح ،

فإذا هاجمها رجل لانتابه له وردته بالترفع والاحتقار .

أما إذا كان المهاجم محبوباً سلاحه الشك والارتياب

فلا قبل لها باحتقاره ، وقد وضعت روحها فى صدره

وهكذا انتقلت من حالة الهياج والغضب إلى

المراوغة والمخاتلة ، وخيل لى أن اقتياد امرأة إلى

الاقرار ليس من صعاب الأمور ، وقلت فى نفسى :

ما دامت هذه المرأة خليلتى فلن أعجز عن استنطاقها

إلا إذا كنت من صماليك الرجال

وتراخيت مستلقياً على مقعدي وتكلفت عدم

البلاهة والمرح فقلت : أما ترين أن زمن التصريح

قد حان ؟

وإذ رأيتها تنظر إلى بىنى الاستغراب ذهبت

فى حديثي قائلاً : لا بد من التوصل يوماً إلى

المصارحة بالحقائق ؛ وسألنا إلى اقتحام هذه الصراحة

فأكون قدوة تحمرك من كل حذر ؛ وليس خير من

التفاهم والاتفاق بين الأصدقاء .

وما توقفت عن ذرع الغرفة ذهاباً وإياباً ، كأنها

لم تسمع كلمتى وقد رأت ولا ريب على أساير

وجهى ما يكذب بيانى . فتابعته قائلاً :

— لا تبهلين أنا منذ ستة أشهر نعيش جنباً إلى

جنب ، وما كان أبعد حياتنا عن السرور أو ما يشبهه

أنت فى مستقبل العمر وأنا كذلك ؛ فهل لو شعرت

بنفور من هذه المصاحبة تجدين فى نفسك ما يدفعك

إلى مصارحتى بنفورك ؛ وما أكتفك أنى لو مللت

هذه الصحبة فلن أتردد فى الاعتراف بها ، إذ لا يوجد

سبب يحول دون هذه الصراحة ، لأنه إذا كان الحب

ليس جريمة فلا يمكن أن ترى جرماً فى تناقص هذا

الحب أو فى زواله . وهل يستنكر أن يحتاج من

فى سننا إلى التنوير ؟

ووقفت واجهة وهى تردد قولى « من فى سننا »

إلى توجه هذا الكلام ؟ بأى دور تريد أن تقوم

فى تشكيلك هذا ؟

ومدت يدها تطبق أناملها على شفتي وهي
تعرض بوجهها عني ، فسكت وأطرق كل منا مستغرقاً
في تفكيره

وسمعتها تقول حزينة بمجعدة :

اصنع لي . لقد جالبت العذاب طويلاً
يا أكتاف ولتشهد السماء على أنني أبذل حياتي
فداء لك . وما دام أمانى بضيض من الأمل أحمل
كل عذاب للاتجاه إليه ، ولكنني مضطرة إلى
تذكرك بأني امرأة ولو أغضبك هذا التصريح ؛
وللمرأة حدود تقف قواها عندها . فلا تقاوم الطبيعة
البشرية بإصرارك على استنطاق فاني لن أجيب
على سؤالك ؛ وليس بوسي الآن إلا أن أجنو
لأخر مرة على قدميك متوسلة اليك أن تسرع
في الرحيل

فليكس فارس

« يتبع »

— إذا كان المهاجم محبوباً فلا جواب إلا
بالصمت

— لقد أخطأت في بيان قصدك فان الجواب
الذي ترين للحبوب الذي يبلطح بارتياحه حياة امرأة
إنما يقوم بذرف الدموع واستشهاد ما بذلت من
صبر ومن إخلاص فيما مضى . إنك تركين للزمان
أن يظهر برايتها من التهم إذا تركها عاشقها وهو
يؤاخذها بجريرة سكوتها

— لعل ذلك صحيح ولكنني أرى الصمت أولى
— إنك تلجأين إلى الصمت ! وكوني واثقة
من أنني سأذهب وحدي إذا أنت لم تعمل عن هذا
السكوت

— وأخيراً ... يا أكتاف

— أخيراً ليأت الزمان مبرراً لك بعد ذلك ،
إنك تنتظرين عدل الزمان
— أجل وذلك ما أرجو

— ذلك هو أملك ! اسبري أقصى سبريرتك
فهذه هي المرة الأخيرة التي يتسنى لك أن تستنطقها
أمانى . لقد قلت إنك تحببني فصدقت ، فهل تصدين
الآن تجاه ارتياحي بك أن أهجرك تاركاً للزمان
مهمة تربيتك ؟

— ألك أن تصارحنى برينتك ؟

— ما كنت أود أن أصرح بها إذ لا فائدة من
هذا التصريح ، ولكنني أصبحت ولا مناص لي من
مقابلة الصنارة بثملها . إنك تحوّنيني ! إنك تحبين
رجلاً غريباً ، ذلك هو سرك ، وذلك هو سرى
— ومن هو هذا الرجل ؟

— هو سميت

مجموعات الرسائل

نباع مجموعات الرسائل مجلدة بالإنعامه الوثيقه

٥٠ السنة الأولى في مجلد واحد

٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة

والخامسة في مجلدين

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش

في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون

قرشاً في الخارج عن كل مجلد



الأوديسيوس

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

أوديسيوس يتشاجر مع شحاذ

وبينا كان أوديسيوس جالساً يزدد طعامه ، إذا شحاذ ضخم الجسم شائه المنظر يدخل فجأة ، فيلتفت إليه جمهور العشاق . ويعرفون فيه الفقير إروس ، المشهور بنهمه الذي لا يوصف ، وبإقباله الشديد على أردأ ألوان الشراب ... وكانت له عليهم حالة ، وليس في الجزيرة كلها من يفهمه ... فلما لمح أوديسيوس جالساً يتبلغ بلباقه ، نظر إليه نظرات الغيظ الحقيق وقال له : « انحرف عن الباب أيها المجوز القدر وإلا جرتك من عقبيك ... ولو أننى أرفع عن مقارعة أمثالك ! » وحده أوديسيوس وقال : « أيها الصديق إننى ما أدتلك ، وإن فى المكان متسعاً لكننا ... أرجو ألا تغير فى أكثر مما فلتت وإلا فلا يفرتك هربى وتقدم سنى ، فتالله لأرينك كيف أضربك ضرباً تقول منه الهامة أسقوى ! اجنح للسلم هو خير لك ! وأصغ إلى نصيحى ، وإلا

فلن تدخل قصر الملك أوديسيوس بعد اليوم ... ! » وغيظ الشحاذ إروس وقال : « اسمعوا ما ذا يهرف هذا الشره الخرف ! ألا ما أشبهه بزوجة حقاء تترثر أمام كآتون ! تالله ليخيل إلى أن أنقص عليه فأنقص ثناياه ! هلم أيها الرجل ! استمد للقاء ، وليشهد السادة كيف أمثل بك ؟ » وقهقه أنطونيوس وقال : « أيها الأصدقاء ائمهوا ! إن إروس يتحدى هذا الفقير ، والفقير بدوره يتحداه ... هلم نجعل حولها حلقة نلرى إلى هذا المراك المضحك ! » وسكت أنطونيوس ، وتكسبب الأضرء حول الرجلين ضاحكين عابثين ، ثم التفت إليهما أنطونيوس وقال : « إسما إذن ؟ ههنا كمكالت ليس أجود منها ... وإنها خالصة لمن يتفوق منكاً على قرنه ... ولن فاز أجر عندنا عظيم ... إنه سيجلس معنا فى جميع ولأمتنا منذ غد ، ولن ندع أحداً من الشحاذين يضايقنا بعد هذا اليوم » وتخابث أوديسيوس وقال : « يا سادة ! من الظلم أن يتبارى رجل عجوز ضعيف مثلى مع هذا الهولة ... ولكن الجوع يدفعنى إلى البطش به مع ذاك ... بيد أن لى رجاء ألا يساعدة أحد على ، فيلكننى مثلاً أو يلكزنى حيناً ! كون مشغولاً به » فقاموه ألا يفعلوا . وتقدم تليماخوس ابنه فقال : « أيها الرجل ، إذا وسماك أن تناضل هذا الزميل فلن تخشى من هؤلاء رهقاً ... إنى أنا مضيفك ، وليس أجب إلى أنطونيوس ويورغاخوس من أن يشهدا هذا اللقاء الفذ بينكما ! » ثم إن أوديسيوس شمر عن ساعديه ونغديه ، وكشف قليلاً عن صدره ، عابداً ليظهر الأضرء على عضله الكتنز وقوته الخارقة ... وقد صدق حدسه ، فقد بهت العشاق ونظر بعضهم إلى بعض يقولون : « واعجباً ! »

من تجاربي ... ألا ما أضغف الانسان ! إنه إذا ما مسه ضر دعا الله فلذا كشف عنه الضر فهو مقتصد ناه بجانبه كأن لم يحسه ضر ... فأنا مثلاً لقد كنت في عنقوان صباى أعيث في الأرض مفتراً بقوتي وقوتي ، حتى أسقط الكبر في يدى ففتت إلى أمر السماء ، ولكن بعد أن كتب على الشقاء وهكذا أولئك الأمراء الذين غرتهم الأمانى وأضلهم جبروتهم فأقاموا بهذا القصر غارين آمنين لا يظنون أن له صاحباً قد يفجأهم بمودته فيستأصل شأفتهم ويذهب برحمتهم ... وإلى والله أيها السيد لأرى أنه عائد ليس من هذا بلد ، وأنه عائد قريباً ؛ فتقبل أنت نصيحتى ولا تغم معهم ، بل انطلق إلى بيتك وأهلك ولا تستأن حتى يدهلك معهم فيحطمنكم أجمعين ..» وشرب أودسيوس ، ودفع الكأس إلى الأمير الشاب الذى بدت عليه أمارات الهم مما قال الرجل ولكن ... والأسفاه ! لقد كتب عليه الشقاء ، فلم يصنع لنصيحة أودسيوس

ويدا لبطلوب أن تذهب في بعض وصيفاتها فتخطر بين العشاق ليروها ، ولترى ما ذا يكون ... وقيل أن تفعل ألقت عليها مئزفاً ناعساً وأمنة ، وبدت لها في الرؤيا كأنها تمنطقها لئى حجية ؛ ثم إن الربة أضفت عليها رواء كرواء الآلهة ، ونصرتها بنصرة الشباب والجمال ، فربا جسماً واستطال ، وزاقت لمة عاجية وسناء ... فلما هبت من نومها ، مرست عينها متعجبة ، وشدهتها تلك الفتوة الطارئة التى جلبت لها السعادة في دنيا من الموموم .. وتمت لو أراحها الموت من حياة اتصلت أشجانها وباعدت بينها وبين ألفها بغاؤز من الآلام والأحزان ... وانطلقت في سرب من وصيفاتها

أى عضل وأى ساعدين ونغذين يخنى هذا الرجل تحت أسناله ومرضه البالية ؟ مسكين إروس ! ما ذا يبق منه بعد هذا اللقاء ؟! أما إروس فقد انتفض واقشعر بدنه مما عراه من الدهر ، ولكن الخدم لم يتركوا له أن يفر من اللقاء الذى دعا هو إليه ، بل شربوا له عن ساعديه ونغديه كما فعل غريمه ، ثم جروه إلى الحلقة برغمه ... وود أودسيوس أن يبطش بالرجل فيحطمه بأول لكمة ؛ غير أنه آثر ألا يفعل خشية أن يكتشف العشاق من هو ... فلما امتدت الأيدي تصنع الدفاع ، وأقبل وأدبر ، وكروفر ، ثم أهوى على أذن الرجل بضربة سحقته عظامه ، وطرحته على الأرض ... ولبت المسكين لا يبدى خراباً من هول ما حل به ؛ بيد أن أودسيوس جره من عقبه إلى ساحة القصر ، ثم عرج به نحو جدار كبير حيث سنده إليه ، وجعل في يده عكازه وقال : « إلبث هنا ولا تنش منازل الملوك بعد ، وذد بعصاك الخنازير السائبة ، فذلك خير من أن تصيب بها الترياء أمثالى ... فان عدت إلى مثل حماقتك فلن يصيبك إلا شر مما رأيت ! » وتركه واثنى إلى حيث كان ، فوجد العشاق يضحكون حتى كاد يقتلهم الضحك ... وهتفوا له ثم قالوا : « حقق الله آمالك ، وأمالك أمانيك أيها الغريب اللامخ ، بما خلصتنا من هذا الشحاذ الهم الملحاح ! » ، وسمع أودسيوس دعاءهم ، وابتهل إلى الآلهة أن تستجيب !! ثم وضع بين يديه انطونيوس كمنكة كبيرة ، وزوده أمفينوموس بنجر ونخمر صبا له في كأس كبيرة من ذهب ، ودعا له بنجر . وآنس فيه أودسيوس طيبة ودماثة خلق فقال له : « هيه ... هلم أيها العزيز أحضك نصيحتى وأحدثك

ومما أخذتهم به من حزم... أما أنطونيوس فقد أجابها بقوله: «أما هديانا يا ابنة إيكاريوس فلا أحب إلينا من تقديمها إليك... على أننا لن نرمي عن هذا القصر حتى نتخارى لنفسك بعلًا يكون كفتاك» وأيد العشاق ما قال قائلهم، فنهضوا ليحضروا هداياهم، وسرعان ما عادوا يحملونها... وتقدموا بها إلى بنلوب؛ فهذا ثوب ثمين من قاتم موشى بالذهب تزينه اثنا عشر زراراً ذهبياً... وهذا عقد حُلِيت خرزاته يقطع من الكهرمان الحر؛ وتلك أساور من ذهب وبشُوف كثيرة وأقراط^(١). وعادت بنلوب ومن خلفها وصيفاتها يحملن الهدايا والهي... وأخذ العشاق كذبهم في القصف والهو واللعب والفناء... حتى أقبل الليل، فقدم النداء بمجامر من نحاس بها وقود يشتمل، وطفق يلقين فيها من الند والرند والموذ ذى العرف، وطفق البخور يبعث في أرجاء الهو الكبير... وهنا... نهض أوديسيوس وتوجه إلى البنات يقول: «أيها العذارى، أولى يكن ثم أولى يكن أن تذهبن إلى سيدتكن قسليهن وتواسيها، وسأقوم بالنباية عنكن على هذه النار حتى ينصرف العشاق... ولن يؤودن أن أقوم عليها حتى مطلع الفجر؛ ولن أضيق بجمعهم مهما عبثوا بي، فأنا رجل ذو تجارب». فتضاكن به، وقالت ميلاترو التي هي أجهلهن وأقلهن احتشاماً، تمبت به: «ماذا أصابك الليلة أيها النازح الغريب؟ انطلق إلى حداد المدينة فم في دكانه، فهو خير لك من أن تسهر هنا وتثرثر... هل غاب صوابك يا شيخ لأئك ظفرت بالشحاذ إيروس؟ أربيع عليك، فقد تبنايك السماء بمن يطش

(١) الشفوف والأقراط (الحفان) لأذن المرأة

فأشرفت على العشاق وقد ضربت بخنارها الشف على وجهها التأتني الناصع، فذهل اللأ، وزاغت أبصارهم، وأحسوا أن شيئاً يخلع قلوبهم، فامنهم إلى التأتني أن يكون صاحب هذا الجلال الرائع والحسن الباهر، والفتنة التقدة... ونهض يورماخوس فقال مخاطبها: «يا ابنة إيكاريوس بورككت! تالله لو رأيك كل من في هيلاس لاجتمعت حولك قلوب غيرنا من العاشقين، ولأقبلوا من كل فج فازدحموا حولك هنا... في ذلك القصر المتيد!» فقالت بنلوب: «يورماخوس! تالله لقد ذهب الآلهة بجألي الذي تصف يوم رحل عني زوجي أوديسيوس فيمن رحل إلى طروادة... وما أنس لا أنس ما قال لي وهو قابض على عيني يودعني: «زوجتي! إن أكثر من ترين من هذا الجيش لن يعودوا إلى ديارهم... في طروادة محاربون صناديد، وملاعبو أسنة لا يشق لهم غبار، وذادة ورماة! وإنى لا أدرى ماذا يكون من أمرى هناك، ولذا، أكل إليك كل ما أدع ورأى، وإنى موصيك أول ما أوصيك بأبي وأمي، فاعني بهما كأحسن ما كنت تمنين وولدهما معك، فإذا شب ولدى وترعرع، فلك أن تترك هذا القصر إن شئت، وتزوجي ممن تختارين من الأكفاء الأنداد» هذا وإنى أرى أن هذا اليوم المصيب قد حان! ولكن وأسفاه! إنكم اجتمعتم هنا لتأكلوا وتشربوا وتمشوا وتمشوا بكل ما ترك صاحب القصر... وكنت أظنكم تقيمون في منازلكم وترسلون إلى هداياكم لتكبروا عندي ولا تهزل مكانكم لدى... الأساء ما تزدون» وتبسم أوديسيوس من قولها، ووثق من إخلاصها، وعجب من شدة ما سحرت أبواب العشاق

درع دلاص سابغة وخوذة من نحاس، ورمحان في يدي تترى كيف لا يحول الجوع بيني وبين أقربائي، وكيف أخرج بدمائهم الأرض، وأتركهم في البرية جزر السباع وكل نسر قشعم ... أيها اللكعُ الوقح ... والله لو أن أوديسيوس رب هذا البيت قد جأك الآن لضافت عليك الأرض بما رحبت ... أنت أيها الغرور المتعاطل الذي غره أن يكون شجاعاً بين نوكي لا حول لهم !»

وجن جنون يوريماخوس، وأخذ مُتَكَثِلاً وقذفه شطر أوديسيوس، ولكن البطل انفتل بعيداً وسقط المتكأ على الساق السكين، نغر إلى الأرض يئن. ويتوجع ... وغيظ المشاق أيما غيظ، وعلا لفظهم، وودوا لو يسحقون أوديسيوس لولا أن تقدم تليماخوس وحال بينه وبينهم وهو يقول: «يا سادة! إني كصاحب هذا القصر، لا أستطيع أن أطرد الرجل منه بعد إذ آويته وضيافته ... والراى أن تقطعوا سمركم هذا، وتذهبوا من فوركم إلى منازلكم حتى يتصرم الليل ...» وأيده الأمير أمفينوس، ووقفوا جميعاً فاحسوا الكأس الأخيرة ثم انقلبوا إلى منازلهم ... وفي نفس يوريماخوس من الهم ما تنوء بحمله الجبال ...

المرضع العجوز تعرف أوديسيوس

وهكذا خلا الجو لأوديسيوس وولده، فقال، يحدث تلياك: «أى بنى يبني أن نخيء أسلحة القوم في مكان حرير، فإذا سألوك عنها فقل لهم إنك تحفظها لهم حتى لاتأثربالذخان والغبار وتقلبات الجو. وامثل تلياك، ودعا المرضع المجوز يوريكليا فقال لها: «أماه ليقر الوصيفات في مضاجعهن حتى

بك كما بطشت به، ويطردك من هنا؟» ... ورسقها أوديسيوس بعينه وقال: «أسكني ياهانة^(١) والله لأحدثن بما حدثت الأمير تليماخوس فليقطع لسانك، وليرقن جسدك!». ودعمر الصادري وولين هاربات، وقام أوديسيوس على النار وجمل يلحظ المشاق وفي قلبه ضرام، وما فتىء يفكر في ألف خطة للانتقام منهم والبطش بهم ... ولم تنأ ميترقا أن تنهى هذا الشقاء الذي ضربته على أوديسيوس، بل تركته يستهزئ به المشاق، ويسخر به يوريماخوس، فيضحك المشاق إذ يقول: «ما أظن إلا أن الآلهة قد أرسلت إلينا هذا الرجل ليكون حامل مشاعلتنا وحاخا قبسنا ... أنظروا إلى رأسه النحاسي، أليس يصلح أن يكون مشعالا يضيء لنا؟» ثم التفت إلى أوديسيوس وهو يقول: «إذا استأجرتك لتسوّج مزرعة لي ببيدة من هنا وتفرس بها أشجاراً، على أن أطعمك وأكسوك وأثدك مالا، فإنك ترضى؟ ولكن لا ... إني لأظنك تنسرق منها طواعية لتفترأرك وخبث جبلتك فتنتقل إلى المدينة لتستعجلى وتتكف ...»

وتخابث أوديسيوس وقال بحميه: «يوريماخوس! تالله إنه ليس أحب إلي من أن أباريك في فلاحق في يوم من أيام الربيع، حين يطول النهار، من مشرق الشمس إلى مغربها، على ألا يذوق أحداً بطاماً ولا يسبخ شراباً ... أو أن يبعد إلى كل منا بأربعة أذنة في أرض جبوب، وثورين حنيزين ذوى خوار، في ذلك اليوم، لترى أينما يصمد لحره ويفلح أرضه ... بل إلي لأتحنى، إذ نحن في هذه الأرض، أن يدهمنا عدو بخيله ورجله، وتكون لي

للك عظيم يحكم أمة عظيمة بالعدل ويجزيه بالحبة ...
 إنني يا مولائي رجل كرهه الزمان ، وعسفت به يد
 الحداد ، فإذا سألتني ما أسى وما بلادى ، فأنت
 تثيرين من أعماق ذكريات حنيفة تدمي فؤادى ،
 وتفجر الدموع فى ما قى ، فأعفيني آيتها اللسكة من
 ذكر ذلك ، فانه ليحزننى أن أجلس بين يديك باكية
 متصدعا مهوما ... » وبدا الألم على وجه بنلوب
 وقالت : « أواه أيها الغريب ما أفسى ما ذبلت حياتى
 وذوت زهرتى منذ رحل زوجي المحبوب إلى طروادة ،
 تاركا لى الهى ، ومخلقا لى الحسرة ! ألا ما أفسى
 ما يحن قلبي إليه ، ولشد ما يخفق من أجله ! لقد
 أسلمنى بعباده الليل أليل من الآلام ، فما أدرى
 منذ فارق كيف أهشى لضيف مسكين مثلك ، ولا
 كيف أبش لأحدا من العالمين ... وهؤلاء الأشرار
 اللؤماء الذين تككبوا حولي يريدون ليرغموني
 على اختيار أحدهم بلاء لى من دون أوديسيوس
 لا أدرى كيف أذودهم ، ولا أعرف السبيل لأذفع
 أذاهم ... لقد مكثت بهم طويلا ، ولكنهم
 بكروا فى السينات ، فلا أدرى كيف أنقذ نفسى
 منهم ؛ وهذان أبواى يريداني على هذا الزواج
 البئيس إلى ، وهذا ابني قد شب ، وهو يضيق
 بعشاق ذرعا ، وإن فى صدره خرجا منهم لأنهم
 يهلكون ثوته ، ويميثون فى قصره ، ويخوضون
 فى عرض أياه ... ولكن ... حدثني بأربابك
 من تكون ، ومن قومك ، وأى بلاء من الدهر
 شردك عن وطنك ... تسلم أيها العزيز ولا
 تحزن . وأرسل أوديسيوس آهة عميقة
 ثم تكلم فزخرت حديثا طويلا موسى ، وافق
 قصة حزينة متقنة ، وذكر للسكة أنه رجل مُرزا

أثقل أسلحة أبى إلى مكان حرز قد تراكم عليها
 السوخ وأثقلها الدخان » وقالت يوريكليا معجبة :
 « أجل يا بنى ، إنه ينبغي أن تمنى بكل ما يتعلق بأبيك
 وبكل ما ملكت يداك ... ولكن قل لى ... من
 يحمل لك الصباح حتى تنقلها إلى حرزها ؟ ألا
 أذعنهن فيحملنه لك ؟ » وشكرها تلياك ، وذكر
 لها أن الرجل الغريب سيحملة ، وأهرعت يوريكليا
 إلى داخل القصر ، وهب أوديسيوس وولده يحملان
 الخوذ والدروع والرماح ، وبنت مينرفا الكريمة
 تحمل بين أيديهما مصباحا ذهبيا كان يشع سناء
 عجيبا ، ونورا لم تقع عينا تلياك على مثله . فقال لأبيه
 وقد أخذ العجب « أبتاه ! ما هذا النور المنعكس
 على الجدران والعمد والقوائم والموارض حتى ليكاد
 يحملها تلهب ! قط ما رأيت مثل هذا قط ... لا بد
 يا أبى أن إلها معنا هنا ! » وقال أبوه : « أخزن
 عليك لسانك يا بنى ، واملأ قلبك بما ترى ، فانه من
 نور السماء ، وهذا دأب الآلهة ... والآن ، لتصد
 أنت فلتن ملء عينيك كي تستريح ... أما أنا ، فياق
 هنا ، لأنه لا بد لى أن أكمل أمك وخدمها »

وانطلق تلياك إلى غبده ، وأقبلت بنلوب
 وأقبل فى إثرها سرب من خدمها فأعددن لها عرشا
 ممردا من ذهب وعاج استوت عليه وأسندت قدميها
 العاجيتين إلى متكأ جميل ، فبنت كاحدى الآلهة .
 وجلس أوديسيوس على كرسي صغير بُنت عليه
 فروة غليظة ، ثم كلمته اللسكة فقالت : « والآن
 أيها الغريب الكرم قصص لى أنباتك وخبرنى
 من أنت ، ومن أى البلاد قدمت » فقال أوديسيوس :
 « أيها اللسكة تعالى جديك وصلح حالك ... إن لك
 فى العالمين لذكرأ يسبق كالعطر ، واسما كريما ليس

أودسيوس بقره وسجله أكثر مما كان يجلس سائر
أصحابه »

وصت أودسيوس ، وبكت بنلوپ فاستخرطت
في البكاء ، ثم قالت : « لشد ما كنت أرى لك
أيها الريب النازح الجواب ؟ أما الآن فاني
أحترمك وأعطف عليك ، بل أحبك ؛ تالله لقد
صنعت له هذا الثوب يبدى ، وأنا التي وشيته
بالذهب ! وأسأف عليك أودسيوس ! إنك لن
تمود إلى يا حيي ! » بدأ ليوم نزلت فيه عن
وطئك إلى هذا البلد المين الشنوم اليوم ! » وهش
أودسيوس وقال : « خفي عنك يا مولائي ، ولا
تتلف قلبك بطول هذا البكاء . ثم لم تياسين من
أوبته وقد صحت عنه أخبار أسارة حين كنت في
أيروس ! لقد ملت عنه كل أصحابه ، ولقد غرقت
سفينته في أعماق البه لفضب صيته الآلهة عليه ؛
بيد أنه نجى مع ذلك . وهو الآن سليم معاف
يوشك أن يصل إلى إيشاكا بخير . وأنا لا أرسل
ما أقول حديثاً ملففاً ، بل أحلف عليه وأقسم
بأغلظ الأيمان أنه سيحل إليكم في عامكم هذا ...
بل ربما كان بينكم قبل أن يتم القمر دورة هذا
الشهر ! » فتأومت بنلوپ وقالت : « وبك أيها
الضيف ! تالله إن قلبي ليكنب ما تسمع أذنائي ،
وإنه لا يصدق أن صاحبي عائد يوماً إلى إيشاكا ...
ولكن هم ... إلى سأكسر وصفاني فينسل قدميك
ويعطينك ثياباً وكسوة ويهين لك فراشاً وثيراً هنا .
فإذا كان الشد فتجلس مع تليك على مائدة الأمراء
ولن يجسر أحد منهم أن يكلمك كلمة أو أن يمد يده
إليك بأذى » وشكر لها أودسيوس وقال : « مولائي
لقد اعتفت أن أخصه الهباء إذا نمت ، وأن أقرش

من جزيرة كريت كانت له نعمة وكانت له سعة من
العيش ، وذكر أبويه وأهله والحياة الواسعة المخفرجة
التي كانا يحياها ، وذكر أنه عرف أودسيوس أول
ما عرفه حين غرقت به الفلك وقذفه الموج على
الشاطئ الأفرطي ، فهرول إليه وتلف به وأخذه
إلى داره حيث أكرم مثواه واحتنى أبواه به ... ولم
يكد أودسيوس يفرغ من حديثه حتى ترقرقت
الدموع في عيني بنلوپ وانطلقت بكي على زوجها
الذي لم تدبر أنه جالس إليها يحادثها ويوشى لها أطراف
الكلام . وتأثر هو من بكائها فكادت عيناه تفيضان
بالدمع ، لولا أن ملك حاله ، وهيمن على عواطفه ،
فحبس العبرات التي أوشكت تنهمل بأجفان من
حديد ... ثم أرادت الملكة أن تتحنن إن كان
صادقاً فقالت : « وهل تذكر أيها العزيز ما ذا كان
يلبس يوم لقيتي ؟ أو تستطيع أن تصفه لي ، وتصف
رفاقه الذين صحبوه في هذه الرحلة المشثومة ؟ »
وتخافت أودسيوس فقال : « مولائي ! ليس من
اليسر على شيخ كبير مثلي أن يذكر أحداث ما قبل
عشرين عاماً ... بيد أنني سأحاول أن أرسم لك
الظلال الضئيلة التي ما تزال تنطبع من صورته في
رأسي ... أذكر يا مولائي أنه كان يلتفع بثوب
أرجواني موشى بالذهب ، وقدرم فيه بالذهب أيضاً
كلب صيد مزروق يحمل في برطيله ^(١) ظلياً مرقطاً .
وأذكر أنني رأيت قميصه ولمسته ، فلا أذكر أنني لست
في حياتي أنعم ولا أرق ولا أؤمن ... وكان يسمى
بين يديه مشير أكبر منه جسماً وسناً ذو كتفين
مستديرين وبشرة سنجابية وشعر مفلفل ... وكان

(١) عن قلب عن ابن الأعرابي أنه فم الكلب أو شفته
ولم يذكره صاحب القاموس

وتأثر الملك وأنشأ يقول : « دعي يا أماء ! لقد قال
مثل ما قلت كثيرون بمن رأوني ورأوا أودسيوس »
وذهبت يوريكليا فأحضرت طساً^(١) به ماء وانتهز
أودسيوس انشغالها عنه فابتعد عن الموقد ، لأنه ظن
أن المرأة قد ترى الندوب التي بقدميه ، الباقية ثمة
من عضة خنزير بري كان قد بطش به في حديثه
فتكشف ما حرص هو عليه من كتمان أمره .. بيد
أنها لمست التندبة^(٢) الكبرى في ساق سيدها إذ
هي تنسلها ... وكانت الظنون قد ساورتها لما سمعت
من صوته ، واستدكرت من صورته . فلما تحسست
التندبة زاغ بصرها ، وحلقت فجأة في وجه مولايها
وسقطت يداها من غير وعي فانقلب الطس النحاسي
حدثاً صوتاً صريراً مدموياً ... وسال الماء ...
وانحس البمع والمنطق في عيني المجوز وفي لسانها
ثم عالجت المفاجأة السارة المحزنة في صدرها ...
وصرخت تقول : « أنت ! هو أنت ! والله إنك
لأودسيوس ... لقد عرفتك ... هذه هي التندبة
التي أحدثها الخنزير بساقلك ! لقد لمستها بيدي ! »

وأهرعت المجوز مذهولة نحو بنلوب لترث إليها
البشرى المائلة ... ولكن مبرقاً كانت أسبق
منها ... فقد سحرت عيني بنلوب وصمها ...
وعجل أودسيوس إلى المجوز فأطبق بكفه على فها
وقال : « يوريكليا ! أصمتي ! أنا هو ! ولكن
أصمتي ! إن كلمة واحدة منك تقضي على ! لقد
غنوتني ونشأتني في حضنك صغيراً ، فهل تكونين

الغبراء ، ولن تمنني وصيفاتك ، فقد يذعرن من
خشونة قدي ... ولكن إذا كان فيهن واحدة
مخلصة شربت من كؤوس الزمان مثل ما شربت
من عمن وآلام ، فلا بأس أن تنسل لي قدي ، على
أن تكون مجوزاً خبزوناً ؟ » . وسرت بنلوب
وقالت نحيبه : « أبداً ما علمت أحزم منك ولا أوفر
ذكاء وعقلاً أيها الضيف الكريم . لك ما سألت ،
فإن عندنا خادماً أميناً طاعناً في السن كانت موكلة
بعولاي أودسيوس إذ هو طفل تنسله وتسهر عليه ،
وهي التي ستفعل لك قديمك ... يوريكليا ...
يوريكليا .. أفبلى .. اسهرى على هذا الرجل المجوز
الذي له مثل سنك وتجاريك ... إن له سحنة
كسحنة أودسيوس وسياه كسياه .. أغسل قدميه
وقدي له كسوة تلبني يضيف حل بيتنا » وكأنا
هاجت ذكرى أودسيوس شجون المرأة فترقرو
السمع في عينيها اللعزتين وقالت : « آه يا ولدي
يا أودسيوس لقد ما يزع فؤادي إليك ويخفق
لذكرائك ! لقد لم أدرجلاً أعبت للآلهة كما أعبت
وضعى لها كما ضعى ... ومع ذلك فقد ناموا جميعاً عنه
فلم يتأذوا برجوعه إلى وطنه ! ومن يدري ؟ قد
يكون غريباً كهذا التريب ، جواب آفاق في بلاد
نائية ، ومن يدري ؟ قد تكون نسوة تبعت به كما
عبت نسوة هذا العصر بهذا الرجل ... هلم أيها
الضيف الكريم ، لا أجب إلى من أن أغسل
قديمك كما أمرت مولاتي ... أوه ! يا للمجب !
لماذا يتجنب إليك قلمي هكذا ؟ يا للآلهة ! أبداً
ما رأيت من أضياع هذا البيت العتيق أشبه
بأودسيوس منك صرورة وصوتاً وخطراناً ... »

- (١) البطس بالفتح والظلت والظلة (الطبت) الذي
يفعل فيه (قاموس)

(٢) أثر الجرح القديم



النازح الذي سيعود من سفره فجأة فيطش بالظلمة
العاتية التي استباحث قصره ، وولنت كالكلاب في
عرضه ... ألا يا ابنة إيكاربوس اسمدى !
واستيقظت من نوى مسبوهة وطرت إلى إوزى
لأطمئن عليه فوجدته سالماً ... فهل تستطيع أن
تبر تلك الرؤيا أيها المرز ؟

فقال أودسيوس : « أيها السيدة الفاضلة ...
لقد فسر لك الرؤيا زوجك بلسانه ... وهي لا تعنى
غير ما قال ... إنه قادم وشيكاً لا ريب ... وإنه حامل
إلى العشاق منايام »

وأنشأت بنلوب ثم قالت : « أبدأ ... إن هي
إلا أضغاث أحلام ! إذا كان غد فإنى ذاهبة
إلهم فذا كرة لهم شرطاً إن استطاعوه نالنى أقوام
فذهبت من فوري إلى بيته وتاركه كل هذا القصر
الذى دخلته زوجة خير زوج ، ليكون حلماً جيلاً
يزخره في الماضي ... وذلك أننى شارطة عليهم أن
يحموا قوس أودسيوس فيصليوا بها غرضاً يخترق
السهم إليه اثني عشر (دنجلاً) ^(١) فان أصابه أحدهم
فأنا له . وهش أودسيوس وأيد فكرتها « لأن
واحداً منهم لن يستطيع أن يوتر قوس أودسيوس
قبل أن يحضر أودسيوس فيحطمهم جميعاً !! »
وأشارت بنلوب إلى خدماها فأعدن لأودسيوس
مُتَكاً وقراشاً وفيراً ... وذهبت بنلوب لتندرف في
خدعها دموعاً من بلور

دربى ضبهة

« يتبع »

(١) لم نجد في البرية — أولم نعرف — مراداً
لحور القوس أو العجلة ، فأجرتنا هذه اللفظة لشيوخنا بين
الصناع .

نكبتى وشاحذة سكينى كبيراً ، وبعد أن وصلت
إليك بعد بأس وقنوط من عودى ؟ أسمى ! غلى
لسانك بسلاسل وأصفاد فلا أزيد أن يعلم أحد أننى
هنا ... وإلا ... فتأله لن أرحمك — ولو أنك
مرضى — يوم يجد الجدل !

وارتعدت يوريكليا ، وقالت تحببه : « أى بنى !
لم تكلمنى هكذا ؟ أنشك في ثباتى وحفاظى ! إطمئن
يا بنى ، فسأكون أصمت من الحجر الصلد ، وأستر
لسرك من الحديد ! » فخدجها أودسيوس وقال :
أسمى إذن ، ولا تفسدى تديرننا ، ولتتوكل جميعاً على
الله ! » وذهبت فأحضرت ماء آخر : وأخذت في
غسل رجليه العظيمتين ، فلما فرغت ضمختهما بأغفر
الطيوب ، ووقفت تقب عينها في مولاهما بينما كان
هو يربط لفائف على ندوب ساقيه ... وأخذ
أودسيوس كرسيه وجلس قريباً من الموقد تلقاء
بنلوب التي شرعت تحدته وتقول : « أيها الضيف ،
ما أرى بأساً أن أسألك إذا كنت أبى هنا مع ولدى
أو اختار أحداً من أولئك الأجراء فيكون لي بملاً ..
على أن رؤيا رأيتهما تزال تضطرب في خلدى ولا
أعرف كيف أعبرها . ذلك أننى كنت أقتنى عشرين
إوزة بيضاء ، وكنت أحبها وأرهاها بنفسى ، فرأيت
فيها يرى النائم تسراً قسماً انقض عليها من الجو
فافترسها جميعاً بينما كانت تأكل طعامها من الملف
الذى أعدته لها ... ولما رأى النسر شدة حزنى
والتباعد على إوزى ، وقف على تنوء قريب ثم أنشأ
يكلمنى ويقول : لا تحزنى يا ابنة إيكاربوس على الإوز
فانه يمثل عشاقك الفُسق ... أما أنا فأمثل زوجك

صاحب المجلة ومديرها
وردئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك هو ستة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ عن العدد الواحد

الادارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العبية الخضراء - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

المروية

مجلة أسبوعية للقصص والنايخ

نصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الأولى

١٢ شوال سنة ١٣٥٦ - ١٥ ديسمبر سنة ١٩٣٧

العدد ٢٢

من أحسن القصص



فهرس العدد

صفحة	
١٣٥٤	سيدنا الشيخ حين . . .
١٣٥٩	الحب والتجسس . . .
١٣٧١	الأم البيضاء . . .
١٣٧٩	طبيب الاقليم . . .
١٣٨٥	قد دفنا الماضي البقيض . . .
١٣٩٦	الوطنية . . .
١٤٠٠	اعترافات فتى مصر . . .
١٤١٠	الأوذيسة . . .
	أقصوبة رغبة . . .
	{ قصة بوليسية للكاتب الأمريكي جيس جولد كوزينز . . . }
	لكاتب الروسى تيودور سولوجب
	لقصصى الروسى إيفان تورجنيف .
	أقصوبة بوهيمية . . .
	{ مترجمة عن مجلة القصص الواقعى الانجليزى . . . }
	لألفريد دى موسيه . . .
	لنوميروس . . .
	بقلم أحمد حسن الزيات . . .
	بقلم الأستاذ محمد لطفي جمعة . . .
	بقلم الأستاذ عبد المجيد حمدي . . .
	بقلم الأستاذ عبد القاطف النشار . . .
	بقلم الأستاذ أدب عباسى . . .
	بقلم الأديب محمود السيد شعبان . . .
	بقلم الأستاذ فليكس فارس . . .
	بقلم الأستاذ دريخ خشبة . . .

من كرايك الريف

سيدنا الشيخ حسين

بقلم أحمد حسن الزيات

حتى ليضرب وجهه .
يلبس العمامة الضخمة
على رأسه الصغير الأصغر
فتنطبق على فؤاده ،
وتستقر على أذنيه ،
وتلقى على عياه الأسمر
إشراقاً حائلاً من التقي
والهيبة ؛ ويرتدى

(الزعوط) الخشن الفضفاض على جسمه الرهل
الرجراج ، فإذا مشى رفع ذيله على عاتقه الأيسر
فيكشف لعينيك عن جانب من سراويله البيضاء
يضرب عليها من خطوة إلى خطوة رأس تكنها
السوداء القليظة . وهو يمشى مطرق الرأس متكنن
الخطو كأنما يهبط في حدود من الأرض .
واضطراب لجمه مع وثاقة تركيبه دليل على أن هذا
الرهل عارض من عوارض الجلوس والراحة ؛ ولا
يحتاج هذا الدليل من عرفه في ريتق شبابه ، فقد قضى
عمره الأول ضارباً في الأرض بقدميه وذراعيه ،
حتى سخرته الحكومة فيمن سخرت لحفر قناة
الاسماعيلية وترعة المحمودية . فلما عاد من الهجرة
والسيرة شرع يحفظ القرآن على أبيه ليخلفه على
خدمة (الزاوية) وهي مسجد القرية الصغير . وكان
حفظه القرآن على الكبر غمزة يصينه منها منافسوه
من (الفقهاء) ، فيقولون في خبث الحاسد إن كلام
الله لا يرسم على لوحة الدهن إلا في الصغر ، ويجهد
هو أن يفوت عليهم ما يقصدونه من هذا الغمز فلا
يقتر عن استظهاره واستذكاره حتى يحمله على ظهر
قلبه ، وأداه عن طرف لسانه

كان سيدنا الشيخ حسين رجلاً مربع القامة
إلى الطول ، ممتلئ الجسم إلى السمن ، آدم اللون
في اصفرار ، مستدير الوجه في غلظ ، قصير المنق
في اكتناز ، عريض الجبهة في بروز ، ضيق العين
في كلال ، مرسل الشارب ، مسبل اللحية ، قد شاع
فيهما مشيب السنة الخمسين

وهذه هي الصفات الخلقية التي تنب إلى ناظر يك
أول ما تراه ؛ فإذا رجعت فيه البصر رأيت في
وسط جبينه سمّة ظاهرة في شكل الزبيبة من أثر
السجود ، وفي أعلى ذقنه ندبة غائرة كعلامة المسار
من أثر مشاجرة . وليس بين طول السجود وحج
المشاجرة تناقض في خلق الشيخ ، فقد كان دقيق
القلب مرهف الشعور ، يحتاج لأدنى باعث ، ويكي
لأقل حادث ، ويتأثر لأي شيء ؛ فهو شديد الرضى
إلى حد الاستكانة ، سريع الغضب إلى درجة البطش ؛
ورضاه وغضبه لا يخرجان عن حميته لدينه أو عصيته
لرأيه . فالصوفي الذي ينسب إلى الأولياء ما للأتبياء
من الخوارق يحرك قلبه ويشير إعجابه حتى ليقبل
رجله ؛ و(الشاعر) الذي يتألب (أبو سعد الزناني)
على (أبو زيد الهلالي) يهيج نفسه ويضرم غيظه

لخياطة المقاطف . فأما ذؤو الخطوط الجلية فهؤلاء على
عليهم ما طُلت منه من التأمم والأحجية : فذا يكتب
(السبع آيات المنجيات) ، وهذا يكتب (السبع
عهود) ، وذلك ينقل من (الديري) جدول التأليف
بين الزوجين ، وذلك يكتب على خوصة نخلة شرقية
للسعال ، أو على بيضة دجاجة سبتية للحمى .
وينصرف أولئك جميعاً ويبقى أربعمهم في القراءة
فينقلب أستاذاً (لسيدنا) يحفظه قصيدة البردة
للأوصيري شطرة شطرة ، أو على حد تسميره هو :
(شجرة شجرة) . وهنا تظهر قسوة الإرادة الفنية على
الذاكرة الشيخة ، فسيدنا يريد أن يحفظ البردة كلها
لأنها تُنشد أمام الجناز كآشها كتاب الموتى ، وهو
حريص على أن يتعلم فريق المنشدين في الجنازة ،
يذكرُ الناسين أوائل الآيات ، ويرسم للبادئين
طرائق النغم ، حتى يتناض هذه الزعامة عن زعامة
القراء ، فإن فيهم من يفوقه في حفظ القرآن
وتجويده . ولكن ما العمل وأنا لا أفهم ما أقرأ ؟
وهو لا يعلم ما يحفظ ؟ لا حيلة إلا أن ينقشها في صفحة
حافظته على الصورة التي ألّفناها من رسم الكلمات .
ولا أذكر كيف قرأ مطلع هذه القصيدة :

أَمِنْ تَذَكُّرِ حَبْرَانِ بَدَى سَلَمٌ

خرجت دمعاً جرى من مقلة بدم
وإنما أذكر أنه كان على غير هذا الضبط الذي تقرأه
أنت الآن ، وربما كان أقرب إلى الضبط الذي تقرأه
عليه أحد أنصاف الأئمين من إخواننا السجيين
إذ قال :

أَمِنْ تَذَكُّرِ حَبْرَانِ بَدَى سَلَمٌ

وما كان أصعب عليه رحمه الله من نطقه (اكفأ

هتما) في قول الأوصيري :

وتوفى أبوه فأصبح خادم (الراوية) ، وقارىء
البيوت ، وعلم الكتاب ، ولأحد الموتى ؛ فكان نهاره
كله سعيًا متصلاً وحركة دائبة : ينفلت من صلاة
الفجر فيدور دورته الرتيبة على الدور بقرأ في كل
منها ما تيسر من كتاب الله ، ثم يُسأل وهو ماش
يتدهدى بين الأزقة عن تاريخ اليوم في التقويم
العربية والأفرنجية والقبطية فيجيب ، ويُستفتى عن
اليوم للشثوم والميمون فيفتى ، ويُطلب منه أن يحسب
النجم لهذا أو ذاك فيحسب ؛ ثم تناديه إحدى عجائز
البيوت ليبنى لها القرن فبلى ، ويدعوه أحد الفلاحين
ليكيل له القلة في البيدر فيذهب ، ثم ينغم دورته
اليومية عند الضحى العالي ، ويعود إلى الكتاب
فيعلق عمامته وزعبوطه على الودد ، ثم يقعد على شقة
من الحصر ، عن يمينه (الجريدة) ، وعن يساره القلة ،
وأمامه حزمة من الخوص البلول ، وفي يديه صغيرة
يدخل فيها الخوصة بعد الخوصة وأصابه الكرماء ^(١)
تأوى بها من كل جانب ؛ ثم يستمع إلى أحد الصبيان
وهو متربع على الأرض قدماه ، يرتجف من
الخوف ويتلو عليه ما حفظ من لوحة . فإذا فرغ
سيدنا من استماع قراءة الحافظ ، وعرك أذن النامي ،
وضرب رجل القصر ، ذهب إلى الراوية فلا ميضاً لها
ومنطسها بالبلو ، ونظف حُصْرَها وبماشها
بالكنسة ؛ ثم يصلى بالناس الظهر ، ويعود فيتندى ،
ثم يعطى الصبيان حصاة العصر ، ويصرف بعضهم
إلى أهلهم ، ويرسل البعض الآخر يجمع الحطب من
التول ، أو يجلب الحريس من الحقول ، أو يبل له
حزم الخوص في المستنقع ؛ ثم يستبقى فريقاً لتشقيق
السف لجلد الضفيرة ، وقتل الجبال من السد

(١) الكرماء : هي القصيرة الفيلطة

فما لميتيك إن قلت اكفنا حمّنا

وما لتليك إن قلت استغف بهم

فانه كان يلفظها على أنها كلمة واحدة ؛ وهي بهذا

الاعتبار تلتوى على لسانه وتندّ عن ذاكرته

كانت لي الحظوة عند (سيدنا) من دون أولاد الكتاب ، لأنني كنت أسمع له البردة ، وأكتب له الحجاب العالي ، وأرسم الخاتم الدقيق على رُكَب التلاميذ عصر الخميس حتى لا يستحموا في النهر يوم الجمعة . وكانت لي الدالة على (امرأة سيدنا) ، لأنني كنت سريعا إلى قضاء حاجها من بيت الأميرة .

فكنت أعي من الأعمال الشاقة : كهرس سنايل القمح بالمصاحن ، ودق كَرَب النخل بالمطارق^(١) ، وجر حُرْم المجريد من البستان ؛ وأجاب إلى كل ما أسأل ؛ فلا أزال أذكر أن العريف قرر ذات حين أن يأتي (الأولاد) بأعديتهم في الصباح حتى لا يخرجوا من الكتاب في الظاهر . وأغذية التلاميذ تختلف طبعا باختلاف البيوت في النفي والفقر ؛ فكان العريف الماكر يركم الطعام بمضه فوق بعض فيجمل طيبه أسفل ورديته أعلى ؛ ثم يجمع الصبيان حول هذا الركام ويأمرهم أن يبدأوا الأكل من فوق ، فياكلوا كارهين ، حتى إذا أوشكت ألاملهم الصغيرة أن تهبط إلى الطبقات الخسفية أعلن انتهاء النداء ، وحمل آخر النهار كل ذلك إلى أهله ؛ فكان أكثر (الأولاد) يقيسون الجوع ولا يستطيع أحد منهم أن يجار بالشكوى ، إلا أنا ، فلم أكد أعرض (لسيدتنا) بفوضى هذا النظام حتى جمعت (سيدنا) على غل يدالعريف وإنهاء حكمه

(١) الكرب : زروس الجريد الغلاظ التي تقطع معها (قف)

على أن هذه الحظوة وتلك الدالة لم تستطعا أن

تجيبا إلى الكتاب ، ولا أن تخفقا عن نفسي شدة كرهه . فمقد كنت كسائر الأطفال أكره الكتاب كراهتي للموت ، وأخاف من الفقيه خافتي من الهولة .

وكان أسعد أيامنا نحن أولاد الكتاب يوم يموت في القرية ميتا ؛ فإذا سمعنا في الصباح الباكر صراخ النني على بعض السطوح طفرنا من السرور وسكرنا من الطرب ، لأن هذا الميت سينقذنا طول النهار من طلعة الفقيه . فقد كان الشيخ حسين هو الذي يبنى قبره ، وهو الذي ينسله ويكفنه ، ثم يلحده ويلقنه ، وفيما بين ذلك يشارك الجزار في ذبيحته ، ويرأس النشدين في جنازته . فإذا لم يكن في القرية ميت يشغله تجهيزه ، ولا في بعض الدور فرن يؤخره بناؤه ، فرغ لنا بنظرته القاسية وجريدته الجاسية وصيخته المنكرة . فهو في جلسته وهيئته اللتين وصفتهما من قبل ، ونحن قعود على أرض النظرة ، بعضنا ينقل من المصحف ، وبعضنا يحفظ في اللوح ، وأحدنا ينود^(٢) أمامه ، يسمع الدرس القديم ، أو يصصح الدرس الجديد . فإذا عثر ولج به المشار أنني على نغمة بالجريدة البرومة ، ثم يأمرنا أن نجهر بالقراءة حتى يصيح في صياحنا بكاء المضروب .

ويتطير غضب سيدنا إلى نواحي النظرة فتنتزع قلوبنا من الرعب ، ويتداخل بعضنا في بعض كما تتداخل الخراف في الحظيرة إذا ما سمعت هيمة الذئب^(٣)

على أن سيدنا كان في غير ساعة الدرس طيب القلب رقيق الكبد لا ينفك في صلواته يدعو الله أن

(١) ناد القاري : إذا هز رأسه وكفيه على نحو ما يفعل قراء القرآن

(٢) الهيمة : صوت العدو للتهاجم

يحمل أولاده من حلة القرآن وطلبة العلم

كان أظهر ما في حياة الشيخ حسين غرامه بالزاوية، فهو لا يفكر إلا فيها، ولا يعمل إلا لها، ولا يسأل إلا عنها. هي ميراثه عن أبيه، ويرجو أن تكون ميراثه لابنه. أمنته لنفسه أن يدفن في الزاوية، ودعوتها لابنه أن يكون خطيب الزاوية، ورجاؤه في الله أن يعطف عليها وزارة الأوقاف، أو يرقق لها قلوب الناس، فيرفعوا ما خرمن سقفها، ويقيموا ما تقوض من بنائها؛ ولكن وزارة الأوقاف مشغولة عن الزاوية، وأهل القرية مكتفون بالمسجد الكبير، فمن الذي يدنيه من مثاله ويسمعه بأماله؟ لا أحد إلا إيمانه بالله وثقته بنفسه. ألم يكن في صدر أيامه بناء؟ إذن لا يوزع إلا الأجر والحجارة، وهذا مطلب مع الرعية المؤمنة ممكن التحقيق سهل المتيسر. فكان كلما دخل داراً يقرأ فيها (الراتب) نفضها بنظره الحسير، فإذا رأى أجرة مهجورة أو طوبة مكسورة حملها في كفه الواسع إلى الزاوية. وكان يمشي في الطريق ونظره إلى الأرض، فإذا رأى حجراً أو بعض جبر لقطه وحمله إلى الزاوية. وكان يرجو بهذه الطريقة أن يتجمع له مع الزمن والاستمرار أكوام من الأجر، لولا أن الحوادث الموابت حالت بينه وبين ما يرجو. كانت الكلاب الرائدة فوق التلول، أو الرابضة على التبات، أو الرامدة في الأزقة والحارات، كلما رآه ينحن على (الطوبة) يلتقطها، ظنت أنه يريد أن يرميها بها، فبعضها يهجم عليه، وبعضها يولى عنه، ويدعو بناح هذا الكلب وهريز ذاك سائر الكلاب، فيضطر (سيدنا) إلى أن يقذفها بما معه من الحجارة، فتحصى

المركة، ويتفاهم الأمر، ولا يتحجم إلا بتدخل أهل الحى. وعمرته الكلاب، فكان إذا مشى هربه ولو لم يكن في يده حجر؛ فهو في طريقه إلى الدور أو إلى الزاوية أو إلى الكتاب، تراه متبوعاً بسرب منها تنبجه وتهم به، حتى أكرهته آخر الأمر أن يدع جمع الطوب وأن يحمل المhraوة

وسمح الناعمين في الزاوية بين عبيدها التصدعة، وفوق حصرها البالية، يتحدثون ذات يوم بأن المنشاوي بأشأ ينفق الأموال في وجوه المروف، ويحبس الأطليل على أعمال البر، فهو يقيم المستشفيات والملاجئ، وينشي المدارس والساجد، ويفيض من ثرائه النمر على البيوت الجدية فتتوزق. ففكر سيدنا ملياً وهو يضع قنديل الزيت في مشكاته المحطمة، ثم رجع إلى بيته ساهماً حالماً كأنما يشغل باله شأن خطير

ورآه المبكرون من رجال القرية ونساءها يأخذون طريق السوق بعد صلاة الفجر، نملاء تحت إبطه، وزاده فوق ظهره، وعصا غليظة في يده

— إلى أين يا سيدنا الشيخ حسين في هذا الوقت؟

— إلى النصورة في شأن من شؤون الزاوية

— ألم تجد حماراً؟

— بلى، ولكنني فضلت أن أحمل نفسي مخافة

أن يضيع الحمار

ولكن مضى اليوم واليومان والأيام وسيدنا لا يظفر في مكان من أمكنة القرية، فإلى أين ذهب؟ كان يطوى الراحل ما شيئاً حافياً إلى (القرشنية) بلد الحسن الكبير المنشاوي بأشأ؛ وكان بين قرية الشيخ وبلد الباشا مائة كيل من الأمطار

فلم يكذب يراه حتى هروا إليه قبل أن تقع عليه
عيون الخدم وهو ينغمم بالدعوات ويتوسل بالنظرات
ويتسهل باليدين . فارتاع الباشا الشيخ ، وصاح
بالخدم أن يطردوا هذا الجريء ، فانقضوا عليه واعتقلوه
ثم أخرجوه وهو يصيح :

الزاوية يا باشا ! الزاوية ! ربنا يطول عمرك !

وفي ذات أمسية قراء من أماسي القرية الجبلية ، بينما
كان الصبيان يلعبون في الجرن ، والشبان يسمرون
على المصاطب ، والشيخو يتعبدون في الزاوية ، إذا
بالتاخرين إلى سكة السوق يرون الشيخ حسين
عائداً وخفاه تحت إبطه وليس على ظهره زاد .

— أين كانت هذه الغيبة الطويلة يا سيدنا ؟

... ؟

— مالك تهالك على نفسك ؟ هل أدخلوك في

المستشفى الأميري ؟

— أمر الله ! قدر الله ! قل لن يصعبنا إلا

ما كتب الله لنا

وأصبح الصباح فأقبل الزائرون يسلمون على
سيدنا فوجدوه طريح الفراش ، عينه رمداء ، وجسده
مردوع ، وقوته منسركة . غاولوا أن يعملوا منه
سبب هذا الغياب ومصدر هذا السقم فلم يسموا
إلا قوله : أمر الله ! قدر الله !

وتبلغت العلة بالرجل الصالح فلم يعض على أوبته
شهر حتى خلا مكانه من الزاوية العزيزة والقرية الحبيبة
وسكت الكتاب فلم يصيح ، وهدأت الكلاب
فلم تلبح ، وقرت الحجارة فلم تنزعج ، وعوض الله
سيدنا البار من بيته في الأرض ، جنته في السماء

الزبات

ها هو ذا يهدج^(١) في الطرق الشوكاء والمساالك
الحصبة والمزلق الوحلة دأى القدم مرهتك المفاصل
طاوى الحشا ، يبيت ليله في القرية التي تقابله في
الساء ، لا ينزل على العمد ولا على الشيخ ، وإنما
ينزل على خادم المسجد أو فقيه الكتاب أو مأذن
القرية ممن يتوسم الخير فيه ويرجو المؤاسة عنده

وبعد عشرة أيام كاملة من السير المجهد والمقوب
المضني ، ورد مناهل الباشا في القرشية فوجدها عوج
بذوي العاهات والحاجات من طلاب الرزق ، بين حنفي
يقدم وصل (الاشتراك) ، وشاعر يطلب جائزة
القصيد ، ورئيس مدرسة يتنى نصيباً من الإعانة ،
ومديرة ملجأ ترتجى حصه في الوقف ، وطوائف
مختلفات من المحتالين والعيارين والمعوذين وأرباب
الطرق ، كل يستندي كف المحسن الكبير الذي
يوزع ثروته تفصيلاً قبل أن يخرج الموت عنها جملة
دخل السافر المجهود في غمار الناس وهو أشعث
أغبر ، فافتحمته العيون ، وتدففته الأيدي ، وظن
الحجاب والخدم أنه طالب طعام ، ولم يدروا أنه
ركب المخاطر وتشم الأهوال ليطلب من الباشا بناء
الزاوية ، فدفعوه إلى رواق فسيح كمنابر الجند
تكدمت فيه المعجزة والساكين على حال من البؤس
لا توصف . واحتج سيدنا على هذا النمط الغريب
من الإكرام ، وقال ثم قال ، فلم ترتفع إليه عين ، ولم
تستمع إليه أذن . وقضى على هذه الحال الأليمة بضعة
أيام لم يفتقر فيها لسانه عن الاحتجاج والنجاح في
مقابلة الباشا ، والناس من حوله يضحكون منه
ويمبثون به ، حتى تسلف في غفلة الأعين ذات صباح إلى
دوار الباشا فوجده جالساً في ردهة (السلامك)

(١) هديج الرجل : مشى مشية الشيخ

الغارة ، بل هو
عقد زين جيد
المدنية. أيام حداثته
وجناته مراتع آرام ،
ومورد غناب كثير
الزحام ، وليالي
حجراته مطالع أنوار
وأحكام أزهار
وأوكار أطيار

ومستودع أسرار . فنزلنا بيت
من تلك البيوت اختصني به
صديق الدكتور شارل أحد
أطباء المدينة والشركة ، وقد أضاف
إلى علم الطب ثروة جديدة
باكتشافه علاجاً حديثاً لداء
ديزير ديفوليه ^(١) الأليم الذي
أعجز شفاؤه نطس الأطباء .
ولكنه كان بين مخالف شيبوليث
ذات الخطر . كان شارل واحداً
من التوابغ الذين هم على جانب
من البساطة والبه . فلما استقرت
بنا النوى وألقينا بمصا الترحال ،
وقبل أن أخذ بنصيبنا من الهناء
بقرب « أثيل » التي أضفاني

بمسدها ، ذكرت أنني تمودت أن أزل . بفندق
« ريتز » فأجده به راحتي وخلوقي وسلواي . ولما
كنت خلقت ألوفاً لو كرردت . إلى الصبا ومنحت

(١) ديزير ديفوليه بالفرنسية Desir Refoulé أي
الرغبة للكبتوة

الحرب الخمسين

قصة بوليسية للكاتب الأمريكي جيمس جولد كوزينز
نقله الأستاذ محمد لطيف جمعة

قصة قصيرة من وضع جيمس جولد
كوزينز J. G. Cozzens الذي ولد
في شيكاغو وتسلم في غارة أوروبا
وعاش في فرنسا وألمانيا وتزوج من
بريتس بوجارتن ووضع القصة
الطويل والقصير ومنها سان بدرو
وأدم الأخير والرجال والاخوة .
وهو في هذه القصة القصيرة التي
تقل إلى العربية للمرة الأولى يرسم
لك التجسس الحربي كأنك تراه
ويحلل قضية المرأة شيبوليث التي
أوردت نقوساً كثيرة موارد الهلاك
بفتنتها . ويطل القصة ليدفع يلهو
بحب الفتاة أثيل تارة وينصب الشباك
ليوقع بالمرأة شيبوليث طورا ويغتفيا
متعباً حركاتها ومجلا أخبارها ،
وما يزال بها حتى يعثر بها في مدينة
أنتيب بعد أن نجت من حبس المشقة
على يديه . وقد نالت هذا الفضة جائزة
(أندرسون) وهلت إلى بضع لفات

لما بلغت وصديقتي أثيل
نفر « أنتيب » ^(١) استقبلنا ماء
النيم تحت أقدام البلد ، يلهو
به المد والجزر ، فأخذنا بالجانب
الشمالي ، وسرنا على جسر بين
يشقين من البحر غير بعيد ، إلى
أن رأينا قصوراً وجنات راعنا
حسنها وزينتها ، وهي التي شادتها
شركة « كازينو » ^(٢) القمار
لوظيفها وحفظة خزائنها ،
وصيارفة أموالها ، ورؤساء
حصانها ^(٣) . وهي تمتد على
طريق الراكب أو الراجل كأنها
حتى تكامل ، من بلد عامر ، ذي
نصيب متوافر من مفاخر فن

(١) بالفرنسية Antibe ميناء على شاطئ الذهب في جنوب
فرنسا على قرب من (كان) وموتكلولو شهيرة بملعب قمار
وكانت من مراكز الجواسيس البوليين أثناء الحرب العظمى
(٢) كازينو كلة لاتينية لإيطالية معناها مقر أو دار لجماعة
وقطاع على ملاعب القمار الملحقة بالقنادق الكبرى

(٣) حضاد ترجمة لكلمة Crouhier وهو مساعد رئيس
للمائة الخضراء لجمع قود اللاعبين ويقسمها بين البنك وبينهم

بسواده ، ولا ألواح البلور التي دوى صوت تحطيمها
في الجوكا أنه قصف الرعد أو طلقات المدافع ، ولكن
ذلك الانجيزي البكاء — وقد شهد الليب يتصاعد
من ناحيات القصر — مُخِيلٌ إليه أنه ليست
الأشياء المادية هي التي تحترق وحدها ، ولكن
ذكريات شتى تأكلها النار فيها تأكل فينبعث لها
لهيب مختلفة ألوانه متباعدة نفعاته ، فهنا ذكري
لدة وهناك ذكري ألم
— أوتنى لذكري فندقق العتيق قبل أن
تقلى ؟

— ليكونَ وقائى لك. أمتع وأعبق وأطول
وأعرض وأجدي وأنفع !
— إننى أتركك على مضض ، وأنتظر على نار ،
وأصبر لك على عتاب مُبَيَّت ، فأوراء هذه الزيارة
المحجلة وتلك اللغة المتلغمة بثوب من الحنان سوى
ذكري لأذعة من تلك الذكريات التي تتوارى ولا
تزل ، وتكمن ولا تنفى ، وتتوص فى الماء ثم تنطفئ
ولا تفرق

فتحملت عتاب أنيل ولم يكن مبعثه سوى الغيرة
وإنها لأهون على من إطلاعها على السر الرهيب .
وحاولت أن أصرفها عن طول النقاش فقلت لها :
أذكركن ذلك القصر العتيق فى وسط الطريق
بين أورايخ وتولوز ، ذلك المبنى القديم الذى قيل
إن أحد أمراء فرنسا شاده لمشوقته من « النور »
قالت : نعم أذكركه

قلت : إنه الآن مغمور بالشمس ، محفوف
بصخور الجبال ، غارق إلى نصفه فى الغاية يصصف
به هواء النهار وريح الليل على مر الأسرار والأمائل .
فلو أن ذلك الأمير الشاعر ما زال عائشاً بعد أن
هدم الدهر صرح سعادته ، وامتدت يده العاشقة

قوته وجماله وإرادته ، لفارقت شيبى باكياً عليه ...
وقد فاني الاستشهاد بهذا المعنى أثناء حوارى وأنيل
عند ما قبضت على بضع شعيرات من رأسي متلبسة
بجريمة البياض ، فى وسط السواد وقبل الأوان ،
ولكنني أعرضت عن هذا الاستشهاد الآن لأنه
وإن كان حاصراً بروح الوفاء ، إلا أنه مديد لذكري
الشيب ومهدد بمفارقة الشباب وأنا محتاج إليه فى
عشرتها . فرأيت أن أكتب الأمثال وأبوح برغبتى
فى قضاء حق الزيارة لذلك النزل الذى أنست به
وعشت فى ظلاله أحياناً

فلما طرحت الأمر بين يدي أنيل الفاتنة
وشرحت لها القصد من تلك الزيارة التى كانت
منطوية على رغبتى فى مراقبة الجاسوسة شيبوليث^(١)
قالت لى : أتقلى لمكان مجرد الذكري ؟

قلت لها : نعم إذا كان الوفاء قد غاض ، فلا
ترجو عند أكثر الناس وفاء للود ولا وفاء للحق
ولا وفاء للعبد ولا وفاء للذمم ، فإننى لا أريد أن
أخون عهد هذا المكان الذى يحسب أن لا يحس
ولا يشمر

— وماذا ترجو من الوفاء لجناد تقول إنه لا يحس
ولا يشمر ؟

— إنه إن لم يجز على الوفاء إحساناً بإحسان
فهو لن يجزى عليه شرّاً . ولم أفصحها بالطبع فى حقيقة
مطلبى خوفاً من إذاعة السر الذى كنت مرتبطاً به
فقلت لى : إنك تشبه ذلك الانجيزي الذى
وقف يبكى على حريق قصر بالور وهو لا يملك فيه
شراً ولا قتراً

— إننى أفهم ذاك الانجيزي وأعطف عليه
فانه لا يبكى الجدران التى تركها الحريق متشحة

(١) اسم الجاسوسة البولية التى يقتوى القبض عليها

والشراب ونسيت الطعام، والعيشة ولم تذكرني الحب؟
قالت: النوم لأن فيه الأحلام، والشراب لأنه
يفنى الفكر عن الطعام، والعيش لأنه هو الحياة.
— والحياة أن تتيقظ على صوت الأمواج وتستقبل
أشعة الشمس وأن تتقنع بمشرة الحبيب في خلوة
صحيحة بعيدة عن فضول الأوغاد من المازدين والحساد
والنمامين اللسنة الذين خلقوا ليكذبوا ويفتروا
ويفرقوا بين الأحباب

كان ذلك الكوخ الأشبى^(١) جيلاً حقاً لأنه
يمثل المزة الشاء والوحدة التكبرية المتعالية يقصد
إليه من ريدنه، ولا يصل إليه إلا من يتمب في
سبيله. فكرة سامية عبر عنها صاحبها بالاتجاه إلى
شاطئ البحر في سفح الجبل، فهذه الأمواج الصادرة
والواردة تترجم بأنغام هادئة كأنها تهمس أسرارها
في أذن الرمال الذهبية التي لا يعلم عمرها إلا التي
خلقها وأبقاها، وهذه الألوان البنفسجية تمكسها
أشعة الشمس وتداعبها وترقصها وتحتضنها وتقفز
عليها فتتولد منها ذرات من النور الملون تخطف
النظرات من الأبصار كأنها لحات الفكر في لغة منه
لحات التجلي الروحي. وهنا يشعر الإنسان بأنه جزء
لا يتجزأ من هذه الكينونة الكاملة... الله ايفنى
الماضي والحاضر والمستقبل؟ وفي طرفه عين — بل في
طرفة روح — إذا صح هذا التعبير — يتلاشى
الزمان والمكان

النور... نبع الفن الفياض ولباس السعداء،
النور الذي يفرحنا ويسرنا لأنه يطابق المعرفة الكاملة
القاعة على التأمل، والتأمل حياة الحكاء.
لقد أدركت الأديان قديماً سر النور ولا سيما في
الشرق فجعلت من النور « النعيم السرمدي »

(١) نسبة إلى اتينب وأصل اسمها أنشيو أو راء الغابة

إلى قصره، أترينه يضمن عليه زيارة كالتي جدنا
عليه بها نحي هذا النهار؟

فأطرقت أثيل، وقالت: كلا! وهذا الذي
يجنفي فأى ذكرى لك في فندق ريتز تريد أن تحيها
وتحيها؟

— ولا شك أنك تذكرين تلك المصافير التي
كانت ترعى بين الدمن، كأن صغيرها الرقيق نفثت
آتية من مكان بعيد، ولعلها ذكريات أعجز الدهر
أن يحوها

— ولكن أذكر أيضاً كيف انفجرت
الحشائش فجاء عن حيوان يثب بين الطلول فإذا هو
ثعلب مغزغ. فانت لا تسمع دائماً صوت البلابل،
وقد ترى أحياناً وحوشاً كاسرة، حتى في عالم
الذكريات، فلا بد لي أن أصحبك في تلك الزيارة.
فقلت لها: حباً وكرامة، هيا بنا

وقبل أن نخطو في طريقنا وردت باسمي المستعار
برقية من الكولونيل روكيه يأمرني فيها بالانتقال
فوراً من بيت الطبيب شارل إلى فندق مجهول على
شاطئ البحر، لأن يكون على استعداد للانتقال
بطريق الماء في باخرة صغيرة، وأن أؤجل تعقب
شيدوليث إلى غد. فلما علمت أثيل بتأجيل زيارة ريتز،
كادت تطير من الفرح. وقصدنا إلى النزل الصغير
الذي شاده شيخ فرنسي في وحدة قسواء وأطلق
عليه اسماً مصغراً للتميز والتدليل « كابانون »^(١)
فأذكر أثيل بالكوخ الهندى الذى وصفه
برناردان سان بيير وأعجبت الفتاة بهدونه كما أعجبت
بقصة بول وفيرجينى وقالت لي:

— هنا يجلو أن أنام وأشرب وأعيش

ولم تذكرت النوم ولم تذكرى الصبح،

(١) Cabanon صغير كوخ. ويصح أن يسمى كوخاً

ضميرها ، وتهدم نفسها ، مذ كانت ألقاضها ممدودة وحفرتها ممددة ، وهلاكها عتقاً . أُنذِرَين تلك المرأة التي أظهرت الصحف صورتها وسجلت أسماءها وألقابها ووصفت ماضيها وأوردت أخبار أهلها وذويها ؟ ولا يزال بعض الناس ولا سيما الذين تماونوا على إلقاضها من برائن الكولونيل فودرويان^(١) عتفتين بقصاصات من تلك الصحف ومثل من صورتها ناطقة وهي لا تختلف كثيراً عن حاضرها . كانت تلك الخواطر تجول بنفسى عند ما تأهبنا للزيارة ولم تتخذ إثيل زينة نادرة ولم تتحل بشئ من حلها الغالية ، وقد قنعت بلبس فستان بلون البن المطحون ، وجعلت حول عنقها عقداً من اللآلئ الصغيرة له واسطة من حجر المقيق عليه نقش حمامة ، وتقبعت بقلنسوة من لون الثوب مقصوفة على شكل جناح الطير .

فكانت لها تلك الروعة الغريبة التي تعبر عن الجمال وشدة الجاذبية وأمسى منظرها مشعباً بالأحلام والسحر فبثت في نفسى نشوة غريبة وفيضاً قوياً ، وأخذت أسأل نفسى :

— أألمها هذه المسكنة من نفوس الآخرين ؟ فان كان كذلك فويل لى ، فان كل الرجال يمشقونها ، وويل لها لأنها سوف تمشى فريسة الاستهواء والنوايا ، وهي مصدر تلك اللذة المجهولة التي ينشئ سحرها من نظراتها ومن صوتها على هذه الحياة التي تعجز أداة التصوير عن أداء بعض حقيقتها . انتقلنا إلى فندق زيتير ، فوصلنا بعد أن عدنا أدراسنا على جسر البحر وتوجهنا إلى يسار خط الحديد ، وكان

وجلسنا نشرب القهوة بلقنى البرقية التي كنت أنتظرها ، وفيها الأمر بمراقبة شيلويث فأردت أن أذكر إثيل بزارتا لفندق زيتير .

وكانت أتيب في تلك الفترة ككدينة ييارتر ، مستقر التجسس الدولى يصلها في كل قطار أفراد وجماعات من كل جنس ولون ، يجتمعون ويتفرقون ويتبادلون الأسرار ويدونون ما يصلون إليه من الأخبار بأنواع من اللغات المرضية ، وكلهم خبير بفنه ، دقيق في عمله ، حريص على السكتمان ، ولا سيما النساء منهم اللواتي كن منجم الفتنة وعش الدعارة ، ووكر البلاد ، ومنايع الدماء ، ومنايات الردى ، ولا سيما أولئك النسوة اللاتي اتخذن أتيب وبلدة « ييارتر »^(٢) وكان ونيس^(٣) صرعى لدعائم الشرحتى وصفها « بومبايجه » رئيس الخفية الفرنسية بأنها مدن عشش بها الشيطان وضرب فيها قباها ! ومن أشهرهن تلك المرأة التي اعتقلت في وكرها كالأفعى الطليعة ، وسلط عليها سيف المجلس العسكري رأسه الكولونيل فودرويان . فكادت تصافح الموت وتعتنق قبراً مجهولاً في ضواحي مونكارلو

لولا أن رجلاً صحيح النية ، خالص الضمير ، ظن نجاتها تورثها التوبة فتفسل بدموعها دماء إساءتها فتمشى على ما كان من جرحها ، وتقلع عن مزج خبزها بدماء ضحاياها ، فتدخل في الأمر وتوسط وتشفع وتوصل حتى خلص عنقها من الجبل الذى فتلته بسوء فعلها ونسجته من خيوط شرها ، فسا لبثت أن فازت بجلاها حتى رجعت عن توبتها ، ونكصت على عقبيها ، ولم تذكر نذلها وانهبسار

(١) مشق جيل على شاطئ المحيط الإطلنطى من أعمال اسبانيا

(٢) مثل ييارتر ولكتهما فرنيتان على البحر الأبيض

(١) نهر الكولونيل براونم ديلافرتييه مذكراته عن أسرار الحرب العظمى وأفاض في سرد هذه الحادثة (مطبعة كوندورسيه باريس)

تصطك ، وقد رجعت إلى الوراء كأنها حيال أفي
قائلة من أفاعي الهند الصاعقة الساحقة التي لا ترحم
بشراً ولا تحشى وحشاً كاسراً

فنظرت ورأى فاذباها ... المرأة... شيوليث
اليهودية الحسنة اللعونة التي كان لي معها تلك
الفاجعة الأليمة منذ عام .. وكانت اختفت عن الأنظار
وانقطع ذكرها على الألسن والأصماع ، وظلت فئة
من الذين يحسنون الظن بالأقدار والأيام أنها قضت
فيمن قضى في كارتة الباخرة « ديديم » التي غرقت ،
أو أنها بجمت نفسها ندماً وجزعاً من الصورة التي
تركت عليها ضميرها بعد اتصالها بكل رجل من
الرجال الأربعة أو السبعة الذين كنت أكرم .
أو أن شهماً من هؤلاء الفتيان الذين يفضلون
الكرامة على الهوى ويجعلون الفضيلة أولاً والشهوة
في المحل الثاني قد طعنها بخنجر أو أفرغ في جلدها
الشيطاني درهما من الرصاص المسمم

ولكن لا ! لا هذا ولا ذاك ولا تلك . وهامي ذي
شيوليث اللعينة ماثلة أمامي ، شاحصة إلى يبصرها ،
معدقة في وجهي بعينيها الساجرتين ، ثم تقلب أجفانها
في إيثيل ، وهي محرق الأرم وتكاد تنشب فيها
أظفارها لتفترسها لغير ذنب سوى أنها رأيتها في
صحبتي وأنا تلك الضحية الوحيدة التي أفلتت من يدها
ونجت من حبالها بمحجرة إلهية . ولعلها شعرت
بفريرتها الشيطانية أنت أوان الانتقام والمقاب
قد حان ، وأنها إن خلصت من حبل الشفقة بالأمس
فلن تنجو اليوم أو غداً . وقبل أن يفيق الدكتور
شارل من دهشته بلقائي ، أو يحتم صيغة الترحيب المتفق
عليها بين أفراد تلك الطبقة بادرت إلى تنفيذ عقد
سرى متفق عليه بيني وبين الجاسوسة شيوليث ،
فخيتها كأني لا أعرفها ، وقبلت يدها على ما يقضي به

الفندق . حافلاً بالأضياف الذين انتشروا في ردهاته
وشرفاته وحول شجيرات حديقته المصفرة التي كنت
أشبهها بمحديقة ليليوت^(١) . فكان نصيب إيثيل من
نظرات الرجال والنساء ما كان بين حاسدة إيها
وحاسدي ، ولكننا كمادتنا لم نبال ولم نمر أحداً
الثقاتنا ، لأن معظم البلاء في اعتداء الناس عليك ناتج
من تشجيعهم بالنظر إليهم والاكتراث بهم . وقديماً
قالوا : « من وطأه الأبصار وطأه الأقدام ! »
فكان لهذا التسامى عن الناس أثره الطيب في حمايتنا
من الناس .

وقد اتخذنا مكاناً قصياً وأخذنا نرقب المارة
ونشبع بأنظارنا فاطرات البخار في رواحها وغدوها
وأستعيد بمفردي ذكرياتي ، وإيثيل صامتة في حيرة
من أمرى : أبرء أنا من حب النساء كما أدعى أم
حب قديم جئت أخرج إلى كبة غرامى الذي تحطمت
أصنامة رغم أنني ؟ ولكنني كنت بمنجاة من سوء
ظنها ولو قليلاً لأنها قبلت الاقتراح في اصطحابها
لزيارة هذا الفندق الكبير

— ٣ —

ولم نوشك أن يستقر بنا المقام ونجتسى الحسوة
الثالثة أو الرابعة من الشاي حتى دخل الدكتور
شارل صاحب الفضل الأول والآخر (إلى يومنا
هذا) في اكتشاف العلاج لداء ديزر ويفولييه الألم
ومعه اسرأ لم أنينها في أول الأمر . ولكنني عند
ما تحققت شخصيتها أدركت سر الأمر بانتقالى من
دار ذلك الطبيب . ونظرت إلى إيثيل فاذا لو أنها بمنقع
ووجهها باهت ، وقد تقلصت عضلات الانسجام ،
واصفر الأنف وأرتعشت الأطراف وكادت الأسنان

(١) يشير المؤلف إلى شعب الأقزام الذين لديهم جوليفر
في أول أسفاره

على موحدة ، قفلت للبرأة :

— أرى نم ! ياسيدتي ، أذكر لقاءنا الأول على شاطئ كان ، وإقامتنا في موتسكارلو ، فقد كان لقاء موفقا وإن لم تكن على موعد ، وإقامتنا السعيدة وإن كانت قصيرة الأجل قد انتهت بطول الأجل لبعض الناس !

فقلت : ما زلت أترصد ورود كتاب وأترقب بلوغ خبر منك ، ولكنك أغفلت ذلك ولم تحفل بما كان بيننا من مودة

فنظرت إلى الأنسة إثيل وهي مصيخة للحديث مصيخة إليه واعية لكل ما فيه فاذا نفسها قد نهضت وفارت

وكان الدكتور شارل أخذ يجي إثيل ويرحب بها وهي عنه لاهية لاعتيره أذنا

فقلت : لئن تلبثت ياسيدتي في الاتصال بك بالبريد الجوي أو السريع أو التلغرافي فليس معناه أنني نسييتك أو تهافت في شأنك . وما كنت أوجعني في تلك اللحظة السيرة إلى مداراتها ومساهاها

فلم تقفها غائبي من تطلق بها وعلمت أنني لا أفعل ذلك إلا حرصا على كرامة الفتاة التي مني وطهرها وعفنها وأدبها

فقلت : من الناس من يكفر نعمة الاخلاص ويفطم إحسان الوفاء ، ومن هؤلاء من لا طاقة لهم بالقيام بحزمة الصنية

فقلت في نفسي : « لا طاقة لنا اليوم بمجالات وجنوده » وما هذه المرأة إلا روح متمردة متقصصة من أرواح هؤلاء الجنود . وقلت لها : صدقت ! وبدأت أنظر إلى الدكتور شارل الذي كان يشرح لإثيل أعراض الداء الذي وفق إلى علاجه وأنا

ذلك العرف السخيف المجلوب إلينا من روسيا القيصرية والمحبوب لدينا بعد أن استمرأنا طراوة الأكف الناعمة والأنامل اللينة

وفي الحق أنني عندما قال الدكتور شارل « مدام راشيل لو كسمبرج » حدثني نفسي بأن أقطع يدها بأنيابي قبل أن تهشها بأنيابها . وقد أطلت القبة وأحسست برد يدها وأحسنت هي أن شفتي تنفرجان فسارعت بسحب يدها باسمه بفمها وهي تنثر الشرر من عينيها

وقد كان بالي منشغلا باسماها الجديد المستعار وبالصدمة التي سوف تصيب الطبيب عند ما يقف على حقيقتها ؛ ولم ينهي من ذهولي إلا قولها لي : « طالما اشتقت إلى رؤيتك بمد لقائنا الأول على مقربة من هنا في مدينة كان ، وإقامتنا القصيرة في موتسكارلو .. » وكان الدكتور شارل لاهيا عينا في تلك اللحظة كعادته عند ما يستغرق في أفكاره التي تدور في ذهنه حول العلاج الجديد الذي اكتشفه لمرض « النذير ريفولييه » فلم يسمع إلى ما قالته مدام شيوليوت ولكن الأنسة إثيل نظرت إلى نظرة إدراك وعتاب

ففهمت أن رؤيتها استتارت في قلب شيوليوت دفين حقدتها وهي امرأة تنلي في قلبها صراجل المداوة والحسد والبغضاء على الرغم من مجالها وكنها وقطنتها . ولعلها ورثت من أهلها من الحفاظ ما يحلل حقدتها على الدنيا بأسرها ؛ فلما هاجها فجأة ورأيت ما يعقب ذلك من سوء الأثر في نفس الأنسة ، حاولت باللفظ واللين أن أسئل سخيمة قلبها وأطفي نار غضبها لأنني عرفتها بذينة اللسان سبابة قوية في الغمزة ، فأردت أن أتق قوارصها ونواقدها ، فلم أجد خرجا بغير مجاملتها وملاطفتها وإن كنت لا أصبر للأنسة

واستمددت له وإن كان حياء البنت وخفها بموقفي
ويلجئني ويمقد لسانى

فقلت : أذكرك يا سيدنى الجواسيس ، ولا
سيا الذين حكم عليهم بالاعدام فى موتسكاروفى العام
الماضى ، من هلك منهم ومن نجا ولو إلى حين ؟

— ٤ —

فاصفرت شيدوليث ، وارتعدت ، وجد الدم فى
عروقها ، ولهت ، وضاق نفسها ، واختنقت
واكفهر وجهها وتجهمت ، واتسعت حدة عينها
اليسرى ثم ضاقت كالسنور الذى يثور قبل أن يهاجم
جرذا ، أو كالأفعى التى توشك أن تنفث سماً لتلسع
مهاجماً ... ثم ملكت ناحية غضبها ، وربطت حزمة
أعصابها بسلك من فولاذ إرادتها وكظمت غيظها
وقالت :

— تدهشنى قوة ذاكرتك كأنها بئر عميق
لا ينضب ماؤه !

— أو جُـب مظلّم يخفى فى جوفه أشلاء أشرار ،
وجانح جار ، وهياكل قتلى الفرور والتمية
فالتفت شيدوليث نحو الطبيب الذى مازال ساهياً
لاهاياً كالأصم وسط المعركة الحامية تستنجد
لينقذها من المأزق الذى ألقت بنفسها فيه ، وقالت :
هذا الشاى قد برد ، والزبدة تجلدت والرئى تحول
لونها والخبز القمد تقلصت خرومه حتى عاد كالأسفنج
القديم !

فألقي الطبيب نظرة زاهدة على المائدة ، وقال :
— أنت تملين أنت الشاى بينه أعصابى ،
والزبدة الثلوجة المزوجة بمحمض البوريك (١)
تسمى ، والرئى تريد مقدار الجليسكرز فى كبدي ،
والخبز المموه بالنسم يؤذى طحالى

(١) قد أثبت التحليل الكيماوى أن هذا الحمض يضاف
إلى الزبدة ليحفظها من الفساد

أنتهز فرصة للفرار من هذا الميدان ، فان المرأة توحمت
أنفى صرت فى ملكتها وأنها تسترقى وتمتدنى
لأننى أريد ألا تستطرد فى حديثها بمسمع من
الآنسة . وإذا أنا أفكر فى وسيلة الهرب من تلك
المرأة أراها تحدج بى وتدقنى النظر فى وجهى كأنها
قرأت فى صفحته أننى أحل فى هذه المرة نذير
هلاكمها وأربص بها الدوائر

فقلت : أوه ! أوه ! يا موسيو لودفيج لقد
وخطك الشيب ، وقلب لك الزمان الذى كنت
لا تبالى به بحجته ، فضاكن من نصارة عودك ذبولاً
ومن سواد فوديك قتيلاً
فقلت لها وأنا أحرق الأدم :

— نعم ما من رجل إلا تقض الدهر صرته
والآن عريكته . تلك سنة الطبيعة ، وقد ودعت
شبيبتي التى طارت وداع محب هادى لم يطرق الفراق
لبه ، ولم تنصف بمقله رياح البغضاء والهجر
والقطعية ، فلم أشعر قط بالأخفاق والخيبة
— الأمر ظاهر فانك لا تترك فرصة حتى
تنهزها ومثلك إذا واظب على الرقص على هذا التوقيع
لا يهرم ولا يحدوب حتى إذا لغمه الشيب ووخزه
الكبير وأكل عليه الدهر وشرب

وكان الفيط قد بلغ من الآنسة ومنى مبلغه
ولكننى أنفت أن أسلم لهذه المرأة بالهزيمة قبل
القبض عليها فصحكت وقهقهت لى أفق ذلك
الطبيب الفارق فى دأه ودوائه ، ولكن هذه الاستفاته
ذهبت أدراج الرياح . وكنت أظن أنه أعز جواراً
وأمنع ذماراً مما رأيت ، ولكن المسكين كان كالسكران
بخمرة كشفه عن أسباب الداء وأبواب الدواء

فصحت عزيتى على أن أخنقها بوترها وأرميها
بمحجرها وأرد كيدها فى محجرها ومحفرت لذلك

الرضعات . أليس الآخر ما أقول يا موسيو ليدفيج ؟
أو أنك تحسبها طفولة ثانية وأنتى أقضم الحلوى
بالأسنان الخضر ، ولا أعلم بعد علم شيئاً كما وقع
لمديقتك هاجبتك قبل أن يلحق بأسلافه . وكان
هاجبتك أحد جواسيس الألمان الذين أعدتهم
الفرنسيون ، فضحكت ضحكة الانتصار وضحكة التلذذ
بحدثها البشوة في جوانبه التكتة المفاجئة والمفارقة
الطريفة ، وأدركت أنها تريد مهادنتى (أما الصالحة
فلا !) بإدخال السرور على نفس الأنسة التى لم يكن
بينهما ثار ولا ضئيلة مبيتة ، فلم أشأ أن أنفخ في
نار عدائى التى أوشكت أن تصير رماداً ولو إلى حين
وتركت عنائها على غاربها وأرهفت أذنى لأكون
رقياً على قولها ، وتظاهرت بالانشغال عنها يحدث
صاحبها الطبيب الذى لم يكن شئ يستهويه ويملك
عليه مشاعره غير الأدوية النادرة واللعل المجينة
والأدواء الغريبة . وفي تلك اللحظة جاء أحد الخدم
برسالة إلى شيبوليث يحملها في طبق من الفضة . فإ
لبث أن قضتها حتى عبت ، ثم ابتسمت تصمماً
لتندارى علة عبوسها ، ونهضت معتذرة . نغفت أن
يكون شريك يقظ من أفراد عصابها الدولية . فإ
أنذرها وحذرهما وأنها مولية الغرار قبل أن أمكن
من أداء واجبى الذى ينحصر في تضييق الخناق عليها .
وانتهزت إثيل هذه الفرصة ودنت منى وقالت :
— هل عرفتها من زمن طويل ؟
قلت : من هى ؟
قالت : تلك التى لا أحب أن أسميها والتى تنتظرها
بقارخ الصبر . قلت بينى وبين نفسى : لقد قلت حقاً
ولكن لست أفسره ! ثم خاطبتها :
— آه تقصدين لارب إلى شيبوليث
— لم أستطع قط أن أطلق باسمها

— ولم إذن طلبت الشاى المستوفى ؟ (تيه
كومبليه)
— لأجل ضيوفى ولأجلك
— أنظن أننا نهدف لأخطار تلك الملل التى
أحدثت سردها وأحسن تشخيصها ؟ إنك كرب
الدار الذى يقدح في طعامه ليمسك المدعو عن الأخذ
منه ! فقالت الأنسة آيدا :
— ولا سيما وقد غابت الشمس وجنحت
شيبوليث — وما لنا وغياب الشمس وحساب
الساعات ونحن وأنتم في نزهة ! فقال الطبيب :
— هل الدهر إلا ليلة ونهارها تقضيها في
المعل والملب ؟ وهل الحياة كلها سوى طلوع
الشمس ثم غيابها . فأجابت الأنسة إثيل :
— لقد أنينا في شباب النهار ، ولم نأخذ قسطنا
من الراحة وقد مال ميزانه
شيبوليث — أية راحة تمدل لقاء الإصدقاء
ومسامرة الأصحاب
الآنسة — ولكن هذه القطر الرائحة الفادية
غير منقطعة تؤذي سمى ، وتهز أعصابى ، ولا أظنها
إلا فاعلة بك وبالسيدى ما أحسه وأستشعر به
— أما أنا فتعودتها ، وصار يحولى أن أرقبها
وأعددها وأنظر إلى سيول الناس منبهة ، وتدخل
وتخرج ، وتصعد وتهبط ، وتجتمع وتفرق ، وتندفع
وترابط كلما فتحت بوابة التزلق وأقفلت ، كأنهم
وكأنهم قناطر الماء أو نبض الحياة ، وحركة الكون .
وكنيت لأول عهدي بالاقامة في هذا الفندق أحلم
في نوى بالقطار وصغيره وهزبه ورجته وهرج الحطة
ومرجها ، وأفزغ أحياناً من رقادى على صوت
قادم أو استمداد راحل ، ولكننى صرت الآن
أطمئن لتلك الضوضاء اطمئنان الطفل إلى أغاني

فضحكت وقالت :

— ما أصدق وصفك ! سواء أكان ليثي
بروهمان فاوست أو مفستو فإنه كما وصفته وأذكر
من مكانه في زوجته قوله : « إن الحكمة تتدفق
من شفتيها كاسمها ، حقاً إن دم إسرائيل الزكي
ليجري في عروقها »

— قلت لى إن اسمها « سنبله »

— ومعناه بالعبرية غدير أو نهر ، فكان الرجل
غارقاً بين السنبله والتدير ، وكان على الرغم من حبه
ليها وإعجابها بها وبدمها الزكي يعلم أنها عريقة في حرفة
الزوجة بصيرة بأنواع الأكاذيب التي تخرج من
الورطات وتنقذ المرأة الكذوب من أخرج الماكزق
— فضحكت عابداً وقالت :

— لعل عشيرها الحاضر الدكتور شارل يستنبط
دواء يتجرعه الرجل فينقاد لزوجته انقياداً أعمى ثم
يقنع الإنسانية المتطلعة للانتقاد على يديه بأن الحضارة
لن تبلغ شأوها الأعلى حتى يصبح للزوجات الأمر
المطاع . وفي تلك اللحظة عادت شيبوليث فابتسمت
لأثيل وقالت لها :

— ما أجلك وأذكاك ! لقد أحسنت الطبيعة
إلى الدنيا بك وبمثيلتك ، ألا إن الروعة والجمال والفرح
لمن حبتهم الطبيعة بالادراك ، ففهموا سرعة الدهر
وقوة سيره وكر النداء وصر المشى ؛ أما الندم
والحسرة فللذين لم يدركوا ، فنبأطؤوا

الأولون علموا أن تحصيل اللذة الراحنة غاية الحياة
وحرماها وهدفها ونهايتها ، والآخرين هم الذين
توانوا وتمسكوا بالفضائل فانتظروا حتى أفلت الزمان
وانفلتت الأيام من بين أيديهم ساخرة من تهاونهم ،
فلما انتبهوا كانت الفرصة الذهبية قد غادرتهم صرعى
المموم والندم

— إنه لفظ عبري ورد في التوراة معناه سنبله
وقد اتخذته المحاربون من بني إسرائيل كلمة سر
أو جواز مرور ضد خصومهم في بعض وقائهم
— وكيف وصلت هذه التسمية إليها ؟
— هذا ما لا علم لى به

— كيف عرفتها ولم تقف على سر اسمها ؟
— لم تصل المودة بيننا إلى هذا الحد
— وكيف تغار منى عليك إذا لم تكن مودتك
معتقة كهذا التنبذ على الأقل ؟ قلت : عرفتها جاسوسة
وعرفتها زوجاً يهودي اسمه ليثي برهمان كانت تنفقه
في الصباح والمساء تريد أن تسيره في الصغيرة والكبيرة
كما تشاء وتهوى

— هذا لا يدهشنى فقد زودتها الطبيعة بلسان
أحد من السيف ، وإرادة قوية كالفولاذ ، وذكاء
نافذ كالسهم المسدد ، وقلب يغلي بالغليظ والحقدين
منه مراجل البخار

— إنك تصفينها كما لو أنك عرفت ما منذ أعوام
— وهل كانت محبوبة لدى زوجها ؟
— نعم كان يحبها ويتفانى في رضاها ، فإذا
هاجت عليه وأنشبت أظفارها به وسلقته بلسانها يتم
قائلاً : « لا بد لكل نعمة من آفة ، ولا بد دون
الشهد من سمات النحل »

— لا أظن زوجها رجلاً كالرجال
— كان كهلاً قصير القامة مستدير الوجه قد
طنى الشيب على رأسه الضخم ولحيته الكثنة وحاجبيه
البارزين المتأخرين على عينين فيها حدة وبريق كأنهما
سراجان وهما جان أن منهما نور الكهراء ، وفي جبهته
الواسعة العالية أسطر مستطيلة عميقة متوازية كأنها
نقشت بيد راسم لا يخطئ في مد الخطوط المستقيمة
— كأنك تصف فاوست الحكيم قبل أن يبيع

قلبه إلى الشيطان

هادىء ، ولكن له ضميراً وكرامة ؛ فلما حاجته وادعت أنه ماتم ككلب أهل الكهف اتقه ليثت لك وجوده الأدبى ؛ وليس للكلاب وسيلة التمييز عن أفكارها غير هذه . وفى الأمثال القديمة : لا توظفوا الكلاب الناعمة

شبوليث - وقالوا : على نفسه جنى غلوم تل ، لأنه استهدف للأخطار باختياره

- ولكن كلبنا اسمه فيثفل ، وخير لنا وله أن نمود إلى حوازيها هادىء . كنت تقولين إن الضمير يتعطل إذا انحجبت نفوسنا إلى الخير المحض ، ولكن الخير فى تفرك أمر اعتبارى ونسبى فلا يمكن أن نصفه بالمحض . وخلاصة القول فى هذا البحث اللذيذ الذى أثرت ربحه على غرة منا ومن كلبنا أن الإنسان لا يميل إلى الخير دائماً ولا إلى الشر دائماً ، وأن الضمير يحتاج إلى حكم العقل أولاً ليستيقظ ، لأن الحكم على ما يتفق والفضيلة أو يخالفها يحتاج إلى ميزان العقل ، والمقل يخطئ ويصيب بالنسبة للزمان والمكان والافراد والجماعات ، كما أن العقل خاضع لقانون الوراثة وقيد التقاليد وأغلال العرف والقوانين الوضعية ، فإذا خضع الضمير للعقل أمسى عرضة لتضارب أحكامه فتجههم وجه شبوليث ثم استدركت خلقها فبشئت ودعتنا للمشاء فرجوت إيثيل أن تخاطب لإدارة فبندقنا فى الاعتذار ، ولم يكن مقصدي إلا أن أبعدنا عن حلبة المعركة فانفلتت فى المدخل وقالت شبوليث :

« قيود » التقاليد و « أغلال » العرف ! ما دخل القيود والأغلال ... ؟ أتكون فى هذه المرة ؟ ولم تكذب تنقنى حتى أحاط بها رطط من رجال الخفية الحربية يقومون ككولونيل « لاروك » نفسه ، (٣)

فدهشت إيثيل من روح الإباحة فى حديث شبوليث وقالت : فى اعتقادى الذى يحلو لى أن أعسك به أن الواجب يقضى علينا أن نكتم أنفاس اللذة الشريرة على قدر الطاقة وأن نشجع اللذة الخيرة .

شبوليث - إذا فعلنا هذا معونا الضمير وأسقطناه من حساب عقولنا ، ولا شك فى أنه يموت من تلقاء نفسه بتعطيل وظيفته لأننا مادنا لا نشتهي إلا الخير ولا نقصى إلا الشر فإن الضمير يستغرق فى نومه كما استغرق هذا الكلب الجميل تحت قدميك آمناً مطمئناً ، لأن الحاجة إلى يقظته وصراسته معدومة ، والضمير كلب الحراسة الذى ينهض كلما وجد داعياً ليقظته

وفى تلك اللحظة حدث أمر غير متظر ، فإن شبوليث لم تكذب تفرغ من ذكر الكلب الجارس ويقظته حتى نهض فيثفل ونبح فى وجهها نبحة حادة شرسة وأخذ يهتز بالنيظ وهو يوشك أن يهاجمها . ففزعت المرأة وجزعت وأخذتها رعدة الخوف وتناولت قدحاً من الماء ورفعت يدها لتقذف به وجه الكلب الأمين ، ورأيت الغضب يرسم على وجه الأنسة ع كما ارتسم الرعب على وجه المرأة . فقبضت على معصمها وقلت لها : حذار أن تفعلى لثلا يطيش حلم الكلب فلا تقدر على حمايتك منه . وخلعت القدح من أناملها التى استبانت عليه فقالت :

- لم يخطر ببالى أنك تصحب كلباً مستوحشاً غير مكرم لتعنه على مهاجمة أصدقائك . فإن التسلمح بالكلاب الشرسة الغليظة علامة على الخوف الذى يخالج قلوب أربابها

قلت : أنت غثظة يا عزيزتى فإن كلبى وديع

وعادت إيثيل والكب في أثرها . فأشرت إليها
بالأ تتقدم خطوة ، خشية أن تبصر بجثة الطبيب
الذى كان يتحدث إليها منذ برهة وصار الآن يتخبط
في دمه ، فسألتني وهي لمفئ :

أسمعت طلقة المقذوف ؟ وأجبتها متجاهلاً : أى
مقذوف ؟ لهاها فرقصة إطار المطاط في عجلة لسيارة
جامعة ... وهرولت إليها قائلاً :

« لم يبق لنا إلا أن نقضى أيام الراحة بعد التعب
في فندقنا اللذيذ ندأب كلينا الأمين فيثفل ، فهيا بنا ! »
فقال : أين شيبوليث والطبيب ؟

قلت : لقد انطلقا في غيبتك إلى حيث تلقى هي
جزاء شرها ، وباقى هو جزاء خيره ...

محمد لطفي جمعة

وسرعان ما أخرجت من حقيبة زيتنها الثمينة
مسدساً أنيقاً من الصدف المنزل بالفضة وصوبته إلى
صدرى وأطلقت ، فأنجحت ومرت القذيفة فوق
هامتي واستقرت في ظهر الطبيب الذى كان لاهياً
في تشخيص المرض الذى اكتشف دواءه . ولكن
الشرطين قبضوا عليها واكلوها بالأغلال والقيود

فقال : لست جاسوسة . أنا بريئة . هذه وشاية
دنيئة وبلاغ كاذب . فقال لها الكولونيل وهو
يدس يده في ثيابها : ان لم تكوني جاسوسة فأنت
قائلة . وما هو ذا قتيك الدكتور شارل يشهد عليك
دمه بأنك لا تؤذين إلا الذين يحسنون إليك .
وساقها الجند إلى سجن أتيب حيث سبقها زمرة
من شركاها في انتظار المحاكمة أمام المجلس الحرفى الأعلى

أتموا بالحج إسلامكم ، وبالعبرة إيمانكم

وبزيارة النبي الكريم إخلاصكم

فقد توفرت لكم جميع وسائل الراحة

على الباخرتين

زمزم و كوثر

اطلبوا الاستعلامات الكافة من

شركة مصر للملاحة البحرية

« أشكر لك
كرمك ياسيدي ،
ولكنني دائماً أقضي
هذه الليلة في بيتي »
فنظرت الفتاة
إليه وابتسمت
وقالت : « مع
من ؟ »

الأم البيضاء

للكاتب الروسي تيودور سولوبج
بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي

فأجاب ساكاولوف وفي صوته أثر دهشة
خفيفة : « وحيداً »
فقالت السيدة جوروديشيف وقد ابتسمت
ابتسامة صرة :

« يالك من عدو للبشر ! »
لقد كان ساكاولوف راضياً بحياة الحرية التي
يحياها ، ولقد كان في بعض المناسبات يسأل نفسه
متمججاً كيف أوشك مرة أن يتزوج ! فلقد
أصبح الآن أوفقاً لبيته الصغير الموث على طراز
جدي ، مستأنساً بخادمه الخاص الشيخ الزين
« فيدوت » و « باهرانه » « كريستين » التي لا تغفل
عنه شيخوخة والتي كانت تطعم له غذاءه . وكان
مقتنعاً جد الاقتناع بأنه لم يتزوج لأنه أراد أن
يعيش وفيأ لحبه الأول . وفي الحق أن قلبه قد برد
من أثر ما تعود من عدم الاكتراث للناس من
حياته المنعزلة التي لا ترمي إلى غاية معينة
كان ساكاولوف ذا ثروة مستقلة ، فقد مات
أبواه من زمن بعيد ولم يكن له من أقارب علي
الاطلاق . فكان يعيش عيشة مأمونة رخيصة هادئة ،
وقد اتصل ببعض المتديبات المشتغلة اشتغالا جدياً

اقترب عيد القيامة ، وقد أصبح « إيسبر
كونستانطينوفتش ساكاولوف » قلق النفس
متعباً ، منذ اللحظة التي سئل فيها — وهو في بيت
جوروديشيف : « أين تقضي ليلة العيد ؟ »

ولأمر ما أبطأ ساكاولوف في الإجابة على
هذا السؤال

فقالت ربة الدار ، وهي سيدة ممشوقة القوام ،
ضعيفة البصر ، ثائرة : « تعال فاقض ليلة العيد
عندنا »

واضطرب ساكاولوف ، فهل كان اضطرابه
من حركة الفتاة التي ما سمعت كلمات أمها حتى
رمقته بنظرة خاطفة ، ثم لم تلبث أن حولت عنه
نظرها مسرعة ، وهي مستمرة في التحدث إلى
الشاب مساعد الأستاذ ؟

وكان ساكاولوف فتي « مناسباً » في نظر
أمهات الفتيات الناهعدات ، وكانت هذه الحقيقة
من أسباب حيرته وضيقه ، فقد كان ينظر إلى
نفسه كأعزب عجوز وإن لم يكن قد جاوز السابعة
والثلاثين من سني حياته . ولقد أجاب على دعوة
السيدة بقوله :

سا كساولوف يرى في عينها أمارات الحب الصبي ،
إذ كان يبدو فيهما بريق لطيف كلا رآه ، وكانت
وجنتاها تصطبغان بالحرمة الخفيفة

ولكن في ليلة لن تنسى ذكرياتها أبداً ، أصغت
الفتاة إليه وكان ذلك في طليعة أشهر الربيع ، ولم يكن
قد مضى وقت طويل على ذوبان الجليد فوق النهر
وعلى اكتساف الأشجار أنوارها الخضراء الناعمة ،
وقد جلست تمارا وسا كساولوف في إحدى الحجرات
أمام نافذة تشرف على نهر النيفا ، ودون أن يتعب
الفتى نفسه في البحث عما يقول ، وعن وسيلة قوله
نطق بوضع كلمات عذبة ولكنها أعجبها ، فبهت لونها
وابتسمت ابتسامة شاردة ، ووقفت ، وكانت يدها
الرفيعة ترتجف وقد أسندتها إلى مسند الكرسي المنقوش
وقالت الفتاة في صوت ناعم رقيق : « غداً »
ثم انصرفت

وجلس سا كساولوف برهة طويلة ، وقد ملكت
اللفة نفسه ، يرب الباب الذي اختفت وراءه تمارا
واستولى على رأسه دوار لا يهدأ ، واسترعى نظره
غصن من زهر البليق الأبيض ؛ فتناوله وترك البيت
من غير أن يقرى أهله السلام

وفي الليل لم يمتض له جفن ولا عرف الكري
الطريق إلى عينه . فوقف في النافذة ينظر إلى الطريق
المظلم الذي أخذ غلامه ينقش رويداً كلما اقترب
الصباح ، وقب يتشم وهو يمشي بذلك الغصن من
البليق الأبيض ، فلما أشرق الصباح رأى أن أرض
الترفة قد غطيت كلها بأوراق ذلك الزهر الجميل .
وقد بدا له ذلك الأمر ساذجاً مضحكاً ، ثم استحم
فشعر كأنما قد استجمع حواسه المشردة ، وترك
البيت قاصداً بيت تمارا

بالآداب والفنون المصرية . وكان يهتم اهتماماً
ايقوريا بكل شيء حسن في الحياة ، بينما الحياة
نفسها كانت في نظره فارغة خالية من المعنى . ولولا
حلم وحيد بهيج يرى كان يتردى له بعض
الأحيان ، لأصابه الجود التام الذي أصاب كثيرين
غيره من الناس

— ٢ —

لقد كان جبه الأول الوحيد ، الذي اتبعه
قبل أن يزهر ، يمت أحياناً إلى مخيلته في الليل
أحلاماً حلوة حزينة ، وكان قد التقى من قبل خمس
سنوات بالفتاة الصغيرة التي خلفت في نفسه ذلك
الأثر الدائم . وكانت فتاة باهتة اللون ، رقيقة ،
هيفاء الخصر ، زرقاء العينين ، شقراء الشعر ،
وكانت تتردى في نظره ك مخلوقة سماوية ، مصنوعة
من هواء ودخان ، ألقى بها القدر اتفاقاً إلى موضاء
المدنية فترة قصيرة من الزمن . وكانت بطيئة الحركة
وكان في صوتها الواضح الحنون نغومة تشبه خرير
ماء النهر المتحدر في لطف على الصخور

وكان سا كساولوف يراها دائماً في لباس أبيض
ولا ندري إن كانت هي المصادفة التي قضت بذلك
أم كان من عادتها لبس البياض — فانطبع أثر
البياض في نفسه لا يفارق تفكيره فيها ، حتى اسمها
« تمارا » كان يبدو له دائماً أبيض كالثلج على قمم
الجبال

وشرع سا كساولوف يزور والدي تمارا وفي
أكثر من فرصة اعترم أن يحذرها بتلك الكلمات
التي تربط إنساناً بحظ إنسان سواه . ولكنها كانت
دائماً تروغ منه ، وقد فاضت عينها بأظهر معاني
الظن والالتم . فأى شيء كانت تخاف ؟ وكانت

وفي الطريق شتت الضوضاء والزحام آراءه
فامتزج تفكيره في أسرة جوروديشيف بما يصل
إلى أذنيه من صخب الجمهور ونكاته . على أنه هل
يستطيع أن ينكت بوفاته لذكرى تمارا إكراماً لأى
مخلوق سواها ؟ لقد خيل إليه أن العالم كله شيء
قافه حقير عادى ، حتى أنه تلهف إلى تمارا — وإلى
تمارا وحدها — لتأتى فتحييه تحية عيد القيامة
ثم عاد يحدث نفسه مفكراً :

« ولكنها ستحدثنى مرة أخرى بهذه النظرة
التوسلية ، ترى ماذا تريد تمارا الطاهرة الرقيقة ؟
ترى تقبل شفتاها الناعمتان شفتى الغامضتين ؟

— ٣ —

وهام ساكساوولوف في الطرقات على غير هدى ،
يفكر فى تمارا تفكيراً موجعاً ، يحدق فى وجوه
اللارة ، فيتأفف مما يرى من خشونة بادية على وجوه
الرجال ووجوه النساء على السواء . وتبين أن ليس
بين جميع هذه الوجوه وجه واحد يستطيع أن
يتبادل وإياه تحية عيد القيامة ممزوجة بفرحة الحب .
وسيشهد اليوم الأول من أيام العيد كثيراً من
القبالات تتبادلها الشفاه الخشنة وتتحرك لها اللحى
المقعدة وتشوبها رائحة الخمر .

فاذا كان لا ممدى له من أن يقبل إنساناً ما
فليقبل طفلاً . وقد بدأ ساكساوولوف تسره رؤية
وجوه الأطفال

ومضى الرجل يضرب فى الأرض وقتنا طويلاً
ثم بدأ التسب ينال منه فقصده إلى فناء كنيسة فيما
وراء الشارع صاحب بضجة الناس . وارتفعت إلى
وجه ساكساوولوف عينا طفل جالس على أحد القاعد
وقد تجل الخوف فى نظراته ، ثم قبع جامداً لا يتحرك
شاخصاً يصيره إلى الأمام لا يحوله يمنة ولا يسرة .

وهناك خبروه أنها مريضة ، فقد أصابها رجفة
من برد فى ناحية ما ، ولم يرسا كساوولوف الفتاة قط
بعد ذلك اليوم . فقد ماتت بعد أسبوعين ، ولم يحضر
جنازتها ، وصراً موتها لم يحدث فى نفسه هزة ولا
صدمة ! ولم يكن فى مقدوره أن يميز ما شعر به نحوها
أكان حياً أم كان مجرد اختتان قصير المدى طائر

وكان فى بعض الأسميات يتخيلها أمامه ، ثم
لا يلبث خيالها أن يتلاشى ، ولم يكن محفظاً بصورة
من صورها . وصرت سنوات عديدة . وفى أيام
الربيع الماضى ذكر ساكساوولوف تمارا ، ذكره بها
غصن من اللبلب الأبيض فى شرفة أحد المطاعم وقد
وضع — كثيراً — فى غير موضعه ، بين صفوف الطعام
الدمى ، ومن ذلك اليوم عاد يستعذب التفكير فى
تمارا فى ساعات المساء ، وكان إذا غفا بعض الأحيان
رأها قد أقبلت جلست أمامه ونظرت إليه نظرة
ثابتة تفيض وداعة وتدللاً وكأنما تريد أن تطلب منه
شيئاً . وكان مما يضبط صدره ويؤله أحياناً أن
يحاول إدراك ما تبتنيه تمارا بهذه النظرة التوسلية
وفى هذه الليلة عند ما غادر بيت جوروديشيف
فكر على عجل وقال فى نفسه : « ستأتى فتحيينى تحية
العيد »

وكان الخوف والوحدة قابضين لنفسه فساءل
نفسه مفكراً :

« لماذا لا أتزوج ؟ يجب ألا أكون وحيداً
فى ليالى الأعياد الالهية »

وصرت فى مخيلته صورة فاليريا ميشايلوفنا
— فتاة آل جوروديشيف — ولم تكن الفتاة جميلة
ولكنها كانت دائماً متأنقة فى لباسها ، وخيل إلى
ساكساوولوف أنها تبذل إليه وأنها لن ترفض يده
إذا هو تقدم لها خاطباً

« مع من تعيش ؟ أليس لك أب ؟ »
فأجاب الطفل وهو ينظر إلى الجمع المحيط به
بمبتين تفيضان بالدموع :

« لا ، ليس لي أب »

فقال العامل في خشوع وهو يهز رأسه :
« ليس لك من أبأبها العزيز ! فهل لك من أم ؟ »

فأجاب الطفل :

« نعم لي أم »

« ما اسمها ؟ »

فأجاب الطفل :

« اسمها أمي »

ثم فكر قليلا وقال :

« الأم السوداء »

فقال العامل الباسم :

« السوداء ؟ هل هذا هو اسمها ؟ »

فقال الطفل شارحا :

« لقد كان لي أولا أم بيضاء ، والآن لي أم

سوداء »

فقال رجل الشرطة آخر الأمر وقد استقر
على رأى :

« حسن يا ولدى ، إننا لن نعرف منك كثيرا
ولا قليلا ، فالأحسن أن آخذك إلى مركز البوليس
وهناك يستطيعون عن طريق التليفون أن يعرفوا
أين تسكن »

وقصد رجل الشرطة إلى أحد الأبواب ودق
الجرس ، وفي هذه اللحظة رآه أحد البوابين فأقبل
عليه حاملا الكسكة في يده ، فطلب منه الشرطى
أن يأخذ الطفل إلى مركز البوليس ، ولكن الطفل
تأمل قليلا ثم صاح باكيا :

وكانت عيناه الزرقاوان لطيفتين تشمان يريق حزن
الطفولة ، فهما أشبه الأعين بأعين تارا . وكان الطفل
ضئيل الجسم حتى أن قدميه لم تكونا لتتدلليا على
الأرض فذنا إلى الأمام في خط مستقيم . جلس
ساكساولوف إلى جانبه ونظر إليه في حنان ولهفة ،
فقد كان في منظر ذلك الطفل الوحيد ما يشير في نفسه
ذكريات حمة المدوبة ؛ على أنه كان طفلا عادى المنظر
في ثياب ممزقة مهلهلة ، على رأسه الأشقر الصغير
قبعة من الفرو الأبيض ، وفي قدميه نملان قذران
باليان .

جلس الطفل على المقعد جامدا فترة طويلة ثم
وقف واندفع يبكي بكاء موجعا ، وجرى في الفناء
حتى تجاوز الباب وسار إلى الطريق المام ، وهناك
وقف مرة أخرى . وكان باديا أنه لا يعرف في أى
طريق يتجه . فبكى بكاء خافتا كأنما يسر بشجاء إلى
نفسه لا يريد أن يطلع عليه أحدًا من الناس .
فكانت قطرات الدمع تنحدر كبيرة على خديه .
فازدحم الناس حوله ، وأقبل عليه رجل من رجال
الشرطة ، وسأل الطفل أين يسكن فأجاب في ثقة
الطفولة القاصرة :

« في دار جليكهوف »

فسأله رجل الشرطة :

« في أى شارع ؟ »

ولكن الطفل لم يعرف اسم الشارع وكرر قوله
« في دار جليكهوف »

وكان رجل الشرطة شابا مرحا ففكر لحظة
ثم أيقن أن ليس هناك مكان بهذا الاسم في الجوار
القريب .

ودنا عامل عابس الوجه من الطفل وسأله :

« لقد مشيت مع أمي ، ومشينا ومشينا . ثم طلبت مني أن أجلس وأنتظر ، ومضت بعد ذلك مبتعدة عني . فأصابني الخوف والحزج »
 « ومن هي أمك ؟ »
 « أمي ؟ إنها سوداء غضوب »
 « وماذا تصنع أمك ؟ »
 ففكر الطفل لحظة ثم قال :
 « إنها تشرب القهوة »
 « وماذا تفعل غير ذلك ؟ »
 فتوقف ليشع لحظة عن الكلام ثم قال :
 « تتشاجر مع الستأجرين »
 « وأين أمك البيضاء ؟ »

« لقد حملوها بعيداً . وضموها في نعش ثم حملوها بعيداً . وأني أيضاً قد حملوه بعيداً »
 وأشار الطفل بيده إلى الفضاء البعيد ثم انفجرت عيناه بالدموع

فسأله ساكساوولوف نفسه يفكر :
 « ترى ماذا أستطيع أن أعمل لهذا المسكين ؟ »
 ثم إذا الطفل ينطلق جارا . وبعد أن اجتاز عدة شوارع عرضية أبطأ خطاه مرة أخرى ، وكذلك التقى به ساكساوولوف مرة ثانية . وكان المعنى الذي لفظه على وجه الطفل خليطاً من الفرح والخوف ، وقد قال لساكساوولوف وهو يشير إلى بيت كبير قبيح النظري خمس طبقات :
 « هذه هي دار جليكهوف »

وفي هذه اللحظة ظهرت على عتبة باب دار جليكهوف امرأة سوداء الشعر ، سوداء العينين ، ترتدي لباساً أسود ، وعلى رأسها منديل أسود فيه نقط بيضاء ، فلما رآها الطفل تراجع خائفاً وقال هامساً :

« دعني أذهب فسأعرف الطريق وحدي ! »
 ترى هل أزعج الطفل من مكتسة البواب ، أم تراه حقاً قد تذكر الطريق ؟ على أي الحالين جرى الطفل مسرعاً حتى كاد يقبض عن نظرها ساكساوولوف ؛ غير أن الطفل لم يلبث أن أبطأ خطاه ، وقد أنجبه مع الطريق صمداً يجرى من أحد جانبيه إلى الجانب الآخر محاولاً عبثاً أن يهتدي إلى البيت الذي يسكن فيه . وتبعه ساكساوولوف في سكون وصمت ، ولم يكن يعرف كيف يتحدث إلى الأطفال وأحس الطفل آخر الأمر بالتعب ، فوقف إلى جانب عمود من أعمدة المصاييح واتكأ عليه وترقرقت الدموع في عينيه

فبدأ ساكساوولوف يتحدث فقال :
 « حسن يا بني ، ألا تستطيع أن تتعرف البيت ؟ »
 فنظر إليه الطفل بعينه الحزبتين اللطيفتين ، وعلى حين فجأة أدرك ساكساوولوف السبب الذي أغراه بأن يلح في تتبع خطوات الفلام في نظرة التائه الصغير وسيأته شيء يشبه ما في نظرة تمارا وسيأتهها أكمل الشبه
 فسأله ساكساوولوف في لطف ورقة :
 « ما اسمك يا عزيزي ؟ »

فأجاب الطفل :
 « اسمي ليشع »
 « أتميش مع أمك يا ليشع ؟ »
 « نعم مع أمي ، ولكنها أم سوداء ولقد كانت لي أم بيضاء »

فطن ساكساوولوف أن الطفل لا شك يقصد بالأم السوداء إحدى الراهبات
 « وكيف ضللت الطريق ؟ »

«أبى !»

فنظرت إليه المرأة — وهى امرأة أبيه — نظرة الدهشة وصاحت :

« كيف جئت إلى هنا أبى الشقى ، ألم أطلب منك أن تبقى على المقعد ؟ »

وكادت المرأة تنهال ضرباً على الطفل المسكين لولا أن رأت سيداً يحترم المنظر يرقبها عن كثب ، غففت صوتها وقالت :

« ألا يمكن أن تنتظر نصف ساعة دون أن تهرب ؟ لقد تعبت في البحث عنك أبى اللعين ! »
ثم قبضت بيدها الغليظة على يد الطفل الصغيرة وجذبت به بنصف إلى داخل الدار

فتعرف ساكساوولوف الشارع والدار ثم انصرف

— ٤ —

كان ساكساوولوف يجب الإصغاء إلى نصائح خادمه فيدوت الرزينة الحكيمة ، فلما عاد إلى بيته أخبره بقصة الطفل ليشع ، فقال فيدوت :
« لقد تركته المرأة عمداً حيث وجدته أنت .
فيالها من امرأة خبيثة تذهب بالطفل إلى هذا المكان
الثانى من الدار »

فسأله ساكساوولوف :

« وما الذى يجعلها على أن تفعل ذلك ؟ »

« لا أستطيع أن أعرف ، ولكن لاشك في أن هذه البلهاء قد قدرت أن الطفل سيهيم في الشوارع حتى يلتقطه بعض الناس . وماذا تتوقع من امرأة الأب ؟ وأية فائدة تجنيها من بقاء الطفل عندها ؟ »

فقال ساكساوولوف :

« ولكن كان في مقدور البوليس أن يعثر عليها »

« وذلك جائز ، ولكن قد تكون معترمة منادرة البلدة كلها ، وإذن كيف يستطيعون أن يقتفوا آثارها ؟ »

فابتسم ساكساوولوف وقال يحدث نفسه :
« هذا حق ، وكان يجب أن يكون فيدوت قاضى تحقيق »

وجلس ساكساوولوف على مقربة من المصباح وفى يده كتاب ، فلم يلبث أن أغفى ، فرأى في الحلم تماراً — رقيقة بيضاء — أقبلت عليه وجلست إلى جانبه ، وكان وجهها يشبه وجه ليشع شهماً مدهشاً وقد نظرت إليه نظرة ثابتة ملحة كأنها تنتظر منه شيئاً . وكان مما يؤلم ساكساوولوف أن يرى عينها البرائتين التوسلتين على هذه الصورة ولا يستطيع أن يدرك ما تريد . فهب فجأة من مكانه وأسرع إلى الكرسي الذى خيل إليه أن تمارا جالسة عليه ، حتى إذا وقف أمامه قال متوسلاً في صوت مرتفع :

« خبرني ماذا تريدني ؟ »

ولكن خيالها ثلاثي من أمامه

فقال ساكساوولوف في نفسه وقد استولى عليه الحزن :

« لم يكن ذلك إلا حلماً »

— ٥ —

وفى اليوم التالى بينما كان ساكساوولوف خارجاً من معرض المجمع العلمى التقى في الطريق بآل جوروديشيف فأخبر الفتاة بقصة الطفل ليشع فقالت فاليريا ميشايلوفنا في صوت رقيق :

« يا له من طفل — مسكين ! إن امرأة أبيه تريد أن تتخلص منه »

فقال ساكساوولوف وقد أزعجه أن تتفق الفتاة

على عينيه الناعستين ، فوقع نظره على غصن من
البليق الأبيض فوق المائدة . فساءل نفسه : من أين
جاء ذلك الغصن ؟ هل تركته تمارا شاهداً على رغبتيها
وخطر له فجأة أنه بزواجه من فتاة أكل
جوروديشيف وتبينه الطفل ليشع يكون قد حقق
رغبة تمارا . فتنفس تنفس الارتياح وسط الشذى
المطري الثابت من غصن البليق الأبيض
ثم ذكر أنه هو الذي أحضر ذلك الغصن بنفسه
في ذلك اليوم ، ولكنه لم يلبث أن قال في نفسه :
« إن ذلك لا يغير من جوهر الأمر شيئاً فليس
تفكرى في مشترائه وإحضاره إلى البيت ونسبافى
بمد ذلك أنى اشتريته إلا حقيقة واقعة تشير إلى
رغبة تمارا »

— ٦ —

وفي الصباح قصد ساكساوولوف إلى حيث يجده
ليشع ، فقابله الطفل على الباب وأراه مسكنه وكانت
امراة أبيه جالسة تشرب القهوة وتتنازع مع المستأجر
الأحمر الأتف ، وإليك ما استطاع ساكساوولوف أن
يعرفه من أمر ليشع :

ماتت أمه وهو في الثالثة من عمره ، فتزوج
أبوه من هذه المرأة السمراء ولكنه مات في السنة
نفسها ، وللرأة السمراء ايرينا ايفانوفنا طفل من
صلبها في السنة الأولى من عمره ، وكانت على وشك
الزواج من زوج جديد ، وستقام حفلة الزواج بمد
أيام قليلة ، وستذهب هى وزوجها على أثر ذلك إلى
الريف ، وكان ليشع غريباً بالنسبة إليها وهو بذلك
عقبة في طريقها :

فقال ساكساوولوف :

« أعطني »

وفيدوت في استنتاج هذه النتيجة الفاجعة من ذلك
الحادث البسيط :

« ليس هناك ما يؤكده هذا الاستنتاج »

« الأمر واضح كل الوضوح فالطفل لا أب له
فهو يعيش مع امرأة أبيه ، وهي تجد في بقاءه عندها
عبئاً ثقيلاً عليها ، فإذا لم تستطع أن تتخلص منه
بوسيلة غير جافة فلا شك في أنها ستطرده في قسوة
لتخلص منه نهائياً

فايتسم ساكساوولوف وقال :

« إنك تنظرن إلى هذا الأمر نظرة جد مابسة »

فسأله فاليريا ميشابوفنا :

« لم لا تبني هذا الطفل ؟ »

فسألها ساكساوولوف في دهشة :

« أنا ؟ »

فقالت في شيء من الالحاح :

« إنك تعيش وحيداً ، وليس لك من أقرباء ،

فلتعمل عملاً طيباً في عيد القيامة ، وعندئذ تجد

معك من تبادل تحية العيد على كل حال »

« ولكن ماذا أستطيع أن أعمل بطفل ؟ »

« جهه بمرية . والذي يبدو أن القدر قد

قد ساق هذا الطفل في طريقك لتبناه »

ونظر ساكساوولوف إلى وجه الفتاة الحنون

وقد علت حرة طفيفة - نظرة ملؤها الدهشة ، وقد

تجلى في عينيه من معاني اللطف ما لم يقصد إليه

ولما تراءت له تمارا هذه الليلة في منامه بدا له أنه

قد فهم ما تريد . وقد سمع في سكوت النرفة هذه

الكلمات واضحة ناطقة :

« إعمل بما طلبته منك فاليريا »

وهب ساكساوولوف من نومه فرحاً وصريراً

نظرة الابتهاج ! وأحس ساكساوولوف بلسة رقيقة على شفتيه ، وسمع صوتاً ناعماً يقول في لطف :

« المسيح قام ! »

ومد ساكساوولوف من غير أن يفتح عينيه ، ساعديه فماتق جسا صغيراً لطيفاً . وكان الذي عاينه هو ليشع الطفل الذي تسلق على ركبتيه ليحييه تحية العيد

فقد أيقظت نواقيس الكنائس الطفل ، فأمسك بالبيضة البيضاء وأسرع إلى ساكساوولوف واستيقظ ساكساوولوف فضحك ليشع ورفع البيضة أمام عينيه وقال :

« لقد أرسلتها لي أي البيضاء ، وأنا أعطيك إياك لتمطها للخالة فاليريا »

فأجاب ساكساوولوف :

« حسن يا عزيزي ، سأفعل ما تريد »

وأعاد ساكساوولوف ليشع إلى فراشه ثم قصد إلى فاليريا ميشايلوفنا يحمل لها البيضة هدية من الأم البيضاء ، ولكن خيل لساكساوولوف في هذه اللحظة أنها هدية من تمارا عبد الحميد حمدي

فكانت إيرينا إيفانوفنا قد شمعت بسرور خيبت « يسرني أن أوجب طلبك »

وبعد أن توقفت لحظة قالت :

« إننا يجب أن تدفع لي ثمن ملابسه »

وهكذا آوى ليشع إلى ساكساوولوف وساعدت فتاة آل جوروديشيف في الحصول على مربية صالحة وفي إعداد كل ما يلزم لإقامة الطفل . وتحقيقاً لهذه الغاية كانت تزور بيت ساكساوولوف ، وقد بدت في نظر رب الدار ، وهي منهمكة في عملها هذا ، أنسنة مغارة للتي عرفها من قبل ، وكأنها قد فتحت له باب قلبها ، وشمعت عنانها يربق اللطف والصفاء وأنس فيها جملة ما كان يأنس في تمارا من رقة ووداعة

— ٧ —

تأثر فيدوت الخادم المجوز وامرأته مما كان ليشع يروي لها عن أمه البيضاء ، وفي يوم سبت النور عندما أرقدها في فراشه علقا في نهاية السرير بيضة من السكر بيضاء وقالت له كريستين :

« هذه البيضة من أمك البيضاء ، ولكن

يجب ألا تمسها يا عزيزي إلا بعد قيام المسيح ودق النواقيس »

فرقد ليشع مطبعا وبقي فترة طويلة محذقا في البيضة الجميلة ، ثم غلبه النوم

وفي هذا المساء جلس ساكساوولوف في البيت وحيدا ، وحوالي منتصف الليل ثلث عليه شعور بالناس لم يكن في مقدوره أن يقاومه ، فأغمض عينيه مسرورا لأنه قد يرى تمارا بعد قليل . ولقد جاءته مرتدية البياض مشرقة جالبة معها عن بعد أصوات النواقيس السارة ، وأنحنت تمارا على ساكساوولوف وعلى شفتيها ابتسامة لطيفة وفي عينها

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرأتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

التم ١٢ قرشا

طَبِيبُ الْأَقْلَمِ

للقصص الروسي إيفان تورجنيف
بقلم الأستاذ عبد اللطيف المنشار

قد أخذ يفغني إلى
الآخر بسره كاملاً
كأنه أمام قسيس
الاعتراف

ولست أعرف كيف
اكتسبت ثقة هذا
الصديق الجديد الذي
أخذ بغير مقدمة

يطلقني على أسراره . وسأعيد إلى القارئ واحدة
من سيره محاولاً صياغتها في أقرب الأساليب إلى
أسلوبه . قال وقد بدأ يسرد القصة بصوت خافت
مضطرب (وهذه هي النتيجة المادية لتماطلي سموط
بيرزوف غير مخلوط بمادة أخرى تخفف من حدته)

— قال : « ربما كنت لا تعرف القاضى
(يا فال لوكوتش) ألا تعرفه ؟ على حد سواء !
لقد كنت أزوره بمنزله وكان يلعب معى بالورق وهو
مولع بهذا النوع من اللعب وعلى حين فجأة « وقد
نطق الطبيب لفظ فجأة بصوت عال وتغيرت لهجته
بعد ذلك إذ يقول :

« وعلى حين فجأة جاء التابع وقال إن رجلاً
يسأل عنى . قلت : ما الذى يريد ؟ فأجابنى بأبى : لقد
جاء بخطاب إليك ويظهر أنه من مريض . قلت :
ناولنى الخطاب . فتناولنيه ، وقلت : لقد صدقت
فراستك فالخطاب من أرملة عجوز تقول إن ابنتها
تحتضر وتمتحن إلى الذهاب . وكانت العربة التى
أرسلتها فى انتظارى ... ولكن المسافة بيننا وبينها
تربو على العشرين ميلاً ، وكنا فى منتصف الليل
والطريق من أسوأ الطرق . ولما كانت هذه الأرملة

فى بعض أيام الخريف أصبت ببرد شديد أثناء
عودتى من جزء بعيد من الأقليم الذى أقيم به .
وكان من حسن حظى أن الحى لم تمكن منى إلا
بمد وصولى إلى فندق بالمدينة فأرسلت من يستدعى
الطبيب

وبعد نصف ساعة جاء الطبيب وهو نحيل
الجسم أسود الشعر متوسط الطول فوصف لى
الدواء المألوف ودفعت إليه ورقة مالية ذات خمسة
روبلات فندسها فى جيبيه . وهم بالقيام ، وحسبته
سينصرف ولكن لا أعرف ماذا حدث فجأة .
يستأنف الجلوس ويعود إلى التحدث ، فاعتبطت
بذلك لأنى عانيت فى الليلة السالفة آلام الأرق
وكنت بحاجة إلى مثل هذا الحديث

وجئ بالشئ وأخذ الطبيب يتكلم فى حرية ،
وهو رجل ذكى يعرب عن نفسه فى شجاعة ، وفى
حديثه من الفكاهة الشئ الكثير

وفى العالم أشياء غريبة ، فقد تماشر أحد الناس
مدة طويلة دون أن تطلعه مرة واحدة فى أحاديثك
معه على دخيلة نفسك ، بينما تجد رجلاً آخر لم يكذب
يتصل بينك وبينه سبب التعارف ولكن كلا منكما

الأطباء . ودنوت من الفراش فوضعت على رأس الفتاة « لبخة » من الخردل ونظرت إلى وجهها ، فأى وجه رأيت ؟ إنى لم أؤمن قبل مثل هذا الجمال وليس فى العالم قسبات كهذه القسبات ، ولا نظرات كمنظرات هاتين العينين . وتحسنت حالتها بحمد الله فتصبب المرق من جبينها وعاد إليها وعيها فالتفتت حولها وابتسمت ثم غطت وجهها بيديها فالت أختها تسألها عن صحتها ، فأجابت إنها بخير . ثم أدركما الناس

قلت : هذه علامة حسنة ، ولكن يجب أن تترك المريضة وحدها . وخرجنا جميعاً من الغرفة عثى على أطراف الأنازل ، إلا خادماً تركناها مع المريضة وكانت الغرفة الأخرى هى غرفة المائدة . وكان فيها على المنضدة وعاء الشاى وزجاجة « الروم » فقدموا إلى الشاى . وطلبوا أن آيت بالمثل هذه الليلة فوافقت . وهبنى لم أفعل فإلى أين كنت أذهب فى مثل هذه الساعة ؟

وظلت المعجوز تكرر سؤالى عن حالة المريضة وأكرر جوابى بأنها ستميش . وأخيراً قلت لها إنها هى أيضاً بحاجة إلى الراحة . وطلبت إليها أن تذهب لتنام ، وكنا إذ ذاك فى الساعة الثانية صباحاً فقلت : ولكن هل توقظى إذا حدث شئ ؟ قلت : نعم

فذهبت المعجوز وينتاها بعد أن هبات لى فراشاً فى غرفة المائدة ، ولكنى لم أستطع النوم لأنى كنت فى نهاية التعب ، وكنت لا أستطيع منع نفسى عن التفكير فى المريضة ، وأخيراً عجزت عن مقاومة ميلى فقممت لسكى أراها

فمت إلى غرفتها ففتحت الباب برفق ، وما كان أشد خفوق قلبي ... ونظرت فرأيت الخلام نائمة

فقيرة فالطبيب لا ينتظر على هذه المشقة أجراً يزيد على الرولين . وقد لا يبلغ الأجر هذا القدر . ولكن الواجب فى نظر الطبيب أهم من كل شئ . وخرجت فوجدت العربة بالباب . ووجدت السائق جالساً فى مكانه وقبعته على رأسه لم يرفها لاستقبالى ، ولم يظهر لى أى مظهر للاحترام ، فقلت فى نفسى : هذا حسن جداً ، فانه يدل على أن القوم أغنياء ... أراك تبسم ! ولكن فقيراً مثلى يجب أن يضع كل ملاحظاته فى موضع الاعتبار ، فإذا كان السائق جالساً كأنه أمير ، وإذا كان لا يحييك عند ركوب العربة بلبس قبعته كان لك أن تظلمن على أن الأجر لن يقل عن ستة روبلات

ركبت العربة ومضى المقاقير التى توقعت أنها لازمة . ولا أطيل عليك فى وصف الطريق وأحواله ومستنقعاته ، ولكنى أقول إنى وصلت فى النهاية فوجدت المنزل حقيراً . وكان النور ظاهراً من وراء النافذة دلالة على أنهم كانوا فى انتظارى . وتلفتنى امرأة عجوز تبدو عليها كل علامات الاحترام وقالت : أتقدها فاتها تحتضر

قلت : لا تخافى . أن هى المريضة ؟ فقالت : اتبنى . ورأيت فى ركن من الغرفة فتاة فى العشرين قائدة الرمح وحرارتها فى درجة الاحتراق وهى تنفس فى مشقة وبجانبها أختها تبيكان

وقيل لى إنها بالأمس كانت فى صحة جيدة ، وكانت قوية الشبهة للطعام ، وفى الصباح شكت من وجع فى رأسها ، وفى المساء صارت فجأة إلى الحالة التى تراها

قلت : لاداعى للخوف وأنت فقد تعلم أن مثل هذا القول من واجب

خطر جدى ، والثانى - ولا بد لي من الاعتراف به -
أنى شعرت باليل إليها ، لا بل إلى الأسرة كلها .
ومع أنها أسرة فقيرة فهي مثقفة مهذبة . وقد كان
والد الفتيات أديبا مؤلفا ، ومات فقيرا بالطبع ولكنه
ترك بناة مثققات متعلات ولعل هذا السبب (أو لعل
سببا آخر) هو باعث ميلى إلى الأسرة . ولكنى
أؤكد أنهم عاملون كما لو كنت فردا من أسرهم
وفى الوقت نفسه كانت حالة الطرق تزداد سوءا .
على سوء ، فإ كنت أستطيع العودة لو أردت .
وكذلك كانت حالة الفتاة لا تزداد إلا سوءا ؛
ومضت على هذه الحالة أيام

ثم سكت الطبيب لحظة وبدت عليه علامة
التفكير واستأنف القول فقال : ولست أعرف كيف
أخبرك ...

وهنا تناول مقداراً آخر من السعوط وشرب
جرعة من الشاي وقال : سأخبرك بغير مقدمة ...
ولكن ماذا أقول ... ؟ إن الرخصة أحتجى ...
لا أعنى أنها هى التى أحتجى ... كيف أقول ؟
واختضب وجه الطبيب احمرارا وقال : لا أريد

أن أقول إنها أحتجى ، فعل الرجل ألا يتألى فى
تقدير نفسه . وهى متعلقة واسمة الاطلاع ، وأنا
لا أكاد أذكر مانعته من اللغة اللاتينية ، وليس لى
ما أستطيع أن أبهى به ؛ ولكن الله له الحمد لم
يختلف أبه فلست أرى فى الواحد أنه اثنان ولا فى
الأسود أنه أبيض . ولهذا استطعت أن أتبين أن
ألكسندرا أندريفا - وهذا هو اسم المريضة -
لا تخفى ، بل هى تشعر بصدقة زود - أعنى بميل
واحترام - وإن كانت هى نفسها تخطئ فى تقدير
شموها الحقيقى يحوى

وكان الطبيب يلقى الجمل الأخيرة فى سرعة شديدة

مفتوحة الفم وهى تغط ... تلك التهمة الملعونة !
أما الفتاة فكانت متجهة الوجه إلى مبسوطة
الذراعين ... تلك المسكينة !

دونت منها ففتحت عينها فجاء ورأتى فازجعت
وقالت : من أنت ؟ من أنت ؟

قلت : لا تخافى ياسيدتى فأنا الطبيب . غدقت فى
وجهى وقالت : أنت طبيب ؟

قلت : نعم وقد استدعنى أمك من المدينة ...
لا بأس عليك ، إنك الآن أحسن مما كنت عليه منذ
ساعتين ؛ وبعد يوم أو يومين تستطيعين القيام والمشي
فقلت : لا أريد أن أموت ، لا أريد أن أموت .
أقذنى !

وانتابها حالة الحمى فجسست نبضها وقلت :
هدئى من روعك . فظفرت إلى ثم تناولت يدي
وقالت : سأخبرك لماذا لا أريد أن أموت ... نحن
وحدنا هنا . لا تخبر أحدا ... لا تخبر أى أحد
وأنتست ، فزدت دواؤها ، وهمست فى أذنى وشعرها
يلمس خدى . وأنا أعترف بأن دوارا كان يعتربنى
لذاك ، وكانت تتكلم وأنا لا أفهم لأنها محومة .
وكأنها كانت تنطق بغير اللغة الروسية . ثم انتهت
من همسها وأشارت إلى بأصبعها إشارة تحذير
وقالت : « إياك أن تخبر أى أحد »

فظمأنها وأسقيتها الدواء ثم أيقظت الخادمة
وخرجت

وهنا تناول الطبيب شيئا من السعوط وتبلد من
تأثيره وقال : وفى اليوم التالى لم تتحسن صحة المريضة
خلافا لما كنت أتوقع . وفكرت ثم فكرت ،
فقررت أن أبقي بهذا المنزل ولو أن سائر مرضاى
فى انتظارى

وذلك لسببين : أحدهما أن هذه الرخصة كانت فى

ولم أترك قط غرفة المريضة إلا للضرورة ،
وكنت في ملازمتي إياها أقص عليها القصص السلية ،
أو ألعبها لعبة الورق وأسهر بجانب سريرها في الليل ؛
وكانت أمها تشكرني والسموع تتحدر من عينيها
فأقول في نفسي : إنني لأستحق شكرها لأنني أعاني
هذه للشقة بدافع الحب . وقد بلغ من ميل الفتاة
إليَّ أنها في كثير من الأحيان لا تسمح بوجود أحد
غيري في الغرفة . وكانت تكثر في حديثها معي من
إلقاء الأسئلة على " قسألني مثلاً : أين تعلمت وأين
أعيش ؟ وتساألني عن أحوال أسرتي ، وعن اعتدت
أن أأبليهم . وكنت أشعر بأنه يبنى لها ألا تكثر من
الكلام . ولكنني من جهة أخرى لم أكن قادراً
على حمل نفسي على منها
وكنت أحياناً أضع رأسي بين يدي وأفكر في
الحاجة التي ارتكبتها ، فتأتي الفتاة وتمسك يدي
وتمسح نظرة طويلة . وكنت أحس حرارة يديها
الدالة على الحمى والألم في عينيها علائم الملل من مرضها
الشديد ؛ وكانت تصفني بأني رجل طيب وتقول إنني
أفضل من كل جيرانها . ونأسف لأنها لم تعرفني من
زمن قديم ، فكنت أشكرها وأقول : إنك لا تعرفين
مقدار ما اكتسبته وإنك سوف تشفين
ولا بد من إخبارك بأن هذه الأسرة كانت
قليلة الاتصال بالجيران لأن جيرانها لم يكونوا في
مستواها من حيث الثنى ، ولأن عزة هذه الأسرة
كانت تمنعها عن الاتصال بالأقرباء
ولقد كنت أشعر حين تمد يدها لتأخذ من
يدي الدواء وحين تستعين بي على النهوض ، وحين
تنظر إليَّ فظارتها الطويلة — كنت أشعر عند
ذلك بأن قلبي يكاد أن يتمزق ؛ وكانت حالتها تزداد
سوءاً في اطراد مستمر . وكنت أرى أنها ميتة
لا حالة

وارتباك ظاهر . ثم شرب بقية الشاي وقال بصوت
أقرب إلى الهدوء من الصوت الذي كان يتكلم به ،
قال : وكانت حالة المريضة تزداد سوءاً على سوء .
وأنت أيها الصديق قد لا تستطيع أن تفهم الأدوار
التي يمر بها الأطباء خصوصاً عند ما يتصور الطبيب
أنه فقد سيطرته على المرضى . ففي هذه الحالة يفقد
ثقته بنفسه ويحزن ويتصور أنه نسي كل شيء عرفه
ويخال أن المريض فقد ثقته به ، وأن الناس يرتابون
فيه ويتهايمسون عليه . والناس متى رأوا مريضاً
اعتقدوا أنه لا بد له من دواء ، وانتظروا من الطبيب
أن يأتي بدوائه فإن لم يستطع عدوا ذلك دليلاً على
جهله ؛ ويعرف الطبيب عنهم هذه الحقيقة فيثبت
بدواء ، ثم يمدل عنه إلى غيره ، ثم يتناول كتاباً
من كتب الطب فيختار دواء ثالثاً ، وقد تكون
المصادفة وحدها هي مبنى هذا الاختيار ؛ وإلى هذا
الحال يكون المريض قد وصل إلى درجة الاحتضار ،
ويخطر ببال الطبيب أن طبيباً آخر قد ينقذ مريضه
فينصح بالاستشارة الطبية . ولو اطلعت على نفس
الطبيب عند ذلك لعرفت أنه إنما يود أن يشرك معه
أطباء آخرون حتى لا ينفرد بتحمل المسؤولية عند
الوفاة . على أنه في الواقع ليس تمت ما يبعدو إلى الارتباك
فإن الموت يكون مقضياً به على المريض ، وليس الوزر
وزر الطبيب فقد أدى ما يجب عليه بميله وفق القواعد
التي تعلمها . ولكن الصعوبة الحقيقية التي يمانها
الطبيب هي شعوره بالعجز عن تأدية خدمة لمريضه ،
وهذه هي الحالة التي عاينها مع ألكسندرا أندريفنا ،
فإن الأسرة نسيت أنها في خطر . وأنا كذلك أخضت
أؤكد أن الخطر قد زال ، ولكن قلبي كان يشعر
بسمه ثقيل . ومما زاد في تعمي أن حالة الطرق ساءت
جداً فكان السائق كلما ذهب بالعربة لشراء الدواء لم
يعد إلا بعد بضعة أيام

أساور وجهها ، فارتجعت وقلت : لا تخافي لا تخافي
 قالت : انني لا أخاف الموت . ثم جلست فجأة
 وأسندت رأسها إلى ذراعها وقالت : أشكر لك
 أن صدقتني وأرحمتني . وإنك عطوف حنون ، إنني
 أحبك . ثم نظرت إليّ كظفرة المأخوذ فاضطربت .
 واستمرت تقول : هل أنت سامع ؟ إنني أحبك .
 قلت : ولكن يا ألكسندرا كيف استحق . ؟
 فقالت مقاطعة : كلا كلا إنك لم تفهمني . ثم أمسكت
 بذراعي ووضعت رأسي بين كفيها وقبلتني
 وصدفتني لقد كنت أبكي عند ذلك وجثوت
 تحت قدميها . ودفنت وجهي في الوسادة ، فلم تتكلم .
 وكانت تمسك بيدها في شعري وأنا أصنئ ثم بكيت
 فهدأها وأخذت أوكدها ... ولكنني كنت في
 الواقع لا أعي ما أقول

ثم قلت إنهم سيسيقظون يا ألكسندرا . يكني
 يكني . فقالت لا أبالي . وإذا استيقظوا فليأتوا ، فاني
 لأهتم ... إنني أموت وماذا تخافأت ولماذا تخافني ؟
 ارفع رأسك أم لملك لا تخشى وأنا المخطئة ... إن
 كان كذلك فاني أعتذر إليك

قلت : يا ألكسندرا ، ماهذا الذي تقولين ؟ إنني
 أحبك يا ألكسندرا . فنظرت إلى عيني وفتحت
 ذراعيها وقالت : إذن فضمني بين ذراعيك
 وأخبرك بالحق أنني لم أعرف كيف لم أجن في
 هذه الليلة ؟ إن المريضة كادت تقتل نفسها وقد
 بدت لشدة ما اعترأها من التفكير كأنها ليست هي ..
 وأدركت أنه لولا معرفتها بأنها موشكة على الموت
 لما فكرت في أمرى . قل ما تريد ولكن من
 أصعب الصعوبات أن يشعر الانسان بأنه مقبل على
 الموت وهو لم يتجاوز الشرين دون أن يبالغ الحب ،
 ذلك هو الأمر الذي دفعها إلى اليأس . فأمسكت بي

وصدفتني إذا قلت إنني وددت لو سبقتها إلى القبر .
 وكانت أمها وأختها ينظرون إلى وراقبني وقد
 بدأت تفتن بي تترعنغ . وخار عزمي فلم أستقر
 على رأى

وفي إحدى الليالي كانت الخادم نائمة في الغرفة
 وكانت تنط غليطها المتاد . ونظرت إلى الفتاة فلم
 أجد جمالها قد قل على الرغم من شدة ذبولها وهزالها ؛
 وكانت وطأة الحنى شديدة عليها في تلك الليلة فظلت
 تتقلب على الفراش إلى منتصف الليل ثم ظهرت كأنها
 نائمة . وكان الصباح موقداً في ركن من الغرفة تحت
 الأيقونة القدسة ، جلست هناك مطرق الرأس ،
 وأدركني النعاس لحظة ثم استيقظت فجأة عند ما
 شعرت بيد تلمسي . ونظرت فראيت ألكسندرا
 أندريفا ، وقد تقلصت شفتاها والهب خذاها مثل
 التهاب النار وقالت : هل أموت يا دكتور ؟
 قلت : لا سمح الله

فقلت : لا تقل لي إنني سأعيش ، لا تقل
 كذلك ... أصغ بالله ولا تكتم عني حقيقة حالي
 ثم أسرع أنفاسها وقالت : إذا كنت أعرف
 أن موتى قريب فاني سأقص عليك قصتي كلها
 قلت : بالله يا ألكسندرا ... فقالت مقاطعة :
 أصغ إليّ إنني لم أكن نائمة . ولكنني كنت أنظر
 إليك مدة طويلة . لقد وثقت بك فأنت طيب
 شريف . وأرجوك بكل مقدس في الحياة أن تخبرني
 بالحقية هل أنا في خطر ؟

قلت : ماذا أقول لك يا ألكسندرا ؟
 فقالت : أستحلفك ألا تكتم عني
 قلت : لا أكنتمك فأنت في خطر أكيد ،
 ولكن الله رحيم . فقالت : إنني سأموت . وبدأ
 عليها كأنها مسرورة من لقاء الموت . وأشرقت

ولما رأت المريضة أمها قالت : « لقد أحسنت إذ جئت فقد تبادلنا الوعد وكلانا يجب الآخر »
 قالت الأم : « ما الذى تقول الفتاة ، وماذا تقول أنت يا دكتور ؟ »

فقلت : « إنها تهذى ففى فى نوبة الحى »
 قالت الفتاة : « ما هذا ؟ إنك كنت تقول لى غير ذلك منذ لحظة وقد قبلت خاتمى ، لماذا تتظاهر ؟
 إن أى طيبة وسوف تصفح . إنها تدرك أنى أموت لا داعى إلى الكذب ... مد إلى يدك ! »
 فوثبت من مكاني وفترت من الغرفة ، وقد أدركت المعجز بالطبع حقيقة ما كان ...

ولا أريد أن أتنبك بالاطالة فى هذا الحديث وأنت تدرك أن هذه الذكرى تؤلى ، وقد ماتت مريضتى فى اليوم التالى فبرحها الله
 ثم نهدي وقال : « وقبل موتها طلبت إلى أهلها أن يخرجوا ويتركوا وإياها وحدنا فى الغرفة ، وقالت : ساعنى ... إننى أنا المومة .. إن مرضى .. ولكن صدقنى إننى لم أحب أحداً أكثر مما أحببتك . احتفظ بخاتمى)

ووقف الطبيب لينذهب ثم قال : إنه يكره الذهاب إلى منزله عند ما تكون زوجته مستيقظة لأنها تكثر من تعنيفه ، ولأنه يكره بكاء الأطفال
 وقال : « بعد ذلك تزوجت من بنت تاجر ، وأخذت بائنة قدرها سبعة آلاف جنيه واسم زوجتى أ كولينيا وهو اسم يتناسب مع اسم تريفون ولكن زوجتى مفقودة الصبر وهى بحمد الله تنام أكثر أوقاتها
 ولما سكت الطبيب دعوته إلى أن يلاعبنى لعبة الورق فخرج منى روبلين وعاد إلى المنزل وهو مسرور بما ربح
 عهد الطبيب النشأ

ولم ترد أن تتركنى ، وهى تقول : « كن رؤوفاً بى . أشفق على . ما الذى تفكر فيه ؟ أنت تعرف أنى ساموت . إننى لو كنت سابقى على قيد الحياة فانى أحجل . نعم ولكن لماذا أحجل الآن ؟ »
 قلت : ولكن من الذى قال إنك ستمتوتين ؟
 فقالت : دع هذا القول فانك تخدمنى . إنك لا تعرف كيف تكذب فان وجهك ...
 فقلت : إنك ستعيشين يا ألكسندرا ، إننى سأشفيك ، إننى سأطلب من أمك أن تباركنا وستزوج ونكون سعيدين
 قالت : كلا إننى ساموت ، ولكننى متمسكة بوعدك وإنك وعدتني ... إنك قلت لي ...

ولقد كان خطأ منى أن تسرعت فى القول . سألتنى عن اسمى الأول ، وكانت قبل ذلك تدعونى كما يدعونى سائر الأسرة بلقب الدكتور ، ولا بد هنا من الاعتراف بأن اسمى (تريفون) ليس من الأسماء أنساسة فقلت : اسمى تريفون إيتانثش . فهزت رأسها وقالت كلات باللغة الفرنسية ، وقد كانت هذه الكلمات بالطبع دالة على الاشتراز من هذا الاسم ثم ضحكت وقضيت سائر الليلة معها وكنت أحس بأنى أسير بخطوات سريعة نحو الجنون

ولما دخلت غرفتها للمرة الثانية كنا فى الصباح بعد تناول الشاى وكنت لا أعرفها فان المولى عند الدفن أشبه بها من الأحياء ، وإننى أقسم لك أنى لم أفهم كيف جرت الأمور على هذا النوال ثلاثة أيام على التوالى ولا أعرف ما الذى كانت تقوله لى بالليل ، وتصور أننى فى الليلة التالية كنت أصلى وأدعو الله أن يأخذها إليه

وعلى حين فجأة جاءت الأم وكنت قد أخبرتها فى الليلة السالفة بأن الأمل قليل وأن الأفضل استدعاء القسيس

فَدَرَفَتِ الْمَاضِي الْبَغِيضُ

لِلأَسْتَاذِ أَدِيبِ عَبَّاسِي

اللازمة والحرص
المحتوم أن يرهف
الناس الاجتماع ويحدوا
الأبصار ويضاعفوا
الانتباه كلما لاح لهم
النوري أو النوري من
بعيد أو من قريب ،

ويعلم أن ربة الدار لا تحسب في الحريصات اللاتي
لا يتفعلن بسهولة إذا لم تجر كل مساء تفتيشاً دقيقاً
على محتويات البيت كلها هبط البلدة نفر من النور
أدرك عبد الكريم إذن أسباب انقباض السكان
واستراحتهم ، ولم يجد أول الأمر حيلة يدفع بها
أسباب الريب سوى أن يتكف هو وذووه في
البيت ما أمكنهم الاعتكاف . وقد رأى عبد الكريم
يوماً أن ينكر الأصل الذي يتون إليه فلم يفلح .
فلقد كان في سياهم جميعاً ومعارفهم ونبرات
أصواتهم وحركاتهم وسكناتهم ما لا يحدى معه إنكار
ولا تنكر ؛ هذا عدا ما بوغت الصغار مرة
أو مرتين يتراطنون بلسانهم الخاص برغم ما حذرهم
أبواهم ونهياهم عنه أشد التحذير والنهي

وطال انتظار المائلة أن تحف الريبة والتحوط
فيستطيعوا أن يتصلا بالسكان ويواصلهم ، ولا سيما
أنهم جاءوا يطلبون رزقهم عن طريق العمل الشريف
لا من طريق التطفل والتسول والسرقة كما هو دأب
أبناء جنسهم . فقصموا أخيراً على تحذي ارتياب
الناس وخرجوا من مسكنهم وبرزوا للناس
وواجههم مواجهة في الأزقة والشوارع وفي سوق
البلدة والساحات العامة دون استخفاء ولا وجل .
ولقد كان لذلك أثره المحتوم ، تخفيت إلى حد بعيد
(٥)

هبط البلدة عبد الكريم البرجي هو وزوجته
الشابة وبنوه الصغار : حسين ومحمود ووصفي ،
وأخذوا لهم مسكناً غرفة مفردة في حي من أحياء
البلدة المتوسطة ، وعزموا أن يعيشوا عيشة هادئة
مستقرة يستريحون منها من الضرب في الآفاق إلى
آخر العمر . ولكن عكر عليهم هذه الآمال وشرذ
تلك الأحلام ما لاحظته عبد الكريم وزوجته صفة
من انقباض السكان عنهم انقباضاً ملحوظاً كمد حلوا
بينهم ، ثم ما جاء بعده من استراية وحيلة تبدوان في
وضوح وصراحة على جميع الأجوار . ولقد حاول
الصغار في اليومين الأولين أن يختلطوا بصبية الحي ،
ولكنهم كانوا في كل محاولة يجدون أنفسهم وحيدين
حيث وقفوا ، وينظرون فاذا الصبية عادوا وعقدوا
لهم بعيداً حلقة أخرى يستأنفون فيها ألعابهم . ولقد
فهم الاخوان الثلاثة بما رأوا من سلوك صغار الحي
ومما فسره لهم أبواهم أن وجودهم بينهم غير مرغوب
فيه ، وأن عليهم أن يكفوا عن لحاقهم ، ويكتفوا
باللعب بعضهم مع بعض ، فأذعنوا لذلك كارهين

ولم يجد عبد الكريم البرجي صعوبة في تبيين
أسباب هذا الانقباض والاستراية في سكان الحي .
فقد اعتاد أن يرى مثل ذلك حيثما حل المعمار
نفر من أبناء جنسه ، بل هو يعلم أنه أضحي من الحيلة

في الآفاق ، ولكن حرمة إياه حياة الاستقرار التي اصطنعها أخيراً

وأراد عبد الكريم أخيراً أن يكتسب تقدير الناس واحترامهم. بعد أن أزال من نفوسهم كل أثر للرية وسوء الظن ، فأدخل بنيه الثلاثة مدرسة البلدة يثقلون مبادئ القراءة والكتابة والحساب والتركية كغيرهم من أبناء البلدة

ويبدأ أبناء عبد الكريم نشاطاً وهدوياً في الدرس ، فيكونون في طليعة لداهم طيلة السنوات التي قضاها في مدرسة البلدة . وزور المدرسة في آخر العام مفتش معارف أولاية وهو رجل تركي ، ويحتجب اقتباهه أبناء عبد الكريم بسيئاتهم وقساوتهم الخاصة ، فيسألهم في بعض ما تملوه ويجيبونه أجوبة تسره ، فيسأل عنهم . وحيناً يخبرونه من أبوم وكيف أثر حياة الاستقرار على حياة التطويف والانتقال تستولى عليه الدهشة والاحجاب ويمت وراء أيهم ، ويحضر هذا ويسأله المفتش لماذا أثر حياة الاستقرار دون أبناء جنسه ولماذا هو يمت أبناء إلى المدرسة ؟ فيجيب جواباً موفقاً إذ يقول : « نحن يا سعادة البك نرغب أن نكون خداماً ناضجين للدولة إذ نختار حياة الإقامة والاستقرار ، ونعلم الأبناء ليمسحوا قاذرين على خدمة الدولة الخدمية الصالحة المفروضة على كل عماني أمين » ويسر المفتش سروراً كبيراً بهذا الجواب ويقول : « عفارم عفارم عبد الكريم ! إننا سوف نرسل بنيك على نفقة الدولة إلى المدرسة التجهيزية ليكونوا خداماً صالحين للدولة كما نرغب »

ولم يستطع عبد الكريم أن يجيب على هذا

نظرات الارتباب وخف التهامس بين الناس كلما مروا قريباً منهم ، وناب إلى ربات الدور بمض اطمئناتهن فاستطاعت صفة أن تلقى عليهن التحية وتقف دقيقة أو دقيقتين تحدثن دون أن يفرن ويفرط عقدهن أو يتحسسن حلين خشية أن تطير من حيث لا يحتسبن أن تطير

وزاد اطمئنان السكان حيناً رأوا عبد الكريم يعمد إلى غريال كبير ويملاه بالفواكه والخضر والسحارة المشوية^(١) والحصص المسلوقة وخلافها مما قد يتسع له هذا الغريال ، ويمحله على رأسه ويدور على الساكن من الصباح إلى المساء يبيع ما يستطيع ييمه ثم يعود إلى منزله لا يبرحه إلا في صباح اليوم التالي . فلقد أقتنهم هذا بأن عبد الكريم عازم عزماً أكيداً أن يعيش من كديده لا مما يستطيع أن يناله بالسرقة والتسول

هذا وقد برزت عناصر الطيبة والأريحية في البلدة حيناً رأوا عبد الكريم يخرج على تقاليد الجنس ويصطنع هذا الأسلوب من الحياة المستقرة ، ويعيش مما يحصله بكدي يمينه وعرق جبينه ، وغدت ربات البيوت لا يشتري من السوق شيئاً يستطعن شراءه منه ، بل غدون يوصيته بأشياء وحاجات معينة يأتيهن بها من السوق وينال عليها رجحاً يسيراً

وتحسنت أحوال العائلة وصار عبد الكريم يستطيع أن يتخذ له دكاناً يستقر فيه ويمرض للناس سلمه ، ولكنه أثر أن يظل دائماً متجولاً ، وكأنه بذلك يلبى بطريقة محوكة مصفرة ما غرسته الأجيال في دمه وداقته في أعصابه من حب التجوال والضرب

(١) السعارة نصيب « الملاق » العامة

عمله . فقد كان في سميت حسين المستكين وإحدى
العاهات اللازمة له ورسوب أخويه رسوباً شنيعاً
ما جعلهم يشفقون عليه ويماملونه معاملة لينة ، ولا سيما
أنه كان أقل إخوانه انصرافاً عن الدرس إلى اللهو
والاستهتار

وأرسلت النتائج المدرسية للإخوان الثلاثة إلى
مفتش المعارف فقرر فصل محمود ووصفي وإبقاء
حسين . وبلغت عبد الكريم نتائج بنه تلك وما
قر المفتش حيالها ، فأقامه ذلك وأقصده ، ولم يقر
له قرار حتى ذهب يني مقابلة المفتش لعله يستعطفه
ويصرفه عما دبر لابنيه الفاشلين ، ولكن المفتش
أبى أن يقابله ، فلقد أحقنه أن يرى ثقته واختياره
يقمان على هم فاشلة ، واستعداد ضريف ، ولكن الأب
لم يئأس ولم يفت في عضده أن منع الدخول على
المفتش في مكتبه ، فترصد له في الشارع المؤدى إلى
بيته ، وحالاً لعله يخرج من المكتب يني المنزل أقبل
راكضاً من بعيد ، وأكب على يديه ورجليه وما
زال يبكي ويتعجب ويستغفر لبنيه إلى أن رق له
ووعده بأن يعيد بنه جيماً إلى المدرسة ليحجزهم
سنة أخرى ، قضى عبد الكريم ودموع الحزن
والشكر تبلل وجهه ، ودعا للمفتش أحر الداء
وعاد على وجهه كل سمات النصر الدليل والنجاح
الضارع

وقبل أن يعود أبناء عبد الكريم إلى المدرسة
في العام الجديد استدعاهم المفتش إلى مكتبه وأنهم
تأنياً شديداً صريراً على تقصيرهم وسيرتهم اللرية ،
وأخذ عليهم الموائيق في أن يقلبوا عن حياة اللهو
والاستهتار وينكبوا على عملهم الدرسي وينصرفوا

الانعام الكبير إلا بالإهتيال على يدى المفتش يقبلهما
بشدة ودموع الفرح والنبطة تفيض بها أجفانه
وتسح منهمرة على يدى المفتش النعم

أدخل أبناء عبد الكريم البرجي المدرسة
التجهيزية كما وعد المفتش أباهم ، ولم يفتر لهم هم أو
يخبو سبي أول ما دخلوا المعهد ، فكانوا أمثلة جيدة
في صدق العمل وحسن الاجتهاد ، ولكن الانتقال
من بيئة القرية المحدودة إلى محيط المدينة الصاحب
بدون تدرج في هذا الانتقال أو تمهيد له يكون له
غالباً مثل نتيجة الانتقال من المحيط الظلم إلى المحيط
الشديد الاضاءة ، فتفشى الأبصار وتروغ الأنظار
أمدأ بطول أو يقصر حسب استعداد الأشخاص
لسرعة التكيف والتحول السليم من حال إلى حال .
ومن هنا لم يلبث أبناء عبد الكريم إلا شطراً
يسيراً من العام حتى أدركو الفارق الكبير بين
حياة القرية ومتعها الضئيلة التافهة ، وبين
ما تتكشف عنه حياة المدينة كل يوم من متع أسرة
ولذائد مغرية . ولم يكن من حياة البلدة وتماذج اللهو
فيها — إن صح أن ينسب إليها اللهو — ما يستطيع
أن يتهدها أبناء عبد الكريم فيكون لهم جسراً
ينتقلون عليه آمنين من عدوة إلى أخرى من عدوات
الحياة . لم يكن لهم شيء من الخبرة السابقة والقدرة
على تمييز سليم اللهو من الموبق ، فكان لذلك أثره
المحتوم في نتائج عملهم عند نهاية العام ، فربس
محمود ووصفي رسوباً شنيعاً ، ونجح حسين نجاحاً
لله كان أعود إلى شعور الاشفاق في صدور المدرسين .
منته إلى جهد صادق من حسين وتقدير عادل لنتائج

طريق الفرور والدعوى إلى حد الاستهتار بهم والاحتقار الشديد لهم ، فخارت ثأرتهم وأقبلوا يسبقونهم بالسنة حداد ويردون على استهتارهم واحتقارهم إلام باستهتار واحتقار أشد . ولكن القريب أن ذلك لم يوقفهم عند حد من الفرور والاستهتار ، فكأنهم أمثوا على أنفسهم من ناحية علمهم ومعرفتهم ، فعدا لا يهمهم أن يهاجوا من أى نواحى الهجوم . وقد أعاظ هذا الموقف غير المبالى أهل البلدة وأحفظهم ، فأداروا رؤوسهم هنا وهناك يلتسمسون ناحية ضيقة فى هؤلاء الفرورين ، فينفذون إلى مكان من الفرور فيهم ، فيقتلونه فيهم أو يقتلونهم به . وكما ينزل الوحى فجأة تنهبوا فجأة إلى أن الاخوة من ذلك الجنس الذى يضرب المثل به فى الحفارة وهوان الشأن والحطة . ولم ترحمهم البلدة الموتورة فى كرامتها ، فانتشرت لفظة « النور » ومشتقاتها فى طول البلدة وعرضها وغدت على كل لسان ؛ وصرت حيثما ذهب لا تسمع إلا : النورى ، النورى ! استنور القوم ! ما أنورهم ! قبح النور من أجل النور ! وما إلى هذه الألفاظ والتمايز مما هدى القوم إليه الحقد والضغينة . وفلت هذه الموجة الصاخبة فعلها فردتهم إلى نفوسهم ، ثم اكتسحتهم اكتساحاً ، فمادوا يتقيمون اتقياً شديداً فى مسكنهم كمثل ما ألقوا إليه أول ما هبطوا البلدة . وشعروا بمرارة آلمة إذ رأوا كل ذلك البناء الذى بنوا بنهار عند كلبة واحدة (النور) ، وشعروا كذلك بحقد وكراهية بالغة — لأهل البلدة — بل لذلك الوالد الذى « أبى أن يكون إلانوريا ! » وكما أخذوا يتمنون (يجمع أنوفهم) لو أنزلوا من صلب غير صلبه !

إليه عن كل ما عداه ... وخرجوا من لده وفى سماتهم وخطواتهم كل دلائل التلذذ والفراسة والانفراج بعد حساب عسير ورهبة

عاد الإخوة الثلاثة إلى المدرسة التحضيرية ، وكأن نفاش الفئس أو تهديده ثم ما يكون عادة من رد الفعل القوى لكل فعل قوى ، قد أتابت إليهم بعض غريبتهم والمآزب من رشدهم ، فأقبلوا على دروسهم إقبالاً إن لم يحقق لهم التبريز فقد جنبهم الفشل . وظل ذلك دأبهم إلى أن خرجوا من المدرسة بعد بضعة أعوام يحملون شهادتها ويحملون فى الوقت عينه شيئاً غير يسير من صلف المعرفة الناقصة وغرور العلم الفج . هذا إلى ذكريات لوقائع ومناصرات عديدة ما فتئوا يوماً يباهون بها ويقولون : « لقد كنا كالحيثان فى البحار تفتح أفواها لتستقبل جميع أنواع السمك بلا تفرق بينها ثم لا تجد معها مع ذلك صعوبة فى هضمها جميعاً وتحليلها ! »

وقد استقبل أهل البلدة أبناء البرجى استقبالا حسنا وطفقوا يهتفون أبويهم أحر التهنة ويتمنون لهم أحسن المستقبل وأفضل العمل . وكأن الإخوان الثلاثة فهموا من إقبال أهل البلدة على تهنتهم والاستبشار بمستقبلهم أنهم جاؤوا يقرون لهم بالفضل المطلق ويبايعونهم على إمارة العلم والمعرفة فأدار ذلك رؤوسهم وضاعف غرورهم وصلفهم إلى حد لا يطاق . وقد احتملهم أهل البلدة أول الأمر إذ ظنوا أنها نشوة النجاح لا تلبث أن تزول ويحل محلها الاتزان والتقدير الصحيح للأمور ، ولكنهم لاحظوا أن أبناء البرجى يحضون فى

وفرا من المال... وينظر الأب إلى هذا المال الكثير غيبته إلى أن بنه يسرفون في معيشتهم ، وأن عليه أن يجد من غرب أهوائهم وبنه من شهواتهم . وتهاجم هذه الفكرة هجوماً هيناً أول الأمر ، ثم يمود هجوماً عنيفاً أشد العنف . ويتقدم أخيراً إلى بنه وينبههم بمرارة وحدة إلى إسرافهم البليغ وتبذيرهم الشديد . ويستغرب الأبناء هذا المظهر الطارىء من أبيهم ويقولون : « ما لك تركتنا نعيش كما نشاء والمال قليل بين أيدينا ، وتجيء الآن — وقد أسبغ الله علينا نعمة — تريد الحد من أسباب سعادتنا وتعكر صفوانا ؟ إنه لشيء عجيب حقاً ! » ولكن الأب لا يصنى إلى حجتهم ويصر على محاسبتهم بحاسبة دقيقة على ما يسرفون ويبدون . وأخذ يذكرهم أن له الحق المطلق في تنظيم شؤون الصرف كما يرى ويقول : « أى شيء كنتم تكونون الآن لو آثرت الانتفاع بأنعامكم المبكرة وشفلتكم في البلدة ولم أرسلكم إلى مدرستها ؟ ثم أى شيء كنتم تصيرون إليه لو لم أترام على قدى الفتن بعد فشلكم الشنيع فبرق لي وبعدكم إلى المدرسة بعد أن قرر طردكم ؟ أذكروا هذا وانظروا أى شيء تقتربون ؟ وأى فضل تذكرون أيها الأبناء الماؤون إذ ترغبون أن تركبوا رؤوسكم وتغطوا أهواءكم الجامحة كما تشاءون ! »

وقد كان يذعن البنون ويتزلون عند هوى الأب لو جاءهم بهذا العزم مبكراً قبل أن تتمكن منهم عادات الاسراف وتتأصل فيهم ، ومن هنا يفهمونه بصراحة أنهم لن يتزلوا عما اعتادوا أن يمشوا من الفتن الرغد ليجاروا هواء الغريب في التقدير والتصنيق عليهم . وهكذا بصر الأب من

وجاءهم الفرج — بعد إذ غدت حياتهم لاتطاق حقاً — حينما جاءتهم طلبات من الحكومة للعمل في بعض دوائرها . فاقبلوا بلا ولاء يستمدون للرحيل . وفي ليلة من ليالي كانون الكالحة أمسوا ولم يصبحوا

استأجر عبد الكريم وبنوه بيتاً أنيقاً كبيراً في المدينة التي اختير الأبناء للعمل فيها ؛ وتنفسوا الصعداء بعد تلك المطاردة العنيفة التي طوردوها في البلدة ، وشعروا بلذة الانطلاق بعد الاقباض ، وذاقوا حلوة الاطمئنان بعد صمرارة القلق . ولكنهم عادوا بعد حين يستشعرون شيئاً من الاضطراب الخفي والقلق المكتوم ؛ واستغربوا أول الأمر أن يعود إليهم القلق والاضطراب بعد نجاة وأمن ، ولكن لم يصعب عليهم أخيراً أن يبينوا أسباب ذلك فقد شعروا أنهم ما زالون تحت خطر المطاردة ، إذ ماذا يمنع أن يستطيل حقد أهل البلدة ويستمر فيرسلوا من يدل أهل المدينة الكبيرة على أصلهم الوضع ونشأتهم الحقيرة ، فيكون الشيء الذي لا يطاق والثامسة التي لا تحمد . ومضى شهر ثم شهر ثم آخر وهم كالذي بين فكي القضاء لا يدرى متى يطبقان عليه . ولكن بعد أن مضى هذا الزمن ولم يرد من البلدة نبأ يدل على أصلهم أو يحضر رسول سوء يكشف للسلا أمرهم ، عاد يتسرب إليهم الاطمئنان من جديد ، وأيقنوا أنهم يسيثون الظن بأهل القرية أكثر من اللازم

ومضى حال العائلة رخياً خلياً أمداً طويلاً . وقد استطاع الإخوة أن يدخروا من رواتبهم والرشى التي كانوا ينالونها على عادة موظفي ذلك الزمان شيئاً

أن تفرض عليه هذه الرغبة فيقتل نفسه باختياره؟
ويجيب محمود: «لا تجعل ياوصي! كل ما أعنيه هو
أن يكون ظاهر الأمر انتحاراً وحسب. وعلى كل
أركانى أفكر فى الأمر ملياً، وأعد للأمر خطة
محكمة أعرضها عليكاً غداً» ويقوم كل إلى فراشه
منطوياً على شرا من تنطوى عليه نفس من نفوس البشر

أبدى الإخوة فى الأسابيع التالية تساهلاً
شديداً مع الأب، فدفعوا إليه بجميع ما لديهم من
تقود وطلخوا إليه أن يجرى الاقتصاد والتدبير فى
جميع نواحي عيشهم. ويدعشه أول الأمر هذا
الانقلاب ينقله البنون من موقف العناد إلى موقف
الملائمة، ويفسره بأنه - لا شك - النتيجة المحتومة
لما هدم به من هتك سرهم والدلالة على أصلهم.
ويشعر بنشوة الفوز فيبعث فى التدبير والتقدير،
وكلاً لاحظ أن بنيه يهيمون بكلام يقول: «يا الله!
ماذا يصير إليه حالنا لو علم الناس حقيقة أمرنا والمخفى
من شأننا؟ إنه لشيء مرعب حقاً. ولكن الحد
له إن أحداً إلى الآن لا يعرف من أمرنا شيئاً!»
وفى يوم يتقدم حسين إلى أبيه ويقول: «إننا
فى حاجة إلى حل للفصل فاشتره لنا ياأبت وحاول أن
يكون من الجنس الجيد الرخيص»

ويسر الأب إذ يرى بنيه أصبحوا يفهمونه
ويجاريونه على خطته فى الاقتصاد، فيمدح حسيناً بأن
يتناع لهم أحسن الجبال وأخصها ولو اقتضى الأمر
أن يدور على جميع أسواق المدينة لا يترك منها
واحداً.

ابتاع عبد الكريم البرجى الجبل بعد أن طاف
على معظم أسواق المدينة يشد الرخص والجودة معاً.

جهته ويصر البنون، فيذب الخصام ويستطيع
الجدل والشادة. وفى ثورة من ثوراته يصيح الأب:
«صرتُم ناساً يا نور لا تستطيعون أن تميشوا إلا
كالحكام والولاة، والله لأزيتكم!» ويجفل البنون
عند كلمة «نور» وتسع حذقات عيونهم وتشخص
أبصارهم كمن تبين فجأة خطراً داهماً وشراً مستطيراً.
ويلحظ الأب ذلك ويتنبه إلى هذا السلاح الحاسم
تقوده إليه فجأة ثورة من ثورات الغضب، فيعود
يقول: «نعم، نور وألف نور؛ والله لأفضحك
وأعيدنكم مهزأة فى أفواه الناس أجمعين! افعلوا
ماتشاءمون وتقدرتون، وسأفعل ما أستطيع يا نور!»
(وهنا يرفع صوته بكلمة «نور» عالياً) ويغشى
البنون أن تزداد ثورة فيقوم ينادى على الناس فى
السابلة: تمالوا! انظروا النور، تمالوا! أخبركم عن
أصلنا الوضع الحقيق، فيخرجون صامتين من لدنه
وسواء الكره الشديد والدهشة البالغة فى عيونهم
وعلى وجوههم

وينادى محمود بعد صمت طويل وتفكير عنيف:
«ماذا تريان؟ إن كل ما بيننا يوشك أن ينهار على
رؤوسنا. لماذا لا نفعل شيئاً؟ هل نبقى كالخوت
غرسى فى جنبه حرية تصعبه حينما توجه إلى أن
تقضى عليه؟ لماذا لا نزيل هذه الحرية المسمومة من
جنوبنا ونحطمها ونزعمها قصياً؟» ويجيبه وصفي:
«جلينا أن نتخلص منه وإلى الشيطان مثل ذاك
الأب اللعين!» ويقول حسين: «ولكن كيف
نستطيع إخلاص منه؟ وماذا نصنع لننجو من
عواقب ما نشيران إليه؟» ويجيب محمود: «الأمر
هين. علينا أن ندعه ينتحر!» ويضحك وصفي ضحكة
صفراء ويقول متهكاً: «ولكن كيف نستطيع

السوداء والحزن البهم ، فكنت أسأله ماذا به ولم أراه واجداً ، فكان يجيب : لا شيء* ، لا شيء* ، وتنسبط أساريره ويزول وجوهه كأنه يحاذر أن يطلع أحد على دخيلة أمره . وكنت أسأل والدتي — بحكم نفوذ المرأة إلى أسرار الرجل — هل ترى شيئاً لهذه السوداء والوجوم يتملكانه أحياناً ، فتجيب بأنها لاتعلم من أمر ذلك شيئاً* .

ويجيء الطبيب ، فيرى أن نزل الجثة ليفحصها ويرى هل في الحادث جناية مدبرة أم هو انتحار وحسب . ولكن المدعى العام يطلب اليه أن يترث قليلاً ، ويطلب إخراج الاخوة ، فيخرجون . وعندها ينصب الكرسي الذى كان مطروحاً تحت رجل عبد الكريم ، فيلاحظ أن الكرسي لا يصل إلى قدميه بل يظل بينه وبينهما خلاء بمقدار شبر . وعندها يلتفت إلى الطبيب وقائد الدرك ويقول : « حبا هذا الكرسي وضع هنا للتنمية ولم يستعمله الرجل في انتحاره قط ، إن يكن مات منتحراً . وعلى كل دعونا نزل الجثة الآن فقد يكشف لنا الفحص الطبي أفى المسألة جناية أم هي انتحار وحسب » وتنزل الجثة ويلاحظ المدعى العام أن على الجبل آثار احتكاك حوالى المحل الذى ربط منه بمحيد النافذة ، فيضيف هذه الملاحظة إلى ملاحظته على الكرسي . ويشرح الطبيب في فحص الجثة ، فيقرر بعد الفحص الدقيق أن ليس ثمة أثر لاستعمال العنف ، وأن فقرات العنق محمولة مما يدل على أن الجسم ضغط إلى أدنى بعد إذ كان متمتعاً على شيء* . إلا أن المدعى العام ينبهه إلى أن خول العنق حادثين من أثر ضغط الجبل عليه ، ويسأله كيف يباله ؟ ولكن الطبيب لا يهتدى إلى تحليل

وفى صباح اليوم التالى لشترائه الجبل سمع الجيران سياحاً وولولة فأمرعوا ينظرون ماذا أصاب عائلة البرجى فى ذلك الصباح ويدخلون فيرون صفة والاخوان الثلاثة يكون ويسولون أشد البكاء والمويل ، ويسألون : ماذا دهام وأى خطب أصابهم؟ وتشير الزوجة بأصابعها إلى غرفة نوم زوجها ، فيطل الجيران وإذا عبد الكريم ملق من رقبته فى حديد النافذة وعيناه جاحظتان ولسانه مدلى على صدره مقدار شبر . و يروعهن المنظر ، فيجفلون ويقبلون على صفة وأبنائها يسألونهم : كيف كان ذلك ومن صنعه ؟؟ وتجيب صفة : « لا أدرى ! لا أدرى . كل ما أعرفه أن عبد الكريم ابتاع البارحة جبلا قال لى إننا محتاجه وجئت غرفته هذا الصباح لأوقظه فوجدته ملقاً كما ترون » أما الاخوان فكانوا يمثلون دور الذين عقد الحزن ألسنتهم فلم يجهيوا عن استفسار الناس بشئ .

ولم يمض وقت طويل حتى أبلغ قائد الدرك نبأ الحادث ، فحضر إلى بيت عبد الكريم بصحبته المدعى العام . وشرع المدعى العام — بعد أن عين الجثة — يجرى تحقيقاً دقيقاً ، فتوجه إلى الزوجة أولاً وسأله عدة أسئلة ، فتبين من أجوبتها ولهجة حديثها ومظاهر الحزن الأكيد فى وجهها أنها لاتعرف من المأساة سوى فصلها الأخير . فتركها وباشر التحقيق مع البنين ، فكانت أجوبتهم جد متقاربة ، وتشير لإشارة واضحة إلى أنهم لايهمون أحداً وإلى ترجيحهم أن أباهم مات منتحراً . ولما سألهم المدعى العام ماذا يظنون الدافع لانتحار أبيهم ، كادوا يتلعثمون لولا أن محموداً قال : « يُخيل لى أن والدى كان فى المدة الأخيرة يتملكه شئ* من

جديداً على موت البرجي بما ساقف عليه من ماضى
الرجل وبنيه

بعد شهرين كاملين من هذه الحوادث بكر الناس
في صباح أحد الأيام بالنهوض والذهاب إلى قاعة
الحكمة ليتسنى لهم أن يحجزوا فيها مقاعد لهم
ويشهدوا محاكمة أبناء البرجي بتهمة قتلهم أباهم كما
سيثبت ذلك المدعى العام في هذه الجلسة الختامية
وحوالي الساعة العاشرة جاء جنديان مسلحان
يسوقان أبناء البرجي ويدخلانهم قصص الاتهام ؛ وبعد
أن تمت الاجراءات اللازمة وقف المدعى العام وألقى
بصوت هادىء رصين مرافقته التالية :

حضرات القضاة المحترمين ! لا أريد أن أطيل
الشرح ولا أكثر التحليل وإنما أكتفى بعرض
موجز للحقائق التى بنيت عليها نظريتي فى الاتهام ،
وهى أن وفاة البرجي لم تكن نتيجة للانتحار كما دلت
على ذلك ظواهر الأمر ، وإنما كانت الوفاة بأيدى
جناة آثمين هم هؤلاء البنون المائلون أمامكم ، إن جاز
فى عرف اللبائىء النبيلة والغايات الشريفة أن ندعوم
أبناء ، ولو كان الصخر ينبت بنات وبينت لقلت إن
هؤلاء الذين لا أستطيع أن أدعوم بنين إلا تجوزاً
نشأوا من الصخر الجلد والجحر الأمم --

إن أول ما نبهنى إلى أن الحادث لم يكن
انتحاراً الكرسي الذى وجدناه مطروحاً تحت رجل
القتيل . فقد بدا لي أن أفقه تحت رجله لأرى
أطولوه رجلاً الجفة أم يبق بينه وبينها فراغ ، كما
تبادر إلي ؛ وقد صدق حسى لما نصبت الكرسي
وظل بين أعلاه وقدى القتل مقدار شهر من الفضاء

مقبول . ويضيف المدعى العام إلى ملاحظتيه الأوليين
هذه الملاحظة الثالثة عن أثر الجبل حول العنق

ويطلب المدعى العام الإخوة ، فيحضرون ،
ويمتدحهم عن ربكهم بالأمثلة فى وقت هم
أجوج ما يكونون فيه إلى بواعث التنزية . ويسمح
لهم بدفن أبيهم إذ لم ير وجهاً لموته غير الانتحار
يدفن الاخوة أباهم ويمدودون من المقبرة .
وفياً هم سائرهم والناس وراءهم وأمامهم اغتم محمود
عطفة فى أحد الشوارع والتفت إلى أخيه وصفى ،
وقال بصوت خفيض : « لقد دفنا الماضى البغيض ! »
ولم تفت العبارة أذنين كانتا تسيران خلسة وراءهم
للتلصص مثل هذه العبارة أو غيرها

وزداد المدعى العام يقيناً — بعد أن سمع
ما سمع — بما أخذ يكوّنه لنفسه من نظرية حول
موت البرجي فيقول : إن هذه العبارة التى همس بها
أحد الاخوان تدل دلالة واضحة على أن الإخوة لم
يمازج نفوسهم قط شئ من الحزن لموت أبيهم ، بل
هى تشير إلى مبلغ ارتياحهم وسرورهم لموت أبيهم .
فليس بالقليل أبداً أن ينسيهم شعور الانفراج بموت
هذا الأب واجب الحيلة اللازمة فيناجى بعضهم
بعضاً بمثل ما سمعت . أما مظهر الحزن الذى يتكلفه
الاخوان الآن تساعدهم عليه طبيعتهم الصفراوية
وملاحظتهم البهمة المكتومة ، فهو دور يمثلونه ويتقنون
تمثيله ، ولكن الذى يحيرنى بعض الحيرة هذا
« الماضى البغيض » الذى يشعرون إليه ، ولعل إذا
أرسلت من أعتد إليه إلى البلدة التى جأوا منها
يتحرى عن جلية أمرهم ، أستطيع أن أتى نوراً

الدائرتان من أثر الجبل حول عنق القتيل . والدائرة السفلى هي بلا ريب أثر الجبل إذ شد على عنق الرجل وهو نائم والدائرة العليا هي أثر الجبل بعد أن علق في حديد النافذة ، وقد نهى إلى دلالة الدائرتين من أثر الجبل حول عنق الرجل الاحتكاك الذي رأيته في الجبل قريبا من مكان تعليقه بحديد النافذة ، إذ خيل إلى أن هذا الاحتكاك ناجم من إدخال طرفي الجبل في فجوة من فجوات حديد النافذة وسحبهما من الجهة الخلفية إلى أسفل لرفع الجثة على نحو ما ترفع الأجسام بالكراث . فقد قلت لإريب أن الرجل مات مجنونا قبل أن يعلق ، والأرجح بل الأكيد أن يختلف وضع الجبل حول عنق الجثة وهي ملقاة أفقيا ثم وهي معلقة عموديا ، وعليه طلبت أن يخرج الجبل من عنق الرجل ونظرت فإذا أثران : الأول غني تحت زيق القميص ، والثاني مكان الجبل إذ شد على عنق الرجل بعد التعليق

وأحببت أن أعلم من جاء بالجبل الذي علق به الرجل ، فسألت الإخوان فأجاب كلهم بأن أباهم ابتاعه كأثمهم بذلك يتسارعون إلى إبعاد الهمة عنهم ولكن لم أنتنع بكلامهم ورحت أسأل التجار في السوق هل ابتاع البرجي جبلا قبل أن يحدث له الوفاة فكان جميعهم يبيح بأن البرجي جاء حقا يطلب جبلا . وقد أخبروني جميعا كذلك بأنه كان في حالة نفسية جيدة وأنه جادلهم طويلا وما كسهم في الثمن كثيرا فاستغربت ما ذكروه من مظهر حرص الرجل وقلت : هل يعقل أن يكون المرء حربصا مثل هذا الحرص وهو قادم على الانتحار وتطليق الحياة بخيرها وشرها ؟ ثم ألا يجوز أن الأب حمل اختيارا على شراء الجبل — تحمله على ذلك أحد (١)

وهنا أدركت أن من المستحيل أن يكون الرجل علق نفسه بحديد النافذة ثم ركل الكرسي ، بعد أن صعد عليه ، ليسقط جسمه ويشد الجبل على عنقه وزهق أنفاسه . وإنما المقبول أن يكون الرجل خنق بالجبل على الأرض ثم علق بعدها وطرح الكرسي بين رجليه لايهام المحققين والإلقاء في روعهم أن الموت كان انتحارا وحسب ، ولكن قالت الجناة أن يتقنوا أسباب النعمة هنا ، فم الكرسي عليهم ثم أزلنا الجثة وتقدم الطبيب ليفحصها ، وقرر الطبيب أن فقرات العنق محمولة مما يدل على سقوط الجثة إلى أسفل ، كما قرر أنه لا تكاد تبدو آثار من استعمال العنف على الجثة ، مما جملة يميل إلى نظرية الموت انتحارا لا قتلا .

يبد أن تقرير الطبيب وترجيحه الوفاة انتحارا لا قتلا لم يفت في عضدي بل كان مساعدا لي على تصوير الجرم تصويرا خياليا ، ثم وجدت بعدئذ من الحقائق ما يبرر لي هذا التصور : تصورت أن البنين — لسبب من الأسباب — أرادوا قتل أبيهم فجاءوا بالجبل ودخلوا عليه ليلا فأنفوه نائما وعندها وضعوا أنشوطة في الجبل وأدخلوا رأس أبيهم فيها وأمسك واحد من الاخوة بطرف من الجبل وآخر بالطرف الآخر ثم تجاذبا الجبل بينهما بقوة وسرعة ففاضت روح المسكين دون أن يندى مقاومة ، يساعد على ذلك استغراقه في النوم وشيخوخته . وبعد أن أتم الجناة ما جنوا دفعوا الجثة وعلقوها بحديد النافذة ليوهوا الناس أن أباهم مات منتحرا هذه الصورة التي صورتها لنفسى عن كيفية وقوع الجرم حاولت أن أدمعها بالحقائق ، وأول سماجاني من الحقائق دليلا على صدق الصورة

لها ، وعندها قالت : إنها لم تلحظ شيئاً من ذلك ، بل كأنها لاحظت أن الرجل زاد قوة وانشراحاً ، ولا سيما بعد أن انقطعت المشادة بينه وبين بنيه

بعد أن أصغيت ما أصغيت الى اثره الخادم دون أن تدرك خطورة ما أنفقت به إلي قلت : هذه أدلة جديدة تزيدني يقيناً بأن البرجي راح ضحية العقوق ولؤم البنوة . فالجبل لم يشتره المسكين لينتحر إذن ، وإنما أوحى بنوه إليه بشرائه زيادة في الاحتياط ، فيقول الناس والمحققون ان الرجل اتباع أسباب الموت والفناء بيده . كذلك أدركت ان ما قاله لي محمود في بدء التحقيق من استيلاء السوداء والشذوذ على أبيه قبيل الحادث واعتقاده ان لذلك علاقة بانتحاره لم يكن إلا أكنوبة أرجلها في غير تفكير ليتخلص من حراجة الموقف حيناً أمجلته بالسؤال هو وأخويه عن أسباب انتحار أبيهم . أما ما كان يتردد على لسان الأب وقت المشادة من لفظ «النور» فلم أحله أول الأمر محلاً خاصاً ، وقلت : هي عادة الشرقيين من الاسفاف في الخصومة وتوزيع الثموت والألقاب في غير قصد ولا اعتدال .

ولكنني عدت ونظرت إلى هذا اللفظ يتردد في الخصومة بين الأب والأبناء نظراً جديداً لما جاءني من اتدبته للبحث عن ماضى القوم في البلدة التي جاءوا منها بأن القوم يمتنون مباشرة إلى النور ، وانهم قوطعوا من جراء ذلك مقاطعة شديدة أول ما حلوا البلدة ، ثم طوروا مطاردة عنيفة — لأمر طارئة — بلفظ «النور» حتى اضطروا أن يرحلوا بليل

بعد هذا عدت إلى ترتيب الحقائق ترتيباً

بنيه حتى يعلم في السوق أن الرجل أعد وسائل الاتجار بيده ؟ دارت في نفس هذه الخواطر ، ففكرت في سؤال الإخوة من جديد لعل أستدرجهم إلى معرفة من أوحى بمشترى الجبل . ولكنني عدلت عن هذا الرأي لأنني رأيت الإخوة — بعد أن رأوا الشبهة تتجه نحوهم — يعمنون في الحذر والحيلة بحيث لم يعد في الامكان استدراجهم . ولكنني لم أياس ، فقد تلطفت بخادم المنزل ، فأخبرتني بأن حسيناً هو الذي طلب إلى والده مشترى الجبل ، وقالت انها علمت ذلك من عبد الكريم نفسه فقد استغربت لماذا اشترى الجبل ولديهم جبال كثيرة ، فأجابها بأن ابنه حسين هو الذي طلب إليه شراء الجبل لحاجة البيت إليه . وزادت الخادم أن نقاشاً حاداً كان يقع بين عبد الكريم وبنيه ، ولكن ذلك النقاش هداً فجأة كما بدأ فجأة ، وساد البيت بعده مظهر قوى من الاقتصاد والتقدير . وهنا سألت الفتاة : هل تذكر شيئاً مما كان يدور بين الأب والبنين عند ما كان ينجم الجدل والمشادة ، فأجابت بأنها كانت تخشى أن تدنو من الأبواب والنوافذ حيناً كانوا يتناقشون ، ولا سيما أن بعض الإخوان كان يخرج الحين بعد الحين يستوثق أن أحداً لا يسترق السمع أو يصنى لا يتجادلون ؟ ولكنها برغم ذلك استطاعت أن تسمع الأب مرّة أو مرتين يردد بصوت عال كلمة «نور» فكان الأبناء يستكثون جد الاستكانة ويفكرون عند سماعها . وأخيراً سألت الخادم : هل لاحظت على عبد الكريم قبل أن يقدم على الانتحار شيئاً من الحزن والسوداء ؟ فأجابت بأنها لا تعرف ماذا أعنى بالسوداء ففسرتها

الأخوين الآخرين :

ويختم المدعى العام مرافقته بطلب الحكم الصارم على الإخوة الثلاثة إذ يقول : إننى أطلب من المحكمة الموقرة ، بعد أن عرضت عليها عرضاً واضحاً عناصر الجريمة وجميع ملابساتها — أن تحكم على هؤلاء الإخوة الثلاثة كقتلة سفاحين انحدروا إلى أقصى درجات الوحشية وألأم صفات الاجرام والاثم ؛ إذ من تمتد يده إلى شعلة الحياة في صدر الأئمة تميت بها وتطفئها إلا من أعطى نفس خنزير أو أدنى من نفس خنزير !!؟

ويوجه رئيس المحكمة الكلام إلى الإخوة ويقول : أنصحكم — بعد أن وضحت معالم الجريمة — بالاعتراف فذلك أولى لكم وأجلب لاستعمال الرأفة بكم ويقف الرئيس عند عبارته الأخيرة ينتظر جواباً فلا يتكلم أحد . فيميد الكلام ويسأل : ماذا تقولون ؟ أنصرون على الإنكار ؟ وعندنا يرفع حسين صوته ويقول متنبهاً في ونة تكسرها : الدلة ويقطعها الحزن : نعم ، نعم ، نعم القتلة ، نحن المجرمون !! ولا يستطيع محمود ووصفى بعد إقرار أخيهما أن يصرا . على الإنكار فيعترفان

واختل القضاة يتداولون بينهم أمر الحكم ، وشخصت الأبصار نحو الإخوة الثلاثة وفيها من الماني والمواطف المتباينة ما أنى على البقية الباقية من ثباتهم وتماسكهم ، فالتفت حسين إلى أخويه ويقول بصوت باك ورة متحطمة :

— أنظرا ! قريباً سنتخلص من جميع ذلك للماضى البقيض !!

أرب عباسي

جديداً بمض الجدة ، فقلت : لا ريب أن الأب كان يهدد بنيه بكشف ماضيهم واتسابهم إلى ذلك الجنس الوضع (النور) ، إذا لم يعروا ويزنوا على مشيته فيما شجر عليه الخلاف وديت الخصومة ، فاضطروا أخيراً ، اجتناباً للفضيحة واختياراً لأهون الشرين ، أن يذعنوا بعد أن يبتوا له شراً كبيراً . وقد ذكرت لى الفتاة الخادم أن الخصومة هدأت وتبعها فوراً تقير واقتصاد شديدين ، وهذا بلا ريب ما كان يريد الأب ونجم عنه الشجار الذى انتهى حيناً أذعن البنون . وسارت شؤون الدار على هوى الأب لا على هوى البنين . وقد يبدو مظهر الاقتصاد والتقير المفاجئ في الأب شيئاً غريباً ، ولكننى أقر هنا أنها حالة نفسية مشهودة شهوداً عاماً ، فكأن رؤية المسال يربو ويزداد — ولا سيما عند من يثرون بعد مرتبة — تزيد الناس حرصاً عليه ورغبة فيه ... أقول : اختار الأبناء أن يذعنوا من جهة ، ولكنهم — من جهة ثانية يبتوا للأب شراً مستطيراً ، فكانت حكاية الانتحار وأخيراً حقيقة الجناية ...

وعند هذا الحد من مرافقة المدعى العام تسمع حركة سقوط في قفص الاتهام ، فالتفت المشاهدون وابتلغت القضاة فيرون حسيناً ملقى على الأرض وقد أخذته غشية ، ويبادرون إلى إسعافه ، وحالاً يفيق يستأنف المدعى العام مرافقته ويقول : قد رأيتم يا حضرات القضاة المحترمين كيف أنهار أحد التهمين بعد أن لم تقو أعصابه على التماسك في وجه الحقائق الصارخة بأنهم القتلة المجرمون . ثم انظروا كيف غدت غبرة الموت وقرة الفناء تلوان وجهي

الوطنية

مُتَرَجِمَةٌ عَنْ مَجْلَةِ الْقَصَصِ لَوَاقِعِي لَانْجِلِيزِي
بِقَلَمِ الْأَدِيبِ مَحْمُودِ السَّيِّدِ شَعْبَانِ

قد أعلن لي (هانز) في
يوم من الأيام - وقلبه
يفيض حزناً ، ونفسه
تتلى أسفاً ، وجسمه
ينفض قرعاً - أن ألمانيا
قد أعلنت الحرب على
أعدائها ، وأنه سيسافر
إلى ميدان القتال لأن

اسمه قد درج بين أسماء المحاربين هناك ... ثم رجاني
أن أعود إلى (باريس) - وفي الوقت فُسحة -
خوفاً من أن تجد ظروف تحول بيني وبين ذلك .
وقد كان (هانز) - بالرغم من كل ذلك - على
يقين من أن الحرب لن تستمر أكثر من ثلاثة
شهور على أكثر تقدير ، وأنه سيعود إلى بلد ذلك ..
وأحسست بعد أن أقفت من صدمة هذا النبأ
الفاجع ، وهول هذا الخبر المؤلم - أن حبي لزوجي
(هانز) أقوى وأعنف بكثير من حبي لوطني (فرنسا) !
وشعرت أن كل ما هو حبيب إليّ أحب إلى نفسي
من كل ما سواه ، وأن كل ما هو عزيز عليه أعزّ
على قلبي من كل ما عداه . ومن أجل ذلك أهبتُ
بنفسي أن أكون ما حيت فداء لهانز وللقيصر
ولألمانيا متحملة في سبيل ذلك ما قد ينتابني من
الألم أو عسنى من السوء ...

وودعت (هانز) وأرسلته إلى المعركة ، وقلبي
يفيض إيجاباً ، ونفسي تبه نغارا . وقد كنت أنا
أيضاً أعتقد أن الحرب ستضع أوزارها عما قليل ،
وأن (هانز) سيعود إلى سلبا قوياً آمناً . واقضت
شهور عدة فما تجد لهيب الحرب وإنما ازدادت الممالك

تزوجتُ من (هانز) - وهو أحد الجنود
الألمانيين - لمام واحد قبل الحرب العالمية الضروس
التي أهلكت كل شيء ، ودمرت كل شيء ، بالرغم
من أني فرنسية الأصل والجنس ... وكنت أول
عهدي به أن لا يقته في معرض من معارض الفنون
في (باريس) - وكان قد ذهب إليه زائراً - فلما
سمعته يتكلم الفرنسية بطلاقة تحدثت إليه ، فلكني
حديثه العذب الفكاهة ، وأسرنى غزله المرح الرقيق ،
فكان ما كان ، وانتهى بنا الأمر إلى الزواج بعد قليل
وتركتُ وطني راضية لأعيش مع زوجي (هانز)
في قرية صغيرة من قرى ألمانيا . وعشت بين أحضان
عائلته في سعادة ورفاهية ، ورغد وبلهنية . وصار
أصدقائه مع مضي الزمن أصدقائي ، وخلصاؤه
مخلصائي ، وأقاربه أقاربي ! وما مضى على وجودي
بينهم غير قليل حتى تلمت كيف أتكلم الألمانية ،
وحتى كنت أنسى أنني كنت فرنسية الجنس واللغة
في يوم من الأيام . وتلقى (هانز) بمساجاة الله من
قوة وسحر إلى دنياه فذقت لذة الهناء ، وحلاوة
الصفاء ، وممتة الحب !
ولكن هذا النعيم لم يدم طويلاً وأسفاه !

استرداد قريتهم السالوية ومحاصرتها وتطويقها ... واستيقظت على حين غرة على صوت مزعج ودوي هائل وصييح وجلبة في حجرة الاستقبال التي في الطابق الأسفل من منزلي ، فارتدت مناهق على عجل . وأضأت الصباح الكهربائي الذي ينير الدرج ثم هبطت الدركات مسرعة يدفع بعضي بعضاً

فاذا رأيت هناك ؟

... لقد رأيت جندياً فرنسياً يرتدي ملايسه العسكرية مكتناً بجانبه على المنضدة ، والدم يتفجر غزيراً من جرح في رأسه ، وكانت سترته ملطخة بالوحل ، وعلى وجهه أثر مما يعاني من الألم ويقاوم من الجهد ...

وما كاد الرجل يراني — وأنا أقرب منه — حتى ألقى إلى نظرة فيها كل معاني الاسترحام كأنما يستجدي بها العونة ، ويرجو بها الفوث . ثم مدّ إلى إحدى يديه كأنما يعلن إلى أن لا حول له ولا قوة فقلت له بلهجتي الفرنسية الوطنية : « هل يؤلك هذا الجرح كثيراً ؟ »

فتفتح الجندي عيني على مهل ثم قال : « هل سيدني ... فرنسية ؟ »

وما أدري لماذا أحسست ساعتئذ بشوة في دمي وهزة في جسي ، وخفقان في قلبي ! وقلت للجندي : « نعم ، إنني فرنسية ، ولكنني مقيمة هنا . . . إني ... أنا ... ! »

وأمسك الجندي بذراعي ثم قال : « إن الواجب يحتم عليك أن تساعديني . لقد حسبي زملائي ميتاً فتركوني ، والآن يجب علي أن أراجع إلى صفوفنا ! يجب علي ... »

المشتركة فيها عدداً وعدداً . وكان (هاز) يرسل لي بين الحين والحين بعض الرسائل — وهو في ميدان القتال — فكنت أجد فيها قليلاً من المتاع واللذة ، وشيثاً من الراحة والطمأنينة ، ووميضاً من السلوان والأمل ! ولكنني ما كنت أريد إلا أن أرى وجهه ، وأسمع به في جوارى مرة أخرى !

أواه يا قلبي !

إنني ما رأيت (هاز) بعد ذلك اليوم أبداً ، وما كنت أحسب أنني قد ودعته الوداع الأخير ! فقد تراءى إلي أن طائرة فرنسية دمرت البكين الذي كان يختبئ فيه — بعد مضي عشرة شهور من بدء الحرب — قفزي نجه محترقاً . وكاد الحزن يفتدني عقلي ويورثني الخجل ...

ومن ذلك اليوم تولدت في نفسي الكراهية والبغضاء لفرنسا ، وتمتد لو استطعت أن أثار لزوجي أو أتنم له من أولئك الذين قتلوه ! وأحببت لو أن فرنسا خرجت منهزمة منكسرة من الحرب بل مدحمة مهذمة مخربة ! ولكن السنين — واحسراته — قد خيبت ظني ، إذ وقعت الهزيمة على ألمانيا ؛ فلأت الأحلام المفزعة فؤادي ، وأفعمت الأوهام القاتلة خيالي ؛ فصدمت كل ما يقال عن قسوة الألمانين ، وكل ما يذاع من أنباء اعتدائهم على الأطفال الآمنين والنساء الضعيفات . فدعوت الله من قلب خالص أن ينصر القيصر ويكتب له الفوز المبين !

... وفي يوم من أيام سبتمبر من عام ١٩١٨ أجلى الفرنسيون الألمان عن قريتنا ، ولكن الألمانين تمكنوا — قبل غروب شمس ذلك اليوم — من

وما أرتاب في أنه قد تسلق الحائط ودخل منزلك
من النافذة ... إلى ... إلى ... !»

فأجبت بهدوء: «لقد بحثت بنفسك فلم تجد
أحدًا هنا»

وكان من المسير عليه أن يدرك ما يقول أو
يفكر فيه فقال: «أنا ... أنا ... لقد أخطأت ..
أنا ... أنا ...»

وانتشرت على شفثيه ابتسامة شيطانية ما رأيت
أخبرت منها ثم قال: «هل تمشين هنا .. وحيدة؟»
فأجبت: «نعم . إنني أعيش هنا وحيدة منذ

أن قتل زوجي»
فاقترب مني شيطانًا فاجرأ، وعرييدًا داعرًا،
ومخورًا خبيثًا وهو يتمتم: «وعلى ذلك فأت
تمشين هنا وحيدة؟»

ولكن بالرغم من كل ذلك لم أتحرك من موضعي
ولم أترشح عنه، بل قلت له: «ألا تظن أنه من
المتحتم أن تخرج الآن لتبحث عن الكلب
الفرنسي فلعلك عثر عليه؟»

ولكنه أجابني — بعد أن طوق خصري
بذراعه وضممني إليه بمنف —: «لا .. لا .. لقد
ذهب ... و... وأنا لا أريد أن أبرح هذا
المكان ... بل أريد أن أمكث هنا بأية طريقة !!»
وأحسست بعد ذلك بشفتيه تنطبقان على عنقي . ثم
قال: «ستكونين — ولا ريب — متساهلة لينة
الجانب مي ... أليس كذلك؟»

وحاولت أن أدفعه بعيدًا عني ثم قلت له:
«أرجوك ...»

ولكنه ضمني إليه بقوة، ثم تابعت أنفاسه
سراعًا وهو يقول: «لا تقاومي ... فلن تجدبك

وما كاد يتم كلامه حتى سمعت دقًا عنيقًا على
الباب، وصوتًا عاليًا ينادي: «أيها السيدة ! ...
أيها السيدة»

كانت في منزلنا حجرة صغيرة اعتاد (هانز) أن
يقضى فيها شتونه الخاصة؛ فلما مات أغلقت بابها
الصغير ثم غطيته بستر يحجبها عن الأبصار، وأبقيت
الحجرة على ما كانت عليه، فلم أتناول أي شيء فيها
بتغيير أو تبديل كأنها مكان مقدس لا يُمس، أو
كأنها الموئل الذي تستريح فيه روح زوجي وتطمئن
إليه ...

وما أدري ما الذي دفعني إلى أن أتهك هذا
الحرم المقدس في ذلك الموقف المصيب !

لقد قُدت الجندي الفرنسي إلى الحجرة فزفت
الستر عن بابها، ثم فتحت، وبعد أن أدخلته فيها
أغلقت بابها ثم أعدت الستر إلى موضعه ...

واشدت الدق على الباب الخارجي عنيقًا، وما
كدت أفتحه حتى دخل منه جندي ألماني ضخم
الجم كبير الحجم أحمر الوجه، فدفعني جانبًا
وأزاحني عن طريقه، ثم أخذ يجمول في أنحاء البيت
كيفما شاء باحثًا عن الجندي الفرنسي . ففتش المطبخ
ثم الحمام فلما لم يجد غريمه اندفع يرق الدرع إلى أعلى
وتكلمت في موضعي حتى عاد إلي، وحرصت
على أن أكنم شعوري، وأكبح عواطفی، وأدفع
عن نفسي رجفة كادت تهزني . وحاولت أن أبعد
عيني عن الستر حتى لا ألفت نظر الألمان إلى

وما كاد الجندي يقف أمامي وجهًا لوجه حتى
أدركت أنه مخور لا يبي !

وقال لي بصوته اللطيف الخشن: «إنني ... إنني
أظن أنني قد رأيت كلبًا فرنسيًا يجرى في فناء دارك

« نعم ... نعم ... إنك سيجنى ! »

وخرج الرجلان من داري وسارما ؛ وعلى
نفر الفرنسي ابتسامة لانفارقة ، وعلى وجه الألمانى
خيرة وذهول !

وما رأيت الجندي الفرنسى بعد ذلك اليوم
أبداً . فبالت شعري هل مات في الحرب أم هو
ما يزال حياً إلى اليوم ؟ ! ولو أننى رجعت إلى
(باريس) بعد الحرب لالتباطأت في البحث عنه
حتى ألقاه فأشكره على ما أسدى إلى من عارفة
وما قدّم إلى من جيل

ولكني وأسفاه لم أعد إلى فرنسا ، لأن
حياتي فيها تزوير على نفسي ؛ ولم أبق في ألمانيا ،
لأننى نجعت فيها بموت زوجي الذى كنت أعيش
من أجله على أرضها ؛ بل أتيت إلى إنجلترا لأبدأ
حياة جديدة ، وما نسيت هذه الذكريات المؤلمة في
يوم من الأيام بالرغم من مرور هذه السنين الطوال
محمود السيد شهابه

مجموعات الرسائل

تباع مجموعات الرسائل مجلدة بالثمانية الاثني

٥٠ السنة الأولى في مجلد واحد

٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة

والخامسة في مجلدين

وذلك عدا أجرة البريد وقبرها خمسة قروش

في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون

قروشاً في الخارج عن كل مجلد

المقاومة شيئاً . لا بد مما أريد ... وتستطيعين أن
تنسى كل شيء عند ما أتركك إن كنت لا تريد
أن ... لا لتقاوى ... !! »

وهمت أن أصرخ مستغيثة ولكنني تذكرت
أن صراخي سيجلب دون ريب عدداً كبيراً من
الجنود ، وأن هؤلاء سيفتشون وسيبحثون من
جديد عن الجندي الفرنسى . فقلت للجنود الألمانى :
« أرجوك ... أرجوك أن تدع هذا الوقت
آخر ... !! »

فقهقه الرجل ثم قال : « لوقت آخر ؟ ! وقت
آخر ؟ ! ربما يكون ذلك عند ما أموت !! »

وما تلبثت حتى حملنى على ذراعيه وأخذ يصعد
بى الدَّرَج إلى أعلى . ولكنه لم يكده بخطو خطوة
واحدة حتى سمعنا صوتاً يقول على حين غرّة :
« إننى آسف ياسيدتى على ما سببت لك من تعب ... »
وما سمع الألمانى هذا الصوت حتى أنزلى من
فوق يديه وأوقفنى على قدمي ، ثم أدار وجهه فنيا
حوله وإذا ... وإذا بالجندي الفرنسى واقفاً أمامه
وجهاً لوجه ، منتصب القامة ، مرفوع الهامة ،
بالرغم مما يقاسى من جراحه ، وما يعاني من آلامه !
وإذا به يسم لنا بالرغم من أنه يكاد يُغمى عليه من
الآلم ، ويُشغى عليه من الجهد والإعياء

— « إننى سجينك الذى تبحث عنه ،
وأسيرك الذى ترجوه !! إننى حاجتك وطلبتك ...
وما دام الأمر كذلك فهيا بنا إذن نذهب من
هنا ونترك هذه السيدة الكريمة في سلام
وطمأنينة !! » هكذا قال الجندي الفرنسى للجندي
الألمانى الذى أذهلته المفاجأة فوقف مرتبكاً لا يدري
ماذا يفعل . وأخيراً قال هامساً في نفس متقطع :

في الشك مقتل الحب ، وما تغتفر المرأة إهانة
لا يسعها أن تجيب عليها
أما والله لقد ثقل هذا الحال على قالي أي زمن
سيدوم ؟

قالت وقد تجمّدت نبراتها بروداً على شفتيها :
— لك أن تضع له حداً فإنه ليرهقني بقدر
ما يرهقك

— سأضع له حداً في هذه اللحظة فأنا هاجرك
إلى الأبد ، وللازمان أن يفعل فعله ليبرك
الزمان ! الزمان ! هذه كلة الوداع ، أيتها
الماشقة الباردة ؟

تذكرى وداك هذا عند ما يمر الزمان فتفتش
عبثاً عن السعادة والحب والجمال . أين نجيتك للقدى
أيتها الماشقة ؟

إن كل ما يمر في ذهنك الآن هو أن الحب
الفيور سيدرك يوماً ما ارتكب من ظلم عندما ينطح
البرهان بصره فيعلم أي قلب أدى ، وعندئذ تسح
دموعه خجلاً من نفسه فيفقد لذة العيش ويهجره
وسنّه وتصبح حياته مأتماً بنوح به على أيام كان له
أن يقضها فرحاً سعيداً ، ولكن لا يخطر لك أن
ممشوقة هذا التمس قد تقف مذمورة في ذلك الحين
من تألّع انتقام الزمان لها فتصرخ قائلة :

— ليتني فطمت ما كان يجب فملته قبل فوات
الأوان

صديقي ! إن كبرياء هذه الماشقة لن يأتيها بأية
تمزية إذا كانت أحبت حقيقة

وكنت أود أن أتكلّم هادئاً فألت زماني من
يدى ، وبدأت بدورى أذرع الغرفة طويلاً وعرضاً .
فتشبتك نظرات برجيحت بنظراتي اشتباك السيف



أَعْتَرَفَانِي فِي الْعَصْرِ

لأفريدي موسى
بقلم الأستاذ فليكس فمارس

الجزء الخامس

الفصل الخامس

وترامت نحوى فهبت أصبح : — إنه الجنون
من يحاول ولو مرة واحدة في حياته أن يفوز
بالحقيقة من فم امرأة . إنه ليمود بغميمة الاحترار
وقد استحقها

إن من يتوصل إلى كشف حقيقة المرأة إنما
هو التلصص إلى هذيانها في نومها ، أو المستنطق
خادمتها بقوة الرشوة . وما يعرف حقيقة المرأة إلا
من استحال امرأة ليهتك بدناءتها الأشباح الملعنة
بالظلام ؟ أما الرجل الذي يطلب هذه الحقيقة بكل
صراحة وإخلاص ، الرجل الذي يمد يداً تأنف
الدنيا مستجدياً هذه الحسنه الرائعة فإنه لن يظفر بها
طوال حياته . إن المرأة تحترس من أمثال هذا
الرجل فلا تجيب على سؤاله إلا بهز كتفها ؛ وإذا
ما خاله الجلاء انتصبت في وجهه كمنزاع الميكل غاضبة
لغافها وصيانتها . وهل تدافع المرأة إذا شعرت
بالرية تدور حولها بسوى آية النساء المعطى : إن

— إلى متى تستمر على هذا الضلال ؟ فقد أعجزتني بشكوكك وهي لا تشب حتى تنطفي ولا تنطفئ حتى تشب . أنت تطلب إلى أن أبرر نفسي ، ومن أية جنابة يجب علي أن أبررها ؟ أمن هجر بلادى أم من غرباى أم من موتى أم من قطع رجائى ؟ إذا أنا تكلفت السرور حسبت سرورى أهانة لك . لقد نحييت كل شيء لأرحل معك ، وما أنت سائر معى مرحلة دون أن تلتفت إلى الوراء . فانا لا أتلقى غير الإهانة ولا أشهد غير الغضب إيان كنت ومهما فعلت

أى بنى الحبيب ! ليتك تعلم بأى صقيع قاتل أحس وأية أوجاع تقطع أحشائى عندما أراك تقابل أصدق كلة تصعد من قلبى إلى لسانى بالريبة فلا تصنى إليها إلا هازئاً ساخرأ . إنك تحرم نفسك السعادة التى لا سماعة سواها على الأرض وهي الاستسلام فى الحب . إنك لتقتل بما تفعل كل عاطفة رقيقة سامية فى قلب من يحبك ، ولن يطول بك الأمر حتى يمتنع عليك أن تؤمن إلا بكل خشن كئيف ، فلا يبقى لك من الحب إلا ما تراه بعينك وما تلمسه بيدك .

أنت لم تزل فتياً يا أوكثاف ، وأمالك مراحيل طويلة فى الحياة فستتخذ لك خيليات غيرة

لقد قلت حقاً ، ليست الكبرياء شيئاً معدوداً وما أتوقع منها تعزية وسلواناً ، ومع ذلك فأنى أطلب إلى الله أن يقدر عليك ذرف دمة واحدة تتحدر يوماً كفارة عما أذرفه الآن من دموع .

ووقفت وهي تقول أيضاً :

— أوجب على أن أعلن ، وعليك أن تعلم ، أننى منذ ستة أشهر لم أنظر على وى بسادى ليلة دون أن أكرر قولى لنفسى : إنك لن تشقى من دائك ولا

بالسيف ، وكنت أراها أمامى كأنها باب منيع سُجنت وراءه فأقبس عن وسيلة أبذل فى سبيل امتلاكها حياتى لأحطم أفعالها وأغتصب مبرها وقالت : ماذا قصد وما الذى تريد أن أقوله لك ؟

— أريد أن يوحى لى بما تضررين . أفليس من القساوة أن تكرهينى على تكرار هذا القول ؟ — وأنت .. وأنت .. أين قساوتى من قساوتك ؟ تقول إن من يطمح إلى معرفة الحقيقة مجنون ، أفلا يحق لى أن أرد على هذا بقولى إنها مجنونة المرأة التى يخيل لها أن ما ستعلمه من حقيقة سيصدق إن السر الذى تريد معرفته هو أنى أحبك . ذلك هو سرى . فىالى من عاشقة أضاعت رشدها . إنك تفتش عما يكمن وراء شحوى ، وشحوى أنت ألفتى به على ثم عدت تهمة وتستنطقه . يالى من مجنونة ! لقد أردت الانكاش على الآلى لأقف عليك صبرى واحتمالى . أردت ستر دموعى عنك فإذا أنت تتجسس عليها وتحسبها دلائل جرم خفى . يالى من مجنونة ! لقد أردت قطع البحار وهجر وطنى لأتبعك وأموت بميدة عن كل من أحببى منطرحاً على قلب رتاب فى إخلاصى . يالى من مجنونة ! لقد كنت أحسب أن للحقيقة من النظرات والنبرات ما ينم عنها ويدعو إلى احترامها

أواه إن عبراتى تخنق أنفاسى عند ما أفكر فى حالى . لماذا اقتدتى إلى هذا السبيل أخضع عليه حياتى إذا كنت ستقف فى هذا الموقف الحائر لا أهدنى فيه إلى نفسى ؟

واحببت على والسمع يتساقط من أجفانها وهي تصرخ :

يالى من مجنونة !

— وعادت إلى حديثها :

مالنا لا نعلم ما نفعل وإلى أين تتجه ؟
 تعال نستقر على رأى فقد عشنا دائماً سوية فقل
 لى ما الذى يدعوك إلى هجرى ؟ إننى لا أطيق أن
 أكون ملتصقة بك وبعبدة عنك فى وقت واحد
 قلت إن من حق الرجل أن يتمكن من الوثوق
 من خليلته وأنت مصيب ، ولكن إذا كان فى الحب
 خير للرجل فعليه أن يؤمن به ، وإذا أصابه منه
 ضير فن واجب أن يستبره داء يعمل على شفاء نفسه منه
 أفأ ترى أن ما نفعله الآن إنما هو مجازفة فى
 ميسر ؟ وما يجازف إلا بقلبنا وحياتنا ، إن ذلك
 لأمر فظيع

من أنا لنصب على شكوكك ؟
 وتوقفت أمام المرأة ، وهى تكرر قولها :
 من أنا ؟ أنظر إلى ما أصبح وجهى عليه
 وأردفت توجه الخطاب إلى خيالها :

— أإليك وجه الارتباب أيها المرأة التمس ؟
 أحولك تدور الشكوك أيها الوجه الشاحب ؟ أيها
 الوجنتان الدايتان ترويهما محركات الدموع ، أكل
 مراحل عذابك يا هذه ، وليأت الغم الذى جف
 رواء جمالك قبلاته لينطبق الآن على عينيك فينضمهما
 أنزل إلى الحفرة الرطبة الباردة أيها الجسد الناحل
 وقد تراخت قوامك عن حملك ، لهملم يصدقونك
 وأنت ممد فى اللحد إذا كانت الشكوك تؤمن بالموت
 ويحك أيها التقيح الحزين إلى أى شاطئ من
 شواطئ العذاب تترامى ممولاً باكياً ؛ أية نار تشب
 بين عظامك تنفخ واضماً خططاً لرحيل وأسفار
 وإحدى رجلتك ناشبة فى ثمة القبر

مُت أيها الشبح وليشهد الله أنك ما أردت
 إلا أن تجود بحبك . أية قوة من الوجد أناروا فى

حيلة لى فيك . أيجب أن تعلم أننى مانهضت يوماً فى
 صباحى دون أن أسمع على محاولة شفاثك . وأناك
 ما قلت لى كلمة دون أن أشعر منها أن لا بد من
 هجرك ؛ وأناك ما ضمنتى مرة إلا وأعلن لى قلبى
 أنه يفضل الموت على الانسلاخ عنك ، وأننى فى
 كل يوم بل فى كل دقيقة حاولت وأنا كالأكرة
 بين أملى وخوفى أن أتنقلب بحبى على أوجاعى وأتنقلب
 على حبى بهذه الأوجاع ؛ وأننى ما فتحت لك قلبى
 مرة دون أن تنفذ منه بنظراتك الساخرة إلى أعماق
 أحشائى ، فإذا أنا أوسدته دونك شمعت أنه ينطوى
 على كنز رصده القضاء عليك ولن يناله سواك ؟ أعلى
 أن أحدثك عن ضعفى وعن هذه الأسرار التى تتجلى
 تافهة لعين من لا يجد لها حرمة فى نفسه ؟ أقول
 لك إنك فى كل مرة ذهبت من بين يدي غاضباً
 كنت أوسد بابى لأنفرد برسائك الأولى أطالهما
 بدموعى ، وإن بين ما أعرفه قطنة تعرفها أنت
 مازلت أستقطر من نفاها الصبر فى غيابك حتى تمود ؟
 يا لشقاى ! إننى أعلم الآن ما ستكلفنى هذه
 الدموع التى ذرفتها فى الخفاء وهذا الجنون الذى يتدفق
 ضيقاً وحناناً . إننى لا أبكى لأن كل ما تحملت من
 عذاب لم يُجِد شيئاً

وأردت مقاطعتها فصاحت : دعنى ، دعنى أقول
 لك ما لا بد من إعلانه : لماذا ترأب بى وأنا لك
 بكليتى منذ ستة أشهر وعليك وقتت فكرى وروحى
 وجسدى ؟ فما تكون يا ترى هذه الحياة التى تجسر
 على اتهاى بها ؟

إذا كنت قررت السفر إلى سويسرا فما أناذى
 مستعدة للرحيل معك ، وإذا كنت تظن أن لك
 مزاحماً على فاستكتبنى الرسالة التى تريد وسلها
 للبريد بيدك

تناثرت رماذ آجل سقوط ورقاته النابوية
 أى وادئ الجليل ! أى عمى الحنية تحت وقر
 السنين الراقدة الآن بسلام فى لحدها ! أى أشجار
 الزيفون أشجارى ! أى جدى الأبيض الصغير ! أى
 ابن مزرعتى ، لقد أحببتونى جميعاً فهلا ذكرتم
 الزمان الذى رأيتونى فيه سبيدة غفورة عترمة ؟
 أية قوة ألفت بهذا الغريب ليضلنى سواء
 السبيل ؟ من أجاز له أن يمر على طريق قريتى ؟
 ويل لك أيتها المرأة ، لماذا تلفت وراذك لأول مرة
 اقتنى أرك ؟ لماذا رجبت به كائح ؟ لماذا فتحت له
 بابك ومددت له يدك ؟
 أى أوكتاف ! لماذا أحببتنى إذا كان هذا هو
 مصيرك ومصيرى ؟

وتداعت إلى الحضيض ففرعت إليها أسندها
 بذراعى وحملها إلى مقعد ارتمت عليه ملقبة رأسها
 على كتفى وقد حطماها مابذلت من جهد وحى تتدفق
 بيبائها الرائع المرير

وتوارت عن عيانى الخلية المانة فأذا فى
 لا أرى مكانها غير طفلة تئن من آلامها ...
 وأطبقت جفنيها فطوقها بذراعى وقد سكنت
 بينهما لانى

ولما تاب إليها رشدها شكت الضعف ورجتى
 بصوت ضئيف خنون أن أتركها لتذهب إلى
 مرقدها وتهادت فى مشيتها فرفعتها على ذراعى
 وألقيتها على مهل فوق الفراش وما بقى على وجهها
 شئ يئم عن الألم بل رأيتها تتجرد من آلامها
 وتنساها كن يرتاح من جهد جسدى أضناه . ذلك
 لأن طبيعتها الضئيفة الرقيقة أرهقتها العراك
 فاستسلمت بعد أن ذهبت بها إلى أبعد ما يتحمل
 قواها وبقيت رابطة أمانها على يدى وأنا مكب

فؤادك وإلى أى حلم قذفوا بخيالك ليجرعوك أخيراً
 هذا الزحف القاتل :

أية جناية ارتكبت حتى تهب هذه الحى المحرقة
 فيك ؟ وأية ثورة تجتاح روح هذا اليريد الذى
 يدمك برجله إلى الحفرة ومن شفثته تتدفق كلات
 الغرام ؟

إذا أنت بقيت فى الحياة أيتها المرأة فإلى أين
 مصيرك ؟ ألم يحسن حينك ؟ أما كفأك الدهر
 عذاباً ؟

أى برهان يطلب منك لتصدقك إذا كنت
 أنت البرهان الحى تكذِّبين فى شهادتك على
 نفسك . أبقى عذاب لم تتجنه ؟ فأية تضحية تمدن
 لا طفاء أوار هذا الحب الذى لا يتروى ؟

إنك ستصبحين أنحوكة تنفث عبثاً عن طريق
 مهجور تنزع إليه كيلا يشير الناس بأصابعهم
 مفهقين ...

ستفقدن الحياة قشعرين حتى عن مظهر هذه
 الفضيلة المتحطمة ولطالما عزت عليك من قبل .
 وسيكون الرجل الذى تلتحقين بالمار من أجله أول
 من يمد يده للاقتصاص منك ، فيزجرك لأنك
 وقتت الحياة عليه وتحدت المجتمع فى سبيله ، وعندما
 يتهامس أسدقاؤك حولك يتفرس فى ملامحهم
 ليرى ما إذا كانت الشفقة قد تجاوزت حدودها
 فى نظراتهم . انه ليتهمك بالحيانة إذا امتدت يد
 لتضاضح يدك عندما تمرن فى صحراء حياتك على
 أحد يمكنه أن يمر بك فيشفق عليك

يا لله ! أئذ كرن اليوم الذى وضع الناس فيه
 على رأسك إكليلاً من الورود البيضاء ؟ هذا هو
 الجبين نفسه الذى ترين بيباض تلك الورود ؟ فياليت
 هذه اليد التى علقت الإكليل على جدار المبدد قد

الموت لجأت إليه طبيعتها لتجاوز الألم حدوده فيها
إلا برهاناً على صدق بأسى من عودتها إلى ، فإن
سكونها فجأة بعد هذا التدفق في يائها وهذه المنوبة
التي تجلت على ملاعبها عند ثواب رشدها ورجوعها
إلى الحياة حزينة مروعة ، وحتى هذه القيلة التي
رنت كصدى لقلبي ، كل هذا كان يؤذن بأن الدهر
قد سكن بيننا وأن حبل وصلتنا قد انبت إلى الأبد
بين يدي

وكنيت أنفرس فيها وهي ممددة في وسن العياء
المرهق فأتيقن بأنني إذا عدت إلى ما سبب هذه
الضيوبة بعد أن تقيم منها سأدفع بها إلى الرقعة التي
لا انتباهة بعدها ، وصمت الساعة تدق في سكون
الليل فشعرت بأن الساعة المتقضية تتوارى طافية
معا حياتي

وما أردت أن أستنجد بأحد فأوقدت المضباح
الصغير وشخصت إلى إشعاعه الضئيل يذهب بدأ
في الظلمة كذهاب خطرات أفكارى الناهية الحائرة
وما كنت فكرت حتى اليوم في إمكان فقد
بريحييت بالرغم من أننى صممت مائة مرة على هجرها ، ويعلم
كل من ابتلى بالمشق قيمة مثل هذا العزم في ساعات
اليأس أو في دقائق الغضب ، وما ينقطع الحب عن
الوله بمشوقته مادام واثقاً من حبه له . وهكذا كنت
أنا ، ولكنني لأول مرة شعرت بأن قضاء لا يرد
ينصب مفرقاً بينها وبينى ، فانهت قواي وأحيت
الرأس قرب سريره وقد أدركت مدى شقوتي ،
ولكن شمورى للتخدر لم يكن يقيس مدى آلامها
فإن روجي كانت تراجع مرئاة أمام ما يقتحمه
تفكيرى

وقلت في نفسي : هذا ما أردته أنا لك فقد انقطع
كل رجاء في بقائك مع من يحب . أنا لا أريد قتل

على وجهها أقبه وإذا بشفاها ولما تزل ثلثة بغرامها
تتلاق فيلتصق فيها بفضى دون أن نشعر وما عثم
حتى استغرقت في الوسن بعد هذه المصادمة العنيفة
وهي تتوسد صدرى مفترية الثفر كأننا في الليلة
الأولى من ليالينا

الفصل السادس

وكانت بريحييت نائمة وأنا جالس أمام سريره
صامتاً جامداً كفلاح اجتاحت العاصفة حقله فخطمت
سنابله

وذهبت أسبر أعماق نفسى متلصساً ماجنت ،
وما كدت أستعرض بعض أعمالى حتى رأيتني تجاه
مات لا سبيل لتلافى نتائجها

إن من الآلام ما تستنفد طاقة الحب فتشعرك
بشدتها أنها بلغت جددها ، ويمثل هذه الآلام كنت
أوغل في خجلي وتبكت ضميرى فأرى أن لا بد
لى من توديع بريحييت بعد هذا المراك العنيف ، وبعد
أن كرهت حتى الثمالة كأس غرامها الحزين ، وقد
توجب على أن أطلق سراحها من هذه الأوصاب إذا
كنت لا أتمد قتلها

وما كانت هذه المرة الأولى التي تلجأ فيها
بريحييت إلى تأنيبى ، ولكن وجهت إلى جراح الكلام
في ثورة غضبها ، ولكن ما قالت في عراها الأخير
لم يكن صادراً عن كبرياء جريئة بل كان يناناً عن
حقائق تمخض بها القلب طويلاً فانبثقت منه حتى
مزقته تمزيقاً ، وقد رأيت كل ما يحوط بنا من أحوال
وما أبديته من رفضى الرحيل معها يمنع تسرب أى
أمل إلى

فتيقنت أن بريحييت لن تقوى على إنالتي عفوها
حتى ولو غلبت نفسها واستغفرتها إليه ، وما كان
هذا الوسن العميق الذى سادها كأنه نوع من

ذهاب الريح على قيثارة تهز أوتارها المشدودة لتقطعها
وأحسست بالآلام سنتين تخرق فؤادي في لحظة
وعلى أثرها قبض عليه أوصاب الحاضر وليلة ذلك
الماضي المشنوم، وما أجد في البيان ما أصف به مثل
هذه الأوجاع، ولعل وصفها بكل جلاء لا يحتاج إلا
لكلمة واحدة، ولكن هذه الكلمة لا يفهمها إلا
من ابتلاهم الحب بأدوائه

وكانت بريجيت مستغرقة في نومها وأنا مطبق
أنامل على يدها فإذا هي تتلفظ باسمي في مجراها
نهضت أتمشى في الغرفة والدموع تنهمر من
عيني فددت ذراعي كأنني أحول القبض على الزمان
الماضي وقد أظلت مني وأني له أن يعود؟ وصرخت:
أمكن هذا؟ أحمق أني أقفلك وقد امتنع علي أن
أحب سواك؟ أحمق أنك مولبة إلى الأبد؟ أنت
حياتي، خيلتي أتهربين مني فلن أراك بعد؟

وانجهت إلى بريجيت أخطبها كأنها تسمعي
فأقول لها: لا.. إنني لن أرضى بهذا القضاء، أي
معنى لهذه الكبرياء؟ أفليس من وسيلة أبدياً
للتكفير عن إهانتني لك؟ ساعديني علي وجود هذه
الوسيلة، أفأغفرت لي ألف مرة من قبل؟ إنك
تحييني وسوف تخونك قواك إذا أنت أقدمت على
جناية هجري، لأنك لا تعلمين ولا أعلم أنا ما ستقبل
وما سيحل بنا إذا افترقا

واستولى علي الجنون المطبق الخوف فبدأت
أذهب وأجىء رافعاً صوتي بما أقول دون هدى
مفتشاً هنا وهناك عن آلة جارحة قاتلة حتى ارتيمت
جائياً أمام السرير أضرب بحافته جيني، وتحركت
بريجيت فتوقفت مذعوراً

وقلت في نفسي: إذا هي أفاقت من نومها الآن
فأنت فاعل أيها الجنون؟ دعها في نومها إلى

هذه المرأة فلا مناص لي إذن من هجرها، وذلك
ما صممت عليه وسأحقه غداً

ودعيت في تفكيرى على هذا النمط دون أن
أحكم نفسي على ما جئت ودون أن ألتفت إلى ما ورأى
وإلى ما أمانى، فنسيت سميت وما وقع من حوادث.
وما كنت لأتميز السبب الذي قادني إلى هذا الموقف
وانحصر كل هي في التفكير لأعلم بأية عربة سأغادر
المدينة في الصباح

وصرّ على زمن طويل وأنا على هذا السكون
الغريب، فكنت كرجل أصيب بطلعة خنجر فلا
يحص أولاً بنير صقيع التصل حتى إذا سار بضع
خطوات في طريقه يقف مندهشاً وقد زاغت عيناه
فيتسائل عما ألم به، ويفتح جرحه دافقاً على مهل
أوائل قطرات دمه، فلا يلبث أن يرى الأرض
تخضب بالأحمر القاني وملاك الموت يقبض عليه
فيهزه الروح فجأة ويسقط مصعوقاً على الحضيض
وكنت كمثل هذا الجريح ساكناً والهاية
الدهاء تحدجني بأنظارها وتتقدم إليّ

وبدأت أردد بصوت خافت الخطاب الذي
وجهته بريجيت إليّ وأنا أدور في الترفقة معدداً
ما كانت الوصيفة تمددها فكنت أقفّس في وجهها
ثم أذهب لألصق جيني على زجاج النافذة ناظراً إلى
وجه السماء للتجهّم باليوم

وانحصر تفكيرى في كلمة واحدة «الرحيل
غداً» وما طال بي الأمر حتى امتنع علي أن أفهم
معنى هذه الكلمة، وانتفضت فجأة وأنا أهتف قائلاً:
يا لله! أي خيلتي التهمة إنني أقفلك لأنني ما عرفت
أن أحبك

وارتمشت أعضائي كأن شخصاً مجهولاً يصيح
بهذه الكلمات في أذني فذهبت في كل جارحة مني

معانيها نجاة . إنها أمامي الآن هذه الزهرة المضطربة
تساقط رماداً وقد أحرقتها غرامها
وأجهشت بالبكاء قائلاً لنفسى : أنظر إليها يا هذا
وفكر في شكوى من لم أجسام الخليلات وليس لهم
غرامهم . إن خليلتك موهبة بك وقد استسلمت
لك وها أنت ذا تفقدها لأنك ما عرفت كيف تهواها
وتجاوزت أوجاعي حدود احتياي فنهضت لأرجع
إلى ذراع الغرفة بخطواتي قائلاً :

— أجل ، أنظر إليها يا هذا وتذكر من يقضى
عليهم اللال فيذهبون في الأرض مسرحين أوجاعاً
لا يشاطروهم إياها أحد . أما أنت فقد كان لك من
يقاسمك آلامك فما انفردت بشيء مما احتملت .
تذكر من يسرون في الحياة ولا أم لهم ولا قريب
ولا صديق حتى ولا كلب لم يؤنسهم ، تذكر من
يفتشون ولا يجدون ومن سيكون فيسخر بهم الناس
ومن يحبون فيسكروهم ومن يموتون فلا يدكرهم أحد
أما أنت فأمامك على هذا السرير مخلوقة قد
تكون الطيبة أعدتها لاستكمالك ، فهيأت روحها
في دوائر الفكر الخفية أختاً لروحك ، وجسدها
في أعماق أسرار المادة أختاً لجسدك ؛ وقد مضت
عليك ستة أشهر لم ينطق فم بكلمة ولم يخفق قلبك
بنبضة دون أن مجاوبك كلمة من غيرها ونبضة من
فؤادها . غير أن هذه المرأة التي أنزلها الله عليك
كما نزاله الندى على الأزهار لم تستقر حتى انزلت
عن تويج قلبك الهاوى . لقد جادت هذه المخلوقة
فأجحة لك ذراعيها لتبكي حياتها أمام وجه السماء
فإنها هي تتبدد كأنها طيف لن يبق بعد زواله حتى
خيال خياله !

لقد التصقت شفاهاً وطوقت ذراعاك عنقها
وضمكت ملائكة الحب الخالد فأصبحنا كأننا واحداً

الصباح فإليك إلا هذه الليلة لتراها
وعدت إلى مقعدي وقد كتم الخوف أنفاسي
وخيل لي أن دى قد تجمد في عروقي مع انجماد
دموعي فلبثت دون حراك يهزني البرد هزاً فأقول
لنفسى لأحتفظ بسكوني : أنظر إليها ! تفرس بها
فلن يتسنى لك أن تراها بعد الآن .
وملكت أعصابي أخيراً فتناثرت دموع الأمل
بطيئة على جدي . وتولت سورة النضب فإذا مكانها
سكينة الاشفاق فاستمعي وهي صرخة إغوال وأنين
تشق الفضاء ، فأنجيت على السرير أحدى في ربيحت
كأن ملاكي الصالح يهب بي لأول مرة إلى استبطاع
ملاعها المزينة على صفحات فؤادي

ها هي ذى أمامي فيا لشدة شحوبها وقد أخاطت
بأهدابها الطويلة هالة زرقاء ولما زل رشاش السمع
عالقاً بأطرافها وهذه قامتها المشوقة منطرحة على
الفراش وقد تقوست كأنها حتى في رقابها تنوء
تحت وقر ثقيل ، وهذا خدها الأسيل تمدد صفرة
دكناء وقد لاقته على الوسادة ككفها الصغيرة
ومعصمها النحيل ، وهذا جبينها وقد ارتسمت عليه
آثار إكليل الأشواق تاج المتألمين الصابرين

وإذا بي وأنا مستغرق في تأمل أرى أمامي ذلك
الكوخ حيث التقيت بها منذ ستة أشهر صبية مريحة
تتمتع بالحرية ولا تنال بشيء

ويلي ! ما الذي فعلته بذلك الصبا وتلك الخلال ؟

وعادت الأغنية القديمة النسيبة تردد على مسمعي :
كنت في روض دلالي زهرة فيها ضرام
أحرق المشق جلال هكذا يقضي الغرام
بهذا كانت تنفي خليلتي الأولى ، وما كنت

من قبل لأدرك معنى هذا الشعر الساذج كما أدركه
الآن ، فبدأت أترنم به كمن يحفظ ألفاظاً تتجلى له

أماى فكذب عيني فيا أرى ونمدت يدي مثلبسا
جسدها لأتحقق أننى لست في حلم وأن هذا الجسد
ليس خيالا

ولحت وجهي في المرأة فإذا به يحدق في مستغربا
كأنه يستنكر هذا الإنسان الذى تتجلى ملائحتي
في ملاحه

من هو هذا الماى الذى يحدق في فى ويتخذ
يدى آلة للتدبيب ؟

أهذا الرجل هو من كانت تدعوه أمى باسم
أوكتاف ؟ أهذا هو من كان يترأى لى بين صروج
الباب عند ما كنت أنحنى وأنا فى الخامسة عشرة
من ربيع حياتى فوق جداوله وهى تنساب كاللجين
صافية كصفاء فؤادى ؟

وأطبقت جفونى عائداً إلى أيام طفولتى فإذا
التذكر يحترق قلبى بألف شمع كأن الشمس تمزق
خيوطها حالكات النجوم

وحسنت : لا . إن من ارتكب هذا الإثم ليس
أنا وليس كل ما يترأى لى فى هذه الغرفة سوى
أضفأت أحلام

وعدت أستعرض تفتح قلبى للحياة فيلوح لى
على صفحات تذكارى متسول هرم كان يجلس أمام
باب المزرعة وكنت أرحل إليه بعد النداء فضلات
مائدتنا ، فأراه كأنه الآن أماى مقوس الظهر ماداً
يديه الناحلتين ليباركنى وهو يتسم

وشعرت بشفة محبوب نسبات الفجر على صدغى

وبسقاط قطرات كأنها أدناء الصباح على روعى

فتحت عيني فإذا الحقيقة تنطع بصرى وقد

أنارها اشعاع المصباح الضئيل

وعدت أخطب نفسى قائلاً :

أتعتقد أنك برىء من الانم يا هذا ؟ أتجسب

برابطة الدم وجامع الشهوة ، ولكنكما حتى فى
ساعات هذا العناق الموحدة كتبنا منفصلين يبتعد
أحدكما عن الآخر ابتعاد متفيعين بينهما ما بين مشرق
الشمس ومغربها .

أنظر إليها يا هذا ولكن احترس من إبداء أية
حركة ، لم يبق لك إلا هذه الليلة لترأها فاحضق
إعوالك كيلا تنهبها من رقادها

وساورتنى أفكار مظلمة بدأت تحتل دماغى على
مهل فشعرت بقوة خفيفة تدفعنى إلى سبر الأعماق
فى نفسى

أفيكون قضاء العناية فى أن أرتكب الشر فى
حين أن ضميرى يشعرنى حتى فى غمرات جنونى
أننى صالح وعجب للخير ؟

أأرتكب الشر كأن ورائى قوة لائى تدفعنى
إلى الأخوار فى حين أشعر بقوة أخرى تحذرنى
من الانزلاق على مهاويها ؟

لماذا أرتكب الشر وفى صوت يهتف مستنكراً
ماتى ؟ حتى ولو تطلعت يدأى بدماء الجرعة أسمع
صرخة من أعماق فؤادى تعلن لى أننى لست مجرمًا
وأن الفاعل ليس ذاتى بل هو شخص آخر كامن
فى ولم ينبثق منى ، هو الروح الشرير المنفصل
فضى على

لقد مررت بى ستة أشهر وأنا أذهب على سبيل
الأذية فما اجتزت يوماً دون أن أعمل على الإضرار
كافراً بنفسى ونصب عيني نتائج فعلتى

فهل الرجل الذى أحب برىحيت ليحقرها
ويقسو عليها فهجها تارة ليعود إليها تارة أخرى
مائلًا روحها ارتياحاً دائراً حولها بالشكوك ليطرحها
أخيراً على فراش الضنى ، كان رجلاً آخر سوى ؟
وضربت بكفى على موضع قلبى ناظراً إليها ممددة

وتذهب مورداً الأحاديث عن أيام صباك فتفتيح
نفسك بأن على الله أن يغفر لك وانك مُكرهٌ غير
مختار في شقائك ، ثم تتحول إلى الأرق في لياليك
فتتاجيه بمشعل ماتناجي به نفسك كيلا يسلبك
راحتك حتى الصباح

ولكن من يدري ! إنك لاتزال في مقبيل
العمر ولسوف تستسلم لقلبك فتفكك كبرياؤك .
ها أنت ذا الآن أمام أول طلل من آثار الدمار التي
ستبقها حيث تمر . وإذا ما ماتت برحمت غداً
فإنك ترسل دموعك على نعشها لتذهب بعد ذلك
سائحاً في الأرض ، ولملك تتوجه إلى إيطاليا فتلتفت
برائك كإنكليزي أصيب بداء الملل والياس من
الحياة إلى أن تصبح يوماً في أحد الفنادق وأنت
تحتس كأساً بعد كأس فتقول لقد سكت صوت
ضميري وحن زمن السلوان فلا رجعت إلى الحياة
إنك تأخرت كثيراً حتى ذرفت الدمع يا هذا
فكن على حذر ! سيأتيك يوم تنقطع عن البكاء فيه
من يدري ! لقد يدور بك من الناس من
يهزأون بالأوجاع التي تتوهم الشعور بها ؟ وتحرّ بك
امرأة قيل لها إنك تبكي خلية خطفها الموت فتُرسل
إليك بسمة الإشفاق فتستببت فجيعتك ما ينفذ
غرورك

أما يكون بوسمك في ليلة من الليالي عندما يصبح
ما ترتش له الآن ومالا تجسر على التحديق فيه
صفحة مطوية في ماضي الزمان أن تتراخي على مقعدك
أمام مائدة أنس وطرب لتقصّ على رفاقك خشاك
والإبتسام على شفقتك ما رأيته عيناك وهما دامتان
هكذا يكرع الناس كؤوس المار وذلك هو
سبيل الحياة . لقد كنت حالكاً بالأمس فتدوت
ضيقاً وهذا الضعف سيقودك إلى الشر غداً .
(تمة الكتاب في العدد القادم) فليكس فارس

نفسك بريئاً لأنك تبكي ؟ أيها المتلمذ للحياة منذ
أمس وقد أفسدت الحياة ، إن ما تراه في تقدير
شهادة من ضميرك لك قد لا يكون إلا ندماً وتبكيكنا
وأى قاتل لا يكتفه ضميره ؟

أفأنت واثق من أن صراخ الألم المتألي من
صميم فضيلتك ليس آخر حشجة تدفع بها في
احتقارها ؟

أيها الشقي ، لا تحسبن هذا الصخب المتألي من
أعماق فؤادك أينما وإعوالاً ، فقد لا يكون ما تسمعه
إلا صرخة الطيور الجوارح تنبئها المواقف بتحطم
سفينة بين تأثيرات الأمواج

من أخبرك بما كانت عليه طفولة من يموتون
مخضبين بالدماء ؟ أما كان لهؤلاء أيضاً أيام ورواح؟
لنهم يمرون مثلك أيديهم على جباههم ليتذكروها
لقد ارتكبت الشر وما تندم على ما فعلت أما
أحرقتم الندامة قلب نيرون بعد أن قتل أمه ؟

من قال لك يا ترى إن السموع تفصل الآلام ؟
وهب أن السموع تطهر وأن قسا من روحك لن
يستسلم للشر أبداً ، فما حيلتك بالقسم الآخر الذي
استغرق فيه ؟ إنك ستلتبس بيسراك الجراح التي
فتحبها بمنك وستنسج من فضيلتك كفنك تدرج فيه
جراعتك . إنك لتفصل ما فعله بروتوس عندما أرسل
طلعته النجلاء وعاد يتقش على نصله ما تشدق به
أفلاطون

وإذا يافتح أحدك لك ذراعيه فإنك لترسل إلى
أعماق قلبه مثل هذا النصل وقد نُقشت آيات النوم
عليه ، وهكذا ستعود إلى الدافن بقايا عواطفك وتثر
فوقها أزهار إشفائك المقيم هاتفاً بمن يشهدون
ما تفعل : « ما حياي ؟ لقد علمني الناس القتل فلا
يعزب عنكم أنني أذرف الدمع لما قضى عليّ لأن
الله قد خلقني أفضل مني الآن »

حقوق للعالم مايريه

أسبرو

أهمية دولية



الدواء المردود يستعمل المردود الفاعلة يكون أيضاً حميد ولبيع . ولكن الدواء الذي يستعمل في أعمال
مقدرة وله فائدة عظيمة وفيه شفاء للناس ينال شهرة عالمية واسعة وتنتشر في اصقاع الأرض . وقرص
عظيم كان على صموهله الحقيقة . فقدرت تحت شهرة في أنحاء العالم لأنه اعطى دواء من أجل
وأصبح يباع بمقادير هائلة بفضل اقبال الذين استعملوه وتأكدوا من فاعله فقدموه لغيرهم . ولقد كان له الميراث
عده دواء واحد يحمل نفس الأوزنة كثيرة . دواء يرفع الألم بسرعة مفعوله وجلب النوم للذين في ألم صاعق بالذنب وزيل التعب
الناشئ من جلاء العطش ويخفف الآلام الحادة عند النساء ، وأدوم الصلح والنبور الميا وغيره خاصة في الأرض في دافئ
والسبب في ان له هذا الاستعمال هو تخفيف الحرارة بعد الحمى في الجسم ونزيب الورد في هولييه وفيه يخلص الجسم من فساد دمه ذلك فادله
لأدوية القلب والدماغ والربو لا يورث كل هذه المنافع بحيث لكل انسان الحق في شرائه . فليكن ان نضم الامهات ذلك ليست
العظيم من الذين استفادوا من هذا الدواء اللطيف .

أسبرو يصنع في إنجلترا

يستعمل الأدوية

الخطرة بل عند

أسبرو

اقرأ هذه الشهادات المقتضة ففيرا الكفاية

أسبرو يباع في كل مكان بمصر
الوكلاء مع. ب. شريف وشركاه

٢٣١ شارع المذايق بمصر
٩ شارع لوسون بالسكة
٢٧ فيضا ٥ فروش
١٠ أراض ٢٧ فيضا ٥
٢٧ فيضا ٥

في بطش شديد؟؟ فتقول مينرفا: «الذي يحفظك
منهم غداً يحفظك من غيرهم بعد غد، ولو جمعوا
لك جحفاً أضماًفاً... فلا عليك أيها العزيز.. خل
عنك الوسوس اذنت... ونم ملء جفنيك...
واترك للساء قيادك فهي حسبك...» قالت هذا
وزفت في الأثير اللانهائي إلى أولب، تاركة وراءها
القصر العتيق بمن فيه من نوام وغير نوام...

مسيكية بنلوط لقد كانت هي الأخرى شاردة
اللب، موزعة القلب، ماترقاً لها عبرة، ولا تُغنى
لها عين، ولا يقر لها قرار... لقد لبثت ليلاً كله
تشوّف إلى أودسيوس وتبكي عليه، وتستذكر
أيامه، وترثي لهذا الفتى اليافع تلياك؛ ثم تدعو للموت
كي يحمّد أنفاسها، ويفر عليها أحزانها... ولكن
المنابوافر لا تستجيب لدهاء أحد... وهب أودسيوس
عند مطلع الفجر فاطلق إلى المذبح الكبير حيث
جثا متضرعاً لهفان، يسبح باسم زيوس العلي ويصلي
له، ويهتف به أن يجعل له علامة يطمئن قلبه بها
أن كبير الآلهة ما يزال يحميه ويكلّؤه، كما كلاًه في
شدائده في كلا البر والبحر... وكان أودسيوس
يزكي صلته بأطهر السموع وأحرها، وكان سيد
الأولب يصنى لدعائه من علياء السماء، فما إن فرغ
الملك المحزون حتى أرسل زيوس في الأرجاء زلزلة
عظيمة مُدوية رجحت أصداءها جنبات القصر
الساكن، وأحياد الجبال الشاخة... وكانت خادم
بائسة تنهر طوال ليلاً عاملة في طاحونها ناصبة،
فلما وقرت في سمها الزلزلة ذعرت وروّعت،
وأزاحت طرف الستر لتنتظر إلى السماء فلم يجد فيها
سحابة واحدة، بل وجدتْها مشرقة بنباشير الصباح
مضيئة بنور ربهها... فجعلت تجأ إلى الله وتقول:



الأولب زليخة

لهرميرس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

نذير من السماء...

طلق أودسيوس يتقلب في فراشه على أحر من
الجمر، وطفق رأسه يثلي كالقندر، بل يفور كالتنور
بطائفة نائرة صاخبة من الأفكار والوسوس، وهو
لا يدري ماذا يصنع بهذه المصيبة أولى القوة من
أولئك المشاق الغالبك، وهو وحده، ومهما يكن
شجاعاً صنديداً فقد يتكأر الباب على الأسد فيقتله..
وهبطت من السماء مينرفا اللطيفة في صورة
حسناء هيفاء ممشوقة القذ، بارعة القبات، فجعلت
تواسيه وتطمئنه، وتبشره بأن الأولب كله من وراءه
فلا يخاف ولا يأسى...

«هذا حسن أن يكون الأولب، وتكونين
ياربة الحكمة من ورائي حتى أنتصر على أولئك
الجبارين... فكيف لا أخشى أن يهب من وراءهم
قبائلهم وذرايعهم واللائذون بهم يشارون لهم فيحل

يحدو قطعانه وباعزءه ، وطفق كبدأه يسب
أودسيوس ويرسل عليه وعلى يومانوس مازح به
فه من شتائم ، تحرشاً بالرجل الشحاذ الفقير ،
ولكن أودسيوس لم يحرك ساكناً ... وأقبل
راع آخر يقود بقرة صفراء لاذلول ولا فارض ،
يدعى فيلوتيوس ، فوقف عند زميله يومانوس
يسأله عن صاحبه الفقير الشيخ ، وكأنا راعته
ملاعه وحسن سمته : « إن له لسياء كسياء الملوك
برغم أسبالة ومرضه » ثم صافح أودسيوس وقال
له : « مرحباً أيها الأب ! خفف الله عنك عناءك
ووضع عنك وزر ما تشكو ... بالسياء ! إن مرآك
يفجر السموع في عيني لأنك تذكرني ببولاي
أودسيوس الذي وكل إلى رعي قطعانه وأنا بعد
صغير حدث ، فكبرت كما كبرت ، وتضاعف
عددها ... ولكني وأأسفاه لا أفرح بسمنها
ووفرة عددها ، بل إن الحزن ليرزح على نفسي
لأنها تسمن فتكون غذاء لا مباركة ولا هنيئاً
لأولئك الأمراء الظالمين ... ولولا رجائي في
السياء ... وأمل الكبر في عودة مولاي أودسيوس
للذت من بعيد يسيد آخر أخدمه ، لأن الصبر
على خبائث هؤلاء العتاة الطغاة لم يمد في طوق
أحد ... وأأسفاه عليك يا مولاي أين أنت اليوم ؟
ألا ليتك تعود تقبض البطشة الكبرى بهؤلاء
الجبارين ! ... واعتبط أودسيوس بما سمع من
كلام الراي فقال له : « لله ما أشجك أيها
الصديق ! ولكني أبشرك وأطمئنتك ، وأقسم لك
أن مولاك عائد مافى هذا شك ، وهو عائد عما
قريب ، وستشهد عينك هاتان مصارع البساة
الطغاة ! » ... وبينما هما يتحدثان إذا بالمشاق

« زلزال وليس في الأفق سحاب ! أما والله إنه نذير ،
أما والله إنها لنضبة السماء على هؤلاء اللناكيد ...
القناة ... الذين يقسروني على هذا العناء وذلك
النصب طوال الليل كأنني من حديد ... يا جوف
العلي ... إن يكن ما سمعت حقاً فإني أسألك بحق
أسباتك أن يكون هذا الدقيق آخر ما يأكلون من
زاد هذه الدنيا ! »

وتبسم أودسيوس من قولها ، وتوسم فيه وفي
تلبية السماء خيراً له ، وشاع في أعطافه شعور قدسي
بعادنت ساعة الانتقام ... وكانت الصيغيات الأخريات
يوقدن نار المدفأ في الردهة الكبرى ، بينما برز
تليماخوس من مخدعه مخترطاً سيفه ، ورمحه ينجر
من خلفه ، حتى إذا بلغ وصيد الباب الكبير
هتف بالمرضع المعجوز يوريكليا بقول : « كيف حال
الغريب النازح يا أماء ؟ بودي لو أنكن عنيق به كما
ينبغي ، لأن والدتي على ما جبلت عليه من خير
ولطف ، لاهش لأمثاله من النازحين الغرياء »
وقالت يوريكليا تيجيه : « يا بني لا تترعب على والدتك
في هذه السبيل ، فقد احتسى ضيفك من الخمر ملء
بطنه ، حتى لقد أبى أن يذوق طعاماً بعد ، وقد
أبى إلا أن ينام على فراش خشن في الردهة
الكبرى ، ولا أدري لم تثبت بهذا . وانطلق
تليماك إلى المدينة يتبعه كلباه . ثم أقبل الراي
يومانوس يسوق بين يديه ثلاثة خنازير كئناز من
أحسن قطعانه ، وما إن رأى أودسيوس - الشحاذ
الفقير في حسابه - حتى قصد إليه ، ولبث
يسأله عما لقي من المشاق - فذكر له أودسيوس
ما كان من وقاحتهم ... وبينما هما كذلك ، إذ أقبل
الراي السفيف ، سليل السبان ، ميلاثيوس وهو

تحركت قطع اللحم فوق الخوان فهي تقطر دماً أحر
 كأنه ينبثق من غلاصم قتل ! ثم امتلأت عيونهم
 بدموع غزاهار حرار ... ثم طفت صدورهم تملو
 وتهبط وتنشق عن تهدات تصعد من سويداوات
 القلوب ... ثم هذا ثيوكليمتوس — الكاهن
 الأبق — يشهد المعجزة ويرى النذير ، فينهض فيهم
 قائلاً : « تمسك لكم أيها الإنجاس لقد سىء بكم !
 ما ذا نصيأ لكم المقادر يا ترى ؟ ما هذه الظلمات
 كأنها قطع الليل تطفش رؤوسكم وترزق أقدامكم ؟
 وما هذه الدموع تنصب من عيونكم فتشوى
 حدودكم ؟ أنظروا إن استعظمتم ! ما هذه الدماء
 التي تخرج جدران القصر ؟ ما هذه الأشباح التي
 تكظ الهوايا ؟ إنها تنهوى إلى عالم الغناء فويل
 لكم ! أوه ! وتلك آية أخرى ! لقد كسفت الشمس
 فجأة وتوارت بالجباب ! الضباب الضباب ! ما أروع
 الضباب ينتشر فيملاً ما بين الأرض والسماء ! ! »
 وبالرغم مما أئذر الكاهن فقد أغرق القوم في
 الضحك ، ولم يزدادوا إلا خبالاً ... وقال قائلم ،
 وإنه ليورعناخوس : « ما أحسب إلا أن به جنة !
 خذوه فقلوه ثم في السوق صلوه ، عسى أن يجد ثمت
 ضياء يمشى فيه ، إنه لا يجد ضياء هنا ! ! »

وتلبث الكاهن فقال : « أربع عليك يا يورعناخوس
 فان لي عيتين وأذنين وإلى لأرى وأسمع ... وإلى
 نذر لكم من بلاد يحمل بكم فلا يبقى ولا ينذر ...
 أيها الأفاكرون المفسدون ! » وانطلق الكاهن من
 القصر ... ولز أحد العشاق تلياك فقال : « ألا
 ما أفسك في كل من صيغت من ضيف يا فتى !
 أما كان بحسبك هذا الفقير الشحاذ القدر الذي
 تطعمه ما عليه من سبيل حتى تجلب هذا التثنيق

يقبلون أفواجا فيملأون الهوى ، ويجلسون إلى
 ولجيتهم ، فيشير تلياك إلى أبيه فيجلسه معهم ،
 ويمد له مائدة ومقعداً ، ويحضر له من الشواء
 والخبز والشراب ما هو حسبه ويقول له بجمع من
 الجميع : « إجلس أيها السيد ولا تخش رهقاً ...
 إني أمقت أن أسمع شغباً اليوم ، فالبيت بيت
 أوديسيوس وإلى لصاحبه ! » وعيظ انطونيوس
 فقال : « دعوه فقد حق له أن يقول ما يشاء ،
 فتأله لولا أن حال جوف بيتنا وبينه لأسكتنا إلى
 الأبد أنفسنا ! » وقال سفيه آخر : « طب نفساً
 ياتلياخوس وقر عيناً ، فهناك منحة مني لضيقتك ،
 مضفة مشتهة ! » ثم تناول عظمة من السلة
 القرية فقتن بها أوديسيوس الذي انحرف عنها
 فلم تصبه ، وعند ذلك قال تلياك مناصباً : « تأله لو
 أصابته لأقصدتك برعى هذا فتفد في صدرك ،
 وخرج يلعب من ظهرك ، ولا تقلب العرس الذي
 تحمل به فكان مناحة تؤوز بيتك ... إني لم أعد
 صيباً بعد فلا تهربوني ! سترون كيف أستطيع أن
 أضع لكل ذلك حداً بعد إذ طفح الكيل ! » وهنا
 هب لثيم آخر فخذ في سخرية مقالة تلياك ...
 « لأن من حقه أن يحمي ضيفه ... ولكن اسمع
 ياتلياخوس ... لم لا تمضي إلى أمك وقد بئست من
 عودة أيبك فتطلب إليها أن تحضر فتختار البمل
 الذي يروفا من بيتنا ؟ فتعمل تلياك الكلام
 وقال : « هي حرة مطلقة الحرية . إني لا أقف في
 طريقها ولا أقصرها على شيء ! » وما كاد يفرغ
 حتى انفجر المناكير يضحكون ويضحجون

ثم حدثت المعجزة !

لقد تضرجت وجوه القوم بمجرة الدم ... ولقد

وحلن (الدناجل) ، ثم حملت في السهام وسارت أمامهن ، وعلى وجهها نقابها الصادر الحزن ؛ حتى إذا كانت عند الأمراء هتفت بهم فصمتوا ، ثم قالت لهم وفي صوتها نبرة الحزن ، وموسيقى الآلام : « ها هي ذي قوس أودسيوس وتلك هي سهامها أيها السادة الأمراء ، فمن استطاع أن يثنيها فيرسل عنها سهمها يحترق الدناجل الاثنى عشر قاتل له ، وهو صاحبي ... وعسى أن تبطل السماء حجركم اليوم .. » فقد طالما ذهبت بخير هذا القصر وأرغم من زاده بحجة أنكم عشاق كما استبجتم أن تسبوا أنفسكم ، فاليكم القوس فانظروا ماذا تصنعون » وأشارت إلى الراعي يومايوس فتسلم القوس العظيمة ، وحملها معه زميله راعي الضأن فيلوتيوس ... ثم إن الراعين لم يطبقا ذكريات سيدهما التي حاجتها فيهما القوس فذرفا دموعهما ثم استخرطا في البكاء ... وانتهرهما أنطونيوس فقال : « تبأكا أيها الفلاحان القدران فيم هذا البكاء ! التبتعثا الشجوة في فؤاد سيدتيك ! انطلقا أيها المسخان فابكيا بعيداً فتالله ما أحسب بكاء كما لا يزيد في صلاية القوس ، وتالله ما أحسب أحداً منا يبالغ منها مارباً ... وى ! من منا له بأس أودسيوس ؟ لقد كنت طفلاً ، بل كنت وليداً ، حيناً رأيت رجلاً ذا صولة وقوة يهديها إلى البطل .. أجل ... رأيت هذا بمعنى هاتين ... » وكان في كل ما قال ساخراً ... فقد هيا له الفرور أنه بقليل من العناء سيثني القوس ويرسل النهم ويحظى بينلوب !

ونهض تلياك فقال إنه سيسام في الرماية فإذا استطاع فانه سيثني أمه لديه ولا يتركها تنادر منزل أبيه قط ... ثم حفز حفراً على خط مستقيم فجعل

الذي يدعى النبوة ويرجم بالنيب ؟ » وصمت تلياك فلم يتبس ، وظل ينظر إلى أبيه ، ويرقب ساعة الجد

وما رميت إذ رميت ...

وكانت بنلوب جالسة في الحريم تسمع إلى خبيج القوم وعجيجهم ، فبدأها أن تضع حداً لهذا العتب العقيم الذي استمر كل هذه السنين الطوال فأصرت بمض وصيفاتها فتبعنها إلى الخبأ الذي حفظت به أذخار الملك وعتاده ، والسلاح الذي طالما فرقت له قلوب وارتمدت فرائص وزاغت من هوله أبصار .. لله ما كان أشجاء ذكريات حافلة بأروع ضروب المجد ! ها هي ذي الرماح التي طالما لاعب بها أودسيوس الأسته ، والسيوف التي طالما انتزع بها الأرواح ، والدروع السابغات التي كانت تدرأ عنه وتحميه ، وتحفظه وتفتديه ... ثم ها هي ذي القوس العظيمة معلقة فوق الحائط تلمع وترقص من حولها المتأبى.. القوس ذات الدكر التي أهداها إلى أودسيوس أحد المجديين به ... ها هي ذي بمد هذه السنين الطوال لم يحملها أحد غير أودسيوس ، لأن أحداً غير أودسيوس لا يستطيع أن يثني قوس أودسيوس ، وفيها الوتر المرء ، الذي لا يلين ولا يبعين ولا يرد ، إلا إذا كله أودسيوس ! وتناوت بنلوب كنانة السهام التي طالما قذفت النون في قلوب الأعدى ، وجلست تنثرها في حجرها ، وتنفق منها وتبكي أحر البكاء ... لأن كل منهم منها كان يهيج في قلبها ذكريات زوجها البطل وأشارت إلى وصيفاتها فحملن القوس العظيمة

ثم نهض راعي الخنازير ، يوماوس ، ونهض في إثره صديقه الراعي الآخر ، فحسًا الخطى خارج البهو لما شاهدا من يأس القوم ... وقد تبعهما أودسيوس ... فلما كانوا بعيدًا قال لها : « أيها الحبيبان ، إذا أرسلت الصناية أودسيوس في هذه اللحظة ليلطش بهؤلاء الناكيد ، أفتحاربونهم معه ، أم تحاربونه معهم ؟ » ... فرمقه فيلوتيوس وقال : « يا للساء ! والله لو سحت أحلامك لرأيت كيف أفتديه منهم بنفسى ومهجتى ! والله لرأيت كيف يهتر سلاحي فيحصد رؤوسهم ويمتر أشلاءم ! » وقال يوماوس مثل هذه القالة ... ولما وثق من اخلاصهما كشف لهما عن حقيقته فقال : « إذن فاعلما أنني أنا أودسيوس ، وهذه هي الندوب التي أحدثها الخنزير في ساقى ، وقد أبت الى وطنى فجأة فلقيتكما أول من لقيت ، وأكرمت متواى يومايوس وأنت لا تعرفنى ، ولم أشأ أن أبذو للقوم حتى أعرف عدوى من صديقى » ولم يكذ يفرغ من قوله حتى انحنى الرجلان يشهدان الندوب ، فلما استيقناها ، ذهلا عن نفسيهما ، وجشوا عند قدى مولاها ، وطفقا يقبلانها ويفسلانها بدموعهما ، ثم نهضا فالتقيا سلاحهما عليه ، بيد أنه أمرهما أن يصمتا حتى لا يفضح أمرهم أحد ... وقال لهما : « لا بد أن نمود أدرجانا الى البهو ، وسأطلق أنا قبلكما ، وسأطلب منك يومايوس أن تعطينى القوس لأقوم بنصيبي في التجربة ، وسيرفض القوم أن أفعل ، ولكنك يجب ألا تبالي وتناولي القوس ، ثم تسرع بمد هذا الى الحرم فتخبر النساء فيه ألا يذعرن إذا سمعن نحية أو عويلًا فى البهو ، أو شهدن حربًا وقتالا ... أما أنت يافيلوتيوس قسرع الى باب

فى كل منها دُججلا وثبت حولها بالحجارة والتراب .. ثم إنه تناول القوس العظيمة وألقها السهم ، وجمع قواه وطفق يشد ؛ وفشل مثنى وثلاث ، وكانت القوس تشمع عليه فلا تكاد تنثنى ، حتى إذا حاول الرابعة وأوشك أن يظفر ، أوماً إليه والده ففهم ما يريد وقال : « أوه ! إنه لا يقدر على هذه القوس إلا من هو أقوى منى وأكل جسمانا وأتم بنية ... فليقدم لهما من شاء منكم حتى نرى ! »

وقال أنطونيوس : إنهم جميعا مشتركون فى التجربة حسب مقاعدهم ، حتى الكاهن ... فنهض هذا وبعم شطر الوصيد وحمل القوس الرهية ، وحاول مائة مرة أن ينثها فلم يستطع ، فالتفاه وقال : « أيها الرفاق ... ما أحسب هذه القوس إلا مؤيسة للجميع ... لقد أوهنتى وذهبت بمثنتى ... ألا فلتحملوا بإمرأة أخرى غير بناوب ، فوالله ثم والله إنها للرجل الذى كتبها المقادير له ... الذى يحضر إليها بما ليس فى وسعكم من كنوز ومن أذخار »

وغضب أنطونيوس وتجهج للكاهن ثم قال : « ألا ساء ما تقول أيها الرفيق ! أحسبت أننا نياس من هذه القوس لأنك لم تقدر عليها ؟ ومتى كنت رجل جلال وجهاد ؟ ومتى ثنيت قوساً أو أرسلت سهماً ! أربع عليك فنيما الكثيرون الذين يستطيعونها بالليل الأقل من الجهد » ثم أمر راعي الشأن ميلانيوس أن يحفر حفرة ويوقد فيها ناراً يجعل بها وعاء من شحم ليمالجوا به القوس عسى أن تلين قبل أن يذلو دلوهم ... فلما كان هذا أخذ الأبطال كل بدوره يمالج أن ينثى القوس ، ولكنها استعصت عليهم جميعاً ، ولم يبق إلا أنطونيوس ويوريماخوس ، وهما أكثر هذا الجمع قوة وأوفرهم فتوة

مباراتهم ... ومن يدري ! لهم ذعروا أن ينجح هذا الفقير في فشواهم فيه ... قال أنطونيوس : « أخرج عليك لسانك أيها السليط الوقح ! كيفيك أن يسمح لك بوجودك بين هؤلاء السادة الأخيار من أقيال البلاد حتى تطلب أن تباريهم ! » وكانت بتلوب تطلع فلم تحتمل أن يؤذي صيف ولدها هكذا ، فقالت : « أنطونيوس ! أتى لك أن تؤذي تلياك في ضيفه ؟ بل ينبغي أن يحاول الرجل كما حاولت ، فاما أنك تخشى أن يظفر فيا فشلت فيه .. فلا خير .. إنه لا جرم ليس يحلم مثلكم بأن أكون زوجة له ، فليفرخ وروغك إذن ، ولتطمتوا جميعا » وقال يوريماخوس : « يا ابنة إيكاريوس مادار بخلدنا قط أن تكوني زوجة له إذا ظفر ، ولكننا خشينا أن يفضحننا في الناس فيقول : « عجباً لسادات إيشا كما وحولها ! يطعمون أن يتزوج أحدهم امرأة البطل العظيم أودسيوس ثم لا يستطيعون رى سهم عن قوسه ، ويأتى رجل شجاع فقير فيثني القوس ويرى السهم وهم مع ذلك لا يستحيون ! » هكذا ما خفنا أن يكون يا ابنة إيكاريوس وهذا ما خشيت أن يذهب بشرفنا ! » فقالت بتلوب : « لتطعن يوريماخوس فليس في مثل هذا يضع شرفكم ... ولكن الرجل ذو جنم طوال ومظاهر جبار ، وقد ذكر آباءه فسلم أنه كريم المنصر طيب الأرومة عريق المتمد ، فلم لا يعطى القوس لترى ما يكون ؟ وإنه إن ظفر فسأخلع عليه وأدفع له سلاحاً وأرسله أتى شاء ! » ثم نهض تلياك فقال : « أماء ! إن القوس قوسي وإني لصاحبها ، أعطيها لمن أشاء وأصونها ممن أشاء ، ولن ينازعني حتى أحد من المالمين ، ولو شئت لأعطيها الرجل فتكون حقاً خالصة له ما سمحت لأحد أن يمتنعي ... تفضل ! أنت فلتلق عليك أبواب

البهو فتوصده وتحكم إغلاقه حتى لا يفلت منهم أحد أبداً . ثم مضى تجلس مكانه لدى الباب ، وتبعه الراعيان ... وفي هذا الوقت كان يوريماخوس يحاول محاولته ، وكان من وقت إلى آخر يذهب بالقوس العظيمة فيعرضها للنار عسى أن يسهل عليه ثنيها ، لكن القوس أبت مع ذلك أن تثنى ، فلما بلغ من يوريماخوس الجهد ألقي بها يائسا وقال : « تبأ لها من قوس عنيدة ، والمار الأبدى لنا جميعاً يا رفاق ! ما لنا ولهذا ؟ إن في إيشا كاحساناً ، وإن فيهن أزواجاً تُرباً أبكاراً لمن يشاء ... أوه ! يا للخرى ! أواه لو لم تقل الأحيال القليلة إننا كنا دون أودسيوس قوة وأقل منه فتوة حين مجزنا أن تنثى قوسه ! يا للخرى ... يا للخرى ! »

ورؤِع أنطونيوس ! وذهل عن أمره ، ولم يشأ أن يمزى نفسه بأن يحاول كما حاول غيره ... فوقف فقال : « ما أحسب القوس عنيدة ولا مستعصية كما ترعمون ... ولكن اليوم يوم عيد أبوللورب القوس العظيم ، فأنى لنا أن نحمل قوساً اليوم ! دعوها ، واركوا الأهداف مكانها ، فلي يجسر أحد أن يدخل بهو أودسيوس فيمضى بها ، وفي بكرة الفد يحضر ميلانتيوس من قطعانه عزات سمائنا فنضحي بها لأبوللور ، ثم نتم محاولتنا »

ولكن أودسيوس هب من مجلسه فقال : « يا سادة ! ما دعمتم لن نحاولوا الرماية اليوم فأرجو أن ندفعوا إلي هذه القوس لأجرب أنا أيضاً ، ولأرى هل ما تزال بقية من مسنة الشباب مخبوءة في أعصابي ! أم أنها ذهبت بها جميعاً متاعب الحياة وكثرة التجوال في أطراف الدنيا ... » وجن جنون القوم لما قال أودسيوس هذا ، وعجبوا كيف يجسر شجاع فقير مثله أن يطلب أن يشارك السادات في

في أجزائها ، خفاة أن يكون السوس قد نخرها
إذ هو ناء عن بلاده ... وزاغت أبصار القوم ،
وجعلوا يُبرِّقون في الشحاذ الفقيد ويقولون :
« المَلُوفُ »^(١) الزيم ! إن له كميّنا فاحصة كأن
لها عهداً بالرامية ؛ وإنه ليبحث القوس كأنه يقتني
أمثالها ! ... ثم قبض أودسيوس على القوس ،
وشد طرفها في سهولة وفي يسر ، كما يشد الموسيقي
وتراً من أوتار قيثاره ، ونظر إلى الأهداف المتراسة
أمامه ، وأرسل سهماً اخترقها جميعاً ، وسمع له
صوت كسقسقة العصافير ...

يا جميعاً ! لقد أراش أودسيوس السهم ،
وأرسل زيوس الطلي زلزلة ورعداً مدويك وثب له
فؤاد البطل ، وطارث منه ألوان القوم ، وانقذف
الربح في قلوبهم ...

ثم أخذ أودسيوس سهماً آخر فقبضته ، ثم
أزاحه فاخترق الأهداف مرة أخرى ...

قال أودسيوس : « تلياخوس أيها العزيز !
إن ضيفك لم ينجب رجلك ولا أضاع عشمك »^(٢) ،
ولقد أصبت الأهداف كلها على حدّاته عهد بالرامية ...
والآن هم ... إن النهار يوشك أن يوج ، وإنه لينبني
أن نعد وئمة النساء للسادة الأسماء ، ولن يعدموا
بعدها ما ذابوا عليه من رقص وعزف ، وقصف
وغناء ... ! »

وم تلياك فأتى حائل سيفه على كاهله ، وتناول
رعته العظيم . وسرى !

درسي ضحية

« يتبع »

الحريم وانظري في أعمال البيت وصرفي شئون الخدم
وخذي في غزلك ونسجك ، وسنظر نحن في أسر
القوس وسأرى أنا لمن تكون النوبة ، فأتى هناسيد
لا مسودا ! ... وشدهت بنلوب قليلا ، إلا أنها
عرفت أن ابنها قال حقاً ، فانسجبت ، وغلقت عليها
أبوابها ، وانظرت في فراشها حيث واقها ميزفا
فسكت في عينها غفوة هادئة لذيذة ، فاستسلمت
لسبات عميق

وتقدم يونايوس فجعل القوس وأوشك أن
يذهب بها إلى أودسيوس ، لكن الأسماء زاروا
مغاضبين ، فغشى الراي ، وأتت القوس ثانية ، فصاح
به تلياك : « هات القوس هنا أيها الرعديد ، لشد
ما أود أن أخلص منك ومن هؤلاء السادات الذين
ترهبهم ... ! » وسخر الأسماء ونخبوا ضاحكين ...

ولكن الراي تقدم إلى القوس فاجتمعا ، وذهب
بها قدماً إلى مولاه ... وانطلق بعد هذا إلى الداخل
فنادى الموضع يوريكليا وقال لها : « إن مولاي يأمرك
أن تفتحي جميع الأبواب ، ويقول لك إنه إذا سمع
أحد من النساء ضجة في الهو أو قتالاً فليجلسن حيث
هن ولا يزعجن ، وليأخذن في عملهن ، أسمعين ؟ »
وغلقت الموضع الأبواب وبلغت رسالة مولاه ...
ثم هم فيلوتيوس ففتق باب الهو وأحكم إقفاله ،
وربطه بسكبر^(٣) طويل كان لسفينته وألقى لى
الباب ؛ وعاد يجلس مكانه وعيناه لا تزعجان عن
مولاه ...

وتناول أودسيوس القوس فجعل يفحصها ويبحث

(١) في القاموس السلب لواء شجر باليمن تحمل منه الحبال
ونحسب أن منه إطلاق السلب على الحبال الفليظة في مصر فلم
نر بأساً من استعماله بهذا المعنى

(٢) الملوف بشديد اللام وزان فردوس التليل الجاني
البطين ونحسب أن منه تحت المصريون كلمة هلقوت وقد
استعملناها لظرفها ومناسبتها كثيراً للقام

(٣) في القاموس المعجم الطمع



© 2000

الرسالة

مجلة لدراسة الفكر والعلم والفن

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب

على هدى وبصيرة

الرسالة : تعبر باخلاص عن روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية

الرسالة : تصور مظاهر العبقرية للامة العربية

الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية

الرسالة : تحيي في النشء أساليب البلاغة العربية

— ❦ —

مجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

الجديد ، وسجل الادب الحديث ، ودائرة معارف عامة

— ❦ —

الاشتراك العاقل ستون قرشاً ، والخارجي ما يساوي جنباً مصرية ، وللبلاد العربية بخمسة ٢٠ ٪

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

برل الامتراك عه سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ عن العدد الواحد

الادارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦
الحيّة الخضراء - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

السرور

مجلة أسبوعية للقصص والبرامج

نصدر مؤقثاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الأولى

٢٩ شوال سنة ١٣٥٦ - أول يناير سنة ١٩٣٨

العدد ٢٣



فهرس العدد

صفحة	
١٤١٨	جولي رومان
١٤٢٤	عائدة
١٤٣١	عشية أو ضحاها
١٤٤٠	الجزء
١٤٤٥	مهر الشاعر
١٤٥٢	غرام
١٤٦٤	اعترافات فتى الصبر
١٤٧٤	الأوذنية
...	القصص الفرنسي جي دي موباسان
...	أقبوصة مصرية
...	القصص الروسي ليونيد أندرييف
...	أقبوصة رثية
...	أقبوصة مصرية
...	للكاتب الروسي أنطون تشيكوف
...	لألفريد دي موسيه
...	لهوميروس
...	بقلم أحمد حسن الزيات
...	بقلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني
...	بقلم الأستاذ محمد لطفي جمعة
...	بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب
...	بقلم الأستاذ محمود بك خيرت
...	بقلم الأديب السيد جورج سلسي
...	بقلم الأستاذ فليكس فارس
...	بقلم الأستاذ دريني خشبة

الجنة الحالية بالورد
والبرتقال، غطسهم
السافلة ، ودعائهم
الباطلة ، ورغبتهم
الخسيسة ، ويصوروا
الذهن البشرى على
جبلته الأولى من
الحقارة والجهالة

جَوْلِي رُفْقَانِ

لِلْقَصَصِ الْفَرَسِيِّ جِي دِي مُوْبَاسَانِ
بِقَلَمِ أَحْمَدَ حَسَنَ الزِّيَاتِ

والكبرياء والطمع . وعلى حين بفتة رأيت في آخر
فرضة من الفُرْضِ الرائعة التي يصادفها السائر في
كل منطف هناك ، أربع دور أو خمسا يقعن في وجه
البحر ، وتحت أقدام الجبل ، وأمام غابة موحشة من
الصور تتدد وراءهن إلى بيد في وادين كبيرين
لا طريق فيهما ولا منفذ

وكان أحد هذه الجواسق أثيقاً ممججاً ،
فقيد بصرى بحسنة ، واستوقف خطاى على يابه .
وهو مسكن صغير أبيض الجدران أسمر النوافذ
قد كسته الورود للتسلقة من أساسه إلى سقفه .
أما حديثه فبساط من الزهر تجمع فيه كل لون
وكل شكل ، فكان خليطاً عجيباً من الأنافة الفريدة
والظفر النادر . فإذا سرحت بصرك في أفئته
وجنباته رأيت الخضرة النضيرة تغطي كل شبر من
أرضه ، وألغاف التور تجمل كل درجة من سلمه ،
وعناقيد الورد الأزرق أو الأسفر تتدل على واجهته ،
وأكاليل الزهر الأحمر تتألق على أعمدة مشرقه ؛
وأبصرت من خلفه ممشى من أشجار البرتقال
الزهرة يمتد حتى يقف عند حضيض الجبل

منذ هامين كنت أسير في الربيع على ساحل
البحر الأبيض . وألد الأشياء أن تفكر وأنت سائر
في الطريق على جبل . وهل أجل من أن تسير في
الغنياء وفي الهواء على حدود الجبل أو على سيف
البحر وأنت تحمل ؟ وإكثرة ما ينثال على نفسك الهامة
في هاتين الساعتين اللتين تمشيهما أحلام الحب وأوهام
المخاطر ! تهب عليك الأمانى المهمة البهيجة فترشفها
مع النسيم الليل الفاتر ، فتحدث في قلبك شهوة
المسادة كما يحدث المشى في نفسك شهوة الطعام ؛
وتطير حولك الخواطر السواحر بحالاً مفردات
كانها أطياف الربيع !

كنت أسير في ذلك الطريق الاحب الالهاب
من سائر رفاثيل إلى إيطاليا ، أو بالحرى ذلك
الزخرف الأنيق الشغير الممتد الذي تراه فتحسبه
مُخلق ليملل جميع ما قال الشعراء من قصائد النزل
وأشيد النرام . وكنت أفكر في أن الناس إنما
يأتون هذه البلاد من (كان) حيث يسترفهون ،
إلى (موناكو) حيث يقامرون ، ليطهروا الزهو
والصلف ، أو ليطاطوا اللو والبرف ، فيمرضوا
نحب هذه السناء الحافظة بالسحر والجمال ، وقوق هذه

مرة متعاقبة . سافرت هي وهو على مركبة البريد كما كانوا يسافرون يومئذ ، فعبرا البحر ليحييا حياة الهوى والصباية في الجزيرة المتيقة تحت ظلال البرتقال التي تكثف (بالرم) ، وتسمى صدفة الذهب

لقد كان الناس يتحدثون عن صعودها إلى بركان (أطنة) ويدكرون كيف انحنيا على فوهته الوسيمة وهما ملتصقان خدًا لخد يريدان أن يلتقيا بنفسيهما في هاوية جهنم

لقد مات مات صاحب الشمر المضطرب الذي أثار بمقمه رأس جيل ، وفتح بدقته وأسراره هالما خديداً للشراء الجدد

ومات الآخر كذلك ! مات ذلك الهجور الذي ابتكر من أجلها جملا من الموسيقى بقيت في كل ذاكرة ، وترا كيب من النصر والياس حزت في كل قلب

وبقيت هي بمدحها في هذا البيت المتنبط بالهجر المحجب في خيلة من الفتنة !

غمرت الجرس غير متردد ولا متلصك ، ففتح الباب غلام في نحو الثامنة عشرة من عمره ، على وجهه ويديه دلائل الحق والبلاهة . فناولته بطاقتي بعد أن كتبت عليها تحية رقيقة للمثلة المجوز ، ورغبة شديدة في أن ألقاها ؛ فلما تعرف اسمي قسمح لي بالدخول

ذهب الخادم ورجع ، فطلب إلى أن أتبعه ، فتبعته إلى بهو نظيف ظريف ضخم الأثاث على طراز لويس فيليب . وكانت فيه جارية في سننها السادسة عشرة ممشوقة القوام عليها مسحة من

دنوت من الباب فقرأت عليه هذا الاسم مكتوباً بحروف صغيرة من الذهب : (فيلا أنطوان) فقلت لنفسى : ليت شعري أى شاعر أو أية حورية يسكن هنا ؟ أى تحتل ملهم كشف هذا السكان وشاد فيه هذا المنزل الذى تطير حواليه الأحلام ويتنزل عليه الإلهام ويطفئ به الجمال كأنما ثبت في طاقة من الريحان والزهر ؟

وكان على مقربة من هناك عامل من عمال الطرق يقطع الصخر ، فسألته : من صاحب هذه الجنة ؟ فقال : السيدة جولى رومان

جولى رومان ! طالما سمعت وأنا في فجر أيامى هذا الاسم يتردد على الأفواه ! ذلك اسم المثلة الكبيرة منافسة المثلة الشهيرة راشيل ! تلك هي الفتاة التي لم تدل امرأة ما نالت من تصنيفي المجبيين وتنافس الغرمين وتديل الأحبة ! ما أكثر ما وقع في سبيلها من حوادث البارزة والانتحار ! وما أشهر ما استفاض حول اسمها من المقامرات والأحداث !

ما عمر هذه الساحرة النوية اليوم ؟ ستون ؟ سبعون ؟ خمس وسبعون ؟

جولى رومان ! هنا ، في هذا البيت ! هنا ، تسكن المرأة التي تيمت أندر المبقرات الشعرية ، وأنبغ القرائح الموسيقية في هذا البلد ! لا أزال أذكر تلك الزجفة التي أصابت فرنسا بأسرها وأنا يافع حين فرت هذه المثلة إلى صقلية مع هذا ، بعد أن قطعت أسبابها مع ذلك

لقد سافرت مع حبيبها الشاعر ذات مساء بعد أن مثلت إحدى الماى الجديدة ، وهتف لها الجمهور نصف ساعة متصلة ، ودعاها إلى الظهور إحدى عشرة

نقص على قرائها ذكرياتها ومناصرتها ونوادرها
وماثرها ، ثم يحوى النسيان ويطوي البلى
ثم سكنت رهة وعادت تقول :

وليس ذلك اليوم بعيد . بمد بضمة شهو
أو بضمة أيام لا يبق من هذه المرأة الحية إلا هيكل
صغير من العظام . ثم رفعت بصرها إلى صورتها التي
تبسم لها : لهذه العجوز ! لصورتها المضحكة ! ثم
نظرت إلى صورتي الرجلين الشاعر المحتقر
والموسيقيار الملم فكتأثما يقول أحدهما للآخر :
« ماذا يبتني منا هذا الطلل الدارس ؟ »

فأخذ بكظمي حزن لا يوصف ولا يقال :
حزن على العمر الذي انقضى ولا يزال يضطرب في
الذكريات اضطراب الفريق في الماء العميق .

وكنت أنظر وأنا في مكاني المركبات الفاخرة
تخطف على الطريق الداهب من نيس إلى موناكو ،
وفيها الفتيات الرشيقات عليهن مظاهر الفنى
ودلائل السعادة ، والرجال المستبشرون عليهم آثار
الرخاء والنبطة . فنظرت إلى ما أنظر إليه ، وفهمت
ما أفكر فيه ، فقالت مقنعة وهي تبسم ابتسامة
الستسلم : لا يستطيع الرء أن يكون بعد ما كان !
فقلت لها : لكسده ما كانت الحياة في عينك جميلة !
فتنهبت ثم قالت : نعم كانت جميلة رخيصة ! ومن أجل
ذلك أسف عليها أشد الأسف .

ورأيتها على استعداد لتحدث عن نفسها فأخذت
أستفهمها في رفق وحذر كما يحس الإنسان القرح
المض . فتكلمت عن فوزها وغبطتها ونشوتها
وأصدقائها وعن كل ما يتصل بحياتها الناجحة
الجيدة . فسألها :

الحسن ، فرفمت مكنتها احتراماً لي ، ثم انصرفت
وبقيت وحدي

كان على حوائط البهو ثلاث صور : صورة
للممثلة في أحد أدوارها ، وصورة للشاعر في رديجوته ،
وصورة للموسيقيار أمام بيانه . وكانت هي في زى
ذلك العهد شقراء فاتنة تبسم بشفتها الرقيقة وبميناها
الرزقاء ؟ وقد تأتق الصور في صورتها وافتن
جذات بديعة متقنة . وكان كل ما في البهو يشمر
بالقيدم ويتحدث عن الألآف الداهيين والأيام
الحوالي

فتح أحد الأبواب ودخلت امرأة شطاء نحيلة
الظل زاوية ، قد لقع رأسها الشيب وايض خاجياها
وأهدأها فبدت كأنها الفارة البيضاء . فددت يدها
إلى وقالت في صوت لا يزال على طراوته وحلاوته
ورنينه :

— شكرآ لك يا سيدى ! فإن من كرم الخلال
أن يفكر رجال اليوم في نساء الأمس ! تفضل
بالجلوس

ذكرت لها أن جال بيتها استهوانى وأغواني
فسألت عن صاحبه ، فلما عرفت أنه لم أستطع أن
أقاوم رغبتي في طلب الإذن عليها . فقالت : إن ذلك
ليثلج صدرى ويهيج نفسى ياسيدى . وهذه أول مرة
يقع فيها مثل ذلك . حيناً أنيت إلى بطاقتك وعليها
كلتك الرقيقة عرفتني هزة شديدة كأنما انبثت بقدم
صديق قديم غاب عن عيني منذ عشرين سنة .

أنا امرأة ميتة ، ميتة حقاً ، لا يتذكرنى أحد ،
ولا يفكر فى إنسان ، حتى يأتيني الموت الحق ؛
ويومئذ تتحدث الصحف عن جولى رومان ثلاثة أيام

الرجلان كيف يسيان عقل المرأة بالنم والكلم .
أجل ربما كان في هواها من اليوم أكثر مما فيه من
الحقيقة ؛ ولكن هذا اليوم يحملك فوق أطباق
السحاب على حين تدعك الحقيقة ملقى على آدم
الثرى . فإذا كان غيرها قد أحبني أكثر مما
أحبابي ، فإنهما وحدهما علماني كيف أفهم الحب
وأحسه وأعبده

قالت ذلك ثم تقاطرت دموعها البائسة في
سكون وصمت ، فتنازعت عن ذلك وجعلت أنظر
إلى بعيد حتى ثابت إلى نفسها بسد لحظات
واستأنفت تقول :

كل مخلوق ياسيدي يشيخ قلبه متى شاخ جسمه ؛
ولكنني لا أخضع لهذه القاعدة ، فإن جسمي
المسكين قد بلغ التاسعة والستين ، بينما قلبي البائس
لا يزال فتيا لم يتجاوز العشرين . ولذلك ترائي أعيش
وحدي بين الزهور والأحلام

ثم تولاها صمت طويل عاودها فيه الهدوء فعددت
تقول وهي تنبسم :

إنك لتسخر مني إذا علمت ... إذا علمت
كيف أقضي أمانتي كلما كان الجو جميلاً والطبيعة
مشرقة . أتى لأتبر في نفسي الحجل والراء في
وقت مما

فحاولت حملها على أن تقول لي ما ذا تفعل فلم
أجمع . فهممت بالقيام ، ولكنها هتفت بي قائلة :
— الآن ؟

فأجبتها أتى سأنتهي في مونت كارلو . فقالت
في شيء من الحياء والحشمة : أقبّل أن تتمني
معي ؟ إن ذلك يملأ قلبي سروراً وغبطة
فقبلت دعوتها على الفور ، فقبل وجهها لذلك ؛

وهل أنت مدينة بهذا السرور المرح وتلك
السعادة الخاصة للسرحة ؟

فأجابت في شدة وحدة : أوه ! كلا
فأقبست أبا وعادت هي تقول وقد نظرت إلى
الصورتين نظرة حزينة :
إلى مدينة بكل ذلك لها .

فلم أتمالك أن سألتها : لأيهما ؟
فقلت : لها ممّا ، حتى لأخطئها بعض الخلط
في ذاكرتي الشيخة . ولقد أحس في نفسي وخز
الضمير لأحدهما ، اليوم ؛ فقلت لها : لست مدينة
لها بشيء ياسيدي ؛ إنما أنت مدينة بسعادتك
للحب . فهو وحده الذي يجب أن تعترف له بالجليل
والشكر . وما كان هذا أو ذاك إلا ترجماً له .

فقلت : ذلك جائز . ولكن أي رجاء كانا ؟
فقلت لها : وهل أنت موقنة بأنك كنت
لا تجدين في دماء الناس من يحبك خير الحب وكل
الحب ، فيقدم إليك قلبه وفكره ووقته وحياته ،
بينما هذان لم يقدموا إليك إلا خصمين تحوّلينهما
الموسيقى والشعر ؟

فصاحت تقول بذلك الصوت الرخيم الحنون
الذي يحرك أوتار القلب :

لا ياسيدي ، لا . ربما كان غيرها يحبني أكثر
منهما ، ولكنه ما كان يستطيع أن يحبني مثلهما .
آه ! لقد غنيتي أناشيد الغرام على لحن لا يتسنى
لغيرها أن يوقعه ؛ لشدة ما أطرباني وأسكّراني ؛ هل
كان في مقدور إنسان ما أن يجد ما وجداهما
من السحر في الألحان والأوزان ؟ وهل يكني
المرء أن يحب إذا كان لا يقدر أن يضع في حبه
أنعام السموات والأرض ؟ لقد عرف هذان

فتوسلت إليها قائلاً : سبحان الله ! ماذا ؟
أطلعتني عليه وأنا أعدك ألا أسخر منه . أقسم
لك على ذلك ...

فترددت . ولكني تناولت يديها المعروقتين
الباردتين وقبلتهما مراراً واحدة بعد أخرى كما
كان حبيبها يفعلان . فتحرك لذلك قلبها فقالت
في شيء من التردد :

أتمدني ألا تضحك ؟

فقلت لها : أعدك وأقسم

فقالت : إذن تعال

ونفضت فنهضت معها ، وكان الخادم الصغير
الأبله يُسحب الكرسي من ورائها فهمست إليه
بكلمة سرية فقال :

سبحاً وطاعة ياسيدي . على الفور

وأخذت بذراعي فشينا تحت الطنف ؛ وكان
المشي متمتعاً للنظر وبهجة للقلب ؛ والبدر الطالع
يرسم في سوائه خطاً طويلاً من الضوء كأنه
شريط من الفضة ، يقع على الرمل الأصفر بين
ردوس الأشجار المدهامة ؛ وكان الشجر في نشوة
إزهاره يسطع شذاه العبق فأفهم الحواء آلافاً من

وكنتم ترى من خلال خضرفته الحواء آلافاً من
الحجاب (١) نظير مضئفة لماعة كجبات النجوم ،
فهتفت قائلاً :

ما أحرى هذا الزخرف بمشهد من مشاهد
الحب !

فابتسمت ثم قالت :

أليس كذلك ؟ أليس كذلك ؟ سترى !

(١) الحجاب Luciole ذباب يطير بالليل له شعاع في
ذنبه كالسراج

ودقت الجرس فجاءت الخادم فأمرتها بما تريد ثم
قامت فطابت بي كل مكان في البيت

وكان البيت طنّف مزيج مزبدان بالشجيرات
الزهرية يفتح على غرفة الطعام فيرى الجالس فيه
ممشى البرتقال الممتد إلى الجبل . وبين ضمايم المشب
والزهر تجدد مقعداً واطناً يدل وجوده على أن المثلة
المنجوز كثيراً ما تأتي فتجلس فيه

تجولنا في الحديقة ننظر إلى فنون الزهر
وضروب الشجر وأنواع الرياحين ، وكان المساء
يقبل على رؤود وهدهد فينشر في جو المساء الفاتر
أريج الورد والفاغية . ولم يكن غير قليل حتى غابت
أواخر النهار في أوائل الليل ؛ وجان موعد الطعام
فجلسنا إلى المائدة

كان المساء لذيذاً طويلاً ارتفعت فيه الكلفة
بيننا وبينها حين فطنت إلى ما نشأ لها في قلبي من
شدة الليل وصدق المودة . وشربت إصبعين من النبيذ
كما كانوا يعمرون من قبل فاطمات إلى بأنسها ،
وأطلعتني على دخيلة سرها . قالت :

أنظر إلى القمر ! أنى أحبه وأقدس . لقد
كان الشاهد على سعادتي الحياشة وسروري المرح .
ويخيل إلى أن جميع ذكرياتي منقوشة على صفحته ؛
فما هو إلا أن أطلع وجهه حتى تهافت على خاطري
سراعاً تباعاً . وفي أغلب المساء أهي نفسي مشهداً
من أروع المشاهد ... مشهداً جيلاً ... جيلاً ...

لو كنت تعلم ؟ ... ولكن لا ... إنك لو علمت
هزأت بي وسخرت مني .. لا أستطيع .. لا أجرؤ ..
لا ... لا ...

أضحك . ولكن الخادمين عادوا إلى آخر المشى فماد
منظرها أخذاً بملك القلب . ثم أخذوا يتبعان
رويداً رويداً ، ويخفیان شيئاً فشيئاً ، حتى ذهبا كما
يذهب الحلم

واقبل المشى بدمها موجحاً كثيب النظر .
وذهبت أنا أيضاً حتى لا أراها على الحال الطبيعية .
فإن هذا النظر الذى بث الماضى كله يجب أن يبقى
طويلاً . أجل ، بث ذلك الماضى كله ! ماضى الغرام
والزينة والبذخ ! ماضى التصنع والخداع والنوایة !
ماضى الرشاقة والفتنة بالحق وبالباطل ، ذلك الماضى
الذى لا يزال يحرك شعور المثلة الشبخة ، ويهز
قلب الماشقة المجوز !

الزيات

في أصول الأدب

للمؤلف أحمد حمس الزيات

كتاب جديد فريد في نوعه . يشتمل على
أبحاث تحليلية طريفة في الأدب العربى وتاريخه .
منها تاريخ الأدب وحظ العرب منه . الموائل
المؤثرة في الأدب . أثر الحضارة العربية في العلم والعالم
تاريخ حياة ألف ليلة وليلة وهو أوفى بحث كتب
في هذا الموضوع إلى اليوم . ثم قواعد تفصيلية
للرواية التمثيلية الخ ...

يطلب من إدارة مجلة الرسالة

وثمنه ١٢ قرشا

ثم أجلسنى بجانبها وجمعت قائلة :

ذلك ما يبعث الأسف والأسى على الحياة .
ولكنكم لا تفكرون في شيء من ذلك يا رجال
اليوم . إنكم ماليون وعمليون وتجار وسامرة !
حتى الحديث إلينا لا تحسنونه ولا تعرفونه . وإذا
قلت (نا) أردت الشواب الكواعب .

لقد أصبح الحب في رأيكم علاقة تبتدى في
الكثير الغالب بحساب الخياطة ، فإذا وجدتم
الحساب أعلى من المرأة قطعتم ؟ وإذا وجدتم المرأة
أعلى من الحساب دفعتم .

سداقة ظريفة ... عادات طريفة !

ثم أمسكت بيدي وقالت : أنظر ! فنظرت
فإذا بمنظر عجيب يشده الفكر ويذهل الخاطر :
هناك في طرف المشى وفي ضوء القمر أقبل فتى
وفساء يتهايدان وقد أخذ كل منهما بمخصر
الأخر . كانا عيشيان هوذا على الشريط الفضى
فتعاقب عليهما أضواء القمر وأظلال الشجر . وكان
الفتى في لباس من الدمقس على طراز القرن
الماضى ، وعلى رأسه قبعة مراهشة بريش النعام .
وكانت الفتاة ترتدى حلة شمسية^(١) الذيل وقد ذررت
على شعرها الزرور الأبيض ، وصفتته على نحو ما كان
يصنع الحسان في العهد الفار . فلما صارا على مائة
خطوة منا وقفنا في وسط المشى وأخذنا يتعاطقان
على أرق ما يكون الفزل والمناق بين عاشقين

تفرست في الحبيبين فإذا هما الخادمان : النلام
والجارية ! وحينئذ استخفى الفرح ومادى السرور
حتى التوى جسمى على المقعد . ومع ذلك غالبت
رغبة الضحك كما يغالب الجريح رغبة الصياح فلم

(١) ذيلها على شكل المظلة

عائدة

اقصوص مصرية

بقلم الأستاذ إبراهيم عبدالقادر المازني

في مدرسة للمعاملات ،
وحملت شهادتها أو
أجازتها ، وقعدت
في البيت ، فقد كانت
حالمًا حسنة لا تحوجها
إلى العمل لكسب
الرزق ؛ على أن هذا
لم يكن خليقًا أن يمنحها
أن تشغل بالتعليم لولا
أن « حمودة » خطبها

فأثرت الزواج . ولم يكن يعرفها أو تعرفه قبل
الخطبة ، ولكنهما بعدها تحابا — على الأيام ، فقد
كان حمودة شابًا حديث العهد بالوظيفة ، وكان فيه
حرص وثقوة ، فاكثرت بالخطبة ، وتمهل حتى يمد
نفسه لحياة الجديدة ويدّخر ما يمدّه لازماً لها ،
ومن أجل ذلك كفّ عن التدخين اقتصاداً في
النفقة ، وانصرف عن غشيان المقاهي والاختلاف
إلى دور السينما ، وكانت تلك متعة التي لا يكاد
يلتمس سواها . وكانت أُناته تنقل أحياناً على عائدة ،
ويشوق عليها طول الانتظار ، وتصبو إلى الانتقال .
من بيت أبيها إلى بيت زوجها ، وتجادل حمودة ،
وتشعر أن جسمها كله ينتفض من قوة الحنين إلى
تلك الحياة الجديدة التي كانت تحمل بها وتخاليلها منها .
صور من التبع والذاذات غامضة غير جلية ،
ولكنها متع بحسها سلفاً بالخطر الذي في أعضائها
والفتور الذي يترتبها حتى لتكاد ساقها — من
فرط الاختلاج — تمجزان عن حملها . وكانت
ربما شعرت بالفور من حمودة لتقل ما يكافها من
العبر ؛ وكانت تقول له أحياناً إنه لو كان يحبها كما

كانت « عائدة » تعرف « شبيخة » من خطيبها .
وكان بيت شبيخة هذا مقابل بيتها ، فكانا يتبادلان
التحية والسلام ، وكل منهما في شرفته ، أو نافذته
ولكنه لم يكن يزورها ، وإن كانت دعوته مراراً
إلى « تشربها » . وكان يشتهي أن يجيب الدعوة
ويوثق الصلة ولكنه كان يصد نفسه لعله أن
أهلها محافظون ، وإن كانت هي فتاة عصرية . ولم
يكن أحد يعرف ما عمل شبيخة ، فقد كان رجلاً
كثوماً ، قليل الكلام ، طويل الصمت ، يكفي
بالإشارة إذا أغنت عن الكلمة ، وبالنظرة إذا
كانت حسبه بلاغاً ؛ فإذا بدا له أن يتكلم أوجز
ولم يسهب ، وضرب في كل حديث إلا نفسه
وحياته وعمله . وكان ينبغ عن بيته — أو شفته —
أياً ما ثم يعود ، ولا يسأله أحد أين كان ، أو ماذا
كان يصنع بنفسه ؟ وكان أكبر الفن به أن له
ضيعة يتمدها . وكان مديد القامة ، عريض الألواح
وفي عظام وجهه قوة ، وفي نظراته — حين
يطلها — حدة ، ولكنه مع ذلك كان سمحاً ،
حلو الابتسام ، وظريفاً جذاباً — حين يشاء
وكانت « عائدة » قد أتمت دراستها ، وتخرجت

صيحة الجوع وبذاء الصبوة وصرخة الهمزة ،
وحدث نفسه أنها قادرة على إسماده وأن حسبها أن
تقول له إنها قاتمة بأن تظل خطيته حتى يأتي في رأيه
أن يبنى بها . ولكنها لاتنكح تستمجله قبل أن يستوفي
عده ، وبذلك تلبسه السكينة التي هي كل مناه
من الدنيا

وكانت أم عائدة ترى هذا وتدركه ، فيسرهما من
حمودة أنه رزين غير طياش وأنه يريد أن يوطد
القاعدة قبل أن يرفع البناء ، ويستوثق من متانة
الأساس قبل أن يفرح بملو الجدران وتفتح النوافذ ،
ولكنه كان يؤلها ويقطع قلبها أن ترى على وجه
بنها آيات الحركات التي في أحشائها ، وكانت تحدث
نفسها أن السكينة بعض ما يفيض الحبيب على نفس
حبيبه ، وأنها هي آتت زوجها الروح بمحبها له ،
وأفرغت على قلبه السكينة المومومة ، ولكنه لاحيلة
لها ، فقد أحبت عائدة خطيلها ، فلو طلبها ألف ،
كلهم خير منه ، لما رضيت واحد منهم . ولا يخوف
من البطء في الحقيقة ، فان حمودة جاد لا يهزل ،
ووفى لا يخون ولا يقدر ، وعاقل لا يطيح ، ولكن
بنها ، هي بنها ، وليس يسمها إلا أن تتألم لها

وكانت عائدة تلي شريحة في بعض الطريق أحيانا
تفسير منه مسافة ، أو تركب معه الترام ، إذا كانت
فايتهما واحدة ، فكان يحز في نفسها ويسخطها عليه
أنه لا يزال يسألها كلما قالها : « امتي الدخلة إن شاء
الله ؟ » وكانت تراه يتسم فكبير في وهما أنه يتهمك
ويسخر ، فتثور نفسها وتمود لا تدرى على أى
الرجلين سخطها أشد وتقميها أحمى : على حمودة
التي يكلفها ما لا تطيق من الصبر ، ويعرضها لهذه

يزعم لا أطاق أن يقطع نفسه عنها هذا الطعام ،
ولكنه كان - في كل مرة - يستطيع أن يقي
بها إلى السكون والرضى والاعتناء

ولم تكن تشكو هذا إلا إليه ، ولكن أنها
كانت تنظر إليها فتدرك - بلا حاجة إلى البت
والشكوى - أن بنتها تحرق نفسها . وكان حمودة
يقضى السهرة في بيت عائدة أحيانا ، ويتمشى مع
الأسرة ، وكان يجلس إلى المائدة أمام عائدة ، فأما
الأب فكان يكب على الصحن ويشغل بالطعام عما
عده ؛ وأما الأم فكانت عنها لا تزال تنتقل من
حمودة إلى عائدة ، ثم ترد من عائدة إلى حمودة ،
فكانت تراها تنظر إليه ، ولا تكاد تحول عينها عنه
كأنها تريد أن تأكله بلحظها وتلهمه وتجمله يتسرب
- من عينها - في كيائها التوقد ، وروحها
التهلفة . أما حمودة فلم يكن في نظرته أكثر من
السرور الهادي والافرار الرزين بما رزقت من قوة
الجذب وحلاوة الطبايع ، وكان على يقين من حبها
له ، فكان الصبر لا يثقل عليه . ولا تكران أنها
كانت تزججه بالحاحا ولكن طبيعة الحسدر كانت
تدفعه إلى المقاومة وإتقاء المعجلة . وكان همه من
حياته رضى القلب وراحة النفس والاطمئنان ،
فطلبه السكينة الهينة لا النشوة ، وما أخطأته السكينة
النشودة قط إلا حين ضبطت عائدة كفه ورفضت
إليه وجهها ، وقد استدارت شفتها كأنما تنهيا
للتقبيل أو تدعوه إليه . ولم يرض عن نفسه ولا عنها
حين أحس بالاضطراب الذي أحدثه له هذا ، فصار
بعد ذلك يبالغ أن يخفت ألسنة الهواتف في نفسه
ويسكن الضجة التي قامت فيها ، وحرص على اتقاء
لسها ، وعلى لفت وجهه عنها كلما رأى في عينها

وأراها كل ما يرى ، وأنفق عن سعة ولم يرض بشيء ، ثم تركها مع أترابها على موعد ودار بنفسها وهي تؤوب إلى البيت أنها لو كانت مع حمودة ، لأوسع قديمها لإحفاء ، ولكانت حقيقة أن تخرج من مدينة الملاهي وفي نفسها مئى كثيرة . والفاقة ليست عيباً ولكنها على كل حال ضئك وضيق . وفى الناس كثيرون أغنى من شيعة ، ولكن شيعة والحق يقال — كذلك حدثت نفسها — كريم . سمح . وما أحلى كلامه وأعذب حديثه ، بل ما أحلى صمته وأبلغ نظره ! ولكن الواحدة تشعر بالاطمئنان حين تكون مع حمودة ، ويشيع في نفسها الرضى ، مهما بلغ من شدة الصبوة . أما شيعة — وارتدت عابدة وهي تنأجى نفسها بذلك — فإنى أحس وأنا أصمد عيني إليه أى كالمصفور الناظر إلى الحية .. مرعب .. مرعب .. وطاف برأسها أنها لا تستطيع أن تقاوم تأثيره في نفسها إلا إذا كانت بين الناس ، ولقد وسمها أن تزجره في « المدينة » ولكنها واثقة أنها ما قدرت على ذلك ولا اجتأأت إلا لأن حولها من الناس بحر زاهر ، ولو كانت وحدها معه لما وسمها شيئاً وتكررت المقابلات في « مدينة الملاهي » ، ولم يكن من هذا بأس ، لأن الشهر شهر رمضان وفيه يطيب النهر ، وهي على كل حال لا تخرج إلا مع جاراتها وصواحبها ، فلا اعتراض ولا ملاحظة ، لامن الآبين ولا من الخطيب

وقال لها ليلة وهما خارجان من إحدى الملاهي « تعالي ... إن مى الليلة سيارة فلندري بها دورة » ولم تر بأساً فخرجت معه ، وركبا السيارة وانطلقا بها وهي إلى جانبها ، وأقبل عليها يتحدثها ويتأجها ويسرها ويضحكها ، كالم يكن يفعل من

السخرية من شيعة ، أم على شيعة التي لا تدري لماذا يسخر منها ويتهم عليها ؟ ما شأنه هو على كل حال ؟ ولكنها كانت تراجع نفسها وتضبطها فما يليق أن تظهر الغضب لسؤال برىء في ظاهره ، ولا أن تكشف بالغضب عما تطوى عليه من الألم ، فيعرف خبيثة نفسها ودخيلة صدرها

وقال لها مرة وقد التقي بها في « مدينة الملاهي » إلى جانب العرض الزراعى : « ليتك تزوجيني ! إن حالى حسن ، وفى وسمى أن أتمتع بالدنيا وأجمل حياتك فيها رحلة جميلة »

فزوت ما بين عينيها وأغلظت له فى الرد ، فلم ينهزم ، بل راح يقول :

« إنك تبدوين شبابك ، وهو مع ذلك كل حظك من حياتك ... فتاة جميلة مثلك ، تشتهى ولا شك أن تردى أنفس الثياب وآفتها ، وأن يكون بلها ذا مال ، وخبيراً بالدنيا »

فقال له بحدة : « وهل شكوت إليك قصاً أو حاجة حتى تبتدري بهذا الكلام ؟ »

فاعتذر وقال : « لا أحتاج منك إلى شكوى فان لى لفراصة ، وأنا أعلم أن شيعة يمشى إلى غايته مشى السلحفاة ، ولو كان يقبل معونتي لأعنته ، ولكنه متكبر ... جداً »

فقال لنفسها إن حمودة يشمر بكرامته ويمتد بها ، وإنه جدير بالإكبار من أجل ذلك ، وإنها هي لا شك تعرف له قدره ، وإن كان يسوءها منه هذا البطل والتسوف

وعدل شيعة عن تحريضها لأنه أحس أن هذا منه يستثير مقاومتها . وذهب يهف فى أذنها بكلمات الإيجاب ، وهاتيك فى كل أذن عذاب ، وطاف بها فى أرجاء هذه « المدينة » وأركبها كل ما يركب

وتفلس وتخدم ، ولا تتخطى عتبة ، وكان شريحة يغيب عنها أياماً ثم يعود ، ولكنه لا يتركها وحدها فقد كان في البيت حارسه الذى لا ينفى ولا ينفل ؛ ذلك الرجل الأشعث المنكر الهيئة والصوت ، وكانت عودة شريحة في كل مرة ليداناً بمجيء زوار ، وكان الزوار هم لا يتغيرون ، وكانت إذا حضروا تلمز غرقها ولا تخرج منها إلا إذا دعاها شريحة ، فكانت تقدم لهم الطعام — تضع أطباقه على المائدة — وتخرج ولا تلبث أو تلتكأ ، ولكنه لم يسمها إلا أن تسمع بعض ما يدور بينهم من الكلام ، فدهشت وتمعدت أن تسمع ، فملت أن هؤلاء شركاء يزيفون أوزاق النقد ، وأن ههنا في البيت أدوات التزييف ، ولكنها في غرف أرضية ، تذكرت أن الحارس كان لا ينفك يصددها عن الانحدار إليها أو الاقتراب منها ، وعرفت أنهم يحملون ما يزيفون ويوزعون على أعوان لهم يسافرون به إلى الأسواق في الريف ، وهناك يحتالون حتى يتخلصوا منه ، ثم يعودون بالأوراق الصحيحة ، ويحتمون فيقتسمون وهكذا ...

إذن شريحة خريف أوراق ، وهذا عمله وقد وقعت في حالته ، فقفز بها مسجناً على الأصح — في هذا المنزل المنقطع أو أوهها وأما ... وليس لها من الدرية سواها ... ومجودة ... ماذا ترى صنعوا ؟ وكانت في أول الأمر تبكي بأربع ، فلما مضت الأيام صارهما أن تهرب وتمود إلى أهلها ، ثم خطر لها أن الرجوع صعب بعد الذى صار إليه أمرها مع شريحة ، وكانت لا تزال تجهل حقيقته ، فقالت لنفسها إن هذه قسمتها ولا حيلة لها تعرفها ، غير لها أن توطن نفسها على الرضى بما كتب الله عليها ، ولم يفترجها لمحودة ، ولا ضمفت صبو نفسها إليه

قبل ، فإن كلامه في المادة — على عذوبته — قليل . ولم يكن بالها إلى الطريق ، بل كانت عينها على هذا الرجل الغريب الذى يفرعها ، آنا ، وآونة يرقصها بمنوبته ولينه ، وإذا بالسيارة تقف فجأة أمام بيت منقطع

وقال لها « تعالى »

ف نظرت فلم تستطع أن ترى شيئاً ، فقد كان الظلام دامساً ، ولا مصايح هناك ، فسألته : « أين نحن ؟ »

فلم يرد على أن قال « تعالى ... ستين »

وتناول يدها وأزلهما من السيارة ، ودخل بها البيت ، وكان في دهليزه مصباح بترول صغير مثبت في الحائط بمسار ، فشت أمامه ، وخرجت من الدهليز إلى غرفة رحبة ، في وسطها مائدة فوقها مصباح كبير يتدلى من السقف ، وحولها كراسى من الخيزران ، وتحته سجادة كبيرة عتيقة ، وإلى اليمين « صفة » عليها شمعدانات وتحته ميايلى الحائط حقيية

وصفق شريحة ، ففتح باب ودخل رجل أشعث منكر الهيئة والصوت ، أوقد المصباح وأشار إليه شريحة فخرج ، وما لبثت عابدة أن سمعت صوت السيارة ، فكاد قلبها يقف من الرعب ، ورفقت عينها إلى شريحة وهي واجفة ، فأولم إليها فشت أمامه إلى حيث أشار ، وعينها عليه كأنما كان يجذبها إليه ، وفتحت الباب فإذا وراءه سلم فقاد يولى إليها بعينه وحاجبيه أن اصعدى . ففعلت وهي لا تى

وعرفت وهي تنحط على كرسى في الغرفة التي مضى بها إليها أن هذه هي النهاية !

لبثت في هذا البيت شهوراً تطبخ وتكنس

واستطاعت بعد عناء أن تمر على ورقة بيضاء وقلم تخط به ، ثم طوت الورقة ، ولم تزل تحتال وتخبئ غفلة من الحارس حتى خرجت ، وسألت أول غلام صادفته عن الحى الذى هى فيه — فما كانت تعرف أين هى — ثم أضافت العنوان إلى مافى الورقة ، وشبكتها بدبوس وكتبت عليها عنوان خطيبها وأتت الغلام قرشين — فقد بقي معها ما جادت به من مدينة الملاهي — واستحلفتها أن يرمى الورقة فى أى صندوق للبريد ، بطابع أو بغير طابع ، سيان ؛ المهم أن تاتى فى الصندوق والسلام وعادت إلى البيت وهى مشفقة أن يكون الحارس قد فطن إلى خروجها ، وشاء الحظ الحسن أن يكون شعبة وزملاؤه غائبين عن البيت . ولا شك أن شعبة يذهب فى هذه الأيام إلى شقته تلك أمام بيتها ، فيأما أجراه ! ألا يذكره عطف عليها حين يطل من نافذته ويرى شقة أبويها ، وتقع عينه على أحدهما ؟ أو حين يلتقى بخطيبها ؟ وما ذا تراه يقول لمحودة حين يشكو إليه اختفاء عابدة ؟ وما ذا عساه يقول ؟ كل شيء بالطبع إلا الحقيقة ! ومن المحقق أنه ضللهم جميعاً وهو يتظاهر بالاشفاق عليهم ويتبرع بمعونتهم ! وهل ينتظر إلا هذا من مثله ؟

وصر يومان كادت تجن فيهما ، وكانت إذا دخل الليل ، تصعد إلى غرفتها وتجلس إلى النافذة وتحاول أن تنظر من قلوب الشباك ، وأن تحترق بينهما أسداف الظلام ، وكان النوم يفلها وهى قاعدة ، ثم تتنبه وتهض مذعورة ، مخافة أن يكون أحد قد جاء ، ومضى يائساً . فقد كتبت إلى محودة أنها ستجلس كل ليلة وراء النافذة القبلية وفى مساء اليوم الثالث ، وكان شعبة واخوانه لا يزالون غائبين ، والحارس فى الغرفة التى يقضى

وحنيها إلى السكينة والأمان والدعة والرضى فى ظله ، ولكن شعبة كان قد استولى عليها ، وإن لم يستول على نفسها ، فلما تبينت أن هؤلاء حريفون فزعت وأيقنت أن المسألة قد تغير وجهها ، وأن السجن هو ما لها لا محالة عاجلاً أو آجلاً . ولو اقتصر الأمر على مقامها فى بيت شعبة لبقى لها أملاء ، ولكن التزييف ؟ ... أى أمل لها الآن فى انتقاء الفضيحة والعار والسجن جميعاً ؟ وأهلها الساكنين ؟ خير لهم أن تموت ... سيكون ساعة .. أو شهراً ... أو شهوراً ثم يتمزقون !

وطال إطراقها وسهوها وتفكيرها ، وكثر أرقها ، ولكن شعبة لم يكن يبالها أو يعبأ كيف تكون . ومحسبه منها أن تقضى حاجته ، وأن يقضى منها لبائاته ، بل لقد صار يبدى لها الملل ولا يثق أن يظهر الضجر ، وسمعت عابدة أحد زواره يقول له مرة :

« عابدة فتاة طيبة »

فهز شعبة رأسه أن نعم ، ولم يقل شيئاً فقال الرجل : « لقد عزمتُ كما تعلم أن أكف اكتفاء بما حصلت ... فهل عندك مانع من أخذ عابدة معي ؟ »

فتنبه شعبة وقال : « إيه ؟ »

قال الرجل : « إنها فتاة ، وقد أخلصت فى الخدمة فيحسن أن نبعدها عن هذا كله » فقال شعبة : « آه ! هذا ماتمنى ؟ لا بأس ... متى شئت »

فكادت عابدة تصمق ، وماذا بعد أن تصير هكذا ... يلها رجل فيرميها إلى آخر؟؟ وامتوت أن تتخلص وتنجو بسرعة

تستمد ؟ « هل عندها شيء ؟ » وستلقى إلى رجل آخر ... قبل أن يتفدّها حمودة ! حتى الشباك تمتنع عليها ! وهل تعرف ماذا عسى أن يصنع بها شبيحة إذا سمعها أو رآها تبكي ؟ أترأى يمكن أن يظن أن هذا من حباله ، ورغبته في البقاء معه ؟ وهل في وسعها الآن أن تضايقه وتتظاهرها بهذا للتؤخر رجليها عن البيت ؟

ولها لفي هذا وما إليه وإذا بحركة عنيفة يرتفع إليها صوتها من تحت ، فانتفضت واقفة ، وذهبت تعدو إلى الباب ، وتسمعت فعملت أن البوليس قد جاء - ولكن كيف دخل ؟ لعل الباب كان مفتوحاً - وقبض على الشركاء ، ورأت شبيحاً يصمد درجات السلم ، فارتدت راجعة إلى الغرفة ، ووقفت تلفت ثم توارت وراء ثياب معلقة على مشجب ، ودخل الشبح ثم صاح « لا أحد » - واتشى راجعاً ... فكاد قلبها يقف مرة أخرى ، فقد كان الصوت صوت حمودة ، فهل ترى كان يبحث عنها ؟ وهل اعتقد أنها هربت قبل مجيئه ، وأنها ليست الآن في البيت ؟؟ لماذا لم تقل له إنها هنا ؟ ...

وخلا البيت وساد السكون بعد أن مضى ألف عام فيها تحسب وهي واقفة وراء الثياب ، فخرجت تمشي وانحدرت إلى الدور الأرضي ، وبرزت إلى الفضاء الرحيب أمام البيت ، ووقفت تتسمع ثم مشت في الظلام على غير هدى ، فما كانت ترى شيئاً ، ولم تكن تحس أو تدرك إلا أمراً واحداً .. أنها نجت من السجن ، وليكن بعد هذا ما يكون ...

وصافح سمعها صوت يقول « هسس ! هسس ! » ففرغت ، وكبر في وهما أن هذا بعض القوم الذين ظنت أنها نجت منهم ، ووقفت في مكانها لا تتحرك ولا تكاد تنفّس ، فقال الصوت مرة

إليها الدهليز من الباب على عادته سمعت صغيراً خافتاً خدقت في الظلام فلم تستطع أن ترى ، فرفعت الشباك بحذر وورق وأطلت فسمعت همساً : « عائدة .. عائدة » أنا حمودة ! اسمي ... هل هنا أحد ؟
فهمست من فوق بصوت مبسوح : « لا ... الحارس فقط »

فسأل : « متى يجيئون ؟ »
قالت : « غداً ... أو بعده على الأكثر »
قال : « إذن لا بد أن تبقى حتى يكونوا جميعاً هنا .. لا تخافي ... يجب أن تبقى ... سأعود ... احذري أن تقولي شيئاً ... »
فوعدت
فلم يزد على أن قال « مسكينة ! » واختفى في الظلام .

وفي اليوم التالي كان الشركاء جميعاً محيطين بالمائدة ، وعائدة تحمل إليهم الطعام ، وفرغوا منه فالتفت شبيحة لها وقال :

« اصمدي ، واستعدي للخروج »
فربت ، وخافت أن تخرج ويحيى حمودة فلا يجدها ، وكيف يعرف بعد ذلك أين ذهبت ؟ وكان لا بد أن تخفي جزعها فتجلدت وقالت :

« أخرج ؟ »
قال : « نعم ... لم يبق لك عمل هنا »
قالت وهي تجاوره : « ولكني أفضل أن أبقى »
قال : « اسمي الكلام ، ستميشين بعد الليلة مع خليل : سامعة ؟ »

قالت بذلة « حاضر »
وصعدت ، وقد ألقدها اليأس المفاجيء كل قدرة وسلبها كل قوة .

واثقاً ، لما جئت مع البوليس أنك في البيت ، فلما
اعتقلوهم صعدت — متطوعاً — فلم أجد أحداً ،
ولكنني شعرت بحركة خفيفة فأيقنت أنك مختبئة ،
فصحت : « لا أحد » وعدت مطمئناً وفي نيتي أن
أعود وحدي لأخذك ، ولكنني وأنا عائداً سمعت وقع
قدميك ... هذه هي القصة ... »

قالت : « ألا تريد أن تسمع قصتي ؟ »

قال : « كلا ! إنها لا تعني ... حسبي أنني
وجدتك ... والآن قومي ... على فكرة ... لقد
رأيت أن الانتظار لا داعي له ، فهل عندك مانع من
التسجيل ؟ »

قالت : « يجب أن تعلم أنني عشت مع شبيحة »

قال : « ألم أقل إنك كنت ضحية ؟ انسي هذا

يا فتاتي وتعالى ... » إبراهيم عبد القادر المازني

أخرى « هسس ! هسس ! » فلم تستطع أن يجيب
ودنا منها شبح ، فسقطت على الأرض مفضياً عليها

لما أفاق عائدة ، ألقت نفسها راقدة على
الأرض ، وخدها على ساق حمودة ، فابتسم لها ،
« أحسن ؟ » ففكرت عيناها وجلست فقال لها :
« لما جاني كتابك لم أخبر أحداً ، حتى ولا
البوليس ... أردت أن أهتدي بنفسى أولاً ...
وكان في وسمى أن أشدك في تلك الليلة ، ولكنني
أردت أن أقبض على المجرمين ، فكان لا بد أن
تبقى كما كنت حتى لا يشتبهوا ، ويهربوا ...
وكنت أحرص على ألا يقبض عليك معهم ، ولهذا
لم أقل للبوليس شيئاً عنك ، ولكن القبض عليك
لم يكن يخيفني فإنك ضحية ، ولست شريكة ، وكنت

الجو العاطر الروح الجميل

في البقاع المطهرة

تمتعوا فيه بأطول وقت ممكن

وانتهزوا موعد الرحلة الثانية

يوم الأحد ٩ يناير سنة ١٩٣٨

على الباخرة

زمزم

ولكن الأم كانت
حائقة مفيضة لرغبتها
في تعليمه . ولما كان
ميجول ميفولفتش
يجب أن يتق غيظ
الأم قبل على مضض
أن ينقل الصبي من
مصنع النّال إلى

صفوف المدرسة الابتدائية في
سراتوف . فأظهر من النجابة مادعا
إلى إعجاب أساتذته ، ولكن المال
كان قليلاً والنفقات تزيد على
طاقة الأب فكافح وصبر بضع
سنين حتى بلغ الولد منتهى حظه
من التعليم وهو شهادة البكالوريا .
وقد حسب الوالد نفسه من بناء
المجد أن بلغ ولده هذه المرتبة
من العلم في حياته
وكانت الأم ترجو أن يصل

الشاب إلى الجامعة ليتخرج فيها طبيباً أو مهندساً
ليعيش بين طبقة السادة والنبلاء في بطرسبرج ؛
وشجعها على المضي في هذا الأمل أن جودار كان
مجتهداً طموحاً شديد الحساسية مثله مثل الفنانين
الذين كنت فيهم مواهب الجمال والقدرة على إبرازه ،
وإن قدمت بهم الثقافة دون تحقيق أمانهم .
وكان الولد كامه يطمع لنفسه في المراكز العالية ،
فتأخذ على زوجها اللوائح ألا يبخل على ولده
بالمال الذي يحتاج إليه في تثقيفه ولو اضطر إلى

عَشِيرَةُ ضُحَاهَا

للقصصيّ الروسي ليونيد أندرييف
بقلم الأستاذ محمد لطفي جمعة

لا يوجد مطع على طرائف الأدب
الروسي لم يقرأ قصة قصيرة أو وسطى
أو مطولة لهذا المؤلف الذي قضى
نحوه في العقد الثاني من هذا القرن
المعمرين بمدان ظهرت أشعة وهاجة
من عبقرية النادرة ، فقد تفرق في
برهة قصيرة إلى الصفوف الأولى .
ومن أروع قصصه « بين العاهر »
و« الهاوية » و« الناثر » و« الصب »
و « حياة الانسان » وهي فاجعة
رائعة مكتوبة على الأسلوب التمثيلي .
وفي قصته القصيرة التي نقلها إلى
الترجمة إلى المرة الأولى دليل جديد
قوى على نبوغه وحذقه وصدق فنه

نشأ جودار برفاسكي في
سرجيوسنا إحدى ضواحي مدينة
سراتوف ، على نهر التوجلا ،
وكان صبيّاً ذا ذكاء وفطنة ،
ورث الإقدام والثبات عن والده
ميجول ميفولفتش الفلاح ، وقوة
الإرادة والطموح إلى الملا عن
والده أوجستاسيانشا المنحدرة
من أصل قوقازي . فأراد أبوه
أن يقاسمه العمل في الحقول صنعة
آبائه وأجداده ، لأن الأرض في

نظره مصدر الخير كله . ولكن الأم غنمت قائلة : « إن
لم يكن تعليمه في المدرسة مستطاعاً فلتنبعث به إلى
إينسكين صانع التماثيل والإيقونات ، يعلمه فنه الجميل
الراقي ، ويؤهله إلى حياة أرفع من حياتنا » فنزل
الوالد على إرادتها ، وقبله مسأل القرية على مضض ،
لأنه كان يضمن بأسرار مهنته أن تبذل لأولاد
المويك^(١) ، وهم أقل من طبقته ؛ وفرض على
الوالدين أجراً لتعليم الولد روبلين يدفانهما كل شهر .

يبيع جزء من الأرض الموروثة !

وسافرت الوالدة والولد إلى بطرسبرج وزلا ضيفين على قريب لهما كان فيما مضى مديراً لإدارة الأموال المقررة ، وحمل إليه هدية حسنة من الدجاج والبط والفاكهة والبقول والزبدة والبيض فأحسن استقبالهما وأكرم وفادتهما واطمان « الدورنك »^(١) إذ علم أن الأم قروية من قرية سرجيوسنا وأن الشاب قادم للانتظام في صفوف الجامعة . فوفر على نفسه مشقة التجسس وتبليغ الشرطة خبر مقدمها ، واكتفى بضمانة الموظف القديم الذي أكد له أنها لا يحملان في حقيتهما البريئة ديناميتاً ولا قنابل يد ولا مسدسات ولا منشورات ثورية ! ولكن مظهر الأم وما تحمله من أثار النبل الموروث ووسامة الشاب حركت سلوكه وأيقظت وسأوسه فكان يهمن في أذن الموظف القديم كوبرنيك سيروفيتش : « إن كثيراً من الشرفاء الذين أفسدت أذهانهم كتب الساحر المعجوز المقيم في « إسانيا يوليانا »^(٢) قد يتفكرون في هيئة الفلاحين ليصرفوا عنهم ظنون الشرطة » ولا يهدأ باله إلا إذا قال له الضيف : « أنا ضامن لهما ، فهما من أقاربى ، وإن دماهما لم يتطرق إليهما الفساد ... »

وسمى الموظف كوبرنيك سيروفيتش لدى أولى الأسر واستكتب الأم والولد عرائض الاسترحام . ولكن مساعيمهم ذهبت أدراج الرياح لبقلة الضريبة

(١) بواب النازل في بطرسبرج وموسكو في العهد القيصرى - يجي الأجور ويراقب السكان ويجس عليهم للشرطة

(٢) هو ليونولستوى

المقاربة التي يدفعها الأب عن النصاب الواجب أداؤه لخزانة الدولة ، فن الإرهاق له أن يجبر على دفع رسوم الدخول والامتحان فضلاً عن أثمان الكتب ونفقات الحياة

وهب أنه باع الأرض لينفق ثمنها في تعليم ابنه فيصبح الشاب إذن أقل استحقاقاً للدخول ، لأنه يتحدر إلى طبقة الممدنين . وقال له أحد كبار الموظفين بسلاتير بوبوف مراقب التعليم المالي وهو يجادله ليقنعه بالدول :

— نعلم يا كوبرنيك سيروفيتش ما أكنه لك من المودة والاحترام ، ولكن القانون هو القانون ؛ قد يكون قاسياً أو خاطئاً فالأولى أن نعمل على تمديله لا على نقضه وتحطيمه . فأجابه سيروفيتش : « حقاً إن نظر المرء ليعتلف تبعاً لآزمان والحوادث . أتراني اجتناب المراقب ثأراً أو صاحباً محتجاً ما ذنب هذا الولد التابغ الذي نال شهادته بكده وجدده ، يحرم من التعليم المالي لأن أبيه ليس ميسوراً . إن النبوغ من نعم الله التي تهبط على المياسير والماسير على السواء

— هدى روعك يا حضرة مدير الأموال المقررة سابقاً — أترأه وقد أثم تعليمه وهو على ما وصفت من الدكاء والفطنة ، ولم ينس أصله وفاقته وحاجة والده ، فينشأ ثأراً وينضم في غير وجه إلى صفوف المفتونين الحقى الناقين على نظام الدولة الراغبين في هلاكي وهلاكك ، فيقطعون مماشك ويمتنون صرمتي ويزاحون أولادى وأولادك في معترك الحياة بما أوتوا من كفاية نادرة ، وهم لا يزالون ذوى أدمغة بكر وأذهان خصيبة لم تنقص على تلافيها حياة الترف والرفاهية التي شادت بركة

النيلان الذي لم يمهّد في الشيوخ من أجل طالب
تريد أن تلحقه بالجامعة قهراً ومن هو الطالب ؟
وتناول في اهتمام عازجه التهم عريضة ابن الفلاح
وقرأ « جودار برافسكي ... من قرية سرجيوسنا
إحدى ضواحي سراتوف .. وهو بعد عاجز عن دفع
المضروقات خليف بأن ينقطع عن الدراسة إذا
انكشف سترأيه بنزول أعان القمح ! وما بقي
إلا أن تطلب منا أن نغفيه من الرسوم ونجني على
خزاة الدولة جباً في سواد عينيه وتوقيراً لضآلة شأنه !
فقال كوبرنيك وقد ملك زمام غضبه : خزاة
الدولة ؟ عفواً ! لم تصل بي الرعونة إلى هذا الحد ،
ولكنني حسبت ...

— كفك حساباً فيما مضى ، وأنت تعلم أنني
لا أمل مجلسك ، ولا أكره حديثك ، لولا أن لدى
من الأعمال ... فياحبذا لو شرفتني في منزلي (١٧)
برسكيتيف نيشكي) فنشرب معاً طاساً من الشاي ،
في مجلس خال من الجدول
فتلق كوبرنيك السهم بلباقة وأخفى الجرح الذي

أصابه في الصميم ونهض في وقار وتؤدة قائلاً :
— لا جرم أن نطعمنا الاجتماعية والسياسية
كالشجرة الكريمة النابتة قد آتت أكلها ، وأنت
من خير ثمارها ، عم صباحاً يا سيدي . ولا تخش
انتهائي إلى كبير تحوطني حمايته وتظلمي رعايته في
الأماكن العليا ، إذا حدثتكم نفسك بأكل لحمي أو
السقي في ، وإنما ورأى ماض في خدمة الدولة تنذك
جبال الأورال ولا يندك ، وصحيفة ناصعة البياض
لن تلونها وشاية واش أو دسيسة دساس

وعادت الأم الحزينة إلى قرينها وقرينتها تحمل الكلوعة

(٣)

الله أن تغمسنا فيها إلى الأذنان ، فهل تندم ولات
ساعة ندم أو تحرق الأرم على أنك زدت النار
اشتعالاً بتعليم هذا الفتى النجيب وما هو إلا سهم
يصوب إلى صدورنا ؟

فقال كوبرنيك سيروفيش وكان شيئاً مما في
الستين من عمره أطلق شعر عارضيه وعثنونه فبدا
في هيئة مشير خطير في الجيش :

أراك يا حضرة المراقب قد ركبت متن الشطوط
وقطعت بخيالك الجامح فراسخ عدة في عالم الوم ،
وأصبحت كغيرك من ذوى المناصب الرفيعة ترى في
كل شاب يستريد من العلم زعياً لثورة المستقبل ،
يفكر في فتنة نأكل الأخضر واليابس ، أو يدير
مؤامرة تهلك الحرث والنسل ، كالسناجر الجديد
لبيت قديم يزعم أنه ماوى الجن ومسكن الغفاريات
فلا يلبث أن يرى في كل ركن شعباً ويسمع في
سكون الليل صدى أصوات المردة ، وما رأى وما سمع
إلا ما أملى الرعب الذي ملك عليه زمام نفسه

وكان موظف الجامعة هادى الأعصاب مترن
التفكير واسع الصدر ، فترك مدر الأموال المقررة
السابق يتكلم إلى آخر ما أراد ثم التفت إليه وعلى
فه ابتسامة عريضة خبيثة وقال له :

— أرى أن الذى شطح ونطح وجرى حتى
لهث ليس خادمك الطيع ، ولو لم أكن أعرفك
المعرفة الحق وأنت بك ثقة لاخذ لها وأعلم من
ماضيك الحافل بالولاء للدولة والعبودية لجلالة مولانا
القيصر ، لظننت بك الظنون وحدتني نفسي بأن
الراحة واطمئنان البال والفراغ مفسدة لأكبر
المقول ومرتع خصب لوساوس الشيطان وتزوات
الثورة لكل هذه النخوة ، وكل تلك الهمة وذلك

إلى تلك الأيام السعيدة التي قضاه في كنف أنيكين
صانع الآلهة على ضفاف نهر التوبلجا
وفي تلك الفترة تعرف جودار إلى اسبازيا
كورنولونا إحدى طالبات الجامعة في التاريخ
والاقتصاد وقالت له إنها ابنة مزارع في جزيرة القرية
ليس ميسوراً ولا معسوراً يعيش عيشة راضية بإراد
ستوى قدره ألفا روبل قائماً بحظه من دنياه، يعتقد
أن السعادة لا تكون إلا لتوسعي الحال أمثاله الذين
لا يعرفون النعيم ولا يجهلون الفقر. وكانت اسبازيا
تحدث جودار أول الأمر عن مستقبل الانسانية
وسعادتها فلا يحرك ساكناً ولا تظهر على وجهه
علام التصديق، فكانت تمازحه في رفق ساخرة من
ارتياحه وشكه هازئة بضعف يقينه، فكان يشترع
اليقين من سعادته بقربها، والنظر إلى عينيها الزرقاوين
العميقتين فتأخذه النشوة ويستحوذ عليه السرور
كلما رآها وصاغها وسمع نبرات صوتها الحنون
المهادى. ولما تنبهت فيه عواطف جديدة لم يعدها
وظن أنه أصبح لا يستطيع أن ينتفض إلا في حجبها
دعاه في أحد أيام الربيع بعد الفداء إلى زهرة خلوية،
فقاتلته وهما يجترقان بستان إيشان وكاترينا: أراك
يادوشنكا^(١) تحق عني أمراً فتشجع فتكلم ولا
تكلم عني شيئاً. فقال لها: أخفى عنك أنني أحبك حباً
يقصر عنه القول بمحبت أهلك حياتي لو شئت.
فحدثت اسبازيا في عماء وأدركت من أمان الصدق
والاخلاص والحزم البادية عليه أنه جاد في قوله
فسكتت وأطرقت ثم تخيرا مقعداً خالياً فجلسا
عليه، وبدرته قالة:

— وكيف تمل هذا الشعور والاستعداد

بين حنايا أمثالها، وتخفي ألم الذي احتواها من
خيبة الأمل، وهي تعلم أن زوجها سوف يلقيها
باتصار رأي، ويتبعها بالفرور والتطلع إلى مكانة
أسمى من مكانتهم، فكان جزاءها أن تعود وما جنت
من سعيها إلا ترك الولد في البلد الثاني غريب الوجه
واليد، أليف هم وغم ووحدة، وقد انحرف في سلك
« الخواجات » والسادة وهو ليس منهم في شيء
سوى الهيئته والنظر، عليه أكثر مما عليهم، وليس
له مما لهم. وقال لها: « أي نفع لنا وله من العيشة
القاسية في وسط أولئك المرائين المتسربين تحت
ألبن تقاب » كأنه يدرك تفاف العاصمة، ففهمت
معنى نظراته الشزراء وأدركت ما يحول بخاطره عنها
ولكنها لم تملك أن ترد غضبه أو تقلل من شأن
انتصاره، فقد شرمت بالضعف والعجز بعد أن رأت
خطئها الجلية ومشروعها الرائعة لم تتمد دائرة
خيالها. وما هي ذى قد تلاشت أحلامها البراقة
واضمحلت أمانها الذهبية. ولكن أوجستا سيانينا
لم تكن تهزم خيال بلها الظافر، فهي تعلم أنه تأثر
وانثناء، ولم ينطق بما قاله إلا ليشير حقيقتها وأن
يحقنها فتم له ما أراد

ولما كانت مصلحة الأموال المقررة في حاجة
إلى الحياة والمحصلين في مواسم العام التي تكون مظنة
لرخاء المولدين ودافعي الضرائب، فقد سعى كورنيك
في تعيين جودار في وظيفة بدويته القديم، وعمل
الرئيس بوصية كورنيك على جودار فصار جانياً
يدور ويلف ويحصل ويجمع من الصباح إلى المساء،
فلا يعود إلى وكره إلا وقد خارت قواه واضمحلت
إرادته وشعر بهوان النفس وضعف البدن فيتهاك
على فراشه حزيناً يائساً، وهو يئن من الألم ويحن

الناس به وأخبرهم بطباعه ، ولقد فهم معنى نظراتها وأدرك ما يجوز بخاطرها وتوهم أنها تفتح قلبها له فقال : أية سعادة تغمزنا بفيضها الساحر إن صدقت ظنوني ؟

فقال : وما تلك السعادة التي تشدها وتؤمل أن تغمزنا بفيضها الساحر ؟

فقال لها : لماذا لا نغم بقلك اللحظة الساعية ؟ فضحكت نضحاً عجيبة وقالت له :

— أراك تتمجل الذات بإدوشنكا ولا تحسب للزمالة والصحبة البريئة حساباً ، والرء في ريفنا ينشأ على ما عوده أبوه !

فاجر الفتى خجلاً واضطرب قلبه وود لو تنشق الأرض فتبتله قتريمه من الحياة ومتاعها وضالة أمه فيها ولا سيما بمد هذا الحب الضائع والمفوة التي وقع فيها وقال :

— عفواً يا آنسة ! إن احتمال إقبال السعادة على أقلقلي فذهلت عن نفسي

فقال لها : لا تمجل ولا تدعى آنسة فلا أزال اسبابزا التي تعرفها وتود أن تبقى على مودتها — فبلغ ريقه واطمان — ولكن قل لي : لماذا لم تدخل الجامعة وأنت على ما أرى من ذكاء وفطنة ؟

فروى لها تاريخ حياته المروع ، ووصف لها ما عاناه والدها في تعليمه ، وما تجشمت أمه وقرينه في سبيل تحقيق آمالها فيه . ففالت له :

— ليست الجامعة بالمكان الوحيد الذي يطلب فيه العلم ويبحث بين جدرانها عن الحقيقة ، ولعلها آخر مكان يسى إليه أمثالك لتكوينهم رجالاً خصوصاً في بلادنا هذه وزمننا هذا ، ولعلها تكون أداة تمطيل ورجي

للتضحية وأنت متبرم بالحياة نأقم عليها كما علمت منك ؟ فقال لها : العلم عند ربى فقد يغفل الزمان مرة في الدهر واحدة عن التثكيل بي ، وقد تبسم لى الأقدار بسمه ولو سهواً .

فالت : أترضاها وتقع بها ؟

قال : نعم

فالت : ولو كانت بسمه التهمك والرواية ؟

فقال لها : على رسلك

فالت له : ألم تكن لك صديقة صغيرة في قرينك ؟ قال : كلا . لم أعرف النساء قبل أن أرد هذه العاصمة فقد قضيت ساعات في رفقة غايات رعنאות لم يكن للقائهن من بد ... فأرخت عينها وقالت :

لقد تركن حتماً أترأ عميقاً في نفسك الفتية يا ادوشنكا

فقال : كلا ! فقد كن غايات طائشات لأم لديمين ولا حساب للند ، لأنهن لا يمشن إلا الساعة التي هن فيها ، وطالما سمعت منهن قولهن السخيف الفاتر : « ساعة الحظ لا تَمُوض » فكنت أشتت وأتقزز وأهم بتركهن حيث كن جالسات أو متكئات صاحيات أم مترنحات

فالت اسبابزا على صاحبها نظرة فاحصة متمهلة كأنها تدرسه عن كذب

فقال لها : ولكن لماذا تريدن منى هذا الاعتراف الذي لا طائل بعده ؟

فالت : لا شيء . ألبتة يا ادوشنكا . لا شيء . ألبتة ، وصمتت . وكانت نفس جودار يتحدث بأن اسبابزا تعلم علم اليقين فيم يفكر ، وماذا وقع له في خطوته الأولى نحو الشباب ، ولعلها بعد أمه التي ولده أدري

وحياة اللو والفرور ينظما . في در نضيد ، وتلك صورة اليأس والقنوط التي خلها السادة على العبيد ، وهذه صور كل واحدة أفن من الأخرى للمستقبل السعيد . وكان يتفعل بساميه الذين صاروا من تابعيه - من وصف جحيم الحياة حتى ليشعر جودار بحر أوارها ويرى حمرة شررها ، ثم يفرى بوصف جنات الدنيا ، حتى ليتخيل جودار أنه وإسبازيا يلهوان في أرجاء حديقة فيحاء ويقطفان الأزهار من بين الحشائش الخضلة الندية

ثم انفرط عقد الاجتماع وجلس الخطيب فأقبلوا عليه يحتمضونه ويقبلون يديه ويبللون مسوحيه بدموعهم الحارة ، ويركع بعض النساء العصبيات تحت أقدامه ولولا خشية الله لعبده ، وكان جودار قد بلغ أعلى درجات التحمس ، ولكن حيائه وكبريائه عاقه عن مجارة الجمهور في اندفاعه وقنع بأن قال لها : « ما هذا الذي رأينا وصمنا ؟ »

فقلت له : هذا صوت المستقبل يرن في أذنيك ليوقظك كما أيقظ هذه الألوف من الضحايا المستغرفة في النوم العميق . فقال لها : وكيف السبيل إلى الاقتداء به وبلوغ شأوه في النصحاة والمعرفة ؟

قالت : سهر الليالي أو القراءة والاستنقاع في تلك النيايح الفيضانية بماء الحق الصافي

وفي الغداة قالت إسبازيا لجودار : إن كنت ترغب في تذوق هذه الحياة الفاتنة وتقصد إلى مشاركتنا في العمل المنتج فما عليك إلا أن تغير حياتك ، وأن تعيش عيشة مزدوجة ، فأنت في عملك نهاراً وتبعث في الليل رجلاً آخر . فلما قبل فنتحه بجواز مزيف يحمل اسماً جديداً يعرف به في أطراف الليل وجزءاً من النهار ، وهو اندوماك نوقالوف ، فصار يشي محافل

قال لها وقد فتحت عيناه من الدهشة :

— أين يكون إذن ذلك المكان الذي يتكون فيه الرجال ؟ وإن كانت الجامعة على ما وصفت فاعلة الإقبال عليها ، وإقبالك أنت خاصة ؟

قالت : البعض يلتمسون الإجازة التي تفتح لهم أبواب المناصب العليا ، والبعض يلتمس وسيلة للعمل المنتج وهو تعليم الشعب

ومن تلك الليلة صحبته إلى حي بتروفنا فيما وراء النيشا وهو حي المال والمصانع ، وقادته إلى بيت صغير فبدلاً بثابهما ثياب صفار الخبازين والمجانين ، فكان من رأيها داخلين لا يعرفهما بعد أن تربيا بزيمهما الجديد . ثم أخذتا يجوزان خلال الحارات الضيقة القذرة والأزقة الحالكة الموبوءة حتى بلغا بناءة كانت مصنعة كبيراً أسى مهجوراً ، وقد اكتظ بمئات العمال يستمعون إلى خطيب في ثياب راهب ؛ وكان الراهب نحيفاً خفيفاً أجرداً أصمد لا شيء فيه غير عينيه كالشمعتين المضيئتين ، وكان صوته كأنغام المكان يوقع به أنفاماً تارة شجبة مبكية وطوراً مثيرة مبهجة

وكان الخطيب يقطع من جبل البلاغة ويصوغ من جواهرها ، يفيض تارة كالنهر العذب الفرات وطوراً يهدر كالشلال الراهب ، يترحم ويميل كقصب السكر بمهب الريح ، وكأنه يطرب لما يقول كأنبغ المنشدين ذوى الأصوات اللعاعة والفن الرفيع . انتشى جودار أولاً ، ثم زاغ بصره ، ثم سكر وراح يردد في نفسه معاني الخطبة الرائعة بببارات تكاد تكون من ألفاظه وصياغته ، ولم يعد عليه شيء غريباً ، فهذه حياة الفلاحين بصفتها الراهب وبمجيد ،

القابلة ، لوزارة المعارف ، فعمل « محفظها » وفاز بكرسيها المرموق من فطاحل الرجبين بعين الجشع . ودخل قصر الوزارة ، وجلس في القاعة التي تربع في دستها باديف وستولين وسيرنوف وجوجولوفتش^(١) وكلهم كونت أو بارون . فكان أول همه أن أثنى القرار الذي يحرم أولاد الفلاحين من دخول الجامعة لعجز النصاب ؛ وكان عليه أن يجدد شباب التعليم ويبدل نظمه البالية ، فأكب على العمل ليل نهار واتخذ مقره ومسكنه ومثواه في الوزارة لا يفادها ولا يبارح مكتبه إلا لمقده

وفي إحدى الأمسيات المأدبة اتخذ طريقه إلى سيزاك تويلاي^(٢) إزاء پرسكتيف نيفسكي ، حيث يقطن قريبه الشيخ كورنيك سيرنوفتش ، ولما استأذن على رب البيت استقبله في دهشة قائلاً :

« جودار ياولدي العزيز ! أين أنت ؟ لقد قطعنا ولا ذنب لنا إلا عجزنا في السنين الخوالي عن إلحاقك بالجامعة ، ولكنك رضيت بوظيفتك ، وقد أقعدتني الشيخوخة عن متابعة السبي ، فقال جودار : — لا عليك إعماء فهذا تاريخ قديم نسيت ، ولم أقعد عن النرس والطلب ... حتى ... وقطع عليه الحديث دخول هورين الولد البكر ، ولم يزل جودار منذ بضعة سنين فقال له :

— دعني أنظر إلى وجهك يا ابن عمي ما أشبهك بنوفالوف وزير معارفنا الجديد ! وخرج ثم عاد مسرعاً ويده « جازيت بورسانيا » وفيها تصاوير الوزراء الجدد ... ووضعها تحت عيني والده ... فابتمس الشيخ وقال :

الحركة ، ويلتهم الكتب التهاماً ويواصل العمل ، لا يعمل ولا يضجر ، فتجددت حياته وخلق رداء الماضي وصار كالجواد الكريم الذي يقصد إلى اتجاه واحد لا يحيد عنه يمنة أو يسرة سحولا على أجنحة من حب الفوز والتحمس للنصر ، يستنشق ريح الأمل الذي يحده ، ويثقي في يد اليأس تراب الماضي الأليم . وكانت بطرسبرج في فجر القرن العشرين قد استيقظت فنهضت كالغداة الحسنة ، تنفض عن كاهلها غبار مهرة الليلة البارحة ، واتجهت نفوس الشباب من كل جنس ولون ودين وطبقة إلى العلم . وعند ما فتحت الدوما أبوابها للزارعين فكر جودار في الاستقالة من منصبه الصغير ، ولكنه عمل وقد اشتهر في الأوساط الثورية باسمه الجديد « اندوماك نوفالوف » ولكن لم يقف على سره أحد غير فتاته المخلصة التي جمعتها إلى الزعماء والقادة ، وكانوا هم أيضاً يحملون أسماء مستبارة مثله ؛ وأظهر اندوماك نوفالوف كفاية في التنظيم وقدرة فائقة على خدمة وطنه ، وامتدت إليه الأيدي بالمونة واشترأت نحوه أعناق الطامعين والمحبين ، وطلب إليه أن يستقيل من وظيفة التحصيل والحماية التي كان يشغلها في مصلحة الأموال المقررة لينقطع للعمل القومي فينتقنه ، وأصبح لا يسمع أحداً يتناديه باسمه القديم . وعند الانتخاب العام صار نوفالوف في مقدمة المرشحين لمجلس الدوما عن حي پتروفنا وهو حي الخبازين ، وفاز بلا منازع . فقد كان ناخبوه سامعيه ومريديه وأصدقائه الذين يلتفون حوله في النداء والعشي . وعند ما ألفت الوزارة رشحه حزب « براشدا تراسكوييا^(٣) » وهو الأكثر

(١) من وزراء المعارف السابقين

(٢) شارع في بطرسبرج

(٣) الحق الصراح

فأخذ يحرق الأرم غيظاً وبعض بنان الندم آسفاً، ثم نهض وودع وانصرف. وفي اليوم التالي دعا سيبروقتش ليلقاه في تمام الساعة الثانية عشرة في قصر الوزارة.

ولم يدر الشيخ سبب الدعوة ولكنه حافظ على مواعدها ولبس أنغريثابه واستأذن على الوزير فأحسن استقباله، ولكن عيني كوبرنيك جحظتا وفه ففر من الدهشة عند ما سمع صوت الوزير أندوماك نوفالوف ولم يتالك أن سأل: سيدي الوزير... أتعرف شخصاً اسمه جودار برافسكي؟ فدنا جودار منه، وقد خشي على عقل الشيخ وحياته وقال له:

— فلنفترض يا سيدي المدير السابق للأموال المقررة أن جودار برافسكي وأندوماك نوفالوف علمان على شخص واحد، فهل كنت تفرح وتقبط وتقبل شكرها أو شكره وتكتم سرها أو سره؟ فنهض الشيخ صرخباً، وهو يهمس: ولدي! ولا هدا روعه قال له جودار: الآن سأنتقم لك وأخذ يشارك، وأظفرك بعمدوى وعدوك

ودق الجرس، وطلب إلى كاتب سره أن يدعو إليه مراقب التعليم العالي. ودخل الموظف القديم سلاتير بوبوف يجر أبقال السنين ويحمل أعباء اللحم والشحم، وحياتهم وقف منتظراً.

— يا جناب المراقب. أقدم اليك السيد كوبرنيك سيبروقتش. ففتح الرجل عينيه ورحب به مطمئناً إلى رجل من العهد القديم وأذن الوزير للموظف بالجلوس قائلاً:

— لك أن تجلس. فقد أنشئت النظم القديمة، ونحب أن نأتي على التقاليد البالية ذممة واحدة. ومن هذه التقاليد وظيفة المراقب على التعليم العالي،

«عند رعايانا الترتيب والترتيب مثل ينطبق على هذه الحالة» لقد خلق الله في كل بقعة من الأرض أربعين شخصاً على صورة واحدة، وليست وزارة المعارف بكبيرة على ابن عمك، لو أنه وفق إلى دخول الجامعة، أو دخل من «الباب الخلفي» ثم خفض صوته هامساً: «باب الثورة والدوبا...» لو أنه ظفر بلباق الأب جابون^(١) وخطب في الجماهير. ولكن لا عليه، فإن الدهر لم يساعده. أفتر لهذا الوغد المتكبر سلاتير بوبوف الذي كان مراقباً للتعليم العالي! إنه خصوص خبيث، يدافع عن الطبقات كأما بنات خالته، ويقصى الفقراء عن مناهل العلم كما لو أنهم يخطفون من بين يديه صحن البورش^(٢) الذي يتجرعه ويسد به نهمه!

فقال جودار وقد امتنع لونه: أظن هذا الرجل لا يزال مراقباً للتعليم العالي

فقال الشيخ كوبرنيك: حتى في عهد هذه الوزارة الثورية. إنه لحرق في الرأي وخضوع للظلم ورجوع بالعلم إلى المصور المظلمة، واستسلام للرجسين

فقال ولده هوردين: من يسمك لا يشك في أنك ناثر مع أنك قضيت معظم عمرك المبارك في الطاعة المطلقة. فتهب الشيخ حتى اهتز صدره وقال: آه لو عرف الشباب وآه لو قدر الشيب!

وكان جودار بهم أن ييوح بحقيقة حاله، ولكن الليالي والأيام علمته الكظم والكتمان ولا بدأ يشرب الشاي تذكر والديه وخصمه

(١) راهب سياسي خطب وكتب وثار ثم نال نكزاً كبيراً حول سنة ١٩٠٥

(٢) نوع من حساء الحضر واللحم

بوبوف : هذا الذي قلته بالنص لصاحبي فهاج
وسخط وما زال يذكرها لي
الوزير : هبني وقريبك الشاب شخصاً واحداً
ولا تحقد على صديقك القديم . فانه لم يعرف غير
ما أمر به رفقته . والآن يا سيدي المراقب على التعليم
المالى سابقاً ، أستودعك الله وأصالحك ، وإن كان
لديك قريب فقير لا يملك أهله دفع النصاب فرحاً
به لأن هذا القانون كما تعلم قد أُلغى قبل الاستثناء
عنك . وخرج الرجل
وقال سيروقتش وهو يماثق قريبه : لقد بمثني
من مرقدى
فقال الوزير : لى عندك مطلب وهو أن تستدعى
والدى وتكشف لها في رفق حقيقة ماجرى ، وأن
تتلطف بوالدى قبل أن ترى فإننى أخشى عليها شدة
الفرح بولدها الذى حرم من التعليم المالى لأنه لم يكن
على شيء في نظر المحترم بوبوف

محمد لطفي جمعة

مجموعات الرسائل

تباع مجموعات الرسائل مجلدة بألوانها الاربعة

٥٠ السنة الأولى في مجلد واحد

٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة

والخامسة في مجلدين

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش

في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون

قرشاً في الخارج عن كل مجلد

فهي من اليوم ملانة وزائلة . عليك أن تذكر أنك
آخر من شغلها ولك أن تتمتع من هذه الساعة بكل
ما تمنحك الاحالة على الماش الكامل من الراحة
والرفاهية ، وإن الوزارة لم تستغن عنك إلا على
مضض فقد كنت شديد الحرص على قوانينها
ولوائحها . فرد الشيخ كورنيك قبل أن يفيق
المزول من دهشته : ولا سيما يا سيدي الوزير
حرام نوايغ الشيان من الالتحاق بالجامعة بسبب
عجز والديهم عن دفع النصاب

فقال بوبوف : أذكر أن السيد سيروقتش نفسه
وهو من أعز أصدقائي رجائي وألم في استثناء واحد
من هذه القاعدة ، وكان يظن الفتى نابهاً غيبت رجاءه
لأن الشاب لم يكن على شيء ، فغضب صاحبي حتى
كدنا نشتبك في معركة ... ولا أظنه قد ندم على
عدم نجاحه في مسامه

فقال سيروقتش : لملك لو قبلت رجائي لبقيت
في منصبك هذا من يدري ؟ ...

فقال بوبوف : لا أفهم ما ترى إليه يا سيدي
المدير السابق

فقال الوزير : من يدري ؟ لعل الشاب الذي
خبيت أمه كان في موصى فيذكر لك هذا الصنيع
ولكنك تقول إنه لم يكن على شيء

فقال بوبوف : هذا احتمال بعيد التحقيق

الوزير : وما كان اسمه ؟

سيروقتش : جودار . جودار براشكي ياسيدي

الوزير من مقاطعة سراتوف

الوزير :

كنت طبعاً يا سيد سيروقتش تسمى لتعليم شاب
واحد في الجامعة ولعله كان يجيب أو ينضم إلى
صفوف المتطرفين

من صميم الرفيف

الجزء

بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب

صديقين ، وهما هذى
أصرة إلى أصرة ،
فطار إليه يبشره ثم
انطلقا معاً إلى الحقول
كصفرين استشعرا
جال الطبيعة في يوم
صاف من أيام الربيع
فراحا يدفان بمنحاحين
فيهما النشاط والسعادة

وجاءت الزوجة الصالحة تنمّر الفتى السعادة
وتسعد هذى إلى جانبه ، وأغمض الدهر جفنيه عنهما
فرشفا معاً — على حين غفلة منه — كأساً من
السعادة صافية ما يكدرها خصام ولا يشوبها جفاء
وتصمرت السنون وهوبها حتى ...

وخرج عبد العزيز عند الأصيل — كما يفعل
بين الحين والحين — إلى شاطئ الندي ، رفقة
صديق حبيب إلى نفسه ، توقفت بينهما عروة
الصداقة منذ زمان على رغم ما بينهما من تفاوت
فبعد العزيز من عليّة القوم وعمود من أواسط الناس ؛
غير أن شيئاً في حياتهما جمع بينهما فأنس كل منهما
برقيقه واطمأن إليه ... خرجا معاً يستروحان نسمات
الربيع ويمتشان النظر برؤية قنيت القرية وهنّ يعلّان
جراهن وفيهن الجمال يرف رقيقاً حلواً ما زوقته
للدنية ولا شوهته الأصباغ ، يتسمن في خفر
ويتحدثن في استحياء . وهيج الشاطئ والفتيات
في نفس عبد العزيز ذكرى غرام مسحت عليه يد
الأيام فراح يقص على صاحبه قصته . وانطلقا والحديث
ذوشجون ، وراح عبد العزيز أن يرى على خطوات

عبد العزيز بن الحاج أحمد فتى طوى العشرين
من سني عمره فيه قوة الشباب ، ومرح الطفولة ،
ودلال الفتى ، ونشوة السلطة ، لا تشغله مشاغل
الحياة ، ولا تثقله حاجات العيش ، فأبوه شيخ فيه
الننى والجاه ، وفيه الشفقة والحنان ؛ فهو لا يقسو
على أولاده فيمت في نفوسهم المقت ، ولا يقتر عليهم
فينث في قلوبهم البغض ... وهو حين رأى ابنه
الأكبر — عبد العزيز — يحبون نحو الشباب رويداً
رويداً جذبه من المدرسة ليسيطر على عمله ، وليلقى
بين يديه قياد أمره ؛ ثم هو ما يرح يسدى إليه
النصيحة في لين ، ويلقى عليه الدرس في رفق ؛ وأراد
الرجل أن يلقي في روع ابنه أنه رجل فانطلق يحدّثه
حديث الزواج فاطمأن الفتى إلى حديث أبيه وفي
نفسه اللذة ، وفي قلبه النشوة ؛ ثم انطلق من لده
وعلى شفتيه ابتسامة ...

وبدا الفتى مرحاً طروباً ، فزيب — الزوجة
المنتظرة — ابنة خاله فيها الجمال والحياء ، وفيها العقل
والهدوء ؛ ثم هو يمتشق الزواج ليدو في أعين الناس
رجلاً فيه الرجولة ؛ وأخوها زميلة في المدرسة ،
ورقيقه في الحقل ، وزيه في اللعب ؛ شباً معاً

واختلف الفتى إلى الناحية التي رأى فيها الفتاة يدفعه قلبه ، فهو يسعى إليها في حجة صديقه محمود مرة ، ووحده مرات ، يتمتع نظره وقلبه معاً برؤية صاحبتها ثم ... توقفت المرأة وانكشف الحجاب فراح يتحدث إليها أو يجلس على خطوات منها أو يقدم إليها هدية صغيرة ؛ والفتاة تستشف نوازع قلبه فتدفعه عن نفسها في دلال وتجذبه إليها في رضا . وتلاقيا — مرة — على حين غفلة من الرقباء فاندفع يقول لها وتقول له ... وحال حالهما ... لقد كان هذا الحوى في عيني الفتاة لهواً وفي عيني الفتى عبثاً ، فاستحال — بعد حين — في قلبهما حباً جامعاً وعشيقاً حاصفاً ؛ والفتى ما يستطيع أن يجذب إلى فتاته في خلوة ، والفتاة لا تستطيع أن تجذب السبيل إلى فتاتها . وأنى تخلص إليه وهي في قيد من أيها وهو فظ غليظ الكبد ، وقيد من أهلها وهم حوالها يترصدونها ، وقيد من دارها وهي في قلب القرية ؟ فثار الحب ثورة لا يجيد لها متنفساً :

وأظلمت الدنيا في عيني عبد العزيز حين أحس بقلبه يدفعه إلى فتاته في شدة وعنف وهو يعلم أن لاسبيل إليها وهو زوج ، وتوزعته انطواظر السود فبدا كاسف البال حزينا مهموماً ، وانطلقا إشرقا وجهه واستلبه المشق من مرحه ومحمود من ورائه يسرى عنه ويخفف من آلامه وينزع عنه أشجانه ليت الفتى ضم جوانحه على لميب من الأمي يتأجج فما أرسله حمماً تلتظي به الزوجة المسكينة ! لقد تراءى له أن زوجته هي المقبة الكؤود التي تحول بينه وبين أمه ، فلبس لها لباس الشر ، فبا رمعها إلا شرراً ، وفي عبوس ، وما يحسدنا إلا

منهما فتاة ليست هي ممن يعرف من بنات القرية ولا هي من طرازهن ، فهي كطفلة حسناء جميلة المعارف ساحرة العينين ، ترتدى ثياب الريف في تأنيق ، وتعمل عمل الريفيات في حذر ، كأنها لم تدرج في القرية ولم تشب بين سبائها وأرضها ؛ فتعلق بصره بها مايطرف ولا يتحول . ثم اندفع يسأل صديقه : « ترى من تكون هذه الفتاة الفتاة الفتاة ؟ » قال محمود : « أفلا تعرفها ؟ إنها سمعية بنت حسنين الفلاح » وعجب الفتى أن تكون هذه الحسنة ابنة فلاح جلف قدر وهي كأنها زهرة يانعة تفتح عنها ركنها منذ ساعة تتأنيق في ثياب ذات ألوان جذابة يسترها قيص أسود رقيق شفاف خشية أن تذهب طمعة للألسن ومضنة في الأنفوس . ومن من الفلاجات تستطيع أن تبدو أمام الأعين في غير ثوبها الأسود الصفيق ؟ وعجب الفتى مرة أخرى أن يبدو وجهها في صفائه ونهاؤه لم تلوحه الشمس فتطيق بعض جماله ، وأن يرى يديها في روثقهما ونموتهما لم يلوشما البرسيم ، وأن يرف ثوبها في نظافة ونظام لم يعضف به النيط . فقال لصديقه : « أفكون ذلك حقاً ؟ » قال محمود « نعم » قال « فما بالها على ما أرى من حسن وأنيق وبهاء ورونق ؟ » قال محمود : « لا جرم إنها قد قضت عمراً من عمرها عند خالتها في القاهرة لآرى الريف إلا قليلاً قليلاً ؛ وحين مات زوج خالتها وكان موظفاً بالحكومة ارتدت الخالة وابنة أختها ليعيشا في ظلال الأهل هنا ... هنا في القرية » قال عبد العزيز : « يا عجباً ! يا عجباً ! » ثم انطلقا ... وابتسم الفتى أن وجد في نفسه شيئاً يجذبه إلى الفتاة ظنه بعض هوج الشباب

لقد أتى الفتى في قلب زوجته بالسواوس تقررته
فهي ما تستقر وما تهدأ . ماذا عسى أن يكون الأمر ؟
إن المرأة لتضطرب للخطرطة تطيف بخيالها فيمص
بها الشك ، وهي لا تأمن قلب زوجها الشاب . أخفقا
أن يفلق قلب الشاب دون النساء جميعا سوى زوجته ،
وهو ما يزال يضطرم حياة ونشاطا يهفو نحو الجمال
ويندفع في أثر المتعة ؟ لعله ... لعله ... ووقفت
الكلمات على شفتيها

وجلست زيف إلى خادم عجوز تنفض أمامها
أمرها ، وتشكو بها وحزنها ، وابتسمت العجوز
في أمي ، وهي تقول : « لا خير ! سأتيك بالخبر
اليقين ! » وراحت العجوز تتقصص الفتى عن بعد
وفي خفية ، وترسل ابنتها في أثره فأنكشف أمامها
الأمر كله ... ثم انقلبت إلى الزوجة تندرها الماوية
التي توشك أن تردى فيها

وأعجز الفتاة أن ترد الزوج إليها بعد إذ أعرض
ونأى فانطلقت إلى دار أبيها ... انطلقت السكينة
إلى دار أبيها هربا من نار متسعة عاشت فيها شهورا
فسحت على مرحها وشبابها في وقت مما
وتجاذب الفتى أمران وقد هجرته زوجته :
حبه لفتاته ، وحنانه إلى زوجته التي صحبا السنين
الطوال فما أحسن منها أذى ولا استشر ضيقا ؛
غير أن شيطان الحب هب من مرقدة يوسوس ،
فأسلس واقاد ... ثم انطلق إلى فتاته ...

وأغلظ الأب على ابنه واشتد ، ثم انطلق إلى
زوجة ابنه يصلحها فما أبي الأب وما تعوقت الزوجة ؛
غير أن حياتهما اضطربت فأصبحت ججيا يتسمر
ألما وضيقا وأمى ، فانطلقت — مرة أخرى — إلى

الحديث الجلف الخشن ، ولا يطمئن إليها إلا ربنا
ينفلت من لئنها ... واضطربت هي أن ترى زوجها
وحبيبها ينطوى على هم في نفسه لا يتحدث حديثه
وهو كان ينشر على عينها حديث حياته كلها ...
لقد أعرض عنها على غير ذنب ، وعافها دون جناية
غزرت في نفسها آلام ما تستطيع أن تبوح بشيء
منها

وهفت نحوه — ذات مرة — تداعبه وترفه
عنه فردّها في غلظة ، وجلست إليه — أخرى —
تريد أن تحدّثه فدفعها في جفاء ، وتقدّمت أيام والفتاة
تضيق بما ترى من زوجها ... ثم فادت شجاعتها
فلبّتها فقالت : أي عبد المزيّز ! لقد صرّحت الأيام ،
وأنا أراك في كد وحزن وما أبجد الجرأة على أن
أسألك سر أمرك ، وفي نفسي أنها سحابة ما تلبث
أن تتفّشع فما بالك ؟ « قل في فتور : « لا شيء ! »
قالت : « ولكني أراك تغيرت فأصبحت رجلا غير
الذي أعرف . أفأستطيع أن أسرى عنك بعض ما
أهمك ؟ « فصمت وفي نفسه خواطر تتناوحه وهو
ما يقوى على أن يتحدث حديث قلبه فيمصف بصباية
من السعادة في قلبها تكاد تنضب ؛ ولكنها استمرت
تقول : « وأنا الآن إلى جانبك أشمركا في غربة عنك »
قال في هدوء : « وماذا أحسست مني ؟ » قالت :
« أحسن منك الجفاء والكراهية ، ولشد ما يؤلني
أن أراك تطمئن إلى العزلة ، وتسكن إلى الوحدة ،
وعليك أثر الحزن والأسى ؛ ولقد عرفت فيك المرح
الطروب ... » قال : « هذا بتّي لا أبوح به »
قالت : « وأنا ... ؟ » قال : « إنه لا ... » واعتقل
لسانه فيما استطاع حديثا واضطربت في خاطرها
هي فكرة

في ابنها، وهو يدرج بإزائها، سلوة وعزاء
ومرت الأيام وسعدية تحاول جهدها أن تجذب
الفتى إليها فتصرفه عن زوجته الأولى فيستغنى عنها
فيقطع ما بينه وبينها، وهي لا تستطيع أن تصارحه
ببغيتها خيفة أن تثير فيه كوامن الكد كرى، ثم هي
ما تنفك قلقة مضطربة خشية أن تجد النصيحة إلى
قلبه الطريق فينبذها وينطوى عنها؛ وعهد العز
ما يزال - رغم هذا - ابن أبيه يقوم على أمره في
غير فتور ولا كسل

وهفت نفس الفتى إلى ابنه - والناس يحملون
إليه خبره - فراح يطلبه في إلحاح يداعبه ويلاعبه،
ثم يحبوه ببعض الحلوى واللعب، وينفحه بالقروش
و... كأنه يكفر عن بعض ما استزله الشيطان عنه،
ووجد الطفل في أبيه العطف والحنان فانطلق في أثره
وجلس الطفل إلى أمه - ذات مرة - وقد
وجد فقد أبيه، فهو لم يره منذ أيام... جلس إليها
يستحيا أن تحمله إليه، وهي تهدي من إلحاحه
وتبعت فيه الأمل، ثم هي تدفعه عنها في رفق...
وذهب صبر الطفل فانطلق في شوق ينتظر أباه لدى
التمطع؛ وانتظر فطال به الانتظار... ومضى صبي
بإزاء الطفل ومن ورائه رفيق له يشتد في أثره
ويرشقه بالحصى، وطاشت واحدة فسقطت على رأس
الطفل وهو آمن في ناحية من الطريق فصرخ:
« يا أبي... يا أبي! » أيدرك الطفل معنى الصرخة
التي أرسلها مدوية حين أكلته الحياة وصدمته الحصاد؟
لقد انشقت لها قلب الأب وهو يسير الموهبي في طريقه
كأن القدر ساقه ليلى نداء ابنه فيخفف عنه بعض
ما أصابه، فحمله بين يديه وانطلق به إلى داره...
واختلف الطفل إلى دار أبيه ثم راح يستوضح

دار أبيها وفيها بضعة منه، لا تخضع لأمر أبيها
ولا تلين لرجاء أمها؛ ثم... ثم وجدت في ابنها
سلوة وعزاء

وطرب الفتى لما كان فانطلق إلى صديقه محمود
يحديثه حديث أمانيه فراح هذا يحذره رغب أمره،
ولكن أنى له أن يلق إليه السمع والفتاة تفتح له
ذراعيها كل مساء وتلقاه في ابتسامة حلوة أسرة،
وتسقيه من رحيق السعادة كأساً مترعة؛ ومن
ورائها أمها تغريه بأمر؛ والأب يرى ويسمع؛ غير
أن طمعه في مال عبد العز ومال أبيه ينشر على
عينيه حجاباً كثيفاً، وهو رجل غفل يهتر طرباً
أن يترامى له أن ابنته ستصبح في يوم ما... فيصبح
هو... والحاج أحمد يبلغ إليه بعض خبر ابنه فا يرى
فيه سوى نزوة من نزوات الشباب الطائش ما تبرح
أن تنطق أو تتوب، وهو لا يستطيع أن يحذر
الحديث ضناً على هيئته أن ينفرط عقدها من قلب
ابنه... وانطوت الشهور سراعاً... والفتى يطمئن
إلى الفتاة ويسكن إلى حديث أمها

والثالث عقل الفتى واختلط عليه الأمر، وعلى
حين غفلة من أهله أصبح زوج سعدية
ماذا يستطيع الشيخ أن يفعل وقد انفلت الزمام
من يده؟ إن قلبه لا يطاوعه على أن يقذف بابنه في
منأى عنه، فخرم على زوجته الجديدة أن تلج داره.
لاضير، فالتفت يسكنها داراً أخرى، وهي تخفف
عنه بعض ما يصيبه وتداوى داءه في حلق ومهارة.
واطمان الفتى إلى زوجته الجديدة وقد أسدل على
الأولى ستار النسيان فماشت في دار أبيها زوجة
بلا زوج، وتناوحها الآلام، وتلهمها الفيرة، فتجد

« صه ، أيها المهور ... ! » وسقطت الكلمة المزدولة عليه ساعة تستلبه من عقله وهذونه وتنفث فيه ثورة الهور والجنون ، فنطق — والنضب يعصف به — بالكلمة المحرمة ، ثم ارتد وابته بين يديه يضمه إليه ويقلبه بين عينيه ، ويلبس فيه السلوة والمزاء ؛ ومن ورائه المرأة المطلقة وقد جن جنونها حين تهتدت حياتها وتحطمت آمالها ، فراحت تصرخ في سمر : « أفلتها ؟ أفلتها أيها الأحمق ، أيها ... ! »

طاهر محمود مهيوب

رفائيل لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

التمن ١٢ قرشاً

أمه خبر المرأة التي يراها في دار أبيه تغبّره أنها هي أخته ... اختلف الطفل إلى هناك وسعدية تلقاه — في حضرة أبيه — في بشاشة وسرور وتداعبه في لطف ؛ ثم هي — في غيبتها — تخطل شدة بلين وتمزج قسوة برفق ؛ والابن لا يشعر بما يتزى في قلب زوجة أبيه من كراهية له ومقت ، والأب — في غفلته — يخيل إليه أن المرأة ترى في ابنته هو ابنتها هي أيضاً لأنه بعض حبيبتها ، فهو يراها تعطف عليه وتحبوه بالحرى واللعب ، وفي نفسها هي أمر ...

وحزّ في نفس المرأة أن ترى الطفل يجذب إليه والده فيصرفه عنها حيناً من الدهر ، وخافت أن يذرق في قلب أبيه غراس أمر ، فراحت تبتلظ عليه قليلاً قليلاً كي ترجمه عن الدار ؛ والطفل لا يستشعر فيها يجد أذى ولا غضاظة . وعلى حين فجأة دخل عبد العزيز والطفل بين يدي سعدية ينتفض من الدهر ويصرخ : « يا أبي ... يا أبي » وهي تهم أن تلمعه ، وعلى خده أثر لكمة ، فذهل عن نفسه ووقف مكانه مسلوباً لا يستطيع شيئاً : ماذا أرى ؟ ألقاً أنها تقسو على ابني ؟ وانفلت الطفل من بين يدي المرأة لائق بنفسه بين أحضان أبيه ؛ وانفجر الأب — في غيظ — عن كلمات لئيمة قاسية يلوم زوجته ويؤنبها ؛ وأحست المرأة كأن الكلمات تساقط عليها رجوماً رجوماً تسحق كبرياءها وتمصف بكرامتها ، فاندفعت تكيل له الألفاظ الجافية النليظة . وشق على الزوج أن يرى الزوجة وأبوها أبوها تتساقط إليه وهو هو ؛ فتهدم عليه بالفاظ اللوم والتبكيت ، فقال : « أيها الحقاء ... ! » فقاطعه :

سكتان حديدان
الموجز في المبادئ
هما غير كتابية يعلمانك الفرسية بنفسك
يأبأن جميع المطالب عن كل منهما بملء

مَهْرُ الشَّاعِرِ

بقلم الأستاذ محمود بك خيرت

السمع، مع أن أحداً
على ما أعلم لم يفكر
في اختياره إلى الآن؟
ولكن آخر أجابه
بأنه سبق التسمية به
وإن له عنده لقصة
طريفة روتها له
أحدى قريباته

وكانت صديقة لصاحبة هذا الاسم

ظلت زمناً غير قصير ووجهها مسند إلى زجاج
النافذة وما كان هناك ما يلت النظر أو تقع عليه
العين، وقد أخذ الرذاذ يتساقط في الطريق خيوطاً
على هيئة جبات صغيرة من الملح، وهي تنقر ذلك
الزجاج نقرات متواصلاً والضبباب الكثيف يرتفع
شيئاً فشيئاً في الفضاء فتختفي فيه صور الأشجار
والبيوت والأفق فلم يكن هناك في الجانب المقابل
للنافذة إلا الطبيعة الجامدة المتضائلة كساها الشتاء
ثوباً قاتماً من الحزن

ولكن نظراتها كانت ضالة زائفة، فكأنها تنظر
أمامها إلى شيء وهي لا تنظر في الحقيقة إلى شيء، وإنما
كانت تفكر فيما يتردد على خاطرها من الذكريات
وقد ملكت عليها صوابها وحواسها حتى أنها
لم تسمع طرق بابها، فاضطرت ابنة عمى إلى الدخول
فألقتها على تلك الصورة مستترقة في خيالها
وأحلامها، فما أذهلها أمرها وهي تعلمها أديبة وشاعرة
رقيقة تحب الطبيعة وتمشق جامها، فلا بد أن منظر
هذا الرذاذ المتساقط وذلك الضباب المنتشر أخذ

خطر لنا أن نهجر المقامى والمجالس العامة التي
لا فائدة منها وأن نجتمع في بيوتنا بالتناوب، فكنا
عند كل مساء نقطع فيها الوقت ساعدين إلى منتصف
الليل أو إلى ما بعده ونحن نعرض لمختلف الموضوعات
من سياسة أو أدب أو تاريخ أو قصص أو غير ذلك
ولقد جرتنا الحديث ذات ليلة إلى الأسماء التي
يختارها الآباء لأطفالهم وإلى غرائبها في بعض الأحيان
وإلى الدوافع التي تحملهم على اختيارها دون سواها
وقد تكونوا لاعتبارات مضي زمنها، أو لأمال مستقبلية
يرجون تحقيقها. فترام يطلقون على طفلهم اسم
« الثعالبي » بعد أن كاد المقيم يجرعهم في سبيله
كثؤوس الأسي، أو اسم « ست الدار » على أمل أن
تكون الطفلة يوماً ما زينة أهلها وسيدة بيتها،
أو « أبو النيط » لمل هذا الطفل يعطف عليه الحظ
فيصبح فيما بعد مزارعاً موفقاً

وهكذا أخذنا نستعرض كثيراً من الأسماء
من صلاح الدين إلى أبو القمصان إلى فارس إلى
غصن فوردة، وإلى غير ذلك من هذا النوع التي
لا ينتهي. وعند ذلك صاح أحدنا: ألا ترون
يأرقاني أن اسم « سنبلة » اسم جليل المعنى حلو في

عن ذلك الجمال الصورى الذى نطلبه عند الأصباغ
والأعطار

أما فى الشتاء ...

وعند ذلك قاطعتها صديقها قائلة :

أما الشتاء فقد أطريته من قبل كما أطريت
فصل الربيع الآن . ألم تقولى إنه الصاحب الرقيق
الذى يخطف وده ويجد قلوبنا دفأها عنده ، وأنه
الذى يهبى لنا سبيل الأحلام . الناعمة ونحن من
حول اللوقد نضطلى ناره وتتناول الأفاصيص ننصت
إليها كما تنصت الطفلة الصغيرة إلى ما تقصه عليها
جدتها حتى يغلب جفניה النعاس ؟

— الحقيقة أن لأمر جتنا أفضالاً مفاتيحها
الفصول

— بل قولى إنك بحاجة إلى الحب حاجة الفصن
الظنّان إلى ارتشاف الماء

— وما ذا عساه أن يفيد مع من عصفت بها
الأقدار فما عاد يشغل رأسها خاطر ولا قلبها حب ،
ولم يعد خلفها ماض ولا أمامها مجال لأمل ؟ لقد
أصبحت يستوى فى عينيّ الشتاء والربيع والضحك
والبكاء وقد آليت أن أعيش وحدي مع نفسى
أندوق طعم العزلة فيها وإن كانت عزلة قاسية مريرة
حتى أن الدقائق لتمر من حياتى دون أن أشعر بها

أما أبو سنبلة فكان رجلاً فقيراً لا يملك فى
قليوب إلا بضعة أفدنة ضئيلة الأيراد ، ولكنه كان
مزارعاً نشيطاً قوي الإرادة يفيض قلبه دائماً بالأمل ،
فأخذ يجدد ويقصد حتى أصبح من أعيان ذلك البندر .
فلما بسط الله له فى الرزق وهياً له أسباب السعادة

بها والطبيعة دائماً جميلة فتاة مهما تعاقبت الأيام
والفصول

وكانت الفتاة قد انتهت فالتفتت إلى خلفها
ووجهها يرم عن الحزن والتفكير حتى ارتفعت
ابنة عمى وسألها عن أمرها ، فأجابها فى بساطة أن
لا شيء ... وهو جواب كان يحمل فى طياته أثر
ما كان يشغل بالها ، وما كان لإجواب هؤلاء الذين
حياتهم أشبه بأفى ذلك الشتاء تتلاشى شيئاً فشيئاً
فى ضباب الأيام البائسة وهى تمر على حالة واحدة
لا جديد فيها

وكان الثوب قد نال منها فارتحت فوق مقعد
قريب وهى تردد جوابها السابق : لا شيء ، لا شيء .
— وهذا الشحوب وهذا التفكير الباديان على

وجهك يا سنبلة ؟

— قد يكون ذلك لرداء الجو ، ألا ترين ؟

(مشيرة إلى النافذة)

فى الربيع يصعد ماء الحياة المبتسمة إلى أجسامنا
نحن أغصان الحياة فنشعر كأننا نولد من جديد
ونسيم الآمال العذبة يهز أعطافنا ويفرس الابتسامات
فى شفاها فتفتتح عن قُبَل الحب الهنيئة كما تفتتح
أكمال الورد المظر البائع

وفى الربيع تمتد الأغصان وتنمو الأوراق
وسواء كانت من المتسلقات أو مما يلبث مكانها
تملأ الفضاء بهاء وبهجة ، وتكسو الأرض خضرة
ونضرة ، وقد رقت السماء وطاب الجو ، فلانشرعنده
بحاجة إلى ذلك الفرو الذى نلف أعناقنا به عند
الشتاء وقد غمرتنا النشوة وجرى فى دمنا النشاط
وارتسم على ملامحنا البشر ، وصفت بشرتنا فاستغنت

الحبين . وكان القراء يشعرون بما في هذا الشعر من السهولة والقوة وحلاوة الأسلوب ، حتى أصبح هذا الشاعر المجهول معلوماً عند جميع الناس لا تخجل أحاديثهم في مجتمعاتهم من ذكره ، وكلهم يتمنى لو أنه يكشف عن اسمه وعن مكانه فيملاؤن عيونهم منه بعد أن استهوام وسحرم بشعره .

وكانت سنبلة قد انتهت إلى ما تنقله الجملات عن هذا الشاعر ، فكانت إذا حضر بها ساعى البريد تسرع إلى فهارسها فإذا وقع بصرها على الشاعر المجهول قلبت صفحتها لتثر على ما ينشره على الناس من جديد ، حتى إذا ما انتهت من قراءته استرخت على مقعدها وقد دبت في مفاسلها النشوة

ولقد أخذ هذا الشعر يقتصب كل يوم شيئاً من فراغ قلبها حتى استولى عليه وهي تقول : لا يقول مثل هذا الشعر إلا قلب عذبة الحب ، فمن هي السعيدة التي ظفرت منه بهذا الثناء المنظوم ؟ بل من هي تلك الفاسية التي لا يحجز إحسانه إليها بإحسان منها ؟ وهي تبتمد حين يتقرب ، وتصد عند ما يترضى ؟ ثم تقول : ليتنى كنت أنا بيت القصيد من شفرة فأباهي وأتبه على أجل الفتيات ، ثم تبيكي وكثيراً ما دفعا الشوق إلى معرفته فسألت أصحاب تلك الجملات عنه ولكنهم أجابوها بأنهم هم أيضاً يجهلون من هو

— إنك يا سنبلة في أوج شبابك وحسنك كالنثرة الياقة الناضجة لا تنتظر إلا اليد السعيدة التي تمتد لتقطفها فلم لا تفكرين في الزواج ؟
— فكرت فيه ولكنني لم أزوج من شاب

انتقل إلى القاهرة بعد أن اقتنى بها أغفر المارات وشيد لسكناء هذا القصر الأنيق وهو يطل على حديقة قصر يملكه صديق له من الصغر ، وكان لهذا الصديق ولد في سن سنبلة وسيم القسمات لطيف الحديث جم الحياء تخرج في الجامعة للصربية بعد أن نال إجازتها في فن الأدب ، فاقتراح أبوه على جاره أن يزوجه من ابنته ، ولكنها استمهلت أباه في لطف بحجة أنها لا تزال صغيرة ، وأن من يريد لها لا يزال في قليل التجربة

وكانت العادة في مثل هذا الحال أن يتبادل أقارب الطرفين صورتي الخاطب والمخطوبة ، حتى إذا وقع كل منهما من قلب الآخر وتهيأت الأسباب لإبرام الزواج ساغ لها التزاور والاختلاط . وهكذا ظلت صورة سنبلة عند خاطبها وصورة عندها

ولقد كان شديد الولوج بها ففعل فيه زفصها ما يفعله السهم النافذ حتى غلبه الحزن وامتد إلى جسمه السقم . وكثيراً ما كان الأطباء يمودونه فلا يجدون لمرضه سبباً ظاهراً ، ولذلك كانوا يشيرون عليه بالرياضة والأسفار وارتياك الرياض والمنزهات حتى أنه كان كثير الجلوس في جوسق بالحديقة تطل عليه شرفة في ذلك القصر الذي دفن آماله فيه

وكانت مجلات الأدب في ذلك العهد كثيرة تنشر على قرائها ما يرسله إليها الكتاب والشعراء من وصي خيالهم وسحر بيانهم ، وكل منهم يضع اسمه على ما يكتب إلا واحداً كان يقتصر على كئني « شاعر مجهول » وكان شعره يتناول كل لون من ألوان الحياة وبخاصة الحب وما يتصل به من مآسى

لأن قلب الرجل دائماً في سن العشرين ، وهذا القلب هو الذى سأحتله ؛ وحسبى أنه فتى صهرته نار الحب فأوحت إلى خياله بهذا الشعر السباوي الذى غمر نفسي واحتل قلبي وتغلغل في خواطري وأحلاى ودى .

وكانت هذه الصديقة موفدة في الحقيقة من قبل والد الخاطب وقد فكر في أن صلتها بسنبلة وقد بدأت من الصغر في المدرسة كفيفة بالإنها واسترضائها وتلك عادت تسألها :

— وما هو يا سنبلة عيب هذا الشاب الذى طلب أبوه يدك له ؟ إنى لأراه فتى في شرح الشباب بهى الطلعة مليح القائمة وهو فوق ذلك متملم وأبوه غنى ، وهو صديق لأبيك

ولكن سنبلة لثمت الصمت ، وأخذت تنظر إليها من طرف خفي كأنها تتكشف ما دفع بها إلى هذا السى . فلما ألحت عليها صاحت فيها : أهدأ ، أهدأ لن يكون إلا ما أردت . وإذا كان أبى أو أبوهما اللذين وسطاك بينه وبينى فحسبك أنك وقفت على أمرى ، ولك من الآن أن تصرخى لهما به . ومع هذا ...

وعند ذلك قصدت في عنف إلى درج المكتب وأخرجت منه صورة ذلك الفتى ثم اندفعت إلى باب الشرفة المظلة على الحديقة ، وكان جالساً تحتها فزقتها ثم ألقت بأجزائها إليه قبل أن تدركها صديقها ...

ولقد كان هذا الفتى يمشى إلى تلك اللحظة على الأمل . فلما قذفت سنبلة في وجهه برسمه على تلك

متقلب تقرئني ساعات نشوته الأولى ثم ينفض عنى — ما أخطأت ؛ فإن أخطر ما يكون مثل هذا الزواج الذى لا يقوم إلا على مجرد المتعة ، فإذا ما خمدت نار تلك النشوة الأولى راح يبحث له عن متعة أخرى ترفع ما تراكم من رماد تزقه فوق تلك النار . وليس على مثل هذا الأساس المضطرب يستقيم الزواج وتسان الأسر

— ولا أرى كذلك أن أتزوج من أى شاب وإن كان جيالاً

— إذن فانت تريد أن تزوجى من غنى ؟
— ولا هذا أيضاً فإن أبى وافر الثنى على ما تعلمين . ولكنى ...

وكانت صديقها تعلم مبلغ ولها بما تقرأ في المجلات من مقطوعات الشاعر المجهول فصاحت بها :
— أترأك تحمدين نفسك بالزواج من هذا الشاعر . إذن فانت تجربين وراء الخيال يا سنبلة — وليه ؟ أليس موجود ؟

— بلى ولكنك لا تعرفين من هو ولا أين يقيم . ومن يدري ؟ ربما أصل إلى الاهتداء إليه يوماً ما .

— ربما . ولكن ماذا يكون من أمرك لو أنك وجدته عند ذلك دميماً أو طاعناً في السن ؟
— لعلى يا صديقتى أن مثل هذا الشاعر كمثل النور الساطع ، فهل تستطيع عينك أن تحدد فيه حتى تهتدى إلى شيء من عيوبه ؟ ومع ذلك فإن لمؤلاء الشراء أرواحاً صافية لطيفة تحول بين عيوننا وبين ما يحصيه عليهم من العيوب . أما أنه لا يكون كفتى في السن فهذا ما لا أحفل به ،

مع المجلات ، فلما رفعت الغلاف عنه وجدته صورتها التي كانت عند ذلك الشاب يزدها إليها ، وقد قطع كل أمل منها ، وكاد الأسى يقضى عليه بسببها . ولكنها رأته بظهرها هذين البيتين :

باطمة الشمس هل تدرين كيف قضى

على هناء حياتي ردك القاسي
حسبي على أي حال ما قضيت به

فالشمس تشرق من بعد على الناس

الشاعر المجهول

وما كادت تقع عينها على توقيعه حتى انهزم سيل الدمع من عينيها وارتجت عند صدر صديقتها وهي تردد في صوت مختنق خافت : إنه هو . إنه هو . ثم اندفعت إلى داره وكان على آخر رمق .

ولم تمض أيام على ذلك حتى فكر الجاران في إبرام الزواج وأخذوا يتكلمان في معداته وفي المهر الذي يقدم له . ولكنها اقتربت من حبيبها وقالت له في دلال : إن لي عندك — أيها الشاعر الذي عذبني وكان بعيداً عني وهو قريب مني — مهراً من نوع آخر . ففهم غرضها وأخرج من جيبه ورقة مطوية ناولها إليها ضمنها هذا الشعر :

أطلت فقالوا إنها البدر مسفر

وهلت فقالوا ها هو النصف ينظر

ولا البدر يحكي وجهها في صفائه

ولا النصف يحكي قدما فهي تسخر

تبارك باربها فكلم هو مبدع

يصوغ من الحسن الطبا ويصور

(هـ)

الحشة الزرية أدرك أن هذا المحيط الباقي قد انقطع وأن الاستمرار في التعلق بها بعد ذلك إنما هو ضرب من الجنون . ولكن أنى لقلبه أن يقطع بذلك وقد أصبح ملكاً لها ؟ وكان جلوسه في الحديقة في ذلك الفصل القارس مما ساعد على تنفّل الداء فيه ، فاختفى عن الحديقة من ذلك اليوم ولزم فراشه ، وقد أخذ الأطباء يعودونه إلا طبيباً واحداً هو الذي كان أقدرهم على شفائه : « ودأوني بالتي كانت هي الداء »

أما سنبلة فما كانت من يوم ذلك الحادث تأبه له أو تفكر فيه لأن كل خواطرها كانت منصرفة إلى شاعرها ، ولكنه انقطع عن نشر مقولعائه من ذلك اليوم مما حيرها وأطار لها ، وهي تظن الظنون وتحسبه مريضاً أو على سفر ، أو أنه غفر بتلك التي كانت رسول إلهامه ووجهه ...

وكانت صديقتها ، بالرغم مما صدمتها به على ما سبق ، يزورها من وقت لآخر ، ولكنها تحاشت أن تشترك معها في حديث يتفانى بآب الجار أو بذلك الشاعر ، إلا أنها كانت حيرة لما كانت تراه على وجه سنبلة من دلائل الحزن والدبول ، وهي تقول في نفسها : لعلها تأثرت بمرض ذلك الشاب ، وأنها الآن نادمة على ما فرط نحوه منها

وبيناها كذلك دق الجرس ، فأسرعت سنبلة إلى تلف أعداد المجلات الجديدة من خادماتها ووضعها على المكتب ، ثم أخذت تتصفحها عدداً وعدداً ولكنها لم تجد فيها شيئاً جديداً ، فتغير لونها وكاد ينهمر الدمع الذي كتمته في ما قبلها .

على أنها لمحت فوق المكتب شيئاً ملفوفاً كان

وجست يدي قد راعها ما أصابني
فصاحت بخاذل أنت بالله تشعُر
ومن عجب دأى بها وهي أصله
وتسألني عن علتي وهي أخبر
فما خلعت من عودي الدار أجھشت
ومدمعها بالؤلؤ الرطب يحدر
تقول رعاك الله ما أنت واجد
من النار في جنبي منه وأكثر
ولكن تجاهلت الذي كان بينهم
لكي يجهلوا ما بيننا فهو أستر
ومالت على صدي وهمت إلى في
وكم قبلة فيها الدواء للبشر
عمود خيمت

ومن عجب إعراضها وهي خلسة
تحدق من طرف خفي وتنظر
فشككتني فيها وفيه سيوفه
وإن نثار الطلي أدنى وأيسر
فنبهت عيني أن تغض لتتق
مضاربه والحظ كالسيف أيتر
وحذرت قلبي أن يميل مع الهوى
وما بعده إلا الأسمى والتحسر
فما سمع مني فقلبي معذب
بهجراتها والعين بالدمع تهمر
وبينهما نفس تنأج شقية
لقد صبح ما قد كنت أخشى وأحذر
وكم قائل ما بعد شكواك والبكا
وما بعد جفن في دجى الليل يسمر
أما أن أن تنسى فتسلو كما سلت

وتصبر لكن كيف أسلو وأصبر
ولم تستبين أمري إذا كنت عنده
بريتاً فتغضى أو مُسيئاً فتغفر
ألم يكفها سهمدي وسقي وأدمي
وفي بعض هذا إن تشأ ما يكفر
وفي ليلة طالت على وعودي
تملككم مما أعانى التأثر
تذكرتها والجو صاف وريحه
كأنفاسها والليل نشوان مُقمر
إذا بي أراها بيننا فكأنما
تمثل لي في الحلم ما كنت أذكر
وكانت وقد ألفت على القوم نظرة
تناها الحسباً تمنى الهوىنا وتمنر

تاريخ الأدب العربي

للوستاذ أحمد حسن الزيات

الطبعة السادسة

في حوالى ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط
يمرض تاريخ الأدب العربي منذ نشأته إلى اليوم
في صورة قوية تحليلية رائعة
تمنه عشرون قرشاً ويطلب من إدارة الرسالة
ومن لجنة التأليف ومن سائر المساهمين

غسل امرئ

للكاتب الروسي نطون تشيكوف
بقلم الأديب السيد جورج سليست

شاباً ليس من جمال
الخلق وحسن الخلق
في كثير ولا قليل
كينجانور، لأنه أبداً
بأسر الوجه كالح
الأساور، ذو عينين
صفيرتين وقسمات
لا وسامة فيها ولا
انسجام، ولأنه سكير
قلما يصحو من نشوة
الصهء أو ينجو من

سورة الحمر، ولأنه فظ الطبع غليظه كثير ما ينال
على حبيته بالضرب كلما أغضضته في قول أو أحققته
في عمل، ويكيل لها الشتائم لكل بادرة منها لا تروقه
ويقذفها بالسباب ما شاء له خلقه السيء وطبعه
الوحش فتتفر منه وتبكي، ولكن ما هي إلا ساعة
أو بمض ساعة حتى تعود إليه ناسية ما لقيته من
عنته وفظاظته، وتفرجه بمحبها وحنانها كأنه لم
يجترح في حقها إثمًا ولم يلمص بها إهانة، وترقه
قبالتها الجري كأنه لم ينهي إليها قط ولم يؤذها،
وكأنما لم يبدر منه إلا كل ما يحبه إليها ويغريها به
وتسأل «اليوكين» عن كنه هذا الحب غير
المألوف، وعن مدى اللذة النفسانية في هذا الهوى
الغريب، وقال إنه لا يلوها لأنها لا تحب رجلاً
أقرب إلى مزاجها وطباعها وأدنى إلى تفهم نفسياتها
وعقليتها من ذلك السكير الغر، فإن لها كما للناس
ذوقاً في الحب ليس من النطق ولا الحكمة في شيء
أن تؤاخذ عليه وتلام من أجله، وللناس فيها يشقون
مناهب، كما يقولون، ولكنه يحاول أن يدرك مقدار
السعادة الشخصية في مثل هذا الهوى الغريب الغد،

حفلت المائدة بالطلي المتع من الأحاديث، كما
حفلت باللذة الشهي من أصناف الطعام، وأندر
المدعوون إنداراً لذيذاً عذبا، فلقد شاقهم جميعاً
أن يفتنوا في أحاديثهم ففعلوا ما شاء لهم ظرفهم
وأدهمهم كأنما كان واحدهم يسر ليذة في طلاوة
القول وحلاوة النكتة، فأثوا بالبديع المستطرف
من المألح، وجاءوا بالسائق المستحب من النوادر؛
فرسنت الضحكات بريشة ناعمة تنبيء سامعها
بما شمل مرسلها من سرور، واستحوذ عليهم من
سرح، وظلوا كذلك ردها من الزمن غير يسير
يتطارحون روائع الطرفة حتى أطل عليهم
«نيجانور» لسان من شئون الخدمة، فإذا
«باليوكين» يفيض الحديث لدى مرآء ويبدل مجرى
القول، ويتخذ من هذا النادل موضوعاً لما يضطرم
في نفسه من ميول وأهواء، وإذا به يقص على
مدموعه أن لنيجانور هذا قصة غرام رائمة، وإن
الفاتنة «بلاجيا» كانت ولم تزل صبية به مفرمة،
وكان ولم يزل هاتماً بها كليفاً؛ وأبدى تعجبه كيف
تتمشق فتاة على حسن موثق وقدر رشيق كبلاجيا

بين ذراعى تسألنى عن الهدية التى سأقدمها إليها فى آخر الأسبوع .

إننا مشعر الروسيين والحق يقال لا نفتأ نتساءل كلاً أحينا : أرفع حبنا أم ونضع ؛ روحاني أم شهواني ؟ وإلى أين يؤدى بنا هذا الحب يا ترى ؟ وهل يليق بنا أن نمن فيه أم نقف عند حدنا خوف التورط فيما لا يحمده عقباه ؟

وأنا أقول من غير موارد ولا مداحة : إننى لن أسأل نفسى هذه الأسئلة الباردة بعد اليوم . قد أكون مخطئاً فى نظرتى هذه إلا أننى لا ولن أستبدل بها سواها ؛ وقد يكون الخير كل الخير فى التروى قبل أن يطوح المرء بنفسه فى حب ، إلا أننى أعلم العلم اليقين أن هذا التروى يفقده لذة الروح ومثمة النفس ويرمض القلب ويشقيه

إنى أعرف هذه الأمور حق المعرفة وأدركها حق الإدراك لأنى بلوئها بنفسي وخيرتها ولمت عيناه وتأتق عياه كأنها غمرته سورة علوية من البشر والسرور ، وظهر للرائين بأجل وضع وأفن صورة ، وشاعت على فمهم الجميل بسجة وادعة جميلة

وتراى كأنه يريد أن يتكلم عن ذكرى ، عن أمر مضى وله فى نفسه أثر وبقياء ، كأنه يؤد أن يقص قصة من أفاضل الشباب الناشئ ، قصة هوى مكبوت . والأعزبون الذين يسكنون وحدهم عندهم دائماً فى قرارة نفوسهم أشياء هم أبداً على اعتماد للتحدث عنها من تلقاء ذواتهم ، والفاهى فى المدن ملتقى الأعزبين يؤمنونها لترجمة الوقت بأحاديثهم ، وأنى تبصر أعزبين مما قتل إهنها يتسارون عن هوى ويتحدثان عن حبه

ويود لو يستطيع أن يوفق إلى حل ما فى الحب من طلاس ، وإلى سبب غوره وكشف النقاب عن معميانه لا سيما والحب لم تذكر عنه حتى الآن إلا حقيقة مفردة لا جدل فيها ولا خلاف عليها وهي أنه « عظيم » وكل ما عدا ذلك مما كتب عنه ، أو قيل فيه قابل للجدل وللأخذ والرد وللمناقشات الطويلة المرهقة ، وليس إلا مقدمات للفر لا يزال مفلجاً ولسر لم يبرح غامضاً ، وإن البيان الذى يظهر مطابقاً للحالة لا يتفق وعشراً سواها ، وإنه من الخير أن تبحث كل حالة من حالات الحب على حدة ، مستقلة تمام الاستقلال عن أخواتها ، فالتخصيص وحده — كما يقول الأطباء — يؤخذ به ويؤثر له ، لا التعميم — بالصواب نطقت قال الأستاذ بوركين :

— أجل ! هذا هو الحق الصراح يا صديقي ، فتحن الروسيين جد مولعين بالألناز والأحاجى ، أو بالأحرى يستهونوا التامض المهم فنحوم حوله فقط ؛ أما أن تكتشف جوهره وتبلغ لبابه فأمر لنا من طلابه وليس لنا به غاية ولا مأرب ، وكتابتنا رعام الله وحرسمهم يميلون الحب ما شاء لهم ذوقهم الشعري الأنيق ويحيطونه بهالة من الروعة والجلال ويوشونه كالربيع بالورد المفقوف والأرج المطار والبلبل النريد

إننا لانفهم الحب كما يجب أن نفهمه ، أو لانحاول أن ندركه كما نتحم علينا أن نفعل ، ورجلنا يحسبون أن الحب هو الزواج ، فإذا أحببت غادة فملك أن تطلب يدها لتبني بها ، ونساؤنا يقدرن الحب بمقدار الهدايا ، فلي قدر هداياك ، يكون حبك وهواك وإنى لا أزال أذكر يوم كنت طالباً فى موسكو . إننى أحببت أو حبل إلى أنى أحببت سيدة فانتة لطيفة دقيقة الحس رقيقة الشعور كانت كلما احتبستها

وأن آثار على مطالمة أمهات الصحف والمجلات
ظناً مني أنني أستطيع أن أجمع بين عناء العمل وبين
لذة الثقافة فإذا برأني يخب، وإذا بي بعد بضعة
أسابيع أتخلى عن سكني في الطابق العلوي الأنيق
الترتيب والرياش وأهبط إلى الطابق الأسفل أنام
وأقوم فيه لا عن تبتذل ولكن عن وني . ولم ألبث
أن تمودت أن أرقد كالفلاحين حيث يتفق لي أن
أفعل ، في الصبغة أو على الهشم أو في كوخ
حارس الغابات لشدة ما كان ينتابني من تعب
يرهق القوى ويضني الجسم

وقيت كذلك أنصب على العمل انصباباً من
غير تراخ ولا توان حتى قبض الله لي ما يرثه عنى
بعض الترفيه إذ عينت قاضياً شرفياً لمحكمة الولاية
الصلحية ، وأصبح لي ما ينزعني من إدارة أعمال
الزراعية ولو إلى حين ، ويات من الحمم على أن
أذهب كلما دعت الحاجة إلى المحكمة في المدينة
فأسام في أعمال القضاء . وهكذا عدت إلى شيء من
سابق المهدي السرى وحياة الترف والنماء ، وأصبح
لي كثير من الماروف والأحباب من سراء البلد
ووجهاته يستقبلوني لدى مجئى إلى المدينة بكل
باشاشة وترحاب

إلا أن أحب الملاقات الودية إلى نفسي
والطفها عندي كانت تلك التي توثق عراها بيني
وبين نائب رئيس المحكمة السيد « لوجا نوقش » ؛
وما إخال أن يبتكم من بجهله ، فهو رجل رصين
جذاب ، كريم النفس ، طيب القلب إلى حد بعيد
وإني لأذكر حين دعاني للمرة الأولى لتناول
الطعام على مائدته بعد جلسة طويلة مستأ يمدها
الجهد والوصب قبلت الدعوة شاكراً وذهب

كانت السماء تتراعى من خلال زجاج النوافذ
مرهبة الأديم ، والأشجار مخضلة الأفنان من
رذاذ المطر الذي وكف منذ حين ، والسحاب
الأدكن تحدهو الريح كما يحدهو الراعى سائته ، وكان
الطقس بارداً قرأ في حين كانت قاعة المائدة دافئة
والراحة المضمونة فيها تغري بالبقاء ، إما للتحدث
أو للاصغاء

وتنضح اليوكين ، ورطب شفتيه بطرف
لسانه وانطلق في حديثه يقول :

« لا أزال أيتها الأعزاء منذ أمد بعيد أسكن
في هذه الأرباض وأدير بنفسى أعمال استثمار
أراضينا فيها ، فقد عزت على كثير ألدن تخرجت
من الجامعة أن أجد جل أراضينا مرهونة وأن
أرى أبي غارقاً في ديونه لكثرة ما تكبد من
مصاريف في سبيل تثقيف في خير جامعات موسكو ،
فولت على ألا أهجر الأرض حتى أفي ما عليه
من ديون

ولما كنت أعلم أن ريع الأرض ضئيل وأني
لن أوفق إلى مبتغاي ما لم أبذل كل ما في وسعي من
قدرة ، رحت أستغل الأرقاء والمبيد في هذا السبيل
الشاق ، والزراعة كالما يخفى عنكم تستلزم بذل الجهود
وتستدعي إفراغ القوى ، فلم أجد في القرية ولا في
القرى المجاورة رجالاً ساجداً^(١) إلا استدعيته للعمل
عندي ، أو امرأة فارغة إلا أتيت بها فغروا وزرعوا
حتى البور والسباخ . وكان العمل مستمراً ما تنقطع
فورته ولا تهدأ حدته من مطلع الشمس حتى مغربها
وحاولت في مستهل الأمر ألا أهجر الكتب

(١) رجل ساج : فارغ ليعمل عنده والسباخ من
الأرض ما لم يحرق

بإدانة أولئك المهمين إدانة لاتتفق والمدالة في شيء، فكانت تصغي إلى حديثي بإعجاب وتهز رأسها الصغير الجليل وتسأل زوجها متبجعة دهشة :

— وكيف جرى ذلك إذن يا « ديمتري » ؟
وديمتري لوجانوفتش كان رجلاً زميتاً رزيناً يعتقد كل الاعتقاد أن البت في القضايا لا يكون على المائدة ولا في حديث خاص ، وأن ذلاقة اللسان يجب ألا تبرى مذبناً وتجزم بريئاً ، وأن الحكم يجب أن يكون صارماً مهما كان نوع الدنب ليكون المحكوم عليه عبرة لسواه ، وليرهب الناس القانون ويحترموا الشرائع وقال لي ردأ على سؤال قريبته بلهجة ملؤها الرزاة والجد : « لسا يا صديقي من أصحاب الفن ولا من مثيرى التلاقل غسبك أننا لن نمتقل ولن يحكم علينا »

ولما رأتني على أهبة الإجابة رفع يماه بكل هدوء وقال : « أرجو منك يا غريزي أن تترك هذه الأحاديث لقصة أخرى أكثر ملاءمة من هذه ؛ وإنى سأنتفى وإياك على رأى واحد فيما بعد . أما الآن فكل واشرب ، فالأكل والشراب على قدر المحبة كما يقول العامة وهم في قولهم جد مصيين ، أليس كذلك يا « أنا » ؟

فأضحت « أنا » رأسها وقالت : « بلى يا غريزي » وإنى الآن أستطيع أن أقول لكم أيها الأعزاء إن هذين الزوجين كانا سعيدين هاتئين على أتم ألفة وأشمل وفاق ؛ وإنهما كانا متفاهمين كل التفاهم لا يتحاجان في أمر ولا يمترض أحدهما على رأى الآخر ، وإن فعل فيكثر من اللطف والحنان والأدب وكانت الاشارة أو النمرة من أحدهما كافية لإفهام الآخر مراده .

أنا وهو إلى منزله وتعرفت هناك بالسيدة قريبته « أنا اليكسيفنا » ، وهى عادة في مستهل الشرب من عمرها ما إن رأيتها حتى شمرت بإجاذب خفى يدينني منها ويحبسها إلى

أنا لا أستطيع اليوم أيها الأعزاء ، وقد مضى دهر من الزمن طويل على هذه الحادثة ، أن أقول لكم على التدقيق ماذا وجدت في السيدة « أنا » حتى أعجبت بها الإعجاب كله وحتى نالت من نفسى من النظرة الأولى السكاة العظمى وتبوأت من قلبي المنزل الأسمى ، ولكن كل شيء كان لي واضحاً جلياً حين كنا على المائدة مما وحين كنت أتناول الغذاء وأرمقها بين الفينة والفينة من طرف خفى بنظرات ما أدرى والله كيف أنعمها ، وكل ما أستطيع الآن أن أحدهد لكم منها هو أنى رأيها فتية تجمع إلى الحسن الساحر سرعة الخاطر ، وإلى خفة الروح وحز الفؤاد حياء المحصنات وتحقر المذارى . وشمرت فوراً أنها شخص أنيس قريب إلى قلبي ، كأتى أعرفها منذ نمومة أطفارها أيام كانت طفلة مرحلة تملأ الفضاء ضحكاتها وأناشيدها ، أو كأن رسمها الكريم مطبوع في ذهني منذ زمن بعيد ، أو كأن هذا الحيا الطلق وهاتين العينين الساجيتين وهذا الجسم البديع مما ألقه نظري وأحبه قلبي قبل ذلك اليوم

وقد كنت وأنا جالس إلى المائدة ما أزال تأثر النفس هائج الأعصاب لنفمتى على الحكم الجائر الذى أصدره رئيس المحكمة على أربعة من اليهود اتهموا بتأليف عصاة تقطع الطرق وتعيث فساداً ، ورحت من تأثرى وانفعالى أسرد تفاصيل المحاكمة على السيدة « أنا » وأبين لما أخطأ القاذح الذى وقع فيه القاضى

وقالت لي لما انتهت الرواية وقنا معاً نتخبط في
على مهل :

— أ كنت مريضاً ؟

فأجبته أن وعدك ألت بي فبرحت بجسمي وأني
برئت منها أو كدت فقلت :

— أراك سقيماً شاحب اللون ذابلاً في حين
أنك كنت في الربيع مرحاً طروباً ، وكنت حين
شرفتنا بتناول النداء على مائدتنا ممتلاً فنته وسحراً ،
وكنت بأحاديثك ملهما تفنن في القول وتتصرف به
على هواك ببيان عذب كان له الوقع الجليل في نفسي .
وأعترف لك الآن أنك استمكنتني اليك بروعة
أحاديثك وشمرت بميل نحوك . وعطف ودي ما
حنت ضلوعي على مثله لمخلوق سواك ، ولا أدري
لماذا تذكرتك كثيراً في الصيف المنصرم ؟ ولا
لماذا كان طيفك يمثل أغلب الأحيان أمام عيني ؟
واليوم وأنا قادمة إلى المسرح كانت نفسي تحدثنى
بلقائك ؟ وهأنذا الآن ألقاك ، ولكن على غير
ما كنت أود ، كدأ مخزوباً . فقلت : « أ كنت تتعطين
لقائي إذن ... يا أنا ... ؟ »

وكانت تلك هي المرة الأولى التي لفظت فيها
اسمها الكريم من غير لقب ، فرفعت إلى عينيها
الساجتين بحلال ، ولما التقى النظران أطرقت
حياء ، وصرخ الخضر خديها الناضرين الناعمين
بجمرة الورد

ولم نلت أن افترقنا على أمل اللقاء القريب .
أجل . لقد افترقنا ، ولكن فيمن كنت أفترق وأنا
أسير إلى المنزل لأقضي ليلتي فيه ؟ وخیال من كان
ملازى آتاء ليلتي تلك ؟ وطيف أية حورية كان ذلك
الذي راود أجفاني حتي الصباح ؟ وعند من أودعت
روحى وقلبي ومشاعري جميعاً ؟ الجواب واحد

وبعد النداء عزفنا معاً على البيان فكان توقيعهما
عليه لطيفاً مشجعاً ، وأنشدت هي أغنية رقيقة عذبة
حركت بها مكامن الأحساسات من نفسي ، ولم
يلت أن أعطش الليل فقممت مودعاً شاكرآ لها
لطفهما وحسن ضياقهما ، وعدت إلى منزلي . وكان
ذلك في أول فصل الربيع المراح

ومضت الأشهر تبعاً ، ولم تدع لي مشاغل
الكثيرة فرصة واحدة لأهبط المدينة ، ولكن
ذكرى المرأة الفتية الشقراء الوسيمة الوجه الفاتنة
القصبات لم تبرخ خاطري قط ، وطيفها الحبيب لم
يحل عن ناظري

وفي أخريات الحريف مثلت في المدينة إحدى
المسرحيات الرائعة لشروع خبري ، وكان أن دخلت
مقصورة الحاكم ، ولشد ما خفق قلبي لدن
رأيت « أنا اليكسيفنا » ، وشمرت من جديد
بضغط قوى على صدرى لا سبيل إلى دفعه كان
مأناه إحساسى بأثر الجمال البليغ في نفسي الساهمة
المروزة ، فحيث ، وجلست قرب « أنا » مأخوذاً
بسحر عينيها الحاليتين ، وقلبي وجيب دونه وجيب
الثؤال المروغ

أجل ! لقد جلست قربها أنظر إلى المسرح
والممثلين فلا أرى هذا ولا هؤلاء إلا أطباقاً وأشباحاً ،
قد كان فكري شريداً بمنأى عن التمثيل وهواته
محصوراً كله في هذه التي رحت أعالها النظر من
حين إلى حين ، والتي كنت كلما احتك كنتي بكتفها
عزساً أشعر بغمرة اللذات وقبض الهناءات ، كأن
مفاتيح العالم ومباهج الحياة استطاحت جميعاً إمرأة
فاتنة شقراء هي هذه التي أسعد بالجلوس حياها
أعلى من روعة حسننها الضحيان

عازف مفن^(١)؛ صوتاً ناعماً انترغنى من غمرة
الجواهر ولجة الآراء ، وانتشلى من وخز الضمير
وتبكيته ، وألقاني أمامها هي ليهرنى جمالها الرفيع ،
وتنويني أنوثتها الفذة ، وتسكرنى نبرات صوتها
المرنان فى العبارات الترحيبية النعمة التى انفرجت
عنها شفتاها الرقيقتان الغريتان وهى تتقدم بحوى
بخطى موقمة توقيماً

ولم تلبث أن تقنا إلى المائدة ، وبعد تناول الغداء
عزف ديمتري على البيان قطعة موسيقية أو قطعتين ،
ثم أنشدت هى أنشودة غرام حملتى بها بمدوية الغناء
ورخامته ورقة المعنى وروعته إلى ملا غير هذا الملأ
تحف به الهناعات والتع ، وتلاعبت بمواطني ناشاء
لها الفن الرفيع والصوت البديع ، ودارت بيننا
بعد ذلك أحداث شتى تناولنا فيها مختلف الشؤون
الثقافية كالموسيقى والأدب والفلسفة والدين والعلوم ،
وشربنا خلال الحديث الشاي جراراً ، ولم نقف من
غيرته إلا على صوت الطفلة وهى تنشج باكياً موقلة
والحاضنة تناغيها وتداعبها لعلها تسكت ، فهضت
« آنا » وقت على إثرها مودعاً ، وكان الليل قد
أوشك أن ينتصف

وأمسيت بعد ذلك كثير التردد على آل
« لوجانوفتش » لا أهبط البلد إلا وأقضى جل أوقاتي
عندهم ؛ وبات يشوقهم مرأى كما يشوقني مرأىهم ؛
وأصبحت أغشى منزلهم ساعة أشاء كأتى فرد من
أفراد الأسرة دون أن يستأذن لى عليهم بالدخول ؛
ولم تلبث حياتي أن أصبحت حينئذ دائماً وشوقاً
مستمرّاً ، وبت لا أستسيغ العيش ولا أستطيع
الحياة إلا فى بيتهم ، أو إن شئتم فقولوا إلا حيالها

على هذه الأسئلة كلها أنها الأعزاء ، هو : « آنا »
نعم إنها الرافق ، إنها « آنا » لا سواها ، فأنا هى التى
أذكرت فى روعى جذوة مضطربة لا ينطق سعيها ؛
وهى التى أرهفت بحسنها الرفيع وصوتها الساحر
إحساسى وشعورى ، وهى وحدها التى حركت فى
قلبي الخلى عواطف الحب

وما انتصف النهار حتى كانت قدماى تقودانى
إلى منزلها كأن قوة خفية تدفع بى إليه ، وما أعلنت
الخادم نبأ قدومى حتى هرع لوجانوفتش إلى يستقبلنى
بما فطر عليه من لطف وإيناس ، وهش بوجهى
وبش ، وقال لى إن زوجته حدثته عن مرأى ليلة
البارحة ، وإنه كان يملل نفسه بقدومى إليه ، وإنه
كان سيمتد على كثير لو حرمته زيارتى ، فتحرك
لسانى بشكره ، وأما ذهني فقد ملج واضطرب ،
وراحت الأفكار تتقاذفنى ببقاراتها وتصطرح فى
رأسى قوية عنيفة ؛ أأكون سافل الأخلاق منحلها
فألتخذ صداقة زميلى ووده وسيلة لحب غير مشروع ؟
أيطهر لى هذا الأدب الجم ، وهذا اللطف المتناهى ،
وهذا الإخاء الخالص ، فأصبو إلى امرأته وأحوّل
قلبها عنه ولها منه طفلة رضية هى أحوج ما تكون
إلى عطف أمها وحنانها ؟ أو ليس حبى لهذه الزوجة
الأم إغواء وإثماً ؟ أأنذف وراء عاطفتى الجماعية اندفاعاً
فيه كثير من التهور والجنون والضلال وأنا الذى
تؤثر عنه الرزاة والتشغل وبعد النظر ؟ وبكلمة
موجزة : أأخون صديقى فى شريكه حياته والدة
ابنته ؟

أجل . كانت هذه الأفكار وأمثالها تصطرح
فى خاطرى اصطراعاً عند ما سمعت صوتاً حنوناً
حسبته لقرته وعذوبته منبهاً عن أوتار تنقرها ريشة

(١) اللفظة الصحيحة لكلمة فان الشائعة على أفلام الكتاب

وترمقني بعينها، وتحدثنان شتى الأمور، وطرقنا تختلف الموضوعات إلا موضوع حبنا فلم ينطق لنا به لسان ولم نلم به لا تصريحاً ولا تلميحاً، ولقد كنا سعيدين السادة كلها هاتين فوق مدى الظن . ولما أبل زوجها سرّ كثيراً بما رأى، ورحنا معاً نرعى الوقت بالحديث ونسرّي عنا بالزحف على البيان حيناً وبالإلحاح حيناً آخر

أنالم أعرف بعد في حياتي بإسادة رجلاً أظهر قلباً وأصق نية وأوفى ولاء من «ديمتري لوجانوفتش» فقد كان لا يشك في امرأته قط كأنه كان وثاقاً من طهارة نفسها وعفتها ولا يرتاب في على كثرة ما كان يأتي فيراتي في منزله ، وكان هو وقرينته يفكران في أمري أكثر من تفكيري فيه وينكران على هذه الحياة القلقة المضطربة التي أحياهما من غير شكوى ولا تهرم ، في قرية لا تمتع فيها ولا راحة لمن كان في مثل ثقافتني ؟ وكان يمز عليهما أن أبذل شبابي كادحاً جاهداً في العمل المرهق ولا يتبقى لدي من إيراد المواسم إلا النزر اليسير من المال أنفقه على شؤوني الخاصة بكثير من التقدير خشية نفاذه قبل الألوان

وكان يترامى لها أني أنالم وأنى ما كنت أنكم أو أحسو الشراب إلا لأموه على نفسي وأنفس عنها بعض ما بها من شجن وغم . ولقد كنت أشمر بنظرهما الفاحصة حتى في ساعات سروري وانشرأحي كأنهما كانا يودان أن يستطلما بها مكنونات قلبي ويستكشفا ضمني . وكان يؤلها حقاً أن يراني سادراً في التفكير البائس ، وكثيراً ما كانا يمرضان على اللال عند ما كانا يديران أن على قسطاً مستحقاً من الدين ، ويلحان على بوجود

هي ؛ وكثيراً ما كنت أدخل دارهم فلا أرى فيها إلا الحاضنة والخادم فاستلقي على الأريكة في الثوب أطلع في صحيفة أو أقرأ في كتاب ، فإن مللت من القراءة حنوت على الطفلة أهددها تارة وأناغيها طوراً ، حتى إذا حان ميعاد عودة « أنا » من السوق هرعت إلى الباب أنتظرها على عتبة ، فإ إن تقبل مثقلة الدراعين بما تكون قد ابتاعته من أدوات ولوازم ولعب ، حتى أقدم إليها أروح عنها بحمل أشياء جميعاً كأني غلام يدأب على خدمة سيده بكل تيه وغفر

وبات الزوجان يقلقان على إذا أطلت عنهما غيابي كأنما انصلت أسباب حياتي بأسباب حياتهما ، وبت أنا لا أستروح نسيم السعادة إلا بفشيانى منزله وترددى عليهما ، ولم يكن من شيء يحول دون رغبتي في ذلك إلا وعكة تلمني أو مرض يمرضني . ولقد وفدت مرة بعد غياب طال أمده فدخلت الدار وجلست على إحدى أرائك الثوبى ساهماً محزوناً ، فها هي إلا بضغ دقائق حتى أقبلت « أنا » في مبادلها وصاحت لدي رأني بلهفة الجزعة اللتاغة :
— أهذا أنت ؟! لماذا حبست عنا قلوبك كل هذه المدة ؟ ولماذا حرمتنا من أنسك هذا الأمد الطويل ؟! أسابك مكروه ؟

لقد كانت نظراتها الوداعة المتألقة بطهر الحب ، ويدها الحاجبتان الممدودتان إلى ، ورداؤهما اللزى البسيط الأنيق وشمورها المندودن الناعم ، وصوتها ذو الجرس الحنون ، ومشيتها الوزونة الخطى ، وكل ما فيها يؤثر في تأثيراً جميعاً ويشير في حنايا ضلوعي عواطف المكبوتة الكظيمة وجلست حياهما أرمقها بنظرات ملؤها الحب

فكنت أضن بهذا الحب العذرى الرقيق ، هذا الحب
النفسانى العالى أن يسف وأن ينحط من رفسته
إلى حضيض المهانة والابتذال . وكنت أربأ بنفسى
أن تهوى إلى الدرك الوضيع الشائن ، وأزهد عن
ارتكاب الإثم الموبق ، فحاولت على كثرة ترددى
على منزلها واجتماعى الطويلة بها أن أقبلها ،
أو أرتشف رحيق الهوى العذرى من شفتيها ، لأنى
كنت أعد حتى تقبيلها مساً بولائى لزوجها وحطاً
من قيمة الصداقة البريئة الخالصة التى ربطت بيننا ،
وامتناناً للأخاء الذى وحد بين قلبى وقلبه
وليس معنى هذا يا أعزائى أنى صنو الملائكة
الأطهار وأن صدى لا تختلج فيه عاطفة نائرة ولا
تخفق فى حناياه نزوة جامحة ، لا فقد كانت تجيش
بصدري نوازع شتى ولكنى كنت أكتبها وأخذ
حديثها . وكان يجول فى خاطري بعض الأحيان أن
هذه الخلقة النقية التى أنبتها فى حب هذه الخلقة
الساحرة لم تكن مثلى ، وأنها ليست إلا من صنع
الخيال الخاطى ، وأن رعى المهود وحفظ الوعود
واحترام الصداقة وتقديس الأخوة ليس إلا أوهاماً
فى أوهام ، وأن الشرف والمغاف والزهة والتجرد
والشهادة والإباء ليست إلا أسماء لغير مسميات
لا وجود لها إلا فى بطون الكتب وعقول المترمين
المخبولين ، واسطلاحات لا معنى لها إلا فى عقول
هؤلاء وأمثالهم من المافوقين أولى النظريات التى
يستحيل تطبيقها على البشر بوجه من الوجوه ؛
ولكنى كنت لا أثبت أن أزرع نفسى عن مثل
هذه الفكر وأقول إنها خاطئة أوحاها إلى الشيطان
وزينها لى الهوى
وهكذا يا أعزائى رحت أكلف بها من غير

تقبل مساعدتهما المادية لى إلا أنى كنت أشكر لها
عواطفهما الرقيقة بكثير من الأدب والطف ، وآبى
أن أستدين منهما بارة واحدة مع أنى كثير أما كنت
فى أمس الحاجة لى المال . وكنت أؤثر أن أستدين
من المرابين على أن أظهر أمامهما مظهر الوضيع المهان
ودارت الأيام دورتها ، وأصبحت «أنا» أمساً
لولدين كالربيع طلاقة وسنا ، ولدين مريحين غردين
كبلبلين ، انطبعت فيهما سافهما من نجابة وذكاء ،
ورونق وهباء ، ولدين كانا نغر أبيهما ، وعنوان
بهجته ونبع مسرته ، إلا أنهما لم يكونا كذلك
لأمرهما التى كانت ترى فيهما ذبولاً لآمالهما وتصويحاً
لأمانها

لقد كانت تمطف عليهما وتجهما ، ولكن عطفاً
مشوباً بالكدر وحياً مزوجاً بالكآبة والحزن ،
لأنها كانت تشعر فى أعماقها أن كل عام يزيد فى
نومها وحيويتها ينقص من قوتها وحيويتها هى ،
ولأنهما كلما تقدم بهما العمر نحوقة الصبا والشباب
انحدرت بها إلى هاوية الكبر والمهرم ، وأصبحت
غير قيمة بالتقدير ولا جديرة بالإعجاب والحب

لقد كان هذا الخاطر يعضها ويرمضا ، ولم
أكن بحاجة لتصرح لى به ، فخراتها وتصرفاتها
ومسحة الشجن التى علت قسبتها كانت كلها ناطقة
به ؛ ولكنها كانت على خطأ واضح وضلال مبين ،
فشحونها السام جاءها فتنة على فتنة وسحراً على
سحر ، وكونها أمساً لم يحل دون إعجاب بها بل على
النقيض زاد فى حبي لها وتعلقى بها

لقد أحبتها حباً عميقاً هادئاً لا نزوة عاطفية فيه
ولا جاح نفس ، وأحبتي هى كذلك حباً شريفاً
طاهراً . لقد نهزت حبي عن الفاسد والأهواء ،

استطيع أن أنأى بها ؟ ! لو أنى ترى مؤسراً سيح
في أقطار المعمور وأجوب عواصم العالم ، أو لو أنى
زعم فذ في بلادى تمبدي الجمهير ، أو لو كنت
عالم كبيراً أو مغنياً خطيراً أو كاتباً نحريراً ، إذن
ليس الأمر وهان ، أما أن انتقل بها من حياة عادية
لأخرى شبيهة بها أو أحط منها فما أرفضه وآباه
الإياء كله ، فالى أين المكال لو قدر الله لحبنا أمداً
ولسمادتنا أجلاً ؟ ! وماذا يكون مصيرها هى يا ترى
لو ألم في مرض عضال أقمدنى عن العمل وجعلنى
طريح الفراش ، أو وفانى للأجل المحتوم فت ؟ !

كنت أفكر في هذا وأنا جالس إليها ، وأحسب
أنها كانت تفكر فيه مثلي ، وأن خواطرها لم تكن
إلا هذه أو ما يقرب منها ، وإخال أنها كانت تفكر
في زوجها الذى لم يسم إليها قط ، في ولديها فلذى
كبدما ، في أمها التى كانت تبدها وتحب صهرها
كأنها الحبيب .

وأمر آخر كان يرمضا على ما أظن وبعض
منها الروح : أياكون جها مسمدى يا ترى ؟ أم إنه
يلبني بنسكبات لا أول لها ولا آخر فيزيد حياتي
تقيداً وجدي عثراً ؟ ! وكان يتراى لها عدا
ذلك أنها فقدت الكثير من نشاطها بعد أن أصبحت
أمّاً لأولدين ، وأنها لم تعد كفىء آل لتسهل مى
حياة جديدة تتطلب جهداً وافرّاً ، وكثيراً ما كانت
تقول لزوجها أماًى إن على أن أبني بفتاة ذات مزاي
كثيرة تكون لى نعم العون فى شؤونى كافة ،
ولكنها كانت تتبع فوراً عبارتها هذه بقوله له إن
من الصعوبة بمكان أن أعثر فى المدينة بأسرها على
فتاة كالتى تبتغيها وتبتمناها لى

وكان يطيب لها أن تخرج مى إلى المنزهات

أمل وأهم بها دون رجاء . فكنا نجتمع الساعات
الطوال فنمزح كثيراً ونصمت كثيراً كذلك ،
وكنتم أنظر إليها نظرات الوله ، وتنتظر إلى نظرات
الثيم ، ومحاول أحدنا أن ييوح للآخر بحجه ،
وبيته شكاة قلبه ؛ غير أنه يمود إلى نفسه فيؤثر الصمت
ويفضل السكوت . وأى حاجة بنا للقول وكل ما بنا
ينطق بالحلب ويهتف بالهوى ؟ وأى جدوى للتصريح
وكلانا يدرك حق الإدراك ما يتلجج فى نفس رفيقه
من وجد لاعج وجوى مستمر ؟

وإن الصمت فى مثل هذه المواقف لأبلغ من
النطق ، والسكوت خير من الكلام . ولقد كنا
سعيدين بالكلام عندما كنا نتكلم جداً أو ضاحكاً ،
وهائنين بالصمت عندما كنا نطلق لأخيلتنا العنان
ذاهلين محرورين تأهين فى عالم الرؤى والأحلام

كنت أفكر وأنا جالس حيالها فى ظلم التندر
وقسوة القضاء ؛ أفكر فى حبي لها وجهها لى هذا
الحب الناعم الساجي ، أفكر فى زوجها الكهل
وفتوتها اليانمة ، أفكر فى كيف أن الأقدار شاءت أن
يصادفها هو لا أنا ، وكيف ألقها فى سبيله لافى
سبيلى ؛ وكنت أحياناً أشنط فى تأملاتى ويذهب
بى خيالى كل مذهب ، فيخطر لى أن أترعها من
أحضان زوجها وولديها وأفر بها ضارباً بصداقة
زوجها وبالشرف عرض الحائط ؛ غير أنى لا ألبث
أن أعود إلى عقلى الرصين وأتوب إلى هداى فأعزف
عن هذا الرأى الفاسد الأخطل ، وأقول فى نفسى
إن هذا لو تم لجاء متنتى القسوة وغاية الظلم .
وما إخال أننى فظ إلى هذا الحد فأحطم سعادة
عائلة يجلى فيها الصنير والكبير الإجلال كله ، ويثق
بى جميع أفرادها ثقة عمياء كبرى . ثم إلى أين

لا تطيق أن ترى زوجها ولا ولديها الحبيبين ،
وغدت تردد على أمها وأختها كثيراً وتقضى عندها
ردحاً من النهار طويلاً ثم تنكث عائدة إلى منزلها
كسيرة الخاطر محزونة النفس

وتغيرت اجتماعاتها فيما تغير من عاداتها ، فأمت
ساعات اللقاء سلسلة من الصمت الطويل والتأمل
العميق ، وأضحت تظهر لي بمظهر الندب أمام الناس
كلما ضمني وإياها مجلس أو ناد . فإن تناظرت
وأحداً من الناس انحازت إليه ضدي ؛ وإن
تحدثت عن أمر ناقضته ولم توافق عليه ؛ وإن
سقط شيء من يدي عرضاً قالت لي بيرودة ساخرة :
« أهنتك » ؛ وإن صحبها إلى الملهى وحدث أن نسيبت
أن أستحضر من النظار قالت بفتور : « كنت أعلم
انك ستنساه ! »

وصمت « البوكين » لحظة نظر فيها من خلال
النافذة إلى السماء التي انقشمت عن أديمها بعض
السحب وأن أنة « خاقنة » ثم استطرده يقول :
« كل شيء في الوجود يأسدة إلى نفاذ ، ولا
شيء في حياتنا — لسوء الطالع أو لحسنه — إلا
ينتهي إما عاجلاً أو آجلاً . وقت انفصالي عن
« أنا » أو بالأحرى انفصالها عني قد دنا وحن ؛
فقد عين « لوجانوقتش » رئيساً لحكومة مجاورة
لبولونيا وكان عليه أن يبيع كل ما عنده من أثاث
ورياش وخيول وحتى منزله الريفي الجميل . وعلى
ذكر المنزل الريفي هذا أقول إننا عند ما كنا لآخر
مرة فيه وقفت « أنا » حيالى تأمل من الحديقة
التناء التي تساوره ، والحقول التنبضة أمامها
يخضرها السنسمية ونبتها المخض ؛ وكان كلانا
منقبض النفس مكبد الأساير يشيع تلك الرأى
بنظرات حزينة وبودعها لآخر مرة وداعاً لا لقاء

العامة غير آبهة لألسن الوشاة ولا مكترثة لأقوال
الغمامين ، فنستمع ممك بالنسيم السجاج والقيم
السجسج ، وتتملى من منظر الورد وعبق الزهر ؛
وبلذ لها أن أحسبها إلى الملهى لحضور إحدى
الروايات المسرحية الممتعة ، فنذهب سراً على الأقدام
ونجلس في المقصورة كنفكاً إلى كتف وجنبا إلى
جنب ، فإن بدا في المسرحية موقف غزائى رائع
التفتت إلي بعينين نصف مطبقتين ، وبخيا وادع كسته
الماطفة كل روعتها وسحرها ، وشرقات ترتقص
عليه مغربات التي ، وتمتت :

« البوكين ! » فأحنو عليها وصوتها الرخيم
يرن في مسمي ، وحسها بفور في أضلى ، وأمس
بجب : « أنا ! » وأهم بتقبلها فما إن يكاد يصل
تبرى إلى ثروها حتى أسحب رأسى وأراجع عنها
أظماً ما أكون إلى رشفة من بين ثناياها ، وأحسب
القبلة في فمها تريم ، فتدحى رأسها الصغير المحبوب ،
وتطلق من صدرها المجهود زفرة لاهية حرى ولا
تنبس . وأحسب أن تلك اللحظات القلائل هي خير
ما كنت أشعر فيه بالسعادة والنعم ، وأحس فيها
بأن « أنا » لى وحدى ، وأن أحداً لا يطيق
الميش قصياً عن رفيقه يتقل على جر البمد ونار
النوى ؛ ولكن وأسفاه ، ينتهى التمثيل ونخرج
من الندى فيذهب كل إلى طيته كغريين لاصلة
للواحد بالآخر ولا سبب يمت به إليه

ومزت الأيام بعضها في إثر بعض ،
وأصبحت « أنا » سوداوية الطبع ضيقة الخلق
تتبرم بالحياة وتشكو منها وتحزن لغير داع وتنضب
لغير سبب ، وبانت ترى في الكائنات نقصاً مشوهاً
كهرت الوجود من أجله وضاعت به ؛ لا ، بل تمدى
الأمر إلى يثتها وأمرتها فاجتوت منزلها وأمت

تمتته ولا غنية فيه ، وأن هذا الذي حال بين حبا
وبيني من إباء وشرف وكرامة لم يكن إلا هراء ولغواً ؛
وأني أخطأت خطأ قادحاً في عدم انصياعي إلى
عاطفتي وهواي ؛ وأدركت في تلك اللحظة فقط أن
على المرء عند ما يجب أن يرتفع فوق العرف والشرائع ،
وأن يسمو فوق الترهات والأباطيل ، وأن يتخطى
عن التفكير في غده ومستقبله ، وألا يبحث في أمور
السعادة والشقاء ، والرزيلة والفضيلة ، والشرف
والتهتك ، أو يضع أوقاته سدى ؛ وليندفع وراء
حبه إن شاء متعة نفسه وراحة قلبه

وقبلتها للمرة الأخيرة قبلات حارة أودعها كل
ما في فؤادي من حنين وحب وصالحها مودعاً لإياها
إلى الأبد . وكان القطار قد تحرك فجلست في العربة
المجاورة أبكي حتى بلغ بنا المحطة الأولى فنزلت وعدت
منها إلى قريتي ماشياً

وأطلت الشمس من وراء الغيوم الكسنة التي
كانت تحجبها وأرسلت أشعتها المنشة من خلال
النوافذ ققام « بوركين » و « إيفان » إلى الشرفة
يتأملان جمال الطبيعة الساحر ويحدقان في ترعة الماء
وقدملت صفحتها كالمرآة الوضيئة تحت شعاع
الشمس ، ورتبنا في نفسيهما لمصيفهما الذي حدسهما
بسذاجة وإخلاص عن حبه الشهيد ، وأشفقا على
هذا الرجل النابغ الأروع الذي يقضي أيامه في هذه
الحقول والبساتين دون أن يكثر بالعلم أو بالأدب
أو بأي شيء سواه يدخل السرور إلى قلبه الحزين
الباك ، الذي يحن إلى الماضي البعيد حينئذ يصوح
شبابه الوردية ويؤيس نفسه ، ويتلفت كثيراً بلوعة
وحرقه إلى خيال تلك المرأة الغائبة التي قضى بقربها
خير سنين صباه دون أن يتال منها حتى في آخر عهده
بها إلا قبلات ممدوبات هي كل ذخيره من هواه

بعمده . ولما التفت إليها رأيت في عجزها دمعين
تترارآن ! (١)

وساءت صحتها قبل الرحيل إلى مقر زوجها
الجديد ، فاستشار لها الأطباء فأتبوا أنها مصابة
بضنف الأعصاب والقوى جميعاً ونصحوا لها
بالاستشفاء في « الكريه » وقرروا أن تعالج في
ذلك المصح الفاتح بالهواء الرخي والماء المعدني والناخ
السري ، حتى إذا تم لها الشفاء وقبض لها البرء
لحقت بزوجها إلى مسكنه المتيد

ورافقت أنا إلى المحطة حيث اجتمع لوداعها
جم غفير من عليه القوم وسراة البلد ، وقرع الجرس
مؤذناً بتحريك القطار بعد قليل ، فودعت زوجها
وولديها والناس جميعاً ، ولما لم يبق إلا ثوان قلائل
لسيره ففزت إلى العربة لأضع رزمة لها كانت قد
نسيتهما ولأودعها الدواع الأخير وحدي . ولما التفت
نظرانا خذلتنا قوانا ، وهوى جلدنا ، فاحتضنتها
بين ذراعي لأول مرة في حياتي فألقت رأسها الصنير
على صدرى الخفاق ، ولم تنالك نفسها من البكاء
فأنهمرت من مقلتيها الدموع غزيرة حررى

وفي تلك الغمرة الساحرة حنوت أرتشف من
مقلتيها الدمع وأكفكف بشفتي العبرات الواكفة
وأثمتها في فمها وخديها . وعنتها وشمها وكنتفها
وأني وقع عليها نفري لثمات كلها هوى وجوى ،
وشعرت في تلك اللحظات بحزن عميق في نفسي
لم يسبق لي أن شعرت بمثله في ساعة من ساعات
حياتي ، وانقبضت انقباضاً لا عهد لي بمثله من قبل ،
وأدركت في تلك الدقيقة فقط إيان الأسمى المحرق
الذي اجتاحت كيانى كله أن أيامنا التي قضيناها معاً
وتصرمت منها الساعات قد ذهبت هدرآ فيا لا طائل

الرسالة

في سنتها السادسة

على الرغم من ارتفاع أثمان الورق هذا الارتفاع الفاحش ، وبالرغم من تقدم الرسالة هذا التقدم المطرد ، وبالرغم مما سننله في تحسينها من الجهد في عامها الجديد ، سيبقى اشتراكها كاهو : ستون قرشاً في الداخل ، وجنيه مصرى في الخارج ، وتقدم إلى من يدفعه في أثناء شهر يناير المقبل مجلة الرواية مجاناً

الرواية

وليست الرواية هدية ضئيلة القدر ، فإنها تصدر مجلة الطبع والوضع في سبعين صفحة ، وهي المجلة الوحيدة التي تقرأ فيها القصة العربية الفنية مكتوبة بأسلوب بليغ مشرق ، أو القصة الأوربية الرائعة مترجمة بلسان أمين صادق . وحسبك دليلاً على قوتها وقيمتها أن مجموعة سنتها المنصرمة تشمل على ٣٤ أقصوصة موضوعة ، و ١١٦ أقصوصة منقولة ، وثلاث مسرحيات ، وعلى النص الكامل لكتاب اعترافات فتى مصر لألفريد دى موسى ، وملحمة الأوديسة لهوميروس ، وكتاب يوميات نائب في الأرياف لتوفيق الحكيم . أما مجموعة السنة القادمة فستكون أروع وأجمع وألذ . واشترائها وحدها ثلاثون قرشاً في مصر ، وخمسون في الخارج .

اشتراكات الطلبة والمعلمين الإلزاميين

يشارك الطلبة والمعلمون الإلزاميون في الرسالة وحدها بأربعين قرشاً ، وفي الرواية وحدها بعشرين قرشاً ، وفيهما معاً بخمسة وخمسين قرشاً . ويجوز أن يقسط هذا المبلغ أقساطاً تبتدىء في يناير وتنتهى في شهر مايو من سنة ١٩٣٨

الاشتراك في الرسالة

بقوى عقلك ، وبجنى ثقافتك ، وبطملك على تطور الفكر العالمى الجدير

والاشتراك في الرواية

يربى ذوقك وبرهف شعورك ويمتلك بروائع الفن القصصى الحريث

ماذا تريد أن تفعل في هذا العالم ؟
إلى أين مصيرك إذا أنت خرجت من هذه
الغرفة ، وإذا بقيت فيها فما هي آمالك منها ؟
أفلا تحس وأنت تنظر إلى هذه المرأة أن في
قلبك كنز لا يزال دفيناً ؟ أفلا ترى أن ما تفقده
الآن ليس ما بدا ، بل ما كان يمكن أن يبدو فبقى
مُضمرًا ، وأن أفعج الوداع هو ما يشعر بك بأنك لم
تفصح عن كل شيء ؟

لماذا لم تتكلم منذ ساعة ؟ فقد كان لك أن
تمتلك السعادة قبل انتقال عقرب الزمان خطوة
واحدة

لماذا لم تمنن أملك إذا كنت تتأمل ؟ وإذا كنت
تحب فلماذا أضمرت حبك ؟
إنك الآن تكاشد الأموال يموت على أكوام
كنوزه . لقد أقفلت بابك على نفسك أيها الحريص
وها أنت ذا وراء المزايا المحسنة تهزها عيشاً لأنها لن
تمنح لسلطانك فهي منيعة ومن صنع يديك
أيها الضال ، إنك نسيت ربك عندما اشتيت ؛
وبلغت مشتهاك فلعبت بسمادتك كما يلعب الأطفال
بالدى وما خطر لك أن ما تقلبه يداك سريع
العطب ، وليس لك أن تظهر بمثله عندما نشاء . لقد
احتقرت ممالك وأهملت التمتع به وأنت تتلهى
بالابتسام ولا يخطر لك أن هنالك ملاكاً ضالماً
يسهر عليك ولا ينقطع عن الصلاة ليحتفظ لك
بهذا الشبح الذى لا يلوح حتى يمتحن
أواه ! لو أن في السماء ملاكاً يتولى حراستك ،
فما هو فاعل يا ترى الآن ؟

إنه لاشك جالس إلى ممرقه وقد تراخى جناحاه
وامتدت يده إلى مضارب الأتنام لينتقى بأشوده

من أعماق النفوس



اعترافى ففى العَصْرِ

لألفريد موريه

بقلم الأستاذ فليكس فارس

الجزء الخامس

الفصل السادس

وقلت فى نجوى لثانى : « لم يبق لى إلا أن
أسدي إليك نصيحة يا هذا : خير لك أن توت
انتهاز فرصة شعورك بالصلاح فى هذه الساعة
واذهب إلى الفناء كيلا تتوغل فى الشر غداً
إن أمامك الآن امرأة تحبها وهي منطرحه على
فراش احتضارها ، فلا تتردد . مد يدك إلى صدرها
واكتف منها بأنها لم تمت بعد ، وما دمت تشعر
بالاحتقار لنفسك أظن أحفانك ولا تفتحها بعد ،
ذلك خير لك من أن تشيعها إلى مرقدها الأخير
ثم يجرى غداً قفساها

بادر إلى إغماذ خنجر فى قلبك ما دام هذا
القلب لم يتحول بعد عن الله الذى أبدعه
أفيوقفك مباك عن الاندفاع إلى الموت ؟ وأى
شيء تريد . الاحتفاظ به من هذا الصبا ؟ أتأسف
لسواد شعرك ؟ إذا لم يشب هذا الشعر فى ظلة
هذا الليل على مفرك غير له ألا يملوه يياض
الشيب أبداً ...

أسوف تضطر لتبتكئ من احتمال حياتك ألا تكن
بنسيان الحب ، بل عليك أن تتعلم ججوده ونكرانه
كما عليك ألا تنسى ما كان صالحاً فيك فحسب ، بل
عليك أيضاً أن تقتل أية جرثومة قد تسنتبت الأيام
منها صالحاً ، لأنك إذا بقيت للحب متذكراً فلن
تستطيع أن تخطو على الأرض خطوة واحدة ،
وأن تضحك أو تبكي ، وأن تحسن إلى فقير . لن
تستطيع الشعور بالحنان لحظة واحدة دون أن تسمع
صرخة الدم في قلبك قائلة لك : إنك ما خلقت

صالحاً إلا لإسعاد بريحت بكل عاطفة طيبة فيك
إنك لن تقوم بأى عمل دون أن يذهب عمك
مثيراً أحد الشقاء في أعماق أحشائك فكل
ما تحتاج له روحك يذهب فيها تأسفاً على ما فات
فيتحول الأمل نفسه وهو رسول السماء في القلوب
يدعوها إلى الحياة — إلى شبح قائم ينضم إلى الماضي
ليؤاخيهِ . فإذا ما حاول بلوغ أمانة انقلب جهلك
ندماً لأن القاتل لا يذهب في الظلمة إلا وهو يرتبط
على صدره بكتلات يديه خشية أن تقع أنامله على جدار
فتم آثارها عليه

تلك هي الحياة التي قدرت عليك في آتيك
فاختر بين روحك وجسدك إذ لا بد لك من القضاء
على أحدهما
إن ذكرى الخير ستدفع بك إلى ارتكاب الشر
فما عليك إلا أن تصبح جثة باردة إذا كنت تحاذر
أن تبقى شبيحاً لقاتلك
أيها الفتى مت في صلاحك لمن أحداً يأتي
إلى قبرك فينرف السمع عليه »

واضطربت أمام السرير فأتت هداى لا أعلم من
أنا ولا أحسن بما أفعل ، وأرسلت بريحت زفرة وهي
(٧)

أبدية ، أنشودة الحب والساوان ! ولكن أعضاء هذا
الملك ترمش وقد انطوى جناحه وهوى رأسه
كالقصبة المنكسرة . لقد مر به ملاك الموت ، وما
لمس كفته حتى تبدد وتوارى في الكون الفسيح
وها أنت ذا باق وحدك على الأرض وأنت في
الثانية والعشرين من سنى حياتك بعد أن كان الحب
الشريف السامى وقوة شبابك سيوجدان منك كائنات
له شأنه في الحياة

لقد مررت بك أيام طويلة من اللال والأحزان
وساورك التردد ، وأثقلت عليك الشبية الطائشة ،
فأوصلتك هذه المحن إلى يوم كان لك أن توقع فيه
بلوغ الطمأنينة والسلام . لقد كان لك أن توقع
من حياتك التي وقفنا على كائن امتلك لبك أن
تهب عليها نسمة جديدة فإذا أنت تشهد أنهار كل
شيء يحيط بك . وقد انقلبت شهواتك الغامضة إلى
أسى صريح . لقد كان قلبك من قبل خالياً منها هو
الآن يصبح مهجوراً ...

هذا هو حالك ، وأنت لم تزل واقفاً عند حيرتك
وترددك !

ما الذى توقفه وهي قد سئمتك ولم تعد لحياتك
من قيمة عندها . إنها تهجرك فلم لا تهجر أنت
نفسك ؟ ولييك عليك من أجوا شبابك ، إنهم
ليسوا بعديدين

إن قلباً حكمه الخزى أمام من يهوى لجدير
بالصمت إلى الأبد . لقد مررت على قلب بريحت
فمليك بالمحافظة على ما أبقاء من أثر فيك ، فإذا بقيت
في الحياة فلا بد لك من درس آثارها ؛ ولا سبيل لك
للمحافظة على أنفاسك المدنسة إلا باستكمال تدنيسها ؛
ولا قبل لك بالحياة إذا أنت لم تشتتها بهذا الثمن .

الهدان ينفران إلى الحياة ، وكل لفنة ترسلها إلى
مرآتها تقنعها بوجوب البقاء ؟ وأي رجل لا يتقدم
مهنك لها بشفاؤها عند ما تجف آخر دمة على أجفانها
وتلتحم أول ابتسامة على ثنائها ؟

لن تغضى ثمانية أيام على صمتها حتى تبدأ
بالتأمل من ذكر اسمي لأنها لا تجيء على ذكرى
إلا وهي ترسل حولها نظرات من يستجد الناس
لاقتناص السالوان ، فلا يطول الزمن حتى تتمتع عن
التفكير في "وتجنب سماع اسمي . وفي صبيحة يوم من
أيام الربيع تفتح نافذتها لتنظر الانداء ترصع الأزهار
وتتنصت إلى زقزقة المصافير بين ناضرات النصوص
فتستغرق في وجوها قائلة : لقد أحبت فيا مضي .
وعندئذ من سيكون قلبها يترى يقول : وستجيب
إيفان ، فتصني إليه ؟

أين أكون أنا حينذاك ، أيها الخائنة ؟ أين
أكون حين تصحين وقد علا وجهك احمرار برعم
الورد يفتق عن أكلمه إذ يتصاعد كل ما فيك من
فتاء وبهاء ويمتد تاجاً على مفرقك ؟

ستقولين إن قلبك مفلق ، ولكنك تسرع حين
منه هالة من أنوار جديدة تستهوي كل أشعة منها
قلبة غرام . وما من امرأة تملن إرادتها بأن تحسب
كل المرأة القائلة إنها لن تحسب بعد !

وأي غرابة في هذا ؟ أفلمست أنت أيضاً بنت
حواء ؟ أفما ترفين اعتدال قوامك وروعة تحرك
وقد وصف جلالك من رآه فلا تعتقدين كما تعتقد
العداوي أن لكل النساء مالك تحت أستارك ولا
تجهلين ما للتمتع من قيمة في عواطف الرجال ؟
وهل ترضى المرأة التي غرّها التناء أن تحرم ما
يولده الإعجاب بها من غرور ؟ وهل تمدّ نفسها

تدفع عنها غطاءها كأنها ترزح عنها حلاً ثقيلًا ،
فانكشف صدرها ناهدًا بتناصع يياضه أمام عيني
واهترزت مشاعري كلها لهذا الشهد فما عرفت
أمو الحزن يستولي على ، أم الشهوة تتلاعب بدني
وخطر لي فجأة خاطر ملأني ذعرًا فاذا بي
أقول : « أواه ! أترك جميع هذا لسواي ؟ أأموت
وأزول إلى القبر فيبق هذا الصدر بعدي يتنفس
هواء البهاء ؟ أمن العدل أن تمتد يد غير يدي إلى
هذه البشرة الشفافة الناعمة ، وأن تلتصق بفمها
شفقتان غير شفتي ويجيحول في قلبها غرام غير غرامي ؟
أيقف قرب هذا السرير رجل سواي ؟

أتكون بريجت سميده حية معبودة وأكون
أنا في زاوية من القبر أثير رماذا ؟
أية مدة من الزمان تحتاجها لتنسائي إذا مت
غداً ؟ وأي مقدار من السموع ستدرف على حجر
قبري ؟

من يدري ؟ لعلها لن تدرف قطرة واحدة من
جفونها على ، ولن يقترب منها صديق بل لن
يقترب منها . أحد دون أن يقول لها إن موتى كان
خيرًا لها من بقاء فيميزها ويدعوها إلى الانقطاع
عن ذكرى ؛ وإذا هي بكت يحولها الناس عن التفكير
بي ، وإذا استمر حيًا في قلبها بعدي فإن الناس
سيمعلون على شفاؤها منه كأنه سم زفاف له تزيقه
وهي نفسها لعلها في اليوم الأول تصمم على
الالحاق بي ، ولكنها لا تلبث حتى تتحول بعد شهر
عن طريق المدفن كيلا ترى حتى من بعيد أعصاب
الصفصاف الباكي المهتدة على شاهد قبري

وهل لها أن تفعل غير ذلك وما كان الجمال
الرائع إلا ساليًا عتيًا ؟ وكيف تطلب الموت وهذان

يخرج من قبره ليذهب إلى بيت كاهن فيقرع بابه ،
وقد مضى الوقت الذي كانت تترأى فيه أشباح
الأموات للأحياء بعد أن حظرت الشرطة اختطاف
الممور على الباقين من معقل الموت فاهتف من
قبور هذه الأيام إلا من سارع الناس إلى مواراته
التراب قبل غمود أنفاسه . من أخرس الموت في
هذا الزمان إذا كان قد أسمع صوته من قبل ؟ فهل
اختار الروح النطق السكوت كيداً لأن الحكومات
تمنع المؤمنين من الاحتشاد على الطرق لإقامة شعائر
الدين ؟

إن في الموت النهاية والهدف . لقد وضع الله
الموت حداً والبشر يناقشون في أمره وقد كتب
على جبين كل منهم : إنك فريسة الموت ، شئت
أم أبيت

وماذا يقول الناس إذا أنا قتلت بريحيث ؟ يقولوا
ما يشاءون فلن تسمع ولن أسمع أنا بما سيتشددون .
ستنشر غداً إحدى الجرائد أن أوكثافات ... قتل
خليلته ، وبعد غد لن يتحدث بنا أحد ، ويرجع
كل من شيع نعمتنا إلى بيته ليتناول غدائه على عادته ،
وأبقى أنا وبريحيث تحت أطباق القرى في رقاد عميق
لا تنهنا منه الأقدام السائرة فوق ترابنا

أفلا ترين أيها الحبيبة أننا سرقده هناك
بسلام ؟ أفليس التراب خير فراش وثير تؤسده
فلا يحتاجه الأوصاب والأوجاع ولن يقدم في جواره
من سكان القبور من يشابنا مقبحة اتحاداً أمام الله .
هنالك ستمتاع عظامنا وقد تمرت عن كل كبرياء
واضطراب ، وما يقدده الموت المزمى لا يُحبل وما
يجمعه لا يبدد

لساذر ترمش فرقا من العدم أيها الجسد المعد

من الأحياء إذا ضرب عليها الحجاب وساد حول
جمالها السكوت ، وما جمالها في عقيدتها سوى ما يلمع
من شهوة في عين عاشقها وما يتدفق من ثناء على
شفتيه

لا ... لا مجال للشك في أن من أحب امرأة
يتمتع عليه ألا يحب بعد . فمن يرى الموت يفزع منه
إلى الحياة

إن بريحيث تهوأن وقد يقتلها هواها ولكنها
ستندفع إلى صدر غيري إذا أنا انتحرت من أجلها .
وانحنيت فوق السرير وأنا أردد كلمة : غيري ...
غيري ... حتى لاصق جبينى كتفها العاري

وقلت في نفسي : أليست هي أرملة ؟ أفا مرة الموت
قربها من قبل ؟ أفا اعتنت يداها الصغيرتان بعريض
وكفتنا جثة ميت ؟ وما تجهل دموعها الأولى للذة
التي جفت بعدها ، والدموع الثانية ستجف بأسرع
من الأولى

وقأن الله استهواء الوسواس الخناس : أفا
بوسمي أن أقضى عليها وهي مستغرقة في نومها ؟
ولو أننى نهبتها من رقادها الآن لأقول لها إن
ساعتها قد دنت وإننا سنطلق روحنا بآخر عناق
وأخر قبله ، فإنها لن تتردد في القبول . ولكن
بعد ذلك ما يكون ، فإن الدليل على أن كل شيء
لا ينتهي بالموت إلى الفناء ...

وكنت مشهراً بيدي مكينة عثرت عليه
أهو الخوف أم الجبن أم التوهم الذي جر التفكير
إلى الاعتقاد بالحياة الأخرى ؟ وما يعلم عنها من
يقولون بها ؟ إن تلك الحياة قد أوجدت للجاهلين
وللقوغاء من الناس وما بلغ الاعتقاد بها في أحد
مبلغ اليقين إذا لم ير أحد من نواظير القبور ميتاً

المرضعات من مجرمين ! فلماذا يعنى عن هؤلاء
الآبقين ؟ ومن من الأحياء يستفيد من الحساب
الذى يؤديه الأموات ؟

إذا كان قد وجب على الإنسان أن يماقب على حياته
فقد كانت السماء ولا رب خالية غاوية ، أفا يكنى
الإنسان شقاء أن يقضى عليه بالحياة ؟ ذلك ما قاله
فولتير على سرير احتضاره ، ومن أولى منه بهذه
الصرخة وهى أنين شيخ جاحد قطع من حياته كل
رجاء ؟

لأية علة يقوم هذا المراك ؟ ومن هو يا ترى
ذلك المشرح أبصاره من العلياء فى هذه المآسى ؟
من هذا الشرف متسلياً على مشاهد هذه المخلوقات
التي لا ينقطع توالدها ولا تنتهى مدتها ، فيلذ له أن
يرى الصروح تشيد ثم تنبت الأعشاب بين أطلالها ،
وأن يرى الزارع يزرع ثم تكسح الماصفات مازرع ،
وأن يرى الأحياء يمضون ثم يصرخ بهم الموت :
قفوا ... وأن يرى الدموع تسيل حيناً ثم تجف على
مساكبها ، وأن يرى وجه الشيبنة متورداً بالحلب
ثم يراه محمداً بالهزم ؟

من هو هذا المتلبي بالنظر إلى الناس يمضون
أمام السماء باسطين ؟ كف ضراعتهم إليها فلا تريد
السماء سنبلة واحدة على ما نبتت من السنبال فى
حقولهم ؟

من هو مبدع كل هذه الأشياء ليتمجد وحده
بعله ؟ إن جميع ما صنع هباء هباء

إن الأرض سائرة إلى الفناء ، وقد قال هرشل إن
حياتها ستنتهى بالصقيع ، فمن هو يا ترى الرافع على
يده هذه القطرة من البخار التجمد المحرق بها منتظراً
انحلالها وتطاير عناصرها كما يحرق الصياد بوشل من

ليكون فريسة له ؟ كل ساعة تمر من الزمان إنما هى
خطوة من قدميك نحو الفناء تقطع بها حلقة من
سلسلة حياتك . وما غذاؤك إلا من كل شئ ميت ؟
فالسما تثقل عليك والأرض التي تطلها بقدميك
تشدهما لتجذبك إليهما . انزل ... انزل إلى الحفرة
ودع عنك هذا الخوف ، لأنك لا ترتمش إلا للكلمة
الموت فما عليك إلا أن تقول : إننى لن أحيأ بعد .
وهل الحياة إلا وقر ينفس الإنسان عن كربه
باطراحه ؟ ولماذا تقف تجاه الموت مترددين إذا كان
قد تحتم علينا الوصول إليه عاجلاً أو آجلاً

إن المادة لا تفنى وقد عاجل العلماء بكل ما لديهم
من الوسائل ذرة منها فمجزوا عن إخراجها من
حينز الوجود إلى المدم . فإذا كان لا مسيطر على
المادة إلا تصارييف الصدفة العمياء فأى شر ترتكبه
إذا هي انتقلت من عذاب إلى عذاب آخر ما دامت
عاجزة عن استبدال سيدها المسيطر عليها ؟ وهل
يهم الله للشكل الذى أبدويه وللثوب الذى تشجعه
أوجاعى ؟ إن عذابى مستقر فى جحيمتى وهذا العذاب
إنما هو ملكى وأنا حر فى القضاء عليه ؟ أما الأكرة
العظيمة فليست لى ، فأنما أعيدها لى من أودعنى
إياها ، أنخل عنها للأرض فليتحذها شاعر كاساً
يحتسى فيها خمرة جديدة

أية ملامة أستحق إذا أنا فلت ، ومن ذا الذى
يوجه هذه الملامة لى ؟ وأنى قاض صارم سيحكم
بالحياة لى ، وهو لا يعلم شيئاً من أمرى لأنه لم
يكن كامناً فى أحشائى ؟

إذا كان قد قضى على كل مخلوق بقسط من
العمل لا بد له من القيام به ، وإذا كان الترد على هذا
العمل جريئة ، فبالأطفال الذين يموتون على أنداء

لقد كتبنا وأملينا الشرائع الإلهية والانسانية
ونحن نقف واجبين خائفين مما كتبنا

يعيش واحداً ثلاثين سنة صابراً على أوجاع
وهو يعتقد أن تجلده مقاومة وكفاح ، في حين أنه
لو أطلقت على هيكل تفكيره قبضة من البارود
المشتعل لاستنبت على أحد القبور زهرة نافرة .

وكنتم وأنا أنفوه بهذه الكلمات أصوب
السكين إلى بريجت وألقي رأس النصل على صدرها ،
وبت فاقداً رشدي كالمحوم نورفت النطاء لأهدى
السكين إلى منبض قلب خليلتي . فإذا بصليب صغير
من الأبنوس يلتصق بسواده بين يديها ، وإذا بي
أراجع مذعوراً ، وقد تراخت أناملي عن مقبض
السلاح فسقط من يدي

وكانت عمة بريجت هي التي أعطتها هذا الصليب
في ساعة احتضارها ، وما كنت قد رأيته على صدرها
قبل هذه المرة ، ولعلها علقت في عنقها عندما عزمنا
على السفر كتمويزة تقها الأخطار .

وشبكت كفّاً بكف فجأة والتوت ركبتي فأإذا
أنا راكع أهتف والإرتماش يهزني : أكنّت هنا ،
يا سيدي ؟ أكنّت هنا وأنا لا أدري ؟

ليقرأ هذه الصفحة من لا يؤمنون بالسيد المسيح
لقد كنت أنا أيضاً لا أؤمن ، فما كنت أرندت الماعبد
لا بأيام الطفولة ، ولا بأيام المدرسة ، ولا عند ما
أصبحت رجلاً ؛ فلم يكن لديني ، لو صح أن تدعى
عقيدتي ديناً ، رموز ولا طقوس إذ لم أكن أعتقد
إلا بالله لا ولا وحى منه ولا طرق لعباده ، لأنني تسبعت
منذ صراحتي بآداب مصر ، ورضعت من أمثاله
ما درت على الناس من عقيم الإلهاد . فكانت
الكبرياء البشرية إلهة الآنانية تمنع في أن يتفوه

مياه البحر يتوقع تبخره ليظفر بالبحر من رأسه
إن نظام التجاذب الذي يقلق الموالم في مدارها
إنما هو دافعا إلى الفناء قارصاً من أحشائها بشهوة
لا حد لها . فما من كوكب إلا ويجرّ شقوته دائراً
بالأين على محوره ، وكل الموالم تتنادى من أقصى
الأفلاك إلى أقصاها مشتاقة إلى راحة السكون
مفتشة عن أول كوكب يتوقف عن مسيره بينها .
ولكن الله يمنعه أن تستقر فهي دائبة أبداً على
عمل لا غاية فيه ولا نفع منه . إنها تدور وتدور ،
تتألم وتحترق ، تنطق وتشتعل ، تنحدر وترتفع
تتلاصق وتتجانب ، وتشابك تشابك الحلقات حاملة
على سطوحها آلافاً من المخالقات تتجدد بلا انقطاع
وهذه الكائنات تضطرب وتتلاق فيلتصق بعضها
بعض برهة من الزمان ثم تسقط ليقوم غيرها بعدها ،
فالحياة تندفع دائماً إلى حيث انضمت الحياة كالمهواء
يهب أبداً إلى حيث فرغ المهواء ...

كل شيء يسير على ناموس مقرر في هذه
الأفلاك فكل مسلك خط بأسطر من ذهب ومن
نار ، وكل شيء ذاهب على نغمات الموسيقى السبوية
وهو يتجه أبداً على صراط لا قبل له بالتحول عنه .
وكل هذا ليس شيئاً ! وكل هذا هباء ! ...

ونحن ، نحن الأشباح التمسعة التي لا اسم لها ،
الأشباح الناحلة المثقلة بأوجاعها السائرة كالوم في
هذا الكون الفسيح ، وما نفخت فيها نسمة الحياة
إلا لتلد الموت ، لأنفسنا نبذل الجهود لنثبت أن لنا
مهمة كبرى ، وأن هنالك من يشعر بوجودنا فتتردد
في إطلاق رصاصة على رأسنا كأننا إذا قلنا وهزنا
كتفنا نأثي أمراً فرباً ...
وكان موتنا سيخرج هذا الكون عن نظامه

للإصرار بأى مخلوق . وهأنذا أقسم بمسيحك نفسه
إننى لن أقتلك ولن أنتحر فما أنا إلا مجنون . ما أنا
إلا ولد حسب نفسه رجلا . أنت لا تزالين حية
والحمد لله ، ولسوف تستعينين بصياك وجمالك على
نسيانى ، وإذا ما قدرت على منحنى الصغول ما أورتكتك
من داء فإن عفوك نفسه شيشفيك من دائك

نأى بأمن إلى الصباح ياربحييت ، وغدا سنتطيقين
بمحكك فأرسلخ لأى قرار تتخذين

وأنت أيها المسيح ، أنت يا من كنت لها منقذاً
جُدى لبفرانك ، ولا تقل لها ما رأيت : لقد ولدت
في عصر ملحد جاحد فيا لشدة ما يحق على من
التفكير أيها المتيقن من روح الله . إن الناس قد
نسوك فما علمنى أحد أن أحبك . إننى ما طلبتلك
يوماً في المابد ولكنى وجدتك الآن حيث لا أملك
التفاوض عن رهيتى وخشوعى . وقد ظفرت شفتائى
ولو مرة قبل موتى بتقبيلك على صدر ممتلئ بالايان
بك . فليكن إيمانها حارساً لها وأنت يا سيدى أذكر
هذا البائس الذى لم يحسر على اقتحام الموت عند
ما رآك مسعراً على صليبك . لقد أنقذتنى من الشر
وأنا كافر ولو كنت مؤمناً لأزلت على روى العزاء .
اغفر لى جمالوفى ملحداً بعد أن جئت بالندامة على .
اغفر لجميع المحدثين لأنهم لم يروك في ساعة بأسهم
إن المسرات البشرية تقوم على السخرية ولأ
رحمة فيها ، والسعداء في هذه الحياة يظنون أنهم في
غنى عنك أيها المسيح فاذا هم جدفوا عليك في
كبريائهم فأنهم سيقادون يوماً إلى معمودية الدموع .
أشفق عليهم لأنهم يرون أنفسهم في مأمن من
عواصف الحياة ولأنهم يحتاجون إلى تأديب المصائب
ليهرعوا إليك

بالصلاة فتندفع روى في ارتياحها طالبة العزاء في
الكفر والجحود

وبت كالتامل قد أضاع رشده عند ما رأيت
رض المسيح على صدر يربحييت ، فتراجعت عنها
منذوراً لا لأيمانى بل لملئى بأنها تؤمن به
وقفت يدي وما شئت لهبة سنحت عبثاً ،
كنت في الليل منفرداً وحدى ولا ترانى عين إنسان
فا كانت معتقدات الناس لثقال من روى ، وكنت
أملك تحويل عيني عن هذه القطعة الخشبية بل أملك
القبض عليها وإلقاءها في الرماد ، ولكننى بدل
طرحها هي طرحت سلاي

إن ما شمرت به في تلك اللحظة نفذ إلى أعماق
روى ولا يزل مستقراً حتى اليوم فيها
ما أشقى الناس الذين يهزأون بما يمكنه أن ينقذ
حياة إنسان ، وما يهم الاسم والشكل والايان .
أفليس كل ما هو صالح مقدساً ؟ فبأية حق يتناول
المخلوق على خالقه ؟

وشمرت في داخلى لينبوع يتدفق من ذرى
تفكيرى كالجداول المنسربة من ذوبان الثلوج على
القمم وقد لحتها عين الشمس النيرة المحرقة ، وارتفع
الندم من عذابى ارتفاع البخور من مجامره
لقد كنت على وشك ارتكاب جريمة ، ولكننى
ما رأيت آلة الاجرام تسقط من يدي حتى شمرت
ببراءة نفسى ، فقد كفت لحظة لأستميد السكون
والقوة والهدى ، فتقدمت إلى السرير وأخجيت على
ضم خيليتى مقبلاً صليبا على صدرها قائلاً لها :

— نأى بسلام فإن عين الله ساهرة عليك .
لقد مررت بك أعظم خطر وأنت تبسمين في أحلامك
ولكن اليد التي هدت حياتك لن تمتد يوماً

الفصل السابع

وفي اليوم التالي عند الظهر كان شاب وامرأة
يخترقان حديقة «القصر الملكي» وذراعاها مشتبكان
تحت أشعة الشمس ؛ دخلا مخزن صائغ واختارا
خاتمين متشابهين فقدم كل منهما خاتماً إلى الآخر وهما
يتسنان . وسارا في زهرة قصيرة ثم دخلا مطعم
« بروفينسو » وصعدا إلى إحدى غرفه المظلة على
أجل مناظر الدنيا ، وهناك انفردا بمد انسحاب
الخادم وتقدما إلى النافذة يسرحان النظر ويد كل
منهما ترتب على يد رفيقه

وكان الشاب مرتدياً أبواب السفر وقد طُفح
وجوه بشرأ كريس يرى عروسه لأول مرة مباحج
باريس . وكان مرشح هذا الشاب جهوراً هادئاً يتم
عن سعادة لا اضطراب فيها ، ولو أن رجلاً مرث
به تجارب الحياة نظر إلى هذا الشاب لثنين فيه طفولة
تستحيل إلى رجولة ، وعزماً تستيقظ العاطفة من
التفكير

وكان هذا الشاب يتطلع إلى النساء ثم يتأمل
ملاحم رفيقته فتتحد من أعفانه دموع يتركها
سائلة على وجنتيه وقد أثارها ابتساماته

أما المرأة فكانت شاحبة وقد انطبعت على
ملاعها آثار التفكير العميق وهي لا تحقد إلا
في وجه رفيقها ، ولا تملك نفسها من مسامرة مرحة ،
غير أنها في الوقت نفسه لا تحاول إخفاء ما يطفو
على وجهها من قرارة قلبها

وكانت إذا اتسم رفيقها ابتسمت له ، فكانها
في جوارها تسير مسامرة ولا تختار اختياراً ، فإذا
ما تكلم تكلمت وإذا ما قدم لها طعاماً أكلت ،

ليست حكمتنا وشكوكنا إلا الأعباء أطفال
في يدنا فاغفر لنا لأننا نتوهم أننا كافرون . اغفر لنا
أيها البتسم على جلجلة الفداء . إن أشد ما ينزل بنا
من شقاء في حياتنا المأثرة . كالظلال إنما هو محاولة
غروبنا أن ينسلك وأنت تعلم وما تخفى خافية عليك
أن هذا الغرور وهم تبدده نظرة منك . أفسا كنت
رجلاً ؟ وهل رفعتك إلى مرتبة الألوهية غير
الغذاب ؟ إن مرثاتك إلى النساء كانت آلة تعذيب
رُفعت منها فأحما ذراعيك إلى أحضان مصدررك
الأسنى . ونحن على مثالك يقتادنا الألم إليك كما
اقتادك إلى أليك . إننا لا نتقدم للانحناء أمام رسمك
إلا وعلى جباهنا أكاليل الشوك . ولا ننس رجلك
الدائمين إلا بأيد دائمة ، فإنك بغذاب الشهداء
اكتسبت محبة البائسين !

ولاحت طلوع الفجر وبدأ كل شيء ينتبه
مرسلاً في الأثير أصوات الحياة ، وشمعت بالعباء
لشدة ما نائي فأردت الانسحاب من غرفة بريجيت
طلباً لبعض الراحة ، وبينما أنا متجه نحو الباب ارتدى
على أحد المقاعد ثوب من أثوابها على الأرض فإذا
بورقة مطوية تسقط منه . والتقطتها فإذا هي رسالة
ممنونة بخط بريجيت ولم تكن ملصقة ففشرتها وقرأت
ما يأتي :

٢٥ ديسمبر

« عند ما تصل إليك رسالتي هذه أكون بعيدة
عنك ، ولعلها لن تصل إليك أبداً . إن حظي مرتبط
بخط رجل نحييت في سبيله كل شيء فهو لا يطبق
الحياة بدوني . ولسوف أحاول أن أموت من أجله .
إنني أحبك ، الوداع . أشفق علي »

وقلبت الورقة فإذا عليها هذا العنوان :
إلى هنري سميت في بلدة ن ... نافذة البريد

سنسقي كلانا . لك الزمان أنت وأنا إلى الله
— أوكتاف ... أوكتاف ... أنت واثق

من أنك لست على ضلال ؟

— لا أعتقد بأن أحدا سيسلو الآخر ياربجيت ،
ولكنني واثق من أن ليس لنا أن نتبادل المغفرة
الآن ، غير أن هذه المغفرة محتومة علينا حتى ولو قدر
ألا نلتقي بعد

— ولماذا لن نلتقي يوما ؟ فأنت لم ترل في
ربيعان الشباب

وأردفت بإتسامة مرة :

— سنلتقي بآمن من كل خطر لأول غرام
يحتل قلبك بعد غرامي

— لا ، يا صديقي . ثقي بأفني لن أراك دون
أن يثور في كامن غرامي . قدر الله أن يكون
الرجل الذي اتخلى له عنك أهلاً لك . إن سميت
فقي صالح وطيب القلب ولكن مهما بلغ حبك له
فسوف لاتنقطعين عن حبي . ولو أفني أقرر الآن
بقائك معي هنا أو اللحاق بي كما كنت تترددن في
اتباع ما أريد

— ما أصدق ما تقول !

— أصحيح هذا ؟ أنتلحقين بي إذا أنا
دعوتك ؟

ولكنه بعد أن هتف بهذه الكلمات من أعماق
قلبه استطرد على مهل :

— من أجل هذه المطاوعة يجب ألا نلتقي أبداً .

إن من الحب في هذه الحياة ما يبلبل الرأس والحس
وما يزعزع العقل والقلب ، وليس غير نوع واحد
من الحب يخنق في الروح دون أن يسكر صفوها
لأنه ينشأ منها ولا يموت إلا بانطلاقها

ولكنها كانت تذهب في نفسها من حين إلى حين
كأنها في غيبوبة عما حولها ، وكانت سكنت هذه
المرأة وحركاتها كلها ثم عن استرخاء تستسلم فيه
لرفيقها استسلام التابع الضيف يستمد حياته من
متبوعه وقد أصبح خيالاً له وصدى لصوته . وما
كان الشاب مخدوعاً بمجالة رفيقته بل كان ينفذ إلى
سريرتها وفيه شيء من الضرور وكثير من الرضى فإذا
هي تراخت وألصق تذكراها بعينها بالأرض هب
يعالجها بقوته متكافئاً المرح لينقذها من ضعفها ؛ فقد
كان بين هذين الرفيقين تمازج غريب من الفرح
والحزن والاضطراب والسكون ، فإذا ما نظر
إليهما متأمل خالهما تارة أسعد الناس وتارة أشقى
من في الحياة ، وغاب عنه هذا السر يشد أحدهما
إلى الآخر برابطة الأبي عقدت على عاطفة أقوى
من الحب ، وهل أقوى من الحب سوى عطف
الصديق على الصديق ؟

وما كان يلوح في عيونهما شيء من لمات
الشهوة ويد الواحد تشد على يد الآخر فكأنما ولا
ثالث بينهما يتحدثان بصوت فيسندان جبيناً
إلى جبين كأنهما يتماوان على التذكرات الرهقة
دون أن تتجاذب الشفاه إلى قبلات الغرام ، ودقت
الساعة تؤذن بالأولى بعد الظهر وكل منهما مدق
في عيني رفيقه يستنجد بها ، فكأنهما ضميقتان يتلسان
من الضعف مخرجاً إلى الصلاح ، ونهتت المرأة
وقالت :

— لمالك مخفي يا أوكتاف

فقال : لا . لست مخطئاً يا صديقي ، ثقي بما
أقول . إنك مقدمة على تحمل المذاب وتقدر يطول
صبرك عليه أما أنا فلا نهاية لمذابى . ولكننا

هاتى يدك ودعى الناس بهزأون من كلمة أقولها
وهم لا يفهمونها

« لبقى صديقين ويستودع كل منا الله رفيق
إلى الأبد »

عند ما تمانقنا لأول مرة كان فى كل منا ذات
خفية أدركت أننا ستتحدا فلندع هذه الذات الخفية
وقد اتحدت منى ومنك أمام الله جاهلة أترقنا على
الأرض، فلا تقوى ساعة خلاف تافه من الزمان على
حل اتحادنا فى السعادة التى لا تزول

وكان لم يزل قابضاً على يدها فنهضت وهى تشرق
بوجهها وتقدمت نحو المرأة بإتسامة غريبة وأخذت
مقرضها من حقيبتها وقطعت خصلة طويلة من
شعرها، ثم نظرت إلى وجهها ملياً بعد أن شوهته
بجرمانه قطعة من تاجه وتقدمت بهذه القطعة
إلى عاشقها

وضربت الساعة ثانية نفراً عاشرين من الحديقة
وعلى وجهها علامات الرضى التى كانت تلوح عليهما
وما قاما على طريقها

وقال الشاب — ما أجل هذه الشمس !

فقالت المرأة — إنه نهار جميل لن يحى أثره
من هنا . وضربت بشدة على صدرها
وأسرعا بالمسير وتواريا بين الجموع

وبعد ساعة صرت عربية على مرتفع وراء
حواجز فوتنبلو وكان الشاب مستقلاً وحده هذه
العربة يلقى نظرة أخيرة على المدينة التى رأى فيها
النور وهو يوجه الشكر لله لأنه من ثلاثة ابتلام
المذاب بجزيرة لم يبق إلا شق واحد

فليكس فارس

« انتهى الكتاب »

(٨)

— وهل مستحرمنى من مراسلتك يا أوكثاف ؟

— لا . سأكتب إليك مدة من الزمن لأن

ما سأواجهه من عذاب فى بادئ الأمر سيقطننى
لا محالة إذا أنا حرمت نفسى من كل تمزية . لقد
اقتربت منك على مهل وبكل حذر حتى عرفتنى
وحق ... لا ، لندع الماضى . ولسوف تنقطع رسائل
عك رويداً ورويداً وهكذا سأبحر على مهل من
الدروة التى رقيتها منذ سنة ، ولقد يكون لهذه
الرجمة الحزينة روعتها

وإذا ما رجعت بالله كرى إلى الأيام التى كنت
حيّاً فيها فلا أقف أمامها وقفة التامل فى قبر عقدت
الخصرة والأزهار فوقه قباًباً تظلل اسمين لراجلين
عزيزين يرقدان فيه فأشعر بحزن مقيم بالأسرار
وأرى دمة الأمى حلوة لا مرارة فيها

وارتمت المرأة عند سماعها هذه الكلمات على
مقدم موهلة بالكية ؛ وبكى الشاب معها ولكنه بقى
دون حراك كأنه يتكر على نفسه لوعتها ، وعند
ما جفت ما بقيه تقدم إلى صديقه وقبل أناملها على
مهل وقال :

— صديقي أن من يشعر بحبك له مهما كانت

الماطفة التى تشلمينه بها إنما يستمد من هذا الشعور
قوة وإقداماً . لا يداخلك ريب بإرجميت فى هذه
الحقيقة وهى أنه لن يفهمك أحد كما فهمتك أنا .

ولعل سواي يبدل لك من الحب ما أنت أهل له ،
ولكن لن يصل أحد بحبه لك إلى الأعماق التى
أحببتك منها . سىدارى سواى ما أهنت فيك من
الصفات فيحوطك بفرامه ، ستجدن عاشقاً أفضل
منى ولكنك لن تجدى لك أختاً مثلى

والقوس المتيدة المنيدة ، ووقف فوق الوصيد حتى لا يفر أحد من أعدائه فينجو من الموت الذي هو ملاقيه ، ثم نثر الكنانة عند قدميه وهتف بالشاق يقول : « وهكذا بإسادة تم فصول النساء ، وهكذا أيضاً تنتهى المباراة التي لم يفر فيها واحد منكم ... والآن ... أنظروا ... إني لن أسدد سهماً إلى هذه الأهداف بعد ، بل إني مسدد إلى غرض آخر .. »

وعند الوتر المرْد ، وأرسل إلى حلقوم أنطونيوس سهماً حراًشاً يحل به إلى هيدز . وكان اللج بوشك أن يحتسى كأساً ذهبية من أعنق الحجر ، فسقطت الكأس من يده الداهلة ، وسقط هو ينشطح في دمه ، ويلفظ أنفاسه . وذعر الآخرون حيناً رأوا أخام يسقط إلى الأرض رمة لا نامة فيها ولا حراك ، وهاجوا وماجوا ، وهبوا يبحثون عن أسلحتهم ... ولكن هيات ! لقد أخفاها أوديسيوس وولده ليلة أمس ... فأتى لهم بها !! وصاحوا بأوديسيوس : « أيها المجنون لقد أخطأت الرمي ! ماذا أصابك ؟ إنك تسد إلينا ؟ لقد قتلت أنبل شباب إيثاكا ، مثلثك أمك ! أبداً لن تحمل بعد هذه قوساً أبداً

وانكشف الستر ، وعاد إلى الشحاذ الفقير عنفوانه ، واقذفت من فمه الحسم فقال : « أيها الكلاب ! قال (١) مازعم أن أوديسيوس لن يؤوب ! هاأنذا أيها العبيد ! لقد استبجتم حتى يتي وأذلتهم قدس الحرام ، وأوضعتم في الفتنة فاعتديتم على نسائي ولم تبالوا أن تمسقوا زوجي بينا رجلها حتى يسمى على قبضه ، غير عابئين بمن يطلع عليكم في الساء وهو بكم محيط ، ولا مبالين بما تنصج به الرفات الكريمة في ترى هذه الأرض من فعاكم ، فويل لكم قد جان جيتكم !! »

(١) غاب



الأوديسية

لهرودوتس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

مقدمة الفصول السابقة

« لما وضعت حروب طروادة أوزارها عاد جميع أبطال الاغريق إلى أوطانهم ماعدا أوديسيوس ملك إيثاكا فقد نسي أن يرضى للألفة قبل أن يبحر فأضله بتيون له الجار ووقف له بالمرصاد وأغرقت أساطيله وظل يترصد كل ما بالعودة إلى وطنه حتى انتهى به اللطاف إلى ملك الفياشين الذي أحبه وأكرم مشواه وأرسله على بفض سفنه إلى شاطئ إيثاكا — وبينما كانت أوديسيوس في تموالاه كان أمراء الملكة قد يشوا من أوجه وعنفوا زوجته ، وطعموا أن تختار أحدهم زوجاً لها مكان أوديسيوس لفرط جمالها وباهر حسنها ولكنها شغلهم عن نفسها بحيل اخترعتها حتى عاد زوجها واتى ولده تليك وانفقا على الانتقام من الشاق كما سيأتى ... وكان أشد الصناق هياماً ببنلوب ما أنطونيوس ويوبرعاخوس من بلاء إيثاكا — وسيليان أول الناس مصرعهما ... »

الانتقام الهائل ...

وأتى أوديسيوس أسأله ، وأطرح مزرقة ، وبرز لللا أوديسيوس القوي الحديدى الجبار ، وتناول كنانة الأبهم التي تهمهم فيها الناياء وتغمم ،

فصرعه، وخر اللثيم بما لج بسكرة الموت، وانتشرت ضبابية الفناء الأبدى على وجهه القبيح فأطبقت عينيه... وهنا... هاج الأمير أمفيونوم وماج وهجم على أوديسيوس بسيفه الذى تقطر من حده الناي... وكاد اللثيم ينال من خصمه مثلاً لولا أن قفز تلكا برعه العظيم فأغمده فى صدره وردة عن أبيه وعاد مكانه دون أن يتدفع الرمح مخافة أن يتكاثر عليه الأعداء... وقال تلكا لأبيه: «أبناء! إنه يجب أن نستمد بسلاح أكثر... وإني ذاهب فحضرت ما تحتاج إليه وعائد بسرعة البرق» فقال أبوه وهو يتصيد القوم بسهامه: «هلم يا ولدى وهات ما استطعت، فلشد ما أخشى أن تفرغ هذه السهام فلا أستطيع أن أدفعهم عن الباب...» وانطلق تلكا إلى غرفة السلاح فأحضرت ما مست الحاجة إليه من رماح وسيوف وخوذات، وأدّرع بما هو حسبه منها، ثم ألبس الراعيين الأثنين ألبسة دلاصين^(١) وزودهما بسيفين بشارين، ووقف الثلاثة إلى جنب البطل العظيم يعمون تكاثر المشاق عليه، بينما هو يرسل سهامه فتخترقهم وتتناصل شأفتهم واحداً فواحداً، حتى إذا فرغت سهامه، وقف الأبطال الثلاثة يذودون من دون الباب حتى لبس أوديسيوس دروعه ووضع على رأسه خوذه، وأخذ رمحين عظيمين فى كلتا يديه، وعاد إلى كفاحه وكانت ثمة فى الجانب الآخر من الباب بوابة صغيرة لم يفتن المشاق إليها، فأرسل أوديسيوس راعي الخنازير ليحرسها وليحول بين المشاق وبينها... وضافت الدنيا حتى غدت ككفة الحابل فى أعين القوم، وتجهمت لهم حتى غدت كالليل البهيم أثنى غواشيه فوق رؤوسهم، وناء بكسكة على صدورهم... فقال

(١) درعين سائبين

وارتمدت فرائص الكلاب كما دعاهم أوديسيوس وطارت حمرة الخمر من صدورهم، ووقف يورماخوس متخاذلاً وهو يقول: «إن كنت حقاً ملكنا أوديسيوس فكنا ننتظر عما ارتكبناه من الإثم فى بيتك. ولقد تكلمت فقلت الحق كل الحق ولكنك قد أردبت أنطونيوس الذى دعانا إلى كل ذلك والذى كان بطمح أن يتربع على عرشك ويملك كما ملكك، فاعف عنا واصفح عن خطايانا، فنحن بالرغم من كل ما حصل شعبك الأمين وريائك الأوفياء الأولياء... على أننا سنمضيك بما استحقنا ماله بال وعتاداً بعتاد» فقال أوديسيوس: «يورماخوس أيها النذل! إنكم مهما ملأتم يدي بالذهب فلن تشفوا حردى ولن تذهبوا غلتي حتى أتتم منكم جميعاً لما صدر عنكم من إفك وما ارتكبتم من أوزار! فاختاروا لكم! الحرب التى جدت بكم فجداها، والقتال الذى لا يحصى منه ولا يحيد عنه، أو... فالفرار الفرار... ولن تجدوا إلى الفرار سبيلاً...» وزلزل الجميع زلزلاً شديداً، وجفت أنسنتهم فى حلوقهم فما عرفوا ماذا يحيدون، ثم هتف فيهم يورماخوس فجأة يقول: «أيها الإخوان لقد تحجر قلب هذا الرجل فان يعرف سبيلاً إلى الرحمة، وما قد قبض على القوس بكتنا يديه، ووقف فوق الوصيد يذودنا عن الباب، ولن يفلت أحد منا من سهامه قط، بل إنه سيقبضنا واحداً بعد واحد... ولا أرى إلا أن نقرعوا إلى سيوفكم فتخترطوها، وإلى المناضد فتدفعوا بها، ثم نهجم عليه كرجل واحد عسى أن نرحضه من الباب فننجوا بأنفسنا ونلوذ بالفرار فإذا بلغنا المدينة فائتوا سالون!» ثم فرغ من صيحته واستل جرازه، وهجم على أوديسيوس من وراءه منجراً، ولكن أوديسيوس أصابه بسهم فى صدره

أنا وتلك لنزود دون الباب» وانطلق الراعيان فوقف كل منهما خلف مصراع من باب الغرفة حتى إذا برز ميلانتيوس اقتضا عليه وكبلاه ودفعاه داخل الغرفة، ثم ربطاه في عمود هناك، وقال له يومايوس «إنها يا صاح وارقد هنا إلى الصباح، وأكبر ظني أن الشمس لا تشرق عليك إلا وروحك في عالم الظلال والأشباح، فلا تراك قطمانك بعد اليوم» وأغلقا الباب وعادا أدراجهما إلى مولاهما وولده، ووقف الأربعة يناضلون جحشاً بأكله. ثم بدت ميفرا الحكيمة في زي منطور وطيلسانه ففرقتها أوديسيوس وفرح بها قلبه، وهتف بها قائلاً: «منطور أيها العزيز موتك وتأيدك ففتح سدقان منذ التقدم!» وهتف المشاق ينادون: «أحضر يا منطور ولا فتاق حثفك بعد أن نظفر بهذا الوغد. ولحظت ميفرا زحراً أوديسيوس مما رأى من تسليح القوم فقالت تؤنبه وتحته: ما هذا التقاعس عن الحيلة يا أوديسيوس؟ هل فقدت شجاعتك وعنفوانك؟ إنك ما أحجبت مثل ما تحجم اليوم طوال عشر سنوات حاربها في طروادة من أجل هيلين فهل يشق عليك أن تلقى هذه الحفنة من عشاق ينلوق في بيتك، بل في عقر دارك؟ هل أقف إلى جانبي وانظر إذا كان منطور قد عك الصداقة القديمة!»

وحاربت معه ساعة، ولكنها تركته ليعمل للنصر بمفرده، وانسحرت فكانت عصفوراً من عصافير الجنة جعل يرف ويرف في سماء البهو؛ حتى وقف على إحدى خشباته... وفرح المشاق لما رأوا من مفارقة منطور، وعادت إليهم بعض شجاعتهم لما رأوا المحاربين الأربعة يقفون وخدمهم في مدخل الباب الكبير... وقال أحدهم مخاطباً الباقين:

قائلهم: «ألا يستطيع أحد أن يبرق من البوابة فيصبح بأهلنا ويستنجدهم لنا؟»

فأبرى له ميلانتيوس^(١) بحجبه: «هذا عبث لن يكون وراءه طائل، فإن رجلاً واحداً يستطيع أن يقفنا جميعاً لو فعلنا، دون أن نبلغ الباب... بل لدي فكرة... إنني أعرف أين خبأ أوديسيوس وابنه أسلحتنا، وسأطلق فأحضر أسلحتك منها ما يقيكم منها...» ثم تعلق بحبال مدلاة من كوة في السقف وتسلى عليها حتى نفذ ثمت، وانطلق إلى غرفة السلاح فأحضر اثنتي عشرة درعاً ورمحاً كثيرة وخوذات وظل يلق بها من الكوة فيلقها رفاقه ويدرعون بها... ولو كان مع أوديسيوس سهم واحد يرسله إلى هذا الملق قبل أن يمتلئ بالحبال لما استطاع أن يحضر هذه المدد. قال أوديسيوس: «أي بني لقد خاننا أحد ودل القوم على غرفة السلاح فانظر كيف يتضاعف عناؤنا ويزيد بلاؤنا» فقال تلياك: «كلا يا أبناه، إنه لم يخنا أحد، والذنب ذنبي، فقد تركت باب الغرفة دون أن أوصده... يومايوس! إنطلق فلق باب غرفة السلاح وأحضر مفتاحها؛ وانظر هل خاننا أحد، أو أن هذا من فعل ميلانتيوس كما أحس!» وانطلق يومايوس فرأى ميلانتيوس ذاهباً إلى غرفة السلاح ليحضر عددًا آخر ورمحاً، فقال الراعي: «هاهو ميلانتيوس الوغد منطلق إلى الغرفة كما حدث مولاي» وهتف بتلياك: «هاهو ذا ها هو ذا! هل أحضره حياً لياقي جزاءه أم أقتله حيث هو؟» فقال أوديسيوس: «بل اذهب أنت وأخوك الراعي فشداهما وحبساه في الغرفة حتى يلقى جزاءه، وسأقضي»

(١) هو الراعي الخائن الذي أصبح ضلعه مع البشاق ضد مولاه أوديسيوس

« كان يعني بي إذا أنا ضي في الهدا » وكان النادى قد فزع مما رأى ، وحجاً نفسه تحت مقعد كبير ، ثم طرح عليه جلد ثور ، فلما سمع تلياك يقول لأبيه هذا القول ، برز من مكنته ، وتعلق برجل تلياك ، وأنشأ يتوسل ويتضرع ، ويكي ويتصدق . فقال له أوديسيوس : « لا تجزع أيها الرجل ، فقلد أفتنك وليكي كما أفتد المنشد ... اذهباً فانتظرا في الرحبة ، فمندی ما يشغلي عنكما الآن ... واطلق الرجلان وهما لا يصدقان أنهما نجوا ، وجلسا عند المذبح ينتظران قتلتهما في كل لحظة ... ثم مضى أوديسيوس يبحث في الهو ويبحث المناشد عن من يكون به رمق من الحياة فيجهر عليه ، بيد أنهم خروا جميعاً مضرجين بدمائهم في التراب ، وقد تككبوا فوق بعضهم كالسمك فوق الساحل يقذف به الصيد في يوم صائف ... ثم قال لابنه أن يدعو الموضع المعجوز يوريكليا ، فأقبلت ورأت أوديسيوس واقفاً كاللارد بين القتل وقد لطخت السماء يديه ورجليه وصدرة ، فكادت المرأة تجني من الفرح لهذا النصر البين الحاسم ، وأوشكت تصيح وتزغرد ، لولا أن ردعها أوديسيوس عن ذلك : « أيها الموضع المعجوز اكتمى فرختك ، فإنه يذنبى ألا تكون ثمانية فوق جثث القتلى ، وألا يكون صباح ، لأنها إرادة السماء وقد نفذت فيهم بما أسرفوا من قبل وكانوا من المفسدين » ثم أمر بالحث أن تحمل خارج القصر ، وبالسماء أن تنسل ، فتم ذلك في أقصر وقت ، والتفت إلى الموضع يحذنها ويقول : « أرايت ؟ اذهبي الآن فأحضري ناراً وكبريتاً كيما تظهر الحجرة ، ثم أخبري بنلوب أن تلقاني هنا ! » . فقات المعجوز « سمعاً وطاعة لك يا بني ! سأقفل ما أمرت ، ولكنى سأحضر لك ثوباً تلبسه قبل كل شيء » ،

« هلموا فليقذف ستة منا رماحهم قذفة واحدة إلى صدر أوديسيوس ، فإنه إن سقط واسترحا منه ، فلن نلقى غناء من الباقيين » ولباه أصحابه ، فقفذوا برماحهم في صدر أوديسيوس ، ولكن .. ههيات .. إن واحداً منهم لم يصب غرضاً من الصدر العظيم ... وهنا ... هتف أوديسيوس برفاقه ، فانقض الأربعة على أربعة من المهاجرين فجعلوا في صدورهم رماحهم ، ورد الله كيدهم في نحورهم ، فقتل كل مهاجم ... وروّع الآخرون فارتدوا على أعقابهم ، وانزوا في الركن السحيق من الهو ، وبهذا استطاع أوديسيوس ورفاقه انتزاع الرماح من صدور القتولين ... ولم يهتم الراعيان بما أصابهما من جراح بالغة ، بل وقفا يناضلان ويفديان سيدهما ... ولما رأت مينا ما ياق المحاربون الأربعة من تكاثر الأعداء ، رفت في الهو ، ثم كشفت عن درعها المائلة التي تجلب الموت على كل من يراها ، ووضعت خوذتها الرائحة ثم انبرت للقوم ، وهجم المحاربون الأربعة يطاردون الأعداء ، والأعداء يجرّون من ههنا إلى ههنا مذعورين ذاهلين بما رأوا من درع مبرقا ... وجعل أوديسيوس ورفاقه يصطلمونهم أربعة بعد أربعة ... حتى لم يبق إلا المنشد المسكين فيميوس ، الذي قسره العشاق على الإنشاد لهم ، وتطربهم تطريباً لم يؤثره ، ولم يؤجر عليه ... لقد فزع المنشد المسكين من هول المجزرة ... وانطرح تحت قدمي أوديسيوس يقول : « مولاي ! أوديسيوس العظيم ! ارحمني وأعفني فقد قهرت القوم على ما رأيت ! اصفع عن المنشد البائس القتي يدخل السرور على أفتدة الآلهة ، ويذهب الحزن عن قلوب الناس ! » وهتف تلياك بأبيه يقول : « إصفع عنه يا أبني ، فإنه لا تثريب عليه ولا لوم ... وهلم نقذف النادى إن كان ما يزال به رمق ، فقلد

تقول : « خبريني بالله عليك أيها المزيّة .. خبريني بالله عليك ... إذا كانت ما تقولين حقاً فأني لأودسيوس أن يلقى وحده كل هؤلاء ؟ وأني لواحد أن يهزم قليلاً من مائة أو يزيدون ؟ » فقالت الرضع : « لعمرك ما رأيت كيف حدث هذا الأمر ، ولكني سمعت بأذني هاتين أنين القتل ... لقد كنا جميعاً جالساً داخل الفصر ، وفرائسنا ترتد من الفرق وكانت النوافذ كلها مغلقة بأمر سيدي ، حتى أقبل عليك فدعنا إلى البهو ، حيث رأينا أودسيوس واقفاً بين الرم وهو الآن يطهر البهو من أدرانهم بالنار والكبريت ، والدفاً يتأجج بلظى كاللحم ، ولقد أرسلني لأدعوك إليه حتى يفرح بك ويطمئن قلبك بعد طول المذاب » وكانت العجوز تتكلم وهي ما تنقطع عن الضحك والمرح ، فقالت لها بنلوب : « أيها الرضع المزيّة لا يقتلك الفرح والصخب .. تأله إنه لن يفرح بأودسيوس اليوم أحداً فأفرح به أنا وولدي تلك ... هذا إن كان ما قلت حقاً ... على أنني لا أصدق ... لا جرم إنه إله كريم أقبل لينتقم لنا من هؤلاء المراييد جزاء ما أزلوا بنا من هوان فأبادم جميعاً .. أما أودسيوس فلا ! لقد قضى أودسيوس ، وقضى إلى الأبد ! » فقالت يوريكليا : « أما تزالين غير مصدقة يا طفلي (١) . المزيّة ؟ ألا فاسمعي ! هاك دليلاً آخر ؛ بينما كنت أغسل قدسي الرجل الفقير اللاجئ تحمست يداي ندوباً في في ساقه ذكرتني بالندوب التي أحدثها الخنزير البري في ساق سيدي أودسيوس ، فلما كشفت عنها تبينتها ، وتأكّدت أنه هو ، وأردت أن أصبح بك لأخبرك ، وأزف إليك البشري . لكنه أطبق يده على فمي فلم أستطع أن أنبس ... تعالي ! هلممي معي الآن وانظري ببصيرتك تترى إن كنت كاذبة ، تعالي جعلت فداك ! » واضلقتا يداً ، وطافت الدكريات

فأيه لا ينبغي أن تظل واقفاً هكذا في أمالك هذه » بيد أن أودسيوس أمرها أن تفعل ما أخبرها من فورها ، فانطلقت المعجوز ، وعادت بالنار والكبريت وأخذ أودسيوس في تطهير البهو الكبير بنلوب ... وأخيراً ... بنلوب !

وهو روت الرضع المعجوز فصعدت إلى الطابق العلوي ، حيث كانت سيدتها المحزونة تتقلب على فراش المصوم والأحزان فتهفت بها وهي تضحك ، وتكاد تجم من الفرح : « هلمي يا بنسيتي فاشهدي ببصيرتك كيف حققت الآلهة أحلامك واستجابت لصلواتك ... هلمي ... لقد عاد أودسيوس وبطش البطشة الكبرى بأعدائه فقتلهم عن بكرة أبيهم بعد ما كان من خباياهم وبعد ما استباحوا من حرمانه وما أراغوا من خيره وهزوا بولده ... إنهضي ! »

ولم تصدقها بنلوب ، وقالت مستهزئة بها : « لشد ما عدوت طورك وغبت عن صوابك أيها الرضع المزيّة حين توقطيني بمثل هذا المبت وذلك الحديث الملقق ! لقد حرمتني من غفوة يالها من غفوة لم تكنحل عيناى بأهدأ منها ولا أروح منذ أن فارقت أودسيوس إلى الأرض المشتومة ... تأله لو حصل مثل هذا عن من دونك سنأ ومنزلة من انلدم لكان لي معهن شأن آخر ... ولكن ... لا عليك يا يوريكليا ... » فتبسمت الرضع ثم قالت : « وى ! تأله إنه للحق ، ولا حمية فيما أقول ... إنه هو الشحاذ الفقير الذي كلك ، والذي عث به القوم وقد كان يعرف تلك كل ذلك ، ولكنه جعله سراً بينه وبين أبيه حتى يثار من الأمراء ويستأصل شأقهم ! » فوثبت بنلوب من سريرها مسبوبة ذاهلة ، وطوقت بذراعها عنق يوريكليا ، وأنشأت

الآمال الكواذب التي تجرعت غصصها مدى عشرين عاماً...» أما أوديسيوس فقد مضى فاستحم وتوضغ بأحسن الطيوب ، وأضفى عليه من كل سابريز وفوقه موشى ، ثم نزلت ميرفا فتفخت فيه من روح الشباب ، وسكنت في عروقه دماء الفتوة ، ومسحت يديها الكريمتين على وجهه الجمعد ذى الأسارير فأشرق وتألل ، وهذلت شعره على كتفيه غداًز فاحة كقطع من الليل الهميم . ثم إنه انطلق إلى البهو فجلس لتقاء بنلوب وأنشأ يقول: « أيها الزوجة المحببة ! أما والله لقد ركبت بين جنتيك الألهة قلباً ليس كقلوب النساء .. وأي امرأة تنتهز من زوجها مكاناً قصياً كما تنتهزين يا بنلوب ... بعد إذ عاد إليك من تجوال عشرين سنة كاهن قلائل وأهوال ... يوريكليا ! هلمي فامهدي لى فراشاً بيديك الضميفتين ، مادام الحديد البارد الذي خلق منه قلبها لا يلين ! » ومع كل هذا فقد كان الريب يزى على فؤاد بنلوب ، فقالت تحتبره : « مولاي ! إني وأيم الحق لا معجبة ولا بي خيلاء ، ولكنى أذكر أحسين الذكر كيف كنت يوم همت بك سفينتك الجبارة إلى اليوم ... يوريكليا ! اذهبي أيها الرضع فأحضري سريري زواجنا من الخدع ، واجلي عليه الوسائد والحسنات ليستريح عليه مولاك كما أمرك . » وعجب أوديسيوس لما تكلمت به زوجته ، فقال : « إنك يا زوجتي تفرقين نياط قلبي بما تقولين ! أفى لأحد ما من العالمين أن يحرك سريري به أن يحمله ، إن لم تكونى قد أظلمت على سره ؟ لقد صنعت مخدعي واتخذت سريري في جزع الزينة الهائلة ... فهل ما يزال سريري في موضعه نجت ، أم أن أحداً قد قطع الجذع الشيد واحتمل السرير إلى مكان بعيد ؟ » وهنا ، مادت الدنيا برأس بنلوب ، وتأكدت أن الرجل زوجها من

برأس بنلوب ، ولم تدرب ما ذا عساها فاعلة إذا كان ما أثبات به الرضع حقاً ... فلما دخلتا البهو جلست بنلوب على مقعد كبير من المدفا ، ثم طفقت تمدق بصرها في أوديسيوس ، وكان جالساً وظهره إلى عمود من عماد البهو ، وعيناه تبحثن في الأرض ، وكأنه كان ينتظر أن تتكلم بنلوب قبل أن يفوه هو بكلمة ... بيد أنها لم تنبس ، بل كانت ذاهلة شاردة ، تنظر إليه مرة فتوشك أن تعرف فيه بعلمها الحبيب ، ولكنها كانت إذا نظرت رزقه ورخرقه ، والأعمال التي لا تستر بعض جسمه الهائل عجبت ، وتولاهوا الدهش ، وانمعد لسانها فا يكاد يبين وقال تلياك آخر الأمر : « أماء ! لشد ما تحجر قلبك وغلظت كبذك ! لم لا تهضين فتماقني أي ! » أنه زوجة ينحسب لسانها كما انحبس لسانك ، فا تكلم زوجها الذي أب من سفر سنين كلها أشجان وكلها أحزان ، وكلها آلام متصلة ومتاعب تنوء بجملها الجبال ! فقالت أمه تحببه : « تالله يا بني لقد ذهلت عن نفسي وإني لقيتبه فإ كاد أئين ... ولكن إذا كان حقاً أوديسيوس ، فإن لنا علامات هي سر ذات بيتنا ، ولا يرمفها أحد سوانا » فتبسم أوديسيوس وقال: « لا عليك يا بني ! دعها فستستبين حقيقتي حين أخلع هذه الأعمال » ثم انتحى وولده ناحية ، وأمر إليه أنها يبني أن ينهيا لما عسى أن يكون من تألب الايثا كيين عليهما وشعبهم لما كان من قتل ساداتهم ، وما يتوقع من قيامهم بثورة عامة لا تبق ولا تذر للانتقام من القاتل ... وذكر أوديسيوس أنها يجب أن يقيم في البهو فيأخذها في مثل ما كان المشاق يأخذون فيه من قصف وعبث وجمانة ... وحسب المارة أن بنلوب قد اختارت بعلمها من بين الأسماء ... « فعى لم تعد تطيق الوحدة ، ولا تحتمل التزل ، ولا تقوى على حياة

يتربص بنبا من هم جديد ، فهلا ذكرت لي ماذا
 زعم لك تيريزاس في العالم الآخر ؟ إني مشوقة إلى
 ما قال ، فاذكره بحن الآلهة عليك ، فأجاب أوديسيوس
 « عمرك الله ثم تسألين عن أمر إن يُبد لك
 يسؤوك ؟ ولكن لا خير ... سأذكر لك ما بناني به
 تيريزاس » ثم وجه قليلاً وقال : « لقد أشار أن
 أن أحمل مجدافاً عظيماً على كاهلي ، ثم أنطلق مهاجراً
 إلى ممالك نائية وأصقاع سحيقة ، حتى أكون في
 قوم لم يسموا عن البحر قط ، ولم يروا في حياتهم
 مجدافاً ولا سارية ، فإذا لقيت أول من يسألني عما
 أحل ، وهل هو منذرة بما ينسف به القمع غرست
 المجداف في الأرض ، ثم تقربت إلى إله البحار
 نبتيون الجبار بقرابين تحوماً بيني وبينه ، وتمقد
 بيننا أواصر السلام والوثام ، كما تقربني إلى أعوانه
 الآخرين من آلهة الماء ، فإذا فلتت استرحت من
 لأواء الحياة ، وجنبتني أرزائها ، وعدت إلى شعبي
 وإليك ، وإلى ولدي وقصرى فمشت بينكم بسلام ،
 حتى يأتي الموت هادم اللذات من أحماق البحر ،
 ولكنه سيكون موتاً طيباً لا مخوفاً ولا مرهوباً ،
 بل سكرة بين أمنة ونماس . بعد إذ الجسم موهون ،
 والقلب فارغ ، والرأس مشتمل والروح سالية قالية . »
 وهكذا ظل الجيبان المشوقان يتحدثان قطعاً
 من الليل ، بينما كانت الرضع وخادمة أخرى تمهدان
 الفراش على ضوء المشاعل ... ثم أقبلت الوصيصة
 فذهبت تمشي بين أيديهما إلى الخدع ، وفي يديهما
 المشعل المقدس يفيض نوراً ولألاء كما أفاض منذ
 عشرين سنة ... ولفهما ظلام الليل ، وستر الهوى ،
 وسكن البهو بعدما ضج بالعرز والقصف ، وهذا
 القصر في سدول السعادة

(الفصل الأخير في المدد القبل)

درينى خشيبة

غير شك ، خفق قلبها خفقاناً شديداً ، وانطلقت
 تمدو نحوه ، ثم طوقت عنقه بذراعها ، وراحت
 تبكي وتنتحب ، وتقول له : « لانتقم علي إذن
 يا أوديسيوس ، ولا يحزنك أنني لم أعرفك منذ
 أول نظرة ... أواه أيها العزيز ! لقد قضت الآلهة
 أن تفرق وتعدب كل هذه السنين وما كان من
 شكي فهو أثر من احتراسي خشية أن يخدعي
 أحد فيدعي أنه أنت ، ويخرف على ويهرج
 حتى ينالني بالخدع والخب ... ولكن ما دمت قد
 ذكرت لي سر الخدع والسرير والزيوت ، وهو ما
 لا يعلمه أحد غيري وغيرك وغير يوريكيا ، فالآن
 فاهنا ، ولأهنا أنا ، وليطمئن قلبي ... قلبي الوفي
 الذي أوده إليك كآخر عهدك به ، لا ينطوي إلا
 على حبك ، ولا يضرع غير الوفاء لك .. » وعانقها
 أوديسيوس ... وضم إلى صدره صدرها ... والتف
 حول عنقه ذراعاه البستان البيضاءوان — وجد
 عاجهما الناعم الأملس حول كاهله ، ووقف أوديسيوس
 على شاطئ الد كرى كما يقف السباح التعب النهوك
 على شاطئ البحر وقد بلغه بعد جهد ، فأعضاؤه متراخية
 وأعضاؤه موهونة ، وقلبه خفق ، وروحه نشوى ،
 وذراعاه مع ذلك معلقتان بالشاطئ وقد سمرتا فيه ...
 وقال بعد لأي : « والله يا زوجتي العزيزة إنا ما بلغنا
 بعد نهاية أشجاننا وأحزانتنا ، وإن أماننا لا مدأ
 بعيداً وهو ما أخر تنبأ لي عنها الكاهن تيريزاس
 حينما رحلت إليه في هيدز ، وإني لأدري ماذا يكون
 من أمري ... ولكن ... لا ... لننتقل الآن إلى
 نخدعنا العزيز الطاهر فإن في حاجة إلى الراحة
 والاستجمام ... وإن بي لشوقاً مبرحاً وتزعماً شديداً
 إليك . » فقالت بثلوب : « الخدع الطاهر التقى بمد
 في أيام لحظة أردت يا أوديسيوس العزيز ... بيد أنك
 أثرت شجني وفزعت شجوي بما ذكرت عما



ع



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب

على مدى وبصيرة

الرسالة : تعبر باخلاص عن روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية

الرسالة : تصور مظاهر العبقريّة للامة العربية

الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية

الرسالة : تحيي في النشء اساليب البلاغة العربية

مجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

الجديد ، وسجل الأدب الحديث ، ودائرة معارف عامة

الاشتراك الداخل ستون قرشاً ، والخارجي ما يساوي جنبها مصرياً ، والبلاد العربية يخضع ٢٠ ٪

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المستول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ عن العدد الواحد

الادارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

المجلة

مجلة الأسبوعية للقصص والبرائح

نصدر مؤقناً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الأولى

١٣ ذى القعدة سنة ١٣٥٦ — ١٥ يناير سنة ١٩٣٨

العدد ٢٤

من أحسن القصص



فهرس العدد

صفحة	
١٢٨٢	النجوم
١٤٨٦	الضهرة بعد الثمانين ..
١٤٨٨	١٩ مارس
١٥٠١	هبة الموت
١٥٠٤	الصلم
١٥١٠	عروس البحر
١٥١٣	الأم المتوحشة
١٥١٩	الدهر العلم
١٥١٩	لينوتشكا
١٥٣٦	الأوذيسة
١٥٤٢	فهرس المجلد الأول من الرواية
	للقصصى الفرنسى ألفونس دوديه
	مترجمة عن الانجليزية
	للقصصى بوريس فلييوف
	للكاتب الفرنسى أناتول فرانس
	للكاتبة الانجليزية لوز هيلجرز ..
	للشاعر الهندى رايندانات طاغور
	للقصصى الفرنسى دى موباسان ..
	أقصوصة مصرية
	للقصصى الروسى اسكندر كوبرين
	لهوميروس
	بقلم أحمد حسن الزيات
	بقلم الأستاذ عبد الطيف النشار
	بقلم الأستاذ محمد لطفي جمعة
	بقلم السيد محمد الزاوى
	بقلم الأديب جورج سلسي
	بقلم السيد فخرى شهاب السعيدى
	بقلم الأديب كمال الحريرى
	بقلم الأديب نجيب محفوظ
	بقلم شكرى محمد عياد
	بقلم الأستاذ دبريني خشبة

النجم

قصة راجع من عمارة الغنم
للقصص الفرنسي ألفونس دوديه
بقلم أحمد حسن الزيات

أو إليها أن يقص على
أبناء الناس في السهل
من حفلات التعميد
ومهرجانات الزواج ؛
ولكن الشيء الذي
كان يثير شوقي
ويستبد بهواي ، هو
أن ينمط الحديث
ويستفيض إلى حال
ابنة سيدي الأنسة
اصطيفانيت وهي أجل

فتاة في القراسخ المشرفة التي تحيط بهذه البقعة
كنت أسأل وأنا أخفي مظاهر الاهتمام : هل
تذهب غالباً إلى الحفلات والأهباء ، وهل يتقدم
إليها كثير من الشباب الطرقات ؟ ولئن سألتني سائل
ماذا ترد عليك هذه الأبناء وأنت الراعي الفقير الحجير
لأقولن له إنني كنت قد بلغت سن العشرين وكانت
هذه الأنسة هي كل ما رأيت وعلمت في حياتي من
الجمال والحسن

وفي ذات أحد من الآحاد كنت أنتظر زاد
الأسبوعين فلم يصل في موعده. فخلعت تأخره في الصباح
على حفلة القداس ؛ ولما منع النهار واثرت العاصفة
عزوته إلى أن البتل لم يستطع السير لرداءة
الجو ووحل الطريق . ثم اقتربت الساعة الثالثة
فصححت النساء ، وانتمت الجبل بالشمس والماء ،
فسنمت من خلال رفيف (١) الأشجار وخير
الجداول صوت الجلالج في عنق البتل ، وهو في
بهجة جرسه وحده رنينه أشبه بايقاع الأجراس

(١) رف الشجر : تقاطر من أوراقه الندى أو الماء

كنت وأنا أرمي الغنم على شفاف اللورون
أفنى الأسابيع الطوال لا أسمع صوتاً يهتف ولا
أرى قدماً تسمى . فأنا وحدي أعيش في الرعي
القفز لا أجد بجانبني غير كلبى ، ولا أنظر أمامي
غير قطيعي ، اللهم إلا ناسك (مندلور) فقد كان يمر
من حين إلى حين بهذا المكان وهو يبحث عن
الأعشاب الطبية في الجبل ، وإلا بعض الفحامين
من أهل (ييمون) ألح وجوههم السود وهم
يمرون من بعيد ؛ ولكن هؤلاء الناس قد فقدوا
الرغبة في الكلام لطول المزلة فأسيروا بداء الصمت ،
وجعلوا تصاريف العيش وأقويل الناس في القرى
والمدن فنلت عليهم السذاجة .

كذلك كنت أسمع في كل أسبوعين جلالج
بنلنا وهو يصعد في حذور الجبل حاملاً إلى زاد
نصف الشهر ، فأنظر إليه وهو يلوح من فوق
المنحدر شيئاً فشيئاً وقد تتأ على ظهره رأس
فلاح الزرعة الشاب ، أو قناع القمعة (نوراد)
الشيخة . حقاً لقد كنت سميماً ! كنت أطلب إليه

نوبها الأنيق قليلاً خافة أن يبتل ، ودخلت الحظيرة تريد أن ترى الركن الذي أنام فيه ، ومذود الفئس الذي أرقد عليه ، ومعطف الملق على الحائط ، ثم عصا وزنادى الموضوعين على الأرض ، فوجدت في كل أولئك مبعثاً لئو وسيلاً إلى الفرجة .

قالت الأنسة الجميلة : إذن أنت تعيش هنا ياراعى ؟ المسكين ! لا ريب أنك تضجر من القيام لطول الوحدة وضيق العزلة . قل لي ماذا تصنع وفيك تفكر ؟ فقام بنفسه أن أجيبها : « فيك يا سيدي » وما كنت أكذب بهذا الجواب على نفسي ، ولكنني كنت من اضطراب النفس بحيث لا أجد كلمة تقال ولا جواباً يُفنى .

وأعتقد أنها لاحظت على ذلك الاضطراب ، فوجدت الخبيثة سرور قلبها في أن تضاعف ربكي بأستلها الماشية ، قالت :

— وصديقتك الطيبة ياراعى ؟ أما تصعد الجبل لتراك من حين إلى حين ؟ لا بد أن تكون هي المرة الذهبية أو الحورية (إستيريل) التي لا تركز إلا على رموس الجبال .

كانت اصطفايت نفسها وهي تتحدث إلى أشبه . الناس بالحورية إستيريل في جمال ضحكها ورأسها مائل إلى الخلف ، وسرعة عودنها سرعة جعلت ظهورها أشبه بالزؤا .

— استودعك الله ياراعى !

— وأنت في أمان الله يا سيدنى .

ثم ألتفت على البغل سلالها الفارغة وانصرفت . فلما غيبتا الطريق المنحدر كان يخيل إلى أن الحصى الذي كان يتطاير من حوافر البغل يقع على فؤادى خصاء حصاة ؟ وقد بقى وقعة في أذنى طويلاً ، طويلاً . وظللت بقية النهار كالوستان

في عيد الفصح . ولكن الذي كان يقوده في هذه المرة لم يكن فلاح المزعة ولا العمة نوراد ؛ إنما كان ... إحزر من ؟ كان الذي يقوده آنستنا بنفسها ... آنستنا بشخصها ... استوت على صوته في اعتدال بين جنيتيه ^(١) وقد تورد خداهما من هواء الجبل وطراءة الجو بعد الماصفة

وقفت اصطفايت الجميلة مطيئها على باب الحظيرة ، ثم قالت وهي تترجل : إن الفتى مريض ، والعمة نوراد في عطلة عند أولادها ؛ وإن الذي عوقها هو ضالها في شعاب الطريق .

ولكن الذي أراها في زينة يوم الأحد بشرطها المسكل بالزهر ، ونطاقها المضمخ بالمطر ، وفستانها المجلد بالخرم ، يظنها لجمال هندامها وحسن شاربتها قد أضاعفت وقتها في مراقبة الرجال ، لا في تلمس طريقها بين الأدغال

يا للمخلوقة الظرفية ! إن عيني كانتا تحملتان إليها في غير فتور ولا ملل . كانت هذه هي المرة الأولى التي أرى فيها اصطفايت من قرب . فما كنت أراها إلا في الشتاء حيناً اهبط السهل بالقطمان ، وأرجع إلى الضيعة في المساء لتناول العشاء : كنت ألقها أحياناً تجتاز الردهة في خفة النزلة لا تعوج على شيء ولا تتحدث إلى خادم . وكانت دائماً على أتم ما تكون الفتاة من الزينة ، وعلى أقل ما تظهر الجميلة من الزهو . أما الآن فعلى وأماى ولأجلى ؛ أرتو إليها بمجامع عيني ، ولا يحول شيء بينها وبينى ؛ أليس ذلك مما يُزهِف الفؤاد ويُذهب الروع ؟ أخرجت اصطفايت الزاد من البستين ثم أخذت تنظر إلى ماحولها نظرة استطلاع وشوق ؛ ثم شممت

(١) جنيتا البعر والبغل ما يحمل على جنبه

على أن الليل كان قد غشى الأرض ، فلم يبق إلا غبار من الشمس على شفاف الجبل ، أو بخار من الضوء على حواشي الغرب ؛ فطلبتُ إلى الآنسة أن تدخل الحظيرة لتسريح وتنفو ، وبسطت لها فروة جديدة من جلود الخراف على فراش من القش الطرى الوثير ، ثم غنيت لها ليلة سعيدة ونومة هنيئة ، وخرجت فجلست أمام الباب .

شهد الله أننى على الرغم من نار الحب التي كانت تحرق دمي وتلغز شفاف قلبي لم يرد على فكرى خاطر سوء ، ولم تقم بنفسى رغبة منكرة . اللهم لا شيء إلا نحوه شديدة فيها الكبروفها الفخر ، لأن في زوايا من زوايا الحظيرة ، وعلى مقربة من القطيع المستطلع ، ترقد ابنة سيدي في رعابي وحمايتي ، كأنها منجاة لم يخلق الله في قطمان الأرض أغلى منها قيمة ولا أنصع منها بشرة !

أبدأ لم أرا الساء في مثل هذا العمق ، ولم أشاهد النجوم على مثل هذا البهاء . كل شيء في الكون مما حوالى قد تغير في نفسى وفي عيني هذه الليلة !

كان بصري يجول في رقيق الجلد ، وفكرى يسبح في أجواء الخيال ، وإذا باب الحظيرة يفتح ، والآنسة الجميلة تخرج ! بنا بها الفراش فلم تكتحل عينها بنوم ! لأن النعم كانت تحدث في القش خشخشة وهي تتحرك ، أو تردد الثناء وهي تحلم ، فالمتنع عليها الرقاد فأثرت أن تكون بجانب النار . فلما رأيت ذلك منها طرحت على كتفها فروق ثم أرمت النار وهيجت اللهب وجلستنا نصلبها جنباً إلى جنب ، لأنيس بكلمة ولا نههم بحديث

لو كنت قضيت ليلة في المراء تحت النجوم لعرفت

لا أجرو على الحركة مخافة أن يقبده هذا الخلم .

فلما تضيفت الشمس للغروب ، وأخذت بطون الأودية تزرق لدنو المساء ، والأغانم الثاغية يتضام بعضها إلى بعض لتدخل الحظيرة ، سمعت صوتاً يهتف بي من المنحدر ، ورأيت فتاتنا ترجع لامتلهة ولا متدلة كما كان يظهر عليها منذ هنيئة ، ولكنها كانت ترتجف من الخوف وترتمش من الليل .

والظاهر أنها حين بلغت أسفل الجبل رأت نهر (السر) قد طما وفاض بعد المطر ، فأرادت أن تنامر في عبوره فأشفت بها الغامرة على الفرق .

وأفطع ما في الأمر أنها في هذه الساعة من الليل لا تستطيع أن تفكر في العودة إلى الضيعة ، لأنها وحدها لا تتيقن معالم الطريق ولا تأمن عوارضه ، وأنا لا أستطيع أن أترك القطيع لأبلغ بها موضع الأمن . والتفكير في أنها ستقضي ليلتها على الجبل في هذا المكان يعض قلبها بالهم ويقض جنبها بالقلق ، لأن أهلها على الأخص سيبيتون من الاشفاق والخوف على غير قرار ولا سكينه . فسكنت روعها وأزلت خوفها وقلت لها :

لا بأس عليك ! إن ليالي يوليوقصار يا سيدي ؛ وليس في الأمر على سونه ما تخشى عواقبه ، والهم ساعة ثم ينقضى !

ثم أسرعت فأوقدت النار بالخطب الجزل لتجفف عليها قدميها وتوبها ، فقد كان لا يزال يرف من ماء النهر ؛ ثم وضعت بين يديها شيئاً من اللبن والجبن وعزمت عليها أن تأكل . ولكن الصغيرة المسكينه ما كانت تفكر في طعام ولا دء . وغلبها الأمر على العزاء فاستكانت للعبه ؛ وهاج ذلك من نفسى قدممت عيناى أنا أيضاً

كانها راجع سماوى صغير؛ ثم قالت فى لهجة الإعجاب والمعجب:

ما أكثر النجوم وما أجملها! أبداً ما رأيتهما على هذه الكثرة وفى هذا الجمال! هل تعرف أسماءها أيها الراعى؟

أجل يا سيدتى. أنظري! إن فوقنا تماماً «طريق القديس جاك» (بريد الحجرة) إنه يسير من فرنسا قُدماً إلى إسبانيا. خله القديس جاك دى غاليشيا للبطل شيرلان ليبله به على الطريق الواضح فى حروبه الشمواء مع العرب. وعلى بعد منه ترين «مركبة الأرواح» (اللب الأكبر) بمجاورها الأربعة المشرقة. فالنجوم الثلاث اللاتي يسرن فى المقدمة هن الخيول، وهذه النجمة الصغيرة التي ترينها لقاء النجمة الثالثة هى السائق. أترين ذلك الوابل من النجوم الذي يتساقط من حولها؟ تلك هى الأرواح التي لا يريدها الله فى ملكوته

وأدنى من ذلك قليلاً تبصرين «مشط البستاني» أو الملوك الثلاثة (الجوزاء) اتلك ساعتنا معشر الزعاة نؤقت بها حركات الفلك؛ فما هو إلا أن أنظر إليها كما أنظر الآن حتى أعرف أن الليل قد انتصف، وأن نصفه الأول قد مضى. وأدنى من ذلك قليلاً نحو الجنوب يلعب «جان دى ميلان» وهو شملة الأجرام الفلكية (الأبرق)^(١). وإليك ما يزعمه الزعاة عن هذا النجم: يزعمون أن «جان دى ميلان» هو «الملوك الثلاثة» و«قفص الغرارج» (الثريا) كانوا مدعويين ذات ليلة إلى عمرس نجمة من النجوم الصديقة. وكان «قفص الغرارج» معجلاً فسار أول المدعويين واتخذ الطريق الأعلى. أنظري هناك تجديبه فى أقصى السماء. وقطع «الملوك الثلاثة» الطريق من أسفل

(١) من نجوم النمرى الجمانية.

أن عالماً خفياً يستيقظ فى الوحدة والسكون حين يرقد الناس وتسكن الجوارح. حينئذ ترسل الينابيع شذوها الواضح، وتشمل الغدران ألحانها الصغيرة، وتذهب الأرواح وتجيء حرة طليقة، وتشعر أن فى الهواء حفيفاً لا يكاد يحس، وجرساً لا يكاد يدرك، فيخيل إليك أنك تسمع النصوص تنمو والأعشاب تنبت

إن النهار معاش كل حي؛ أما الليل فمأش كل شيء. ومن لم يعمود هذه الظواهر أحس لها رهبة وأوجس منها خيفة. لذلك كانت فتاتنا ترتد من الخوف، وتميل على وتلتصق بي كلما طار إلى أذنها صوت أو حركة. وعلى حين بنته ارتفع إلى أسماعنا من الغدير البراق صوت طويل شجي متموج، وفى اللحظة نفسها انسابت فى أجواز الفضاء نجمة جميلة فسامتت رأسينا، ثم هوت فى اتجاه الصوت كأنما كانت هذه الآلة التي سمعناها تحمل معها هذا الضوء الذي رأيناه

فسألت اصطفايت فى صوت خافت:

— ما هذا؟

فأجبته: هذه روح تدخل الجنة يا سيدتى. ثم رسمت يدي على صدرى علامة الصليب فسلبت هى أيضاً، ومكنت برهة مرفوعة الرأس مشدوهة الفكر متزايلة المشاعر ثم قالت:

أحق أنكم يا معشر الزعاة سحرة؟

قلت لها: كلا يا آنستى؛ ولكننا فى الجبل نعيش على مقربة من الكواكب، فنحن نعلم من أمرها وسرهما مالا يعلمه سكان السهول وكانت لا تزال تنظر فى النجوم وقد اعتمد رأسها على كفها واتشحت بجملد الخروف، فبدت

الشهرة بعد الثمانين

مترجمته عن الانجليزية

للاستاذ عبد اللطيف النشار



لم يقولوا للسستر « إيدى وارن » إنه في اليوم الذي يبلغ فيه عامه الثاني والثمانين سيرى أماله في الحياة وقد تحققت كلها : تلك الآمال التي قضى العمر في النزوع إليها . ولكنهم أخبروه بأنه في ذلك اليوم سينال نعمة يكون لها أثر حسن في بقية حياته وكان « إيدى » منذ السادسة عشرة من عمره موسيقياً يشتغل في المسرح ، لكنه لم يكن قط نابئاً في مهنته . ولم يهتم أحد قط من أصحابه على كثرة عددهم بأنه من البعيرين . فقد كانت شخصيته عادية لا ميزة لها سوى شدة ما بها من الغموض لكنه كان يحب المسرح من كل قلبه ، وكان يعتقد أنه طيب القلب . وكان لذلك يثق بنفسه ثقة عظيمة . ويرى أن هذه الثقة هي السبب في احتماله حرفته كل هذه المدة الطويلة دون أن يصادف منها نجاحاً ودون أن يطمح في بلوغ غاية

وكان « إيدى وارن » رجلاً متواضعاً ، ولولا اعتقاده أنه طيب القلب لما قبل أن يشتغل في مسرح من أحقر المسارح في حي منزله من أحياء المدينة الفقيرة . لكنه بالرغم من تواضعه واقتناعه كان يمس ويقلب في بعض الأحيان ، ويقول لأصحابه : « سيأتي يوم من الأيام ترون فيه اسمي مكتوباً بحروف من النور في شارع « وست أند »

يُكتب اسمه بالأنوار ! ذلك أمل لا يلبثه من المثليين غير العظيم النابه الذي يستحق أن يقرأ اسمه

أسفل فلحقوا به . أما الكسول النؤوم « جان دي ميلان » فقد قد به كسله ونومه عن اللحاق فظل في المؤخرة ؛ وثارت به الحمية فرماه بمصاه يريد أن يفهم بها . ومن ذلك سُمي « الملوك الثلاثة » عصا « جان دي ميلان » أيضاً

على أن أجل الكواكب جماء إنما هو كوكبنا يا سيدتي : كوكب الراعي ؛ ذلك الذي يضيء لنا في النجوم حيناً نندو بالقطيع إلى الرعي ، وفي الغروب حيناً نزوح به إلى الحظيرة . وإنا لنسميه أيضاً (ماجولون) : ماجولون الجيلة التي تجرى وراء « بير دي بروفس » (زحل) ثم تزوج منه كل سبع سنين . فقالت الجيلة :

— كيف أيها الراعي ؟ وهل بين النجوم زواج ؟

— نعم يا سيدتي ولا ريب

وأخذت أشرح لها كيف يكون زواج النجوم وقران الكواكب ، ولكنني أحسست شيئاً ديارقياً يقع على كفتي في لين ورفق . ذلك كان رأسها الجليل أماله خدّر الناس فاستاق على في تكسر قليل جميل نال الشريط المزدهر ، والخزف المكوي ، والشعر الموج . وباتت هكذا لا تفريق ولا تحرك حتى شجب وجه السماء ، وذوى روض النجوم ، وغرقت هواذي الليل في ضوء الصباح المنتشر . وكنت أرامقها وهي في حضن الكرى وفي أعماق نفسى ثورة ، وفي صميم قلبي اضطراب . ولكنني كنت في حي هذا الليل السافر الباهر لأهم بسوء ، ولا أفكر في ريبة ، ولا أحطّر بيالي غير الخواطر الجيلة . وكانت الكواكب من حولنا ومن فوقنا تواصل سيرها القبول الصامت كأنها القطيع الوديع الضخم ، وقد تتل في نفسي لحظة من اللحظات أن نجمة من هاتيك النجوم هي أجملها رؤاء وأبهرها ضياء قد ضلت طريقها فأقبلت علي واستلقت على كفتي لتنام ! الزينات

أنفسمهم من السرور . وبدت على ثغره ابتسامة مضئنة ، وضحك خجلك من استخفه الطرب . وكان الإعلان بالمصاييح يتضمن هذه العبارة :

إيدى وارن الموسيق المثل الغريب الأطوار
الاسم بالأنوار ! نسى وارن في هذه اللحظة أنه مريض ، ونسى كل شيء إلا أن المعجزة التي كان يرجوها قد تحققت ، وأنه قد بلغ ما كان يرجو اسمه ! اسمه هو لا اسم رجل آخر !

اسمه بالنور ! وكان الرق البارد يتصبب من جبينه ، ولكن ثغره مشرق بابتسامة وقلبه خافق بشديد

وكان المسرح غاصاً بالناس بفضل النشاط الذي أبداه المثلون . ولما جاء موعد رفع الستار حلوا «إيدى» إلى المسرح ووضعوا على صدره «الكان» مسح الرجل عينيه من دموع الضعف ودموع الهرم ودموع السعادة ، ثم وقع بضمة الحان مرحة . ولما أوشك الدور أن ينتهى سقط «الكان» من يده وصاح من كانوا على منصة المسرح :

« الطبيب ! الطبيب ! إن إيدى قد ... »

وهرعوا إلى جسمه الضئيل فخلل إليهم أنهم لا ينظرون إلى جثمان ميت ، فأنف الوجه يضيء بالبشر ، والشفنتين يقرتان من ابتسامة وسأل أحدهم الطبيب :

« أخبرنا هل هو .. ؟ هل هو ... ؟ »

وقبل أن يجيبه الطبيب دخل عامل الكهرباء متهاً فاندس بين الواقفين دون أن يلاحظ سبب اجتماعهم وقال : « لقد حدث خلل في الجهاز الكهربائي الذى يضيء في الشارع فانطفأ النور الذى على باب المسرح وانطفأ اسم «إيدى وارن» عبر اللطيف النشار

كل رجل وكل امرأة وكل طفل في لندن . وكان وارن يعتقد أن سيأتي يوم ينال فيه ذلك المجد فيرى اسمه مضئاً أمام أكبر مسرح في العاصمة .

وقد بلغ الآن الثانية الثمانين ولما ينل هذا المجد . وكانت صحته سيئة ، حتى لقد أشار عليه أطباؤه ألا يطيل الجلوس بين أصدقائه ، فقصى ثلاثة أعوام في فراشه لا يمارحه إلا إلى المسرح . وهو يعلم بأنه سيأتي اليوم الذى يري فيه اسمه مكتوباً بالنور

وكان أمه في المسرح لا يبشر بذلك ؛ فإن مئات الألوف سموه وهويفى ، ولكن الذين يذكرونه لا يتجاوز عددهم مائة . على أنه كان ذا أصدقاء حقيقيين يربو عددهم على أصدقاء أى موسيق آخر . وكانوا من مختلف الطبقات : من أدنى السوقة طبقة إلى أعلى العسكرية مرتبة ، وفيهم المثلون والممثلات ؛ وله على الطائفة الكبيرة أفضال سابقة ، فهو لذلك حائر لثقته ، فقد كان يخلص النصح لكل فرد من أفرادها عند حدوث الأزمات . وكان رأيهم فيه قبيحاً ، ولكنهم على الرغم من ذلك يحبونه .

ولما علموا بقرب عيد ميلاده الذى يبلغ فيه الثانية والثمانين جدوا في العمل واشتركوا في تقديم هدية عظيمة إليه ، وودروا لذلك تديراً بديعاً يمود عليه بالكسب الوفير بعد الحفلة التي عزموا على إقامتها وأعلنوا عنها . ولم يكن الجمهور على علم بصاحب هذا الاسم الذى تقام الحفلة من أجله

واستأجر المثلون المسرح من دون أن يخبروه . وفي مساء الذى تقام فيه الحفلة جاءوا إليه بمد أن جن الظلام فوجدوه في حالة ضعف شديد فقادوه إلى المسرح في عربة . ولما وقع بصره على اسمه مكتوباً بالنور كوفى المثلون على متاعهم وعلى ما أنفقوه من المال بما أدخله صاحبهم الفانى على

١٩ مارس

قصة بوليسية جامعة للقصص الروسي بوريس فيليبوف بقلم الأستاذ محمد لطفي جمعة

إليه سوى خادمة المطعم ،
وهي الأخرى روسية
حسنة ... بنت جنرال أو
أمير بحر في خدمة القيصر
وقد تركت الأهل والأوطان
لتنشد الحرية في القرية
وهي أبية أشد الإباء ، عفيفة
حتى عن الحلال الذي
يجوده الطاعمون . فلم أجد

ما أقوله إلا أن أسألهما عن زل أحط فيه رحلى ،
ولو إلى حين . ولا خاطبتهما بالروسية ابستم
وغضت من بصرها ، وأجابني بالفرنسية : إنها
لا تفهم اللسان الذي كلنهما به !! لتخفي شخصيتها
وتظهر كرامتها ؟ . ولكن لم يكن أصلها وجنسها
ليخفيا على أحد من أهل وطنها . فهذا الجلال البارع
والقد الفارع والشعر الذهبي والأعين الفيروزية
والبشرة الناعمة ، لا تكون لواحدة من بنات أوروبا
الفرية . وأخيراً أخذت أسأل نفسي أتكون تلك
الصبية بغير حليل أو خليل ؟ وهل تفتش على الخبز
والمثل الأعلى ، ولا تشعر بحاجتها إلى الحب ؟ وكان
المطر ما زال هائلاً ، وكنت انتهيت من غدائي ، ولم
يبق لي إلا أن أنصرف . فقالت لي :

— عليك بذل راسين في خطة سان جورج ،
تركب إليه مركبة الكهرباء من ميدان بليريه على
قيد خطوات من هذا المكان ، فتقف بياه
فنهضت وودعتها ، وأخذت سحني إلى موقف
الترام وانتظرت تحت سقيفة من الخشب الطلو
باللون الأحمر ؛ غير أن المطر جرف اللون فازداد حمرة
وهو يتساقط في خيوط متواصلة كأسلاك من

وصلت مدينة جنيف عند الظهر في ذلك اليوم
الذي لأنساء ، وكان المطر نازلاً من السماء كالوكان
هابطاً من أفواه القرب التي أفلتت من أيدي
السقائين ! مطر أحمر ممزوج بتراب قرمزي كأحسن
ما يصنع المصورون لتلوين لوحاتهم . مطر ثقيل غزير
كجبات كبيرة من العقيق الأحمر الذي يؤتى به من
بلاد العرب السعيدة ، ليجملوه أفراتاً للنساء وحلياً
لخواتهن . مطر غريب بلون الدم السائل من جراح
الملائكة في معركة حامية وراء السحاب . مطر لم
ير أهل المدينة مثله ولم يملوا تليله . وكنا على
أعتاب الربيع ، أليس هذا عجيباً ؟ هل يدل على الخريف
أو الشر ؟ لم أكن أعرف الطيرة ، فلم أكرث
وجلست أرقبه وأزدرد غدائي في مطعم روسي
بشارع كوراتري كانت يأوى إليه دفتسكي
وكراتسكي وأوليانوف وغيرهم من المهاجرين ؟
ولكنني لم أجد أحداً منهم لأنهم لا يردونه إلا وقت
المساء . أما في تلك الساعة فكانوا لا شق في سرورهم
يفعلون في نوم عميق ، لأنهم يقضون معظم ليالهم
في الثروة وشرب الشاي وانظار الفرج في المستقبل
القريب ... أو البعيد ... فلم أجد أحداً أهو بالحديث

والافتقار... ولكن ماذا تصنع لتلك الحكومة التي لا تمشي إلا في ظل جيش عرمرم من الجواسيس، ولا تكتفي بمراقبة الرجال، بل أشباه الرجال وأشباه الرجال... ذع عنك أن شعورك بأنك موضع الرية ومثار الشكوك يشل حركتك، ويسرق سميك، ويربك أعمالك، ويقص الناس عنك. فإذا أنا فاعل إذا؟ بلغت المكان الذي أقصد إليه، وكان هذا اللفظ الثقيل في أروى، يتحرى اسمي ولقي وسنى وصنعتي ومقصدي ومصدري وموردي، ثم أقع في عش زناير، ثمُد فيه أنفاسي، وتقاس خطواتي، وتلتفت كلاني، وتبث الأيدي بأوراق، وتختلس صوري، وتذهب نظرائي، ويسترق السمع من وراء أبوابي ونوافذني؛ إنها إذن حياة لا نطاق وعيشة بغيضة وسجن لا يحتمل. فإذا أنا صانع لأضل هذا الوغد الذي لم يؤت من «الفن» ما يكفي لإخفاء أمره على فريسته؟ تخنت لو لم أكن روسياً من مواليد ١٩ مارس سنة ١٨ بمدينة كيف يتدن: مقاطعة يادولى... وعند ذلك ذكرت أن اليوم عيد ميلادى، وأنى جئت جنيف لأرى الشمس وأزهار الربيع وزرقة الماء في البحيرة الشهيرة، وقة الجبل الأبيض الممتعة بالجليد. فإذا بالشمس محتجة وراء براقع سميكة من النجوم المتراكمة، وإذا السماء تمطر ماء أحمر كالدم القاني؛ أما الأزهار فقد انثنت أعناقها وطأطأت رؤوسها؛ وإذا بى أقع في غالب تلك الجاسوسة الحسناء التي أسلمتني بغير جريرة ولا ذنب لذلك «الخبر» التهلك في حرفته الحفيرة... فياله من عيد ميلاد سعيد! واليايتى بقيت في لوزان المريزة، آمناً في سربي، مطمئناً في غرفي، محاطاً بتناية مدام بروشييه التي لا عيب فيها إلا أثرتها! (٧)

النحاس الأحمر متصلة بين السماء والأرض. كانت مركبة الكهرباء خالية إلا من راكب واحد، شابه المنظر، شره العين والأذن، زت الهيئة أخذ يربني عن كسب، ويتظاهر بالقراءة في «جورنال دى جنيف» وهو لا يقرأ في الواقع إلا صحيفة وجهى، ولا يدرس إلا ثيابي يحاول أن يفهم شخصيتي من ألقى إلى يائى... وكان الخبيث يرهف أذنيه ليتسمع الحديث بيني وبين نفسي؛ فلما أعطاني اللتزم تذكرة ونقده ثمنها، أخذ يسأله ويتلقى جوابه في حذر، وقد كان بلا يرب يسأله عن الناحية التي أقصد إليها، ولكن باع التذاكر خانه بنظرة في اتجاهي، فحنق الراكب النسيم القدر عليه وغضب وأدار وجهه وزم الصمت حتى ظننته مجنوناً فأخذت أقرأ في كتاب، ولم آت على صفحة كاملة حتى اهتديت إلى حقيقة الرجل أو ماظننته حقيقة أمره. لا بد أن يكون جاسوساً روسياً يتعقبني كما تتبعهم: يتعقبون كل شاب روسى في السبلاد الأجنبية... خصوصاً إذا كانت ميوله مجهولة... آه فطنت الآن فقط! هذه البنت للملونة خادمة المطعم لا بد أنها «أرشدته» إليّ بعد أن وجهتني إلى المكان الذي تريده، لأبقى تحت مراقبتهم. إذن هي قميصة الجواسيس وكبيرة الخبيرن وشيخة «البصامين» في هذه البقعة. وها قد وقعت أول ما وقعت في فوهة البركان، أو بين فكي الأسد! الله ما أذكاني وما أيقظ شعوري! لقد دلتني قلبي على الفخ الذي يجب أن أسقط فيه... ولكن علام هذا الاضطراب وتلك الوسوسة؟ أمطلوب أنا الحكومة القيصر؟ أم ألقى فوضوى أو نأثر خطر؟ لا ههنا ولا ذاك... لست «مشبوهاً» وليس في تاريخي تهمة تقتضى التقصى

الحفرة من جهنم أم لا أقصد إليها ؟

— شأتى ؟ أنا صاحب الزلزل يسيدى ، وسترى

أنه ليس حفرة من جهنم بل روضة من النعم ...

— ولماذا كنت تتقن أتى منذ ركبت الترام ؟

— توهمت أنك سيد غريب تريد الإقامة في

مكان هادىء فأردت أن أؤدى خدمة لك ...

ولنفسى . فضل أولاً بالدخول لتستريح من وعشاء

السفر ، فأثار التعب بادية عليك . وعندنا حمام مستعد

ومائدة لا تخلو من الطعام الشهى . وكان المطر

الأحمر لا يزال يهطل ولكنى لم أكن أبالى .

وفى تلك اللحظة أطل من باب الشرفة طفلان

كاللائكة وقالوا فى نفس واحد :

— بابا . أدخل وادع السيد . معك ولا تتلقيا

هذا المطر الأحمر الفظيع ، إنه كالدم ! فقال الرجل

« بونجور فرد ! بونجور قينجوا » فقال فى صوت واحد

« بونجور بابا » فسرى عنى وقلت لنفسى : لا يكون

هذان الطفلان من أعوان المؤامرة على ، فإنهما

أظهر من أن بكيدا الغريب . البيت الذى فيه أطفال

مأمون العاقبة . ثم ألقيت بنظرة أخرى فإذا

الأشجار الباسقة تظلل المدخل ، والزرع الأخضر

المحضل بالمطر الأحمر قد اكتسب حلة غريبة بمعجز

عن التفنن فى تأليف ألوانها أهر المصورين - فدخلت

وصعدت الدرج والرجل يسبقنى يضع خطوات .

ولم أكد أصل إلى الردهة حتى تقدمت إلى خادم

وتناولت عصاى ومطفى وقيمتى وخلعت يديها

حذاءى (كما لو كنت فى بيت أهلى فى روسيا)

وتقدمنى رأسين نفسه (جاسوس الترام) إلى الحمام

حيث الماء الدافىء وصابون جولدفلور الذى أفضله

فأين أنا منها الآن ! وأين هى منى فى تلك الغربة

الموحشة وليس يبنى وبين يلقى الذى آوى إليه فى

« أئينوديز ألب » إلا بضعة ساعات فى القطار .

وأخيراً فكرت فيما ينجنى من الخطر ويضع على

هؤلاء الشرار جهودهم . وطال تفكيرى ، ثم

هدأتى إلى النزول عند الوقفة الأولى كن بلغ غايته

فإذا تبمنى « خل الدئاب »^(١) الذى يقتفئنى بأمرى

« خضراء الدين » التى باعتنى بغير ثمن ولا ثأر

ولا حقد مبكيت ، فأساله عن علة تبمنى ، فإن لم

أخلص منه بهذه الطريقة السهلة أستغيث بالشرطي

وأصم على اقتياده إلى مقر الجند ، لأقف على داعى

تجنسه . فإن مجابهة الخطر وتجل الحوادث ولو

كانت مُمعدة خير من الخوف ولو كان خيالياً ،

وأروح للنفس من القلق ولو أنه من ثمرات الدهن

الكيليل ...

وقف الترام ونادى « للترم » : سان جورج .

بقى لانسى . القرافة والبستان — كاميانى راسين !

آخر الخط — ترمينوس

ولم يكد الكسارى ينعق بتلك الأسماء متتالية

حتى أسقط فى يدي ووقفت كل شعرة فى بدنى

— لا رعباً ولا فرعاً — ولكن غضباً وغيظاً .

وزلت مرعماً ؛ وقبل أن أستدير رأيت الرجل يدنو

منى فى أدب وخجل لم أعهدهما منه فى المركبة ،

وقد كشف عن رأس أسلح لامع كقشر الزمان

ناعج كبطن الأنفى أجرد كالصحراء وقال :

(لعل سيدي يقصد إلى نزل راسين ؟)

— وما شأنك أنت إن كنت أقصد إلى تلك

أنهما يمزحان أو يمثلان دؤراً تلقائياً ..
فهمسا — وقد استولى كل منهما على أذن من
أذنى — أنه لا يستطيع أن يدخل إلى قاعة الاستقبال
مادام فيها ضيف ، هذا تنبيه ماماعليه ! وهو لا يستطيع
مخالفتها وإلا ... برر ... برر ...

وأخذ الطفلان يرددان في أذنى ويلبيان أمامي
كالطيور الصغيرة المرححة .

وبعد برهة سمعت صوت الحمال ورأيت حقايبى
تحمل إلى أعلى الدار ، ولم يطلب أحداً منى حساباً ،
وجاءت جانبى تخبرنى أن غرفتى قد أعدت وأن
متاعى قد نقل إليها فإلى " إلا أن أصعد ريثما تعدلى
الحمام الدافئ كأخر سيدتها مدام راسين . فتركت
الطفلين وتبعت خطاهما إلى غرفة رحبة أنيقة الأثاث
شرقية شمالية تدخلها الشمس ويتخللها الهواء ،
وكان المطر الدامى لم يقطع ، والنفرة مغطاة على الحديقة
تترامى للناظر من نوافذها مباهج البستان وتسمع
منها أجراس كنيسة عتيقة ، تنحى وراء أبراجها
الضخمة المناظر الأخرى التى ورد اسمها على لسان
الملزم فى الترام ...

فتفتحت جانبى الحقايب وسفقت الثياب فى
مواضعها من الصوان وأطلقت سراح الكتب التى
كانت كالأسرى مكثوفة الأيدي مكتومة الأنفاس
فى ظلام الصناديق وتركتنى لتعد الماء الساخن .
وبعد فترة كنت أختال فى ثياب جديدة وبدت
على " نفرة النعيم وأقيت نظرة على كتبى ، ولكن
قلبى اضطرب واستولى على " القلق مما يدبره لى ذلك
الأصلع اللعين . وزادنى جزعاً أننى لم أجد فى المنزل
أحدًا سوى . ولم أعهد فندقاً يخلو من المقيمين

على سائر أنواع الصابون وفوطة نظيفة وقناني
وأحقاق وأدوات زينة كاملة العدد . وقال لى وهو
يفلق الباب وراءه : سيكون الشاى معداً عند
خروجك . وإذا كان لديك متاع فى " نستودع
الأمانات " بالمحطة ، فما عليك إلا أن تمنطينى رقمه
لنحضره بالتليفون ونسلم الوصول لحامله . بعد فقد
أجره ، فما دريت إلا وأنا أسلمه الوصول بيدى
فابتسم وانحنى وقال « شكرًا سيدى » كأمر خادم
فى أرق فندق ...

فأفقتنى هذه الابتسامة الخبيثة من ذى الوجه
المشوه والرأس الجذوب . ولكن أدبه وصوته كانا
ينافضان تشويبه ودمامته ، فما رأيت مخلوقاً بمضه
يكذب بمضه غير هذا الرجل : راسين ذى المئين
الزرقاوين واللحاب السائل والشعر الأشقر اللعين .
ولكنه لم يعلمنى حتى أفكر فى دمامته ، واتصل كلمح
البرق بمخزن الودائع اتصال المتمود ، وكلف الموظف
بارسال المتاع على جناح السرعة ...

وبعد برهة قصيرة كنت جالساً إلى مائدة أنيقة
أشرب الشاى وأذوق الفطائر اللينة الدسمة . واختفى
راسين ، فظننته منكباً على تدوين تقرير مفصل ليرفمه
إلى رؤسائه !

وفيا أنا أشرب الشاى مشرد الفكر ، غير عانىء
بلذة الراحة بعد التعب والرى بعد الظلم بقدر انشغالى
بما ينتظرنى على يد هذا الجاسوس المتظرف أطلت
« فيجو » وأخوها « فرد » من باب الغرفة وحيانىء
تحية الود

فاستدرجتهما بناعم القول ، وسألتهما عن السيد
الذى قال له « بابا » وكنت أظن حتى تلك اللحظة

يطاع . وبعد هتبه دخل الغرفة في ذل واستخذاء
— يجز رحليه ويلتفت خلفه وينظر نظرة الوجمل
والخدر — راسين — جاسوس الترام — فجلس
في طرف المائدة — فقلت له السيدة :
— دائماً متأخر ؟

فأجابها بصوت الطفل المذنب :

— عفواً يا عزيزتي . فقد كنت ...

ولسكنها لم تمهله حتى يتم كلامه ونظرت إلى
باسمة ساخرة وقالت :

— حضرته زوجي مسيو راسين . ثم دفعت
بوعاء الحساء في ناحية فنهض ومد ذراعيه كالعابد
المنتظر الالهام ، وصرفت السيدة نظرها عنه كما
يصرف رب البدار اللثيم نظره عن ضيف ثقيل أو
زائر متطفل . وأخذت تؤنسي وتقدم إلى الطعام
وتنقله من الصحفة إلى أطباق مختارة آله وأدسه
وأشهاه وهي لا تداعب طفلها إلا قليلاً . وتناولت
قنينة من البور فيها ما طاب من نبيذ الكروم
النية ، وسكنت في قديمي من ياقوتها ورأيت
راسين ينظر إلى دورق البور وقد لمت أضلاعه
وكواكبه بنور الكهرباء وجمرة الخنزة ، وهو يداعب
كأسه بأمله يريد أن يعلأها ، فاقترحت أن يشاركننا
فقلت :

— إن زوجي لا يشرب النبيذ فقد نهأ الطبيب .
أليس كذلك يا راسين ؟

فقال المسكين مغمماً : نه ... نه ... هم يا عزيزتي
ولم يطفىء المسكين ظمأه إلا بلاء القراح الذي
لا طعم له ولا رائحة ولا لون ...

ولما جاء دور الفاكهة تناولت سيلين (وكان

والراجلين غير هذا . وبعد أن أجلت الطرف في
الأشجار سمعت دقات جرس وجاءت جانبتي تنبئني
بحلول موعد العشاء وهو في الساعة — وقد
تمودت أن أتمشى في لوزان قبيل التاسعة أو بعدها
بقليل فأنحدرت على مهل أزل الدرج وأفكر فيها
عسى أن يتحدث لي

ولم أؤكد أصل إلى غرفة الطعام حتى دخلت
على سيدة في الثلاثين من عمرها لم تر عيني أجل
منها ولا أبدع وأروع . وقبل أن أتمكن من
استجلاء روائها وأمتع الطرف بمنظرها الفتان
بدرتني بالتحية والابتسام ، ودعنتي إلى الجلوس على
رأس المائدة كأني صاحب الدار ، وجلست إلى يميني
في ثوب من الحرير الأزرق وحول عنقها عقد من
حجارة زرقاء كريمة ، وفي أذنيها قرطان من الياقوت .
ولما كان الجو لا يزال رطباً من أثر المطر واحتجاب
الشمس في ذلك اليوم — عيد ميلادي ١٩ مارس —
فقد وضمت على كتفها شالاً من الحرير الأبيض ،
وتعطرت بخلاصة الأزهار فتأرج منها الطيب منعماً
مفرها خلافاً

واندفعت تتكلم وتضحك حتى لكانها عرفتني
منذ الصغر

وبعد برهة دعت بولسيها فرد وفيجو فجلسا
على يسارها ، وجاءت الخادم (جانبتي) بوعاء من
الحساء فقالت ربة الدار : هذه خلاصة اللحم ، وتلك
خلاصة الخضر والبقول ، فأيهما تفضل ؟ فإن لدينا
طعاماً لكل ذي ذوق . أما أنا فاختار لك خلاصة
اللحم لأنها تقويك . فلم أخالف لها إشارة لأنها
كانت تتكلم بلهجة الأمر النهائي الذي تمود أن

— خير ... ما دام السيد ومالت إلى تريد أن تعرف اسمي قلت : جوديل ستارسكي من كيف يا دوى — طيب في طريقى إلى باريس وبرلين . فأبرقت أسرتها وتهللت وتركت البيانو، وجلست أمامى وقالت لزوجها من جديد :

« ما دام السيد الطبيب يشفع لك في هذا اليوم وهو عيد ميلادى ، فقد ولدت في ١٩ مارس سنة ١٨٠٠ وقد نسيت أن أقدم إلى هدية ...

فأردت أن أقذف موقف راسين الذى تحول بفضى له شفقة عليه ، وقلت :

— عيد ميلادك ١٩ مارس ؟ يا للعجب ! فقالت : وأى عجب في ذلك ؟ الآن المظر كان أحر ؟

قلت : كلا ، بل لأنه عيد ميلادى أنا أيضاً فاحمر وجه المرأة وانفعلت ولمت عينها ، وقالت : إنه عيد سعيد حقاً . وقال راسين : كنت أثنى أن أقفرغ لانتفاء هديتى إليك ولكن تبقى السيد وتطوعى لارشاده إلى الزل أنسانى

قلت : لا عليك يا راسين فقد عفوت عنك . فقالت : أنا الكفيل بهدية العيد لهذه المصادفة .

السارة

ومجاهلت سيلين وجود زوجها وانصرفت بفكرها ونظرها وحواسها إلى ، وكأنها عرفتني منذ طفولتها فأخذت تحدثنى عن ماضيها ونشأتها في أسرة غنية ، وكيف أن أباهما كان يثير الإعجاب والاحسد بما يعمل في يوم ميلادهما إذ كان ينفق المال بغير حساب ، ويوزع الهدايا والتحف على الجميع . وكانت تسخر من زوجها سخرية

هذا اسمها) برقالة وقشرتها وفصلت فصوصها عن بنورها بمهارة وأضافت إليها السكر وعصير الزهر وقدمتها إلى متهبجة ، ودحرجت لزوجها برقالة مريضة صفراء مجمدة . ولو كان في البرتقال إناث عوانس . لكنت منها تلك التى زفت إلى راسين . ونهضنا عن المائدة واتقلنا إلى غرفة الجلوس ، فبارت أمامى ، لا لتتقدمنى ولكن لترى قدما وثوبها ينحدر من خصرها الناحل إلى كتيب أردافها المترنة ...

وأخذت مكانها بجانب البيانو بحيث أرى وجهها وأسمع صوتها وأمتع الطرف بأناملها الدقيقة الطائلة وحى تداعب مفاتيح العاج ، وأخذت تعزف أنغام « حديقة بلبل القطر » من أطرب ما ألفه « تشيكوفسكى »

وفي أثناء العزف دخل راسين يتسلل كالجرذ السالوخ بصلمته البراقة التى أشبهت في نظري مؤخر قرد عتيق ، فلم أستطع أن أكنم ضحكي فوقفت سيلين ونظرت إلى قائلة :

هل يضحكك عزفى ؟

فقلت : لا ...

فنظرت إلى زوجها وقالت : أنت هنا ؟ ألم أقل لك أن ترقد الأطفال أولاً ؟ فقال : لقد ذهبا إلى جديتنا ليلها بمجديتها قبل النوم

فقلت : هذا حسن ، تعلم أنني أصير فريسة أعصابي إذا غيت في حضرتك ثم لا تفارقني ؟

فقلت لها : ذوب يا سيدتى يؤنسنى في السهرة الأولى . فنظرت إلى وسكتت على مضض ، وجلس الرجل مكتئباً منقبض النفس . فقالت سيلين :

— كنت تسألني شيئاً فأكل حديثك
قلت لها : هل هذا الرجل زوجك حقاً ؟
فأطرقت برأسها ، وقالت : نعم
قلت : وهل هو والد هذين المسكين البريثين ؟
فرد وفيجو ؟
قالت : نعم

قلت : ولماذا تاملينه بتلك القسوة ، وتمزجين
على ظهره مزاحاً أليماً في حضرة رجل غريب وأنت
المهذبة المثقفة ؟ حقاً إن جالك وظرفك وذوقك
كانت خليقة برجل أجهل وأرق وأعلم وأكيس
ولكن مادمت رزقت منه ولديك أما كان الأجدر
بك ... فقاطعتني قائلة :

— وهل ولدت حقيقة في ١٩ مارس ؟
قلت : نعم
قالت ولم تملك دموعها في هذه المرة :

— كنا أغنياء وهذا البيت الذي تراه معداً
لنزول الغرباء كان أحد قصورنا الخلوة ، وكان أبي
من أغنى أصحاب مصانع الساعات في هذه القاطنة
وهو الذي اخترع ساعة الهيكل الشهيرة ؛ فبعد أن
بلغت الثامنة من عمري مرضت وفقدت السمع
والتلقت ؛ فلم يدخر أبي وسماً في علاجي وأنفق
نصف ثروته على الأطباء والدجالين والعبيادة
والمشعوذين ، ولكن راح المال على غير طائل ؛
وبعد أن كنت طفلة جميلة ساحرة ذوى جمالي وصرت
شبحاً أصفر اللون ؛ وبعد أن كنت نامية نحواً
حسناً فرهة أسير نحو الأوثة الناحجة بقدم ثابتة
وأمل لامع ، أسميت مخلوقة بلهاء لا أرى ولا أدرك .
وانطفأ نور الكاء من عيني وانقطعت صلاتي بالمال

جارية بين الحين والحين ، وترميه بنظرات أحد
من الخناجر وأحس من الشرر وهو يطأطأ
الرأس وينفض البصر . كان حبه لزوجته نوعاً
من العبادة المكتومة التي يكنها الرقيق المحروم
لؤلأته المعبودة

وقد أدرك الزوج المسكين أن الهفوة الصغرى
أو الإحمال غير المقصود أو اللفظ في غير موضعه
تفقد البقية الباقية من صبرها عليه فتطرده من البيت
أو تقطع عيشه في غير رفق أو تصادفه في رزقه
وتحرمه على الأقل رؤية ولديه (؟) فكانت حاله
حال المسكين الذي يراقب مسلك نفسه ويخشى أن
يخطيء فيني ويحرم

وكانت سيلين تتكلم وتلهو وتزج وأنا في شغل
شاغل ، أقول لنفسى : « أكون هذه الأسرة من
الفطنة وسعة الحيلة بحيث تمثل هذه الأدوار البارعة
لاستدراجي وتقل أخباري ؟ »

وفي الساعة التاسعة نهضت راسين وتقدم إلى
زوجته وقبل يدها ، وحياني بأنحاء صلته الجريئة
وخرج يمشي في أذيل الاستكانة والصنار
وعند ما رأت سيلين ظهره قالت : أف !!

فقلت لها : ليس من حق أن أسألك وأنا ضيفك
وقد أبى أدبك وكرمك أن تسألني عن هويتي قبل
أن تقبلني في بيتك ولم تعرفي ما أدفع لإقامتي
فاحمر وجهها وكادت تصرخ في وجهي ولكنها
ملكنت نفسها وقالت :

لم أنتظر أن تحكم علي بالضمة حتى هذا الدرك
ولكنك منور لأنك لا تعرفنا ... ومرت بيننا
غيمة رأيت فيها أثر دموع جهدت في احتباسها
وقالت :

قالت : الحقيقة أنني عقيب الزواج ضاقت الدنيا
في عيني وتضرعت إلى السماء ، طالبة النور والنجدة ،
ورأيت في نومي أنني أسمع وأنكلم . ففتحت عيني
فإذا الحلم حقيقة . فسرى عني قليلاً وأنا في أشد
الدهشة والمعجب
فضحكت وقلت لها :

— يا لك من جملة تنكرين الجليل ...

فضحكت وقالت : ليس هذا ختام القصة فإن
أبي سلمه زمام ثروته وفوض إليه الأمر كله في
التجارة والإدارة وظن أنه يستريح على ظهره كما
قلت إنني أمرح على ظهره ، فحسب الأثوك المال
والمصنع وضيع التجارة ، ورحنا نحن نخيم جهله
وسخافة عقله . ولم تتمكن من إنقاذ شيء من ثروتنا
غير هذا البيت الذي وهبه الدائنون لي لأن أكبرهم
نصيحاً كان يحبني كأجدى بناته . وهو الذي أشار
علينا باتخاذهم نزلاً .

فأطرقت أما بدوري : وكنت بين مصدق
ومكذب ، لولا أنها حملت إليّ تو الساعة صورها
وهي طفلة ، وهي صبية ، وهي علية ، وهي بشيابة
الإكلييل ، ووثائق المصنع ، وتاريخ والديها
وصورها . فلم يبق لدي شك في صدق روايتها ،
وكانت الساعة الأولى بعد نصف الليل عندما نظرت
إليّ نظرة غريبة وقالت :

— لا بد أنك إداكتور قد تعبت ، فقد حملتك
أعباء تاريخي فوق أعياء السفر . فانهض ونم نوماً
سמידاً فقد أعددت لك فراشاً وثيراً . ونبتى بما
تشبهه للإفطار حتى أعده لك يدي

فقلت لها : عندما رأيت النرفة والسرير قبل

والناس ، وصرت أداة حية ولكنها معطلة . وبلغت
العشرين وأنا على تلك الحال بعد أن جف ماء الحياة
من عودي ، وذبلت نضرة الجمال من وجهي ،
وانقلبت محاسني دمامة لا تطلق

فأشار قسيس الحى على أبي أن يزوجني قبل
أن تفوت على تلك الفرصة من العمر فأمسى عائساً
خرساء صماء تنفاذني أمواج الحياة القاسية . ولم يكن
أبي يفكر في أحد من ذوى المكاة التي تدانينا ،
فاحتواه اليأس حتى كاد يقتله ، فدلله القسيس على
شاب كان يخدم في الكنيسة ، وينظف مقاعدها
ويفتح نوافذها ويفلق أبوابها ويمدها لصلاة الجماعة
يوم الأحد . وكان من أسرة طيبة قعد بها الدهر .
فبكي والدي وكاد يغمى عليه من الحزن . أما والدي
فكانت في ذهول لا رجاء في إفاقته منه
وأخيراً . تم الزواج

فقلت : وكان هذا الرجل راسين

فقال والدموع تخفقها : نعم ! ولكن بعد
الزواج بأسبوع واحد حدثت المعجزة ، فقد عاد إلى
سبمي وبدأت أنكلم كالأطفال وأندرج في النطق إلى
أن استمدت الحاسنتين كاملتين واسترددت حقوق
من الحياة . فتعلمت وثققت ، وحاولت أن أرفع
مستوى زوجي الثمأس فلم أستطع ، فإن من اعوجاج
الرجل مالا تملك أقدر النساء تقويمه

وفكرت أن أنفصل عنه . فلم يقدر أبي على
نسيان جميله ونسب إليه الفضل في شغائى ، إن حقاً
وإن باطلاً . وفوق ذلك فقد حسبه رجلاً وسلمه
زمام ثروته

— ولماذا تدهشين من عرفان أبيك بجميله ؟

أن أراك وأسمع حديثك تمنيت أن أرقد لأستريح .
ولكن الآن لن يطيب لي النوم ...

فابتسمت وقالت : قم ونم . فلعلك ترى في النوم خيراً مما رأيت في اليقظة . فهضت متردداً آسفاً ، كاسف البال حزينا ، وقد تخيلت الفتاة الروسية التي تخدم في المطعم راقدة في فراش حقير في غرفة ضيقة . وقد حلت ضميري وزر آهائها بما هي بريئة منه ، كما تخيلت راسين البائس الذي يشبه الكلاب المليمة ^(١) التي يلبسونها ثياب الرجال المضحكة لتمثل في الملعب أدواتاً قاسية كالقفز من حلقات ملهبة أو ركوب دراجة عظيمة وهي تنبج بنبح الكلاب وتأتي بأعمال البشر خاضعة راضية قائمة بقطعة السكر التي تمتد بها يد مدربها القاسي ... وهو الآخر أهمته وتخوته وظننت به الفلنون ، ولم يكن إلا ساعياً في إرضاء هذه الحسنة بمجلب زيل جديد . واشتقت على الرغم مني إلى الحب الذي جركته في تلك المرأة القاسية المسكينة . ورسبت في قرارة نفسي جنائلاً من الآلام والأوهام التي مزنت بي من نصف النهار إلى نصف الليل بغير انقطاع . فتناولت يدها وصاغت وأقبلتها في كفي فترة ثم رفعتها إلى شفتي ، لأنني أحسست أنها كانت تنتظر ذلك مني وترغب فيه

وصعدت أمامي في الدرج إلى أن بلغت غرفتي . وقالت لي وهي تفتحها بيدها « ليلة سيئة » وراحت في الظلام تلمس مرقدتها . أين ؟ في أحضان راسين كأم في حضن الوحدة والخيال ؟ وهي لاشك تفضلهما على حضنه ...

نظمت ثيابي ببطء واضطرتحت على فراشي ، وكان التنب قد أضنانني فرحت بعد لحظة في سبات عميق . وحلت أن الباب قد انفتح وتسلسلت منه سيلين على أطراف أصابعها حافية في سواد الليل ، وما زالت تدنو من فراشي وهي تكتم أنفاسها حتى شعرت بلهبها فوق جبين الذي كان يتصبب عرقاً من الفرح والانفعال . وحلت أنني لست زر الكهراء المعلق بخيط من حرير فوق رأسى فأضادت النرفة وفتحت عيني فإذا سيلين نفسها واقفة على قيد ذراع مني عمرة الوجه لا تنطق ولا تتلفت . وقفت أمامي المرأة التي رثيت لها واشتهيتها وجهاً لوجه وقلباً لقلب وجسداً لجسد ، غاولت أن أنكلم فلم أستطع ، وبقيتنا في صمت عميق أحداً ينظر للآخر ولا يكاد يراه غشيت في لحظة وجل أن تكون قد عاودها البكم في أثر الانفعال وأنه قد تمداها إلى ! وحاولت أن أنطق لأطمئن على سمي ونطق ولكنني خشيت انفصاح الأمر في هدوء الليل

فبدت إليها يدي وأنا لا أصدق أنها تقبض على شيء من لحم ودم . وخشيت أن يكون تمثال الجلال الذي أمامي خيالاً أنلس إليه الطريق فلا أجده . ولكنني جذبتها إلى فددت مني وهي تتمنع تمنع الرغبة وتحاول أن تكسر من طرفها فلا تستطيع ، وأجلستها على حافة الفراش وقلت لها في همس وقلبي يضطرب وفؤادي يتنفذ :

أنت جئت إلي وأنا أفكر فيك . إنني لأستحق هذه المجازفة الكريمة . فإذا أقول لك ؟ سيلين سيدي ... تكلمي .

فتبين الأسي في وجهها وحاولت أن تتكلم

رزقتهما من رجل لا أحبه ومن لا أحبه لا أعرفه
وكأنه لم يمسنى

نخجت ولم أعتذر ، فإن هواها غطي على عقل
فتركنى مضطرباً في الدائرة التي خطها حولي ، فسكت
ثم تشجعت وقلت : ولكنني أتحرق شوقاً إليك
وقد أعجبني منك كل شيء : صوتك وجمالك وعيناك
وقدك وذكاؤك . وقد جمعتنا المصادفة وألفت بين
قلبيننا حوادث غير مرقوبة وربطت بين نفسيينا

الطبيعة المواتية في غفلة الأعين وهود الأسماع

فقلت : أو تقيم طويلاً في جنيف ؟

فقلت : بقدر ما تسمح لي أن أقم

فقلت : أما في هذا البيت فلا ، لا لأنه البيت
الذي فيه ولدت وتزوجت ، ولكن لأنني لست فيه
حرة ، ولا أقدر أن أخرج من الحصار الكثيف
الذي يحجر علينا . وإن للحب غاية محتومة فلست
أومن بالصدقة البريئة بين رجل وامرأة في جنيف .
الشباب ، وما الحب الذي يتخطى حدود الصداقة
الموهومة إلا امتلاك واستئثار ، وهو الذي أشعر
بأنك خلقت في هذه الليلة

فقلت : ما ذمت قد ذكرت زواجك فلا بد
أن تكون له حرمة في نفسك : فكيف تستبيحين

الجمع بين تلك الحرمة وبين الحب الذي تصفين
فقلت : أما الزواج فله الحرمة التي تذكرها
وأكثر ، وأما الزوج فلا ، ولا شيء هذا الذي ألح
على حياتنا بالشر ، وانحى على سعادتي بالفقر ، حتى
أوصلنا إلى ما نحن فيه

فقلت لها : لقد قبلت شرطك . وغداً ...

فأعياها النطق الصريح . وأطرقت برأسها وتحاملت
على نفسها وانفجرت بالبكاء

فتناولت رأسها وكانت عيناها مغمضتين الاقليل
والدموع تنهمر منها بشير نشيج وأذيت وجهها
إلى محاولاً تقبيلها . فتمننت في رفق وقالت :
— لا . لا . لم يؤن الأوان .

نخجت وهدر الليل اليها في مشاعري هدير
الغليان وقلت لها :

— لماذا إذن جئت وتحشمت مشقة الديب ؟

فقلت لي : جئت لأنني لم أستطع أن أغمض
عيني دون أن أراك ... وهيات أن يهنا لي عيش
بعد الليلة بدونك

فقلت : أبهذه السرعة تشغلين ، وبرجل
غريب الوجه واللسان وربما كان غريب القلب
والأطوار أيضاً ؟

فقلت : لست غريباً عني فإن سبباً من أسباب
القدر قد وصل حياتي بحياتك ومزج قلبي بقلبك
وأوجد سرّاً بيني وبينك لم أجد مثله بيني وبين
الرجل الوحيد الذي عرفته وهو زوجي

فالتبست ابتسامة أسادت سيلين فهمها وتوهمت
الشك يحول في أطرافها فقلت :

— ثن أولاً تثنى فلا ألومك ولا أرغمك على
تصديق . إنني على الرغم من زواجي عشر سنين ،
لا أزال بكراً لم يمسنى رجل

قلت وقد أدهشتني جرأتها : وهذان اللسان
الطاهران ؟

قلت : أطفالي ! لقد ظننتك فهمت تليحي لقد

ولكنها لم تسكلم ودقت الساعة الثالثة
فدنوت منها وعلى غرة منها ضمتها إلى صدرى
فضممتى بحمارة وقوة ما أحسست بثقلها من قبل ،
وطبعت على فيها اللهب قبلة لا أنسى لذتها وعبرها
ما حيت . وكنت في ذهول فلم أشعر بسيلين وهي
تتملص من ذارعى التي كانت حول خصرها ،
فانطرحت على فراشى منهوك القوة ، أسفاً على ما بدر
منى ولكننى سعيد

ولا أدري كم طال نوى
ولكننى تيقظت على صرخة واحدة لم تكرر
لم تكن صرخة إنسانية . ولكنها زرعت قلبى
من صدرى ، وأبأننى بكارثة لا قبلها ولا بعدها ؛
ثم ساد صمت عميق . وفى تلك الفترة سمعت على
النافذة نقرأ كالذى سمعته عند ما كانت السيدة جالسة
على فراشى ، فأضأت الغرفة ، ولبست بعض ثيابى
ووقفت وراء الباب ؛ فإذا حركة وقع أقدام وصوت
امرأة مجوز لم أسمعه من قبل يقول :

— آه ... ماذا صنعت بها أيها الشقي؟ وابنتاه !
جاستون . جاستون . أنظر ما فعل الشرير المجنون
بابنتنا . فوهمت فى أول الأمر أن مجرمًا ضالاً ،
أو شريداً فاقد العقل قد سطا على الطفلة فيرجو^(١)

ففتحت الباب وتقدمت بعض الخطى فرأيت
باب الغرفة القابلة لفرقتى مفتوحاً على مصراعيه
وقد وقف فيها شيخان رجل وامرأة . وخرجت
على جانبى مستقيمة نائمة

فقلت لى : غداً نكر يا صديقى إلى بحيرة ليان
نستجلى بهاءها ونحترق غابة بوازى^(١) الحائلة نشنف
أمعنا فيها بتفريد البلابل فهذا فصل لقائنا وموسم
تحرقها ثم تذهب إلى بستان الأمواه النابتة^(٢) وفيه
من الأشجار والأزهار ما يزيل عن نفسنا الحزن

وقد سيطرت عليها نشوة كانت تفقدها
هدوءها ورزانتها . واستمرت فى حديثها قائلة : غداً
يا قسم ميلادى نطلق إلى المدينة فنجد فى أنحائها
ونطوف بالخازن الجيلة ثم نطير إلى فرسو الضاحية
القرية فننعم بالخلوة ونقطف أحلى الثمار ونجد اللذة
والسمادة . غداً نطلق من الأغلال التى طال تقيدى
بها فنسير جنباً إلى جنب فى شوارع المدينة الجيلة
حيث تحتلط أصوات الليل التى حرمت من سماعها
فى رفقة نفس حبيبة برنين الأجراس التى تدق فى
عيد الفصح السعيد ...

وفى تلك الساعة سمعت صوتاً غريباً كأن يداً
تنفر على درفة الترافة فصمتنا وكتمنا أنفاسنا
وهمت بإطفاء النور فنهتى بإشارة من يدها ،
فنهضت فى خفة وحذر واتجهت نحو النافذة وفتحتها
برفق بحيث أتمكن من رؤية ما ووراءها فرأيت طيراً
ضخماً من طيور الليل يطير عائداً إلى وكرة ممشياً
فى إحدى أشجار الكافور التى كانت تعطرب
وتتهز ، وإن لم تكن هناك رياح عاصفة فأغلقت
السرفة وعدت إليها وطمأنتها وقلت لها : غداً

(١) Bois la boesie فى ضواحي جنيف

(٢) بستان بها أيضاً

(١) virginie اختزال وهو اسم البنت

فقلت لها : أيقظي السيدة

فقلت : كيف أوقظها أنظر ؟ يا سيدتي !

نظوت وإذا بي أرى راسين راكمًا على الأرض وقد تدلت رأسه على صدره كالشقوق ولم أكد أحول بصرى عنه حتى كدت أسقط من هول ما رأيت

سيلين ... نعم سيلين مطروحة على الفراش في ثياب نومها وفي صدرها خنجر والدماء تجري من بين نهديها كأنها خارجة من نافورة . ولم تكن بعد قد فارقت الحياة . وهي إذن التي صرخت تلك الصرخة الفاجئة الفاجعة التي مزقت أحشاء الليل فلما تفجعت عليها وبكيت ، فتحت إحدى عينيها وقالت في همسة سمعتها وأخمة :

غداً ... ! وأغمضت عينيها وصمدت روحها .
الطر الأحمر الثاني ... والمدافن والكنيسة والبستان . و ١٩ مارس عيد مولدى ومولدها ومصرعها

عدت إلى غرفتي وأنا أكاد أجن وأهلك من الحزن واللوعة والأمل الضائع والحسرة على شباب تلك التي لم أعرفها إلا ليلة واحدة وقد ملأت بالى بمد فراغه ، ومدت أفق خيالى وراء ما كنت أرجو . وبعد نصف ساعة عند بزوغ الصباح أقبلت الشرطة بخيلها ورجلها وكلابها وحفائهم المازلة وأدوات التصوير والسلاسل والأغلال ، وفي أثرهم قاضى التحقيق ورجال السلطة والطبيب الشرعى وأعوانه

ونفر من الصحفيين والصورين

ولكن الخطب الجسيم الذى حل بالقتولة كان أهون مما تصوروا في شأن القتال فقد كان متلبساً بالجرعة ومعترفاً بها ولكنه لم يبررها ولم يتمذّر وكان على أن أنتظر حتى تدفن سبيلين في مدافن سان جورج وأن أسمع دقات أجراس الكنيسة ، لأنحية لعيد الفصح المرتقب ، ولكن إينذاً نطلب الرحمة لروحها ؟

محمد لطفي جمعة

في أصول الأدب

للمؤستاذ محمد حسن الزيات

كتاب جديد فريد في نوعه . يشتمل على أبحاث تحليلية طريفة في الأدب العربى وتاريخه . منها تاريخ الأدب وتخط العرب منه . المؤلفات المؤثرة في الأدب . أثر الحضارة العربية في العلم والعالم تاريخ حياة ألف ليلة وليلة وهو أوفى بحث كتب في هذا الموضوع إلى اليوم . ثم قواعد تفصيلية للرواية التمثيلية الخ ...

يطلب من إدارة مجلة الرسالة

وثمنه ١٢ قرشا

الرسالة

في سنتها السادسة

على الرغم من ارتفاع أثمان الورق هذا الارتفاع الفاحش ، وبالرغم من تقدم الرسالة هذا التقدم الطردي ، وبالرغم مما سنبذله في تحسينها من الجهد في عامها الجديد ، سيبقى اشتراكها كما هو : ستون قرشاً في الداخل ، وجنيه مصري في الخارج ، وتقدم إلى من يدفعه في أثناء شهر يناير المقبل مجلة الرواية مجاناً

الرواية

وليست الرواية هدية ضئيلة القدر ، فإنها تصدر مجلة الطبع والوضع في سبعين صفحة ، وهي المجلة الوحيدة التي تقرأ فيها القصة العربية الفنية مكتوبة بأسلوب بليغ مشرق ، أو القصة الأوربية الرائعة مترجمة بلسان أمين صادق . وحسبك دليلاً على قوتها وقيمتها أن مجموعة سنتها المنصرمة تشتمل على ٣٤ أقصوصة موضوعة ، و ١١٦ أقصوصة منقولة ، وثلاث مسرحيات ، وعلى النص الكامل لكتاب اعترافات فتى مصر لألفريد دي موسيه ، وملحة الأوبيسة لهوميروس ، وكتاب بويات نائب في الأرياف لتوفيق الحكيم . أما مجموعة السنة القادمة فستكون أروع وأجمع وألذ . واشتركا وحدها ثلاثون قرشاً في مصر ، وخمسون في الخارج

اشتراكات الطلبة والمعلمين اللازميين

يشارك الطلبة والمعلمون اللازميون في الرسالة وحدها بأربعين قرشاً ، وفي الرواية وحدها بمشرين قرشاً ، وفيهما معاً بخمسة وخمسين قرشاً . ويضاف إلى ذلك خمسة وثلاثون قرشاً فرق البريد لاشتراكات الخارج . ويجوز أن يقسط هذا المبلغ أقساطاً تبتدىء في يناير وتنتهى في شهر مايو من سنة ١٩٣٨

الاشتراك في الرسالة

بقرى عقلك ، وبخمس ثقافتك ، وبطلعك على تطور الفكر العالمي الجدير

والاشتراك في الرواية

بربى ذوقك ، وبرهف شعورك ، وبتمتع بروائع الفن القصصى الحديث

الثامنة. ثم خرج يقطر
في أحد مطاعم «الباليه
روايال». وبينما النادل
يعد له الطعام تصفح
بعض الصحف. وقرأ
فيها أسماء من حق
عليهم الإعدام بساحة
الثورة في الرابع

هَبْزُ الْمَوْتِ

للكاتب الفرنسي أناتول فرانس
بقلم السيد محمد العزائوي

والعشرين من شهر فلورال

وهو يذكر أنه أظفر بشمية. ثم قام فنظر في
المرآة إلى خياله، حتى يصلح ما تشعث من لباسه
الأنيق؛ وحتى يرى أهو متنسط الأسارير أم
منقبضها فيرسلها على سجيبتها السمحة الطروب.
وهو يذكر — كذلك — أنه سار على شاطئ
السين بخطى خفيفة سريعة، قاصداً منزلاً صغيراً،
يصنع زاوية مع السين وشوارع المازارين
هناك كان يعيش «المواطن لارديون» النائب
العام لدى محكمة باريس الثورية، وقد عرفه أندريه
قبل ذلك راهباً متنسكاً في «أنجوس»، ثم عرفه
جمهورياً منطرقاً في باريس

ودق أندريه الجرس. فظهر له — بعد دقائق —
وجه لارديون يطل من كوة الباب. فلما استوثق
من اسم الزائر ومهتته فتحه على مصراعه مرحباً.
وكان لارديون مطعم الوجه، أحمر الأذنين، لمينيه
بريق خاطف غريب. كان مظهره مظهر الجبان
الضحوك؛ ورحب بأندريه وهو يقوده إلى أنغم
غرف المنزل

جلس أندريه على شاطئ السين ساعة يستروح
النسيم... وما كان أحد أحق منه بنسيم السين
يروح عنه الكد والتعب. إنه سوف يترك هذا
كله بعد حين! وجلس أندريه يفكر. ترى فيم
أمضى بقية يومه؟ ليس يدرى أندريه. ولكن
الذي يدرى أنه قضى يومه في باريس؛ وأن كل
شعاب باريس شاهدة اليوم يسير فيها. حتى إذا
ما أضاءه اللهب فزع إلى السين الحبيب. أي نهر
وأي جلال! أي موج وأي ثبح! أي جمال
وأي هدوء! لن يصير من هذا شيئاً؛ وهو ليس
بنادم على ذلك. إنه لن يندم لأنه سوف لا يري
أمواله الزديعة تيس وتذلف. سوف لا يراها تنهذى
إلى جنة الحب، وتنساب إلى تلك الربوة حيث يحتم
بيت «لوس» كهرة يضاء. إذن فلن يري وكر
الحب ولا عش الغرام. حقاً لن يراه ولن يندم.
لأنه سوف يلقى في السجن حبسه، فيجده
— بقرها — أيام الوصل والألم... بل!

إنه لا يذكر من يومه هذا إلا قليلاً. فهو لا يذكر
إلا أنه أصبح قلقاً حائراً، وأنه اغتسل في الساعة

وأخى لارديون رأسه مؤمناً على مشاعره ،
ومتاباً قوله . واستأنف أندريه :

— عهدى بك رجل شعور يا لارديون ! وإني
لأرجوك أن تصل يلقى وبين من أهوى ، بأن
ترسلى سرياً إلى سجن « پورت ليبر »
فابقسم لارديون بسمه البعث يخلطه الحزم ،
أو الحزم يخلطه البعث ، ثم قال :

— ها ! ها ! أيها المواطن ! إنك تسألنى شيئاً
أعلى من الحياة ! إنك تسألنى السعادة ! ثم مد
ذراعيه نحو المذبح قائلاً : إيشاريس ، إيشاريس !
فبرزت من المذبح فتاة عارية الذراعين ، حاسرة
النحر ، تردى قميصاً قصيراً وقيمة ناتئة فاحتضنها
لارديون واحتضنها إلى ركبتيه قائلاً :

— يا ملاكي ! تأمل وجه المواطن ولا تنسبه
أبداً . إن المواطن مثلاً يميز قلبه الحب والهوى
وهو يعلم أن الفراق مر أليم ؛ ولذلك يريد لقاء حبيبته
في السجن . وطابت نفسه أن يطيح رأسه معها
بالمقصلة . آثرين بأساً أن نطوق عنقه بحميل ؟

— فقالت الفتاة وهي تداعب خد القائد الثورى
« كلا ! لا أرى بأساً » .

— إذن فقد أصدرت الحكم بامولاني . واجب
علينا أن نعين ذينك الحبيين التزمين المخلصين . أيها
المواطن أندريه جرمين ! أعطني عنوانك وأنا أعمل
على أن تبيت في السجن الليلة

فقال أندريه بأنه موفق سعيد . فأجابه لارديون
وهو يصاخه « ستذهب فتلقى حبيبتك . نبها بربك
أنك وجدت إيشاريس بين ذراعى لارديون

ولما أن ولج الباب أندريه أننى مائدة ممدودة
صُفّت عليها صحاف نخمة فيها طعام أعد لاثنتين .
وهو لا يذكر من ألوانه إلا تغذ خنزير وفروجاً ،
« وفطيرة » من الحلوى الفاخرة ، وحساء وشواء
كثيراً .. وبصر أندريه يست من زجاج النجر المعلقة
موضوعة في جردل من الماء لتبرد ، ولاحظ أندريه
فوق المصطلى تفاحاً وفاكهة وجبناً !

وهو يذكر أنه استدار يصره في الغرفة
الفسحة ، فألقى زجاجات النجر وقواريرها مغلطة
— على المكتب — بأوراق الجمهورية للبهتر ... ثم
وجد باباً مفتوحاً لم يشك أندريه في أنه يؤدي إلى
مخرج ، فقد كان ثم سرير غير مرتب ... وأخيراً
قال أندريه :

— أيها المواطن لارديون ! لقد جئتكم كي
تسدى إلى جيلاً

— أيها المواطن ! إنى مستعد أن أهبك إياه
إن لم يتعارض مع مصالح الجمهورية

— إن ما أسألك أيها المواطن لارديون يتفق
ومصالح الجمهورية ، ومصالحك أنت أيضاً

وجلس أندريه بإشارة من لارديون ثم قال :
— أيها النائب ! أنت تعلم أنى أعارضك منذ

عامين وأعارض أصدقائك ؛ وأنى صاحب مقالات
« مذابح الإرهاب » إنك إذ تقبض على لا تكون

أسديت إلى الجليل الذى أرجو ، بل تكون أدبت
واجبك ، فليس طلبة إذن أن تقبض على . ولكن

أعزنى سمك أيها المواطن !
إنى مغرم وحبيبتى فى السجن ...

وأحضانه ؟ فلملها تستطيع أن تهيك بعض ما تهنيه
إيشاريس ! »

قال أندريه إنه واجد أكثر من ذلك لديها في
السجن . وإنه شاكر ، وآسف أنه لن يستطيع أن
يرد للارديون الجليل . فقال لارديون وهو يضم
إيشاريس :

— إن المروءة هي ألا تطالب من أحسنت إليه
رد الجليل . من يدري متى يأتي دورنا ؟ اليوم دعنا
نشرب ، ولا تفكر في غدٍ وإلا تمكر الصقور

ولاحث اليوم ... أيها المواطن ! ألا تشاظرنا
الطعام والشراب ؟

واستراحت إيشاريس إلى الدعوة ، فقادت
أندريه بلطف إلى المائدة . ولكنه أفلت منها برشاقة
ومرح ... فخرج يشكر للنائب صنيعة
وهو لا يذكر بعد ذلك كيف أمضى بقية ذلك

اليوم الطويل الثقيل ! ولكنه يدرك الآن أنه ينشق
من نسيم السنين آخر أنفاس الحياة ...
سيد محمد العزاوي

حجوا بيت ربكم

وزوروا وطن نبيكم

على الباخرتين

زمزم و كوثر

أعدت لكم فيها

شركة مصر للملاحة البحرية

جميع أسباب الاطمئنان ووسائل الراحة والأمان

العَلَم

للكاتبة الانجليزية لوز هيلجرز
بقلم الأديب جورج سَلِسْتِي

المجتمع الصاحب .
وخرجت من
المنزل فتاة في مستهل
الصبا ومطلع الشباب
تتألق منها الأسارير
بالوضاء، وتفيض منها
القسبات بالحسن، وقد
زادها ثوبها القروي
البسيط جمالاً فطرياً

محيا إلى القلوب، ومشت كثيفة الخطى إلى دجائها
تنثر عليها الحب مفترّة الثنايا، والأفراخ تتصاحج
حولها صيحات الفرح وتقفر حياها صرخة مسرورة .
فلما فرغت من شأنها مع دواجنها تحطرت بقدها
اللدن المشوق على بساط العشب المتوج الهامات
بأنداء الصباح، وراحت ترمق السماء بينين حلتين
تفيضان وداعة ولطفاً، وتأمل فيما يكتنفها من
الرائي الساحرة بسذاجة الولد الثرير

ووقع نظرها على سحابة زرقاء تتصاعد من وراء
الناية في مطاوي الأفق، ثم على أخرى مرفوعة على
مناكب الهواء السجاج البارد، فوقفت منهوة
سادرة لحظة أو لحظتين وهزت كتفها في صرارة
واشمئزاز وقالت : « الحرب ... مرة أخرى يالآنكد
الطالع ! » ورفست الأرض برجلها حاتمة غصني

إن القدر ليأبى أن تكون السعادة إلا مشوبة
بالكدر، واللامطمئنان لا مرفقاً بالقلق والاضطراب ؛
وسنة الدهر الخوؤون ألا يُحرم الناس لفتاته المرة
بين الحين والحين كأنما يمز على القضاء الواعل أن
يفلت امرؤ من إساره

والحرب !؟ أي جدي في الحرب وأي نفع !؟

انصدح عموذ الفجر، وتمشت طلائع الأنوار
في خواشي الليل تمتشى الأمل الوضيء في حنايا القلب
البأس المتنازع، وأطلت مليكة النهار في عبقها النارية
فائرة الطرف تنثر بهيات ثمرها الشيب ذات العينين
وذات اليسار، فهلات الدنيا وأطلقت الكائنات ؛
واسترسلت ذوائب الأنواء على السهول الفيح
فاهترت الأغراس وارتشت السنابل، وانطلق
نسيم الصباح البليل فوق الروج والحقول يهيمس في
أذان الزهر هيمات الهوى، ويثمم في مسامع
النباتات أسرار الغرام، وسبحت في رحاب الأجواء
وفود الأطيوار تسكر السماء بزرقاتها، فيترحم لأغاريدها
قلب الأثير، وتميد لأناشيدها أعطاف الأفق،
وانحسرت مرأى الطبيعة الفاتنة في تلك السهول
المنبسطة الخضراء عن منزل وضيع قائم حف بإحائه
غضل الثبت وساوره ندى العشب، فبان في روعة
الصباح الضحيان منزلان من منازل الخلد جائعاً في دعة
تفتن اللب في إطار من الخضرة السندسية يأخذ
بمجامع القلب . منزل وادع الطامت به أسسه في
تلك الربوع الغرّ التي يُطلها العلم الفرنسي الثلث
الأنوارن اطمئنان أهليه النائين عن نجيح الحياة ولجب

عن همسة ناعمة مدلولها الضمت ، ثم شاعت على قسامة
بسمه كثيفة خرساء ، كان لها في نفسها هي أبلغ
الأثر . ولم يلبث دوعها أن أفرخ وبالحا أن اطمأن ،
فتقدمت إليه وأسندت ذراعها إلى الباب حياله ،
وقالت له بصوت رقيق أودعته الكثير من العذوبة
والحياء :

— « يلوح لي أنك قادم من معركة إخال أن
رحاها ما تزال دائرة هناك . أليس كذلك ؟ »
وأشاحت برأسها نحو النافذة التي ما فتئ الدخان
يتصاعد من ورائها كثيفاً داكناً
وأثنى الرجل عليها نظره فأراها تحرق في الأفق
وقد اقتبضت منها الملامح وتجهمت ، واصطكت
أسنانها من غيظ كظيم . فقال وقد فار حنقه
ولمت عيناه بوميض الغضب :

— « هؤلاء الألمان الخنازير لاهم لهم إلا قتل
الأبرياء وإراقة الدماء ! ليست فرنسا هي التي يريدون
فها هم بحاجة إلى زرعها ولا إلى أرضها ، وإنما الفتك
بأهلها ما يبتغون . إن إزهاق أرواح الناس مبتغاهم ،
وسفك الدم غاية مناهم ؛ لهم وحوش ضارية لا يلبس
لهم إلا مرأى النجيع المهدود يترقق على الثرى ،
وإلا الأشلاء البعثة هنا وهناك على أديم الأرض .
لقد هجموا علينا فجأة شأهم في كل غاراتهم النادرة
وحصدونا برصاصهم حصداً »

ورجع خطوة إلى الوراء ، وأسند ظهره إلى
الباب وصحك ضحكة صفراء ، يحسبها السامع لجفافها
شهقة مختنرة ثم قال :

— « أحسب أنني الرجل الوحيد الذي لا زال
من كتيبتنا على قيد الحياة . لقد قتلوا أفرادها جميعاً
ولم ينج من الموت الحميم إلا أنا ... لقد مات رفيق

إنها النكبة الكبرى والطامة العظمى ، تنثر الدمار
تثراً قفوض معالم الدنية والعمران ، وتطوِّح
بالشباب إلى مهاوى الردى ، وتنبث بهم إلى أشدق
الموت لهما سائفة هنيئة !

أما المجيد والسودد ، أما المز والفتخار ، فليست
إلا كلمات جوفاء لا معنى لها إلا عند الجشعين الأبل
يتخذون من جاحم الضحايا وأشلائها سلباً لمطامهم
ومآ ربهم ، فيا للصبا القدور ، ويا للدم المهدور !
والشباب زينة الحياة ومهجتها ، وذها بهم ذهاب
الأمانى وتلاشي الأحلام ، ونأيهم تصويح لمستقبل
الفتيات المتيد . فالجرب إذن نكبة عند النساء
فادحة تلس منهن الورث الحساس في الصميم ، وتسيء
إلين إساءة ليس إلى اغتفارها والصفح عنها من
سبيل !

كانت نظرات الفتاة معلقة في سحب الدخان
وهو يسبح نحو الأعلى ، وفكرها محصوراً في الحرب
وويلاتها والمساوىء التي تلحق من جرأتها بينات
جنسها ، وتاهت في تفكيرها العميق الذي شغلها عن
نفسها حتى أنها لم تَرَ رجلاً زحف بين السنايل
الخضراء ، ولا سمعت وقع خطاه وهو يمدو على بضمة
أمتار منها بمزق الثياب مرتبها ، ولم تفرق من غمرة
التفكير إلا على صوته الذي أرسله بمحذر وهو يسرع
إلى باحة المنزل ويحتضى يبابه

هو شاب في مقتبل العمر عليه بزة الجندي
الفرنسي قد علت حماء الوسيم أمارت الرص الربوق ،
وتجلت في نظرات عينيها دلائل الجزع ، قا إن وقع
عليه بصرها حتى صاحت مرارة :

— « يا إلهي ! لستم أراعتني ! »

فوضع سبابته على شفتيه القبتين اللتين انفرتا

فرغ إليها نظره الخفاف وقال بصوت أجش :
« — لقد نجوت به منهم . أجل ، لقد أنقذته
ولكن بعد أن دفعت في سبيل إنقاذه حياتي ...
وإنها لنين بخس ... ! »
وبسط القطعة الطويلة برزاة وهدهد ، ثم
استطرد :

« — إنها علم فرنسا الغالي . لقد فني أفراد
الكتيبة جميعاً ولم يسلم منها إلا هذا اللواء القندي ...
لقد نال هؤلاء الألمان للملعبين كل شيء ما عداه ،
فهو وحده لم يمس ... لقد أحرزوا النصر ووقفوا
إلى نيل النظر المشهود بعد أن أزهقوا أرواحنا
وأهرقوا دماءنا ... إيه أيها الفتاة ... »
وكف عن الكلام هتية ، ثم أمسك بمعصمها
الذي لوحت به حرارة الشمس دون أن تسفحه ، وهزّه
هزة استجمع لها كل ما فيه من قوى وتابع :
« — عليك أن تحتفظي بهذا العلم احتفاظك
بنفائس الأعلاق ، وأن تصونه صيانتك لأقدس
ما عندك . أسمعيني ؟ »

فأجابت بشيء من الجراءة والدالة :
« — ما لنا ولعلم الآن يا هذا ، دعنا منه
ولندبر أمر إنقاذك »
وتفرست فيه لتبين أثر كلماتها في نفسه ،
فرائه وقد زوى ما بين حاجبيه وكبح وجهه جامد
النظرات سادر الطرف لا يحير ، فلم يكن منها إلا
أن أسكت اليد التي أطبقته على معصمها بقوة ،
ودلت عليه برقة ، ورمقته بنظرات قارة تقيم قلب
الخلي واستأنفت قولها :

« — إن العلم على كل حال لا يمتدّى كونه
قطعة من قماش ، وأما أنت فلديك الشباب

كلهم وإنى على آثارهم لمتفرج . إن هي إلا ساعة
أو بعض ساعة ألفظ بعدها ... »
وتوقف عن الكلام ، فساد المكان صمت
رهيب ، وخيم عليه سكون قاجح . فريست الفتاة ،
وتقدمت إليه مرتمشة ، ومدت يدها النضيفة
السمرء ، وقالت بلهفة الجازعة :

« — ما بك ؟ أمصاب أنت ببحر يحتاج إلى
تضميد ؟ أألم بك مكروه ؟ دعني أحضر لك جرعة
من الماء القروح ، أو أقدم إليك المساعدة التي تبتغي ؛
أفصح بربك ... قل ... أيموزك شيء ما ؟ أتريد
ماء أو ... ؟ »

فهز رأسه والألم يكبت منه الروح ، وتحيّرت
على ثغره الدابل بسمة هزم بانث من ورائها أسنانه
اللؤلؤية البيضاء ، وأطلق من صدره الممتلئ آهة
اضطرب لها جسده الواهن المتهوك وقال :

« — إن زمني يا فتاتي قد تصرف وانقضى ،
ولم يبق لي من الحياة إلا دقائق معدودات . لقد
استقرت في صدري رصاصة جانية ، والثغرة التي
فتحتها فيه ضميئة بالقضاء على أشد الرجال عزماً
وأقوام بنية ، وقد ألفظ أنفاسي الأخيرة بين يديك
يا فتاتي ، ولكن لا لي ما أقوله لك قبل رحيلي
الأبدى من هذه الدنيا الثانية ... وصيتي الأخيرة
قبل أن تفارق روحي جسدي »

قال هذا ومدّ يده إلى صدره وانترع من بين
ثناياه قطعة من القماش الملون طويت بترتيب كلى ،
وقدمها إليها وقال : « انظري ! »

فتطلعت الفتاة إلى ما قدمه إليها الجندي الجريح
وصاحت بدھشة واستغراب لا حد لها :

« — ولكن ما هذا ... ؟ »

أن تحبته في صدرك... فتصبح فرنسا الحبية في صدر امرأة، وإنه والله الحصن آمن من برلين»
وصمت هنية أطلق فيها من صدره الجهور
زفرة لاهية ثم قال بلهجة السيد الأحمر:
«أسرعي يا فتاة»

وتركت الفتاة عند رغبته وأذعنت لمراده
فراحت تفتح صدرها بأصابعها اللينة الناعمة وراح
هو يتملي بنظر البائس الحزون من روعة الفجوة
الصاحبة بين الهدين السريين، حتى إذا وضعت
العلم الطوي فيهما، وأخذت ترر صدرها وهن
منه المزم وخرت القوى، فهوى جسمه، وكاد
يقع على الأرض تحت قدمها الصغيرتين لو لم
تسمعه بذراعها البلاون المقتولتين، فالتكأ عليهما
قليلاً ثم ارتمش بينهما ارتماش الطائر الجريح وتعلم
بينهما بحركة خفيفة مؤلة حاول أن يستجمع فيها
قواه لينتصب واقفاً وجهم لنفسه بصوت خفيض
متقطع سمته الفتاة جلياً واهجاً:

«يا لوح لي أن الموت أدنى إلى مما كنتُ
أحسب، فغير لي إذن أن أذهب في سبيل»
ثم التفت إلى الفتاة وحدق في عيائها الرضى
القصبات بعينه السوداءين الكثيبتين وقال لها:

«اصنى لما أقوله لك ولا تحاول أن تعترضى
على مشيئتي... أجدى عليك ألا أتى هنا، فبقاى
شرى كله، ووبال عليك وعلى ذوبك أجمين...
سأسير على بركة الله وحسى أتى أودعت العلم
في حرز حرز... وحذاريك الألمان يا فتاة...
فإذا شئت أن تحسنى إلى نفسك فأتكرى عليهم
رؤيتك لي... لا بل عليك أن تنكربها الانكار كله

النضير، وأمامك مستقبل وضىء ملؤه الآمال،
وأنا... أريدك أن تحيا... سأحاول جهدى
لأنجيك وأعيد إليك قواك وعافيتك، ولن أذكر
وسماً في سبيل برئك وشفائك وحبان سعادتك
ومنائك»

وتوقفت عن كلامها مرة أخرى لحظة واحدة
فقط حدثت خلالها فيه ومقلتها تشمان بوميض
غريب ثم قالت:

«في وصى أن أخبك في مكان لا ترفع
إليه عيون أعاديك، ولن يتألك عندى مهما
تألبت مجموعهم وكثرت على، فالتوى على هؤلاء
الخنازير الأغبياء سهل ميسور»

وما كادت شفتاه تنفرجان عن آخر لفظته،
حتى كان هو قد انزع يده من قبضتها انزعاً
وصاح بها:

«خبى فرنسا بدلاً منى. إيه أيتها العذراء
ما أراك تفقهين ما أقول؛ إن العلم هذا هو فرنسا
بمينها، متجسمة فيه بكرامتها وإبائها ومجدها التاد
والطارف، وشعبها الأنوف النليل، ويجب ألا
يصل إليه أعداؤنا الألمان بوجه من الوجوه،
أنفهمين؟»

كان يتكلم بشيء غير يسير من الحدة والفضب؛
والحدة والفضب خلطان مأثوران عن الفرنسيين
جيملاً لا تكاد تستغنى منهم أحداً؛ غير أنه لم يلبث
أن انفثأت حدته واستكان، وانطلق بطوي
الواء طيماً سريعاً ومقلته الدابلتان عالقان بمقلتها
الناعستين ثم قال بلهجة كلها خراعة وتوسل:
«إن رداءك واسع فضفاض فليك بالله

— « إنك تَحْمِلين فرنسا في صدرك أيتها الفتاة ... »

ونضح ضحكة هادئة مقتضبة واستطرد في عبارته :
« وأنا رجل على شفير الهاوية وأوشك أن أموت ...
والاحتضار على قيد باع منى وتحدثين إلى مع
ذلك كله عن الهوى والحب ، هيه ... »

وراح صدره يهبط ويعلو بسرعة ، وفؤاده
ينغلق حتى ليكاد يسمع وجيئه ؛ فلما أحس بشيء
من الراحة تابع قوله بشيء من الرارة كثير :

« لا شأن لي بالهوى ... لإنها الحياة التي
ابتنى ... هي الحياة التي أحتاجها أيتها الغائبة ! »
لقد رماها بهذه الكلمات القتضبة القاسية ،
وإن هي إلا أحجار تنثال لا ألفاظ تقال ، ثم سار
الهوى ، وانطلق يدلف في سبيله دلفاً العاني
الكليل

وأما هي فقد اثننت بسكون على الحاجز الخشبي
والباس يرمض منها الجوارح ويقض منها الحشا ،
تواكبه نظراتها الحزينة وهو يشق طريقه بين سنابل
الحقل كفى انعطى وتأيدها . ولما ابتعد عنها ولم
تد تسمع حركة ولا نامة ، ولم يبق لها إلا ارتعاص
الأزهار بين أكف النسبات ، وارتعاش النباتات
بين أنامل الهواء ، لكضت صدرها الحبيب الغائن
لكضة أو لكضتين وصاحت من فؤاد متبول
وحشاشة كلبي :

— « فرنسا ! أنا أكره فرنسا وأمقتها ! »
ورأى السمع في محجرتها ولم يلبث أن انهمر
على خديها اللتهين صبيلاً سخياً

وسيقنون بقولك من غير ريب ، فالوقت لا يزال
باكراً ... أفنهمين ؟ ! »

وسكت وكل ما فيه يتم على اليأس الفادح والألم
المز ؛ ونظر حوله نظرات بطيئة فاحصة كأنه راح
يودع ذلك المحيط الزاهر المنمور بالجلال الفطري
الساحر ، ويشيع هاتيك الأرباض التي يهددها
سجع البلايل وتفريد القتادل كل جفر ، ويناعها
كل مساء حفيف الأوراق في النصوص المُلد
النديّة وهيمنة النسيم الرخي في سوق^(١) السنايل
الثرية . ولما هم بالسير استوقفته الفتاة بنظرة كلها
هوي وجوى ، وقالت له وقد خرج الخفر خديها
النضرين بحمرة الشفق الحالي : « قبلي — على
الأقل — قبل رحيلك . هبني لثمة واحدة من تفرك
الشنب . وارشف مرّة — لا غير — لماي قبل منك ! »
فجد الجندي في مكانه بارد النظرات ، وقد

وقفت هي أمامه منبهة الماطفة بقدها اللباس ،
وقوامها الرشيق ، وشبابها النض الرطيب ، وجسمها
الغري الفائن ، وألقى عليها نظرة ضمعتها كل
معاني الزهد والاحتقار ، وقلب شفتيه ، وهز
منكبيه وتمتم :

— « وأما لكن معاشر النساء ! إنكن
جميعاً في الماطفة سواء ؟ ... طبعن بطلاعب أثوى
واحد ، وُجِبِلن على شاكلة واحدة ! »

وصمت وهو يلهث ، كأنما جشم نفسه مشقة
لا قبل له باحثها إلا يجهد ، حتى إذا هدأت
أنفاسه واستراح التفت إليها ثانية وقال :

ناعمتان حالتان ،
تلتزمان التماح قطر
الندى الوضاء !
ولكن الأمير
الشاب يستغرق في
كتابه تصفحاً فلا
يرفع عنه عينيه ولا
يفيق !

عروس البحر

لِلشَّاعِرِ الْهِنْدِيِّ رَابِدَرَانَاتِ طَاغُورُ
بَقْلُو السَّيِّدِ الْفَرَنْجِيِّ شَهَابِ السَّعِيدِ

واعترض الملك الوالد بنسجي^(١) ابنه وعشيرته
يسأله عما انحرف بابنه عن الزواج وينضه إليه !
فقال سمير الأمير : « أيها الملك الجليل ، لقد
زهد الأمير في الزواج ما سمع عن عرائس الأمواه ،
ولقد أقسم في سره لتكون زوجته من عرائس
البحر ، بنات الماء ... »
وأراد الملك أن يعلم من أمر هذه العرائس شيئاً ،
فاستدعى إليه أهل العلم وأرباب الحكمة .. ولكن
أرباب الحكمة لا يعرفون ... ولكن أهل العلم لم
يرووا في كتبهم عن العرائس المزعومات شيئاً !
إنما هاتيك العرائس : عرائس الخيال الموهومات ..
وكذلك قال رؤاد البحر من الهنود التجار !
فدعا الملك الشيخ إليه سمير ابنه ، يسأله عن
قص على ابنه هذا الخيال الموهوم ؟ فأجاب : إنه
رجل يضرب في الآفاق مجنون ... وقد سمع منه
الأمير ما سمع في الغابة حين كان يصطاد !
فأرسل الملك أعماله في البحث عن هذا التشرد
المجنون ليحضروه إليه ... حتى وجدوه وجاموا به
إلى قصر الملك الفخم العظيم ! فسأله الملك عن

كان شاباً فتياً ، في مرآة قرة العين ، وابتهاج
القلب ، وغطاة النفوس ...

وكان غرة قومه ، ووجه عشيرته ، يثنون له
أعطافهم ، ويمهدون له أكفافهم ، ويؤثرونه بالحب
والإيناس

وكان من حوله يستفزون نفسه الثائرة بأحاديث
الزواج ، وما فيها للقلب من متعة ، وما في الطبع
إليها من طمأنينة وارتياح

قال واحد من رسل الملوك إليه : « أما أميرة
بهليك ... فاجعلها ! إنها لك الباقية من أزاهير الربى
في الربيع ! »

ولكن الأمير الشاب أشاح بوجهه — وكان
لم يعلق الحديث منه بشيء — وما أجاب

وقال آخر : « ... وتلك هي أميرة كندهار ..
زاهرة أنيقة ، وضوء بهية ، كمثل وضوء المنقود
النضيد ! »

ولكن الأمير الشاب ينساب في الغابة لا يخرج
منها إلا بند حين ...

وقال وصيف من سراي الملك — أيه — :
« ... جميلة أميرة كالمهوج جمال قوس الأفق عند
ابتثاق أضواء الفجر وأنواره ... وعيناها ... عيناها

وإن هذا شهر جديد يكاد ينصرم .. والأمير
في مكانه لا يرم !

وفي ليلة من ليالى هذا الشهر أصنى الأمير
الشاب إلى صوت مزار خافت يطرق أذنيه كالصدى
التأتى البعيد ...

وفي اتجاه السيل المنحدر إلى البحيرة الجميلة
كان اتجاه الأمير ... حيث كان مصدر الصوت
الشعري الرخيم ؟

وهناك ، كانت تجلس بين أزهار « اللوتس »^(١)
حورية من بنات البحر عرائس الماء المنشودات
إن شعاعاً عبقاً كان ينبثق من زهرة من
من زهور « السيرش »^(٢) في مفرقها الجليل

فترجل الأمير عن جواده ، ودنا إلى الحورية
في استحياء يطلب منها تلك الزهرة الجميلة المبقعة ..
فرقت رأسها ترنو إليه ثم سحبت زهرتها من شعرها
وقدمتها قائلة : « إنها ليالك »

ثم سالها الأمير : وأى ملكة أنت ؟

فبذت على وجهها علامات الدهش والانكار
ثم فهقمت في ضحكات متزنات كالأنعام .. كأن لها
رنين في قلب الأمير الشاب .. لقد غلن الناس تلك
الضحكات مزمار . لشد ما يحفظون ...

ثم ركب الأمير جواده ، وأردفها خلفه ومضى
يبحث السير !

وهما على ظهر الحصان همس الأمير في أذنها
أن اخلعي عنك النقاب .. واذكري اسمك الكامل
فأجابت : إن اسمي ؛ كا كاري ... وأما القناع

(١) زهور هندية معروفة لم نجد لها في اللغة ترجمة .

(٢) ليس في العربية وصف كهذا ولكن أمانة الترجمة
اقتضت نقله ، على أن فيه معنى يدركه بعض الذين تيمم الجلال

ملكته عروس الماء أين تكون ؟

قال المجنون : إنها فيما يلي حدود الشمال من
ملككتك أيها الملك العظيم ... عند سفح جبل
« شيراهي » حيث تنبع بحيرة « كاميا كا » ...
فقال الملك وهل يبصر المرء عرائس الماء هناك ؟
فأجاب الجائل المخبول : نعم ! في إمكان المرء
رؤيتهن ... ولكنه لا يكاد يرفهن لسا يُحِطْنَ
به أنفسهن من إبهام وغوض ... غير أني أعرف
العرائس الفاتنات بأصوات مزاميرهن الرائحة ...
أو بقبس من شعاع لمن وهاج !

فغضب الملك من هذا الهذيان وقال : « إنه
لمجنون ! قد أصابه مس من حياة التشرد والتجوال
فاطرده »

غير أن الأمير كان قد أصنى إلى ذلك الهذيان
الجليل ... وقد علق بقلبه منه ما سمع ، فليس إلى
طرده من سبيل ...

وجاء الربيع يكاد سنا حسنه يستلب المقول ...
وانبثقت أزهاره في النابة تلالها حسناً وعتراً !
فركب الأمير جواده وخرج ... فيساله الأهل :
إلى أين أيها الفتى النبيل ؟ إلى أين أيها الأمير الجليل ؟
ولكن الأمير ساكت لا يجيب ...

السيل يتدفق منحدراً من أعلى الجبل ثم ينصب
في البحيرة فيفيض ... وهناك ، هناك قرب الجبل
في المعبد المهجور كان الأمير يقيم !

وصر شهر ، والأمير في معبده يرتقب ، وفي
الشهر هذا اشتدت خضرة الزرع ، واكتست
بوشاح من البرجد الزاهي الجليل !

« إنما كان قد انكشف كما أراد ! »

الأطوار ... »

وهنا قال الأمير : وجهك ... أرنيه ... إنني في حاجة إلى استجلائه أيها الملكة الحسنة
ولكنها فقمت في ضحكات كالأولى كان لها في قلبه اللتاع وقع ورثين
ثم وصلا إلى المبد القديم المهجور ... فملن

الخبر وذاع ؛ وسمع الملك الشيخ زواج ابنه الأمير فأرسل إليه الجند وأخيل والفيلة والعربات ، في معبده المهجور !

— واليوم يا « كاري » سندهين إلى القصر .
ولكنها لم يجبه ، ولكن في عينها كان الجواب .

لقد كانتا دامتتين ، طاحتين بالدموع ، تستعبران !
لقد هاجتها الذكرى ... وأثارت ما في نفسها من شجون ...

ثم قالت : « بل أنا لا أستطيع الذهاب ...
أيها الأمير المحبوب ! »

ولكن ضواء القاديين وجلبتهم غلبت صوتها
الواطي الضئيل ، وسارت إلى قصر الملك الفخيم !

فرأيتها الملكة فقالت : وأي أميرة هذه تكون ؟
ورأيتها ابنتها فقالت : يا لمار ! !

ورأيتها من وصائف القصر واحدة ، فقالت :
انظرن إلى رداء الأميرة الخلق ... لا بأس عليها
فإنها ممن لا يحتجن إلى الثياب إذ أنها من عرائس الماء !

ولكن الأمير أسكنهن في حلق وغيط شديد .

وقال :

« إن الأميرة قد جاءت متخفية في هذه

ولكن أصوات الهزة إن خفت فلم تنقطع ،
أو انقطعت فإلى حين ؛ وكان الأمير إذا سمع ذلك
يهيج ويفضب لأنهم لا يشاركونه شعوره نحو
هذه الأميرة ابنة الماء ؟ !

ومضت الأيام : والأمير على ما وصفنا ، وأهلوه
على ما ذكرنا ، وزوجه على حالها لم تتغير ، ولم تلق
عنها تقابها البغيض المكروه ...

ولكن الأمير يؤمل وينتظر ، وهو الآن يكتفي
بالأمل والانتظار ...

وإنه لجالس مع « عروس البحر » يسامرها
إذ سألتها عن مدى لبس هذا القناع البغيض ؟
فقالت : « بل سيكون لذلك أيها الأمير مدى معلوم ،
ولكن تَرَيْتِ الآن »

فأجابها : إذن فسيكون ذلك في قر الشهر
المقبل أيها الأميرة الحسنة ! !

إن قراء^(١) البدر قد اكتملت وضوحاً وقوة ،
فهى الآن تملأ البيد ، وتمسل الحقول ... وتسيل
على الأرض فتغطي على كل ما فيها ... حتى تلك
الغرفة ، وذلك السرير ! !

ولكن أين كاري ... أين الأميرة ابنة
« البحر الحسنة » ؟ !

... لقد غابت ، إذ رفعت عنها القناع ! !

« بنداد » فمرى شهاب السعيرى

الأم المنيق حشمة

للقصص الفرسى دى موباسان
بقلم الأديب كمال الحزري

النافرة . كل شيء
فى « فرجيل » كان
يتسمى مشاعر طفولتى
الساذجة ، ويستهم
أحاسيس صبأى
المأجبة ، خصوصاً
ذلك الجبل الذى يتشح
بالبطنان الشجرأ ،
ويتحلى بالرياض

الزهراء ، ويتقلد بمقود النهر الفضية ، وأساور
التدُّر البراقة ، كأنه غانية أملود ، يحلها وحلها
ومطارفها وشغوفها .

لله كم كنا نلغو بصيد السراطين من شقوق
الجداول ، وقصص أحمك الحيات من غمر الماء ؛
وكم كانت سمادتنا سحابة ونشوتنا ملائكية ، حين
كنا نستحم عراءة فى ماء الجدول ، بين أسراب
البط وطوائف المكاي . ولكن واسفاه كل
ذلك اتقضى وانطوى فى غياة الأربعين عاماً .

وأنا فى ضحوة هذا النهار أسير سريع الخطو
رشيقة الفتنة كأنى الجدي الطافر ، وكبأى أمانى
يسرحان فى الأرض ويرودان أما كن القناص
ومواقع الطيور ، وعلى بدمائة خطوة كان صديق
« سرفال » يدوس بقدميه الكبيرتين حقلاً من
شجيرات « الشوكى » الممتدة أمامنا . وكنت مجتهداً
فى تنحية كتل من الملقى التى كانت تحذ غابة
« سادر » من كل جهاتها حين تبصرت كوخاً
متهدماً متافئاً أسوداً سحماً كل الدهر عليه وشرب .

وما كنت أبنته حتى عرأنى لرؤيته هزة ورعشة .
نعم لقد ذكرته جيداً : فقد كان فى جلسته وموقعه

كان قد مضى على رؤيتى ضاحية « فيرون »
أربعون سنة حين أبت إليها هذا الخريف للعيد
اللاخي واللق البرىء والد كزى الحلوة . وقد نزلت
ضيفاً على صديقى « سرفال » بعد إذ أعاد بناء قصره
التهدم من غارة الألمان

ليشد ما استرقى جمال هذا الريف ووسوسة
رياح الخريف فى هذه الأمكنة الحبيبة أجواء
سحرية وآفاق شعرية ، ومسارح لذكريات طفولتى
عزيزة على أنيرة عندي . ثم فيها بعد ذلك المناظر
الطبيعية البهيجة ، والشاجر الخضرة الأريجة ،
ومفان النظر والفؤاد والسمع

أندرى ما يجتذبتنا من هذه الأمكنة التى درجت
فيها طفولتنا ونما صباها ؟ ذكريات عذاب حول
نوع مسجور كنا تصيد فيه السمك ، أو جلسات
إلى دوح مشجر نصنى فيه لفناء الطير ، أو قفزات
مرحات فوق نهر دافق صافق نفوس فيه بأقدامنا ،
أو صعدت إلى ربوة مشرفة غموضرة بالنبت
يانعة الزهر مغفومة بالمطر . كنا نتجأ على
مساعدتها فرحين ، أو نبارى على مسالكها الزلقة
لاهثين ، كأننا الجداء المرحه الطافرة ، أو الظباء الراهنة

الجليدة، وملاعها القروية الجافة — أشبه ماتكون بولدها وزوجها . لم يكن أحد منهما راق ليمجها ، ولا شيء منهما راع ليضحكها أو يطربها ؛ فهي الدهر متعبة منقبضة ، بأسرة الوجه راكدة الريح ...

على هذه الحال كانت تقضى حياتها الجافة الرتيبة في كوخها المتأبد الريد . حتى إذا تردى كوخها بردائه الشتوي الأبيض أخذت تحتلف مطلع كل أحد إلى القرية تشتري الخبز واللحم ، وتبتاع الخضار والفاكهة ، ثم ترد في سرعة إلى كوخها وتسلم نفسها إلى عزلتها ووحدتها ؛ وفي بعض الأحيان حين كانت تحشى وثبة ذئب عاو أو غارة ضبع طاو ، كانت تتقلب بندقية ولدها الصديقة المتيقة وتمشي بها متحاملة مكدودة ، بحنية القامة ، مرتهكة المفاصل منهرة الصدر ، تقطع أقدامها اقتلاعاً من أبسطة الثلج ، بينما فوهة البندقية تمثت بمصاصة سوداء حول رأسها ، تجتهد الفوهة عبثاً في تنجيها عن شموها البيضاء المشتعلة شيئاً ، والتي لم تكنحل عين بشرية برؤيتها مكشوفة

ففي ذات يوم أقبل « البروسيون » إلى القرية غازين ظافرين ، فتعجم على كل بيت أو كوخ في القرية استقبال هؤلاء الأضياف الكرام ... كل بما تملك يمينه. وتتسع له ثروته ؛ وإذا كان الظن يتجه إلى ثروة صاحبتنا الوفيرة وتقودها المدفونة ، فقد أُجبرت على ضيافة أربعة جنود فتيان من الألمان ، مُحمر الوجوه شُعر الدقون زُرُق العيون ، غلاظ شديد الأسر ، مكتنزي اللحم والشحم على رغم شدة الحرب وهولها وعمرها أجسام الشباب برحاما ؛ وعلى أنهم في حِمَا النصر ونشوة التلبة والعزة ،

على الحال التي كنت تركيته فيها لآخر مرة سنة ١٨٦٩ منفرداً منعزلاً طيب الموقع تكتنفه شجيرات السكرمة وترتع في باحته وأمام باب أسراب الدجاج . حين شاهده الآن بهيكله المائل الخرب وجسده الضارع الحزين ، انسربت من عيني شئوني وهاجت في صدري شجوني . فذكرت مثالي يوماً كنت فيه سائغاً لاغباً بما أجهدي الصيد ، فدخلت هذا الكوخ لأول مرة فقدمت لي صاحبتة قدحاً من نبيذ . كما ذكرت أن صديقي « سرقال » اقتص على حكاية سكانه فقال : أما رب هذا المسكن فقد قتله حارس من خرايس الأحرار في يوم كان يستلب فيه غلة جاره ، وأما الولد فلخشونة طبعه وشراسة أخلاقه ووحشية مزاجه فقد كانوا يلقبونه بالولد « المتوحش » هو وأمه ؛ ولطالما أتلّف الزرع وسرق الدجاج وأفسد الحرت والنسل . وهنا خطر لي أن أعلم ماتم في أمم سكان هذا الكوخ المهجور فناديت صديقي وطلبت منه سرد قصة أهله فقال :

حين أعلنت حرب السبعين تطوّل « الولد المتوحش » وهو في سنته الثالثة والثلاثين ، في عداد من تطوّل من شباب القرية ، تاركاً أمه المجهوز وحدها في كوخها المنزمل ، وليس وراءها من يعولها غير صباة من مال تتناش بها

كانت وحيدة منبوذة في هذا الكوخ الملوّح النائي ، ومع هذا لم يكن الخوف ليرف مكاناً من قلبها ولا سبيلاً إلى نفسها ؛ إنما يخاف ويفزع الخرد الفيد والحسان الأماليد ، اللان قلوبهن هواه ، وأعضابهن خيوط عنكبوت . أما « الأم المتوحشة » فكانت — بقامتها النادة اللديدة ، ومعارفها الخشنة

ووطنها . وليس ذلك بدعاً من قلوب القرويين الأطهار
فالتعصب القوي لم يدخل قلوبهم ، والبغض الوطني
لم يجر في دماهم . فذلك كله يكاد يكون وفقاً على
قلوب أهل المدن والأمصار ، إن أهل القرية السذج
المساكين ، وسكان الريف الخشن الخاشعين ، الذين
يتحملون الثرم وغيرهم ينعم بالنعم لأنهم فقراء ،
والذين يطبسون نفساً بلحومهم الحية الفريضة كي
تحرقها نار المدافع وتسفدها جواحم القنابل ، لأنهم
كثير عديدهم في زعم أهل المدن ، والذين يتألون
من الحرب أشد الألم ويتعدون أهول العذاب
ويعنون منها بكل طاخية دهياء وكارثة ظلماء لأنهم
مستضعفون في الأرض ، لا يملكون لأنفسهم
وذويهم نعماً ولا دفماً ؛ أقول إن هؤلاء المساكين
الأخيار ليسوا أصحاب أمزجة حربية وطباع جهنمية ،
فلا الموت للذياد عن الوطن المنسوب مما يعتدونه
شرفاً ونفاراً ، ولا نحر الحياة والشباب عندهم بالمآثرة
التي تستأهل إلقاء الأجسام في النار

كان الناس يتحدثون في شأن هؤلاء الجنود
الأربعة وما يلقون عند الأم المتوحشة من راية وحذب
وإكرام . ففي ذات صباح بينما كانت صاحبتنا خالية
لنفسها ووحدها في كوخها إذ أبصرت في السهل الممتد
أمامها رجلاً يقصد منزلها . وحين اقترب من الكوخ
عرفت فيه موزع بريد القرية . فلما شاهدها ناولها
ورقة مطوية وقال لها : إنه لكتاب يهيك ياسيدي .
فأسرعت المجوز بإخراج منظارها الذي تستعين به
على خياطة ملابسها ثم قرأت :

سيدتي المتوحشة :

يسوؤني أن أحمل إليك أنباء فاجعة ألمية لا تنبأ

فقد كانوا نهاية في الظرف والسمائة ولين الجانب ،
يلقون الأم المتوحشة بالوجه الباش واللسان المنب
والهجة المطوف . ثم هم كانوا لا يألون جهداً في
إراحته وتوفير ثودها وتقليل إنفاقها عليهم ، ولا
يكلفونها عمل شيء أو سهيئة حاجة يستطيعون
الاضطلاع بها دونها . وعلى الجملة فقد كان إصلاح
الملبس وكى الثياب وتنظيف الأقمصه وغسل الأواني ،
وأخيراً مسح زجاج النوافذ وتكسير أحطاب التدفئة
أموراً منوطة بهؤلاء الفتيان الناشطين الذين كانوا
يرعون هذه الأم المتوحشة ، رءاء الأبناء البررة
أهم الحبيبة العزيزة . على أن ذلك ما كان يمنحها من
تذكر ولدها الراحل بقابته الطويلة المحنية وجسمه
المهزول الأنحف وأنفه الملهب الأعقف ، وعينه
الرماذية الكدناء وشاربه الفليظ الكث الذي طالما
نما وربا حول فمه وشفتيه ، كفاية كثيفة مشتجرة ؛
كانت دأمة التسال عنه ، كثيرة التلف لرويته ،
لا يمر يوم دون أن تلقى واحداً من هؤلاء الأربعة
بهذا السؤال :

— ألا تدلني على مسكر الفرقة الثالثة والعشرين
من الجيش الفرنسي ؟ والهفتاء على ولى لقد تطوع
في هذه الفرقة . فكانوا يمجيبونها برطانتهم الألمانية :
لا نستطيع ذلك ولا نعرفه . وإذ يذكرون أهماتهم
المروعات الجازعات ينتظرون إليهم في البلد القصي
تدركهم على هذه الأم اللتاعة المسكينة رحمة فيسرون
عنها اللفة ويرفون بعض ما يجد من الشجو والحنين .
لهذا ولطف والظرف اللذين كانت تجدهما في
هؤلاء الجنود الأربعة ، كانت « الأم المتوحشة »
تحبهم وتحنو عليهم بالرغم من أنهم أعداء بلادها

بعض من الألم أطراف شاربه الكثر ، كدأبه
حين يغضب ويهيج

علي أن سؤالاً جديداً تهافت على رأسها :
ما عسام صانعين بجسده الدامي المقطع ؟ أيمودون
به إليها كما فعلوا بجسد زوجها أم سيخلفونه جزر
سباع الطير وضواري الوحش ؟

وهنا بلغ سمعها خفق نعال جنودها ، يصخبون
ويجلبون بمد عودتهم من القرية . فقيت الرسالة
المشثومة في صدرها . ثم إنها ملكت عنان جأشها ،
فاصلطت هيئة الهدوء والجد واستمادت ساحتها
الاعتيادية المألوفة . كان الأربعة في لهو وسرور
وقصف ، وقد عادوا من القرية ظافرين بأرب
حنيد طرى سرقوه ولا شك من احد منازل
القرية . وحين بصروا بالألم أشاروا إليها بلكنتهم
المألوفة : أن أعدى لنا حساء لذيذاً شهياً . فهرعت
الألم تهيء الطعام وتقدم مائدة الإفطار . ولكن
شجاعها خانتها حين تحتم عليها ذبح الحيوان المسكين .
لم تكن هذه المرة الأولى التي تراول فيها ذبح أرنب
أو دجاجة . فقيم ترتب يداها ويخفق فؤادها ؟
أخيراً تمت عملية الذبح والسلخ . فظهر اللحم أحمر
تسيل دماؤه الحارة القانية على يدي المجوز فيسري
لرأها الخوف والهلول في عروق المرأة ، وترمد
من قة رأسها حتى إخص قدمها ، ولاسيا حين
تمثلت في جسده الدامي ولدها القعيد وقد قتله
القنبلة غرغ صريعاً للدين والتم

ويتم نضج الحيوان ، فيتخذ الأربعة مجالسهم
حول المائدة ويجلس صاحبنا في مكانها المتاد ،

نفسك المذبة لنبايعها : لقد قتل ابنك ياسيدتي .
انفجرت عليه قنبلة جهنمية فشطرته قسمين ، والحقته
ولما كنت بجانبه في خط القتال وكان قد رجاني
أن أحل أخباره إليك إن أصيب بنكبة أو أذى
فقد أخرجت من جيبه عقيب الفاجعة ساعته
لأسلمها إليك حين تنتهي الحرب . وتقبلي تحياتي
وتعزيتي الخالصتين :

سيزار ريفور

جندي من الفرقة الثانية من الجيش الفرنسي

وفي ذيل الرسالة تاريخ كتابتها وهو يعود إلى
ثلاثة أسابيع

وقفت الألم أمام هذه الكارثة مأخوذة والهذه حيرى ،
لا تحير كلاماً ولا تذرف دمعاً . فقد كان مصابها
يمز على المبرة . ثم أنشأت تردد بينها وبين نفسها :
هو ذا ولدي الحبيب لاقى مصرعه في مطاوى القرية ،
بعيداً عن أمه الرؤوم ، فوالهفتاه عليه وعلى شبابه
الفض وصباه الشارخ . ثم رحما الموقف وأمجدها
الدمع فأذرفت الدموع الفزار وصمدت الزفرات
الحرار . حتى إذا ثابت إليها نفسها وعاودها طازب
حلمها ، أخذت تذكر في حسرة ولهفة أنها لن
تقبله آخر الأبد قبلات أم حنون ، ولن تحتويه
بذراعيها ولن ولن ... يا لظلم الإنسان ، ألم يكف
حراس الأحرار قتل زوجها المسكين حتى ققام
الألمان القساء بولدها الوحيد يشظرونه شظرين
كأنه لعبة من سكر بين يدي طفل أرعن . ثم خيل
إلى المرأة الرزاة أنها تراه وسط اللعمة ، مقببول
الرأس عن الجسد بارز العينين من حجرتهما .

السلم الصناعي الذى اسطمنته المجوز بلاذغهم
 الفرقة الجديدة ، وما كادوا يفعلون وينلقون وراءهم
 باب سقف الفرقة الجديدة ، حتى انتزعت الأهم
 التوحشة ذلك السلم الحبل الذى يصلهم بياحة الدار ،
 ثم انسلت ففتحت باب الكوخ الخارجى ، وعادت
 تحمل حزم التبن والحشيش لتألفها بين المطبخ .
 وكانت تروح وتندو إلى غرفة الناعين فى حذر
 ورقية لتطمئن إلى استراحتهم فى النوم . وإذا سمعت
 غطيظهم الدوى الصاحب كأنه الأنعام المشوشة
 الناشزة تنبث من الأوتار التراخية المعلقة ، ارتدت
 إلى المطبخ فألقت فى الموقد المستعر حزمة من الحشيش
 وأعقبها بأخرى من التبن ، وحين تأكدت من
 اشتغالها وسرت النار فى الأكياس المجاورة غادرت
 المطبخ ، وراحت تتأمل عملها فى سكون وجود
 ووحشية . وفى بضع دقائق توجه المكان بالسمر
 المتأجج ثم استحال الكوخ بفرقه ومطبخه ، إلى
 حجم يتضرم وأتون يقذف باللب والشرر . ثم
 أخذت نلسنة اللهب تندلع من النوافذ والشبابيك
 كأنها ألسنة الشياطين ، وهنا انبثت من الكوخ
 صرخات شاكية ضارعة ، أعقبها أنات وتوسلات
 حزينة مبكية ؛ ثم انقطعت الأنات المدوية ، وخفت
 الصرخات الماوية ، فما عدت تسمع غير فرقعة
 الأخشاب وهى تثر فى الفضاء ، أو فرقعة الجدران
 وهى تنهاوى إلى الأرض . أخيراً انفجر الكوخ
 وتصعد هيكله وسط سحب داخنة سحاء وغيوم
 مشتتة حمراء . فكنت ترى الثلوج فى البرية ، وقد
 تألفت وتوهجت من انكسار النار عليها ، كأنها
 المروس الرعيبوب ، ارتدت حلة ناعمة بيضاء مطرزة
 الحوائش بالشرائط الحر

لا تشتعى طاماً ولا تسبخ شراباً ، بينا أصحابنا
 يزدردون اللحم الغريض ويشرقون بالنبيذ المتق
 الأحمر غير حافلين بها ولا ملقين إليها بالاً ؛ على أنها
 كانت تنناوهم بصرها الحين بعد الحين ، وقد هيأت
 فى نفسها أمراً . وعلى حين فجأة فاجأهم صائحة :
 — أليس غريباً أنى وقد مضى على إضائكم
 شهر لم أعرف أسماءكم بعد . فأدرك الجنود بعد لأي
 ما تمنيه الأم ، ثم أعلنوا أسماءهم كل بدوره ، ولكن
 ذلك لم يفتتها ، فرجهم كتابة أسمائهم وأسماء أسرهم
 وحل إقامتهم فى ورقة خاصة . فأذعن الأربعة
 لمشيئها ثم ناولوها ورقة بما اجتفت ، أخرجت لقراءتها
 منظارها المهود ، وجملت تنظر إلى خطوطها الغريبة ؛
 وما إن تأملتها برهة حتى طوت الورقة وأخفها
 دون ثيابها بجانب رسالة ابنها الفاجعة . فرغ الأربعة
 من تناول الطعام فأهابت بهم قائلة :

ساعد لكم شيئاً تحبونه ، ثم طفت تخرج من
 الفرقة التى ينامون فيها أكياس الحشيش وأكياس
 التبن ، وحين سألوها عما تبتنى من عملها أجابتهم :
 — البرد قارس والجو بارد وسأبى لكم من
 هذه الأكياس غرفة تنعمون فيها بالدفء اللذيذ
 والنوم الحنى . فأقبلوا فرحين يساعدونها فى
 تكديس الأكياس وترميم الجوانى . حتى تم لهم
 بذلك غرفة ذات جدر أربعة رجتهم الأم أن يقدوا
 فيها ليلتهم قارين دافئين هائنين

وفى اللذ كانت دهشة أحدهم بالغة ، حين شاهد
 الأم تعيد سيرة الأسس فلا تلمظ طاماً ولا تمد
 يدها إلى صحيفة ، ولما سألوها عن سبب امتناعها عن
 الطعام اعتذرت بضعف الشهية وعناء العمل ، ثم
 أصرمت نارا لتصلطها وصعد أصحابنا الأربعة

— هذه رسالة نبي ولدي فيكتور ، ثم أعقبت
وهي تجار كالنمرة الناضبة :

— وهذه عنوانين جنودكم ، وأرجو أن
تذكروا حين إرسالها إلى أمهاتهم : أني أنا التي
حرقته فلذات أ كبادهن ، وليكن توقيعهما هكذا :
« انتصار سيمون التوحشة »

لم يستطع الضابط أن يملك غضبه أمام وقاحة
هذه المجوز وتشفيا ، فأمر بجنوده فاستاقوها إلى
جدر من كوخها يوشك على الانطفاء ، ثم اصطف
حولها على بعد عشرين متراً اثنا عشر جندياً ، ورغم
أنها أدركت ما يراد من هذا العمل لم تبد حراكاً
ولا استمدت للدفاع عن نفسها

وهنا ارتفع صوت الضابط بأمر الجنود بإطلاق
ال نار دفعة واحدة .

لم تسقط المرأة كتلة دامية ، ولكن رصاص
البنادق قصف ركبتيها ، فهوت إلى الأرض
سريعة ، تحمل في يدها المتقبضة رسالة ولدها دامية
جرا

قال صديق وقد انتهى من سرد قصته على :
ولكي ينتمى الألمان ويشفون حرم من القرية ،
هدموا قصرى كما تعلم .

وبينا صديق يقول لى هذا كنت أمثل
لناطرى ، وأنا أتأمل الكوخ المهدم الخرب ،
شجو أولئك الامهات اللواتى فقدن أولادهن بين
جدرانها اللتهبة . ثم أعجب وأدهش لهذه البطولة
الشرسة التى أبدتها الأم التااكل ساعة الموت وحين
تلقت رصاص الجنود

كالك الحريق

وفى وسط هذا المرح والمزج كنت تسمع
إرمان جرس يدوى من بعيد ، منذراً بالخطر وداعياً
التحدة ، بينما الأم التوحشة عالقة البصر إلى
الكوخ وقد تنكببت بنديقه ولدها ، وفى نفسها
أن تطلق الرصاص على كل واحد من هؤلاء الأربعة
يسمعه جده فينجو من الجحيم اللاهب . حتى إذا
اطمأنت إلى أن كل شيء قد انتهى إلى ما ترغب
ألقت بسلاحها إلى النار الندلمة ، وتسلقت جذع
شجرة ثم راحت ترقب الحريق وادعة ساكنة .
وأمرع من القرية رجال للنجدة ، وفلاحون
لاستطلاع الخبر ، وجند من الألمان للتحقيق ، وكان
على رأسهم ضابط يتقن الفرنسية كأحد أبنائها ، قال
لها : أين جنودنا الأربعة أيها المجوز ؟

فدت الأم التوحشة يدها المروقة الهزيلة ،
ثم أشارت إلى الحريق الذى بدأت تمهد ناره ،
وأجابت بصوت هادئ قوى : هناك هناك .

فأحدق بها الجند ، ثم سألها الضابط :

— ومن كان للسبب فى إشراق النار ؟ فأجابت
المرأة وفى لهجتها التشفى والحنق :

— أنا ... أنا ...

ولم يصدق الضابط قولها وظن النكبة عصفت
برأسها ، فأمر جنوده فسدوا أمامها طريق النجاة ،
غير أنها استسلمت إليهم ، ثم أخذت تقص عليهم
حكاية حالها منذ اليوم الذى استقبلت فيه الجنود
الأربعة ، حتى هذه الساعة التى تشفى فيها غيظها
تأخذ بثأرها من كل ألمان

فرغت من قصتها وأخرجت من جيبيها ورقتين
مطويتين راحت تبين كلاهما على ضوء الحريق
مستمنة بمنظرها ، قالت وهى تفرد إحداها :

الدَّهْرُ الْمُعْجَلُ

أَقْصُوصَةٌ مَصْرِيَّةٌ
بقلم الأديب نجيب محفوظ

وأذهله السقوط إذ
بأقننه من حيث لم
يقدر فصكه مكلًا
وزعزع ثقته بنفسه .
ولم يستطع البقاء في
الدرسة معقًى من
المصروفات المدرسية
فوجع إلى قريته

حزينا بنوي صادق النية أب يدرس في داره
ويتقدم إلى الامتحان مرة أخرى ، ولكن كانت
الحياة شاقة مضطربة يكتنفها القلق والازعاج إذ
أن اخوة ضايقهم أن يقبع في عقر داره مطمئنا بين
كتبه ويجهدا هم أنفسهم طيلة يومهم ، فوان المهم
على صدره وتقهقر درجات وهوى لدى الامتحان
فكان سقوطه هذه المرة أنكى من المرة الأولى وأشد .
وسرعان ما انبرى له إخوته قائلين : إما العمل نضالاً
في الحقل وإما أن ترى لك رأياً غير المذاكرة . فساءه
تمصهم عليه واستبدادهم به فغزم أمتعتهم وقال لهم
غاضباً : « لا عجب أن يتربص بنا أبناء عمنا
ويقيدونا بالفقر كما قيدوا أبانا من قبل ، مادمتم
- وأنتم إخواني - تأخذكم القسوة على
تفسدون مستقبل ... فلتكن أمنيتمكم ، وهاتذا
هاجركم وهاجر القرية والمدرية ، ولستوف بأنيتكم
نبأى بمد حين » . وترك القرية غير مستمع إلى
توسلات ، يدفعه الغضب الشديد ، ويخيل إليه أنه
سيغزو المدن ويقهر البلدان ، ولم المال حتى يملو
شأنه عن كل شأن

ولد خليل بعد وفاة أبيه يئسمة أسابيع ، ولم
يكن اليتيم أشد ما ادخرته له الحياة ، لأن أباه كان
قد عاش عهدي الشباب والكهولة في فقر مدقع
قضى به عليه نزاع بينه وبين أبناء عمومته على
قطعة كبيرة من الأرض ما زال يؤجل الفصل
فيه أمام المحاكم أعواماً كثيرة حتى تقضت
حياة الرجل في ضيق . وشب الطفل بين أحضان
أمه مع إخوة ثلاثة له يعيشون جميعاً على ريع ثلاثة
فدادين لأهمهم ، فكان من أمر الإخوة الثلاثة
أن عملوا في الحقل على قنعة بما قسم لهم في
حاضرهم ، وعلى أمل أن يتوضهم الله عن
جهدم وصبرهم خيراً في مستقبلهم . وكان من حظ
خليل أن أرسل إلى الكتاب ثم إلى مدرسة
الزقازيق الابتدائية على كره من اخوته ، وآزره
النجاح فتال الشهادة الابتدائية وأدخل المدرسة
الثانوية . وما زال مشاركاً على نشاطه صابراً على
فقره حتى نال شهادة الكفاءة . وبث النجاح في
نفسه إيماناً وطيداً وعزماً كبداً وثقة مطمئنة ، لولا
أن قدر لحياة غير ما بشرت به طلائعها فولت به
التقدم وخانه الحظ فسقط في امتحان البكالوريا ،

حط خليل في القاهرة وقصد لساعته - مستمعين
 بإرشاد الناس - إلى شبرا حيث قريبه الناظر
 وكان الرجل يقيم في بيت كبير قديم ، مكون
 من طابقين ، جعل من الطابق الأول فصول
 مدرسته ، ومن الثاني نصفه للإدارة ونصفه سكناً
 له ، وكانت زيارة خليل مفاجأة لم يتوقها فرح
 به قائلاً :

« أهلاً وسهلاً .. كيف حال والدتك وإخوتك ؟
 أهلاً ... أهلاً ... لم لم تبتئس بمجيئك ؟ » فأجابه
 مبتسماً :

« لأنني حتى مساء أمس لم يخطر لي السفر
 على ذهن ، ولم أكن أقدر أني تارك القرية قبل
 استدارة عام دراسي كامل . فبدت الدهشة على وجه
 الناظر وتساءلت عيناه ؟ فاستطرد خليل قائلاً
 بلهجة حزينة :

« ضايق بي إخوتي وضقت بهم فالتفت في ذهني
 ففكرت الهجرة ، وسرعت ما أبرزتها إرادتي إلى حين
 الحقيقة فارتحلت عنهم » فضحك الأستاذ وقال :

« إن تاريخ أسرتنا يتلخص في قصة نزاع شق
 منذ القدم ، يأكل فيه أبناء العم أبناء عمومتهم
 والإخوة أبناء آبائهم . وعلى كل حال فحسناً فعلت
 فإن القرية تضيق عن مواهبك . ولكن على
 فكرة ... قل لي ما شأن قضيتكم الآن ؟ » فلم
 يمالك خليل نفسه من الضحك وقال :

« كمهلك بها ، ميتة حتى يأذن الله فيميتها ...
 وقد قابلنا الحماى منذ أجل قريب فوعداً ومناشاة
 وما يعدنا إلا هواء كإواعد أمنا من قبل ، وكما وعد
 أبانا بحمايه رحمة الله عليهم من قبل القبل ...

وكان له قريب يدعى عبد الباسط النر ، يدير
 مدرسة أهلية في العاصمة ، فحمل غايته إليه ، وبني
 أكامه عليه

وكان خليل يبدو محافظاً على دينه ، وإن وقف
 به إسلامه عند حدود المظاهر ، فكان يصلي الصلوات
 الخمس ويصوم رمضان ويقرأ القرآن ، ولكن قل
 أن تهتر نفسه لمواطف الإيمان العميق ، أو تنبت
 في قلبه خليجات الدين الصادقة ، ولذا أمكن أن
 تستقر في وجدانه آراء يرى منها الدين والأخلاق
 الفاضلة كما يأنه بالسطارة واعتقاده أنها فضيلة مادامت
 تمين على العيش والظفر في معترك الحياة . ولم يتخرج
 من الكذب والرياء والاحتيال مادامت هذه جميعها
 من دعائم الشطارة التي تسد خطاها نحو أهدافها
 النافعة ؛ ولم ينه ضميره إلى التنافر القائم بين هذه
 المبادئ خيرا وشرها فنجا من الأزمات النفسية
 والأخلاقية كأنه أشخاص مستقلون في كينونة
 واحدة . وظل راضياً هادئاً يعمل لدينه بما يفرضه
 عليه من العبادات ، ويعمل لدينه بما يفرضه به الهوى ؛
 وسار في طريق الحياة قدماً تدفعه هذه البواعث
 المتناقضة كأنه آلة صماء يستعين بها الطبيب على إنقاذ
 النفوس ويستعملها الأئيم في إزهاق الأرواح الأبرياء ...
 وعلى هذا النحو كان تليدأً مجتهداً متعبداً ، ولكنه
 استعمل مكره وحيلته ، فشارك الأكل طعامه ،
 والكسو ثيابه ، والقاري كتيبه ، حتى ساءت
 سمته وامتحن ذكره ، وغاض التلاميذ في سيره ؛
 ولكنه كان يعد نفسه دائماً المظفر المنتصر مادام
 يستطيع الاحتياط على أسباب العيش وهون عليه
 الفقر كبرايؤه وكرامته

« للعبد لله » وعلى كل حال انتظر فستعلم كل شيء
في حينه »

ومن غداة اليوم التالي ابتداء الأستاذ خليل عمله
كدرس . ولم يكن ذا اعتماد خاص للتعليم ،
ولكن ذخيرته من الحيلة أيدته بالقوة والثقة فقام
خير قيام بما يتطلبه عمله من الثبات والظهور بمظهر
العلم والرفان وأهلهته مواهبه ما يسوس به الأطفال
ويضبط النظام ؛ على أنه لم يلبث أن فطن إلى أن
جميع زملائه يستندون في الغالب إلى التهوريش
والتضليل لا إلى النمل الصادق والدرس الحق ،
فاطأأت نفسه وهوش وضلل وكان من التفوقين .
وكان يهاب قريبه وناظره ويعمل له الحساب ، ولكنه
— بطول الممارسة — اطلع على خبيثة نفسه ، فألفاه
لا يحتفل بالترية والنظام احتفاله بالحفلات وإراداتها
ففي الحفل المدرسي توزع بطاقات الدعوة بالثبات على
أولياء أمور التلاميذ ، وبالمشرات على كبراء الخي
وأغنيائه ، وفي أثناء الحفل يدور صفار التلاميذ
على كبار المدعوين بالورد وغيره من الأشياء الخفيفة
التي فيدفع الثورطون منهم ثمنه أضمافا مساهمة في
تنشئته الفقراء ... وكانت وظائف القائمين على هذه
الحفلات أقرب ما تكون شها بوظائف محملى
الضرائب . وقد لعب الأستاذ خليل دوره بمهارة جلبت
له المطف والثقة فأصحى لدى ناظره في منزل مكين
ولدى نهاية الشهر الأول من حياته الجديدة
قصد مع القاصدين إلى حجرة سكرتير المدرسة ،
ليقبض مرتبه — ولم يكن قد سأل عنه نادبا منه
واطمئنانا إلى تقدير قريبه — ولشد ما كانت دهشته

(٦)

« كل شيء رهن بمشيئة الله قاصبر الصبر الجليل
والآن اخبرني علام عزمت ؟ » فنظر إليه بيمين
مستطلمتين وقال : « أرغب في أن أجد عملا »
« أى عمل ؟ »

« آمل أن أجد في مدرستك وظيفة مناسبة »
فصمت الأستاذ مفكرا لحظة ثم قال :
« أظنك لم تحصل بعد على البكالوريا ؟ »
« نعم ولكن معلوماتي لا تقل عن أحد من
حاملها »

« فليكن . فإن عندي مدرسين لا يحملون سوى
السكفاءة ... فما هي المواد التي ترى أن تدرسها ؟ »
فانعش الأمل نفس خليل وتيقظت ثقته بنفسه
وتنهت شطارته فقال بثبات :

« كل ما تعهد به إلى .. عربي .. إنجليزي ..
حساب .. رسم .. ديانة .. ألعاب رياضية .. »
« حسن ... وفضلا عن ذلك فسأعهد إليك
بقسط في إدارة الحفلات »
« أي حفلات ؟ »

« الحفلات المدرسية ... التي تدر على المدرسة
رعيها الحقيقي وخاصة بعد أن أصبحت الالة الوزارية
غير مضمونة »

« وما سبب ذلك والوزارة لا تنى عن تشجيع
المدارس الأهلية ؟ »

فنهذ الأستاذ وقال :

« لأنى تورطت في تأييد الوزارة السابقة
وخطبت في حفل عام أقيم لتكريم الرئيس المستقيل ؛
ولا أعلن الوزارة الحاضرة — والداوة بين حزبيها
وحزب الوزارة المستقيلة مشهورة — نفسي هذا

عنه الفنون وتنفى عنه الرب ، أو فاهون الحياة
جيمًا وما أعبت الجهد يضيع في سبيلها

واستأنف أساليب الحياة التي كانت يتبعها
بإخلاص على عهد الطلبة في مدرسة الرافدين ،
وتربص بالحفلات المدرسية التي قال الناظر أنها تدر
على المدرسة ريمها الحقيقي ، تلك الحفلات المغرية
حيث تتراكم بطاقات الدعوة أكداسا ، أكداسا
وتتجمع التبرعات من كل صوب ، ويسهل اللعب على
من كان مشله نشيطا شاطرا حذقا ، وجرت يده
في خفة ودبت الحياة في جيوبه المهجورة فاطمان
نوعا إلى الحياة واستطاع أن يتمتع نفسه ييمض ليالي
القاهرة الفاتنة طورا في القاهي وطورا في الحانات ،
ولكن الأيام لم تتركه في غيه يجمع فلم يلبث أن
أحس بمراجعة رئيسه تحيط به ، ويحذره يأخذ عليه
السالك ، فكف مقهورا خيفة أن يفقد الزمان كله
ويخرج « من المولد بلا حمص » ولكن أنى له
الصبر ونداءات الشهوات لا تحمد لها نار في قلبه
أو يخف لها صراخ !

وهذه تحربه إلى مقهى قريب من المدرسة تسهر
فيه شرذمة من إخوانه المدرسين يلعبون الورق إلى
ساعة متأخرة من الليل فارتأى أن يسلك جماعتهم
وأن يجرب حظه ، وقد قابلوا رغبته بدهشة لا تخفى
لأنهم ظنوه بادئ الأمر حنبليا لا يرجع نداء دينه
الحنيف إلا واحدا منهم تحدها بنظرة ظفر وقال
وهو يقهقه :

« ألم أقل لكم أني أعلم ما لا تعلمون ؟ »

وشاركهم في لعبهم ، وجاء الحظ خيبا لآماله ،
فنتهت فيه غريزة الشطارة وانصرف بكليته إلى ترويض

حين سلمه الرجل ثلاثة جنبيات لاغير . وراحه في
الأمر ولكن الرجل أكد له أنه سلمه مرتبه
بالكامل . فهورل إلى حجرة الناظر والجنبيات في
يده ، وما إن رأى الرجل « المرتب » في يده وطالع
الدهشة المرسمة على وجهه حتى فهم بدهشة
ماوراءها ، فالتبس ابتسامة صفراء وقال بهفوء : —
« أغير راض أنت ؟ ... »

طبعًا ... خصوصًا وإنى أرى أن من للمدرسين —
ممن هم دوني عملا ونشاطا — من يجاوز مرتبهم
الخمسة جنبيات أو يزيد ... « فاستطرد الرجل وهو
ما يزال محافظا على هدوئه : —

« لا يفترنك قولهم ولا ما هو مقرر لهم ، فهذا
شيء والقبض شيء آخر ... وثق أنك أو فرم حظا .
ولا تنس أنك تشاركني سكني وأنى لن أغفلك
من المكافأة كل حفل مدرسي »

« هذا حسن ، ولكن ... »

« لا لكن يا أستاذ خليل ، أنت قربي ويمز
على أن تشكو . ولكن ما حيلتي وأنا مدير أعمال
خاسرة لا تكاد أرباحها تفي بمتاعها ؟ ... فلتقتنع
بهذا الآن وعزاؤك أن اخوانك لا يجدون في
الحكومة عملا ، وإذا وجدوا فلن يطمعوا في مثل
مرتبك هذا »

وهنا ذكر غضبته الفرعونية أمام إخوته
وتلوهم بقبضة يده وهو يقول : « ولسوف يأتيكم
نبأى ببدحين » فشمز بخزي قاتل وخيبة أمل مريرة

إذا كان الأمر كذلك فينبى أن يرى نفسه
حيلة ، وهل تنقصه الحيلة ؟ . وما هي ذى المظاهر
جيمًا — من عبادة وصلاة وتلاوة قرآن — تدفع

القنوط بطالمة في كل مكان :

وفي أول مارس دس الجنهات الثلاثة في صدره وترك المدرسة هائماً وإخوانه يتقاضون، ولم يلتفت إليهم لأنه كان مشغولاً بشباع نهمه في حدود الأغلال التي قيده بها الدهر، ولم يكن يبرأ - حتى في هذا اليوم السعيد يوم أول الشهر - من الابتأس والكآبة، لأنه يعلم أنه لا يملك حق التصرف في المبلغ الذي معه على ما يشتهي وإلا عرض نفسه لثلاثين يوماً قاحلة ينسى فقر ساعة منها ليل هذا اليوم السعيد، ولكنه لم يدر بخداه حسان تلك المفاجأة التي كان يدخرها له الدهر

فقيم هو يضرب في الأرض إذ رأى رجلاً يمر به مسرعاً. عرفه من النظرة الأولى، فأسرع نحوه حتى لحق به؛ وأحس به الرجل فتوقف والتفت إليه واستولت عليه الدهشة فصاح:-

« خليل افندى... ما الذي أتى بك إلى هنا؟ إنها مصادفة عجيبة تجتمع بك حين أفكر فيك. فتعجب مني واشكر الله كثيراً.. »

« ولم تفكر في يا حضرة الحامي؟ »

« كي أبشرك يا سيدى. فقد كسبتم القضية »

وردت إليكم أرض أياكم وديعما التجمع...

وكانت كل كلمة تخرج من فم الحامي تهز قلب خليل هزاً عنيفاً حتى خارت قواه وأحس أن الأرض تميد به فاستند إلى الحائط. أنه فرح فوق ما يحتمل، أما الحامي فاستطرد وهو بهم بالسير:-

إني مسافر هذا المساء إلى الزقازيق، وسوف

يده على الخفة والرشاقة... وسرعان ما تنبه الرفاق إلى هذا الرابع أبداً... وكان من المسير أن يخفى سره إلى الأبد غامت حوله الشبهات، وتجلت في عيون لاعبيه الرية والحذر؛ وما زالوا يدافعونه حتى قاطعوه صراحة ونحوه عن مائدتهم فأب ملوماً محسوراً...

ومرت عليه الأيام الطويلة وهو يعاني الفقر واليأس، وأخيراً قنث في جمبته فلم يجد سوى الاقتراض مخففاً عن نفسه ومشبعاً لرغباته وشهواته فاقترض، اقترض من الناظر ومن المدرسين ومن البواب نفسه. ولما طولب بأداء الدين ماطل وسوف وأجل وتهرب، فارتفعت الشكوى منه على كل لسان، واضطر سكرتير المدرسة أن يحجز على مرتبه فلم يفل بالمبالغ المطالبة. وهنا اشتد الغضب بالناظر واستدعاه إليه وقال له معتصفاً:

« إنك تخيب آملى فيك، وتضعنى في مركز دقيق أمام مرؤوسى، وإنى أصارحك بأنى لن أصبر على تصرفاتك بعد الآن »

ثم جمع إليه الموظفين وقال لهم في لهجة حازمة قاطمة:

« من يقرض خليلاً بعد الآن فستقع عليه تبعه عمله... ولن يكون مرتبه ضمانة لأحد... »

وهكذا وجد نفسه في عزلة رهيبة، يعيش بين أناس لا تربطهم به صلة عطف أو مودة، يضيقون به ويضيق بهم، ويتحاشونه ويتحاشاهم، فأحاط به الهم وعاش عيشة تكدة يتحمل الحرمان في جزع، ويتهلف على الأمل يميناً وشمالاً فلا يلقى إلا وجهه

جاهزة بين يديه حاضرة في قلبه من طول ما صورتها
له أمانيه ، وصاغتها أحلامه

فسار بأقدام مطمئنة إلى « الحاقى » وآثر
الحاقى على غيره ، لأن اللحمة كانت أغز المأكول
لديه وأشد تنمعا عليه ، وطلب ما أملاه عليه نهمه
وانكب على اللائدة يلهث ما عليها بجشع وشراهة .
فسكت عنه الجوع ، ولم يكف حتى اضطر إلى
الامتلاء والشبع ، وأخطأ تقديره إذ ترك اللائدة
لحما شهيا

ثم عرج بعد ذلك إلى حانة هادئة شرب فيها
وعل حتى دارت رأسه
ثم قادته الحمر — عند منتصف الليل — إلى
فراش لا يذوق النوم الزاقدون عليه

وعند الضحى غادر البيت كأنه غير رجل
الأمس . كان تبعا متهافكا مصفرا الوجه ، يدوى
الصدايح في رأسه ، وتلتوى شفتاه من الاشتزاز ،
فتمجج كيف تنتهي اللذة إلى هذه الحالة
المریضة التي ترهق في الدنيا بأسرها... وذكر
تلغفه على الملاذ ، وتجرقه على الطعام والشراب
والشهوات ، وذكر أنه كيف روى نفسه من هذه
جيمًا حتى اتحمها فردت إلى ما يعانى من ضوء
وضراء ، وكل هذا في ليلة واحدة... ليلة واحدة
لا أكثر... وأسفاه... لقد كان يظن خطأ
أنه ذو موهبة وقدرة على الاستمتاع بالحياة الدنيا
فأنا به غليل مسكين يتقلب على وجهه عند الكرة
الأولى... ألا سحقا للدنيا التي لا ترضى في فقر
ولا تسعد حين الثراء ، وسرت به روحه متلهفة

أقابل اخوتك غدا ... »

« خذنى معك ... »

« إذا شئت ... ولكن ينبغي أن تعلم أن
أمامكم عدة أيام — ربما بلغت الأسبوع —
تم فيها بعض الاجراءات القانونية قبل أن تسلموا
أموالكم
« إيه ... »

فأه بها وقد جد وجهه ، فضحك الأستاذ وقال :

« أخرى عن انتظار السنين راعما أن ينتظر

الأيام راضيا ... »

فليكن ، لقد أصبحت السعادة منه قاب قوسين
أو أدنى ، ورأى أن من الحكمة أن ينتظر هذه الأيام
في القاهرة لأنه كره أن يقيم بين إخوته فقيرا ،
ولو أياما معدودات وهو الذى هجرهم غاضبا متكبرا
وإنها لسعادة عظيما أن ينتقل الانسان فجأة
من الفقر إلى الثنى ، شبيه به أن يجد عبد نفسه على
عرش دولة من السادة ، فأى سعادة بعد يؤس ،
وعز أثر ذل ، وظفر عقب خذلان ؟

وقد تحسست يده محفظته فشمز بشمطة ، وذكر
أمانيه منذ لحظة فانفجرت شفتاه عن ابتسامة عذبة
وممس لضميره : « أستطيع أن أعيش أول ليلة في
حياتي »

واستسلم للأحلام ، ففمرته تياراتها المضطربة ،
ولفحه فيها ، فتشعبت به المسالك ، واختلط عليه
الأسمر ، وخيل إليه أن جنيتهاته الثلاثة لن تشبع
نهمه أو تطفى شهوته

فلما أن هدأت نفسه واطمأنت عواطفه الثائرة
رأى الأمر سهلا يسيرا ووجد « خطة » السهرة

إلا أن جيوبى خالية من النقود وأنا في شدة الحاجة إلى أجرة السفر وسوف أرد إليك نقودك أضاعا لدى وصولي القرية ...

« قد كنت لا ترد وأنت مقيم بيننا ... »

« تغير الأمر وصرت من الملاك »

فاقترب منه الشاب وشم فيه ، وارتد مشمئزاً وهو يقول :

« صدقت ... لا رب أنك تملك الضياع الواسعة ... أنا أيضاً أملك مثلها حيناً قصيراً من الليالي السعيدة ...

ولكنني أعجب كيف تبقى ربح هذه الحفر في رأسك حتى منتصف اليوم الثاني ... »

« لا تهذ . إن ما قلت هو الحق المبين »

فضحك الشاب وهو لا يستطيع تصديقه وسأله بلهجة تصنع فيها الجد :

« أي خمر هذه ؟ سها لي وأنا أشرب وأملك الضياع وأقرضك ما تشاء ... »

فولى عنه يائساً وهو يعض على أسنانه ، ولم يكن حظه أعظم توفيقاً مع غيره ، فسألم واحداً واحداً وردّوه جميعاً في لهجة صارمة حتى لم يبق ممن لم يسأل سوى حضرة الناظر والبواب . وكان يخشى الناظر ويتحاشاه فذهب إلى البواب ، ولما أحس الرجل بأن الحديث يحوم حول الاقتراض قال مسرعاً :

« معذرة يا سيدي ، لقد سبق مني بين الطلاق ألا أقرضك بعد المرة الأخيرة ، وقد طلقت امرأتى مرتين — بدافع الخلافات الزوجية — ورددتها » والثالثة ثابتة « وخراب بيتي قضاء لا يرضيك » فصاح في وجهه غاضباً : — « الله يجرب بيتك »

— وهو يعاني الألم والاشتزاز — إلى قرته الحبيبة وتغنى على الله لو يجد نفسه سريعاً بين ديارها ، يزرع أرضه ويهنا بميشة زوجة هادئة بعيداً عن مهالك النفوس ومثيرات الشهوات ، وبعيداً عن الناس جميعاً الذين يعيش بينهم في عزلة رهيبية وسط سياج من الحذر والمقت

وانتهى عند ذلك إلى المدرسة ، وتذكر وهو يضع يديه في جيوبه أنه خالي الوفاض وأنه أنفق آخر قرش من جنيته الثلاثة وخرج مشكوراً مصحوباً بالسلامة ...

إن ما ينبغي له الآن أن يقترض مبلغاً زهيداً يسافر به إلى بلده ويسدل ستاراً كثيفاً على هذه الحياة التكدية ؛ وإذا كان عشر هذا المبلغ بما يستجمل عليه اقتراضه وهو مفلس مشهور بالاحتياج فما يظن أنه يمز عليه الآن اقتراضه وهو غنى من الأغنياء وعين من الأعيان

وقصد من فوره إلى أول من لاقاه من مدرسي المدرسة فحياه على غير توقع وقال له :

« من فضلك يا شكري أفندي ... إني في حاجة شديدة إلى مبلغ زهيد لأني ... »

فدهش الرجل وقاطمه متسانلاً وهو لا يخفى دهشته :

« أقترض ولما يعض غير ليلة على أول الشهر ؟ يا حظ من كنت ضيقهم أمس ... »

« إنك لا تدري من الأمر شيئاً ، لقد رجحنا القضية ، ألم تعلم أنه كان بيننا وبين أبناء عمنا قضية منظورة أمام المحاكم منذ أعوام عديدة ؟ هي الحقيقة ولقد رجحنا القضية وصرت من الأغنياء المعدودين ،

صديقاً ما يزال على حسن ظنه ؟ ولكن هذا بعيد ، فليت يجد عملاً ولو نصف يومه للكنود هذا وبدا له هذا أعسر مطلباً من الأول ، فألقى بنظرة في أركان الطريق يزجو وهو يأس أن يجد كيساً مملوءاً منسياً ...

وحملته قدماه وهو لا يدرى إلى ميدان المحطة فنظر إلى بنائها وتهد بحسرة موجمة ، وجاس خلالها يطالع القطر المتأهبة للرحيل بلحظ حزين كئيب ويشهد المسافرين المتدافعين المهرولين بمسؤولهم وانتزع نفسه من المحطة ، واستأنف السير ، وصر الوقت لا يحس به ، حتى أدى المشى قديميه ، ونال التعب منه كل مثال ، وخيل إليه في تدهوره أن مفاصله ينفك بعضها عن بعض ، وشر — بعد طول الجهد — بقرصة الجوع تمزق بطنه الذي لم يستقبل شيئاً منذ عشاء الأسس الفاخر ، فصار يتخبط ، وذكريات القرية ، ومائدة الحاق ، والحامى ، والناظر . تتمثل أمام مخيلته في صورة مثيرة تاركة خلفها الألم والجزع

والتي في بعض تجواله الضال بشعاذ — وكانت آية الليل تحتل الآفاق التي ولت عنها أشعة الشفق — يسير متوكئاً على عكازه ، وعلى ظهره جوارق مملوء بما فيه من كسر الخبز ، فتمعجب غاية السجب أن يرجع هذا الشعاذ إلى مأواه آمناً مطمئناً ، سعيداً بما على ظهره وما في سراويله ، وأث يباعي هو — غنى مديرية الشرقية السري — ألم الجوع والقهر .. فأى دنيا هذه ...

وأجبر الجوع تيار تأملاته على الانقطاع فتبع الشعاذ عن كسب وقد جدت عيناه على جولته

ثم قصد إلى قريته يائساً متفعلاً ، وحاده في الأمر وارتاب الرجل في حقيقة القضية الراجعة لأنه لم يتعود من خليل الصدق ، وساءه أن يفترض في اليوم الثاني من الشهر فقال له باستياء شديد : —

« إنك تتصرف تصرف القصر المتهورين وتسئ إلى سمعتي وشرقي » فرد عليه بحماسة قاتلة : « أقسم لك بشرقي أننا كسبنا القضية ، وأن الذى أكد لي الخبر هو المحامى نفسه »

« آسف لأن أسأرك بأن لن أؤمن لك حتى بأثنى الخبر من إخوتك ، ولن أؤمن إن أنا أقروضتك اليوم أن تأتيني غداً وتمثل أمامي نفس المهزلة ، فلتتحمل عاقبة زرقك »

« أرجو أن تصدقي ... »

« لا تلج ... إلى بدأت أحس بأن ما يفرق بين أهلينا جميعاً من الشقاق سيفرق بيننا »

فاتفص خليل من الغضب ، وامتلاً غيظاً ويأساً فضرب المكتب بقبضة يده ضربة شديدة وخرج وهو يدعم بصوت حائق غير مفهوم

وكانت غصبة اليأس ، لأنه رى بنفسه في عزلة قاتلة وغدا لا مال له ولا معين ولا صديق ، فاستسلم للغضب وسب ولعن من دون جدوى لأن الغضب لا يستطيع أن يطوى به هذه الأميال التي تفصل بينه وبين قريته أو بينه وبين الراحة والطاينة

و ضرب في الأرض على غير هدى تقوده قدماه ذاهل الفكر ، حائر النفس ، لا يرى بصيصاً من النور ، ولا يبتدى إلى حل ، تتردد عيناه بين المارة والحوائث والبيوت والركبات كأنه يظن أن تظفراً يعتقد بجهول ينتشله من ورطته وإفلاسه ... لو يجد

ولعل أبانواس — وقد كانت حياته ليالي متصلة من نوع ليلة الأمس — رد في نهايته إلى مثل ما رد إليه هذا الصباح وهذا المساء من الألم والمحن فأطلقها صرخة داوية كما ينفجر البركان من شدة تفاعل باطن الأرض . ولكن وأسفاه نحن لا نذكر المظلات إلا حين لا تنفع إلا للمزاء والتأمل . وعرج إلى اليمين وثقلت خطاه وهو يمر أمام البيت الذي وجهه بالأمس مترنحا

أمن الممكن أن يرجو هنا خيرا...؟ ومع هذا فن ائني أطعمه من جوع...؟ وصعد مسرعا وطرق الباب ثم دخل ، فقابلته بترحاب وقالت له ضاحكة :

« لملي رقت لك ... ؟ »

فقال مضطربا :

« طيبا... طيبا... ولكني لست هنا لذلك »

« فلم أنت هنا إذا... ؟ » فتردد لحظة ولكنيه

خشى أن يعقله التردد عن الكلام فقال :

« إصغ إلى ياسيدي ، لقد فقدت تقودي كلها

ولا ناصر لي ولا معين ، وأنا في بلدكم هذا غريب ،

ويبني أن أعود إلى قريتي بالشرقية ، وأنا — أقسم

لك أني غني والحمد لله . فأقرضيني رايلا فقط أردت

اليك جنبا ذهبيا ، وخذي علي ما تشائين من

الضمانات ، ولكن بالله لا ترفضي لأن الرفض منناه

الموت والقنوط

« لملك وجدت أن تمن زجاجة الجمعة أرخص

بكثير مما دفعت بالأمس فحيت ... »

« أبدا أبدا... والله العظيم

« فملك إذا بلطجي ؟ »

فسال لما به وانخل قلبه ، وتلف إلى أقدر لقمة فيه ؛ ولا يحب فلأنه نوى أن يصوم يومه لحل له الإفطار منذ ساعة على الأقل . وخيل إليه أنه أيسر على نفسه أن يعد يده بالسؤال إلى هذا التسول من أن يعدها إلى أفندي يحترم في مثل زته ، ولكن كيف يفعل ذلك ... ؟

وعرج الرجل إلى منعطف هادي فاقرب منه وقلبه يدق بمنف في صدره وقال له بتضرع :

« يا عم ... أعطني كسرة خبز لله »

فنظر إليه الشحاذ دهشا وخصه من الرأس إلى القدم ، أو ببسارة أخرى من الطربوش إلى الحذاء ، ثم هن رأسه منكرا مستغربا وقال بلهجة صرّة :

« على الله ! فتوسل إليه بلهجة صادقة ووجه ناطق :

« لا تفرنك ثيابي ... إني أكاد أموت جوعا »

فتردد الرجل بين مصدق ومكذب ثم دس يده في جوفه وناوله نصف رغيف ، فارتد به إلى ركن مظلم كأنه ظفر بكز لا يثمن والتهمة بشرافة ولنة لا تقاس بها لفته بالأمس وهو جالس إلى مائدة الحاتي ، ولكنه لم يتالك عواطفه فصححت عيناه دما ساخنا كما يبني لرجل يملك مالا يقل عن خمسين فدانا . وعيد يده بالسؤال إلى شحاذ عاجز ..

وإذ سكت عنه الجوع عاد إلى السير على غير هدى ، وإلى التفكير اليائس في معضلته ، ووجد نفسه فجأة في عماد الدين ، فتذكر ليلة الأمس القريب ... حقا إن الحياة عدو في ثياب صديق ،

وسارا جنباً إلى جنب ، وسنحت منه نظرة عارضة إليه فارتجف جسده لأنه خيل إليه أنه يرى جاكتته عليه ، كان الرجل يرتدي جلباباً وجاكتة وطربوشاً ويسير مطمئناً لا يقع له في حساب ما يقوم في نفس صاحبه من الشك والريب . أما خليل فكان ينعم النظر في الجاكتة ولا يكاد يصدق ما يرى له عيناه . إنها جاكتته نفسها بقياسها وتفصيلها ، بل هذا الزر المكسور شاهد لا ترتق إليه الشبهات ، فكيف حصل عليها ؟ أليكون قد سرقها ؟ إنه لا يهضم هذا الفرض ، أليها إذا أعطته إياها أو بمعنى آخر أهدتها إليه ؟ إن هؤلاء النسوة اللاتي يرتعن تحت أقدامهن خيرة الشبان يرتعن بدورهن تحت أقدام أحط المخلوقات وأدنسها . إنه يعرف ذلك تمام المعرفة ، فلا مجال للشك .. وتحاشى النظر إلى الرجل وأبت كبرياؤه أن يوجه إليه أى سؤال أو يناقحه في أى حديث . ومشى إلى جانبه شارد الفكر ساخن الرأس ملتهب المواقف حتى انتهى إلى المحطة وكر الرجل راجعاً دون أن يسمع كلمة شكر ...

أواه ... لقد كان وهو في محنة الفقر شاطراً محتالاً لا يشق له غبار ، يأتيه عيشه رغداً من كل مكان ، ولكن هذا لم يمنه — وهو أخو مكر ودهاء — من أن يرى رجلاً هلقوتاً يسلبه لباسه علانية فلا يستطيع له رداً ، كما لم يمنه — وهو صاحب ضياع وأموال — من أن يجد يده بالسؤال إلى شحاذ من أبناء السبيل وأن يطعم رغبته القدر وهو يبكي على قارعة الطريق ...

تجيب محضرن

« بل أنا بانيس قانط » فدقت على صدرها وقالت : « يا لسوء حظي ... غيرى لا يرجع إليها في مثل حالتك هذه إلا من يكون قد بذرت تحت قدميها أموالاً وضياعاً وأنت لم تنفق على سوى جنبه أعرج » « أتوسل إليك أنا في ورطة شديدة ... » فقالت بهنم :

« إن كنت عاطلاً ... أوظفك في بيتي »

« يا للداهية ... »

فقالت غاضبة :

« أتغضب وأنت تمد يدك سائلاً .. ؟ »

فأجاب : « هاك طربوشى رهينة »

فصمت هنية ، وتناول الموضوع من ناحيته الجدية ، ورمقت الطربوش والجاكتة بعين حالة .. ثم قالت :

« والجاكتة أيضاً ... لأن الطربوش وحده

لا يساوى شيئاً »

فتنفس الصمداء وخلع الجاكتة مسرعاً وقبض الريال وفر من أمامها كأنما اختطفه اختطافاً ، ولم يبق أمامه سوى أن يحزم متاعه التافه ، قصص من توه إلى حجرته بالمدرسة . فلما وقع نظره على الفراش خارت قواه فارتقى عليه يبدلته أعلى الأصعب بينطلونه وراح في سيات عميق . واستيقظ مبكراً فنهض من فراشه وأخذ حقيقته وترك المدرسة دون أن يودع أحداً . وعند منطفئ الطريق التقى بأحد الفراشين وكان قادماً من بيته قاصداً المدرسة فغياه الرجل بأدب — على رغم كل شيء — وأبدى استمداه لخدمته بحمل الحقيبة إلى محطة الترام فأعطاه إياها شكرًا ،

بالجمال؛ فلم يعد يجد في
مفاتيح النساء ما يستفزه
أويستيره، وأدعى
من كل ذلك أنه بات
يفكر في الموت على
غير دأبه، حين كان
يخيل إليه أنه ليس
هو الذي سيموت

بل شخص آخر اسمه فوزنترين
فراح ينشق أعراف الحب
من رياض الشباب، ويحيي
في قلبه العمود أول إحساسات
الحياة

ذهب إلى المدرسة الداخلية
في حقول جروهوفي، حيث
تتقف من السادسة على المذهب
الفزوبيلي تحت إشراف مجازر
خيرات، فألقى كل شيء قد
تغير، وألغى من المدرسة قسم
البنين. ثم زار المدرسة الحربية
وكنيسة كاريم حيث وقف إبان
تلذذه يناول القسيس البخور،
وحيث سرق أطراف الشموع
وشرب الماء الناز بعد حفلة
المشاء الرباني الأخير، ورش
الثماس الثقيل ببعض منه، فجزى

الماضية وإنكاراً لكل ما يحيط به. وذهب من قلبه وراءه شيخ الكنيسة بكل أهته وجلاله. وطاف
حب اجتلاء الطبيعة خلفاً إحساساً دقيقاً مرهفاً بالمعاهد التي مارس فيها أول مجازب الحب الصبياني
(٧)

لينولشكا

لِلْقَصِيصِي الرُّوسِيِّ اسْكَنْدَرُ كُوپَرِين
بِقِطْعَةٍ مَحْمَدُ شَكْرِي عِيَاد

اسكندر كوبرين، كاتب روسي
قريب العهد؛ يمتاز عن كثير من
الكُتّاب الروس بأنه لم تكن له
رسالة في الحياة غير الفن. فقد كان
يكتب للفن وحده، يتناول الحياة
باحساس فنان فيخرجها بريشة فنان،
غير قاصد إلى فكرة إصلاحية أو
فلسفة اجتماعية. على حين كان تولستوي
معبأاً اجتماعياً، ودستوفسكي متصوفاً
فيلسوفاً، وجوركي داعية شيعياً.
وتعد لينولشكا من أروع ما كتب
كوبرين؛ فهي تحمل إحساساً دقيقاً
طالياً من إحساسات النفس البهيمية،
وتحمله تحليلًا صادقاً قوياً خلاصاً.
وللقصص الفرنسي حى دى موباسان
قصة عنوانها « انتهى Fini » قريبة
الشبه من قصة كوبرين هذه، لولا
ما تحمله القومية والبيئة وشخصية
الكتائين من اختلاف في أسلوب
العرض والتشخيص Delincation.
وقد ترجمها لقراء الرواية في عدد
قادم، لتتيح لهم فرصة المقارنة بين
فنيين عظيمين في القصة
« المترجم »

عند ما ارتحل الكولونيل
فوزنترين من بطرسبرج إلى
الكرعيسا، عاج على موسكو
فقضى فيها يومين يتلصق في
مهدا ذكريات طفولته، ويذكر
بين ربوعها أحلام شبابه

ويقال إن بعض الحيوان
إذا أحس دنو الأجل ارتد مودعاً
إلى مسارحه الأولى. وما كان
بقوزنترين من داء يهدده بميتة
مبكرة، فقد كان لما يزل في
الأربعين من عمره، قوى العود
منتصب القامة، صحيح الجسم.
ولكنه كان يرى في إحساساته
ومشاعره وصلاته بالعالم منذراً
بشيخوخة الروح وهرم النفس
كان يحس عزوفاً عن اللو
وانصرفاً إلى تذكارات الأيام

ثم طلب شاياً وصعد . وكانت الباخرة تسبح في ضباب وردى شف مدت فيه الشمس أسلاكاً من عسجد . وكان الشاطئ الرملى يلتصق من بعيد والبحر يفصل جوانب المغينة في لين . وتابت الباخرة سبيلها فهبط فوزتزين إلى قاعة الطعام فرأى منظراً عجيباً : رأى الموائد قد صفت إلى الحيطان وزينت بازهور وأغذية عيد الفصح ^(١) ، وكانت أشعة الشمس الوضاعة ترسم على أغطية الموائد دوائر من ذهب ، وتصنع بيض العيد بحمرة الورد وزرقة السفير ^(٢) ، وتتوهج تحتها أزهار الخزامى والبنفسج والسوسن والثالوث

وأقبلت سيدة تظفر ، فأطلق إليها فوزتزين نظرة لمّاحة إذ هي مارة به ، وما كان بها من شباب ولا جمال ، ولكنها كانت ذات قوام خصيب ريان ، وكانت ترتدى ثوباً بسيطاً محبوكاً رمادى اللون موشى بالحرير عند الطوق وأطراف الأكمام . وكان رأسها مغطى بوشاح شفاف أبيض ضارب إلى الزرقة ، وكانت تحتسى شاهاً وتقرأ في نفس الوقت كتاباً فرنسياً كما حدس فوزتزين من اندماج حجمه واصفرار غلافه

وأوحى إلى فوزتزين عند رؤيتها كأن فيها شيئاً مألوفاً ولكنه بعيد العهد . لم يطالع ذلك في عيائها بل في احديداب رقبته ، وارتفاع حاجبها كلما بصرت به . ولكن ذلك التأثير اللاشعورى لم يلبث إلا قليلاً حتى نسي وأحس ؛ وسرعان ما ارتفعت حرارة الجو تذكي الرغبة في تزهة على ظهر السفين ،

العابث ، وولج الحدائق والمتزهات فما رأى هناك أثراً من آثار صباه ، فقد كان كل شيء قد حال وتبدل ، فلم يشعر فوزتزين بشيء من الحنين ينفخ الحياة في روحه الخاملة ، ولم ينم له كرى الشباب بذلك الحزن الجميل اللطيف المتواضع المتأمل ، فهز رأسه : « أجل ... أجل ... إنها بداية الهرم وما باليد من شيء ... »

ثم عرض له شأن من شئون العمل حمله إلى « كيف » ليوم ، فبلغ « أودسة » أول الأسبوع المقدس ^(١) . وثار البحر فتلّبت فوزتزين لأنه لم يكن ملاحاً ماهراً . وفي السادسة من مساء السبت أفلتت به سفينة « الدوق الأعظم ألكسى » من فرضة براكتشكوى . ولم يودعه أحد فصر لذلك إذ لم يكن يحتمل ما يفرضه موقف التوديع من تكلف ونفاق

وكان السافرة قليلين وسوادهم من ركاب الدرجة الثالثة . وجاء فوزتزين خادمه متنبئاً أن في الدرجة الأولى — عداة — سيدة وابنتها . فقال الكولونيل في ارتياح : « حسن جداً .. » وكان كل شيء ينبئ بسفرة هادئة مريحة ، فقد كانت غرفة فوزتزين حسنة واسعة وضيئة النوافذ ؛ وكان البحر قد هدأ وتطامن بعد عصف وثورة ، وكسته أمواج رخية طفقت تهدد الباخرة وتداعبها في لين ورقق . فنام فوزتزين ليلته تلك كما لم يتم منذ شهور بل منذ أعوام حتى أيقظه صفير الباخرة وقد شارفت يوبا توربا ، وديب الأقدام على ظهورها . فارتدى ملابسه سريعاً

(١) عيد بئ السبع Easter

(٢) نوع من الياقوت أزرق اللون Sapphire

(١) الأسبوع الذى يسبق سبت الحلاص Holy Week

ويسمى بالإنجليزية أيضاً Passion Week

لثورتين أن سوف يذكرها في لحظة ، ولكنها
صاحت في جذل وهي تمد إليه يدها :

« فورتين ؟ كوليا فورتين ؟ هل عرفتي
الآن ؟ إن اسمي اليجي لثوفا ... ولكنك تذكر
ولا شك ! أفلا تذكر موسكو ، وشارع بوفارسكي
وحارة بوريسوجلوبسكي ، وبيت الكنيسة وصاحبك
في المدفعية « أركاشا إرلوف ؟ »

وارتمشت اليد التي امتدت تصافح كف السيدة
وشدت عليها بقوة فكأنما أعشاشها بريق الدكري
« يا إلهي ! أحقا ليتوتشكا ؟ ! إنني أستميتحك
المعويا إلينا يا إلينا ... »

« فلاديميروفنا . لقد نسيت ! وأنت كوليا ...
كوليا يمينه ... ذلك الفتى الخجول الثفور ذوالحسن
الرهيب ! أي عجب ! أي لقاء عجيب ! هلا جلست ؟
كم أنا مسرورة ! »

وقال فورتين : « حسن . حدثيني عن نفسك
كيف حال أركاشا ؟ وألكسندرا ميليتشا وأولتشكا ؟ »

فمنذ ما كان فورتين طالبا يتأهب للجنسية
انصلت حباله بمجال زميل يدعى إرلوف . فكان
يمضي أيام الأحد بين أهل سديقه ، ويتم معهم
بمطلة عيد الخلاص وعطلة عيد الميلاد بل بكل عطلة
وقبل أن يلحق بالدرسة العسكرية دم أركاشا
مرض شديد ، فاضطر آل إرلوف إلى أن يلتجئوا
به الريف ، ومنذ ذلك الحين انبتت الوشيجة التي
ناطت فورتين بهم حيناً . ومنذ سنين عديدة سمع
أن ليتوتشكا قد عقدت خطبتها على ضابط اسمه
چينشوك ، أطلق على نفسه الرصاص فجأة لسبب غير
ذی بال

فصعدت السيدة وجلست على مقعد إلى مؤخر
الباخرة ، فكانت تقرأ لحظة ثم تريح الكتاب على
نخدها ، وتحبذ في البحر كأنما استهوتها دواماته
الدوارة ، ثم إلى الشاطئ الرمل المنعرج تشرف من
فوقه أعشاب قليلة

وراح فورتين يذرع السفين جيئة وذهوبا .
وسنح بالسيدة مرة فنطرت إليه عذقة ، وتفرست
فيه متسائلة ، فخل إليه ثانية أنهما التقيا في مكان ما .
ثم ألم عليه ذلك الشعور وأزجه وقد وثق أن السيدة
تبادله إياه . يبد أن ذاكرته لم تطاوعه وإن ألحف
وأطال التفكير . فأقبل نحو السيدة للمرة العشرين ،
ولكنه اقترب منها هذه المرة في يسر أدهشه .
ورفع أصابعه إلى قمته العسكرية وصفق مهمازيه
صفقة خفيفة وقال :

« معذرة لما افترضت .. ولكني لا أستطيع
أن أمنع نفسي من الظن أنا تمارفنا من قبل .. أنا
متعارفان من عهد بعيد .. »

لم تكن جملة على الإطلاق . هي شقراء خفيفة
الحاجبين تفصل شعرها الآخر شعرات مسمرة
يخفيها البريق عن أن ترى من بعيد . وتغطي عينيها
الزرقاوين أهداب خفيفة ، ويرقرش النمش وجهها
المتفحص . غير أن فيها كان غصاً وردياً ممتلئاً بكن
القطع جميل الزوايا

أجابته : « وأنا أيضاً أجلس هنا وأعجب إن لم
نكن قد التقينا ... اسمي لثوفا ... هل عرفتي ؟ »
« إلى آسف ... أنا أدعى فورتين »

فالتفت في عيني السيدة بريق سرور ، وأضياء
صفحتها نور ابتسامة مألوقة ، حتى لقد حُيِّل

وقالت مدام لقوفا :

« لقد ماتت أركاشا في الريف في السنة التسعين بحسبي في رأسه ، ولم تمر « ماما » بده غير سنتين ، وأتت أولتشكا دراستها الطبية فهي اليوم طبيبة أولى في سرديفسك ، وكانت قبل جراحة مساعدة في جاكين ، وهي تأتي الزواج إباء شديداً ، وإن كانت قد سنحت لها فرص كثيرة سائفة ؛ أما أنا فقد تزوجت منذ عشرين عاماً — وتمتدت على زاوية فيها إيسامة — لقد أصبحت الآن عجوزا وزوجي من ملاك الأراضي ، وهو محقق أول لاطويل الباع ولا عريض الشهرة ؛ ولكنه رجل شريف أمين صاحب أسرة ، لا يشرب الخمر ولا يلعب اللمسر ولا يكاف بالنساء ككثير من رجال هذا الجيل ، وهذا ما أحمد الله عليه ... »

فقاطعتها فوزنترين :

« أفلا تذكرين أني أحببتك مرة يا إلينا فلاديميروفنا ؟

فضحكت ، وبدأت على عيائها كأنه انقلب شاباً من جديد ولحمت عين فوزنترين بريق أغشية ذهبية في أسنان كثيرة

« أي هراء ! لقد كان ذاك تجاذباً صبيانياً وحسب . بل لقد كان أقل من ذلك . إنك لم تكن تحبني على الإطلاق . بل لقد كنت تحب بنات سنلتكوف الأربع ، كلا بدوزها . فلما تزوجت الأولى ألقيت بقلبك عند قدمي الثانية ، وهكذا على التعقيب ... »

فقال فوزنترين في بشاشة لاعبة :

« آه ! إذن فقد كان بك شيء من النيرة على ؟ »

« كلا ... مطلقاً ... فما كنت أكن لك إلا

مثلاً كنت أكن لأخي أركاشا . وعندما بلغنا السابعة عشرة اتفاني شيء من الضيق لما صرفت اهتمامك عني . إنها منزلة ، ولكنك تعلم أن الفتيات لهن قلوب النساء . قد لا نحب الصامت الخابت ولكن ذلك لا يمنعا من النيرة عليه . وعلى أية حال فليس هذا الكلام إلا هراء . خبرني كيف أنت وماذا تعمل ؟

فخدها عن نفسه ، عن الجميع ، عن الحزب ، عن عمله في الجيش ، عن عمله الحالي . كلا إنه لم يتزوج وقد فات الأوان . ولقد كانت له بطبيعة الحال نزوات شتى ، وعلائق وشيجة

ثم فتر بينهما الحديث وجلسا صامتين يتراقمان النظر من عيون متماطفة ظللتها غشاوة من دموع . وتشبهت في ذاكرة فوزنترين صور الماضي تلوح وتتمش من وراء ثلاثين عاماً . لقد كان أول عهده بليتوتشكولاً يبلغ كلامها الحادية عشرة ، كانت طفلة نحيلة متقلبة الأهواء مُفِيظَة الفعال دأمة المراك لا ترى فيها لمة من جمال ، ففي وجهها كلف وفي ذراعها وساقها طول ، خفيفة الحاجبين حمراء الشعر تنمن شعرها خصلتان ريفتان تنوسان على خديها وكان الشب متصلاً بينها وبين فوزنترين وأركاشا ، حتى ليقضى بهم النزاع أحياناً إلى التضارب والتلاطم وما كانت أولتشكا تشاركهم عيهم هذا ، فقد كانت تبدو عليها سمة الصدر ورجاحة العقل وسمت الوقار .

وكانوا دائماً التردد أيام المطلات على المسارح والملاعب ، يشتركون في حفلات عيد الميلاد وتلوين بيض عيد الخلاص ، ويتكادون ويتفايطون كأهم

البراقين : « أياها الولد البشع الثقيل ! »

وكان الولد البشع الثقيل واقفاً وبداه ترتجفان وقد ارتجنا إلى أسفل ، بل لقد كانت ساقاه ترتعبدان . وكان العرق يَبْسُجُ من جبينه . لقد كان اللحظة يحس بين ذراعيه جسدها الرشيق الخاضع التأوّد . الأثوى ، ويلبس بصدره ثدييها الراسخين البسرين الطاوعين الفتيين ؛ ويشم رائحة جسدها ... رائحة مسكرة كُثُها زهور الحور !

وبدا فوزنزين عامه ذاك متخادلاً ثائراً صرير الفكر خفي الأحران هتان الدموع ؛ وبات نفوراً خجولاً مضطرباً عاصياً متمرداً . فكانت لا تمضي لحظة إلا مد ساقه إلى كرسي فأوقعه ؛ أو مد يديه فأمسك بينهما شيئاً طرياً ، أو قلب فناجين الشاي والبن على المائدة . فكانت الكسندرا ميلشينا تقول عنه في لطف وعطف : « لقد أصبح كوليانا شديد النفاق وحشي الطباع . »

وكانت لينوتشكا تهزأ به . فقد كان يقف وراءها سامداً وهي ترسم أو تطرز ، ويحدق في رأسها الخفي فيستشعر إحساساً عجيباً بالألم والسرور ؛ ولقد ينظر إلى نحرها الأبيض بنوس عليه شعرها الأصفر الخفيف المتموّج ، أو ينظر كيف يتكسر إزارها المدرسى الأسود حيناً تنفّس ، ثم يعود فينسطر ويستدير ، ويمتلئ عند ما تمتلئ رتبه . وكان مرأى السواربن البسيطين على يديها البيضاءين الأثويتين يصاحبه أتي ذهب ، ورائحة الحور تبسه أينما كان : في المدرسة أو في الكنيسة . وكانت دقاره وأغطية كتبه تمتلئ بالحرفين الأولين من اسمها . ا. ا. وكانا أيضاً محفورين في غطاء صندوقه ،

دُمى خشبية صغيرة . وعلى هذا الحال تقضت ثلاث سنين ثم ذهبت لينوتشكا — على عادتها — لتقضي الصيف بمنزلهم الريفي بجماكين . وعادت في الحريف إلى موسكو فراكها فوزنزين وقد تبدلت حالاً غير الحال ، ففقر فاه واتسعت عيناه دهشاً . كانت لا تزال بمنأى من أن تسمى جميلة . ولكن كان فيها سحر أروع من سحر الجمال . ذاك سحر الأنوثة الزاهرة المتفتحة تأتّى بالمعجزات بين يوم وليلة ، وبرد الطفلة الخشنة الطويلة الدراعين والساقين فتاة ساحرة . فقد ظل وجه لينوتشكا محتفظاً بذلك اللون العميق المورّد يجري من تحته دم الشباب الحار المرح . وبدأت أردافها تثقل وتستدير ، ونضج صدرها وبرزت زواياه واتمش جسمها كله ، وجرى فيه ماء الشباب يكسوه ليونة وغضارة وجمالاً

وسرعان ما تحول ما بينهما . فقد كانا في أحد اجتماعات يوم السبت يلعبان في غرفة نصف مظلمة فيبدأ يتصارعان ، وكانت النافذة لا تزال مفتوحة وقد انبثت من الحديقة الأمامية نباتات الحريف المبكر ، ورائحة الأوراق الدالابة ؛ وخفت في الفضاء دقات حزنينة بطيئة ترسلها الجرس الكبير في كنيسة بوريسوجلوبسكي

وتلاقاً بالسوق ، وتشاداً بالأذرع ، وتهايت على وجهيهما أنفاسهما البهورة . ثم تدافع الدم فجأة إلى خد لينوتشكا حتى بدا في ظلام الغروب واضحاً جلياً . وراحت تهمس في اضطراب وابتسار وغضب وقد غضت طرفها :

« دعني وحدي .. دعني أذهب .. إني لا أريد .. »

ثم أردفت وهي تحدجها بنظرة غاضبة من عينيها

وسط قلب ممزق ملتهب . وكانت الفتاة الصغيرة تدرك بغيره المرأة كنه صمته الخاشع المتبتل ، ولكنه كان في عينيها فرداً من الأسرة ، مألوفاً إلى حدٍ يبعد بينها وبين أن تحبه . أما هو فقد رآها قد انقلبت مخلوقاً عجيباً يانماً براقاً شديداً ، وإن بقى لديها ذلك الغلام العنيف ذا الصوت الخفيض والسترة العسكرية الضيقة والسراويل الواسعة . فكانت تغازل معارفها من صبيان المدارس في براءة ، وتمايل ابن القسيس في ساحة الكنيسة . وكان يلذ لها أحياناً أن تصوب إلى فونترين نظرة من نظراتها الخاطفة الذكية الراهفة ، فكأنها قط يرادو فأراً . فإذا نسي نفسه ، وشد على يدها شيئاً ، هددته ببنان مورد ، وقالت ملحة : « أنظر ... لا كشفن » لما « عن كل شيء ! » فتشيع البرودة في أطراف فونترين ، وبعلاً قلبه خوف قوى صادق ، حتى لقد أبلس وأعد العدة ليحب كبرى بنات سنلنكوف . ولكن قلبه الذي فاض بالوجد عرف السعادة لحظة في عيد الخلاص ...

ويشقان الطريق وسط الزحام في خطى متطابقة منتظمة . وكان كل شيء يسكرهما في تلك الليلة الرائعة : الغناء المرح ، والشموع الكثيرة والتقبيل والضحك والجمع المندفق ، واثلاق النجوم في السماء القاعة ، ورائحة الأوراق الفضة من الحدائق المسورة ؛ وذلك التقارب غير المألوف ، وشعور الضيقة وسط الزحام اللحي . وجذب فونترين ذراعها إليه كأنما بغير وعي ، فلم تبد ردّاً ملحوظاً ؛ فأعاد تلك الشدة الخفية فاستجابت لها ، فتلصص في الظلام أطراف بنائها ، قد يده عليها في لطف فلم تقاوم ولم تتفلس ولم يبدُ عليها غضب

وبلنا بوابة البيت ، وكان أركاشاً قد تركها مفتوحة لها ، وكان لا بد — للوصول إلى البيت — من عبور جسر أقيم بين صفيين من أشجار الرزفون لاجتباب الرُداغ . فلما اصطفت البوابة وراءها طفق يقبل أصابعها الدافئة اللينة الفضة « لينوتشكا ... إني أحبك ... إني أحبك » وطوق جيدها بذراعه وصرها إليه ، وقبلها قرب الأذن . وانحدرت قبعتها وسقطت على الأرض فما أبه بها ، وظل يقبل خفيها البارد وهو يهمس كالحموم : « لينوتشكا ... إني أحبك ... إني أحبك ... »

وعثر بشفتيها وهي تهمس : « كلا ... كلا ... دعني أذهب ... دعني ... » أي شفتين حاولتين ملتهبتين ساذجتين لم تقاوم حين قبلها ، ولكنها لم تبادلها قبلة وراحت تنففس في سرعة وعمق وخضوع ؛ ففاضت دموع الفرح على خديه تشيم البرد فيها . وعند ما انتزع نفسه

كان قد ذهب مع آل إرلوف إلى صلاة منتصف الليل في كنيسة بوريسو جلوبيسكي ؛ حيث كان لا لـكسندرا ميليفنا مكان خاص فرش ببساط خاص فوقه كرسي وثيز . وتلبّست الكسندرا ميليفنا وأولتسكا في الكنيسة لتريا تبريك خبز العيد وكعكته ، بينما غادر الكنيسة كولييا وأركاشا ولينوتشكا . واختفى أركاشا في الطريق نجاةً وكأنما ابتلته الأرض ، فتابع كولييا ولينوتشكا السير وحيدتين .

كانا يسيران وقد اشتبكت الذراع بالذراع ،

معدنى . أما الحاجبان فسوداوان يئنان ، وفى الفم
اكتناز واستفزاز ، وإن كان بكرأ نديًا جبارًا

وكانت الفتاة تبدي اهتمامًا بالناورات المشعة ،
فشرح لها فوزتزين عملها وكيفية تكوينها ، ثم
طفق يتحدث عن أعماق البحر الأسود ، وعن عمل
النواصين ، وعن حوادث السفن ؛ وكان يحدثها
ذَرِبَ اللسان فأصفت الفتاة إليه وهى تنفَس من
خلال شفتين منفرجتين ولا تحول بصرها عنه

وكان كلما أُنمَ النظر إليها ملأ قلبه شعور من
الحزن الرِّخى الجميل — عين الشعور الذى كان يتوق
إليه فى موسكو — إلا أنه أعمق وأوسع وأبث
على الاشارة

وعندما غادرتها الفتاة لتطل على ديرهـمـسونسكى
تناول يد لينوتشكا الكبيرة وقبلها وقال مفكرًا :

« إن الحياة بعدُ عاقلة ، ولا بد للانسان من
أن يخضع لأحكامها ، وهى إلى ذلك جميلة ، فأعما
الحياة بث متسبل للأموال ؛ وسوف تذهب أُنَا
وأنت ، وسوف نفنى ، وتنتمش من جوارحنا
وأفكارنا وأعمالنا وبمبادئنا وخيالنا ومواهبننا
لينوتشكا أخرى ، وفوزتزين آخر ؛ فكل شيء
متصل بالآخر منوط به ، وسوف أذهب ، ولكنى
سوف أبقى ؛ وليس لنا إلا أن نجب الحياة ونخضع ؛
فأنا نعيش سويًا ، أحياء ومبعوثين »

وانحني يقبل يدها حمرة أخرى . فثلثت خده
الأخبر فى حنان ، ثم تبادلوا النظرات فامتلاأت
مآقيهما بالدموع ، وابتما ... بسمة حلوة متمبة
حزينة ...

شكرى محمد عباد

عن شفتيها ، ونظر إلى النجوم تفتىء من خلال
أغصان الزيزفون رقص فرحًا وانفجر باكيا ...

« لينوتشكا ... إني أحبك ... »

« دعنى وحدى ... ! »

« لينوتشكا ! »

فصاحت فى غضب ما كان منظرًا :

« أيها الولد البشع الثقيل ! سوف ترى !
لأكشفن » « لاما » عن كل شيء ! سوف أخبرها
ولا شك ... ! »

ولم تخبر أنها بشيء ... ولكنها لم تعد تنفرد
به منذ تلك الليلة . ثم أقبل الصيف ...

« ... وهل تذكرين ... يا إلينا فلاديميروفا ،
كيف قبل سبي فتاة قرب بوابة بيت الكنيسة فى
مساء جميل من أمسية عيد القيامة ؟ »
فأجابته وهى تضحك فى ساحة :

« أنا لا أذكر شيئًا أيها الولد البشع الثقيل !
وعلى أية حال فهناك ابنتى قد أقبلت ، ويجب أن
أقدمكما . لينوتشكا ! هذا نيكولاى إيشانوفتشى
فوزتزين ... صديق قديم ، قديم ، من أصدقاء
طفولتى . وتلك ابنتى لينوتشكا ؛ وهى الآن فى سبي »
ذلك المساء الجميل من أمسية عيد الفصح
فقال فوزتزين :

« لينوتشكا الصغيرة ولينوتشكا الكبيرة »
فأجابته مدام لقوفا — فى شيء من المرارة —
تصحح قوله :

« كلا ... لينوتشكا المعجوز ولينوتشكا الفتاة »
وكانت لينوتشكا تشبه أنها شبا كبيرًا ، إلا
أنها أجمل من الثانية أيام صباها ، وكان لها —
بدل شعر أنها الأحمر — شعر كستنائى ذو لمان

أخيل زعيم اليرميدون ، وروح أخيل نفسه ،
 وروح أجا كس العظيم ... وعرف أجا ممنون روح
 أمفيدون الماشق المحروب الذى قتله أودسيوس
 فيمن قتل من عشاق بنلوط ، فكله ، وكله
 أمفيدون فقص عليه ما كان من مأساتهم الغرامية
 وما كان من أوبة أودسيوس المفاجئة واختلاطه
 بهم في صورة فقير شحاذ ... إلى آخر القصة
 الدامية المشجعة التى انتهت بقتلهم جميعا ... وما
 كاد يفرغ حتى بدا العجب في عيا القائد أجا ممنون
 وطفق يثني على وفاء بنلوط ، وشجاعة صديقه
 أودسيوس ، ثم راح ينثي على زوجته الآثمة
 كليتمسترا ما كان من غدرها ، وتدير غيلته مع
 حبيبها الفاسق إيجستوس ...

وهكذا انتهت الأشباح الآثمة إلى ظلمات
 هيدز ... إلى مملكة بلوتو ... حيث تاتي جزاءها
 العادل من غلاب سيريريوس الحادة وأظفاره
 القواطع

هنا ما كان من أمر تلك الفئة الباغية
 أما ما كان من أمر أودسيوس فقد استيقظ في
 بكرة اليوم التالي واستيقظت معه بنلوط السعيدة ،
 وهب من فراشه فارتدى ملابسه ، ووضع عليه
 سلاحه ، ثم أمر زوجته ألا تتخاطب من الناس
 إنسيا حتى يعود ، وأن تُفلق عليها أبواب القصر ،
 لأنه منطلق إلى أيه ليزف إليه البشرى بنفسه .
 ودعا إليه تلياخوس ليصحه وليصحه الراعيان
 الخالصان الوفيان ، بعد إذ يسبح كل منهما عليه
 دروعه ، ويستمد بسلاحه

وانطلق الأربعة يطوون شوارع المدينة إلى
 خيم عليها الصمت دون أن يشعر بهم أحد من
 أهلها ، حتى بلغوا الخلاه ، وما زالوا يذرعونه حتى



الأوديسية

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

أوديسيوس يلتقى أباه

وبعد السلام على ربوع إيثاكا

وهتف هرمن بأرواح القتلى فقصتهم ،
 ثم أشار إليها بعصاه السحرية فمحر الكرى
 مقلتها ثم أشار كره أخرى فأهرعت في إثره كما
 تهرع الخفافيش في إثر دليها

وانطلق حبيب الآلهة فمبر عباب البحر المحيط ،
 وعبرت الأرواح المائعة في إثره ، وجاز صخرة
 لوكيديا ، وبوابة الشمس الخالدة ، ثم انطلق ،
 والأرواح المائعة من خلفه ، في تيه الأحلام ، وعبر
 بها في صروج آسفوديل ذات الأشباح ، حيث لقي
 القتلى أرواح ذويهم وأبطالهم من رجال هيلاس
 الذين سقطوا تحت أسوار طروادة ... وهناك ...

وقفوا طويلا يتناجون ، وكلم ابن إليوس قائد
 الهيلانيين أجا ممنون ورثاله ، فكله أجا ممنون
 وتحسر عليه ، ورأوا روح بتروكولوس حبيب

غريب جواب آفاق ، ويحده ، لتعلم ما في قلبه ،
فذهب إليه ، ووقف عن كسب يكلمه :

— « أيها الشيخ ويكأنك لا علم لك بأمور
هذا الزرع ، وإن أعمر بستانك وآنى أكله ! حقاً ،
إني لا أرى عشباً في الأرض ، ولا شجرة إلا وهي
مثمرة ، ولا زهرة إلا وهي مُسفرة ناعية ، وما ذاك
إلا لسهرك عليها ... يبدأنه لن يسوء إن لاحظت
أنك تعني بهذا البستان أكثر مما تعني بنفسك ،
مع ما أنت فيه من تقادم السن ولفحة الشمس
ووطأة المرض ... وما أحسب مولاك إلا قاضي القلب
عليك ، قليل الاحتفاء بك والتوجه من أجلك ،
مع ما لك من سياء النبل ، ومظاهر الملوك ، فما كان
أحجب بك — وأنت في هذه السن — أن تستعم

وتتضمنخ وتنام ملء عينيك ، لا تزجك عمل ، ولا
تؤودك أكلاف الحياة ! ولكن قل لي بالله عليك
أيها الشيخ ، إن تصب كل هذا النصب ، وبستان
من هذا ؟ خبرني ! لا تخف على أيها الأب ، فلقد
لقيت من سألته فلم يأبه بي ولم يمن بمسألي ...
ولقد ذرعت الرحب حتى وصلت هذه الأرض إيشاكا .
لأنني كنت أقدم فيما مضى من الزمان فأحل ضيفاً .
على أمير عزيز فيها ، وما أعرف إن كان ما زال حياً
يرزق ، أو مضى لا قدر الله إلى هيدز ! ولقد كان
هذا الصديق يزورني في وطني فأكرم مثواه كما
يكرم مثواي ، ولقد كان يحدثنني الأحاديث عن أبيه
ليرتسب بن آز سزياس ... وما أنس لا أنس أيام
كان يحمل إلى الهدايا فأردها إليه أضمافاً مضاعفة ،
فمن ذاك أنفي تحفته مرة بسبع بدر من خالص
الذهب ، وبجالة من فضة مزدانة بأفواف الزهر ،
واثنى عشر صداراً ، واثنى عشر دثاراً ، ومثلهن
من أكرم البُسُط ، وشيء كثير من ثياب القاقم

كانوا عند الزرعة المصون الناضرة ، وهناك ، نظر
أودسيوس بعينين مشوقتين ، وقلب ملتحق حقيق ،
إلى البيت الصغير الذي يؤوى أباه الضعيف الشيخ ،
حيث يقضي أيامه في أمسي ليس بعده أمسي ، ويمتد
همومه في صمت كصمت الموتى ، ويدرف دموعه
في قنوط وسكون ... لا يراه أحد ، ولا يشكو بشه
إلى مخلوق إلا هذه المرأة المجوز الحيزون التي
تخدمه في رضى ، وتسهر عليه في حب له ،
وإشفاق من أجله ... وكان ليرتسب ، الأب المحزون
يتلهم بالعمل في بستان قريب يشذب شجراته ،
ويهنئ زهوراته ، فأمر أودسيوس ولده وراعيه
أن يبقوا في المنزل ليمدوا غداء فاجراً وشواء سميناً
لأنه يحب أن يلقى أباه في البستان وحده ...

— وانطلق أودسيوس إلى البستان ، فوجد
الفلاحين قد انصرفوا إلى أعمالهم ، ووجد أباه
يجوس خلال الأشجار كالشبح ، ويهوى بفأسه
فيحتفر حولن ، وهو بين الفينة والفينة يصلح من
بأسه الحشن الذي تحذه من جلدعز ، كما تحذمه قفازيه
وجوريه ... ووقف أودسيوس تحت كثرة باسقة
وطفق ينظر إليه ، ويقب في السنين الطوال التي
يؤود تحتهم عينيه ، ثم يتمجب للقلب الكبير الذي
صمد لحدائ الزمان ولأواء الأيام فلم يتصدع ولم
يهن ، وإن كان بعض خزنه لثنوء منه الجبال

وانبجس الدمع من عيني أودسيوس ، وانهمر
على خديه الحزنيين ، وأوثق أن يقضي نحو أبيه فيأخذه
في حضنه ، ويفجأ بالبشرى القاتلة ، لو لا خيفته
على تلك الشيخوخة المتداعية أن تنقص حين
لا تحتمل النبا العظيم ... نبأ عودة قطعة القلب
والكبد بعد بأس عشرين طمناً ... لهذا أثر
أودسيوس ألا يفعل ، وأثر أن يلقى أباه كرجل

وانعقدت سحابة مظلمة من مرارة الحزن
 فحجبت الضوء عن عيني ليرتيس ؛ ثم إنه أهوى
 إلى الأرض فقبض قبضات من التراب وراح يحثوها
 على رأسه ، ويث أنبتاً مؤلماً . ولم يحتمل أوديسيوس
 أن يرى أباه في هذه الحال ، بل كاد صدره ينشق
 من حسرة عليه ، فهرول نحوه ، وأخذه ملء ذراعيه
 وجعل يضمه إلى صدره ويقبله ويقول : « أبناء !
 أبناء ! هو أنا ذا ! أنا أوديسيوس عدت إليك بعد
 عشرين عاماً فافرح وهدئ روعك ، ولتنته الآلام
 وإليك أحسن البشريات ! لقد قتلت أعدائي المشاق
 جميعاً . قتلهم في بيتي ، وانتقمت لك ولي ولبنلوب ! »
 بيد أن ليرتيس وقف ذاهلاً عن نفسه ، ثم
 نظر إلى ولده وقال : « إن كنت حقاً ولدى
 أوديسيوس ، فهاك برهانك الذي يقطع شكي ! »
 فقال أوديسيوس : « ألا تصدق ! إذن فانظر
 إلى الندوب الخالدة التي أحدها في ساق خنزير
 الفلاة إذ أنا حدثت يا أبي ! ألا تذكر يوم كنا
 على جبل برناسوس ، وكان جدى أوتوليوكوس معنا
 نمة ، وكان يتحفنى بالهدايا والى ؟ وهاك دليلاً آخر
 يوم مشيت معك في هذه الحديقة ورجوتك أن تجعل
 بعض هذه الأشجار باسمي ، فشيت معك ، ورحت
 أنت تسميها لي بأسمائها ، فجعلت لي ثلاث عشرة
 كمتراً ، وعشر ثقافات ، وثلاثين تينة ، وخمسين
 صفاً من الكروم الناضرة التي كان يزرع الفصح بين
 عرائشها التي كانت تتدلى منها التناقيد من كل لون ! »
 وانجذب الشك عن فؤاد ليرتيس ، فأخذ ولده
 بين ذراعيه المرتجعتين وراح يضمه ويقبله ، ويصعد
 في صدره الرحب القوى أنفاسه ، حتى إذا وهنت
 قواه أرسله ، وأخذ يحده فيقول : « يا للآلهة !
 يا لأرباب السموات الخالدة في شفاف الأولب ! أهكذا

والسنجاب ، ثم أهديت إليه أربع جوارح كنس
 أبكار اختارهن بنفسه بثقافات مهنذات ، يتخالبن
 في الخبز ، ويرقلن في الدياج »

وازدحت الدموع الحار بكل الذكريات
 المشجية في عيني الرجل الشيخ ، وقال يجيب
 أوديسيوس : « أيها الأخ لقد بلغت منك ، فهذه
 هي إيشاكا ... بيد أنها - وأسفاه ! - نهب
 مقسم بين فئة باغية ظالمة لا تخضع لقانون ولا تعرف
 شريعة ... أما صديقك فوا أسنى عليه ... ويا ألف
 أسى على هدايك ! من لك به اليوم ليردها عليك
 أضماغاً مضاعفة يا صاح ! ولكن قل لي ربك
 وأصدقئ : منذ كم سنة لقيت صديقك التاعس ،
 الذي هو ابني ؟ إيه ... له الله ! ما أحسب إلا أن
 السلك قد اغتدى به ، أو أنه غدا يوماً جزر السباع
 وكل نسر قشم : أواه عليك يا أوديسيوس يا ولدى !
 هكذا قضيت ولم أذرف على رثاك عبرة ، ولم تكتمل
 عينا أمك قبل أن تموت برؤياك ... ولا بنلوب !
 ولا بنلوب أيضاً كانت إلى جانبك لتغض بيدها
 أحفانك ... ولكن ... ولكن قل لي أيها الأخ
 من أنت ، ومن أي البلاد قدمت ؟ وابن من من
 الكرام الأكابر ؟ وفي أي الرقاق وصلت إلى إيشاكا
 وفي أي السفائن ؟ أم وصلت بك إحدى الجوارى
 المنشآت ثم غادرتك في إيشاكا ؟ »

وقال أوديسيوس وهو يلقى ما يقول : « أنا من
 أنا ... ف... أنا إيريتوس بن أيداس بن بوليمون
 من أمراء ألياس ، من أعمال صقلية ، ولقد هبت
 على سفينتي عاصفة هوجاء فدفعتنا نحوه بلادكم وألقينا
 الراسي في ميثاكنكم ... ولقد لقيت أوديسيوس لآخر
 مرة منذ خمس سنوات ، وقد اقرقنا وكاننا أمل أن نلتقي
 لتبادل تذكارات المحبة وهدايا الصداقة والوفاء والود »

فلما رأوا ما ارتد إلى سيدهم بن شباه ، وهذا الرجل الغريب الذي يجلس بين العائلة القدسة ، وقفوا مسبوحين مشدوهين ، لا يعرفون ماذا يقولون ... وحدهم أودسيوس ، ثم بدأ يكلمهم في لطف وخبث ويقول : « إجلس أيها المعجوز دوليوس فكل أنت ورجالك ... لا تعجب ! فليس ثمة متسع لدعش أو عجب ... إجلس قبل كل شيء ! أملاً بطنك ويطون رجلك ... لقد انتظرناكم طويلاً ، لكنكم استأنيتم ! » ولكن سرعان ما عرف دوليوس مولاه حين سمع صوته ، فأقبل عليه ، وتناول يديه ، وطفق يفرها بالقبل الباكية ويقول : « أوه يا مولاي ! هكذا والله تستجيب السماء ! لقد طالما جأرنا ولقد طالما دعونا فلها الشئاء إذ ردتك إلينا ! فمش واسلم ومر وابتهج .. ولكن .. هل علمت الملكة بقدم مولاي ؟ أم ننتقل من فورنا فنزف إليها البشرية ؟ » وطمأنه أودسيوس ، فجلس الرجل مبتهجاً مسروراً ، وجلس أبناؤه معه ، وأخذوا في أكلمهم وشرابهم ، وأخذ أودسيوس يلاطفهم ويداعبهم .. وهكذا عاد الجبور حرة أخرى إلى بيت ليرتيس !

وقرع آذان الناس في المدينة ما كان من قدوم أودسيوس ، وما حاق بالأبراء المعاميد من نكبة على يديه الجبارتين فأهرعت جموعهم إلى قصره صاخبة ناعبة ، ثم انطلقوا إلى حيث كدست أجساد القتلى فحرق كل قتيله ، وأرسلت جثث الغزاة إلى ذويههم في أوطانهم في سفن الصيادين من كل فج لتُحرق في ... واجتمعوا بعد ليتشاورا بينهم فيما ينبغي أن يكون ... فنهض يوبيتيس والأسي زلزل جوانحه وأنشأ يقول : « أيها الرفاق ! وهكذا كان هذا الرجل الطاغية حرباً داعة عليكم فلم يصبركم منه إلا

قضيت آخر الأمر أن ينصب جام غضبك وحمم تقمّتك على هؤلاء الكفرة الفجرة ! ولكن ! لشد ما أخشى أن يتألب الجمهور علينا ، فيهرع إلى هنا ، ويطلبوا نار ذويههم ؟

فقبض أودسيوس وقال له يطمئنه : « لا عليك يا أبي ... هلم الآن نذهب إلى بيتك الجليل ، فلقد أرسلت تلياك ثمة ومعه الراعي ، ويومايوس الوفي ، ليمدوا لنا طعاماً سريعاً خفيفاً »

وأعد الطعام ، ومزجت العطر ، وذهبت الخادم المعجوز فأعدت حماماً لسيدھا الشيخ ، ثم ضمخته وأصفت عليه ملابس نظيفة ... وتنزلت ميزفا الكريمة فشت يديها الإلهيتين على جسم ليرتيس فتدفق الشباب في عروقه ، وعاد إليه رواؤه وحسن سمته ، فلما خرج من الحمام تعجب أودسيوس وقال له : « تالله يا أبتي إني لأشك أن بعض الآلهة قد رد إليك صباك . وخلع عليك بُردة الشباب من جديد ! ! »

ولم يكن عجب ليرتيس بأقل من عجب ولده ... « تماليت يا جوث ! وتقديست يا ميزفا ! وما جدك يا أبولو ! لقد كسوتوني نضرة الشباب التي كانت لي يوم ملكت مدينة تريكوس بمعونة السيفالبيين الشجعان ! أواه لو قد رُئي أن أفد إلى جنبك أمس يا ببي ، ليكون لي شرف مجاهدة الأوغاد الذين قتل ، إذن ، لحظيت بكوكبة منهم أضرج أديم الأرض بدمائها ، فأشفي منهم حرّداً في صدري ، وغلا في حشاشتي ! »

وأكلوا هنيئاً وشربوا مريضاً ، ثم جلسوا على الأرائك متقابلين .. وكانت الخادم المعجوز قد انطلقت إلى المزارع فدعت كبير الفلاحين دوليوس ، فأقبل في زجالة الذين كدّم العمل وأنهكهم الثابرة ...

ونصرفهم عن ولده وزوجه ومتاع هذه الحياة الدنيا ،
فأبتم أ كبر الإباء ، ورفضتم أ قبح الرض ، وجعلتموها
فتنة كنت أ ستميد بالآلهة منها ؟ فلعلنا تفل مراحل
صدوركم يا قوم ؟ وفيهم أثاركم بالرجل وقد ثار لمرضه ؟
ألا فاسمعوها كلمة خلصة أسديها إليكم ... الرأي ألا
نذهبوا ، وألا نجعلوها فتنة لا تصيب الذين ظلموا
خاصة ، بل اقموا ههنا آمنين ، ولا تكونوا كالذي
سعى إلى حتفه بظلفه ، وأبطلت عليه النايافى
قَدْماً إليها ! » ... وما فرغ حتى زجر القوم
وتصايحوا به ، ونجوا من كل مكان ... ثم إنهم
سموا إلى شيطان يوبيتيس ففزعوا إلى أسلحتهم ،
وأسبقوا عليهم من دروعهم ، وانطلقوا إلى المدينة
فنظموها فيها صفوفهم ، وأقاموا يوبيتيس قائداً
منحوساً عليهم ، وما جاوله كذلك إلا ليلق حتفه
بيد أوديسيوس ، وتمجّل روحه إلى النار !

ومضت ميرفا إلى سيد الأولب ، جوف العلي
فوقفت يبابه تقول : « أبته ! أين من سريتك ،
واكشف عن مكتوم قلبك ومكنون نفسك ؟ هل
يجل على هذه الفتنة الظالمة غضبك ، أم أنك لمانحها
محبتك ، ومحضها بجهيتك ؟ » فتبس من قولها وأشأ
يجيب : « وفيه هذا التساؤل يا ابنتي ؟ ألم تقدرى
أنت أن يعود أوديسيوس إلى وطنه فيذبح يديه
أولئك العتاة الطغاة ، ويربح وجه الأرض من
خباياهم ؟ لكن ما تشائين ؟ إسنى ما بدا لك ...
ولكن نصحى أحضك إياه يا ميرفا ! مادام
أوديسيوس قد ثار لنفسه من أعدائه ، فليكن السلام
على الأرض ، وليحل الأمان في ربوعها ، وليتقاسم
الملك على الود والصفاء ، وليحكم أوديسيوس بين الناس
بالعدل ... وعلينا نحن أن نزع ما في صدورهم من
غل فينسوا سخائمهم ، ويطرحوا ثاراتهم ، ثم لتكن

النار ، ولم تثمر لكم فعاله إلا الندامة ! فلقد ساق
شبابكم وخيراً بطلاكم إلى اليوم المشئومة حيث قتلوا
أجمين ، وينقلب إليكم اليوم ليذبح ساداتكم وذوى
الصولة فيكم ... فهلوا إذن وزوا رأيكم فيه قبل
أن ينطلق إلى بيلاس فيطلب المون عليكم ، وتصيحوا
على ما قصرتم نادمين ! إنا إن لم نثار لضحايانا فأى
عار يسمنا وأى خزي يصمنا يا قوم ! وأية حياة
هذه التى تحيونها بعد ما حل بكم من هوان ومذلة ...
لخير لكم أن تذهبوا أنفُسكم فترحلوا إلى هيدز مع
أرواح قتلاكم ولن تكونوا على ذلك من الأسفين ! »
ثم جلس وهو يتصدع من الحزن على صاحبه أثنيسوس
الذى كان أول ضحايا أوديسيوس ... وقام ميدون
النشد التاسع فقال : « أيها المواطنون أعيرونى
أفانكم ! تالله إن أوديسيوس لم يرم سهامه إذ رى ،
ولكن بمض الآلهة كان يرسم له ويتأفف عنه ، ولقد
رأيتُه بغير هاتين في صورة منطور ، ووالله ما هو
منطور ، ووالله لقد كان يمشى بين يديه ههنا وههنا
فيراع العشاق وتفزع قلوبهم ويسقط بعضهم فوق
بعض فتأخذهم سهام أوديسيوس ويروى من دماهم
جرازه ! » وما كاد يفرغ ميدون ، وكان فيهم أميناً
صادقاً ، حتى طارت ألوانهم وامتنعت جباههم ،
ونظر بعضهم إلى بعض ، وادّاروا طويلاً ، ثم
وقف هالتيّر بطلمهم القديم بن مسطور ، وكانت له
دراية بكشف أستاذ الماضي والحاضر والمستقبل ،
فصعّر خده وقال : « أيها الإخوان ! يا أبناء
إيثاكا ! اسمعوا وعوا ! تالله لقد طالما مهدتُم للفتنة ،
وإنها لثمرة أتم غارسو شجرتها وأتم اليوم جنتها ..
أنذركون يوم رجوتكم فالحفت عليكم في الرجاء أنا
وصاحبي ميدون هذا ، أن نذهب فتمنع التصر من
شبابكم ، ونصون عرض أوديسيوس من أبنائكم ،

فطار ليرتيس إليهم برعته ، وأقضى يوبيتيس بضربة في صدره ، فخرج سنان الرمح يلع من ظهره ورأى أوديسيوس ذلك فطار إلى الملاء بسلاحه ورماحه ، واقتض تلياك في إثره ، وهجم الآخرون في إثر تلياك ، ولم يطل القراع ، فقد فزع الأعداء واختلط نظامهم ، فولوا الأدبار ، ولكن هيهات ! لا نجاة اليوم ! فلقد سد عليهم أوديسيوس ورفاقه الطرق ، وأخذوا عليهم المسالك ، فهم في ضيق وهم ذاهلون ! وهتفت ابنة جوف المذراء بأوديسيوس ورجاله تقول : « السلام عليكم أيها المحاربون ! السلام ! السلام قبل أن تجزى دماؤكم أنهارا ! »

قد بدت ميترفا في صورتها الإلهية المقدسة فارتفعت فرائض القوم ، وتخاذلوا فنيا بينهم ، حتى أحجاب أوديسيوس ! لقد ارتجفت أعصابهم وعصف الذعر بسواعدهم ، وكادت سيوفهم ورماحهم تنثر على الأرض ... ولم يبق أوديسيوس ، بل هجم كالنمر على القوم المهزمين يودلو بصمقهم ، وطلق يرق ويرعد ، ويزأر بصوته المدوي العظيم ، فغضب سيد الأوبل ، وأرسل إحدى صواعقه نذيراً من لادنة إلى ميترفا ، فجعلت إليه ذات العينين الزبرجديتين ، وزجرته عن الناس وهي تقول : « لا يا أوديسيوس ! لا يا ابن ليرتيس التليل ، لا يجر هذا بماضيك ! ضع حداً لهذه المجزرة المروعة أو تجلب عليك غضب جوف البلى ! »

وحسب أوديسيوس ، وسرت ميترفا ، وعقد منظور الصالح بين الفريقين ، ودخل الناس في السلم كافة ... !

لهم من أنفسهم أمسة ، ولتجر البركات عليهم أجمعين ، وليصبحوا بجولنا أضيافاً متحابين »

وزفت ميترفا من السموات البلى إلى إيثاكا وفرغ أصحاب أوديسيوس من أكلهم فأمرهم أن يتحصنوا آثار القوم ، فاطلق أحد أبناء دوليوس إلى المدينة فرأى من استعداد أهلها ما رأى ، وجاء إلى مولاه على عجل فقال له : « مولاي ! لقد تسلى الإيثاكيون وهم موشكون أن يقدموا إليك ! » فهض أوديسيوس فادّرع وادّرع أبوه وابنه وخادماه وأبناء دوليوس الستة ، وادّرع دوليوس كذلك ، وادّرع الفلاحون الآخرون ، وحمل كل سلاحه ، وبرزوا إلى الطريق وفي مقدمتهم أوديسيوس

وبدت ميترفا في صورة منطور في طيلسانه ، فلما رآها أوديسيوس فرح واستبشر ، والتفت إلى تلياك فقال : « أي بني عليك أنت أن تحمينا اليوم فلقد عرفت ما خاض أبوك من معامع ، وسنرى من يحارب خيراً من صاحبه اليوم ! » فقال تلياك بحميه : « إطمئن يا أبي فستري كيف يحمى السلوج فرعه ، وكيف يشب الفرع على أصله . نالّه لن أفضحك فيا وكلت لي يا أبي ، ولن يجيب رأي أهلي في ! » وفرح الوالد بمقالة ابنه ، وشكر للآلهة وأثنى عليها واقتربت ميترفا من ليرتيس ، وهي ما تزال في صورة منطور ، فقالت له : « أوه أيها الجد الوقور ! صل لميترفا وابتهل ، وتوسل إلى جوف ، أن يمنحك القوة والجلد ، ثم اجمع بحربتك على يوبيتيس فروها من دمه ، فالسباء كلها معك » ولسته يدها فتدفق شبابه في قلبه ، وكان جيش الأعداء قد اقترب منهم

فهرس المجلد الاول من الرواية

الصفحة	القصة	المؤلف	العدد	الترجم	الصفحة	القصة	المؤلف	العدد	الترجم
٢	ضوء القمر	موباسان	١	أحمد حسن الزيات	٢٠٦	العقد الضائع	ابراهيم عبدالقادر المازني	١	الترجم
٦	الذي يضحك أخيراً	ابراهيم عبدالقادر المازني	١	أحمد حسن الزيات	٢١٣	ماريا	أفصوة انجليزية	١	أحمد عبد العظيم شحاته
١٣	لوان من الحب	بلاسكو إيانيز	١	عبد الرحمن صدقي	٢١٩	المرأة الشاعرة	توماس هاردي	١	نظمي خليل
١٩	خصام	عمود تيمور	١	عبد الرحمن صدقي	٢٢٨	يوميات نائب	توفيق الحكيم	١	عبد الرحمن صدقي
٢٧	لايتورا	ادجار آلن بو	١	عمود الخفيف	٢٣٣	رجل بلا روح	كانتين رينولد	١	أحمد فتحي مرسى
٣٢	مقتل رضوان كندج	فريد أبو حديد	١	عبد الرحمن صدقي	١٤١	المستربوكورفاته ديكتز	عائده	١	عائده
٣٩	مجهود ضائع	مرجريت كندى	١	أحمد فتحي مرسى	٢٤٧	سر أبي الهول	موريس رستان	١	خليل هندواي
٤٦	جوليا	جان جاك روسو	١	أحمد حسن الزيات	٢٥٣	اعترافات في المصردى موسى	فليكس فارس	١	فليكس فارس
٥٠	يوميات نائب	توفيق الحكيم	١	أحمد حسن الزيات	٢٥٨	الأوذنية	هوميروس	١	ديني خشبة
٥٩	اعترافات في المصردى موسى	فليكس فارس	١	أحمد حسن الزيات	٢٦٦	الوصية	موباسان	١	أحمد حسن الزيات
٦٣	الأوذنية	هوميروس	١	أحمد حسن الزيات	٢٧٠	الذكان	ابراهيم عبدالقادر المازني	١	أحمد حسن الزيات
٦٨	مغالبة جبل لفرست	عائده	١	أحمد حسن الزيات	٢٨٢	غرام الشراء	أفصوة فرنسية	١	ف . ف
٧٣	الحلية	موباسان	٢	أحمد حسن الزيات	٢٨٥	يوميات نائب	توفيق الحكيم	١	عبد الرحمن صدقي
٧٩	ليني ما ولدته	لويجي بيراندو	١	أحمد حسن الزيات	٢٩٠	عشية	أندريه كورتيس	١	عبد الرحمن صدقي
٩١	لو تكاشف الناس	فرنسيس دوير	١	عبد الرحمن صدقي	٢٩٧	العصمت	يوتيد أندريف	١	عبد الرحمن صدقي
٩٧	الهارب	ابراهيم عبدالقادر المازني	١	عبد الرحمن صدقي	٣٠٧	الحذاء المشوم	جرازا دايدا	١	عبد الرحمن صدقي
١٠٧	قلب الرجل	من القصص الايطالي	١	عبد الرحمن صدقي	٣١١	اعترافات في المصردى موسى	فليكس فارس	١	عبد الرحمن صدقي
١١٢	لينورا	برجر الألمان	١	عبد الرحمن صدقي	٣١٨	الأوذنية	هوميروس	١	عبد الرحمن صدقي
١١٥	يوميات نائب	توفيق الحكيم	١	عبد الرحمن صدقي	٣٢٤	سر أبي الهول	موريس رستان	١	خليل هندواي
١٢١	اعترافات في المصردى موسى	فليكس فارس	١	عبد الرحمن صدقي	٣٣٠	الحامي	موباسان	١	أحمد حسن الزيات
١٢٨	الأوذنية	هوميروس	١	عبد الرحمن صدقي	٣٣٤	هتاف الهاوية	أفصوة فرنسية	١	ف . ف
١٣٤	فتاة اليابان	أحمد فتحي مرسى	١	عبد الرحمن صدقي	٣٣٦	كيف كنت عمماً	ابراهيم عبدالقادر المازني	١	عبد الرحمن صدقي
١٣٨	ولد	موباسان	٣	أحمد حسن الزيات	٣٤١	مبارزة	قولاً تشيخوف	١	عبد الرحمن صدقي
١٤٧	تفيدة	ابراهيم عبدالقادر المازني	١	عبد الرحمن صدقي	٣٤٥	من القاتل	أندريه وارنود	١	عبد الرحمن صدقي
١٥٥	أرملة	أفصوة فرنسية	١	عبد الرحمن صدقي	٣٥٧	يوميات نائب	توفيق الحكيم	١	عبد الرحمن صدقي
١٥٩	الأياس في الحب	أنوربه بلزك	١	عبد الرحمن صدقي	٣٦٣	الساحر	تشارلوكوف	١	نظمي خليل
١٦٤	عدو	أفصوة إيطالية	١	عبد الرحمن صدقي	٣٧١	صيد السمك	سرسفد	١	حسن حبشي
١٦٨	جوليا	جان جاك روسو	١	عبد الرحمن صدقي	٣٧٤	اعترافات في المصردى موسى	فليكس فارس	١	عبد الرحمن صدقي
١٧١	المستربوكورفاته ديكتز	عائده	١	عبد الرحمن صدقي	٣٨٠	الأوذنية	هوميروس	١	عبد الرحمن صدقي
١٧٦	الصيني	أفصوة انجليزية	١	عبد الرحمن صدقي	٣٨٥	سر أبي الهول	موريس رستان	١	خليل هندواي
١٨٥	يوميات نائب	توفيق الحكيم	١	عبد الرحمن صدقي	٣٩٤	من ذكريات القرية	أحمد حسن الزيات	١	عبد الرحمن صدقي
١٩١	اعترافات في المصردى موسى	فليكس فارس	١	عبد الرحمن صدقي	٤٠١	اللائكة	ابراهيم عبدالقادر المازني	١	عبد الرحمن صدقي
١٩٦	الأوذنية	هوميروس	١	عبد الرحمن صدقي	٤٠٩	يوميات نائب	توفيق الحكيم	١	عبد الرحمن صدقي
٢٠١	في الزيبج	موباسان	٤	أحمد حسن الزيات	٤١٤	دورتيا	ميسر جور	١	عبد الرحمن صدقي
					٤١٩	تسى تانا	أفصوة يابانية	١	عبد الرحمن صدقي

الصفحة	القصة	المؤلف	الترجم	الصفحة	القصة	المؤلف	الترجم
٤٢٢	فلوريدورومرجيت أقصوصة فرنسية ف . ف			٦٥٠	عنواء حلب	فليكس فارس	العدد ١١
٤٢٥	على قم الآلب	عن الأنجليزية	أحمد فتحى مرسى	٦٥٧	في المرج	مكسيم جوركي	أحمد فتحى مرسى
٤٣٠	الزراعة الحارة	توماس هاردى	نظمى خليل	٦٦٣	يوميات نائب	توفيق الحكيم	✓
٤٣٧	الأوديسة	هوميروس	دربى خشبة	٦٦٤	عاقل	ابراهيم عبدالقادر المازنى	
٤٤٥	اعترافات فى العصر دى موسى	فليكس فارس		٦٧٤	في غمرة الموت	أمبروس بيرس	عبد الحميد حدى
٤٥٠	سر أبى الهول	موريس رستان	خليل هندواى	٦٨٢	الرسالة الاخيرة	رالف بلومز	محمد عبد الفتاح محمد
		العدد ٨		٦٨٧	الطفل السيد	رابندراناث طاغور	شكري محمد عباد
٤٥٨	الحزب الملون	موباسان	أحمد حسن الزيات	٦٩٢	التقد البهي	فرانسوا كوييه	محمد الفراوى
٤٦٢	ليلى	ابراهيم محمد القادر المازنى		٦٩٧	اعترافات فى العصر دى موسى	فليكس فارس	
٤٧٠	يوميات نائب	توفيق الحكيم		٧٠٤	الأوديسة	هوميروس	دربى خشبة
٤٧٦	الفريق	محمود الحفيف			العدد ١٢		
٤٨٤	الشيظانة	برنار نابون	محمد الرافي	٧١٤	حفلة عرس	بلاسكو بيانز	عبد اللطيف النشار
٤٩١	السيدة نكولتى آدم مولر	كامل محمود حبيب		٨٢١	خيابة في رسائل	غيب محفوظ	
٤٩٧	المراقب	تشيترلنكوف	نظمى خليل	٧٢٨	يوميات نائب	توفيق الحكيم	
٥٠٥	اعترافات فى العصر دى موسى	فليكس فارس		٧٣٤	الذباة	كاترين مسفيلك	عبد الحميد حدى
٥١٢	الأوديسة	هوميروس	دربى خشبة	٧٣٩	ناهد	ابراهيم عبدالقادر المازنى	
٥١٦	سر أبى الهول	موريس رستان	خليل هندواى	٧٤٨	ماتيو فالكوني	برسيدير ميريه	كامل محمود حبيب
		العدد ٩		٨٥٣	بعد عصرين عاماً	توماس هاردى	نظمى خليل
٥٢٢	الموسوم	موباسان	أحمد حسن الزيات	٧٦١	اعترافات فى العصر دى موسى	فليكس فارس	
٥٢٦	من غير عنوان	تشيترلنكوف	محمود البدوى	٧٦٨	الأوديسة	هوميروس	دربى خشبة
٥٢٩	غرام أدوار الثالث مسرحية انجليزية	عبد الحميد حدى			العدد ١٣		
٥٣٤	مات الملك عاش الملك	كوليريدج	محمد عبد الفتاح محمد	٧٧٨	النائم	ابراهيم عبدالقادر المازنى	
٥٣٩	يوميات نائب	توفيق الحكيم		٧٨٣	الغرفة المشتركة	جون ماديسون	أحمد فتحى مرسى
٥٤٥	الحبانة	ابراهيم عبدالقادر المازنى		٧٨٨	يوميات نائب	توفيق الحكيم	
٥٥٥	ليلة ممطرة	فليكس براون	كامل محمود حبيب	٧٩٥	أجلافيوس وسيليزيت	موريس مارتلك	محمد غلاب
٥٦١	القلب المحطم	واشنطن أرفنج	حسين محمد كامل	٨٠٦	طرق القدر	أوهزى	عبد الحميد حدى
٥٦٥	اعترافات فى العصر دى موسى	فليكس فارس		٨٢٤	شجرة عيد الميلاد	دستوفسكى	عبد اللطيف النشار
٥٧١	الأوديسة	هوميروس	دربى خشبة	٨٢٩	اعترافات فى العصر دى موسى	فليكس فارس	
٥٧٧	سر أبى الهول	موريس رستان	خليل هندواى	٨٣٥	الأوديسة	هوميروس	دربى خشبة
		العدد ١٠			العدد ١٤		
٥٨٦	إكسوس ومكريا أسطورة إغريقية	أحمد حسن الزيات		٨٤٢	الحب	انطون تشيخوف	عبد الحميد حدى
٥٩٣	المشال	أقصوصة فرنسية	ابن عبد الملك	٨٤٨	شيخ كاتريل	اسكار وايلد	بشير الصريقى
٥٩٧	يوميات نائب	توفيق الحكيم		٨٦٥	الفتاة التى سلبنى ولدى		إميل فرج
٦٠٣	الزوجة	واشنطن أرفنج	حسين محمد كامل	٨٧٥	الأحجار الحماة	طاغور	شكري محمد عباد
٦٠٨	الريض	ابراهيم عبدالقادر المازنى		٨٨١	أجلافيوس وسيليزيت	مارتلك	محمد غلاب
٦١٦	وتفضلوا بقبول	ساتيكوف	عبد اللطيف النشار	٨٩٤	اعترافات فى العصر دى موسى	فليكس فارس	
	احتراى			٨٩٩	الأوديسة	هوميروس	دربى خشبة
٦٢٠	جزاء الاجتهاد	رتشارد جارت	عبد الحميد حدى		العدد ١٥		
٦٢٦	الذراع القابلة	توماس هاردى	نظمى خليل	٩٠٦	عمر مسز باكليد ساكى		عبد الحميد حدى
٦٣٣	اعترافات فى العصر دى موسى	فليكس فارس		٩١٠	الحزب والزيتون	لكاتب تركى	عبد اللطيف أحمد
٦٤١	الأوديسة	هوميروس	دربى خشبة				

الصفحة	القصة	المؤلف	الترجم
٩٦٩	فندقجو	بروسير ميريه	حسن صادق
٩٧٣	كرد على	يوشكين	عبد اللطيف النشار
٩٧٧	عودة الروح	تيودور دي باغيل	السيد محمد الزاوي
٩٤١	أجلافتين وسيليزيت مارتك	محمد غلاب	فليكس فارس
٩٥٣	اعترافات في العصر دي موسى	فليكس فارس	فليكس فارس
٩٦٠	الأوديسة	هوميرس	دريتي خشبة
٩٧٠	على الحديقة	ابراهيم عبد القادر المازني	المعد ١٦
٩٧٤	قصة بلا نهاية	أنطون تشيخوف	عبد المجيدي حدى
٩٨٢	المرض المتبادل	غيب محفوظ	محمد الزاوي
٩٨٧	جبات	موباسان	فليكس فارس
٩٩٣	فاوست	فليكس فارس	عبد المجيدي حدى
١٠٠١	على الباني تدور الدوارض الإنجليزية	أميل فرج	عبد المجيدي حدى
١٠١٣	إنها أمي	عمود خيرت	عبد المجيدي حدى
١٠١٧	القلب القضي	فيكتوريان	عبد المجيدي حدى
١٠٢٣	اعترافات في العصر دي موسى	فليكس فارس	فليكس فارس
١٠٣٤	لو حرف الشباب	ابراهيم عبد القادر المازني	المعد ١٧
١٠٤١	الديم	لأميل زولا	عمود خيرت
١٠٤٦	سباق الحصاد	ليام أوفلاهري	عبد المجيدي حدى
١٠٥٢	روز	يوسف هسي	عبد المجيدي حدى
١٠٥٧	سالوما	أوسكار وايلد	حسن صادق
١٠٧٩	البائعة الصغيرة	هانز أندرسون	شكري محمد عياد
١٠٨١	اعترافات في العصر دي موسى	فليكس فارس	فليكس فارس
١٠٨٨	الأوديسة	هوميرس	دريتي خشبة
١٠٩٨	الطلل	عمود خيرت	المعد ١٨
١١٠٦	أم إمام	غفرى أبو السعود	عمود خيرت
١١١٦	السهم الرابع	أنطون تشيخوف	جورج سلسكي
١١٢٢	الخط	غيب محفوظ	عبد المجيدي حدى
١١٢٨	الراكبون إلى البحر	جورج ملتون سنج	شكري محمد عياد
١١٣٤	الملك الشاب	أوسكار وايلد	بشير المرقى
١١٤٢	لأن تهمل الناس	إوتولونسي	عبد اللطيف النشار
١١٤٨	اعترافات في العصر دي موسى	فليكس فارس	فليكس فارس
١١٥٣	الأوديسة	هوميرس	دريتي خشبة
١١٦٢	البيار الذهبي في قصر يوسف ماتيلياسيراو	محمد لطفي جمة	المعد ١٩
١١٧٤	غادة البحر	ابن خلدون	خليل هندواي
١١٧٧	الفرقة الزرقاء	بروسير ميريه	كامل محمود حبيب
١١٨٢	ذو النمد	أنطون تشيخوف	جورج سلسكي
١١٩٣	فنتشر يوفيان	عبد اللطيف النشار	عبد المجيدي حدى
١١٩٦	سحابة	أديب عباسي	عبد المجيدي حدى
١٢٠١	كورني فاسيليف	تولستوي	عبد المجيدي حدى
١٢٠٩	اعترافات في العصر دي موسى	فليكس فارس	فليكس فارس
١٢١٨	الصفحة	القصة	المؤلف
١٢١٨	الأوديسة	هوميرس	دريتي خشبة
١٢٢٦	ليلة هائلة	أنطون تشيخوف	السيد جورج سلسكي
١٢٣٢	ساكنو الكهوف	فريدناندون سار	كامل محمود حبيب
١٢٤٢	الثامنة	ألفريد دي موسيه	السيد مظفر الباقعي
١٢٦٤	الماء للبحر	أديب عباسي	فليكس فارس
١٢٧١	اعترافات في العصر دي موسى	فليكس فارس	دريتي خشبة
١٢٨٠	الأوديسة	هوميرس	المعد ٢١
١٢٩٠	الفرام الأول	أحمد حسن الزيات	كامل محمود حبيب
١٢٩٥	الزوجة الحسنة	هيرمان بار	السيد محمد الزاوي
١٢٩٩	في ليلة الميلاد	موباسان	عبد المجيدي حدى
١٣٠٩	بقعة الضمير	بوريس فيليخوف	عبد المجيدي حدى
١٣١٥	خيال الحب	أنثوني بيرايو	عبد المجيدي حدى
١٣٢٢	قصة كان	أنطون تشيخوف	السيد جورج سلسكي
١٣٢٩	الأغلال	راينر ماتاغور	شكري محمد عياد
١٣٣٢	بقية حجة	تورجيف	خليل هندواي
١٣٣٦	اعترافات في العصر دي موسى	فليكس فارس	فليكس فارس
١٣٤٥	الأوديسة	هوميرس	دريتي خشبة
١٣٥٤	سيد فالشيخ حسين	أحمد حسن الزيات	المعد ٢٢
١٣٥٩	الحب والتجسس	جيمس جولد كوزيتز	محمد لطفي جمة
١٣٧١	الأم البيضاء	تيودور سولجوب	عبد المجيدي حدى
١٣٧٩	طبيب الأقليم	إيمان تورجيف	عبد اللطيف النشار
١٣٨٥	قدقنا الماشي البعش	أديب عباسي	عبد المجيدي حدى
١٣٩٦	الوطنية	عن الإنجليزية	عبد المجيدي حدى
١٤٠٠	اعترافات في العصر دي موسى	فليكس فارس	فليكس فارس
١٤١٠	الأوديسة	هوميرس	دريتي خشبة
١٤١٨	جولي زومان	موباسان	أحمد حسن الزيات
١٤٢٤	عائبة	ابراهيم عبد القادر المازني	المعد ٢٣
١٤٣١	عشة أو ضحاهما	ليونيد أندريف	محمد لطفي جمة
١٤٤٠	الجزء	كامل محمود حبيب	عبد المجيدي حدى
١٤٤٥	مهر الشام	عمود بك خيرت	عبد المجيدي حدى
١٤٥٢	غرام	أنطون تشيخوف	السيد جورج سلسكي
١٤٦٤	اعترافات في العصر دي موسى	فليكس فارس	فليكس فارس
١٤٧٤	الأوديسة	هوميرس	دريتي خشبة
١٤٨٢	النجوم	ألفونس دوديه	أحمد حسن الزيات
١٤٨٨	مارس	بوريس فيليخوف	محمد لطفي جمة
١٥٠١	هبة اللوت	أنطون فرانس	السيد محمد الزاوي
١٥٠٤	اللم	لويز هيلجرز	جورج سلسكي
١٥١٠	مروس البحر	طاغور	غفرى شهاب العبدى
١٥١٣	الأم التوحشة	موباسان	كمال الحريرى
١٥١٩	الدهر اللط	غيب محفوظ	عبد المجيدي حدى
١٥٢٩	ليوتشكا	اسكندر كوبرين	شكري محمد عياد
١٥٣٦	الأوديسة	هوميرس	دريتي خشبة

الرسالة

مجلة لجمعية الثقافة والفنون

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب

على هدى وبصيرة

الرسالة : تعبر باخلاص عن روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية

الرسالة : تصور مظاهر العبقرية للامة العربية

الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية

الرسالة : تحيي في النشء أساليب البلاغة العربية



مجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

الجديد ، وسجل الآداب الحديث ، ودائرة معارف عامة



الاشتراك الداخلي ستون قرشاً ، والخارجي ما يساوي جنبها مصرياً ، وللبلاد العربية بمجم ٢٠ ٪

FIN

DU

DOCUMENT

المروية

مجلة أسبوعية للفقه والتاريخ

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصفه

1937
Volume 2